الجلد الثاني من تفسير اللباب لابن الخازن

ع ٢٣ / ط

سابقا روم ایلی قاضیعسکری زین العابدین افندینك

٢٦٧

قد وقف هذه النسخة الجليلة سلطاننا الاعظم والخاقان المعظم مالك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين السلطان بن السلطان السلطان الغازي محمود خان وقفا صحيحا شرعيا لمن طالع وانا الفقير احمد شيخ زاده المفتش باوقاف الحرمين الشريفين عفي عنهما

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر يا كريم

تفسير سورة الاعراف مكية روي ذلك عن ابن عباس وبه قال الحسن ومجاهد وعكرمة وعطا وجابر بن زيد وقتادة وروي عن ابن عباس ايضا انها مكية الا خمس ايات اولها واسالهم عن القرية وبه قال قتادة وقال مقاتل ثمان ايات في سورة الاعراف مدنية اولها واسالهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر الى قوله واذ اخذ ربك وهي مايتان وست ايات وثلاثة الاف وثلاثماية وخمسة وعشرون كلمة واربعة عشر الف حرف وعشرة احرف بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل المص قال ابن عباس معناه انا الله افصل وعنه انا الله اعلم وافصل وعنه ان المص قسم اقسم الله به وهو اسم من اسما الله تعالى وقال قتادة المص اسم من اسما القران وقال الحسن هو اسم للسورة وقال السدي هو بعض اسمه تعالى المصور وقال ابو العالية الالف مفتاح اسمه الله واللام مفتاح اسمه لطيف والميم مفتاح اسمه مجيد والصاد مفتاح اسمه صادق وصبور وقيل هي حروف مقطعة استاثر الله بعلمها وهي سره في كتابه العزيز وقيل هي حروف اسمه الاعظم وقيل هي حروف تحوي معاني دل الله بها خلقه على مراده من كل ذلك وقد تقدم بسط الكلام في معاني الحروف المقطعة في اوايل السور في اول سورة البقرة قوله كتاب انزل اليك يعني هذا الكتاب انزله الله اليك يا محمد وهو القران فلا يكن في صدرك حرج منه يعني فلا يضيق صدرك بالابلاغ وتادية ما ارسلت به الى الناس لتنذر به يعني انا انزلنا اليك الكتاب يا محمد لتنذر به من امرتك بانذاره وذكرى للمومنين يعني ولتذكر وتعظ به المومنين وهذا من المؤخر الذي معناه التقديم تقديره كتاب انزلناه اليك لتنذر به وذكرى للمومنين فلا يكن في صدرك حرج منه وقال ابن عباس فلا تكن في شك منه لان الشك لا يكون الا من ضيق الصدر وقلة الاتساع لتوجيه ما حصل له قوله تعالى اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم اي قل يا محمد لقومك اتبعوا ايها الناس ما انزل اليكم

من

من ربكم من القران الذي فيه الهدى والنور والبيان قال الحسن يا ابن ادم امرت باتباع كتاب الله وسنة محمد صلى الله عليه وسلم والله ما نزلت اية الا ويجب ان تعلم فيما انزلت وما معناها ونحو هذا قال الزجاج اي اتبعوا القران وما اتى به النبي صلى الله عليه وسلم فانه مما انزل لقوله وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ومعنى الاية ان الله تعالى لما امر رسوله صلى الله عليه وسلم بالانذار في قوله لتنذر به فكان معنى الكلام انذر القوم وقل لهم اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم واتركوا ما انتم عليه من الكفر والشرك وقيل معناه لتنذر به وتذكر به المومنين فيقول لهم اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم وقيل هو خطاب للكفار اي اتبعوا ايها المشركون ما انزل اليكم من ربكم ويدل عليه قوله تعالى ولا تتبعوا من دونه اوليا معناه ولا تتخذوا الذين يدعونكم الى الشرك والكفر اوليا فتتبعوهم والمعنى ولا تتولوا من دونه شياطين الانس والجن فيامرونكم بعبادة الاصنام واتباع البدع والاهوا الفاسدة قليلا ما تذكرون يعني ما تتعظون الا قليلا قوله عز وجل وكم من قرية اهلكناها لما امر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالابلاغ والانذار وامر امته باتباع ما انزل اليهم حذرهم نقمته وباسه ان لم يتبعوا ما امرهم الله به فذكر في هذه الاية ما في ترك المتابعة والاعراض عن امره من الوعيد فقال تعالى وكم من قرية اهلكناها قيل فيه حذف تقديره وكم من اهل قرية لان المقصود بالاهلاك اهل القرية لا القرية وقيل ليس فيه حذف لان اهلاك القرية اهلاك لاهلها فجاءها باسنا اي عذابنا فان قيل مجي الباس وهو العذاب انما يكون قبل الاهلاك فكيف قال اهلكناها فجاءها باسنا قلت معناه وكم من قرية حكمنا باهلاكها فجاءها باسنا وقال الفرا ان الهلاك والباس قد يقعان معا كما يقال اعطيتني فاحسنت الي فلم يكن الاحسان قبل العطا ولا بعده وانما وقعا معا وقال غيره لا فرق بين قولك اعطيتني فاحسنت الي او احسنت الي فاعطيتني فيكون احدهما بدلا من الاخر بياتا يعني جاءها عذابنا ليلا قبل ان يصبحوا او هم قايلون من القيلولة وهو نوم نصف النهار واستراحة نصف النهار وان لم يكن معها نوم والمعنى فجاءها باسنا غفلة وهم غير متوقعين له ليلا وهم نايمون او نهارا وهم قايلون وقت الظهيرة وكل ذلك وقت الغفلة ومقصود الاية انه جاءهم العذاب على حين غفلة منهم من غير تقدم امارة تدلهم على وقت نزول العذاب وفيه وعيد وتخويف للكفار لانه قيل لهم لا تغتروا باسباب الامن والراحة فان عذاب الله اذا نزل نزل دفعة واحدة فما كان دعواهم يعني فما كان دعا اهل القرية التي جاءهم باسنا والدعوى تكون بمعنى الادعا وبمعنى الدعا قال سيبويه تقول العرب اللهم اشركنا في صالح دعوى المسلمين ومنه قوله دعواهم فيها سبحانك اللهم اذ جاءهم باسنا يعني عذابنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين يعني انهم لم يقدروا على رد العذاب عنهم وكان حاصل امرهم الاعتراف بالجناية وذلك حين لا ينفع الاعتراف فلنسالن

الذين ارسل اليهم يعني نسال الامم الذين ارسلت اليهم الرسل عما عملتم فيما جاءكم
به الرسل ولنسالن المرسلين يعني ولنسالن الرسل الذين ارسلناهم الى الامم هل
بلغتم رسالاتي واديتم الى الامم ما امرتم بتاديته اليهم ام قصرتم في ذلك قال ابن عباس
في معنى هذه الاية يسال الله الناس عما اجابوا المرسلين ويسال المرسلين عما بلغوا
وعنه انه قال يوضع الكتاب يوم القيامة فيتكلم الرسل بما كانوا يعملون وقال السدي
يسال الامم ما عملوا فيما جاءتهم به الرسل ويسال الرسل هل بلغوا ما ارسلوا به
فان قلت فقد اخبر عنهم في الاية الاولى بانهم اعترفوا على انفسهم بالظلم في قوله
انا كنا ظالمين فما فايدة هذا السوال مع اعترافهم على انفسهم بذلك قلت
لما اعترفوا بانهم كانوا ظالمين مقصرين سيلوا بعد ذلك عن سبب هذا الظلم والتقصير
والمقصود من هذا التقريع والتوبيخ للكفار فان قلت فما الفايدة في سوال
الرسل مع العلم بانهم قد بلغوا رسالات ربهم الى من ارسلوا اليهم من الامم قلت
اذا كان يوم القيامة انكر الكفار تبليغ الرسل فقالوا ما جاءنا من بشير ولا نذير
فكان مسالة الرسل على وجه الاستشهاد لهم على من ارسلوا اليه من الامم انهم قد
بلغوا رسالات ربهم الى من ارسلوا اليه من الامم فيكون منه المسالة كالتقريع
والتوبيخ للكفار ايضا لانهم انكروا تبليغ الرسل فيزداد بذلك خزيهم وهوانهم
وعذابهم وقوله تعالى فلنقصن عليهم بعلم يعني فلنخبرن الرسل ومن ارسلوا
اليهم بعلم بحقيقة بما عملوا في الدنيا وما كنا غائبين يعني عنهم وعن افعالهم
وعن الرسل فيما بلغوا وعن الامم فيما اجابوا فان قلت كيف الجمع بين قوله
فلنسالن الذين ارسل اليهم ولنسالن المرسلين وبين قوله فلنقصن عليهم بعلم
وما كنا غائبين فاذا كان عالما بهم فما فايدة هذا السوال قلت فايدة سوال
الامم والرسل مع علمه سبحانه وتعالى بجميع المعلومات التوبيخ والتقريع للكفار
لانهم اذا اقروا على انفسهم كان ابلغ في المقصود فاما سوال الاسترشاد والاستثبات
فهو ممتنع على الله عز وجل لانه عالم بجميع الاشيا قبل كونها وبعد كونها فهو العالم بالكليات
والجزئيات وعلمه بظواهر الاشيا كعلمه ببواطنها قوله تعالى والوزن يومئذ الحق
يعني والوزن يوم سوال الامم والرسل وهو يوم القيامة العدل وقال مجاهد المراد
بالوزن هنا القضا ومعنى الحق العدل وذهب جمهور المفسرين الى ان المراد بالوزن
وزن الاعمال بالميزان وذلك بان الله عز وجل ينصب ميزانا له لسان وكفتان كل
كفة قدر ما بين المشرق والمغرب قال ابن الجوزي جاء في الحديث ان داود عليه السلام
سال ربه ان يريه الميزان فاراه اياه فقال الهي من يقدر ان يملا كفتيه حسنات
فقال يا داود اني اذا رضيت عن عبدي ملاتها بتمرة قال وقال حذيفة جبريل صاحب
الميزان يوم القيامة فيقول له ربه عز وجل زن بينهم ورد من بعضهم على بعض وليس
ثم ذهب ولا فضة فيرد على المظلوم من الظالم ما وجد له من حسنة فان لم يكن له
حسنة اخذ من سيئات المظلوم فيرد على سيئات الظالم فيرجع الرجل وعليه مثل الجبال

فان قلت

فان قلت اليس الله عز وجل يعلم مقادير اعمال العباد فما الحكمة في وزنها قلت
فيه حكم منها اظهار العدل وان الله عز وجل لا يظلم عباده ومنها امتحان الخلق
بالايمان بذلك في الدنيا واقامة الحجة عليهم في العقبى ومنها تعريف العباد ما لهم
من خير وشر وحسنة وسيئة ومنها اظهار علامة السعادة والشقاوة ونظيره
انه تعالى اثبت اعمال العباد في اللوح المحفوظ ثم في صحايف الحفظة الموكلين ببني
ادم من غير جواز النسيان عليه سبحانه وتعالى ثم اختلف العلما في كيفية الوزن
فقال بعضهم توزن صحايف الاعمال التي كتبت فيها الحسنات والسيئات ويدل على
ذلك حديث البطاقة وهو ما روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ان الله عز وجل سيخلص رجلا من امتي على رؤس الخلايق يوم القيامة
فينشر له تسعة وتسعين سجلا كل سجل مثل مد البصر ثم يقول له اتنكر من هذا شيا
اظلمك كتبتي الحافظون فيقول لا يا رب فيقول افلك عذر فيقول لا يا رب فيقول
الله تعالى بلى ان لك عندنا حسنة فانه لا ظلم عليك اليوم فيخرج الله بطاقة فيها
اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله فيقول احضر وزنك فيقول
يا رب ما هذه البطاقة مع ما في هذه السجلات فقال فانك لا تظلم عليك اليوم فتوضع
السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل
مع اسم الله شي اخرجه الترمذي واحمد بن حنبل وقال ابن عباس يوتى بالاعمال
الحسنة على صورة حسنة وبالاعمال السيئة على صورة قبيحة فتوضع في الميزان قلت
فقول ابن عباس ان الاعمال تتصور صورا وتوضع تلك الصور في الميزان ويخلق الله
في تلك الصور ثقلا وخفة ونقل البغوي عن بعضهم انما توزن الاشخاص
واستدل لذلك بما روي عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ليأتي الرجل
السمين العظيم يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة مقداره وحرمته
لا وزن جسده وقدره والصحيح قول من قال ان صحايف الاعمال توزن ونفس
الاعمال تتجسد وتوزن والله اعلم بحقيقة ذلك وقوله تعالى فمن ثقلت
موازينه جمع ميزان واو رد على هذا انه ميزان واحد فما وجه الجمع واجيب عنه
بان العرب قد توقع لفظ الجمع على الواحد وقيل انه ينصب لكل عبد ميزان وقيل
انما جمعه لان الميزان يشتمل على الكفتين والشاهين واللسان ولا يتم الوزن الا
باجتماع ذلك كله وقيل الموازين جمع موزون يعني رجحت اعمال الحسنة الموزونة التي
لها وزن وقدر فاولئك هم المفلحون يعني هم الناجون غدا والفايزون
بثواب الله وجزايه ومن خفت موازينه يعني موازين اعمال الكفار
قوله فاولئك الذين خسروا انفسهم يعني غبنوا انفسهم حظوظها من جزيل
ثواب الله وكرامته بما كانوا باياتنا يظلمون يعني بسبب ذلك الخسران انهم
كانوا بحجج الله وادلة توحيده يجحدون ولا يقرون بما روي عن ابي بكر الصديق انه
حين حضره الموت قال في وصيته لعمر بن الخطاب انما ثقلت موازين من ثقلت موازينه

يوم القيامة فاتباعهم الحق في الدنيا وثقله عليهم وحق لميزان يوضع فيه الحق غدا ان يكون
ثقيلا وانما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل وخفته
عليهم وحق لميزان يوضع فيه الباطل غدا ان يكون خفيفا قوله عز وجل ولقد مكناكم
في الارض يعني مكناكم ايها الناس في الارض والمراد من التمكين التمليك وقيل
معناه جعلنا لكم فيها مكانا وقرارا واقدرناكم على التصرف فيها وجعلنا لكم فيها
معايش يعني به معيشة يعني به جميع وجوه المنافع التي تحصل بها الارزاق
وتعيشون بها ايام حياتكم وهي على قسمين احدهما ما انعم الله به على عباده من
الزرع والثمار وانواع الماكل والمشارب والثاني ما يحصل من المكاسب والارباح
في انواع التجارات والصنايع وكلا القسمين في الحقيقة انما يحصل بفضل الله وانعامه
وتمكينه وكثرة الانعام توجب الطاعة للمنعم بها والشكر له عليها ثم بين تعالى انه
مع هذا الافضال على عباده وانعامه عليهم لا يقومون بشكره كما ينبغي فقال تعالى
قليلا ما تشكرون يعني على ما صنعت اليكم وانعمت به عليكم وفيه دليل على انهم قد
يشكرون لان الانسان قد يذكر نعم الله فيشكره عليها فلا يخلو في بعض الاوقات
من الشكر على النعم وحقيقة الشكر تصور النعمة واظهارها ويضاده الكفر وهو
نسيان النعمة وسترها قوله تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم يعني ولقد
خلقناكم ايها الناس المخاطبون بهذا الخطاب وقت نزوله في ظهر ابيكم آدم ثم صورناكم
في ارحام امهاتكم صورا مختلفة فان قلت على هذا التفسير يكون قوله ثم قلنا
للملايكة اسجدوا لادم يقتضي ان الامر بالسجود لادم كان وقع بعد خلق المخاطبين
بهذا الخطاب وتصويرهم لان كلمة ثم للتراخي ومعلوم ان الامر ليس كذلك بل كان
السجود لادم قبل خلق ذريته قلت يحتمل ان يكون المعنى ولقد خلقناكم ثم صورناكم
ايها المخاطبون ثم اخبرناكم انا قلنا للملايكة اسجدوا لادم فتكون كلمة ثم تفيد
ترتيب خبر على خبر ولا تفيد ترتيبا للمخبر على الخبر وقيل في معنى الاية ولقد خلقناكم
يعني آدم ثم صورناكم يعني ذريته وهذا قول ابن عباس وقال مجاهد ولقد خلقناكم
يعني آدم ثم صورناكم يعني في ظهره وعلى هذين القولين انما ذكر آدم بلفظ الجمع على
التعظيم او لانه ابو البشر فكان في خلقه خلق من خرج من صلبه وقيل ان الخلق
والتصوير يرجع الى آدم وحده والمعنى ولقد خلقناكم يعني آدم ثم صورناكم
يعني صورة من طين ثم قلنا للملايكة اسجدوا لادم يعني بعد اكمال خلقه
وقد تقدم في سورة البقرة الكلام في معنى هذا السجود وانه كان على سبيل التحية
والتعظيم لادم لا حقيقة السجود وقيل بل كان حقيقة السجود وان المسجود له هو الله
تعالى وانما كان آدم كالقبلة للساجدين وقيل بل كان السجود له وكان ذلك بامر الله
تعالى وهل كان هذا الامر بالسجود لجميع الملايكة او لبعضهم فيه خلاف تقدم ذكره
وقوله تعالى فسجدوا يعني الملايكة الا ابليس يعني فسجد الملايكة
لادم الا ابليس لم يكن من الساجدين له وظاهر الاية يدل على ان ابليس كان

من الملايكة لان الله تعالى استثناه منهم وكان الحسن يقول ان ابليس لم يكن من الملايكة
لانه خلق من نار والملايكة من نور وانما استثناه من الملايكة لانه كان مامورا بالسجود
لادم مع الملايكة فلما لم يسجد واخبر الله عنه انه لم يكن من الساجدين لادم فلهذا
استثناه منهم قوله عز وجل قال ما منعك ان لا تسجد اذ امرتك يعني قال الله عز وجل لابليس
اي شيء منعك من السجود لادم اذ امرتك به فعلى هذا التاويل تكون كلمة لا في قوله
ان لا تسجد صلة زايدة وانما دخلت للتوكيد والتقدير ما منعك ان تسجد فهو كقوله
لا اقسم اي اقسم وقوله وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون اي يرجعون
وقوله لئلا يعلم اهل الكتاب اي ليعلم اهل الكتاب وهذا قول الكسائي والفراء والزجاج
والاكثرين وقيل ان كلمة لا هنا على اصلها مفيدة وليست بزايدة لانه لا يجوز ان
يقال ان كلمة من كتاب الله زايدة او لا معنى لها وعلى هذا القول حكى الواحدي عن احمد
ابن يحيى ان لا في هذه الاية ليست زايدة ولا توكيدا لان معنى قوله ما منعك ان لا
تسجد من قال لك لا تسجد فحمل اللفظ الكلام على معناه وهذا القول حكاه ابو بكر عن
الفرا وقال الطبري الصواب في ذلك ان يقال ان في الكلام محذوفا تقديره ما منعك
من السجود فاحوجك ان لا تسجد فترك ذكر احوجك استغناء بمعرفة السامعين
ونقل الامام فخر الدين الرازي عن القاضي قال ذكر الله المنع واراد الداعي فكانه
قال ما دعاك الى ان لا تسجد لان مخالفة امر الله عز وجل له عظيمة يتعجب منها ويسال
عن الداعي اليها فان قلت لم ساله عن المنع من السجود وهو اعلم به قلت للتوبيخ
والتقريع له ولاظهار معاندته وكفره وافتخاره باصله وحسده لادم ولذلك
لم يتب منه قال يعني قال ابليس مجيبا لله عما ساله عنه انا خير منه فان قلت
قوله انا خير منه ليس بجواب عما ساله عنه في قوله ما منعك ان لا تسجد فلم
يجب بما منعه من السجود فانه كان ينبغي له ان يقول منعني كذا وكذا ولكنه قال انا
خير منه قلت استانف قصة اخبر فيها عن نفسه بالفضل على آدم وفيها دليل
على موضع الجواب وهو قوله خلقتني من نار وخلقته من طين والنار خير من الطين
وانور وانما قال انا خير منه لما راى انه اشد منه قوة وافضل منه فضلا وذلك
لفضل الجنس الذي خلق منه وهو النار على الطين الذي خلق منه آدم فجهل
عدو الله ابليس وجه الحق واخطا طريق الصواب لان من المعلوم ان من جوهر النار
الخفة والطيش والارتفاع والاضطراب وهذا الذي حمل ابليس الخبيث مع الشقا
الذي سبق له من الله تعالى في الكتاب السابق على الاستكبار على السجود
لادم عليه السلام والاستخفاف بامر ربه فاورده ذلك العطب والهلاك ومن
المعلوم ان من جوهر الطين الرزانة والاناة والصبر والحلم والحيا والتثبت
وهذا كان الداعي لادم عليه السلام مع السعادة السابقة التي سبقت له من الله
تعالى في الكتاب السابق الى التوبة من خطيئته ومسالته ربه العفو عنه
والمغفرة ولذلك كان الحسن وابن سيرين يقولان اول من قاس ابليس فاخطا

وقال ابن سيرين ايضا ما عبدت الشمس والقمر الا بالمقاييس واصل هذا القياس الذي
قاسه ابليس لما راي ان النار افضل من الطين واقوي فقال انا خير منه خلقتني
من نار وخلقته من طين ولم يدر ان الفضل لمن جعله الله فاضلا وان الافضلية
والخيرية لا تحصل بسبب فضيلة الاصل والجوهر وايضا الفضيلة انما تحصل
بسبب الطاعة وقبول الامر فالمومن الحبشي خير من الكافر القرشي فان الله تعالى
خص صفيه ادم عليه السلام باشيا لم يخص بها غيره وانه خلقه بيده ونفخ فيه من روحه
واسجد له ملايكته وعلمه اسما كل شي واورثه الاجتبا والتوبة والهداية الى غير
ذلك مما خص الله به ادم عليه السلام للعناية التي سبقت له في القدم وقوله تعالى
قال فاهبط منها يعني قال الله عز وجل لابليس اهبط من الجنة وقيل من السما
الى الارض والهبوط الانزال والانحدار من فوق الى سفل القهر والهوان والاستخفاف
فما يكون لك ان تتكبر فيها يعني فليس لك ان تتكبر في الجنة عن امري وطاعتي
لانه لا ينبغي ان يكون في الجنة او في السما متكبر مخالف لامر الله عز وجل فاما
غير الجنة والسما فقد يسكنها المستكبر عن طاعة الله تعالى وهم الكفار الساكنون
في الارض **فاخرج انك من الصاغرين** يعني انك من الاذلا المهانين والصغار
الذل والمهانة قال الزجاج استكبر عدو الله ابليس فابتلاه الله بالصغار والذلة
وقيل كان له ملك الارض فاخرجه منها الى جزاير البحر الاخضر وعرشه عليه فلا يدخل
الارض الا خايفا كهيئة السارق مثل شيخ عليه اطمار رثة يروغ فيها حتى يخرج منها
قال يعني قال ابليس عند ذلك **انظرني** يعني اخرني وامهلني فلا تمتني **الى
يوم يبعثون** يعني من قبورهم وهي النفخة الاخرة عند قيام الساعة وهذا من جهالة
الخبيث ابليس لانه سال ربه الامهال وقد علم انه لا سبيل لاحد من خلق الله
الى البقا في الدنيا ولكنه كره ان يذوق الموت فطلب البقا والخلود فلم يجب الى
ما سال بل **قال** الله له **انك من المنظرين** يعني من الموخرين الممهلين وقد بين الله
تعالى مدة النظر والمهلة في سورة الحجر فقال انك من المنظرين الى يوم الوقت
المعلوم وذلك هو النفخة الاولى حين يموت الخلق كلهم فان **قلت** ما وجه
قوله انك من المنظرين وليس احد ينظر سواه **قلت** معناه ان الذين تقوم
عليهم الساعة منظرون الى ذلك الوقت باجالهم فهو منهم **قال** يعني ابليس
فبما اغويتني يعني فباي شي اضللتني فعلى هذا تكون ما استفهامية ثم ابتدا
عند قوله اغويتني ثم ابتدا فقال لاقعدن لهم صراطك المستقيم وقيل الباء للقسم
تقديره فباغوايتك اياي وقيل معناه فبما اوقعت في قلبي التي كان سبب
هبوطي الى الارض من السما واضللتني عن الهدى **لاقعدن لهم صراطك المستقيم**
يعني لاجلس على صراطك القويم وهو طريق الاسلام وقيل المراد بالصراط المستقيم
الطريق الذي يسلكونه الى الجنة وذلك بان يوسوس اليهم وازين الباطل وما
يكسبهم الماثم وقيل المراد بالصراط المستقيم طريق مكة يعني يمنعهم من الهجرة

وقيل

وقيل المراد به الحج والقول الاول اولى لانه يعم الجميع ومعنى الاية لاصدن بني ادم
عن عبادتك وطاعتك ولاغوينهم ولاضلنهم كما اضللتني عن سبرة بن ابي الفاكه قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الشيطان قعد لابن ادم باطرقه فقعد له
عن طريق الاسلام فقال تسلم وتذر دينك ودين ابايك وابا ابايك فعصاه واسلم وقعد له
بطريق الهجرة فقال تهاجر وتذر ارضك وسماك وانما مثل المهاجر كمثل الفرس
في الطول فعصاه فهاجر فقعد له بطريق الجهاد فقال تجاهد فهو جهد النفس والمال
فتقاتل فتقتل فتنكح المراة ويقسم المال فعصاه فجاهد قال فمن فعل ذلك
كان حقا على الله ان يدخله الجنة وان غرق كان حقا على الله ان يدخله الجنة او وقصته
دابته كان حقا على الله ان يدخله الجنة اخرجه النسايي وقوله تعالى اخبارا عن ابليس
ثم لاتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمايلهم قال
ابن عباس من بين ايديهم يعني من قبل الاخرة فاشككهم فيها ومن خلفهم يعني من
قبل الدنيا فارغبهم فيها وعن ايمانهم يشبه عليهم امر دينهم وعن شمايلهم اشهي
لهم المعاصي وانما جعل الاخرة من بين ايديهم في هذا القول لانهم متقلبون اليها
وصايرون اليها فعلى هذا الاعتبار فالدنيا خلفهم لانهم يخلفونها وراء ظهورهم وقال
ابن عباس في رواية عنه من بين ايديهم من قبل دنياهم يعني ازينها في قلوبهم ومن
خلفهم من قبل الاخرة فاقول لا بعث ولا جنة ولا نار وعن ايمانهم من قبل حسناتهم
وعن شمايلهم من قبل سياتهم وانما جعل الدنيا من بين ايديهم في هذا القول لان الانسان
يسعى فيها ويشاهدها فهي حاضرة بين يديه والاخرة غايبة عنه فهي خلفه قال
الحكم بن عتيبة من بين ايديهم يعني من قبل الدنيا فانه يزينها لهم ومن خلفهم من قبل
الاخرة فيثبطهم عنها وعن ايمانهم يعني من قبل الحق فاصدهم عنه وعن شمايلهم
من قبل الباطل فازينه لهم وقال قتادة اتاهم من بين ايديهم فاخبرهم انه لا بعث
ولا جنة ولا نار ومن خلفهم من امر الدنيا فزينها لهم ودعاهم اليها وعن ايمانهم من
قبل حسناتهم فبطاهم عنها وعن شمايلهم زين لهم السيات والمعاصي ودعاهم اليها
اتاك يا ابن ادم من كل وجه غير انه لم ياتك من فوق ولم يستطع ان يحول بينك
وبين رحمة الله تعالى وقال مجاهد ياتيهم من بين ايديهم وعن ايمانهم حيث يبصرون
ومن خلفهم وعن شمايلهم حيث لا يبصرون ومعنى هذا انهم يخبطون ومن حيث لا يبصرون
انهم يخبطون ولا يعلمون انهم يخبطون وقيل من بين ايديهم يعني فيما بقي من اعمارهم
فلا يقدمون فيه طاعة ومن خلفهم يعني ما مضى من اعمارهم فلا يتوبون عما اسلفوا
فيه من معصية وعن ايمانهم يعني من قبل الغنى فلا ينفقون ولا يشكرون ومن
خلفهم يعني من قبل الفقر فلا يمتنعون فيه من محظور نالوه قال شقيق البلخي
ما من صباح الا وياتيني الشيطان من الجهات الاربع من بين يدي ومن خلفي وعن
يميني وعن شمالي اما من بين يدي فيقول لا تخف فان الله غفور رحيم فاقرا
واني لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا واما من خلفي فيخوفني من وقوع اولادي

في الفقر فاذا دمامنه اية في الارض لا يعلى الله رزقهم واما من قبل يميني فباتيني من
الثنا فاذا او لعاقبة للمتقين واما من قبل شمالي فباتيني من قبل الشهوات فاقذاه
وحيل بينهم وبين ما يشتهون وقيل ان ذكر هذه الجهات الاربع انما اريد بها التاكيد
والمبالغة في القاء الوسوسة في قلب بني آدم وانه لا يقصر في ذلك ومعنى الاية على هذا
القول ثم لآتينهم من جميع الوجوه الممكنة بجميع الاعتبارات وقوله تعالى **ولا تجد اكثرهم**
شاكرين يعني ولا تجد يا رب اكثر بني آدم شاكرين لك على نعمك التي انعمت بها عليهم
وقال ابن عباس معناه ولا تجد اكثرهم موحدين فان قلت كيف علم الخبيث
ابليس ذلك حتى قال ولا تجد اكثرهم شاكرين قلت قاله ظنا فاصاب ومنه
قوله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه وقيل انه كان عازما على المبالغة في تزيين
الشهوات وتحسين القبائح وعلم ميل بني آدم الى ذلك فقال هذه المقالة وقيل
انه راه مكتوبا في اللوح المحفوظ فقال هذه المقالة على سبيل اليقين والقطع
والله اعلم بمراده قوله عز وجل **قال اخرج منها** اي قال الله لابليس حين طرده
عن بابه وابعده عن جنابه وذلك بسبب مخالفته وعصيانه اخرج منها يعني من
الجنة فانه لا ينبغي ان يسكن فيها العصاة **مذؤوما** والذام اشد العيب يعني
معيبا **مدحورا** يعني مطرودا مبعودا وقال ابن عباس صغيرا ممقوتا وقال
قتادة لعينا مقيتا وقال الكلبي ملوما مقصيا من الجنة ومن كل خير **لمن تبعك**
منهم يعني من بني آدم **لاملان جهنم منكم اجمعين** اللام لام القسم اقسم الله
ان من اتبع ابليس من بني آدم واطاعه ان يملا جهنم منه وممن كفر من بني آدم وابليس وذريته
ومن يتبعه منهم قوله تعالى **ويا آدم اسكن انت وزوجك الجنة** اي وقلنا يا آدم
اسكن انت وزوجك يعني حوا الجنة وذلك بعد ان اهبط منها ابليس واخرجه وطرده
من الجنة **فكلا من حيث شئتما** يعني فكلا من ثمار الجنة من اي مكان شئتما فان
قلت قال في سورة البقرة وكلا بالواو وقال هنا فكلا بالفاء فما الفرق قلت
قال الامام فخر الدين الرازي ان الواو تفيد الجمع المطلق والفاء تفيد الجمع على سبيل
التعقيب فالمفهوم من الفاء نوع داخل تحت المفهوم من الواو ولا منافاة بين النوع
والجنس ففي سورة البقرة ذكر الجنس وهنا ذكر النوع **ولا تقربا هذه الشجرة**
فتكونا من الظالمين تقدم في سورة البقرة الكلام على تفسير هذه الاية
قوله تعالى **فوسوس لهما الشيطان** يعني فوسوس اليهما والوسوسة حديث يلقيه
الشيطان في قلب الانسان يقال وسوس اذا تكلم كلاما خفيا مكررا واصله
من صوت الحلي ومعنى وسوس لهما فعل الوسوسة والقاها اليهما فان قلت
كيف وسوس اليهما وآدم وحوا في الجنة وابليس قد اخرج منها قلت ذكر الامام
فخر الدين في الجواب عن هذا السؤال عن الحسن انه قال كان يوسوس من الارض
الى السما الى الجنة بالقوة الفوقية التي جعلها الله له وقال ابو مسلم الاصبهاني
بل كان آدم وابليس في الجنة لان هذه الجنة كانت بعض جنات الارض والذي يقوله

بعض

بعض الناس من ان ابليس دخل في جوف الحية فدخلت به الجنة فقصته مشهورة
ركيكة وقال الآخرون ان آدم وحوا ربما قربا من باب الجنة وكان ابليس واقفا من
خارج الجنة على بابها فقرب احدهما من الآخر فحصلت الوسوسة هناك فان قلت
ان آدم عليه السلام قد عرف ما بينه وبين ابليس من العداوة فكيف قبل قوله
قلت يحتمل ان ابليس لقي آدم مرارا كثيرة ورغبه في اكل هذه الشجرة بطرق
كثيرة منها رجا بقا الخلد ومنها قوله وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين فلاجل هذه المواظبة
والمداومة على هذا التمويه اثر كلام ابليس في آدم حتى اكل من الشجرة **ليبدي لهما**
ما ووري عنهما من سوآتهما ليظهر لهما ما غطي وستر من عوراتهما وقوله ما
ووري ماخوذ من المواراة وهو الستر يقال واريته بمعنى سترته والسوأة
فرج الرجل والمراة سمي بذلك لان ظهوره يسوء الانسان وفي الاية دليل على
ان كشف العورة من المنكرات المحرمات واللام في قوله ليبدي لهما لام العاقبة
وذلك لان ابليس لم يقصد بالوسوسة ظهور عورتهما وانما كان حملهما على المعصية
فقط فكان عاقبة امرهما ان بدت عوراتهما **وقال** يعني قال ابليس لآدم
وحوا **ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة** يعني عن الاكل من هذه الشجرة **الا ان تكونا**
ملكين او تكونا من الخالدين يعني انما نهاكما عن هذه الشجرة لكيلا تكونا
ملكين من الملائكة تعلمان الخير والشر وتكونا من الباقين الذين لا يموتون
وانما اطمع ابليس لآدم بهذا لانه علم ان الملائكة لهم المنزلة والقرب من العرش
فاستشرف لذلك آدم واحبه او انه يعيش مع الملائكة لطول اعمارهم او يكون
مع الخالدين الذين لا يموتون ابدا فان قلت ظاهر الاية يدل على ان الملك
افضل من الانبيا لان آدم عليه السلام طلب ان يكون من الملائكة وهذا يدل
على فضلهم عليه قلت ليس في ظاهر الاية ما يدل على ذلك لان آدم عليه
السلام طلب ان يكون من الملائكة كان ذلك الطلب قبل ان يتشرف بالنبوة وكانت
هذه الواقعة قبل نبوة آدم فطلب ان يكون من الملائكة او من الخالدين وعلى تقدير
ان يكون هذه الواقعة على زمان النبوة بعد ان شرف بها آدم انما طلب ان يكون من
الملائكة لطول اعمارهم لا لانهم افضل منه حتى يلتحق بهم في الفضل لانه طلب اما
ان يكون من الملائكة لطول اعمارهم او من الخالدين الذين لا يموتون ابدا وقوله تعالى
وقاسمهما اي واقسم وحلف لهما وهذا من المفاعلة التي تختص بالواحد **اني لكما**
لمن الناصحين قال قتادة حلف لهما بالله حتى خدعهما وقد يخدع المومن
بالله فقال اني خلقت قبلكما وانا اعلم منكما فاتبعاني ارشدكما وقال بعض العلما
من خدعنا بالله خدعنا له **فدلاهما بغرور** يعني فحطهما بغرور ويقال ما زال
فلان يدلي لفلان بغرور يعني ما زال يخدعه ويكلمه بزخرف من القول باطل قال
الازهري واصله ان الرجل العطشان يتدلى في البير ليأخذ الما فلا يجد فيها ما
فوضعت التدلية موضع الطمع فيما لا فايدة فيه والغرور اظهار النصح مع ابطان الغش

وهو ان ابليس حطهما من منزلة الطاعة الى حالة المعصية لان التدلي لا يكون
الا من علو يعني الى اسفل ومعناه لانه ان ابليس غر آدم باليمين الكاذبة وكان آدم
يظن ان احدا لا يحلف بالله كاذبا فلما حلف ابليس ظن آدم انه صادق فاغتر به **فلما
ذاقا الشجرة** يعني طعما من ثمرة الشجرة وفيه دليل على انهما تناولا اليسير
من ذلك قصدا الى معرفة طعمه لان الذوق يدل على الاكل اليسير **بدت لهما
سوآتهما** يعني ظهرت لهما عوراتهما قال ابن عباس قبل ان ازدردا اخذتهما العقوبة
والعقوبة ان بدت وظهرت لهما عوراتهما وتهافت عنهما لباسهما حتى ابصر كل واحد
منهما عورة صاحبه وكانا لا يريان ذلك وقال وهب كان لباسهما من النور لا يرى هذا
عورة هذه ولا هذه عورة هذا فلما اصابا الخطيئة بدت لهما سوآتهما وقال قتادة
كان لباس آدم في الجنة ظفرا كله فلما وقع في الذنب كشط عنه وبدت سوآته **وطفقا**
يعني فاقبلا وجعلا **يخصفان عليهما من ورق الجنة** يعني انهما لما بدت سوآتهما جعلا
يرقعان ويلزقان عليهما من ورق الجنة وهو ورق التين حتى صار كهيئة الثوب
وقال الزجاج جعلا يرقعان ورقة على ورقة ليستترا سوآتهما وفي الآية دليل على ان كشف
العورة من ابن آدم قبيح الا ترى انهما بادرا الى ستر العورة لما تقرر في عقلهما من قبح
كشفها روى ابي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان آدم رجلا طوالا
كانه نخلة سحوق كثير شعر الراس فلما وقع في الخطيئة بدت له سوآته وكان لا يراها
في الجنة فانطلق فارا فعرضت له شجرة من شجر الجنة فحبسته بشعره فقال لها
ارسليني فقالت لست بمرسلتك فناداه ربه يا آدم امني تفر قال لا يا رب
ولكني استحييتك ذكره البغوي بغير سند واسنده الطبري من طريقين موقوفا
ومرفوعا قوله تعالى **وناداهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة** يعني
ان الله تعالى نادى آدم وحوا وخاطبهما فقال الم انهكما عن اكل ثمرة هذه الشجرة
واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين يعني الم اعلمكما ان الشيطان قد بان
عداوته لكما بترك السجود حسدا وبغيا قال ابن عباس لما اكل آدم من الشجرة قيل
له لم اكلت من الشجرة التي نهيتك عنها قال حوا امرتني قال فاني اعطيتها ان لا تحمل
الا كرها ولا تضع الا كرها قال فرنت حوا عند ذلك رنة فقيل لها الرنة عليك
وعلى بناتك قال محمد بن قيس ناداه ربه يا آدم لم اكلت منها وقد نهيتك قال
اطعمتني حوا قال لحوا لم اطعمتيه قالت امرتني الحية قال للحية لم امرتيها قالت
امرني ابليس قال الله تعالى اما انت يا حوا فكما ادميت الشجرة تدمين كل شهر واما
انت يا حية فاقطع رجليك فتمشين على وجهك وسيشدخ راسك من لقيك واما
انت يا ابليس فملعون مدحور يعني مطرود عن الرحمة وقيل ناداه يا آدم اما خلقتك
بيدي اما نفخت فيك من روحي اما اسجدت لك ملائكتي اما اسكنتك جنتي في جواري
قوله عز وجل **قالا ربنا ظلمنا انفسنا** وهذا خبر من الله تعالى عن آدم عليه السلام
وحوا واعترافهما على انفسهما بالذنب والندم على ذلك والمعنى قالا يا ربنا انا

فعلنا

فعلنا بانفسنا من الاساءة الينا بمخالفة امرك وطاعة عدونا وعدوك ما لم يكن لنا
من اكل الشجرة التي نهيتنا عن اكلها **وان لم تغفر لنا** يعني وانت يا ربنا ان لم
تستر علينا ذنبنا **وترحمنا** يعني وتتفضل علينا برحمتك **لنكونن من الخاسرين**
يعني من الهالكين قال قتادة قال آدم رب ارايت ان تبت اليك واستغفرتك قال
اذا ادخلك الجنة واما ابليس فلم يساله التوبة وساله النظرة فاعطى كل واحد منهما
ما ساله وقال الضحاك في قوله ربنا ظلمنا انفسنا قال هي الكلمات التي تلقاها آدم
من ربه عز وجل **فصل** وقد استدل من يرى صدور الذنب من الانبياء عليهم
السلام بهذه الآية والجواب عنه بان درجة الانبياء في الرفعة والعلو والمعرفة بالله عز
وجل مما حملهم على الخوف منه والاشفاق بالمؤاخذة بما لم يؤاخذ به غيرهم وانهم ربما
عوتبوا بامور صدرت منهم على سبيل التاويل والسهو فهم بسبب ذلك خائفون
وجلون وهي ذنوب بالاضافة الى علو منصبهم ومعاص بالنسبة الى كمال طاعتهم
لا انها ذنوب كذنوب غيرهم ومعاص كمعاصي غيرهم فكان ما صدر منهم مع طهارتهم
ونزاهتهم وعمارة بواطنهم بالوحي السماوي والذكر القدسي وعمارة ظواهرهم بالعمل
الصالح والخشية لله عز وجل ذنوب وهي حسنات بالنسبة الى احوالهم كالسيئات
وهي حسنات لغيرهم وقد تقدم في سورة البقرة ان اكل آدم من الشجرة هل كان قبل
النبوة او بعدها والخلاف فيه فاغنى عن الاعادة والله اعلم قوله تعالى **قال
اهبطوا** قال الامام فخر الدين الرازي ان الذي تقدم ذكره هو آدم وحوا وابليس
وقوله اهبطوا يجب ان يتناول هؤلاء الثلاثة وقال الطبري قال الله تعالى لآدم وحوا
وابليس والحية اهبطوا يعني من السماء الى الارض آدم وحوا وابليس والحية **بعضكم
لبعض عدو** يعني ان العداوة ثابتة بين آدم وابليس والحية وذرية كل واحد من
آدم وابليس **ولكم في الارض مستقر** يعني موضع قرار تستقرون فيه وقال ابن
عباس في قوله ولكم في الارض مستقر يعني مستقر القبور **ومتاع الى حين**
يعني ولكم فيها متاع تستمتعون به الى انقطاع الدنيا والى انقطاع آجالكم ومعنى
الآية ان الله عز وجل اخبر آدم وحوا وابليس والحية انه اذا اهبطهم الى الارض كان
بعضهم لبعض عدو وان لهم في الارض موضع قرار يستقرون فيه الى انقضاء آجالهم
ثم يستقرون في قبورهم الى انقطاع الدنيا قال ابن عباس في قوله تعالى ومتاع
الى حين يعني الى يوم القيامة والى انقطاع الدنيا **قال فيها تحيون** يعني قال
الله عز وجل لآدم وذريته وابليس واولاده فيها تحيون يعني في الارض تعيشون
ايام حياتكم **وفيها تموتون** يعني وفي الارض تكون وفاتكم وموضع قبوركم **ومنها
تخرجون** يعني ومن الارض يخرجكم ربكم ويحشركم للحساب يوم القيامة قوله
عز وجل **يا بني آدم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم** اعلم ان الله عز وجل
لما امر آدم وحوا بالهبوط الى الارض وجعلها مستقرا لهم انزل الله عليهم كل ما
يحتاجون اليه من مصالح الدين والدنيا فكان مما انزل عليهم اللباس الذي يحتاج

اليه في الدين والدنيا فاما منفعته في الدين فانه ستر العورة وسترها شرط في صحة
الصلاة واما منفعته في الدنيا فانه يمنع الحر والبرد فامتن الله على عباده بما انزل
عليهم لباسا يواري سواتهم فقال تعالى يا بني آدم قد انزلنا عليكم لباسا يواري
سواتكم يعني لباسا تستترون به عوراتكم فان قلت ما معنى قوله انزلنا عليكم
لباسا قلت ذكر العلماء فيه وجوها احدها انه بمعنى خلق اي خلقنا لكم لباسا
او بمعنى رزقناكم لباسا الوجه الثاني ان الله تعالى انزل المطر من السما وهو سبب
نبات اللباس فكانه انزله عليهم الوجه الثالث ان جميع بركات الارض تنسب الى السما
والى الانزال كما قال تعالى وانزلنا الحديد **وريشا** الريش للطاير معروف وهو
لباسه وزينته كالثياب للانسان فاستعير للانسان لانه لباسه وزينته
والمعنى وانزلنا عليكم لباسين لباسا يواري سواتكم ولباسا لزينتكم لان الزينة
غرض صحيح كما قال تعالى لتركبوها وزينة وقال ولكم فيها جمال وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله جميل يحب الجمال واختلفوا في معنى الريش المذكور في الآية
فقال ابن عباس وريشا يعني مالا وهو قول مجاهد والضحاك والسدي لان المال
ما يتزين به ويقال تريش الرجل اذا تمول وقال ابن زيد الريش الجمال وهو يرجع
الى الزينة ايضا وقيل ان الرياش في كلام العرب الاثاث وما ظهر من الثياب والمتاع
مما يلبس او يفرش والريش ايضا المتاع والاموال عندهم وربما استعملوه في
الثياب والكسوة دون ساير المال يقال انه لحسن الريش يعني لحسن الثياب
وقيل الريش والرياش يستعمل ايضا في الخصب ورفاهية العيش **ولباس
التقوى** اختلف العلماء في معناه فمنهم من حمله على نفس الملبوس وحقيقته ومنهم
من حمله على المجاز اما من حمله على نفس الملبوس فاختلفوا ايضا في معناه فقال
ابن الانباري لباس التقوى هو اللباس الاول وانما اعاده اخبارا ان ستر العورة
من التقوى وذلك خير وقيل انما اعاده لاجل ان يخبر عنه بانه خير لان العرب
في الجاهلية كانوا يتعبدون بنا التقوى وخلع الثياب في الطواف بالبيت فاخبر
ان ستر العورة في الطواف لباس التقوى وذلك خير وقال زيد بن علي لباس
التقوى الات الحرب التي يتقى بها في الحروب كالدروع والمغفر ونحو ذلك وقيل
لباس التقوى هو الصوف والخشن من الثياب التي يلبسها اهل الزهد والورع
وقيل هو ستر العورة في الصلاة واما من حمل لباس التقوى على المجاز فاختلفوا
في معناه فقال قتادة والسدي لباس التقوى هو الايمان لان صاحبه يتقي به من
النار وقال ابن عباس لباس التقوى هو العمل الصالح وقال الحسن هو الحيا لانه
يبعث على التقوى وقال عثمان بن عفان لباس التقوى هو السمت الحسن وقال
عروة بن الزبير لباس التقوى خشية الله وقال الكلبي هو العفاف فمعنى هذه الاقوال
ان لباس التقوى خير لصاحبه اذا اخذ به مما خلق الله له من لباس التجمل وزينة
الدنيا وهو قوله تعالى **ذلك خير** يعني ان لباس التقوى خير من لباس الجمال والزينة

وانشدوا

وانشدوا في المعنى

اذا انت لم تلبس ثيابا من التقى • عريت وان وارى القميص قميص

وقوله تعالى **ذلك من آيات الله** يعني انزال اللباس عليكم يا بني آدم من آيات الله
الدالة على معرفته وتوحيده **لعلهم يذكرون** يعني لعلهم يذكرون نعمته عليهم
فيشكروها قوله تعالى **يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة**
قيل هذا خطاب للذين كانوا يطوفون بالبيت عراة والمعنى لا يخدعنكم بغروره
ولا يضلنكم فيزين لكم كشف عوراتكم في الطواف وانما ذكر قصة آدم هنا وشدة
عداوة ابليس له ليحذر بذلك اولاد آدم فقال تعالى يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان
كما اخرج ابويكم يعني آدم وحوا من الجنة والمعنى ان من قدر على اخراج ابويكم من الجنة
بوسوسته وشدة عداوته فبان يقدر على فتنتكم بطريق الاولى فحذر الله
عز وجل بني آدم وامرهم بالاحتراز عن وسوسة الشيطان وغروره وتزيينه
القبايح وتحسينه الافعال الردية في قلوب بني آدم فهذه فتنته التي نهى الله
عباده عنها وحذرهم منها وقوله تعالى **ينزع عنهما لباسهما** انما اضاف نزع اللباس
الى الشيطان وان لم يباشر ذلك لان نزع لباسهما كان بسبب وسوسة الشيطان
وغروره فاسند اليه واختلفوا في اللباس الذي نزع عنهما فقال ابن عباس
كان لباسهما الظفر فلما اصابا الخطيئة نزع عنهما وبقيت الاظفار تذكرة وزينة
ومنافع وقال وهب بن منبه كان لباس آدم وحوا نورا وقال مجاهد كان لباسهما
التقى وفي رواية عنه التقوى وقيل كان لباسهما من ثياب الجنة وهذا القول
اقرب لان اطلاق اللباس يطلق عليه ولان النزع لا يكون الا بعد اللباس **ليريهما
سواتهما** يعني ليري آدم عورة حوا ويري حوا عورة آدم وكان قبل ذلك لا يرى
بعضهم سوأة بعض **انه يراكم هو وقبيله** يعني ان ابليس يراكم يا بني آدم هو
وقبيله يعني انما اعاد الكناية في قوله هو ليحسن العطف والقبيل جمع قبيلة وهي
الجماعة المجتمعة التي يقابل بعضهم بعضا وقال الليث كل جيل من جن او انس قبيل ومعنى
يراكم هو وقبيله اي هو ومن هو من نسله وحكى ابو عبيدة عن ابي زيد القبيل ثلاثة فصاعدا
من قوم شتى والجمع قبل والقبيلة بنو اب واحد وقال الطبري قبيله يعني صنفه
وجيله الذي هو منهم وهو واحد جمع قبل وهم الجن وقال مجاهد الجن والشياطين
وقال ابن زيد قبيله نسله وقال ابن عباس هو وولده وقوله **من حيث لا ترونهم**
يعني انتم يا بني آدم قال العلماء ان الله خلق في عيون الجن ادراكا يرون بذلك
الادراك الانس ولم يخلق في عيون الانس هذا الادراك فلم يروا الجن وقالت
المعتزلة الوجه في ان الانس لا يرون الجن رقة اجسام الجن ولطافتها والوجه
في روية الجن للانس كثافة اجسام الانس والوجه في روية الجن بعضهم بعضا
ان الله تعالى قوى شعاع ابصار الجن وزاد فيها حتى يرى بعضا بعضا ولو جعل في
ابصارنا هذه القوة لرأيناهم ولكن لم يجعلها لنا حكى الواحدي وابن الجوزي

عن ابن عباس انه قال ان الله تعالى جعلهم يجرون من بني آدم مجرى الدم وجعل صدور
بني آدم مساكن لهم الا من عصمه الله تعالى كما قال تعالى الذي يوسوس في صدور
الناس فهم يرون بني آدم وبنو آدم لا يرونهم وقال مجاهد قال ابليس جعل لنا اربعة
نرى ولا نرى ونخرج من تحت الثرى ويعود شيخنا فتى وقال مالك بن دينار ان
عدوا يراك ولا تراه لشديد المونة الا من عصم الله **انا جعلنا الشياطين اوليا**
يعني اعوانا وقرناء **للذين لا يؤمنون** قال الزجاج يعني سلطناهم عليهم يزيدون
في غيهم قوله عز وجل **واذا فعلوا فاحشة** قال ابن عباس ومجاهد هي طوافهم بالبيت
عراة الرجال والنسا وقال عطا هي الشرك والفاحشة اسم لكل فعل قبيح فيدخل
فيه جميع المعاصي والكباير فيمكن حملها على الاطلاق وان كان السبب مخصوصا
بما ورد من طوافهم عراة ولما كانت هذه الافعال التي كان اهل الجاهلية يفعلونها
ويعتقدون انها طاعات وهي في انفسها فواحش ذمهم الله عليها ونهاهم عنها فاحتجوا
عن هذه الافعال بما اخبر الله عنهم وهو قوله تعالى **قالوا وجدنا عليها آباءنا والله**
امرنا بها فذكروا لانفسهم عذرين احدهما محض التقليد وهو قولهم وجدنا على هذا
العمل آباءنا وهذا التقليد باطل لانه باطل لا اصل له والعذر الثاني قولهم ان الله
امرنا بها وهذا العذر ايضا باطل وقد اجاب عنه بقوله **قل ان الله لا يأمر بالفحشا**
والمعنى ان هذه الافعال التي كان اهل الجاهلية يفعلونها هي في انفسها قبيحة منكرة
فكيف يامر الله بها والله لا يامر بالفحشا بل يامر بما فيه مصالح للعباد ثم قال ردا
عليهم **أتقولون على الله ما لا تعلمون** يعني انكم ما سمعتم كلام الله ابتدا من غير
واسطة ولا اخذتموه عن الانبيا الذين هم وسايط بين الله وبين عباده في تبليغ
اوامره ونواهيه واحكامه لانكم تنكرون نبوة الانبيا فكيف تقولون على الله
ما لا تعلمون قوله تعالى **قل امر ربي بالقسط** اي قل يا محمد لهولا الذين يقولون
على الله ما لا يعلمون امر ربي بالقسط يعني بالعدل وهذا قول مجاهد والسدي
وقال ابن عباس بلا اله الا الله فالامر بالقسط في هذه الاية يشتمل على معرفة
الله تعالى بذاته وصفاته وافعاله وانه واحد لا شريك له **واقيموا وجوهكم عند**
كل مسجد فان قلت امر ربي بالقسط خبر وقوله واقيموا وجوهكم امر
وعطف الامر على الخبر لا يجوز فما معناه قلت فيه اضمار وحذف تقديره قل
امر ربي بالقسط وقال واقيموا وجوهكم عند كل مسجد فحذف قال لدلالة الكلام
عليه ومعنى الاية في قول مجاهد والسدي وجهوا وجوهكم حيث ما كنتم في الصلاة
الى الكعبة وقال الضحاك معناه اذا حضرت الصلاة وانتم عند المسجد فصلوا
ولا يقولن احدكم اصلي في مسجدي او في مسجد قومي وقيل معناه اجعلوا سجودكم
لله خالصا **وادعوه مخلصين له الدين** اي واعبدوه مخلصين العبادة والطاعة
والدعا لله عز وجل لا لغيره **كما بداكم تعودون** قال ابن عباس ان الله عز وجل
بدا خلق بني آدم مومنا وكافرا كما قال تعالى هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم

مومن ثم يعيدهم يوم القيامة كما بدا خلقهم مومنا وكافرا وحجة هذا القول قوله
في سياق الاية فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة فانه كالتفسير له ويدل
على صحة هذا ما روي عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث كل عبد
على ما مات عليه اخرجه مسلم زاد البغوي في روايته المومن على ايمانه والكافر
على كفره وقال محمد بن كعب من ابتدا الله خلقه على الشقوة صار الى ما ابتدا اليه
خلقه وان عمل باعمال اهل السعادة كما ان ابليس كان يعمل باعمال اهل السعادة
ثم صار الى الشقا ومن ابتدا خلقه الى السعادة صار اليها وان عمل باعمال اهل
الشقا ثم صاروا الى السعادة ويصح هذا القول ما روي عن ابي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل اهل الجنة ثم يختم عمله
بعمل اهل النار وان الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل اهل النار ثم يختم له عمله
بعمل اهل الجنة اخرجه مسلم وقال الحسن ومجاهد في معنى الاية كما بداكم فخلقكم
في الدنيا ولم تكونوا شيا فاحياكم ثم يميتكم كذلك تعودون احيا يوم القيمة
ويشهد لصحة هذا القول ما روي عن ابن عباس قال قام فينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال يا ايها الناس انكم محشورون الى الله عز وجل
حفاة عراة غرلا كما بدانا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين اخرجه
البخاري ومسلم وقوله تعالى **فريقا هدى** يعني هداهم الله الى الايمان به
ومعرفته ووفقهم لطاعته وعبادته **وفريقا حق عليهم الضلالة** يعني وخذل
فريقا حتى وجبت عليهم الضلالة السابقة التي سبقت لهم في الازل بانهم
اشقيا وفيه دليل على ان الهدى والضلال من الله عز وجل ولما روي عن عبد الله
ابن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق خلقه
في ظلمة فالقى عليهم من نوره فمن اصابه من ذلك النور اهتدى ومن اخطاه
ضل اخرجه الترمذي وقوله تعالى **انهم اتخذوا الشياطين اوليا من دون الله**
يعني ان الفريق الذين حق عليهم الضلالة اتخذوا الشياطين نصرا واعوانا
اطاعوهم فيما امروهم به من الكفر والمعاصي والمعنى ان الداعي الذي دعاهم
الى الكفر والمعاصي انهم اتخذوا الشياطين اوليا من دون الله لان الشياطين لا
يقدرون على اضلال احد قوله تعالى **ويحسبون انهم مهتدون** يعني انهم مع
ضلالتهم يظنون ويحسبون انهم على هداية وحق وفيه دليل على ان الكافر الذي
يظن انه في دينه على الحق والجاحد والمعاند في الكفر سوا قوله عز وجل **يا بني آدم**
خذوا زينتكم عند كل مسجد عن ابن عباس قال كانت المراة تطوف بالبيت
وهي عريانة فتقول من يعيرني تطوافا تجعله على فرجها وتقول

اليوم يبدو بعضه او كله ۝ فما بدا منه فلا احله ۝

فنزلت هذه الاية خذوا زينتكم عند كل مسجد اخرجه مسلم وروى سعيد بن
جبير عن ابن عباس قال كانوا يطوفون عراة الرجال بالنهار والنسا بالليل

وذكر الحديث زاد في رواية اخرى عنه فامرهم الله ان يلبسوا ثيابهم ولا يتعروا وقال
مجاهد كان حي من اهل اليمن كان احدهم اذا قدم حاجا او معتمرا يقول لا ينبغي لي
ان اطوف في ثوب قد عصيت فيه فيقول من يعيرني مئزرا فان قدر عليه والا طاف عريانا
فانزل الله فيه ما تسمعون خذوا زينتكم عند كل مسجد وقال الزهري ان العرب كانت
تطوف بالبيت عراة الا الحمس وهم قريش واحلافهم فمن جاء من غير الحمس وضع ثيابه
وطاف في ثوب احمسي فانه لا يحل له ان يلبس ثيابه فان لم يجد من يعيره من الحمس
فانه يلقي ثيابه ويطوف عريانا واذا طاف في ثياب نفسه القاها اذا قضى طوافه
يحرمها فجعلها حراما عليه فلذلك قال خذوا زينتكم عند كل مسجد والمراد من الزينة
لبس الثياب التي تستر العورة قال مجاهد ما يواري عورتكم ولو عباءة وقال
الكلبي الزينة ما يواري العورة عند كل مسجد لطواف وصلاة وقوله تعالى خذوا
زينتكم امر وظاهره الوجوب فيه دليل على ان ستر العورة واجب في الصلاة
والطواف وفي كل حال وقوله تعالى وكلوا واشربوا قال الكلبي كانت بنو عامر
لا ياكلون في ايام حجهم الا قوتا ولا ياكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فقال المسلمون
نحن احق بذلك يا رسول الله فانزل الله عز وجل وكلوا واشربوا يعني اللحم والدسم
ولا تسرفوا يعني بتحريم ما لم يحرمه الله عز وجل من اكل اللحم والدسم قال ابن
عباس كل ما شئت واشرب ما شئت والبس ما شئت ما اخطاتك خصلتان سرف
ومخيلة وقال علي بن الحسين بن واقد قد جمع الله الطب كله في نصف اية كلوا واشربوا
ولا تسرفوا وفي الاية دليل على ان جميع المطعومات والمشروبات حلال الا ما
خصه الشرع بدليل في التحريم لان الاصل في جميع الاشياء الاباحة الا ما حظره
الشارع وثبت تحريمه بدليل منفصل **انه لا يحب المسرفين** يعني ان الله لا يحب
من اسرف في الماكول والمشروب والملبوس وفي هذه الاية وعيد وتهديد لمن اسرف
في هذه الاشياء لان محبة الله عبارة عن رضاه عن العبد وايصال الثواب اليه
واذا لم يحبه علم انه تعالى ليس هو راض عنه فدلت الاية على الوعيد الشديد في
الاسراف قوله تعالى **قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده** يعني
قل يا محمد لهؤلاء الجهلة من العرب الذين يطوفون بالبيت عراة من حرم عليكم زينة
الله التي خلقها لعباده ان تتزينوا بها وتلبسوها في الطواف وغيره ثم في تفسير
الزينة قولان احدهما وهو قول جمهور المفسرين ان المراد من الزينة هنا اللباس
الذي يستر العورة والقول الثاني ذكره الامام فخر الدين الرازي انه يتناول
جميع انواع الزينة والملبوس والحلي ولولا ان النص ورد بتحريم استعمال الذهب
والحرير على الرجال لدخل في هذا العموم ولكن ورد النص بتحريمه على الرجال دون النساء
والطيبات من الرزق يعني ومن حرم الطيبات من الرزق التي اخرجها الله لعباده
وخلقها لهم ثم ذكروا في معنى الطيبات في هذه الاية قولين احدهما ان المراد بالطيبات
اللحم والدسم الذي كانوا يحرمونه على انفسهم ايام الحج يعظمون بذلك حجهم فرد عليهم بقوله

قل من حرم

قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق والقول الثاني وهو قول
ابن عباس وقتادة ان المراد بذلك ما كان من البحائر والسوائب قال ابن عباس
ان الجاهلية كانوا يحرمون اشياء احلها الله من الزرع وغيرها وهو قول الله تعالى
قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا وهو هذا وانزل الله
قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق والقول الثالث
ان الاية على العموم فيدخل تحته كل ما يستلذ ويشتهى من سائر المطعومات الا ما
ورد نص بتحريمه **قل هي للذين امنوا** يعني قل يا محمد ان الطيبات التي اخرج
الله من رزقه للذين امنوا **في الحياة الدنيا** غير خالصة لهم لانه يشركهم فيها
المشركون **خالصة** لهم **يوم القيامة** يعني لا يشركهم فيها احد لانه لا حظ للمشركين
يوم القيامة في الطيبات من الرزق وقيل معناه خالصة لهم يوم القيامة من التكدير
والتنغيص والغم لانه قد يقع لهم في الحياة الدنيا في تناول الطيبات من الرزق
كدر وتنغيص فاعلمهم انها خالصة لهم في الاخرة من ذلك كله **كذلك نفصل الايات
لقوم يعلمون** يعني كذلك نبين الحلال مما احللت والحرام مما حرمت لقوم
علموا اني انا الله وحدي لا شريك لي فاحلوا حلالي وحرموا حرامي قوله عز وجل
قل انما حرم ربي الفواحش جمع فاحشة وهو ما قبح وفحش من قول او فعل
والمعنى قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يتجردون من الثياب ويطوفون بالبيت
عراة ويحرمون اكل الطيبات مما احل الله لهم ان الله لم يحرم ما تحرمونه انتم بل
احله الله لعباده وطيبه لهم وانما حرم ربي الفواحش من الافعال والاقوال **ما
ظهر منها وما بطن** يعني علانيته وسره **ق** عن عبد الله بن مسعود ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لا احد اغير من الله من اجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما
بطن ولا احد احب اليه المدح من الله من اجل ذلك مدح نفسه اصل الغيرة ثوران
القلب وهيجان الحفيظة بسبب المشاركة فيما يختص به الانسان ومنه غيرة
احد الزوجين على الاخر لاختصاص كل واحد منهما بصاحبه ولا يرضى ان يشاركه احد
فيه فلذلك يذب عنه ويمنعه من غيره واما الغيرة في وصف الله تعالى فهو منعه من
ذلك وتحريمه له ويدل على ذلك قوله ومن غيرته حرم الفواحش وقد يحتمل ان تكون
غيرته تغيير حال فاعل ذلك بعقابه تعالى والله اعلم وقوله عز وجل **والاثم**
يعني وحرم الاثم واختلفوا في الفرق بين الفاحشة والاثم فقيل الفواحش
الكبائر لانه قد تفاحش قبحها وتزايد والاثم عبارة عن الصغائر من الذنوب فيكون
هذا معنى الاية قل انما حرم ربي الكبائر والصغائر وقيل الفاحشة اسم لما يجب
فيه الحد من الذنوب والاثم اسم لما لا يجب فيه وهذا القول هو قريب من الاول
واعترض على هذين القولين بان الاسم في اصل اللغة الذنب فيدخل فيه الكبائر
والصغائر وقيل ان الفاحشة اسم للكبيرة والاثم اسم لمطلق الذنب سواء كان
كبيرا او صغيرا والفائدة فيه انه تعالى لما حرم الكبيرة بقوله قل انما حرم ربي

الفواحش اردفه بتحريم مطلق الذنب لئلا يتوهم متوهم ان التحريم مقصور على الكبائر
فقط وقيل انما الفاحشة وان كانت بحسب اللغة اسم لكل ما تفاحش من قول
او فعل لكنه قد صار في العرف مخصوصا بالزنا لانه اذا اطلق لفظ الفاحشة
لم يفهم منه الا ذاك فوجب حمل لفظ الفاحشة على الزنا واما الاثم فقد قيل انه
اسم من اسماء الخمر وهو قول الحسن وعطا قال الجوهري وقد يسمى الخمر اثما واستدل
عليه بقول الشاعر

شربت الاثم حتى ضل عقلي • كذاك الاثم يذهب بالعقول

وقال ابن سيده صاحب المحكم وعندي ان تسمية الخمر بالاثم صحيح لان شربها اثم وبهذا
المعنى ظهر الفرق بين اللفظين وانكر ابو بكر ابن الانباري تسمية الخمر بالاثم قال لان
العرب ما سمته اثما قط في جاهلية ولا في اسلام ولكن قد يكون الخمر داخلا تحت الاثم
لقوله تعالى قل فيهما اثم كبير وقوله تعالى والبغي اي وحرم البغي **بغير الحق** والبغي
هو الظلم والكبر وقيل هو الاستطالة على الناس ومجاوزة الحد في ذلك كله ومعنى البغي بغير
الحق هو ان يطلب ما ليس له بحق فاذا طلب ما له بحق خرج من ان يكون بغيا **وان تشركوا**
اي وحرم ان تشركوا **بالله ما لم ينزل به سلطانا** هذا فيه تهكم بالمشركين والمعنى
لانه لا يجوز ان ينزل حجة وبرهانا بان يشرك به غيره لان الاقرار بشي ليس على ثبوته
حجة وبرهانا ممتنع فلما امتنع حصول الحجة والبينة على صحة القول بالشرك وجب ان
يكون باطلا على الاطلاق فان قلت البغي والاشراك داخلان تحت الفاحشة
والاثم لان الشرك من اعظم الفواحش واعظم الاثم وكذا البغي ايضا من الفواحش
والاثم قلت انما افردهما بالذكر للتنبيه على عظيم قبحهما كانه قال من الفواحش
المحرمة البغي والشرك فكانه بين جملته ثم تفصيله وقوله تعالى **وان تقولوا على**
الله ما لا تعلمون تقدم تفسيره قوله تعالى **ولكل امة اجل** الاجل الوقت الموقت
لانقضاء المهلة ثم في هذا الاجل المذكور في الاية قولان احدهما انه اجل
العذاب والمعنى ان لكل امة كذبت رسلها وقتا معينا واجلا يسمى امهلهم الى ذلك
الوقت **فاذا جا اجلهم** يعني فاذا حل وقت عذابهم **لا يستاخرون ساعة**
ولا يستقدمون يعني فلا يوخرون ولا يمهلون قدر ساعة ولا اقل من ساعة
وانما ذكر الساعة لانها اقل اسما الاوقات في العرف ومثاله سالوا نزول
العذاب فاخبرهم الله تعالى ان لهم وقتا اذا جا ذلك الوقت وهو وقت هلاكهم
واستيصالهم فلا يوخرون عنه ساعة ولا يستقدمون والقول الثاني ان المراد
بهذا الاجل اجل الحياة والعمر فاذا انقضى ذلك الاجل وحضر الموت فلا يتاخر
ساعة ولا يتقدم ساعة وعلى هذا القول يلزم ان يكون لكل واحد اجل لا يقع
فيه تقديم ولا تاخير وانما قال الله تعالى لكل امة اجل لتقارب اعمار اهل كل عصر
فكانهم كالواحد في مقدار العمر وعلى هذا القول ايضا يكون المقتول ميتا باجله
خلافا لمن يقول قطع عليه اجله قوله عز وجل **يا بني ادم اما ياتينكم رسل منكم**

معاني الشرطية ضمنا لهما ما موكدة لمعنى الشرط وجزا هذا الشرط هو الفا وما بعدها
من الشرط والجزا وهو قوله فمن اتقى واصلح يعني منكم وانما قال رسل بلفظ الجمع وان كان
المراد به واحدا وهو النبي صلى الله عليه وسلم لانه خاتم الانبيا وهو مرسل الى كافة
الخلق فذكر بلفظ الجمع على سبيل التعظيم فعلى هذا يكون الخطاب في قوله يا بني
ادم لاهل مكة ومن يلحق بهم وقيل اراد جميع الرسل وعلى هذا فالخطاب في قوله
يا بني ادم عام في كل بني ادم وانما قال منكم يعني من جنسكم ومثلكم من بني ادم لان
الرسول اذا كان من جنسهم كان اقطع لعذرهم واثبت للحجة عليهم لانهم يعرفونه
ويعرفون احواله فاذا اتاهم بما لا يليق بقدرته او بقدرة امثاله علم ان ذلك
الذي اتى به معجزة له وحجة على من خالفه **يقصون عليكم اياتي** يعني يقرون
عليكم كتابي وادلة احكامي وشرايعي التي شرعت لعبادي **فمن اتقى** يعني فمن اتقى
الشرك وخالف الله رسلي **واصلح** يعني العمل الذي امرته به رسلي فعمل بطاعتي
وتجنب معصيتي وما نهيته عنه **فلا خوف عليهم** حين يخاف غيرهم يوم
القيامة من العذاب **ولا هم يحزنون** يعني على ما فاتهم من دنياهم التي تركوها
والذين كذبوا باياتنا يعني ومن جحد اياتنا وكذب رسلنا **واستكبروا عنها**
يعني فاستكبروا عن الايمان بها وبما جاءت به رسلنا **اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون**
يعني لا يخرجون منها ابدا قوله تعالى **فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا** يعني
فمن اظلم ظلما ممن يقول على الله ما لم يقله او يجعل لله شريكا من خلقه وهو منزه
عن الشريك والولد **او كذب باياته** يعني او كذب بالقران الذي نزله على عبده
ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم **اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب** يعني ينالهم حظهم
مما قدر لهم وكتب في اللوح المحفوظ واختلفوا في ذلك النصيب على قولين احدهما
ان المراد به هو العذاب المعين لهم في الكتاب ثم اختلفوا فيه فقال الحسن و
والسدي وما كتب لهم من العذاب وقضى عليهم من سواد الوجوه وزرقة العيون
وقال ابن عباس في رواية عنه كتب لمن يفتري على الكذب ان وجهه اسود وقال
الزجاج هو المذكور في قوله فانذرتكم نارا تلظى وفي قوله اذ الاغلال في اعناقهم
فهذه الاشيا هي نصيبهم من الكتاب على قدر ذنوبهم في كفرهم والقول الثاني
ان المراد بالنصيب المذكور في الكتاب هو شي سوى العذاب ثم اختلفوا فيه فقال
ابن عباس في رواية اخرى عنه وعن مجاهد وسعيد بن جبير وعطية في قوله ينالهم
نصيبهم من الكتاب قال هو السعادة والشقاوة وقال ابن عباس ما كتب عليهم
من الاعمال وقال في رواية اخرى عنه من عمل خيرا جوزي به ومن عمل شرا جوزي
به وقال قتادة جزا اعمالهم التي عملوها وقيل معنى ذلك ينالهم نصيبهم مما وعدوا
في الكتاب من خير او شر قاله مجاهد والضحاك وهو رواية عن ابن عباس ايضا وقال
الربيع بن انس ينالهم ما كتب لهم في الكتاب من الرزق وقال محمد بن كعب القرظي
عمله ورزقه وعمره وقال ابن زيد ينالهم نصيبهم من الكتاب من الاعمال والارزاق

والاعمار فاذا فنى هذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم وصحح الطبري هذا القول الاخير وقال
لان الله تعالى اتبع ذلك بقوله حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم فابان ان الذي ينالهم
هو ما قدر لهم في الدنيا فاذا فنى توفتهم رسل ربهم قال الامام فخر الدين وانما حصل
الاختلاف لان لفظ النصيب محتمل لكل الوجوه وقال بعض المحققين حمله على العمر
والرزق اولى لانه تعالى بين انهم وان بلغوا في الكفر ذلك المبلغ العظيم فانه ليس
بما ينالهم ما كتب لهم من رزق وعمر تفضلا من الله سبحانه وتعالى لكي يصلحوا
ويتوبوا قوله تعالى حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم يعني حتى اذا جاءت هؤلاء الذين
يفترون على الله الكذب رسلنا يعني ملك الموت واعوانه لقبض ارواحهم عند
انقضاء اعمارهم وارزاقهم لان لفظ الوفاة يفيد هذا المعنى قالوا يعني قال
رسول الموت وهم الملائكة للكفار اينما كنتم تدعون من دون الله وهذا سؤال
توبيخ وتقريع وتبكيت لا سؤال استعلام والمعنى اين الذين كنتم تعبدونهم من دون الله
ادعوهم ليدفعوا عنكم ما نزل بكم وقيل ان هذا يكون في الاخرة والمعنى حتى جاءتهم
رسلنا يعني ملائكة العذاب يتوفونهم يعني يستوفون عددهم عند حشرهم الى
النار قالوا اينما كنتم تدعون يعني الشركاء والاولياء تعبدونهم من دون الله فادعوهم
ليدفعوا عنكم ما جاءكم من امر الله قالوا يعني الكفار مجيبين للرسل ضلوا عنا
يعني بطلوا وذهبوا عنا وتركونا عند حاجتنا اليهم فلم ينفعونا وشهدوا على انفسهم
انهم كانوا كافرين يقول الله تعالى وشهد هؤلاء الكفار عند معاينة
العذاب انهم كانوا جاحدين وحدانية الله واعترفوا على انفسهم بذلك قوله عز وجل
قال ادخلوا في امم قد خلت من قبلكم من الجن والانس يعني يقول الله عز وجل يوم
القيامة لمن افترى عليه الكذب وجعل له شريكا من خلقه ادخلوا في امم يعني في
جملة امم قد خلت يعني قد مضت وسلفت وانما قال قد خلت ولم يقل قد خلوا
لانه اطلق الضمير على الجماعة يعني في جملة جماعات قد خلت من قبلكم من الجن والانس
في النار اي ادخلوا جميعا في النار هي مستقركم وماواكم وانما عنى بالامم
الجماعات والاحزاب واهل الملل الكافرة من الجن والانس كلما دخلت امة
يعني كلما دخلت جماعة النار لعنت اختها يعني كلما دخلت امة النار لعنت اختها
من اهل ملتها في الدين لا في النسب قال السدي كلما دخلت اهل ملة النار لعنوا
اصحابهم على ذلك الدين فيلعن المشركون المشركين واليهود اليهود والنصارى
النصارى والصابئون الصابئين والمجوس المجوس تلعن الاخرى الاولى حتى اذا
اداركوا يعني تداركوا وتلاحقوا فيها جميعا يعني تلاحقوا واجتمعوا جميعا وادرك
بعضهم بعضا واستقروا في النار قالت اخراهم لاولاهم قال ابن عباس يعني قال
اخر كل امة لاولاها وقال السدي قالت اخراهم الذين كانوا في اخر الزمان
لاولاهم الذين شرعوا لهم ذلك الدين وقال مقاتل يعني قال اخرهم دخولا النار
وهم الاتباع لاولاهم دخولا وهم القادة يدخلون النار اولا ربنا هؤلاء اضلونا

يعني

يعني تقول الاتباع ربنا هؤلاء القادة والرؤساء اضلونا عن الهدى وزينوا لنا طاعة
وقيل انما قال المتاخرون ذلك لانهم كانوا يعتقدون تعظيم المتقدمين من اسلافهم
فسلكوا سبيلهم في الضلالة واتبعوا طريقهم فيما كانوا عليه من الكفر والضلالة
فلما كان يوم القيامة وتبين لهم فساد ما كانوا عليه قالوا ربنا هؤلاء اضلونا لانا
اتبعنا سبيلهم فآتهم عذابا ضعفا من النار اي اضعف عليهم العذاب قال ابو عبيدة
الضعف هو مثل الشيء مرة واحدة قال الازهري والذي قاله ابو عبيدة هو ما يستعمله
الناس في مجاز كلامهم واما كتاب الله وهو عربي مبين ويرد تفسيره الى موضع كلام
العرب والضعف في كلامهم ما زاد وليس بمقصور على مثلين وجائز في كلام العرب هذا
ضعفه اي مثلاه وثلاثة امثاله لان الضعف في الاصل زيادة غير محصورة وهو المثل
والاكثر غير محصور وقال الزجاج في تفسير هذه الاية فآتهم عذابا ضعفا اي مضاعفا
لان الضعف في كلام العرب على ضربين احدهما المثل والاخر ان يكون في معنى تضعيف
الشيء اي زيادته قال يعني قال الله لكل ضعف يعني للاولى لكم ضعف وللاخرى لكم
ضعف وقيل معناه للتابع ضعف وللمتبوع ضعف لانهم قد دخلوا في الكفر جميعا
ولكن لا تعلمون يعني ما اعد الله لكل فريق من العذاب وقرئ بالياء ومعناه
لا يعلم كل فريق ما اعد الله من العذاب للفريق الاخر قوله تعالى وقالت اولاهم
يعني في الكفر وهم القادة لاخراهم يعني الاتباع فما كان لكم علينا من فضل
يعني قد ضللتم كما ضللنا وكفرتم كما كفرنا وقيل في معنى الاية وقالت كل امة
سلفت في الدنيا لاخراها الذين جاؤوا من بعدهم فسلكوا سبيل من مضى قبلهم فما
كان لكم علينا من فضل وقد علمتم ما حل بنا من عقوبة الله بسبب كفرنا ومعصيتنا
اياه وجاءتكم بذلك الرسل والنذر فما رجعتم عن ضلالتكم وكفركم فذوقوا العذاب
وهذا يحتمل ان يكون من قول القادة الاتباع الاولى للاخرى التي بعدها ويحتمل
ان يكون من قول الله يعني يقول الله للجميع فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون
يعني بسبب ما كنتم تكسبون من الكفر والاعمال الخبيثة قوله عز وجل ان الذين
كذبوا باياتنا يعني كذبوا بدلائل التوحيد فلم يصدقوا بها ولم يتبعوا رسلنا
واستكبروا عنها اي تكبروا عن الايمان بها والتصديق لها وانفوا عن اتباعها
والانقياد لها والعمل بمقتضاها تكبرا لا تفتح لهم ابواب السماء يعني لا تفتح
لارواحهم اذا خرجت من اجسادهم ولا يصعد لهم الى الله عز وجل في وقت حياتهم قول
ولا عمل لان ارواحهم واقوالهم كلها خبيثة وانما يصعد الى الله الكلم الطيب والعمل
الصالح يرفعه قال ابن عباس لا تفتح ابواب السماء لارواح الكفار وتفتح لارواح المؤمنين
وفي رواية عن ابن عباس قال لا يصعد لهم قول ولا عمل وقال ابن جريج لا تفتح ابواب
السماء لارواحهم ولا لاعمالهم روى الطبري بسنده عن البراء بن عازب ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذكر قبض روح الفاجر فانه يصعد بها الى السماء قال فيصعدون
بها فلا يمرون على ملاء من الملائكة الا قالوا ما هذا الروح الخبيث قال فيقولون

فلان باقبح اسمايه التي كان يدعى بها في الدنيا حتى ينتهوا بها الى السما فيستفتحون
له فلا يفتح له ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تفتح لهم ابواب السما ولا يدخلون
الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وقيل في معنى الاية لا ينزل عليهم البركة والخير
لان ذلك لا ينزل الا من السما فاذا لم تفتح لهم ابواب السما فلا ينزل عليهم من
البركة والخير والرحمة شي وقوله تعالى **ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم
الخياط** الولوج الدخول والجمل معروف وهو الذكر من الابل وسم الخياط
ثقب الابرة قال الفرا الخياط والمخيط ما يخاط به والمراد به الابرة في هذه الاية
وانما خص الجمل بالذكر من بين ساير الحيوانات لانه اكبر من ساير الحيوانات
جسما عند العرب قال الشاعر • جسم الجمال واحلام العصافير • وصف
من هجاه بهذا بعظم الجسم مع صغر العقل فجسم الجمل من اعظم الاجسام وثقب
الابرة من اضيق المنافذ فكان ولوج الجمل مع عظم جسمه في ثقب الابرة الضيق
محالا فكذلك دخول الكفار الجنة محال لما وصف دخول الجنة على حصول هذا
الشرط وكان وقوع هذا الشرط محالا فثبت ان الموقوف على المحال محال فوجب
بهذا الاعتبار دخول الكفار الجنة مايوسا منه قطعا وقال بعض اهل المعاني لما
علق الله دخولهم الجنة بولوج الجمل في سم الخياط وهو خرق الابرة كان ذلك
نفيا لدخولهم الجنة على التابيد وذلك لان العرب اذا علقت ما يجوز كونه بما لا
يجوز كونه استحال كون ذلك الجايز وهذا كقولك لا اتيك حتى يشيب الغراب
ويبيض القار ومنه قول الشاعر •

• اذا شاب الغراب اتيت اهلي • وصار القار كاللبن الحليب •

وقوله تعالى **وكذلك نجزي المجرمين** اي ومثل الذي وصفنا نجزي المجرمين يعني
الكافرين لانه تقدم من صفتهم انهم كذبوا بايات الله واستكبروا عنها وهذه صفة
الكفار فوجب حمل لفظ المجرمين على انهم الكفار ولما بين الله عز وجل ان الكفار
لا يدخلون الجنة ابدا بين انهم من اهل النار وصف ما اعد لهم فيها فقال تعالى
لهم من جهنم مهاد يعني من نار جهنم فراش واصل المهاد المتمهد الذي يقعد عليه
ويضطجع عليه كالفراش والبساط **ومن فوقهم غواش** جمع غاشية وهو الغطا
كاللحاف ونحوه ومعنى الاية ان النار محيطة بهم من تحتهم ومن فوقهم قال محمد
ابن سعد القرظي والضحاك والسدي المهاد والفراش اللحف **وكذلك نجزي
الظالمين** يعني وكذلك نكافي ولا نثيب المشركين الذين وضعوا العبادة
في غير موضعها قوله عز وجل **والذين امنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها**
لما ذكر الله تعالى وعيد الكافرين وما ذكره لهم في الاخرة اتبعه بذكر وعيد المومنين
وما اعد لهم في الاخرة فقال والذين امنوا وعملوا الصالحات يعني والذين
صدقوا الله ورسوله واقروا بما جاءهم به من وحي الله ايمانا يقينا من شرايع
دينه وعملوا بما امرهم به واطاعوه في ذلك وتجنبوا ما نهاهم عنه لا نكلف نفسا يعني

لا نكلف

لا نكلف نفسا الا ما يسعها من الاعمال وما سهل عليها ودخل في طوقها وقدرتها وما
لا حرج عليها ولا ضيق قال الزجاج الوسع ما يقدر عليه وقال المحامد معناه الا ما
افترض عليها يعني ان الذي افترض عليها من وسعها الذي تقدر عليه ولا تعجز عنه
وقد غلط من قال الوسع بذل المجهود قال اكثر اصحاب المعاني فقوله تعالى لا نكلف
نفسا الا وسعها اعتراض وقع بين المبتدا والخبر والتقدير ان الذين امنوا وعملوا
الصالحات **اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون** وانما حسن وقوع هذا
الكلام لانه تعالى لما ذكر عملهم الصالح ذكر ان ذلك العمل من وسعهم وطاقتهم
وغير خارج عن قدرتهم وفيه تنبيه للكفار على ان الجنة مع عظم قدرها ومحلها
يوصل اليها بالعمل السهل من غير تحمل كلفة ولا مشقة صعبة وقال قوم من اصحاب
المعاني موضعه رفع من تمام الخبر والعايد محذوف كانه قال لا نكلف نفسا
منهم فحذف العايد للعلم به وقوله تعالى **ونزعنا ما في صدورهم من غل**
يعني وقلعنا واخرجنا ما في صدور المومنين من غش وحسد وحقد وعداوة
كانت بينهم في الدنيا ومعنى الاية ازلنا تلك الاحقاد التي كانت لبعضهم على بعض
في الدنيا فجعلناهم اخوانا على سرر متقابلين لا يحسد بعضهم بعضا على شي
خص الله به بعضهم دون بعض ومعنى نزع الغل تصفية الطباع واسقاط الوساوس
ومنعها عن ان ترد على القلب روي عن علي قال فينا والله اهل بدر نزلت ونزعنا
ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين وروي عنه ايضا انه قال
اني لارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير من الذين قال الله فيهم ونزعنا
ما في صدورهم من غل وقيل ان الحسد والغل يزول بدخولهم الجنة خ عن ابي
سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخلص المومنون من النار
فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت
بينهم في الدنيا حتى اذا هذبوا ونقوا اذن الله لهم في دخول الجنة فوالذي
نفس محمد بيده لاحدهم اهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله في الدنيا وقال السدي
في هذه الاية ان اهل الجنة اذا سيقوا الى الجنة فبلغوا وجدوا عند بابها شجرة
في اصل ساقها عينان فشربوا من احدهما فينزع ما في صدورهم من غل فهو
الشراب الطهور واغتسلوا من الاخرى فجرت عليهم نضرة النعيم فلن يشعثوا
ولن يشحبوا بعدها ابدا وقيل ان درجات اهل الجنة متفاوتة في العلو والكمال
فبعض اهل الجنة اعلى من بعض واخرج الله عز وجل الغل والحسد من صدورهم
وازاله عنهم ونزعه من قلوبهم فلا يحسد صاحب الدرجة النازلة صاحب العالية
واورد على هذا القول كيف يعقل بان الانسان يرى الدرجة العالية والنعم
العظيمة وهو محبوس عنها ولا يصل اليها فكيف لا يميل بطبعه اليها ولا يغتم بسبب
حرمانه منها وان كان في نعيم ولذة والجواب عن هذا بان الله عز وجل قد وعد
بازالة الحقد والحسد من قلوب اهل الجنة حتى يكمل طعم اللذة والسرور حتى ان احدهم

لا يري نفسه الا في كمال وزيادة من النعيم الذي هو فيه فيرضي بما هو فيه ولا يحسد
احدًا ابدًا ويهنا ثم بنعيمه ولذته وكمال سروره وبهجته وقوله تعالى **تجري من تحتهم**
الانهار لما اخبر الله بما انعم علي اهل الجنة من ازالة الغل والحسد والحقد من صدورهم
اخبر بما انعم عليهم من اللذات والخيرات والمسرات **وقالوا الحمد لله الذي هدانا**
لهذا يعني ان المومنين اذا دخلوا الجنة قالوا الحمد لله الذي وفقنا وارشدنا
للعمل الذي هذا ثوابه وتفضل علينا به رحمة واحسانا فله الحمد علي ذلك وصرف
عنا عذاب جهنم بفضله وكرمه **وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله** يعني وما
كنا لنرشد لذلك العمل الذي هذا ثوابه لولا ارشدنا الله اليه ووفقنا
بفضله ومنه وكرمه وفي الاية دليل علي ان المهتدي من هداه الله ومن لم يهد
الله فليس بمهتد **لقد جاءت رسل ربنا بالحق** يعني ان اهل النعم اذا دخلوها
وراوا ما اعد الله لهم فيها من النعيم قالوا لقد جاءت رسل ربنا بالحق يعني انهم راوا
ما وعدهم الرسل عيانا **ونودوا ان تلكموا الجنة** يعني ونادي مناد يا اهل الجنة
انه هذه تلكموا الجنة التي كانت الرسل وعدتكم بها في الدنيا واختلفوا في المنادي
فقيل هو الله عز وجل وقيل الملايكة ينادون بامر الله عز وجل وقيل هذا النداء
يكون في الجنة م عن ابي سعيد وابي هريرة ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال اذا
دخل اهل الجنة الجنة نادي مناد ان لكم ان تحيوا فلن تموتوا ابدًا وان لكم ان تصحوا
فلن تسقموا ابدًا وان لكم ان تشبوا فلن تهرموا ابدًا وان لكم ان تنعموا فلن تبأسوا
ابدًا فذلك قوله عز وجل ونودوا ان تلكموا الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون
وقوله تعالى **اورثتموها بما كنتم تعملون** روى ابو هريرة عن النبي صلي الله عليه وسلم
قال ما من احد الا وله منزل في الجنة ومنزل في النار فاما الكافر فانه يرث المومن
منزله من النار والمومن يرث الكافر منزله من الجنة زاد في رواية فذلك قوله اورثتموها
بما كنتم تعملون قال بعضهم لما سمي الله الكافر ميتا بقوله اموات غير احيا وسمي المومن
حيا بقوله لينذر من كان حيا وفي الشرع ان الاحيا يرثون الاموات فقال اورثتموها
يعني ان المومن حي وهو يرث الكافر منزله من الجنة لانه في حكم الميت وقيل معناه
ان امرهم يوول الي الجنة كما ان الميراث يوول الي الوارث وقيل اورثتموها عن اعمالكم
الصالحة التي عملتموها الي الجنة جعلت ثوابا وجزاء لهم علي الاعمال ولا يعارض
هذا القول ما روي عن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال لن يدخل الجنة احد بعمله
وانما يدخلونها برحمة الله فان دخول الجنة برحمة الله وتوفيقه واذا كان العمل
الصالح بسببه الرحمة كان دخول الجنة في الحقيقة برحمة الله وجعلها الله ثوابا
وجزاء لهم علي تلك الاعمال الصالحة التي عملوها في دار الدنيا والله اعلم قوله تعالى
ونادي اصحاب الجنة اصحاب النار يعني ونادي اهل الجنة اهل النار وهذا النداء
انما يكون بعد استقرار اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار فيقول اهل الجنة
يا اهل النار **ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا** يعني ما وعدنا في الدنيا علي السنة

ورسله

من الثواب علي الايمان به وبرسله وطاعته **حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا** يعني
من العذاب علي الكفر **قالوا نعم** قال اهل النار مجيبين لاهل الجنة نعم وجدنا ذلك
حقا فان قلت هذا النداء من كل اهل الجنة لكل اهل النار او من البعض للبعض
قلت ظاهر قوله ونادي اصحاب الجنة اصحاب النار يفيد العموم والجمع اذا قوبل
بالجمع يوزع الفرد فكل فريق من اهل الجنة ينادي من كان يعرفه من الكفار في دار
الدنيا فان قلت اذا كانت الجنة في السما والنار في الارض فكيف يمكن
ان يبلغ هذا النداء وكيف يصح ان يقع قلت ان الله تعالى قادر علي ان يقوي
الاصوات والاسماع فيصير البعيد كالقريب وقوله تعالى **فاذن موذن بينهم**
يعني نادي مناد واعلم ان اصل الاذان في اللغة الاعلام والمعنى نادي مناد اسمع
الفريقين وهذا المنادي من الملايكة وقيل انه اسرافيل صاحب الصور ذكره الواحدي
ان لعنة الله علي الظالمين يعني يقول الموذن ان لعنة الله علي الظالمين ثم
فسر الظالمين منهم فقال تعالى **الذين يصدون عن سبيل الله** يعني الذين
يمنعون الناس عن الدخول في الاسلام **ويبغونها عوجا** يعني ويحاولون
ان يغيروا دين الله وطريقته التي شرع لعباده ويبدلونها وقيل معناه انهم يصلون
لغير الله ويعظمون ما لم يعظمه الله وذلك انهم طلبوا سبيل الله بالصلاة لغير الله
وتعظيم ما لم يعظمه الله فاخطاوا الطريق وضلوا عن السبيل **وهم بالاخرة كافرون**
يعني وهم بكون الاخرة وافقة جاحدون منكرون لها قوله عز وجل **وبينهما حجاب**
يعني وبين الجنة والنار وقيل بين اهل الجنة واهل النار حجاب وهو المذكور في قوله
تعالى فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب
وقال مجاهد الاعراف حجاب بين الجنة والنار وقال السدي وبينهما حجاب
وهو السور وهو الاعراف **وعلي الاعراف رجال** الاعراف جمع عرف وهو كل مرتفع
من الارض ومنه قيل عرف الديك لارتفاعه علي ما سواه من جسده سمي بذلك
لانه بسبب ارتفاعه صار اعرف وابين مما ينخفض وقال السدي انما سمي
الاعراف لان اصحابه يعرفون الناس وقال ابن عباس الاعراف الشي المشرف وعنه قال
الاعراف سور كعرف الديك وعنه ان الاعراف تل بين الجنة والنار يحبس عليه
ناس من اهل الذنوب بين الجنة والنار واختلف العلما في صفة الرجال الذين
اخبر الله عنهم انهم علي الاعراف وما السبب الذي من اجله صاروا هنالك فروي
عن حذيفة انه سيل عن اصحاب الاعراف فقال هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم
فقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة وخلفت بهم حسناتهم عن النار فوقفوا هنالك علي
السور حتى يقضي الله فيهم قال بعضهم انما جعلوا علي الاعراف لانها درجة متوسطة
بين الجنة والنار فهم لا من اهل الجنة ولا من اهل النار ولكن الله يدخلهم الجنة بفضله
ورحمته لانه ليس في الاخرة دار الا الجنة او النار وقال ابن مسعود يحاسب
الناس يوم القيامة فمن كانت حسناته اكثر بواحدة دخل الجنة ومن كانت سيئاته

أكثر بواحدة دخل النار وإن الميزان يخف ويثقل بمثقال حبة ومن استوت حسناته
وسيئاته كان من أصحاب الأعراف فوقفوا على الأعراف فإذا نظروا إلى أهل الجنة
نادوا سلام عليكم وإذا نظروا إلى أهل النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين
فهناك يقول الله تعالى لم يدخلوها وهم يطمعون فكان الطمع دخولا قال ابن مسعود
إن العبد إذا عمل حسنة كتبت له بها عشرا وإذا عمل سيئة لم تكتب إلا واحدة
ثم قال هلك من غلب وحداته عشراته وقال ابن عباس الأعراف سور بين الجنة
والنار وأصحاب الأعراف قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فهم بذلك المكان حتى
إذا أراد الله أن يعافيهم انطلق بهم إلى نهر يقال له الحياة حافتاه قصب الذهب
مكلل باللؤلؤ ترابه المسك فألقوا فيه حتى تصلح ألوانهم وتبدو في نحورهم شامة
بيضاء يعرفون بها حتى إذا صلحت ألوانهم أتى بهم الرحمن تبارك وتعالى فقال تمنوا
ما شئتم فيتمنوا حتى إذا انقطعت أمنيتهم قال لكم الذي تمنيتم ومثله سبعون
ضعفا فيدخلون الجنة وفي نحورهم شامة بيضاء يعرفون بها يسمون مساكين
أهل الجنة ذكره ابن جرير في تفسيره وقال ابن شرحبيل بن سعد أصحاب الأعراف
قوم خرجوا في الغزو بغير إذن آبائهم وروى الطبري بسنده إلى يحيى بن شبل
مولى لبني هاشم عن محمد بن عبد الرحمن عن أبيه قال سئل رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن أصحاب الأعراف فقال هم قوم قتلوا عصاة لآبائهم فمنعهم قتلهم
في سبيل الله عن النار ومنعتهم معصية آبائهم أن يدخلوا الجنة زاد في رواية فهم آخر
من يدخل الجنة وذكر ابن الجوزي أنهم قوم رضي آباؤهم دون أمهاتهم وأمهاتهم دون آبائهم
ورواه عن إبراهيم وذكر عن صالح مولى التوأمة عن ابن عباس أنهم أولاد الزنا وقيل
إنهم الذين ماتوا في الفترة وفيه بعد لأن آخر أمر أصحاب الأعراف إلى الجنة وهؤلاء الذين
ماتوا في الفترة والله أعلم بحالهم وهو متولي أمرهم وقيل إنهم أولاد المشركين الذين
ماتوا أطفالا وهذا القول يرجع معناه إلى القول الذي قبله لأنه داخل في حكمه
فهذه الأقوال تدل على أن أصحاب الأعراف دون أهل الجنة في الدرجات وإن كانوا
يدخلون الجنة برحمة الله وقال مجاهد أصحاب الأعراف قوم صالحون فقهاء علماء
فعلى هذا القول إنما يكون لبثهم على الأعراف على سبيل النزهة أو ليرى غيرهم
شرفهم وفضلهم وقيل إنهم أنبياء حكاه ابن الأنباري وإنما أجلسهم الله على ذلك المكان
العالي تمييزا لهم على سائر أهل القيامة وإظهارا لفضلهم وعلو مرتبتهم وليكونوا
مشرفين على أهل الجنة والنار مطلعين على أحوالهم ومقادير ثواب أهل الجنة وعقاب
أهل النار وقال أبو مجلز أصحاب الأعراف ملائكة يعرفون الفريقين بسيماهم
حتى يعرفون أهل الجنة وأهل النار فقيل لأبي مجلز إن الله تعالى يقول وعلى الأعراف
رجال وأنت تقول إنهم ملائكة فقال إن الملائكة ذكور ليسوا بإناث وضعف
الطبري قول أبي مجلز قال لأن لفظ الرجال في لسان العرب لا يطلق إلا على الذكر
من بني آدم دون إناثهم ودون سائر الخلق وحاصله الأقوال أن أصحاب الأعراف

أفضل من أهل الجنة لأنهم أعلى منهم منزلة وأفضل وقيل إنما أجلسهم الله في ذلك المكان
الأعلى ليميز وأبين أهل الجنة والنار والله أعلم بمراده وأسرار كتابه قوله تعالى
يعرفون كلا بسيماهم يعني أن أصحاب الأعراف يعرفون أهل الجنة بسيماهم
وذلك ببياض وجوههم ومن نضرة النعيم عليها ويعرفون أهل النار بسيماهم
وذلك بسواد وجوههم وزرقة عيونهم والسيما العلامة الدالة على الشيء وأصله
من السمة قال ابن عباس أصحاب الأعراف إذا رأوا أصحاب الجنة عرفوهم ببياض
الوجوه وإذا رأوا أصحاب النار عرفوهم بسواد الوجوه فإن قلنا إن أصحاب الأعراف
من استوت حسناتهم وسيئاتهم وهم دون أهل الجنة في الدرجة فإن وقفهم الله
تعالى على الأعراف ليكون أدرجة متوسطة بين الجنة والنار فإذا رأوا أهل الجنة
عرفوهم ببياض وجوههم نادوهم أن سلام عليكم وهو قوله تعالى **ونادوا أصحاب
الجنة أن سلام عليكم** يعني نادى أصحاب الأعراف أصحاب الجنة أن سلام عليكم
سلمتم من الآفات وحصل لكم الأمن والسلامة وإذا رأوا أهل النار يعرفوهم
بسواد وجوههم قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين وإن قلنا إن أصحاب
الأعراف هم الأشراف الأفاضل من أهل الجنة كان جلوسهم على الأعراف ليطلعوا
على أحوال أهل الجنة وأهل النار ثم ينقلهم الله عز وجل إلى الدرجات العلية
في الجنة وقوله تعالى **لم يدخلوها وهم يطمعون** يعني في دخول الجنة قال
الحسن ما جعل الله ذلك الطمع في قلوبهم إلا لكرامة يريدها بهم وقوله تعالى
وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار يعني وإذا صرفت أبصار أصحاب الأعراف
تلقاء أصحاب النار يعني وجاههم وحذاءهم فنظروا إليهم وإلى سواد وجوههم
وما هم فيه من العذاب **قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين** يعني الذين ظلموا
أنفسهم بالشرك وقال ابن عباس إن أصحاب الأعراف إذا نظروا إلى أهل النار
عرفوهم وقالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين والمعنى أن أصحاب الأعراف
إذا نظروا إلى أهل النار وما هم فيه من العذاب تضرعوا إلى الله وسألوه أن لا يجعلهم
منهم قوله تعالى **ونادى أصحاب الأعراف رجالا** يعني ونادى أصحاب الأعراف
رجالا كانوا عظماء في الدنيا وهم من أهل النار **يعرفونهم بسيماهم** يعني
بسيما أهل النار **قالوا** يعني أصحاب الأعراف لهؤلاء الذين عرفوهم في النار
ما أغنى عنكم جمعكم يعني ما كنتم تجمعون من الأموال والعدد في الدنيا
وما كنتم تستكبرون يعني ما أغنى عنكم تكبركم عن الإيمان شيئا قال الكلبي
ينادونهم وهم على السور يا وليد بن المغيرة يا أبا جهل بن هشام يا فلان يا فلان
ثم ينظرون إلى الجنة فيرون فيها الفقراء والضعفاء ممن كانوا يستهزؤون
بهم مثل سلمان وصهيب وخباب وبلال وأشباههم فيقول أصحاب الأعراف لأولئك
الكفار **أهؤلاء** لفظه استفهام يعني هؤلاء الضعفاء **الذين أقسمتم** بالله
لا ينالهم الله برحمة يعني أنكم حلفتم أنهم لا يدخلون الجنة وقد دخلوا الجنة

ثم يقول الله لاصحاب الاعراف **ادخلوا الجنة** بفضلي ورحمتي **لا خوف عليكم ولا
انتم تحزنون** وقيل ان اصحاب الاعراف اذا قالوا لاهل النار ما اخبر الله عنهم
قال لهم اهل النار ان اوليك دخلوا الجنة وانتم لم تدخلوها فيعيرونهم بذلك
ويقسمون انهم لا يدخلون الجنة ولا ينالهم الله برحمة ثم تقول الملايكة لاصحاب
الاعراف ادخلوا الجنة برحمة الله لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون قوله عز وجل
ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الما قال ابن عباس لما صار
اصحاب الاعراف الى الجنة طمع اهل النار في الفرج فقالوا يا رب ان لنا قرابات
من اهل الجنة فاذن لنا حتى نراهم ونكلمهم فياذن لهم فينظرون الى قراباتهم في
الجنة وما هم فيه من النعيم فيعرفونهم وينظر اهل الجنة الى قراباتهم من اهل النار
فلم يعرفونهم بسواد وجوههم فينادون اصحاب النار اصحاب الجنة باسمايهم
فينادي الرجل اباه واخاه فيقول قد احترقت افض علي من الما فيقال لهم اجيبوهم
فيقولون ان الله حرمهما على الكافرين ومعنى الاية ان اهل النار يستغيثون
باهل الجنة اذا استقروا فيها وذلك عند نزول البلايا باهل النار وما يلقونه من
شدة العطش والجوع عقوبة من الله على ما سلف منهم في الدنيا من الكفر والمعاصي
يقول اهل النار لاهل الجنة يا اهل الجنة افيضوا علينا من الما يعني صبوا علينا من
الما **او مما رزقكم الله** يعني واطعمونا مما رزقكم الله وسقوا علينا من طعام
الجنة فيجيبهم اهل الجنة **قالوا ان الله حرمهما على الكافرين** وهذا الجواب يفيد
الحرمان قال بعضهم لما كانت شهواتهم في الدنيا في لذة الاكل والشرب عذبهم
الله في الاخرة بشدة الجوع والعطش فسالوا ما كانوا يعتادونه في الدنيا من
طلب الاكل والشرب فاجيبوا بان الله حرمهما على الكافرين يعني طعام الجنة
وشرابها ثم وصف الكافرين فقال تعالى **الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا**
يعني انهم تلاعبوا بدينهم الذي شرع لهم ولهوا عنه واصل اللهو ما يشغل الانسان
عما يعنيه ويهمه يقال لهيت بكذا ولهيت عن كذا اي اشتغلت عنه قال ابن
عباس هم المستهزون وذلك انهم كانوا اذا دعوا الى الايمان سخروا ممن دعاهم
اليه وهزوا به اغترارا منهم بالله عز وجل وقيل هو ما زين لهم الشيطان من تحريم
البحاير والسوايب والمكا والتصدية حول البيت وساير الخصال الذميمة
التي كانوا يفعلونها في الجاهلية وقيل معنى اتخذوا دينهم عيدهم اتخذوه
لهوا ولعبا لا يذكرون الله فيه **وغرتهم الحياة الدنيا** يعني وخدعتهم
عاجل ما هم فيه من خصب العيش والدعة وشغلهم ما هم فيه عن ذلك من الايمان
بالله ورسوله وعن الاخذ بنصيبهم من الاخرة حتى اتتهم المنية وهم على ذلك
والغرة غفلة في اليقظة وهو طمع الانسان في طول العمر وحسن العيش وكثرة
المال والجاه ونيل الشهوات فاذا حصل ذلك صار محجوبا عن الدين وطلب الخلاص
لانه غني في الدنيا بلذاته وما هو فيه من ذلك ولما وصفهم الله بهذه الصفات

الذميمة

الذميمة قال **فاليوم** يعني يوم القيامة **ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا** يعني
فاليوم نتركهم في العذاب المهين جياعا عطاشا كما تركوا العمل للقاء يومهم هذا
وهذا قول ابن عباس ومجاهد والسدي قال ابن عباس نسيهم من الخير ولم ينسهم
من الشر وقيل معناه ننساهم فنتركهم في النار كما تركوا العمل واعرضوا عن الايمان
اعراض الناسي سمى الله تعالى جزا نسيانهم بالنسيان على المجاز لان الله تعالى لا
ينسى شيا فهو كقوله تعالى وجزا سيية سيية مثلها فيكون المراد من هذا النسيان
ان الله تعالى لا يجيب دعاءهم ولا يرحم ضعفهم وذلتهم بل يتركهم في النار كما تركوا
الايمان والعمل **وما كانوا باياتنا يجحدون** يعني ونتركهم في النار كما كانوا بدلايل
وحدانيتنا يكذبون قوله تعالى **ولقد جيناهم بكتاب** يعني ولقد جينا هولاء
الكفار بالقران الذي انزلناه عليك يا محمد **فصلناه على علم** اي بيناه على علم منا
بتفصيله وتبيينه **هدى ورحمة لقوم يومنون** اي جعلنا القران هاديا وذا رحمة
لقوم يومنون **هل ينظرون الا تاويله** يعني هل ينتظر هولا الكفار الذين كذبوا
باياتنا وجحدوها ولم يومنوا بها الا تاويله يعني هل ينتظرون ويتوقعون الا ما
وعدوا به على السنة الرسل من العذاب وان مصيرهم الى النار والتاويل ما يوول
اليه الشي **يوم ياتي تاويله** يعني يوم القيامة لانه يوم الجزا وما يوول اليه امورهم
يقول الذين نسوه من قبل يعني يقول الذين تركوا العمل بالقران ولم يومنوا
به يوم القيامة عند معاينة العذاب **قد جات رسل ربنا بالحق** اقروا على انفسهم
واعترفوا حين لا ينفعهم الاعتراف والاقرار والمعنى ان الكفار اقروا بان الذي
جات به الرسل من الايمان والتصديق والحشر والنشر والبعث يوم القيامة
والثواب والعقاب حق وصدق وانما اقروا بهذه الاشيا لانهم شاهدوها وعاينوها
وذلك حين لا ينفعهم ولما راوا انفسهم في العذاب قالوا **فهل لنا من شفعا فيشفعوا
لنا او نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل** يعني انه ليس لنا طريق الى الخلاص مما نحن فيه
من العذاب الا ان يشفع لنا عند ربنا فيقبل شفاعته فينا فيخلصنا من هذا العذاب
او نرد الى الدنيا فنعمل غير الذي كنا نعمل فيها فنبدل الكفر بالتوحيد والايمان
والمعاصي بالطاعة والانابة **قد خسروا انفسهم** يعني ان الذي طلبوه لا يحصل لهم
فتبين خسرانهم وهلاكهم انفسهم لانهم كانوا في الدنيا اول مرة فلم يعملوا بطاعة
الله ولو ردوا الى الدنيا لعادوا لما كانوا عليه من الكفر والعصيان لسابق
علم الله فيهم وقوله **وضل عنهم ما كانوا يفترون** يعني وبطل وذهب عنهم ما كانوا
يزعمون ويكذبون في الدنيا من ان الاصنام تشفع لهم فلما افضوا الى الاخرة
ذهب ذلك عنهم وعلموا انهم كانوا في دعواهم كاذبين قوله عز وجل **ان ربكم
الله** يعني ان سيدكم ومالككم ومصلح اموركم والذي يوصل الخيرات اليكم ويدفع
عنكم المكاره هو الله **الذي خلق السموات والارض في ستة ايام** اصل الخلق في
اللغة التقدير المستقيم ويستعمل في ابداع الشي من غير اصل سبق ولا ابتدا

تعاملهم معاملة من

تقدم فقوله خلق السموات والارض يعني ابتدعهما وانشا خلقهما من غير مثال
سبق وقد راحوا لهما في ستة ايام فان قلت اليوم عبارة عن مقدار من الزمان
وذلك المقدار هو من طلوع الشمس الى غروبها فكيف قال في ستة ايام ولم يكن
شمس ولا سما قلت معناه في مقدار ستة ايام فهو كقوله ولهم رزقهم فيها
بكرة وعشيا يعني على مقدار البكر والعشي في الدنيا لان الجنة لا ليل فيها ولا نهار
واختلف العلما في اليوم الذي ابتدا الله عز وجل بخلق الاشيا فقيل في يوم
السبت وهو قول محمد بن اسحاق وغيره ويدل على صحة هذا القول ما روى مسلم
في افراده من حديث ابي هريرة قال اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال
خلق الله تعالى التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الاحد وخلق الشجر
يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثا وخلق النور يوم الاربعا وخلق فيها
الدواب يوم الخميس وخلق ادم بعد العصر من يوم الجمعة في اخر الخلق في اخر ساعة
من ساعات الجمعة فيما بين العصر الى الليل وهذا الحديث وان كان في صحيح مسلم
ففيه مقال وقد انكره بعض العلما لما فيه من المخالفة للاية الكريمة لان الله
تعالى يقول خلق السموات والارض في ستة ايام وقال في اية اخرى ولقد خلقنا
السموات والارض وما بينهما في ستة ايام فدل بهذين النصين على ان جميع الخلق
تم وكمل في ستة ايام والذي في الحديث ان بعض الخلق وقع في سبعة ايام وذلك
مجموع ايام الاسبوع فلهذا السبب انكره من انكره من العلما وقد ذكر الازهري
في كتابه تهذيب اللغة ما يقوي الحديث وقال ابن الانباري السبت القطع وسمي
يوم السبت لان الله تعالى ابتدا الخلق يوم السبت وقطع فيه بعض خلق الارض
وقيل ان ابتدا الخلق يوم الاحد وهو قول عبد الله بن سلام وكعب الاحبار والضحاك
ومجاهد واختاره ابن جرير الطبري قال الطبري خلق الله السموات والارض في
ستة ايام وذلك يوم الاحد والاثنين والثلاثا والخميس والجمعة
وروى بسنده عن مجاهد قال بدو الخلق العرش والما من الما وبدو الخلق يوم
الاحد والاثنين والثلاثا والاربعا والخميس وجمع الخلق في يوم الجمعة وتهودت
اليهود يوم السبت ويوم من الستة كالف سنة مما تعدون ويعضد هذا
القول ما حكاه صاحب المحكم بن سيده قال وسمي سابع الاسبوع سبتا لان
ابتدا الخلق كان من يوم الاحد الى يوم الجمعة ولم يكن في السبت خلق قال
اصحاب الاخبار والسير والتواريخ ان الله تعالى خلق التربة التي هي الارض
بلا دحو ولا بسط في يوم الاحد والاثنين ثم استوى الى السما فسواهن سبع
سموات في يومين وهما الثلاثا والاربعا ثم دحا الارض وبسطها وطحاها
واخرج منها ماءها ومرعاها وخلق دوابها ووحشها وجميع ما فيها في يومين
وهما الخميس والجمعة وخلق ادم في الجمعة اخر الخلق في اخر ساعة من ساعات الجمعة
وقيل خلق الله عز وجل التربة يوم الاحد ثم استوى الى السما فخلقها وجميع ما فيها

في يوم

في يوم الاثنين والثلاثا من الارض ودحاها يوم الاربعا والخميس وخلق ادم يوم
الجمعة واسكنه الجنة هو وزوجته حوا ثم اهبطهما الى الارض في اخر ساعة من
يوم الجمعة وقيل اول ما خلق الله القلم ثم اللوح فكتب فيه ما كان وما سيكون
وما خلق وما هو خالق الى يوم القيامة ثم خلق الظلمة والنور ثم خلق العرش
ثم خلق السما من درة بيضا ثم خلق السموات وما فيها من نجوم وشمس وقمر ثم
مد الارض وبسطها من التربة التي خلقها اولا ثم خلق جميع ما فيها من جبال وشجر
ودواب وغير ذلك ثم خلق ادم اخر الخلق في اخر ساعة من ساعات الجمعة وفيه
اهبط الى الارض فتكامل جميع الخلق في ستة ايام كل يوم مقدار الف سنة وهذا
قول جمهور العلما وقيل في ستة ايام من ايام الدنيا فان قلت ان الله عز وجل
قادر ان يخلق جميع الخلق في لحظة واحدة فهو كقوله وما امرنا الا واحدة كلمح
بالبصر فما الفايدة في خلق السموات والارض في ستة ايام وما الحكمة في ذلك
قلت ان الله سبحانه وتعالى وان كان قادرا على خلق جميع الاشيا في لحظة
واحدة الا انه تعالى جعل لكل شي حدا محدودا ووقتا معلوما فلا يدخل في الوجود
الا في ذلك الوقت والمقصود من ذلك تعليم عباده التثبت والتاني في الامور
وقال سعيد بن جبير كان الله عز وجل قادرا على خلق السموات والارض في لمحة ولحظة
فخلقهن في ستة ايام تعليما لخلقه التثبت والتاني في الامور كما في الحديث
التاني من الله والعجلة من الشيطان وقيل ان الشي اذا احدث دفعة واحدة
فلعله ان يخطر ببال بعضهم ان ذلك الشي انما وقع على سبيل الاتفاق فاذا احدث
شيا بعد شي على سبيل المصلحة والحكمة كان ذلك ابلغ في القدرة واقوى في
الدلالة وقيل ان الله تعالى اراد ان يوقع في كل يوم امرا من امره حتى تستعظمه
الملايكة وغيرهم ممن شاهده وقيل ان التعجيل في الخلق ابلغ في القدرة والتثبيت
ابلغ في الحكمة فاراد الله تعالى اظهار حكمته في خلق الاشيا بالتثبت كما اظهر قدرته
وقوله تعالى ثم استوى على العرش العرش في اللغة السرير وقيل هو ما علا فاظل
وسمي مجلس السلطان عرشا اعتبارا بعلوه ويكنى عن العز والسلطان والمملكة
بالعرش على الاستعارة والمجاز ويقال فلان ثل عرشه بمعنى ذهب عزه وملكه
وسلطانه قال الراغب في كتابه مفردات القران وعرش الله عز وعلا مما لا
يعلمه البشر الا بالاسم على الحقيقة وليس هو كما تذهب اليه اوهام العامة
فانه لو كان كذلك لكان حاملا له تعالى عن ذلك وليس كما قال قوم انه الفلك
الاعلى والكرسي فلك الكواكب واما استوى بمعنى استقر فقد رواه البيهقي
في كتابه الاسما والصفات بروايات كثيرة عن جماعة من السلف وضعفها كلها وقال
اما الاستوا فالمتقدمون من اصحابنا كانوا لا يفسرونه ولا يتكلمون فيه كنحو مذهبهم
في امثال ذلك وروى بسنده عن عبد الله بن وهب قال كنا عند مالك بن انس
فدخل رجل فقال يا ابا عبد الله الرحمن على العرش استوى كيف استواه قال

قال فاطرق مالك واخذته الرحضا ثم رفع راسه فقال الرحمن على العرش استوى كما وصف نفسه ولا يقال له كيف وكيف عنه مرفوع وانت رجل سوء صاحب بدعة اخرجوه فاخرج الرجل وفي رواية يحيى قال كنا عند مالك بن انس فجاء رجل فقال يا ابا عبد الله الرحمن على العرش استوى كيف استوى فاطرق مالك براسه حتى علاه الرحضا ثم قال الاستوا غير مجهول والكيف غير معقول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما اراك الا مبتدعا فامر به ان يخرج روى البيهقي بسنده عن ابن عيينة قال كلما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره تلاوته والسكوت عنه قال البيهقي والاثار عن السلف في مثل هذا كثيرة وعلى هذه الطريقة يدل مذهب الشافعي واليه ذهب احمد بن حنبل والحسن بن الفضل البجلي ومن المتاخرين ابو سليمان الخطابي قال البغوي اهل السنة يقولون الاستوا على العرش صفة الله بلا كيف يجب على الرجل الايمان به ويكل العلم به الى الله عز وجل وذكر حديث مالك بن انس مع الرجل الذي ساله عن الاستوا وقد تقدم وروي عن سفيان الثوري والاوزاعي والليث ابن سعد وسفيان بن عيينة وعبد الله بن المبارك وغيرهم من علما السنة في هذه الايات التي جات في الصفات المتشابهة امروها كما جات بلا كيف وقال الامام فخر الدين الرازي بعد ذكره الدلايل العقلية والسمعية انه لا يمكن حمل قوله تعالى ثم استوى على العرش على الجلوس والاستقرار وشغل المكان والحيز وعند هذا حصل للعلما الراسخين مذهبان الاول ان يقطع بكونه تعالى متعاليا عن المكان والجهة ولا نخوض في تاويل الاية على التفصيل بل نفوض علمها الى الله تعالى وهو الذي قررناه في تفسير قوله وما يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم يقولون امنا به وهذا المذهب هو الذي نختاره ونقول به ونعتمد عليه والمذهب الثاني ان نخوض في تاويله على التفصيل وفيه قولان ملخصان الاول ذكره القفال فقال العرش في كلامهم هو السرير الذي يجلس عليه الملك ثم العرش كناية عن نقص الملك يقال ثل عرشه اي انتقض ملكه واذا استقام له ملكه واطرد امره وحكمه قالوا استوى على عرشه واستوى على سرير ملكه هذا ما قاله القفال والذي قاله القفال حق وصواب ثم قال والله تعالى دل على ذاته وصفاته وكيفية تدبيره العالم على الوجه الذي الفوه من ملوكهم واستقر في قلوبهم عظمة الله جل جلاله وكمال قدرته وذلك مشروط بنفي التشبيه والمراد منه نفاذ القدرة وجريان المشية قال ويدل على صحة هذا قوله في سورة يونس ثم استوى على العرش يدبر الامر فقوله يدبر الامر جرى مجرى التفسير لقوله استوى على العرش واورد على هذا القول بان الله تعالى لم يكن مستويا على الملك قبل خلق السموات والارض والله تعالى منزه عن ذلك واجيب عنه بان الله تعالى كان قبل خلق السموات والارض مالكها لكن لا يصح ان يقال شبع زيد الا بعد اكله الطعام فاذا فسر العرش بالملك صح ان يقال انه تعالى انما استوى ملكه بعد خلق السموات والارض والقول الثاني ان يكون استوى بمعنى استولى وهذا مذهب المعتزلة وجماعة من المتكلمين واحتجوا عليه بقول الشاعر

ثم

ثم استوى بشر على العراق ❊ من غير سيف ودم مهراق

وعلى القول انما خص العرش بالاخبار عنه بالاستيلا عليه لانه اعظم المخلوقات ورد هذا القول بان العرب لا تعرف استوى بمعنى استولى وانما يقال استولى فلان على كذا اذا لم يكن في ملكه ثم ملكه واستولى عليه والله تعالى لم يزل مالكا للاشيا كلها ومستوليا عليها فاي تخصيص للعرش هنا دون غيره من المخلوقات ونقل البيهقي عن ابي الحسن الاشعري ان الله تعالى فعل في العرش فعلا سماه استوا كما فعل في غيره فعلا سماه رزقا ونعمة وغيرها من افعاله ثم لم يكيف الاستوا الا انه جعله من صفات الفعل لقوله تعالى ثم استوى على العرش وثم للتراخي والتراخي انما يكون في الافعال وافعال الله تعالى توجد بلا مباشرة منه اياها ولا حركة وحكى الاستاذ ابو بكر بن فورك عن بعض اصحابنا انه قال استوى بمعنى علا من العلو قال ولا يريد بذلك علوا بالمسافة والتحيز والكون في المكان متمكنا فيه ولكن نريد نفي التحيز عنه وانه ليس مما يحويه طبق او يحيط به قطر ووصف الله تعالى بذلك طريقة الخبر ولا يتعدى ما ورد به الخبر قال البيهقي وهو على هذه الطريقة من صفات الذات وكلمة ثم تعلقت بالمستوى عليه لا بالاستوا وقد اشار ابو الحسن الاشعري الى هذه الطريقة حكاية فقال قال بعض اصحابنا انه صفة ذات قال والجوابي هو الاول وهو انه تعالى مستو على عرشه وانه فوق الاشيا باين منها بمعنى انها لا تحله ولا يحلها ولا يماسها ولا يشبهها وليست البينونة بالعزلة تعالى ربنا عن الحلول والمماسة علوا كبيرا وقد قال بعض اصحابنا ان الاستوا صفة لله تعالى تنفي الاعوجاج عنه وروي ان ابن الاعرابي جاءه رجل فقال يا ابا عبد الله ما معنى قوله الرحمن على العرش استوى قال انه مستو على عرشه كما اخبر فقال الرجل انما معنى قوله استوى استولى فقال له ابن الاعرابي ما يدريك ان العرب لا تقول استولى على الشي فلان حتى لا يكون له فيه مضاد فايهما غلب قيل لمن غلب قد استولى عليه والله تعالى لا مضاد له فهو على عرشه كما اخبر لا كما يظنه البشر والله اعلم وقوله تعالى يغشي الليل النهار يعني انه تعالى ياتي بالليل على النهار فيغطيه ويلبسه حتى يذهب بنوره وفيه حذف تقديره ويغشي النهار الليل وانما لم يذكر النهار لدلالة الكلام عليه يطلبه حثيثا يعني سريعا وذلك انه كان يعقب احدهما الاخر ويخلفه فكان يطلبه حكى الامام فخر الدين عن القفال انه قال ان الله تعالى لما اخبر عباده باستوايه على العرش اخبر عن استمرار امور المخلوقات على وفق مشيئته واراهم ذلك فيما يشاهدونه منها لينضم العيان الى الخبر وتزول الشبهة من كل الجهات قال الامام واعلم انه سبحانه وتعالى وصف هذه الحركة بالسرعة الشديدة وذلك لان تعاقب الليل والنهار انما يحصل بحركة الفلك الاعظم وتلك الحركة اشد الحركات سرعة فان الانسان اذا كان في اشد عدوه فبمقدار رفع رجله ووضعها يتحرك الفلك الاعظم ثلاثة الاف ميل وهي الف فرسخ فلهذا قال يطلبه حثيثا لسرعة حركته والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره

معنى التسخير التذليل وقال الزجاج وخلق الاشياء جارية في مجاريها بامره وقال المفسرون
يعني تسخيرهن تذليلهن لما يراد منهن من طلوع وغروب وسير ورجوع اذ ليس هن
قادرات بانفسهن وانما هن يتصرفن في مصرفاتهن على ارادة المدبر لهن الحكيم في تدبيره
وتصريفهن على ما اراد منهن والمراد بالامر في قوله بامره انفاذ ارادته لان الغرض
من هذه الاية تبيين عظمة قدرته ومنهم من حمل الامر على الامر الذي هو الكلام
وقال انه تعالى امر هذه الاجرام بالسير الدايم والحركة المستمرة الى انقضا الدنيا
وخراب هذا العالم فان قلت ان الشمس والقمر من النجوم فلم افردهما
بالذكر ثم عطف عليهما ذكر النجوم قلت انما افردهما بالذكر ليبان
شرفهما على ساير الكواكب لما فيهما من الاشراق والنور وبسيرهما في المنازل
تعرف الاوقات فهو كقوله من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال
فعطف جبريل وميكال على ذكر الملايكة ليبان شرفهما وفضلهما على غيرهما من الملايكة
وقوله تعالى **الا له الخلق والامر** يعني له الخلق لانه خلقهم وله ان يامر فيهم
بما اراد وله ان يحكم فيهم بما شا وعلى هذا المعنى الامر هنا الذي هو نقيض النهي
واستخرج سفيان بن عيينة من هذا المعنى ان كلام الله عز وجل ليس بمخلوق
فقال ان الله تعالى فرق بين الخلق والامر فمن جمع بينهما فقد كفر يعني ان من جعل
الامر الذي هو كلامه من جملة ما خلقه فقد كفر لان المخلوق لا يقوم بمخلوق
مثله وقيل معناه ان جميع ما في العالم لله عز وجل والخلق له لانه خلقهم وجميع
الامور تجري بقضايه وقدره فهو مجريها ومنشيها فلا ينبغي لاحد بعد هذا بشي
وقيل المراد بالامر هنا الارادة لان الغرض من الاية تعظيم القدرة وفي الاية
دليل على انه لا خالق الا الله عز وجل ففيه رد على من يقول ان للشمس والقمر
والكواكب تاثيرات في هذا العالم فاخبر الله انه هو الخالق المدبر لهذا العالم لا
الشمس والقمر ولا الكواكب وله الامر المطلق وليس لاحد امر غيره فهو الامر
والناهي الذي يفعل ما يشا ويحكم ما يريد لا اعتراض لاحد من خلقه عليه **تبارك**
الله يعني تمجد وتعظم وارتفع وقال الزجاج تبارك وتفاعل من البركة ومعنى البركة
الكثرة من كل خير وقيل معناه تعالى وتعاظم الله **رب العالمين** يعني هو الذي يستحق
التعظيم وذلك ان الله افتتح هذه الاية بقوله ان ربكم الله الذي خلق السموات
والارض وذكر اشيا من عظيم خلقه وان له الخلق والامر والنهي والقدرة عليهم
ختم الاية بالثنا عليه لانه هو المستحق للمدح المطلق والثنا العظيم وقال ابن
عباس معناه جا بكل بركة وقيل تبارك معناه تقدس والتقديس الطهارة وقيل
معناه تبارك باسمه يتبرك في كل شي وقال المحققون معنى هذه الصفة ثبت ودام
بما لم يزل ولا يزال واصل البركة الثبوت ويقال تبارك الله ولا يقال متبارك
ولا مبارك لانه لم يرد فيه التوقيف قوله عز وجل **ادعوا ربكم** قيل معناه اعبدوا
ربكم لان الدعا طلب الخير من الله وهذه صفة العبادة ولانه تعالى عطف عليه قوله

وادعوه

وادعوه خوفا وطمعا والمعطوف يجب ان يكون مغايرا للمعطوف عليه وقيل المراد
به حقيقة الدعا وهو الصحيح لان الدعا هو السوال والطلب وهو نوع من
انواع العبادة لان الداعي لا يقدم على الدعا الا اذا عرف من نفسه الحاجة
الى ذلك المطلوب وهو عاجز عن تحصيله وعرف ان ربه تبارك وتعالى يسمع الدعا
ويعلم حاجته وهو قادر على ايصالها الى الداعي فعند ذلك يعرف العبد نفسه
بالعجز والنقص ويعرف ربه بالقدرة والكمال وهو المراد من قوله **تضرعا**
يعني ادعوا ربكم تذللا واستكانة وهو اظهار الذل في النفس والخشوع يقال
ضرع فلان لفلان اذا ذل له وخشع وقال الزجاج تضرعا يعني تملقا وحقيقته
ان تدعوه خاضعين خاشعين متعبدين بالدعا له تعالى **وخفية** يعني سرا
في انفسكم وهو ضد العلانية والادب في الدعا ان يكون خفيا لهذه الاية
قال الحسن بين دعوة السر والعلانية سبعون ضعفا ولقد كان المسلمون
يجتهدون في الدعا ولا يسمع لهم صوت ان كان الا همسا بينهم وبين ربهم وذلك
انه تعالى يقول ادعوا ربكم تضرعا وخفية وان الله تعالى ذكر عبدا صالحا ورضي
فعله فقال تعالى اذ نادى ربه نداء خفيا **ق** عن ابي موسى الاشعري قال كنا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل الناس يجهرون بالتكبير فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ايها الناس اربعوا على انفسكم انكم لا تدعون اصم ولا غايبا
انكم تدعون سميعا بصيرا وهو معكم والذي تدعونه اقرب الى احدكم من عنق راحلته
قال ابو موسى وانا خلفه اقول لا حول ولا قوة الا بالله في نفسي فقال يا عبد الله
ابن قيس الا ادلك على كنز من كنوز الجنة قلت بلى يا رسول الله قال لا حول ولا قوة
الا بالله قوله صلى الله عليه وسلم اربعوا على انفسكم ارفقوا بها واقصروا عن الصياح
في الدعا وقوله تعالى **انه لا يحب المعتدين** يعني في الدعا وقال ابو مجلز هم الذين
يسالون منازل الانبيا عن عبد الله بن مغفل انه سمع ابنه يقول اللهم اني اسالك
القصر الابيض عن يمين الجنة اذا دخلتها قال اي بني سل الله الجنة وتعوذ به من
النار فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سيكون في هذه الامة قوم
يعتدون في الطهور والدعا اخرجه ابو داود وقال ابن جريج من الاعتدا رفع
الصوت والندا والصياح في الدعا وقيل الاعتدا مجاوزة الحد في كل شي فكل من
خالف امر الله ونهيه فقد اعتدى ويدخل تحت قوله تعالى انه لا يحب المعتدين وفرع
بعض ارباب الطريقة على قوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية هل الافضل اظهار
العبادات ام لا فذهب بعضهم الى ان اخفا العبادات والطاعات افضل من اظهارها
لهذه الاية ولكونها ابعد من الريا وذهب بعضهم الى ان اظهارها افضل ليقتدي به الغير
فيعمل مثل عمله وتوسط الشيخ محمد بن علي الحكيم الترمذي فقال ان كان خايفا
على نفسه من الريا فالاولى اخفا العبادة صونا لعمله عن البطلان وان كان قد
بلغ في الصفا وقوة اليقين الى التمكين بحيث صار مباينا عن شايبة الريا كان الاولى

في حقه لا إظهار لتحصيل فائدة الاقتداء به وذهب بعضهم إلى أن إظهار العبادات المفروضات
أفضل من إخفائها فالصلاة المكتوبة في المسجد أفضل من صلاته في بيته وصلاة
النفل في البيت أفضل من صلاته في المسجد وكذا إظهار الزكاة أفضل من إخفائها
وإخفاء صدقة التطوع أفضل من إظهارها وقس على هذا سائر العبادات قوله
تعالى **ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها** يعني ولا تفسدوا أيها الناس في
الأرض بالمعاصي والكفر والدعاء إلى غير طاعة الله بعد إصلاح الله إياها ببعثة
الرسل وبيان الشرائع والدعاء إلى طاعة الله تعالى وهذا معنى قول الحسن والسدي
والضحاك قال الكلبي وقال عطية لا تعصوا في الأرض فيمسك الله المطر ويهلك الحرث
بسبب معاصيكم فعلى هذا يكون معنى قوله بعد إصلاحها يعني بعد إصلاح الله إياها
بالمطر والخصب وقيل معنى الآية ولا تفسدوا في الأرض شيئا بعد أن أصلحه الله
تعالى فيدخل فيه المنع من إتلاف النفس بالقتل وإفسادها بقطع بعض الأعضاء وإفساد
الأموال بالغصب والسرقة وأخذه من غير وجه الحيل وإفساد الأديان بالكفر
واعتقاد البدع والأهواء المضلة وإفساد الأنساب بالإقدام على الزنا وإفساد
العقول بسبب شرب المسكر وذلك لأن المصالح المعتبرة في الدنيا هي هذه الخمسة
فمنع الله منها إدخال الفساد في ماهيتها وقوله تعالى **وادعوه خوفا وطمعا** أصل
الخوف انزعاج في الباطن لما لا يؤمن من المضار وقيل هو توقع مكروه يحصل فيما
بعد والطمع توقع محبوب يحصل له والمعنى وادعوه خوفا منه ومن عقابه وطمعا
فيما عنده من جزيل ثوابه وقال ابن جريج معناه خوف العدل وطمع الفضل وقيل
معناه ادعوه خوفا من الرد وطمعا في الإجابة فإن قلت
قال في أول الآية ادعوا ربكم تضرعا وخفية وقال هنا وادعوه وهذا عطف الشيء
على نفسه فما الفائدة في ذلك قلت الفائدة فيه أن المراد بقوله
تعالى ادعوا ربكم أي ليكن الدعاء مقرونا بالتضرع والإخبات وقوله وادعوه
خوفا وطمعا أن فائدة الدعاء أحد هذين الأمرين فكانت الآية الأولى في بيان
شرط صحة الدعاء والآية الثانية في بيان فائدة الدعاء وقيل معناه كونوا جامعين
في أنفسكم بين الخوف والرجاء في أعمالكم كلها ولا تطمعوا أنكم وفيتم حق الله
في العبادة والدعاء وإن اجتهدتم فيهما **إن رحمت الله** أصل الرحمة رقة تقتضي
الإحسان إلى المرحوم وتستعمل تارة في الرقة المجردة وتارة في الإحسان
المجرد عن الرقة وإذا وصف بها الباري جل وعز فليس المراد بها إلا الإحسان
المجرد دون الرقة فرحمة الله عز وجل عبارة عن الإفضال والإنعام على عباده
وإيصال الخير إليهم وقيل هي عبارة عن إرادة إيصال الخير والنعمة إلى عباده فعلى
القول الأول تكون الرحمة من صفات الأفعال وعلى القول الثاني تكون من صفات
الذات **قريب من المحسنين** قال سعيد بن جبير الرحمة ههنا الثواب فرجع النعت إلى
المعنى دون اللفظ وقيل إن تأنيث الرحمة ليس بحقيقي وما كان كذلك جاز فيه التأنيث

والتذكير

والتذكير عند أهل اللغة وكون الرحمة قريبة من المحسنين لأن الإنسان في كل ساعة
من الساعات في إدبار عن الدنيا وإقبال على الآخرة وإذا كان كذلك كان الموت قريبا إليه
من الحياة وليس بينه وبين رحمة الله التي هي الثواب في الآخرة إلا الموت وهو قريب
من الإنسان قوله عز وجل **وهو الذي يرسل الرياح** هذا عطف على ما قبله والمعنى
إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض وهو الذي يرسل الرياح **نشرا** قرئ نشرا
بالنون أراد جمع نشور وهي الريح الطيبة الهبوب التي تهب من كل ناحية وقيل هي
جمع ناشر يقال أنشر الله الريح بمعنى أحياها وقال الفراء النشر الريح الطيبة اللينة
التي تنشئ السحاب وقال ابن الأنباري النشر المنتشرة الواسعة الهبوب وقيل
النشر خلاف الطي فيحتمل أنها كانت بانقطاعها كالمطوية فأنشرت بمعنى أرسلت
وقرئ بشرا بالباء جمع بشيرة وهي التي تبشر بالمطر والريح هي الهواء المتحركة يمنة
ويسرة والرياح أربع الصبا وهي الشرقية والدبور وهي الغربية والشمال وهي
التي تهب من تحت القطب الشمالي والجنوب وهي القبلية وعن ابن عمر أن الرياح ثمانية
أربع منها عذاب وهي القاصف والعاصف والصرصر والعقيم وأربع منها رحمة
وهي الناشرات والمبشرات والمرسلات والذاريات **بين يدي رحمته** يعني
أمام المطر الذي هو رحمة وإنما سماه رحمة لأنه سبب لحياة الأرض الميتة قال
أبو بكر بن الأنباري اليدان يستعملهما العرب في المجاز على معنى التقدمة تقول
هذه تكون الفتن بين يدي الساعة يريدون قبل أن تقوم الساعة تشبيها وتمثيلا
إذ كانت يد الإنسان تتقدمه كذلك الرياح تتقدم المطر وتؤذن به عن أبي
هريرة قال أخذت الناس ريح بطريق مكة وعمر حاج فاشتدت فقال عمر لمن حوله
ما بلغكم في الريح فلم يرجعوا إليه شيئا وبلغني الذي سأل عمر عنه من أمر الريح
فاستحثثت راحلتي حتى أدركت عمر وكنت في مؤخر الناس فقلت يا أمير المؤمنين
أخبرت أنك سألت عن الريح فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
الريح من روح الله تأتي بالرحمة وتأتي بالعذاب فإذا رأيتموها فلا تسبوها
واسألوا الله من خيرها واستعيذوا بالله من شرها رواه الشافعي بطوله
وأخرجه أبو داود والمسند منه وقال كعب الأحبار لو حبس الله الريح عن عباده
ثلاثة أيام لأنتن أكثر أهل الأرض وقوله تعالى **حتى إذا أقلت سحابا ثقالا**
يقال أقل فلان الشيء إذا حمله واشتقاق الإقلال من القلة فإن من يرفع
شيئا يراه قليلا والسحاب جمع سحابة وهو الغيم فيه ماء أو لم يكن فيه ماء وسمي
سحابا لانسحابه في الهواء والمعنى حتى إذا حملت هذه الرياح سحابا ثقالا لامتلائها
من الماء قال السدي إن الله تبارك وتعالى يرسل الرياح فتأتي بالسحاب من بين
الخافقين وهو طرف السماء والأرض حيث يلتقيان فتخرجه من ثم ثم تنشره
فيبسطه في السماء كيف يشاء ثم يفتح له أبواب السماء فيسيل الماء على السحاب
ثم يمطر السحاب بعد ذلك وقيل إن الله تعالى دبر بحكمته أن الرياح تحرك تحريكا

شديدا فتثير السحاب ثم يضم بعضه الى بعض فيتراكم وينعقد ويحمل الماء ثم تسوقه
الى حيث شاء الله عز وجل وهو قوله تعالى **سقناه لبلد ميت** يعني الى بلد فتكون
اللام بمعنى الى وقيل معناه لاجل حياة بلد ميت وانما قال سقناه لان لفظ السحاب
مذكر وان كان جمع سحابة فكان ورود الكناية عنه على سبيل التذكير جاريا نظرا الى
اللفظ قال الازهري قال الليث البلد كل موضع من الارض عامرا او غير عامر
خاليا او مسكون والطايفة منها بلدة والجمع بلاد والمفازة تسمى بلدة لكونها
مسكن الوحش والجن قال الاعشى •

وبلدة مثل ظهر الترس موحشة • للجن بالليل في حافاتها زجل •

ومعنى الاية انا سقنا السحاب الى بلد ميت محتاج الى الماء لم ينزل فيه غيث ولم
ينبت خضرة **فانزلنا به الماء** اختلفوا في الضمير في قوله تعالى به الى ماذا يعود
فقال الزجاج وابن الانباري جايز ان يكون المعنى فانزلنا بالبلد الميت الماء وجايز
ان يكون المعنى وانزلنا بالسحاب الماء لان السحاب آلة لانزال الماء **فاخرجنا به**
يعني بذلك الماء لان انزال الماء كان سببا لاخراج الثمرات وقيل يحتمل ان يكون
المعنى فاخرجنا بذلك الميت **من كل الثمرات** يعني فاخرجنا بذلك البلد بعد موته
وخرابه من اصناف الثمار والزروع **كذلك نخرج الموتى** يعني كما احيينا البلد
الميت كذلك نخرج الموتى احياء من قبورهم بعد فنائهم ودروس آثارهم واختلفوا
في وجه التشبيه فقيل ان الله تعالى كما يخلق النبات بواسطة انزال المطر كذلك
يحيي الموتى بواسطة انزال المطر ايضا قال ابو هريرة وابن عباس ان الناس اذا ماتوا
في النفخة الاولى مطر عليهم ماء من تحت العرش يدعى ماء الحيوان اربعين سنة فينبتون
كما ينبت الزرع من الماء وفي رواية اربعين يوما فينبتون في قبورهم نبات الزرع
حتى اذا استكملت اجسادهم نفخ فيهم الروح ثم يلقي عليهم النوم فينامون في قبورهم
فاذا نفخ في الصور النفخة الثانية عاشوا ثم يحشرون من قبورهم وهم يجدون طعم
النوم في روسهم واعينهم كما يجد النايم حين يستيقظ من نومه فعند ذلك يقولون
يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا فيناديهم المنادي هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون
قال مجاهد اذا اراد الله ان يخرج الموتى امطر السماء حتى تنشق الارض ثم يرسل
الارواح فتعود كل روح الى جسدها فكذلك يحيي الموتى بالمطر كاحيائه الارض
وقيل انما وقع التشبيه باصل الاحياء والمعنى انه تعالى كما احيا هذه البلد الميت
بعد خرابه وموته فانبت فيه الزرع والشجر وجعل فيه الثمر كذلك يحيي الله
الموتى ويخرجهم من قبورهم احياء بعد ان كانوا امواتا ورمما بالية لان من قدر على
اخراج الثمر الرطب من الخشب اليابس قادر على ان يحيي الموتى ويخرجهم من قبورهم
الى حشرهم ونشرهم **لعلكم تذكرون** الخطاب لمنكري البعث يقول انكم شاهدتم
الاشجار وهي مزهرة مورقة مثمرة في ايام الربيع والصيف ثم انكم شاهدتموها
يابسة عارية من تلك الازهار والاوراق والثمار ثم ان الله تعالى احياها مرة

اخرى فالقادر على احيائها بعد موتها قادر على احياء الاجساد بعد موتها والمعنى انما
وصفت ما وصفت من التشبيه والتمثيل لكي تعتبروا وتتذكروا وتعلموا ان من فعل
ذلك كان هو الذي يعبد ويخشى وقوله تعالى **والبلد الطيب** يعني والارض
الطيبة التربة السهلة السمحة **يخرج نباته باذن ربه** يعني اذا اصابه
المطر اخرج نباته باذن الله عز وجل **والذي خبث لا يخرج الا نكدا** يعني والبلد
الذي خبث ارضه فهي سبخة لا تخرج يعني لا يخرج نباته الا نكدا يعني عسرا بمشقة
وكلفة قال الشاعر يذم انسانا •

لا تنجزا لوعد ان وعدت وان • اعطيت اعطيت تافها نكدا •

يعني بالتافه القليل وبالنكد العسر ومعناه انك ان اعطيت اعطيت القليل
بعسر ومشقة قال المفسرون هذا مثل ضربه الله للمومن والكافر فشبه المومن
بالارض الحرة الطيبة وشبه نزول القرآن على قلب المومن بنزول المطر على الارض
الطيبة فاذا نزل المطر عليها اخرجت انواع الازهار والثمار وكذلك المومن اذا
سمع القرآن آمن به وانتفع به وظهرت منه الطاعات والعبادات وانواع الاخلاق
الحميدة وشبه الكافر بالارض الردية الغليظة السبخة التي لا ينتفع بها وان اصابها
المطر فكذلك الكافر اذا سمع القرآن لا ينتفع به ولا يصدقه ولا يزيده الا عتوا وكفرا
وان عمل الكافر حسنة في الدنيا بمشقة وكلفة فلا ينتفع بها في الآخرة قال ابن
عباس هذا مثل ضربه الله للمومن يقول هو طيب وعمله طيب كما ان البلد الطيب
ثمره طيب ثم ضرب مثلا للكافر كالبلدة السبخة المالحة التي خرجت منها البركة
فالكافر خبيث وعمله خبيث وقال مجاهد هذا مثل ضربه الله لادم وذريته
كلهم من خبيث وطيب ويدل على صحة هذا التاويل ما روي عن ابي موسى الاشعري
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم
كمثل غيث اصاب ارضا فكانت منها طايفة طيبة قبلت الماء فانبتت الكلا
والعشب الكثير وكانت منها اجادب امسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا
منها وسقوا وزرعوا واصاب طايفة منها اخرى انما هي قيعان لا تمسك ماء ولا
تنبت كلا فذلك مثل من فقه في دين الله عز وجل ونفعه ما بعثني الله به فعلم
وعلم ومثل من لم يرفع بذلك راسا ولم يقبل هدى الله الذي ارسلت به اخرجاه
في الصحيحين وقوله تعالى **كذلك نصرف الايات لقوم يشكرون** يعني كما ضربنا هذا
المثل كذلك نبين الايات الدالة على التوحيد والايمان آية بعد آية وحجة
بعد حجة لقوم يشكرون الله على انعامه عليهم بالهداية وتجنبهم سبيل الضلالة
وانما خص الشاكرين بالذكر لانهم هم الذين ينتفعون بسماع القرآن قوله عز
وجل **لقد ارسلنا نوحا الى قومه** اعلم ان الله تعالى لما ذكر في الايات
المتقدمة دلايل قدرته وعجايب خلقه وصنعته الدالة على توحيده
وربوبيته واقام الادلة القاطعة على صحة البعث بعد الموت اتبع ذلك بقصص

الانبيا عليهم السلام وما جرى لهم مع اممهم وفي ذلك تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم
لانه لم يكن اعراض قومه عن قبول الحق فقط بل قد اعرض عنه غالب الامم الخالية
والقرون الماضية وفيه تنبيه على عاقبة اوليك الذين كذبوا الرسل كانت الى
الخسار والهلاك في الدنيا وفي الاخرة العذاب العظيم فمن كذب محمدا صلى الله عليه وسلم
من قومه كانت عاقبته مثل اوليك الذين خلوا من قبلهم من الامم المكذبة وفي ذكر
هذه القصص دليل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لانه كان اميا لا يقرا ولا
يكتب ولم يلق احدا من علما زمانه وقد اتى بمثل هذه القصص والاخبار عن القرون
الماضية والامم الخالية مما لم ينكره عليه احد علم بذلك انه لما اتى به من عند
الله عز وجل وانه اوحي اليه ذلك فكان دليلا واحدا وبرهانا قاطعا على صحة نبوته
صلى الله عليه وسلم فقوله تعالى لقد ارسلنا نوحا الى قومه لقد ارسلنا جواب قسم
محذوف تقديره والله لقد ارسلنا نوحا وهو نوح بن لمك بن متوشلخ بن خنوخ
وهو ادريس عليه السلام ومعنى ارسلنا يعني بعثنا نوحا وهو اول نبي بعثه الله
بعد ادريس وكان نوح نجارا وقيل معنى الارسال ان الله تعالى حمله رسالة ليوديها
الى قومه فعلى هذا التقدير فالرسالة تكون متضمنة للبعث كالتابع لا انه
اصل قال ابن عباس بعثه الله وهو ابن اربعين سنة وقيل وهو ابن خمسين
سنة وقيل وهو ابن مايتين وخمسين سنة وقيل وهو ابن ماية سنة قال
ابن عباس سمي نوحا لكثرة ما ناح على نفسه واختلفوا في سبب نوحه فقيل لدعوته
على قومه بالهلاك وقيل لمراجعته ربه في شان ابنه كنعان وقيل لانه مر بكلب
مجذوم فقال له اخسا يا قبيح فاوحى الله اليه اعبتني ام عبت الكلب فقال
يعني نوحا لقومه يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره يعني اعبدوا الله فانه
الذي يستحق العبادة لا غيره فانه ليس لكم اله معبود سواه فانه هو الذي
يستوجب ان يعبد اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم يعني ان لم تقبلوا ما امركم
به من عبادة الله واتباع امره وطاعته واليوم الذي خاف عليهم هو اما يوم
الطوفان واهلاكهم فيه او يوم القيامة وانما قال اخاف على الشك وان كان على
يقين من حلول العذاب بهم ان لم يومنوا به لانه لم يعلم وقت نزول العذاب بهم
ايعاجلهم او يتاخر عنهم العذاب الى يوم القيامة قال الملا وهم الجماعة الاشراف
من قومه انا لنراك يعني يا نوح في ضلال مبين يعني في خطا وزوال عن الحق بين
قال يعني نوحا يا قوم ليس بي ضلالة يعني ما اتى ما تظنون بي من الضلال
ولكني رسول من رب العالمين يعني ارسلني اليكم لانذركم واخوفكم ان لم تومنوا به
وهو قوله ابلغكم رسالات ربي يعني في تحذيري اياكم عقابه على كفركم ان لم
تومنوا به وانصح لكم يقال نصحته ونصحت له كما يقال شكرته وشكرت له
والنصح ارادة الخير لغيره كما يريده لنفسه وقيل النصح تحري قول او فعل فيه
صلاح للغير وقيل حقيقة النصح تعريف وجه المصلحة مع خلوص النية من شوايب

المكروه والمعنى انه قال ابلغكم جميع تكاليف الله وشرايعه وارشدكم الى الوجه
الاصلح والاصوب لكم وادعوكم الى ما دعاني اليه واحب لكم ما احب لنفسي قال بعضهم
والفرق بين ابلاغ الرسالة وبين النصيحة هو ان تبليغ الرسالة ان يعرفهم
جميع اوامر الله ونواهيه وجميع انواع التكاليف التي اوجبها الله عليهم واما
النصيحة فهو ان يرغبهم في قبول تلك الاوامر والنواهي والعبادات ويحذرهم
عقابه ان عصوه واعلم من الله ما لا تعلمون يعني واعلم انكم ان عصيتم امره عاقبكم
بالطوفان والغرق في الدنيا ويعذبكم في الاخرة عذابا عظيما وقيل اعلم
ان مغفرة الله لمن تاب وعقوبته لمن اصر على الكفر وقيل لعل الله اطلعه
على سر من اسراره فقال واعلم من الله ما لا تعلمون او عجبتم الالف للاستفهام
والواو للعطف والمعطوف عليه محذوف وهذا الاستفهام استفهام انكار
معناه اكذبتم وعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم يعني وحيا من ربكم على رجل منكم
تعرفونه وتعرفون نسبه وذلك لانه كونه منهم يزيل التعجب وقيل المراد
بالذكر الكتاب الذي انزله الله على نوح عليه السلام سماه ذكرا كما سمي القران
ذكرا وقيل المراد بالذكر المعجزة التي جاء بها نوح عليه السلام فعلى هذا يكون
على بمعنى مع اي مع رجل منكم قال الفراء على هنا بمعنى مع لينذركم يعني جاءكم
لاجل ان ينذركم ولتتقوا اي ولاجل ان تتقوا ولعلكم ترحمون لان المقصود
من ارسال الرسول الانذار والمقصود من الانذار التقوى عن كل ما لا ينبغي
والمقصود بالتقوى الفوز بالرحمة في الدار الاخرة فكذبوه يعني فكذبوا
نوحا فانجيناه يعني من الطوفان والغرق والذين معه يعني من امن
من قومه معه في الفلك يعني في السفينة واغرقنا الذين كذبوا
باياتنا انهم كانوا قوما عمين قال ابن عباس عميت قلوبهم عن معرفة الله تعالى
وقال الزجاج عموا عن الحق والايمان يقال رجل عم في البصيرة واعمى في البصر
وانشد واقول زهير
واعلم علم اليوم والامس قبله • ولكنني عن علم ما في غد عم •
قال مقاتل عموا عن نزول العذاب بهم وهو الغرق قوله تعالى والى عاد
اخاهم هودا اي وارسلنا الى عاد وهو عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح
وهو عاد الاولى اخاهم هودا يعني اخاهم في النسب لا في الدين وهو هود بن
عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص وقال ابن اسحاق هو هود بن شالخ
ابن ارفخشذ بن سام بن نوح واتفقوا ان هودا عليه السلام لم يكن اخاهم
في الدين واختلفوا في سبب الاخوة من اين حصلت فقيل انه كان واحدا من
القبيلة فيتوجه قوله اخاهم لانه واحد منهم وقيل انه لم يكن من القبيلة
ثم ذكروا في تفسير هذه الاخوة وجهين الاول قال الزجاج انه كان من بني ادم
ومن جنسهم لا من الملايكة ويكفي هذا القدر في تسمية الاخوة والمعنى انا ارسلنا

الى عاد واحدا من جنسهم من البشر ليكون الفهم والانس بكلامه اتم واكمل ولم نبعث
اليهم من غير جنسهم مثل الملك والجن والثاني انه اخاهم بمعنى صاحبهم والعرب
تسمي صاحب القوم اخاهم وكانت منازل عاد بالاحقاف باليمن والاحقاف الرمل
الذي عند عمان وحضرموت **قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره** اي
اعبدوا الله وحده ولا تجعلوا معه الها اخر فانه ليس لكم اله غيره والفرق بين
قوله في قصة نوح فقال وهنا قال ان نوحا كان مواظبا على دعوته قومه غير
متوان فيها لان الفاء تدل على التعقيب واما هود فلم يكن كذلك بل كان
دون نوح في المبالغة في الدعا فاخبر الله عز وجل عنه بقوله قال يا قوم اعبدوا
الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون يعني افلا تخافون عقابه بعبادتكم غيره
ولو كانت هذه القصة منسوقة على قصة قوم نوح وقد علموا ما حل بهم من
الغرق حسن قوله هنا **افلا تتقون** يعني افلا تخافون ما نزل بهم من العذاب
ولما لم يكن قبل واقعة نوح شي حسن تخويفهم من العذاب فقال هناك
اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم **قال الملا الذين كفروا من قومه انا لنراك في سفاهة**
يعني انا لنراك يا هود في حمق وجهالة وضلالة عن الحق والصواب اخبر الله تعالى
عن قوم نوح انهم قالوا له انا لنراك في ضلال مبين واخبر عن قوم هود
انهم قالوا له انا لنراك في سفاهة والفرق بينهما ان نوحا لما خوف قومه
بالطوفان وطفق في عمل السفينة فعند ذلك قال له قومه انا لنراك في
ضلال مبين حيث تتعب في اصلاح سفينة في ارض ليس فيها من الماء شي واما
هود عليه السلام فانه لما زيف عبادة الاصنام ونسب من عبدها الى السفه
وقلة العقل قابلوه بمثله فقالوا انا لنراك في سفاهة **وانا لنظنك
من الكاذبين** يعني في ادعائك انك رسول من رب العالمين **قال** يعني قال
هود لهولا الملا الذين نسبوه الى السفه **يا قوم ليس بي سفاهة** يعني ليس
الامر كما تدعون انه سفاهة **ولكني رسول من رب العالمين** يعني اليكم
ابلغكم رسالات ربي يعني اودي اليكم ما امرني به من اوامره ونواهيه
وشرايعه وتكاليفه **وانا لكم ناصح** يعني فيما امركم به من عبادة الله
عز وجل وترك ما سواه **امين** يعني على تبليغ الرسالة واداء النصح والامين
الثقة على ما ايتمن عليه حكى الله عن نوح وانصح لكم وحكى عن هود وانا لكم
ناصح فالاول بصيغة الفعل والثاني بصيغة اسم الفاعل والفرق بينهما
ان صيغة الفعل تدل على تجدده ساعة بعد ساعة فكان نوح يدعو قومه
ليلا ونهارا كما اخبر الله عنه بقوله قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا
فلما كان ذلك من عادته ذكره بصيغة الفعل فقال وانصح لكم واما هود فلم
يكن كذلك بل كان يدعوهم وقتا دون وقت فلهذا قال وانا لكم ناصح امين
ومدح النفس باعظم صفات المدح غير لايق بالعقل وانما فعل هود ذلك وقال

هذا

هذا القول لانه كان يجب عليه اعلام قومه بذلك ومقصوده الرد عليهم في قولهم
وانا لنظنك من الكاذبين فوصف نفسه بالامانة وانه امين في تبليغ ما ارسل به
من عند الله ففيه تقرير للرسالة والنبوة وفيه دليل على جواز مدح الانسان
نفسه في موضع الضرورة الى مدحها **او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم**
يعني اعجبتم ان الله انزل وحيه على رجل تعرفونه لينذركم باس ربكم ويخوفكم عقابه
واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح يعني واذكروا نعمة الله عليكم اذ اهلك قوم
نوح وجعلكم تخلفونهم في الارض **وزادكم في الخلق بسطة** يعني طولا وقوة قال
الكلبي والسدي كانت قامة الطويل فيهم مائة ذراع وقامة القصير ستين
ذراعا وقيل سبعين ذراعا وعن ابن عباس ثمانين ذراعا وقال مقاتل اثنى
عشر ذراعا وقال وهب كان راس احدهم مثل القبة العظيمة **فاذكروا الاء الله**
يعني نعم الله وفيه اضمار تقديره واذكروا نعمة الله عليكم واعملوا عملا يليق بتلك
الانعام وهو ان تؤمنوا به وتتركوا ما انتم عليه من عبادة الاصنام **لعلكم
تفلحون** يعني لكي تفوزوا بالفلاح وهو البقا في الاخرة **قالوا** يعني قال قوم
هود مجيبين له **اجئتنا** يا هود **لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد اباونا**
يعني من الاصنام **فاتنا بما تعدنا** يعني من العذاب **ان كنت من الصادقين**
يعني في قولك انك لرسول الله **قال** يعني قال هود مجيبا له **قد وقع** يعني
نزل ووجب **عليكم من ربكم رجس وغضب** اي عذاب وسخط **اتجادلونني في اسما
سميتموها انتم واباوكم** يعني وضعتم لها اسما من عند انفسكم والمراد منه الاستفهام
على سبيل الانكار عليهم لانهم سموا الاصنام بالالهة وذلك معدوم فيهم
ما نزل الله بها من سلطان يعني من حجة وبرهان على منها للتسمية وانما سميتموها
من عند انفسكم بغير دليل **فانتظروا** يعني العذاب **اني معكم من المنتظرين**
يعني نزول العذاب بكم **فانجيناه** يعني فانجينا هودا عند نزول العذاب
بقومه **والذين معه برحمة منا** يعني وانجينا اتباعه الذين امنوا به وصدقوه
لانهم كانوا مستحقين للرحمة **وقطعنا دابر الذين كذبوا باياتنا** يعني
واهلكنا الذين كذبوا هودا من قومه والمراد بالايات معجزات هود الدالة
على صدقه وهذا اهلاك استيصال فاهلكهم جميعا ولم يبق منهم احد **وما كانوا
مومنين** يعني لانهم لم يكونوا مصدقين بالله ولا برسوله هود عليه السلام
وكانت قصة عاد على ما ذكره محمد بن اسحاق واصحاب السير والاخبار قالوا
جميعا كانت منازل عاد وجماعتهم حين بعث الله فيهم هودا عليه السلام الاحقاف
والاحقاف الرمل فيما بين عمان وحضرموت من ارض اليمن وكانوا قد فسقوا
في الارض كلها وقهروا اهلها بفضل قوتهم التي جعلها الله فيهم وكانوا اصحاب
اوثان يعبدونها من دون الله عز وجل صنم يقال له صدا وصنم يقال له صمود
وصنم يقال له الهبا فبعث الله عز وجل فيهم هودا عليه السلام وهو من اوسطهم

نسبًا وافضلهم موضعًا فامرهم ان توحدوا الله ولا يجعلوا معه الهًا غيره وان يكفوا عن ظلم الناس لم يأمرهم بغير ذلك فيما ذكر فابوا عليه وكذبوه وقالوا من اشد منا قوة واتبعه منهم ناس فآمنوا به وهم يسير يكتمون ايمانهم وكان ممن صدقه وامن به رجل يقال له مرثد بن سعد بن عفير وكان يكتم ايمانه فلما عتوا على الله وكذبوا نبيهم واكثروا في الارض الفساد وتجبروا وبنوا بكل ريع آية وابتنوا المصانع لعلهم يخلدون فلما فعلوا ذلك امسك الله عنهم المطر ثلث سنين حتى جهدهم ذلك وكان الناس في ذلك الزمان اذا نزل بهم بلاء وجهد يطلبون الفرج من الله عز وجل وذلك عند بيته الحرام مكة مؤمنهم وكافرهم وكان يجتمع بمكة ناس كثير مختلفة اديانهم وكلهم معظم لمكة معترف بحرمتها ومكانها من الله عز وجل وكان البيت معروف مكانه من الحرم وكان سكان مكة يومئذ العماليق وانما سموا العماليق لان اباهم كان عمليق بن لاود بن سام بن نوح وكان سيد العماليق يومئذ رجل يقال له معاوية بن بكر وكانت ام معاوية كلهدة بنت الخيبري وهو رجل من عاد فكانت عاد اخوال معاوية سيد العماليق فلما قحطوا عاد وقل عنهم المطر قالوا جهزوا منكم وفدا الى مكة ليستسقوا لكم فانكم قد هلكتم فبعثوا قيل بن عنز ولقيم بن هزال من هزيل وعقيل بن ضد بن عاد الاكبر ومرثد بن سعد بن عفير وكان مسلما يكتم اسلامه وجلهمة بن الخيبري خال معاوية بن بكر سيد العماليق ولقمان بن عاد فانطلق كل رجل من هولاء القوم ومعه جماعة من قومه فبلغ عدده وقد بلغ سبعين رجلا فلما قدموا مكة نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا عن الحرم وانزلهم واكرمهم وكانوا اخواله واصهاره فاقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان وهما قينتان لمعاوية بن بكر فلما راى معاوية بن بكر طول مقامهم عنده وقد بعثهم قومهم يستغيثون لهم من البلاء الذي اصابهم فشق ذلك عليه وقال هلك اخوالي واصهاري وهولاء مقيمون عندي وهم ضيفي نازلون علي والله ما ادري كيف اصنع فاني استحي ان امرهم بالخروج لما بعثوا اليه فيظنون انه ضيق مني بمكانهم عندي وقد هلك من وراءهم من قومهم جهدا وعطشا قال او شكى ذلك من امرهم الى قينتيه الجرادتين فقالتا قل شعرا نغنيهم به ولا يدرون من قاله لعل ذلك ان يحركهم فقال معاوية

الا يا قيل ويحك قم فهينم • لعل الله يمحنا غماما
فيسقي ارض عاد ان عادا • قد امسوا لا يبينون الكلاما
من العطش الشديد فليس نرجو • به الشيخ الكبير ولا الغلاما
وقد كانت نساؤهم بخير • فقد امست نساؤهم ايامى
وان الوحش ياتيهم جهارا • ولا تخشى لعادي سهاما
وانتم هاهنا فيما اشتهيتم • نهاركم وليلكم التماما

فقح

فقبح وفدكم من وفد قوم • ولا لقوا التحية والسلاما

فلما قال معاوية هذا الشعر وغنتهم به الجرادتان وسمع القوم ما غنتا به قال بعضهم لبعض يا قوم انما بعثكم قومكم ليستغيثوا بكم من هذا البلاء الذي نزل بهم وقد ابطأتم عليهم فادخلوا الحرم واستسقوا لقومكم فقال لهم مرثد بن سعد بن عفير انكم والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم وانبتم اليه سقيتم واظهر اسلامه عند ذلك وقال شعرا

عصت عاد رسولهم فامسوا • عطاشا ما تبلهم السما
لهم صنم يقال له صمود • يقابله صدا والهبا
فبصرنا الرسول سبيل رشد • فابصرنا الهدى وجلى العما
وان اله هود هو الهي • على الله التوكل والرجا

زاد في رواية فقال

لقد حكم الاله وليس جورا • وحكم الله اذ غلب الهوا
على عاد وعاد شر قوم • فقد هلكوا وليس لهم بقا
واني لن افارق دين هود • طوال الدهر او ياتي لقا

فقال جلهمة بن الخيبري مجيبا لمرثد بن سعد حين فرغ من مقالته وعرف انه قد اتبع دين هود وامن به فقال شعر

الا يا سعد انك من قبيل • ذوي كرم وامك من ثمود
فانا لا نطيعك ما بقينا • ولسنا فاعلين لما تريد
اتامرنا لنترك دين رفد • ورمل وال صد والعبود
ونترك دين اباء كرام • ذوي راي ونتبع دين هود

ثم قال جلهمة لمعاوية بن بكر وابيه بكر احبسا عنا مرثدا فلا يقدم معنا مكة فانه قد تبع دين هود وترك ديننا ثم خرجوا الى مكة يستسقون بها لعاد فلما ولوا الى مكة خرج يزيد بن سعد من منزل معاوية بن بكر حتى ادركهم بمكة قبل ان يدعوا الله عز وجل بشيء مما خرجوا اليه فلما انتهى اليهم قام يدعو الله وبها وفد يدعون فقال مرثد اللهم اعطني سؤلي وحدي ولا تدخلني فيما يدعو به وفد عاد وقام قيل بن عنز راس وفد عاد يدعو فقال اللهم اعط قيلا ما سالك واجعل سؤلنا مع سؤله وكان قد تخلف عن وفد عاد لقمان ابن عاد وكان سيد عاد حتى اذا فرغوا من دعوتهم قال لقمان فقال اللهم اني جئتك وحدي في حاجتي فاعطني سؤلي وسال طول العمر فعمر عمر سبعة انسر وقال قيل بن عنز حين دعا يا الهنا ان كان هود صادقا فاسقنا فانا قد هلكنا فانشا الله تعالى سحايب ثلاثا بيضا وحمرا وسودا ثم ناداه مناد من السحاب يا قيل اختر لنفسك ولقومك من هذه السحايب فقال قيل اخترت احترزه ما را ومددا لا تبقي من آل عاد احدا وسار السحابة السودا التي اختارها قيل عا فيها من النقمة الى عاد حتى خرجت عليهم من واد لهم يقال له

المغيث فلما راوها استبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا يقول الله عز وجل بل هو ما
استعجلتم به ريح فيها عذاب اليم تدمر كل شي اي كل شي مرت به وكان اول من ابصرها
فيها وعرف انها ريح مهلكة امراة من عاد يقال لها مهدد فلما عرفت ما فيها من العذاب
صاحت ثم صعقت فلما ان افاقت قالوا لها ما ذا رايت قالت رايت الريح فيها كشهب
النار امامها رجال يقودونها فسخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما فلم تدع
من ال عاد احدا الا اهلكته واعتزل هود ومن معه من المومنين في حضيرة ما يصيبه ومن
معه من الريح الا ما تلين عليه الجلود وتلذ بها الانفس وانها في قوتها لتمر بالظعن
من عاد فتحملهم بين السما والارض وتدمغهم بالحجارة وخرج وفد عاد من مكة حتى مروا
بمعاوية بن بكر فنزلوا عليه فبينما هم عنده اذ اقبل اليه رجل على ناقة له في ليلة مقمرة
وذلك مسا ثالثة من مصاب عاد فاخبرهم الخبر فقالوا له فاين فارقت هودا واصحابه
قال فارقتهم بساحل البحر وكانهم شكوا فيما حدثهم به فقالت هزيلة بنت بكر صدق
ورب الكعبة وقال السدي بعث الله تعالى على عاد الريح العقيم فلما دنت منهم نظروا
الى الابل والرجال تطير بهم الريح بين السما والارض فلما راوها تبادروا الى البيوت
فدخلوها واغلقوا الابواب فجاءت الريح ففلقت ابوابهم ودخلت عليهم فاهلكتهم فيها
ثم اخرجتهم من البيوت فلما اهلكتهم ارسل الله عليهم طيرا سودا فنقلتهم الى البحر فالقتهم
فيه وقيل ان الله تعالى امر الريح فامالت عليهم الرمال فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية ايام
يسمع لهم انين تحت الرمل ثم امر الريح فكشفت عنهم الرمل ثم احتملتهم فرمت بهم في
البحر ولم تخرج ريح قط الا بمكيال الا يومئذ فانها عتت على الخزنة فغلبتهم فلم يعلموا
كم كان مكيالها وفي الحديث انها خرجت على مثل حلقة الخاتم وقيل ان مرثد بن سعد
ولقمان بن عاد وقيل بن عثر حين دعوا بمكة قيل لهم قد اعطيتم مناكم فاختاروا لانفسكم
غير انه لا سبيل الى الخلود ولا بد من الموت فقال مرثد اللهم اعطني برا وصدقا فاعطي
ذلك وقال لقمان اللهم اعطني عمرا فقيل له اختر فاختار عمر سبعة انسر فكان ياخذ
الفرخ حين يخرج من البيضة وكان ياخذ الذكر لقوته فيربيه حتى يموت فاذا مات
اخذ غيره فلم يزل يفعل ذلك حتى اتى على السابع وكان كل نسر يعيش ثمانين سنة وكان
السابع من النسور اسمه لبد فلما مات لبد مات لقمان معه واما قيل فانه اختار لنفسه
ما يصيب قومه فقيل له انه الهلاك فقال لا ابالي لا حاجة لي في البقا بعد قومي
فاصابه الذي اصاب عادا فهلك ومن معه من الوفد الذين خرجوا يستسقون
لعاد فان الريح لما خرجوا من الحرم فاهلكتهم جميعا فلما اهلك الله عادا ارتحل هود
ومن معه من المومنين من ارضهم بعد هلاك قومه الى موضع يقال له الشحر من بلاد
اليمن فنزل هنالك ثم ادركه الموت فدفن بارض حضرموت روي عن علي بن ابي طالب
ان قبر هود عليه السلام بحضرموت في كثيب احمر وقال عبد الرحمن بن سابط بين الركن
والمقام وزمزم قبر تسعة وتسعين نبيا وان قبر هود وصالح وشعيب واسماعيل
في تلك البقعة ويروى ان اي نبي من الانبيا اذا اهلك قومه جا هو والصالحون من قومه

معه

معا الى مكة يعبدون الله حتى يموتوا بها قوله عز وجل **والى ثمود اخاهم صالحا** يعني
وارسلنا الى ثمود وهو ثمود بن عامر بن ارم بن سام بن نوح وهو اخو جديس بن كاثر
وكانت مساكن ثمود الحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى وما حوله ومعنى الكلام
والى بني ثمود اخاهم صالحا لان ثمود قبيلة قال عمرو بن العلا سميت ثمود لقلة ماها
والثمد الما القليل وقيل سموا ثمود باسم ابيهم الذي ينتسبون اليه اخاهم صالحا يعني
في النسب لا في الدين وهو صالح بن عبيد بن آسف بن ماشح بن عبيد بن حاذر بن ثمود
قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره يعني قال لهم صالح حين ارسله الله اليهم
يا قوم وحدوا الله ولا تشركوا به شيئا فما لكم من اله يستحق ان يعبد سواه **قد**
جاءتكم بينة من ربكم يعني قد جاءتكم حجة من ربكم وبرهان على صدق ما اقول وادعو
اليه من عبادة الله عز وجل وعلى تصديقي باني رسول الله اليكم ثم فسر تلك البينة
فقال **هذه ناقة الله لكم اية** يعني انها علامة على صدقي قال العلماء ووجه
كون هذه الناقة اية على صدق صالح ومعجزة له خارقة للعادة انها خرجت من
صخرة في الجبل وكونها لا من ذكر ولا من انثى وكمال خلقها من غير حمل ولا تدريج
لانها خلقت في ساعة وخرجت من الصخرة وقيل لانها كان لها شرب يوم ولجميع
قبيلة ثمود شرب يوم وهذا من المعجزة ايضا لان ناقة تشرب ما تشربه قبيلة
معجز وكانوا يحلبونها في يوم شربها قدر ما يكفيهم جميعهم ويقوم مقام الما
وهذا ايضا معجز وقيل ان ساير الوحوش والحيوانات كانت تمتنع من شرب الما في
يوم شرب الناقة وتشرب الحيوانات الما في غير يوم الناقة وهذا ايضا معجز وانما
اضافها الى الله تعالى في قوله هذه ناقة الله على سبيل التفضيل والتشريف كما
يقال بيت الله وقيل لان الله خلقها بغير واسطة ذكر وانثى وقيل لانه لم يملكها
احد الا الله تعالى وقيل لانها كانت حجة الله على قوم صالح **فذروها تاكل في ارض**
الله يعني فذروا الناقة تاكل العشب من ارض الله فان الارض لله والناقة
ايضا لله وليس لكم في ارض الله شي لانه هو الذي انبت فيها العشب **ولا تمسوها**
بسوء يعني ولا تطردوها ولا تقربوها بشي من انواع الاذى ولا تعقروها
فياخذكم عذاب اليم يعني بسبب عقرها واذاها **واذكروا اذ جعلكم خلفا من بعد عاد**
يعني ان الله تعالى اهلك عادا وجعلكم تخلفونهم في الارض وتعمرونها **وبواكم** يعني
واسكنكم وانزلكم **في الارض تتخذون من سهولها قصورا** يعني تبنون القصور من سهولة
الارض لان القصور انما تبنى من اللبن والاجر المتخذ من الطين السهل اللين **وتنحتون**
الجبال بيوتا يعني وتشقون بيوتا من الجبال وقيل كانوا يسكنون السهول
في الصيف والجبال في الشتا وهذا يدل على انهم كانوا متنعمين مترفين **فاذكروا**
الا الله فاذكروا نعمة الله عليكم واشكروه عليها **ولا تعثوا في الارض مفسدين**
قال قتادة معناه ولا تسيروا في الارض مفسدين فيها والعيث اشد الفساد
وقيل اراد به النهي عن عقر الناقة وقيل هو على ظاهره فيدخل فيه النهي عن جميع

انواع الفساد **قال الملأ الذين استكبروا من قومه** يعني قال الاشراف الذين تعظموا
عن الايمان بصالح **للذين استضعفوا** يعني المساكين **لمن امن منهم** يعني قال
الاشراف المتعظمون في انفسهم لاتباعهم الذين امنوا بصالح وهم الضعفا من قومهم
اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه يعني ان الله ارسله الينا واليكم **قالوا انا بما ارسل**
به مؤمنون يعني قال الضعفا انا بما ارسل به صالحا من الدين والهدى والحق مصدقون
قال الذين استكبروا يعني عن امر الله والايمان به وبرسوله صالح **انا بالذي امنتم به**
كافرون اي جاحدون منكرون **فعقروا الناقة** يعني فعقرت ثمود الناقة والعقر
قطع عرقوب البعير ثم جعل النحر عقرا لان ناحر البعير يعقره ثم ينحره **وعتوا عن**
امر ربهم اي تكبروا عن امر ربهم وعصوه والعتو الغلو في الباطل والتكبر عن الحق
والمعنى انهم عصوا الله وتركوا امره في الناقة وكذبوا نبيهم صالحا عليه السلام
وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا يعني من العذاب **ان كنت من المرسلين** يعني ان
كنت كما تزعم انك رسول الله فان الله ينصر رسله على اعدايه وانما قالوا ذلك
لانهم كانوا مكذبين في كل ما اخبرهم به من العذاب فعجل الله لهم ذلك فقال
تعالى **فاخذتهم الرجفة** قال الفرا والزجاج الرجفة الزلزلة الشديدة العظيمة
وقال مجاهد والسدي هي الصيحة فيحتمل انهم اخذتهم الزلزلة من تحتهم والصيحة
من فوقهم حتى هلكوا وهو قوله تعالى **فاصبحوا في دارهم جاثمين** يعني فاصبحوا
في ارضهم وبلدهم جاثمين ولذلك وحد الدار كما يقال دار الحرب اي بلد الحرب ودار
بني فلان يعني موضعهم ومحلهم وجمع في اية اخرى فقال في ديارهم لانه اراد ما لكل
واحد منهم من الديار والمساكن وقوله جاثمين يعني باركين والجثوم للناس والطير
بمنزلة البروك للبعير وجثوم الطير هو وقوعه لاطيا بالارض في حال نومه
وسكونه بالليل والمعنى انهم اصبحوا جاثمين موتى على وجوههم لا يتحركون **فتولى**
عنهم يعني فاعرض عنهم صالح وفي وقت هذا التولي قولان لاحدهما انه تولى
عنهم بعد ان ماتوا وهلكوا ويدل عليه قوله فاصبحوا في دارهم جاثمين فتولى
عنهم والفا للتعقيب فدل على انه حصل هذا التولي بعد جثومهم وهو موتهم والقول
الثاني انه تولى عنهم وهم احيا قبل موتهم وهلاكهم ويدل عليه انه خاطبهم
وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين
وهذا الخطاب لا يليق الا بالاحيا فعلى هذا القول يكون في الاية تقديما وتاخير
تقديره فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن
لا تحبون الناصحين فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين فاجاب اصحاب
القول الاول عن هذا انه خاطبهم بعد هلاكهم وموتهم توبيخا وتقريعا كما خاطب
النبي صلى الله عليه وسلم الكفار من قتلى بدر حين القوا في القليب فجعل يناديهم باسمائهم
الحديث في الصحيح وفيه فقال عمر يا رسول الله كيف تكلم اقواما قد جيفوا فقال
ما انتم باسمع لما اقول منهم ولكن لا يجيبون وقيل انما خاطبهم صالح بذلك ليكون

عبرة

عبرة لمن ياتي من بعدهم فينزجر عن تلك الطريقة التي كانوا عليها وكانت قصة
ثمود على ما ذكره محمد بن اسحاق ووهب بن منبه وغيرهما من اصحاب السير والاخبار قالوا
جميعا ان عادا لما هلكت وانقضى امرها عمرت ثمود بعدها واستخلفوا في الارض فدخلوا
فيها فكثروا وعمروا حتى ان احدهم ليبني المسكن من المدر فينهدم والرجل حي فلما راوا
ذلك اتخذوا من الجبال بيوتا وكانوا في سعة من العيش والرخا فعتوا وافسدوا في
الارض وعبدوا غير الله فبعث الله اليهم صالحا نبيا وكانوا قوما عربا وكان صالح
من اوسطهم نسبا وافضلهم بيتا وحسبا فبعثه الله اليهم وهو غلام فلم يزل يدعوهم
الى الله والى عبادته حتى شمط وكبر فلم يتبعه منهم الا القليل من المستضعفين
فلما الح عليهم صالح بالدعا والتبليغ فاكثر لهم التحذير والتخويف سالوه ان يريهم
اية تكون مصداقا على ما يقول فقال لهم صالح اي اية تريدون فقالوا تخرج معنا
الى عيدنا وكان لهم عيد يخرجون فيه اصنامهم وذلك يوم معلوم من السنة فقالوا
تدعوا الهك وندعوا الهتنا فان استجيب لك اتبعناك وان استجيب لنا اتبعتنا
قال لهم صالح نعم فخرجوا باصنامهم الى عيدهم وخرج صالح معهم فدعوا اوثانهم وسالوها
ان لا يستجاب لصالح في شي مما يدعو به ثم قال لجندع بن عمرو بن جواش وهو يوميذ
سيد ثمود يا صالح اخرج لنا من هذه الصخرة لصخرة منفردة في ناحية الحجر يقال لها
الكاثبة ناقة مخترجة جوفا وبرا عشرا والمخترجة ما شاكلت البخت من الابل فان فعلت
امنا بك وصدقناك فاخذ عليهم صالح مواثيقهم لين فعلت لتصدقني ولتومنن بي
قالوا نعم قال فصلى صالح ركعتين ودعا ربه عز وجل فتمخضت الصخرة كما تتمخض النتوج
بولدها ثم تحركت الهضبة عن ناقة عشرا جوفا وبرا كما سالوا ووصفوا غير انه
لا يعلم ما بين جنبيها الا الله عظما وهم ينظرون اليها ثم نتجت سقبا مثلها في
العظم فامن به جندع بن عمرو ورهط من قومه واراد بقية اشراف ثمود ان يومنوا به
ويصدقوه فنهاهم ذواب بن عمرو بن لبيد والحباب وكانا صاحبا اوثانهم ورباب بن
صمعر وكان كاهنهم وكانوا من اشراف ثمود فلما خرجت الناقة من الصخرة قال لهم صالح
هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم فمكثت الناقة ومعها سقبها في ارض ثمود
ترعى الشجر وتشرب الما وكانت ترد الما غبا فاذا كان يوم ورودها وضعت راسها في
بير في الحجر يقال له بير الناقة فما ترفع راسها حتى تشرب كل ما فيها فلا تدع قطرة
فتتفسح حتى تتفحج لهم فيحلبون ما شاوا من لبن فيشربون ويدخرون حتى يملوا اوانيهم
كلها ثم تصدر الناقة من غير الفج الذي منه وردت ولا تقدر ان تصدر من حيث وردت
حتى اذا كان من الغد كان يوم ثمود فيشربون ما شا الله من الما ويدخرون ما
شاوا ليوم الناقة فهم على ذلك في سعة ودعة وكانت الناقة تصيف اذا كان
الحر بظهر الوادي فتهرب منها مواشيهم الابل والبقر والغنم فتهبط الى
بطن الوادي فتكون في حره وجدبه واذا كان الشتا تشتوا الناقة في بطن
الوادي فتهرب المواشي الى ظهره فتكون في البرد والجدب فاضر ذلك بمواشيهم

للامر الذي يريده الله بهم والبلاء والاختبار فكبر ذلك عليهم وعتوا عن امر ربهم
وحملهم ذلك على عقر الناقة فاجمعوا على عقرها وكانت امراتان من ثمود يقال
لاحدهما عنيزة بنت غنم بن مجلز وتكنى بام غنم وكانت عجوزا مسنة وهي امراة
ذواب بن عمرو وكانت ذات بنات حسان وذات مال من ابل وبقر وغنم والمراة
الاخرى يقال لها صدوف بنت المحيا وكانت جميلة غنية ذات مواش كثيرة وكانتا
من اشد الناس عداوة لصالح عليه السلام وكانتا تحبان عقر الناقة لما اضرت
بمواشيهما فتحيلتا في عقر الناقة فدعت صدوف رجلا من ثمود يقال له الحباب لعقر
الناقة وعرضت عليه نفسها ان هو فعل فابى عليها فدعت ابن عم لها يقال له مصدع
ابن مهرج ابن المحيا وجعلت له نفسها على ان يعقر الناقة وكانت من احسن الناس
وجها واكثرهم مالا فاجابها الى ذلك ودعت عنيزة بن غنم قدار بن سالف وكان
رجلا احمر ازرق قصيرا ويزعمون انه كان ابن زانية ولم يكن لسالف ولكنه ولد على
فراشه فقالت عنيزة لقدار اي بناتي شئت اعطيتك على ان تعقر الناقة وكان قدار
عزيزا منيعا في قومه ق عن عبد الله بن زمعة انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يخطب
وذكر الناقة والذي عقرها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انبعث اشقاها
انبعث لها رجل عزيز عارم منيع في رهطه مثل ابي زمعة قوله انبعث يعني قام
بسرعة والعارم الخبيث الشرير والعرامة الشدة والقوة والشراسة والمنيع
الممتنع ممن اراده قال اصحاب الاخبار فانطلق قدار بن سالف ومصدع بن مهرج
فاستغويا غواة ثمود فاتبعهم سبعة نفر فكانوا تسعة رهط فانطلق قدار
ومصدع واصحابهما فرصدوا الناقة حين صدرت عن الماء وقد كمن لها قدار في اصل
صخرة على طريقها وكمن لها مصدع في اصل صخرة اخرى فمرت على مصدع فرماها
بسهم فانتظم به عضلة ساقها وخرجت ام غنم عنيزة وامرت ابنتها فسفرت عن
وجهها وكانت من احسن الناس وجها ليراها قدار ثم ذمرته يعني حثته
على عقرها واغرته به فشد قدار على الناقة بالسيف فكشف عرقوبها
فخرت ورغت رغاة واحدة فانحدر سقبها من الجبل ثم طعن قدار في لبتها فنحرها
فخرج اهل البلدة فاقتسموا لحمها فلما راى سقبها ذلك انطلق هاربا حتى اتى
جبلا منيعا يقال له صنو وقيل قارة واتى صالح فقيل له ادرك الناقة فقد عقرت
فاقبل وخرج اهل البلد يتلقونه ويعتذرون اليه ويقولون يا نبي الله
انما عقرها فلان ولا ذنب لنا فقال صالح انظروا هل تدركون فصيلها فان
ادركتموه فعسى ان يرفع عنكم العذاب فخرجوا في طلبه فراوه على الجبل فذهبوا
لياخذوه فاوحى الله الى الجبل ان تطاول فتطاول حتى ما تناله الطير وجاء صالح
فلما راه الفصيل بكى حتى سالت دموعه ثم رغى ثلاثا ثم انفجرت الصخرة
فدخلها فقال صالح لكل رغوة اجل يوم تمتعوا في داركم ثلاثة ايام ذلك وعد
غير مكذوب وقال ابن اسحاق تبع السقب اربعة نفر من التسعة الذين عقروا

الناقة وفيهم مصدع بن مهرج واخوه ذواب فرماه مصدع بسهم فاصاب قلبه ثم
جذب فانزله والقوا لحمه مع لحم امه وقال لهم صالح انتهكتم حرمة الله فابشروا
بعذاب الله ونقمته قالوا وهم يهزؤن به ومتى ذلك يا صالح وما اية ذلك وكانوا
يسمون الايام في ذلك الوقت الاحد اول والاثنين اهون والثلاثاء دبار والاربعاء
جبار والخميس مونس والجمعة العروبة والسبت شيار وكانوا عقروا الناقة يوم
الاربعاء فقال لهم صالح حين قالوا ذلك تصبحون غداة يوم مونس ووجوهكم مصفرة
ثم تصبحون يوم العروبة ووجوهكم محمرة ثم تصبحون يوم شيار
ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب يوم اول فلما قال لهم صالح ذلك قال التسعة
الذين عقروا الناقة هلم فلنقتل صالحا فان كان صادقا عجلناه قبلنا وان كان
كاذبا قد الحقناه بناقته فاتوه ليلا ليبيتوه في اهله فدمغتهم الملائكة بالحجارة
فلما ابطؤا على اصحابهم اتوا منزل صالح فوجدوهم قد رضخوا بالحجارة فقالوا لصالح
انت قتلتهم ثم هموا به فقامت عشيرته دونه وقالوا لا تقتلونه ابدا فانه قد
وعدكم ان العذاب نازل بكم بعد ثلث فان كان صادقا لم تزيدوا ربكم الا غضبا
عليكم وان كان كاذبا فانتم من وراء ما تريدون فانصرفوا عنه تلك الليلة فاصبحوا
يوم الخميس ووجوههم مصفرة كانما طليت بالخلوق صغيرهم وكبيرهم ذكرهم وانثاهم
فايقنوا بالعذاب وعرفوا ان صالحا قد صدقهم فيما قال فطلبوه ليقتلوه فهرب
منهم ولحق ببطن من بطون ثمود يقال لهم بنو غنم فنزل على سيدهم واسمه نفيل
ويكنى بابي هدب وهو مشرك فغيبه فلم يقدروا عليه فغدوا الى اصحاب
صالح ليدلوهم عليه فقال رجل من اصحاب صالح يقال له ميدع بن هرم يا نبي الله
انهم يعذبوننا لندلهم عليك افندلهم عليك قال نعم فدلوهم عليه فاتوا ابا هدب فكلموه
في امر صالح فقال عندي وليس لكم اليه سبيل فاعرضوا عنه وتركوه وشغلهم ما
نزل بهم من العذاب فجعل بعضهم يخبر بعضا بما يرون في وجوههم فلما امسوا صاحوا
باجمعهم الا قد مضى يوم من الاجل فلما اصبحوا في اليوم الثاني اذا وجوههم محمرة
كانما خضبت بالدم فصاحوا وضجوا وبكوا وايقنوا انه العذاب فلما امسوا صاحوا
باجمعهم الا قد مضى يومان من الاجل وحضركم العذاب فلما اصبحوا اليوم الثالث
اذا وجوههم مسودة كانما طليت بالقار فصاحوا جميعا الا قد حضركم العذاب فلما
كان ليلة الاحد خرج صالح من بين اظهرهم ومن اسلم معه الى الشام فنزل رملة فلسطين
فلما اصبحوا في اليوم الثالث تكفنوا وتحنطوا والقوا بانفسهم الى الارض يقلبون
ابصارهم الى السماء مرة والى الارض مرة لا يدرون من اين ياتيهم العذاب فلما اشتد
الضحى من يوم الاحد اتتهم صيحة عظيمة من السماء فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شيء
له صوت في الارض فتقطعت قلوبهم في صدورهم فهلكوا جميعا الا جارية مقعدة
يقال لها ذريعة بنت سلف وكانت كافرة شديدة العداوة لصالح فاطلق
الله رجليها بعد ما عاينت العذاب وما اصاب ثمود فخرجت مسرعة حتى اتت وادي

الفزي فاخبرتهم بما عاينت من العذاب الذي بثمود ثم استسقت ما فسقيت
فلما شربت ماتت في الحال وذكر السدي في عقر الناقة وقال اوحى الله عز وجل
الى صالح عليه السلام ان قومك سيعقرون ناقتك فقال لهم ذلك فقالوا ما كنا
نفعل فقال لهم صالح انه سيولد في شهركم غلام يعقرها فيكون هلاككم على يديه فقالوا
لا يولد لنا في الشهر ولد الا قتلناه قال فولد لتسعة في ذلك الشهر اولاد فذبحوهم
ثم ولد للعاشر فولد فابى ان يذبحه لانه كان لم يولد له قبل ذلك ولد وكان الولد
الذي ولد له احمر ازرق فنبت نباتا سريعا فكان اذا مر بالتسعة فراوه
قالوا لو كان ابناونا احياء لكانوا مثل هذا الغلام فغضب التسعة على صالح لانه
كان سبب قتل ابنائهم فتقاسموا بالله يعني فتحالفوا بالله لنبيتنه واهله وقالوا
نخرج فنري الناس انا قد خرجنا الى سفر فنأتي الغار فنكون فيه حتى اذا جاء الليل
وخرج صالح الى مسجده اتيناه فقتلناه ثم نرجع الى الغار فنكون فيه ثم ننصرف
الى رحلنا فنقول ما شهدنا مهلك اهله وانا لصادقون فيصدقونا فيظنوا انا
انا قد خرجنا الى سفر وكان صالح لا ينام معهم في القرية فاذا اصبح اتاهم فيعظهم
ويذكرهم فاذا امسى خرج الى مسجده فيتعبد فيه قال فانطلق تسعة الى الغار
قد خلوا فسقط عليهم فقتلهم فانطلق رجال ممن كان قد اطلع على امرهم لينظروا
ما فعل اولئك النفر فراوهم وهم رضخ فرجعوا الى القرية يصيحون ما رضي صالح
يقتل اولادهم حتى قتلهم فاجتمع اهل القرية على عقر الناقة وقال ابن اسحاق
كان التسعة قد تقاسموا على تبييت صالح بعد عقر الناقة وقال السدي
وعزم لما ولد للعاشر ولد سماه قدارا فكان يشب سريعا فلما كبر جلس مع اناس
يشربون الخمر فارادوا ماء يمزجوا به شرابهم وكان ذلك اليوم يوم شرب
الناقة فوجدوا الماء قد شربته الناقة فاشتد ذلك عليهم وقالوا ما نصنع
نحن بلبن هذه الناقة ولو كنا ناخذ هذا الماء الذي تشربه الناقة فنسقيه
لانعامنا وزروعنا كان خيرا لنا فقال العاشر هل لكم ان اعقرها لكم قالوا
نعم فعقرها **ق** عن ابن عمر قال لما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجر قال
لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم ان يصيبكم ما اصابهم الا ان تكونوا باكين
ثم قنع راسه واسرع السير حتى جاوز الوادي وفي رواية لمسلم لا تدخلوا
عليهم الا المعذبين ثم ذكر مثله ولهما عنه ان الناس نزلوا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم على الحجر ارض ثمود فاستقوا من ابارها وعجنوا به العجين فامرهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان يهريقوا ما استقوه ويعلفوا الابل العجين وامرهم ان يستقوا
من البير التي كانت تردها الناقة وللبخاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما نزل الحجر في غزوة تبوك امرهم ان لا يشربوا من ابارها ولا يستقوا منها فقالوا
قد عجنا واستقينا فامرهم النبي صلى الله عليه وسلم ان يطرحوا ذلك العجين ويهريقوا
الماء في بعض الاحاديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسألوا رسولكم

الايات هولاء قوم صالح سالوا رسولهم فبعث الله الناقة فكانت ترد من هذا الفج
وتصدر من هذا الفج وتشرب ماءهم يوم ورودها واراهم مرتقى الفصيل من القارة
فعتوا عن امر ربهم فعقروها فاهلك الله من تحت اديم السماء منهم في مشارق الارض
ومغاربها الا رجلا واحدا يقال له ابو رغال وهو ابو ثقيف كان في حرم الله فمنعه
حرم الله من عذاب الله فلما خرج اصابه ما اصاب قومه فدفن ودفن معه غصن
من ذهب واراهم قبر ابي رغال فنزل القوم وابتدروه باسيافهم وحفروا عنه
فاستخرجوا ذلك الغصن وكانت الفرقة المؤمنة من قوم صالح اربعة الاف خرج
بهم صالح الى حضرموت فسمي حضرموت ثم بنى الاربعة الاف مدينة فسموها حضرموت
قال قوم من اهل العلم توفي صالح عليه السلام بمكة وهو ابن ثمان وخمسين سنة
واقام في قومه عشرين سنة قوله **ولوطا** يعني وارسلنا لوطا وقيل معناه واذكر
يا محمد لوطا وهو لوط بن هارون بن تارخ وهو ابن اخي ابراهيم وابراهيم عمه **اذ قال**
لقومه يعني اهل سدوم وانهم كان فيها رسل وذلك ان لوطا عليه السلام لما
هاجر مع عمه ابراهيم عليه السلام الى الشام فنزل ابراهيم ارض فلسطين ونزل لوط
الاردن فارسله الله الى ارض سدوم يدعوهم الى الله وينهاهم عن فعلهم القبيح وهو قوله
اتاتون الفاحشة يعني اتفعلون الفعلة الخبيثة التي هي غاية القبح وكانت
فاحشتهم اتيان الذكران في ادبارهم **ما سبقكم بها من احد من العالمين** من
الاولى زايدة لتوكيد النفي وافادة معنى الاستغراق والثانية للتبعيض والمعنى
ما سبقكم بها ايها القوم بهذه الفعلة الفاحشة احد من العالمين قبلكم وفي هذا
الكلام توبيخ لهم وتقريع على فعلهم تلك الفاحشة قال عمرو بن دينار ما نزى ذكر
على ذكر في الدنيا حتى كان قوم لوط **اينكم لتاتون الرجال** يعني في ادبارهم **شهوة**
من دون النساء يعني ادبار الرجال اشهى عندكم من فروج النساء **بل انتم**
يعني ايها القوم **قوم مسرفون** اي تجاوزون الحلال الى الحرام وانما ذمهم وعيرهم
ووبخهم بهذا الفعل الخبيث لان الله تبارك وتعالى خلق الانسان وركب فيه شهوة
النكاح لبقاء النسل وعمران الدنيا وجعل النساء محلا لتلك الشهوة وموضع النسل
فاذا تركهن الانسان وعدل عنهن الى غيرهن من الرجال فكانما قد اسرف وجاوز واعتدى
لانه وضع الشي في غير موضعه الذي خلق له لان ادبار الرجال ليست محلا للولادة
التي هي مقصودة بتلك الشهوة المركبة في الانسان وكانت قصة قوم لوط
على ما ذكره محمد بن اسحاق وغيره من اهل الاخبار والسير انه كانت قرى قوم لوط مخصبة
وثمار وزروع لم يكن في الارض مثلها فقصدهم الناس فاذوهم وضيقوا عليهم فعرض
لهم ابليس في صورة شيخ وقال لهم ان فعلتم بهم كذا وكذا نجوتم منهم فابوا فلما الح
الناس عليهم وقصدوهم فاصابوا غلمانا حسانا صباحا فاخبثوا واستحكم
ذلك فيهم قال الحسن كانوا لا ينكحون الا الغرباء وقيل استحكم ذلك الفعل فيهم
حتى نكح بعضهم بعضا وقال الكلبي ان اول من عمل عمل قوم لوط ابليس وذلك

لان بلادهم اخصبت فقصدها اهل البلدان فتمثل لهم ابليس في صورة شاب
امرد فدعا الى نفسه فكان اول من نكح في دبره فامر الله السما ان تحصبهم والارض
ان تخسف بهم فقوله تعالى **وما كان جواب قومه** يعني وما كان جواب قوم
لوط للوط اذ وبخهم على فعلهم القبيح وركوبهم ما حرم الله تعالى عليهم من العمل
الخبيث **الا ان قالوا** يعني قال بعضهم لبعض **اخرجوهم من قريتكم** يعني اخرجوا
لوطا واتباعه واهل دينه من بلدكم **انهم اناس يتطهرون** يعني انهم يتنزهون
عن فعلكم وعن ادبار الرجال لانه موضع النجاسة ومن تركه فقد تطهر وقيل ان
البعد عن المعاصي والاثام يسمى طهارة فمن تباعد عن المعاصي والاثام فقد تطهر
فلهذا قالوا انهم اناس يتطهرون يعني من فعل المعاصي والاثام **فانجيناه واهله**
يعني فانجينا لوطا ومن امن به واتبعه على دينه وقيل المراد باهله المتصلين به
بسبب النسب والمراد باهله ابنتاه **الا امراته** يعني زوجته **كانت من الغابرين**
يعني كانت من الباقين في العذاب لانها كانت كافرة وقيل معناه كانت من الباقين
المعمرين قد اتى عليها دهر طويل ثم هلكت مع من هلك من قوم لوط وانما قال
من الغابرين ولم يقل من الغابرات لانها هلكت مع الرجال فغلب ذكر الرجال
فقال من الغابرين **وامطرنا عليهم مطرا** يعني حجارة من سجيل قد عجنت بالكبريت
والنار يقال مطرت السما وامطرت وقال ابو عبيدة يقال في العذاب امطر وفي
الرحمة مطر **فانظر كيف كان عاقبة المجرمين** يعني انظر يا محمد كيف كان عاقبة
هولا الذين كذبوا بالله ورسوله وعملوا الفواحش كيف اهلكناهم قال مجاهد
انزل جبريل فادخل جناحه تحت مداين لوط فاقتلعها ورفعها الى السما ثم قلبها
فجعل اعلاها اسفلها ثم اتبعوا بالحجارة وقوله فانظر كيف كان عاقبة المجرمين
وان كان هذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم لكن المراد به غيره من امته ليعتبروا
بما جرى على اوليك فينزجروا بذلك الاعتبار عن الافعال القبيحة والفواحش
الخبيثة قوله عز وجل **والى مدين اخاهم شعيبا** يعني وارسلنا الى مدين
اكثر المفسرين على ان مدين اسم رجل وهو مدين وقيل مدين بن ابراهيم
الخليل عليه السلام فعلى هذا يكون المعنى وارسلنا الى ولد مدين ومدين اسم
للقبيلة كما يقال بنو تميم وبنو عدي وبنو اسد وقيل مدين اسم للما الذي
كانوا عليه وقيل هو اسم للمدينة وعلى هذين القولين يكون المعنى وارسلنا الى
اهل مدين والصحيح هو الاول لقوله اخاهم شعيبا يعني في النسب لا في الدين
وشعيب هو ابن ثويبة بن مدين بن ابراهيم عليه السلام قاله عطا وقال محمد
ابن اسحاق هو شعيب بن ميكيل بن يشجر بن مدين بن ابراهيم عليه السلام وام
ميكيل بن يشجر بن مدين بن ابراهيم عليه السلام وام ميكيل بنت لوط عليه السلام
وقيل هو شعيب بن نيرون بن ثويب بن مدين بن ابراهيم عليه السلام وكان
شعيب اعمى وكان يقال له خطيب الانبيا لحسن مراجعته قومه وكان قومه

اهل كفر وبخس في المكيال والميزان **قال** يعني شعيبا **يا قوم اعبدوا الله**
ما لكم من اله غيره قد جاتكم بينة من ربكم يعني قد جاتكم حجة وبرهان من ربكم بحقيقة
ما اقول وصدق ما ادعي من النبوة والرسالة اليكم لانه لا بد لكل نبي من معجزة
تدل على صدق ما جا به من عند الله غير ان تلك المعجزة التي جات لشعيب لم تذكر
في القران وليست كل ايات الانبيا مذكورة في القران وقيل اراد بالبينة مجي
شعيب بالرسالة اليهم وقيل اراد بالبينة الموعظة وهي قوله **فاوفوا الكيل
والميزان** يعني فاتموا المكيال والميزان واعطوا الناس حقوقهم وهو قوله
ولا تبخسوا الناس اشياءهم يعني لا تظلموا الناس حقوقهم ولا تنقصوهم
اياها فتطففوا الكيل والوزن يقال بخس فلان في الكيل والوزن اذا نقصه
وطففه **ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها** يعني بعد ان اصلحها الله ببعثة
الرسل واقامة العدل وكل نبي يبعث الى قوم فهو صلاحهم **ذلكم** يعني الذي
ذكرت لكم وامرتكم به من الايمان بالله ووفا الكيل والميزان وترك الظلم
والبخس **خير لكم** يعني مما انتم عليه من الكفر وظلم الناس **ان كنتم مومنين**
يعني مصدقين بما اقول **ولا تقعدوا بكل صراط توعدون** يعني ان شعيبا
قال لقومه ولا تقعدوا على كل طريق من الدين والحق تمنعون الناس من الدخول
فيه وتهددونهم على ذلك وذلك انهم كانوا يجلسون على الطرقات ويخوفون
من يريد الايمان بالله وبرسوله شعيب وهو قوله **وتصدون عن سبيل الله
من امن به** يعني وتمنعون من يريد الايمان بالله وتقولون ان شعيبا كذاب
وتخوفونه بالقتل قال ابن عباس كانوا يجلسون على الطريق فيخبرون ان شعيبا
الذي تريدونه كذاب فلا يفتننكم عن دينكم **وتبغونها عوجا** يعني تريدون
اعوجاج الطريق عن الحق وعدولها عن القصد وقيل معناه وتلتمسون لها
الزيغ والهلاك ولا تستقيموا على طريق الهدى والرشاد **واذكروا اذ كنتم
قليلا فكثركم** يعني ان شعيبا عليه السلام ذكرهم نعمة الله عليهم قال الزجاج
يحتمل ذلك ثلاثة اوجه كثر عددكم وكثركم بالغنى بعد الفقر وكثركم بالقوة
بعد الضعف ووجه ذلك انهم اذا كانوا فقرا ضعفا فهم بمنزلة القليل والمعنى انه
كثركم بعد القلة واعزكم بعد الذلة فاشكروا نعمة الله عليكم وامنوا به **وانظروا
كيف كان عاقبة المفسدين** يعني وانظروا واعتبروا بما نزل بمن كان قبلكم
من الامم السالفة والقرون الخالية حتى عتوا عن امر ربهم وعصوا رسله من
العذاب والهلاك واقرب الامم اليكم قوم لوط فانظروا كيف ارسل الله حجارة
من السما بما عصوه وكذبوا رسله **وان كان طايفة منكم امنوا بالذي ارسلت
به وطايفة لم يومنوا** يعني وان اختلفتم في رسالتي فصرتم فرقتين فرقة امنت
وصدقت برسالتي وفرقة كذبت وجحدت رسالتي **فاصبروا** فيه وعيد
وتهديد **حتى يحكم الله بيننا** يعني حتى يقضي ويفصل بيننا فيميز المومنين الصادقين

وبينهم ويهلك المكذبين الجاحدين ويعذبهم **وهو خير الحاكمين** يعني انه حاكم
عادل منزه عن الجور والحيف والميل في حكمه وانما قال خير الحاكمين لانه قد يسمى بعض
الاشخاص حاكما على سبيل المجاز والله تعالى هو الحاكم في الحقيقة فلهذا قال وهو
خير الحاكمين **قال الملأ الذين استكبروا من قومه** يعني قال الجماعة من
اشراف قومه الذين تكبروا عن الايمان بالله وبرسوله وتعظموا عن اتباع شعيب
لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا او لتعودن في ملتنا
يعني ان قوم شعيب اجابوه بان قالوا لابد من احد امرين اما الخروج ومن معك
على دينك من بلدنا او لترجعن الى ديننا وملتنا وما نحن عليه وهذا فيه اشكال
وهو ان شعيبا عليه السلام لم يكن قط على ملتهم حتى يرجع الى ما كان عليه فما معنى
قوله او لتعودن واجيب عن هذا الاشكال بان اتباع شعيب كانوا قبل الايمان
به على ملة اولئك الكفار فخاطبوا شعيبا واتباعه جميعا فدخل هو في الخطاب
وان لم يكن على ملتهم قط وقيل معناه لتصيرن على ملتنا فوقع العود على معنى
الابتداء كما تقول قد عاد علي فلان مكروه بمعنى قد لحقني منه ذلك وان لم يكن
قد سبق منه مكروه فهو كما قال الشاعر

فان تكن الايام احسن مرة • الي فقد عادت لهن ذنوب •

اراد فقد صارت لهن ذنوب ولم يرد ان ذنوبا كانت لهن قبل الاحسان وقوله
تعالى **قال او لو كنا كارهين** يعني لا نعود في ملتكم وان اكرهتمونا واجبرتمونا
على الدخول فيها فلا نقبل ولا ندخل **قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في
ملتكم بعد اذ نجانا الله منها** يعني ان شعيبا اجاب قومه اذ دعوه ومن معه
الى العود الى ملتهم والدخول فيها فقال قد افترينا يعني قد اختلقنا على الله
كذبا ونحن نتقول عليه من القول باطلا ان نحن رجعنا الى ملتكم ووافقناكم فيما
انتم عليه من الملة والدين وقد انقذنا الله وخلصنا منها وبصرنا خطاها
وهذا فيه ايضا من الاشكال مثل ما في الاول وهو ان شعيبا عليه السلام ما كان
في ملتهم قط حتى يقول ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها والجواب عنه مثل ما
اجيب عن الاشكال الاول وهو ان نقول ان الله نجا قومه الذين امنوا به من تلك
الملة الباطلة على ان شعيبا نظم نفسه في جملتهم وان كان بريا مما كانوا عليه من
الكفر فاجرا الكلام على حكم التغليب وقيل معناه نجانا الله منها علمنا قبح ملتكم
وننزل الحق الذي نحن عليه الا ان يشاء الله ربنا يعني الا ان يكون سبق لنا في علم
الله ان نعود فيها فحينئذ يمضي قضاء الله وقدره فينا وينفذ سابق مشيئته علينا وقال
الواحدي معنى العود هنا الابتداء والذي عليه اهل العلم والسنة في هذه الاية
ان شعيبا واصحابه قالوا ما كنا لنرجع الى ملتكم بعد ان وقفنا على انها ضلالة
تكسب دخول النار الا ان يريد الله املاكنا وامورنا راجعة الى الله غير خارجة
عن قبضته يسعد من يشاء ويشقي من يشاء بالمعصية وهذا من شعيب وقومه استسلام

للمشيئة

للمشيئة ولم تزل الانبياء والاكابر يخافون العاقبة وانقلاب الامر الا ترى
الى قول الخليل ابراهيم عليه السلام واجنبني وبني ان نعبد الاصنام وكان نبينا
محمد صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك قال
الزجاج المعنى وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يكون قد سبق في علم الله ومشيئته
ان نعود فيها وتصديق قوله **وسع ربنا كل شيء علما** يعني انه تعالى يعلم
ما يكون قبل ان يكون وما سيكون وانه تعالى كان عالما في الازل بجميع الاشيا
فالسعيد من سعد في علم الله والشقي من شقي في علم الله تعالى **على الله توكلنا**
يعني على الله نعتمد واليه نستند في امورنا كلها فانه الكافي لمن توكل عليه والمعنى
على الله توكلنا لا على غيره فكانه ترك الاسباب ونظر الى مسبب الاسباب **ربنا
افتح بيننا وبين قومنا بالحق** لما ايس شعيب من ايمان قومه دعا بهذا الدعا
فقال ربنا افتح اي اقض وافصل واحكم بيننا وبين قومنا بالحق يعني بالعدل الذي
لا جور فيه ولا ظلم ولا حيف **وانت خير الفاتحين** يعني خير الحاكمين قال
الهروي اي اهل عمان يسمون القاضي الفاتح وقال غيره من اهل اللغة هو لغة مراد
وانشد بعضهم

الا ابلغ بني عصم رسولا • فاني عن فتاحتكم غني •

اراد عني عن حاكمهم وقاضيهم ما كنت ادري ما معنى قوله ربنا افتح بيننا وبين
قومنا بالحق وانت خير الفاتحين حتى سمعت ابنة ذي يزن تقول تعالى افاتحك
يعني اقاضيك وهذا قول قتادة والسدي وابن جرير وجمهور المفسرين
ان الفاتح هو القاضي والحاكم سمي بذلك لانه يفتح اغلاق الاشكال بين الخصوم
ويفصلها وقال الزجاج وجائز ان يكون معناه ربنا اظهر امرنا حتى ينفتح بيننا
وبين قومنا وينكشف والمراد منه ان ينزل عليهم عذابا يدل لهم على كونهم مبطلين وعلى
كون شعيب وقومه محقين وعلى هذا القول فالفتح يراد به الكشف والتمييز
وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون
يعني وقال الجماعة من اشراف قوم شعيب ممن كفر للآخرين منهم لان اتبعتم شعيبا
على دينه وتركتم دينكم وملتكم وما انتم عليه انكم اذا لخاسرون يعني انكم لمغبونون
في فعلكم **فاخذتهم الرجفة** يعني الزلزلة الشديدة **فاصبحوا في دارهم جاثمين**
قال ابن عباس وغيره فتح الله عليهم بابا من جهنم فارسل عليهم حرا شديدا من جهنم
فاخذ بانفاسهم فلا ينفعهم ظل ولا ماء فدخلوا الاسراب ليتبردوا فيها فوجدوها
اشد حرا من الظاهر فخرجوا هربا الى البرية فبعث الله عليهم سحابة فيها ريح
طيبة باردة فاظلتهم وهي الظلة فوجدوا لها بردا ونسيما فنادى بعضهم بعضا
حتى اذا اجتمعوا تحت السحابة رجالهم ونساؤهم وصبيانهم الهبها الله عليهم
نارا ورجفت بهم الارض من تحتهم فاحترقوا كما يحترق الجراد المقلي وصاروا
رمادا وروي ان الله تعالى حبس عنهم الريح سبعة ايام ثم سلط عليهم الحر حتى

هلكوا وقال قتادة بعث الله شعيبًا الى اصحاب الايكة والى اهل مدين فاما اصحاب
الايكة فاهلكوا بالظلة واما اهل مدين فاخذتهم الصيحة صاح بهم جبريل صيحة
هلكوا جميعًا قال عبد الله بن البجلي كان ابو جاد وهوز وحطي وكلمن وسعفص
وقرشات ملوك مدين وكان ملكهم في زمان شعيب يوم الظلة اسمه كلمن فلما
هلك قالت ابنته شعرًا تبكيه وترثيه به

كلمن هد ركني	هلكه وسط المحلة
سيد القوم اتاه	هلكه نار تحت ظله
جعلت نار عليهم	دارهم كالمضمحله

وقوله تعالى **الذين كذبوا شعيبًا كان لم يغنوا فيها** يعني كان لم يقيموا فيها
ولا ينزلوها يومًا من الدهر يقال غنيت بالمقام اي اقمت به والمغاني المنازل
التي كان اهلها واحدها مغنى قال الشاعر

ولقد غنوا فيها بانعم عيشة	في ظل ملك ثابت الاوتاد

اراد فيها اقاموا وقيل في معنى لانه كان لم يعيشوا فيها متنعمين مستغنين
يقال غني الرجل اذا استغنى وهو من الغنى الذي هو ضد الفقر **الذين كذبوا شعيبًا
كانوا هم الخاسرين** يعني خسروا انفسهم بهلاكهم **فتولى عنهم** يعني فاعرض
عنهم شعيب شاخصًا من بين اظهرهم حتى اتاهم العذاب **وقال يا قوم لقد ابلغتكم
رسالات ربي ونصحت لكم** يعني انه قال لهم ذلك لما ايقن نزول العذاب بقومه واختلفوا
هل كان هذا القول قبل نزول العذاب او بعده على قولين سبقا في قصة هود عليه
السلام وقوله تعالى **فكيف اسى** يعني احزن **على قوم كافرين** والاسى اشد
الحزن وانما اشتد حزنه على قومه لانهم كانوا كثيرين وكان يتوقع منهم الاستجابة
والايمان فلما نزل بهم ما نزل من العذاب عزى نفسه فقال كيف احزن على قوم كافرين
لانهم هم الذين اهلكوا انفسهم باصرارهم على الكفر وقيل في معنى الاية ان شعيبًا
قال لقد اعذرت اليكم في الابلاغ والنصيحة والتحذير فلم تسمعوا قولي ولم تقبلوا
نصحي فكيف احزن عليكم يعني لستم مستحقين بان احزن عليكم فعلى القول الاول
انه حصل لشعيب حزن على قومه وعلى القول الثاني لم يحزن عليهم والله اعلم قوله
تعالى **وما ارسلنا في قرية من نبي** فيه اضمار وحذف تقديره فكذبوه **الا اخذنا
اهلها بالباساء والضراء** قال ابن مسعود الباساء الفقر والضراء المرض وهو معنى
قول الزجاج فانه قال الباساء كلما نالهم من الشدة في اموالهم والضراء كلما نالهم من
الامراض وقيل الباساء الشدة وضيق العيش والضراء الضر وسوء الحال **لعلهم
يضرعون** يعني انما فعلنا بهم ذلك لكي يتضرعوا ويتوبوا والتضرع الخضوع
والانقياد لامر الله عز وجل والمراد من هذه الاية ان الله عز وجل لما عرف نبيه
محمدًا صلى الله عليه وسلم احوال الانبياء مع اممهم المكذبة وقص عليه من اخبارهم وعرفه
سنته في الامم الذين خلوا من قبله وما صاروا اليه من الهلاك ونزول العذاب عرفه

في هذه الاية انه قد ارسل رسلا الى امم اخر فكذبوا رسلهم فاخذهم بالباساء والضراء
كما فعل بمن كذب رسله وفيه تخويف وتحذير لكفار قريش وغيرهم من الكفار لينزجروا
عما هم عليه من الكفر والتكذيب ثم بين تعالى انه لا يجري تدبيره في اهل القرى على
نمط واحد وسنة واحدة انما يدبرهم بما يكون الى الايمان اقرب وهو قوله تعالى **ثم
بدلنا مكان السيئة الحسنة** لان ورود النعمة على البدن والمال بعد الشدة والضيق
يستدعي الانقياد للطاعة والاشتغال بالشكر قال اهل اللغة السيئة كلما يسوء
صاحبه والحسنة كلما يستحسنه الطبع والعقل فالسيئة والحسنة هنا الشدة
والرخا والمعنى انه تعالى بدل مكان الباساء والضراء النعمة والسعة والخصب والصحة
في الابدان فاخبر الله تعالى في هذه الاية انه ياخذ اهل المعاصي والكفر تارة بالشدة
وتارة بالرخا على سبيل الاستدراج وهو قوله **حتى عفوا** يعني انه فعل ذلك بهم
حتى كثروا وكثرت اموالهم يقال عفى الشعر اذا كثر وطال قال مجاهد حتى كثرت اموالهم
واولادهم وقالوا يعني من غرتهم وغفلتهم بعد ما صاروا الى الرخا والسعة **قد مس
اباءنا الضراء والسراء** يعني انهم قالوا هكذا عادة الدهر قديمًا وحديثًا لنا ولابائنا
ولم يكن ما مسنا من الشدة والضر عقوبة لنا من الله تعالى على ما نحن عليه فكونوا
على ما انتم عليه كما كان اباؤكم من قبل فانهم لم يتركوا دينهم لما اصابهم من الضراء
والسراء قال الله تعالى **فاخذناهم بغتة** يعني اخذناهم فجاة امن ما كانوا ليكون
اعظم لذلك حسرتهم **وهم لا يشعرون** يعني بنزول العذاب بهم والمراد بذكر هذه
القصة اعتبار من سمعها لينزجر عما هو عليه من العذاب قوله عز وجل **ولو ان اهل
القرى امنوا واتقوا** يعني لما بين الله تعالى في الاية الاولى ان الذين عصوا
وتمردوا اخذهم بعذابه بين في هذه الاية انهم لو امنوا يعني بالله ورسوله واطاعوه
فيما امرهم به واتقوا يعني ما نهى الله عنه وحرمه عليهم **لفتحنا عليهم بركات من
السماء والارض** فبركات السماء المطر وبركات الارض النبات والثمار وجميع
ما فيها من الخيرات والانعام والارزاق والامن والسلامة من الافات وكل ذلك
من فضل الله واحسانه على عباده واصل البركة ثبوت الخير الالهي في الشيء وسمي
المطر بركة السماء لثبوت البركة فيه وكذا ثبوت البركة في نبات الارض لانه نشا
عن بركات السماء وهي المطر وقال البغوي اصل البركة المواظبة على الشيء اي تابعنا
عليهم بالمطر من السماء والنبات من الارض ورفعنا عنهم القحط والجدب **ولكن
كذبوا** يعني فعلنا بهم ذلك ليؤمنوا فما امنوا ولكن كذبوا يعني الرسل **فاخذناهم**
بانواع العذاب **بما كانوا يكسبون** يعني اخذناهم بسبب كسبهم الاعمال
الخبيثة قوله عز وجل **افامن اهل القرى** هو استفهام بمعنى الانكار وفيه
وعيد وتهديد وزجر والمراد بالقرى مكة وما حولها وقيل هو عام في كل اهل
القرى الذين كفروا وكذبوا **ان ياتيهم باسنا** يعني عذابنا **بياتا** يعني ليلا
وهم نائمون اوامن اهل القرى ان ياتيهم باسنا ضحى يعني نهارا الان

العصي صدر النهار وهم يلعبون يعني وهم ساهون لاهون غافلون عما يراد بهم
والمقصود من الاية ان الله خوفهم بنزول العذاب وهم في غاية الغفلة وهو حالة النوم
بالليل وحالة الضحى بالنهار لانه الوقت الذي يغلب على الانسان التشاغل فيه بامور
الدنيا وامور الدنيا كلها لعب ويحتمل ان يكون المراد خوضهم في كفرهم وذلك لعب ايضا
لانه يضر ولا ينفع افامنوا مكر الله يعني استدراجه اياهم بما انعم عليهم من الدنيا
وقيل المراد به اتيانهم عذابه من حيث لا يشعرون وعلى هذا الوجه فيكون يعني التحذير
وسمي هذا العذاب مكرا لنزوله وهم في غفلة عنه لا يشعرون به فلا يامن مكر الله
الا القوم الخاسرون اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها يعني انه لا
يامن ان يكون ما اعطاهم من النعمة مع كفرهم استدراجا الا من خسر في اخراه وهلك
مع الهالكين اولم يهد يعني اولم يبين للذين يرثون الارض من بعد اهلها يعني من
بعد هلاك اهلها الذين كانوا من قبلهم فورثوها عنهم وخلفوهم فيها ان لو نشاء
اصبناهم بذنوبهم يعني لو نشاء لاخذناهم وعاقبناهم بسبب كفرهم ونطبع
اي ونختم على قلوبهم فهم لا يسمعون يعني لا يسمعون موعظة ولا يقبلون الايمان
ونطبع منقطع عما قبله والمعنى ونحن نطبع على قلوبهم ويجوز ان يكون معطوفا على
الماضي ولفظه لفظ المستقبل والمعنى ولو شئنا طبعنا على قلوبهم تلك القرى
يعني هذه القرى التي ذكرنا لك يا محمد امرها وامر اهلها وهي قرى قوم نوح وعاد
وثمود وقوم لوط وقوم شعيب نقص عليك من انبائها يعني نخبرك عنها وعن اخبار
اهلها وما كان من امرهم وامر رسلهم الذين ارسلوا اليهم لتعلم يا محمد انا لننصر رسلنا
والذين امنوا معهم على اعدائنا واعدائهم من اهل الكفر والعناد وكيف اهلكناهم
بكفرهم وبمخالفتهم رسلهم ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتحذير لكفار قريش
ان يصيبهم مثل ما اصابهم ولقد جاءتهم يعني لاهل تلك القرى رسلهم بالبينات
يعني جاءتهم بالمعجزات الباهرات والبراهين الدالة على صدقهم فما كانوا ليؤمنوا بما
كذبوا من قبل اختلف اهل التفسير في معنى ذلك فقيل معناه فما كان هؤلاء المشركون
الذين اهلكناهم من اهل القرى ليؤمنوا عند ارسالنا اليهم رسلهم بما كذبوا من قبل
ذلك وهو يوم اخذ ميثاقهم حين اخرجهم من ظهر ادم عليه السلام فاقروا باللسان
واضمروا التكذيب وهذا معنى قول ابن عباس والسدي قال السدي امنوا كرها
يوم الميثاق وقال مجاهد فما كانوا لو احييناهم بعد هلاكهم ومعاينتهم العذاب ليؤمنوا
بما كذبوا من قبل هلاكهم وقيل معناه ليؤمنوا عند مجيء الرسل بما سبق لهم في علم الله
انهم يكذبون به حين اخرجهم من صلب ادم عليه السلام قال ابي بن كعب كان لسبق لهم
في علمه يوم اقروا له بالميثاق انهم لا يؤمنون وقال الربيع بن انس يحق على العباد ان ياخذوا
من العلم ما ابدى لهم ربهم وان لا يتاولوا علم ما اخفى الله عنهم فان علمه نافذ فيما كان
وفيما يكون وفي ذلك قال تعالى ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا
بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين قال نفذ علمه فيهم ايهم المطيع

من العاصي حيث خلقهم في صلب ادم عليه السلام قال الطبري واولى الاقوال
بالصواب قول ابي بن كعب والربيع بن انس وذلك ان من سبق في علم الله انه لا
يؤمن فلا يؤمن ابدا وقد كان سبق في علم الله لمن هلك من الامم الذين قص
خبرهم في هذه السورة انهم لا يؤمنون ابدا فاخبر عنهم انهم لم يكونوا ليؤمنوا
بما هم به مكذبون في سابق علمه قبل مجيء الرسل عند مجيئهم اليهم كذلك
يطبع الله على قلوب الكافرين يعني كما طبع على قلوب كفار الامم الخالية
واهلكهم كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين الذين كتب عليهم انهم لا يؤمنوا
من قومك وما وجدنا لاكثرهم من عهد يعني وما وجدنا لاكثر الامم الخالية
والقرون الماضية الذين قصصنا خبرهم عليك يا محمد من وفاء بالعهد الذي
عهدناه اليهم واوصيناهم به يوم اخذ الميثاق قال ابن عباس يريد ما اهلك الله
اهل القرى لانهم لم يكونوا حفظوا ما اوصاهم به وان وجدنا اكثرهم لفاسقين
يعني وما وجدنا لاكثرهم الا فاسقين خارجين عن طاعتنا وامرنا قوله عز وجل
ثم بعثنا من بعدهم موسى يعني ثم بعثنا من بعد الانبياء الذين تقدم ذكرهم
وهم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام موسى باياتنا يعني بحججنا
وادلتنا الدالة على صدقه مثل اليد والعصا ونحو ذلك من الايات التي جاء بها موسى
عليه السلام الى فرعون وملائه قيل انه كل من ملك مصر كان يسمى فرعون في ذلك
الزمان مثل ما كان يسمى ملك الفرس كسرى وملك الروم قيصر وملك الحبشة النجاشي
وكان اسم فرعون الذي ارسل اليه موسى عليه السلام الوليد بن مصعب بن الريان
وكان ملك القبط والملا اشراف قومه وانما خصوا بالذكر لانه اذا امن الاشراف
امن الاتباع فظلموا بها يعني فجحدوا بها لان الظلم وضع الشيء في غير موضعه
ولما كانت هذه الايات معجزات ظاهرة قاهرة ثم كفروا بها فوضعوا الكفر موضع
الايمان فانظر كيف كان عاقبة المفسدين اي انظر يا محمد بعين العقل والبصيرة
كيف فعلنا بهم وكيف اهلكناهم وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين
يعني ان موسى لما دخل على فرعون دعاه الى الله والى الايمان بربه وقال له اني رسول
يعني مرسل اليك والى قومك من رب العالمين يعني ان الله الذي خلق الخلق وهو
سيدهم ومالكهم هو الذي ارسلني اليك حقيق اي واجب علي ان لا اقول على
الله الا الحق يعني اني رسول والرسول لا يقول على الله الا الحق في وصفه
وتنزيهه وتوحيده وانه لا اله غيره قد جئتكم ببينة من ربكم يعني ببرهان على
صدق ما ادعي من الرسالة والمراد ببينته معجزته وهي العصا واليد البيضاء
ثم ان موسى عليه السلام لما فرغ من تبليغ رسالته رتب على ذلك الحكم فقال موسى
فارسل معي بني اسرائيل يعني خل عنهم واطلقهم من اسرك وكان فرعون قد استعبد
بني اسرائيل واستعملهم في الاعمال الشاقة مثل ضرب اللبن ونقل التراب ونحو
ذلك من الاعمال الشاقة قال فرعون ان كنت جئت باية فات بها ان كنت

من الصادقين يعني ان فرعون قال لموسى عليه السلام بعد تبليغ الرسالة ان كنت جئت
من عند من ارسلك ببينة تدل على صدقك فأتني بها واحضرها عندي لتصح دعواك
ويثبت صدقك فيما قلت **فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين** اي بين والثعبان
الذكر من الحيات وصفه هنا بانه ثعبان والثعبان من الحيات العظيم الضخم ووصفه
في اية اخرى كانها جان والجان الحية الصغيرة والجمع بين هذين الموضعين بانها كانت
في عظم الجثة كالثعبان العظيم وفي خفة الحركة كالحية الصغيرة وهي الجان قال
ابن عباس والسدي انه لما القى العصى صارت حية عظيمة صفرا شعرا فاغرة فاها
بين لحييها ثمانون ذراعا وارتفعت من الارض بقدر ميل وقامت على ذنبها واضعة
لحيها الاسفل في الارض ولحيها الاعلى سور القصر وتوجهت نحو فرعون لتاخذه
فوثب فرعون عن سريره هاربا واحدث وقيل انه احدث في ذلك اليوم اربعمائة
مرة وقيل انها اخذت قبة فرعون بين انيابها وحملته على الناس فانهزموا
وصاحوا وقتل بعضهم بعضا فمات منهم في ذلك اليوم خمسة وعشرون الفا
ودخل فرعون البيت وصاح يا موسى انشدك بالذي ارسلك ان تاخذها وانا اومن
بك وارسل معك بني اسرائيل فعادت في يده عصا كما كانت وفي كونه ثعبانا مبينا
وجوه الاول انه يبين ويميز ذلك عما عملته السحرة من التمويه والتلبيس وبذلك
تتميز معجزات الانبياء عن تمويه السحرة وتخييلهم الوجه الثاني انهم شاهدوا
العصا قد انقلبت حية ولم يشتبه ذلك عليهم فلذلك قال ثعبان مبين اي بين الوجه
الثالث ان ذلك الثعبان لما كان معجزة لموسى عليه السلام كان ابان صدق قول موسى
في انه رسول من رب العالمين وقوله تعالى **ونزع يده** النزع في اللغة عبارة عن اخراج
الشيء عن مكانه والمعنى انه اخرج يده من جيبه او من تحت جناحه **فاذا هي بيضاء
للناظرين** قال ابن عباس وغيره اخرج يده من جيبه فراها بيضاء من غير سوء يعني
من غير مرض وقيل ان موسى ادخل يده تحت جيبه ثم نزعها منه وقيل اخرج يده
من تحت ابطه فاذا هي بيضاء لها شعاع غلب نور الشمس وكان موسى عليه السلام
اسمر اللون ثم ردها الى جيبه ثم اخرجها فاذا هي كما كانت ولما كان البياض المفرط
عيبا في الجسد وهو البرص قال الله تعالى في اية اخرى بيضاء من غير سوء يعني من
غير مرض والمعنى فاذا هي بيضاء للنظارة ولا تكون بيضاء للنظارة الا اذا كان بياضها
بياضا عجيبا خارجا عن العادة يتعجب منه **فصل** في بيان المعجزة وكونها
دليلا على صدق الرسول اعلم ان الله تبارك وتعالى كان قادرا على خلق المعرفة والايمان
في قلوب عباده ابتداء من غير واسطة ولكن ارسل اليهم رسلا تعرفهم معالم دينه
وجميع تكليفاته وذلك الرسول واسطة بين الله عز وجل وبين عباده يبلغهم كلامه
ويعرفهم احكامه وجائز ان يكون ذلك الواسطة من غير البشر كالملائكة مع الانبياء
وجائز ان تكون الواسطة من جنس البشر كالانبياء مع اممهم ولا مانع لهذا من جهة
العقل واذا جاز هذا في دليل العقل وقد جاءت الرسل عليهم السلام بمعجزات دلت

على

على صدقهم فوجب تصديقهم في جميع ما اتوا به لان المعجز مع التحدي من النبي قائم
مقام قول الله عز وجل صدق عبدي فاطيعوه واتبعوه ولان المعجز الذي شاهد على صدقه
فيما يقوله وسمينا المعجزة معجزة لان الخلق عجزوا عن الاتيان بمثلها وهي على ضربين فضرب
منها على نوع قدرة البشر ولكن عجزوا عنه فتعجيزهم عنه دل على انه من فعل الله
ودل على صدق نبيه صلى الله عليه وسلم كتمني الموت في قوله فتمنوا الموت ان كنتم
صادقين فلما صرفوا عن تمنيه مع قدرتهم عليه علم انه من عند الله ودل على صدق النبي
صلى الله عليه وسلم الضرب الثاني ما هو خارج عن قدرة البشر كاحياء الموتى وقلب
العصا حية واخراج ناقة من صخرة وكلام الشجر والجماد والحيوان ونبع الماء من بين الاصابع
وغير ذلك من المعجزات فالذي يعجز البشر عن مثلها فاذا اتى النبي صلى الله عليه وسلم
بشيء من تلك المعجزات الخارقة للعادات علم ان ذلك من عند الله وان الله عز وجل
هو الذي اظهر ذلك المعجز على يد نبيه ليكون حجة له على صدقه فيما يخبر عنه من الله
عز وجل وقد ثبت بدليل العقل والبرهانات القاطعة ان الله تعالى قادر على خلق الاشياء
وابداعها من غير اصل سبق لها واخراجها من العدم الى الوجود وانه قادر على خلق
الاعيان وخوارق العادات والله اعلم قوله عز وجل **قال الملأ من قوم فرعون
ان هذا** يعني موسى **لساحر عليم** يعنون انه ليأخذ باعين الناس حتى يخيل لهم ان
العصا صارت حية ويرى الشيء بخلاف ما هو عليه كما اراهم يده بيضاء وهو ادم اللون
وانما قالوا ذلك لان السحر كان هو الغالب في ذلك الزمان فلما اتى بما يعجز
عنه غيره قالوا انه لساحر عليم فان قلت قد اخبر الله في هذه السورة ان هذا
الكلام من قول الملأ لفرعون وقال في سورة الشعراء قال فرعون للملأ حوله
ان هذا لساحر عليم فكيف الجمع بينهما قلت لا يمتنع ان يكون قاله فرعون
اولا ثم انهم قالوه بعده فاخبر الله عنهم هنا واخبر عن فرعون في سورة الشعراء
وقيل يحتمل ان فرعون قال هذا القول ثم ان الملأ من قومه وهم خاصته سمعوه
منه ثم انهم بلغوه الى العامة فاخبر الله عز وجل هنا عن الملأ واخبر هناك عن
فرعون وقوله تعالى **يريد ان يخرجكم من ارضكم** يعني يريد موسى ان يخرجكم ايها
القبط من ارض مصر **فماذا تامرون** يعني فاي شيء تشيرون ان نفعل به وقيل
ان قوله فماذا تامرون من قول الملأ كان كلام فرعون تم عند قوله يريد ان
يخرجكم من ارضكم فقال الملأ مجيبين لفرعون فماذا تامرون وانما خاطبوه
بلفظ الجمع وهو واحد على عادة الملوك في التعظيم والتفخيم والمعنى فماذا تامرون
ان نفعل به والقول الاول اصح لسياق الاية التي بعدها وهو قوله تعالى **قالوا
ارجه واخاه** يعني اخر امرهما ولا تعجل فيه فتصير عجلتك عليك لا لك والارجاء
التاخير في اللغة وقيل معنى ارجه احبسه واخاه وهذا القول ضعيف لان الارجاء
في اللغة هو التاخير لا الحبس ولان فرعون ما كان يقدر على حبس موسى بعد ما
راى من امر العصا ما راى **وارسل في المدائن** جمع مدينة واشتقاقها من مدن

بالمكان أي أقام به يعني مدائن صعيد مصر **حاشرين** يعني رجالاً يحشرون إليك من
جميع مدائن الصعيد والمعنى أنهم قالوا لفرعون أرسل إلى هذه المدائن رجالاً لاجل أعوانك
وهم الشرط يحشرون إليك من فيها من السحرة وكان رؤساء السحرة بأقصى مدائن الصعيد
فإن غلبهم موسى صدقناه واتبعناه وإن غلبوه علمنا أنه ساحر فذلك قوله **يأتوك**
يعني الشرط **بكل ساحر** وقرئ سحار والفرق بين الساحر والسحار أن الساحر هو
المبتدي في صناعة السحر فيتعلم ولا يعلم والسحار هو الماهر الذي يتعلم منه السحر
وقيل الساحر من يكون سحره وقتاً دون وقت والسحار الذي يدوم سحره ويعمل
في كل وقت **عليم** يعني ما هو بصناعة السحر وقال ابن عباس وابن إسحاق والسدي
إن فرعون لما رأى من سلطان الله وقدرته في العصا قال إنا لا نقاتل موسى
إلا بمن هو أعلم منه فاتخذ غلماناً من بني إسرائيل وبعث بهم إلى مدينة يقال لها
الغوصا يعلمونهم السحر فعلموهم سحراً كثيراً وواعد فرعون موسى موعداً ثم بعث
إلى السحرة فجاؤوا ومعهم معلمهم فقال فرعون للمعلم ماذا صنعت قال علمتهم سحراً
لا يطيقه سحرة أهل الأرض إلا أن يكون أمراً من السماء فإنه لا طاقة لهم به ثم بعث
فرعون في مملكته فلم يترك ساحراً إلا أتى به واختلفوا في عدد السحرة الذين
جمعهم فرعون فقال مقاتل كانوا اثنين وسبعين اثنان منهم من القبط وهم
رؤساء القوم وسبعون من بني إسرائيل وقال الكلبي كان الذين يعلمونهم رجلين
مجوسيين من أهل نينوى وكانوا سبعين غير رئيسهم وقال كعب الأحبار كانوا
اثني عشر ألفاً وقال محمد بن إسحاق كانوا خمسة عشر ألفاً وقال عكرمة كانوا
سبعين ألفاً وقال محمد بن المنكدر كانوا ثمانين ألفاً وقال السدي كانوا بضعاً
وثمانين ألفاً ويقال لرئيسهم شمعون وقيل يوحنا قوله عز وجل **وجاء
السحرة فرعون** يعني لما اجتمعوا وجاؤوا إلى فرعون **قالوا إن لنا لأجراً** يعني جعلاً
وعطاء تكرمنا به **إن كنا نحن الغالبين** يعني لموسى قال الإمام فخر الدين الرازي
ولقائل أن يقول كان حق الكلام أن يقول وجاء السحرة فرعون فقالوا إن لنا
وجوابه هو على تقدير سائل سأل ما قالوا إذ جاؤوا فأجيب بقوله قالوا إن لنا
لأجراً إن كنا نحن الغالبين **قال نعم** يعني قال لهم فرعون لكم الأجر والعطاء
وإنكم لمن المقربين يعني ولكم المنزلة الرفيعة عندي مع الأجر والمعنى أن فرعون
قال للسحرة إني لا أقتصر لكم على الأجر بل أزيدكم عليه وتلك الزيادة أني أجعلكم
من المقربين عندي قال الكلبي تكونوا أول من يدخل علي وآخر من يخرج من عندي
قالوا يعني السحرة **يا موسى إما أن تلقي** يعني عصاك **وإما أن نكون نحن
الملقين** يعني عصينا وحبالنا وفي هذه الآية دقيقة لطيفة وهي أن السحرة راعوا
مع موسى عليه السلام حسن الأدب حيث قدموه على أنفسهم في الإلقاء لا جرم
إن الله عز وجل عوضهم حيث تأدبوا مع نبيه موسى عليه الصلاة والسلام أن من
عليهم بالإيمان والهداية ولما راعوا الأدب أولاً وأظهروا ما يدل على رغبتهم

في ذلك

في ذلك **قال** يعني قال لهم موسى **ألقوا** يعني أنتم فقدمهم على نفسه في الإلقاء
فإن قلت كيف جاز لموسى أن يأمرهم بالإلقاء وقد علم أنه سحر وفعل السحر كفر
قلت ذكر العلماء فيه أجوبة أحدها أن معناه إن كنتم محقين في فعلكم فألقوا
وإلا فلا تلقوا الجواب الثاني إنما أمرهم بالإلقاء لتظهر معجزته صلى الله عليه وسلم
لأنه إذا لم يلقوا حبالهم وعصيهم لم تظهر معجزة موسى في عصاه الجواب الثالث
أن موسى علم أنهم لا بد أن يلقوا تلك الحبال والعصي وإنما وقع التخيير في التقديم
والتأخير فأذن لهم في التقديم لتظهر معجزته أيضاً بغلبهم لأنه لو ألقى أولاً
لم يكن له غلب وظهور عليهم فلهذا المعنى أمرهم بالإلقاء **فلما ألقوا** حبالهم
وعصيهم **سحروا أعين الناس** يعني صرفوا أعين الناس عن إدراك حقيقة ما فعلوه
من التمويه والتخييل وهذا هو السحر وهذا هو الفرق بين السحر الذي هو فعل
البشر وبين معجزة الأنبياء الذي هو فعل الله وذلك لأن السحر قلب الأعين
وصرفها عن إدراك ذلك الشيء والمعجزة قلب نفس الشيء وحقيقته كقلب عصى
موسى عليه السلام حية تسعى **واسترهبوهم** يعني أرهبوهم وأفزعوهم بما فعلوه
من السحر وهو قوله تعالى **وجاؤوا** يعني السحرة **بسحر عظيم** وذلك أنهم ألقوا
حبالاً غلاظاً وخشباً طوالاً فإذا حيات كأمثال الجبال قد ملأت الوادي يركب
بعضها بعضاً ويقال إنهم طلوا تلك الحبال بالزئبق وجعلوا داخل تلك العصي زئبقاً
أيضاً وألقوها على الأرض فلما أثر حر الشمس فيها تحركت والتوى بعضها على
بعض حتى تخيل للناس أنها حيات ويقال إن الأرض كانت سعتها ميل في ميل
فصارت كلها حيات وأفاعي ففزع الناس من ذلك وأوجس في نفسه خيفة
موسى وهذه الخيفة لم تحصل لموسى عليه السلام لأجل سحرهم لأنه عليه السلام
كان على ثقة ويقين من الله تعالى أنهم لن يغلبوه وهو غالبهم وكان عالماً بأن ما
أتوا به على وجه المعارضة لمعجزته فهو من باب السحر والتخييل وذلك باطل ومع
هذا الجزم يمتنع حصول الخوف لموسى من ذلك بل كان خوفه عليه الصلاة والسلام
لأجل فزع الناس واضطرابهم مما رأوا من تلك الحيات فخاف موسى عليه السلام
أن يتفرقوا قبل ظهور معجزته وحجته فلذلك أوجس في نفسه خيفة موسى قوله
تعالى **وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك** يعني فألقاها **فإذا هي تلقف** أي تبتلع
ما يأفكون يعني ما يكذبون فيه السحرة لأن أصل الإفك قلب الشيء عن وجهه
ومنه قيل للكذاب أفاك لأنه يقلب الكلام عن وجهه الصحيح إلى الباطل قال المفسرون
أوحى الله عز وجل إلى موسى عليه الصلاة والسلام أن لا تخف وألق عصاك فألقاها
فصارت حية عظيمة حتى سدت الأفق قال ابن زيد كان اجتماعهم بالإسكندرية فيقال
بلغ ذنب الحية من وراء البحر ثم فتحت فاها ثمانين ذراعاً فإذا هي تلقف يعني تبتلع
كل شيء أتوا به من السحر فكانت تبتلع حبالهم وعصيهم واحداً واحداً حتى ابتلعت الكل
وقصدت القوم الذين حضروا ذلك المجمع ففزعوا ووقع الزحام عليهم فمات

من ذلك الزحام خمسة وعشرون الفا ثم اخذها موسى فصارت في يده عصا كما كانت
اول مرة فلما راوا السحرة ذلك عرفوا انه من امر السما وليس بسحر وعرفوا ان ذلك
ليس من قدرة البشر وفوقهم فعند ذلك خروا سجدا وقالوا امنا برب العالمين
وذلك قوله تعالى **فوقع الحق** يعني فظهر الحق الذي جاء به موسى **وبطل ما
كانوا يعملون** يعني من السحر وذلك ان السحرة قالوا لو كان ما صنع موسى
سحرا لبقيت حبالنا وعصينا فلما نفدت وتلاشت في عصا موسى علموا ان ذلك
من الله وقدرته **فغلبوا هنالك** يعني فعند ذلك غلب فرعون وسحرته
وجموعه **وانقلبوا صاغرين** يعني ورجعوا ذليلين مقهورين **والقي السحرة
ساجدين** يعني ان السحرة لما عاينوا من عظيم قدرة الله تعالى ما عاينوا وليس في
قدرتهم مقابلته بسحر خروا لله ساجدين وذلك ان الله عز وجل الهمهم معرفته
والايمان به **قالوا امنا برب العالمين** فقال فرعون اياي تعنون قالوا بل
رب موسى وهارون قال مقاتل قال موسى لكبير السحرة تؤمن بي ان غلبتك
فقال لاتين بسحر لا يغلبه سحر ولئن غلبتني لاومنن بك وقيل ان الحبال والعصي
التي كانت مع السحرة كانت حمل ثلثمائة بعير فلما ابتلعها عصا موسى كلها قال بعضهم
لبعض هذا امر خارج عن حد السحر وما هو الا من امر السما فامنوا وصدقوا
فان قلت كان يجب ان ياتوا بالايمان قبل السجود فما فائدة تقديم السجود
على الايمان قلت لما قذف الله عز وجل في قلوبهم الايمان والمعرفة خروا سجدا لله
تعالى شكرا على ما الهمهم اليه والهمهم به من الايمان بالله وتصديق رسوله ثم
اظهروا بعد ذلك ايمانهم وقيل لما راوا من عظيم قدرة الله وسلطانه في امر العصي
وانه ليس بقدر على ذلك احد من البشر وزالت كل شبهة كانت في قلوبهم بادروا الى
السجود لله تعظيما لشانه لما راوا من عظيم قدرته ثم انهم اظهروا الايمان باللسان
قال ابن عباس لما ان عرفت ان ذلك من امر السما وليس بسحر خروا سجدا وقالوا
امنا برب العالمين رب موسى وهارون قوله عز وجل **قال فرعون امنتم به قبل
ان اذن لكم** يعني قال فرعون للسحرة امنتم بموسى وصدقتموه قبل ان امركم واذن لكم
فيه **ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة** يعني ان هذا الصنع الذي صنعتموه
انتم وموسى في مدينة مصر قبل خروجكم الى هذا الموضع وذلك ان فرعون راى موسى
يحدث كبير السحرة فظن فرعون ان موسى وكبير السحرة قد تواطا عليه وعلى اهل
مصر وهو قوله **لتخرجوا منها اهلها** وتسكنوا لو اعليها انتم **فسوف تعلمون**
فيه وعيد وتهديد يعني فسوف تعلمون ما افعل بكم ثم فسر ذلك الوعيد فقال
تعالى **لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف** وهو ان يقطع احدى اليدين واحدى
الرجلين فيخالف بينهما في القطع **ثم لاصلبنكم اجمعين** يعني على شاطي نيل مصر
قال ابن عباس اول من صلب واول من قطع الايدي فرعون **قالوا** يعني مجيبين
لفرعون **انا الى ربنا منقلبون** يعني الى ربنا راجعون واليه صايرون في الاخرة **وما**

نتقم

تنقم منا يعني وما تكره منا وما تطعن علينا وقال عطا معناه وما لنا عندك من
ذنب تعذبنا عليه **الا ان امنا بايات ربنا لما جاءتنا** ثم فزعوا الى الله وسالوه الصبر
على تعذيب فرعون اياهم فقالوا **ربنا افرغ علينا صبرا** اي اصبب علينا صبرا
كاملا تاما ولهذا اتى بلفظ التنكير يعني صبرا واي صبر عظيم **وتوفنا مسلمين**
يعني واقبضنا على دين الاسلام وهو دين خليلك ابراهيم عليه الصلاة والسلام قال
ابن عباس كانوا في اول النهار سحرة وفي اخر النهار شهدا قال الكلبي ان فرعون قطع
ايديهم وارجلهم وصلبهم وقال غيره انه لم يقدر عليهم لقوله تعالى لا يصلون اليكما
بآياتنا انتما ومن اتبعكما الغالبون قوله تعالى **وقال الملا من قوم فرعون اتذر
موسى وقومه** يعني وقال الجماعة من اشراف قوم فرعون لفرعون اتدع موسى
وقومه من بني اسرائيل **ليفسدوا في الارض** يعني ارض مصر واراد بالافساد
فيها انهم يامرونهم بمخالفة فرعون وهو قوله **ويذرك والهتك** يعني وتذره
ليذرك ويذر الهتك فلا يعبدك ولا يعبدها قال ابن عباس كانت لفرعون بقرة
وكان يعبدها وكان اذا راى بقرة حسنة امرهم بعبادتها ولذلك اخرج لهم السامري
عجلا وقال السدي كان فرعون قد اتخذ لقومه اصناما وكان يامرهم بعبادتها
وقال لهم انا ربكم ورب هذه الاصنام وذلك قوله انا ربكم الاعلى والاقرب ان يقال
ان فرعون كان دهريا منكرا لوجود الصانع وكان يقول مدبر هذا العالم السفلي
هو الكواكب فاتخذ اصناما على صورة الكواكب وكان يعبدها ويامر بعبادتها وكان
يقول في نفسه انه هو المطاع والمخدوم في الارض فلهذا قال انا ربكم الاعلى
وقرا ابن مسعود وابن عباس والشعبي والضحاك ويذرك والاهتك بكسر الالف
ومعناه ويذرك وعبادتك لان فرعون كان يعبد ولا يعبد وقيل اراد بالالهة
الشمس والكواكب لانه كان يعبدها قال الشاعر

تزودنا من لكعبا فضرا • فاعجلنا الالهة ان تووبا •

اراد بالالهة الشمس **قال** يعني فرعون مجيبا لقومه حين قالوا له اتذر موسى
وقومه **سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم** يعني نتركهن احيا وذلك ان قوم
فرعون لما اراد واحمل فرعون على قتل موسى وقومه او حبس موسى وانزال
العذاب بقومه ولم يقدر فرعون ان يفعل بموسى عليه السلام شيئا مما ارادوا به
لقوة موسى بما معه من المعجزة عدل الى قومه فقال سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم
وقال ابن عباس كان ترك القتل في بني اسرائيل بعد ما ولد موسى فلما جاءهم موسى
بالرسالة وكان من امره ما كان قال فرعون اعيدوا عليهم القتل فاعادوا القتل
على بني اسرائيل والمعنى ان فرعون قال انما يتقوى موسى بقومه فنحن نسعى في تقليل
عدد قومه بالقتل لتقل شوكته ثم بين فرعون انه قادر على ذلك بقوله
وانا فوقهم قاهرون يعني بالغلبة والقدرة عليهم ولما نزل ببني اسرائيل ما نزل
شكوا الى موسى ما نزل بهم قال موسى لقومه يعني لما شكوا اليه **استعينوا بالله واصبروا**

يعني استعينوا بالله على فرعون وقومه فيما نزل بكم من البلا فان الله هو الكافي
لكم واصبروا على ما نالكم من المكاره في انفسكم وابنايكم **ان الارض** يعني ان ارض مصر
وان كانت الارض كلها لله تعالى **يورثها من يشاء من عباده** وهذا اطماع
في موسى لبني اسرايل ان يهلك فرعون وقومه ويملك بنوا اسرايل ارضهم وبلادهم
بعد اهلاكهم وهو قوله تعالى **والعاقبة للمتقين** يعني ان النصر والظفر للمتقين
على عدوهم وقيل اراد الجنة يعني ان عاقبة المتقين الصابرين الجنة **قالوا اوذينا**
من قبل ان تاتينا ومن بعد ما جيتنا قال ابن عباس لما امنت السحرة تبع موسى ستماية
الف من بني اسرايل والمعنى ان بني اسرايل لما سمعوا ما قال فرعون ووعدهم به من
القتل مرة ثانية قالوا لموسى قد اوذينا من قبل ان تاتينا يعني بالرسالة وذلك
ان بني اسرايل كانوا مستضعفين في يد فرعون وقومه وكان يستعملهم في الاعمال
الشاقة الى نصف النهار فلما جا موسى بالرسالة وجرى له ما جرى شدد فرعون
في استعمالهم فكان يستعمل جميع النهار واعاد القتل عليهم فقالوا اوذينا من بعد
ما جيتنا يعني بالرسالة وظاهر هذا الكلام موهم بان بني اسرايل كرهوا مجيء
موسى بالرسالة وذلك كفر والجواب عن هذا الايهام بان موسى عليه السلام
كان قد وعدهم بزوال ما كانوا فيه من الشدة والمشقة فظنوا ان ذلك يكون على
الفور فلما راوا انه قد زادت الشدة عليهم قالوا اوذينا من قبل ان تاتينا ومن
بعد ما جيتنا فمتى يكون ما وعدتنا به من زوال ما نحن فيه فقال موسى مجيبا لهم
قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم يعني فرعون وقومه **ويستخلفكم في الارض**
يعني ويجعلكم تخلفونهم في ارضهم بعد هلاكهم **فينظر كيف تعملون** يعني فيرى
ربكم كيف تعملون من بعدهم قال الزجاج فيرى ذلك بوقوع ذلك منهم لان الله
تعالى لا يجازيهم بما يعلمه منهم وانما يجازيهم على ما يقع منهم من العمل قوله عز وجل
ولقد اخذنا ال فرعون بالسنين يعني بالجدب والقحط تقول العرب مستهم السنة
بمعنى اخذهم الجدب في السنة ويقال اسنوا كما يقال اجدبوا قال الشاعر
•• ورجال مكة مسنتون عجاف •• ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلها
عليهم سنين كسني يوسف ومعنى الاية ولقد اخذنا ال فرعون بالجدب والقحط
والجوع سنة بعد سنة **ونقص من الثمرات** يعني وتلاف الغلات بالافات
قال قتادة اما السنون فلاهل البوادي واما نقص الثمرات فلاهل الامصار
لعلهم يذكرون يعني لعلهم يتعظون فيرجعوا عما هم فيه من المعاصي وذلك
لان الشدة ترقق القلوب وترغب فيما عند الله عز وجل من الخير ثم بين الله تعالى
انهم عند نزول تلك المحن عليهم والشدة لم يزدادوا الا تمردا وكفرا فقال تعالى
فاذا جاتهم الحسنة يعني الغيث والخصب والسعة والعافية والسلامة
من الافات **قالوا لنا هذه** اي نحن مستحقون لها ونحن اهلها على العادة التي
جرت لنا في سعة الارزاق وصحة الابدان ولم يروا ذلك من فضل الله عليهم فيشكروه

على

على انعامه **وان تصبهم سيئة** يعني القحط والجدب والمرض والبلا وما يكرهون
في انفسهم **يطيروا** يعني يتشاءموا واصله يتطيروا والتطير التشاؤم في قول
جميع المفسرين **بموسى ومن معه** يعني انهم قالوا ما اصابنا بلا الا حين رايناهم
وما ذلك الا لشوم موسى وقومه قال سعيد بن جبير ومحمد بن المنكدر وكان
ملك فرعون اربعماية سنة وعاش ستماية سنة وعشرين لم يروا مكروها قط
ولو كان حصل له في تلك المدة جوع يوم او حمى ليلة او وجع ساعة لما ادعى الربوبية
قط **الا انما طايرهم عند الله** يعني ان ما يصيبهم من الخير والجدب والشر كله من
الله قال ابن عباس طايرهم ما قضى لهم وقدر عليهم من عند الله وفي رواية عنه
شومهم عند الله ومعناه انما جاءهم بكفرهم بالله وقيل الشوم العظيم هو الذي
لهم عند الله من عذاب النار **ولكن اكثرهم لا يعلمون** يعني ان ما اصابهم من الله
تعالى وانما قال اكثرهم لا يعلمون لان اكثر الخلق يضيفون الحوادث الى الاسباب
ولم يضيفونها الى القضا والقدر قوله تعالى **وقالوا** يعني قوم فرعون وهم
القبط لموسى عليه السلام **مهما تاتنا به من اية** يعني من عند ربك فهي عندنا
سحر وهو قولهم **لتسحرنا بها** يعني لتصرفنا عما نحن عليه من الدين **فما نحن**
لك بمومنين يعني بمصدقين وكان موسى عليه السلام رجلا حديدا مستجاب
الدعوة فدعا عليهم فاستجاب دعاه فقال تعالى **فارسلنا عليهم الطوفان** قال
ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة ومحمد بن اسحاق دخل كلام بعضهم في بعض
قالوا لما امنت السحرة رجع فرعون مغلوبا ابى هو وقومه الا الاقامة على الكفر
والتمادي في الشر فتابع الله عز وجل عليهم الايات فاخذهم اولا بالسنين وهو
القحط ونقص الثمرات واراهم قبل ذلك من المعجزات اليد والعصا فلم يومنوا
ودعا عليهم موسى وقال يا رب ان عبدك فرعون علا في الارض وعتا وان قومه
قد نقضوا العهد رب فخذهم بعقوبة تجعلها عليهم نقمة ولقومي عظة ولمن بعدهم
اية وعبرة فبعث الله عليهم الطوفان وهو الما فارسل عليهم المطر من السما وبيوت
بني اسرايل وبيوت القبطة مختلطة مشتبكة فامتلات بيوت القبط حتى قاموا
في الما الى تراقيهم ومن جلس منهم غرق ولم يدخل من ذلك الما في بيوت بني اسرايل
شي وركد الما على ارضهم فلم يقدروا على الحرث ولا يعملوا شيا ودام ذلك الما
عليهم سبعة ايام من السبت الى السبت وقال مجاهد وعطا الطوفان الموت
وقال وهب الطوفان الطاعون بلغة اهل اليمن وقال ابو قلابة الطوفان
الجدري وهو اول من عذب به ثم بقي في الارض وقال مقاتل الطوفان الما طغى
فوق حروثهم فعند ذلك قالوا يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا هذا المطر
فنحن نومن بك ونرسل معك بني اسرايل فدعا موسى عليه السلام ربه فرفع عنهم
الطوفان وانبت لهم تلك السنة شيا لم ينبته قبل ذلك من الكلاء والزرع
والثمر واخصبت بلادهم فقالوا ما كان هذا الما الا نعمة علينا فلم يومنوا

وقاموا شهرا في عافية فبعث الله عليهم الجراد فاكل عامة زروعهم وثمارهم وورق
الشجر حتى اكل الابواب وسقوف البيوت والخشب والثياب والامتعة حتى اكل
مسامير الحديد التي في الابواب وغيرها وابتلي الجراد بالجوع فكان لا يشبع وامتلا
دور القبط ولم يصب بني اسرائيل من ذلك بشي فعجوا وضجوا وقالوا يا موسى ادع
لنا ربك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك واعطوه عهد الله وميثاقه بذلك فدعا
موسى ربه عز وجل فكشف الله عنهم الجراد بعد ما اقام عليهم سبعة ايام من السبت
الى السبت وفي الخبر مكتوب على صدر كل جرادة جند الله الاعظم ويقال ان موسى
عليه السلام خرج الى الفضا فاشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجع الجراد
من حيث جاء وكان قد بقي من زروعهم وثمارهم بقية فقالوا قد بقي لنا ما هو كافينا
فما نحن بتاركي ديننا فلم يومنوا ولم يفوا بما عهدوا عليه وعادوا الى اعمالهم
الخبيثة فاقاموا شهرا في عافية ثم بعث الله عز وجل عليهم القمل واختلفوا فيه
فروي سعيد بن جبير عن ابن عباس ان القمل هو السوس الذي يخرج من الحنطة
وقال مجاهد وقتادة والسدي والكلبي القمل الدبا وهو صغار الجراد الذي
لا اجنحة له وقال ابو عبيدة هو الحمنان وهو ضرب من الجراد وقال عطا الخراساني
هو القمل نفسه وكان الحسن يقرا بفتح القاف وسكون الميم قال اصحاب الاخبار
امر الله موسى عليه السلام ان يمشي الى كثيب رمل اعفر بقرية من قرى مصر
تسمى عين الشمس فمشى موسى الى ذلك الكثيب فضرب بعصاه فانهال عليهم القمل
فتتبع ما بقي من حروثهم وزروعهم وثمارهم فاكلها ولحس الارض وكان يدخل
بين ثوب احدهم وجسده فيعضه فاذا اكل احدهم طعاما امتلا قملا قال سعيد
ابن المسيب القمل السوس الذي يخرج من الحبوب وكان الرجل منهم يخرج بعشرة
اجربة الى الرحا فلا يرد منها ثلاثة اقفزة فلم يصابوا ببلاء كان اشد عليهم من
القمل واخذ اشعارهم وابصارهم وحواجبهم واشفار عيونهم ولزم جلودهم
كانه الجدري عليهم ومنعهم النوم والقرار فصرخوا بموسى انا نتوب فادع لنا ربك
يكشف عنا هذا البلا فدعا موسى فرفع عنهم القمل بعد ما اقام عليهم سبعة ايام
من السبت الى السبت فنكثوا بعد ذلك ورجعوا الى اخبث ما كانوا عليه من الاعمال
الخبيثة وقالوا ما كنا قط احق ان نستيقن انه ساحر منا اليوم ويجعل الرمل
دواب فدعا موسى عليهم بعد ما اقاموا شهرا في عافية فارسل الله عليهم الضفادع
فامتلات منه بيوتهم واقبيتهم واطعمتهم وانيتهم فلا يكشف احد انا الا وجد
فيه الضفادع وكان الرجل منهم يجلس في الضفادع فتبلغ الى حلقه فاذا اراد
ان يتكلم يثب الضفدع فيدخل في فيه وكانت تنش في قدورهم فتفسد عليهم
طعامهم وتطفي نيرانهم وكان احدهم اذا اضطجع ركبته الضفادع حتى يكون عليه
ركاما فلا يستطيع ان ينقلب الى شقه الاخر وكان اذا اراد ان ياكل سبقه
الضفدع الى فيه ولا يعجن احدهم عجينا الا امتلا ضفادع ولا يفتح قدرا الا

امتلا

امتلا ضفادع فلقوا من ذلك بلا شديدا وروى عكرمة عن ابن عباس قال كانت
الضفادع برية فلما ارسلها الله عز وجل على آل فرعون سمعت واطاعت وجعلت
تقذف بانفسها في القدور وهي تغلي وفي التنانير وهي تفور فاثابها
الله عز وجل بحسن طاعتها برد الما فلما راوا ذلك بكوا وشكوا الى موسى ما يلقونه
من الضفادع وقالوا هذه المرة نتوب ولا نعود فاخذ موسى عليهم العهود والمواثيق
ثم دعا الله عز وجل فكشف عنهم الضفادع بعد ما اقامت سبعا من السبت
الى السبت فاقاموا شهرا في عافية ثم نقضوا العهد وعادوا الى كفرهم فدعا
عليهم موسى فارسل الله عز وجل عليهم الدم فسال النيل عليهم دما وصارت
عليهم كلها دما وكل ما استقوا من الابار والانهار وجدوه دما عبيطا فشكوا
ذلك الى فرعون وقالوا ليس لنا شراب الا الدم فقال سحركم فقالوا من اين سحرنا
ونحن لا نجد في اوعيتنا شيا من الما الا دما عبيطا فكان فرعون يجمع بين القبطي
والاسرائيلي في انا واحد فيكون ما يلي الاسرائيلي ما وما يلي القبطي دما ويقومان
الى الجرة فيها الما فيخرج للقبطي دما وللاسرائيلي ما حتى ان المراة من آل فرعون
تاتي المراة من بني اسرائيل حين جهدهم العطش فتقول لها اسقيني من مايك فتصب
لها من قربتها فيصير في الانا دما حتى كانت تقول اجعليه في فيك ثم مجيه
في فيّ فتفعل ذلك فيصير دما ثم ان فرعون اعتراه العطش حتى انه اضطر الى
مضغ الاشجار الرطبة فاذا مضغها صار ماؤها دما فمكثوا على ذلك سبعة ايام
لا يشربون الا الدم وقال زيد بن اسلم ان الدم الذي سلط الله عز وجل عليهم
كان الرعاف فاتوا موسى وشكوا اليه ما يلقون وقالوا ادع لنا ربك يكشف
عنا الدم فنحن نومن لك ونرسل معك بني اسرائيل فدعا موسى ربه فكشف
ذلك عنهم فلم يومنوا فذلك قوله تعالى فارسلنا عليهم الطوفان **والجراد**
والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات يعني يتبع بعضها بعضا وتفصيلها
ان كل عذاب كان يدوم عليهم اسبوعا وبين كل عذابين مدة شهر **فاستكبروا**
يعني عن الايمان فلم يومنوا **وكانوا قوما مجرمين** يعني آل فرعون قوله تعالى
ولما وقع عليهم الرجز يعني ولما نزل بهم العذاب الذي ذكره في الاية المتقدمة
من الطوفان وما بعده وقال سعيد بن جبير الرجز الطاعون وهو العذاب السادس
بعد الايات الخمس التي تقدمت فنزل بهم الطاعون حتى مات منهم في يوم واحد
سبعون الفا فامسوا وهم لا يتدافنون وعن اسامة بن زيد قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الطاعون رجز ارسل على طايفة من بني اسرائيل وعلى من كان
قبلكم فاذا سمعتم به في الارض فلا تقدموا عليه واذا وقع بارض وانتم بها فلا تخرجوا
فرارا منه وقوله تعالى **قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك** يعني بما اوصاك
وقيل عما انباك وقيل بما عهد عندك من اجابة دعوتك **لئن كشفت عنا الرجز**
يعني العذاب الذي وقع بنا **لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل** يعني لنصدقن

بما جئت به ولنخلين بني اسرائيل حتى يذهبوا حيث شاؤا **فلما كشفنا عنهم الرجز**
يعني بدعوة موسى **الى اجل هم بالغوه** يعني الى الوقت الذي اجل لهم وهو وقت اهلاكهم
بالغرق في اليم **اذا هم ينكثون** يعني اذا هم ينقضون العهد الذي التزموه فلم يفوا
به واعلم ان ما ذكر الله من هذه الايات هي معجزات في الحقيقة دالة على صدق
موسى عليه السلام ووجه ذلك ان العذاب كان مختصا بال فرعون دون بني اسرائيل
فاختصاصه بالقبطي دون الاسرائيلي معجز وكون بني اسرائيل في امان منه وعافية
وقوم فرعون في شدة وعذاب وبلاء مع اتحاد المساكن معجز ايضا فان اعترض
معترض وقال ان الله تعالى علم من حال ال فرعون انهم لا يومنون بتلك المعجزات
فما الفائدة في توالها عليهم واظهار الكثير منها فالجواب على مذهب اهل السنة
ان الله تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يسال عما يفعل واما على قول المعتزلة
في رعاية المصلحة فلعله تعالى علم من قوم فرعون ان بعضهم كان يومن بتوالي
تلك المعجزات وظهورها فلهذا التسبب والاها عليهم والله اعلم بمراده قوله
عز وجل **فانتقمنا منهم** يعني كافيناهم عقوبة لهم على سوء صنيعهم واصل الانتقام
في اللغة سلب النعمة بالعذاب **فاغرقناهم في اليم** والمعنى انه تعالى لما كشف
عنهم العذاب مرات فلم يومنوا ولم يرجعوا عن كفرهم فلما بلغوا الاجل الذي
اجلهم انتقم منهم بان اهلكهم بالغرق فذلك قوله فاغرقناهم في اليم يعني
البحر واليم الذي لا يدرك قعره وقيل هو لجة البحر ومعظم مايه قال الازهري
اليم معروف لغة سريانية عربته العرب ويقع اسم اليم على البحر الملح والبحر
العذب ويدل على ذلك قوله تعالى فاقذفيه في اليم والمراد به نيل مصر وهو
عذب **بانهم كذبوا باياتنا** يعني اهلكناهم واغرقناهم بسبب انهم كذبوا باياتنا
الدالة على وحدانيتنا وصدق نبينا **وكانوا عنها** يعني اياتنا **غافلين** يعني
معرضين وقيل كانوا عن حلول النعمة بهم غافلين ولما كان الاعراض عن الايات
وعدم الالتفات اليها كالغفلة عنها سموا غافلين تجوزا لان الغفلة ليست
فعل الانسان قوله تعالى **واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون** يعني
ومكنا القوم الذين كانوا يقهرون ويغلبون على انفسهم وهم ان فرعون وقومه
كانوا قد تسلطوا على بني اسرائيل فقتلوا ابنائهم واستخدموهم فصاروا مستضعفين
تحت ايديهم **مشارق الارض ومغاربها** يعني ارض الشام ومصر واراد بمشارقها
ومغاربها جميع جهاتها ونواحيها وقيل اراد بمشارق الارض ومغاربها الارض
المقدسة وهو بيت المقدس وما يليه من المشرق والمغرب وقيل اراد جميع جهات
الارض وقوله تعالى **التي باركنا فيها** يدل على انها الارض المقدسة يعني باركنا
فيها بالثمار والاشجار والزروع والخصب والسعة **وتمت كلمة ربك الحسنى على**
على بني اسرائيل يعني وفت كلمة الله وهي وعدهم بالنصر على عدوهم والتمكين في
الارض من بعدهم وقيل كلمة الله في قوله ونريد ان نمن على الذين استضعفوا

في الارض الاية والحسنى صفة للكلمة وهي تانيث الاحسن واتمامها انجاز ما وعدهم به
من تمكينهم في الارض واهلاك عدوهم **بما صبروا** يعني بما حصل لهم ذلك التمام وهو
ما انعم الله به عليهم من انجاز وعده لهم بسبب صبرهم على دينه واذى فرعون لهم
ودمرنا يعني واهلكنا والدمار الهلاك باستيصال **ما كان يصنع فرعون**
وقومه في ارض مصر من العمارات والبنيان **وما كانوا يعرشون** يعني يسقفون
من ذلك البنيان وقال مجاهد وما كانوا يبنون من البيوت والقصور وقال
الحسن وما كانوا يعرشون من الثمار والاعناب قوله عز وجل **وجاوزنا ببني اسرائيل**
البحر يعني وقطعنا ببني اسرائيل البحر بعد اهلاك فرعون وقومه واغراقهم فيه
يقال جاوز الوادي وجاوزه اذا قطعه وخلفه وراءه وقال الكلبي عبر موسى البحر
يوم عاشورا بعد مهلك فرعون وقومه فصامه شكرا لله عز وجل **فاتوا على قوم**
يعكفون على اصنام لهم يعني فمر بنو اسرائيل بعد مجاوزة البحر على قوم يعكفون
اي يقيمون ويواظبون على اصنام لهم يعني تماثيل لهم يعبدونها من دون الله قال
ابن جريج كانت تلك الاصنام تماثيل بقر وذلك اول شان العجل قال قتادة كان اوليك
القوم من لخم وكانوا نزولا بالرقة يعني بريفه ساحل البحر وقيل كان اوليك الاقوام
من الكنعانيين الذين امر موسى عليه السلام بقتالهم **قالوا** يعني قال بنو اسرائيل
لموسى لما راوا ذلك التماثيل **يا موسى اجعل لنا الها** يعني تمثالا نعبده ونعظمه
كما لهم الهة يعني كما لهم اصنام يعبدونها ويعظمونها فاجعل لنا انت الها نعبده ونعظمه
قال البغوي ولم يكن ذلك شكا من بني اسرائيل في وحدانية الله تعالى وانما معناه
اجعل لنا شيا نعظمه ونتقرب بتعظيمه الى الله تعالى وظنوا ان ذلك لا يضر الديانة
وكان ذلك لشدة جهلهم وقال غيره هذه تدل على غاية جهل بني اسرائيل وذلك انهم
توهموا انه يجوز عبادة غير الله بعد ما راوا الايات الدالة على وحدانية الله
تعالى وكمال قدرته وهي الايات التي توالت على قوم فرعون حتى اغرقهم الله في
البحر بكفرهم وعبادتهم غير الله فحملهم جهلهم على ان قالوا لنبيهم موسى عليه السلام
اجعل لنا الها كما لهم الهة فرد موسى عليه السلام عليهم بقوله **قال انكم قوم**
تجهلون عظمة الله وانه لا يستحق ان يعبد سواه لانه هو الذي نجاكم من فرعون
وقومه فاغرقهم في البحر وانجاكم منه عن ابي واقد الليثي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما خرج الى غزوة حنين مر بشجرة للمشركين كانوا يعلقون عليها اسلحتهم يقال لها
ذات انواط فقالوا يا رسول الله اجعل لنا ذات انواط كما لهم ذات انواط فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله هذا كما قال قوم موسى اجعل لنا الها كما لهم
الهة والذي نفسي بيده لتركبن سنن من كان قبلكم اخرجه الترمذي وقوله تعالى
ان هولاء متبر ما هم فيه اي مهلك والتتبير الهلاك **وباطل ما كانوا يعملون**
البطلان عبارة عن عدم الشي اما بعدم ذاته او بعدم فايدته ونفعه والمراد من
بطلان عملهم انه لا يعود عليهم من ذلك العمل نفع ولا يدفع عنهم ضر لانه عمل لغير الله

فكان باطلا لا ينفع فيه **قال اغير الله ابغيكم الها** لما قال بنو اسرائيل اجعل لنا الها كما لهم
الهة حكم عليهم بالجهل له وقال مجيبا لهم على سبيل التعجب والانكار عليهم اغير الله
ابغيكم الها يعني اطلب لكم وابغي لكم الها **وهو فضلكم على العالمين** والمعنى ان الاله
ليس هو شيا يطلب ويلتمس ويتخير بل الاله هو الله الذي فضلكم على العالمين
لانه القادر على الانعام والافضال فهذا هو الذي يستحق ان يعبد ويطاع لا عبادة
غيره ومعنى قوله وفضلكم على العالمين يعني على عالمي زمانكم وقيل فضلهم بما خصهم
من الايات الباهرة التي لم تحصل لغيرهم وان كان غيرهم افضل منهم قوله عز وجل
**واذ انجيناكم من ال فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون ابناءكم ويستحيون
نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم** هذه الاية تقدم تفسيرها في سورة البقرة والفائدة
في ذكرها في هذا الموضع انه تعالى هو الذي انعم عليكم بهذه النعم العظيمة فكيف
يليق بكم الاشتغال بعبادة غيره حتى تقولوا اجعل لنا الها كما لهم الهة قوله عز
وجل **وواعدنا موسى ثلاثين ليلة** يعني وواعدنا موسى لمناجاتنا ثلاثين
ليلة وهي ذو القعدة **واتممناها بعشر** يعني عشر ذي الحجة وهذا قول ابن عباس
ومجاهد قال المفسرون ان موسى عليه السلام وعد بني اسرائيل اذا اهلك الله عدوهم
فرعون ان ياتيهم بكتاب من عند الله عز وجل فيه بيان ما ياتون وما يذرون
فلما هلك فرعون سال موسى ربه عز وجل ان ينزل عليهم الكتاب الذي وعدهم به
اسرائيل فامره ان يصوم ثلاثين يوما فصامها فلما تمت انكر خلوف فمه فتسوك
بعود خرنوب وقيل بل كان من ورق الشجر فقالت الملائكة كنا نشم من فيك رائحة
المسك فافسدته بالسواك فامره الله ان يصوم عشر ذي الحجة وقال اما
علمت ان خلوف فم الصائم اطيب عندي من ريح المسك فكانت فتنة بني اسرائيل
في تلك العشر التي زادها الله لموسى وقيل ان الله تعالى امر موسى عليه السلام
ان يصوم ثلاثين يوما ويعمل فيها ما يتقرب به الى الله ثم كلمه واعطاه الالواح
في العشر التي زاده فلهذا قال واتممناها بعشر وهذا التفصيل الذي ذكره هنا
هو تفصيل ما اجمله في سورة البقرة وهو قوله تعالى واذ وعدنا موسى اربعين ليلة
فذكر هنا التفصيل للاجمال وذكره هناك على التفصيل وقوله تعالى **فتم ميقات ربه
اربعين ليلة** يعني فتم الوقت الذي قدره الله لصوم موسى وعبادته اربعين
ليلة لان الميقات هو الوقت الذي قدر ان يعمل فيه عمل من الاعمال ولهذا قيل
مواقيت الحج **وقال موسى لاخيه هارون اخلفني في قومي** يعني كن انت خليفتي فيهم من
بعدي حتى ارجع اليك **واصلح** يعني واصلح امور بني اسرائيل واحملهم على عبادة الله تعالى
وقال ابن عباس يريد الرفق بهم والاحسان اليهم **ولا تتبع سبيل المفسدين**
يعني ولا تسلك طريق المفسدين في الارض ولا تطعهم والمقصود من هذا الامر التاكيد
لان هارون عليه السلام لم يكن ممن يتبع سبيل المفسدين فهو كقوله ولكن ليطمئن
قلبي وكقولك للقاعد اقعد يعني دم على ما انت عليه من القعود **ولما جاء موسى**

لميقاتنا

لميقاتنا يعني للوقت الذي وقتناه ان ياتي فيه لميقاتنا وهو قوله **وكلمه ربه**
وفي الاية دليل على ان الله عز وجل كلم موسى عليه السلام واختلف الناس في كلام الله
تعالى فقال الزمخشري كلمه ربه من غير واسطة كما يكلم الملك وتكليمه ان يخلق
الكلام منطوقا به في بعض الاجرام كما خلقه مخطوطا في الالواح هذا كلامه وهذا
مذهب المعتزلة ولا شك في بطلانه وفساده لان الشجرة
وذلك الجرم لا يقول انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني واقم الصلاة لذكري
فثبت بذلك بطلان ما قالوه وذهبت الحنابلة ومن وافقهم الى ان كلام الله
حروف واصوات متقطعة وانه قديم وذهب جمهور المتكلمين الى ان كلام الله تعالى
صفة مغايرة لهذه الحروف والاصوات وتلك الصفة قديمة ازلية والقائلون
بهذا القول قالوا ان موسى عليه السلام سمع تلك الصفة الازلية الحقيقية قالوا
كما انه لا يتعذر رؤية ذاته وليست جسما ولا عرضا كذلك لا يبعد سماع كلامه مع ان
كلامه ليس بصوت ولا حرف ومذهب اهل السنة وجمهور العلماء من السلف والخلف
ان الله تعالى متكلم بكلام قديم وسكتوا عن الخوض في تاويله وحقيقته قال اهل
التفسير والاخبار لما جاء موسى عليه السلام لميقات ربه تطهر وطهر ثيابه وصام
ثم اتى طور سيناء وفي القصة ان الله تعالى انزل ظلمة تغشت الجبل على اربع فراسخ
من كل ناحية وطرد عنه الشيطان وهوام الارض ونحى عنه الملكين وكشط
له السماء فراى الملائكة قياما في الهواء وراى العرش بارزا وادناه ربه حتى
سمع صريف القلم على الالواح وكلمه الله تبارك وتعالى وناجاه واسمعه كلامه
وكان جبريل عليه السلام معه فلم يسمع من كلام الله تعالى به موسى فاستحلى كلام
ربه عز وجل واشتاق الى رؤيته **قال رب ارني انظر اليك** قال الزجاج فيه اختصار
تقديره ارني نفسك انظر اليك وقال ابن عباس معناه اعطني النظر اليك وانما سال
موسى عليه السلام الرؤية مع علمه بان الله تعالى لا يرى في الدنيا لما هاج به الشوق
وفاض عليه من انوار الجلال واستغرق في بحر المحبة فعند ذلك سال الرؤية وقيل
انما سال الرؤية ظنا منه بانه تعالى يرى في الدنيا **قال** الله تعالى **لن تراني**
يعني انه ليس لبشر ان يطيق في الدنيا ولا يطيق النظر الي في الدنيا ومن نظر الي في
الدنيا مات فقال موسى يا رب الهي سمعت كلامك فاشتقت الى النظر اليك ولان
انظر اليك ثم اموت احب الي من ان اعيش ولا اراك وقال السدي لما كلم الله
موسى عليه السلام غاص عدو الله ابليس الخبيث في الارض حتى يخرج من بين قدمي موسى
فوسوس اليه ان مكلمك شيطان فعند ذلك سال موسى الرؤية فقال رب ارني
انظر اليك قال يعني قال الله تبارك وتعالى لموسى لن تراني **فصل**
وقد تمسك من نفى الرؤية من اهل البدع والخوارج والمعتزلة وبعض المرجئة
بظاهر هذه الاية وقوله تعالى لن تراني قالوا ولن تكون للتابيد والدوام ولا
حجة لهم في ذلك ولا دليل ولا يشهد لهم بذلك كتاب ولا سنة وما قالوه في ان لن

للنا بيد خطابين ودعوى اهل اللغة اى لبس يشهد لما قالوه نص عن اهل اللغة
والعربية ولم ينقل به احد ويدل على صحة ذلك قوله تعالى في صحة اليهود ولن يتمنوه
ابدا مع انهم يتمنون الموت يوم القيامة يدل عليه قوله ونادوا يا مالك ليقض علينا
ربك وقوله يا ليتها كانت القاضية فان قالوا ان لن معناها تاكيدا لنفى كلا التي
تنفى في المستقبل قلنا ان صح هذا التاويل فيكون معنى لن تراني محمولا على الدنيا
اي لن تراني في الدنيا جمعا بين دلايل الكتاب والسنة فانه قد ثبت في الحديث
الصحيح ان المومنين يرون ربهم عز وجل يوم القيامة في الدار الاخرة وايضا
فان موسى عليه السلام كان عارفا بالله وبما يجب ويجوز ويمتنع على الله عز وجل
وفي الاية دليل على انه سال الروية ولو كان الروية ممتنعة عن الله لما سالها
موسى وحيث سالها علمنا ان الروية جايزة على الله عز وجل وايضا فان الله تعالى
علق رويته على امر جايز والمعلق على الجايز جايز فيلزم من ذلك كون الروية
في نفسها جايزة وانما قلنا ذلك لانه تعالى علق رويته على استقرار الجبل وهو قوله
تعالى **ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني** امر جايز الوجود
في نفسه واذا كان كذلك ثبت ان رويته جايزة الوجود لان استقرار الجبل غير مستحيل
عند التجلي اذا جعل الله تعالى له قوة على ذلك والمعلق بما لا يستحيل لا يكون محالا
والله اعلم بمراده قال وهب ومحمد بن اسحاق لما سال موسى عليه السلام ربه
عز وجل الروية ارسل الله الضباب والصواعق والرعد والبرق والظلمة حتى
احاطت بالجبل الذي عليه موسى عليه السلام اربع فراسخ من كل جانب وامر الله
السموات ان يتعرضوا لموسى عليه السلام حرف به ملايكة السما الدنيا كثيران
البقر تنبع افواههم بالتسبيح والتقديس باصوات عظيمة كصوت الرعد الشديد
فقال موسى رب اني كنت عن هذا غنيا ثم امر الله تعالى ملايكة السما الثانية ان
اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه فهبطوا عليه مثال الاسود لهم لجب بالتسبيح
والتقديس ففزع العبد الضعيف موسى بن عمران بما راى وسمع واقشعرت كل
شعرة في راسه وبدنه ثم قال لقد ندمت على مسالتي فهل ينجيني من مكاني
الذي انا فيه شي فقال له خير الملايكة وراسهم يا موسى اصبر لما سالت فقليل
من كثير ما رايت ثم امر الله ملايكة السما الثالثة ان اهبطوا على موسى فاعترضوا
عليه فهبطوا عليه مثل النسور لهم قصف ورجف ولجب شديد وافواههم تنبع
بالتسبيح والتقديس لهم جلبة كجلب الجيش العظيم الوانهم كلهب النار ففزع موسى
واشتد فزعه وايس من الحياة فقال له خير الملايكة وراسهم مكانك يا ابن عمران
حتى ترى ما لا صبر لك عليه ثم امر الله ملايكة السما الرابعة ان اهبطوا على موسى
فاعترضوا عليه فهبطوا عليه لا يشبههم شي من الذين مروا قبلهم الوانهم كلهب
النار وساير خلقهم كالثلج الابيض اصواتهم عالية بالتسبيح والتقديس لا يقاربهم
شي من اصوات الذين مروا قبلهم فاصطكت ركبتاه وارعد قلبه واشتد بكاوه

فقال له

فقال له خير الملايكة ورييسهم يا ابن عمران اصبر لما سالت فقليل من كثير ما رايت
ثم امر الله تعالى ملايكة السما الخامسة ان اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه سبعة
الوان فلم يستطع موسى ان يتبعهم بصره ولم ير مثلهم ولم يسمع مثل اصواتهم فامتلا
جوفه خوفا واشتد حزنه واشتد بكاوه فقال خير الملايكة وراسهم يا ابن عمران
مكانك حتى ترى ما لا تصبر عليه ثم امر الله تعالى ملايكة السما السادسة ان اهبطوا
على موسى فهبطوا عليه وفي يد كل واحد منهم مثل النخلة العظيمة الطويلة نار
اشد من ضوء الشمس ولباسهم كلهب النار اذا سبحوا وقدسوا جاوبهم من كان قبلهم
من الملايكة كلهم يقولون بشدة اصواتهم سبوح قدوس رب العزة ابدا لا يموت
في راس كل ملك منهم اربعة اوجه فلما راهم موسى رفع صوته يسبح معهم وهو يبكي
ويقول يا رب اذكرني ولا تنس عبدك فلا ادري انقلب مما انا فيه ام لا ان خرجت
احترقت وان قمت مت فقال له كبير الملايكة وراسهم قد اوشكت يا ابن عمران
ان يشتد خوفك وينخلع قلبك اصبر للذي سالت ثم امر الله ان يحمل عرشه في
ملايكة السما السابعة فلما بدا نور العرش انصدع الجبل من عظمة الرب سبحانه
وتعالى ورفعت الملايكة اصواتهم جميعا يقولون سبحان الملك القدوس رب العزة
ابدا لا يموت فارتج الجبل لشدة اصواتهم واندك كل شجرة كانت فيه وخر العبد
الضعيف موسى صعقا على وجهه ليس معه روحه فارسل الله تعالى برحمته الروح
فتغشته وقلب عليه الحجر الذي كان جلس عليه موسى فصار عليه كهيئة القبة
لئلا يحترق موسى واقامته الروح عليه مثل السلامي فلما افاق موسى قام يسبح
ويقول امنت بك ربي وصدقت انه لا يراك احد فيحيى ومن نظر الى ملايكتك انخلع
قلبه فما اعظمك واعظم ملايكتك انت رب الارباب ورب الملوك واله العظيم
الذي لا يعدله شي ولا يقوم له شي رب تبت لك لبيك لك الحمد لا شريك لك ما
اعظمك وما اجلك يا رب العالمين فذلك قوله تعالى **فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا**
قال ابن عباس ظهر نور ربه للجبل فصار ترابا واسم الجبل زبير وقال الضحاك اظهر
الله عز وجل من نور الحجب مثل منخر الثور وقال عبد الله بن سلام وكعب الاحبار ما
تجلى للجبل من عظمة الله تعالى الا مثل سم الخياط حتى صار دكا وقال السدي ما تجلى
الا مثل قدر الخنصر يدل عليه ما روي عن ثابت عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم
قرا هذه الاية وقال هكذا ووضع الابهام على المفصل الاعلى من الخنصر فساخ
الجبل ذكره البغوي هكذا بغير سند واخرجه الترمذي ايضا عن انس ان النبي
صلى الله عليه وسلم قرا هذه الاية فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا قال حماد هكذا وامسك
سليمان بطرف ابهامه على انملة اصبعه اليمنى فساخ الجبل وخر موسى صعقا قال
الترمذي حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه الا من حديث حماد بن سلمة وروي
عن سهل بن سعد الساعدي ان الله اظهر من سبعين الف حجاب نورا قدر الدرهم
فجعل الجبل دكا يعني مستويا بالارض وقال ابن عباس جعله ترابا وقال سفيان ساخ

الجبل حتى وقع في البحر فهو يضطرب فيه وقال عطية العوفي صار رملا هايلا وقال
الكلبي جعله دكا يعني كسرا جبالا صغارا وقيل انه صار لعظمة الله تعالى ستة جبل
فوقع ثلاث بالمدينة وهي احد وورقان ورضوى ووقع ثلاثة بمكة وهي ثور وثبير
وحرى وقوله تعالى **وخر موسى صعقا** قال ابن عباس والحسن يعني مغشيا عليه
وقال قتادة يعني ميتا والاول اصح لقوله تعالى **فلما افاق** والميت لا افاقة له انما
يقال افاق من غشيته قال الكلبي صعق موسى يوم الخميس وهو يوم عرفة واعطي التوراة
يوم الجمعة يوم النحر وقال الواقدي لما خر موسى صعقا قالت ملائكة السموات ما لابن
عمران وسؤال الرؤية وفي بعض الكتب ان ملائكة السموات اتوا موسى وهو في
غشيته فجعلوا يركلونه ويقولون يا ابن النسا الحيض اطمعت في رؤية رب العزة
فلما افاق يعني من غشيته ورجع عقله اليه وعرف انه سال امرا عظيما لا ينبغي له **قال
سبحانك** يعني تنزيها لك من النقايص كلها **تبت اليك** يعني بعد مسيلتي الرؤية
بغير اذنك وقيل من سوال الرؤية في الدنيا وقيل لما كانت الرؤية مخصوصة بمحمد
صلى الله عليه وسلم فمنعها قال سبحانك تبت اليك يعني من سؤال ما ليس لي وقيل لما
سال الرؤية ومنعها قال تبت اليك من هذا السوال وحسنات الابرار سيئات المقربين
وانا اول المؤمنين يعني بانك لا ترى في الدنيا وقيل وانا اول المؤمنين يعني
من بني اسرايل يعني في الايات سؤالات الاول الرؤية عين النظر فقاله اني انظر اليك
فعلى هذا يكون التقدير ارني حتى اراك والجواب ان معنى قوله ارني اجعلني متمكنا
من رؤيتك حتى انظر اليك واراك السوال الثاني كيف قال لن تراني ولم يقل لن تنظر
الي حتى يكون مطابقا لقوله انظر اليك والجواب انا النظر لما كان مقدمة الرؤية
كان المقصود هو الرؤية لا النظر الذي لا رؤية معه السوال الثالث كيف اتصل
الاستدراك من قوله ولكن انظر الى الجبل بما قبله والمراد منه تعظيم امر الرؤية
وان احدا لا يقوى على رؤية الله تعالى الا من قواه الله تعالى بمعونته وتاييده الا
ترى انه لما ظهر اثر التجلي للجبل اندك وتقطع فهذا هو المراد من هذا لانه لا يدل
على تعظيم امر الرؤية والله اعلم بمراده قوله عز وجل **قال يا موسى اني اصطفيتك على
الناس برسالاتي وبكلامي** يعني قال الله لموسى اني اخترتك واتخذتك صفوة والاصطفا
استخلاص الصفوة والاجتبا والمعنى اني فضلتك واجتبيتك على الناس وفي هذا
تسلية لموسى عليه السلام عن منع الرؤية حين طلبها لان الله تعالى عدد عليه نعمه التي
انعم بها عليه وامره ان يشتغل بشكرها كانه قال له ان كنت منعت من الرؤية التي
طلبت فقد اعطيتك من النعم العظيمة كذا وكذا فلا يضيقن صدرك بسبب منع
الرؤية وانظر الى سائر انواع النعم التي خصصتك بها وهي لا اصطفاء على الناس برسالاتي
وبكلامي يعني من غير واسطة لان غيره من الرسل سمع كلام الله تعالى بواسطة الملك
فان قلت كيف قال اصطفيتك على الناس برسالاتي مع ان كثيرا من الانبيا
ساواه في الرسالة قلت ذكر العلما عن هذا السوال جوابين احدهما ذكره البغوي

فقال

فقال لما لم تكن الرسالة على العموم في حق الناس كافة استقام قوله اصطفيتك
على الناس وان شاركه فيه غيره كما يقول الرجل للرجل خصصتك بمشورتي وان كان
قد شاور غيره اذا لم تكن المشورة على العموم فيكون مستقيما وفي هذا الجواب
نظر لان من جملة من اصطفاه الله برسالته محمدا صلى الله عليه وسلم وهو افضل من
موسى عليه السلام فلا يستقيم هذا الجواب الجواب الثاني ذكره الامام فخر الدين
الرازي فقال ان الله تعالى بين انه خصه بمجموع امرين وهما الرسالة
مع الكلام بغير واسطة وهذا المجموع ما حصل لغيره فثبت انه انما حصل التخصيص
هاهنا لانه سمع ذلك الكلام بغير واسطة وانما كان الكلام بغير واسطة سببا
لمزيد الشرف بنا على العرف الظاهر لان من سمع كلام الملك المعظم من فيه كان اعلى
واشرف ممن سمعه بواسطة الحجاب والنواب وهذا الجواب فيه نظر ايضا لان محمدا
صلى الله عليه وسلم اصطفاه برسالته وكلمه ليلة المعراج بغير واسطة وفرض عليه
وعلى امته الصلوات وخاطبه بيا محمد يدل عليه قوله فاوحى الى عبده ما اوحى ورفعه
الى حيث سمع صريف الاقلام وهذا كله يدل على مزيد الفضل والشرف على موسى
وغيره من الانبيا فلا يستقيم هذا الجواب ايضا والذي يعتمد في الجواب عن هذا
السوال ان الله اصطفى موسى عليه السلام برسالاته وبكلامه على الناس الذين
كانوا في زمانه وذلك لانه لم يكن في ذلك الوقت اعلا منصبا ولا اشرف ولا افضل
منه وهو صاحب الشريعة وعليه نزلت التوراة فدل ذلك على انه اصطفاه على
ناس زمانه كما اصطفى قومه على عالمي زمانهم وهو قوله تعالى يا بني اسرايل اذكروا
نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين قال المفسرون يعني عالمي
زمانهم وقوله تعالى **فخذ ما اتيتك** يعني ما فضلتك وكرمتك به **وكن
من الشاكرين** يعني من انعامي عليك وفي القصة ان موسى عليه السلام كان بعدما
كلمه ربه لا يستطيع احد ان ينظر اليه لما غشي وجهه من النور ولم يزل على وجهه
برقع حتى مات وقالت له زوجته انا ايم منك منذ كلمك ربك فكشف لها عن وجهه
فاخذها مثل شعاع الشمس فوضعت يدها على وجهها وخرت ساجدة وقالت ادع الله
ان يجعلني زوجتك في الجنة قال ذلك لك ان لم تتزوجي بعدي فان المراة لاخر ازواجها
قوله تعالى **وكتبنا له في الالواح** قال ابن عباس يريد الواح التوراة والمعنى
وكتبنا لموسى في الواح التوراة قال البغوي وفي الحديث كانت من سدر الجنة طول
اللوح اثنا عشر ذراعا وجا في الحديث خلق الله آدم بيده وكتب التوراة بيده
وغرس شجرة طوبى بيده وقال الحسن كانت الالواح من خشب وقال الكلبي
من زبرجدة خضرا وقال سعيد بن جبير من ياقوتة حمرا وقال ابن جريج من زمرد
امر الله جبريل حتى جا بها من جنة عدن وكتبها بالقلم الذي كتب به الذكر واستمد
من نهر النور وقال الربيع بن انس كانت الالواح من برد وقال وهب امره الله
بقطع الالواح من صخرة صما لينها له فقطعها بيده ثم شقها باصبعه وسمع موسى

صرير القلم بالكلمات العشرة وكان ذلك في اول يوم من ذي الحجة وكان طول الالواح
عشرة اذرع على طول موسى وقيل ان موسى خر صعقا يوم عرفة واعطاه الله تعالى
التوراة يوم النحر وهذا اقرب الى الصحيح واختلفوا في عدد الالواح فروي عن
ابن عباس انها كانت سبعة الواح وروي عنه انهما لوحان واختاره الفرا قال وانما
جمعت على عادة العرب اطلاق الجمع على الاثنين وقال وهب كانت عشرة الواح وقال
مقاتل كانت تسعة وقال الربيع بن انس نزلت التوراة وهي وقر سبعين بعيرا
يقرا الجزء منها في سنة ولم يقرها الا اربعة نفر موسى ويوشع بن نون وعزير
وعيسى عليهم وعلى نبينا السلام والمراد بقوله لم يقرها يعني لم يحفظها ويقراها
عن ظهر قلبه الا هولا الاربعة وقال الحسن هولا الاية في التوراة بالف اية يعني
قوله وكتبنا له في الالواح **من كل شيء** يعني يحتاج اليه من امر ونهي **موعظة** يعني
نهيا عن الجهل وحقيقة الموعظة التذكير والتذكير مما يخاف عاقبته **وتفصيلا**
لكل شيء يعني وتبيينا لكل شي من الامر والنهي والحلال والحرام والحدود والاحكام
مما يحتاج اليه في امور الدين وروى الطبري بسنده عن وهب بن منبه قال كتب له
يعني في التوراة لا تشرك بي شيا من اهل السما ولا من اهل الارض فان كل ذلك خلقي ولا
تحلف باسمي كاذبا فان من حلف باسمي كاذبا فلا ازكيه ووقروا لديك وروى
البغوي باسناد الثعلبي عن كعب الاحبار ان موسى عليه السلام نظر في التوراة
فقال اني اجد امة خير الامم اخرجت للناس يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر
ويومنون بالكتاب الاول والكتاب الاخر ويقاتلون اهل الضلالة حتى يقاتلون
الاعور الدجال رب اجعلهم امتي قال هي امة محمد يا موسى فقال اني اجد امة هم الحامدون
رعاة الشمس المحكمون اذا ارادوا امرا قالوا نفعل ان شا الله فاجعلهم امتي قال
هي امة محمد قال رب اني اجد امة ياكلون كفاراتهم وصدقاتهم وكان الاولون
يحرقون صدقاتهم بالنار وهم المستجيبون والمستجاب لهم الشافعون المشفوع
لهم فاجعلهم امتي قال هي امة محمد فقال يا رب اني اجد امة اذا اشرف احدهم على شرف
كبر الله واذا هبط واديا حمد الله الصعيد لهم طهور والارض لهم مسجد حيث كانوا
يتطهرون من الجنابة طهورهم بالصعيد كطهورهم بالما حيث لا يجدون الما غر
محجلون من اثار الوضوء فاجعلهم امتي قال هي امة محمد قال رب اني اجد امة اذا هم
احدهم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة بمثلها وان عملها كتبت له عشر امثالها
الى سبعماية ضعف فاجعلهم امتي قال هي امة محمد قال يا رب اني اجد امة مرحومة
ضعفا يرثون الكتاب الذين اصطفيتهم فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم
سابق بالخيرات فلا احد منهم الا مرحوما فاجعلهم امتي قال هي امة محمد قال رب
اني اجد امة مصاحفهم في صدورهم يلبسون ثياب اهل الجنة ويصفون في صلاتهم
صفوف الملايكة اصواتهم في مساجدهم كدوي النحل لا يدخل النار احد منهم
ابدا الا من يرى الحساب مثل ما يرى الحجر من ورا الورق فلما عجب موسى من الخير

الذي اعطاه الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم وامته قال يا ليتني من اصحاب محمد فاوحى
الله اليه ثلاث ايات يرضيه بهن يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي
الى قوله ساريكم دار الفاسقين ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون قال
فرضي موسى كل الرضى وقوله تعالى **فخذها بقوة** يعني وقلنا لموسى اذ كتبنا
له في الالواح من كل شيء بجد واجتهاد وقيل معناه فخذها بقوة قلب وصحة عزيمة
ونية صادقة لان من اخذ شيا بضعف نية اداه الى الفتور **وامر قومك ياخذوا**
باحسنها قال ابن عباس يحلوا حلالها ويحرموا حرامها ويتدبروا امثالها ويعملوا
بمحكمها ويقفوا عند متشابهها وكان موسى اشد عبادة من قومه فامر بما لم يومروا
به وقيل ظاهر قوله وامر قومك ياخذوا باحسنها يدل على ان بين التكليفين فرقا
ليكون في هذا الفصل فايدة ومبنى التكليف كان على موسى اشد لانه تعالى لم يرخص
له ما رخص لغيره من قومه فان **قلت** ظاهر قوله ياخذوا باحسنها **قلت**
ان التكليف كله حسن وبعضه احسن كالقصاص حسن والعفو عنه احسن
وكالانتصار حسن والصبر احسن منه فامروا ان ياخذوا بما هو اشد على انفسهم ليكون
ذلك اعظم في الثواب فهو كقوله اتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم وكقوله والذين
يستمعون القول فيتبعون احسنه وقيل ان الحسن يدخل تحت الواجب والمندوب
والمباح والاحسن الاخذ بالارشد والاشق على النفس وقيل معناه باحسنها
بحسنها وكلها حسن وقوله تعالى **ساريكم دار الفاسقين** وقال مجاهد يعني
مصيركم في الاخرة وقال الحسن وعطا يريد جهنم يحذركم ان تكونوا مثلهم وقال
قتادة سادخلكم الشام فاريكم منازل القرون الماضية الذين خالفوا الله
لتعتبروا وقال عطية العوفي يعني دار فرعون وقومه وهي مصر وقال
السدي يعني منازل الكفار وقال الكلبي يعني منازل عاد وثمود والقرون
الذين هلكوا فكانوا يمرون عليهم اذا سافروا قوله عز وجل **ساصرف عن**
اياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق قال ابن عباس يريد الذين يتجبرون
على عبادي ويحاربون اوليايي ساصرفهم عن قبول اياتي والتصديق بها حتى
يومنوا يعني عوقبوا بحرمان الهداية لعنادهم الحق وقال سفيان بن عيينة
سامنعهم فهم القران وقيل معناه ساصرفهم عن التفكر في خلق السموات والارض
وما فيهما من الايات والعبر وقيل حكم الاية لاهل مصر خاصة واراد بالايات الايات
التسع التي اعطاها الله موسى والاكثرون على ان الاية عامة وفيها دليل لمذهب
اهل السنة على ان الله تعالى يهدي من يشا ويضل من يشا ويصرف عن اياته وقبول
الحق من يشا ويوفق للتفكر في اياته وقبول الحق من يشا لانه قادر على من يشا
لا يسيل عما يفعل وهم يسالون ومعنى الذين يتكبرون انهم يرون انهم افضل
الخلق وان لهم من الحق ما ليس لغيرهم والتكبر على هذا صفة لا يكون الا لله عز
وجل لانه هو الذي له القدرة والفضل الذي ليس لاحد سواه فالتكبر في صفة الله

عز وجل صفة مدح وفي صفة المخلوق صفة ذم لانه تكبر بما ليس له ولا يستحقه
وقيل التكبر اظهار كبر النفس على غيرها فهو صفة ذم في حق جميع العباد وقوله
يتكبرون من الكبر لا من التكبر اي يتفعلون التكبر ويرون انهم افضل من غيرهم
فلذلك يتكبرون في الارض بغير الحق اي بالباطل **وان يروا كل اية لا يؤمنوا بها وان**
يروا سبيل الرشد يعني طريق الحق والهدى والسداد والصواب **لا يتخذوه سبيلا**
يعني لا يختاروه لانفسهم طريقا يسلكونه الى الهداية **وان يروا سبيل الغي**
يعني طريق الضلال **يتخذوه سبيلا ذلك بانهم كذبوا باياتنا** يعني ذلك الذي
اختاروه لانفسهم من ترك الرشد واتباع الغي بسبب انهم كذبوا بايات الله
الدالة على توحيده **وكانوا عنها غافلين** يعني عن التفكر فيها والاتعاظ **والذين كذبوا**
باياتنا ولقاء الاخرة يعني ولقاء الاخرة التي فيها الثواب والعقاب **حبطت اعمالهم**
يعني بطلت فصارت كان لم تكن والمعنى انه قد يكون في الذين يكذبون بايات الله
من يعمل البر والاحسان والخير فبين الله تعالى بهذه الاية ان ذلك ليس ينفعهم
مع كفرهم وتكذيبهم بايات الله وانكارهم الدار الاخرة والبعث **هل يجزون الا ما**
كانوا يعملون يعني هل يجزون في العقبى الا جزاء العمال الذى كانوا يعملونه في الدنيا
قوله تعالى **واتخذ قوم موسى من بعده** يعني من بعد انطلاق موسى الى الجبل لمناجاة
ربه **من حليهم** يعني التي استعاروها من قوم فرعون وذلك ان بني اسرايل كان لهم
عيد او استعاروا من القبط الحلي ليتزينوا به في عيدهم فبقي عندهم الى ان اهلك الله
فرعون وقومه فبقي الحلي لبني اسرايل ملكا لهم فلذلك قال تعالى من حليهم فلما ابطى
موسى عليهم جمع السامري ذلك الحلي وكان رجلا مطاعا في بني اسرايل فلذلك
قال تعالى واتخذ قوم موسى والمتخذ هو واحد فنسب الفعل الى الكل لانه كان
برضاهم فكانهم اجمعوا عليه وكان السامري رجلا صايغا فصاغ لهم **عجلا جسدا**
من ذلك الحلي وهو الذهب والفضة والقى في ذلك العجل من تراب اثر فرس جبريل
فقد انقلب عجلا جسدا لحما ودما **له خوار** وهو صوت البقر وهذا معنى قول ابن عباس
والحسن وقتادة وجمهور اهل التفسير وقيل كان جسدا لا روح فيه وكان
يسمع منه صوت وقيل ان ذلك الصوت كان خفيف الريح وذلك انه جعله مجوفا
ووضع في جوفه انابيب على وضع مخصوص فاذا هبت الريح دخلت في تلك الانابيب
يسمع لها صوت كصوت البقرة والقول الاول اصح لانه كان يخور وقيل انه خار
مرة واحدة وقيل انه كان يخور كثيرا وكلما خار سجدوا له واذا سكت رفعوا
روسهم قال وهب كان يسمع منه الخوار ولا يتحرك وقال السدي كان يخور ويمشي
الم يروا يعني الذين عبدوا العجل قيل ان بني اسرايل كلهم عبدوا العجل الا هارون
عليه السلام بدليل قوله واتخذ قوم موسى وهذا يفيد العموم وقيل ان بعضهم
عبد العجل وهو الصحيح واجيب عن قوله واتخذ قوم موسى انه خرج على الاغلب
وكذا قوله الم يروا **انه** يعني العجل الذي عبدوه **لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا**

يعني

يعني ان هذا العجل لا يمكنه ان يتكلم بصواب ولا يهدي الى رشد ولا يقدر على ذلك
ومن كان كذلك كان جمادا او حيوانا ناقصا عاجزا وعلى كلا التقديرين لا يصلح
لان يعبد **اتخذوه وكانوا ظالمين** يعني لانفسهم حيث اعرضوا عن عبادة الله
تعالى الذي يضر وينفع واشتغلوا بعبادة العجل الذي لا يضر ولا ينفع ولا يتكلم
ولا يهديهم الى رشد وصواب وقوله عز وجل **ولما سقط في ايديهم** يعني ولما
ندموا على عبادة العجل تقول العرب لكل من ندم على امر قد سقط في يده وذلك لان
من شان من اشتد ندمه على امر ان يعض يده او يضرب على فخذه فتصير يده ساقطة
لان السقوط عبارة عن النزول من على الى اسفل **وراوا انهم قد ضلوا** يعني وتيقنوا
انهم على الضلالة في عبادتهم العجل **قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا** يعني يتب
علينا ويتجاوز عنا **لنكونن من الخاسرين** يعني الذين خسروا انفسهم بوضعهم العبادة
في غير موضعها وهذا كلام من اعترف بعظيم ما قدر عليه من الذنب وندم على ما صدر
منه ورغب الى الله تعالى في اقالة عثرته واعترافهم على انفسهم بالخسران ان لم يغفر لهم
ربهم ويرحمهم وهذا كلام التايب النادم على ما فرط منه وانما قالوا ذلك لما رجع
موسى عليه السلام عليهم وهو قوله تعالى **ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا**
يعني ولما رجع موسى من مناجاة ربه الى قومه من بني اسرايل رجع غضبان اسفا
لان الله تعالى كان قد اخبره انه فتن قومه وان السامري قد اضلهم فكان موسى
في حال رجوعه غضبان اسفا قال ابو الدردا الاسف اشد الغضب وقال ابن
عباس والسدي الحزن والاسيف الحزين وقال الواحدي والقولان متقاربان
لان الغضب من الحزن والحزن من الغضب فاذا جاءك ما تكره ممن هو دونك غضبت
واذا جاءك ممن هو فوقك حزنت فتسمى احداهما حزنا والاخرى غضبا
فعلى هذا كان موسى عليه السلام غضبان على قومه لاجل عبادتهم العجل اسفا حزينا
لان الله فتنهم وان الله تعالى كان قد اعلمه بذلك فحزن لاجل ذلك **قال** يعني موسى
بيسما خلفتموني من بعدي اي بيس الفعل الذي فعلتم بعد فراقي اياكم
وهذا الخطاب يحتمل ان يكون لعبدة العجل من السامري واتباعه او لهارون
والمومنين من بني اسرايل فعلى الاحتمال الاول في انه خطاب لعباد العجل يكون
المعنى بيسما خلفتموني حيث عبدتم العجل وتركتم عبادة الله وعلى الاحتمال
الثاني هو ان يكون الخطاب لهارون ومن معه من المومنين يكون المعنى بيسما
خلفتموني حيث لم تمنعوهم من عبادة غير الله وقد رايتم مني الامر بتوحيد الله
والاخلاص العبادة له ونفي الشركا عنه وحمل بني اسرايل على ذلك ومن حق الخلفا ان
يسيروا بسيرة مستخلفهم **اعجلتم امر ربكم** يعني العجلة التقدم بالشي قبل وقته
ولذلك صارت مذمومة والسرعة غير مذمومة لان معناها عمل الشي في اول
وقته ولقايل ان يقول لو كانت العجلة مذمومة لم يقل موسى عليه السلام وعجلت
اليك رب لترضى ومعنى الاية اعجلتم ميعاد ربكم فلم تصبروا له وقال الحسن

اعجلتم وعد ربكم الذي وعدكم من الاربعين وذلك انهم قدروا ان لهم الاربعين على الليالي
الثلاثين فقد تمت وقيل معناه اعجلتم سخط ربكم بعبادة العجل وقال الكلبي
معناه اعجلتم بعبادة العجل قبل ان ياتيكم امر ربكم ولما ذكر الله ان موسى رجع الى
قومه غضبان ذكر بعده ما اوجبه الغضب فقال تعالى **والقى الالواح** يعني
التي فيها التوراة وكان حاملا لها فالقاها من شدة الغضب قالت الرواة
واصحاب الاخبار كانت التوراة سبعة اسباع فلما القى موسى الالواح تكسرت فرجع
منها ستة اسباع وبقي سبع واحد فرفع منها ما كان من اخبار الغيب وبقي ما فيه
المواعظ والاحكام والحرام والحلال وروي ان الله تعالى اخبر موسى بفتنة قومه وعرف
موسى انما اخبره الله حق وصدق ومع ذلك لم يلق التوراة من يده فلما رجع الى قومه
وعاين ذلك وشاهده القى التوراة وهذا كما قيل ليس الخبر كالمعاينة **واخذ براس
اخيه يجره اليه** قيل انه اخذ بشعر راسه ولحيته من شدة غضبه وقال ابن الانباري
لما رجع موسى ووجد قومه مقيمين على المعصية اكبر ذلك واستعظمه واقبل على اخيه
هارون يلومه ومد يده الى راسه لشدة مواخذته عليه اذ لم يلحق به فيخبره فيعرفه
خبر بني اسرايل فيرجع ونيته قام فاعلمه هارون انه انما اقام بين اظهرهم خوفا على
نفسه من القتل وهو قوله تعالى **قال** يعني هارون **ابن ام** انما قال هارون لموسى
ابن ام وان كان لاب وام ليرققه ويستعطفه عليه **ان القوم** يعني الذين عبدوا
العجل **استضعفوني** اي استذلوني وقهروني **وكادوا يقتلونني** اي وقاربوا
وهموا ان يقتلوني **فلا تشمت بي الاعدا** اصل الشماتة الفرح ببلية من
تعاديه ويعاديك يقال شمت فلان بفلان اذا سر بمكروه نزل به والمعنى لا تسر
الاعدا بما تنال مني من مكروه **ولا تجعلني مع القوم الظالمين** يعني الذين عبدوا
العجل **قال رب اغفر لي** يعني ان موسى عليه السلام لما تبين له عذر اخيه هارون
قال رب اغفر لي ما صنعت الى اخي هارون يريد ما اظهر من المواخذة عليه في وقت
الغضب **ولاخي** يعني واغفر لاخي هارون ان كان وقع منه تقصير في الانكار
على عبدة العجل **وادخلنا** يعني جميعا **في رحمتك** يعني في سعة رحمتك **وانت
ارحم الراحمين** وهذا فيه دليل على الترغيب في الدعا لان من هو ارحم الراحمين
يومل منه الرحمة وفيه تقوية لطمع الداعي في نجاح طلبته **ان الذين اتخذوا
العجل** يعني الها عبدوه من دون الله **سينالهم غضب من ربهم وذلة في
الحياة الدنيا** يعني سينالهم عقوبة من ربهم وهوان بسبب كفرهم وعبادتهم
العجل وذلك في عاجل الحياة الدنيا ثم للمفسرين في هذه الاية قولان احدهما
ان المراد بالذين اتخذوا العجل باشروا عبادته وعلى هذا القول ففي الاية سوال
وهو ان اوليك الاقوام اتخذوا العجل تابوا الى الله بقتلهم انفسهم كما امر الله
تبارك الله عليهم فكيف ينالهم الغضب والذلة مع التوبة والجواب ان ذلك
الغضب انما حصل لهم في الدنيا وهو نفس القتل فكان ذلك القتل غضبا عليهم

والمراد

والمراد بالذلة تمسوا استسلامهم انفسهم للقتل واعترافهم على انفسهم بالضلال
والخطا فان قلت السين في قوله سينالهم للاستقبال فكيف يكون
للماضي قلت هذا الكلام انما هو خبر عما اخبر الله به موسى عليه السلام حين
اخذه بافتتان قومه واتخاذهم العجل ثم اخبرهم الله في ذلك الوقت انه سينالهم
غضب من ربهم وذلة فكان هذا الكلام سابقا لوقوعه وهو القتل الذي امرهم
الله به بعد ذلك وقال ابن جريج في هذه الاية ان هذا الغضب والذلة لمن
مات منهم على عبادة العجل ولمن فر من القتل وهذا الذي قاله ابن جريج وان
كان له وجه لكن جميع المفسرين على خلافه القول الثاني ان المراد بالذين
اتخذوا العجل اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وابا وهم الذين
عبدوا العجل واراد بالغضب عذاب الاخرة وبالذلة في الدنيا الجزية وقال
عطية العوفي سينال اولاد الذين عبدوا العجل وهم الذين كانوا على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم واراد بالغضب والذلة ما اصاب بني النضير
وبني قريظة من القتل والجلا وعلى هذا القول ففي تقدير الاية وجهان الاول
ان العرب تعير الابنا بقبايح افعال الابا كما تفعل ذلك في المناقب فتقول
للابنا فعلتم كذا وفعلتم كذا وانما فعل ذلك من مضى من ابايهم فكذلك هاهنا
وصف اليهود الذين كانوا على زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم بانهم اتخذوا
العجل وان كان اباوهم فعلوا ذلك ثم حكم على اليهود الذين كانوا في زمنه
بانهم سينالهم غضب من ربهم في الاخرة وذلة في الحياة الدنيا الوجه الثاني
ان تكون الاية من باب حذف المضاف والمعنى ان الذين اتخذوا العجل وباشروا
عبادته سينال اولادهم ثم حذف المضاف لدلالة الكلام عليه وقوله تعالى
وكذلك نجزي المفترين يعني وكما جزينا هولا الذين اتخذوا العجل الاهانة
فكذا نجزي كل من افترى على الله كذبا او عبد غيره وقال ابو قلابة هي والله
جزا كل مفتر الى يوم القيامة وقال مالك بن انس ما من مبتدع الا وهو يجد
فوق راسه ذلة ثم قرا هذه الاية قال والمبتدع مفتر في دين الله **والذين
عملوا السيات** يعني عملوا الاعمال السيية ويدخل في ذلك كل ذنب كبير وصغير
حتى الكفر فما دونه **ثم تابوا من بعدها** يعني ثم رجعوا الى الله من بعد اعمالهم
السيية **وامنوا** يعني وصدقوا بالله وانه يقبل توبة التايب ويغفر الذنوب **ان
ربك** يا محمد ويا ايها الانسان التايب **من بعدها** يعني من بعد توبتهم **لغفور
رحيم** يعني انه تعالى يغفر الذنوب ويرحم التايبين وفي الاية دليل على ان
السيات باسرها صغيرها وكبيرها مشتركة في التوبة وان الله تعالى يغفرها جميعا
بفضله وبرحمته وتقدير الاية من اتى بجميع السيات ثم تاب الى الله تعالى واخلص
التوبة فان الله يغفرها له ويقبل توبته وهذا من اعظم البشاير للمذنبين قوله
عز وجل **ولما سكت عن موسى الغضب** يعني سكن لان السكوت اصله الامساك

عن الشيء ولما كان السكوت بمعنى السكون استعير في سكوت الغضب لان الغضب
لا يتكلم لكنه لما كان بفورته دالا على ما في نفس الغضبان كان بمنزلة الناطق
فاذا سكنت تلك الفورة كان بمنزلة السكوت عما كان متكلما به وقيل معناه
ولما سكت عن موسى الغضب فهو من المقلوب كما تقول ادخلت القلنسوة في
راسي والمعنى ادخلت راسي في القلنسوة والقول الاول اصح لانه قول اهل
اللغة والتفسير **اخذ الالواح** يعني التي القاها قال الامام فخر الدين وظاهر
هذا يدل على ان الالواح لم تنكسر ولم يرفع من التوراة شيء **وفي نسختها** النسخ
عبارة عن النقل والتحويل فاذا انسخت كتابا من كتاب حرفا بحرف فقد نسخت
ذلك الكتاب فهو نقلك ما في الاصل الى الفرع فعلى هذا قيل اراد بها الالواح
لانها نسخت من اللوح المحفوظ وقيل اراد بها النسخة المكتتبة من الالواح
التي اخذها موسى بعد ما تكسرت وقال ابن عباس وعمرو بن دينار لما القى الالواح
فتكسرت صام اربعين يوما فردت عليه في لوحين وفيها ما في الاولى بعينه فتكون
نسختها وعلى قول من قال ان الالواح لم تنكسر واخذها موسى بعينها بعد ما القاها
يكون معنى وفي نسختها المكتوب فيها **هدى ورحمة** قال ابن عباس يعني هدى من
الضلالة ورحمة من العذاب **للذين هم لربهم يرهبون** يعني الخائفين من ربهم
قوله عز وجل **واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا** الاختيار افتعال
من لفظ الخيار يقال اختار الشيء اذا اخذ خيره وخياره والمعنى واختار موسى من قومه
فحذف كلمة من وذلك شائع في العربية لدلالة الكلام عليه قال اصحاب الاخبار ان موسى
عليه السلام اختار من كل سبط من قومه ستة نفر وكانوا اثنين وسبعين فقال
ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا فقال ان لمن قعد منكم لاجر مثل من خرج فقعد يوشع
ابن نون وكالب بن يوفنا وقيل انه لم يجد الا ستين شيخا فاوحى الله اليه ان يختار
من الشباب عشرا فاختارهم فاصبحوا شيوخا فامرهم ان يصوموا ويتطهروا ويطهروا
ثيابهم ثم ذهب بهم الى ميقات ربه واختلف اهل التفسير في ذلك الميقات فقيل
انه الميقات الذي كلمه فيه ربه وسال فيه الروية وذلك لما خرج الى طور سينا
اخذ معه هولا السبعين فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود من الغمام حتى
احاط بالجبل ودخل موسى فيه وقال للقوم ادنوا فدنوا حتى دخلوا في الغمام ووقعوا
سجدا وسمعوا الله وهو يكلم موسى يامره وينهاه افعل كذا لا تفعل كذا فلما انكشف
الغمام اقبلوا على موسى وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى جهرة فاخذتهم الصاعقة
وهو المراد من الرجفة المذكورة في هذه الاية وقال السدي ان الله امر موسى ان
ياتيه في ناس من بني اسرائيل يعتذرون من عبادة العجل ووعدهم موعدا فاختار موسى
من قومه سبعين رجلا ثم ذهب بهم الى ميقات ربه ليعتذروا فلما اتوا ذلك المكان
قالوا لن نؤمن لك يا موسى حتى نرى جهرة فانك قد كلمته فارناه فاخذتهم الصاعقة
فماتوا فقام موسى يبكي ويدعو الله ويقول رب ماذا اقول لبني اسرائيل اذا اتيتهم

وقد

وقد اهلكت خيارهم رب لو شيت اهلكتهم من قبل واياي وقال محمد بن اسحاق اختار
موسى من بني اسرائيل سبعين رجلا الخير فالخير وقال انطلقوا الى الله فتوبوا الى الله
مما صنعتم واسالوه التوبة على من تركتم وراءكم من قومكم صوموا وتطهروا وطهروا
ثيابكم فخرج بهم الى طور سينا لميقات وقته له ربه فكان لا ياتيه الا باذن منه
وعلم فقال له السبعون فيما ذكر لي حين فعلوا ما امرهم به وخرجوا معه للقاء ربه
فقالوا لموسى اطلب لنا نسمع كلام ربنا فقال افعل فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه
عمود الغمام حتى تغشى الجبل كله ودنا موسى فدخل فيه وقال للقوم ادنوا وكان موسى
اذا كلمه وقع على جبهته نور ساطع لا يستطيع احد من بني ادم ان ينظر اليه فضرب
الله دونه بالحجاب ودنا القوم حتى دخلوا في الغمام ووقعوا سجدا فسمعوه وهو
يكلم موسى يامره وينهاه افعل لا تفعل فلما فرغ من امره انكشف عن موسى الغمام
فاقبل اليهم فقالوا له لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الرجفة وهي
الصاعقة فماتوا جميعا فقام موسى يناشد ربه ويدعوه ويرغب اليه يقول
لو شيت اهلكتهم من قبل واياي وقال ابن عباس كان الله امر موسى ان يختار
من قومه سبعين رجلا فاختار سبعين رجلا فبرز بهم ليدعوا ربهم فكان فيما دعوا
الله ان قالوا اللهم اعطنا ما لم تعط احدا قبلنا ولا تعطه احدا بعدنا فكره الله
ذلك من دعائهم فاخذتهم الرجفة قال رب لو شيت اهلكتهم من قبل واياي
وقيل انما اخذتهم الرجفة من اجل انهم ادعوا على موسى انه قتل هارون قال علي
ابن ابي طالب انطلق موسى وهارون الى سفح جبل فنام هارون على سرير فتوفاه
الله فلما رجع موسى الى بني اسرائيل قالوا له انت قتلته حسدته على خلقه ولينه
وكان هارون حسن الخلق محببا في بني اسرائيل فقال لهم موسى اختاروا من شئتم
فاختاروا سبعين رجلا فلما انتهوا اليه قالوا يا هارون من قتلك قال ما قتلني
احد ولكن الله توفاني فاخذتهم الرجفة فجعل موسى يرجع يمينا وشمالا ويقول
رب لو شيت اهلكتهم من قبل واياي الاية فاحياهم الله عز وجل وقيل انما
اخذتهم الرجفة لتركهم فراق عبدة العجل لا انهم كانوا ممن عبده قال ابن عباس
انما تناولتهم الرجفة لم يزايلوا القوم حتى نصبوا العجل وقد كرهوا ان يجامعوا
قال ابن جريج فلما خرجوا ودعوا الله اماتهم ثم احياهم وقال مجاهد واختار موسى
قومه سبعين رجلا لميقاتنا والميقات الموعد فلما اخذتهم الرجفة بعد ان
خرج موسى بالسبعين من قومه يدعون الله ويسالونه ان يكشف عنهم البلاء
فلم يستجب لهم علم موسى انهم قد اصابوا من المعصية ما اصاب قومهم وقال محمد
ابن كعب القرظي لم يستجب لهم من اجل انهم لم ينهوهم عن المنكر ولم يامروهم بالمعروف
فاخذتهم الرجفة فماتوا ثم احياهم الله تعالى وقوله تعالى **فلما اخذتهم الرجفة**
اصل الرجف الاضطراب الشديد الذي يحصل معه التغير والهلاك ولهذا
اختلفوا في تلك الرجفة التي حصلت لهولاء هل كان معها موت ام لا فمعظم الروايات

التي تقدمت انهم ماتوا بسبب تلك الرجفة وقال وهب بن منبه لم تكن تلك الرجفة موتا ولكن القوم لما راوا تلك الهيبة اخذتهم الرعدة وقلقوا ورجفوا حتى كادت ان تبين مفاصلهم فلما راى موسى ذلك رحمهم وخاف عليهم الموت واشتد عليه فقدهم وكانوا له وزراء على الخير سامعين مطيعين فعند ذلك دعا موسى وبكى وناشد ربه فكشف الله عنهم تلك الرجفة فاطمانوا وسمعوا كلام الله فذلك قوله تعالى فلما اخذتهم الرجفة **قال** يعني موسى **رب** اي يا رب **لو شئت اهلكتهم من قبل** يعني من قبل عبادتهم العجل **واياي** وذلك انه خاف ان يتهمه بنوا اسرايل على السبعين اذا رجع اليهم وما هم معه ولم يصدقوه بانهم ماتوا فقال رب لو شئت اهلكتهم يعني قبل خروجهم الى الميقات واياي معهم فكان بنوا اسرايل يعاينون ذلك فلا يتهموني **اتهلكنا بما فعل السفهاء منا** قال المفسرون ان موسى ظن انهم هلكوا باتخاذ اصحابهم العجل فقال اتهلكنا بما فعل السفهاء منا يعني عبدة العجل وانما هلكوا بسبب مسيلتهم الروية وقولهم ارنا الله جهرة وهذا قول الكلبي وجماعة وقال جماعة من اهل العلم لا يجوز ان يظن موسى ان الله تعالى يهلك قوما بذنوب غيرهم ولكن اتهلكنا بما فعل السفهاء منا استفهام بمعنى الجحد اي لست تفعل ذلك وهذا قول ابن الانباري وقال المبرد هذا استفهام استعطاف اي لا تهلكنا **ان هي الا فتنتك** قال الواحدي الكناية في هي تعود الى الفتنة كما تقول ان هو الا زيد والمعنى ان تلك الفتنة التي وقع فيها السفهاء لم تكن الا فتنتك اي اختبارك وابتلاوك وهذا تاكيد لقوله اتهلكنا بما فعل السفهاء منا لان معناه لا تهلكنا بفعلهم فان تلك الفتنة كانت اختبارا منك وابتلا اضللت بها قوما فافتتنوا وهديت قوما فعصمتهم حتى ثبتوا على دينك وهو المراد من قوله **تضل بها من تشا وتهدي من تشا** قال الواحدي وهذه الاية من الحجج الظاهرة على القدرية التي لا يبقى لهم معها عذر **انت ولينا** يعني انت ربنا ناصرنا وحافظنا وهذا يفيد الحصر اي لا ولي لنا ولا ناصر ولا حافظ الا انت **فاغفر لنا** سال موسى عليه السلام لنفسه ولقومه الغفران اما لنفسه فلقوله ان هي الا فتنتك وهذا فيه اقدام على الحضرة المقدسة واما لقومه فلقولهم ارنا الله جهرة وفي هذا اقدام على الحضرة المقدسة فلهذا السبب سال موسى الغفران له ولقومه **وارحمنا** اي واشملنا رحمتك التي وسعت كل شي **وانت خير الغافرين** يعني ان كل من سواك انما يغفر الذنب طلبا للثنا الجميل او لدفع ضرر واما انت يا رب فتغفر ذنوب عبادك لا لطلب عوض ولا غرض بل لمحض الفضل والكرم فانت خير الغافرين قوله تعالى **واكتب لنا** منك **في هذه الدنيا حسنة وفي الاخرة** يعني قال موسى في دعايه واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة اي واجعلنا ممن كتبت له حسنة وهي ثواب الاعمال الصالحة وفي الاخرة اي واكتب لنا في الاخرة مغفرة لذنوبنا **انا هدنا اليك** قال ابن عباس معناه انا تبنا اليك وهذا قول جميع المفسرين واصل الهود الرجوع برفق قال بعضهم وبه سميت اليهود

وكانه

وكانه اسم مدح قبل نسخ شريعتهم فلما نسخت شريعتهم صار اسم ذم وهو لازم لهم **قال** يعني قال الله عز وجل لموسى عليه السلام **عذابي اصيب به من اشا** يعني من خلقي وليس لاحد علي اعتراض لان الكل ملكي وعبيدي ومن تصرف في خالص ملكه فليس لاحد عليه اعتراض **ورحمتي وسعت كل شي** يعني ان رحمته عمت خلقه كلهم وقال بعضهم هذا من العام اريد به الخاص فرحمة الله عمت البر والفاجر في الدنيا وهي للمومنين خاصة في الاخرة وقيل للمومنين خاصة في الدنيا والاخرة ولكن الكافر يرزق ويدفع عنه ببركة المومن لسعة رحمة الله له فاذا كان يوم القيامة وجبت للمومنين خاصة قال جماعة من المفسرين لما نزلت ورحمتي وسعت كل شي تطاول ابليس اليها وقال انا من ذلك الشي فنزعها الله من ابليس فقال تعالى **فساكتبها للذين يتقون ويوتون الزكاة والذين هم باياتنا يومنون** فايس ابليس منها وقالت اليهود نحن نتقي ونوتي الزكاة ونومن بايات ربنا فنزعها الله من اليهود واثبتها لهذه الامة فقال **الذين يتبعون الرسول النبي الامي** الاية وقال نوف البكالي لما اختار موسى من قومه سبعين رجلا قال الله عز وجل لموسى اجعل لك الارض مسجدا وطهورا تصلون حيث ادركتم الصلاة الا عند مرحاض او حمام او قبر واجعل السكينة في قلوبكم واجعلكم تقرون التوراة عن ظهر قلوبكم يقروها الرجل والمراة والحر والعبد والصغير والكبير فقال موسى ذلك لقومه فقالوا لا نريد ان نصلي الا في الكنايس ولا نستطيع حمل السكينة في قلوبنا ولا نستطيع ان نقرا التوراة على ظهر قلوبنا ولا نريد ان نقراها الا نظرا قال الله تعالى فساكتبها للذين يتقون الى قوله اوليك هم المفلحون فجعلها الله لهذه الامة فقال موسى رب اجعلني نبيهم قال نبيهم منهم قال اجعلني منهم قال انك لن تدركهم قال موسى يا رب اتيتك بوفد بني اسرايل فجعلت وفادتنا لغيرنا فانزل الله تعالى ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون فرضي موسى اما التفسير فقوله للذين يتقون يعني الشرك وسايرها نهوا عنه لان جميع التكاليف محصورة في نوعين الاول التروك وهي الاشيا التي يجب على الانسان تركها والاحتراز عنها والاتقا لها واليه الاشارة بقوله للذين يتقون والثاني الافعال المامور بها وتلك الاعمال بدنية او قلبية اما البدنية فاليه الاشارة بقوله ويوتون الزكاة وهذه وان كانت في حق المال لكن يختص البدن باخراجها والاعمال القلبية فالايمان والمعرفة واليه الاشارة بقوله والذين هم باياتنا يومنون قوله عز وجل **الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة** ذكر الامام فخر الدين في معنى هذه التبعية وجهين احدهما ان المراد بذلك ان يتبعوه باعتقاد نبوته من حيث وجدوا صفته في التوراة اذ لا يجوز ان يتبعوه في شرايعه قبل ان يبعث الى الخلق قال وفي قوله **والانجيل** ان المراد وسيجدونه مكتوبا في الانجيل لان من المحال ان يجدوه فيه قبل ما انزل الله الانجيل الوجه الثاني ان المراد من الحق من بني اسرايل زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم

فبين تعالى انه لا يكتب هذه الرحمة الا لمن اتبعوه قال وهذا القول
اقرب لان اتباعه قبل ان يبعث لا يمكن فبين بهذه الآية ان هذه الرحمة لا يفوز
بها من بني اسرائيل الا من اتقى واتى الزكاة وامن بالآيات في زمن موسى عليه الصلاة
والسلام ومن كانت هذه صفته في ايام رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان مع ذلك
متبعا للنبي صلى الله عليه وسلم في شرايعه فعلى هذين الوجهين يكون المراد بقوله
الذين يتبعون الرسول من بني اسرائيل خاصة وجمهور المفسرين على خلاف ذلك
فانهم قالوا المراد به جميع امته الذين امنوا به واتبعوه سواء كانوا من بني اسرائيل
او غيرهم واجمع المفسرون على ان المراد بقوله الذين يتبعون الرسول محمدا
صلى الله عليه وسلم ووصفه بكونه رسولا لانه الواسطة بين الله وبين خلقه
المبلغ رسالاته واوامره ونواهيه وشرايعه اليهم ثم وصفه بكونه نبيا وهذا
ايضا من اعلى المراتب واشرفها وذلك يدل على انه رفيع القدر والدرجة عند الله
المخبر عنه ثم وصفه بالامي قال ابن عباس هو نبيكم صلى الله عليه وسلم كان اميا لا
يكتب ولا يقرأ ولا يحسب قال الزجاج في معنى الامي الذي هو على صفة امة العرب لان
العرب اكثرهم لا يكتب ولا يقرأ ولا يحسب فالنبي صلى الله عليه وسلم كان كذلك
فلهذا وصفه الله تعالى بكونه اميا وصح في الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال نحن امة
امية قال اهل التحقيق وكونه صلى الله عليه وسلم كان اميا فهو من اكبر معجزاته واعظمها
وبيانه انه صلى الله عليه وسلم اتى بهذا الكتاب العظيم الذي اعجز الخلايق فصاحة وبلاغة
وكان يقرؤه عليهم بالليل والنهار من غير زيادة فيه ولا نقصان منه ولا تغيير فدل
ذلك على معجزته وهو قوله تعالى سنقرئك فلا تنسى وقيل انه كان يحسن الكتابة
ثم انه اتى بهذا القرآن العظيم لكان متهما فيه لاحتمال انه كتبه ونقله عن غيره فلما
كان اميا واتى بهذا الكتاب العظيم الذي فيه علم الاولين والآخرين والمغيبات
دل ذلك على كونه معجزة له صلى الله عليه وسلم وايضا فان الكتابة تعين الانسان
على الاشتغال بالعلوم وتحصيلها ثم انه اتى بهذه الشريعة والآداب الحسنة
مع علوم كثيرة وحقايق دقيقة من غير مطالعة كتب ولا اشتغال على احد
دل ذلك على كونه معجزة له صلى الله عليه وسلم وقيل في معنى الامي الذي هو منسوب
الى امه كانه لم يخرج لعد ما ولدته وقيل سمي اميا لانه منسوب الى ام القرى وهي
مكة وقوله تعالى الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يعني يجدون
صفته ونعته ونبوته مكتوبة عندهم يعرفها علماؤهم واحبارهم ولكنهم كتموا
ذلك وبدلوه وغيروه حسدا منهم وخوفا على زوال رياستهم وقد حصل لهم ما كانوا
يخافونه فتنزلت رياستهم ووقعوا في الذل والهوان **خ** عن عطاء بن يسار
قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت له اخبرني عن صفة رسول الله صلى الله
عليه وسلم في التوراة فقال اجل انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن
يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين انت عبدي ورسولي

سميتك

سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق ولا تدفع بالسيئة السيئة
ولكن تعفو وتغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بان يقولوا لا اله الا
الله ويفتح به اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا **شرح** غريب الفاظه الفظ
السيء الخلق والغليظ الجافي القاسي وقوله سخاب بالسين والصاد وهو الكثير الصياح
في الاسواق والاعوجاج ضد الاستقامة واراد بالملة العوجاء الكفر والقلب الاغلف
الذي لا يصل اليه شيء ينفعه شبهه بالاغلف كانه في غلاف وروى البغوي بسنده
عن كعب الاحبار قال اني اجد في التوراة مكتوبا محمد رسول الله لا فظ ولا غليظ ولا
سخاب في الاسواق ولا يجزي بالسيئة ولكن يعفو ويصفح امته الحامدون الله
في كل منزلة ويكبرونه على كل نجد ياتزرون على انصافهم ويوضؤن اطرافهم صفهم
في الصلاة وصفهم في القتال سواء مناديهم ينادي في جو السماء لهم في جوف الليل
دوي كدوي النحل مولده بمكة ومهاجره بطيبة وملكه بالشام **يامرهم بالمعروف**
يعني بالايمان وتوحيد الله **وينهاهم عن المنكر** يعني عن الشرك وقيل المعروف
ما عرف في الشريعة والسنة والمنكر ما لا يعرف في شريعة ولا سنة وقال عطا
يامرهم بالمعروف بخلع الانداد ومكارم الاخلاق وصلة الارحام **ويحل لهم
الطيبات** يعني بذلك ما كان محرما عليهم في التوراة من الطيبات وهو لحوم الابل
وشحم الغنم والمعز والبقر وقيل هو ما كانوا يحرمونه على انفسهم في الجاهلية من
البحاير والسوايب والوصايل والحامي وقيل هو المستلذات التي تستطيبها
الانفس **ويحرم عليهم الخبائث** قال ابن عباس يريد الميتة والدم ولحم الخنزير
وقيل هو ما كان يستخبثه الطبع وتستقذره النفس فان الاصل في المضار
الحرمة الا ما له دليل متصل بالحل **ويضع عنهم اصرهم** يعني ثقلهم واصل
الاصر الثقل الذي ياصر صاحبه اي يحبسه عن الحركة لثقله والمراد بالاصر هنا
العهد والميثاق الذي اخذ على بني اسرائيل ان يعملوا بما في التوراة من الاحكام وكانت
تلك شديدة **والاغلال التي كانت عليهم** يعني ويضع الاثقال والشدايد التي
كانت عليهم في الدين والشريعة وذلك مثل قتل النفس في التوبة وقطع الاعضاء
الخاطية وقرض النجاسة عن البدن والثوب بالمقراض وتعيين القصاص في
القتل وتحريم اخذ الدية وترك العمل في السبت وان صلاتهم لا تجوز الا في الكنايس
وتتبع العروق من اللحم وغير ذلك من الشدايد التي كانت على بني اسرائيل شبهت
بالاغلال لمجاز الالزام لان التحريم يمنع من الفعل كما ان الغل يمنع من الفعل وقيل
شبهت بالاغلال التي تجمع اليد الى العنق كما ان اليد لا تمتد مع وجود الغل فكذلك
لا تمتد الى الحرام الذي نهيت عنه وكانت هذه الاثقال في شريعة موسى عليه السلام
فلما جاء محمد صلى الله عليه وسلم بعثت بالحنيفية السمحة السهلة **فالذين امنوا به**
يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم **وعزروه** يعني وقروه وعظموه واصل التعزير المنع
والنصرة وتعزيره النبي تعظيمه واجلاله ودفع الاعداء عنه وهو قوله تعالى **ونصروه**

يعني على اعدايه **واتبعوا النور الذي انزل معه** يعني القران سمي القران نورا لان به يستنير قلب المومن فيخرج به من ظلمات الشك والجهالة الى ضيا اليقين والعلم **اوليك هم المفلحون** يعني هم الناجون الفايزون بالهداية قوله عز وجل **قل يايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا** الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي قل يا محمد للناس اني رسول الله اليكم جميعا لا الى بعضكم دون بعض ففي الاية دليل على عموم رسالته الى كافة الخلق لان قوله يايها الناس خطاب عام يدخل فيه جميع الناس ثم امره الله عز وجل بان يقول اني رسول الله اليكم جميعا ومن خصايصه كونه مبعوثا الى جميع الناس **ق** عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطيت خمسا لم يعطهن احد قبلي كان كل نبي يبعث الى قومه خاصا وبعثت الى كل احمر واسود واحلت لي الغنايم ولم تحل لاحد قبلي وجعلت لي الارض طيبا وطهورا ومسجدا فايما رجل ادركته الصلاة صلى حيث كان ونصرت بالرعب على العدو بين يدي مسيرة شهر واعطيت الشفاعة وفي رواية اعطيت خمسا لم يعطهن احد من الانبيا قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا فايما رجل من امتي ادركته الصلاة فليصل واحلت لي الغنايم ولم تحل لاحد قبلي واعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة وقوله في الرواية الاولى وبعثت الى كل احمر واسود قيل اراد بالاحمر الانس وبالاسود الجن فعلى هذا تكون رسالته صلى الله عليه وسلم عامة الى كافة الخلق من الانس والجن **م** عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فضلت على الانبيا بست اعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب واحلت لي الغنايم وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا وارسلت الى الخلق كافة وختم بي النبيون وقوله تعالى **الذي له ملك السموات والارض** لما امر الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم بان يقول يايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا اردفه بما يدل على صحة دعواه يعني الذي له ملك السموات والارض هو مدبرهما ومالكهما امرهما هو الذي ارسلني اليكم وامرني ان اقول لكم اني رسول الله اليكم جميعا **لا اله الا هو يحيي ويميت** وصف الله نفسه بالالهية وانه لا شريك له فيهما وانه القادر على احيا خلقه واماتتهم ومن كان كذلك فهو القادر على ارسال الرسل الى خلقه **فامنوا بالله ورسوله** لما امر الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بان يقول للناس اني رسول الله اليكم جميعا امر الله جميع خلقه بالايمان به وبرسوله وذلك لان الايمان بالله هو الاصل والايمان برسوله فرع عليه فلهذا بدا بالايمان بالله ثم ثنى بالايمان برسوله فقال فامنوا بالله ورسوله ثم وصفه فقال تعالى **النبي الامي** وتقدم معناهما **الذي يومن بالله وكلماته** قال قتادة يعني اياته وهي القران وقال مجاهد والسدي اراد بكلماته عيسى بن مريم لانه خلق بقوله كن فكان وقيل هو على العموم يعني يومن بجميع كلمات الله تعالى **واتبعوه** يعني واقتدوا به ايها الناس فيما يامركم به او ينهاكم عنه وقيل المتابعة على قسمين

متابعة

متابعة في الاقوال ومتابعة في الافعال اما المتابعة في الاقوال بان يمتثل التابع جميع ما امره به المتبوع على طريقة الامر والنهي والترغيب والترهيب واما المتابعة في الافعال بان يقتدي به في جميع افعاله واراد به الا ما خص به رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت بالدليل انه من خصايصه فلا متابعة فيه وقوله تعالى **لعلكم تهتدون** يعني لكي تهتدوا وترشدوا وتصيبوا الحق والصواب في متابعتكم اياه قوله عز وجل **ومن قوم موسى** يعني من بني اسرايل **امة** اي جماعة **يهدون بالحق** يعني يهتدون بالحق ويستقيمون عليه ويعملون به ويرشدون **وبه يعدلون** يعني وبالحق يحكمون وبالعدل ياخذون ويعطون وينصفون واختلفوا في هولاء من هم فقيل هم الذين من بني اسرايل مثل عبد الله بن سلام واصحابه فانهم امنوا بموسى والتوراة وامنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران واعترض على هذا بانهم كانوا قليلين ولفظ الامة يقتضي الكثرة واجيب عنه بانهم كانوا مخلصين في الدين جاز اطلاق لفظ الامة عليهم كما في قوله تعالى ان ابرهيم كان امة وقيل هم قوم ثبتوا على الدين الحق الذي جاءهم به موسى عليه السلام قبل التحريف والتبديل ودعوا الناس اليه وقال السدي وابن جريج وجماعة من المفسرين ان بني اسرايل لما قتلوا انبياءهم وكفروا وكانوا اثني عشر سبطا تبرا سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسالوا الله ان يفرق بينهم وبينهم ففتح الله لهم نفقا في الارض فساروا فيه حتى خرجوا من ورا الصين فهم هناك حنفا مسلمون يستقبلون قبلتنا قال ابن جريج قال ابن عباس ساروا في السرب سنة ونصفا رواه الطبري وحكى البغوي عن الكلبي والضحاك والربيع قالوا قوم خلف الصين باقصى المشرق على نهر يجري الرمل يسمى اردان ليس لاحد منهم مال دون صاحبه يمطرون بالليل ويصحون بالنهار ويزرعون ولا يصل اليهم احد منا وهم على الحق وذكر لنا ان جبريل عليه السلام ذهب بالنبي صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به فكلمهم فقال لهم جبريل هل تعرفون من تكلمون قالوا لا فقال هذا محمد النبي الامي فامنوا به وقالوا يا رسول الله ان موسى اوصانا ان من ادرك منكم احمد فليقرا عليه مني السلام فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم على موسى وعليهم السلام واقراهم عشر سور من القران نزلت عليه بمكة وامرهم بالصلاة والزكاة وامرهم ان يقيموا مكانهم وكانوا يسبتون فامرهم ان يجمعوا ويتركوا السبت وهذه الحكاية ضعيفة من وجوه الاول قولهم ان احدا منا لا يصل اليهم واذا كان الامر كذلك فمن ذا الذي وصل خبرهم الينا الوجه الثاني قولهم ان جبريل ذهب بالنبي صلى الله عليه وسلم اليهم ليلة اسري به وهذا لم يرد بنقل صحيح ولا رواه احد من ايمة الحديث ولا يلتفت الى قول الاخباريين والقصاص في ذلك الوجه الثالث قولهم انهم بلغوا النبي صلى الله عليه وسلم سلام موسى وقد صح في حديث المعراج انه سلم عليه في السما السادسة وايضا قولهم اقراهم عشر سور وقد نزلت عليه بمكة اكثر من ذلك وكان فرض الزكاة بالمدينة فكيف امرهم بها قبل فرضيتها فاذا

ثبت بما ذكرناه بطلان هذه الرواية فالمختار في تفسير هذه الآية انها اما ان تكون
نزلت في قوم متمسكين بدين موسى قبل التغيير والتبديل ثم ماتوا وهم على
ذلك واما ان تكون نزلت فيمن اسلم من اليهود على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
كعبد الله واصحابه والله اعلم بمراده قوله تعالى **وقطعناهم** يعني وفرقنا بني
اسرائيل **اثنتي عشرة اسباطا** يعني من اولاد يعقوب لان يعقوب هو اسرائيل
واولاده الاسباط وكانوا اثني عشر ولدا **امما** يعني جماعات وقبائل **واوحينا
الى موسى اذ استسقاه قومه** يعني في التيه **ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست**
يعني انفجرت وقيل عرقت وهو الانبجاس **منه** اي من الحجر **اثنتا عشرة عينا** يعني
لكل سبط عين **قد علم كل اناس مشربهم** يعني لا يدخل سبط على سبط في مشربهم
وظللنا عليهم الغمام يعني في التيه يقيهم حر الشمس **وانزلنا عليهم المن**
هو الترنجبين **والسلوى** جنس من الطير جعل الله عز وجل ذلك طعاما لهم في
التيه **كلوا من طيبات ما رزقناكم** اي وقلنا كلوا **وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون**
في الكلام حذف ترك ذكره للاستغناء عنه ودلالة الكلام عليه تقديره كلوا من
طيبات ما رزقناكم فاجحدوا ذلك وسئموه وقالوا لن نصبر على طعام واحد وسألوا
غيره لان المكلف اذا امر بشيء فتركه وعدل عنه الى غيره يكون عاصيا بفعل ذلك
فلهذا قال وما ظلمونا يعني وما ادخلوا علينا في ملكنا وسلطاننا نقصا بمسألتهم
ما سألوا ولكن كانوا انفسهم يظلمون يعني بمخالفتهم ما امروا به وقد تقدم
بسط على تفسير هذه الآية في سورة البقرة وقوله تعالى **واذ قيل لهم** اي واذكر
يا محمد لقومك اذ قيل لهم يعني لبني اسرائيل **اسكنوا هذه القرية** يعني بيت المقدس
وقال في سورة البقرة ادخلوا هذه القرية ولا منافاة بينهما لان كل ساكن في
موضع لا بد له من الدخول اليه **وكلوا منها حيث شئتم** يعني وكلوا من ثمار
القرية وزروعها وحبوبها وبقولها حيث شئتم واين شئتم قال في البقرة فكلوا
بالفاء وهنا بالواو والفرق بينهما ان الدخول حالة مفضية للاكل عقب الدخول
فحسن دخول الفاء التي هي للتعقيب ولما كانت السكنى حالة استمرار حسن
دخول الواو وعقيب السكنى فيكون الاكل حاصلا متى شاؤوا وانما قال في سورة
البقرة رغدا ولم يقل هنا لان الاكل عقيب الدخول الذ واكمل واما الاكل مع السكنى
والاستمرار فليس كذلك فحسن دخول لفظة رغدا هناك بخلاف هنا **وقولوا
حطة** اي حط عنا ذنوبنا **وادخلوا الباب سجدا** وقال في سورة البقرة عكس
اللفظ ولا منافاة في ذلك لان المقصود من ذلك تعظيم امر الله واظهار الخشوع
والخضوع له فلم يتفاوت الحال بحسب التقديم والتأخير **نغفر لكم خطاياكم**
يعني نغفر لكم ذنوبكم ولا نؤاخذكم بها وانما قال خطيئاتكم وفي البقرة خطاياكم
لان المقصود غفران ذنوبهم سواء كانت قليلة او كثيرة اذا اتوا بالتضرع
والدعاء **سنزيد المحسنين** وقال في سورة البقرة وسنزيد بالواو ومعناه

انه قد وعد المسيئين بالغفران وبالزيادة للمحسنين من الثواب واسقاط الواو
لا يخل بذلك المعنى لانه استئناف مرتب على تقدير قول القائل وماذا بعد الغفران
فقيل له سنزيد المحسنين **فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم**
يعني فغير الذين ظلموا انفسهم بمخالفة امرنا من بني اسرائيل فقالوا غير الذي قيل
لهم وامروا به وذلك انهم امروا ان يقولوا حطة فقالوا حنطة في شعيرة فكان
ذلك تبديلهم وتغييرهم **فارسلنا عليهم رجزا من السماء** يعني بعثنا عليهم
عذابا اهلكهم ولا منافاة بين قوله هنا ارسلنا وبين قوله في البقرة انزلنا لانهما
لا يكونان الا من علو الى سفل وقيل بينهما فرق وهو ان الانزال لا يشعر بالكثرة
والارسال يشعر بذلك فكانه تعالى بدأ بانزال العذاب قليلا ثم ارسل عليهم
كثيرا **بما كانوا يظلمون** يعني ارسال العذاب عليهم بسبب ظلمهم ومخالفتهم
امر الله تعالى وقال في البقرة بما كانوا يفسقون والجمع بينهما انهم لما ظلموا انفسهم
فيما غيروا وبدلوا فسقوا بذلك وخرجوا عن طاعة الله تعالى وقد تقدمت هذه
القصة ايضا في تفسير سورة البقرة قوله عز وجل **واسألهم عن القرية التي
كانت حاضرة البحر** الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي سل يا محمد هؤلاء اليهود
الذين هم جيرانك عن حال اهل القرية وهذا السؤال سؤال توبيخ وتقريع
لا سؤال استعلام لانه صلى الله عليه وسلم كان قد علم حال هذه القرية بوحي الله
عز وجل اليه واخباره اياه حالهم وانما المقصود من هذا السؤال تقرير اعتداء
اليهود واقدامهم على الكفر والمعاصي وان اصرارهم على الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم
وانكار نبوته ومعجزاته ليس شيئا قد حدث منهم في زمانه بل اصرارهم على الكفر
كان حاصلا في اسلافهم في قديم الزمان وفي الاخبار بهذه القصة معجزة للنبي
صلى الله عليه وسلم لانه كان اميا لم يقرأ الكتب القديمة ولم يعرف اخبار الاولين
ثم اخبرهم بما جرى لاسلافهم في قديم الزمان وانه بسبب مخالفتهم امر الله
عز وجل مسخوا قردة واختلفوا في هذه القرية فقال ابن عباس هي ايلة بين مصر
والمدينة والعرب تسمي المدينة قرية وقال الزهري هي طبرية الشام وفي رواية
عن ابن عباس قال هي مدين وقال وهب هي مقنا بين مدين وعينونا يعني عن
القرية التي كانت على ساحل البحر وقريبة منه **اذ يعدون في السبت** يعني
يتجاوزون حد الله وما امرهم به من تعظيمه فخالفوا امر الله وصادوا فيه السمك
اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا يعني ظاهرة على الماء كثيرة وقال الضحاك
تأتيهم متتابعة يتبع بعضها بعضا وقيل كانت تأتيهم يوم السبت مثل الكباش
السمان البيض **ويوم لا يسبتون لا تأتيهم** يعني الحيتان **كذلك نبلوهم** يعني
مثل هذا الاختبار الشديد نختبرهم ونحن اعلم بحالهم **بما كانوا يفسقون**
يعني ان ذلك الابتلاء والاختبار بسبب فسقهم وخروجهم عن طاعة الله وما
امروا به قال اهل التفسير ان اليهود امروا بيوم الجمعة فتركوه واختاروا السبت

فابتلوا به وهو ان الله امرهم بتعظيمه ونهاهم عن العمل فيه وحرم عليهم فيه الصيد فلما اراد الله ان يبتليهم كانت الحيتان تظهر لهم في يوم السبت ينظرون اليها في البحر فاذا انقضى السبت ذهبت فلم تظهر الى السبت المقبل بلاء ابتلوا به فوسوس اليهم الشيطان وقال ان الله لم ينهكم عن الاصطياد وانما نهاكم عن الاكل فاصطادوا وقيل انه وسوس اليهم انكم انما نهيتم عن الاخذ فاتخذوا حياضا على ساحل البحر وتسوقوا اليها الحيتان يوم السبت فاذا كان يوم الاحد اخذوها ففعلوا ذلك زمانا ثم انهم تجرؤوا على السبت وقالوا ما نرى السبت الا قد حل لنا فاصطادوا واكلوا وباعوا وصار اهل القرية اثلاثا وكانوا نحوا من سبعين الفا فثلث نهوا عن الاصطياد وثلث سكتوا ولم ينهوا وقالوا للذين لم تعظون قوما الله مهلكهم وثلث هم اصحاب الخطيئة الذين خالفوا امر الله واصطادوا وباعوا واكلوا فلما لم ينتهوا عما هم فيه من المعصية قال الناهون لا نساكنكم في قرية واحدة فقسموا القرية بينهم بجدار للناهين باب يدخلون ويخرجون منه وللعاصين باب ولعنهم داود عليه السلام وكانوا في زمنه فاصبح الناهون ذات يوم ولم يخرج من المعتدين احد فقالوا ان لهم شانا لعل الخمر قد غلبتهم فعلوا على الجدار الذي بينهم فاذا هم قد مسخوا قردة ففتحوا عليهم الباب ودخلوا اليهم فصار القردة يعرفون انسباءهم من الناس ولم يعرف الناس انسباءهم من القردة فجعلت القردة تاتي انسباءها من الناس فتشم ثيابهم فيقول لهم الم ننهكم فتقول القردة براسها نعم فنجا الناهون وهلك سائرهم فذلك قوله تعالى **واذ قالت امة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم** واختلفوا في القائلين هذه المقالة فقال بعض المفسرين ان اهل القرية افترقوا ثلاث فرق فرقة اعتدت واصابت الخطيئة وفرقة نهتهم عن ذلك الفعل وفرقة امسكت عن الصيد وسكتت عن موعظة المعتدين وقالوا للناهين لم تعظون قوما الله مهلكهم **او معذبهم عذابا شديدا** يعني انهم لاموهم على موعظة قوم يعلمون انهم غير متعظين ولا منزجرين فقالت الفرقة الناهية للذين لاموهم **قالوا معذرة الى ربكم** يعني ان موعظتنا اياهم معذرة الى ربكم لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب علينا فموعظتنا لهم لا عذر لنا عند الله **ولعلهم يتقون** اي وجائز عندنا ان ينتفعوا بالموعظة فيتقوا ويتركوا ما هم فيه من الصيد وقال بعضهم ان اهل القرية كانوا فرقتين فرقة نهت وزجرت عن السوء وفرقة عملت السوء فعلى هذا يكون الذين قالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم الفرقة المعتدية وذلك ان الفرقة الناهية قالوا للفرقة المعتدية انتهوا قبل ان ينزل بكم عذابا شديدا ان تنتهوا عما انتم فيه فقالت لهم الفرقة المعتدية لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا والمعنى لم تعظونا وقد علمتم ان الله مهلكنا او منزل عذابه والقول الاول

اصح

اصح لانهم لو كانوا فرقتين لكان قولهم معذرة الى ربكم خطابا من الناهية للمعتدية وقوله تعالى **فلما نسوا ما ذكروا به** اي فلما تركوا ما وعظوا به **انجينا الذين ينهون عن السوء** وهم الفرقة الناهية **واخذنا الذين ظلموا** يعني الفرقة المعتدية العاصية **بعذاب بئيس** اي شديد وجيع من البأس وهو الشدة **بما كانوا يفسقون** يعني انا اخذناهم بالعذاب بسبب فسقهم واعتدائهم وخروجهم عن طاعتنا روى عكرمة عن ابن عباس قال اسمع الله عز وجل يقول انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس فلا ادري ما فعلت الفرقة الساكتة وجعل يبكي قال عكرمة فقلت له جعلني الله فداك الا تراهم قد انكروا وكرهوا ما هم عليه وقالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم وان لم يقل الله انجيتهم لم يقل اهلكتهم قال فاعجبه قولي ورضي به وامر لي ببردين فكسانيهما وقال نجت الساكتة وقال يمان بن رباب نجت الطائفتان الذين قالوا لم تعظون والذين قالوا معذرة واهلك الذين اخذوا الحيتان وهذا قول الحسن وقال ابن زيد نجت الناهية وهلكت الفرقتان وهذه اشد اية في ترك النهي عن المنكر وقوله تعالى **فلما عتوا عما نهوا عنه** قال ابن عباس ابوا ان يرجعوا عن المعصية والعتو عبارة عن الاباء والعصيان والمعنى فلما عتوا عن ترك ما نهوا عنه وتمردوا في العصيان من اعتدائهم في السبت واستحلالهم ما حرم الله عليهم من صيد السمك في يوم السبت واكله **قلنا لهم كونوا قردة خاسئين** يعني صاغرين مبعدين من كل خير قال قتادة فلما عتوا عما نهوا عنه مسخهم في يوم السبت فصيرهم قردة تتعاوى بعد ما كانوا رجالا ونساء وقال ابن عباس جعل الله منهم القردة والخنازير فزعم ان شباب القوم صاروا قردة وان الشيخة صاروا خنازير قيل انهم بقوا ثلاثة ايام ينظر الناس اليهم ثم هلكوا جميعا قوله تعالى **واذ تاذن ربك** الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم ومعنى تاذن اذن والاذان الاعلام يعني اعلم ربك وقيل معناه قال ربك وقيل حكم ربك وقيل تالى ربك بمعنى اقسم ربك لان اللام في قوله ليبعثن جواب القسم لان قوله واذ تاذن جار مجرى القسم لكونه جزما وجواب القسم ليبعثن عليهم واختلفوا في الضمير في عليهم الى من يرجع فقيل يقتضي ان يكون راجعا الى قوله تعالى فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين لكن قد علم ان الذين مسخوا لم يبق منهم احد فيحتمل ان يكون المراد الذين بقوا منهم فالحق الذل بهم وقيل ان المراد سائر اليهود ومن بعدهم لان الذين بقوا من اهل القرية كانوا صالحين والذي بعثه الله على اليهود هم بخت نصر وسنجاريب وملوك الروم فساموهم سوء العذاب وقيل المراد بقوله ليبعثن عليهم اليهود الذين كانوا في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وامته فالزم من يسلم منهم الصغار والذلة والجزية لازمة اليهود الى يوم القيامة وورد على هذا بان في اخر الزمان يكون لهم عزة وذلك عند خروج

الدجال لان اليهود اتباعه واشياعه واجيب عنه بان ذلك العز الذي يحصل لهم هو في
نفسه غاية الذلة لانهم يدعون الهية الدجال فيزدادون كفرا الى كفرهم
فاذا اهلك الدجال اهلكهم المسلمون جميعا وقتلوهم فذلك هو الذلة هو الذلة
والصغار المشار اليه بقوله ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء
العذاب وهذا نص في ان العذاب انما يحصل لهم في الدنيا مستمرا عليهم الى يوم القيامة
ولهذا فسر هنا العذاب بالاهانة والذلة واخذ الجزية منهم فاذا افضوا الى الاخرة
كان عذابهم اشد واعظم وهو قوله تعالى ان ربك لسريع العقاب يعني لمن اقام
على الكفر ففيه دليل على انه يجمع لهم مع ذلة الدنيا عذاب الاخرة فيكون العذاب
مستمرا عليهم في الدنيا والاخرة ثم ختم الاية بقوله تعالى وانه لغفور رحيم
يعني لمن امن منهم ورجع عن الكفر واليهودية ودخل في الاسلام قوله عز وجل
وقطعناهم في الارض امما يعني وفرقنا بني اسرايل في الارض جماعات متفرقة
فلا تخلو بلدة الا وفيه من اليهود طايفة وجماعة قال ابن عباس في كل الارض
يدخلها قوم من اليهود منهم الصالحون يعني من هولاء الذين وصفهم الله من بني
اسرايل صالحون ومنهم من امن بالله وبرسوله وثبت على دينه قبل مبعث عيسى عليه
السلام وانما وصفهم بذلك قبل ارتدادهم عن دينهم وكفرهم بربهم ذكره الطبري
ولم يذكر غيره وروى البغوي وغيره من المفسرين عن ابن عباس ومجاهد ان المراد
بالصالحين الذين ادركوا النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود وامنوا به والصحيح ما
ذكره الطبري يدل عليه قوله بعده فخلف من بعدهم خلف والخلف انما كان بعد
هولاء الذين وصفهم بالصلاح من بني اسرايل وقوله تعالى ومنهم دون ذلك
الذين كفروا من بني اسرايل وغيروا وبدلوا وبلوناهم يعني جميعا الصالح وغيره
وهي بلوى اختبار وامتحان بالحسنات يعني الخصب والعافية والسيئات
يعني الجدب والشدة لعلهم يرجعون يعني لكي يرجعوا الى طاعة ربهم ويتوبوا
اليه قال اهل المعاني كل واحد من الحسنات والسيئات اذا قرنت بالنعم والشدة
تدعوا الى طاعة الله تعالى اما النعمة فيزداد عليها شكرا فيرغب في الطاعة واما
الشدة فيخاف سوء عاقبتها فيرهب منها قوله تعالى فخلف من بعدهم يعني من بعد
هولاء الذين وصفناهم خلف يعني خلف سوء يعني حدث من بعدهم وتبدل منهم
من بدل سوء يقال منه خلف صدق بفتح اللام وخلف سوء بسكونها فاكثر ما
يقال في المدح بفتح اللام وفي الذم بسكونها وقد تحرك في الذم وتسكن في المدح
قال حسان بن ثابت في المدح

لنا القدم الاولى اليك وخلفنا * لاولنا في طاعة الله تابع

فسكن اللام في قوله وخلفنا وهو يريد المدح وقال لبيد في الذم

ذهب الذين يعاش في اكنافهم * وبقيت في خلف كجلد الاجرب

فسكن اللام وهو يريد الذم واصله من الفساد يقال خلف اللبن اذا فسد

ونغير

ونغير في السقا ويقال للردي خلف وخلف الشيء تغير ومنه خلوف فم الصايم
والمعنى جاء من هولاء الذين وصفناهم خلف والخلف القرن الذي يجي بعد قرن
كان قبله ورثوا الكتاب يعني انتقل اليهم الكتاب عن ابايهم والمراد بالكتاب
التوراة ياخذون عرض هذا الادنى العرض بفتح الراء جميع متاع الدنيا كما يقال
الدنيا عرض حاضر ياكل منها البر والفاجر والعرض بسكون الراء جميع المال سوى
الدراهم والدنانير والمعنى انهم كانوا ياخذون الرشا في الاحكام وعلى تبديل
الكلام وتغييره وذلك الذي ياخذونه من حطام الدنيا هو الشيء التافه
الخسيس الحقير لان الدنيا باسرها فانية حقيرة والراغب فيها احقر منها
فاليهود ورثوا التوراة وعلموا ما فيها وضيعوا العمل بما فيها وتركوه واخذوا
الرشا في الاحكام ويعلمون انه حرام ثم انهم مع اقدامهم على هذا الذنب العظيم
واصرارهم عليه ويقولون سيغفر لنا يعني ذنوبنا فيتمنون على الله الاماني
الباطلة الكاذبة عن شداد بن اوس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى
على الله اخرجه الترمذي وقال في قوله صلى الله عليه وسلم دان نفسه يعني حاسبها
في الدنيا قبل ان يحاسب يوم القيامة وموضع استشهاد من الحديث على الاية
قوله وتمنى على الله لان اليهود كانوا يقدمون على الذنوب ويقولون سيغفر لنا
وهذا هو التمني بعينه وقوله تعالى وان ياتهم عرض مثله ياخذوه وهذا
اخبار عن حرصهم على الدنيا واصرارهم على الذنوب والمعنى انهم اذا اتاهم
شي من الدنيا اخذوه حلالا كان او حراما ويتمنون على الله المغفرة وان وجدوا
من الغد مثله اخذوه قال السدي كانت بنو اسرايل لا يستقضون قاضيا
الا ارتشى في الحكم فيقال له ما لك ترتشي فيقول سيغفر لي فيطعن عليه الاخرون
فاذا مات او نزع من الحكم وجعل مكانه اخر ممن كان يطعن عليه ارتشى ايضا يقول
الله عز وجل وان ياتهم عرض مثله ياخذوه الم يوخذ عليهم ميثاق الكتاب
يعني الم يوخذ على هولاء المرتشين في احكامهم العهود والميثاق في الكتاب وهو
التوراة الا يقولوا على الله الا الحق يعني انا اخذنا عليهم الميثاق على ان
يقولوا الحق فقالوا الباطل وخالفوا امر الله وهو قولهم سيغفر لنا والمراد
من هذا التوبيخ والتقريع لليهود في ادعايهم على الله الباطل قال ابن عباس
هو ما يوجبون على الله من غفران الذنوب التي لا يزالون يعودون فيها ولا
يتوبون منها ودرسوا ما فيه يعني ما في الكتاب والمعنى انهم ذاكرون لما
اخذ عليهم من العهود والمواثيق في الكتاب لانهم دارسون له لم يتركوه ولكن
درسوه وضيعوا العمل به والدار الاخرة يعني وما في الدار الاخرة مما اعد
الله لاوليايه واهل طاعته العاملين بما امرهم الله به في كتابه ولم يغيروا
ولم يبدلوا ولم يرتشوا في الاحكام خير للذين يتقون يعني يتقون الله

ذنوبهم

ويخافون عقابه **أفلا يعقلون** يعني أفلا يعقل هؤلاء الذين يرضون بعرض
الدنيا أنما في الآخرة خير وأبقى لأنها دار المتقين **والذين يمسكون بالكتاب**
يقال مسكت بالشيء وتمسكت به واستمسكت به وامتسكت به والمراد
بالتمسك بالكتاب العمل بما فيه وإحلال حلاله وتحريم حرامه وإقامة حدوده
والتمسك بأحكامه نزلت هذه الآية في الذين أسلموا من أهل الكتاب مثل عبد الله
بن سلام وأصحابه لأنهم تمسكوا بالكتاب الأول ولم يحرفوه ولم يغيروه فأداهم
ذلك التمسك إلى الإيمان بالكتاب الثاني وهو القرآن **وأقاموا الصلاة** يعني
وداوموا على إقامتها وإنما أفردها بالذكر وإن كانت الصلاة داخلة في
التمسك بالكتاب تنبيها على عظم قدرها وأنها من أعظم العبادات بعد الإيمان
بالله وبرسوله **إنا لا نضيع أجر المصلحين** قوله عز وجل **وإذ نتقنا الجبل
فوقهم كأنه ظلة** يعني واذكر يا محمد إذ قلعنا الجبل فرفعناه فوق بني إسرائيل
كأنه ظلة يعني جعلناه فوقهم كالظلة والظلة كل ما علا على الإنسان كالسقف
ونحوه **وظنوا** يعني وعلموا وأيقنوا **أنه واقع بهم** يعني الجبل **خذوا**
يعني وقلنا لهم خذوا وإضمار القول كثير في القرآن وكلام العرب **ما آتيناكم**
يعني التوراة **بقوة** يعني بجد واجتهاد **واذكروا ما فيه** يعني واعملوا بما فيه
من الأحكام **لعلكم تتقون** قال أصحاب الأخبار إن بني إسرائيل لما أبوا أن يقبلوا
أحكام التوراة لما فيها من التكاليف الشاقة أمر الله جبريل فرفع جبلا عظيما
حتى صار على رؤوسهم كالظلة فلما نظروا إلى الجبل فوق رؤوسهم خروا ساجدين فسجد
كل واحد على خده وحاجبه الأيسر وجعل ينظر بعينه اليمنى إلى الجبل خوفا أن
يسقط عليه ولذلك لا تسجد اليهود إلا على شق وجوههم اليسرى قوله تعالى
**وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست
بربكم قالوا بلى** الآية عن مسلم بن يسار الجهني أن عمر بن الخطاب سئل عن قوله
تعالى وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم الآية قال سئل عنها رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال إن الله تبارك وتعالى خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج
منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره
فاستخرج ذرية فقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون فقال رجل
يا رسول الله ففيم العمل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله إذا خلق
العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله
الجنة وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال
أهل النار فيدخله النار أخرجه مالك في موطئه وأبو داود والترمذي وقال
حديث حسن ومسلم بن يسار لم يسمع من عمر وقد ذكر بعضهم في هذا الإسناد بين
مسلم بن يسار وعمر رجلا قلت ذكر الطبري في بعض طرق هذا الحديث الرجل
فقال عن مسلم بن يسار عن نعيم بن ربيعة عن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم

بنحوه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خلق الله آدم مسح ظهره
فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة وجعل بين عيني
كل إنسان وبيصا من نور ثم عرضهم على آدم فقال أي رب من هؤلاء قال هؤلاء
ذريتك فرأى رجلا منهم فأعجبه وبيص ما بين عينيه فقال يا رب من هذا قال
داود فقال رب كم جعلت عمره قال ستين سنة قال يا رب زده من عمري أربعين
سنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انقضى عمر آدم إلا أربعين جاءه
ملك الموت فقال آدم أولم يبق من عمري أربعين سنة قال أولم تعطها ابنك
داود فجحد آدم فجحدت ذريته ونسي آدم فأكل من الشجرة فنسيت ذريته وخطئ
فخطئت ذريته أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح فأما تفسير الآية
فقوله تعالى وإذ أخذ ربك يعني واذكر يا محمد إذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم
يعني من ظهور بني آدم وإنما لم يذكر ظهر آدم وإن كان الله أخرج جميع الذرية من
ظهره لأن الله تعالى أخرج ذرية آدم بعضهم من ظهر بعض على نحو ما يتوالد الأبناء
من الآباء فلذلك قال تعالى من بني آدم من ظهورهم فاستغنى عن ذكر ظهر آدم عليه
السلام لما علم أنهم كلهم بنو آدم وأخرجوا من ظهره فترك ذكر ظهر آدم استغناء
ثم للعلماء في تفسير هذه الآية مذهبان أحدهما مذهب أهل التفسير والأثر
وظاهر ما جاءت به الروايات عن السلف فيما روي عن ابن عباس من طرق كثيرة
وروايات مختلفة وروى أكثرها الطبري بأسانيدها فمنها عن سعيد بن جبير
عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنعمان
يعني عرفة فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرهم بين يديه كالذر ثم كلمهم
قبلا وقال ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن
هذا غافلين وعن ابن عباس في هذه قال مسح ربك ظهر آدم فخرجت كل نسمة
هو خالقها إلى يوم القيامة بنعمان هذا الذي وراء عرفة وأخذ ميثاقهم ألست
بربكم قالوا بلى شهدنا وعن ابن عباس أيضا قال إن أول ما أهبط الله آدم إلى الأرض
أهبطه بدهنا أرض الهند فمسح ظهره فأخرج منه كل نسمة هو بارئها إلى يوم
القيامة ثم أخذ عليهم الميثاق وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى
شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين زاد في رواية عنه
فجف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة وفي رواية عنه لما خلق الله آدم أخذ
ميثاقه أنه ربه وكتب رزقه وأجله ومصائبه واستخرج ذريته كالذر وكتب
أرزاقهم وآجالهم ومصائبهم وفي رواية عنه أن الله عز وجل مسح صلب آدم
فاستخرج كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة فأخذ منهم الميثاق أن يعبدوه
ولا يشركوا به شيئا وتكفل لهم بالأرزاق ثم أعادها في صلبه فلن تقوم الساعة
حتى يولد كل من أعطي الميثاق يومئذ فمن أدرك منهم الميثاق الآخر فوفى به نفعه
الميثاق الأول ومن أدرك الميثاق الآخر لم يف به لم ينفعه الأول ومن مات

صغيرًا قبل ان يدرك الميثاق الاخر مات علي الميثاق الاول علي الفطرة وروي الطبري
بسنده عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذوا من ظهره
كما يوخذ بالمشط من الراس فقال لهم الست بربكم قالوا بلى قالت الملايكة شهدنا
ان يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين وقال ابن عباس اخرج من ذرية
ادم من ظهره فكلمهم الله وانطقهم فقال لهم الست بربكم قالوا بلى ثم اعادها في
صلبه فليس احد من الخلق الا وقد تكلم فقال ربي الله وان القيامة لن تقوم حتى
يولد من كان يوميذ اشهد علي نفسه وقال السدي واخرج الله ادم من الجنة
ولم يهبطه من السما ثم انه مسح صفحة ظهره اليمنى فاخرج منه كهيئة الذر بيضا
فقال ادخلوا الجنة برحمتي ثم مسح علي صفحة ظهره اليسري فاخرج منه كهيئة
الذر سودا فقال ادخلوا النار ولا ابالي فذلك حين يقول اصحاب اليمين واصحاب
الشمال ثم اخذ منهم الميثاق فقال الست بربكم قالوا بلى فاعطاه طايفة طايعين
وطايفة كارهين علي وجه التقية زاد في رواية وذلك حين يقول وله اسلم من في
السموات والارض طوعا وكرها وقال محمد بن كعب القرظي اقروا له بالايمان والمعرفة
الارواح قبل خلق اجسادها وقال مقاتل مسح صفحة ظهر ادم اليمنى فاخرج
منها ذرية بيضا كهيئة الذر يتحركون ثم مسح صفحة ظهره اليسري فاخرج منها ذرية
سودا كهيئة الذر يتحركون فقال يا ادم هولا ذريتك ثم قال لهم الست بربكم
قالوا بلى فقال للبيض هولا في الجنة برحمتي وهم اصحاب اليمين وقال للسود
هولا في النار ولا ابالي وهم اصحاب الشمال ثم اعادهم جميعا في صلب ادم فاهل
القبور محبوسون حتى يخرج اهل الميثاق جميعا وروي ان الله تعالى قال لهم جميعا
اعلموا انه لا اله لكم غيري وانا ربكم لا رب لكم غيري فلا تشركوا بي شيا فاني سانتقم
ممن اشرك بي ولم يومن بي واني مرسل اليكم رسلا يذكرونكم عهدي وميثاقي ومنزل
عليكم كتابا فتكلموا جميعا فقالوا شهدنا انك ربنا لا رب لنا غيرك فاخذ بذلك
مواثيقهم ثم كتب اجالهم وارزاقهم ومصايبهم فنظر اليهم ادم عليه السلام فراى
منهم الغني والفقير وحسن الصورة ودون ذلك فقال رب هلا سويت بينهم
فقال اني احب ان اشكر فلما قررهم بتوحيده واشهد بعضهم علي بعض اعادهم
الي صلبه فلا تقوم الساعة حتى يولد كل من اخذ منه الميثاق وقال الزجاج
وجايز ان يكون الله تعالى جعل لامثال الذر عقلا وفهما تعقل به كما في النملة
قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم وكما قال وسخرنا مع داود الجبال يسبحن
والطير وقال ابن الانباري مذهب اصحاب الحديث وكبرا اهل العلم في هذه الاية
ان الله تعالى اخرج ذرية ادم من صلبه واصلاب اولاده وهم صور الذر واخذ
عليهم الميثاق انه خالقهم وانهم مصنوعه فاعترفوا بذلك وقبلوه وذلك بعد
ان ركب فيهم عقولا عرفوا بها ما عرض عليهم كما جعل للجبال عقولا حتى خوطبوا بقوله
يا جبال اوبي معه وكما جعل للبعير عقلا حتى سجد للنبي صلى الله عليه وسلم وكذلك

الشجرة

الشجرة حين سمعت لامره وانقادت ومعنى قوله الست بربكم علي هذا التفسير
قال الله للذرية الست بربكم فهو ايجاب للربوبية عليهم قالوا بلى يعني قالت
الذرية بل انت ربنا فهو جواب منهم له واعتراف علي انفسهم بالعبودية وفي قوله
شهدنا قولان احدهما انهم لما اقروا له بالربوبية قال الله عز وجل للملايكة
اشهدوا قالوا شهدنا علي اقرارهم فعلي هذا القول يحسن الوقف علي قوله
بلى لان كلام الذرية تم وانقطع وقوله شهدنا كلام مستانف والقول
الثاني ان قوله شهدنا من كلام الذرية والمعنى شهدنا علي انفسنا بهذا الاقرار
وعلي هذا لا يحسن الوقف علي بلى لتعلقه بما بعده وقوله تعالى ان يقولوا
قري بالتاء علي خطاب الذرية معناه ليلا تقولوا ايها الذرية يوم القيامة
انا كنا عن هذا يعني الميثاق غافلين وقري ان يقولوا علي الغيبة
ومعناه ليلا يقولوا اي الذرية انا كنا عن هذا غافلين والمذهب الثاني
في معنى هذه الاية وهو مذهب اهل الكلام والنظر انه تعالى اخرج الذرية وانشاهم
بعد ان كانوا نطفا في اصلاب الابا وهم اولاد بني ادم فاخرج الذرية الي الدنيا
علي ترتيبهم في الوجود واشهدهم علي انفسهم بما ركب عليهم من العقول واراهم
من عجايب خلقه وغرايب صنعه ودلايل وحدانيته فبهذا الاشهاد صاروا
كانهم قالوا بلى واشهدهم علي انفسهم انه ربهم وذلك بما اظهر لهم من دلايل
اياته وبراهينه التي تضطرهم الي ان يعلموا انه خالقهم وباريهم وربهم ونافذ
الحكم فيهم فلما عرفوا ذلك دعاهم ذلك الي التصديق بوحدانيته وربوبيته
فقالوا بلى شهدنا علي انفسنا انك انت ربنا وخالقنا فعلي هذا القول يكون
قولهم بلى شهدنا علي انفسنا علي المجاز لا علي الحقيقة وهذا النوع من المجاز
والاستعارة مشهورة في كلام العرب فكل من بلغ وعقل فقد اخذ عليه الميثاق
بما جعل فيه من السبب الذي به يوخذ الميثاق وهو العقل والتكليف فيكون
معنى الاية واذ ياخذ ربك من بني ادم ويشهدهم علي انفسهم بما ركب فيهم من
العقل الذي يكون به الفهم والتكليف ويترتب علي صاحبه الثواب والعقاب
يوم القيامة فان قلت فما المختار من هذين المذهبين في تفسير هذه
الاية قلت المذهب الاول هو المختار لانه مذهب جمهور المفسرين من
السلف وورد الحديث بذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم فان قلت اذا كان
المختار في تفسير هذه الاية هو مذهب السلف في ذلك وان الله تعالى اخرج
الذرية من ظهر ادم لاخذ الميثاق عليهم كما ورد في الحديث ايضا فكيف يحمل تفسير
الفاظ هذه الاية علي هذا القول قلت قد صح الحديث بان الله مسح ظهر ادم
فاخرج ذريته واخذ عليهم الميثاق ولا منافاة بين الاية والحديث كما تقدم في
تفسير الفاظ الاية من ان الله اخرج ذرية ادم من ظهره علي سبيل التوالد
بعضهم من بعض كما في الخارج وكلهم باجمعهم من ظهر ادم الذي هو اصلهم فهذا

الطريق امكن الجمع بين الاية والحديث اذ ليس في معنى الفاظ الاية ما يدل
على بطلان ذلك ونفيه وقد ورد الحديث بثبوت ذلك وصحته فوجب المصير
اليه والاخذ به جمعا بين الاية والحديث وحكى الواحدي عن صاحب النظم انه قال
ليس بين قوله صلى الله عليه وسلم ان الله مسح ظهر ادم فاخرج منه ذريته وبين
الاية اختلاف بحمد الله لانه تعالى اذا اخرجهم من ظهر ادم فقد اخرجهم من ظهر
ذريته لان ذرية ادم ذرية كذرية بعضهم من بعض قال وحصل الفايدة بهذا
الفصل بانه تعالى اثبت على كل منفوس ممن بلغ ولم يبلغ بالميثاق الذي اخذه
عليهم وزاد على من بلغ منهم الحجة بالايات والدلايل التي نص بها الرسل المتقدمة
اليهم مبشرين ومنذرين وبالمواعظ وقال غيره فايدة اخذ الميثاق عليهم في
القدم ان من مات منهم صغيرا ادخل الجنة باقراره بالميثاق الاول وهذا على
قول من يقول ان اطفال المشركين يدخلون الجنة اذا ماتوا صغارا فاما من لا
يحكم لهم بالجنة فانه يقول من كان من اهل الشقاوة من الذرية السودا وانما
اقروا بالمعرفة كرها فلم يغن عنهم ذلك شيئا ومن بلغ وعقل لم يغن عنه اقراره
بالميثاق الاول شيا حتى يومن ويصدق عند بلوغه وعقله بان الله ربه وخالقه
ويصدق رسله فيما جاوا به من عنده وانما فعل ذلك لئلا يقول الكفار انا كنا
عن هذا الميثاق والايمان بان الله ربنا غافلين او لئلا يقول اخلافهم انما اشرك
اباونا ونحن نسير على اثارهم ظنا منهم ان الحق ما كانوا عليه فان قلت ذلك الميثاق
لا يذكره احد اليوم فكيف يكون حجة عليهم اليوم او فكيف لا يذكرونه يوم القيامة
حتى يحتج عليهم به قلت لما اخرج الذرية من صلب ادم وركب فيهم العقول
واخذ عليهم الميثاق فلما اعيدوا الى صلب ادم بطل ما ركب فيهم فتولدوا
ناسيين ذلك الميثاق لاقتضا الحكمة الالهية نسيانهم له ثم ابتداهم بالخطاب
على السنة الرسل واصحاب الشرايع فقام ذلك مقام الذكر اذ لولا ذلك لا رد التكليف
والامتحان ولو لم ينسوه لانتفت المحنة والبلا والتكليف فقامت الحجة
عليهم ايضا يوم القيامة لاخبار الرسل اياهم بذلك لامدادهم بالرسل
واعلامهم بجريان اخذ الميثاق عليهم وبذلك قامت الحجة عليهم ايضا يوم القيامة
لاخبار الرسل اياهم بذلك الميثاق في الدنيا فمن انكره كان معاندا ناقضا
للعهد ولزمتهم الحجة ولا تسقط الحجة عنهم بنسيانهم وعدم حفظهم بعد اخبار
الصادق صاحب الشرع والمعجزات الباهرات قوله تعالى **او يقولوا** يعني الذرية
انما اشرك اباونا من قبل يعني انما اخذ الميثاق عليهم لئلا يقول المشركون
انما اشرك اباونا من قبل **وكنا ذرية من بعدهم** يعني وكنا اتباعا لهم فاقتدينا
بهم في الشرك **افتهلكنا** يعني افتعذبنا **بما فعل المبطلون** قال المفسرون
هذا قطع لعذر الكفار فلا يستطيع احد من الذرية ان يقول يوم القيامة
انما اشرك اباونا من قبلنا ونقضوا العهد والميثاق وكنا نحن الذرية من

بعدهم

بعدهم فقلدناهم واقتدينا بهم وكنا في غفلة عن هذا الميثاق فلا ذنب لنا فلا
يمكنهم ان يحتجوا بمثل هذا وقد اخذ عليهم جميعا الميثاق وجاءتهم الرسل وذكروهم
به وثبتت عليهم الحجة بذلك يوم القيامة واما الذين حملوا معنى الاية على ان المراد
منه مجرد نصب الدلايل وهو مذهب اهل النظر قالوا معناه ان الله نصب هذه
الدلايل واظهرها للعقول لئلا يقولوا انما اشركنا على سبيل التقليد لابائنا
لان نصب ادلة التوحيد قايم معهم فلا عذر لهم في الاعراض عنه والاقبال
على تقليد الابا في الشرك وقوله تعالى **وكذلك نفصل الايات** يعني ليتدبرها
العباد فيرجعوا الى الحق والايمان ويعرضوا عن الباطل والكفر وهو المراد
من قوله **ولعلهم يرجعون** يعني من الشرك الى التوحيد وقيل معناه ولعلهم
يرجعون الى الميثاق الاول فيذكرونه ويعملون بموجبه ومقتضاه وقوله عز
وجل **واتل عليهم** يعني واقرا على قومك يا محمد **نبا** يعني خبر **الذي اتيناه**
اياتنا اختلفوا فيه فقال ابن عباس هو بلعام بن باعورا وقال مجاهد بلعام
ابن باعر وقال عبد الله بن مسعود هو بلعم بن ابر وقال عطية قال ابن عباس انه كان
من بني اسرايل وفي رواية اخرى عنه انه كان من الكنعانيين من اهل الجبارين وقال
مقاتل هو من مدينة البلقا وكانت قصته على ما ذكره ابن عباس ومحمد بن اسحاق
والسدي وغيرهم من اصحاب الاخبار والسير قالوا ان موسى عليه السلام لما
قصد حرب الجبارين نزل ارض كنعان من ارض الشام اتى قوم بلعام وكان عنده
اسم الله الاعظم فقالوا ان موسى رجل حديد وان معه جنودا كثيرة وانه
قد جا يخرجنا من بلادنا ويقتلنا ويحلها بني اسرايل وانت رجل مجاب الدعوة
فاخرج وادع الله ان يردهم عنا فقال ويلكم نبي الله ومعه الملايكة والمؤمنون
فكيف ادعو عليهم وانا اعلم من الله ما اعلم واني ان فعلت هذا ذهبت دنياي
واخرتي فراجعوه والحوا عليه فقال حتى اوامر ربي وكان لا يدعو حتى يوامر
ربه في المنام فامر في المنام فقيل له لا تدع عليهم فقال لقومه اني قد
وامرت ربي فنهاني ان ادعو عليهم فاهدوا له هدية فقبلها وراجعوه فقال
حتى اوامر ربي فوامر فلم يجي اليه شي فقال قد وامرت ربي فلم يجي الي فيه
شي فقالوا له لو كره ربك ان تدعو عليهم فنهاك كما نهاك اول مرة فلم يزالوا
يتضرعون اليه حتى فتنوه فافتتن فركب اتانا له متوجها الى جبل يطلعه
على عسكر بني اسرايل يقال لذلك الجبل جبل حسبان فلما سار عليها غير بعيد
ربضت فنزل عنها وضربها فقامت فركبها فلم تسر به كثيرا حتى ربضت فضربها
فقامت فركبها فلم تسر به كثيرا حتى ربضت فضربها حتى اذلقها فاذن الله
عز وجل في الكلام فانطقها له وكلمته حجة عليه فقالت ويحك يا بلعام
اين تذهب اما ترى الملايكة امامي يردوني عن وجهي هذا ويحك تذهب
الى نبي الله والمومنين فتدعو عليهم فلم ينزع فخلى الله سبيل الاتان فانطلقت

به حتى اذا اشرفت على جبل حسبان ومعه قومه فجعل يدعو عليهم فلم يدع عليهم بشيء
الا صرف الله به لسانه الى قومه ولا يدعوا الى قومه بخير الا صرف الله به لسانه
الى بني اسرائيل فقال له قومه يا بلعام اتدري ما تصنع انما تدعو لهم وتدعو علينا
فقال هذا ما لا املكه هذا شيء قد غلب الله عليه واندلع لسانه فوقع على صدره
فقال لقومه قد ذهبت مني الدنيا والاخرة ولم يبق الا المكر والحيلة فسامكر لكم
واحتال ثم قال جملوا النساء وزينوهن واعطوهن السلاح ثم ارسلوهن الى
عسكر بني اسرائيل ليبيعنها عليهم وامروهن ان لا تمنع امراة نفسها من رجل ارادها
فانه ان زنى رجل منهم بواحدة منكم كفيتموهم ففعلوا ذلك فلما دخل النساء العسكر
مرت امراة من الكنعانيين اسمها كستي بنت صور على رجل من عظماء بني اسرائيل يقال
له زمري بن شلوم وكان راس سبط شمعون بن يعقوب فقام الى المراة واخذ
بيدها حين اعجبه جمالها ثم اقبل بها حتى وقف بها على موسى عليه السلام وقال
اني لاظنك تقول هذه حرام عليك فقال اجل هي حرام عليك لا تقربها فقال والله
لا نطيعك في هذا ثم دخل بها الى قبته فوقع عليها فارسل الله عز وجل الطاعون على
بني اسرائيل في ذلك الوقت وكان فنحاص بن العيزار بن هرون وهو صاحب امر موسى
وكان رجلا قد اعطي بسطة في الخلق وقوة في البطش وكان غائبا حين صنع زمري
ابن شلوم ما صنع فجاء والطاعون يجوس بني اسرائيل فاخبر الخبر فاخذ حربته وكانت
من حديد كلها ثم دخل عليهما القبة وهما متضاجعان فطعنهما بحربته فانتظمهما ثم
خرج بهما رافعهما الى السماء وقد اخذ الحربة بذراعه واعتمد بمرفقه على خاصرته
واسند الحربة الى لحيته وكان بكر العيزار وجعل يقول اللهم هكذا نفعل بمن عصاك
ورفع الطاعون عن بني اسرائيل فحسب من مات منهم في ذلك الطاعون فيما بين
ان اصاب ذلك الرجل المراة الى ان قتله فنحاص فوجدوا قد هلك سبعون الفا في
ساعة واحدة من النهار فمن هنالك يعطي بنو اسرائيل ولد فنحاص من كل ذبيحة
يذبحونها القبة والذراع واللحي لاعتماده بالحربة على خاصرته واخذه اياها الى لحيته
ويعطونهم البكر من كل اموالهم لانه كان بكر العيزار وفي بلعام انزل الله عز وجل
واتل عليهم نبا الذي اتيناه اياتنا الاية وقال مقاتل ان ملك الكنعانيين قال
لبلعام ادع الله على موسى فقال بلعام انه من اهل ديني ولا ادعو عليه فنصب له
خشبة ليصلبه عليها فلما راى ذلك خرج على اتان له ليدعو على موسى فلما
عاين عسكرهم قامت به الاتان ووقفت فضربها فقالت لم تضربني فاني
مامورة وهذه نار امامي قد منعتني ان امشي فرجع الى الملك فاخبره بذلك
فقال لتدعون عليه او لاصلبنك فدعا على موسى بالاسم الاعظم ان لا يدخل
المدينة فاستجيب له ووقع موسى ومن معه من بني اسرائيل في التيه بدعاء بلعام
قال فكما سمعت دعاءه علي فاسمع دعائي عليه ان تنزع عنه الاسم الاعظم والايمان
فنزع الله منه المعرفة وسلخه منها فخرجت من صدره كحمامة بيضاء فذلك قوله

تعالى

تعالى اتيناه اياتنا فانسلخ منها قلت هذه القصة ذكرها جماعة من المفسرين
وفيها ان موسى دعا على بلعام بان ينزع منه الاسم الاعظم والايمان فان قلت
كيف يجوز لموسى عليه السلام مع علو منصبه في النبوة ان يدعو على انسان بالكفر
بعد الايمان او يرضى له بذلك قلت الجواب من وجوه احدها منع صحة هذه
القصة لانها من الاسرائيليات ولا يلتفت الى ما سطره اهل الاخبار اذا خالف
الاصول الوجه الثاني ان سبب وقوع بني اسرائيل في التيه هو عبادتهم العجل
او قولهم لموسى عليه السلام اجعل لنا الها فكان ذلك هو سبب وقوعهم في
التيه لا دعا بلعام عليهم الوجه الثالث على تقدير صحة هذه القصة وان موسى
عليه السلام دعا على بلعام ان موسى عليه السلام لم يدع عليه الا بعد ان ثبت
عنده ان بلعام كفر وارتد عن الايمان بدعائه على موسى وايثاره الحياة الدنيا
فدعا عليه مقابلة لدعائه عليه والله اعلم بحقيقة ذلك كله والمقصود من
ذلك تنزيه منصب النبوة عما ينقله اصحاب الاخبار في كتبهم من غير نظر فيه
ولا بحث عن معناه وقال عبد الله بن عمرو بن العاص وسعيد بن المسيب وزيد
ابن اسلم نزلت هذه الاية في امية بن ابي الصلت الثقفي وكانت قصته انه
كان قد قرا الكتب القديمة وعلم ان الله تعالى مرسل رسولا فرجا ان
يكون هو ذلك الرسول فلما ارسل محمد صلى الله عليه وسلم وشرفه الله بالنبوة
حسده وكذبه وكان امية صاحب شعر وحكمة ومواعظ حسنة فقصد بعض
الملوك فلما رجع مر على قتلى بدر فسال عنهم فقيل له قتلهم محمد فقال لو كان
نبيا لما قتل اقرباءه فلما مات امية اتت اخته فارعة الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فسالها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وفاة اخيها فقالت بينما هو
راقد اتاه اثنان فكشفا سقف البيت ونزلا فقعد احدهما عند راسه والاخر
عند رجليه فقال الذي عند رجليه للذي عند راسه اوعى قال وعى قال ازكى قال ابى
قالت فسالته عن ذلك قال خيرا اريد بي فصرف عني ثم غشي عليه فلما افاق من غشيته
قال

كل عيش وان تطاول دهرا … صائر مرة الى ان يزولا
ليتني كنت قبل ما قد بدا لي … في قلال الجبال ارعى الوعولا
ان يوم الحساب يوم عظيم … شاب فيه الصغير يوما ثقيلا

ثم قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم انشديني من شعر اخيك فانشدت بعض
قصائده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم امن شعره وكفر قلبه فانزل الله عز
وجل واتل عليهم نبا الذي اتيناه اياتنا فانسلخ منها الاية وفي رواية عن ابن عباس
انها نزلت في البسوس وهو رجل من بني اسرائيل وكان قد اعطي ثلاث دعوات مستجابات
وكانت له امراة له منها اولاد فقالت له اجعل لي منها دعوة فقال لك منها واحدة
فما تريدين فقالت ادع الله ان يجعلني اجمل امراة في بني اسرائيل فدعا لها فصارت

احمل النساء فلما علمت انه ليس في بني اسرائيل مثلها رغبت عنه فغضب ودعا عليها
فصارت كلبة نباحة فذهبت فيها دعوتان فجاء بنوها الى ابيهم وقالوا ليس لنا
على هذا الامر قرار فقد صارت امنا كلبة نباحة والناس يعيروننا بذلك فادع الله
ان يردها الى حالها الاول فدعا الله فعادت كما كانت فذهبت فيها الدعوات
جميعا والقول الاول اشهر وقال الحسن وابن كيسان نزلت في منافقي
اهل الكتاب الذين كانوا يعرفون النبي صلى الله عليه وسلم بنعته وصفته كما يعرفون
ابناءهم ثم انكروه وقال قتادة هذا مثل ضربه لمن عرض عليه الهدى فلم يقبله وقوله
تعالى اتيناه اياتنا قال ابن عباس كان يعلم اسم الله الاعظم وقال ابن زيد كان لا
يسال الله شيئا الا اعطاه وقال السدي كان يعلم اسم الله الاعظم وفي رواية
اخرى عن ابن عباس انه اوتي كتابا وقال ان الله تعالى اتاه حججه وادلته وهي الايات
التي اوتيها **فانسلخ منها** يعني فخرج من الايات التي كان الله اتاه اياها كما تنسلخ
الحية من جلدها وقال ابن عباس نزع منه العلم **فاتبعه الشيطان** يعني لحقه
وادركه وصيره الشيطان لنفسه تابعا في معصية الله ويخالف امر ربه ويطيع
الشيطان وهواه وقوله تعالى **فكان من الغاوين** يعني من الهالكين الضالين
بما خالف ربه واطاع هواه وشيطانه قوله تعالى **ولو شئنا لرفعناه بها** يعني
رفعنا درجته ومنزلته بتلك الايات التي اوتيها وقال ابن عباس لرفعناه بعمله
بها وقال مجاهد وعطاء معناه ولو شئنا لرفعنا عنه الكفر وعصمناه بالايات
ولكنه اخلد الى الارض يعني ولكنه سكن الى الدنيا ومال اليها ورضي بها واصله
من الخلود وهو الدوام والمقام والارض هنا عبارة عن الدنيا لان الارض عبارة
عن المفاوز وفيها المدن والضياع والمعادن والنبات ومنها يستخرج ما
يعاش به في الدنيا فالدنيا كلها هي الارض **واتبع هواه** يعني انه اعرض عن
التمسك بما اتاه الله من الايات واتبع الهوى فخسر دنياه واخرته ووقع هاوية
الردى والهلاك وهذه الاية من اشد الايات على العلماء الذين يريدون بعلمهم
الدنيا وشهوات النفس ويتبعون الهوى وذلك لان الله عز وجل خص هذا
الرجل باياته وحكمته وعلمه اسمه الاعظم وجعل دعاءه مستجابا ثم انه لما
اتبع هواه وركن الى الدنيا ورضي بها عوضا عن الاخرة فنزع عنه ما كان اعطيه
وانسلخ من الدين خسر الدنيا والاخرة ومن الذي يسلم من الميل الى الدنيا
واتباع الهوى الا من عصمه الله بالورع وثبته بالعلم وبصره بعيوب نفسه
عن كعب بن مالك الانصاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ذئبان
جائعان ارسلا في غنم بافسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه اخرجه
الترمذي ثم ضرب الله عز وجل مثله لهذا الرجل الذي اتاه اياته فانسلخ
منها واتبع هواه فقال تعالى **فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه**
يلهث يقال لهث الكلب يلهث اذا ادلع لسانه من العطش وشدة الحر وعند الاعيا

والتعب وهذا مثل ضربه الله عز وجل لمن اتاه اياته وحكمته فتركها وعدل عنها واتبع
هواه واثر دنياه وترك اخرته باخس الحيوانات وهو الكلب في اخس احواله وهي
اللهث لان الكلب في حال لهثه لا يقدر على نفع نفسه ولا ضرها كذلك العالم
الذي يتبع هواه لا يقدر على نفع نفسه ولا ضرها في الاخرة لان التمثيل به على
انه يلهث على كل حال حملت عليه او تركته كان لامتثاله وذلك عادة منه وطبيعة وهي
مواظبته على اللهث دائما فكذلك من اتاه الله العلم والدين واغناه عن التعرض لحطام
الدنيا الخسيسة ثم انه مال اليها وطلبها كانت حالته كحالة الكلب اللاهث وقيل
ان العالم اذا توصل به الى طلب الدنيا فانه يظهر علومه عند غير اهلها ويدلع لسانه
في تقرير تلك العلوم وبيانها وذلك لاجل ما يحصل عنده من حرارة الحرص الشديد
وشدة العطش الى الفوز بمطلوبه من الدنيا فكانت حالته شبيهة بحالة الكلب
الذي ادلع لسانه من اللهث في غير حاجة ولا ضرورة ومعنى ان تحمل عليه يلهث او
تتركه يلهث اي ان شددت عليه وامتحنته لهث او تركته لهث لان اللهث طبيعة
اصلية فيه فكذلك حال الحريص على الدنيا ان وعظته فهو حريص لا يقبل الوعظ
ولا ينجع فيه وان تركته ولم تعظه فهو حريص ايضا لان الحرص على طلب الدنيا
صار طبيعة له لازمة كما ان اللهث طبيعة لازمة للكلب **ذلك مثل القوم**
الذين كذبوا باياتنا يعني ان المثل ضربناه للذين اتيناهم اياتنا فانسلخوا منها
مثل القوم الذين كذبوا باياتنا فعم بهذا المثل جميع من كذب بايات الله
وجحدها فوجه التمثيل بينهم وبين الكلب اللاهث انهم ان جاءتهم الرسل ليهدوهم
فلم يهتدوا وان تركوا فلم يهتدوا ايضا بل هم ضلال على كل حال ثم قال تعالى
فاقصص القصص وهذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني فاقصص القصص
يا محمد على قومك اخبار من كفر بايات الله **لعلهم يتفكرون** يعني فيتعظون
وقيل هذا المثل لكفار مكة وذلك انهم كانوا يتمنون هاديا يهديهم ويدعوهم
الى طاعة الله فلما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم يدعوهم الى الله والى طاعته وهم يعرفونه
ويعرفون صدقه فكذبوه ولم يقبلوا منه ثم قال تعالى **ساء مثلا القوم**
الذين كذبوا باياتنا يعني بئس مثلا مثل القوم الذين كذبوا باياتنا **وانفسهم**
كانوا يظلمون يعني بتكذيبهم باياتنا قوله عز وجل **من يهدي الله فهو**
المهتدي يعني من يرشده الله الى دينه فهو المهتدي وقيل معناه من يتولى
الله هدايته وارشاده فهو المهتدي **ومن يضلل** يعني ومن يتولى الضلالة
فاولئك هم الخاسرون يعني في الاخرة وفي الاية دليل على ان الله تعالى
هو الهادي المضل **ولقد ذرانا** يعني خلقنا **لجهنم كثيرا من الجن والانس**
اخبر الله انه خلق كثيرا من الجن والانس للنار وهم الذين حقت عليهم الكلمة
الازلية بالشقاوة ومن خلقه للنار فلا حيلة له في الخلاص منها واستدل البغوي
على صحة هذا التاويل بما رواه عن عائشة قالت دعي رسول الله صلى الله عليه وسلم

الى جنازة صبي من الانصار فقلت يا رسول الله طوبى لهذا عصفور من عصافير الجنة
لم يعمل سوا ولم يدركه فقال او غير ذلك يا عايشة ان الله خلق للجنة املا
خلقهم لها وهم في اصلاب ابايهم وخلق الله للنار املا خلقهم لها وهم في اصلاب
ابايهم اخرجه مسلم قال الشيخ محيي الدين النواوي في شرح مسلم اجمع من
يعتد به من علما المسلمين ان من مات من اطفال المسلمين فهو من اهل الجنة لانه
ليس مكلفا وتوقف فيهم بعض من لا يعتد به لحديث عايشة هذا واجاب العلما
عنه بانه لعله صلى الله عليه وسلم نهاها عن المسارعة الى القطع من غير ان يكون
عندها دليل قاطع كما انكر على سعد بن ابي وقاص اني اعطه لاراه مومنا فقال
او مسلما الحديث ويحتمل انه صلى الله عليه وسلم قال هذا قبل ان يعلم ان اطفال المسلمين
في الجنة فلما علم قال ذلك واما اطفال المشركين ففيهم ثلاثة مذاهب قال
الاكثرون هم في النار تبعا لابايهم وتوقف طايفة فيه والثالث وهو الصحيح
الذي ذهب اليه المحققون انهم من اهل الجنة ويستدل له باشيا منها حديث
ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم حين راه النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة وحوله
اولاد الناس فقالوا يا رسول الله واولاد المشركين قال واولاد المشركين
رواه البخاري في صحيحه ومنها قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا
ولا يتوجه على المولود التكليف ولا يلزمه قبول قول الرسول حتى يبلغ وهذا
متفق عليه والله اعلم وفي الاية دليل وحجة واضحة لمذهب اهل السنة في ان الله
خلق اعمال العباد جميعا خيرها وشرها لان الله بين بصريح اللفظ انه خلق كثيرا
من الجن والانس للنار ولا مزيد على بيان الله عز وجل لان العاقل لا يختار لنفسه دخول
النار فلما عمل بما يوجب عليه دخول النار علم ان له من يضطره الى ذلك العمل
الموجب لدخول النار وهو الله عز وجل وقيل اللام في لجهنم لام العاقبة اي عاقبتهم
جهنم ثم وصفهم فقال تعالى **لهم قلوب لا يفقهون بها** يعني لا يفقهون بها ولا
يعقلون بها واصل الفقه في اللغة الفهم والعلم بالشي ثم صار علما على اسم
العلم في الدين لشرفه على غيره من العلم يقال فقه الرجل يفقه فهو فقيه اذا فهم
ومعنى الاية لهم قلوب لا يتفكرون بها في ايات الله ولا يتدبرون بها ولا يعلمون
بها الخير والهدى لاعراضهم عن الحق وتركهم قبوله **ولهم اعين لا يبصرون بها**
يعني لا يبصرون بها طريق الحق والهدى ولا ينظرون بها الى ايات الله وادلة توحيده
ولهم اذان لا يسمعون بها يعني لا يسمعون ايات القران ومواعظه فيعتبرون بها
قال اهل المعاني ان الكفار لهم قلوب يفقهون بها مصالحهم المتعلقة بالدنيا ولهم
اعين يبصرون بها المرييات واذان يسمعون بها الكلمات وهذا لا يشك فيه وقد
وصفهم الله عز وجل بانهم لا يفقهون ولا يبصرون ولا يسمعون مع وجود هذه
الحواس المدركة علم بذلك ان المراد بذلك ما يرجع الى مصالح الدين وما فيه
نفعهم في الاخرة وحاصل هذا الكلام انهم مع وجود هذه الحواس لا ينتفعون بها

فيما

فيما ينفعهم في امور الدين والعرب تقول مثل ذلك لمن ترك استعماله بعض
جوارحه فيما لا يصلح له ومنه قول الشاعر

• وعوراء الكلام صممت عنها • واني لو اشا بها سميع •

فانه اثبت له صمما مع وجود السمع قال مجاهد لهم قلوب لا يفقهون بها
شيا من امور الاخرة ولهم اعين لا يبصرون بها الهدى ولهم اذان لا يسمعون
بها الحق ثم ضرب لهم مثلا فقال تعالى **اولئك كالانعام** يعني ان الذين
ذراهم لجهنم وهم الذين حقت عليهم الكلمة الازلية انهم كالانعام وهي البهايم
التي لا تفهم ولا تعقل وذلك ان الانسان وساير الحيوانات مشاركة في هذه
الحواس الثلاث التي هي القلب والبصر والسمع وانما فضل الانسان على ساير
الحيوان بالعقل والادراك والفهم المودي الى معرفة الحق من الباطل والخير من
الشر فاذا كان الكافر لا يعرف ذلك ولا يدركه فلا فرق بينه وبين الانعام
التي لا تدرك شيا ثم قال تعالى **بل هم اضل** يعني بل ان الكفار اضل من الانعام
لان الانعام لم تعط القوة العقلية والانسان قد اعطيها فاذا لم يستعمل
العقل فيما ينفعه صار اخس حالا من الحيوان وقيل ان الانعام مطيعة لله عز
وجل فصارت الانعام افضل ثم قال الله تعالى **اولئك هم الغافلون** يعني
عن ضرب هذه الامثال لهم قوله تعالى **ولله الاسماء الحسنى** قال مقاتل ان
رجلا دعا الله في صلاته ودعا الرحمن فقال بعض مشركي مكة قال ابن الجوزي
هو ابو جهل ان محمدا واصحابه يزعمون انهم يعبدون ربا واحدا فما بال هذا يدعو
اثنين فانزل الله الاية ولله الاسماء الحسنى والحسنى تانيث الاحسن ومعنى
الاية ان اسما الله المقدسة كلها حسنى وليس المراد ان فيها ما ليس بحسن والمعنى ان
الاسماء الحسنى ليست الا لله لان هذا اللفظ يفيد الحصر وقيل ان الاسماء
الفاظ دالة على معاني فهي انما تحسن بحسن معانيها ولا معنى للحسن في حق الله
تبارك وتعالى الا ذكره بصفات الكمال ونعوت الجلال وهي محصورة في نوعين
احدهما عدم افتقاره الى غيره الثاني افتقار غيره اليه وانه هو المسمى بالاسماء
الحسنى ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة
وتسعين اسما من حفظها دخل الجنة والله وتر يحب الوتر وفي رواية اخرى
تسعة وتسعون اسما مائة الا واحدا لا يحفظها احد الا دخل الجنة وهو وتر
يحب الوتر قال البخاري احصاها حفظها وفي رواية الترمذي قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة وتسعون اسما من احصاها دخل
الجنة هو الله الذي لا اله الا هو الرحمن • الرحيم • الملك • القدوس • السلام •
المومن • المهيمن • العزيز • الجبار • المتكبر • الخالق • البارى • المصور • الغفار •
القهار • الوهاب • الرزاق • الفتاح • العليم • القابض • الباسط • الخافض •
الرافع • المعز • المذل • السميع • البصير • الحكم • العدل • اللطيف • الخبير • الحليم

العظيم• الغفور• الشكور• العلي• الكبير• الحفيظ• المقيت• الحسيب• الجليل•
الكريم• الرقيب• المجيب• الواسع• الحكيم• الودود• المجيد• الباعث•
الشهيد• الحق• الوكيل• القوي• المتين• الولي• الحميد• المحصي• المبدئ•
المعيد• المحيي• المميت• الحي• القيوم• الواجد• الماجد• الواحد• الصمد•
القادر• المقتدر• المقدم• المؤخر• الاول• الاخر• الظاهر• الباطن•
الوالي• المتعالي• البر• التواب• المنتقم• العفو• الرؤوف• مالك الملك•
ذو الجلال والاكرام• المقسط• الجامع• الغني• المغني• المانع• الضار•
النافع• النور• الهادي• البديع• الباقي• الوارث• الرشيد• الصبور
قال الترمذي حدثنا به غير واحد عن صفوان بن صالح ولا نعرفه الا من حديث
صفوان بن صالح وهو ثقة عند اهل الحديث قال وقد روي هذا الحديث من غير
وجه عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا نعلم في كثير من الروايات ذكر
الاسما التي في هذا الحديث قال ابن الاثير وفي رواية ذكرها رزين ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم تلى قوله ولله الاسما الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون
في اسمايه سيجزون ما كانوا يعملون فقال ان لله تبارك وتعالى تسعة وتسعين
اسما الحديث قال الشيخ محيي الدين النواوي رحمه الله اتفق العلما على ان
هذا الحديث ليس فيه حصر لاسمايه سبحانه وتعالى وليس معناه انه ليس له
اسم غير هذه التسعة وتسعين وانما المقصود من الحديث ان هذه التسعة والتسعين
اسما من احصاها دخل الجنة فالمراد الاخبار عن دخول الجنة باحصايها لا الاخبار
بحصر الاسما ولهذا جا في الحديث الاخر اسيلك بكل اسم سميت به نفسك او استاثرت
به في علم الغيب عندك وقد ذكر الحافظ ابو بكر بن العربي المالكي عن بعضهم ان لله
الف اسم قال ابن العربي وهذا قليل وقوله صلى الله عليه وسلم من احصاها دخل
الجنة تقدم فيه قول البخاري ان معناه حفظها وهو قول اكثر المحققين ويعضده
الرواية الاخرى من حفظها دخل الجنة وقيل المراد من الاحصا العد اي عدها
في الدعا بها وقيل معناه من اطاقها واحسن المراعاة لها والمحافظة على ما تقتضيه
وصدق بمعانيها وعمل بمقتضاها دخل الجنة وقيل معنى احصاها الحضر بباله عند
ذكرها معظما لها وتفكر في مدلولها معتبرا متدبرا ذاكرا راغبا راهبا معظما لها
ولمسماها ومقدسا للذات الله سبحانه وتعالى وانه يخطر بباله عند ذكر كل اسم
الوصف الدال عليه وقوله ان الله وتر يحب الوتر الوتر الفرد ومعناه في وصف الله
تعالى انه الواحد الذي لا شريك له ولا نظير وفيه تفضيل الوتر في الاعمال لان
اكثر الطاعات وتر وفيه دليل على ان اشهر اسمايه سبحانه وتعالى الله لاضافة
الاسما اليه فيقال الرؤوف والكريم واللطيف من اسما الله ولا يقال من اسما الله
الرؤوف والكريم واللطيف الله وقد قيل ان لفظة الله هو الاسم الاعظم قال
ابو القاسم القشيري فيه دليل على ان الاسم هو المسمى اذ لو كان غيره لكانت الاسما

لغيره

لغيره كقوله تعالى ولله الاسما الحسنى وقال الامام فخر الدين دلت الاية على ان الاسم
غير المسمى لانها تدل على ان اسما الله كثيرة لان لفظ الاسما لفظ الجمع وهي تفيد الثلاثة
فما فوقها فثبت ان اسما الله كثيرة ولا شك ان الله واحد فلزم القطع بان الاسم غير المسمى
وايضا قوله ولله الاسما الحسنى يقتضي اضافة الاسما الى الله واضافة الشي الى نفسه
محال وقال غيره الاسم عبارة عن اللفظ الدال على الشي المسمى به فهو غيره وقال
اهل اللغة انما جعل الاسم تنويها على المعنى لان المعنى تحت الاسم والتسمية
غير الاسم لان التسمية عبارة عن تعيين اللفظ المعين لتعريف ذات الشي والاسم
عبارة عن تلك اللفظة المعينة والفرق ظاهر قال العلما كما يجب تنزيه الله عن
جميع النقايص فكذلك يجب تنزيه اسمايه ايضا وقوله تعالى **فادعوه بها** يعني
ادعوا الله باسمايه التي سمى بها نفسه او سماه بها رسوله ففيه دليل على ان اسما
الله تعالى توقيفية لا اصطلاحية ومما يدل على صحة هذا القول ويوكده انه يجوز
ان يقال يا جواد ولا يجوز ان يقال يا سخي ويجوز ان يقال يا عالم ولا يجوز ان
يقال يا عاقل ويجوز ان يقال يا حكيم ولا يجوز ان يقال يا طبيب وللدعا شرايط
منها ان يعرف الداعي معاني الاسما التي يدعو بها ويستحضر في قلبه عظمة المدعو
سبحانه وتعالى ويخلص النية في دعايه مع كثرة التعظيم والتمجيد والتقديس
لله تعالى ويعزم المسيلة مع اعتقاد الاجابة ويعترف لله عز وجل بالربوبية وعلى
نفسه بالعبودية فاذا فعل العبد ذلك عظم موقع الدعا وكان اثرا عظيما وقوله تعالى
وذروا الذين يلحدون في اسمايه معنى الالحاد في اللغة الميل عن القصد والعدول
عن الاستقامة وقال ابن السكيت الملحد العادل عن الحق المدخل فيه ما ليس فيه يقال
لحد في الدين والحد اذا عدل عنه ومال الى غيره قال المحققون الالحاد يقع في اسما
الله على وجوه احدها اطلاق اسما الله عز وجل على غيره وذلك ان المشركين
سموا اصنامهم بالالهة واشتقوا لها اسما من اسما الله عز وجل فسموا اللات والعزى
ومنات واشتقاق اللات من الاله والعزة من العزيز ومنات من المنان وهذا
معنى قول ابن عباس ومجاهد الوجه الثاني وهو قول اهل المعاني ان الالحاد في
اسما الله هو تسميته بما لم يسم به نفسه ولم يرد فيه نص من كتاب ولا سنة
لان اسما الله كلها توقيفية كما تقدم فلا يجوز فيها غير ما ورد في الشرع
بل يدعوا باسمايه التي وردت في الكتاب والسنة على وجه التعظيم الوجه الثالث
مراعاة حسن الادب في الدعا فلا يجوز ان يقال في الدعا يا ضار يا نافع
يا خالق القردة على الانفراد بل يقال يا ضار يا نافع يا معطي يا مانع يا خالق
الخلق الوجه الرابع ان لا يسمي الله العبد باسم لا يعرف معناه فانه ربما سماه
باسم لا يليق اطلاقه على جلال الله سبحانه وتعالى ولا يجوز ان يسمي به لما
فيه من الغرابة وقوله تعالى **سيجزون ما كانوا يعملون** يعني في الاخرة ففيه
وعيد وتهديد لمن الحد في اسما الله عز وجل وقوله **وممن خلقنا امة** يعني جماعة وعصابة

يهدون بالحق وبه يعدلون قال ابن عباس يريد امة محمد صلى الله عليه وسلم
وهم المهاجرون والانصار والتابعون لهم باحسان قال قتادة بلغنا ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأ هذه الاية قال هذه لكم وقد اعطي القوم بين ايديكم
مثلها ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون وعن معاوية قال وهو يخطب
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يزال من امتي امة قائمة بامر الله
لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى ياتي امر الله وهم على ذلك وفي الاية دليل
على انه لا يخلو زمان من قائم بالحق ويعمل به ويهدي اليه **والذين كذبوا باياتنا**
يريد به جميع المكذبين بايات الله وهم الكفار وقيل المراد بهم اهل مكة والاول
اولى لان صيغة العموم تتناول الكل الا ما دل الدليل على خروجه منه **سنستدرجهم**
من حيث لا يعلمون قال الازهري سناخذهم قليلا قليلا من حيث لا يحتسبون
وذلك ان الله يفتح عليهم من النعم ما يغتبطون به ويركنون اليه ثم ياخذهم
على غرتهم اغفل ما يكونون وقيل معناه نستقربهم الى ما يهلكهم ونضاعف عقابهم
من حيث لا يعلمون ما يراد بهم لانهم كانوا اذا اتوا بجرم او اقدموا على ذنب فتح
الله عليهم من ابواب الخير والنعمة في الدنيا فيزدادوا بذلك تماديا في الغي
والضلال ويتدرجون في الذنوب والمعاصي فياخذهم اخذة واحدة اغفل ما
يكونون عليه وقال الضحاك معناه كلما جددوا معصية جددنا نعمة وقال
الكلبي نزين اعمالهم ثم نهلكهم بها وقال سفيان الثوري نسبغ عليهم النعم ثم
ننسيهم الشكر وروى ان عمر بن الخطاب لما حمل اليه كنوز كسرى قال اللهم اني
اعوذ بك ان اكون مستدرجا فاني سمعتك تقول سنستدرجهم من حيث لا يعلمون
قال اهل المعاني الاستدراج ان يندرج الشي الى الشي في خفية قليلا قليلا ومنه درج
الصبي اذا قارب بين خطاه في المشي ومنه درج الكتاب اذا طواه شيئا بعد شيء
واملي لهم يعني وامهلهم واطيل مدة اعمارهم والاملاء في اللغة الامهال
واطالة المدة والمعنى اي اطيل مدة اعمارهم ليتمادوا في الكفر والمعاصي ولا اعاجلهم
بالعقوبة ولا افتح لهم بابا للتوبة **ان كيدي متين** يعني اخذي شديد
والمتين من كل شيء هو القوي الشديد وقال ابن عباس معناه ان مكري شديد
قال المفسرون نزلت هذه الاية في المستهزئين من قريش وذلك ان الله تعالى
امهلهم ثم قتلهم في ليلة واحدة وفي هذه الاية دليل على مسئلة القضاء والقدر
وان الله تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يسال عما يفعل وهم يسالون قوله
تعالى **اولم يتفكروا ما بصاحبهم** يعني محمد صلى الله عليه وسلم **من جنة** يعني
جنون قال قتادة ذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قام على الصفا ليلا
فجعل يدعو قريشا فخذا فخذا يا بني فلان يا بني فلان اني لكم نذير مبين وكان
يحذرهم باس الله ووقائعه فقال قائلهم ان صاحبكم هذا المجنون بات يصوت الى
الصباح فانزل الله عز وجل اولم يتفكروا والتفكر التامل واعمال الخاطر في

الامر والمعنى ولم يتفكروا فيعلموا ما بصاحبهم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم من جنة
والجنة حالة من الجنون وادخال لفظة من في قوله من جنة توجب ان لا يكون به
نوع من انواع الجنون وانما نسبوه الى الجنون وهو بريء منه لانهم راوا انه صلى الله
عليه وسلم خالفهم في الاقوال والافعال لانه كان معرضا عن الدنيا ولذاتها
مقبلا على الاخرة ونعيمها مشتغلا بالدعاء الى الله عز وجل انذارهم باسه
ونقمته ليلا ونهارا من غير ملال ولا ضجر فعند ذلك نسبوه الى الجنون فبراه
الله من الجنون وقال تعالى **ان هو** يعني ما هو **الا نذير مبين** ثم حثهم على
النظر المودي الى العلم بالوحدانية فقال تعالى **اولم ينظروا** يعني نظر اعتبار
واستدلال **في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء** والمقصود التنبيه
على ان الدلالة على الوحدانية ووجود الصانع القديم غير مقصورة على ملك
السموات والارض بل كل شيء خلقه الله وبراه فيه دليل على وحدانية الله
تعالى واثبات قدرته كما قال الشاعر

وفي كل شيء له اية • تدل على انه واحد

وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم والمعنى ولعل اجلهم يكون قد اقترب فيموتوا
على الكفر قبل ان يومنوا فيصيروا الى النار واذا كان الامر كذلك وجب على
العاقل المبادرة الى التفكر والاعتبار والنظر المودي الى الفوز بالنعيم
المقيم **فباي حديث بعده** يعني بعد القران **يومنون** يعني يصدقون والمعنى
فباي كتاب بعد الكتاب الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم يصدقون وليس بعد
محمد صلى الله عليه وسلم نبي ولا بعد كتابه كتاب لانه خاتم الانبيا وكتابه
خاتم الكتب لانقطاع الوحي بعد محمد صلى الله عليه وسلم ثم ذكر علة اعراضهم
عن الايمان فقال تعالى **من يضلل الله فلا هادي له** يعني ان اعراض هولاء عن
الايمان لاضلال الله اياهم ولو هداهم لامنوا **ويذرهم في طغيانهم يعمهون**
يعني ونتركهم في ضلالهم وتماديهم في الكفر يترددون متحيرين لا يهتدون
سبيلا وقوله عز وجل **يسئلونك عن الساعة ايان مرساها** قال قتادة قالت
قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان بيننا وبينك قرابة فاسر الينا متى
الساعة فانزل الله تعالى هذه الاية قال ابن عباس قال جبل بن ابي قشير
وشمول بن زيد وهما من اليهود لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد اخبرنا
متى الساعة ان كنت نبيا كما تقول فانا نعلم متى هي فانزل الله عز وجل
يسئلونك يا محمد عن الساعة يعني عن خبر القيامة سميت ساعة لانها
تقوم في ساعة غفلة وبغتة ولان حساب الخلائق ينقضي فيها في ساعة
واحدة ايان سوال استفهام عن الوقت الذي تقوم فيه الساعة ومعناه
متى مرساها قال ابن عباس يعني منتهاها متى وقوعها قال والساعة التي
يموت الخلائق فيه واصل الارساء الثبات يقال ارسى يرسو اذا ثبت **قل**

اي قل لهم يا محمد انما علمها عند ربي اي لا يعلم الوقت الذي تقوم فيه الا الله
تعالى استاثر الله بعلمها فلم يطلع عليه احدا ومنه حديث الايمان والاحسان
وسؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم قال فاخبرني عن الساعة قال ما المسؤول
عنها باعلم من السائل قال المحققون وسبب اخفاء علم الساعة ووقت قيامها
عن العباد ليكونوا على خوف وحذر منها لانهم اذا لم يعلموا متى يكون ذلك الوقت
كانوا على وجل وخوف واشفاق منها فيكون ذلك ادعى لهم الى الطاعة والتوبة
وزجرا لهم عن المعصية لا يجليها لوقتها الا هو قال مجاهد لا ياتي بها الا هو
وقال السدي لا يرسلها لوقتها الا هو والتجلية اظهار الشيء بعد خفائه والمعنى
لا يظهرها لوقتها المعين الا الله ولا يقدر على ذلك غيره ثقلت في السموات
والارض يعني ثقل امرها وخفي علمها على اهل السموات والارض وكل شيء خفي فهو
ثقيل شديد وقال الحسن اذا جاءت ثقلت وعظمت على اهل السموات وانما
ثقلت عليهم لان فيه فناءهم وموتهم وذلك ثقيل على القلوب لا تاتيكم الا
بغتة يعني فجاءة على حين غفلة من خلق ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا
يتبايعانه ولا يطويانه ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا
يطعمه ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقي فيه ولتقومن الساعة
وقد رفع اكلته الى فيه فلا يطعمها اللقحة بفتح اللام وكسرها الناقة القريبة
العهد بالنتاج قوله يليط حوضه ويروى يلوط حوضه يعني يطينه ويصلح بنيانه
لاط حوضه يليطه ويلوطه اذا طينه واصله من اللصوق والاكلة بضم الهمزة
اللقمة وقوله تعالى يسئلونك كانك حفي عنها يعني يسالك قومك عن الساعة
كانك حفي بهم بمعنى بار بهم شفيق عليهم فعلى هذا القول فيه تقديم وتاخير تقديره
يسالونك عنها كانك حفي بهم قال ابن عباس يقول كان بينك وبينهم مودة وكانك
صديق لهم قال ابن عباس لما سال الناس محمدا صلى الله عليه وسلم عن الساعة سالوه
سؤال قوم كانهم يرون ان محمدا صلى الله عليه وسلم حفي بهم فاوحى الله عز وجل اليه
انما علمها عنده استاثر بعلمها فلم يطلع عليه ملكا ولا رسولا وقيل معناه يسالونك
عنها كانك حفي بها اي عالم بها من قولهم احفيت في المسالة اذا بالغت في السؤال
عنها حتى علمتها قل يعني قل يا محمد انما علمها عند الله يعني استاثر الله بعلمها
فلا يعلم متى الساعة الا الله عز وجل فان قلت قوله يسالونك عن الساعة
ايان مرساها وقوله ثانيا يسالونك كانك حفي عنها فيه تكرار قلت ليس
فيه تكرار لان السؤال الاول سؤال عن وقت قيام الساعة والسؤال الثاني
سؤال عن احوالها من ثقلها وشدائدها فلم يلزم التكرار فان قلت عبر
عن الجواب في السؤال الاول بقوله علمها عند ربي وعن الجواب في السؤال الثاني
بقوله علمها عند الله فهل من فرق بين الصورتين في الجوابين قلت فيه فرق

لطيف

لطيف وهو انه لما كان السؤال الاول واقعا عن وقت قيام الساعة عبر عن
الجواب فيه بقوله علم وقت قيامها عند ربي ولما كان السؤال الثاني واقعا
عن احوالها وشدائدها وثقلها عبر عن الجواب فيه بقوله علم ذلك عند الله
لانه اعظم الاسماء ولكن اكثر الناس لا يعلمون يعني لا يعلمون ان علمها عند الله وانما
استاثر بعلم ذلك حتى لا يسالوا عنه وقيل ولكن اكثر الناس لا يعلمون السبب
الذي من اجله اخفى علم وقت قيامها المعين عن الخلق قوله عز وجل قل لا
املك لنفسي نفعا ولا ضرا قال ابن عباس ان اهل مكة قالوا يا محمد الا يخبرك
ربك بالسعر الرخيص قبل ان يغلو فنشتريه فنربح فيه وعند الغلاء وبالارض
التي تريد ان تجدب فنرتحل عنها الى ما قد اخصب فانزل الله قل لا املك
اي قل يا محمد لا املك ولا اقدر لنفسي نفعا ولا اجتلاب نفع بان اربح فيما
اشتريه ولا ضرا يعني ولا اقدر ان ادفع عن نفسي ضرا نزل بها بان ارتحل الى
الارض الخصبة واترك الجدبة الا ما شاء الله يعني ان املكه واقدر عليه
ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير يعني ولو كنت اعلم وقت الخصب
والجدب لاستكثرت من المال وما مسني السوء يعني الضر والفقر
والجوع وقال ابن جريج معنى لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا من الهدى والضلالة
ولو كنت اعلم الغيب يريد وقت الموت لاستكثرت من الخير يعني من العمل الصالح
وقيل ان اهل مكة لما سالوا الرسول صلى الله عليه وسلم عن الساعة انزل الله
الاية الاولى وهذه الاية ومعناه انا لا ادعي علم الغيب حتى اخبركم عن وقت
قيام الساعة وذلك لما طالبوه بالاخبار عن الغيوب فذكر ان قدرته قاصرة
عن علم الغيب فان قلت قد اخبر صلى الله عليه وسلم عن المغيبات وقد
جاءت احاديث في الصحيح بذلك وهو من اعظم معجزاته صلى الله عليه وسلم فكيف
الجمع بينه وبين قوله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير قلت
يحتمل ان يكون قاله صلى الله عليه وسلم على سبيل التواضع والادب والمعنى لا
اعلم الغيب الا ان يطلعني الله عليه ويقدره لي ويحتمل ان يكون قال ذلك قبل
ان يطلعه الله عز وجل على الغيب فلما اطلعه الله اخبر به كما قال فلا يظهر على غيبه
احدا الا من ارتضى من رسول او يكون خرج هذا الكلام مخرج الجواب عن سؤالهم
ثم بعد ذلك اظهره الله تعالى على اشياء من المغيبات فاخبر عنها ليكون ذلك معجزة
له ودلالة على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم وقوله وما مسني السوء يعني
الجنون وذلك انهم نسبوه الى الجنون وقيل معناه ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت
من تحصيل الخير واحترزت عن الشيء حتى اصير بحيث لا يمسني السوء وقيل معناه
ولو كنت اعلم الغيب لاعلمتكم بوقت قيام الساعة حتى تؤمنوا وما مسني السوء يعني
قولكم لو كنت نبيا لعلمت متى تقوم الساعة ان انا الا نذير يعني ما انا الا
رسول ارسلني الله اليكم انذركم واخوفكم عقابه ان تؤمنوا وبشير يعني

وانبشر بثوابه لقوم يومنون يعني يصدقون قوله عز وجل هو الذي خلقكم
من نفس واحدة يعني آدم عليه السلام وجعل منها زوجها يعني وخلق منها زوجها
حوا وقد تقدم كيفية خلق حوا من ضلع آدم في اول سورة النسا ليسكن اليها
يعني ليانس بها وياوي اليها فلما تغشاها يعني واقعها وجامعها كنى به عن
الجماع احسن كناية لان الغشيان اتيان الرجل المراة وقد غشيها وتغشاها
اذا علاها وتجللها حملت حملا خفيفا يعني النطفة والمني لان اول ما تحمل
النطفة وهي خفيفة عليها فلما اثقلت يعني صارت الى حال الثقل وكبر ذلك
الحمل ودنت ولادتها دعوا الله ربهما يعني ان آدم وحوا دعوا الله ربهما
لئن آتيتنا صالحا يعني لئن اعطيتنا بشرا سويا مثلنا لنكونن من الشاكرين
يعني لك على انعامك علينا قال المفسرون لما اهبط آدم وحوا الى الارض
القيت الشهوة في نفس آدم فاصاب حوا فحملت من ساعتها فلما ثقل الحمل
وكبر الولد اتاها ابليس فقال لها ما الذي في بطنك قالت ما ادري قال
اني اخاف ان يكون بهيمة او كلبا او خنزيرا انزين في الارض الا بهيمة او نحوها
قالت اني اخاف بعض ذلك وما يدريك من اين يخرج من دبرك او فيك او يشق
بطنك فيقتلك فخافت حوا من ذلك وذكرته لآدم فلم يزالا في غم من ذلك ثم
عاد اليها ابليس فقال لها اني من الله بمنزلة فان دعوت الله ان يجعله خلقا سويا
مثلك ويسهل عليك خروجه تسميه عبد الحارث وكان اسم ابليس في الملايكة
الحارث فذكرت ذلك حوا لآدم فقال لعل صاحبنا الذي علمت فعاودها ابليس
فلم يزل بهما حتى غرهما فلما ولدت سمياه عبد الحارث وقال ابن عباس كانت حوا
تلد لآدم فتسميه عبد الله وعبيد الله وعبد الرحمن فيصيبهم الموت فاتاهما
ابليس فقال ان سركما ان يعيش لكما ولد فسمياه عبد الحارث فولدت فسمياه
عبد الحارث فعاش عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما حملت حوا طاف بها ابليس وكان لا يعيش لها ولد فقال سميه عبد الحارث فسمته
فعاش وكان ذلك من وحي الشيطان وامره اخرجه الترمذي وقال حديث حسن
غريب لا نعرفه الا من حديث عمر بن ابراهيم عن قتادة وقال وقد رواه بعضهم ولم
يرفعه وقوله وذلك وحي الشيطان يعني من وسوسته وحديثه كما جا انه خدعهما
مرتين مرة في الجنة ومرة في الارض قال ابن عباس لما ولد له اول ولد اتاه ابليس
فقال اني سانصح لك في شان ولدك هذا سميه عبد الحارث وكان اسمه في السما
الحارث فقال آدم اني اعوذ بالله من طاعتك اني اطعتك في اكل الشجرة فاخرجتني
من الجنة فلن اطيعك فمات ولده ثم ولد له بعد ذلك ولد آخر فقال اطعني
والا مات كما مات الاول فعصاه فمات ولده فقال لا ازال اقتلهم حتى تسميه
عبد الحارث فلم يزل به حتى سماه عبد الحارث فذلك قوله عز وجل فلما آتاهما
صالحا جعلا له شركا فيما آتاهما قال ابن عباس شركه في طاعته في غير عبادة

فمرت به يعني استمرت بذلك الحمل قعدت وقامت وهو خفيف عليها لم

ولم

ولم يشرك بالله ولكن اطاعه وقال قتادة اشركا في الاسم ولم يشركا في
العبادة وقال عكرمة ما اشرك آدم ولا حوا وكان لا يعيش لهما ولد فاتاهما
الشيطان فقال ان سركما ان يعيش لكما ولد فسمياه عبد الحارث فهو قوله
جعلا له شركا فيما آتاهما قرئ شركا بكسر الشين مع التنوين ومعناه شركة
وقال ابو عبيدة معناه حظا ونصيبا وقرئ شركا بضم الشين مع المد
جمع شريك يعني ابليس عبر عن الواحد بلفظ الجمع جعلا له شركا اذ سمياه
ولدهما عبد الحارث قال العلما ولم يكن ذلك شركا في العبادة ولا ان الحارث
ربا لهما لان آدم عليه السلام كان نبيا معصوما من الشرك ولكن قصد بتسميته
الولد بعبد الحارث ان الحارث كان سبب نجاة الولد وسلامته وسلامة
امه وقد يطلق اسم العبد على من لا يراد به انه مملوك كما قال الشاعر

• واني لعبد الضيف ما دام ثاويا •

اخبر عن نفسه انه عبد الضيف ما اقام عنده مع بقا الحرية عليه وانما اراد
بالعبودية حرمة الضيف والقيام بواجب حقوق سيده وقد يطلق اسم الرب
بغير الف ولام على غير الله كقول يوسف عليه السلام لعزيز مصر انه ربي احسن مثواي
اراد به التربية ولم يرد به انه ربه ومعبوده فكذلك هذا وانما اخبر عن آدم
بقوله جعلا له شركا فيما آتاهما لان حسنات الابرار سيئات المقربين ولان
منصب النبوة اشرف المنازل واعلاها فعاتبهما الله على ذلك لانه نظر الى السبب
ولم ينظر الى المسبب والله اعلم بمراده واسرار كتابه قال العلما وعلى هذا فقد
تم الكلام عنده قوله فيما آتاهما ثم ابتدا في الخبر عن الكفار بقوله فتعالى الله
عما يشركون نزه نفسه سبحانه وتعالى عن اشراك المشركين من اهل
مكة وغيرهم وهذا على العموم ولو اراد آدم وحوا لقال فتعالى الله عما يشركان
على التثنية لا على الجمع وقال بعض اهل المعاني ولو اريد به ما سبق من معنى
الآية فتستقيم ايضا من حيث انه كان الاولى بهما ان لا يفعلا ما اتيا به من
الاشراك في التسمية وكان الاولى ان يسمياه عبد الله لا عبد الحارث وفي
معنى الآية قول آخر وهو انه راجع الى جميع المشركين من ذرية آدم وهو
قول الحسن وعكرمة ومعناه وجعل اولادهما شركا فحذف ذكر الاولاد واقام
مقامهم كما اضاف فعل الابا الى الابنا بقوله ثم اتخذتم العجل واذ قتلتم
نفسا فعير اليهود الذين كانوا موجودين زمن النبي صلى الله عليه وسلم وكان
ذلك من فعل ابايهم وقال عكرمة خاطب كل واحد من الخلق بقوله هو الذي
خلقكم من نفس واحدة اي خلق كل واحد من ابيه وجعل منها زوجها اي وجعل
من جنسها زوجها آدمية مثله وهذا قول حسن الا ان القول الاول
اصح لانه قول السلف مثل ابن عباس ومجاهد وسعيد بن المسيب وغيرهم
من المفسرين وورد الحديث بذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وقيل هم اليهود

مهما

والنصارى رزقهم الله اولادا فهودوهم ونصروهم وقال ابن كيسان هم الكفار
سموا اولادهم بعبد العزي وعبد شمس وعبد الدار ونحو ذلك وقوله تعالى
ايشركون قرئ بالتاء على خطاب الكفار وقرئ بالياء على الغيبة **ما لا يخلق**
شيا يعني ابليس والاصنام **وهم يخلقون** اي مخلوقون فان قلت كيف
وحد يخلق ثم جمع فقال وهم يخلقون قلت ان لفظ ما يقع على الواحد
والاثنين فهو من صيغ الواحد بحسب ظاهر اللفظ ومحتمل للجمع بحسب
المعنى فوحد قوله ما لا يخلق رعاية لحكم ظاهر اللفظ وجمع قوله وهم يخلقون
رعاية لجانب المعنى فان قلت كيف جمع بالواو والنون لمن لا يعقل وهو جمع من
يعقل من الناس قلت لما اعتقد عابدوا الاصنام انها تعقل وتميز ورد
هذا الجمع على ما يعتقدونه ويتصورونه وقوله تعالى **ولا يستطيعون لهم نصرا**
يعني ان الاصنام لا تقدر على نصر من اطاعها وعبدها ولا نصر من عصاها
والنصر المعونة على الاعدا والمعنى ان المعبود الذي يجب عبادته يكون قادرا
على ايصال النفع ودفع الضر وهذه الاصنام ليست كذلك فكيف يليق بالعاقل
ان يعبدها ثم قال تعالى **ولا انفسهم ينصرون** يعني ولا يقدرون ان يدفعوا
عن انفسهم مكروها فان من اراد كسرها قدر عليه وهي لا تقدر على دفعه عنها ثم
خاطب المومنين فقال تعالى **وان تدعوهم الى الهدى** يعني وان تدعوا ايها
المومنون المشركين الى الهدى **لا يتبعوكم** لان الله تعالى حكم عليهم بالضلالة
فلا يقبلوا الهداية **سواء عليكم ادعوتموهم** يعني الى الدين والهدى **ام انتم**
صامتون اي ساكتون عن دعائهم فهم في كلا الحالين لا يومنون وقيل ان الله
تعالى لما بين في الاية المتقدمة عجز الاصنام بين في هذه الاية انه لا علم لها
بشي البتة والمعنى ان هذه الاصنام التي يعبدها المشركون معلوم من حالها
انها لا تضر ولا تنفع ولا تسمع لمن دعاها الى خير وهدى ثم قوى هذا المعنى
بقوله سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون وذلك ان المشركين كانوا اذا
وقعوا في شدة تضرعوا الى اصنامهم فاذا لم يكن لهم الى الاصنام حاجة
سكتوا وصمتوا فقيل لهم لا فرق بين دعائكم الاصنام وسكوتكم عنها فانها
عاجزة في كل حال فقوله تعالى **ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم**
يعني ان الاصنام التي يعبدها هولاء المشركون انما هي مملوكة لله امثالهم
وقيل انها مسخرة مذللة مثل ما انتم مسخرون مذللون وقال مقاتل في قوله
عباد امثالكم انها الملائكة والخطاب مع قوم كانوا يعبدون الملائكة والقول
الاول اصح وفيه سوال وهو انه وصفها بانها عباد مع انها جماد والجواب ان المشركين
لما ادعوا ان الاصنام تضر وتنفع وجب ان يعتقدوا كونها عاقلة فاهمة فوردت
هذه الالفاظ على وفق معتقدهم تبكيتا لهم وتوبيخا ولذلك قال تعالى **فادعوهم**
فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين في كونها الهة وجواب اخر وهو ان هذا اللفظ

انما ورد في معرض الاستهزاء بالمشركين والمعنى ان قصارى هذه الاصنام التي
تعبدونها ان تكون عاقلة على معتقدكم فهم عباد لله امثالكم ولا فضل لهم عليكم فلم
عبدتموهم وجعلتموهم الهة وجعلتم انفسكم لهم عبيدا ثم وصفهم بالعجز فقال
تعالى **الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون**
بها ام لهم اذان يسمعون بها يعني ان قدرة الانسان المخلوق انما تكون بهذه الجوارح
الاربعة فانه انما يستعين بها في جميع اموره والاصنام ليس لها شي من هذه الاعضا
والجوارح بشي فهم مفضلون عليهم بهذه الاعضا لان الرجل الماشية افضل من
الرجل العاجزة عن المشي وكذلك اليد الباطشة افضل من اليد العاجزة
عن البطش والعين البصيرة افضل من العين العاجزة عن الادراك والاذن
السامعة افضل من الاذن العاجزة عن السمع فظهر بهذا البيان ان الانسان
افضل من هذه الاصنام العاجزة بكثير بل لا فضل لها البتة لانها حجارة وجماد
لا تضر ولا تنفع واذا كان الامر كذلك فكيف يليق بالانسان العاقل الافضل
ان يشتغل بعبادة الاخس الادون الارذل الذي لا فضيلة له البتة ولا يضر
ولا ينفع فامتنع بهذه الحجة كون الاصنام الهة ثم قال تعالى **قل ادعوا شركاءكم**
اي قل يا محمد لهولاء المشركين ادعوا شركاءكم هذه الاصنام التي تعبدونها
حتى يتبين عجزها **ثم كيدون** يعني انتم وشركاوكم وهذا متصل بما قبله في
استكمال الحجة عليهم لانهم لما قرعوا بعبادة من لا يملك ضرا ولا نفعا قيل لمحمد
صلى الله عليه وسلم قل ان معبودي يملك الضر والنفع فلو اجتمعتم في كيدي لم
تصلوا الى ضري لان الله يدفع عني وقال الحسن كانوا يخوفونه بالهتهم فقال
تعالى قل ادعوا شركاءكم ثم كيدوني **فلا تنظرون** اي تمهلون واعجلوا في كيدكم
انتم وشركاوكم **ان وليي الله** يعني ان الذي يتولى حفظي ونصري عليكم هو
الله **الذي نزل الكتاب** يعني القران والمعنى كما ايدني بانزال الكتاب
علي كذلك يتولى حفظي ونصري **وهو يتولى الصالحين** يعني يتولاهم بنصره
وحفظه فلا يضرهم عداوة من عاداهم من المشركين وغيرهم ممن اراد بهم سوءا
وكادهم بشر قال ابن عباس يريد بالصالحين الذين لا يعدلون بالله شيا وفي
هذا مدح للصالحين لان من تولاه الله بحفظه فلا يضره شي قوله عز وجل •
والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون
هذه الاية قد تقدم تفسيرها والفايدة في تكريرها ان الاية الاولى مذكورة
على جهة التقريع والتوبيخ وهذه الاية مذكورة على جهة الفرق بين من يجوز
له العبادة وهو الله الذي يتولى الصالحين بنصره وحفظه وهذه الاصنام
ليست كذلك فلا تكون معبودة وقوله تعالى **وان تدعوهم الى الهدى**
لا يسمعوا وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون قال الحسن المراد بهذا المشركون
ومعناه وان تدعوا ايها المومنون المشركين الى الهدى لا يسمعوا دعاءكم

لانه اذا انهم قد صمت عن سماع الحق ونراهم ينظرون اليك يا محمد وهم لا يبصرون يعني ببصائر
قلوبهم وذهب اكثر المفسرين الى ان هذه الاية ايضا واردة في صفات الاصنام لانها
جماد لا تنظر ولا تنفع ولا تسمع ولا تبصر قوله تعالى خذ العفو العفو هنا الفضل
وما جا بلا كلفة والمعنى اقبل الميسور من اخلاق الناس ولا تستقص عليهم فيستقصوا
عليك فتتولد منه العداوة والبغضا وقال مجاهد يعني خذ العفو من اخلاق الناس
من غير تجسيس وذلك مثل قبول الاعتذار منهم وترك البحث عن الاشيا والعفو
المسامحة في كل شي خ عن عبد الله بن الزبير قال ما نزلت خذ العفو من اخلاق
الناس وفي رواية قال امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان ياخذ العفو من اخلاق الناس
او كما قال وقال ابن عباس يعني خذ ما عفي لك من اموالهم فما اتوك به من شي فخذه
وكان هذا قبل ان تنزل براة بفرايض الصدقات وتفصيلها وما انتهت اليه وقال
السدي خذ العفو اي الفضل من المال نسختها اية الزكاة وقال الضحاك خذ
ما عفي من اموالهم وهذا قبل ان تفرض الصدقة المفروضة وامر بالعرف يعني
وامر بكل ما امرك الله وهو كل ما عرفته بالوحي من الله عز وجل وكل ما يعرفه الشرع
وقال عطا وامر بقول لا اله الا الله واعرض عن الجاهلين امر الله تعالى نبيه
صلى الله عليه وسلم ان يصفح عن الجاهلين وهذا قبل ان يامرهم بقتال الكفار فلما
امر بقتالهم صار الامر بالاعراض عنهم منسوخا باية القتال قال بعضهم اول
هذه الاية واخرها منسوخ ووسطها محكم يريد ينسخ اولها خذ الفضل من الاموال
فنسخ بفرض الزكاة والامر بالمعروف محكم والاعراض عن الجاهلين منسوخ باية
القتال روي انه لما نزلت هذه الاية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل ما
هذا قال لا ادري حتى اسال ثم رجع فقال ان ربك يامرك ان تصل من قطعك
وتعطي من حرمك وتعفو عن من ظلمك ذكره البغوي بغير سند وقال جعفر
الصادق امر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بمكارم الاخلاق وليس في القران
اية اجمع لمكارم الاخلاق من هذه عن عايشة رضي الله عنها قالت لم يكن رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا ولا سخابا في الاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة
ولكن يعفو ويصفح اخرجه الترمذي وروى البغوي بسنده عن جابر قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله بعثني لتمام مكارم الاخلاق وتمام محاسن
الافعال قوله عز وجل واما ينزغنك من الشيطان نزغ قال ابن زيد لما نزل قوله
تعالى خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين قال النبي صلى الله عليه وسلم
كيف بالغضب يا رب فانزل الله واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله
انه سميع عليم ونزغ الشيطان عبارة عن وساوسه ونخسه في القلب وقيل
النزغ الانزعاج واكثر ما يكون عند الغضب واصله الازعاج بالحركة الى الشر
والافساد يقال نزغت بين القوم اذا افسدت بينهم وقال الزجاج النزغ ادنى
حركة تكون ومن الشيطان ادنى وسوسة والمعنى واما يصيبنك يا محمد ويعرض

لك من الشيطان وسوسة او نخسة فاستعذ بالله يعني فاستجر بالله والجا اليه
في دفعه عنك انه سميع يعني لدعايك عليم بحالك وقيل ان الشيطان يجد مجالا
في حمل الانسان على ما لا ينبغي في حالة الغضب والغيظ فامر الله بالالتجا اليه والتعوذ
به في تلك الحالة فهي تجري مجرى العلاج لذلك المرض فصل ولحتج المطاعنون
في عصمة الانبيا بهذه الاية فقالوا لو كان النبي معصوما لم يجد للشيطان عليه
سبيلا حتى ينزغ في قلبه ويحتاج الى الاستعاذة والجواب عنه من وجوه
الاول ان معنى الكلام ان حصل في قلبك نزغ من الشيطان فاستعذ بالله وانه لم
يحصل ذلك له البتة فهو كقوله لين اشركت وهو بري من الشرك البتة والوجه
الثاني على تقدير انه لو حصل وسوسة من الشيطان لكن الله عز وجل قد عصم نبيه
صلى الله عليه وسلم عن قبولها وثباتها في قلبه عن ابن مسعود قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد الا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملايكة
قالوا واياك يا رسول الله قال واياي الا ان الله اعانني عليه فاسلم فلا يامرني
الا بخير قال الشيخ محيي الدين النواوي فاسلم بفتح الميم وضمها فمن رفع قال
معناه فاسلم انا من شره وفتنته ومن فتح قال معناه ان القرين اسلم من الاسلام
يعني صار مومنا لا يامرني الا بخير قال الخطابي الصحيح المختار الرفع ورجح القاضي
عياض الفتح قال الشيخ وهو المختار لقوله فلا يامرني الا بخير قال القاضي عياض
واعلم ان الامة مجتمعة على عصمة النبي صلى الله عليه وسلم من الشيطان في جسمه
وخاطره ولسانه وفي هذا الحديث اشارة الى التحذير من فتنة القرين ووسوسته
واغوايه اعلمنا انه معنا لنحترز منه بحسب الامكان والله اعلم الوجه الثالث
يحتمل ان يكون الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره ومعناه واما
ينزغنك ايها الانسان من الشيطان نزغ فاستعذ بالله فهو كقوله فاذا
قرات القران فاستعذ بالله قوله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف
وقرى طايف من الشيطان وهما لغتان ومعناه الشي يلم بالانسان
وقيل بينهما فرق فالطايف ما يطوف حول الانسان والطيف الوسوسة
وقيل الطايف ما طاف به من وسوسة الشيطان والطيف اللمم والمس
وقال الازهري الطيف في كلام العرب الجنون وقيل للغضب طيف لان
الغضبان يشبه المجنون وقيل سمي الجنون والغضب والوسوسة طيفا لانه
لمة من الشيطان تشبه لمة الخيال فذكر في الاية الاولى النزغ وهو اخف
من الطيف المذكور في هذه الاية لان حالة الشيطان مع الانبيا اضعف
من حالته مع غيرهم تذكروا يعني عرفوا ما حصل لهم من وسوسة الشيطان
قال سعيد بن جبير هو الرجل يغضب الغضب فيذكر الله فيكظم غيظه وقال
مجاهد هو الرجل يلم بالذنب فيذكر الله فيقوم ويدعه فاذا هم مبصرون
يعني انهم يبصرون مواقع الخطايا بالتذكر والتفكر وقال السدي اذا زلوا تابوا

وقال مقاتل اذا اصابه نزغ من الشيطان تذكر وعرف انه معصية فابصر ونزع
عن مخالفة الله عز وجل **واخوانهم** يعني واخوان الشياطين من المشركين **يمدونهم**
اي يمدهم الشيطان **في الغي** قال الكلبي لكل كافر اخ من الشياطين يمدونهم اي
يطلبون لهم الاغواء حتى يستمروا عليه وقيل يزيدونهم في الضلال **ثم لا يقصرون**
يعني لا يمسكون عن الضلالة ولا يتركونها وهذا بخلاف حال المومنين المتقين لان
المومن اذا اصابه طيف من الشيطان تذكر وعرف ذلك فنزع عنه وتاب
واستغفر والكافر مستمر في ضلالته لا يتذكر ولا يرعوي وقال ابن عباس
الانس لا يقصرون عما يعملون من السيئات ولا الشياطين يمسكون عنهم فعلى
هذا القول يحمل قوله لا يقصرون على فعل الانس والشياطين جميعا قوله عز وجل
واذا لم تاتهم باية يعني وان لم تات المشركين يا محمد باية ومعجزة باهرة
قالوا يعني قال المشركون **لولا اجتبيتها** يعني افتعلتها وانشاتها من قبل
نفسك واختيارك تقول العرب اجتبيت الكلام اذا اختلقته وافتعلته وقال
الكلبي كان اهل مكة يسالون النبي صلى الله عليه وسلم الايات تعنتا فاذا تاخرت
اتهموه وقالوا لولا اجتبيتها يعني هلا احدثتها وانشاتها من عندك **قل** اي قل
يا محمد لهولاء المشركين الذين سالوا الايات **انما اتبع ما يوحى الي من ربي**
يعني ان القران الذي انزله علي وليس لي ان اقترح الايات والمعجزات **هذا**
بصائر من ربكم يعني هذا القران فيه حجج وبرهان واصل البصائر الابصار
وهو ظهور الشي حتى يبصره الانسان ولما كان القران سببا لبصائر العقول
في دلائل التوحيد والنبوة والمعاد اطلق عليه اسم البصيرة فهو من باب
تسمية السبب باسم المسبب **وهدى** يعني وهو هدى **ورحمة** يعني وهو
رحمة من الله **لقوم يومنون** وهنا لطيفة وهي في الفرق بين هذه المراتب
الثلاث وذلك ان الناس متفاوتون في درجات العلوم فمنهم من بلغ الغاية
في علم التوحيد حتى صار كالمشاهد وهم اصحاب عين اليقين ومنهم من بلغ
درجة الاستدلال والنظر وهم اصحاب علم اليقين ومنهم المسلم المستسلم
وهم عامة المومنين وهم اصحاب حق اليقين فالقران في حق الاولين وهم السابقون
بصائر وفي حق القسم الثاني وهم المستدلون هدى وفي حق القسم الثالث
وهو عامة المومنين رحمة قوله تعالى **واذا قرئ القران فاستمعوا له وانصتوا**
لما ذكر الله تعالى عظم شان القران بقوله هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم
يومنون اتبعه بما يجب من تعظيم شانه عند قراته فقال تعالى واذا قرئ عليكم
ايها المومنون القران فاستمعوا له يعني اصغوا اليه باسماعكم لتفهموا معانيه
وتدبروا مواعظه وانصتوا يعني عند قراته والانصات السكوت للاستماع يقال
نصت وانصت وانتصت بمعنى واحد واختلف العلماء في الحال التي امر الله عز
وجل بالاستماع لقارئ القران والانصات له اذا قرئ لان قوله فاستمعوا

له وانصتوا امر وظاهر الامر للوجوب فمقتضاه ان يكون الاستماع والسكوت
واجبين وللعلماء في ذلك اقوال القول الاول وهو قول الحسن واهل الظاهر
ان يجري هذه الاية على العموم ففي اي وقت وفي اي موضع قرئ القران فيجب
على كل احد الاستماع له والسكوت القول الثاني انها نزلت في تحريم الكلام
في الصلاة روي عن ابي هريرة انهم كانوا يتكلمون في الصلاة بحوائجهم فامروا
بالسكوت والاستماع عند قراءة القران وقال عبد الله كان يسلم بعضنا على
بعض في الصلاة سلام على فلان وسلام على فلان فجاء القران واذا قرئ
القران فاستمعوا له وانصتوا القول الثالث انها نزلت في ترك الجهر بالقراءة
خلف الامام روي عن ابي هريرة قال نزلت هذه الاية في رفع الاصوات وهم
خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن مسعود انه سمع اناسا يقرون
القران مع الامام فلما انصرف قال اما ان لكم ان تفقهوا واذا قرئ القران
فاستمعوا له وانصتوا كما امركم الله وقال الكلبي كانوا يرفعون اصواتهم في
الصلاة حين يسمعون ذكر الجنة والنار القول الرابع انها نزلت في السكوت
عند الخطبة يوم الجمعة وهو قول سعيد بن جبير ومجاهد وعطا قال مجاهد
الانصات للامام يوم الجمعة وقال عطا وجب الصموت في اثنتين عند الرجل
يقرا القران وعند الامام وهو يخطب وهذا القول قد اختاره جماعة وفيه
بعد لان الاية مكية والخطبة انما وجبت بالمدينة واتفقوا على انه يجب الانصات
حال الخطبة بدليل السنة وهو ما روي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال اذا قلت لصاحبك انصت والامام يخطب يوم الجمعة فقد
لغوت اخرجاه في الصحيحين واختلف العلماء في القراءة خلف الامام فذهب
جماعة الى ايجابها سواء جهر الامام بالقراءة او اسر يروى ذلك عن عمر وعثمان
وعلي وابن مسعود ومعاذ وهو قول الاوزاعي واليه ذهب الشافعي وذهب
قوم الى انه يقرا فيما اسر الامام فيه القراءة ولا يقرا اذا جهر يروى عن
ابن عمر وهو قول عروة بن الزبير والقاسم بن محمد وبه قال الزهري ومالك
وابن المبارك واحمد واسحاق وذهب قوم الى انه لا يقرا سواء اسر الامام
او جهر يروى ذلك عن جابر واليه ذهب اصحاب الراي حجة من لا يرى القراءة
خلف الامام ظاهر هذه الاية وحجة من قال يقرا في السرية دون الجهرية
قال ان الاية تدل على الامر بالاستماع لقراءة القران ودلت السنة على
وجوب القراءة خلف الامام فحملنا مدلول الاية على صلاة الجهرية وحملنا
مدلول السنة على صلاة السرية جمعا بين دلايل الكتاب والسنة وحجة
من اوجب القراءة خلف الامام في صلاة السرية والجهرية قال الاية واردة
في غير الفاتحة لان دلايل السنة قد دلت على وجوب قراءة الفاتحة خلف الامام
قالوا واذا قرا الفاتحة خلف الامام يتتبع سكتاته ولا ينازعه في القراءة

ولا يجهر بالقراءة خلفه ويدل عليه ما روي عن عبادة بن الصامت قال صلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم الصبح فثقلت عليه القراءة فلما انصرف قال اراكم تقرءون وراء امامكم
قال قلنا يا رسول الله اي والله قال لا تفعلوا الا بام القرآن فانه لا صلاة لمن
لم يقرأ بها اخرجه الترمذي بطوله واخرجاه في الصحيحين اقصر منه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب م عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب
فهي خداج يقولها ثلاثا غير تمام فقيل لابي هريرة انا نكون وراء الامام قال اقرأ
بها في نفسك وذكر الحديث وقوله تعالى **لعلكم ترحمون** يعني لكي يرحمكم ربكم باتباعكم
ما امركم به من اوامره وفرايضه قوله عز وجل **واذكر ربك في نفسك** الخطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل فيه غيره من امته لانه عام لساير المكلفين قال ابن
عباس يعني بالذكر القراءة في الصلاة يريد تقرأ سرا في نفسك والفايدة فيه
ان انتفاع الانسان بالذكر انما يكمل اذا وقع الذكر بهذه الصفات لان ذكر النفس
اقرب الى الاخلاص والبعد عن الريا وقيل المراد بالذكر في النفس ان يستحضر
في قلبه عظمة المذكور جل جلاله واذا كان الذكر باللسان عاريا عن ذكر القلب
كان عديم الفايدة لان فايدة الذكر حضور القلب واستشعاره عظمة المذكور
قوله تعالى **تضرعا** يقال ضرع الرجل يضرع ضراعة اذا خضع وذل واستكان
لغيره **وخيفة ودون الجهر من القول** يعني وخوفا والمعنى يتضرع اليه ويخاف من عذابه
وقال مجاهد وابن جريج امروا ان يذكروه في الصدور بالتضرع والاستكانة دون
رفع الصوت في الدعا وهاهنا لطيفة وهي ان قوله تعالى واذكر ربك في نفسك
فيه اشعار بقرب العبد من الله عز وجل وهو مقام الرجا لان لفظ الرب مشعر
بالتربية والرحمة والفضل والاحسان فاذا تذكر العبد انعام الله عليه واحسانه
اليه فعند ذلك يقوى مقام الرجا فاتبعه بقوله تضرعا وخيفة وهذا مقام
الخوف فاذا حصل في قلب العبد داعية الخوف والرجا قوي ايمانه والمستحب
ان يكون الخوف اغلب على العبد في حال صحته وقوته فاذا قارب الموت ودنى اجله
فيستحب ان يغلب رجاؤه على خوفه عن انس بن مالك رضي الله عنه دخل
النبي صلى الله عليه وسلم على شاب وهو في الموت فقال كيف تجدك قال ارجو الله يا رسول الله
واني اخاف ذنوبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمعان في قلب عبد في
مثل هذا الموطن الا اعطاه الله ما يرجو منه وامنه مما يخاف اخرجه الترمذي
وقوله تعالى **بالغدو** جمع غدوة **والاصال** جمع اصيل وهو ما بين صلاة العصر
الى المغرب والمعنى اذكر ربك بالبكور والعشيات وانما خص هذين الوقتين بالذكر
لان الانسان يقوم بالغداة من النوم الذي هو اخو الموت فاستحب له ان يستقبل
حالة الانتباه من النوم وهو وقت الحياة من موت النوم بالذكر ليكون اول
اعماله ذكر الله عز وجل واما وقت الاصال وهو اخر النهار فان الانسان يريد

ان

ان يستقبل النوم الذي هو اخو الموت فيستحب له ان يستقبله بالذكر
لانه حالة تشبه الموت ولعله لا يقوم من تلك النومة فيكون موته على
ذكر الله تعالى وهو المراد من قوله عز وجل **ولا تكن من الغافلين** يعني عما
يقربك الى الله عز وجل وقيل ان اعمال العباد تصعد اول النهار واخره فيصعد
عمل الليل عند صلاة الفجر ويصعد عمل النهار بعد العصر الى المغرب فاستحب
له الذكر في هذين الوقتين ليكون ابتدا اعماله بالذكر واختتامه بالذكر وقيل
لما كانت الصلاة بعد صلاة الصبح وبعد صلاة العصر مكروهة استحب للعبد
ان يذكر الله في هذين الوقتين ليكون في جميع اوقاته مشتغلا بما يقربه الى الله
تعالى من صلاة او ذكر قوله عز وجل **ان الذين عند ربك** يعني الملايكة المقربين
لما امر الله عز وجل رسوله والمومنين بالذكر في حالة التضرع والخوف
اخبر ان الملايكة الذين عنده مع علو مرتبتهم وشرفهم وعصمتهم **لا يستكبرون
عن عبادته** وطاعته لانهم عبيده خاضعون لعظمته وكبريايه عز وجل **ويسبحونه**
يعني ينزهونه عن جميع النقايص ويقولون سبحان الله ربنا **وله يسجدون** لا لغيره
فان قلت التسبيح والسجود داخلان في قوله لا يستكبرون عن عبادته لانهما
من جملة العبادة فكيف افردهما بالذكر قلت اخبر الله عز وجل عن حال الملايكة
انهم خاضعون لعظمته لا يستكبرون عن عبادته ثم اخبر عن صفة عبادتهم وانهم
يسبحونه وله يسجدون ولما كانت الاعمال تنقسم الى قسمين اعمال القلوب
واعمال الجوارح فاعمال القلوب هي تنزيه الله عن كل سوء وهو الاعتقاد
القلبي عبر عنه بقوله ويسبحونه وعبر عن اعمال الجوارح بقوله وله يسجدون
وهذه السجدة من عزايم سجود القرآن فيستحب للقاري والمستمع ان يسجد
عند قوله وله يسجدون ليوافق الملايكة المقربين في عبادتهم ق عن عبد الله
بن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ القرآن فيقرأ سورة فيها سجدة فيسجد
ونسجد معه حتى ما يجد بعضنا موضعا لمكان جبهته في غير وقت صلاة م عن
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرأ ابن ادم السجدة فسجد
اعتزل الشيطان يبكي يقول يا ويلنا امر ابن ادم بالسجود فسجد فله الجنة
وامرت بالسجود فابيت فلي النار م عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عليك بكثرة السجود لله فانك
لا تسجد لله سجدة الا رفعك الله بها درجة وحط عنك بها خطيئة والله اعلم بمراده
واسرار كتابه تفسير سورة الانفال مدنية كلها الا سبع ايات منها نزلت بمكة
وهي من قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا الى اخر سبع ايات والاصح انها نزلت
بالمدينة وان كانت الواقعة مكية وهي خمس وسبعون اية والف وخمس وسبعون
كلمة وخمسة الاف وثمانون حرفا **بسم الله الرحمن الرحيم**
قوله عز وجل **يسالونك عن الانفال** ق عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس

سورة الانفال قال نزلت في بدر واختلف اهل التفسير في سبب نزولها فقال
ابن عباس لما كان يوم بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صنع كذا وكذا فله
كذا وكذا ومن اتى مكان كذا فله كذا فتسارع الشباب وبقيت الشيوخ تحت الرايات
فلما فتح عليهم جاؤوا يطلبون ما جعل لهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم الاشياخ
لا تذهبوا به دوننا ولا تستأثروا به علينا فانا كنا ردءا لكم ولو انكشفتم لانكشفتم
الينا فتنازعوا فانزل الله عز وجل يسألونك عن الانفال قل الانفال لله
والرسول الآية قال اهل التفسير وقام ابو اليسر بن عمرو الانصاري اخو بني سلمة
فقال يا رسول الله انك وعدت ان من قتل قتيلا فله كذا وكذا وانا قد قتلنا سبعين
واسرنا سبعين وقام سعد بن معاذ فقال والله ما منعنا ان نطلب ما طلب هؤلاء
زهادة في الآخرة ولا جبن عن العدو ولكن كرهنا ان نعري مصافك فتعطف عليه
خيل من المشركين فيصيبونك فاعرض عنهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
سعد يا رسول الله ان الناس كثير والغنيمة دون ذلك فان تعط هؤلاء الذين
ذكرت لا يبقى لاصحابك كثير شيء فنزلت هذه الآية يسألونك عن الانفال
وقال محمد بن اسحاق امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما في العسكر فجمع فاختلف
المسلمون فيه فقال من جمعه هو لنا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم نفل كل
امرئ ما اصاب وقال الذين كانوا يقاتلون العدو لولا نحن ما اصبتموه وقال
الذين يحرسون رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد كنا نقدر ان نقاتل العدو ولكنا
خفنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم عرة العدو فقمنا دونه فما انتم باحق منا
فنزلت هذه الآية وروى مكحول عن ابي امامة الباهلي قال سألت عبادة بن الصامت
عن الانفال فقال فينا معشر اصحاب بدر نزلت حين اختلفنا في النفل وساءت
فيه اخلاقنا فنزعه الله من بين ايدينا وجعله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيننا عن بواء يقول على سواء وكان في ذلك تقوى
الله وطاعة رسوله واصلاح ذات البين وعن سعد بن ابي وقاص قال لما كان يوم بدر
جئت بسيف فقلت يا رسول الله ان الله قد شفى صدري من المشركين او نحو هذا
هب لي هذا السيف فقال هذا ليس لي ولا لك فقلت عسى ان يعطى هذا من لا يبلي
بلائي فجاءني الرسول فقال انك سألتني وليس لي وانه قد صار لي وهو لك فنزلت يسألونك
عن الانفال الآية اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح واخرجه
مسلم في جملة حديث طويل يتضمن فضائل سعد ولفظ مسلم فيه قال اصاب
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم غنيمة عظيمة فاذا فيها سيف فاخذته فاتيت
به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت نفلني هذا السيف فانا من قد علمت حاله
فقال رده من حيث اخذته فانطلقت حتى اردت ان القيه في القبض لامتني فرجعت
اليه فقلت اعطنيه قال فشد على صوته رده من حيث اخذته فانزل الله
عز وجل يسألونك عن الانفال وقال ابن عباس كانت المغانم لرسول الله

صلى الله عليه وسلم خاصة ليس لاحد فيها شيء وما اصاب من سرايا المسلمين من شيء
اتوه به فمن حبس منه ابرة او سلكا فهو غلول واما التفسير فقوله تعالى يسألونك
عن الانفال لما استفتاك يعني يسألك اصحابك يا محمد عن حكم الانفال وعلمها وهو
سؤال استفتاء لا سؤال طلب وقال الضحاك وعكرمة هو سؤال طلب وقوله
عن الانفال اي عن الانفال وعن بمعنى من وقيل من صلة اي يسألونك الانفال
والانفال هي الغنائم في قول ابن عباس وعكرمة ومجاهد وقتادة واصله الزيادة
سميت الغنائم انفالا لانها زيادة من الله عز وجل لهذه الامة على الخصوص
واكثر المفسرين على انها نزلت في غنائم بدر وقال عطاء هي ما شذ من المشركين
الى المسلمين بغير قتال من عبد او امة او متاع فهو للنبي صلى الله عليه وسلم
يصنع فيه ما يشاء **قل الانفال لله والرسول** اي قل يا محمد لهم لأن الانفال
حكمها لله وللرسول يقسمها كيف شاء واختلف العلماء في حكم هذه الآية
فقال مجاهد وعكرمة والسدي هذه الآية منسوخة نسخها الله بقوله واعلموا
انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول الآية كانت الغنائم لرسول الله
صلى الله عليه وسلم يقسمها كيف شاء ولمن شاء ثم نسخها الله تعالى بالخمس وقال
بعضهم هي ناسخة من وجه منسوخة من وجه وذلك ان الغنائم كانت حراما
على الامم الذين من قبلنا في شرائع انبيائهم فاباحها الله لهذه الامة بهذه
الآية وجعلها ناسخة لشرع من قبلنا ثم نسخت بآية الخمس وقال عبد الرحمن
ابن زيد انها محكمة وهي احدى الروايات عن ابن عباس ومعنى الآية على هذا
القول قل الانفال لله والرسول يضعها حيث امره الله وقد بين الله مصارفها
في قوله واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول الآية وصح من حديث
ابن عمر قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية فغنمنا ابلا فاصاب
كل واحد منا اثني عشر بعيرا ونفلنا بعيرا بعيرا اخرجاه في الصحيحين فعلى هذا
تكون الآية محكمة وللامام ان ينفل من شاء من الجيش ما شاء قبل التخميس **فاتقوا
الله** يعني اتقوا الله بطاعته واتقوا مخالفته واتركوا المنازعة والمخاصمة
في الغنائم **واصلحوا ذات بينكم** اي اصلحوا الحال فيما بينكم بترك المنازعة
والمخالفة وتسليم امر الغنائم الى الله ورسوله **واطيعوا الله ورسوله**
فيما يأمركم به وينهاكم عنه **ان كنتم مؤمنين** يعني ان كنتم مصدقين بوعد الله
ووعيده قوله تعالى **انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم**
لما امر الله تعالى بطاعته وطاعة رسوله في الآية المتقدمة ثم قال بعده
ان كنتم مؤمنين لان الايمان يستلزم الطاعة بين في هذه الآية صفات
المؤمنين واحوالهم فقال تعالى انما المؤمنون ولفظة انما تفيد الحصر
والمعنى ليس المؤمنون الذين يخالفون الله ورسوله انما المؤمنون الصادقون
في ايمانهم الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم اي خضعت وخافت ورقت

قلوبهم وقيل اذا خوفوا بالله انقادوا خوفا من عقابه وقال اهل الحقايق الخوف
على قسمين خوف العقاب وهو خوف العصاة وخوف الهيبة والعظمة وهو خوف الخواص
لانهم يعلمون عظمة الله عز وجل فيخافونه اشد خوفا واما العصاة فيخافون
عقابه فالمومن اذا ذكر الله وجل قلبه وخافه على قدر مرتبته في ذكر الله عز
وجل فان قلت انه تعالى قال في هذه الاية وجلت قلوبهم بمعنى خافت
وقال في اية اخرى وتطمئن قلوبهم بذكر الله فكيف الجمع بينهما قلت
لا منافاة بين هاتين الحالتين لان الوجل هو خوف العقاب والاطمينان انما
يكون من ثلج اليقين وشرح الصدر بنور المعرفة والتوحيد وهذا مقام الخوف
والرجا وقد جمعا في اية واحدة وهي قوله تقشعر منه جلود الذين يخشون
ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله والمعنى ان تقشعر جلودهم من
خوف عقاب الله ثم تلين جلودهم وقلوبهم عند ذكر رحمته ورجاء ثوابه وهذا
حاصل في قلب المومن ثم قال تعالى **وإذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا**
يعني واذا قرئ عليهم ايات القران زادتهم تصديقا قاله ابن عباس والمعنى
انه كلما جاءهم شيء من عند الله امنوا به فيزدادون بذلك ايمانا وتصديقا لان
زيادة الايمان بزيادة التصديق وذلك على وجهين الوجه الاول وهو الذي
عليه عامة اهل العلم على ما حكاه الواحدي ان كل من كانت الدلائل عنده اكثر
واقوى كان ايمانه ازيد لان عند حصول كثرة الدلايل وقوتها يزول الشك
ويقوى اليقين فتكون معرفته بالله اقوى فيزداد ايمانه الوجه الثاني
وهو انهم يصدقون بكل ما يتلى عليهم من عند الله ولما كانت التكاليف متوالية
في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلما تجدد تكليف صدقوا به فيزدادون
بذلك الاقرار تصديقا وايمانا ومن المعلوم ان من صدق انسانا في شيئين
كان اكثر ممن يصدقه في شيء واحد فقوله تعالى واذا تليت عليهم اياته زادتهم
ايمانا معناه انه كلما سمعت اية جديدة اتوا باقرار جديد وتصديق جديد فكان
ذلك زيادة في ايمانهم واختلف الناس في ان الايمان هل يقبل الزيادة والنقص
ام لا فالذين قالوا ان الايمان عبارة عن التصديق بالقلب قالوا لا يقبل
الزيادة لاجماع اهل اللغة على ان الايمان هو التصديق والاعتقاد بالقلب
وذلك لا يقبل الزيادة ومن قال ان الايمان عبارة عن مجموع ثلاثة وهي
التصديق بالقلب والاقرار باللسان والعمل بالجوارح والاركان فقد استدل
على ان هذه من وجهين احدهما ان قوله زادتهم ايمانا صريح في ان الايمان يقبل
الزيادة ولو كان عبارة عن التصديق بالقلب فقط لما قبل الزيادة فاذا قبل
الزيادة فقد قبل النقص الوجه الثاني انه ذكر في هذه الاية اوصافا متعددة
من احوال المومنين ثم قال تعالى بعد ذلك اولئك هم المومنون حقا وذلك يدل
على ان تلك الاوصاف داخلة في مسمى الايمان وروي عن ابي هريرة قال قال رسول

صلى الله

صلى الله عليه وسلم الايمان بضع وسبعون شعبة اعلاها شهادة ان لا اله الا الله
وادناها اماطة الاذى عن الطريق والحيا شعبة من الايمان اخرجاه في الصحيح
ففي هذا الحديث دليل على ان للايمان اعلا وادنى واذا كان كذلك كان قابلا
للزيادة والنقص قال عمير بن حبيب وكانت له صحبة ان للايمان زيادة ونقصا
قيل له فما زيادته قال اذا ذكرنا الله وحمدناه فذلك زيادته واذا سهونا
وغفلنا فذلك نقصانه وكتب عمر بن عبد العزيز الى عدي بن عدي ان للايمان
فرايض وشرايع وحدودا وسننا فمن استكملها فقد استكمل الايمان
ومن لم يستكملها لم يستكمل الايمان وقوله تعالى **وعلى ربهم يتوكلون** معناه
يفوضون جميع امورهم اليه ولا يرجون غيره ولا يخافون سواه واعلم ان المومن
اذا كان واثقا بوعد الله ووعيده كان من المتوكلين عليه لا على غيره وهي درجة
عالية ومرتبة شريفة لان الانسان يصير بحيث لا يبقى له اعتماد في شيء من
اموره الا على الله عز وجل واعلم ان هذه المراتب الثلاث اعني الوجل عند ذكر الله
وزيادة الايمان عند تلاوة القران والتوكل على الله من اعمال القلوب ولما ذكر
الله تعالى هذه الصفات الثلاث اتبعها بصفتين من اعمال الجوارح فقال تعالى
الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون يعني يقيمون الصلاة المفروضة
بحدودها واركانها في اوقاتها وينفقون من اموالهم فيما امرهم الله به من الانفاق
فيه ويدخل فيه النفقة في الزكاة والحج والجهاد وغيره ويدخل فيه الانفاق في انواع
البر والقربات ثم قال تعالى **اولئك** يعني من هذه صفتهم **هم المومنون حقا**
يعني يقينا لا شك في ايمانهم قال ابن عباس برئوا من الكفار وقال قتادة استحقوا
الايمان واحقه الله لهم وفيه دليل على انه لا يجوز ان يصف احد نفسه بكونه مومنا
حقا لان الله انما وصف بذلك اقواما مخصوصين على اوصاف مخصوصة وكل
احد لا يتحقق وجود تلك الاوصاف فيه وهذا يتعلق بمسألة اصولية وهي
ان العلماء اتفقوا على انه يجوز للرجل ان يقول انا مومن حقا ولا يجوز ان يقول
انا مومن ان شاء الله واستدلوا على صحة هذا القول بوجوه الاول ان المتحرك
لا يجوز ان يقول انا متحرك ان شاء الله وكذا القول في القايم والقاعد فكذلك هذه
المسألة يجب فيها ان يكون المومن مومنا حقا ولا يجوز ان يقول انا مومن ان شاء الله
تشكيك فيما قطع الله لهم به وذلك لا يجوز وقال اصحاب الشافعي الاولى ان يقول
الرجل انا مومن ان شاء الله واحتجوا لصحة هذا القول بوجوه الاول ان الايمان
عندهم عبارة عن الاعتقاد والاقرار والعمل وكون الانسان اتيا بالاعمال الصالحة
المقبولة امر مشكوك فيه والشك في احد اجزاء الماهية يوجب الشك في الماهية
فيجب ان يقول انا مومن ان شاء الله وان كان اعتقاده واقراره صحيحا وعند اصحاب
ابي حنيفة ان الايمان عبارة عن الاعتقاد فيخرج العمل عن مسمى الايمان فلم يلزم
حصول الشك الوجه الثاني ان قولنا انا مومن ان شاء الله ليس هو على سبيل الشك

واختلفوا في انه هل يجوز ان يقول انا مومن حقا ام لا فقال اصحاب ابي حنيفة لا وقال الشافعي نعم

ولكن اذا قال الرجل انا مومن فقد مدح نفسه باعظم المدايح فربما حصل له بذلك عجب فاذا قال ان شا الله زال ذلك العجب وحصل له الانكسار وروي ان ابا حنيفة قال لقتادة لم تستثني في ايمانك فقال قتادة اتباعا لابراهيم عليه السلام في قوله والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين فقال له ابو حنيفة هلا اقتديت به في قوله اولم تومن قال بلى فانقطع قتادة قال بعضهم كان لقتادة ان يقول ان ابراهيم قال بعد قوله بلى ولكن ليطمين قلبي فطلب مزيد الطمانينة الوجه الثالث ان الله تعالى ذكر في اول الاية انما المومنون ولفظة انما تفيد الحصر يعني انما المومنون الذين هم كذا وكذا وذكر بعد ذلك اوصافا خمسة وهي الخوف من الله والاخلاص لله والتوكل على الله والاتيان بالصلاة كما امر الله وايتا الزكاة كذلك ثم قال بعد ذلك اوليك هم المومنون حقا يعني من الذي بمجموع هذه الاوصاف كان مومنا حقا ولا يمكن لاحد ان يقطع بحصول هذه الصفات له فكان الاولى له ان يقول انا مومن ان شا الله قال ابن ابي نجيح سال رجل الحسن فقال امومن انت فقال الحسن لين كنت سالتني عن الايمان بالله وملايكته وكتبه ورسله واليوم الاخر والجنة والنار والبعث والحساب فانا بها مومن وان كنت سالتني عن قوله انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الاية فلا ادري انا منهم ام لا قال علقمة كنا في سفر فلقينا قوما فقلنا من القوم فقالوا نحن المومنون حقا فلم ندر ما نجيبهم حتى لقينا عبد الله بن مسعود ∴ فاخبرناه بما قالوا قال فما رددتم عليهم قلنا لم نرد عليهم شيا قال هلا قلتم لهم امن اهل الجنة انتم ان المومنين هم اهل الجنة وقال سفيان الثوري من زعم انه مومن حقا عند الله ثم لم يشهد انه في الجنة فقد امن بنصف الاية دون النصف الاخر الوجه الرابع ان قلنا بقولنا انا مومن ان شا الله للتبرك لا للشك فهو كقوله صلى الله عليه وسلم وانا ان شا الله بكم لاحقون مع العلم القطعي انه لاحق باهل القبور الوجه الخامس ان المومن لا يكون مومنا حقا الا اذا ختم له بالايمان ومات عليه وهذا لا يحصل الا عند الموت فلهذا السبب حسن ان يقول انا مومن ان شا الله فالمراد بصرف هذا الاستثنا الى الخاتمة واجاب اصحاب هذا القول وهم اصحاب الشافعي عن المسند لا لا اصحاب ابي حنيفة بقولهم ان المعترض لا يجوز ان يقول انا مغفول ان شا الله ان الفرق بين وصف الانسان بكونه مومنا وبين وصفه بكونه متحركا ان الايمان يتوقف صحا له على الخاتمة والحركة فعل يقيني فحصل الفرق بينهما والجواب عن الوجه الثاني وهو قولهم انه تعالى قال اوليك هم المومنون حقا فقد حكم لهم بكونهم مومنين حقا اذا اتوا بتلك الاوصاف الخمسة وهذا لا يقدر عليه احد انه ياتي بتلك الاوصاف على الحقيقة كان مومنا حقا ونحن نقول ايضا ان من اتى بتلك الاوصاف على الحقيقة كان مومنا حقا ولكن لا يقدر على ذلك احد والله اعلم وقوله تعالى **لهم درجات**

عند ربهم يعني مراتب بعضها اعلى من بعض لان المومنين تتفاوت احوالهم في الاتصاف بتلك الاوصاف المذكورة فلهذا تتفاوت مراتبهم في الجنة لان درجات الجنة على قدر الاعمال قال عطا درجات الجنة يرتقون فيها باعمالهم وقال الربيع ابن انس سبعون درجة ما بين كل درجتين حضر الفرس المضمر سبعين سنة وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنة ماية درجة ما بين كل درجتين ماية عام اخرجه الترمذي وله عن ابي سعيد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة ماية درجة لو ان العالمين اجتمعوا في احداهن لوسعتهم **ومغفرة** يعني ولهم مغفرة لذنوبهم **ورزق كريم** يعني ما اعد لهم في الجنة ووصفه بكونه كريما لان منافعه خالصة لهم دايمة عليهم مقرونة بالاكرام والتعظيم قوله تعالى **كما اخرجك ربك من بيتك بالحق** اختلفوا في الجالب لهذه الكاف ما هو فقال المبرد تقديره قل الانفال لله وللرسول وان كرهوا كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وان كرهوا وقيل معناه امض لامر ربك في الانفال وان كرهوا كما مضيت لامر ربك في الخروج من البيت لطلب العير وهم كارهون وقيل معناه فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم فان ذلك خير لكم كما ان اخراج محمد صلى الله عليه وسلم من بيته بالحق خير لكم وان كرهه فريق منكم وقيل هو راجع الى قوله لهم درجات عند ربهم تقديره وعد الله المومنين الدرجات حق حتى ينجزه الله تعالى كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وانجز الوعد بالنصر والظفر وقيل هي متعلقة بما بعدها تقديره كما اخرجك ربك من بيتك بالحق على كره فريق منهم كذلك يكرهون القتال ويجادلونك فيه وقيل الكاف بمعنى على اي امض على الذي اخرجك ربك من بيتك وقيل الكاف بمعنى القسم تقديره والذي اخرجك من بيتك بالحق وجوابه يجادلونك في الحق وقيل الكاف بمعنى اذ يعني واذكر يا محمد اذ اخرجك ربك من بيتك بالحق وقيل المراد بهذا الاخراج اخراجه من مكة الى المدينة للهجرة وقال جمهور المفسرين المراد بهذا الاخراج هو خروجه من المدينة الى بدر ومعناه كما امرك ربك بالخروج من بيتك بالمدينة بالحق يعني بالوحي لطلب المشركين **وان فريقا من المومنين لكارهون** يعني للقتال وانما كرهوه لقلة عددهم وقلة سلاحهم وكثرة عددهم وكثرة سلاحهم **يجادلونك في الحق** وذلك ان المومنين لما ايقنوا بالقتال كرهوا ذلك وقالوا لو لم تعلمنا انا نلقى العدو فنستعد لقتالهم وانما خرجنا لطلب العير فذلك جدالهم **بعد ما تبين** يعني تبين لهم انك لا تصنع شيا الا بامر ربك وتبين لهم صدقك في الوعد **كانما يساقون الى الموت** يعني لشدة كراهتهم القتال **وهم ينظرون** يعني الى الموت شبه حالهم في فرط فزعهم بحال من يجر الى القتل ويساق الى الموت وهو ينظر اليه ويعلم انه اتيه قوله عز وجل **واذ يعدكم الله احدى الطايفتين** يعني احدى الفريقين فرقة ابي سفيان مع العير وفرقة ابي جهل مع النفير **انها لكم**

يعني احدى الفرقتين لكم قال ابن عباس وعروة بن الزبير ومحمد بن اسحاق والسدي
اقبل ابو سفيان بن حرب من الشام في عير قريش في اربعين راكبا من كبار قريش
منهم عمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل الزهري ومعهم تجارة كثيرة وهي اللطيمة
يريد اللطيمة الجمال التي تحمل العطر والبز غير الميرة حتى اذا كانوا قريبا من بدر
بلغ النبي صلى الله عليه وسلم خبرهم ندب اصحابه اليهم واخبرهم بكثرة المال وقلة العدو
وقال هذه عير قريش فيها اموالهم فاخرجوا اليها لعل الله ان ينفلكموها فانتدب
الناس فخف بعضهم وثقل بعضهم وذلك انهم لم يظنوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يلقى حربا فلما سمع ابو سفيان بمسير رسول الله صلى الله عليه وسلم استاجر ضمضم
ابن عمرو الغفاري فبعثه الى مكة فامره ان ياتي قريشا يستنفرهم ويخبرهم
ان محمدا في اصحابه قد عرض لعيرهم فخرج ضمضم سريعا الى مكة وكانت عاتكة بنت
عبد المطلب قد رات رؤيا قبل قدوم ضمضم مكة بثلاث ليال افزعتها فبعثت
الى اخيها العباس بن عبد المطلب فقالت يا اخي والله لقد رايت الليلة رؤيا
افظعتني وخشيت ان يدخل على قومك منها شر ومصيبة قال لها وما هي رؤياك
قالت رايت راكبا اقبل على بعير له حتى وقف بالابطح ثم صرخ باعلى صوته الا انفروا
يا آل غدر لمصارعكم في ثلاث فارى الناس قد اجتمعوا اليه ثم دخل المسجد والناس
يتبعونه فبينما هم حوله مثل به بعيره على ظهر الكعبة فصرخ مثلها باعلى صوته الا
فانفروا يا آل غدر لمصارعكم في ثلاث ثم مثل به بعيره على راس ابي قبيس فصرخ
مثلها ثم اخذ صخرة فارسلها فاقبلت تهوي حتى اذا كانت باسفل الجبل ارفضت فما
بقي بيت من بيوت مكة ولا دار من دورها الا ودخلها منها فلقة فقال العباس والله
ان هذه لرؤيا فاكتميها ولا تذكريها لاحد ثم خرج العباس فلقي الوليد بن عتبة
وكان صديقا للعباس فذكرها له واستكتمه اياها فذكرها الوليد لابيه
عتبة ففشى الحديث حتى تحدثت به قريش بمكة فقال العباس فغدوت اطوف
بالبيت وابو جهل بن هشام في نفر من قريش يتحدثون برؤيا عاتكة فقعدوا
اطوف فلما راني ابو جهل قال يا ابا الفضل اذا فرغت من طوافك فاقبل الينا
قال العباس فلما فرغت من طوافي اقبلت اليهم حتى جلست معهم فقال لي ابو جهل
يا بني عبد المطلب متى حدثت هذه النبية فيكم قلت وما ذاك فقال الرؤيا التي
رات عاتكة قلت وما رات قال يا بني عبد المطلب اما رضيتم ان يتنبا رجالكم
حتى تتنبا نساؤكم لقد زعمت عاتكة في رؤياها انه قال انفروا في ثلاث فسنتربص
بكم هذه الثلاث فان يك ما قالت حقا فسيكون وان تمض الثلاث ولم يكن
من ذلك شيء فنكتب عليكم كتابا بانكم اكذب اهل بيت في العرب قال العباس
فوالله ما كان مني اليه من كبير شيء الا اني جحدت ذلك وانكرت ان تكون عاتكة
قالت شيئا ثم تفرقنا فلما امسيت لم تبق امراة من بني عبد المطلب الا اتتني
فقالت اقررتم لهذا الفاسق الخبيث ان يقع في رجالكم حتى تناول النساء

وانت

وانت تسمع ولم يكن عندك غيرة لشيء مما سمعت قال قلت قد والله فعلت ما كان
مني اليه من شيء وايم الله لاتعرضن له فان عاد لاكفينكه قال فغدوت في اليوم
الثالث من رؤيا عاتكة وانا حديد مغضب ارى اني قد فاتني شيء احب ان ادركه
منه قال فدخلت المسجد فرايته فوالله اني لامشي نحوه اتعرضه ليعود لبعض ما قال
فاقع به وكان ابو جهل رجلا خفيفا حديد الوجه حديد اللسان حديد النظر
اذ خرج نحو باب المسجد يشتد على العباس فقلت في نفسي ما له لعنه الله اكل هذا
فرقا مني ان اشاتمه قال واذا هو قد سمع ما لم اسمع صوت ضمضم بن عمرو وهو يصرخ
ببطن الوادي واقفا على بعيره وقد جدع بعيره وحول رحله وشق قميصه وهو يقول
يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة اموالكم مع ابي سفيان وقد عرض لها محمد في اصحابه
ولا ادري ان تدركوها الغوث الغوث قال فشغلني عنه وشغله عني ما جاء من الامر
قال فتجهز الناس سراعا ولم يتخلف من اشراف قريش احد الا ان ابا لهب قد تخلف
وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة فلما اجتمعت قريش للمسير ذكرت الذي
بينها وبين بني بكر بن عبد مناة بن كنانة من الحرب فقالوا نخشى ان ياتونا من
خلفنا فكاد ذلك ان يثنيهم فتبدى لهم ابليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم
وكان من اشراف بني بكر فقال انا جار لكم من ان تاتيكم كنانة من خلفكم بشيء تكرهونه
فخرجت قريش سراعا وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في اصحابه لليال مضت
من شهر رمضان حتى بلغ واديا يقال له ذفران فاتاه الخبر عن مسير قريش ليمنعوا
عن عيرهم فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بالروحاء اخذ عينا للقوم
فاخبروه بخبرهم وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عينا له من جهينة حليفا
للانصار يدعى اريقط فاتاه بخبر القوم وسبقت العير رسول الله صلى الله
عليه وسلم فنزل جبريل عليه السلام وقال ان الله وعدكم احدى الطائفتين انها
لكم اما العير واما قريش وكانت العير احب اليهم فاستشار رسول الله صلى الله
عليه وسلم اصحابه في طلب العير وحرب النفير فقام ابو بكر فقال واحسن وقام
عمر فقال واحسن ثم قام المقداد بن عمرو فقال يا رسول الله امض لما امرك الله
فنحن معك والله ما نقول كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا
انا هاهنا قاعدون ولكن نقول اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون
فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا الى برك الغماد يعني مدينة الحبشة لجالدنا
معك من دونه حتى تبلغه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم له خيرا ودعا له بخير
ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشيروا علي ايها الناس وانما يريد الانصار
وذلك انهم عدد الناس وانهم حين بايعوه بالعقبة قالوا يا رسول الله انا براء
من ذمامك حتى تصل الى ديارنا فاذا وصلت الينا فانت في ذمامنا نمنعك مما نمنع
منه ابناءنا ونساءنا فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخوف ان لا تكون
الانصار ترى عليها نصرته الا ممن دهمه بالمدينة من عدوه وان ليس عليهم

ان يسير معه الى العدو ومن بلادهم فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
له سعد بن معاذ والله لكانك تريدنا يا رسول الله قال اجل قال فقد امنا
بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا
ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فوالذي بعثك
بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما يتخلف منا احد وما
نكره ان تلقى بنا عدونا وعدوك انا لصبر عند الحرب صدق في اللقا ولعل الله
عز وجل ان يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله فسر رسول الله
صلى الله عليه وسلم بقول سعد ونشطه ذلك فقال سيروا على بركة الله وابشروا
فان الله عز وجل قد وعدني احدى الطايفتين والله لكاني انظر الى مصارع
القوم م عن انس بن مالك ان عمر بن الخطاب حدثه عن اهل بدر فقال ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يرينا مصارع اهل بدر بالامس يقول هذا مصرع فلان
غدا ان شا الله تعالى وهذا مصرع فلان غدا ان شا الله تعالى قال عمر فوالذي
بعثه بالحق ما اخطا الحدود التي حدها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فجعلوا
في بير بعضهم على بعض فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى اليهم فقال
يا فلان بن فلان ويا فلان ابن فلان هل وجدتم ما وعد الله ورسوله حقا فاني
قد وجدت ما وعدني الله حقا فقال عمر يا رسول الله كيف تكلم اجسادا لا ارواح
فيها فقال ما انت باسمع لما اقول منهم غير انهم لا يستطيعون ان يردوا علي
شيئا قد لك قوله تعالى واذ يعدكم الله احدى الطايفتين يعني طايفة ابي سفيان
مع العير وطايفة ابي جهل مع النفير **وتودون** اي وتريدون وتتمنون **ان غير
ذات الشوكة تكون لكم** والمعنى وتتمنون ان العير التي ليس فيها قتال ولا
شوكة تكون لكم والشوكة الشدة والقوة ويقال السلاح **ويريد الله
ان يحق الحق** اي يظهر الحق ويعليه **بكلماته** يعني بامره اياكم بالقتال وقيل
بعداته التي سبقت لكم من اظهار الدين واعزازه **ويقطع دابر الكافرين**
اي ويستاصلهم حتى لا يبقى لاحد منهم **ليحق الحق** يعني ليثبت الاسلام ..
ويبطل الباطل يعني ويبقي الكفر **ولو كره المجرمون** يعني المشركين وفي
الاية سوالان وهو قوله يريد الله ان يحق الحق قال بعده ليحق الحق وهذا تكرير
لمعناه والجواب انه ليس فيه تكرير لان المراد بالاول تثبيت ما وعد به
في هذه الواقعة من النصرة والظفر بالاعدا والمراد بالثاني تقوية القران
والدين واظهار مبادي الشريعة لان الذي وقع يوم بدر من نصر المومنين مع
قلتهم وقهر الكافرين مع كثرتهم كان سببا لاعزاز الدين وقوته ولهذا السبب
قرنه بقوله ويبطل الباطل يعني الذي هو الشرك السوال الثاني الحق حق لذاته
والباطل باطل لذاته فما المراد من تحقيق الحق وابطال الباطل والجواب ان
المراد من تحقيق الحق اظهار كون ذلك الحق حقا والمراد من ابطال الباطل اظهار

ذلك

ذلك الباطل باطلا وذلك باظهار دلايل الحق وتقويته وقمع روسا الباطل وقهرهم
قوله عز وجل **اذ تستغيثون ربكم** اي واذكروا يا محمد اذ تستجيرون ربكم من عدوكم
وتطلبون منه الغوث والنصر وفي المستغيثين قولان احدهما انه رسول الله
صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه قاله الزهري والقول الثاني انه رسول الله
صلى الله عليه وسلم وحده وانما ذكره بلفظ الجمع على سبيل التعظيم له **م** عن ابن عباس
قال حدثني عمر بن الخطاب قال لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى المشركين وهم الف واصحابه ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا فاستقبل نبي الله
صلى الله عليه وسلم القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف بربه يقول اللهم انجز لي ما وعدتني
اللهم اتني ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة من اهل الاسلام لا تعبد في
الارض فما زال يهتف بربه مادا يديه حتى سقط رداوه عن منكبيه فاتاه ابو بكر
فاخذ رداءه فالقاه على منكبيه ثم التزمه من ورايه وقال يا نبي الله كذلك
مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك فانزل الله عز وجل اذ تستغيثون
ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بالف من الملايكة مردفين فامده الله بالملايكة
قال سماك فحدثني ابن عباس قال بينما رجل من المسلمين يوميذ يشتد في اثر
رجل من المشركين امامه اذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول اقدم
حيزوم اذ نظر الى المشرك امامه خر مستلقيا فنظر اليه فاذا قد حطم انفه وشق
وجهه كضربة السيف فاخضر ذلك اجمع فجا الانصاري فحدث بذلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال صدقت ذلك من مدد السما الثالثة فقتلوا يوميذ
سبعين واسروا سبعين وقوله تعالى **فاستجاب لكم** يعني فاجاب دعاكم
اني ممدكم اصله باني ممدكم اي مرسل اليكم مددا وردا لكم **بالف من الملايكة
مردفين** يعني يردف بعضهم بعضا بمعنى يتبع بعضهم بعضا روي انه نزل جبريل
عليه السلام في خمسماية وميكاييل عليه السلام في خمسماية في صور الرجال على
خيل بلق عليهم ثياب بيض وعمايم بيض قد ارخوها بين اكتافهم وروي ان النبي
صلى الله عليه وسلم لما ناشد ربه وقال ابو بكر ان الله منجز لك ما وعدك خفق
رسول الله صلى الله عليه وسلم خفقة وهو في العريش ثم انتبه فقال يا ابا بكر
اتاك نصر الله هذا جبريل اخذ بعنان فرس يقوده على ثناياه النقع **خ** عن ابن عباس
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر هذا جبريل اخذ براس فرسه عليه اداة الحرب
يعني الة الحرب قال ابن عباس كانت سيما الملايكة يوم بدر عمايم بيض ويوم حنين عمايم
خضر ولم تقاتل الملايكة في يوم سوى يوم بدر من الايام وكانوا يكونون فيما
سواه عددا ومددا وروي عن ابي اسيد مالك بن ربيعة وكان قد شهد بدرا
قال بعد ما ذهب بصره لو كنت معكم اليوم ببدر ومعي بصري لاريتكم الشعب الذي
خرجت منه الملايكة وقد تقدم الكلام في سورة ال عمران هل قاتلت الملايكة
ام لا والصحيح انهم قاتلوا يوم بدر لما تقدم من حديث ابن عباس في الذي ضربه

بالسوط فخطم انفه وشق وجهه وكانوا فيما سوى يوم بدر مددا وعونا وقيل انهم
لم يقاتلوا وانما نزلوا ليكثروا سواد المسلمين ويثبتوهم ويدل عليه قوله تعالى
وما جعله الله الا بشرى يعني وما جعل الله الامداد بالملائكة الا بشرى
ولتطمئن به قلوبكم ومن هذا يتحقق انهم لما نزلوا لذلك لا للقتال والصحيح
هو الاول وانهم قاتلوا يوم بدر ولم يقاتلوا سواه من الايام وقوله تعالى
وما النصر الا من عند الله يعني ان الله هو ينصركم ايها المومنون فثقوا بنصره ولا
تتكلوا على قوتكم وشدة باسكم وفيه تنبيه على انه يجب على العبد المسلم ان لا يتوكل
الا على الله في جميع احواله ولا يستعين بغيره فان الله تعالى بيده النصر والاعانة **ان الله**
عزيز يعني انه تعالى قوي منيع لا يقهره شيء ولا يغلبه غالب بل هو يقهر كل شيء
ويغلبه **حكيم** يعني في تدبيره ونصره ينصر من يشا ويخذل من يشا من عباده قوله
تعالى **اذ يغشاكم النعاس امنة منه** اي واذكروا اذ يلقي عليكم النعاس وهو النوم
الخفيف امنة منه اي امانا من الله لكم من عدوكم ان يغلبكم قال عبد الله بن مسعود
النعاس في القتال امنة من الله وفي الصلاة نشاط من الشيطان والفائدة في كون
النعاس امنة من الله في القتال ان الخائف على نفسه لا ياخذه النوم فصار حصول
النوم وقت الخوف الشديد دليلا على الامن وازالة الخوف وقيل انهم لما خافوا على
انفسهم لكثرة عدوهم وقلة المسلمين وقلة عددهم وعددهم وعطشوا عطشا
شديدا القى عليهم النوم حتى حصلت لهم الراحة وزال عنهم الكلال والعطش وتمكنوا
من قتال عدوهم وكان ذلك النوم نعمة في حقهم لانه كان خفيفا بحيث لو قصدهم
العدو لعرفوا وصوله اليهم وقدروا على دفعه عنهم وقيل في كون هذا النوم كان
امنة من الله انه وقع عليهم النعاس دفعة واحدة فناموا كلهم مع كثرتهم وحصول النعاس
مع الجمع العظيم مع وجود الخوف الشديد امر خارج عن العادة فلهذا السبب قيل
ان ذلك النعاس كان في حكم المعجزة لانه امر خارق للعادة قوله تعالى **وينزل عليكم**
من السماء ماء يعني المطر **ليطهركم به** وذلك ان المسلمين نزلوا يوم بدر على كثيب
رمل اعفر تسوخ فيه الاقدام وحوافر الدواب وكان المشركون قد سبقوهم الى ما
بدر فنزلوا عليه واصبح المسلمون على غير ما وبعضهم محدث وبعضهم جنب واصابهم العطش
فوسوس اليهم الشيطان وقال تزعمون انكم على الحق وفيكم نبي الله وانتم اولياء الله
وقد غلبكم المشركون على الما وانتم تصلون محدثين ومجنبين فكيف ترجوا
ان تظهروا على عدوكم فانزل الله مطرا سال منه الوادي فشرب منه المسلمون
واغتسلوا وتوضوا وسقوا الركاب وملاوا الاسقية واطفا الغبار ولبد الارض
حتى ثبتت عليها الاقدام وزالت عنهم وسوسة الشيطان وطابت انفسهم
وعظمت النعمة من الله عليهم بذلك وكان دليلا على حصول النصر والظفر فذلك
قوله تعالى وينزل عليكم من السما ما ليطهركم به يعني من الاحداث والجنابة
ويذهب عنكم رجز الشيطان يعني وسوسته التي القاها في قلوبكم **وليربط**

على

على قلوبكم يعني بالنصر واليقين والربط في اللغة الشد وكل من صبر على امر فقد
ربط نفسه عليه قال الواحدي ويشبه ان تكون لفظة على صلة والمعنى وليربط على
قلوبكم بالصبر وما اوقع فيها من اليقين وقيل ان لفظة على ليس بصلة لانها تفيد الاستعلا
فيكون ان القلوب امتلات من ذلك الربط حتى كانه علاها وارتفع فوقها **ويثبت**
به الاقدام يعني ان ذلك المطر لبد الارض وقوى الرمل حتى يثبت عليه الاقدام
وحوافر الدواب وقيل المراد به تثبيت الاقدام بالصبر وقوة القلب لان
من يكون ضعيف القلب لا يثبت قدمه بل يفر ويهرب عند اللقا وقوله تعالى
اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم يعني ان الله تعالى اوحى الى الملائكة الذين
امد بهم النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه بالنصر والمعونة **فثبتوا الذين امنوا**
اي قووا قلوبهم واختلفوا في كيفية هذه التقوية والتثبيت فقيل كما ان
للشيطان قوة في القا الوسوسة في قلب ابن ادم بالشر فكذلك للملك قوة
في القا الالهام في قلب ابن ادم بالخير ويسمى ما يلقي الشيطان وسوسة وما
يلقي الملك لمة والهاما فهذا هو التثبيت وقيل ان ذلك التثبيت هو حضورهم
معهم القتال ومعونتهم لهم اي ثبتوهم بقتالكم معهم للمشركين وقيل معناه بشروهم
بالنصر والظفر فكان الملك يمشي في صورة رجل امام الصف ويقول ابشروا فان
الله ناصركم عليهم **سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب** يعني الخوف وكان
ذلك نعمة من الله عز وجل على المومنين حيث القى الرعب والخوف في قلوب الكافرين
فاضربوا فوق الاعناق قيل هو خطاب مع المومنين فيكون منقطعا عما قبله
وقيل هو خطاب مع الملائكة فيكون متصلا بما قبله قال ابن الانباري ما كانت
الملائكة تعرف قتال بني ادم فعلمهم الله ذلك بقوله فاضربوا فوق الاعناق
قال عكرمة يعني الروس لانها فوق الاعناق وقال الضحاك فاضربوا فوق الاعناق
وفوق صلة وقيل معناه فاضربوا على الاعناق فيكون فوق بمعنى على **واضربوا**
منهم كل بنان يعني كل مفصل وقال ابن عباس يعني الاطراف وهي جمع بنانة
وهي اطراف اصابع اليدين سميت بذلك لان بها اصلاح الاحوال التي يمكن الانسان
ان يبين بها ما يريد ان يعمل بيده وانما خصت بالذكر دون سائر الاطراف لاجل
ان الانسان بها يقاتل وبها يمسك السلاح في الحرب وقيل انه تعالى امرهم بضرب
اعلى الجسد وهو الراس وهو اشرف الاعضا وبضرب البنان وهو اضعف الاعضا
فيدخل في ذلك كل عضو في الجسد وقيل امرهم بضرب الراس وفيه هلاك الانسان
وبضرب البنان وفيه تعطيل حركة الانسان عن الحرب لان بالبنان يتمكن من
مسك السلاح وحمله والضرب به فاذا قطع بنانه تعطل عن ذلك كله روى عن ابي
داود المازني وكان شهد بدرا قال اني لاتبع رجلا من المشركين لاضربه اذ وقع
راسه قبل ان يصل اليه سيفي فعرفت انه قد قتله غيري وعن سهل بن حنيف قال
لقد رايتنا يوم بدر وان احدنا ليشير بسيفه الى المشرك فيقع راسه عن جسده

قبل ان يصل اليه السيف وروي عكرمة عن ابي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال كنت غلاما للعباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الاسلام
قد دخل علينا اهل البيت فاسلمت ام الفضل واسلمت وكان العباس يهاب قومه ويكره
خلافهم وكان يكتم اسلامه وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة فلما جاء الخبر
عن مقتل اصحاب بدر كبته الله واخزاه ووجدنا في انفسنا قوة وعزا قال ابو رافع
وكنت رجلا ضعيفا وكنت اعمل القداح وانحتها في حجرة زمزم فوالله اني لجالس
انحت القدح وعندي ام الفضل جالسة اذ اقبل الفاسق ابو لهب يجر رجليه حتى
جلس على طنب الحجرة فكان ظهره الى ظهري فبينما هو جالس اذ قال الناس هذا ابو
سفيان بن حرب بن عبد المطلب قدم فقال ابو لهب الي يا ابن اخي فعندك الخبر
فجلس اليه والناس قيام عليه فقال يا ابن اخي اخبرني كيف كانت احوال الناس قال لا شيء
والله ان كان الا ان لقيناهم فمنحناهم اكتافنا يقتلوننا ويأسروننا كيف شاؤا
وايم الله مع ذلك ما لمت الناس لقينا رجالا بيضا على خيل بلق بين السماء والارض والله ما
تليق شيئا ولا يقوم لها شيء قال ابو رافع فرفعت طرف الحجرة بيدي وقلت تلك والله
الملائكة فرفع ابو لهب يده فضرب وجهي ضربة شديدة فثاورته فاحتملني فضرب بي
الارض ثم برك على صدري وكنت رجلا ضعيفا فقامت اليه ام الفضل بعمود من عمد
الحجرة فضربته به ضربة فلعت راسه شجة منكرة وقالت تستضعفه ان غاب عنه
سيده فقام موليا ذليلا فوالله ما عاش الا سبع ليال حتى رماه الله بالعدسة
فقتلته وروي مقسم عن ابن عباس قال كان الذي اسر العباس ابو اليسر كعب بن
عمرو اخو بني سلمة وكان ابو اليسر رجلا مجموعا وكان العباس رجلا جسيما فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي اليسر كيف اسرت العباس قال يا رسول الله اعانني
عليه رجل ما رايته قبل ذلك ولا بعده هيئته كذا وكذا فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لقد اعانك عليه ملك كريم وكانت وقعة بدر في صبيحة يوم الجمعة السابع
عشر من رمضان في السنة الثانية من الهجرة النبوية وقوله تعالى ذلك بانهم
يعني الذي وقع من القتل والاسر يوم بدر شاقوا الله ورسوله يعني بانهم
خالفوا الله ورسوله والمشاقة المخالفة واصلها المجانبة كانهم صاروا في شق وجانب
عن شق المؤمنين وجانبهم وهذا مجاز معناه انهم شاقوا اولياء الله وهم المؤمنون او
شاقوا دين الله ثم قال تعالى ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب
يعني ان الذي نزل بهم في ذلك اليوم من القتل والاسر شيء قليل فيما اعد الله
لهم من العقاب يوم القيامة ثم قال تعالى ذلكم اشارة الى القتل والاسر
الذي نزل بهم فذوقوه يعني عاجلا في الدنيا لان ذلك يسير بالاضافة الى
المؤجل الذي اعد الله لهم في الاخرة من العذاب وهو قوله وان للكافرين
عذاب النار يعني في الاخرة عن ابن عباس لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم
من بدر قيل له عليك العير ليس دونها شيء قال فناداه العباس وهو في وثاقه لا

يصلح لان الله وعدك احدى الطائفتين وقد اعطاك ما وعدك قال صدقت اخرجه
الترمذي وقال حديث حسن قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم الذين
كفروا زحفا يعني متزاحفين متدانين بعضهم الى بعض والتزاحف التداني في القتال
واصل الزحف مشي مع جر الرجل كانبعاث الصبي قبل ان يمشي وسمي مشي الطائفتين
بعضهم الى بعض في القتال زحفا لانه تمشي كل طائفة الى صاحبتها مشيا رويدا
وذلك قبل التداني للقتال وقال ثعلب الزحف المشي قليلا قليلا الى الشيء
فلا تولوهم الادبار يعني فلا تولوا ظهوركم منهزمين منهم فان المنهزم يولي ظهره
ودبره ومن يولهم يومئذ دبره يعني ومن ينهزم ويولي دبره يوم الحرب والقتال
الا متحرفا لقتال يعني الا منقطعا الى القتال يري عدوه من نفسه الانهزام
وقصده طلب الكر على العدو والعود اليه وهذا هو احد ابواب الحرب وخدعها
ومكايدها او متحيزا الى فئة يعني او منضما وصائرا الى جماعة من المؤمنين يريد
العود الى القتال فقد باء بغضب من الله يعني من انهزم من المسلمين وقت الحرب
الا في هاتين الحالتين وهي التحرف للقتال والتحيز الى فئة من المسلمين فقد رجع
بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير فصل في حكم هذه الاية
اختلف العلماء في ذلك فقال ابو سعيد الخدري هذا في اهل بدر خاصة لانه ما كان
يجوز لهم الانهزام يوم بدر لان النبي صلى الله عليه وسلم كان معهم ولم يكن لهم فئة
يتحيزون اليها دون النبي صلى الله عليه وسلم ولو انحازوا لانحازوا الى المشركين ولانه
اول غزاة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه والمسلمون معه فشدد
الله عليهم امر الانهزام وحرمه عليهم يوم بدر فاما بعد ذلك اليوم فان
المسلمين بعضهم فئة بعض فيكون الفار متحيزا الى فئة فلا يكون فراره كبيرة
وهذا قول الحسن وقتادة والضحاك قال يزيد بن ابي حبيب اوجب الله النار لمن
فر يوم بدر فلما كان يوم احد قال تعالى انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا
ولقد عفا الله عنهم ثم كان يوم حنين بعده فقال تعالى ثم وليتم مدبرين ثم يتوب
الله من بعد ذلك على من يشاء وقال عبد الله بن عمر كنا في جيش بعثنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فحاص الناس حيصة فانهزمنا فقلنا يا رسول الله نحن الفرارون
قال بل انتم الكرارون انا فئة المسلمين قوله فحاص الناس حيصة يعني
جالوا جولة يطلبون الفرار من العدو والمحيص المهرب وقال محمد بن سيرين لما قتل
ابو عبيدة جاء الخبر الى عمر بن الخطاب فقال لو انحاز الي كنت له فئة انا فئة كل
مسلم وقال بعضهم حكم الاية عام في حق كل من ولى ظهره منهزما بدليل ان قوله
يا ايها الذين امنوا ومن خطاب عام يتناول جميع الصور وان كانت الاية نزلت
في غزاة بدر لكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وجاء في الحديث من
الكبائر الفرار من الزحف وقال عطاء بن ابي رباح هذه الاية منسوخة بقوله
الان خفف الله عنكم فليس لقوم ان يفروا من مثليهم فنسخت بذلك الا في هذه العدة

وعلى هذا أكثر أهل العلم أن المسلمين إذا كانوا على الشطر من عدوهم لا يجوز لهم أن يفروا
منهم أو يولوهم ظهورهم وإن كانوا أقل عددا وأكثر من مثلين جاز لهم أن يفروا منهم قال ابن عباس
من فر من ثلاثة لم يفر ومن فر من اثنين فقد فر قوله تعالى فلم تقتلوهم ولكن الله
قتلهم قال مجاهد سبب نزول هذه الآية أنهم لما انصرفوا عن قتال أهل بدر كان الرجل
يقول أنا قتلت فلانا ويقول الآخر أنا قتلت فلانا فنزلت هذه الآية ومعناه فلم تقتلوهم
بقوتكم ولكن الله قتلهم يعني بنصره إياكم وتقويتكم عليهم وقيل معناه لكن الله قتلهم بإمداده
إياكم بالملائكة قال الزمخشري الفاء في قوله فلم تقتلوهم جواب شرط محذوف تقديره
إن افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم أنتم ولكن الله قتلهم قال أهل التفسير والمغازي لما ندب
رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس انطلقوا حتى نزلوا بدرا ووردت روايا قريش
وفيهم أسلم غلام أسود لبني الحجاج وأبو يسار غلام لبني العاص بن سعيد فأخذوهما
وأتوا بهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم
أين قريش قالا هم وراء الكثيب الذي ترى بالعدوة القصوى والعقنقل فقال لهما رسول الله
صلى الله عليه وسلم كم القوم قالا كثير قال ما عددهم قالا لا ندري قال كم ينحرون
قالا يوما عشرة ويوما تسعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم القوم ما بين
التسعمائة إلى الألف ثم قال لهما فمن فيهم من أشراف قريش قالا عتبة بن ربيعة وأبو
البختري بن هشام وحكيم بن حزام والحارث بن عامر وطعيمة بن عدي والنضر بن الحارث
وأبو جهل بن هشام وأمية بن خلف ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وسهيل بن عمرو فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها فلما أقبلت
قريش ورآها رسول الله صلى الله عليه وسلم تصوب من العقنقل وهو الكثيب الرمل
وجاءت إلى الوادي قال اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب
رسولك اللهم فنصرك الذي وعدتني فأتاه جبريل عليه السلام وقال له خذ
قبضة من تراب فارمهم به فلما التقى الجمعان تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم
كفا من الحصباء عليه تراب فرمى به في وجوه القوم وقال شاهت الوجوه يعني قبحت
الوجوه فلم يبق مشرك إلا ودخل في عينيه ومنخريه من ذلك التراب شيء فانهزموا
وتبعهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم وقال قتادة وابن زيد ذكر لنا أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم أخذ يوم بدر ثلاث حصيات فرمى بحصاة في ميمنة القوم وبحصاة
في ميسرة القوم وبحصاة بين أظهرهم وقال شاهت الوجوه فانهزموا فذلك
قوله عز وجل وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى إذ ليس في وسع أحد من البشر
أن يرمي كفا من حصا في وجوه جيش فلا يبقى فيهم عين إلا وقد دخل فيهم شيء من ذلك
فصورة الرمي صدرت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأثيرها صدر من الله
عز وجل فلهذا المعنى صح النفي والإثبات وقيل في معنى الآية وما بلغت إذ رميت
ولكن الله بلغ رميك وقيل وما رميت بالرعب في قلوبهم إذ رميت بحصياتك
ولكن الله رمى بالرعب في قلوبهم حين انهزموا وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا

يعني ولينعم على المؤمنين نعمة عظيمة بالنصر والغنيمة والأجر والثواب وهذا لجماع
المفسرين أن البلاء ههنا بمعنى النعمة إن الله سميع يعني لدعائكم عليم يعني بأحوالكم
وقوله تعالى ذلكم يعني الذي ذكرت من أمر القتل والرمي والبلاء الحسن من الظفر
بهم والنصر عليهم فعلنا ذلك الذي فعلنا وأن الله يعني واعلموا أن الله مع ذلك
موهن أي مضعف كيد الكافرين يعني مكرهم وكيدهم قوله عز وجل
إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح هذا خطاب مع المشركين الذين قاتلوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوم بدر وذلك أن أبا جهل قال يوم بدر لما التقى الجمعان اللهم
أينا كان أفجر يعني نفسه ومحمدا صلى الله عليه وسلم فأقطعنا للرحم فأحنه اليوم وقيل إنه
قال اللهم أينا كان خيرا عندك فانصره وقيل قال اللهم انصر أهدى الفئتين وخير
الحزبين وأفضل الجمعين اللهم من كان أفجر وأقطع للرحم فأحنه اليوم فأنزل الله
إن تستفتحوا ومعنى الآية إن تستحكموا الله على أقطع الحزبين للرحم وأظلم الفئتين
فينصر المظلوم على الظالم فقد جاءكم الفتح يعني جاءكم حكم الله بنصر المظلوم على
الظالم والمحق على المبطل والمقطوع على القاطع ق عن عبد الرحمن بن عوف قال
إني لواقف في الصف يوم بدر فنظرت عن يميني وعن شمالي فإذا أنا بغلامين من
الأنصار حديثة أسنانهما فتمنيت أن أكون بين أضلع منهما فغمزني أحدهما
فقال أي عم هل تعرف أبا جهل قلت نعم ما حاجتك إليه يا ابن أخي قال أخبرت أنه
يسب رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سوادي
سواده حتى يموت الأعجل منا فتعجبت لذلك قال وغمزني الآخر فقال لي مثلها فلم
أنشب أن نظرت إلى أبي جهل يجول في الناس فقلت ألا تريان هذا صاحبكما الذي
تسألاني عنه قال فابتدراه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه ثم انصرفا إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فأخبراه فقال أيكما قتله فقال كل واحد منهما أنا قتلته فقال هل
مسحتما سيفيكما قالا لا فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السيفين فقال كلاكما
قتله وقضى بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح والرجلان معاذ بن عمرو بن عفراء ق عن أنس
بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ينظر لنا ما صنع أبو جهل فانطلق
ابن مسعود فوجده قد ضربه ابنا عفراء حتى برد قال فأخذ بلحيته فقال أنت أبو جهل
وفي كتاب البخاري أنت أبا جهل هكذا قاله أنس فقال وهل فوق رجل قتلتموه
أو قال قتله قومه وفي رواية فقال أبو جهل فلو غير أكار قتلني عن عبد الله
ابن مسعود قال مررت فإذا أبو جهل صريع قد ضربت رجله فقلت يا عدو الله
يا أبا جهل قد أخزى الله الآخر قال ولا أهابه عند ذلك فقال أبعد من رجل قتله
قومه فضربته بسيف غير طائل فلم يغن شيئا حتى سقط سيفه من يده فضربته حتى برد
أخرجه أبو داود وأخرجه البخاري مختصرا قال إنه أتى أبا جهل يوم بدر وفيه
رمق فقال هل أعمد من رجل قتلتموه وقال عكرمة قال المشركون والله ما نعرف
ما جاء به محمد فافتح بيننا وبينه بالحق فأنزل الله عز وجل إن تستفتحوا فقد جاءكم

الفتح يعني ان تستفتحوا فقد جاءكم القضاء وقال السدي والكلبي كان المشركون لما
خرجوا الى النبي صلى الله عليه وسلم من مكة اخذوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر
اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين وافضل الدينين ففيه نزلت ان تستفتحوا
فقد جاءكم الفتح يعني ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وهو على ما سألوه فكان النصر
لاهدى الفئتين وهم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن اسحاق حدثني عبد الله
ابن ابي بكر قال قال معاذ بن عمرو بن الجموح لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم
من عدوه امر بابي جهل بن هشام ان يلتمس في القتلى وقال اللهم لا يعجزك فلما سمعتها
جعلته من شأني فعمدت نحوه فضربته ضربة طرحت قدمه بنصف ساقه قال وضربني
ابن عكرمة على عاتقي فطرح يدي فتعلقت بجلدة واجهضني القتال فلقد قاتلت عامة
يومي واني لاسحبها خلفي فلما آذتني جعلت عليها قدمي ثم تمطيت بها حتى طرحتها ثم مر
بابي جهل وهو عقير معوذ بن عفراء فضربه حتى اثبته وتركه وبه رمق فمر به عبد الله بن
مسعود قال عبد الله وجدته باخر رمق فعرفته فوضعت رجلي على عنقه فقلت هل
اخزاك الله يا عدو الله قال وبماذا اخزاني اعمد من رجل قتلتموه اخبرني لمن الدبرة
قلت لله ولرسوله روي عن ابن مسعود انه قال قال لي ابو جهل لقد ارتقيت يا رويعي
الغنم مرتقى صعبا ثم احتززت رأسه ثم جئت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت
يا رسول الله هذا رأس عدو الله ابي جهل فقال آلله الذي لا اله غيره فقلت نعم والذي
لا اله غيره ثم القيته بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابي بن كعب هذا
خطاب لاصحاب رسوله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل للمسلمين ان تستفتحوا اي
تستنصروا فقد جاءكم الفتح اي النصر خ عن خباب بن الارت قال شكونا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا الا تستنصر لنا الا تدعو
لنا فقال قد كان من قبلكم يوخذ الرجل فيحفر له في الارض فيجعل فيها ثم يوتى بالمنشار
فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بامشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصده
ذلك عن دينه والله ليتمن هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف
الا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون قلت استدل البغوي بهذا الحديث
على ما فسر به ابي بن كعب الاية وفيه نظر لان هذه الواقعة المذكورة في الحديث كانت
كانت بمكة والاية مدنية فلا تعلق للحديث بتفسير الاية والله اعلم ولكن النبي صلى الله
عليه وسلم لما دعى الله يوم بدر وسأله انجاز ما وعده من احدى الطائفتين والح في الدعاء
والمسألة حتى سقط رداؤه قال الله تعالى مجيبا له ان تستفتحوا يعني تطلبوا النصر
وانجاز ما وعدكم به فقد جاءكم الفتح يعني فقد جاءكم ما حصل لكم ما طلبتم فاشكروا
الله على ما انعم به عليكم من اجابة دعائكم وانجاز ما وعدكم به وهذا القول اولى لان قوله
فقد جاءكم الفتح لا يليق الا بالمومنين هذا اذا فسرنا الفتح بالنصر والظفر على الاعداء اما
اذا فسرنا بالقضاء والحكم لم يمتنع ان يراد به الكفار اما قوله تعالى **وان تنتهوا فهو خير**
لكم هذا خطاب للكفار يعني وان تنتهوا عن قتال محمد صلى الله عليه وسلم وعن تكذيبه

فهو خير لكم في الدين والدنيا اما في الدين بان تومنوا وتكفوا عنه ويحصل لكم بذلك الفوز
بالثواب والخلاص من العقاب واما في الدنيا فهو الخلاص من القتل والاسر **وان**
تعودوا نعد يعني وان تعودوا لقتال محمد صلى الله عليه وسلم نعد بتسليطه عليكم
ونصره عليكم **ولن تغني عنكم فئتكم** يعني جماعتكم **شيئا** يعني لا تغني عنكم شيئا **ولو كثرت**
يعني جماعتكم **وان الله مع المومنين** يعني بالنصر لهم عليكم يا معشر الكفار قوله تعالى
يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله يعني في امر الجهاد لان فيه بذل المال
والنفس **ولا تولوا عنه** يعني عن الرسول صلى الله عليه وسلم لان التولي لا يصح الا في
حق الرسول لا في حق الله عز وجل والمعنى لا تعرضوا عنه وعن معونته ونصرته في
الجهاد **وانتم تسمعون** يعني القران يتلى عليكم **ولا تكونوا كالذين قالوا**
بالسنتهم **سمعنا وهم لا يسمعون** يعني وهم لا يتعظون ولا ينتفعون بما سمعوا
من القران والمواعظ وهذه صفة المنافقين **ان شر الدواب عند الله** يعني ان شر من
دب على وجه الارض من خلق الله عند الله **الصم** عن سماع الحق **البكم** عن النطق به
فلا يقولونه **الذين لا يعقلون** يعني لا يفهمون عن الله امره ونهيه ولا يقبلونه
وانما سماهم دواب لقلة انتفاعهم بعقولهم قال ابن عباس هم نفر من بني عبد الدار
ابن قصي كانوا يقولون نحن صم بكم عمي عما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فقتلوا جميعا
يوم احد وكانوا اصحاب اللواء ولم يسلم منهم الا رجلان مصعب بن عمير وسويبط
ابن حرملة **ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم** يعني سماع تفهم وانتفاع وقبول للحق
ومعنى ولو علم الله قال الامام فخر الدين ان كان ما كان حاصلا فيجب ان يعلمه
الله فعدم علم الله بوجوده من لوازم عدمه فلا جرم حسن التعبير عن عدمه في نفسه
بعدم علم الله بوجوده وتقدير الكلام لو حصل فيهم خيرا لاسمعهم الله الحجج والمواعظ
سماع تعلم وتفهم **ولو اسمعهم** يعني بعد ان علم انه لا خير فيهم لم ينتفعوا بما سمعوا
من المواعظ والدلائل لقوله تعالى لتولوا وهم معرضون يعني ولتولوا عن سماع
الحق وهم معرضون عنه لعنادهم وجحودهم الحق بعد ظهوره وقيل انهم كانوا يقولون
للنبي صلى الله عليه وسلم احي لنا قصيا فانه كان شيخا مباركا حتى يشهد لك بالنبوة
فنومن لك فقال الله تعالى ولو احيى لهم قصيا وسمعوا كلامه **لتولوا عنه وهم**
معرضون قوله عز وجل **يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول** يعني
اجيبوهما بالطاعة والانقياد لامرهما **اذا دعاكم** يعني الرسول صلى الله عليه وسلم
انما وحد الضمير في قوله اذا دعاكم لان استجابة الرسول صلى الله عليه وسلم استجابة
لله تعالى وانما يذكر احدهما مع الاخر للتاكيد واستدل اكثر الفقهاء بهذه الاية على
ان ظاهر الامر للوجوب لان كل من امره الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بفعل
فقد دعاه اليه وهذه الاية تدل على انه لا بد من الاجابة في كل ما دعاه الله ورسوله
اليه خ عن ابي سعيد ابن المعلى قال كنت اصلي في المسجد فدعاني رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلم اجبه ثم اتيته فقلت يا رسول الله اني كنت اصلي فقال الم يقل الله

استجيبوا لله وللرسول ثم ذكر الحديث عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
خرج على ابي بن كعب وهو يصلي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابي فالتفت
ابي فلم يجبه وصلى ابي وخفف ثم انصرف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال السلام
عليك يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليك السلام ما منعك يا ابي
ان تجيبني اذ دعوتك فقال يا رسول الله كنت في الصلاة قال افلم تجد فيما اوحى الله
الي استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم قال بلى ولا اعود ان شاء الله وذكر
الحديث اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح قيل هذه الاجابة مختصة بالنبي
صلى الله عليه وسلم فعلى هذا ليس لاحد ان يقطع صلاته لدعا احد اخر وقيل لو دعاه
احد لامر مهم لا يحتمل التاخير فله ان يقطع صلاته وقوله تعالى **لما يحييكم** يعني
اذا دعاكم الى ما فيه حياتكم قال السدي هو الايمان لان الكافر ميت فيحيى بالايمان
وقال قتادة هو القران لانه حياة القلوب وفيه النجاة والعصمة في الدارين وقال
مجاهد هو الحق وقال محمد بن اسحاق هو الجهاد لان الله اعزبه بعد الذل وقيل هي الشهادة
لان الشهدا احيا عند ربهم يرزقون **واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه** قال ابن
عباس يحول بين المومن وبين الكفر ومعاصي الله ويحول بين الكافر وبين الايمان وطاعة
الله وهذا قول سعيد بن جبير والضحاك ومجاهد وقال السدي يحول بين الانسان
وقلبه فلا يستطيع ان يومن ولا يكفر الا باذنه وقد دلت البراهين العقلية على هذا القول
لان احوال القلوب اعتقادات ودواعي وتلك الاعتقادات والدواعي لا بد ان تتقدمها
الارادة وتلك الارادة لا بد لها من فاعل مختار وهو الله تعالى فثبت بذلك ان المتصرف
في القلب كيف شا هو الله تعالى **م** عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ان قلوب بني ادم بين اصبعين من اصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه
حيث شا ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم مصرف القلوب ثبت قلوبنا
على طاعتك عن انس بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقول
يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك فقلنا يا رسول الله قد امنا بك وبما جيت به
فهل تخاف علينا قال نعم ان القلوب بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبها اخرجه الترمذي
وهذا الحديث من احاديث الصفات فيجب على المرء المسلم ان يمره على ما جا مع الاعتقاد
الجزم بتنزيه الله تعالى عن الجارحة والجسم وقيل في معنى الاية ان الله عز وجل يحول
بين المرء وقلبه حتى لا يدري ما يصنع ولا يعقل شيا وقيل ان القوم لما دعوا الى القتال
والجهاد وكانوا في غاية الضعف والقلة خافت قلوبهم وضاقت صدورهم فقيل لهم قاتلوا
في سبيل الله واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه فيبدل الخوف والجبن جراة وقوله
تعالى **وانه اليه تحشرون** يعني في الاخرة فيجزي كل عامل بعمله فيثيب المحسن
ويعاقب العاصي قوله تعالى **واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة**
لما اخبر الله عز وجل انه يحول بين المرء وقلبه حذر من وقوع الفتن والمعنى واحذروا
فتنة ان نزلت بكم لم تقتصر على الظالم خاصة بل تتعدى اليكم جميعا وتصل الى الصالح

والطلح واراد بالفتنة الابتلا والاختبار وقيل تقديره واتقوا فتنة ان لم
تتقوها لا اصابتكم جميعا الظالم وغير الظالم وقال الحسن نزلت هذه الاية في علي
وعمار وطلحة والزبير قال الزبير لقد قرانا هذه الاية زمانا وما ارى انا من اهلها
فاذا نحن المعنيون بها يعني ما كان منهم في يوم الجمل وقال السدي ومقاتل والضحاك
وقتادة هذا في قوم مخصوصين من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم اصابتهم الفتنة يوم
الجمل وقال ابن عباس لما امر الله عز وجل المومنين ان لا يقروا المنكر بين اظهرهم فيعمهم
الله بالعذاب فيصيب الظالم وغير الظالم روى البغوي بسنده عن عدي بن عدي
الكندي قال حدثنا مولى لنا انه سمع جدي يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ان الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة ولكن يعذب بعمل الخاصة العامة
حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على ان ينكروه فاذا فعلوا ذلك عذب الله
العامة والخاصة والذي ذكره ابن الاثير في جامع الاصول عن عرس بن عميرة الكندي
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا عملت الخطيئة في الارض كان من شاهدها فانكرها كمن غاب
عنها ومن غاب عنها فرضيها كمن كان شاهدها اخرجه ابو داود عن جرير بن عبد الله
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من رجل يكون في قوم يعمل فيهم
بالمعاصي يقدرون على ان يغيروا عليه ولم يغيروا الا اصابهم الله منه بعقاب قبل
ان يموتوا اخرجه ابو داود قال ابن زيد اراد بالفتنة افتراق الكلمة ومخالفة
بعضهم بعضا **ق** عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستكون فتن القاعد
فيها خير من القايم والقايم فيها خير من الماشي والماشي خير من الساعي من تشرف لها
تستشرفه ومن وجد ملجا او معاذا فليعذ به فان قلت ظاهر قوله تعالى واتقوا فتنة
لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة يشمل الظالم وغير الظالم كما تقدم تفسيره فكيف
يليق برحمة الله وكرمه ان يوصل الفتنة الى من لم يذنب قلت ان الله تعالى مالك
الملك وخالق الخلق وهم عبيده وفي ملكه يتصرف فيهم كيف يشا لا يسال عما يفعل
وهم يسالون فيحسن ذلك منه على سبيل المالكية او لانه تعالى علم اشتمال ذلك
على انواع من انواع المصلحة والله اعلم بمراده وقوله تعالى **واعلموا ان الله شديد
العقاب** فيه تحذير ووعيد لمن واقع الفتنة التي حذره الله منها قوله عز وجل
واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في الارض لما امر الله المومنين بطاعة الله
وطاعة رسوله وحذرهم الفتنة ذكرهم نعمته عليهم فقال تعالى واذكروا يا معشر
المومنين المهاجرين اذ انتم قليل يعني في العدد مستضعفون في الارض يعني في
ارض مكة في ابتدا الاسلام **تخافون ان يتخطفكم الناس** يعني كفار مكة وقال
عكرمة كفار العرب وقال وهب بن منبه يعني فارس والروم **فاواكم** يعني الى المدينة
وايدكم بنصره يعني وقواكم بالانصار وقال الكلبي وقواكم يوم بدر بالملايكة
ورزقكم من الطيبات يعني الغنايم احلها لكم ولم يحلها لاحد قبلكم **لعلكم تشكرون**
يعني تشكرون الله على نعمه عليكم قوله عز وجل **يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله**

والرسول قال الزهري والكلبي نزلت هذه الاية في ابي لبابة هارون بن عبد المنذر
الانصاري من بني عوف بن مالك وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حاصر يهود
قريظة احدى وعشرين ليلة فسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلح على ما صالح
عليه اخوانهم بني النضير على ان يسيروا الى اخوانهم الى اذرعات واريحا من ارض الشام
فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعطيهم ذلك الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ
فابوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة بن عبد المنذر وكان مناصحا لهم لان ماله وولده
وعياله كان عندهم فبعثه رسول الله فاتاهم فقالوا يا ابا لبابة ما ترى اننزل على
حكم سعد بن معاذ فاشار ابو لبابة بيده الى حلقه يعني انه الذبح فلا تفعلوا قال
ابو لبابة والله ما زالت قدماي عن مكانهما حتى عرفت اني قد خنت الله ورسوله
ثم انطلق على وجهه ولم يات رسول الله صلى الله عليه وسلم وشد نفسه على سارية
من سواري المسجد وقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله
علي فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره قال اما لو جاءني لاستغفرت له اما اذا
فعل ما فعل فاني لا اطلقه حتى يتوب الله عليه فمكث سبعة ايام لا يذوق طعاما ولا
شرابا حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل يا ابا لبابة قد تيب عليك
فقال والله لا احل نفسي حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يحلني فجاءه
صلى الله عليه وسلم فحله بيده ثم قال ابو لبابة ان تمام توبتي ان اهجر دار قومي التي اصبت
فيها الذنب وان انخلع من مالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجزيك الثلث ان
تصدق به ونزل فيه يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله والرسول وقال السدي كانوا
يسمعون الشيء من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيفشونه حتى يبلغ المشركين فنزلت
هذه الاية وقال جابر بن عبد الله ان ابا سفيان خرج من مكة فاتى جبريل النبي صلى الله
عليه وسلم فقال ان ابا سفيان في مكان كذا وكذا فقال النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه ان
ابا سفيان في موضع كذا وكذا فاخرجوا اليه واكتموا فكتب رجل من المنافقين اليه ان
محمدا يريدكم فخذوا حذركم فانزل الله لا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم
ومعنى الاية لا تخونوا الله والرسول ولا تخونوا اماناتكم وانتم تعلمون انها امانة
وقيل معناه وانتم تعلمون ان ما فعلتم من الاشارة الى الحلق خيانة واصل الخيانة
من الخون وهو النقص لان من خان شيئا فقد انتقصه والخيانة ضد الامانة وقيل
في معنى الاية لا تخونوا الله والرسول فانكم اذا فعلتم ذلك فقد خنتم اماناتكم وقال
ابن عباس معناه لا تخونوا الله بترك فرائضه ولا تخونوا الرسول بترك سنته
ولا تخونوا اماناتكم قال ابن عباس هي ما يخفى على اعين الناس من فرائض الله تعالى
والاعمال التي ائتمن عليها العباد وقال قتادة اعلموا ان دين الله امانة فادوا
الى الله ما ائتمنكم عليه من فرائضه وحدوده ومن كانت عليه امانة فليؤدها الى من
ائتمنه عليها ومنه الحديث عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اد الامانة الى من ائتمنك ولا تخن من خانك اخرجه ابو داود والترمذي وقال

حديث حسن غريب وقوله عز وجل واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة قيل
هذا مما نزل في ابي لبابة وذلك ان امواله واولاده كانت في بني قريظة فلذلك قال
ما قال خوفا عليهم وقيل انه عام في جميع الناس وذلك انه لما كان الاقدام على الخيانة
في الامانة من موجب المال والولد نبه الله تعالى بقوله واعلموا انما اموالكم واولادكم
فتنة على انه يجب على العاقل ان يحذر من المضار المتولدة من حب المال والولدان
ذلك يشغل القلب ويصيره محجوبا عن خدمة المولى وهذا من اعظم الفتن روى
البغوي بسنده عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بصبي فقبله وقال اما
انهم مبخلة مجبنة وانهم لمن ريحان الله واخرج الترمذي عن عمر بن عبد العزيز قال
زعمت المراة الصالحة خولة بنت حكيم قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذات يوم وهو محتضن احدى ابني ابنته وهو يقول انكم لتبخلون وتجبنون وتجهلون
وانكم لمن ريحان الله قال الترمذي لا نعرف لعمر بن عبد العزيز سماعا عن خولة
قوله لمن ريحان الله اي لمن رزق الله والريحان في اللغة الرزق وقوله تعالى
وان الله عنده اجر عظيم يعني لمن ادى الامانة ولم يخن وفيه تنبيه على ان سعادة
الاخرة وهو ثواب الله افضل من سعادة الدنيا وهو المال والولد قوله عز وجل يا ايها
الذين امنوا ان تتقوا الله يعني بطاعته وترك معاصيه يجعل لكم فرقانا
يعني يجعل لكم نورا وتوفيقا في قلوبكم تفرقون به بين الحق والباطل والفرقان
اصله الفرق بين الشيئين لكنه ابلغ من اصله لانه يستعمل في التفرق بين
الحق والباطل والحجة والشبهة قال مجاهد يجعل لكم مخرجا في الدنيا والاخرة وقال
مقاتل مخرجا في الدين من الشبهات وقال عكرمة نجاة اي يفرق بينكم وبين ما تخافون
وقال محمد بن اسحاق فصلا بين الحق والباطل يظهر الله به حقكم ويطفئ بطلان من خالفكم
وقيل يفرق بينكم وبين الكفار بان يظهر دينكم ويعليه ويبطل الكفر ويوهنه ويكفر
عنكم سيئاتكم يعني ويمحو عنكم ما سلف من ذنوبكم ويغفر لكم ويستر عليكم
بان لا يفضحكم في الدنيا ولا في الاخرة والله ذو الفضل العظيم لانه هو الذي
يفعل ذلك بكم فله الفضل العظيم عليكم وعلى غيركم من خلقه ومن كان كذلك فانه
اذا وعد بشيء وفى به وقيل انه يتفضل على الطائعين بقبول الطاعات ويتفضل
على العاصين بغفران السيئات وقيل معناه انه بيده الفضل العظيم فلا يطلب من عند
غيره قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا لما ذكر الله تعالى المؤمنين نعمه عليهم
بقوله واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم ذكر نبيه صلى الله عليه وسلم نعمه عليه فيما
جرى عليه بمكة من قومه لان هذه السورة مدنية وهذه الواقعة كانت بمكة قبل
ان يهاجر الى المدينة والمعنى واذكر يا محمد اذ يمكر بك الذين كفروا وكان هذا المكر على ما
ذكره ابن عباس وغيره من اهل التفسير قالوا جميعا ان قريشا فرقوا لما اسلمت الانصار
ان يتفاقم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويظهر فاجتمع نفر من كبار قريش في دار
الندوة ليتشاوروا في امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رؤوسهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة

وابو جهل وابو سفيان وطعيمة بن عدي والنضر بن الحارث وابو البختري بن هشام
وزمعة بن الاسود وحكيم بن حزام ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وامية بن خلف واعترضهم
ابليس في صورة شيخ فلما راوه قالوا له من انت قال انا شيخ من نجد سمعت باجتماعكم
فاردت ان احضركم ولن تعدموا مني رايا ونصحا فقالوا ادخل فدخل فقال ابو البختري
اما انا فاري ان تاخذوا محمدا وتحبسوه في بيت مقيدا وتشدوا وثاقه وتسدوا
باب البيت غير كوة تلقون منها طعامه وشرابه وتتربصوا به ريب المنون حتى
يهلك كما هلك من قبله من الشعراء فصرخ عدو الله ابليس وهو الشيخ النجدي
وقال بيس الراي رايتم لين حبستموه ليخرجن امره من وراء الباب الذي اغلقتم دونه
الى اصحابه فيوشك ان يثبوا عليكم فيقاتلوكم وياخذوه من ايديكم فقالوا صدق
الشيخ النجدي فقال هشام بن عمرو من بني عامر بن لوي فقال اما انا فاري ان تحملوه
على بعير وتخرجوه من بين اظهركم فلا يضركم ما صنع واين وقع اذا غاب عنكم واسترحتم
منه فقال ابليس ما هذا لكم براي تعمدون الى رجل قد افسد سفهاءكم فتخرجوه الى غيركم
فيفسدهم الم تروا الى حلاوة منطقه وطلاقة لسانه واخذ القلوب ما تسمع
من حديثه والله لين فعلتم ذلك يذهب ويستميل قلوب اخرين ثم يسير بهم اليكم فيخرجكم
من بلادكم فقالوا صدق الشيخ النجدي فقال ابو جهل والله لاشيرن عليكم براي
ما ارى غيره ان ناخذ من كل بطن من قريش شابا نسيبا وسيطا فينا ثم نعطي
كل فتى سيفا صارما ثم يضربوه جميعا ضربة واحدة ضربة رجل واحد فاذا قتلوه
تفرق دمه في القبايل كلها ولا اظن هذا الحي من بني هاشم يقوون على حرب قريش
كلها وانهم اذا راوا ذلك قبلوا العقل فتودي قريش ديته فقال ابليس اللعين
صدق هذا الفتى هو اجودكم رايا والقول ما قال لا ارى غيره فتفرقوا على قول
ابي جهل وهم مجتمعون عليه فاتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك وامره
ان لا يبيت في مضجعه الذي كان يبيت فيه واذن الله عز وجل له عند ذلك بالخروج
الى المدينة فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب ان يبيت في مضجعه
وقال له تتشح ببردتي فانه لم يخلص اليك منهم امر تكرهه ثم خرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاخذ قبضة من تراب واخذ الله عز وجل ابصارهم عنه فخرج وجعل ينثر
التراب على رءوسهم وهو يقول انا جعلنا في اعناقهم اغلالا الى قوله فهم لا يبصرون
ومضى الى الغار من ثور هو وابو بكر وخلف عليا بمكة حتى يودي عنه الودايع التي قبلها
وكانت الودايع توضع عنده لصدقه وامانته قالوا وبات المشركون يحرسون
عليا وهو على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم يحسبون انه النبي صلى الله عليه وسلم
فلما اصبحوا ثاروا اليه ليقتلوه فراوا عليا فقالوا له اين صاحبك قال لا ادري
فاقتفوا اثره وارسلوا في طلبه فلما بلغوا الغار راوا على بابه نسج العنكبوت
فقالوا لو دخله لم يكن لنسج العنكبوت على بابه اثر فمكث في الغار ثلاثا ثم خرج
الى المدينة فذلك قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا واصل المكر احتيال في

خفية

خفية **ليثبتوك** اي ليحبسوك ويوثقوك لان كل من شد شيئا واوثقه فقد اثبته
لانه لا يقدر على الحركة **او يقتلوك** يعني كما اشار ابو جهل **او يخرجوك** يعني من مكة
ويمكرون يعني ويحتالون ويدبرون في امرك **ويمكر الله** يعني ويجازيهم الله جزاء
مكرهم فسمي الجزاء مكرا لانه في مقابلته وقيل معناه ويعاملهم الله معاملة مكرهم
والمكر هو التدبير وهو من الله التدبير بالحق والمعنى انهم احتالوا في ابطال امر محمد
صلى الله عليه وسلم والله تعالى اظهره وقواه ونصره فضاع فعلهم وتدبيرهم وظهر فعل الله
وتدبيره **والله خير الماكرين** فان قلت كيف قال والله خير الماكرين ولا خير
في مكرهم قلت يحتمل ان يكون المراد والله اقوى الماكرين فوضع خير موضع
اقوى وفيه تنبيه على ان كل مكر يبطل بفعل الله وقيل يحتمل ان يكون المراد ان
مكرهم فيه خير بزعمهم فقال تعالى في مقابلته والله خير الماكرين وقيل ليس المراد
التفضيل بل فعل الله خير مطلقا قوله تعالى **واذا تتلى عليهم اياتنا قالوا قد سمعنا**
لو نشاء لقلنا مثل هذا نزلت في النضر بن الحارث بن علقمة من بني عبد الدار وذلك
انه كان يختلف الى ارض فارس والحيرة فيسمع اخبارهم عن رستم واسفنديار واحاديث
العجم وكان يمر باليهود والنصارى فيراهم يقرءون التوراة والانجيل
ويركعون ويسجدون ويبكون فلما جاء مكة وجد النبي صلى الله عليه وسلم قد اوحي
اليه وهو يقرا ويصلي فقال النضر بن الحارث قد سمعنا يعني مثل هذا الذي جاء به محمد
لو نشاء لقلنا مثل هذا قذفهم الله بدفعهم الحق الذي لا اشتباه فيه بادعايهم الباطل
بقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا بعد التحدي وبان عجزهم عن ذلك ولو قدروا ما تخلفوا
عنه وهم اصل الفصاحة وفرسان البلاغة فبان بذلك كذبهم في قولهم لو نشاء
لقلنا مثل هذا **ان هذا الا اساطير الاولين** يعني اخبار الماضين قوله عز وجل
واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ايتنا
بعذاب اليم نزلت في النضر بن الحارث ايضا قال ابن عباس لما قص رسول الله
صلى الله عليه وسلم شان القرون الماضية قال النضر بن الحارث لو شيت لقلت
مثل هذا فقال له عثمان بن مظعون اتق الله فان محمدا صلى الله عليه وسلم يقول الحق
قال وانا اقول الحق قال فان محمدا صلى الله عليه وسلم يقول لا اله الا الله قال
وانا اقول لا اله الا الله ولكن هذه بنات الله يعني الاصنام ثم قال اللهم ان كان
هذا هو الحق يعني القران الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وقيل يعني ان كان الذي
يقوله محمد صلى الله عليه وسلم من امر التوحيد ودعا النبوة وغير ذلك هو الحق فامطر
علينا حجارة من السما يعني كما امطرتها على قوم لوط او ايتنا بعذاب اليم يعني مثل ما عذبت
به الامم الماضية وفي النضر بن الحارث نزلت سال سايل بعذاب واقع قال عطا لقد
نزل في النضر بن الحارث بضع عشرة اية فحاق بهم ما سال من العذاب يوم بدر
قال سعيد بن جبير قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ثلاثة من قريش
صبرا طعيمة بن عدي وعقبة بن ابي معيط والنضر بن الحارث وروي انس بن مالك ان

فالذلك ابو جهل ق عن انس قال قال ابو جهل اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر
علينا حجارة من السما الاية فنزلت وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم الاية فلما اخرجوه
نزلت وما لهم ان لا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام قوله عز وجل **وما كان
الله ليعذبهم وانت فيهم** اختلفوا في معنى هذه الاية فقال محمد بن اسحاق هذه
الاية متصلة بما قبلها وهي حكاية عن المشركين وذلك انهم قالوا ان الله لا يعذبنا
ونحن نستغفر ولا يعذب امة ونبيها معها فقال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم
يذكر جهالتهم وغرتهم واستفتاحهم على انفسهم اذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق
من عندك الاية وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم **وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون**
ثم قال الله تعالى ردا عليهم **وما لهم ان لا يعذبهم الله** وان كنت بين اظهرهم وان
كانوا يستغفرون **وهم يصدون عن المسجد الحرام** وقال الاخرون هذا كلام مستانف
يقول الله عز وجل اخبارا عن نفسه تعالى وتقدس وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم
واختلفوا في معناه فقال الضحاك وجماعة تاويلها وما كان الله ليعذبهم وانت
يا محمد مقيم فيهم بين اظهرهم قالوا نزلت هذه الاية على النبي صلى الله عليه وسلم وهو
مقيم بمكة ثم لما خرج منها بقي بقية من المسلمين يستغفرون فانزل الله وما كان الله
معذبهم وهم يستغفرون ثم لما خرج اوليك المسلمون من بين اظهرهم اذن
الله في فتح مكة فهو العذاب الذي وعدهم وقال ابن عباس لم يعذب الله قرية حتى
يخرج نبيها منها والذين امنوا معه ويلحق بحيث امر فقال الله تعالى وما كان الله
ليعذبهم وانت فيهم مقيم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون يعني المسلمين فلما
خرجوا قال الله تعالى وما لهم ان لا يعذبهم الله وقال بعضهم هذا الاستغفار راجع
الى المشركين وذلك انهم كانوا يقولون بعد فراغهم من الطواف غفرانك غفرانك
وقال زيد بن رومان قالت قريش اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا
حجارة من السما فلما امسوا ندموا على ما قالوا فقالوا غفرانك اللهم فقال الله
تعالى وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون اي لو استغفروا لكان لم يكونوا يستغفرون
ولو اقروا بالذنب واستغفروا لكانوا مومنين وقيل هذا دعا لهم الى الاسلام والاستغفار
بهذه الكلمة كالرجل يقول لعبده لا اعاقبك وانت تطيعني اي اطعني حتى لا اعاقبك
وقال مجاهد وعكرمة وهم يستغفرون اي يسلمون يعني لو اسلموا لما عذبوا وقال ابن
عباس وفيهم من سبق له من الله العناية انه يومن ويستغفر مثل ابي سفيان بن
حرب وصفوان بن امية وعكرمة بن ابي جهل وسهيل بن عمرو وحكيم بن حزام وغيرهم
وقال مجاهد وهم يستغفرون اي وفي اصلابهم من يستغفر وقيل في معنى الاية ان
الكفار لما بالغوا وقالوا ان كان محمد محقا في قوله فامطر علينا حجارة من السما
فاخبر الله ان محمدا محق في قوله وانه مع ذلك لا يمطر على اعدايه ومنكري نبوته حجارة
من السما ما دام بين اظهرهم وذلك تعظيم له صلى الله عليه وسلم واورد على هذا انه لما
كان اقامته مانعا من نزول العذاب بهم فكيف قال في غير هذه الاية قاتلوهم

يعذبهم الله بايديكم فالجواب ان المراد من العذاب الاول هو عذاب الاستيصال والمراد
من العذاب الثاني وهو قوله يعذبهم الله بايديكم هو عذاب القتل والسبي والاسر
وذلك دون عذاب الاستيصال قال اهل المعاني دلت هذه الاية على ان الاستغفار
امان وسلامة من العذاب عن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله انزل علي امانين لامتي وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم
وهم يستغفرون فاذا مضيت تركت فيهم الاستغفار الى يوم القيامة اخرجه
الترمذي وقوله تعالى وما لهم ان لا يعذبهم الله يعني واي شي يمنعهم من ان يعذبهم
الله يعني بعد خروجك من بين اظهرهم لانه تعالى بين في الاية الاولى انه لا يعذبهم
وهو مقيم فيهم وبين في هذه الاية انه معذبهم ثم اختلفوا في هذا العذاب فقيل
هو القتل والاسر يوم بدر وقيل اراد به عذاب الاخرة وقيل اراد بالعذاب الاول
عذاب الاستيصال واراد بالعذاب الثاني بهذه الاية العذاب بالسيف وقيل
اراد بالعذاب الاول عذاب الدنيا وبهذا العذاب عذاب الاخرة وقال الحسن الاية
الاولى وهو قوله وما كان الله ليعذبهم منسوخة بقوله وما لهم ان لا يعذبهم الله
وفيه بعد لان الاخبار لا يدخلها النسخ ثم بين ما لاجله يعذبهم فقال تعالى
وهم يصدون عن المسجد الحرام يعني وهم يمنعون المومنين من الطواف بالبيت وذلك
حين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه عن البيت الحرام عام الحديبية
وما كانوا اولياءه قال الحسن كان المشركون يقولون نحن اوليا المسجد
الحرام فرد الله عليهم وما كانوا اولياءه يعني ليسوا اوليا المسجد الحرام **ان اولياوه
الا المتقون** يعني المومنين الذين يتقون الشرك **ولكن اكثرهم** يعني اكثر المشركين
لا يعلمون ذلك قوله تعالى **وما كان صلاتهم عند البيت الا مكا وتصدية** لما ذكر الله
عز وجل ان الكفار ليسوا اوليا البيت الحرام ذكر عقيبه السبب في ذلك وهو
ان صلاتهم عنده كانت مكا وتصدية والمكا في اللغة الصفير يقال مكا الطير يمكوا
اذا صفر والمكا اسم طاير ابيض يكون بالحجاز له صفير وقيل هو طاير بالريف
سمي بذلك لكثرة مكايه يعني صفيره والتصدية التصفيق وفي اصله واشتقاقه
قولان احدهما انه من الصدى وهو الصوت الذي يرجع من الجبل كالمجيب للمتكلم
ولا يرجع قوله الى شي الثاني قال ابو عبيدة اصله تصددا فابدلت الدال الواحدة
يا قال الازهري والمكا والتصدية ليسا بصلاة ولكن الله اخبر انهم جعلوا مكان
الصلاة التي امروا بها المكا والتصدية وقال حسان بن ثابت صلاتهم التصدي
والمكا قال ابن عباس كانت قريش يطوفون بالبيت وهم عراة يصفرون ويصفقون
فالمكا جعل الاصابع في الشدق والتصدية الصفير وقال جعفر بن ربيعة
سالنا ابا سلمة بن عبد الرحمن عن قوله الا مكا وتصدية فجمع كفيه ثم نفخ فيهما
صفرا وقال مقاتل كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد قام رجلان عن
يمينه يصفران ورجلان عن شماله يصفقان ليخلطوا على النبي صلى الله عليه وسلم

صلاتهم وهو من بني عبد الدار فعلى قول ابن عباس كان المكاء والتصدية نوع عبادة
لهم وعلى قول غيره كان نوع أذى للنبي صلى الله عليه وسلم وقول ابن عباس أصح لأن الله
عز وجل سمى ذلك صلاة فإن قلت كيف سماها صلاة وليس ذلك من جنس الصلاة
قلت إنهم كانوا يعتقدون ذلك المكاء والتصدية صلاة فخرج ذلك على حسب
معتقدهم وفيه وجه آخر وهو أن من كان المكاء والتصدية صلاته فلا صلاة له فهو
كقول العرب من كان السخاء عليه فلا عيب له وقال سعيد بن جبير التصدية صدهم
المؤمنين عن المسجد الحرام وعن الدين والصلاة فعلى هذا التصدية من الصد
وهو المنع وقوله تعالى **فذوقوا العذاب** يعني عذاب القتل والأسر في الدنيا
وقيل يقال لهم في الآخرة فذوقوا العذاب **بما كنتم تكفرون** يعني بسبب
كفركم في الدنيا قوله عز وجل **إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن
سبيل الله** لما ذكر الله عبادة الكفار البدنية وهي المكاء والتصدية ذكر عقيبه
عبادتهم المالية التي لا جدوى لها في الآخرة قال الكلبي ومقاتل نزلت في المطعمين
يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلا أبو جهل بن هشام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة
ابن عبد شمس ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وأبو البختري والنضر بن الحرث وحكيم بن
حزام وأبي بن خلف وزمعة بن الأسود والحرث بن عامر بن نوفل والعباس بن
عبد المطلب وكلهم من قريش فكان يطعم كل واحد منهم الجيش في كل يوم عشر جزر
وأسلم من هؤلاء العباس بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم وحكيم بن حزام
وقال الحكم بن عتيبة نزلت في أبي سفيان بن حرب حين أنفق على المشركين يوم أحد
أربعين أوقية كل أوقية أربعون مثقالا وقال ابن أبزى استأجر أبو سفيان
يوم أحد ألفين ليقاتل بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سوى من استجاش من العرب
وقيل استأجر يوم أحد ألفين من الأحابيش من كنانة فقاتل بهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقيل لما أصيب من أصيب من قريش يوم بدر ورجع أبو سفيان
بعيره إلى مكة مشى عبد الله بن أبي ربيعة وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية في
رجال من قريش قد أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم يوم بدر فكلموا أبا سفيان
ابن حرب ومن كانت له في تلك العير من قريش تجارة فقالوا يا معشر قريش إن محمدا
قد وتركم وقتل خياركم فأعينونا بهذا المال على حربه لعلنا ندرك منه ثأرا بمن
أصيب منا ففيهم نزلت إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله
أي ليصرفوا الناس عن الإيمان بالله ورسوله وقيل ينفقون أموالهم على أمثالهم
من المشركين لينفقوا بها على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ..
فسينفقونها يعني أموالهم في ذلك الوجه **ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون**
يعني ما أنفقوا من أموالهم يكون عليهم حسرة وندامة يوم القيامة لأن أموالهم
تذهب ويغلبون ولا يظفرون بما يأملون **والذين كفروا** يعني منهم لأن منهم
من أسلم فلهذا قال والذين كفروا يعني من المنفقين أموالهم **إلى جهنم يحشرون**

يعني يساقون **ليميز الله الخبيث من الطيب** يعني ليفرق الله بين فريق الكفار
وهم الفريق الخبيث وبين فريق المؤمنين وهو الفريق الطيب وهذا معنى قول
ابن عباس فإنه قال يميز أهل السعادة من أهل الشقاوة وقال ليميز العمل
الخبيث من العمل الطيب فيجازي على العمل الخبيث النار وعلى العمل الطيب الجنة
وقيل المراد به إنفاق الكفار في سبيل الشيطان وإنفاق المسلمين في سبيل الله
ويجعل الخبيث بعضه على بعض يعني بعضه فوق بعض **فيركمه جميعا** يعني فيجمعه
جميعا ويضم بعضه إلى بعض حتى يتراكم **فيجعله في جهنم** يعني الخبيث **أولئك** إشارة
إلى المنفقين في سبيل الشيطان أو إلى الخبيث **هم الخاسرون** يعني أنهم خسروا
الدنيا والآخرة لأنهم اشتروا بأموالهم عقاب الآخرة قوله تعالى **قل** يعني قل يا محمد
للذين كفروا إن ينتهوا يعني عن الشرك **يغفر لهم ما قد سلف** يعني ما قد مضى من
كفرهم وذنوبهم قبل الإسلام **وإن يعودوا فقد مضت سنة الأولين**
يعني في إهلاك أعدائه ونصر أوليائه ومعنى الآية أن هؤلاء الكفار إن انتهوا عن
الكفر ودخلوا في الإسلام والتزموا شرائعه غفر الله لهم ما قد سلف من كفرهم
وشركهم وإن عادوا إلى الكفر وأصروا عليه فقد مضت سنة الأولين بإهلاك أعدائه
ونصر أنبيائه وأوليائه وأجمع العلماء على أن الإسلام يجب ما قبله وإذا أسلم الكافر
لم يلزمه شيء من قضاء العبادات البدنية والمالية وهو ساعة إسلامه كيوم
ولدته أمه يعني بذلك أنه ليس عليه ذنب قال يحيى بن معاذ الرازي توحيد لم
يعجز عن هدم ما قبله من كفر أرجو أن لا يعجز عن هدم ما بعده من ذنب **وقاتلوهم
حتى لا تكون فتنة** قال ابن عباس حتى لا يكون شرك وقال الحسن حتى لا يكون بلاء
ويكون الدين كله لله يعني تكون الطاعة والعبادة كلها خالصة لله دون غيره
وقال قتادة حتى يقال لا إله إلا الله عليها قاتل نبي الله صلى الله عليه وسلم
وإليها دعا وقال محمد بن إسحاق في قوله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين
كله لله يعني لا يفتن مؤمن عن دينه ويكون التوحيد لله خالصا ليس فيه شرك
ويخلع ما دونه من الأنداد والشركاء **فإن انتهوا** يعني عن الشرك وافتتان المؤمنين
وإيذائهم **فإن الله بما يعملون بصير** يعني فإن الله لا يخفى عليه شيء من أعمال العباد
ونياتهم حتى يوصل إليهم ثوابهم **وإن تولوا** يعني وإن أعرضوا عن الإيمان وأصروا
على الكفر وعادوا إلى قتال المؤمنين وإيذائهم **فاعلموا** يعني أيها المؤمنون
أن الله مولاكم يعني أن الله ناصركم ومعينكم عليهم وحافظكم **نعم المولى ونعم النصير**
يعني أن الله هو نعم المولى فمن كان في حفظه ونصره وكفايته وكلايته فهو له نعم
المولى ونعم النصير قوله تعالى **واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول**
المغنم الفوز بالشيء يقال غنم يغنم غنما فهو غانم واختلف العلماء هل الغنيمة والفيء
اسمان لمسمى واحد أم يختلفان في التسمية فقال عطاء بن السائب الغنيمة ما ظهر
المسلمون عليه من أموال المشركين فأخذوه عنوة وأما الأرض فهي فيء وقال سفيان

الثوري الغنيمة ما اصاب المسلمون من مال الكفار عنوة بقتال ففيه الخمس واربعة
اخماسه للذين شهدوا الوقعة والفيء ما صالحوا عليه بغير قتال فليس فيه خمس فهو
لمن سمى الله تعالى وقيل الغنيمة ما اخذ من اموال الكفار عنوة عن قهر وغلبة والفيء
ما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب كالعشور والجزية واموال الصلح والمهادنة وقيل
ان الفيء والغنيمة معناهما واحد وهما اسمان لشيء واحد والصحيح انهما يختلفان
فالفيء ما اخذ من اموال الكفار بغير ايجاف خيل ولا ركاب والغنيمة ما اخذ من
اموالهم على سبيل القهر والغلبة بايجاف خيل وركاب فذكر الله في هذه الاية حكم
الغنيمة فقال تعالى واعلموا انما غنمتم من شيء يعني من اي شيء كان حتى الخيط والمخيط
فان لله خمسه وللرسول فذكر اكثر المفسرين والفقهاء ان قوله لله افتتاح كلام
على سبيل التبرك وانما اضافه الى نفسه تعالى لانه هو الحاكم فيه فيقسمه كيف شاء
وليس المراد منه ان سهما منه لله مفردا لان الدنيا والاخرة كلها لله وهذا قول
الحسن وقتادة وعطاء وابراهيم النخعي قالوا سهم الله وسهم رسوله واحد والغنيمة
تقسم خمسة اخماس اربعة اخماسها لمن قاتل عليها واحرزها والخمس الباقي لخمسة اصناف
كما ذكر الله عز وجل للرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل وقال
ابو العالية يقسم خمس الخمس على ستة اسهم سهم لله عز وجل فيصرف الى الكعبة والقول
الاول اصح ان خمس الغنيمة يقسم على خمسة اسهم سهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم
كان له في حياته واليوم هو لمصالح المسلمين وما فيه قوة الاسلام وهذا قول الشافعي
واحمد وروى الاعمش عن ابراهيم قال كان ابو بكر وعمر رضي الله عنهما يجعلان سهم
النبي صلى الله عليه وسلم في الكراع والسلاح وقال قتادة هو للخليفة قال ابو حنيفة
سهم النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته مردود في الخمس فيقسم الخمس على اربعة
اصناف المذكورين في الاية وهم ذوو القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل
فقوله تعالى **ولذي القربى** يعني ان سهما من خمس الخمس لذوي القربى وهم اقارب
رسول الله صلى الله عليه وسلم واختلفوا فيهم فقال قوم هم جميع قريش وقال قوم
هم الذين لا تحل لهم الصدقة وقال مجاهد وعلي بن الحسين هم بنوا هاشم وقال
الشافعي رحمه الله هم بنوا هاشم وبنوا المطلب وليس لبني عبد شمس ولا لبني نوفل
منه شيء وان كانوا اخوة ويدل عليه ما روي عن جبير بن مطعم قال مشيت انا وعثمان
ابن عفان الى النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله اعطيت بني المطلب وتركتنا
ونحن وهم بمنزلة واحدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما بنوا المطلب وبنوا
هاشم شيء واحد وفي رواية اعطيت بني المطلب من خمس الخمس وتركتنا وفي رواية
قال جبير ولم يقسم النبي صلى الله عليه وسلم لبني عبد شمس ولا لبني نوفل شيئا اخرجه
البخاري وفي رواية ابي داود ان جبير بن مطعم جاء هو وعثمان بن عفان يكلمان رسول
الله صلى الله عليه وسلم فيما يقسم من الخمس لبني هاشم وبني المطلب فقلت يا رسول الله
قسمت لاخواننا بني المطلب ولم تعطنا شيئا وقرابتنا وقرابتهم واحدة فقال

رسول الله

رسول الله صلى الله عليه وسلم انما بنوا هاشم وبنوا المطلب شيء واحد وفي رواية
النسائي قال لما كان يوم حنين وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم سهم ذي القربى
في بني هاشم وبني المطلب وترك بني نوفل وبني عبد شمس فانطلقت انا وعثمان بن عفان
اتينا النبي صلى الله عليه وسلم فقلنا يا رسول الله هؤلاء بنوا هاشم لا ننكر فضلهم
للموضع الذي وضعك الله به منهم فما بال اخواننا بني المطلب اعطيتهم وتركتنا وقرابتنا
واحدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وبنوا المطلب لا نفترق في جاهلية
ولا اسلام وانما نحن وهم شيء واحد وشبك بين اصابعه واختلف اهل العلم في سهم
ذوي القربى هل هو ثابت اليوم ام لا فذهب اكثرهم الى انه ثابت فيعطى فقراؤهم
واغنياؤهم من خمس الخمس للذكر مثل حظ الانثيين وهو قول مالك والشافعي
وذهب ابو حنيفة واصحاب الرأي الى انه غير ثابت قالوا سهم النبي صلى الله عليه وسلم
وسهم ذي القربى مردود في الخمس فيقسم خمس الغنيمة على ثلاثة اصناف اليتامى
والمساكين وابن السبيل فيصرف الى فقراء ذوي القربى مع هذه الاصناف دون اغنيائهم
وحجة الجمهور ان الكتاب والسنة يدلان على ثبوت سهم ذوي القربى وكذا الخلفاء
بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يعطون ذوي القربى ولا يفضلون فقيرا على
غني لان النبي صلى الله عليه وسلم اعطى العباس بن عبد المطلب مع كثرة ماله وكذا
الخلفاء بعده كانوا يعطونه والحقه الشافعي بالميراث الذي يستحق باسم القرابة
غير انهم يعطون القريب والبعيد قال ويفضل الذكر على الانثى فيعطى الذكر سهمين
والانثى سهما **واليتامى** جمع يتيم يعني ويعطى من خمس الخمس لليتامى واليتيم الذي
له سهم في الخمس هو الصغير المسلم الذي لا اب له فيعطى مع الحاجة اليه **والمساكين**
وهم اهل الفاقة والحاجة من المسلمين **وابن السبيل** وهو المسافر البعيد عن
ماله فيعطى للفارس ثلاثة اسهم سهم له وسهمان لفرسه ويعطى الراجل سهما واحدا
لما روي عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم في النفل للفرس سهمين
وللراجل سهما وفي رواية نحوه باسقاط لفظ النفل اخرجه البخاري ومسلم وفي رواية
ابي داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اسهم للرجل ولفرسه ثلاثة اسهم سهما
له وسهمان لفرسه وهذا قول اكثر اهل العلم واليه ذهب الثوري والاوزاعي ومالك
وابن المبارك والشافعي واحمد واسحاق وقال ابو حنيفة للفارس سهمان وللراجل
سهم ويرضخ للعبيد والنسوان والصبيان اذا حضروا القتال ويقسم العقار الذي
استولى عليه المسلمون كالمنقول وعند ابي حنيفة يتخير الامام في العقار بين ان
يقسمه بينهم وبين ان يجعله وقفا على المصالح وظاهر الاية يدل على انه لا فرق
بين العقار والمنقول ومن قتل مشركا من المسلمين في القتال يستحق سلبه من راس
الغنيمة لما روي عن ابي قتادة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قتل قتيلا
له عليه بينة فله سلبه اخرجه الترمذي واخرجه البخاري ومسلم في حديث طويل
والسلب كل ما يكون على المقتول من ملبوس وسلاح والفرس الذي كان راكبه ويجوز

للامام ان ينفل بعض الجيش من الغنيمة لزيادة عناء وبلاء يكون منهم في الحرب يخصهم
به من بين سائر الجيش ثم يجعلهم اسوة الجماعة في سهمان الغنيمة ق عن ابن عمر ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان ينفل بعض من يبعث من السرايا لانفسهم خاصة سوى عامة
الجيش عن حبيب بن سلمة الفهري قال شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم نفل
الربع في البداة والثلث في الرجعة اخرجه ابو داود واختلف العلماء في ان النفل
من اين يعطى فقال قوم من خمس الخمس من سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو قول سعيد بن المسيب وبه قال الشافعي وهذا معنى قول النبي صلى الله
عليه وسلم فيما رواه عبادة بن الصامت قال اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم حنين وبرة من بعير فقال يا ايها الناس انه لا يحل لي مما افاء الله عليكم قدر
هذه الا الخمس والخمس مردود عليكم اخرجه النسائي وقال قوم هو من الاربعة
الاخماس بعد افراز الخمس كسهام الغزاة وهو قول احمد واسحاق وذهب قوم
الى ان النفل من راس الغنيمة قبل التخميس كالسلب للقاتل واما الفيء وهو
ما اصابه المسلمون من اموال الكفار بغير ايجاف خيل ولا ركاب بان صالحهم
على مال يؤدونه وكذا الجزية وما اخذ من اموالهم اذا دخلوا دار الاسلام
للتجارة او يموت منهم احد في دار الاسلام ولا وارث له فهذه الحالة في اموال
الفيء كان خالصا لرسول الله صلى الله عليه وسلم في مدة حياته قال عمر
ان الله قد خص لرسول الله صلى الله عليه وسلم خالصة وكان ينفق على
في هذا الفيء بشيء لم يخص به احدا غيره ثم قرا عمر ما افاء الله على رسوله منهم
الاية فكانت هذه لرسول الله صلى الله عليه وسلم خالصة وكان ينفق
على اهله وعياله نفقة سنتهم من هذا المال ثم ما بقي يجعله مجعل مال الله
في الكراع والسلاح واختلف اهل العلم في مصرف الفيء بعد رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال قوم هو للائمة بعده وللشافعي فيه قولان احدهما انه للمقاتلة
الذين اثبت اسماؤهم في ديوان الجهاد لانهم هم القائمون مقام النبي صلى الله
عليه وسلم في ارهاب العدو والقول الثاني انه لمصالح المسلمين ويبدا
بالمقاتلة فيعطون منه كفايتهم ثم بالاهم فالاهم من المصالح واختلف
اهل العلم في تخميس الفيء فذهب الشافعي الى انه يخمس وخمسه لاهل
الخمس من الغنيمة على خمسة اسهم واربعة اخماسه للمقاتلة وللمصالح
وذهب الاكثرون الى انه لا يخمس بل يصرف جميعه مصرفا واحدا ولجميع المسلمين
فيه حق عن مالك بن اوس قال ذكر عمر يوما الفيء فقال ما انا احق بهذا الفيء
منكم وما احد منا احق به من احد الا انا على منازلنا من كتاب الله وقسمة
رسوله صلى الله عليه وسلم والرجل وقدمه والرجل وبلاؤه والرجل وعياله
والرجل وحاجته اخرجه ابو داود واخرج البغوي بسنده عنه انه سمع
عمر بن الخطاب يقول ما على وجه الارض مسلم الا له في هذا الفيء حق الا ما

ملكت ايمانكم وقوله تعالى **ان كنتم امنتم بالله** يعني واعلموا ايها المؤمنون
ان خمس الغنيمة مصروف الى من ذكر في هذه الاية من الاصناف فاقطعوا
عنه اطماعكم واقنعوا باربعة اخماس الغنيمة ان كنتم امنتم بالله وصدقتم
بوحدانيته **وما انزلنا على عبدنا** يعني وامنتم بالمنزل على عبدنا محمد صلى الله
عليه وسلم والذي انزله على عبده محمد صلى الله عليه وسلم يسالونك عن الانفال
الاية **يوم الفرقان** يعني يوم بدر قال ابن عباس يوم الفرقان يوم بدر
فرق الله عز وجل بين الحق والباطل **يوم التقى الجمعان** يعني جمع المؤمنين
وجمع الكافرين وهو يوم بدر قال عروة بن الزبير يوم الفرقان يوم فرق
الله فيه بين الحق والباطل وهو يوم بدر وهو اول مشهد شهده رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكان راس المشركين عتبة بن ربيعة فالتقوا يوم الجمعة
لتسع عشرة او لسبع عشرة من رمضان واصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا والمشركون ما بين الالف والتسعمائة
فهزم الله المشركين وقتل منهم زيادة على سبعين واسر منهم مثل ذلك
والله على كل شيء قدير يعني على نصركم ايها المؤمنون مع قلتكم وكثرة
اعدائكم قوله تعالى **اذ انتم** اي واذكروا نعمة الله عليكم يا معشر المسلمين
اذ انتم **بالعدوة الدنيا** يعني بشفير الوادي الادنى من المدينة والدنيا
تانيث الادنى **وهم** يعني المشركين **بالعدوة القصوى** يعني بشفير الوادي
الاقصى من المدينة مما يلي مكة والقصوى تانيث الاقصى **والركب اسفل
منكم** يعني ابا سفيان واصحابه وهم عير قريش التي خرجوا لاجلها وكانوا
في موضع اسفل من موضع المؤمنين الى ساحل البحر على ثلاثة اميال
من بدر **ولو تواعدتم** يعني انتم والمشركون **لاختلفتم في الميعاد** وذلك
ان المسلمين خرجوا لياخذوا العير وخرج الكفار على القتال لاختلفتم انتم
ليمنعوها من المسلمين فالتقوا على غير ميعاد والمعنى ولو تواعدتم انتم
والكفار على القتال لاختلفتم انتم وهم لقلتكم وكثرة عدوكم **ولكن** يعني
ولكن الله جمعكم على غير ميعاد **ليقضي الله امرا كان مفعولا** يعني من نصر اوليائه
واعزاز دينه واهلاك اعدائه واعداء دينه **ليهلك من هلك عن بينة** يعني
ليموت من مات عن بينة راها وعبرة عاينها وحجة قامت عليه **ويحيى من
حي عن بينة** يعني ويعيش من عاش على بينة راها وعبرة شاهدها وحجة
قامت عليه وقال محمد بن اسحاق معناه ليكفر من كفر بعد حجة قامت عليه
ويؤمن من امن على مثل ذلك لان الهلاك هو الكفر والحياة هو الايمان
ونحوه وقال قتادة ليضل من ضل عن بينة ويهتدي من اهتدى على
على بينة **وان الله لسميع عليم** يعني يسمع دعاءكم ويعلم نياتكم ولا يخفى
عليه خافية قوله عز وجل **اذ يريكهم الله في منامك** يعني واذكر يا محمد نعمة

الله عليك اذ يريك الله المشركين في منامك يعني في نومك قليلا قال مجاهد
اراهم الله في منامه قليلا فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه بذلك
وكان تثبيتا وقال محمد بن اسحاق فكان ما اراه الله من ذلك نعمة من نعمه
عليهم يشجعهم بها على عدوه فكف بها عنهم ما تخوف عليهم من ضعفهم لعلمه
بما فيهم وقيل لما ارى النبي صلى الله عليه وسلم كفار قريش في منامه قليلا
فاخبر بذلك اصحابه فقالوا رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم حق فصار ذلك
سببا لجراتهم على عدوهم وقوة لقلوبهم وقال الحسن ان هذه الاراءة
كانت في اليقظة والمراد من المنام العين لانها موضع النوم ولو اراكهم
كثيرا لفشلتم يعني لجبنتم والفشل ضعف مع جبن والمعنى ولو اراكهم كثيرا
فذكرت ذلك لاصحابك لفشلوا وجبنوا عنهم ولتنازعتم في الامر يعني
اختلفتم في امر الاقدام عليهم او الاحجام عنهم وقيل معنى التنازع في الامر
هو الاختلاف الذي يكون معه مضاجة ومجاذبة ومحاربة كل واحد الى ناحية
والمعنى لاضطرب امركم واختلفت كلمتكم ولكن الله سلم يعني ولكن الله سلمكم
من التنازع والمخالفة فيما بينكم وقيل معناه ولكن الله سلمكم من الهزيمة
والفشل انه عليم بذات الصدور يعني انه تعالى يعلم ما يحصل في الصدور
من الجراة والجبن والصبر والجزع وقال ابن عباس معناه انه عليم بما في صدوركم
من الحب لله عز وجل واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا يعني ان الله
تعالى قلل عدد المشركين في اعين المؤمنين يوم بدر لما التقوا في القتال
ليتاكد في اليقظة ما راه النبي صلى الله عليه وسلم في منامه واخبر به اصحابه
قال ابن مسعود لقد قللوا في اعيننا حتى قلت لرجل الى جنبي تراهم سبعين
قال اراهم مائة فاسرنا رجلا منهم فقلنا كم كنتم قال الفا ويقللكم في اعينهم
يعني ويقللكم يا معشر المؤمنين في اعين المشركين قال السدي قال
ناس من المشركين ان العير قد انصرفت فارجعوا فقال ابو جهل الان اذ
برز لكم محمد واصحابه فلا ترجعوا حتى تستاصلوهم انما محمد واصحابه اكلة
جزور يعني لقلتهم في عينه ثم قال فلا تقتلوهم واربطوهم في الحبال
يقوله من القدرة على نفسه والحكمة في تقليل المشركين في اعين المؤمنين
تصديق رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم وليقوى بذلك قلوب المؤمنين
وتزداد جراتهم عليهم ولا يجبنوا عند قتالهم والحكمة في تقليل المؤمنين
في اعين المشركين لئلا يهربوا واذا استقلوا عدد المؤمنين لم يبالوا بهم فلم يتاهبوا
في الاستعداد ولا لتلقيب لقتالهم فيكون ذلك سببا لظهور المؤمنين
عليهم فان قلت كيف يمكن تقليل الكثير وتكثير القليل قلت
ذلك ممكن في القدرة الالهية فان الله تعالى على ما يشاء قدير ويكون
ذلك معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم والمعجزة من خوارق العادات

فلا

فلا ينكر ذلك ليقضي الله امرا كان مفعولا يعني امرا كائنا من اعلاء كلمة الاسلام
ونصر اهله واذلال كلمة الشرك وخذلان اهله فان قلت قد قال في الاية المتقدمة
ولكن ليقضي الله امرا كان مفعولا وقال في هذه الاية ليقضي الله امرا كان مفعولا
فما معنى هذا التكرار قلت المقصود من ذكره في الاية المتقدمة هو حصول استيلاء
المؤمنين على المشركين على وجه يكون ذلك معجزة دالة على صدق
رسول الله صلى الله عليه وسلم والمقصود من ذكره صلى الله عليه وسلم في هذه الاية
لانه تعالى قلل عدد الفريقين في اعين بعضهم بعضا للحكمة التي ذكرها فلذلك
قال ليقضي الله امرا كان مفعولا والى الله ترجع الامور يعني في الاخرة فيجازي
كل عامل على قدر عمله فالمحسن باحسانه والمسيء باساءته او يغفر قوله تعالى يا ايها
الذين آمنوا اذا لقيتم فئة يعني جماعة كافرة فاثبتوا يعني لقتالهم ولا تنهزموا عنهم
انفسهم على لقاء العدو وقتاله ولا يحدثوها بالتولي واذكروا الله كثيرا يعني
كونوا ذاكرين الله عند لقاء عدوكم ذكرا كثيرا بقلوبكم والسنتكم امر الله عباده
المؤمنين واولياءه المخلصين بان يذكروه في اشد الاحوال وذكر عند لقاء العدو
وقتاله وفيه تنبيه على ان الانسان لا يجوز ان يخلو قلبه ولسانه عن ذكر الله
وقيل المراد من هذا الذكر هو الدعاء بالنصر على العدو وذلك لا يحصل الا بمعونة
الله تعالى فامر الله عباده ان يسالوه النصر على العدو وعند اللقاء ثم قال تعالى
لعلكم تفلحون يعني وكونوا على رجاء الفلاح والنصر والظفر فان قلت ظاهر
الاية يوجب الثبات على كل حال وذلك يوهم انها ناسخة لاية التحرف والتحيز
قلت المراد من الثبات هو الثبات عند المحاربة والمقاتلة في الجملة
واية التحرف والتحيز لا تقدح في حصول هذا الثبات في المحاربة بل كان الثبات
في المقصود لا يحصل الا بذلك التحرف والتحيز ثم قال تعالى مؤكدا لذلك
واطيعوا الله ورسوله يعني في امر الجهاد والثبات عند لقاء العدو ولا تنازعوا
فتفشلوا وتذهب ريحكم يعني ولا تختلفوا فان التنازع والاختلاف يوجب
الفشل والضعف والجبن وقوله تعالى وتذهب ريحكم يعني قوتكم وقال مجاهد
نصرتكم قال وذهبت ريح اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حين نازعوه يوم احد
وقال السدي جراتكم وجدكم وقال مقاتل حدتكم وقال الاخفش وابو عبيدة
دولتكم والريح هنا كناية عن نفاذ الامر وجريانه على المراد تقول العرب
هبت ريح فلان اذا اقبل امره على ما يريد وقال قتادة وابن زيد هي ريح
النصر ولم يكن نصر قط الا بريح يبعثها الله تضرب وجوه العدو ومنه قول
النبي صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور وعن النعمان
ابن مقرن قال شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان اذا لم يقاتل من
اول النهار اخر القتال حتى تزول الشمس وتهب الرياح وينزل النصر اخرجه
ابو داود وقوله تعالى واصبروا يعني عند لقاء عدوكم ولا تنهزموا عنهم ان الله

مع الصابرين يعني بالنصر والمعونة ق عن عبد الله بن ابي اوفى ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم في بعض ايامه التي لقي فيها العدو انتظر حتى اذا مالت الشمس
قام فيهم فقال يا ايها الناس لا تتمنوا لقاء العدو واسالوا الله العافية فاذا
لقيتموهم فاصبروا واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف ثم قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الاحزاب
اهزمهم وانصرنا عليهم ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تتمنوا لقاء العدو فاذا لقيتموهم فاصبروا قوله عز وجل ولا تكونوا كالذين
خرجوا من ديارهم بطرا يعني فخرا واشرا وقيل البطر الطغيان في النعمة
وذلك ان النعم اذا كثرت من الله على العبد فان صرفها في المفاخرة على الاقران
وكاثر بها ابناء الزمان وانفقها في غير طاعة الرحمن فذلك هو البطر في
النعمة وان صرفها في طاعة الله وابتغاء مرضاته فذلك شكرها وهذا معنى
قول الزجاج البطر الطغيان في النعمة وترك شكرها ورئاء الناس الرياء
اظهار الجميل ليراه الناس مع ابطان الكفر والرياء اظهار الطاعة مع ابطان
المعصية ويصدون عن سبيل الله يعني ويمنعون الناس عن الدخول في دين الله نزلت
هذه الاية في كفار قريش حين خرجوا الى بدر ولهم فخر وبغي فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اللهم هذه قريش قد اقبلت بخيلائها وفخرها تحادك
وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذي وعدتني به قال ابن عباس ان ابا سفيان
لما راى انه قد احرز عيره ارسل قريشا انكم انما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم
واموالكم فقد نجاها الله فارجعوا فقال ابو جهل والله لا نرجع حتى نرد بدرا
وكان بدر موسما من مواسم العرب يجتمع لهم بها سوق في كل عام فنقيم عليه
ثلاثا وننحر الجزور ونطعم الطعام ونسقي الخمر وتعزف علينا القينات وتسمع
ابناء العرب فلا يزالون يهابوننا ابدا فامضوا ازادعيره فقال فلما وافوا بدرا
سقوا كؤوس الحمام عوضا عن الخمر وناحت عليهم النوائح مكان القينات فنهى الله
عباده المؤمنين ان يكونوا امثالهم والمعنى لا تكونن امركم ايها المؤمنون رياء
وسمعة ولا التماس ما عند الناس ولكن اخلصوا لله عز وجل النية وقاتلوا
حسبة في نصر دينكم ومؤازرة نبيكم صلى الله عليه وسلم ولا تعملوا الا لذلك
ولا تطلبوا غيره وقوله تعالى والله بما تعملون محيط فيه وعيد وتهديد يعني انه
تعالى عالم بجميع الاشياء لا يخفى عن علمه شيء لانه محيط باعمال العباد كلها فيجازي
المحسنين ويعاقب المسيئين قوله تعالى واذ زين لهم الشيطان اعمالهم يعني
اذكروا ايها المؤمنون نعمة الله عليكم اذ زين الشيطان يريد ابليس للمشركين
اعمالهم الخبيثة وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم قال بعضهم
كان تزيينه وسوسة القاها في قلوبهم من غير ان يتحول في صورة غير صورته
وقال جمهور المفسرين تصور ابليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم

وكان

وكان تزيينه ان قريشا لما اجتمعت على المسير الى بدر ذكرت الذي بينها وبين
بني بكر بن الحرث من الحروب فكاد ذلك ان يثنيهم فتبدى لهم ابليس في صورة
سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي وكان من اشراف بني كنانة فقال انا جار لكم
من ان ياتيكم من كنانة شيء تكرهونه فخرجوا سراعا وقال ابن عباس جاء ابليس
يوم بدر في جند من الشياطين معه رايته في صورة رجل من رجال بني مدلج سراقة
ابن مالك بن جعشم فقال الشيطان للمشركين لا غالب لكم اليوم من الناس واني
جار لكم فلما اصطف الناس اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضة من التراب
فرمى بها في وجوه المشركين فولوا مدبرين واقبل جبريل عليه السلام الى ابليس
لعنه الله فلما رآه وكانت يده في يد رجل من المشركين انتزع ابليس يده ثم ولى
مدبرا وشيعته فقال الرجل يا سراقة اتزعم انك جار لنا فقال اني ارى ما لا ترون
اني اخاف الله والله شديد العقاب وذلك حين راى الملائكة وقوله اني جار لكم
يعني مجير لكم من كنانة فلما تراءت الفئتان اي التقى الجمعان راى ابليس الملائكة
قد نزلوا من السماء علم عدو الله ابليس انه لا طاقة له بهم نكص على عقبيه وقال
اني بريء منكم يعني رجع القهقرى وولى مدبرا هاربا على قفاه وقال الكلبي لما التقى
الجمعان كان ابليس في صف المشركين على صورة سراقة بن مالك بن جعشم وهو اخذ
بيد الحرث بن هشام فنكص عدو الله ابليس على عقبيه فقال له الحرث افرارا من غير
قتال وجعل يمسكه فدفع في صدره وانطلق فانهزم الناس فلما قدموا مكة قالوا
هزم الناس سراقة فبلغ ذلك سراقة فقال بلغني انكم تقولون اني هزمت الناس
فوالله ما شعرت بمسيركم حتى بلغني هزيمتكم فقالوا اما اتيتنا في يوم كذا وكذا فحلف
لهم فلما اسلموا علموا ان ذلك كان شيطانا قال الحسن في قوله اني ارى ما لا ترون قال
راى ابليس جبريل عليه السلام معتجرا ببرده يمشي بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم
وفي يده اللجام يقود الفرس ما ركب وقال قتادة قال ابليس اني ارى ما لا ترون
وصدق وقال اني اخاف الله وكذب ما به مخافة الله ولكن علم انه لا قوة له ولا منعة
فاوردهم واسلمهم وتلك عادة عدو الله ابليس لمن اطاعه اذا التقى الحق والباطل
اسلمهم وتبرا منهم وقيل انه خاف ان يهلك فيمن هلك وقيل خاف ان ياخذه جبريل
فيعرف حاله فلا يطيعوه وقيل معناه اني اخاف الله اعلم صدق وعده لاوليائه
لانه كان على ثقة من امره وقيل لما راى الملائكة قد نزلت من السماء خاف ان
تكون القيامة والله شديد العقاب قيل معناه اني اخاف الله لانه شديد
العقاب فعلى هذا يكون من تمام قول ابليس وقيل تم كلامه عند قوله اني اخاف
الله وقوله والله شديد العقاب ابتداء كلام بقول الله والله شديد العقاب
لمن خالف الله وكفر به عن طلحة بن عبيد الله بن كريز ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ما رئي الشيطان يوما فيه اصغر ولا ادحر ولا احقر ولا اغيظ منه في يوم
عرفة وما ذاك الا لما يرى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام

الا ما رأى يوم بدر فانه قد رأى جبريل نوع الملائكة اخرجه مالك في الموطأ قوله
ولا ادحر هو بالدال والحاء المهملتين من الدحور وهو الابعاد والطرد مع الاهانة
وقوله نزع الملائكة اي يكفهم ويحبسهم ليلا يتقدم بعضهم على بعض والوازع
هو الذي يتقدم ويتأخر في الصف ليصلحه فان قلت كيف يقدر ابليس ان يتصور
بصورة البشر فكيف سمي شيطانا قلت ان الله عز وجل اعطاه قوة واقدره
على ذلك كما اعطى الملائكة قوة واقدرهم على ان يتشكلوا بصور البشر لكن
النفس الباطنة لم تتغير فلم يلزم من تغير الصورة تغير الحقيقة قوله عز وجل
اذ يقول المنافقون يعني من اهل المدينة والذين في قلوبهم مرض اي شك
وارتياب وهم قوم من اهل مكة تكلموا بالاسلام ولم يقو الاسلام في قلوبهم ولم
يتمكن فلما خرج كفار قريش الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا معهم
الى بدر فلما نظروا الى قلة ارتابوا وارتدوا وقالوا غر هؤلاء دينهم يعني ان هؤلاء
نفر قليلون يقاتلون اضعافهم فقد غرهم دينهم الاسلام على ذلك او حملهم على قتل
انفسهم رجاء الثواب في الآخرة فقتلوا جميعا يوم بدر وقال مجاهد ان فئة من
قريش وهم قيس بن الوليد بن المغيرة وابو قيس بن الفاكه بن المغيرة والحارث
ابن زمعة بن الاسود بن المطلب وعلي بن امية بن خلف والعاص بن منبه بن الحجاج
خرجوا مع قريش من مكة وهم على الارتياب فحبسهم ارتيابهم فلما رأوا قلة اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا غر هؤلاء دينهم ثم قال تعالى ومن يتوكل
على الله يعني ومن يسلم امره الى الله ويثق بفضله ويعول على احسانه فان الله
حافظه وناصره لانه عزيز لا يغلبه شيء حكيم فيما قضى وحكم فيوصل الثواب
الى اوليائه والعقاب الى اعدائه قوله تعالى ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة
يعني ولو عاينت يا محمد وشاهدت اذ تقبض الملائكة ارواح الذين كفروا عند
الموت لرأيت امرا عظيما ومنظرا فظيعا وعذابا شديدا ينالهم في ذلك الوقت
يضربون وجوههم وادبارهم اختلفوا في وقت هذا الضرب فقيل هو عند الموت
تضرب الملائكة وجوه الكفار وادبارهم بسياط من نار وقيل ان الذين قتلوا يوم
بدر من المشركين كانت الملائكة تضرب وجوههم وادبارهم وقال ابن عباس كان
المشركون اذا اقبلوا بوجوههم الى المسلمين ضربت الملائكة وجوههم بالسيوف
واذا ولوا ادبارهم ضربت الملائكة ادبارهم وقال ابن جريج يريد ما اقبل من
اجسادهم وادبر يعني يضربون جميع اجسادهم وذوقوا عذاب الحريق يعني وتقول
الملائكة عند القتل ذوقوا عذاب الحريق قيل مع الملائكة مقامع من حديد
محمية بالنار يضربون بها الكفار فتلتهب النار في جراحاتهم وقال ابن عباس تقول
لهم الملائكة ذلك بعد الموت وقال الحسن هذا يوم القيامة تقول لهم الزبانية
ذوقوا عذاب الحريق ذلك يعني الذي نزل بكم من القتل والضرب والحريق بما قدمت
ايديكم يعني انما حصل لكم ذلك بسبب ما كسبت ايديكم من الكفر والمعاصي فان قلت

اليد

اليد ليست محلا للكفر وانما محله القلب لان الكفر اعتقاد والاعتقاد محله القلب وظاهر الآية
يقتضي ان فاعل هذا الكفر هي اليد وذلك ممتنع قلت اليد هنا عبارة عن القدرة
لان اليد آلة العمل والقدرة هي المؤثرة في العمل فجعل اليد كناية عن القدرة
وقوله تعالى وان الله ليس بظلام للعبيد يعني انه تعالى لا يعذب احدا من خلقه
وانما نفى الله الظلم عن نفسه مع انه يعذب الكافر على كفره والعاصي على عصيانه
لانه متصرف في ملكه كيف يشاء ومن كان كذلك استحال نسبة الظلم اليه
فلا يتوهم متوهم انه تعالى مع خلقه كفر الكافر وتعذيبه عليه ظلم فلهذا قال
تعالى وان الله ليس بظلام للعبيد لانهم في ملكه وتحت قدرته فهو يتصرف فيهم
كيف يشاء قوله تعالى كدأب آل فرعون يعني ان عادة هؤلاء الكفار في كفرهم كعادة
آل فرعون في كفرهم فجوزي هؤلاء بالقتل والاسر يوم بدر كما جوزي آل
فرعون بالاغراق واصل الدأب في اللغة ادامة العمل يقال فلان يدأب في
كذا اذا داوم عليه ويتعب نفسه ثم سميت العادة دأبا لان الانسان يداوم
على عادته ويواظب عليها وقال ابن عباس معناه ان آل فرعون ايقنوا ان
موسى عليه السلام نبي من الله تعالى فكذبوه فكذلك هؤلاء لما جاءهم محمد
صلى الله عليه وسلم بالصدق كذبوه فانزل الله بهم عقوبته كما انزل بآل فرعون
والذين من قبلهم يعني من قبل آل فرعون كفروا بآيات الله يعني ان عادة الامم
السالفة هو كفرهم بآيات الله فاخذهم الله بذنوبهم يعني بسبب كفرهم وذنوبهم
ان الله قوي يعني في اخذه وانتقامه ممن كفر به وكذب رسله ذلك بان الله لم
يك مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم يعني ان الله تعالى انعم على
اهل مكة بان اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف وبعث اليهم محمدا صلى الله عليه وسلم
فقابلوا هذه النعم بان تركوا شكرها وكذبوا رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم وغيروا
ما بانفسهم فسلبهم الله تعالى النعمة واخذهم بالعقاب قال السدي نعمة الله
محمد صلى الله عليه وسلم انعم به على قريش فكفروا به وكذبوه فنقله الله الى
الانصار وان الله سميع يعني لاقوال خلقه لا يخفى عليه شيء من كلامهم عليم يعني بما
في صدورهم من خير او شر فيجازي كل واحد على عمله كدأب آل فرعون يعني ان هؤلاء
الكفار الذين قتلوا يوم بدر غيروا نعمة الله عليهم كصنيع آل فرعون والذين
من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فاهلكناهم بذنوبهم يعني اهلكنا بعضهم بالرجفة
وبعضهم بالخسف وبعضهم بالحجارة وبعضهم بالريح وبعضهم بالمسخ كذلك اهلكنا
كفار قريش بالسيف واغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين يعني الاولين والآخرين
فان قلت ما الفائدة في تكرير هذه الآية مرة ثانية قلت فيها فوائد
منها ان الكلام الثاني يجري مجرى التفصيل للكلام الاول لان الآية الاولى فيها
ذكر اخذهم وفي الآية الثانية ذكر اغراقهم فكذلك تفسير للاول الفائدة
الثانية انه ذكر في الآية الاولى انهم كفروا بآيات الله وفي الآية الثانية كذبوا

بآيات ربهم ففي الآية الاولى اشارة الى انهم انكروا آيات الله فجحدوها وفي الثانية
اشارة الى انهم كذبوا بها مع جحودهم لها وكفرهم بها الفائدة الثالثة ان تكرير هذه
القصة للتأكيد وفي قوله كذبوا بآيات ربهم زيادة دالة على كفران النعم وجحود
الحق وفي ذكر الاغراق بيان للاخذ بالذنوب قوله تعالى ان شر الدواب عند الله
يعني في علمه وحكمه الذين كفروا فهم لا يؤمنون والمعنى ان شر الدواب من
الانس الكفار المصرين على الكفر نزلت في يهود بني قريظة رهط كعب بن الاشرف
الذين عاهدت منهم قيل من صلة يعني الذين عاهدتهم وقيل هو للتبعيض لان
المعاهدة مع بعض القوم وهم الرؤساء والاشراف ثم ينقضون عهدهم في كل
مرة قال المفسرون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عاهد يهود بني قريظة
ان لا يحاربوه ولا يعاونوا عليه فنقضوا واعانوا مشركي مكة بالسلاح على قتال
رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه ثم قالوا نسينا واخطأنا فعاهدهم
الثانية فنقضوا العهد ايضا ومالؤوا الكفار على رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم الخندق وركب كعب بن الاشرف الى مكة فوافقهم على مخالفة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهم لا يتقون يعني انهم لا يخافون الله في نقض العهد
لان عادة من يرجع الى دين وعقل وحزم ان يتقي نقض العهد حتى يسكن الناس الى
قوله ويثقون بكلامه فبين الله عز وجل ان من جمع بين الكفر ونقض العهد انه
من شر الدواب فاما تثقفنهم في الحرب يعني فاما تجدن هؤلاء الذين نقضوا عهدك
وتظفر بهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم قال ابن عباس معناه فنكل بهم من وراءهم
وقال سعيد بن جبير انذر بهم من خلفهم واصل التشريد في اللغة التفريق
مع اضطراب ومعنى الآية انك اذا ظفرت بهؤلاء الكفار الذين نقضوا العهد فافعل
بهم فعلا من القتل والتنكيل تفرق به جمع كل ناقض للعهد حتى يخافك من وراءهم
من اهل مكة واليمن لعلهم يذكرون يعني لعل ذلك النكال يمنعهم من نقض العهد
واما تخافن يعني واما تعلمن يا محمد من قوم يعني معاهدين خيانة يعني نقضا
للعهد بما يظهر لك منهم من آثار الغدر كما ظهر من بني قريظة والنضير فانبذ
يعني فاطرح اليهم يعني عهدهم وارم به اليهم على سواء يعني على طريق ظاهر مستو
يعني اعلمهم قبل حربك اياهم انك قد فسخت العهد بينك وبينهم حتى تكون انت
وهم في العلم بنقض العهد سواء فلا يتوهموا انك نقضت العهد اولا بنصب الحرب
معهم ان الله لا يحب الخائنين يعني في نقض العهد عن سليم بن عامر عن رجل من حمير
قال كان بين معاوية وبين الروم عهد وكان يسير نحو بلادهم ليقرب حتى اذا
انقضى العهد غزاهم فجاءه رجل على فرس او برذون وهو يقول الله اكبر الله اكبر
وفاء لا غدرا فاذا هو عمرو بن عبسة فارسل اليه معاوية فسأله فقال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كان بينه وبين قوم عهد فلا يشد عقدة
ولا يحلها حتى ينقضي امدها او ينبذ اليهم على سواء فرجع معاوية اخرجه ابو داود

واخرجه

واخرجه الترمذي عن سليم بن عامر نفسه بلا زيادة ورجل من حمير وعنده الله
اكبر مرة واحدة وفيه جاء على دابة او فرس واما حكم الآية فقال اهل العلم اذا ظهرت
آثار نقض العهد ممن هادنهم الامام من المشركين بامر ظاهر مستفيض استغنى
الامام عن نبذ العهد واعلامهم بالحرب وان ظهرت الخيانة بامارات تلوح وتتضح
له من غير امر مستفيض فحينئذ يجب على الامام ان ينبذ اليهم العهد ويعلمهم بالحرب
وذلك لان قريظة كانوا قد عاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم ثم اجابوا ابا سفيان
ومن معه من المشركين الى مظاهرتهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فحصل
لرسول الله صلى الله عليه وسلم خوف الغدر به وباصحابه فهنا يجب على الامام
ان ينبذ اليهم على سواء ويعلمهم بالحرب واما اذا ظهر نقض العهد ظهورا مقطوعا
به فلا حاجة للامام الى نبذ العهد فليفعل كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
باهل مكة لما نقضوا العهد بقتل خزاعة وهم في ذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلم يرعهم الا وجيش رسول الله صلى الله عليه وسلم بمر الظهران وذلك على اربع
فراسخ من مكة وقوله تعالى ولا تحسبن قرئ بالتاء على الخطاب للنبي صلى الله
عليه وسلم والمعنى ولا تحسبن يا محمد الذين كفروا سبقوا يعني فاتوا وانهزموا يوم
بدر وقرئ بالياء على الغيبة ومعناه ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا يعني خلصوا
من القتل والاسر يوم بدر انهم لا يعجزون يعني انهم بهذا السبق لا يعجزون
الله من الانتقام منهم اما في الدنيا بالقتل واما في الآخرة بعذاب النار وفيه
تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم فيمن فاته من المشركين ولم ينتقم منهم فاعلمه
الله انهم لا يعجزونه قوله تعالى واعدوا لهم ما استطعتم من قوة الاعداد اتخاذ
الشيء لوقت الحاجة اليه وفي المراد بالقوة اقوال احدها انها جميع انواع الاسلحة
والآلات التي تكون لكم قوة في الحرب على قتال عدوكم الثاني انها الحصون والمعاقل
الثالث الرمي وقد جاءت مفسرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه عقبة
ابن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يقول واعدوا لهم
ما استطعتم من قوة الا ان القوة الرمي ثلاثا اخرجه مسلم خ عن ابي اسيد قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر حين صففنا لقريش اذا اكثبوكم يعني غشوكم وفي رواية
اكثروكم فارموهم واستبقوا نبلكم وفي رواية اذا اكثبوكم فعليكم بالنبل م عن عقبة
ابن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ستفتح عليكم الروم
ويكفيكم الله فلا يعجز احدكم ان يلهو باسهمه م عن فقيم اللخمي قال قلت لعقبة
ابن عامر تختلف بين هذين الغرضين فانت شيخ كبير ويشق عليك فقال عقبة
لولا كلام سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم اعانه قال قلت وما
ذاك قال سمعته يقول من تعلم الرمي ثم تركه فليس منا او قد عصى عن ابي نجيح
السلمي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من بلغ بسهم فهو له درجة
في الجنة فبلغت يومئذ عشر اسهم قال وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقول من بلغ بسهم فهو له درجة في الجنة فبلغت يومئذ عشرة اسهم قال وسمعت
رمى بسهم في سبيل الله فهو عدل محرر اخرجه النسائي والترمذي بمعناه
وعنده قال عدل رقبة محررة اخرجه ابوداود ايضا عن عقبة بن عامر قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله عز وجل ليدخل بالسهم
الواحد ثلاثة نفر الجنة صانعه يحتسب في عمله الخير والرامي به والممد به وفي
رواية ومنبله فارموا واركبوا وان ترموا احب الي من ان تركبوا كل لهو باطل
ليس من اللهو محمودا الا ثلاثة تاديب الرجل فرسه وملاعبته اهله ورميه
بقوسه اي نبله فانهن من الحق ومن ترك الرمي بعد ما علمه رغبة عنه فانها
نعمة تركها او كفرها اخرجه ابوداود واخرجه الترمذي مختصرا الى نبله عن
سلمة بن الاكوع قال مر النبي صلى الله عليه وسلم على نفر من اسلم ينتضلون بالقوس
فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارموا بني اسماعيل فان اباكم كان راميا ارموا
وانا مع بني فلان فامسك احد الفريقين بايديهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ما لكم لا ترمون فقالوا كيف نرمي وانت معهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ارموا وانا معكم كلكم القول الرابع ان المراد بالقوة جميع ما يتقوى به في الحرب
على العدو فكل ما هو الة يستعان بها في الجهاد فهو من جملة القوة المامور باستعدادها
وقوله صلى الله عليه وسلم الا ان القوة الرمي لا ينفي كون غير الرمي من القوة فهو
كقوله صلى الله عليه وسلم الحج عرفة وقوله الندم توبة فهذا لا ينفي اعتبار غيره بل
يدل على ان هذا المذكور من افضل المقصود واجله فكذا ههنا يحمل معنى الاية
على الاستعداد للقتال في الحرب وجهاد العدو بجميع ما يمكن من الالات كالرمي
بالنبل والنشاب والسيف والدرع وتعليم الفروسية كل ذلك مامور به لانه
من فروض الكفايات وقوله تعالى ومن رباط الخيل يعني اقتناءها وربطها للغزو
في سبيل الله والربط شد الفرس وغيره بالمكان للحفظ وسمي المكان الذي يخص
باقامة حفظه فيه رباطا والمرابطة اقامة المسلمين بالثغور للحراسة فيها
وربط الخيل للجهاد من اعظم ما يستعان به روي ان رجلا قال لابن سيرين ان
فلانا اوصى بثلث ماله للحصون فقال ابن سيرين يشترى به الخيل ويربطها
في سبيل الله وقال عكرمة القوة الحصون ومن رباط الخيل يعني الاناث
ووجه هذا ان العرب تربط الاناث من الخيل بالافنية للنسل وروي ان
خالد بن الوليد كان لا يركب في القتال الا الاناث لقلة صهيلها وعن ابن
محيريز كانت الصحابة يستحبون ذكور الخيل عند الصفوف واناث الخيل عند البيات
والغارات وقيل ربط الفحول اولى من الاناث لانها اقوى على الكر والفر
والعدو فكانت المحاربة عليها اولى من الاناث وقيل ان لفظ الخيل عام
فيتناول الفحول والاناث فاي ذلك ربط بنية الغزاة كان في سبيل الله
ق عن عروة بن الجعد البارقي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخيل

معقود

معقود في نواصيها الخير الى يوم القيامة الاجر والغنيمة ق عن ابن عمر ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال الخيل في نواصيها الخير الى يوم القيامة خ عن ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احتبس فرسا في سبيل الله ايمانا
بالله وتصديقا بوعده فان شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة
يعني حسنات ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخيل ثلاثة
لرجل اجر ولرجل ستر وعلى رجل وزر فاما الذي هي له اجر فرجل ربطها في
سبيل الله زاد في رواية لاهل الاسلام فاطال لها في مرج او روضة فما
اصابت في طيلها ذلك من المرج او الروضة كانت له حسنات ولو انها قطعت
طيلها فاستنت شرفا او شرفين كانت له اثارها وارواثها حسنات ولو انها
مرت بنهر فشربت منه ولم يرد ان يسقيها كان له ذلك حسنات فهي لذلك
الرجل اجر ورجل ربطها تغنيا وتعففا ولم ينس حق الله في رقابها ولا ظهورها
فهي لذلك الرجل ستر ورجل ربطها فخرا ورياء ونواء لاهل الاسلام فهي على ذلك
وزر وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحمر فقال ما انزل علي فيها شيء
الا هذه الاية الجامعة الفاذة فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال
ذرة شرا يره الطيل الحبل الذي تشد به الفرس وقت الرعي والاستنان
الجري والشرف الشوط الذي تجري فيه الفرس وقوله تغنيا يعني استغناء
عن الطلب لما في ايدي الناس اما ظهورها فهو ان يحمل عليها منقطعا الى امثاله
واما حق رقابها فقيل اراد به الاحسان اليها وقيل اراد به الحمل عليها فعبر
بالرقبة عن الذات وقوله نواء لاهل الاسلام النواء المعاداة يقال ناوات الرجل
مناواة اذا عاديته وقوله تعالى ترهبون به عدو الله وعدوكم يعني تخوفون
بتلك القوة وبذلك الرباط عدو الله وعدوكم يعني الكفار من اهل مكة وغيرهم وقال
ابن عباس تخزون به عدو الله وعدوكم وذلك ان الكفار اذا علموا انهم متأهبين
للجهاد ومستعدين له مستكملين لجميع الاسلحة والات الحرب واعداد الخيل
مربوطة للجهاد خافوهم فلا يقصدون دخول دار الاسلام بل يصير ذلك
سببا لدخول الكفار في الاسلام او بذل الجزية للمسلمين وقوله تعالى واخرين
من دونهم يعني وترهبون اخرين من دونهم اختلف العلماء فيهم فقال مجاهد
هم بنو قريظة وقال السدي هم فارس وقال ابن زيد هم المنافقون لقوله
تعالى لا تعلمونهم لانهم معكم يقولون بالسنتهم لا اله الا الله الله يعلمهم يعني
انهم منافقون واورد على هذا القول ان المنافقين لا يقاتلون لاظهارهم
كلمة الاسلام فكيف يخوفون باعداد القوة ورباط الخيل واجيب عن هذا
الايراد ان المنافقين اذا شهدوا قوة المسلمين وكثرة الاتهم واسلحتهم
كان ذلك مما يخوفهم ويحزنهم فكان ذلك ارهابهم وقال الحسن كفار الجن وصحح
هذا القول الطبري قال لان الله تعالى قال لا تعلمونهم ولا شك ان المؤمنين

كانوا عالمين بعداوة قريظة وفارس لعلمهم بانهم مشركون ولانهم حزب المومنين
اما الجن فلا تعلمونهم الله يعلمهم يعني يعلم احوالهم واماكنهم دونكم ويعضد هذا القول
ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال هم الجن وان الشيطان لا يخبل احدا في داره
فرس عتيق ذكر هذا الحديث ابن الجوزي وغيره من المفسرين بغير اسناد وقال الحسن
صهيل الخيل يرهب الجن وقوله تعالى **وما تنفقوا من شيء في سبيل الله** قيل اراد
به نفقة الجهاد والغزو وقيل هو عام في كل وجوه الخير والطاعة فيدخل فيه
نفقة الجهاد وغيره **يوف اليكم** يعني اجره في الاخرة يجعل له عوضه في الدنيا
وانتم لا تظلمون يعني وانتم لا تنقصون من ثواب اعمالكم شيا قوله تعالى **وان
جنحوا للسلم فاجنح لها** لما امر الله عباده المومنين باعداد القوة وما يرهب
العدو وامرهم بعد ذلك ان يقبلوا منهم الصلح ان مالوا اليه وسالوه فقال
تعالى وان جنحوا يعني مالوا الى السلم يعني المصالحة فاقبلوا منهم الصلح وهو
قوله فاجنح لها اي مل اليها يعني الى المصالحة روي عن الحسن وقتادة ان هذه
الاية منسوخة باية السيف وقيل انها غير منسوخة لكنها تتضمن الامر بالصلح
اذا كان فيه مصلحة ظاهرة فان راى الامام ان يصالح اعداءه من الكفار وفيه
قوة فلا يجوز ان يهادنهم سنة كاملة وان كانت القوة للمشركين جاز ان يهادنهم
عشر سنين ولا يجوز الزيادة عليها اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم
فانه صالح اهل مكة مدة عشر سنين ثم انهم نقضوا العهد قبل انقضاء المدة وقوله
تعالى **وتوكل على الله** يعني فوض امرك الى الله فيما عقدته معهم ليكون عونا لك
في جميع احوالك **انه هو السميع** يعني لاقوالهم **العليم** باحوالهم قوله عز وجل
وان يريدوا ان يخدعوك يعني يغدروا بك قال مجاهد يعني بني قريظة والمعنى
وان ارادوا باظهار الصلح خديعتك لتكف عنهم **فان حسبك الله** يعني فان الله
كافيك بنصره ومعونته **هو الذي ايدك بنصره** يعني هو قواك واعانك بنصره يوم
بدر وفي سائر ايامك **وبالمومنين** يعني وايدك بالمومنين يعني الانصار فان قلت
اذا كان الله قد ايده بنصره فاي حاجة الى نصر المومنين حتى يقول وبالمومنين **قلت**
التاييد والنصر من الله عز وجل وحده لكنه يكون باسباب باطنة غير معلومة
وباسباب ظاهرة معلومة فاما الذي يكون بالاسباب الباطنة فهو المراد
بقوله هو الذي ايدك بنصره لان اسبابه باطنة بغير وسائط معلومة واما
الذي يكون بالاسباب الظاهرة فهو المراد بقوله وبالمومنين لان اسبابه ظاهرة
بوسائط وهم المومنون والله تعالى هو مسبب الاسباب وهو الذي اقامهم
لنصره ثم بين كيف ايده بالمومنين فقال تعالى **والف بين قلوبهم لو انفقت
ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم** وذلك ان العرب
كان فيهم من الحمية الشديدة والانفة العظيمة والانفس القوية والعصبية
والانطواء على الضغينة في ادنى شيء حتى لو ان رجلا من قبيلة لطم لطمة واحدة

قاتل

قاتل عنه اهل قبيلته حتى يدركوا ثارهم لا يكاد يتالف فيهم قلبان فلما بعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم وامنوا به واتبعوه انقلبت تلك الحالة فائتلفت
واجتمعت كلمتهم وزالت حمية الجاهلية من قلوبهم وابدلت تلك الضغاين
والتحاسد بالمودة والمحبة لله وفي الله واتفقوا على الطاعة وصاروا انصارا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم واعوانا يقاتلون عنه ويحمونه وهم الاوس والخزرج
وكانت بينهم في الجاهلية حروب عظيمة ومعاداة شديدة ثم زالت تلك
الحروب وحصلت الالفة والمحبة وهذا مما لا يقدر عليه الا الله عز وجل وصار
ذلك معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهرة باهرة دالة على صدقه ومنه
قوله صلى الله عليه وسلم يا معشر الانصار الم اجدكم ضلالا فهداكم الله بي وكنتم
متفرقين فالفكم الله بي وكنتم عالة فاغناكم الله بي وفي الاية دليل على ان
القلوب بيد الله يصرفها كيف يشاء واراد وذلك لان تلك الالفة والمحبة انما
حصلت بسبب الايمان واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ثم انه تعالى ختم
هذه الاية بقوله **انه عزيز حكيم** يعني انه تعالى قادر قاهر يمكنه التصرف في
القلوب فيقلبها من العداوة الى المحبة ومن النفرة الى الالفة وكل ذلك على وجه
الحكمة والصواب قوله تعالى **يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المومنين** روى
سعيد بن جبير عن ابن عباس ان هذه الاية نزلت في اسلام عمر بن الخطاب قال
سعيد بن جبير اسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة
ثم اسلم عمر فنزلت هذه الاية فعلى هذا القول تكون الاية مكية كتبت في سورة
مدنية بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل انها نزلت بالبيداء في غزوة بدر
قبل القتال فعلى هذا القول اراد بقوله ومن اتبعك من المومنين يعني في غزوة
بدر وقيل اراد بقوله ومن اتبعك من المومنين الانصار والاية نزلت بالمدينة
وقيل اراد جميع المهاجرين والانصار ومعنى الاية يا ايها النبي حسبك الله وحسب
من اتبعك من المومنين وقيل معناه حسبك الله ومتبوعك من المومنين قوله
عز وجل **يا ايها النبي حرض المومنين على القتال** يعني حثهم على قتال عدوهم والتحريض
في اللغة الحث على الشيء بكثرة التزيين وتسهيل الخطب فيه كانه في الاصل ازالة
الحرض وهو الهلاك **ان يكن منكم عشرون** يعني رجلا **صابرون** يعني عند اللقاء
محتسبين انفسهم **يغلبوا مائتين** يعني من عدوهم وظاهر لفظ الاية خبر ومعناه
الامر فكانه قال ان يكن منكم عشرون فليصبروا وليجتهدوا في قتال عدوهم
حتى يغلبوا مائتين ويدل على ان المراد بهذا الخبر الامر قوله تعالى الان خفف
الله عنكم لان النسخ لا يدخل على الاخبار انما يدخل على الامر فدل ذلك على ان
الله تعالى اوجب على المومنين هذا الحكم وانما حسن هذا التكليف لان الله
وعدهم بالنصر ومن تكفل الله له بالنصر سهل عليه الثبات مع الاعداء **وان يكن
منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا** في اصله وجوب ثبات الواحد مع المومنين

في مقابلة العشرة من الكفار بانهم قوم لا يفقهون يعني ان المشركين لا يقاتلون
لطلب ثواب وخوف عقاب انما يقاتلون حمية فاذا صدقتموهم في القتال
فانهم لا يثبتون معكم الان خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان تكن منكم مائة
صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله خ عن ابن عباس
قال لما نزلت ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين كتب عليهم ان لا يفر
واحد من عشرة ولا عشرين من مائتين وفي رواية اخرى عنه قال لما نزلت ان
يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين شق ذلك على المسلمين فنزلت الان
خفف الله عنكم الاية فلما خفف الله عنهم من العدة نقص عنهم من الصبر بقدر
ما خفف منها عنهم قطا هوان قوله الان خفف الله عنكم ناسخ لما في الاية الاولى
وكان هذا الامر يوم بدر فرض الله تعالى على الرجل الواحد من المؤمنين قتال
عشرة من الكافرين فثقل ذلك على المؤمنين فنزل الان خفف الله عنكم ايها
المؤمنون وعلم ان فيكم ضعفا يعني في قتال الواحد العشرة فان تكن منكم
مائة صابرة محتسبة يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله
فرد من العشرة الى اثنين فاذا كان المسلمون على الشطر من عدوهم لا يجوز
لهم ان يفروا فايما رجل فر من ثلاثة لم يفر ومن يفر من اثنين فقد فر والله
مع الصابرين يعني بالنصر والمعونة قال سفيان قال ابن شبرمة وارى الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر مثل ذلك قوله تعالى ما كان لنبي ان تكون له اسرى
روى عن عبد الله بن مسعود قال لما كان يوم بدر وجيء بالاسارى فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما تقولون في هؤلاء فقال ابو بكر يا رسول الله قومك واهلك
استبقهم واستان بهم لعل الله ان يتوب عليهم وخذ منهم فدية تكون لنا
قوة على الكفار وقال عمر يا رسول الله كذبوك واخرجوك قدمهم نضرب
اعناقهم مكن عليا من عقيل فيضرب عنقه ومكني من فلان نسيب لعمر فاضرب
عنقه فان هؤلاء ايمة الكفر وقال عبد الله بن رواحة يا رسول الله انظر واديا
كثير الحطب فادخلهم فيه ثم اضرمه عليهم نارا فقال له العباس قطعت رحمك
فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجبهم ثم دخل فقال ناس ياخذ
بقول ابي بكر وقال ناس ياخذ بقول عمر وقال ناس ياخذ بقول ابن رواحة ثم
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من
اللبن ويشدد قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابراهيم
قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا ابا بكر مثل عيسى
قال ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم ومثلك يا عمر
مثل نوح قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ومثلك كمثل موسى قال
ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم الاية ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اليوم انتم عالة فلا يفلتن احد منهم الا بفداء او بضرب عنق قال عبد الله بن مسعود

الاسهيل

الا سهيل ابن بيضا فاني سمعته يذكر الاسلام فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فما رايتني في يوم اخوف ان تقع علي حجارة من السماء من ذلك اليوم حتى
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا سهيل بن بيضا قال ابن عباس قال عمر
ابن الخطاب فهوي رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال ابو بكر ولم يهو ما قلت
واخذ منهم الفدا فلما كان من الغد جئت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وابو بكر قاعدين يبكيان قلت يا رسول الله اخبرني من اي شي تبكي انت وصاحبك
فان وجدت بكا بكيت وان لم اجد بكا تباكيت لبكائكما فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ابكي للذي عرض على اصحابك من اخذهم الفدا لقد عرض علي عذابهم ادنى
من هذه الشجرة لشجرة قريبة من نبي الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل
ما كان لنبي ان تكون له اسرى حتى يثخن في الارض الاية اخرج هذا الحديث
الترمذي مختصرا وقال في الحديث قصة وهي هذه القصة التي ذكرها البغوي
واخرج مسلم في افراده من حديث عمر بن الخطاب قال ابن عباس لما اسروا الاسارى
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر وعمر ما ترون في هؤلاء الاسارى
فقال ابو بكر يا رسول الله هم بنو العم والعشيرة ارى ان تاخذ منهم فدية
تكون لنا قوة على الكفار فعسى الله ان يهديهم الى الاسلام فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما ترى يا ابن الخطاب قال قلت لا والله يا رسول الله ما
ارى الذي راى ابو بكر ولكن ارى ان تمكننا فنضرب اعناقهم فتمكن عليا من عقيل
فيضرب عنقه وتمكني من فلان نسيب لعمر فنضرب عنقه فان هؤلاء ايمة الكفر
وصناديده فهوي رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال ابو بكر ولم يهو ما قلت
فلما كان من الغد جئت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر قاعدين يبكيان
فقلت يا رسول الله اخبرني من اي شي تبكي انت وصاحبك فان وجدت بكا بكيت
وان لم اجد تباكيت لبكائكما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابكي للذي
عرض على اصحابك من اخذهم الفدا لقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة
قريبة من نبي الله صلى الله عليه وسلم وانزل الله عز وجل ما كان لنبي ان تكون
له اسرى حتى يثخن في الارض الى قوله فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا فاحل الله
الغنيمة لهم ذكره الحميدي في مسند عمر بن الخطاب من افراد مسلم بزيادة فيه
اما تفسير الاية فقوله تعالى ما كان لنبي ان تكون له اسرى يعني ما كان ينبغي
ولا يجب لنبي وقال ابو عبيدة معناه لم يكن لنبي ذلك فلا يكون لك يا محمد والمعنى
ما كان لنبي ان يحبس كافرا قدر عليه وصار في يده اسيرا للفداء والمن والاسرا
جمع اسير واسارى جمع الجمع حتى يثخن في الارض الاثخان في كل شي عبارة عن قوته
وشدته يقال اثخنه المرض اذا اشتدت قوته عليه والمعنى حتى يبالغ في قتل
المشركين ويغلبهم ويقهرهم فاذا حصل ذلك فله ان يقدم على الاسر فياسر
الاسارى تريدون عرض الدنيا الخطاب لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يعني

تريدون ايها المومنون عرض الدنيا باخذكم الفدا من المشركين وانما سمي منافع
لانه لا ثبات لها ولا دوام فكانها تعرض ثم تزول بخلاف منافع الاخرة فانها
دائمة لا انقطاع لها وقوله تعالى **والله يريد الاخرة** يعني انه تعالى يريد لكم
ثواب الاخرة بقهركم المشركين ونصركم الدين لانها دائمة بلا زوال ولا انقطاع
والله عزيز لا يقهر ولا يغلب **حكيم** يعني في تدبيره مصالح عباده قال ابن عباس كان
ذلك يوم بدر والمسلمون يومئذ قليل فلما كثروا واشتد سلطانهم انزل الله
في الاسارى فاما منا بعد واما فدا فجعل الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمومنين
بالخيار ان شاوا قتلوهم وان شاوا استعبدوهم وان شاوا فادوهم وان شاوا
اعتقوهم قال الامام فخر الدين ان هذا الكلام يوهم ان قوله فاما منا بعد واما
فدا يزيل حكم الاية التي نحن في تفسيرها وليس الامر كذلك لان كلتا الايتين
متوافقتان وكلاهما يدل على انه لا بد من تقديم الاثخان ثم بعده اخذ الفدا
قال العلما كان الفدا لكل اسير اربعين اوقية والاوقية اربعون درهما فيكون
مجموع ذلك الفا وستماية درهم وقال قتادة كان الفدا يومئذ لكل اسير اربعة
الاف اربعة الاف **فصل** قد استدل بهذه الاية من يقدح في عصمة
الانبيا من وجوه الاول ان قوله ما كان لنبي ان تكون له اسرى صريح في النهي
عن اخذ الفدا وذلك دل على صدور الذنب منهم الوجه الثاني ان النبي صلى الله
عليه وسلم وابا بكر قعدا يبكيان لاجل اخذ الفدا وخوف العذاب وقرب نزوله
والجواب الاول عن الوجه الاول ان قوله تعالى ما كان لنبي ان تكون له اسرى
حتى يثخن في الارض يدل على انه كان له الاسر مشروعا ولكن بشرط الاثخان
في الارض وقد حصل لان الصحابة قتلوا يوم بدر سبعين رجلا من عظما المشركين
وصناديدهم واسروا سبعين وليس من شرط الاثخان في الارض قتل جميع الناس
فدلت هذه الاية على جواز الاسر بعد الاثخان وقد حصل والجواب عن
الوجه الثاني ان الامر بالقتل انما كان مختصا بالصحابة لاجماع المسلمين
ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يومر بمباشرة قتال الكفار بنفسه واذا ثبت
ان الامر بالقتل كان مختصا بالصحابة كان الذنب صادرا منهم لا من النبي
صلى الله عليه وسلم والجواب عن الوجه الثالث وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم
حكم باخذ الفدا وهو محرم فنقول لا نسلم ان اخذ الفدا كان محرما واما
قوله تعالى تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة ففيه عتاب لطيف
لغرض اخذ الفدا من الاسارى والمبادرة اليه ولا يدل ايضا على تحريم الفدا
اذ لو كان حراما في علم الله لمنعهم من اخذه مطلقا والجواب عن الوجه الرابع
وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم وابا بكر قعدا يبكيان يحتمل ان يكون لاجل ان
بعض الصحابة لما خالف الامر بالقتل واشتغل بالاسر استوجب ذلك
الفعل العذاب فبكى النبي صلى الله عليه وسلم خوفا واشفاقا من نزول العذاب

عليهم

عليهم بسبب ذلك الفعل وهو الاسر واخذ الفدا والله اعلم قوله عز وجل **لولا
كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم** قال ابن عباس كانت الغنايم
محرمة على الانبيا والامم فكانوا اذا اصابوا مغنما جعلوه للقربان فكانت
النار تنزل من السما فتاكله فلما كان يوم بدر اسرع المومنون في اخذ الغنايم
والفدا انزل الله عز وجل لولا كتاب من الله سبق يعني لولا قضا من الله سبق
في اللوح المحفوظ بانه يحل لكم الغنايم لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم وقال الحسن
ومجاهد وسعيد بن جبير لولا كتاب من الله سبق انه لا يعذب احدا ممن شهد
بدرا مع النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن جريج لولا كتاب من الله سبق انه لا
يضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون وانه لا ياخذ قوما فعلوا بجهالة
لمسكم يعني لاصابكم بسبب ما اخذتم من الفدا قبل ان تومروا به عذاب عظيم
قال محمد بن اسحاق لم يكن من المومنين احد ممن حضر بدرا الا احب الغنايم الا
عمر بن الخطاب فانه اشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل الاسرى وسعد
بن معاذ فانه قال يا رسول الله كان الاثخان في الارض احب الي من استبقا
الرجال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو نزل عذاب من السما ما نجا منه
غير عمر وسعد بن معاذ وقوله تعالى **فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا** يعني قد احللت
لكم الغنايم واخذ الفدا فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا وروي انه لما نزلت هذه الاية
الاولى كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ايديهم عما اخذوا من الفدا فنزلت فكلوا
مما غنمتم حلالا طيبا فاحل الله الغنايم بهذه الاية لهذه الامة وكانت قبل ذلك
حراما على ساير الامم الماضية صح من حديث جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال واحلت لي الغنايم ولم تحل لاحد قبلي **ق** عن ابي هريرة رضي الله
عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال فلم تحل الغنايم لاحد قبلنا ثم احل الله
لنا الغنايم ذلك بان الله راى ضعفنا وعجزنا فاحلها لنا وقوله تعالى **واتقوا
الله ان الله غفور رحيم** يعني وخافوا الله ان تعودوا وان تفعلوا شيا من قبل
انفسكم قبل ان تومروا به واعلموا ان الله قد غفر لكم ما اقدمتم عليه من هذا
الذنب ورحمكم وقيل في قوله واتقوا الله اشارة الى المستقبل وقوله ان الله
غفور رحيم اشارة الى الحالة الماضية قوله تعالى **يا ايها النبي قل لمن في ايديكم**
نزلت في العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان احد
العشرة الذين ضمنوا ان يطعموا الناس الذين خرجوا من مكة الى بدر وكان قد
خرج ومعه عشرون اوقية من ذهب ليطعم بها اذا جاءت نوبته فكان يوم الوقعة
ببدر نوبته فاراد ان يطعم ذلك اليوم فاقتتلوا فلم يطعم شيا وبقيت العشرون
اوقية معه فلما اسر اخذت منه فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحسب العشرين
اوقية من فدايه فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم اما شي خرجت به لتستعين به
علينا فلا اتركه لك وكلف فدا ابني اخيه عقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحارث فقال

العباس يا محمد تتركني اتكفف قريشا ما بقيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاين الذهب الذي دفنته ام الفضل وقت خروجك من مكة وقلت لها اني لا
ادري ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث بي حادث فهذا لك ولعبد الله ولعبيد الله
والفضل وقثم يعني بنيه فقال العباس وما يدريك يا ابن اخي قال اخبرني
به ربي فقال العباس اشهد انك لصادق واشهد ان لا اله الا الله وانك
عبده ورسوله لم يطلع عليه احد الا الله وامر ابني اخيه عقيل ونوفل بن
الحارث فاسلما فذلك قوله يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسرى يعني الذين
اسرتموهم واخذتم منهم الفدا ان يعلم الله في قلوبكم خيرا يعني ايمانا وتصديقا
يوتكم خيرا مما اخذ منكم يعني من الفداء ويغفر لكم يعني ما سلف منكم قبل الايمان
والله غفور يعني لمن امن وتاب من كبره ومعاصيه رحيم يعني باهل طاعته قال
العباس فابدلني الله خيرا مما اخذ مني عشرين عبدا كلهم تاجر يضرب بمال
كثير ادناهم يضرب بعشرين الف درهم مكان العشرين اوقية واعطاني زمزم
وما احب ان لي بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربي عز وجل وقوله
تعالى وان يريدوا يعني الاسرى خيانتك يعني بكفر وايك فقد خانوا يعني
كفروا بالله من قبل وقيل معناه وان نقضوا العهد ورجعوا الى الكفر فقد
خانوا الله بذلك فامكن منهم يعني فامكن المومنين منهم ببدر حتى قتلوا واسروا
منهم وهذا نهاية الامكان وفيه بشارة للنبي صلى الله عليه وسلم بانه يتمكن من
كل احد يخونه او ينقض عهده والله عليم يعني بما في بواطنهم وضمايرهم من ايمان
وتصديق او خيانة ونقض عهد حكيم يعني حكم بانه يجازي كلا بعمله الخير بالثواب
والشر بالعقاب قوله عز وجل ان الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا باموالهم
وانفسهم في سبيل الله يعني ان الذين امنوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم
وصدقوا بما جاء به وهاجروا يعني وهجروا ديارهم وقومهم في ذات الله عز وجل
وابتغا رضوانه وهم المهاجرون الاولون وجاهدوا يعني وبذلوا انفسهم
في سبيل الله يعني طاعة وابتغا رضوانه والذين اووا ونصروا يعني اووا رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومن معه من اصحابه من المهاجرين واسكنوهم منازلهم
ونصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم الانصار اوليك يعني المهاجرين والانصار
بعضهم اوليا بعض يعني في العون والنصرة دون اقربايهم من الكفار وقال ابن
عباس في الميراث وكانوا يتوارثون بالهجرة فكان المهاجرون والانصار يتوارثون
دون اقربايهم وذوي ارحامهم وكان من امن ولم يهاجر لا يرث من قريبه المهاجر
حتى كان فتح مكة وانقطعت الهجرة فتوارثوا بالارحام حيث ما كانوا وصار
ذلك منسوخا بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله وقوله
تعالى والذين امنوا ولم يهاجروا يعني امنوا واقاموا بمكة ما لكم من ولايتهم من شي
يعني من الميراث حتى يهاجروا يعني الى المدينة وان استنصروكم في الدين يعني

ان استنصروكم

ان استنصروكم الذين امنوا ولم يهاجروا فعليكم النصر يعني فعليكم نصرهم واعانتهم
الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق اي عهد فلا تنصروهم عليهم والله بما تعملون
بصير والذين كفروا بعضهم اوليا بعض يعني في النصرة والمعونة وذلك ان كفار
قريش كانوا معادين فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم تعاونوا عليه
جميعا قال ابن عباس يعني في الميراث وهو ان يرث الكفار بعضهم من بعض الا
تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير قال ابن عباس الا تاخذوا في الميراث
بما امرتكم به وقال ابن جريج الا تعاونوا وتناصروا وقال ابن اسحاق جعل الله
المهاجرين والانصار اهل ولاية في الدين دون من سواهم وجعل الكافرين
بعضهم اوليا بعض ثم قال تعالى الا تفعلوه وهو ان يتولى المومن الكافر دون
المومنين تكن فتنة في الارض وفساد كبير فالفتنة في الارض هي قوة الكفار
والفساد الكبير هو ضعف المسلمين والذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في
سبيل الله والذين اووا ونصروا اوليك هم المومنون حقا يعني لا شك في ايمانهم
ولا ريب لانهم حققوا ايمانهم بالهجرة والجهاد وبذل النفس والمال في نصر الدين
لهم مغفرة يعني لذنوبهم ورزق كريم يعني في الجنة فان قلت ما معنى
هذا التكرار قلت ليس فيه تكرار لانه تعالى ذكر في الاية الاولى حكم
ولاية المهاجرين والانصار بعضهم بعضا ثم ذكر في هذه الاية ما من به عليهم
من المغفرة والرزق الكريم وقيل ان اعادة الشي مرة بعد اخرى يدل على مزيد
الاهتمام به فلما ذكرهم اولا ثم اعاد ذكرهم ثانيا دل على عظم شانهم وعلو درجاتهم
وهذا هو الشرف العظيم لانه تعالى ذكر في هذه الاية من وجوه المدح ثلاثة
انواع احدها قوله اوليك هم المومنون حقا وهذا يفيد الحصر وقوله تعالى
حقا يفيد المبالغة في وصفهم بكونهم محقين في طريق الدين وتحقيق هذا
القول ان من فارق اهله وداره التي نشا فيها وبذل النفس والمال كان مومنا
حقا النوع الثاني قوله تعالى لهم مغفرة وتنكير لفظ المغفرة يدل على انهم
مغفرة واي مغفرة لا يبلغها غيرهم والمعنى لهم مغفرة تامة كاملة ساترة لجميع
ذنوبهم النوع الثالث قوله تعالى ورزق كريم فكل شي شرف وعظم في بابه قيل
له كريم والمعنى ان لهم في الجنة رزق لا تلحقهم فيه غضاضة ولا تعب وقيل
ان المهاجرين كانوا على طبقات فمنهم من هاجر اولا الى المدينة وهم المهاجرون الاولون
ومنهم من هاجر الى ارض الحبشة ثم هاجر الى المدينة فهم اصحاب الهجرتين ومنهم
من هاجر بعد صلح الحديبية وقبل فتح مكة فذكر الله تعالى في الاولى اصحاب الهجرة
الاولى وذكر في الثانية اصحاب الهجرة الثانية والله اعلم بمراده وقوله تعالى
والذين امنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم اختلفوا في قوله من بعد فقيل
من بعد صلح الحديبية وهي الهجرة الثانية وقيل من بعد نزول هذه الاية وقيل
من بعد غزوة بدر والاصح ان المراد به اهل الهجرة الثانية لانها بعد الهجرة الاولى

لان الهجرة انقطعت بعد فتح مكة لانها صارت دار اسلام بعد الفتح ويدل عليه قوله
صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية اخرجاه في الصحيحين وقال الحسن
الهجرة غير منقطعة ويجاب عن هذا بان المراد منه الهجرة المخصوصة من مكة الى المدينة
فاما من كان من المومنين في بلد يخاف على اظهار دينه من كثرة الكفار وجب عليه ان
يهاجر الى بلد لا يخاف فيه على اظهار دينه وقوله تعالى **فاولئك منكم** يعني انهم منكم
وانتم منهم لكن فيه دليل على ان مرتبة المهاجرين الاولين اشرف واعظم من مرتبة
المهاجرين المتاخرين بالهجرة لان الله تعالى الحق المهاجرين المتاخرين بالمهاجرين
السابقين وجعلهم منهم وذلك معرض المدح والشرف ولولا ان المهاجرين الاولين
افضل واشرف لما صح هذا الالحاق وقوله تعالى **واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض
في كتاب الله** قال ابن عباس كانوا يتوارثون بالهجرة والاخاء حتى نزلت هذه الاية
واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في الميراث فبين بهذه الاية ان سبب القرابة
اقوى واولى من سبب الهجرة والاخاء ونسخ بهذه الاية ذلك التوارث قوله في كتاب
الله يعني في حكم الله وقيل اراد به في اللوح المحفوظ وقيل اراد به القران وقيل
ان قسمة المواريث مذكورة في سورة النساء في كتاب الله وهو القران وتمسك
اصحاب ابي حنيفة بهذه الاية في توريث ذوي الارحام واجاب عنه الشافعي
بانه لما قال في كتاب الله كان معناه في حكم الله الذي بينه في سورة النساء
فصارت هذه الاية مقيدة بالاحكام التي ذكرها في سورة النساء من قسمة المواريث
واعطا اهل الفروض فروضهم وما بقي فللعصبات وقوله تعالى **ان الله بكل شي
عليم** يعني انه تعالى عالم بكل شي لا يخفى عليه خافية والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة التوبة وهي مدنية باجماعهم

قال ابن الجوزي سوى ايتين في اخرها لقد جاءكم رسول من انفسكم فانها نزلت
بمكة وهي مائة وتسع وعشرون اية وقيل مائة وثلاثون اية وهي اربعة الاف
وثمان وسبعون كلمة وعشرة الاف واربعمائة وثمانون حرفا ولهذه السورة
اسما عشرة سورة التوبة وسورة براة وهذان الاسمان مشهوران وهي المقشقشة
قال ابن عمر سميت بذلك لانها تقشقش من النفاق اي تبري منه وهي المبعثرة
لانها تبعثر عن اخبار المنافقين وتبحث عنها وتثيرها والفاضحة قاله ابن عباس
لانها فضحت المنافقين وسورة العذاب قاله حذيفة وهي المخزية لان فيها
خزي المنافقين وهي المدمدمة سميت بذلك لان فيها هلاك المنافقين وهي
المشردة سميت بذلك لانها شردت جميع المنافقين وهي المثيرة سميت بذلك
لانها اثارت مخازي المنافقين وكشفت عن احوالهم وهتكت استارهم عن سعيد
ابن جبير قال قلت لابن عباس سورة التوبة فقال بل هي الفاضحة ما زالت تقول
ومنهم ومنهم حتى ظنوا ان لا يبقى احد الا ذكر فيها قال قلت سورة الانفال قال

نزلت

نزلت في بدر قال قلت سورة الحشر قال بل سورة النضير اخرجاه في الصحيحين

فصل في بيان ترك كتابة البسملة في اول هذه السورة

عن ابن عباس قال قلت لعثمان ما حملكم على ان عمدتم الى الانفال وهي من
المثاني والى براة وهي من المئين فقرنتم بينهما ولم تكتبوا سطر بسم الله الرحمن الرحيم
ووضعتموها في السبع الطوال ما حملكم على ذلك قال عثمان كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم مما ياتي عليه الزمان وهو ينزل عليه السور ذوات العدد
وكان اذا انزل عليه شي دعا بعض من كان يكتب فيقول ضعوا هولاء الايات
في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا واذا انزلت عليه الاية يقول ضعوا هذه الاية
في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا وكانت الانفال من اوايل ما نزل بالمدينة
وكانت براة من اخر القران نزولا وكانت قصتها شبيهة بقصتها وظننت
انها منها وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا انها منها من اجل
ذلك قرنت بينهما ولم اكتب بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتهما في السبع
الطوال اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث حسن قال الزجاج
والشبه الذي بينهما ان في الانفال ذكر العهود وفي براة نقضها وكان
قتادة يقول هما سورة واحدة وقال محمد بن الحنفية قلت لابي يعني علي
ابن ابي طالب لم لا يكتبوا في براة بسم الله الرحمن الرحيم فقال يا بني
ان براة نزلت بالسيف وان بسم الله الرحمن الرحيم امان وسئل
سفيان بن عيينة عن هذا فقال لان التسمية رحمة والرحمة امان وهذه السورة
نزلت في المنافقين وقال المبرد لم تفتتح هذه السورة ببسم الله الرحمن الرحيم
لان التسمية افتتاح الخير واول هذه السورة وعيد ونقض عهود فلذلك لم
تفتتح بالتسمية وسئل ابي بن كعب عن هذا فقال انها نزلت في اخر القران
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامر في كل سورة بكتابة بسم الله الرحمن الرحيم
ولم يامر في براة بذلك فضمت الى الانفال لشبهها بها وقيل ان الصحابة
اختلفوا في ان سورة الانفال وسورة براة هما سورة واحدة ام سورتان
فقال بعضهم سورة واحدة لانها نزلت في القتال ومجموعهما معا مائتان وخمس
ايات فكانت هي السورة السابعة من السبع الطوال وقال بعضهم هما سورتان
فلما حصل هذا الاختلاف بين الصحابة تركوا بينهما فرجة تنبيها على قول من
يقول انهما سورتان ولم يكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم تنبيها على قول من
يقول هما سورة واحدة اما التفسير فقوله تعالى **براة من الله ورسوله**
يعني هذه براة من الله ورسوله واصل البراة في اللغة انقطاع العصمة يقال
بريت من فلان ابرا براة اي انقطعت بيننا العصمة ولم يبق بيننا علقة وقيل
معناه هنا التباعد مما تكره مجاورته قال المفسرون لما خرج رسول الله صلى الله

عليه وسلم

الى تبوك فكان المنافقون يرجفون الاراجيف وجعل المشركون ينقضون عهودا كانت بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر الله عز وجل بنقض عهودهم وذلك قوله واما تخافن من قوم خيانة الاية ففعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما امر به ونبذ اليهم عهودهم قال الزجاج اي قد برئ الله ورسوله من اعطائهم العهود والوفاء بها اذ نكثوا **الى الذين عاهدتم من المشركين** الخطاب مع اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وان كان النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي عاهدهم وعاقدهم لانهم هم الذين عاقدهم واصحابه بذلك راضون فكانهم عقدوا وعاهدوا وقوله تعالى **فسيحوا في الارض** اي فسيروا في الارض مقبلين ومدبرين امنين غير خائفين احدا من المسلمين واصل السياحة الضرب في الارض والاتساع فيها ولا تبعد عن مواضع العمارة قال ابن الانبارى قوله فسيحوا فيه مضمر اي قل لهم سيحوا وليس هذا باب الامر بل المقصود منه الاباحة والاطلاق والاعلام بحصول الامان وزوال الخوف يعني سيحوا في الارض وانتم امنون من القتل والقتال **اربعة اشهر** يعني مدة اربعة اشهر واختلف العلماء في هذا التاجيل وفي هولاء الذين برئ الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم من العهود التي كانت بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مجاهد هذا التاجيل من الله للمشركين فمن كانت مدة عهده اقل من اربعة اشهر رفعه الى اربعة اشهر ومن كانت مدته اكثر حطه الى الاربعة اشهر ومن كان عهده بغير اجل معلوم محدود حده باربعة اشهر ثم هو بعد ذلك حرب لله ولرسوله يقتل حيث ادرك ويوسر الا ان يتوب ويرجع الى الايمان وقيل المقصود من هذا التاجيل ان يتفكروا ويحتاطوا لانفسهم ويعلموا انهم ليس لهم بعد هذه المدة الا الاسلام او القتال فيصير هذا داعيا لهم الى الدخول في الاسلام ولئلا ينسب المسلمون الى الغدر ونكث العهد وكان ابتداء هذا الاجل يوم الحج الاكبر وانقضاؤه الى عشر من ربيع الاخر فاما من لم يكن له عهد فانما اجله انسلاخ الاشهر الحرم وذلك خمسون يوما وقال الازهري الاشهر الاربعة شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم لان هذه الاية نزلت في شوال والقول الاول اصوب وعليه الاكثرون قال الكلبي انما كانت الاربعة اشهر لمن كان له عهد دون الاربعة الاشهر فاتم له الاربعة اشهر فاما من كان عهده اكثر من اربعة اشهر فهذا امر باتمام عهده بقوله فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم وقيل كان ابتداؤها في العشر من ذي القعدة واخرها العاشر من ربيع الاول لان الحج في تلك السنة في العاشر من ذي القعدة بسبب النسي ثم صار في السنة المقبلة في العاشر من ذي الحجة وفيها حج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان الزمان قد استدار وقال الحسن امر الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم بقتال من قاتله من المشركين فقال تعالى قاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم فكان لا يقاتل الا من قاتله ثم امر بقتال المشركين والبراءة منهم واجلهم اربعة اشهر فلم يكن

لاحد

لاحد منهم اجل اكثر من اربعة اشهر لان من كان له عهد قبل البراءة ولا من لم يكن له عهد وكان الاجل لجميعهم اربعة اشهر واحل دماء جميعهم من اهل العهود وغيرهم بعد انقضاء الاجل وقال محمد بن اسحاق ومجاهد وغيرهما نزلت في اهل مكة وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عاهد قريشا عام الحديبية على ان يضعوا الحرب عشر سنين يامن فيها الناس ودخلت خزاعة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخلت بنو بكر في عهد قريش ثم عدت بنو بكر وقريش على خزاعة فنالوا منهم واعانتهم قريش بالسلاح فلما تظاهر بنو بكر وقريش على خزاعة ونقضوا عهدهم خرج عمرو بن سالم الخزاعي حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال

لاهم اني ناشد محمدا ... حلف ابينا وابيه الاتلدا
كنت لنا ابا وكنا ولدا ... ثمت اسلمنا ولم ننزع يدا
فانصر هداك الله نصرا ابدا ... وادعوا عباد الله ياتوا مددا
فيهم رسول الله قد تجردا ... في فيلق كالبحر يجري مزبدا
ابيض مثل الشمس يسمو صعدا ... ان سيم خسفا وجهه تربدا
ان قريشا اخلفوك الموعدا ... ونقضوا ميثاقك الموكدا
وزعموا ان لست تدعو احدا ... وهم اذل واقل عددا
هم بيتونا بالهجير هجدا ... وقتلونا ركعا وسجدا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نصرت ان لم انصركم وتجهز الى مكة ففتحها سنة ثمان من الهجرة فلما كانت سنة تسع اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحج فقيل له المشركون يحضرون ويطوفون بالبيت عراة فبعث ابا بكر تلك السنة اميرا على الموسم ليقيم للناس الحج وبعث معه اربعين اية من صدر براءة ليقراها على اهل الموسم ثم بعث بعده عليا على ناقته العضباء ليقرا على الناس صدر براءة وامره ان يوذن بمكة ومنى وعرفة ان قد برئت ذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم من كل مشرك ولا يطوف بالبيت عريان فرجع ابو بكر فقال يا رسول الله بابي انت وامي انزل في شاني شيء فقال لا ولكن لا ينبغي لاحد ان يبلغ هذا الا رجل من اهلي اما ترضى يا ابا بكر انك انت معي في الغار وانك معي على الحوض قال بلى يا رسول الله فسار ابو بكر اميرا على الحاج وعلي بن ابي طالب يوذن ببراءة فلما كان قبل يوم التروية بيوم قام ابو بكر فخطب الناس وحدثهم عن مناسكهم واقام للناس الحج والعرب في تلك السنة على منازلهم التي كانوا عليها في الجاهلية من امر الحج حتى اذا كان يوم النحر قام علي بن ابي طالب رضي الله عنه فاذن في الناس بالذي امر به وقرا عليهم اول سورة براءة وقال يزيد بن تبيع سالنا عليا بن ابي طالب رضي الله عنه باي شيء بعثت في الحجة قال بعثت باربع لا يطوف بالبيت عريان ومن كان بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم عهد فهو الى مدته ومن لم يكن له عهد فاجله اربعة اشهر ولا يدخل الجنة الا نفس مومنة ولا يجتمع المشركون والمسلمون بعد عامهم هذا في حج ثم حج رسول الله

صلى الله عليه وسلم سنة عشر حجة الوداع **ق** عن ابي هريرة ان ابا بكر بعثه في الحجة
التي امّره رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها قبل حجة الوداع في رهط يؤذنون في
الناس يوم النحر ان لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وفي رواية
ثم اردف النبي صلى الله عليه وسلم بعلي بن ابي طالب فامره ان يؤذن ببراءة قال
ابو هريرة فاذن معنا في اهل منى ببراءة ان لا يحج بالبيت بعد العام مشرك ولا
يطوف بالبيت عريان وفي رواية ويوم الحج الاكبر يوم النحر والحج الاكبر الحج
وانما قيل الحج الاكبر من اجل قول الناس العمرة الحج الاصغر قال فنبذ ابو بكر الى
الناس في ذلك فلم يحج في العام القابل الذي حج فيه النبي صلى الله عليه وسلم
حجة الوداع مشرك وانزل الله في العام الذي نبذ فيه ابو بكر الى المشركين
يا ايها الذين امنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم
هذا وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله الاية **فصل**
قد يتوهم متوهم ان في بعث علي بن ابي طالب بقراءة اول براءة عزل ابي بكر عن
الامارة وتفضيله على ابي بكر وذلك جهل من هذا المتوهم ويدل على ان ابا بكر
لم يزل اميرا على الموسم في تلك السنة اول حديث ابي هريرة المتقدم ان ابا بكر
بعثه في رهط يؤذنون في الناس الحديث وفي لفظ ابي داود والنسائي قال
بعثني ابو بكر وهذا يدل على ان ابا بكر كان هو الامير على الناس وهو الذي اقام للناس
حجهم وعلمهم مناسكهم واجاب العلماء عن بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا ليؤذن
في الناس ببراءة لان عادة العرب جارية ان لا يتولى تقرير العهد ونقضه الا سيد
القبيلة وكبيرها او رجل من اقاربه وكان علي بن ابي طالب اقرب الى النبي صلى الله
عليه وسلم من ابي بكر لانه ابن عمه ومن رهطه فبعثه النبي صلى الله عليه وسلم ليؤذن
عنه ببراءة ازاحة لهذه العلة لئلا يقولوا هذا على خلاف ما نعرفه منا في
عقد العهود ونقضها وقيل لما خص ابا بكر بتوليته على الموسم خص عليا بتبليغ
هذه الرسالة تطييبا لقلبه ورعاية لجانبه وقيل انما بعث عليا في هذه الرسالة
حتى يصلي خلف ابي بكر ويكون ذلك جاريا مجرى التنبيه على امامة ابي بكر بعد رسول الله
صلى الله عليه وسلم لان النبي صلى الله عليه وسلم بعث ابا بكر اميرا على الحاج وولاه
الموسم وبعث عليا خلفه ليقرأ على الناس براءة فكان ابو بكر الامام على الموسم
وكان ابو بكر الخطيب وعلي المستمع وكان ابو بكر المتولي امر الموسم والامير على
الناس ولم يكن ذلك لعلي فدل ذلك على تقدم ابي بكر على علي وفضله عليه
والله اعلم وقوله تعالى **واعلموا انكم غير معجزي الله** يعني ان هذا الامهال ليس
لعجز عنكم ولكن لمصلحة ولطف بكم ليتوب تائب وقيل معناه فسيحوا في الارض
اربعة اشهر عالمين انكم لا تعجزون الله بل هو يعجزكم ويأخذكم لانكم في ملكه
وتحت قهره وسلطانه وقيل معناه انما امهلكم هذه المدة لانه لا يخاف الفوت
ولا يعجزه شيء **وان الله مخزي الكافرين** يعني بالقتل والعذاب في الآخرة قوله

عز وجل

عز وجل **واذان من الله ورسوله** الاذان في اللغة الاعلام ومنه الاذان للصلاة
لانه اعلام بدخول وقتها والمعنى واعلام صادر من الله ورسوله واصل **الى الناس**
يوم الحج الاكبر اختلفوا في الحج الاكبر فروى عن عكرمة عن ابن عباس انه يوم عرفة
ويروى ذلك عن ابن عمر وابن الزبير وهو قول عطاء وطاوس ومجاهد وسعيد
ابن المسيب وعن علي بن ابي طالب قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن يوم الحج الاكبر فقال يوم النحر اخرجه الترمذي وقال يروى موقوفا
وهو اصح وعن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف يوم النحر بين الجمرات
في الحجة التي حج فيها فقال اي يوم هذا فقالوا يوم النحر فقال هذا يوم الحج
الاكبر اخرجه ابو داود ويروى ذلك عن عبد الله بن ابي اوفى والمغيرة بن شعبة
وهو قول الشعبي والنخعي وسعيد وروى ابن جريج عن مجاهد ان يوم الحج الاكبر
ايام منى كلها وكان سفيان الثوري يقول يوم الحج الاكبر ايام منى كلها لان اليوم
قد يطلق ويراد به الحين والزمان كقولك يوم صفين ويوم الجمل لان الحروب
دامت في هذه الايام ويطلق عليها يوم واحد وقال عبد الله بن الحارث بن نوفل
يوم الحج الاكبر الذي حج فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قول ابن سيرين
لانه اجتمع حج المسلمين وعيد اليهود وعيد النصارى وعيد المشركين ولم يجتمع
مثل ذلك قبله ولا بعده فعظم ذلك اليوم عند المؤمنين والكافرين واختلفوا
لم سمي الحج الاكبر فقال مجاهد الحج الاكبر القران لانه قرن بين الحج والعمرة وقيل
الحج لاجتماع اعياد جميع الملل في ذلك اليوم وقال الزهري والشعبي وعطاء
الحج الاكبر الحج والحج الاصغر العمرة وانما قيل لها الاصغر لنقصان اعمالها عن الحج
وقيل سمي الحج الاكبر لموافقة حجة رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع وكان
ذلك اليوم يوم الجمعة وودع الناس فيه وخطبهم وعلمهم مناسكهم وذكر في خطبته
ان الزمان قد استدار وابطل النسيء وجميع احكام الجاهلية وقوله تعالى **ان الله
بريء من المشركين ورسوله** فيه حذف والتقدير واذان من الله ورسوله بان الله
بريء من المشركين وانما حذفت الباء لدلالة الكلام عليه وفي رفع رسوله وجوه
الاول انه رفع بالابتداء وخبره مضمر والتقدير ان الله بريء من المشركين ورسوله
ايضا بريء الثاني تقديره بريء الله ورسوله من المشركين الثالث ان اسم الله في
محل رفع بالابتداء وبريء خبره ورسوله عطف على المبتدأ الاول **فان قلت**
لا فرق بين قوله براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين وبين
قوله ان الله بريء من المشركين فما فائدة هذا التكرار **قلت** المقصود من
الاية الاولى البراءة من العهد ومن الاية الثانية البراءة التي هي نقيض الموالاة
الجارية مجرى الزجر والوعيد والذي يدل على صحة هذا القول انه قال في
الاولى براءة من الله ورسوله الى يعني براءة اليهم وفي الثانية بريء منهم وقوله
تعالى **فان تبتم** يعني فان رجعتم عن شرككم وكفركم **فهو خير لكم** يعني من الاقامة

على الشرك وهذا الترغيب من الله في التوبة والاقلاع عن الشرك الموجب لدخول
النار وإن توليتم يعني أعرضتم عن الإيمان والتوبة من الشرك فاعلموا أنكم
غير معجزي الله فيه وعيد عظيم وإعلام لهم بأن الله تعالى قادر على إنزال
العذاب بهم وقوله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم يعني في الآخرة ولفظ البشارة
هنا إنما ورد على سبيل الاستهزاء كما يقال تحيتهم الضرب وإكرامهم الشتم قوله تعالى
إلا الذين عاهدتم من المشركين هذا الاستثناء راجع إلى قوله تعالى براءة من الله
ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين إلا من عهد الذين عاهدتم من المشركين
وهم بنو ضميرة حي من كنانة أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بإتمام
عهدهم إلى مدتهم وكان قد بقي من مدتهم تسعة أشهر وكان السبب فيه أنهم
لم ينقضوا العهد وهو قوله ثم لم ينقصوكم شيئا يعني من عهودكم التي عاهدتموهم
عليها ولم يظاهروا يعني ولم يعاونوا عليكم أحدا من عدوكم قال صاحب الكشاف
وجهه أن يكون مستثنى من قوله فسيحوا في الأرض لأن الكلام خطاب للمسلمين
ومعناه براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين فقولوا لهم
سيحوا في الأرض إلا الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقصوكم فأتموا إليهم عهدهم
إلى مدتهم والاستثناء بمعنى الاستدراك كأنه قيل بعد أن أمروا في الناكثين ولكن
الذين لم ينكثوا فأتموا إليهم عهدهم ولا تجروهم مجراهم ولا تجعلوا الوافي
كالغادر إن الله يحب المتقين يعني أن قضية التقوى تقتضي أن لا يسوى بين
الفريقين يعني الموفي بالعهد والناكث له والغادر فيه قوله عز وجل فإذا انسلخ
الأشهر الحرم يعني فإذا مضت الأشهر الحرم وانقضت وهي رجب وذو القعدة
وذو الحجة والمحرم وقال مجاهد ومحمد بن إسحاق هي شهور العهد سميت حرما لحرمة
نقض العهد فيها فمن كان له عهد فعهده أربعة أشهر ومن لا عهد له فأجله إلى انقضاء
المحرم وذلك خمسون يوما وقيل إنما قيل لها حرم لأن الله حرم على المؤمنين
دماء المشركين والتعرض لهم فإن قلت على هذا القول هذه المدة وهي
الخمسون يوما بعض الأشهر الحرم والله تعالى يقول فإذا انسلخ الأشهر
الحرم قلت لما كان هذا القدر من الأشهر متصلا بما مضى أطلق عليه اسم
الجمع والمعنى فإذا مضت فإذا مضت المدة المضروبة التي يكون معها انسلاخ
الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم يعني في الحل والحرم وهذا
أمر إطلاق يعني اقتلوهم في أي وقت وأي مكان وجدتموهم وخذوهم يعني
وأسروهم واحصروهم يعني واحبسوهم وقال ابن عباس يريد إن تحصنوا فاحصروهم
وامنعوهم من الخروج وقيل امنعوهم من دخول مكة والتصرف في بلاد الإسلام
واقعدوا لهم كل مرصد يعني على كل طريق والمرصد الموضع الذي يقعد فيه للعدو
من رصدت الشيء أرصده إذا ترقبته والمعنى كونوا لهم رصدا حتى تأخذوهم من
أي وجهة توجهوا وقيل معناه اقعدوا لهم بطريق مكة حتى لا يدخلوها فإن تابوا

يعني

يعني من الشرك ورجعوا إلى الإيمان وأقاموا الصلاة يعني وأتموا أركان الصلاة المفروضة
وآتوا الزكاة الواجبة عليهم طيبة بها أنفسهم فخلوا سبيلهم يعني إلى الدخول إلى
مكة والتصرف في بلادهم إن الله غفور يعني لمن تاب ورجع من الشرك إلى الإيمان ومن
المعصية إلى الطاعة رحيم يعني بأوليائه وأهل طاعته قال الحسين بن الفضل
نسخت هذه الآية كل آية فيها ذكر الإعراض عن المشركين والصبر على أذى الأعداء
قوله تعالى وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله يعني
وإن استأمنك يا محمد أحد من المشركين الذين أمرتك بقتالهم وقتلهم بعد انسلاخ
من الأشهر الحرم ليسمع كلام الله الذي أنزله عليك وهو القرآن فأجره حتى يسمعه
ويعرف ما له من الثواب إن آمن وما عليه من العقاب إن أصر على الشرك ثم أبلغه
مأمنه يعني إن لم يسلم أبلغه إلى الموضع الذي يأمن فيه وهو دار قومه وإن قاتلك
بعد ذلك وقدرت عليه فاقتله ذلك بأنهم قوم لا يعلمون أي لا يعلمون دين الله
وتوحيده فهم يحتاجون إلى سماع كلام الله عز وجل قال الحسن هذه الآية محكمة
إلى يوم القيامة كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله هذا على وجه
التعجب ومعناه الجحد أي لا يكون لهم عهد عند الله ولا عند رسوله وهم يغدرون
وينقضون العهد ثم استثنى فقال تعالى إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام
قال ابن عباس هم قريش وقال قتادة هم أهل مكة الذين عاهدهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية وقال السدي ومحمد بن عباد ومحمد بن إسحاق
هم بنو خزيمة وبنو الديل قبائل من بكر الذين كانوا دخلوا في عهد قريش وعقدهم
يوم الحديبية وقال مجاهد هم أهل العهد من خزاعة فما استقاموا لكم يعني
على العهد فاستقيموا لهم يعني ما أقاموا على العهد ثم إنهم لم يستقيموا
ونقضوا العهد وأعانوا بني بكر على خزاعة فضرب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعد الفتح أربعة أشهر يختارون من أمرهم إما أن يسلموا وإما أن يلحقوا بأي
بلاد شاؤوا فأسلموا قبل الأربعة أشهر والصواب من ذلك قول من قال
إنهم من قبائل بني بكر وهم خزيمة وبنو مدلج من ضميرة وبنو الديل وهم الذين
كانوا قد دخلوا في عهد قريش يوم الحديبية ولم يكن نقض العهد إلا قريش
وبنو الديل من بني بكر فأمر بإتمام العهد لمن لم ينقض وهم بنو ضميرة وإنما كان
الصواب هذا القول لأن هذه الآيات نزلت بعد نقض قريش العهد وذلك
قبل فتح مكة لأن بعد الفتح كيف يقول لشيء قد مضى فما استقاموا لكم فاستقيموا
لهم وإنما هم الذين قال الله عز وجل فيهم إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم
ينقصوكم شيئا كما نقصكم قريش ولم يظاهروا عليكم أحدا كما ظاهرت قريش
بني بكر على خزاعة وهم حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى إن الله
يحب المتقين يعني أن الله تعالى يحب الذين يوفون بالعهد إذا عاهدوا ويتقون
نقضه كيف وإن يظهروا عليكم هذا مردود على الآية الأولى تقديره وكيف

يكون لهم عهد وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة وقال الاخفش معناه
كيف لا تقتلونهم وهم ان يظهروا عليكم اي يظفروا بكم ويعلوا عليكم لا يرقبوا اي لا يحفظوا
وقيل معناه لا ينتظروا وقيل معناه لا يراعوا فيكم الا قال ابن عباس يعني قرابة وقيل
رحما وهذا معنى قول ابن عباس وقال قتادة الال الحلف وقال السدي هو العهد
وكذلك الذمة وانما كرر للتاكيد او لاختلاف اللفظين وقال ابو مجلز ومجاهد
الال هو الله عز وجل ومنه قول ابي بكر الصديق لما سمع كلام مسيلمة الكذاب
ان هذا الكلام لم يخرج من ال يعني من الله وعلى هذا القول يكون معنى الآية لا يرقبون
الله فيكم ولا يحفظونه ولا يراعونه ولا ذمة يعني ولا يحفظون عهدا يرضونكم بافواههم
وتابى قلوبهم يعني يطيعونكم بالسنتهم بخلاف ما في قلوبهم واكثرهم فاسقون
فان قلت ان الموصوفين بهذه الصفة كفار والكفر اخبث واقبح من الفسق
فكيف وصفهم بالفسق في معرض الذم وما الفائدة في قوله واكثرهم فاسقون
مع ان الكفار كلهم فاسقون قلت قد يكون الكافر عدلا في دينه وقد يكون
فاسقا خبيث النفس في دينه فالمراد بوصفهم بكونهم فاسقين لانهم نقضوا
العهد وما لم يوافوا به كما قال تعالى واكثرهم فاسقون وقوله تعالى اشتروا بآيات الله
ثمنا قليلا يعني استبدلوا بآيات القرآن والايمان بها عوضا قليلا من متاع
الدنيا وذلك انهم لما نقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله صلى الله
عليه وسلم بسبب اكلة اطعمهم ابو سفيان بن حرب ذمهم الله بذلك قال مجاهد اطعم
ابو سفيان حلفاءه وترك حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فصدوا عن
سبيله يعني ومنعوا الناس عن الدخول في دين الله قال ابن عباس وذلك ان
اهل الطائف امدوهم بالاموال ليقووهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم
انهم ساء ما كانوا يعملون يعني من الشرك ونقضهم العهد ومنعهم الناس عن الدخول
في دين الاسلام لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة يعني ان هؤلاء المشركين لا
يراقبون في مؤمن عهدا ولا ذمة اذ قدروا عليه قتلوه فلم تبقوا انتم عليهم
كما لم يبقوا عليكم اذا ظهروا عليكم واولئك هم المعتدون يعني في نقض قوله
عز وجل فان تابوا يعني فان رجعوا عن الشرك الى الايمان وعن نقض العهد الى الوفا
به واقاموا الصلاة يعني المفروضة عليهم بجميع حدودها واركانها وآتوا الزكاة
يعني وبذلوا الزكاة المفروضة عليهم طيبة بها انفسهم فاخوانكم في الدين يعني
اذا فعلوا ذلك فهم اخوانكم لهم ما لكم وعليهم ما عليكم ونفصل الآيات لقوم يعلمون
يعني ونبين حجج ادلتنا ونوضح بيان آياتنا لمن يعلم ذلك ويفهمه قال ابن عباس حرمت
هذه الآية دماء اهل القبلة وقال ابن مسعود امرتم بالصلاة والزكاة فمن لم يزك
فلا صلاة له وقال ابن زيد افترضت الصلاة والزكاة جميعا فلم يفرق بينهما
وابى ان يقبل الصلاة الا بالزكاة وقال يرحم الله ابا بكر ما كان افقهه يعني بذلك
ما ذكره في حق من منع الزكاة وهو قوله والله لا افرق بين شيئين جمع الله بينهما

يعني الصلاة والزكاة ق عن ابي هريرة قال لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم واستخلف
ابو بكر وكفر من كفر من العرب قال عمر بن الخطاب لابي بكر كيف نقاتل الناس
وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يقولوا لا اله الا الله فمن قال
لا اله الا الله فقد عصم مني ماله ونفسه الا بحقه وحسابه على الله عز وجل
فقال ابو بكر والله لاقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق
المال والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونه وفي رواية عقالا كانوا يؤدونه
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها فقال عمر فوالله ما هو الا
ان رايت ان الله شرح صدر ابي بكر للقتال فعرفت انه الحق خ عن انس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا واكل ذبيحتنا
فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله وقوله عز وجل وان نكثوا ايمانهم
يعني وان نقضوا عهودهم من بعد عهدهم يعني من بعد ما عاهدوكم عليه ان لا يقاتلوكم
ولا يظاهروا عليكم احدا من اعدائكم وطعنوا في دينكم يعني وعابوا دينكم الذي
انتم عليه وقدحوا فيه وثلبوه وفي هذا دليل على ان الذمي اذا طعن في دين الاسلام
وعابه ظاهرا لا يبقى له عهد والمراد بهؤلاء الذين نقضوا العهد كفار قريش
وهو قوله فقاتلوا ائمة الكفر يعني رؤس المشركين وقادتهم قال ابن عباس
نزلت في ابي سفيان بن حرب والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وابي جهل
وابنه عكرمة وسائر رؤساء قريش وهم الذين نقضوا عهدهم وهموا باخراج الرسول
وقيل اراد جميع الكفار وانما ذكر الائمة لانهم الرؤساء والقادة في قتالهم
قتال للاتباع وقال مجاهد هم فارس والروم وقال حذيفة بن اليمان ما قوتل
اهل هذه الآية بعد ولم يات اهلها ولعل حذيفة اراد بذلك ان الذين يظهرون
مع الدجال من اليهود فانهم ائمة الكفر في ذلك الزمان والله اعلم بمراد حذيفة
وقوله تعالى انهم لا ايمان لهم جمع يمين اي لا عهد لهم وقيل معناه انهم لا وفاء لهم
بالعهود وقرئ لا ايمان لهم بكسر الهمزة ومعناه لا دين لهم ولا تصديق وقيل
لا يؤمنون الامان اي قاتلوهم حيث وجدتموهم ولا تؤمنوهم لعلهم ينتهون اي لكي
ينتهوا عن الطعن في دينكم ويرجعوا عن الكفر الى الايمان ثم حض المؤمنين
على جهاد الكفار وبين السبب في ذلك فقال تعالى الا تقاتلون قوما نكثوا
ايمانهم يعني نقضوا عهدهم وهم الذين نقضوا عهد الصلح بالحديبية واعانوا
بني بكر على خزاعة وهموا باخراج الرسول يعني من مكة حين اجتمعوا في دار الندوة
وهم بدؤكم يعني بالقتال اول مرة يعني يوم بدر وذلك انهم قالوا لا ننصرف
حتى نستاصل محمدا واصحابه وقيل اراد به بداءتهم بالقتال لخزاعة حلفاء رسول الله
صلى الله عليه وسلم اتخشونهم يعني اتخافون ان ينالكم منهم مكروه فتتركون قتالهم
فالله احق ان تخشوه يعني في ترك القتال ان كنتم مؤمنين يعني ان كنتم مصدقين
بوعد الله ووعيده قوله تعالى قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم يريد بالتعذيب

القتل يعني يقتلهم الله بايديكم **فان قلت** كيف الجمع بين قوله يعذبهم
الله بايديكم وبين قوله وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم **قلت** المراد بقوله
وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم عذاب الاستيصال يعني وما كان الله ليستاصلهم
بالعذاب جميعا وانت فيهم والمراد بقوله قاتلوهم يعني الذين بدءوا بالقتال
فامر الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمومنين بقتال من قاتلهم ونقض عهدهم
والفرق بين العذابين ان عذاب الاستيصال يتعدى الى المذنب وغير
المذنب والى المخالف والموافق وعذاب القتل لا يتعدى الا الى المذنب المخالف
وقوله تعالى **ويخزهم** يعني ويذلهم بالقهر والاسر وينزل بهم الذل والهوان
وينصركم عليهم يعني بان يظفركم بهم **ويشف صدور قوم مومنين** يعني ويبري
داء قلوبهم بما كانوا ينالونه من الاذى منهم ومن المعلوم ان من طال تاذيه
من خصمه ثم مكنه الله منه فانه يفرح بذلك ويعظم سروره ويصير ذلك سببا
لقوة اليقين وثبات العزيمة قال مجاهد والسدي اراد صدور خزاعة حلفا
رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث اعانت قريش بني بكر على خزاعة حتى قتلوا
فيهم ثم شفى الله صدور خزاعة من بني بكر حتى اخذوا ثارهم منهم بالنبي صلى الله
عليه وسلم واصحابه **ويذهب غيظ قلوبهم** يعني ويذهب وجد قلوبهم بما نالوه
من بني بكر وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم فتح مكة ارفعوا السيف
الا خزاعة من بني بكر الى العصر ذكره البغوي بغير سند ثم قال تعالى **ويتوب
الله على من يشا** وهذا كلام مستانف ليس له تعلق بالاول والمعنى ويهدي الله
من يشا الى الاسلام فيمن عليه بالتوبة عن الشرك والكفر ويهديه الى الاسلام
كما فعل بابي سفيان بن حرب وعكرمة بن ابي جهل وسهيل بن عمرو فهولا كانوا ايمة
الكفر وروسا المشركين ثم من الله عليهم بالاسلام يوم فتح مكة فاسلموا
والله عليم يعني بسراير عباده ومن سبقت له العناية الازلية بالسعادة
فيتوب عليه ويهديه الى الاسلام **حكيم** يعني في جميع افعاله قوله عز وجل
ام حسبتم ان تتركوا هذا من الاستفهام المعترض في وسط الكلام ولذلك
ادخلت فيه ام ليفرق بينه وبين الاستفهام المبتدا والمعنى اظننتم ايها المومنون
ان تتركوا فلم تومروا بالجهاد ولا تمتحنوا ليظهر الصادق من الكاذب **ولما يعلم
الله الذين جاهدوا منكم** يعني بالعلم المعلوم لان وجود الشي يلزمه معلوم
الوجود عند الله لا جرم جعل علم الله لوجوده كناية عن وجوده قال الامام
فخر الدين الرازي ونقل الواحدي عن الزجاج اي العلم الذي يجازي عليه لانه
انما يجازي على ما عملوا **ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المومنين
وليجة** قال الفرا الوليجة البطانة من المشركين يتخذونهم يفشون اليهم
اسرارهم وقال قتادة وليجة يعني خيانة وقال الضحاك وحنيفة وقال
عطا اوليا يعني لا تتخذوا المشركين اوليا من دون الله ورسوله والمومنين

وقال

وقال ابو عبيدة كل شي ادخلته في شي ليس منه فهو وليجة والرجل يكون في
القوم وليس منهم وليجة من الولوج ووليجة الرجل من يختصه بدخيلة امره
دون الناس وقال الراغب الوليجة كل ما يتخذه الانسان معتمدا عليه وليس
من قولهم فلان وليجة في القوم اذا دخل فيهم وليس منهم والمقصود من هذا
نهي المومنين من موالاة المشركين وان يفشوا اليهم اسرارهم **والله خبير
بما تعملون** يعني موالاة المشركين والاخلاص لعمل الله وحده قوله تعالى **ما كان
للمشركين ان يعمروا مسجد الله** يعني به المسجد الحرام وقري مساجد الله على
الجمع والمراد به المسجد الحرام ايضا وانما ذكره بلفظ الجمع لانه قبلة المساجد
كلها وسبب نزول هذه الاية ان جماعة من روسا كفار قريش اسروا يوم بدر
ومنهم العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل عليهم
نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعيرونهم بالشرك وجعل علي بن ابي
طالب يوبخ العباس بسبب قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطيعة الرحم
فقال العباس ما لكم تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا فقيل له وهل لكم
من محاسن قال نعم نحن افضل منكم نعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي
الحجيج ونفك العاني يعني الاسير فنزلت هذه الاية ما كان للمشركين اي ما ينبغي
للمشركين ان يعمروا مساجد الله اوجب الله على المسلمين منعهم من ذلك لان
المساجد انما تعمر لعبادة الله تعالى وحده فمن كان كافرا بالله فليس له ان يعمر
مساجد الله واختلفوا في المراد بالعمارة على قولين احدهما ان المراد بالعمارة
العمارة المعروفة من بنا المساجد وتشييدها ومرمتها عند خرابها فيمنع منه
الكافر حتى لو اوصى ببنا مسجد لم تقبل وصيته والقول الثاني ان المراد بالعمارة
دخول المسجد والقعود فيه فيمنع الكافر من دخول المسجد بغير اذن مسلم
حتى لو دخل بغير اذن مسلم عزر وان دخل باذن لم يعزر ويدل على جواز دخول
الكافر المسجد بالاذن ان النبي صلى الله عليه وسلم شد ثمامة بن اثال الى سارية
من سواري المسجد وهو كافر فالاولى تعظيم المساجد ومنعهم من دخولها وقوله
تعالى **شاهدين على انفسهم بالكفر** يعني لا يدخلون المساجد حال كونهم شاهدين
وقيل تقديره وهم شاهدون فلما حذفت وهم نصب قال ابن عباس شهادتهم
على انفسهم بالكفر سجودهم للاصنام وذلك ان كفار قريش كانوا قد نصبوا
اصنامهم خارج البيت الحرام عند القواعد وكانوا يطوفون بالبيت عراة كلما طافوا
طوفة سجدوا للاصنام فلم يزدادوا بذلك من الله الا بعدا وقال الحسن انهم لم
يقولوا انا كفار ولكن كلامهم بالكفر شهادة عليهم بالكفر وقال السدي شهادتهم
على انفسهم بالكفر هو ان النصراني يسال من انت فيقول نصراني واليهودي يقول
يهودي والمشرك يقول مشرك وقال ابن عباس في رواية عنه شاهدين على رسولهم
بالكفر لانه من انفسهم **اولئك حبطت اعمالهم** يعني الاعمال التي عملوها في حال

الكفر من اعمال البر مثل قرا الضيف وسقي الحاج وفك العاني لانها لم تكن لله
فلم يكن لها تاثير مع الكفر **وفي النار هم خالدون** يعني من مات منهم على كفره
قوله عز وجل **انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الاخر واقام الصلاة**
واتى الزكاة لما بين الله عز وجل ان الكافر ليس له ان يعمر مساجد الله بين في
هذه الاية من هو المستحق لعمارة المساجد وهو من امن بالله فان الايمان شرط
فيمن يعمر المسجد لان المسجد عبارة عن الموضع الذي يعبد الله فيه فمن لم
يكن مومنا بالله امتنع ان يعمر موضعا يعبد الله فيه واليوم الاخر يعني وامن
باليوم الاخر وانه حق كاين لان عمارة المسجد لاجل عبادة الله وجزا الجزاء
انما يكون في الاخرة فمن انكر الاخرة لم يعبد الله ولم يعمر له مسجدا فان قلت
لم لم يذكر الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم مع ان الايمان به شرط
في صحة الايمان قلت ان الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم
داخل في الايمان بالله فان من امن بالله واليوم الاخر فقد امن برسول الله
صلى الله عليه وسلم لانه من جهته عرف الايمان بالله واليوم الاخر لانه
هو الداعي الى ذلك وقيل ان المشركين كانوا يقولون ان محمدا انما ادعى النبوة
طلبا للرياسة والملك فاخبر الله عز وجل ان محمدا صلى الله عليه وسلم انما دعى
الى الايمان بالله واليوم الاخر لا لطلب الرياسة والملك فلذلك قال انما
يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الاخر وترك ذكر الايمان بالنبي صلى الله
عليه وسلم وقيل انه تعالى ذكر بعد الايمان بالله واليوم الاخر اقام الصلاة
وايتا الزكاة وكان ذلك مما جا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن اقام الصلاة
واتى الزكاة فقد امن برسول الله صلى الله عليه وسلم واعلم ان الاعتبار باقام
الصلاة وايتا الزكاة في عمارة المساجد ان الانسان اذا عمر المسجد لازمه
لاقامة الصلاة فيه ولا يشتغل بعمارة المساجد الا اذا كان موديا للزكاة
لان الزكاة واجبة وعمارة المساجد نافلة ولا يشتغل الانسان بالنافلة
الا بعد اكمال الفريضة الواجبة عليه وقوله تعالى **ولم يخش الا الله**
يعني ولم يخف في الدين غير الله ولم يترك امر الله لخشية الناس **فعسى**
اولئك ان يكونوا من المهتدين وعسى من الله واجب يعني واوليك هم المهتدون
المتمسكون بطاعة الله التي تودي الى الجنة عن ابي سعيد الخدري ان رسول
صلى الله عليه وسلم قال اذا رايتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالايمان
فان الله عز وجل يقول انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الاخر
الاية اخرجه الترمذي وقال حديث حسن **ق** عن ابي هريرة ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال من غدا الى المسجد او راح اعد الله له في الجنة نزلا كلما غدا او
راح النزل ما يهيا للضيف عند نزوله بالقول **ق** عن عثمان بن عفان قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من بنى مسجدا يبتغي به وجه الله

بنى الله له بيتا في الجنة وفي رواية بنى الله في الجنة مثله وعن انس ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من بنى لله مسجدا صغيرا كان او كبيرا بنى الله له بيتا في
الجنة اخرجه الترمذي عن عمرو بن عبسة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من بنى لله مسجدا ليذكر الله فيه بنى الله له بيتا في الجنة اخرجه النساى
قوله تعالى **اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام** الاية **م** عن النعمان بن
بشير قال كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ابالي ان لا اعمل عملا
بعد الاسلام الا ان اعمر المسجد الحرام وقال الاخر الجهاد في سبيل الله افضل
مما قلتم فزجرهم عمر وقال لا ترفعوا اصواتكم عند منبر النبي صلى الله عليه وسلم
وهو يوم الجمعة ولكن اذا صليت الجمعة دخلت فاستفتيته فيما اختلفتم فيه فانزل
الله عز وجل اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن امن بالله واليوم الاخر
الى اخرها وقال ابن عباس حين اسر يوم بدر لين كنتم سبقتمونا بالاسلام
والهجرة والجهاد لقد كنا نعمر المسجد الحرام ونسقي الحاج فانزل الله هذه الاية
واخبر ان عمارتهم المسجد الحرام وقيامهم على السقاية لا ينفعهم مع الشرك بالله
فان الايمان والجهاد مع النبي خير مما هم عليه وقال الحسن والشعبي ومحمد بن كعب
القرظي نزلت في علي بن ابي طالب والعباس بن عبد المطلب وطلحة بن شيبة افتخروا
فقال طلحة انا صاحب البيت بيدي مفاتيحه وقال العباس وانا صاحب السقاية
والقيام عليها وقال علي ما ادري ما يقولون لقد صليت الى القبلة ستة اشهر
قبل الناس وانا صاحب الجهاد فانزل الله هذه الاية اجعلتم سقاية الحاج وعمارة
مصدر كالرعاية والحماية وهي سقي الحاج وكان العباس بن عبد المطلب بيده
سقاية الحاج وكان يليها في الجاهلية فلما جاء الاسلام واسلم العباس اقره
رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك وعمارة المسجد الحرام يعني بناه وتشييده
ومرمته **كمن امن بالله واليوم الاخر** فيه حذف تقديره كايمان من امن بالله
واليوم الاخر **وجاهد في سبيل الله** اي وكجهاد من جاهد في سبيل الله وقيل
السقاية والعمارة بمعنى الساقي والعامر تقديره اجعلتم ساقي الحاج وعامر
المسجد الحرام كمن امن بالله واليوم الاخر وجاهد في سبيل الله **لا يستوون**
عند الله يعني لا يستوي حال هولا الذين امنوا بالله وجاهدوا في سبيل الله
بحال من سقى الحاج وعمر المسجد الحرام وهو مقيم على شركه وكفره لان الله لا يقبل
عملا الا مع الايمان به **والله لا يهدي القوم الظالمين** **خ** عن ابن عباس ان رسول
صلى الله عليه وسلم جاء الى السقاية فاستسقى فقال العباس يا فضل اذهب الى
امك فات رسول الله صلى الله عليه وسلم بشراب من عندها فقال اسقني فقال
يا رسول الله انهم يجعلون ايديهم فيه قال اسقني فشرب منه ثم اتى زمزم وهم
يستقون ويعملون فيها فقال اعملوا فانكم على عمل صالح ثم قال لولا ان تغلبوا
لنزلت حتى اضع الحبل على هذه يعني عاتقه **م** عن بكر بن عبد الله المزني قال كنت

الله

جالسا مع ابن عباس عند الكعبة فاتاه اعرابي فقال مالي ارى بني عمكم يسقون
العسل واللبن وانتم تسقون النبيذ امن حاجة بكم ام من بخل فقال ابن عباس
الحمد لله ما بنا من حاجة ولا بخل انما قدم النبي صلى الله عليه وسلم على راحلته وخلفه
اسامة فاستسقى فاتيناه بانا من نبيذ فشرب وسقى فضله اسامة فقال
احسنتم او اجملتم كذا فاصنعوا فلا نريد تغيير ما امر به النبي صلى الله عليه وسلم
النبيذ تمر ينقع في الماء غدوة ويشرب عشيا او ينقع عشيا ويشرب غدوة وهو
حلال فان غلا واشتد حرم قوله عز وجل الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في
سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله يعني من كان موصوفا
بهذه الصفات يعني الايمان والهجرة والجهاد في سبيل الله بالمال والنفس
كان اعظم درجة عند الله ممن افتخر بالسقاية وعمارة المسجد الحرام وانما لم يذكر
المفضل عليه المرجوح لبيان فضل القسم الراجح على الاطلاق على من سواهم والمراد
بالدرجة المنزلة والرفعة عند الله في الاخرة واولئك يعني من هذه صفته
هم الفائزون يعني بسعادة الدنيا والاخرة يبشرهم ربهم يعني يخبرهم
والبشارة الخبر السار الذي يفرح الانسان عند سماعه وتستنير بشرة
وجهه عند سماع ذلك الخبر السار ثم ذكر ذلك الذي يبشرهم به فقال تعالى
برحمة منه ورضوان وهذا اعظم البشارات لان الرحمة والرضوان من الله
عز وجل على العبد نهاية مقصوده وجنات لهم فيها نعيم مقيم يعني ان نعيم
الجنة دائم غير منقطع ابدا خالدين فيها يعني في الجنات وفي النعيم ابدا يعني
لا انقطاع له ان الله عنده اجر عظيم يعني لمن عمل بطاعته وجاهد في سبيله
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اباءكم واخوانكم اولياء قال مجاهد
هذه الاية متصلة بما قبلها نزلت في قصة العباس وطلحة وامتناعهما من
الهجرة وقال ابن عباس لما امر النبي صلى الله عليه وسلم الناس بالهجرة الى المدينة
فمنهم من تعلق به اهله واولاده يقولون ننشدك بالله ان تضيعنا فيرق
لهم فيقيم عليهم ويدع الهجرة فانزل الله هذه الاية وقال مقاتل نزلت في
التسعة الذين ارتدوا عن الاسلام ولحقوا بمكة فنهى الله المومنين عن
موالاتهم وانزل الله يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اباءكم واخوانكم اولياء يعني
بطانة واصدقاء تفشون اليهم اسراركم وتوثرون المقام معهم على الهجرة
قال بعضهم حمل هذه الاية على ترك الهجرة مشكل لان هذه السورة نزلت بعد
الفتح وهي من اخر القران نزولا والاقرب ان يقال ان الله تعالى لما امر المومنين
بالتبري من المشركين قالوا كيف يمكن ان يقاطع الرجل اباه واخاه وابنه فذكر
الله ان مقاطعة الرجل اهله واقاربه في الدين واجبة فالمومن لا يوالي الكافر
وان كان اباه واخاه وابنه وهو قوله تعالى ان استحبوا الكفر على الايمان
يعني ان اختاروا الكفر واقاموا عليه وتركوا الايمان بالله ورسوله

ومن

ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون يعني ومن يختار المقام معهم على الهجرة
والجهاد فقد ظلم نفسه بمخالفة امر الله واختيار الكفار على المومنين ولما نزلت
هذه الاية قال الذين اسلموا ولم يهاجروا ان نحن هاجرنا ضاعت اموالنا وذهبت
تجارتنا وخربت دورنا وقطعنا ارحامنا فانزل الله تعالى قل اي قل يا محمد لهولا
الذين قالوا هذه المقالة ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم
وقرئ على الجمع وعشيراتكم العشيرة هم الادنون من اهل الانسان الذين يعاشرونه
دون غيرهم واموال اقترفتموها يعني اكتسبتموها وتجارة تخشون كسادها
يعني بفراقكم لها ومساكن ترضونها يعني تستوطنونها راضين بسكناها
احب اليكم من الله ورسوله يعني احب اليكم من الهجرة الى الله ورسوله وجهاد
في سبيله فبين الله تعالى انه يجب تحمل جميع المضار في الدنيا ليبقى الدين سليما
والجزاء انه كان رعاية هذه المصالح الدنيوية عندكم اولى من طاعة الله وطاعة
رسوله ومن المجاهدة في سبيل الله فتربصوا اي فانتظروا حتى ياتي الله بامره
يعني بقضائه وهذا امر تهديد وتخويف وقال مجاهد ومقاتل يعني بفتح مكة
والله لا يهدي القوم الفاسقين يعني الخارجين عن طاعته وفي هذه دليل على انه
اذا وقع تعارض بين مصالح الدين ومصالح الدنيا وجب على المسلم ترجيح مصالح
الدين على مصالح الدنيا قوله عز وجل لقد نصركم الله النصر المعونة على الاعداء
باظهار المسلمين عليهم في مواطن كثيرة يعني اماكن كثيرة والمراد به غزوات
رسول الله صلى الله عليه وسلم وسراياه وبعوثه وكانت غزوات رسول الله صلى الله
عليه وسلم على ما ذكر في الصحيحين من حديث زيد بن ارقم تسع عشرة غزوة زاد
بريدة في حديثه قاتل في ثمان منهن ويقال ان جميع غزواته وسراياه وبعوثه
سبعون وقيل ثمانون وهو قوله تعالى لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم
حنين يعني ونصركم الله يوم حنين ايضا فاعلم الله بانه هو الذي يتولى نصر
المومنين في كل موقف وموطن ومن يتولى الله نصره فلا غالب له وحنين اسم
واد قريب من الطايف بينه وبين مكة بضعة عشر ميلا وقال عروة هو الى جنب
ذي المجاز وكانت قصة حنين على ما نقله الرواة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
فتح مكة وقد بقيت عليه ايام من شهر رمضان ثم خرج الى حنين لقتال هوازن وثقيف
في اثني عشر الفا وقال الكلبي كانوا عشرة الاف من المهاجرين والانصار والفان
من الطلقاء وقال عطاء كانوا ستة عشر الفا وقال الكلبي كانوا عشرة الاف وكانوا
يوميذ اكثر ما كانوا قط وكان المشركون اربعة الاف من هوازن وثقيف وكان على
هوازن مالك بن عوف النصري وعلى ثقيف كنانة بن عبد ياليل فلما التقى الجمعان
قال رجل من الانصار يقال له سلمة بن سلامة بن وقش لن نغلب اليوم عن
قلة فساء رسول الله صلى الله عليه وسلم كلامه ووكلوا الى كلمة الرجل وفي رواية
فلم يرض الله قوله ووكلهم الى انفسهم وذكر ابن الجوزي عن سعيد بن المسيب

ان الثابت لذ للنا ابو بكر الصديق وحكى ابن جرير الطبري ان القايل لذلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم واسناد هذه الكلمة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه
بعد لانه صلى الله عليه وسلم كان في جميع احواله متوكلا على الله عز وجل لا يلتفت
الى كثرة عدد ولا الى غيره بل نظره الى ما ياتي من عند الله عز وجل من النصر والمعونة
قالوا فلما التقى الجمعان اقتتلوا قتالا شديدا فانهزم المشركون وخلوا عن
الذراري ثم تنادوا يا حماة السواد اذكروا الفضايح فتراجعوا وانكشف المسلمون
وقال قتادة ذكر لنا ان الطلقا انجفلوا يومئذ بالناس فلما انجفل القوم هربوا
ق عن ابي اسحاق قال جاء رجل الى البرا فقال اكنتم وليتم يوم حنين يا ابا عمارة
فقال اشهد على نبي الله صلى الله عليه وسلم ما ولى ولكنه انطلق اخفا من الناس حسر
وحسر الى هذا الحي من هوازن وهم قوم رماة فرموهم برشق من نبل كانها رجل من جراد
فانكشفوا فاقبل القوم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو سفيان بن حرب
يقود به بغلته فنزل ودعا واستنصر وهو يقول •
• انا النبي لا كذب • انا ابن عبد المطلب •
اللهم نزل نصرك زاد ابو خيثمة ثم صفهم قال البرا كنا والله اذا احمر الباس نتقي
به وان الشجاع منا الذي يحاذي به يعني النبي صلى الله عليه وسلم ولمسلم عن ابي اسحاق
قال قال رجل للبرا بن عازب يا ابا عمارة فررتم يوم حنين قال لا والله ما ولى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنه خرج شبان اصحابه واخفا وهم حسر ليس
عليهم سلاح او كثير سلاح فلقوا قوما رماة لا يكاد يسقط لهم سهم جمع هوازن
وبني نصر فرشقوهم رشقا ما يكادون يخطيون فاقبلوا هنالك الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضا وابو سفيان
ابن الحرث بن عبد المطلب ثم صفهم وروى شعبة عن ابي اسحاق قال قال البرا
ان هوازن كانوا قوما رماة ولما لقيناهم حملنا عليهم فانهزموا فاقبل المسلمون
على الغنايم فاستقبلونا بالسهام فاما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يفر
فقوله ولكنه انطلق اخفا من الناس الاخفا جمع خفيف وهم المسرعون من الناس
الذين ليس لهم ما يعوقهم والحسر جمع حاسر وهو الذي لا درع عليه يقال اذا
رمى القوم باسرهم الى جهة واحدة رمينا رشقا والرجل من الجراد القطعة الكبيرة
منه وقوله احمر الباس يعني اشتد الحرب والباس بالبا الموحدة من تحت الشدة
والخوف قال الكلبي كانوا حول رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثمائة من
المسلمين وانهزم ساير الناس وقال غيره لم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم
يومئذ غير عمه العباس بن عبد المطلب وابن عمه ابو سفيان بن الحارث وايمن بن
ام ايمن قتل يومئذ بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا ايمن اخو
اسامة بن زيد لامه امهما بركة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم م عن العباس
بن عبد المطلب قال شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فلزمت

انا وابو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلم يفارقه ورسول الله صلى الله عليه وسلم له بغلة بيضا اهداها له فروة بن نفاثة
الجذامي فلما التقى المسلمون والكفار ولوا المسلمون مدبرين فطفق رسول الله
صلى الله عليه وسلم يركض بغلته قبل الكفار قال العباس وانا اخذ بلجام بغلة
رسول الله صلى الله عليه وسلم اكفها ارادة ان لا تسرع وابو سفيان اخذ بركاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اي عباس ناد اصحاب السمرة
فقال العباس وكان رجلا صيتا فقلت باعلا صوتي اين اصحاب السمرة قال فوالله
لكان عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على اولادها فقالوا لبيك يا لبيك فاقتتلوا
والكفار والدعوة في الانصار يقولون يا معشر الانصار ثم قصرت الدعوة على بني
الحارث بن الخزرج فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بغلته كالمتطاول عليها
الى قتالهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا حين حمي الوطيس ثم اخذ رسول الله
حصيات فرمى بها وجوه الكفار ثم قال انهزموا ورب محمد فذهبت انظر فاذا
القتال على هيئته فيما ارى قال فوالله ما هو الا ان رماهم بحصياته فما زلت
ارى حدهم كليلا وامرهم مدبرا وقوله حمي الوطيس اي اشتد الحرب قال الخطابي
هذه الكلمة لم تسمع قبل ان يقولها النبي صلى الله عليه وسلم من العرب وهي مما
اقتضبه وانشاه والوطيس في اللغة التنور وهو قوله حدهم كليلا يعني لا
يقطع شيا وعن سلمة بن الاكوع قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
حنينا قال فلما غشوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل عن بغلته ثم قبض
قبضة من تراب الارض ثم استقبل وجوههم وقال شاهت الوجوه فما خلف
الا منهم انسانا الا ملا عينيه ترابا بتلك القبضة فولوا مدبرين فهزمهم الله
وقسم غنايمهم بين المسلمين اخرجه مسلم بزيادة فيه قال سعيد بن جبير
امد الله نبيه صلى الله عليه وسلم بخمسة الاف من الملايكة مسومين وروى
ان رجلا من بني نصر يقال له شجرة قال للمومنين بعد القتال اين الخيل البلق
والرجال عليهم ثياب بيض ما كنا نراكم فيكم الا كهيئة الشامة وما كان قتلنا
الا بايديهم فاخبروا بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تلك الملايكة
وروى ان رجلا من المشركين قال يوم حنين لما التقينا واصحاب محمد لم يقفوا
لنا حلب شاة ان كشفناهم فبينا نحن نسوقهم حتى انتهينا الى صاحب البغلة
البيضا فاذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فتلقانا عنده رجال بيض
الوجوه حسان الوجوه فقالوا لنا شاهت الوجوه ارجعوا قال فانهزمنا وركبوا
اكتافنا فكانت اياها واختلفوا هل قاتلت الملايكة يوم حنين مددا وعونا
وذكر البغوي ان الزهري قال بلغني ان شيبة بن عثمان قال استدبرت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوم حنين وانا اريد قتله بطلحة بن عثمان وعثمان بن ابي طلحة
وكانا قد قتلا يوم احد فاطلع الله رسوله صلى الله عليه وسلم على ما في نفسي فالتفت

الي وضرب في صدري وقال اعيذك بالله يا شيبة فارعدت فرايصي فنظرت اليه
وهو احب الي من سمعي وبصري فقلت اشهد انك رسول الله قد اطلعك الله على ما
في نفسي فلما هزم الله المشركين وولوا مدبرين حتى اتوا اوطاس وبها عيالهم
واموالهم فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من الاشعريين يقال له ابو
عامر وامره على الجيش فسار الى اوطاس فاقتتلوا بها وقتل دريد بن الصمة وهزم
الله المشركين وسبى المسلمون عيال المشركين وهرب اميرهم مالك بن عوف
النصري فاتى الطايف فتحصن بها واخذ ماله واهله فيمن اخذ وقتل ابو عامر
امير المسلمين قال الزهري اخبرني سعيد بن المسيب انهم اصابوا يومئذ ستة
الاف سبي ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى الطايف فحاصرهم بقية ذلك
الشهر فلما دخل ذو القعدة وهو شهر حرام انصرف عنهم واتى الجعرانة فاحرم منها
بعمرة وقسم بها غنايم حنين واوطاس وتالف اناسا منهم ابو سفيان بن حرب
والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو والاقرع بن حابس فاعطاهم ق عن انس بن
مالك ان ناسا من الانصار قالوا يوم حنين حين افا الله على رسوله من اموال
هوازن ما افا الله فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطي رجالا من قريش
المائة من الابل فقالوا يغفر الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعطي قريشا
ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمايهم قال انس فحدث ذلك رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قولهم فارسل الى الانصار فجمعهم في قبة من ادم ولم يدع معهم غيرهم
فلما اجتمعوا جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حديث بلغني عنكم فقال
له فقهاء الانصار اما ذوو راينا يا رسول الله فلم يقولوا شيا واما اناس منا حديثة
اسنانهم فقالوا يغفر الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعطي قريشا ويتركنا
وسيوفنا تقطر من دمايهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاني اعطي رجالا
حديثي عهد بكفر اتالفهم افلا ترضون ان يذهب الناس بالاموال وترجعون
الى رحالكم برسول الله فوالله ما تنقلبون به خير مما ينقلبون به قالوا بلى يا رسول الله
قد رضينا قال فانكم ستجدون بعدي اثرة شديدة فاصبروا حتى تلقوا الله
ورسوله على الحوض قالوا سنصبر زاد في رواية قال انس فلم نصبر ق عن عبد الله
ابن زيد بن عاصم قال لما افا الله على رسوله صلى الله عليه وسلم يوم حنين
قسم في الناس في المولفة قلوبهم ولم يعط الانصار شيا فكانهم وجدوا اذ لم يصبهم
ما اصاب الناس فخطبهم فقال يا معشر الانصار الم اجدكم ضلالا فهداكم الله بي
وكنتم متفرقين فالفكم الله بي وعالة فاغناكم الله بي كلما قال شيا قالوا
الله ورسوله امن قال ما يمنعكم ان تجيبوا رسول الله كلما قال شيا قالوا الله
ورسوله امن قال لو شيتم قلتم جيتنا كذا وكذا اترضون ان يذهب الناس بالشاة
والبعير وتذهبون بالنبي الى رحالكم لولا الهجرة لكنت امرا من الانصار ولو سلك
الناس واديا او شعبا لسلكت وادي الانصار وشعبها الانصار شعار والناس دثار

م عن رافع

م عن رافع بن خديج قال اعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا سفيان بن حرب
وصفوان بن امية وعيينة بن حصن والاقرع بن حابس كل انسان منهم مائة من الابل
واعطى عباس بن مرداس دون ذلك فقال عباس بن مرداس اتجعل نهبي ونهب العبيد
بين عيينة والاقرع فما كان حصن ولا حابس يفوقان مرداس في مجمع وما كنت
دون امرئ منهما ومن تخفض اليوم لا يرفع قال فاتم له رسول الله صلى الله عليه وسلم
مائة خ عن المسور ومروان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قام حين جاءه وفد
هوازن مسلمين فسالوه ان يرد اليهم اموالهم وسبيهم فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان معي من ترون واحب الحديث الي اصدقه فاختاروا احدى الطايفتين
اما المال واما السبي وقد كنت استانيت بكم وفي رواية وقد كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم انتظرهم بضع عشرة ليلة حين قفل من الطايف فلما تبين لهم
ان النبي صلى الله عليه وسلم غير راد اليهم الا احدى الطايفتين قالوا اذا نختار
سبينا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس فاثنى على الله عز وجل
بما هو اهله ثم قال اما بعد فان اخوانكم هولاء جاوا تايبين واني قد رايت ان ارد
اليهم سبيهم فمن احب منكم ان يطيب ذلك لهم فليفعل فقال الناس قد طيبنا
ذلك لهم فقال لهم في ذلك انا لا ندري من اذن منكم ممن لم ياذن فارجعوا
حتى يرفع الينا عرفاؤكم امركم فرجع الناس فكلمهم عرفاؤهم ثم رجعوا الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه انهم قد طيبوا واذنوا فهذا الذي بلغنا
من سبي هوازن وانزل الله عز وجل في قصة حنين لقد نصركم الله في مواطن كثيرة
ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم يعني حين قلتم لن نغلب اليوم عن قلة فلم تغن
عنكم كثرتكم شيا يعني ان الظفر بالعدو ليس بكثرة العدد ولكن انما يكون بنصر الله
ومعونته وضاقت عليكم الارض بما رحبت يعني بسعتها وفضايها ثم وليتم
مدبرين يعني منهزمين ثم انزل الله سكينته يعني بعد الهزيمة والسكينة
الطمانينة والامنة وهي فعيلة من السكون وذلك ان الانسان اذا خاف
رجف فواده فلا يزال متحركا واذا امن سكن فواده وثبت فلما كان الامن موجبا
للسكون جعل لفظ السكينة كناية عن الامن وقوله تعالى على رسوله وعلى المومنين
انما كان انزال السكينة على المومنين لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
ساكن القلب ليس عنده اضطراب كما حصل للمومنين من الهزيمة والاضطراب
في هذه الواقعة ثم من الله عليهم بانزال السكينة حتى رجعوا الى قتال عدوهم
ورسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت لم يفر وانزل جنودا لم تروها يعني الملايكة
لتثبيت المومنين وتشجيعهم وتخذيل المشركين وتجبينهم لا للقتال لان الملايكة
لم تقاتل الا يوم بدر وعذب الذين كفروا يعني بالقتل والاسر وسبي العيال
وسلب الاموال وذلك جزاء الكافرين يعني في الدنيا ثم اذا اوصلوا الى الاخرة
كان لهم عذاب اشد من العذاب واعظم ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء يعني

فيهديه إلى الإسلام كما فعل بمن بقي من هوازن حيث أسلموا وقدموا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم تائبين فمنّ عليهم وأطلق سبيهم **والله غفور** لمن تاب **رحيم**
بعباده قوله عز وجل **يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس** قيل أراد بالمشركين
عبدة الأصنام دون غيرهم من أصناف الكفار وقيل بل أراد جميع أصناف الكفار
عبدة الأصنام وغيرهم من اليهود والنصارى والنجس الشيء القذر من الناس وغيرهم
وقيل النجس الخبيث وأراد بهذه النجاسة نجاسة الحكم لا نجاسة العين سموا نجسا
على الذم لأن الفقهاء اتفقوا على طهارة أبدانهم وقيل أنجاس العين كالكلب والخنزير
حتى قال الحسن بن صالح من مس مشركا فليتوضأ ويروى هذا عن الزيدية من الشيعة
والقول الأول أصح وقال قتادة سماهم نجسا لأنهم يجنبون فلا يغتسلون
ويحدثون فلا يتوضئون **فلا يقربوا المسجد الحرام** والمراد منعهم من دخول
الحرم فقد قربوا من المسجد يؤكد هذا قوله تعالى سبحان الذي أسرى بعبده
ليلا من المسجد الحرام أراد به الحرم لأنه أسري به صلى الله عليه وسلم من بيت أم
هانئ قال العلماء وجملة بلاد الإسلام في حق الكفار ثلاثة أقسام أحدها الحرم فلا
يجوز لكافر أن يدخله بحال ذميا كان أو مستأمنا لظاهر هذه الآية وبه قال الشافعي
وأحمد ومالك فلو جاء رسول من دار الكفر والإمام في الحرم فلم يأذن له في دخول
الحرم بل يخرج إليه بنفسه أو يبعث إليه من يسمع رسالته خارج الحرم وجوز
أبو حنيفة وأهل الكوفة للمعاهد دخول الحرم القسم الثاني من بلاد الإسلام
الحجاز وحده ما بين اليمامة وبين اليمن وبين نجد والمدينة الشريفة قيل نصفها
تهامي ونصفها حجازي وقيل كلها حجازي وقال ابن الكلبي حد الحجاز ما بين جبلي طي
وطريق العراق سمي حجازا لأنه حجز بين تهامة ونجد وقيل لأنه حجز بين نجد والسراة
وقيل لأنه حجز بين نجد وتهامة والشام قال الحربي وتبوك من الحجاز فيجوز للكفار
دخول أرض الحجاز بالإذن ولكن لا يقيمون فيها أكثر من مقام المسافر وهو ثلاثة أيام
م عن ابن عمر أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأخرجن اليهود والنصارى
من جزيرة العرب فلا أترك فيها إلا مسلما زاد في رواية لغير مسلم وأوصى فقال
أخرجوا المشركين من جزيرة العرب فلم يتفرغ لذلك أبو بكر وأجلاهم عمر في خلافته
وأجل لمن يقدم تاجرا ثلاثا ق عن ابن شهاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لا يجتمع دينان في جزيرة العرب أخرجه في الموطأ مرسلا م عن جابر قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون
في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم قال سعيد بن عبد العزيز جزيرة العرب
ما بين الوادي إلى أقصى اليمن إلى تخوم العراق إلى البحر وقال غيره حد جزيرة العرب
من أقصى عدن إلى ريف العراق في الطول ومن جدة وما والاها من ساحل البحر
إلى أطراف الشام عرضا والقسم الثالث سائر بلاد الإسلام فيجوز للكافر
أن يقيم فيها بعهد وأمان وذمة ولكن لا يدخلون المساجد إلا بإذن مسلم وقوله

تعالى **بعد عامهم هذا** يعني العام الذي حج فيه أبو بكر الصديق بالناس ونادى
علي ببراءة وأن لا يحج بعد العام مشرك وهو سنة تسع من الهجرة **وإن خفتم عيلة**
يعني فقرا وفاقة وذلك أن أهل مكة كانت معايشهم من التجارات وكان المشركون
يجلبون إلى مكة الطعام ويتجرون فلما منعوا من دخول الحرم وخاف أهل مكة
الفقر وضيق العيش فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله
تعالى وإن خفتم عيلة **فسوف يغنيكم الله من فضله** قال عكرمة فأغناهم الله
بأن أنزل المطر مدرارا وكثر خيرهم وقال مقاتل أسلم أهل جدة وصنعاء وجرش
من اليمن وجلبوا الميرة الكثيرة إلى مكة فكفاهم الله ما كانوا يخافون وقال
الضحاك وقتادة عوضهم الله منها الجزية فأغناهم بها **إن شاء** قيل إنما شرط
المشيئة في الغنى المطلوب ليكون الإنسان دائم التضرع والابتهال إلى الله
تعالى في طلب الخيرات ودفع الآفات وأن ينقطع العبد أمله عن كل أحد إلا من
الله عز وجل فإنه هو القادر على كل شيء قدير وقيل المقصود من ذكر هذا الشرط
تعليم رعاية الأدب كما في قوله لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله **إن الله
عليم** يعني بما يصلحكم **حكيم** يعني أنه تعالى لا يفعل شيئا إلا عن حكمة وصواب
فمن حكمه أن منع المشركين من دخول الحرم وأوجب الجزية والذل والصغار
على أهل الكتاب فقال تعالى **قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر**
قال مجاهد نزلت لما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتال الروم فغزى
بعد نزولها غزوة تبوك وقال الكلبي نزلت في قريظة والنضير من اليهود فصالحهم
فكانت أول جزية أصابها أهل الإسلام وأول ذل أصاب أهل الكتاب بأيدي
المسلمين وهذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه المؤمنين والمعنى قاتلوا
أيها المؤمنون القوم الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر **فإن قلت**
اليهود والنصارى يزعمون أنهم يؤمنون بالله واليوم الآخر فكيف أخبر الله
عنهم أنهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر **قلت** إن إيمانهم بالله
ليس كإيمان المؤمنين وذلك أن اليهود يعتقدون التجسيم ومن اعتقد ذلك
فليس بمؤمن بالله وقيل من اعتقد أن العزير ابن الله وأن المسيح ابن الله فليس
بمؤمن بالله بل هو مشرك بالله وقيل من كذب رسولا من رسل الله فليس بمؤمن
بالله واليهود والنصارى يكذبون أكثر الأنبياء فليسوا بمؤمنين بالله وأما
إيمانهم باليوم الآخر فليس كإيمان المؤمنين وذلك أنهم يعتقدون بعثة
الأرواح دون الأجساد ويعتقدون أن أهل الجنة لا يأكلون فيها ولا يشربون
ولا ينكحون ومن اعتقد ذلك فليس إيمانه كإيمان المؤمنين وإن زعم أنه مؤمن
وقوله تعالى **ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله** يعني ولا يحرمون الخمر والخنزير
وقيل معناه أنهم لا يحرمون ما حرم الله في القرآن وما حرم رسوله في السنة
وقيل معناه لا يعملون بما في التوراة والإنجيل بل حرفوهما وأتوا بأحكام من قبل

انفسهم **ولا يدينون دين الحق** يعني ولا يعتقدون صحة الاسلام الذي هو دين
الحق وقيل الحق هو الله تعالى ومعناه ولا يدينون دين الحق ودينه الاسلام بدليل
قوله ان الدين عند الله الاسلام وقيل معناه ولا يدينون دين اهل الحق وهم
المسلمون ولا يطيعون الله كطاعتهم **من الذين اوتوا الكتاب** يعني اعطوا الكتاب
وهم اليهود والنصارى **حتى يعطوا الجزية** وهو ما يعطي المعاهد من اهل الكتاب
على عهده وهي الخراج المضروب على رقابهم سميت جزية للاجتزاء بها في حقن دمائهم
عن يد يعني عن قهر وغلبة يقال لكل من اعطى شيئا كرها من غير طيب نفس اعطى عن يد
قال ابن عباس يعطونها بايديهم ولا يرسلون بها على يد غيرهم وقيل يعطونها نقدا لا
نسيئة وقيل يعطونها مع اقرارهم بانعام المسلمين عليهم بقبولها منهم **وهم
صاغرون** من الصغار وهو الذل والاهانة حتى يعطون الجزية وهم اذلاء مقهورون
وقال عكرمة يعطون الجزية وهم قيام والقابض جالس وقال ابن عباس تؤخذ
الجزية من احدهم وتوطأ عنقه وقال الكلبي اذا اعطى يصفع قفاه وقيل هو ان
يؤخذ بلحيته ويضرب في لهزمتيه ويقال له ادّ حق الله يا عدو الله وقال الشافعي
الصغار هو جريان احكام المسلمين عليهم **فصل** في بيان احكام الاية اجمعت
الامة على جواز اخذ الجزية من اهل الكتاب وهم اليهود والنصارى اذا لم يكونوا
عربا واختلفوا في الكتابي العربي وفي غير اهل الكتاب من كفار العجم فذهب
الشافعي الى ان الجزية على الاديان لا على الانساب فيؤخذ من اهل الكتاب عربا
كانوا او عجما ولا تؤخذ من عبدة الاوثان بحال واحتج بما روي عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه بعث خالد بن الوليد الى اكيدر دومة فاخذوه فاتوا به فحقن
دمه وصالحه على الجزية اخرجه ابو داود وقال الشافعي وهو رجل من العرب
يقال انه من غسان واخذ من اهل ذمة اليمن وعامتهم عرب وذهب مالك والاوزاعي
الى ان الجزية تؤخذ من جميع الكفار الا المرتد وقال ابو حنيفة تؤخذ من اهل
الكتاب على العموم وتؤخذ من مشركي العجم ولا تؤخذ من مشركي العرب وقال
ابو يوسف لا تؤخذ من العربي كتابيا كان او مشركا واما المجوس فاتفقت الصحابة
على جواز الاخذ منهم ويدل عليه ما روي عن بجالة بن عبدة ويقال عبدة لم يكن
عمر اخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اخذها من مجوس هجر اخرجه البخاري عن جعفر بن محمد عن ابيه ان عمر
ابن الخطاب ذكر المجوس فقال ما ادري كيف اصنع في امرهم فقال عبد الرحمن بن
عوف اشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سنوا بهم سنة اهل
الكتاب اخرجه مالك في موطئه عن ابن شهاب قال بلغني ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اخذ الجزية من مجوس البحرين وان عمر اخذها من مجوس فارس وان عثمان
اخذها من البربر اخرجه مالك في الموطأ وفي امتناع عمر عن اخذ الجزية من المجوس
حتى شهد عبد الرحمن ان النبي صلى الله عليه وسلم اخذها منهم دليل على ان راي الصحابة

كان على انها لا تؤخذ من كل مشرك وانما تؤخذ من اهل الكتاب واختلفوا في ان
هل هم من اهل الكتاب فروي عن علي بن ابي طالب انه قال كان لهم كتاب يدرسونه
فاصبحوا وقد اسري على كتابهم فرفع من بين اظهرهم واتفقوا على تحريم ذبائحهم
ومناكحتهم بخلاف اهل الكتاب واما من دخل في دين اليهود والنصارى من غيرهم
من المشركين نظر فان كان قد دخلوا فيه قبل النسخ والتبديل يقرون بالجزية
وتحل مناكحتهم وذبائحهم وان دخلوا في دينهم بعد النسخ بمجيء محمد صلى الله عليه وسلم
ونسخ شريعتهم بشريعته فلا يقرون بالجزية ولا تحل ذبائحهم ومناكحتهم ومن شككنا
في امرهم انهم هل دخلوا فيه بعد النسخ او قبله يقرون بالجزية تغليبا لحقن الدم
ولا تحل ذبائحهم ومناكحتهم تغليبا للتحريم فمنهم نصارى العرب من تنوخ وبهراء وبني
تغلب اقرهم عمر بالجزية وقال لا تحل لنا ذبائحهم واما الصابئة والسامرة
فسبيلهم سبيل اهل الكتاب فهم في اهل الكتاب كاهل البدع في المسلمين واما
قدر الجزية فاقلها دينار ولا يجوز ان ينقص عنه ويقبل الدينار من الغني والفقير
والمتوسط ويدل عليه ما روي عن معاذ بن جبل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما وجهه الى اليمن امره ان ياخذ من كل حالم يعني محتلم دينارا او عدله من المعافري
ثياب تكون باليمن اخرجه ابو داود فالنبي صلى الله عليه وسلم امره ان ياخذ من
كل محتلم وهو البالغ دينارا ولم يفرق بين الغني والفقير والمتوسط وفيه دليل
على انه لا تؤخذ الجزية من الصبيان والنساء وانما تؤخذ من الاحرار البالغين
وذهب قوم الى ان على كل موسر اربعة دنانير وعلى كل متوسط دينارين وعلى كل فقير
دينارا وهو قول اصحاب الرأي ويدل عليه ما روي عن اسلم ان عمر بن الخطاب ضرب
الجزية على اهل الذهب اربعة دنانير وعلى اهل الورق اربعين درهما مع ذلك
ارزاق المسلمين وضيافة ثلاثة ايام اخرجه مالك في الموطأ قال اصحاب الشافعي
اقل الجزية دينار لا يزاد على الدينار الا بالتراضي فاذا رضي اهل الذمة بالزيادة
ضربنا على المتوسط دينارين وعلى الغني اربعة دنانير قال العلماء انما اقر اهل
الكتاب على دينهم الباطل بخلاف اهل الشرك حرمة لآبائهم الذين انقرضوا على
الدين من شريعة التوراة والانجيل قبل النسخ والتبديل وايضا فان بايديهم
كتبا قديمة فربما تفكروا فيها فيعرفوا صدق محمد صلى الله عليه وسلم وصحة نبوته
فامهلوا لهذا المعنى وليس المقصود من اخذ الجزية اقرارهم على كفرهم بل المقصود
من ذلك حقن دمائهم وامهالهم رجاء ان يعرفوا الحق فيرجعون اليه بان يؤمنوا ويصدقوا
اذا راوا محاسن الاسلام وقوة دلائله وكثرة الداخلين فيه قوله عز وجل **وقالت
اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواههم**
الاية لما ذكر الله تعالى في الاية المتقدمة ان اليهود والنصارى لا يؤمنون بالله
ولا يدينون دين الحق بينه في هذه الاية واخبر عنهم انهم اثبتوا لله ولدا ومن جوز
ذلك على الله فقد اشرك به لانه لا فرق بين من يعبد صنما وبين من يعبد المسيح

بان هذا انهم لا يومنون بالله ولا يدينون دين الحق وقد تقدم سبب اخذ الجزية
منهم وابقاوهم على هذا الشرك وهو حرمة الكتب القديمة التي بايديهم ولعلهم
يتفكرون ويعرفون الحق فيرجعون اليه روي سعيد بن جبير وعكرمة عن
ابن عباس قال اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة من اليهود سلام بن
مشكم والنعمان بن اوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا كيف
نتبعك وقد تركت قبلتنا وانت لا تزعم ان عزير بن الله فانزل الله هذه الاية
وقال عبيد بن عمير انما قال هذه المقالة رجل واحد من اليهود اسمه فنحاص بن
عازوراء وهو الذي قال ان الله فقير ونحن اغنياء فعلى هذا ان القول القايل بهذه
المقالة جماعة من اليهود او واحد وانما نسب ذلك الى اليهود في وقالت اليهود
جريا على عادة العرب في ايقاع اسم الجماعة على الواحد تقول العرب فلان يركب
الخيل وانما يركب فرسا واحدا منها وتقول العرب فلان يجالس الملوك ولعله
لم يجالس الا واحدا منهم وروى عطية العوفي عن ابن عباس انه قال انما قالت
اليهود ذلك من اجل ان عزيرا كان فيهم وكانت التوراة عندهم والتابوت فاضاعوا
التوراة وعملوا بغير الحق فرفع الله عنهم التابوت وانساهم التوراة ونسخها
من صدورهم فدعا الله عزير وابتهل اليه ان يرد اليه التوراة فبينما هو يصلي
مبتهلا الى الله عز وجل نزل نور من السما فدخل جوفه فعادت اليه فاذن في قومه
وقال يا قوم قد اتاني الله التوراة وردها الي فعلقوا به يعلمهم ثم مكثوا ما شا الله
ثم ان التابوت نزل بعد ذهابه منهم فلما راوا التابوت عرضوا ما كان يعلمهم
عزير عليه في التابوت فوجدوه مثله فقالوا ما اوتي عزير هذا الا انه ابن الله
وقال الكلبي ان بخت نصر لما غزا بيت المقدس وظهر على بني اسرايل وقتل من قرا
التوراة وكان عزير اذ ذاك صغيرا فلم يقتله لصغره فلما رجع بنو اسرايل الى بيت
المقدس وليس فيهم من يقرا التوراة بعث الله عزيرا ليجدد لهم التوراة ويكون
لهم اية بعد ما اماته الله مائة سنة فاتى ملك باناء فيه ما فشرب منه فمثلت
التوراة في صدره فلما اتاهم قال انا عزير فكذبوه وقالوا ان كنت كما تزعم فامل
علينا التوراة فكتبها لهم من صدره ثم ان رجلا منهم قال ان ابي حدثني عن جدي
ان التوراة في خابية ودفنت في كرم فانطلقوا معه حتى اخرجوها فعارضوها
بما كتب لهم عزير فلم يجدوه غادر حرفا فقالوا ان الله لم يقذف التوراة في قلب
عزير الا انه ابنه فعند ذلك قالت اليهود عزير ابن الله فعلى هذا ان القول بان هذا
القول كان فاشيا في اليهود جميعا ثم انه انقطع ودرس فاخبر الله عنهم واظهره
عليهم ولا عبرة بانكار اليهود وذلك فان خبر الله عز وجل اصدق واثبت من انكارهم
واما قول النصارى المسيح ابن الله فكان السبب فيه انهم كانوا على الدين الحق
بعد رفع عيسى عليه السلام احدى وثمانين سنة يصلون الى القبلة ويصومون
حتى وقع بينهم وبين اليهود حرب وكان في اليهود رجل شجاع يقال له بولس قتل

جماعة من اصحاب عيسى عليه السلام فقال بولس لليهود ان كان الحق مع عيسى فقد
كفرنا والنار مصيرنا ونحن مغبونون ان دخلنا النار ودخلوا الجنة فاني
ساحتال واضلهم حتى يدخلوا النار معنا ثم انه عمد الى فرس كان يقاتل عليه
فعرقبه واظهر الندامة والتوبة ووضع التراب على راسه ثم انه اتى الى النصارى
فقالوا له من انت قال انا عدوكم بولس قد نوديت من السما انه ليست لك توبة حتى
تتنصر وقد تبت واتيتكم فادخلوه الكنيسة ونصروه ودخل بيتا فيها فلم
يخرج منه سنة حتى تعلم الانجيل ثم خرج وقال قد نوديت ان الله قد قبل
توبتك فصدقوه واحبوه وعلا شانه فيهم ثم انه عمد الى ثلاث رجال اسم
الواحد نسطور والاخر يعقوب ملكان فعلم نسطور ان عيسى ومريم والاله
ثلاثة وعلم يعقوب ان عيسى ليس بانسان ولكنه ابن الله وعلم ملكا ان عيسى
هو الله لم يزل ولا يزال فلما استمكن ذلك فيهم دعا كل واحد منهم في الخلوة وقال
له انت خالصتي فادع الناس لما علمتك وامره ان يذهب الى ناحية من البلاد
ثم قال لهم اني رايت عيسى في المنام وقد رضي عني وقال لكل واحد منهم اني ساذبح
نفسي تقربا الى عيسى ثم ذهب الى المذبح فذبح نفسه وتفرق اوليك الثلاثة
فذهب واحد الى الروم وواحد الى بيت المقدس وواحد الى ناحية اخرى واظهر
كل واحد مقالته ودعا الناس اليها فتبعه على ذلك طوايف من الناس فتفرقوا
واختلفوا ووقع القتال فكان ذلك سبب قولهم المسيح ابن عبد الله قال
الامام فخر الدين بعد ان حكى هذه الحكاية والاقرب عندي ان يقال لعل ورود
لفظ الابن في الانجيل على سبيل التشريف فما لغوا وفسروا لفظ الابن
بالبنوة الحقيقية والجهال قبلوا ذلك منهم ففشا هذا المذهب الفاسد في
اتباع عيسى عليه السلام والله اعلم بحقيقة الحال ذلك قولهم بافواههم يعني
انهم يقولون ذلك القول بالسنتهم من غير علم يرجعون اليه قال اهل المعاني لم يذكر
الله قولا مقرونا بالافواه والالسن الا كان ذلك القول زورا وكذبا لا حقيقة
له **يضاهون** قال ابن عباس يشابهون والمضاهاة المشابهة وقال مجاهد يواطئون
وقال الحسن يوافقون **قول الذين كفروا من قبل** قال قتادة والسدي معناه
ضاهت النصارى قول اليهود من قبلهم فقالوا المسيح ابن الله كما قالت اليهود عزير
ابن الله وقال مجاهد معناه يضاهون قول المشركين من قبل لان المشركين كانوا
يقولون ان الملايكة بنات الله قال الحسن شبه الله كفر اليهود والنصارى بكفر
الذين مضوا من الامم الخالية الكافرة وقال القتيبي يريد ان من كان في عصر النبي
صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى يقولون ما قال اولوهم **قاتلهم الله**
قال ابن عباس لعنهم الله وقال ابن جريج قتلهم الله وقيل ليس هو في تحقيق المقاتلة
ولكنه بمعنى التعجب اي حقا انه يقال لهم هذا القول تعجبا من بشاعة قولهم
كما يقال لمن فعل فعلا يتعجب منه قاتله الله ما اعجب فعله **انى يوفكون** يعني

اني يصرفون عن الحق بعد وضوح الدليل واقامة الحجة بان الله واحد احد لا يجعلوا له
ولدا تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وهذا التعجب راجع الى الخلق لان الله تعالى
لا يتعجب من شي ولكن هذا الخطاب على عادة العرب في مخاطباتهم فالله تعالى
عجب نبيه صلى الله عليه وسلم من تركهم الحق واصرارهم على الباطل قوله تعالى
اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله يعني اتخذ اليهود والنصارى
علماءهم وقراءهم والاحبار العلماء من اليهود والرهبان اصحاب الصوامع من النصارى
اربابا من دون الله يعني انهم اطاعوهم في معصية الله تعالى وذلك انهم احلوا لهم
اشيا وحرموا عليهم اشيا من قبل انفسهم فاطاعوهم فيها فاتخذوهم كالارباب
لا انهم عبدوهم واتخذوا فيهم الالهة عن عدي بن حاتم قال اتيت النبي صلى الله
عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب فقال يا عدي اطرح عنك هذا الوثن وسمعته
يقرا في سورة براءة اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله قال اما انهم
لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا اذا احلوا لهم شيا استحلوه واذا حرموا عليهم
شيا حرموه اخرجه الترمذي وقال حديث غريب قال عبد الله بن المبارك وهل
بدل الدين الا الملوك واحبار سوء ورهبانها والمسيح ابن مريم يعني اتخذوه
الها وذلك لما اعتقدوا فيه البنوة والحلول اعتقدوا فيه الالهية وما امروا
يعني وما امروا في الكتب الالهية المنزلة عليهم وعلى السنة انبيائهم الا
ليعبدوا الها واحدا يعني هو المستحق للعبادة لا غير لا اله الا هو سبحانه عما
يشركون اي تعالى الله وتنزه عن ان يكون له شريك في العبادة والاحكام او ان
يكون له شريك في الهيته يستحق التعظيم والاجلال يريدون يعني يريد رؤسا
اليهود والنصارى ان يطفئوا نور الله بافواههم يعني يريدون ان يبطلوا دين الله
الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم بتكذيبهم اياه وقيل المراد من النور الدلايل
الدالة على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم وهي امور احدها المعجزات الباهرات الخارقة
للعادة التي ظهرت على يده صلى الله عليه وسلم الدالة على صدقه وثانيها القران
العظيم الذي نزل عليه من عند الله فهو معجزة له باقية على الابد الدالة على صدقه
وثالثها ان دينه الذي امر به وهو دين الاسلام ليس فيه شي سوى تعظيم الله
والثناء عليه والانقياد لامره ونهيه واتباع طاعته والامر بعبادته والتبري
عن كل معبود سواه فهذه امور نيرة ودلايل واضحة في صحة نبوة محمد صلى الله
عليه وسلم فمن اراد ابطال ذلك بكذب وتزوير فقد خاب سعيه وبطل عمله ثم ان الله
تعالى وعد نبيه صلى الله عليه وسلم بمزيد النصر واعلاء الكلمة واظهار الدين بقوله
ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون يعني ويابى الله الا ان يعلي دينه
ويظهر كلمته ويتم الحق الذي بعث به رسوله صلى الله عليه وسلم ولو كره ذلك
الكافرون قوله عز وجل هو الذي ارسل رسوله يعني ان الله يابى الا ان يتم دينه
هو الذي ارسل رسوله يعني محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى يعني بالقران الذي

انزله

انزله عليه وجعله هاديا اليه ودين الحق يعني دين الاسلام ليظهره اي
ليعليه على الدين كله يعني على سائر الاديان وقال ابن عباس الهاء في ليظهره
عائدة الى الرسول صلى الله عليه وسلم والمعنى ليعلمه شرايع الدين كلها ويظهره
عليها حتى لا يخفى عليه شي منها وقال غيره من المفسرين الهاء راجعة الى الدين الحق
والمعنى ليظهر دين الاسلام على الاديان كلها وهو ان لا يعبد الا الله قال
ابو هريرة والضحاك وذلك عند نزول عيسى فلا يبقى اهل دين الا دخلوا في الاسلام
ويدل على صحة هذا التاويل ما روي عن ابي هريرة في حديث نزول عيسى عليه السلام
قال النبي صلى الله عليه وسلم ويهلك في زمانه الملل كلها الا الاسلام عن المقداد
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يبقى على وجه الارض بيت مدر ولا
وبر الا ادخله الله كلمة الاسلام اما بعز عزيز او بذل ذليل اما يعزهم فيجعلهم من
اهله فيعزوا به واما ان يذلهم فيدينون له اخرجه البغوي بغير سند م عن عائشة
قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يذهب الليل والنهار حتى
تعبد اللات والعزى فقلت يا رسول الله ان كنت لاظن حين انزل الله تعالى
هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ان ذلك تام
قال انه سيكون ذلك ما شاء الله ثم يبعث الله ريحا طيبة يتوفى كل من كان في
قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان فيبقى من لا خير فيه فيرجعون الى دين ابائهم
قال الشافعي فقد اظهر الله رسوله صلى الله عليه وسلم على الاديان بان ابان
لكل من سمعه انه الحق وما خالفه من الاديان باطل قال واظهره بان جماع الشرك
دينان دين اهل الكتاب ودين الاميين فقهر رسول الله صلى الله عليه وسلم
الاميين حتى دانوا بالاسلام طوعا وكرها وقتل اهل الكتاب وسبى حتى دان
بعضهم بالاسلام واعطى بعضهم الجزية صاغرين وجرى عليهم حكمه فهذا ظهوره على
الدين كله ولو كره المشركون قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان
قد تقدم معنى الاحبار والرهبان وان الاحبار من اليهود والرهبان من النصارى
وفي قوله تعالى ان كثيرا دليل على ان الاقل من الاحبار والرهبان لم ياكلوا اموال
الناس بالباطل ولعلهم الذين كانوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وعبر
عن اخذ الاموال بالاكل في قوله تعالى لياكلون اموال الناس بالباطل لان المقصود
الاعظم من جمع المال الاكل فسمي الشي باسم ما هو اعظم مقاصده واختلفوا في
السبب الذي من اجله اكلوا اموال الناس بالباطل فقيل انهم كانوا ياخذون
الرشا من سفلتهم في تخفيف الشرايع والمسامحة في الاحكام وقيل انهم كانوا
يكتبون بايديهم كتبا يحرفونها ويبدلونها ويقولون هذه من عند الله وياخذون
بها ثمنا قليلا وهي الماكل التي كانوا يصيبونها من سفلتهم على تغيير نعت النبي
صلى الله عليه وسلم وصفته من كتبهم لانهم كانوا يخافون لو امنوا وصدقوه لذهب
عنهم تلك الماكل وقيل ان التوراة كانت مشتملة على ايات دالة على نعت النبي

صلى الله عليه وسلم فكان الاحبار والرهبان يذكرون في تاويلها وجوها فاسدة
باطلة ويحرفون معانيها طلبا للرياسة ولاخذ الاموال ومنع الناس عن الايمان
وذلك قوله **ويصدون عن سبيل الله** يعني ويمنعون الناس عن الايمان بمحمد
صلى الله عليه وسلم والدخول في دين الاسلام **والذين يكنزون الذهب
والفضة** اصل الكنز في اللغة جمع المال بعضه على بعض وحفظه ومال
مكنوز اي مجموع واختلفوا في المراد بهولا الذين ذمهم الله بسبب كنزهم
الذهب والفضة فقيل هم اهل الكتاب قاله معاوية بن ابي سفيان لان الله
تعالى وصفهم بالحرص الشديد على اخذ اموال الناس بالباطل ثم وصفهم بالبخل
الشديد وهو جمع المال ومنع اخراج الحقوق الواجبة منه وقال ابن عباس
والسدي نزلت في مانعي الزكاة من المسلمين وذلك انه لما ذكر قبح طريقة
الاحبار والرهبان في الحرص على اخذ الاموال بالباطل حذر المسلمين من ذلك
وذكر وعيد من جمع المال ومنع حقوق الله منه وقال ابو ذر نزلت في اهل الكتاب
وفي المسلمين ووجه هذا القول ان الله وصف اهل الكتاب بالحرص على اخذ
المال بالباطل ثم ذكر بعده وعيد من جمع المال ومنع الحقوق الواجبة فيه سوا
كان من اهل الكتاب او من المسلمين خ عن زيد بن وهب قال مررت بالربذة فاذا
ابو ذر فقلت ما انزلك هذا المنزل قال كنت في الشام فاختلفت انا ومعاوية
في هذه الاية والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله
فقال معاوية نزلت في اهل الكتاب فقلت نزلت فينا وفيهم فكان بيني وبينه
في ذلك كلام فكتب الى عثمان يشكوني فكتب الي عثمان ان اقدم المدينة
فقدمتها فكثر علي الناس حتى كانهم لم يروني قبل ذلك فذكرت ذلك لعثمان
فقال ان شئت تنحيت فكنت قريبا فذلك الذي انزلني هذا المنزل ولو امروا
علي حبشيا لسمعت واطعت واختلف العلماء في معنى الكنز فقيل هو كل مال
وجبت فيه الزكاة فلم تود زكاته روي عن ابن عمر انه قال له اعرابي اخبرني
عن قول الله عز وجل والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في
سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم قال ابن عمر من كنزها فلم يود زكاتها فويل له
هذا كان قبل ان تنزل الزكاة فلما نزلت جعلها الله طهرا للاموال اخرجه البخاري
وفي رواية مالك عن عبد الله بن دينار قال سمعت عبد الله بن عمر وهو يسال
عن الكنز ما هو فقال هو المال الذي لا تودى منه الزكاة ورواه الطبري بسنده
عن ابن عمر قال كل مال اديت زكاته فليس بكنز وان كان مدفونا وكل مال لم تود
زكاته فهو الكنز الذي ذكره الله في القران يكوى به صاحبه وان لم يكن مدفونا
وروي عن علي بن ابي طالب قال اربعة الاف فما دونها نفقة وما فوقها كنز
وقيل الكنز كل ما فضل من المال عن حاجة صاحبه اليه روى الطبري بسنده عن
ابي امامة قال توفي رجل من اهل الصفة فوجد في مئزره دينار فقال النبي صلى الله عليه وسلم

كية

كية ثم توفي اخر فوجد في مئزره ديناران فقال النبي صلى الله عليه وسلم كيتان
كان هذا في اول الاسلام قبل ان تفرض الزكاة فكان يجب على كل من فضل معه
شيء من المال اخراجه لاحتياج غيره اليه فلما فرضت الزكاة نسخ ذلك الحكم
عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الاية والذين يكنزون الذهب والفضة
كبر ذلك على المسلمين فقال عمر انا افرج عنكم فانطلق فقال يا نبي الله
انه كبر على اصحابك هذه الاية فقال ان الله لم يفرض الزكاة الا ليطيب
ما بقي من اموالكم وانما فرض المواريث وذكر كلمة لتكون لمن بعدكم قال فكبر
عمر ثم قال له الا اخبرك بخير ما يكنز المرء المراة الصالحة اذا نظر اليها سرته
واذا امرها اطاعته واذا غاب عنها حفظته اخرجه ابو داود وعن ثوبان قال
لما نزلت والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله كنا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره فقال بعض اصحابه انزلت
في الذهب والفضة لو علمنا اي المال خير اتخذناه فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم افضله لسان ذاكر وقلب شاكر وزوجة صالحة تعين المومن على
ايمانه اخرجه الترمذي وقال حديث حسن والصحيح من هذه الاقوال القول
الاول وهو ما ذكر عن ابن عمر ان كل مال اديت زكاته فليس بكنز ولا يجوز على صاحبه
اكتنازه وان كثر وان كل مال لم تود زكاته فصاحبه معاقب عليه وان قل
اذا كان مما تجب فيه الزكاة ويستحق على منع الزكاة الوعيد من الله الا ان
يتفضل الله عز وجل عليه بعفوه وغفرانه ويدل على ذلك ما روي عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يودي
منها حقها الا اذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فاحمي عليها في نار
جهنم فيكوى بها جبينه وجنبه وظهره كلما بردت اعيدت في يوم كان مقداره
خمسين الف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى
النار قيل يا رسول الله فالابل قال ولا صاحب ابل لا يودي منها حقها ومن
حقها حلبها يوم وردها الا اذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر اوفر
ما كانت لا يفقد منها فصيلا واحدا تطؤه باخفافها وتعضه بافواهها كلما
مر عليه اولاها رد عليه اخراها في يوم كان مقداره خمسين الف سنة حتى
يقضى بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار قيل يا رسول الله
فالبقر والغنم قال ولا صاحب بقر ولا غنم لا يودي منها حقها الا اذا كان يوم القيامة
بطح لها بقاع قرقر لا يفقد منها شيئا ليس فيها عقصاء ولا جلحاء ولا عضباء تنطحه بقرونها
وتطؤه باظلافها كلما مر عليه اولاها رد عليه اخراها في يوم كان مقداره
خمسين الف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة واما
الى النار اخرجه مسلم بزيادة فيه قوله كلما ردت اعيدت له هكذا هو في بعض
نسخ صحيح مسلم ردت بضم الراء وفي بعضها بردت بالباء وهذا هو الصواب والرواية

الاولى هي رواية الجمهور فوله حلبها هو بفتح اللام على المشهور وحكى اسكانها
وهو ضعيف قوله بقاع قرقر هو المستوي من الارض الواسع الاملس و العقصا
هي الشاة الملتوية القرنين وانما استثناها لانها لا تؤلم بنطحها والجلحاء هي
الشاة التي لا قرن لها وكذا العضبا وهي الشاة المكسورة القرن **خ** عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل
له ماله شجاعا اقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم ياخذ بلهزمتيه
يعني شدقيه ثم يقول انا مالك انا كنزك ثم تلا ولا تحسبن الذين يبخلون
بما اتاهم الله من فضله هو خيرا لهم الاية الشجاع الحية والاقرع صفة له بطول
العمر لان من طال عمره تمزق شعره وذهب وهي صفة لخبث الحيات والزبيبتان
هما الزبدتان في الشدقين واللهزمتان عظمان ناتيان في اللحيين تحت الاذنين
قوله تعالى **ولا ينفقونها في سبيل الله** يعني لا يؤدون زكاتها وانما قال ينفقونها
ولم يقل ينفقونهما لانه رد الكناية الى المال المكنوز وهو اعيان الذهب والفضة
وقيل رد الكناية الى الفضة لانها اغلب اموال الناس **فبشرهم بعذاب اليم**
يعني للكافرين الذين لا يؤدون زكاة اموالهم **ق** عن ابي ذر قال انتهيت الى
النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس في ظل الكعبة فلما راني قال هم الاخسرون
ورب الكعبة قال فجئت حتى جلست فلم اتقار حتى قمت فقلت يا رسول الله
فداك ابي وامي من هم قال هم الاكثرون اموالا الا من قال هكذا وهكذا وهكذا
من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليل ما هم ما من صاحب ابل
ولا بقر ولا غنم لا يؤدي زكاتها الا جاءت يوم القيامة اعظم ما كانت واسمنه
تنطحه بقرونها وتطاه باظلافها كلما نفدت اخراها عادت عليه اولاها حتى يقضى
بين الناس هذا لفظ مسلم وفرقه البخاري في موضعين وقوله تعالى **يوم يحمى
عليها في نار جهنم** يعني على الكنوز فتدخل النار فيوقد عليها حتى تبيض من
شدة الحرارة **فتكوى بها جباههم** يعني بالكنوز جباههم كانهما **وجنوبهم وظهورهم**
قال ابن دينار لا يوضع دينار على دينار ولا درهم على درهم ولكن يوسع جلده
حتى يوضع كل دينار ودرهم في موضع على حدته قال بعض العلماء انما خص هذه الاعضا
بالكي من بين سائر الاعضا لان الغني صاحب المال اذا اتاه السائل فطلب منه
شيئا فتبدو امنه اثار الكراهة والمنع فعند ذلك يقطب وجهه ويكلح وتجمع
اسارير وجهه فيتجعد جبينه ثم ان كرر السائل الطلب نأى بجانبه عنه ومال
عن جهته وتركه خائبا ثم ان كرر الطلب والح في السؤال ولاه ظهره واعرض عنه
واستقبل جهة اخرى وهي النهاية في الرد والغاية في المنع الدال على كراهة
العطا والبذل وهذا داب مانعي البر والاحسان وعادة البخلا فلذلك خص
هذه الاعضا الثلاثة بالكي يوم القيامة وهو قوله تعالى **هذا ما كنزتم
لانفسكم** اي يقال لهم ذلك يوم القيامة **فذوقوا ما كنتم تكنزون** اي

فذوقوا

فذوقوا عذاب ما كنزتم في الدنيا من الاموال ومنعتم حق الله منها **ق** عن الاحنف
ابن قيس قال قدمت المدينة فبينا انا في حلقة فيها ملا من قريش اذ جاء رجل
خشن الثياب خشن الجسد خشن الوجه فقام عليهم فقال بشر الكانزين برضف
يحمى عليه في نار جهنم فيوضع على حلمة ثدي احدهم حتى يخرج من نغض كتفيه ويوضع
على نغض كتفيه حتى يخرج من حلمة ثدييه يتزلزل قال فوضع القوم رؤسهم
فما رايت احدا منهم رجع اليه شيئا قال فادبر فاتبعته حتى جلس الى سارية فقلت
ما رايت هؤلا الا كرهوا ما قلت لهم فقال ان هؤلا لا يعقلون شيئا هذا لفظ
مسلم وفي رواية وزاد البخاري فقلت من هذا قالوا ابو ذر قال فقمت اليه
فقلت ما شي سمعتك تقول قبل قال ما قلت الا شيئا سمعته من نبيهم صلى الله
عليه وسلم قوله عز وجل **ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا** وهي المحرم
وصفر وربيع الاول وربيع الاخر وجمادى الاول وجمادى الاخر ورجب
وشعبان ورمضان وذو القعدة وذو الحجة وهذه شهور السنة التي هي مبنية
على سير القمر في المنازل وهي شهور العرب التي تعتد بها المسلمون في صيامهم
ومواقيت حجهم واعيادهم وساير امورهم واحكامهم وايام هذه الشهور ثلثمائة
وخمسة وخمسون يوما والسنة الشمسية عبارة عن دور الشمس في الفلك
دورة تامة وهي ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم فتنقص السنة
الهلالية عن السنة الشمسية عشرة فبسبب هذا النقصان تدور السنة
الهلالية فيقع الصوم والحج تارة في الشتا وتارة في الصيف قال المفسرون
وسبب نزول هذه الاية من اجل النسي الذي كانت العرب تفعله في الجاهلية
فكان يقع حجهم تارة في وقته وتارة في المحرم وتارة في صفر وتارة في غيره
من الشهور فاعلم الله عز وجل ان عدة شهور سنة المسلمين التي تعبدوا بها اثنا عشر
على منازل القمر وسيره فيها وهو قوله تعالى ان عدة الشهور عند الله يعني في علمه
وحكمه اثنا عشر شهرا **في كتاب الله** يعني في اللوح المحفوظ الذي كتب فيه جميع
احوال الخلق وما ياتون وما يذرون وقيل اراد بكتاب الله القران لان فيه
ايات تدل على الحساب ومنازل القمر وقيل اراد بكتاب الله الحكم الذي اوجبه
وامر عباده بالاخذ به **يوم خلق السموات والارض** يعني ان هذا الحكم حكم به
وقضاه يوم خلق السموات والارض ان السنة اثنا عشر شهرا **منها** يعني من
الشهور **اربعة حرم** وهو رجب فرد وذو القعدة وذو الحجة والمحرم ثلاثة متوالية
وانما سميت حرما لان العرب في الجاهلية كانت تعظمها وتحرم فيها القتال حتى
لو ان احدهم لقي قاتل ابيه وابنه واخيه في هذه الاربعة اشهر لم يهجه ولما جاء
الاسلام لم يزدها الا حرمة وتعظيما ولان الحسنات والطاعات فيها تتضاعف
وكذلك السيات ايضا اشد من غيرها فلا يجوز انتهاك حرمة الاشهر الحرم
ذلك الدين القيم يعني ذلك الحساب المستقيم والعدد الصحيح المستوي

فالدين هنا بمعنى الحساب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه يعني
حاسب نفسه وعمل لما بعد الموت وقيل اراد بالدين القيم الحكم الذي لا يغير
ولا يبدل والقيم هنا بمعنى الدايم الذي لا يزول فالواجب على المسلمين الاخذ
بهذا الحساب والعدد في صومهم وحجهم واعيادهم وبياعاتهم واجل ديونهم
وغير ذلك من ساير احكام المسلمين المرتبة على المشهور ق عن ابي بكرة ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض
السنة اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة
والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان اي شهر هذا قلنا الله ورسوله
اعلم فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه فقال اليس ذا الحجة قلنا بلى
قال اي بلد هذا قلنا الله ورسوله اعلم فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه
فقال اليس البلد الحرام قلنا بلى قال فاي يوم هذا قلنا الله ورسوله اعلم
فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه فقال اليس يوم النحر قلنا بلى قال
فان دماءكم واموالكم واعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في
شهركم هذا وستلقون ربكم فيسألكم عن اعمالكم الا فلا ترجعوا بعدي كفارا يضرب
بعضكم رقاب بعض الا ليبلغ الشاهد الغايب فلعل بعض من يبلغه ان يكون
اوعى له من بعض من سمعه ثم قال الا هل بلغت الا هل بلغت قلنا نعم قال اللهم
اشهد وقوله تعالى **فلا تظلموا فيهن انفسكم** قيل الكناية في فيهن ترجع الى جميع
الاشهر اي لا تظلموا انفسكم في جميع اشهر السنة بفعل المعاصي وترك الطاعات
لان المقصود منع الانسان من الاقدام على المعاصي والفساد مطلقا في جميع
الاوقات الى الممات وقيل الكناية ترجع الى الاشهر الحرم وهو قول المفسرين
وقال قتادة ان العمل الصالح اعظم اجرا في الاشهر الحرم والظلم فيهن اعظم فيما
سواهن وان كان الظلم على كل حال عظيما وقال ابن عباس لا تظلموا فيهن انفسكم
يريد استحلال الحرام والغارة فيهن وقال محمد بن اسحاق بن يسار لا تجعلوا
حلالها حراما ولا حرامها حلالا كفعل اهل الشرك وهو النسيء وقيل ان الانسان
مجبولة بطبعها على الظلم والفساد فالامتناع عنه على الاطلاق شاق على
النفس لا جرم ان خص بعض الاوقات بمزيد التعظيم والاحترام ليمتنع الانسان
في تلك الاوقات من فعل الظلم والقبايح والمنكرات فربما تركها في باقي الاوقات
فتصير هذه الاوقات الشريفة والاشهر المحرمة المعظمة سببا لترك الظلم
وفعل المعاصي في غيرها من الاشهر فهذا وجه الحكمة في تخصيص بعض الاشهر
على بعض بمزيد التشريف والتعظيم وكذلك الامكنة ايضا وقوله تعالى
وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة يعني قاتلوا المشركين باجمعكم مجتمعين
على قتالهم كما انهم يقاتلونكم على هذه الصفة والمعنى تعاونوا وتناصروا على
قتالهم ولا تتخاذلوا ولا تتدابروا ولا تتقاتلوا ولا تجبنوا عن قتالهم وكونوا

عباد الله

عباد الله مجتمعين متوافقين في مقاتلة اعدايكم من المشركين واختلف العلماء
في تحريم القتال في الاشهر الحرم فقال قوم كان كبيرا حراما ثم نسخ بقوله
وقاتلوا المشركين كافة يعني في الاشهر الحرم وفي غيرهن وهو قول قتادة
وعطا الخراساني والزهري وسفيان الثوري قالوا لان النبي صلى الله عليه وسلم
غزا هوازن بحنين وثقيفا بالطايف وحاصرهم في شوال وبعض ذي القعدة
وقال اخرون انه غير منسوخ قال ابن جريج حلف بالله عطا بن ابي رباح ما يحل
للناس ان يغزوا في الحرم ولا في الاشهر الحرم وما نسخت الا ان يقاتلوا فيها
واعلموا ان الله مع المتقين يعني بالنصر والمعونة على اعدايهم قوله تعالى
انما النسيء زيادة في الكفر النسيء في اللغة عبارة عن التاخير في الوقت
ومنه النسيئة في البيع ومعنى المذكور في الاية هو تاخير شهر حرام الى شهر اخر
وذلك ان العرب في الجاهلية كانت تعتقد حرمة الاشهر الحرم وتعظيمها وكان
ذلك مما تمسكت به من ملة ابراهيم صلى الله عليه وسلم وكانت عامة معايش العرب
من الصيد والغارة فكان يشق عليهم الكف عن ذلك ثلاثة اشهر متوالية وربما
وقعت حروب في بعض الاشهر الحرم فكانوا يكرهون تاخير حروبهم الى الاشهر الحلال
فنسيوا يعني اخروا تحريم شهر الى اخر فكانوا يوخرون تحريم المحرم الى صفر
فيستحلون المحرم ويحرمون صفرا فاذا احتاجوا الى تاخير تحريم صفر اخروه
الى ربيع الاول فكانوا يصنعون هكذا يوخرون شهرا بعد شهر حتى استدار التحريم
على السنة كلها وكانوا يحجون في كل شهر عامين فحجوا في ذي الحجة عامين ثم حجوا
في المحرم عامين ثم حجوا في صفر عامين وكذلك باقي شهور السنة فوافقت حجة
ابي بكر السنة التاسعة قبل حجة الوداع في السنة الثانية من ذي القعدة ثم
حج رسول الله في العام المقبل حجة الوداع فوافق حجه في شهر ذي الحجة وهو
شهر الحج المشروع فوقف بعرفة في اليوم التاسع وخطب الناس في اليوم العاشر
بمنى واعلمهم ان اشهر النسيء قد تناسخت باستدارة الزمان وعاد الامر الى
ما وضع الله عليه حساب الاشهر يوم خلق السموات والارض الحديث المتقدم
وهو قوله صلى الله عليه وسلم ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات
والارض الحديث المتقدم وامرهم بالمحافظة على ذلك لئلا يتبدل في مستانف
الايام واختلفوا في اول من نسا النسيء فقال ابن عباس والضحاك وقتادة ومجاهد
اول من نسا النسيء بنو مالك بن كنانة وكان يليه ابو ثمامة جنادة بن عوف
ابن امية الكناني وقال الكلبي اول من فعل ذلك كان رجل يقال له نعيم بن ثعلبة
وكان يكون على الناس في الموسم فاذا هم الناس بالصدر قام فخطب الناس فيقول
لا مرد لما قضيت انا الذي لا اعاب ولا اجاب فيقول له المشركون لبيك
ثم يسالونه ان ينسيهم شهرا يغزون فيه فيقول ان صفر في هذا العام حرام
فاذا قال ذلك حلوا الاوتار ونزعوا الاسنة والازجة من الرماح وان قال

حلالا تعقدوا اوتار القسي وركبوا الاسنة في الرماح واغاروا وكان من بعد
نعيم بن ثعلبة رجل يقال له جنادة بن عوف وهو الذي ادرك النبي صلى الله
عليه وسلم قال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم هو رجل من بني كنانة يقال له القلمس
قال شاعرهم وفينا ناسئ الشهر القلمس وكانوا يفعلون ذلك اذا اجتمعت
العرب في الموسم وروى جويبر عن الضحاك عن ابن عباس ان اول من سن النسئ
عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف والذي صح من حديث ابي هريرة وعائشة ان عمرو بن لحي
اول من سيب السوائب وقال فيه النبي صلى الله عليه وسلم رايت عمرو بن لحي يجر قصبه
في النار وهذا ما ورد في تفسير النسئ الذي ذكره الله في قوله انما النسئ
زيادة في الكفر يعني زيادة كفر على كفرهم وسبب هذه الزيادة انهم امروا
بايقاعه في وقته من الاشهر الحرم فغيروه بسبب اغراضهم الفاسدة واخروه وايقاعه في وقت
اخر بسبب ذلك النسئ فاوقعوه في غير وقته من الاشهر الحرم فكان ذلك العمل
زيادة في كفرهم يضل به الذين كفروا قرئ يضل بفتح الياء وكسر الضاد ومعناه
يضل بالنسئ الذين كفروا اتباعهم من الناس وهم ايضا ضلال في انفسهم وقرئ
يضل بضم الياء وفتح الضاد ومعناه ان كبارهم اضلوهم وحملوهم عليه وقرئ
يضل به الذين كفروا بتزيين ذلك لهم وقيل معناه يضل به الذين كفروا تابعيهم
والاخذين بافعالهم وهذا الوجه اقوى الوجهين في تفسير قراءة من قرأ يضل
بضم الياء وكسر الضاد يحلونه عاما ويحرمونه عاما يعني يحلون ذلك الانساء
عاما ويحرمونه عاما والمعنى يحلون الشهر المحرم عاما فيجعلونه حلالا يغيروا
فيه ويحرمونه عاما فيجعلونه محرما فلا يغيروا فيه ليواطئوا يعني ليوافقوا
عدة ما حرم الله يعني انهم ما احلوا شهرا من المحرم الا حرموا مكانه شهرا من
الحلال ولم يحرموا شهرا من الحلال الا احلوا مكانه شهرا من المحرم لاجل ان
يكون عدد الاشهر الحرم اربعة كما حرم الله فيكون ذلك موافقة في العدد
لا في الحكم فلذلك قوله تعالى فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء اعمالهم قال ابن
عباس زين لهم الشيطان هذا العمل والله لا يهدي القوم الكافرين يعني انه
تعالى لا يرشد من هو كافر اثيم لما سبق في الازل انه من اهل النار قوله
عز وجل يا ايها الذين امنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض
نزلت هذه الاية في الحث على غزوة تبوك وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم
لما رجع من الطائف امر بالجهاد لغزوة الروم وكان ذلك في زمان عسرة من الناس
وشدة من الحر حين طاب الظلال ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد
غزوة الا ورى بغيرها حتى كانت غزوة تبوك فغزاها رسول الله صلى الله
عليه وسلم في حر شديد واستقبل سفرا بعيدا ومفازا وعدوا كثيرا فجلى للمسلمين
امرهم ليتاهبوا اهبة عدوهم فشق عليهم الخروج وتثاقلوا فانزل الله عز
وجل هذه الاية يا ايها الذين امنوا اذا قيل لكم يعني قال لكم رسول الله

صلى الله عليه وسلم انفروا في سبيل الله اي اخرجوا الى الجهاد يقال استنفر
الامام الناس اذا حثهم على الخروج الى الجهاد ودعاهم اليه ومنه قوله صلى الله
عليه وسلم اذا استنفرتم فانفروا ولا اسما لتفسيرا اثاقلتم اي تثاقلتم وتباطيتم
الى الغزو والى الارض يعني ولزمتم ارضكم ومساكنكم وانما استثقل ذلك الغزو
لشدة الزمان وضيق الوقت وشدة الحر وبعد المسافة والحاجة الى كثرة
الاستعداد من العدة والزاد وكان ذلك الوقت وقت ادراك ثمار المدينة
وطيب ظلالها وكان العدو كثيرا فاستثقل الناس تلك الغزوة فعاتبهم الله
ارضيتم بالحياة الدنيا من الاخرة يعني ارضيتم بخصب العيش وزهرة الدنيا
ونعيمها من نعيم الاخرة فما متاع الحياة الدنيا في الاخرة الا قليل يعني ان لذات
الدنيا ونعيمها فان زايل ينفد عن قليل ونعيم الاخرة باق على الابد فلهذا السبب
كان متاع الدنيا قليلا بالنسبة الى نعيم الاخرة وفي الاية دليل على وجوب الجهاد
في كل حال وفي كل وقت لان الله تعالى نص على ان تثاقلهم عن الجهاد امر منكر فلو لم
يكن الجهاد واجبا لما عاتبهم على ذلك التثاقل ويؤكد هذا الوعيد المذكور في الاية
الاتية وهي قوله الا تنفروا يعني فان لم تنفروا ايها المؤمنون الى من استنفركم
رسول الله صلى الله عليه وسلم يعذبكم اي الله عذابا اليما يعني في الاخرة لان
العذاب الاليم لا يكون الا في الاخرة وقيل ان المراد به احتباس المطر في الدنيا
قال نجدة بن نفيع سالت ابن عباس عن هذه الاية فقال استنفر رسول الله
صلى الله عليه وسلم حيا من العرب فتثاقلوا فامسك الله عنهم المطر فكان ذلك
عذابهم ويستبدل قوما غيركم يعني خيرا منكم واطوع قال سعيد بن جبير ابناء
فارس وقيل هم اهل اليمن وفيه تنبيه على ان الله عز وجل قد تكفل بنصرة نبيه
صلى الله عليه وسلم واعزاز دينه فان سارعوا معه الى الخروج الى حيث استنفروا
حصلت النصرة بغيرهم وحصلت العتبى لهم ولئلا يتوهموا ان اعزاز رسول الله
صلى الله عليه وسلم ونصرته لا تحصل الا بهم وهو قوله تعالى ولا تضروه شيئا
قيل الضمير راجع الى الله تعالى يعني ولا تضروا الله شيئا لانه غني عن العالمين
وانما تضرون انفسكم بترككم الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل
الضمير راجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني ولا تضروا محمدا صلى الله
عليه وسلم شيئا فان الله ناصره على اعدائه ولا يخذله والله على كل شيء قدير
يعني انه تعالى قادر على كل شيء فهو ينصر نبيه ويعز دينه قال الحسن وعكرمة
هذه الاية منسوخة بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة وقال الجمهور
هذه الاية محكمة لانها خطاب لقوم استنفرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلم ينفروا وانما ينقل عن ابن عباس وعلى هذا التقدير فلا نسخ قوله عز وجل
الا تنصروه فقد نصره الله يعني الا تنصروا محمدا صلى الله عليه وسلم ايها المؤمنون
هذا خطاب لمن تثاقل عن الخروج معه الى تبوك فاعلم الله عز وجل انه هو المتكفل

بنصر رسوله واعزاز دينه واعلا كلمته اعانوه او لم يعينوه وانه قد نصره
عند قلة الاوليا وكثرة الاعدا فكيف به اليوم وهو في كثرة من العدد والعدد
اذ اخرجه الذين كفروا يعني انه تعالى نصره في الوقت الذي اخرجه كفار مكة
من مكة حين مكروا به وارادوا قتله **ثاني اثنين** يعني هو واحد اثنين وهما
رسول الله صلى الله عليه وسلم والصديق **اذ هما في الغار** يعني اذ رسول الله صلى الله
عليه وسلم وابو بكر في الغار والغار ثقب عظيم يكون في الجبل وهذا الغار في جبل
ثور وهو قريب من مكة **اذ يقول لصاحبه** يعني يقول رسول الله صلى الله
عليه وسلم لابي بكر الصديق لا تحزن وذلك ان ابا بكر خاف من الطلب ان
يعلموا بمكانهما فجزع من ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحزن
ان الله معنا يعني بالنصر والمعونة قال الشعبي عاتب الله عز وجل اهل الارض
جميعا في هذه الاية غير ابي بكر وقال الحسين بن الفضل من قال ان ابا بكر لم يكن
صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كافر لانكاره نص القران وفي سائر
الصحابة اذا انكر يكون مبتدعا ولا يكون كافرا عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لابي بكر انت صاحبي على الحوض وصاحبي في الغار اخرجه الترمذي
وقال حديث حسن غريب **ق** عن ابي بكر الصديق قال نظرت الى اقدام المشركين
ونحن في الغار وهم على رؤسنا فقلت يا رسول الله لو ان احدهم نظر الى قدميه
ابصرنا تحت قدميه فقال ما ظنك يا ابا بكر باثنين الله ثالثهما قال الشيخ محيي
الدين النووي معناه ثالثهما بالنصر والمعونة والحفظ والتسديد وهو داخل
في قوله تعالى ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وفيه بيان عظيم
توكل النبي صلى الله عليه وسلم حتى في هذا المقام وفيه فضيلة لابي بكر وهي
من اجل مناقبه والفضيلة من اوجه منها اللفظ الدال على ان الله تعالى ثالثهما
ومنها بذله نفسه ومفارقته اهله وماله ورياسته في طاعة الله وطاعة
رسوله صلى الله عليه وسلم وملازمته النبي صلى الله عليه وسلم ومعاداة الناس
فيه ومنها جعله نفسه وقاية وغير ذلك روي عن عمر بن الخطاب انه ذكر عنده ابو بكر
فقال وددت ان عملي كله مثل عمله يوما واحدا من ايامه وليلة واحدة من لياليه
فاما ليلته فليلة سار مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغار فلما انتهى
اليه قال والله لا تدخله حتى ادخل قبلك فان كان فيه شي اصابني دونك فدخله
فكسحه ووجد في جانبه ثقبا فشق ازاره وسدها به وبقي منها ثقبان فالقمهما
رجليه ثم قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادخل فدخل رسول الله صلى الله
عليه وسلم ووضع راسه في حجره ونام فلدغ ابو بكر في رجله من الجحر ولم يتحرك مخافة
ان ينتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم فسقطت دموعه على وجه رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال ما لك يا ابا بكر قال لدغت فداك ابي وامي فتفل
عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب ما يجده ثم انتقض عليه وكان سبب موته

واما يومه

واما يومه فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب وقالوا لا نؤدي
الزكاة فقال لو منعوني عقالا لجاهدتهم عليه فقلت يا خليفة رسول الله
صلى الله عليه وسلم تالف الناس وارفق بهم فقال لي اجبار في الجاهلية وخوار
في الاسلام انه قد انقطع الوحي وتم الدين اينقص وانا حي اخرجه في جامع الاصول
ولم يرقم عليه علامة لاحد قال البغوي وروي انه حين انطلق مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى الغار جعل يمشي ساعة بين يديه وساعة خلفه فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما لك يا ابا بكر فقال اذكر الطلب فامشي خلفك ثم اذكر الرصد
فامشي بين يديك فلما انتهيا الى الغار قال مكانك يا رسول الله حتى استبرئ
الغار فدخل فاستبراه ثم قال انزل يا رسول الله فنزل وقال ان اقتل فانا رجل
واحد من المسلمين وان قتلت هلكت الامة ذكر سياق حديث الهجرة وهو من
افراد البخاري عن عائشة قالت لم اعقل ابوي الا وهما يدينان الدين ولم يمر
علينا يوم الا ويأتينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفي النهار بكرة وعشية
فلما ابتلي المسلمون خرج ابو بكر مهاجرا نحو ارض الحبشة حتى اذا بلغ برك الغماد
لقيه ابن الدغنة وهو سيد القارة فقال اين تريد يا ابا بكر فقال ابو بكر اخرجني
قومي فاريد ان اسيح في الارض فاعبد ربي فقال ابن الدغنة فان مثلك يا ابا بكر
لا يخرج ولا يخرج انك تكسب المعدوم وتصل الرحم وتحمل الكل وتقري الضيف
وتعين على نوائب الحق فانا لك جار فارجع واعبد ربك ببلدك فرجع وارتحل معه
ابن الدغنة فطاف ابن الدغنة في اشراف كفار قريش فقال ان ابا بكر لا يخرج
مثله اتخرجون رجلا يكسب المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكل ويقري الضيف
ويعين على نوائب الحق فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة وفي رواية فانفذت
قريش جوار ابن الدغنة وامنوا ابا بكر وقالوا لابن الدغنة مر ابا بكر فليعبد ربه
في داره وليصل فيها وليقرا ما شا ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن فانا نخشى ان
يفتن نساءنا وابناءنا فقال ذلك ابن الدغنة لابي بكر فلبث ابو بكر بذلك يعبد
ربه في داره ولا يستعلن بصلاته ولا يقرا في غير داره ثم بدا لابي بكر فابتنى
مسجدا بفناء داره وكان يصلي فيه فيتقصف عليه نسا المشركين وابناوهم يعجبون
منه وينظرون اليه وكان ابو بكر رجلا بكا لا يملك عينيه اذا قرا القران فافزع
ذلك اشراف قريش من المشركين فارسلوا الى ابن الدغنة فقدم عليهم فقالوا انا
كنا اجرنا ابا بكر بجوارك على ان يعبد ربه في داره فقد جاوز ذلك فابتنى مسجدا
بفناء داره فاعلن بالصلاة والقراءة وانا قد خشينا ان يفتن نساءنا وابناءنا
فانهه فان احب ان يقتصر على ان يعبد ربه في داره فليفعل وان ابى الا ان يعلن بذلك
فاسأله ان يرد اليك ذمتك فانا قد كرهنا ان نخفرك ولسنا مقرين لابي بكر الاستعلان
قالت عائشة فاتى ابن الدغنة الى ابي بكر فقال لقد علمت الذي عاقدت لك عليه
فاما ان تقتصر على ذلك واما ان ترجع الي ذمتي فاني لا احب ان تسمع العرب اني اخفرت

في رجل عقدت له فقال ابو بكر فاني ارد اليك جوارك وارضى بجوار الله والنبي صلى الله
عليه وسلم يومئذ بمكة فقال النبي صلى الله عليه وسلم اني رايت دار هجرتكم بسبخة
ذات نخل بين لابتين وهما الحرتان فهاجر من هاجر قبل المدينة ورجع عامة من كان
بارض الحبشة الى المدينة وتجهز ابو بكر قبل المدينة فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم على رسلك فاني ارجو ان يوذن لي فقال ابو بكر وهل ترجو ذلك بابي
انت وامي قال نعم فحبس ابو بكر نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلف
راحلتين كانتا عنده من ورق السمر وهو الخبط اربعة اشهر قال ابن شهاب قال
عروة قالت عايشة فبينما نحن يوما جلوس في بيت ابي بكر في نحر الظهيرة قال
قائل لابي بكر هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنعا في ساعة لم يكن ياتينا فيها فقال
ابو بكر فدى له ابي وامي والله ما جاء به في هذه الساعة الا امر قالت فجاء رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاستاذن فاذن له فدخل فقال النبي صلى الله عليه وسلم لابي بكر
اخرج من عندك فقال ابو بكر انما هم اهلك بابي انت وامي يا رسول الله قال فاني
قد اذن لي في الخروج فقال ابو بكر الصحبة بابي انت وامي يا رسول الله فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم نعم قال ابو بكر فخذ بابي انت وامي يا رسول الله احدى راحلتي
هاتين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بالثمن قالت فجهزناهما احث الجهاز
ووضعنا لهما سفرة في جراب فقطعت اسماء بنت ابي بكر قطعة من نطاقها فربطت
به على فم الجراب فبذلك سميت ذات النطاقين قالت ثم لحق رسول الله صلى الله
عليه وسلم وابو بكر في جبل ثور فمكثا فيه ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الرحمن
ابن ابي بكر وهو غلام شاب ثقف لقن فيدلج من عندهما بسحر فيصبح مع قريش بمكة
كبائت فلا يسمع امرا يكادان به الا وعاه حتى ياتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام
ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى ابي بكر منيحة من غنم فيريحها عليهما حين تذهب
ساعة من العشاء فيبيتان في رسل حتى ينعق بهما عامر بن فهيرة بغلس يفعل ذلك
كل ليلة من تلك الليالي الثلاث واستاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من
بني الديل وهو من بني عبد بن عدي هاديا خريتا والخريت الماهر بالهداية وقد
غمس حلفا في آل العاص بن وائل السهمي وهو على دين كفار قريش فامناه فدفعا اليه
راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال فاتاهما صبح ثلاث فارتحلا فانطلق
معهما عامر بن فهيرة والدليل الديلي فاخذ بهم طريق السواحل وفي رواية طريق
الساحل قال ابن شهاب فاخبرني عبد الرحمن بن مالك المدلجي وهو ابن اخي سراقة
ابن جعشم ان اباه اخبره انه سمع سراقة بن مالك بن جعشم جانا رسل كفار قريش
يجعلون في رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر دية كل واحد منهما لمن قتله
او اسره فبينما انا جالس في مجلس من مجالس قومي بني مدلج اقبل رجل منهم حتى
قام علينا ونحن جلوس فقال يا سراقة اني قد رايت انفا اسودة بالساحل اراها
محمدا واصحابه قال سراقة فعرفت انهم هم فقلت انهم ليسوا بهم ولكنك رايت فلانا

وفلانا

وفلانا انطلقوا باعيننا ثم لبثت في المجلس ساعة ثم قمت فدخلت فامرت جاريتي
ان تخرج بفرسي وهي من وراء اكمة فتحبسها علي واخذت رمحي فخرجت به من
ظهر البيت فخططت بزجه الارض وخفضت عاليه حتى اتيت فرسي فركبتها
فرفعتها تقرب بي حتى دنوت منهم فعثرت بي فرسي فخررت عنها فقمت فاهويت
الى كنانتي فاستخرجت منها الازلام فاستقسمت بها اضرهم ام لا فخرج الذي
اكره فركبت فرسي وعصيت الازلام تقرب بي حتى اذا سمعت قراءة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وابو بكر يكثر الالتفات ساخت
يدا فرسي في الارض حتى بلغتا الركبتين فخررت عنها ثم زجرتها فنهضت فلم
تكد تخرج يديها فلما استوت قائمة اذا لاثر يديها عثان ساطع في السماء
مثل الدخان فاستقسمت بالازلام فخرج الذي اكره فناديتهم بالامان
فوقفوا فركبت فرسي حتى جئتهم ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من
الحبس عنهم ان سيظهر امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له ان قومك
قد جعلوا فيك الدية واخبرتهم اخبار ما يريد الناس بهم وعرضت عليهم الزاد
والمتاع فلم يرزاني ولم يسالاني الا ان قال اخف عنا فسالته
ان يكتب لي كتاب امن فامر عامر بن فهيرة فكتب في رقعة من ادم ثم مضى رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ابن شهاب عن عروة بن الزبير ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم لقي الزبير في ركب من المسلمين كانوا تجارا قافلين من الشام فكسى
الزبير رسول الله صلى الله عليه وسلم وابا بكر ثياب بياض وسمع المسلمون
بالمدينة بمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة فكانوا يغدون
كل غداة الى الحرة فينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة فانقلبوا يوما بعدما
اطالوا انتظارهم فلما اووا الى بيوتهم اوفى رجل من اليهود على اطم من
اطامهم لامر ينظر اليه فبصر برسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه مبيضين
يزول بهم السراب فلم يملك اليهودي ان قال باعلى صوته يا معشر العرب هذا
جدكم الذي تنتظرونه قال فثار المسلمون الى السلاح فتلقوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم بظهر الحرة فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو
ابن عوف وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الاول فقام ابو بكر للناس وجلس
رسول الله صلى الله عليه وسلم صامتا وطفق من جاء من الانصار ممن لم ير
رسول الله صلى الله عليه وسلم يحيي ابا بكر حتى اصابت الشمس رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاقبل ابو بكر حتى ظلل عليه بردائه فعرف الناس رسول الله صلى الله
عليه وسلم عند ذلك فلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني عمرو بن عوف
بضع عشرة ليلة واسس المسجد الذي اسس على التقوى وصلى فيه رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم ركب راحلته فسار يمشي معه الناس حتى بركت عند
مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهو يصلي فيه يومئذ رجال من

المسلمين وكان مربدا للتمر لسهل وسهيل غلامين يتيمين في حجر اسعد بن زرارة
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بركت راحلته هذا ان شاء الله
المنزل ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الغلامين فساومهما بالمربد
ليتخذه مسجدا فقالا بل نهبه لك يا رسول الله ثم بناه مسجدا فطفق
رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل معهم اللبن في بنيانه ويقول وهو ينقل
اللبن • هذا الحمال لا حمال خيبر • هذا ابر ربنا واطهر • ويقول •
• اللهم ان الاجر اجر الاخرة • فارحم الانصار والمهاجرة •
فتمثل بشعر رجل من المهاجرين لم يسم ابن شهاب ولم يبلغنا في الاحاديث
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تمثل ببيت شعر تام غير هذه الابيات
اخرجه البخاري بطوله شرح غريب الفاظ الحديث قولها لم اعقل
ابوي الا وهما يدينان الدين يعني انهما كانا ينقادان الى الطاعة وبرك الغماد
بفتح الباء من برك وكسر الغين المعجمة اسم موضع بينه وبين مكة خمس ليال مما
يلي ساحل البحر الى المدينة من بلاد غفار وقيل هو قليب ما لبني ثعلبة
قوله تكسب المعدوم وفيه قولان احدهما انه لقوة سعده وحفظه من الدنيا
لا يتعذر عليه كسب كل شيء حتى المعدوم الذي يتعذر كسبه على غيره والقول
الثاني انه يملك الشيء المعدوم المنفرد لمن لا يقدر عليه فقيه وصفه بالاحسان
والكرم والكل ما يثقل حمله من حقوق الناس وصلة الارحام والقيام بامر
العيال ونحو ذلك والقرى الضيف ونوايب الحق ما ينوب الانسان من المغارم وقضا الحقوق
لمن يقصده انا لك جار اي حام وناصر ومدافع عنك والاستعلان والاعلان
اظهار المخفي وقوله تنقصف الناس عليه يعني ازدحموا عليه والذمة العهد
والامان واخفاوهما نقضهما واللابة الجبل والحرة الارض التي يعلوها
حجارة سود يقال افعل الشي على رسلك بكسر الراء اي على هينتك والراحلة
البعير القوي على الحمال والسير والظهيرة وقت شدة الحر والنطاق حبل او نحوه
تشد به المراة وسطها وترفع ثوبها من تحته فتعطفا طرفا من اعلاه الى اسفله
ليلا يصل الى الارض وقوله ثقف لقن يقال ثقف الرجل ثقافة اذا صار
حاذقا واللقن السريع الفهم والادلاج بتخفيف الدال السير اول الليل
وبتشديدها سير اخره والمنيحة الشاة ذات اللبن والرسل بكسر الراء
وسكون السين هو اللبن يقال نعق الراعي بالغنم اذا دعاها لتجتمع اليه
والغلس ظلام اخر الليل والخريت تقدم شرحه في الحديث وهو الماهر بالهداية
واراد به هداية الطريق وهو الدليل وقد غمس فلان حلفا في ال فلان اذا
اخذ بنصيب من عهدهم وحلفهم والاسودة الاشخاص والاكمة التل المرتفع
من الارض يقال قرب الفرس يقرب تقريبا اذا عدا عدوا دون الاسراع
والكنانة هي الجعبة التي يجعل فيها السهام والازلام القداح الذي كانوا

يستقسمون

يستقسمون بها عند طلب الحوايج كالفال والغنان والغبار يقال ما رزات
فلانا شيا اي ما رضيت منه شيا والمراد انهم لم ياخذوا شيا وقوله اوفى
اي اشرف واطلع والاطم البنا المرتفع كالحصن وقوله مبيضين هو بكسر
الياء ذو ثياب بيض والمربد الذي فيه موضع التمر كالبيدر وقوله
هذا الحمال هو بالحاء المهملة يعني هذا الحمل والمحمول من اللبن ابر عند الله
واطهر وابقى دخرا وادوم منفعة في الاخرة لا حمال خيبر يعني ما يحمل
من خيبر من التمر والزبيب والطعام المحمول منها والمعنى ان ذلك الحمل
الذي يحمله من اللبن لاجل عمارة المسجد افضل مما يحمل من خيبر وقد
روي هذا الجمال بالجيم من الجمل والرواية الاولى اشهر واكثر والله اعلم
قال الزهري لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر الغار ارسل
الله زوجا من حمام حتى باضتا من اسفل النقب ونسجت العنكبوت بيتا
وقيل انبت ثمامة على فم الغار وقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اعم ابصارهم
فجعل الطلب يضربون يمينا وشمالا حول الغار يقولون لو دخل هذا الغار
لتكسر بيض الحمام وتفسخ بيت العنكبوت ووجدت في بعض التفاسير
شعرا وقد نسبته الى ابي بكر الصديق وهو قوله • قال النبي ولم يجزع يوقرني
ونحن في سدف في ظلمة الغار • لا تخش شيا فان الله ثالثنا • وقد تكفل
لي منه باظهار • وانما كيد من تخشى بوادره • كيد الشياطين قد كادت لكفار
• والله مهلكهم طرا بما صنعوا • وجاعل المنتهى منهم الى النار •
وقوله تعالى فانزل الله سكينته عليه يعني فانزل الله الطمانينة والسكون
على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس على ابي بكر لان النبي صلى الله
عليه وسلم كانت عليه السكينة من قبل ذلك فصل في الوجوه المستنبطة
من هذه الاية الدالة على فضل ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه منها ان النبي
صلى الله عليه وسلم لما اختفى في الغار من الكفار كان مطلعا على باطن ابي بكر في سره
واعلانه وانه من المومنين الصادقين المصدقين المخلصين فاختار صحبته في
ذلك المكان المخوف لعلمه بحاله ومنها ان هذه الهجرة كانت باذن الله تعالى فخص
الله بصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ابا بكر دون غيره من اهله وعشيرته وهذا
التخصيص يدل على شرف ابي بكر وفضله على غيره ومنها ان الله عاتب اهل الارض
بقوله الا تنصروه فقد نصره الله سوى ابي بكر الصديق وهذا دليل على فضله
ومنها ان ابا بكر لم يتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر ولا حضر
بل كان ملازما له وهذا دليل على صدق محبته وصحة صحبته له ومنها موانسته
للنبي صلى الله عليه وسلم في الغار وبذل نفسه له وفي هذا دليل على فضل ومنها
ان الله تعالى جعله ثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله ثاني اثنين اذ هما
في الغار وفي هذا نهاية الفضيلة لابي بكر وقد ذكر بعض العلما ان ابا بكر كان

ثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم في اكثر الاحوال ومنها ان النبي صلى الله عليه وسلم
دعا الخلق الى الايمان بالله فكان ابو بكر اول من امن ثم دعا ابو بكر الى الايمان
بالله ورسوله فاستجاب له عثمان وطلحة والزبير فامنوا على يدي ابي بكر ثم
جاءهم الى النبي صلى الله عليه وسلم ومنها ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقف في موقف
من غزواته الا وابو بكر معه في ذلك الموقف ومنها انه ثانيه في تربته وفي
هذا ذلك يدل على فضل ابي بكر رضي الله تعالى عنه ومنها ان الله تعالى نص على صحبة
ابي بكر دون غيره بقوله اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا ومنها ان الله
تعالى كان ثالثهما ومن كان الله معه دل على فضله وشرفه دون غيره ومنها انزال
السكينة على ابي بكر واختصاصه بها دليل على فضله والله اعلم وقوله تعالى
وايده بجنود لم تروها يعني وايد النبي صلى الله عليه وسلم بانزال الملائكة ليصرفوا
وجوه الكفار وابصارهم عن رويته وقيل القى الرعب في قلوب الكفار حتى رجعوا
وقال مجاهد والكلبي اعانه بالملائكة يوم بدر فاخبر الله تعالى انه نصره وصرف
عنه كيد الاعداء وهو في الغار في حال القلة والخوف ثم نصره بالملائكة يوم بدر
وجعل كلمة الذين كفروا السفلى يعني كلمة الشرك فهي سفلى الى يوم القيامة وكلمة
الله هي العليا والله عزيز حكيم قال ابن عباس هي قول لا اله الا الله فهي باقية
الى يوم القيامة عالية وقيل ان كلمة الذين كفروا هي ما كانوا قدروا فيما بينهم
من الكيد بالنبي صلى الله عليه وسلم ليقتلوه وكلمة الله هي ما وعده بالنصر والظفر بهم
فكان ما وعده الله تعالى حقا وصدقا قوله تعالى انفروا خفافا وثقالا يعني
انفروا الى الصفة التي يخف عليكم الجهاد وعلى الصفة التي يثقل عليكم وهذان الوصفان
يدخل تحتهما اقسام كثيرة فلهذا اختلفت عبارات المفسرين فيهما فقال الحسن
والضحاك ومجاهد وقتادة وعكرمة يعني شبانا وشيوخا قال ابن عباس نشاطا
وغير نشاط وقال عطية العوفي ركبانا ومشاة وقال ابو صالح خفافا من المال
يعني فقراء وثقالا يعني اغنياء وقال ابن زيد الخفيف الذي لا ضيعة له والثقيل
الذي له الضيعة والثقيل الذي له الضيعة يكره ان يدع ضيعته ويروى عن ابن
عباس قال خفافا اهل الميسرة من المال وثقالا اهل العسرة وقيل خفافا يعني
من السلاح مقلين منه وثقالا يعني مستكثرين منه وقيل مشاغيل وغير مشاغيل
وقيل اصحاء ومرضى وقيل عزابا ومتاهلين وقيل خفافا من الحاشية والاتباع
وثقالا مستكثرين منهم وقيل خفافا يعني مسرعين في الخروج الى الغزو عند
سماع النفير وثقالا يعني بعد التروي فيه والاستعداد له والصحيح ان هذا
عام لان هذه الاحوال كلها داخلة تحت قوله تعالى انفروا خفافا وثقالا لا يعني
على اي حال كنتم فيها فان قلت فعلى هذا يلزم الجهاد لكل احد حتى المريض
والزمن والفقير وليس الامر كذلك فما معنى هذا الامر قلت من
العلماء من حمله على الوجوب ثم انه نسخ قال ابن عباس نسختها هذه الاية بقوله

ليس على الضعفاء ولا على المرضى الاية ومنهم من حمل هذا الامر على الندب قال
مجاهد ان ابا ايوب الانصاري شهد بدرا والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولم يتخلف عن غزوة غزاها المسلمون بعده فقيل له في ذلك فقال
سمعت الله عز وجل يقول انفروا خفافا وثقالا ولا اجدني الا خفيفا او ثقيلا وقال
الزهري خرج سعيد بن المسيب وقد ذهبت احدى عينيه فقيل له انك عليل
صاحب ضرر فقال استنفر الله الخفيف والثقيل فان لم يمكني الحرب كثرت السواد
وحفظت المتاع وقال صفوان بن عمرو كنت واليا على حمص فلقيت شيخا قد
سقط حاجباه على عينيه من اهل دمشق على راحلته يريد الغزو فقلت يا عم
انت معذور عند الله فرفع حاجبيه وقال يا ابن اخي استنفرنا الله خفافا وثقالا
الا انه من يحبه يبتليه والصحيح هو القول الاول انها منسوخة ولان الجهاد
من فروض الكفايات ويدل عليه ان هذه الايات نزلت في غزوة تبوك وان النبي
صلى الله عليه وسلم خلف في المدينة في تلك الغزاة النساء وبعض الرجال فدل
ذلك على ان الجهاد من فروض الكفايات ليس على الاعيان والله اعلم وقوله تعالى
وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله فيه قولان الاول ان الجهاد انما
يجب على من له مال يتقوى به على تحصيل الات الجهاد ونفس سليمة قوية صالحة
للجهاد فيجب عليه فرض الجهاد والقول الثاني من كان له مال وهو مريض او مقعد
او ضعيف لا يصلح للحرب فعليه الجهاد بماله بان يعطيه غيره ممن يصلح للجهاد
فيغزو به فيكون مجاهدا بماله دون نفسه ذلكم خير لكم يعني ذلكم الجهاد
خير لكم من القعود والتثاقل عنه وقيل معناه ان الجهاد خير لكم حاصل لكم
ثوابه ان كنتم تعلمون يعني ان ثواب الجهاد خير لكم من القعود عنه ثم نزل
في المنافقين الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك
قوله عز وجل لو كان عرضا قريبا فيه اضمار تقديره لو كان ما تدعوهم اليه
عرضا يعني غنيمة سهلة قريبة التناول والعرض ما عرض لك من منافع الدنيا
ومتاعها يقال الدنيا عرض حاضر ياكل منه البر والفاجر وسفرا قاصدا
يعني سهلا قريبا لاتبعوك يعني لخرجوا معك ولكن بعدت عليهم الشقة
اي المسافة والشقة السفر البعيد لانه يشق على الانسان سلوكها
ومعنى الاية لو كان العرض قريبا والغنيمة سهلة والسفر قاصدا لاتبعوك
طمعا في تلك المنافع التي تحصل لهم ولكن لما كان السفر بعيدا وكانوا يستعظمون
غزو الروم لا جرم انهم تخلفوا لهذا السبب ثم اخبر الله تعالى عنهم انه اذا
رجع من هذا الجهاد انهم يحلفون بالله وهو قوله تعالى وسيحلفون بالله
يعني المنافقين الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه
الغزوة لو استطعنا لخرجنا معكم يعني الى هذه الغزوة يهلكون
انفسهم يعني بسبب هذه الايمان الكاذبة والنفاق وفيه دليل على ان

الإيمان الكاذبة نهلك صاحبها والله يعلم إنهم لكاذبون في إيمانهم وهو قولهم لو
استطعنا لخرجنا معكم لأنهم كانوا مستطيعين للخروج قوله عز وجل عفى الله
عنك لم أذنت لهم قال الطبري هذا عتاب من الله عز وجل عاتب به نبيه صلى الله
عليه وسلم في إذنه لمن أذن له في التخلف عنه من المنافقين حين شخص إلى تبوك
لغزو الروم والمعنى عفا الله عنك يا محمد ما كان منك في إذنك لهؤلاء المنافقين
الذين استأذنوك في ترك الخروج معك إلى تبوك قال عمرو بن ميمون الأودي اثنتان
فعلهما رسول الله لم يؤمر فيهما بشيء إذنه للمنافقين وأخذه للفداء من أسارى
بدر فعاتبه الله كما تسمعون وقال سفيان بن عيينة انظر إلى هذا اللطف بدأه
بالعفو قبل أن يعيره بالذنب **فصل** استدل بهذه الآية من يرى
جواز صدور الذنوب من الأنبياء وبيانه من وجهين أحدهما أنه تعالى قال عفى الله
عنك والعفو يستدعي سابقة الذنب الوجه الثاني أنه تعالى قال لم أذنت
لهم وهذا استفهام معناه الإنكار والجواب عن الأول أنا لا نسلم أن قوله تعالى
عفى الله عنك يوجب صدور الذنب بل نقول إن ذلك يدل على المبالغة في التعظيم
والتوقير فهو كما يقول الرجل لغيره إذا كان معظمًا له عفى الله عنك ما صنعت في
أمري رضي الله عنك ما جوابك عن كلامي وعافاك الله وغفر لك على هذه الألفاظ
في ابتداء الكلام وافتتاحه تدل على تعظيم المخاطب به قال علي بن الجهم يخاطب
المتوكل

عفا الله عنك ألا حرمة … بفضلك يا ابن الملا
ألم تر عبدًا عدا طوره … ومولى عفا ورشيد الهدى
أقلني أقالك من لم يزل … يقيك ويصرف عنك الردى

والجواب عن الثاني أنه لا يجوز أن يكون المراد بقوله لم أذنت لهم الإنكار عليه
وبيانه إما أن يكون قد صدر منه ذنب في هذه الواقعة أو لا فإن كان قد صدر
عنه ذنب فذكر الذنب بعد العفو لا يليق فقوله عفى الله عنك يدل على حصول
العفو وبعد حصول العفو يستحيل أن يتوجه الإنكار عليه وإن لم يكن قد صدر
عنه ذنب امتنع الإنكار فثبت بهذا أن الإنكار ممتنع في حقه صلى الله عليه وسلم
وقال القاضي عياض في كتابه الشفا في الجواب عن قوله عفى الله عنك لم أذنت لهم
فإنه أمر لم يتقدم للنبي صلى الله عليه وسلم فيه من الله تعالى نهي فيعد معصية
بل لم يعده أهل العلم معاتبة وغلطوا على من ذهب إلى ذلك أو قال به وقد حاشاه
الله من ذلك بل كان مخيرًا في أمرين قالوا وقد كان له أن يفعل ما يشاء فيما لم ينزل
عليه فيه وحي فكيف وقد قال الله تعالى له فأذن لمن شئت منهم فلما أذن لهم أعلمه
الله بما لم يطلع عليه من سرهم أنه لو لم يأذن لهم لقعدوا وأنه لا حرج عليه فيما
فعل وليس عفا هنا بمعنى غفر بل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم عفى الله لكم عن صدقة
الخيل والرقيق ولم تجب عليكم قط أي لم يلزمكم ذلك ونحوه قال القشيري وإنما

تقول العفو لا يكون إلا عن ذنب من لم يعرف كلام العرب قال ومعنى عفى الله عنك
أي لم يلزمك ذنب قال الداودي إنها تكرمة وقال مكي هو افتتاح كلام مثل
أصلحك الله وأعزك الله وحكى السمرقندي أن معناه عافاك الله وقيل معناه
أدام الله لك العفو لم أذنت لهم يعني في التخلف عنك وهذا يجري على ترك
الأولى والأكمل لا سيما وهذه كانت من جنس ما يتعلق بالحروب ومصالح الدنيا
حتى يتبين لك الذين صدقوا يعني في أعذارهم وتعلم الكاذبين يعني فيما
يعتذرون قال ابن عباس لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف المنافقين
يومئذ حتى نزلت براءة وقوله تعالى لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله
واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في أن يجاهدوا وإنما حسن هذا الحذف
لظهوره والله عليم بالمتقين يعني الذين يتقون مخالفته ويسارعون إلى طاعته
إنما يستأذنك يعني في التخلف عن الجهاد معك يا محمد من غير عذر الذين لا
يؤمنون بالله واليوم الآخر وهم المنافقون لقوله وارتابت قلوبهم يعني
يعني شكت قلوبهم في الإيمان وإنما أضاف الشك والارتياب إلى القلب
لأنه محل المعرفة والإيمان أيضًا فإذا دخله الشك كان ذلك نفاقًا فهم
في ريبهم يترددون يعني أن المنافقين متحيرون لا مع الكفار ولا مع المؤمنين
وقد اختلف علماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآيات فقيل إنها منسوخة
بالآية التي في سورة النور وهي قوله تعالى إن الذين يستأذنونك أولئك الذين
يؤمنون بالله ورسوله فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم
الآية وقيل إنها محكمات كلها ووجه الجمع بين هذه الآية أن المؤمنين كانوا
يسارعون إلى طاعة الله وجهاد عدوه من غير استئذان فإذا عرض لأحدهم
عذر استأذن في التخلف فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مخيرًا في الإذن
لهم بقوله تعالى فأذن لمن شئت منهم وأما المنافقون فكانوا يستأذنونك
في التخلف من غير عذر فعيرهم الله تعالى بهذا الاستئذان لكونه بغير عذر
ولو أرادوا الخروج يعني إلى الغزو معكم لأعدوا له عدة لتهيأوا له بإعداد
آلات السفر وآلات القتال من الكراع والسلاح ولكن كره الله انبعاثهم يعني
خروجهم إلى الغزو معكم فثبطهم منعهم وحبسهم عن الخروج معكم والمعنى
أن الله تعالى ذكر خروج المنافقين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فضرهم
عنه وها هنا يتوجه سؤال وهو أن خروج المنافقين مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم إما أن يكون فيه مصلحة أو مفسدة فإن كان فيه مصلحة فلم قال
ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وإن كان فيه مفسدة فلم عاتب نبيه صلى الله
عليه وسلم في إذنه لهم بالقعود والجواب عن هذا السؤال أن خروجهم مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان فيه مفسدة عظيمة بدليل أنه تعالى أخبر عن تلك المفسدة
بقوله لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالًا لا أتى فلم عاتب الله رسوله صلى الله عليه وسلم

بقوله أذنت لهم فنقول إنه صلى الله عليه وسلم أذن لهم قبل تمام الفحص وإكمال
التأمل والتدبر في حالهم فلهذا السبب قال تعالى لم أذنت لهم وقيل إنما عاتبه
لأجل أنه أذن لهم قبل أن يوحى إليه في أمرهم بالقعود **وقيل اقعدوا مع القاعدين**
معناه أنهم لما استأذنوا في القعود قيل لهم اقعدوا مع القاعدين وهم النساء
والصبيان والمرضى وأهل الأعذار ثم اختلفوا في القائل من هو فقيل قال بعضهم
لبعض اقعدوا مع القاعدين وقيل القائل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما
قال ذلك لهم على سبيل الغضب لما استأذنوه في القعود فقال لهم اقعدوا مع
القاعدين فاغتنموا ذلك وقعدوا وقيل إن القائل ذلك هو الله تعالى بأن ألقى
في قلوبهم القعود لما كره انبعاثهم مع المسلمين إلى الجهاد ثم بين الله تعالى ما في
خروجهم من المفاسد فقال تعالى **لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا** يعني لو خرج
هؤلاء المنافقون معكم إلى الغزو ما زادوكم إلا فسادا وشرا وأصل الخبال
اضطراب ومرض يؤثر في العقل كالجنون قال بعض النحاة هذا من الاستثناء المنقطع
والمعنى لو خرجوا فيكم ما زادوكم قوة لكن خبالا والمراد به هنا الإفساد وإيقاع
الجبن والفشل بين المؤمنين بتهويل الأمر وشدة السفر وكثرة العدو وقوتهم
ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة يعني يطلبون لكم ما تفتتنون به وذلك أنهم
يقولون للمؤمنين لقد جمع لكم كذا وكذا ولا طاقة لكم بهم وإنكم ستهزمون منهم
وسيظهرون عليكم ونحو ذلك من الأحاديث الكاذبة التي تجبن وقيل معناه يطلبون
العيب والشر **وفيكم سماعون لهم** قال مجاهد يعني وفيكم عيون يؤدون إليهم أخباركم
وما يسمعون منكم وهم الجواسيس قال قتادة وفيكم مطيعون لهم يسمعون كلام
المنافقين ويطيعونهم وذلك بأنهم يلقون إليهم أنواعا من الشبهات الموجبة لضعف
القلب فيقبلونها منهم فإن قلت كيف يجوز أن يكون في المؤمنين المخلصين
من يسمع ويطيع للمنافقين قلت يحتمل أن يكون بعض المؤمنين لهم
أقارب من كبار المنافقين ورؤسائهم فإذا قالوا قولا ربما أثر ذلك القول في قلوب
ضعفة المؤمنين في بعض الأحوال **والله عليم بالظالمين** وهذا وعيد وتهديد
للمنافقين الذين يلقون الفتن والشبهات بين المؤمنين وقوله تعالى **لقد ابتغوا**
الفتنة من قبل يعني لقد طلبوا صد أصحابك يا محمد عن الدين وردهم إلى الكفر
وتخذيل الناس عنكم قبل هذا اليوم كما فعل عبد الله بن أبي بن سلول يوم أحد
يعني انصرف بأصحابه عنكم **وقلبوا لك الأمور** يعني واحتالوا في أمرك وفي إبطال
دينك الرأي وبالغوا في تخذيل الناس عنك وقصدهم تشتيت أمرك **حتى جاء**
الحق يعني النصر والظفر **وظهر أمر الله وهم كارهون** يعني ذلك قوله عز وجل **ومنهم**
من يقول ائذن لي ولا تفتني نزلت في الجد بن قيس وكان من المنافقين وذلك
أن النبي صلى الله عليه وسلم لما تجهز إلى غزوة تبوك قال للجد بن قيس يا أبا وهب
هل لك في جلاد بني الأصفر يعني الروم تتخذ منهم سراري ووصفاء فقال الجد يا رسول

لقد

لقد عرف قومي أني رجل مغرم بالنساء وإني أخشى إن رأيت بنات بني الأصفر
أن لا أصبر عنهن ائذن لي في القعود ولا تفتني بهن وأعينك بمالي قال ابن عباس
اعتل الجد بن قيس ولم تكن له علة إلا النفاق فأعرض عنه رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال قد أذنت لك فأنزل الله فيه ومنهم من يقول ائذن لي
ولا تفتني يعني في التخلف والقعود في المدينة ولا تفتني يعني ببنات بني
الأصفر وهم الروم **ألا في الفتنة سقطوا** يعني أنهم وقعوا في الفتنة العظيمة
وهي النفاق ومخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم والقعود عنه **وإن جهنم**
لمحيطة بالكافرين يعني يوم القيامة تحيط بهم وتجمعهم فيها قوله تعالى
إن تصبك حسنة تسؤهم يعني إن تصبك يا محمد حسنة من نصر وغنيمة
تحزن المنافقين **وإن تصبك مصيبة** يعني من هزيمة وشدة **يقولوا قد**
أخذنا أمرنا يعني أخذنا بالحذر والحزم في القعود عن الغزو **من قبل** يعني من قبل
هذه المصيبة **ويتولوا وهم فرحون** يعني مسرورون بما نالك من المصيبة
وسلامتهم منها **قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا** يعني قل يا محمد لهؤلاء الذين
يفرحوا بما يصيبك من المصائب والمكروه أن يصيبنا إلا ما قدره الله لنا وعلينا
وكتبه في اللوح لأن القلم جف بما هو كائن إلى يوم القيامة من خير وشر فلا
يقدر أحد أن يدفع عن نفسه مكروها نزل به أو يجلب لنفسه نفعا أراده
ما لم يقدر له **هو مولانا** يعني أن الله هو ناصرنا وحافظنا وهو أولى بنا من أنفسنا
في الموت والحياة **وعلى الله فليتوكل المؤمنون** يعني في جميع أمورهم **قل هل**
تربصون بنا يعني قل يا محمد لهؤلاء المنافقين هل تنتظرون بنا أيها المنافقون
إلا إحدى الحسنيين يعني إما النصر والغنيمة وإما الشهادة والمغفرة
وذلك أن المسلم إذا ذهب إلى الغزو والجهاد في سبيل الله إما أن يغلب
عدوه فيفوز بالنصر والغنيمة والأجر العظيم في الآخرة وإما أن يقتل في
سبيل الله فتحصل له الشهادة وهي الغاية القصوى ويدل على ذلك ما روي
عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تكفل الله وفي رواية تضمن الله
لمن خرج في سبيل الله لا يخرجه إلا جهاد في سبيلي وإيمان بي وتصديق برسلي
فهو علي ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه نائلا ما
نال من أجر أو غنيمة أخرجاه في الصحيحين وقوله تعالى **ونحن نتربص بكم** يعني
ونحن ننتظر بكم إحدى السوأتين **أن يصيبكم الله بعذاب من عنده** يعني
فيهلككم كما أهلك من كان قبلكم من الأمم الخالية **أو بأيدينا** يعني أو يصيبكم
بأيدي المؤمنين بأن يظفرنا بكم ويظهرنا عليكم **فتربصوا إنا معكم متربصون**
قال الحسن فتربصوا مواعيد الشيطان إنا متربصون مواعيد الله من إظهار
دينه واستئصال من خالفه **قل أنفقوا طوعا أو كرها** نزلت في الجد بن قيس
المنافق وذلك أنه استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في القعود عنه وقال

انا اعطيكم مالي فانزل الله ردا عليه قل يا محمد لهولا المنافقين وامثالهم في الانفاق
انفقوا طوعا او كرها يعني انفقوا طايعين من قبل انفسكم او مكرهين بالالزام
بالزام الله ورسوله اياكم بالانفاق لن يتقبل منكم لان هذا الانفاق انما
وقع لغير الله وهذه الاية وان كانت خاصة في انفاق المنافقين فهي عامة
في حق كل من انفق ماله لغير وجه الله بل انفقه رياء وسمعة فانه لا يقبل منه
ثم علل سبب منع القبول بقوله انكم اي لانكم كنتم قوما فاسقين والمراد
بالفسق هنا الكفر ويدل عليه قوله تعالى وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم
الا انهم كفروا بالله وبرسوله اي المانع من قبول نفقاتهم هو كفرهم بالله ورسوله
ولا ياتون الصلاة الا وهم كسالى جمع كسلان يعني متثاقلين في الاتيان
الى الصلاة وذلك بانهم لا يرجون على فعلها ثوابا ولا يخافون على تركها عقابا
ولذلك ذمهم مع فعلها ولا ينفقون الا وهم كارهون لانهم كانوا يعتقدون
الانفاق في سبيل الله مغرما ومنع ذلك الانفاق مغنما فلا تعجبك يا محمد
اموالهم ولا اولادهم وهذا الخطاب وان كان مختصا بالنبي صلى الله عليه وسلم
الا ان المراد به جميع المومنين والمعنى فلا تعجبوا باموال المنافقين واولادهم
والاعجاب السرور بالشيء مع نوع من الافتخار به مع الاعتقاد انه ليس لغيره
مثله وهذا يدل على استغراق النفس بذلك الشيء يكون سبب انقطاعه عن الله
عز وجل فينبغي للانسان ان لا يعجب بشيء من امور الدنيا ولذاتها فان العبد
اذا كان من الله في استدراج كثر ماله وولده فيكثر اعجابه بماله وولده فيبطر
ويكفر نعمة الله عليه ولهذا قال تعالى انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا
فان قلت كيف يكون المال والولد عذابا في الدنيا وفيهما اللذة والسرور
في الدنيا قلت قال مجاهد وقتادة في الاية تقديم وتاخير تقديرها
فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم في الحياة الدنيا انما يريد الله ليعذبهم بها في
الاخرة وقيل ان سبب كون المال والولد عذابا في الدنيا وهو ما يحصل من المتاعب
والمشاق في تحصيلهما فاذا حصلا ازداد التعب وتحمل المشاق في حفظهما
ويزداد الحزن والغم بسبب المصايب الواقعة فيهما فعلى هذا القول لا حاجة
الى التقديم والتاخير في نظم الاية واورد على هذا القول بان التعذيب حاصل
لجميع بني ادم مومنهم وكافرهم فما فايدة تخصيص المنافقين بهذا التعذيب
في الدنيا واجيب عن هذا الايراد بان المنافقين مخصوصون بزيادة من هذا
العذاب وهو ان المومن قد علم انه مخلوق للاخرة وانه يثاب بالمصايب الحاصلة
له في الدنيا فلم يكن المال والولد في حقه عذابا في الدنيا واما المنافق فانه
لا يعتقد كون الاخرة وانه ليس له فيها ثواب فيبقى ما يحصل له في الدنيا من التعب
والشدة والغم والحزن على المال والولد عذابا عليه في الدنيا فثبت بهذا
الاعتبار ان المال والولد عذاب على المنافق دون المومن وقيل ان تعذيبهم بها في

الدنيا

في الدنيا اخذ الزكاة منهم والنفقة في سبيل الله غير مثابين على ذلك وربما قتل
الولد في الغزو فلا يثابون لان المنافق على قتل ولده وذهاب ماله وقيل
تعذيبهم بالتعب في جمعه وحفظه والكره في انفاقه والحسرة على تخليفه عند من
لا يحمده ثم يقدم في الاخرة على ملك لا يعذره وتزهق انفسهم اي وتخرج انفسهم
وهم كافرون والمعنى انهم يموتون على الكفر فتكون عاقبتهم بعد عذاب الدنيا
عذاب الاخرة قوله عز وجل ويحلفون بالله يعني المنافقين انهم لمنكم يعني
على دينكم وملتكم وما هم منكم يعني انهم كاذبون في ايمانهم ولكنهم قوم يفرقون
يعني انهم يخافون ان تظهروا على ما هم عليه من النفاق لو يجدون ملجأ يعني
حرزا وحصنا ومعقلا يلجاون اليه وقيل لو وجدوا مهربا لهربوا اليه وقيل
لو يجدون قوما يامنون عندهم على انفسهم منكم لصاروا اليهم ولفارقوكم
او مغارات يعني غيرانا في الجبال جمع مغارة وهي الموضع الذي يغور فيه الانسان
اي يستتر او مدخلا يعني موضع دخول يدخلون فيه وهو السرب في الارض
كنفق اليربوع وقال الحسن وجها يدخلونه على خلاف رسول الله صلى الله
عليه وسلم لولوا اليه والمعنى انهم لو وجدوا مكانا بهذه الصفة او على
احد هذه الوجوه الثلاثة وهي شر الامكنة واضيقها لولوا اليه وتحرزوا
فيه وهم يجمحون يعني وهم يسرعون الى ذلك المكان والمعنى ان المنافقين
لشدة بغضهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنين لو قدروا ان يهربوا
منكم الى احد هذه الامكنة لصاروا اليه لشدة بغضهم اياكم قوله تعالى ومنهم
من يلمزك في الصدقات نزلت في ذي الخويصرة التميمي واسمه حرقوص بن زهير وهو
اصل الخوارج ق عن ابي سعيد الخدري قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو يقسم قسما اتاه ذو الخويصرة رجل من بني تميم فقال يا رسول الله
اعدل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلك من يعدل اذا لم اعدل وفي رواية
قد خبت وخسرت ان لم اعدل فقال عمر بن الخطاب ايذن لي فيه فاضرب عنقه
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعه فان له اصحابا يحقر احدكم صلاته
مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم زاد في رواية يقرؤون القران لا يجاوز تراقيهم
يمرقون من الاسلام وفي رواية من الدين كما يمرق السهم من الرمية وقال الكلبي
قال رجل من المنافقين يقال له ابو الجواظ لم تقسم بالسوية فنزلت هذه الاية وقال
قتادة ذكر لنا ان رجلا من اهل البادية حديث عهد باعرابية اتى نبي الله صلى الله
عليه وسلم وهو يقسم ذهبا وفضة فقال يا محمد والله لئن كان الله امرك ان تعدل
فما عدلت فقال النبي صلى الله عليه وسلم ويلك فمن ذا يعدل عليك بعدي وقال ابن
زيد قال المنافقون والله ما يعطيها محمد الا من احب ولا يوثر بها الا هواه فانزل الله
تعالى ومنهم من يلمزك في الصدقات يعني من المنافقين من يعيبك في قسم الصدقات
وفي تفريقها ويطعن عليك في امرها يقال همزه ولمزه بمعنى واحد عابه فان اعطوا

منها يعني من الصدقات رضوا يعني رضوا عنك في قسمتها وان لم يعطوا منها
اذا هم يسخطون يعني وان لم تعطهم منها عابوا عليك وسخطوا ولو انهم
رضوا يعني ولو ان المنافقين الذين عابوا عليك رضوا بما قسم الله لهم وقنعوا
بما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله اي كافينا الله سيؤتينا الله
من فضله ورسوله يعني ما نحتاج اليه انا الى الله راغبون يعني في ان يوسع
علينا من فضله فيغنينا عن الصدقة وعن غيرها من اموال الناس وجواب لو محذوف
تقديره لكان خيرا لهم واعود عليهم قوله عز وجل انما الصدقات للفقراء والمساكين
الآية اعلم ان المنافقين لما لمزوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعابوه في قسم
الصدقات بين الله عز وجل في هذه الآية ان المستحقين للصدقات هم هؤلاء الاصناف
الثمانية ومصرفها اليهم ولا تعلق لرسول الله صلى الله عليه وسلم منها بشيء ولم
يأخذ لنفسه منها شيئا فلم يلمزوه ويعيبوا عليه فلا مطعن لهم فيه بسبب قسم
الصدقات عن زياد بن الحارث الصدائي قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فبايعته فاتاه رجل فقال اعطني من الصدقة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله لم يرض بحكم نبي ولا غيره في الصدقات حتى حكم فيها هو فجزاها ثمانية
اجزاء فان كنت من تلك الاجزاء اعطيتك حقك اخرجه ابو داود **فصل**
في بيان حكم الآية وفيه مسائل المسئلة الاولى في بيان وجه الحكمة في ايجاب
الزكاة على الاغنياء وصرفها الى المحتاجين من الناس وذلك من وجوه الوجه الاول
ان المال محبوب بالطبع وسببه ان القدرة صفة من صفات الكمال وصفة
الكمال محبوبة لذاتها والمال سبب لتحصيل تلك القدرة فكان المال محبوبا
بالطبع واذا استغرق القلب في حب المال اشتغل به عن حب الله عز وجل وعن
الاشتغال بالطاعات المقربة الى الله تعالى فاقتضت الحكمة الالهية بايجاب
الزكاة في ذلك المال الذي هو سبب للفرح من الله عز وجل باخراج الزكاة منه
الوجه الثاني ان كثرة المال توجب قسوة القلب وحب الدنيا والميل الى شهواتها
ولذاتها فاوجب الله تعالى الزكاة ليقل ذلك المال الذي هو سبب لقساوة القلب
الوجه الثالث سبب وجوب الزكاة امتحان العبد المؤمن لان التكاليف البدنية
غير شاقة على العبد واخراج المال مشق على النفس فاوجب الله عز وجل الزكاة
على العباد ليمتحن باخراج الزكاة اصحاب الاموال ليميز بين المطيع المخرج لها
طيبة بها نفسه من العاصي المانع لها الوجه الرابع ان المال كله مال الله والاغنيا
خزان الله والفقراء عيال الله فامر الله تعالى الذين هم اغنياء ان يدفعوا طائفة من ماله
الى عياله فيثيب العبد المؤمن المطيع المسارع الى امتثال الامر المشفق على عياله
ويعاقب العبد العاصي المانع لعياله ماله ق عن ابي موسى الاشعري عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال ان الخازن المسلم الامين الذي ينفذ وربما قال يعطي ما
امر به فيعطيه كاملا موفرا طيبة به نفسه فيدفعه الى الذي امر له به احد

المتصدقين الوجه الخامس ان الفقراء ربما تعلقت قلوبهم بالاموال التي بايدي الاغنيا
فاوجب الله عز وجل نصيبا للفقراء في ذلك المال تطييبا لقلوبهم الوجه السادس
ان المال الفاضل عن حاجة الانسان الاصلية اذا امسكه بقي معطلا عن المقصود
الذي لاجله خلق المال فامر بدفع الزكاة الى الفقراء حتى لا يصير ذلك المال معطلا
بالكلية المسئلة الثانية الآية تدل على انه لا حق لاحد في الصدقات الا لهؤلاء
الاصناف الثمانية وذلك مجمع عليه لان كلمة انما تفيد الحصر وذلك لانها مركبة
من ان وما فكلمة ان للاثبات وكلمة ما للنفي فعند اجتماعهما يفيد الحكم المذكور
وصرفه عما عداه فدل ذلك على ان الصدقات لا تصرف الا الى الاصناف الثمانية
المسئلة الثالثة في بيان الاصناف الثمانية فالصنف الاول الفقراء والثاني
المساكين وهم المحتاجون الذي لا يفي خرجهم بدخلهم ثم اختلف العلماء في الفرق
بين الفقير والمسكين فقال ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة والزهري الفقير
الذي لا يسأل والمسكين السائل قال ابن عمر ليس بفقير من جمع الدرهم الى الدرهم
والتمرة الى التمرة ولكن الفقير من انقى نفسه وثيابه لا يقدر على شيء يحسبهم
الجاهل اغنياء من التعفف وقال قتادة الفقير المحتاج الزمن والمسكين الصحيح
المحتاج وقال الشافعي الفقير من لا مال له ولا حرفة تقع منه موقعا زمنا كان
او غير زمن والمسكين من له مال او حرفة ولكن لا يقع منه موقعا لكفايته سائلا
كان او غير سائل فالمسكين عنده احسن حالا من الفقير وقال ابو حنيفة
واصحاب الرأي الفقير احسن حالا من المسكين ومن الناس من قال لا فرق بين
الفقير والمسكين حجة الشافعي ومن وافقه ان الله تعالى حكم بصرف الصدقات
الى هؤلاء الاصناف الثمانية دفعا لحاجتهم وتحصيلا لمصلحتهم فبدأ بالفقير وانما
بدأ بالاهم فالاهم فلو لم تكن حاجتهم اشد من حاجة المساكين لما بدأ بهم واصل
الفقير المكسور الفقار وقال لبيد

لما رأى لبد النسور تطايرت • دفع القوادم كالفقير الاعزل

قال ابن الاعرابي الفقير في هذا البيت المكسور الفقار فثبت بهذا ان الفقير
انما سمي فقيرا لزمانته وحاجته شديدة وتمنعه الزمانة من التقلب في الكسب
ولان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ من الفقر وقال اللهم احيني مسكينا
وامتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين يوم القيامة رواه الترمذي من
حديث انس فلو كان المسكين اسوأ حالا من الفقير لما تعوذ من الفقر وسأل
المسكنة فثبت بهذا ان المسكين احسن حالا من الفقير ولان الله تعالى قال اما السفينة
فكانت لمساكين يعملون في البحر فاثبت لهم ملكا مع اسم المسكنة لان السفينة
من سفن البحر تساوي دنانير كثيرة ولان الغنى والفقر ضدان والمسكنة قسم
ثالث بينهما فثبت بهذا ان الفقير اشد حالا من المسكين وحجة ابي حنيفة ومن وافقه
على ان المسكين اسوأ حالا من الفقير قوله او مسكينا ذا متربة وصف المسكين بكونه

ذا متربة وهو الذي لصق جلده بالتراب وهذا يدل على غاية الضرر والشدة ولان الله تعالى جعل الكفارة للمساكين فلم يكن المسكين اشد حاجة من غيره لما جعلها له واحتج ايضا بقول الراعي

• اما الفقير الذي كانت حلوبته • وفق العيال فلم يترك له سبد •

واحتج ايضا بقول الاصمعي وابي عمرو بن العلا ان الفقير الذي له ما ياكل والمسكين الذي لا شي له وكذا قال القتيبي الفقير الذي له البلغة من العيش والمسكين الذي لا شي له وقيل الفقير الذي له المسكن والخادم والمسكين الذي لا ملك له وقيل ان كل محتاج الى شي فهو مفتقر اليه وان كان غنيا عن غيره قال تعالى انتم الفقرا الى الله فاثبت لهم اسم الفقر مع وجدان المال والجواب عن الحجة اما قوله او مسكينا ذا متربة فدل على انه قد يوجد مسكين لا بهذه الصفة[٢] والا لم يبق لهذا التقييد فائدة والجواب عن جعل الكفارة للمساكين انه هو الفقير الذي لصق جلده بالتراب من شدة المسكنة والجواب عن الاستدلال ببيت الراعي انه ذكر الفقير وحده فكل فقير افرد بالاسم جاز اطلاق المسكين عليه فسقط الاستدلال به واما الروايات المذكورة فهي معارضة بما تقدم من الروايات عن ابن عباس وغيره من المفسرين وفي الجملة ان الفقر والمسكنة عبارتان عن شدة الحاجة وضعف الحال فالفقير هو الذي كسرت الحاجة فقار ظهره والمسكين هو الذي ضعفت نفسه وسكنت عن الحركة في طلب القوت عن عبد الله بن عمرو ابن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي اخرجه النسائي وابو داود وله في رواية اخرى ولا لذي مرة قوي عن عبيد الله بن عدي بن الخيار قال اخبرني رجلان انهما اتيا النبي صلى الله عليه وسلم وهو في حجة الوداع وهو يقسم الصدقة فسالاه منها فرفع فينا النظر وخفضه فرانا جلدين فقال ان شئتما اعطيتكما ولا حظ فيها لغني ولا لذي قوة مكتسب واختلف العلما في حد الغنى الذي يمنع من اخذ الصدقة فقال الاكثرون حده ان يكون عنده ما يكفيه وعياله سنة وهو قول مالك والشافعي وقال اصحاب الراي حده ان يملك مائتي درهم وقال قوم من ملك خمسين درهما او قيمتها لا تحل له الصدقة لما روي عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سال الناس وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ومسالته في وجهه خموش او خدوش او كدوح قيل يا رسول الله وما يغنيه قال خمسون درهما او قيمتها من الذهب اخرجه ابو داود والترمذي والنسائي وهذا قول الثوري وابن المبارك واحمد واسحاق وقالوا لا يجوز ان يعطى الرجل اكثر من خمسين درهما من الزكاة وقيل اربعون درهما لما روي عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سال وله قيمة اوقية فقد الحف اخرجه ابو داود وكانت الاوقية في ذلك الزمان اربعين درهما الصنف الثالث والعاملين عليها وهم السعاة

الذين

[٢] هو محمول على الشاذ فيه الصفة لا يوجد مسكين الا ويكون ذا متربة

الذين يتولون جباية الصدقات وقبضها من اهلها ووضعها في حقها فيعطون من مال الصدقات بقدر اجور اعمالهم سوا كانوا فقرا او اغنيا وهذا قول ابن عمر وبه قال الشافعي وقال مجاهد والضحاك يعطون الثمن من الصدقات وظاهر اللفظ مع مجاهد الا ان الشافعي يقول هو اجرة عمل فيتقدر بقدر العمل والصحيح ان الهاشمي والمطلبي لا يجوز ان يكون عاملا على الصدقات لما روي عن ابي رافع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل رجلا من بني مخزوم على الصدقات فاراد ابو رافع ان يتبعه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحل لنا الصدقة وان مولى القوم منهم اخرجه الترمذي والنسائي الصنف الرابع قوله تعالى **والمؤلفة قلوبهم** وهم قسمان قسم مسلمون وقسم كفار فاما قسم المسلمين فقسمان القسم الاول هم قوم من اشراف العرب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم من الصدقات يتالفهم بذلك كما اعطى عيينة بن بدر بن حصن والاقرع بن حابس والعباس بن مرداس السلمي فهولا اسلموا وكانت نيتهم ضعيفة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم لتقوى رغبتهم في الاسلام وهم اشراف قومهم مثل عدي بن حاتم والزبرقان بن بدر فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم تالفا لقومهم وترغيبا لامثالهم في الاسلام فيجوز للامام ان يعطي هولا من خمس خمس الغنيمة والفي من سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعطيهم من ذلك ومن الصدقات ايضا القسم الثاني من مولفة المسلمين وهم قوم من المسلمين يكونوا بازا قوم من الكفار في موضع لا يبلغهم جيوش من المسلمين الا بكلفة كبيرة ومونة عظيمة وهولا الذين بازايهم من المسلمين لا يجاهدون اما لضعف نيتهم او لضعف حالهم فيجوز للامام ان يعطيهم من سهم الغزاة من مال الصدقة وقيل من سهم المولفة قلوبهم ومنهم قوم بازا جماعة من مانعي الزكاة فياخذون منهم الزكاة ويحملونها الى الامام فيعطيهم الامام من سهم المولفة من الصدقات وقيل من سهم سبيل الله روي ان عدي بن حاتم جاء ابا بكر بثلثماية من الابل من صدقات قومه فاعطاه ابو بكر منها ثلاثين بعيرا اما مولفة الكفار فهم قوم يخشى شرهم او يرجى اسلامهم فيجوز للامام ان يعطي من يخاف شره او يعطيه رجا اسلامه فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم من خمس الخمس كما اعطى صفوان بن امية لما كان يرى من ميله الى الاسلام اما اليوم فقد اعز الله الاسلام وله الحمد على ذلك واغناه عن ان يتالف عليه احدا من المشركين فلا يعطى مشرك تالفا بحال وقد قال بهذا كثير من اهل العلم وراوا ان المولفة منقطعة وسهمهم ساقط روي ذلك عن ابن عمر وعكرمة وهو قول الشعبي وبه قال مالك والثوري واصحاب الراي واسحاق بن راهويه وقال قوم سهمهم ثابت لم يسقط يروى ذلك عن الحسن وهو قول الزهري وابي جعفر محمد بن علي وابي ثور وقال احمد يعطون ان احتاج المسلمون الى ذلك الصنف الخامس قوله تعالى

وفي الرقاب قال الزجاج فيه حذف تقديره وفي فك الرقاب وفي تفسير
الرقاب اقوال الاول ان سهم الرقاب موضوع في المكاتبين فيدفع اليهم
لينفقوا به وهذا مذهب الشافعي وهو قول اكثر الفقها منهم سعيد بن جبير
والنخعي والزهري والليث بن سعد ويدل عليه ايضا قوله تعالى واتوهم
من مال الله الذي اتاكم القول الثاني وهو مذهب مالك واحمد واسحاق
ان سهم الرقاب موضع لعتق الرقاب فيشترى به عبيد ويعتقون ويدل
عليه ما روي عن ابن عباس انه قال لا باس ان يعتق الرجل من الزكاة القول
الثالث وهو مذهب ابي حنيفة واصحابه ان لا يعتق من الزكاة رقبة كاملة
ولكن يعطى منها في عتق رقبة ويعان بها مكاتب لان قوله وفي الرقاب يقتضي
التبعيض القول الرابع وهو قول الزهري ان سهم الرقاب نصفان نصف للمكاتبين
ونصف يشترى به عبيدا ممن صلوا وصاموا وقدم اسلامهم فيعتقون من الزكاة
قال اصحابنا الاحوط في سهم الرقاب ان يدفع الى السيد باذن المكاتب
ويدل عليه انه اثبت الصدقات للاصناف الاربعة المتقدمة بلام التمليك
فقال انما الصدقات للفقرا وقال في الصنف الخامس وفي الرقاب فلا بد
لهذا الفرق من فايدة وهي ان الاصناف الاربعة المتقدم ذكرها يدفع اليهم
نصيبهم في تخليص رقابهم من الرق ولا يدفع اليهم ولا يمكنون من التصرف فيه
وكذا القول في الغارمين فيصرف نصيبهم في قضاء ديونهم وفي الغزاة يصرف
نصيبهم فيما يحتاجون اليه في الغزو وكذا في ابن السبيل فيصرف اليه ما يحتاج
في سفره الى بلوغ غرضه الصنف السادس قوله تعالى **والغارمين** اصل الغرم
في اللغة لزوم ما يشق وسمي الدين غرما لكونه شاقا على الانسان والمراد
بالغارمين هنا المدينون وهم قسمان قسم ادانوا لانفسهم في غير معصية فيعطون
من مال الصدقات بقدر ديونهم اذا لم يكن لهم مال يفي بديونهم فان كان عندهم
وفا فلا يعطون وقسم ادانوا في المعروف واصلاح ذات البين فيعطون من مال
الصدقات ما يقضون به ديونهم وان كانوا اغنيا لما روي عن عطا بن يسار ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لا تحل الصدقة لغني الا لخمسة لغاز في سبيل الله او لعامل
عليها او لغارم او لرجل اشتراها بماله او لرجل كان له جار مسكين فتصدق
على المسكين فاهدى المسكين للغني اخرجه ابو داود وهو مرسل لان عطا لم يدرك
النبي صلى الله عليه وسلم ورواه معمر عن زيد بن اسلم عن عطا بن يسار عن ابي
سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم متصلا بمعناه اما من كان دينه في معصية
فلا يعطى من الصدقات شيا الصنف السابع قوله تعالى **وفي سبيل الله**
يعني وفي النفقة في سبيل الله واراد به الغزاة فلهم سهم من مال الصدقات
فيعطون اذا ارادوا الخروج الى الغزو ما يستعينون به على امر الجهاد
من النفقة والكسوة والسلاح والحمولة وذلك وان كانوا اغنيا لما تقدم من

حديث

حديث عطا وابي سعيد الخدري ولا يعطى من سهم سبيل الله لمن اراد الحج عند اكثر اهل
العلم وقال قوم يجوز ان يصرف سهم سبيل الله الى الحج يروى ذلك عن ابن عباس
وهو قول الحسن واليه ذهب احمد بن حنبل واسحاق بن راهويه وقال بعضهم ان
اللفظ عام فلا يجوز قصره على الغزاة فقط ولهذا اجاز بعض الفقها صرف سهم
سبيل الله الى جميع وجوه الخير من تكفين الموتى وبنا الجسور والحصون وعمارة
المساجد وغير ذلك قال لان قوله وفي سبيل الله وهو عام في الكل فلا يختص بصنف
دون غيره والقول الاول هو الصحيح لاجماع الجمهور عليه الصنف الثامن قوله
تعالى **وابن السبيل** يعني المسافر من بلد الى بلد والسبيل الطريق سمي المسافر
ابن السبيل لملازمته الطريق قال الشاعر

انا ابن الحروب ربتني وليدا • الى ان شبت واكتهلت لداتي •

فكل مريد سفرا مباحا ولم يكن له ما يقطع به مسافة سفره فيعطى من الصدقات
ما يكفيه لمونة سفره سوا كان له مال في البلد الذي يقصده او لم يكن له وقال
قتادة ابن السبيل هو الضيف وقال فقها العراق ابن السبيل هو الحاج المنقطع
وقوله تعالى **فريضة من الله** يعني ان هذه الاحكام التي ذكرها في هذه الاية
فريضة واجبة من الله تعالى وقيل فرض الله هذه الاشيا فريضة **والله عليم**
يعني بمصالح خلقه **حكيم** يعني فيما فرض لهم لا يدخل في حكمه وتدبيره نقص ولا خلل
المسئلة الرابعة في احكام متفرقة تتعلق بالزكاة اتفق العلما على ان المراد
بقوله انما الصدقات للفقرا هي الزكاة المفروضة بدليل قوله خذ من اموالهم
صدقة واختلفوا في كيفية قسمتها وفي جواز صرفها الى بعض الاصناف دون
بعض فذهب جماعة من الفقها الى انه لا يجوز صرفها كلها الى بعض الاصناف مع وجود
الباقين وهو قول عكرمة واليه ذهب الشافعي قال الشافعي يجب ان يقسم زكاة
ماله على الموجودين من الاصناف الستة الذين سهامهم ثابتة قسمة على السوا
لان سهم المولفة ساقط وسهم العامل ساقط اذا قسم زكاته بنفسه ثم حصة
كل صنف من الاصناف الستة لا يجوز ان تصرف الى اقل من ثلاثة منهم ان وجد
منهم ثلاثة او اكثر فلو فاوت بين اوليك الثلاثة جاز فان لم يجد من بعض الاصناف
الا واحدا ادفع حصة ذلك الصنف اليه ما لم يخرج عن حد الاستحقاق فان انتهت
حاجته وفضل شي رده الى الباقين وذهب جماعة من العلما الى انه لو صرف الكل
الى صنف واحد من هذه الاصناف او الى شخص واحد منهم جاز لان الله تعالى انما
سمى هذه الاصناف الثمانية اعلاما منه ان الصدقة لا تخرج من هذه الثمانية
لا ايجابا منه لقسمتها بينهم جميعا وهذا قول عمر وابن عباس وبه قال سعيد
ابن جبير وعطا واليه ذهب سفيان الثوري واصحاب الراي واحمد بن حنبل قال
احمد يجوز ان يضعها في صنف واحد ويفرقها اولا وقال ابراهيم النخعي ان كان المال
كثيرا يحتمل الاجزا قسمه على الاصناف وان كان قليلا وضعه في صنف واحد وقال

مالك يتحرى موضع الحاجة منهم ويقدم الأولى فالأولى من أهل الخلة والحاجة
فإن رأى الخلة في الفقراء في عام قدمهم وإن رآها في عام في صنف آخر حولها لهم
وكل من دفع إليه شيئا من الصدقة لا يزيد على قدر الاستحقاق فلا يزيد الفقير
على قدر غناه يوما يحتاج إليه فإن حصل أدنى اسم الغنى فلا يعطى بعده شيء
وإن كان محترفا لكنه لا يجد آلة حرفته فيعطى قدر ما يحصل به آلة حرفته فالاعتبار
عند الشافعي ما يدفع الحاجة من غير حد وقال أحمد لا يعطى الفقير أكثر من خمسين
درهما وقال أبو حنيفة أكره أن يعطى رجل واحد من الزكاة مائتي درهم فإن أعطيه
أجزأ فإن أعطى من زكاته فقيرا فبان أنه غني فهل يجزيه فيه قولان ولا يجوز أن
يعطى صدقته لمن تلزمه نفقته وبه قال مالك والثوري وأحمد وقال أبو حنيفة
والشافعي لا يعطي الوالد وإن علا ولا الولد وإن سفل ولا الزوجة ويعطى من عداهم
وتحرم الصدقة على ذوي القربى وهم بنو هاشم وبنو المطلب فلا يدفع
إليهم من الزكاة شيء لقوله صلى الله عليه وسلم إنا لا تحل لنا الصدقة وقال
أبو حنيفة تحرم على بني هاشم ولا تحرم على بني المطلب دليلنا قوله صلى الله
عليه وسلم أنا وبنو المطلب شيء واحد لم يفارقونا في جاهلية ولا إسلام
وتحرم الصدقة على موالي بني هاشم وبني المطلب لقوله صلى الله عليه وسلم مولى
القوم منهم وقال مالك لا تحرم واختلفوا في نقل الصدقة من بلد المال
إلى بلد آخر مع وجود المستحقين في بلد المال فكرهه أكثر أهل العلم لتعلق
قلوب فقراء ذلك البلد بذلك المال ولقوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ وأعلمهم
أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم الحديث بطوله
في الصحيحين واتفقوا على أنه إذا نقل المال إلى بلد آخر وأداه إلى فقراء ذلك البلد
سقط عنه الفرض إلا ما حكي عن عمر بن عبد العزيز فإنه رد صدقة حملت من خراسان
إلى الشام فردها إلى مكانها من خراسان والله أعلم قوله تعالى ومنهم الذين
يؤذون النبي ويقولون هو أذن نزلت في جماعة من المنافقين كانوا يؤذون
رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعيبونه ويقولون ما لا ينبغي فقال بعضهم لا تفعلوا
فإنا نخاف أن يبلغه ما تقولون فيقع بنا فقال الجلاس بن سويد وهو من المنافقين
بل نقول ما شئنا ثم نأتيه وننكر ما قلنا ونحلف فيصدقنا بما نقول فإنما
محمد أذن أي ذو أذن سامعة كل ما يقال له يقبله وقيل معنى هو أذن أي ذو أذن
سامعة وقال محمد بن إسحاق نزلت في رجل من المنافقين يقال له نبتل بن الحارث
وكان أرقم ثائر الشعر أحمر العينين أسفع الخدين مشوه الخلقة وقد قال
فيه النبي صلى الله عليه وسلم من أحب أن ينظر إلى الشيطان فلينظر إلى نبتل بن الحارث
وكان ينم حديث النبي صلى الله عليه وسلم إلى المنافقين فقيل له لا تفعل ذلك
فقال إنما محمد أذن من حدثه شيئا صدقه فنقول ما شئنا ثم نأتيه ونحلف
له فيصدقنا فأنزل الله هذه الآية ومقصود المنافقين بقولهم هو أذن أنه ليس

بعيد غور بل هو سليم سريع الاغترار بكل ما يسمع فأجاب الله تعالى عنه بقوله
قل هو أذن خير لكم يعني هب أنه أذن لكنه أذن خير لكم كقولك رجل صدق
وشاهد عدل والمعنى أنه مستمع خير وصلاح لا مستمع شر وفساد وقرئ أذن
خير لكم مرفوعين منونين ومعناه يسمع منكم ويصدقكم خير لكم من أن يكذبكم
ولا يقبل قولكم ثم وصف الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله يؤمن
بالله ويؤمن للمؤمنين يعني أنه يصدق المؤمنين ويقبل قولهم ولا يقبل
قول المنافقين وإنما عدي الإيمان بالله بالباء والإيمان للمؤمنين باللام لأن
الإيمان بالله هو نقيض الكفر فلا يتعدى إلا بالباء فيقال آمنت بالله والإيمان
للمؤمنين معناه تصديق المؤمنين فيما يقولونه فلا يتعدى إلا باللام ومنه
قوله أنؤمن لك وقوله آمنتم له ورحمة أي وهو رحمة للذين آمنوا منكم
وإنما قال منكم لأن المنافقين كانوا يزعمون أنهم مؤمنون فبين الله تعالى أنه
رحمة للمؤمنين المخلصين لا للمنافقين وقيل في كونه صلى الله عليه وسلم رحمة
لأنه يجري أحكام الناس على الظاهر ولا ينقب عن أحوالهم ولا يهتك أسرارهم
والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم يعني في الآخرة قوله عز وجل
يحلفون بالله لكم ليرضوكم قال قتادة والسدي اجتمع ناس من المنافقين
فيهم الجلاس بن سويد ووديعة بن ثابت فوقعوا في رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم قالوا إن كان ما يقول محمد حقا فنحن شر من الحمير وكان عندهم غلام من الأنصار
واسمه عامر بن قيس فحقروه وقالوا هذه المقالة فغضب الغلام من قولهم وقال
والله ما يقول محمد حق وأنتم شر من الحمير ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره
فدعاهم فسألهم فأنكروا وحلفوا أن عامرا كذاب وحلف عامر أنهم كذبة
فصدقهم النبي صلى الله عليه وسلم فجعل عامر يدعو ويقول اللهم صدق الصادق
وكذب الكاذب فأنزل الله هذه الآية وقال مقاتل والكلبي نزلت في رهط
من المنافقين تخلفوا عن غزوة تبوك فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم
أتوه يعتذرون ويحلفون فأنزل الله هذه الآية والمعنى يحلفون لكم أيها
المؤمنون هؤلاء المنافقون ليرضوكم يعني فيما بلغكم عنهم من أذى رسول الله
صلى الله عليه وسلم والله ورسوله أحق أن يرضوه اختلفوا في معنى هذا
الضمير إلى ماذا يعود فقيل الضمير عائد على الله تعالى لأن في رضى الله رضى رسوله
صلى الله عليه وسلم والمعنى والله ورسوله أحق أن يرضوه بالتوبة والإخلاص
وقيل يجوز أن يكون المراد يرضوهما فاكتفى بذكر أحدهما عن الآخر وقيل معناه
والله أحق أن يرضوه وكذلك رسوله إن كانوا مؤمنين يعني إن كان هؤلاء
المنافقون مصدقين بوعد ووعيد في الآخرة قوله تعالى ألم يعلموا قال أهل
المعاني ألم تعلم خطاب لمن علم شيئا ثم نسيه أو أنكره فيقال له ألم تعلم أنه كان كذا
وكذا ولما طال مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم وظهر المؤمنين والمنافقين

وعلمهم من أحكام الدين ما يحتاجون إليه في خطاب المنافقين بقول الربيع المواعظ
من شرائع الدين التي علمهم رسولنا **أنه من يحادد الله ورسوله** يعني أنه من
يخالف الله ورسوله وأصل المحادة في اللغة المخالفة والمجانبة والمعاداة واشتقاقه
من الحد يقال حاد فلان فلانا إذا صار في غير حده وخالفه في أمره وقيل معنى
يحادد الله ورسوله أي يحارب الله ورسوله ويعاند الله ورسوله **فأن له**
نار جهنم أي فحق أن له نار جهنم **خالدا فيها** يعني على الدوام **ذلك الخزي**
العظيم يعني ذلك الخلود في نار جهنم هي الفضيحة العظيمة قوله عز وجل **يحذر**
المنافقون يعني يخشى المنافقون **أن تنزل عليهم سورة** يعني على المؤمنين
تنبئهم يعني تخبر المؤمنين **بما في قلوبهم** يعني بما في قلوب المنافقين من الحسد
والعداوة للمؤمنين وذلك أن المنافقين كانوا فيما بينهم يذكرون المؤمنين بسوء
ويسترونه ويخافون الفضيحة ونزول القرآن في شأنهم قال قتادة وهذه السورة
كانت تسمى الفاضحة والمبعثرة والمثيرة يعني أنها فضحت المنافقين وبعثرت
عن أخبارهم وأثارتها وكشفت عن مخازيهم ومثالبهم وقال ابن عباس أنزل الله
ذكر سبعين رجلا من المنافقين بأسمائهم وأسماء آبائهم ثم نسخ ذكر الأسماء رحمة منه
على المؤمنين لئلا يعير بعضهم بعضا لأن أولادهم كانوا مؤمنين **قل استهزءوا**
أمر تهديد فهو كقوله اعملوا ما شئتم **إن الله مخرج** أي مظهر **ما تحذرون**
والمعنى أن الله يظهر إلى الوجود ما كان المنافقون يسترونه ويخفونه عن المؤمنين
قال ابن كيسان نزلت هذه الآية في اثني عشر رجلا من المنافقين وقفوا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم على العقبة لما رجع من غزوة تبوك ليفتكوا به إذا علاها وتنكروا
له في ليلة مظلمة فأخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قد أضمروا وأمره
أن يرسل إليهم من يضرب وجوه رواحلهم وكان معه عمار بن ياسر يقود ناقة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وحذيفة يسوقها فقال لحذيفة اضرب وجوه رواحلهم فضربها
حذيفة حتى نحاهم عن الطريق فلما نزل قال لحذيفة من عرفت من القوم قال لم
أعرف منهم أحدا يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنهم فلان
وفلان حتى عدهم كلهم فقال حذيفة هلا تبعث إليهم من يقتلهم يكفيناهم فقال
أكره أن تقول العرب لما ظفر بأصحابه أقبل يقتلهم بل يكفيناهم الله بالدبيلة م
عن قيس بن عباد قال قلت لعمار أرأيتم قتالكم أرأيا رأيتموه فإن الرأي يخطئ
ويصيب أم عهدا عهده إليكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما عهد إلينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا لم يعهده إلى الناس كافة وقال إن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال إن في أمتي قال شعبة وأحسبه قال حدثني حذيفة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن في أمتي اثني عشر منافقا لا يدخلون
الجنة ولا يجدون ريحها حتى يلج الجمل في سم الخياط ثمانية منهم يكفيهم الدبيلة
سراج من نار يظهر في أكتافهم حتى تنجم في صدورهم وقوله تعالى **ولئن سألتهم**

ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب الآية وسبب نزولها على ما قال زيد بن أسلم
أن رجلا من المنافقين قال لعوف بن مالك في غزوة تبوك ما لقرائنا هؤلاء أرغبنا
بطونا وأكذبنا ألسنة وأجبننا عند اللقاء فقال له عوف بن مالك كذبت ولكنك
منافق ولأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب عوف إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم ليخبره فوجد القرآن قد سبقه قال زيد قال عبد الله بن عمر فنظرت إليه يعني
إلى المنافق متعلقا بحقب ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم تنكبه الحجارة يقول
إنما كنا نخوض ونلعب فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم أبالله وآياته
ورسوله كنتم تستهزءون ما يزيده قال محمد بن إسحاق الذي قال هذه المقالة فيما
بلغني هو وديعة بن ثابت أخو بني أمية بن زيد بن عمرو بن عوف وقال قتادة بينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في غزوة تبوك وبين يديه ناس من المنافقين
فقالوا يرجو هذا الرجل أن يفتح قصور الشام وحصونها هيهات هيهات فأطلع
الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم احبسوا على الركب
فأتاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا يا نبي الله إنا كنا نخوض ونلعب فأنزل الله
فيهم ما تسمعون وقال الكلبي ومقاتل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في
غزوة تبوك وبين يديه ثلاثة نفر من المنافقين اثنان يستهزئان بالقرآن والرسول
والثالث يضحك قيل كانوا يقولون إن محمدا يزعم أنه يغلب الروم ويفتح مدائنهم ما
أبعده من ذلك وقيل كانوا يقولون إن محمدا يزعم أنه نزل في أصحابنا قرآنا
إنما هو قوله وكلامه فأطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك فقال احبسوا
على الركب فدعاهم وقال لهم قلتم كذا وكذا فقالوا إنما كنا نخوض ونلعب ومعنى الآية
ولئن سألت يا محمد هؤلاء المنافقين عما كانوا يقولون فيما بينهم ليقولن إنما
كنا نخوض ونلعب يعني كنا نتحدث ونخوض في الكلام كما يفعله الركب يقطعون
الطريق بالحديث واللعب وأصل الخوض الدخول في مائع كالماء والطين ثم كثر استعماله
حتى صار يستعمل في كل دخول فيه تلويث وأذى **قل** أي قل يا محمد لهؤلاء المنافقين
أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون فيه توبيخ وتقريع للمنافقين وإنكار عليهم
والمعنى كيف تقدمون على إيقاع الاستهزاء بالله يعني بفرائض الله وحدوده وأحكامه
والمراد بآياته كتابه وبرسوله يعني محمدا صلى الله عليه وسلم فيحتمل أن المنافقين قالوا
كيف يقدر محمد على أخذ حصون الشام فقال بعض المسلمين الله يعينه على ذلك
فذكر بعض المنافقين كلاما يشعر بالقدح في قدرة الله تعالى وإنما ذكروا ذلك
على طريق الاستهزاء قوله عز وجل **لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم** يعني قل يا محمد
لهؤلاء المنافقين لا تعتذروا بالباطل ومعنى الاعتذار محو أثر الموجدة من قلب
المعتذر إليه وقيل معنى العذر قطع الملامة عن الجاني قد كفرتم بعد إيمانكم
يعني أن الاستهزاء بالله كفر والإقدام عليه يوجب الكفر فلهذا قال تعالى لا تعتذروا
قد كفرتم بعد إيمانكم فإن قلت إن المنافقين لم يكونوا مؤمنين فكيف قال قد كفرتم

بعد ايمانكم قلت معناه اظهرتم الكفر بعد ما كنتم اظهرتم الايمان وذلك
ان المنافقين كانوا يكتمون الكفر ويظهرون الايمان فلما حصل ذلك الاستهزا منهم
وهو كفر قيل لهم قد كفرتم بعد ايمانكم وقيل معناه قد كفرتم عند المومنين بعد ان
كنتم عندهم مومنين وقوله تعالى ان نعف عن طايفة منكم نعذب طايفة
بانهم كانوا مجرمين ذكر المفسرون ان الطايفتين كانوا ثلاثة فالواحد طايفة
والاثنان طايفة والعرب توقع لفظ الجمع على الواحد فلهذا اطلق لفظ الطايفة
على الواحد قال محمد بن اسحاق الذي عفي عنه رجل واحد وهو مخشي بن حمير الاشجعي
يقال انه هو الذي كان يضحك ولا يخوض وقيل انه كان يمشي مجانبا لهم وينكر بعض
ما يسمع فكان ذنبه اخف فلما نزلت الاية تاب من نفاقه ورجع الى الاسلام وقال
اللهم اني لا ازال اسمع اية تقرا عني بها تقشعر منها الجلود وتجب منها القلوب اللهم
اجعل وفاتي قتلا في سبيلك لا يقول احد انا غسلت انا دفنت فاصيب يوم اليمامة
ولم يعرف احد من المسلمين مصرعه قوله تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم
من بعض يعني انهم على امر واحد يجتمعون على النفاق والاعمال الخبيثة
كما يقول الانسان لغيره انا منك وانت مني اي امرنا واحد لا مباينة فيه
يامرون بالمنكر يعني يامر بعضهم بعضا بالشرك والمعصية وتكذيب الرسول
صلى الله عليه وسلم وينهون عن المعروف يعني عن الايمان والطاعة وتصديق
الرسول صلى الله عليه وسلم ويقبضون ايديهم يعني عن الانفاق في سبيل الله
في كل خير نسوا الله فنسيهم هذا الكلام لا يمكن اجراوه على ظاهره لانا لو حملنا
على النسيان الحقيقي لم يستحقوا ذما عليه لان النسيان ليس في وسع البشر
دفعه وايضا فان النسيان في حق الله تعالى محال فلا بد من التاويل وقد
ذكروا فيه وجهين الاول معناه انهم تركوا امره حتى صاروا بمنزلة الناسي له
فجازاهم بان صيرهم بمنزلة المنسي من ثوابه ورحمته فخرج على هذا وجه الكلام
فهو كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها الوجه الثاني ان النسيان ضد الذكر
فلما تركوا ذكر الله وعبادته ترك الله ذكرهم فيمن ذكرهم بالرحمة والاحسان فجعل
النسيان عبارة عن ترك الذكر لان من ترك شيا لم يذكره وقيل لما تركوا طاعة الله
والايمان به تركهم من توفيقه وهدايته في الدنيا ورحمته في العقبى ان
المنافقين هم الفاسقون يعني هم الخارجون عن الطاعة وعد الله المنافقين
والمنافقات والكفار يقال وعده بالخير وعدا ووعده بالشر وعيدا فالوعد
يكون في الخير والشر نار جهنم خالدين فيها فيه حذف تقديره بان يصلوها
خالدين يعني مقيمين فيها هي حسبهم يعني هي كافيتهم على جزاء كفرهم ونفاقهم
وتركهم الايمان والطاعة ولعنهم الله يعني وابعدهم من رحمته وطردهم عن بابه
ولهم عذاب مقيم اي دايم لا ينقطع فان قلت قوله خالدين فيها يعني ولهم عذاب
مقيم وهذا تكرار فما معناه قلت ليس في ذلك تكرار وبيان الفرق من وجهين

الاول

الاول ان معناه ولهم نوع اخر من العذاب المقيم سوى الصلي بالنار ولقايل
ان يقول هذا التاويل مشكل لانه تعالى قال في النار هي حسبهم وذلك يمنع
من ضم شي اخر الى عذاب النار واجيب عن هذا الاشكال بان قوله هي حسبهم في
الايلام ولا يمنع ان يحصل نوع اخر من العذاب من غير جنس النار كالزمهرير
ونحوه ويكون ذلك زيادة في عذابهم الوجه الثاني ان العذاب المقيم هو العذاب
المعجل لهم في الدنيا وهو ما يقاسونه من خوف اطلاع المسلمين عليهم وما هم فيه
من النفاق وكشف فضايحهم وهذا هو العذاب المقيم وقوله تعالى كالذين من
قبلكم هذا رجوع من الغيبة الى الخطاب للحضور والكاف في الذين للتشبيه
والمعنى فعلكم كافعال الذين من قبلكم شبه فعل المنافقين بفعل الكفار الذين
كانوا من قبلهم في الامر بالمنكر والنهي عن المعروف وقبض الايدي عن فعل الخير
والطاعة وقيل انه تعالى شبه المنافقين في عدولهم عن طاعة الله واتباع امره
لاجل طلب الدنيا بمن قبلهم من الكفار ثم وصف الكفار بانهم كانوا اشد من هولا
المنافقين قوة واكثر اموالا واولادا فقال تعالى كانوا اشد منكم قوة يعني
بطشا ومنعة واكثر اموالا واولادا فاستمتعوا بخلاقهم يعني فتمتعوا بنصيبهم
من الدنيا باتباع الشهوات ورضوا بها عوضا من الاخرة والخلاق النصيب وهو
ما خلق للانسان وقدر له من خير كما يقال قسم له فاستمتعتم بخلاقكم وهذا
خطاب للحاضرين يعني فتمتعتم ايها المنافقون والكافرون بخلاقكم كما استمتع
الذين من قبلكم بخلاقهم فان قلت فما الفايدة في ذكر الاستمتاع بالخلاق في
حق الاولين مرة ثم ذكره في حق المنافقين ثانيا ثم اعاد ذكره في حق الاولين
ثالثا قلت فايدته ان يذم الاولين بالاستمتاع بما اوتوا من حظوظ الدنيا
وشهواتها ورضاهم بها وتركوا النظر فيما يصلحهم في الدار الاخرة ثم شبه حال
المخاطبين من المنافقين والكفار بحال من تقدمهم ثم رجع الى ذكر حال الاولين
ثالثا وهذا كما تريد ان تنبه بعض الظلمة على قبح ظلمه فتقول انت مثل فرعون
كان يقتل بغير حق ويعذب بغير جرم فانت تفعل مثل ما كان فعل فالتكرير
هنا للتاكيد وتقبيح فعلهم وفعل من شابههم في فعلهم وقوله وخضتم كالذي
خاضوا معطوف على ما قبله ومستند اليه يعني وسلكتم في فعلكم مثل ما سلكوا
في اتباع الباطل والكذب على الله وتكذيب رسله والاستهزا بالمومنين اولئك
حبطت اعمالهم يعني بطلت اعمالهم في الدنيا والاخرة يعني ان اعمالهم لا تنفعهم
في الدنيا ولا في الاخرة بل يعاقبون عليها واولئك هم الخاسرون والمعنى
انه كما بطلت اعمال الكفار الماضين وخسروا تبطل اعمالكم ايها المنافقون
وتخسرون ق عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر
ضب لاتبعتموهم قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن وقوله تعالى

الم يأتهم رجع من الخطاب إلى الغيبة يعني ألم يأت هؤلاء المنافقين والكفار
وهو استفهام بمعنى التقرير أي قد أتاهم نبأ يعني خبر الذين من قبلهم
يعني الأمم الماضية الذين خلوا من قبلهم كيف أهلكناهم حين خالفوا أمرنا
وعصوا رسلنا ثم ذكرهم فقال تعالى قوم نوح يعني أنهم أهلكوا بالطوفان
وعاد أهلكوا بالريح العقيم وثمود أهلكوا بالرجفة وقوم إبراهيم
بسلب النعمة وكان هلاك نمرود ببعوضة وأصحاب مدين وهم قوم شعيب
أهلكوا بعذاب يوم الظلة والمؤتفكات يعني المنقلبات التي جعل الله عاليها
سافلها وهي مداين قوم لوط وإنما ذكر الله هذه الطوايف الستة لأن آثارهم
باقية وبلادهم بالشام والعراق واليمن وكل ذلك قريب من أرض العرب
فكانوا يمرون عليهم ويعرفون أخبارهم أتتهم رسلهم بالبينات يعني
بالمعجزات الباهرات والحجج الواضحات الدالة على صدقهم فكذبوهم وخالفوا
أمرنا كما فعلتم أيها الكفار والمنافقون فاحذروا أن يصيبكم مثل ما أصابهم
فنعجل لكم النقمة كما عجلت لهم فما كان الله ليظلمهم يعني بتعجيل العقوبة
لهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون يعني الذين استحقوا من العقوبة بسبب ظلمهم
قوله عز وجل والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض لما وصف الله
تعالى المنافقين بالأعمال الخبيثة والأحوال الفاسدة ثم ذكر بعده ما أعد لهم
من أنواع الوعيد في الدنيا والآخرة عقبه بذكر أوصاف المؤمنين وأعمالهم
الحسنة وما أعد لهم من أنواع الكرامات والخيرات في الدنيا والآخرة فقال
تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يعني في الموالاة في الدين واتفاق
الكلمة والعون والنصرة فإن قلت إنه تعالى قال في وصف المنافقين
بعضهم من بعض وقال في وصف المؤمنين بعضهم أولياء بعض فما الفائدة في ذلك
قلت لما كان نفاق الأتباع وكفرهم إنما حصل بتقليد المتبوعين وهم الرؤسا
والأكابر وحصل بمقتضى الطبيعة أيضا قال فيهم بعضهم من بعض ولما كانت
الموافقة الحاصلة بين المؤمنين بتسديد الله وتوفيقه وهدايته لا بمقتضى
الطبيعة وهوى النفس وصفهم بأن بعضهم أولياء بعض فظهر الفرق بين الفريقين
وظهرت الفائدة وقوله تعالى يأمرون بالمعروف يعني بالإيمان بالله ورسوله
واتباع أمره والمعروف كل ما عرف في الشرع من خير وبر وطاعة وينهون عن
المنكر يعني عن الشرك والمعصية والمنكر كل ما ينكره الشرع وينفر منه الطبع
وهذا في مقابلة ما وصف به المنافقون وضده ويقيمون الصلاة يعني الصلاة
المفروضة ويتمون أركانها وحدودها ويؤتون الزكاة يعني الواجبة
عليهم وهو في مقابلة ويقبضون أيديهم ويطيعون الله ورسوله يعني فيما
يأمرهم به وهو في مقابلة نسوا الله فنسيهم أولئك يعني المؤمنين والمؤمنات
الموصوفين بهذه الصفات سيرحمهم الله لما ذكر الله ما وعد به المنافقين

من العذاب

من العذاب في نار جهنم ذكر ما وعد به المؤمنين من الرحمة والرضوان وما أعد لهم
في الجنان والسين في سيرحمهم الله للمبالغة والتوكيد إن الله عزيز حكيم
وهذا يوجب المبالغة في الترغيب والترهيب لأن العزيز هو الذي لا يمتنع عليه
شيء أراده فهو قادر على إيصال الرحمة لمن أراد وإيصال العقوبة لمن أراد والحكيم
هو الذي يدبر عباده على ما يقتضيه العدل والإنصاف وعد الله المؤمنين
والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار لما ذكر الله في الآية المتقدمة وعيد
المنافقين وما أعد لهم في نار جهنم من العذاب ذكر في هذه الآية ما وعد به المؤمنين
من الخير والثواب والمراد بالجنات التي تجري من تحتها الأنهار البساتين التي يحير
في حسنها الناظر لأنه تعالى قال ومساكن طيبة في جنات عدن والمعطوف يجب
أن يكون مغايرا للمعطوف عليه فيكون مساكنهم في جنات عدن ومناظرهم الجنات
التي هي البساتين فتكون جنات عدن هي المساكن التي يسكنونها والجنات الأخرى
البساتين التي يتنزهون فيها فهذه فائدة المغايرة بين المعطوف والمعطوف
عليه والفرق بينهما ومساكن طيبة يعني ومنازل يسكنونها طيبة في جنات
عدن يعني في بساتين خلد وإقامة يقال عدن بالمكان إذا أقام به روى
الطبري بسنده عن عمران بن حصين وأبي هريرة قالا سئل رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية ومساكن طيبة في جنات عدن قال قصر
من لؤلؤة في ذلك القصر سبعون دارا من ياقوتة حمراء في كل دار سبعون بيتا
من زمردة خضراء في كل بيت سبعون سريرا على كل سرير سبعون فراشا
من كل لون على كل فراش زوجة من الحور العين في كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة
سبعون لونا من طعام في كل بيت سبعون وصيفة ويعطى المؤمن من القوة
في غداة ما يأتي على ذلك كله أجمع وروى بسنده عن أبي الدرداء قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم عدن دار الله التي لا عين رأت ولم تخطر على قلب
وهي مسكنه ولا يسكنها معه من بني آدم غير ثلاثة النبيين والصديقين
والشهداء يقول الله عز وجل طوبى لمن دخلك هكذا رواه الطبري فإن صحت
هذه الرواية فلا بد من تأويلها فقوله عدن داره يعني دار الله هو من باب
حذف المضاف تقديره عدن دار الله التي أعدها لأوليائه وأهل طاعته
والمقربين من عباده عن أبي موسى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جنتان
من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين
أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنات عدن أخرجه البخاري ومسلم
وقال عبد الله بن مسعود عدن بطنان الجنة يعني وسطها وقال عبد الله
بن عمرو بن العاص إن في الجنة قصرا يقال له عدن حوله البروج والمروج له خمسة
آلاف باب لا يدخله إلا نبي أو صديق أو شهيد وقال عطاء بن السائب عدن
نهر في الجنة خيامه على حافتيه وقال مقاتل والكلبي عدن أعلى درجة في الجنة

فيها عين التسنيم والجنان حولها محدقة بها وهي مغطاة من حين خلقها الله حتى
ينزلها أهلها وهم الأنبياء والصديقون والشهداء والصالحون ومن شاء الله وفيها
قصور الدر واليواقيت والذهب فتهب ريح طيبة من تحت العرش فتدخل كثبان
المسك الأبيض قال الإمام فخر الدين وحاصل هذا الكلام في جنات عدن قولين أحدهما
أنه اسم علم لموضع معين في الجنة وهذه الأخبار والآثار تقوي هذا القول قال
صاحب الكشاف وعدن علم بدليل قوله جنات عدن التي وعد الرحمن عباده والقول
الثاني أنه صفة للجنة قال الأزهري العدن مأخوذ من قولك عدن بالمكان إذا
أقام به يعدن عدونا فبهذا الاشتقاق قالوا الجنان كلها جنات عدن وقوله
تعالى **ورضوان من الله أكبر** يعني أن رضوان الله الذي ينزل عليهم أكبر من كل ما سلف
ذكره من نعيم الجنة **ذلك هو الفوز العظيم** إشارة إلى ما تقدم ذكره من نعيم
الجنة والرضوان **ق** عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال إن الله تبارك وتعالى قال لأهل الجنة يا أهل الجنة فيقولون لبيك ربنا
وسعديك والخير في يديك فيقول هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى يا ربنا وقد
أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك فيقول ألا أعطيكم أفضل من ذلك فيقولون
وأي شيء أفضل من هذا فيقول أحل عليكم رضواني فلا أسخط بعده عليكم أبدا
قوله تعالى **يا أيها النبي جاهد الكفار** يعني بالسيف والمحاربة والقتال
والمنافقين يعني وجاهد المنافقين واختلفوا في صفة جهاد المنافقين وسبب
هذا الاختلاف أن المنافق هو الذي يبطن الكفر ويظهر الإسلام ولما كان الأمر
كذلك لم تجز مجاهدته بالسيف والقتال لإظهاره الإسلام فقال ابن عباس
أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بجهاد الكفار بالسيف والمنافقين باللسان
وأذهب الرفق عنهم وهذا قول الضحاك أيضا وقال ابن مسعود بيده فإن لم يستطع
فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه فإن لم يستطع فليكفهر في وجهه وقال الحسن
وقتادة بإقامة الحدود عليهم يعني إذا تعاطوا أسبابها وهذا القول فيه بعد لأن
إقامة الحدود واجبة على من ليس بمنافق فلا تعلق لإقامة الحدود على المنافق وإنما قال
الحسن وقتادة ذلك لأن غالب من كان يتعاطى أسباب الحدود فتقام عليهم في زمن
النبي صلى الله عليه وسلم المنافقون قال الطبري وأولى الأقوال قول ابن مسعود
لأن الجهاد عبارة عن بذل الجهد وقد دلت الآية على وجوب جهاد المنافقين وليس
في الآية ذكر كيفية ذلك الجهاد فلا بد من دليل منفصل وقد دلت الدلائل المنفصلة
أن الجهاد مع الكفار إنما يكون بالسيف ومع المنافق بإظهار الحجة عليهم تارة
وبترك الرفق بهم تارة وبالانتهار تارة وهذا قول ابن مسعود **واغلظ عليهم**
يعني اشدد عليهم بالجهاد والإرهاب **ومأواهم جهنم وبئس المصير** يعني أن جهنم
مسكنهم وبئس المصير مصيرهم إليها فإن قلت كيف ترك النبي صلى الله عليه وسلم
المنافقين بين أظهر أصحابه مع علمه بهم وبحالهم قلت إنما أمر الله عز وجل

نبيه صلى الله عليه وسلم بقتال من أظهر كلمة الكفر وأقام على إظهارها فأما من
تكلم بالكفر في السر فإذا اطلع عليه أنكره ورجع عنه وقال إني مسلم فإنه
يحكم بإسلامه في الظاهر في حقن دمه وماله وولده وإن كان معتقدا غيره
في الباطن لأن الله تعالى أمر بإجراء الأحكام على الظواهر فلهذا أجرى النبي
صلى الله عليه وسلم المنافقين على ظواهرهم ووكل سرائرهم إلى الله لأنه العالم
بأحوالهم وهو يجازيهم في الآخرة بما يستحقونه قوله عز وجل **يحلفون بالله**
ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم اختلف المفسرون فيمن
نزلت هذه الآية فقال عروة بن الزبير نزلت في الجلاس بن سويد أقبل هو وابن
امرأته مصعب من قباء فقال الجلاس إن كان ما جاء به محمد حقا لنحن أشر من
حمرنا هذه التي نحن عليها فقال له مصعب أما والله يا عدو الله لأخبرن رسول الله
صلى الله عليه وسلم بما قلت وخفت أن ينزل في القرآن أو تصيبني قارعة أو أن
أخلط بخطيئته فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله أقبلت أنا والجلاس
من قباء فقال كذا وكذا ولولا أني أخاف أن أخلط بخطيئته أو تصيبني قارعة ما أخبرتك
قال فدعا الجلاس فقال له يا جلاس أقلت ما قال مصعب فحلف ما قال فأنزل الله
عز وجل يحلفون ما قالوا الآية وروي عن مجاهد نحوه وقال ابن عباس كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا في ظل حجرة فقال إنه سيأتيكم إنسان
فينظر إليكم بعيني الشيطان فإذا جاء فلا تكلموه فلم يلبثوا أن طلع رجل أزرق
فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له علام تشتمني أنت وأصحابك فانطلق
الرجل فجاء بأصحابه فحلفوا بالله ما قالوا وما فعلوا حتى تجاوز عنهم فأنزل الله
يحلفون بالله ما قالوا ثم نعتهم جميعا إلى آخر الآية وقال قتادة ذكر لنا أن
رجلين اقتتلا أحدهما من جهينة والآخر من غفار وكانت جهينة حلفاء الأنصار
فظهر الغفاري على الجهني فقال عبد الله بن أبي ابن سلول للأوس انصروا أخاكم
فوالله ما مثلنا ومثل محمد إلا كما قال القائل سمن كلبك يأكلك وقال لئن
رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل فسعى بها رجل من المسلمين إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فأرسل إليه فسأله فحلف بالله ما قاله فأنزل الله هذه
الآية هذه روايات الطبري وذكر البغوي عن الكلبي قال نزلت في الجلاس بن
سويد وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب ذات يوم بتبوك فذكر
المنافقين وسماهم رجسا وعابهم فقال الجلاس لئن كان محمد صادقا لنحن شر
من الحمير فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة أتاه عامر بن قيس
فأخبره بما قال الجلاس فقال الجلاس كذب يا رسول الله علي فأمرهما رسول الله
صلى الله عليه وسلم أن يحلفا عند المنبر فقام الجلاس عند المنبر بعد العصر
فحلف بالله الذي لا إله إلا هو ما قاله ولقد كذب علي عامر فحلف بالله
الذي لا إله إلا هو لقد قاله وما كذبت عليه ثم رفع عامر يديه إلى السماء

فقال اللهم انزل على نبيك تصديق الصادق منا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمؤمنون آمين فنزل جبريل عليه السلام قبل ان يتفرقا بهذه الآية حتى بلغ
فان يتوبوا يك خيرا لهم فقام الجلاس فقال يا رسول الله اسمع الله قد عرض علي
التوبة صدق عامر بن قيس فيما قاله لقد قلته وانا استغفر الله واتوب اليه
فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك منه ثم تاب وحسنت توبته فذلك قوله
تعالى يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم يعني اظهروا
كلمة الكفر بعد الاسلام وتلك الكلمة هي سب النبي صلى الله عليه وسلم فقيل هي
كلمة الجلاس بن سويد لئن كان محمد صادقا لنحن اشر من الحمير وقيل كلمة ابي بن سلول
لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل وستاتي القصة في موضعها
في سورة المنافقين ان شاء الله تعالى **وهموا بما لم ينالوا** قال مجاهد هم الجلاس
بقتل الذي سمع مقالته خشية ان يفشيها عليه وقيل هم عبد الله بن ابي بن سلول
وكان الذي هم به قوله لئن رجعنا الى المدينة فلم ينله وقيل هم اثنا عشر من
المنافقين بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فوقفوا على العقبة وقت رجوعه
من تبوك ليقتلوه فجاء جبريل عليه السلام فاخبره وامره ان يرسل اليهم من يضرب
وجوه رواحلهم فارسل حذيفة لذلك وقال السدي قال المنافقون اذا رجعنا
الى المدينة عقدنا على راس عبد الله بن ابي بن سلول تاجا فلم يصلوا اليه **وما
نقموا الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله** يعني وما انكروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
شيئا الا اغناهم الله ورسوله من فضله والمعنى ان المنافقين عملوا بضد الواجب
فجعلوا موضع شكر النبي صلى الله عليه وسلم ان نقموا عليه وقيل انهم بطروا النعمة
فنقموا اشرا وبطرا وقال ابن قتيبة معناه ليس ينقمون شيئا ولا يعرفون من الله
الا الصنع وهذا كقول الشاعر

ما نقم الناس من امية الا • انهم يحلمون ان غضبوا

وهذا ليس مما ينقم وانما اراد ان الناس لا ينقمون عليهم شيئا فهو كقول النابغة

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم • بهن فلول من قراع الكتائب

اي ليس فيهم عيب قال الكلبي كانوا قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة
في ضنك من العيش فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم استغنوا بالغنائم فعلى هذا
القول يكون الكلام عاما وقال عروة كان الجلاس قتل له مولى فامر له رسول الله
صلى الله عليه وسلم بديته فاستغنى وقال قتادة كانت لعبد الله بن ابي
دية فاخرجها رسول الله صلى الله عليه وسلم له وقال عكرمة ان مولى لبني عدي
قتل رجلا من الانصار فقضى له النبي صلى الله عليه وسلم بالدية اثنا عشر الفا وفيه
نزلت وما نقموا الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله **فان يتوبوا يك خيرا لهم**
يعني فان يتوبوا من كفرهم ونفاقهم يك ذلك خيرا لهم في العاجل والآجل **وان
يتولوا** يعني وان يعرضوا عن الايمان والتوبة ويصروا على الكفر والنفاق **يعذبهم**

الله

الله عذابا اليما في الدنيا يعني بالخزي والاذلال **والآخرة** ويعذبهم في
الآخرة بالنار **وما لهم في الارض من ولي ولا نصير** يعني وليس لهم احد يمنعهم
من عذاب الله او ينصرهم في الدنيا والآخرة قوله تعالى **ومنهم من عاهد الله
لئن آتانا من فضله لنصدقن** الآية روى البغوي بسنده الثعلبي عن ابي امامة
الباهلي قال جاء ثعلبة بن حاطب الانصاري الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويحك يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه ثم اتاه بعد ذلك
فقال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اما لك في رسول الله اسوة حسنة والذي نفسي بيده لو اردت ان تسير معي
الجبال ذهبا وفضة لسارت ثم اتاه بعد ذلك فقال يا رسول الله ادع الله ان
يرزقني مالا والذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالا لاعطين كل ذي حق حقه
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق ثعلبة مالا قال فاتخذ غنما
فنمت كما ينمى الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها فنزل واديا من اوديتها
وهي تنمى كما ينمى الدود فكان يصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر
والعصر ويصلي في غنمه سائر الصلوات ثم كثرت ونمت حتى تباعدت عن المدينة
فصار لا يشهد الا الجمعة ثم كثرت ونمت حتى تباعد عن المدينة ايضا حتى
كان لا يشهد جمعة ولا جماعة فكان اذا كان يوم جمعة خرج يتلقى الناس يسالهم
عن الاخبار فذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال ما فعل
ثعلبة فقالوا يا رسول الله اتخذ ثعلبة غنما ما يسعها واد فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة فانزل الله آية الصدقة
فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من بني سليم ورجلا من جهينة وكتب
لهما اسنان الصدقة وكيف يأخذان وقال لهما مرا على ثعلبة بن حاطب وبرجل
من بني سليم فخذا صدقاتهما فخرجا حتى اتيا ثعلبة فسالاه الصدقة واقرآه
كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت
الجزية انطلقا حتى تفرغا ثم عودا الي فانطلقا وسمع بهما السلمي فنظر الى خيار
اسنان ابله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها فلما راياها قالا ما هذا عليك
قال خذاه فان نفسي بذلك طيبة فمرا على الناس واخذا الصدقات ثم رجعا
الى ثعلبة فقال اروني كتابكما فقراه ثم قال ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت
الجزية اذهبا حتى ارى رأيي قال فاقبلا فلما رآهما رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال قبل ان يكلما يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة ثم دعا للسلمي بخير
فاخبراه بالذي صنع ثعلبة فانزل فيه ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله
لنصدقن الآية الى قوله وبما كانوا يكذبون وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم
رجل من اقارب ثعلبة فسمع ذلك فخرج حتى اتاه فقال ويحك يا ثعلبة لقد انزل الله

فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى اتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله ان يقبل منه
صدقته فقال ان الله منعني ان اقبل منك صدقتك فجعل يحثي على رأسه التراب
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عملك قد امرتك فلم تطعني فلما ابى
ان يقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقته رجع الى منزله وقبض رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاتى ابا بكر فقال اقبل صدقتي فقال ابو بكر لم يقبلها منك رسول الله
صلى الله عليه وسلم فانا لا اقبلها فقبض ابو بكر ولم يقبلها منه فلما ولي عمر اتاه
فقال اقبل صدقتي فقال لم يقبلها منك رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر فانا
لا اقبلها فلم يقبلها ثم ولي عثمان فاتاه فلم يقبلها منه وهلك في خلافة عثمان
واخرجه الطبري ايضا بسنده قال بعض العلماء انما لم يقبل رسول الله صلى الله
عليه وسلم صدقة ثعلبة لان الله تعالى منعه من قبولها منه مجازاة له على اخلافه
ما عاهد الله عليه واهانة له على قوله انما هي جزية او اخت الجزية فلما صدر
هذا القول منه ردت صدقته عليه اهانة له وليعتبر غيره به فلا يمتنع من بذل
الصدقة عن طيب نفس باخراجها ويرى انها واجبة عليه وانه يثاب على اخراجها
ويعاقب على منعها وقال ابن عباس ان ثعلبة اتى مجلسا من مجالس الانصار فاشهدهم
لئن اتاني الله من فضله آتيت منه كل ذي حق حقه وتصدقت منه ووصلت
القرابة فمات ابن عم له فورث منه مالا فلم يف بما عاهد الله عليه فانزل الله
فيه هذه الآية وقال الحسن ومجاهد نزلت في ثعلبة ومعتب بن قشير وهما
من بني عمرو بن عوف خرجا على ملأ قعود فقالا لئن رزقنا الله من فضله لنصدقن
فلما رزقهما الله بخلا به وقال ابن السائب ان حاطب بن ابي بلتعة كان له مال
بالشام فابطأ عليه فجهد لذلك جهدا شديدا فحلف بالله لئن اتاني الله من
فضله يعني ذلك المال لاصدقن منه ولاصلن فلما اتاه ذلك المال لم يف
بما عاهد الله عليه فنزلت هذه الآية وحاصله ان ظاهر الآية يدل على ان بعض
المنافقين عاهد الله لئن اتاه من فضله ليصدقن وليفعلن افعال الخير والبر
والصلة فلما اتاه الله من فضله ما سأل لم يف بما عاهد الله عليه ومعنى الآية
ومن المنافقين من عطى الله عهدا لئن رزقنا من فضله بان يوسع علينا من الرزق
لنصدقن يعني لنتصدقن ولنخرجن من ذلك المال الصدقة **ولنكونن من**
الصالحين يعني ولنعملن في ذلك المال ما يعمله اهل الصلاح باموالهم من صلة
الارحام والانفاق في سبيل الله وجميع وجوه البر والخير واخراج الزكاة وايصالها
الى اهلها والصالح ضد المفسد والمفسد هو الذي يبخل بما يلزمه في حكم الشرع
وقيل ان المراد بقوله لنصدقن اخراج الزكاة الواجبة وبقوله ولنكونن من الصالحين
اشارة الى كل ما يفعله اهل الصلاح على الاطلاق من جميع اعمال البر والطاعة **فلما**
آتاهم من فضله بخلوا به يعني فلما رزقهم الله فلم يفعلوا من اعمال البر شيئا
وتولوا يعني عما عاهدوا الله عليه **وهم معرضون فاعقبهم نفاقا في قلوبهم**

يعني

يعني عاقبهم الله نفاقا بان صيرهم منافقين يقال اعقبت فلانا ندامة اذا صيرت عاقبة
امره ذلك وقيل معناه ان الله تعالى عاقبهم بنفاق قلوبهم **الى يوم يلقونه** يعني انه تعالى
حرمهم التوبة الى يوم القيامة فيموتون على النفاق فيجازيهم عليه **بما اخلفوا الله**
ما وعدوه يعني الصدقة والانفاق في سبيل الله **وبما كانوا يكذبون** يعني في قولهم
لنصدقن ولنكونن من الصالحين عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان عن عبد الله بن عمرو
ابن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع من كن فيه كان منافقا خالصا
ومن كانت فيه خلة وفي رواية خصلة منهن كانت فيه خصلة من نفاق حتى يدعها
اذا حدث كذب واذا عاهد غدر واذا وعد اخلف واذا خاصم فجر قال الشيخ محيي الدين
النواوي هذا الحديث مما عده جماعة من العلماء مشكلا من حيث ان هذه الخصال
قد توجد في المسلم المصدق الذي ليس فيه شك وقد اجمع العلماء على ان من كان
مصدقا بقلبه ولسانه وفعل هذه الخصال لا يحكم عليه بكفر ولا هو منافق مخلد
في النار فان اخوة يوسف عليهم السلام جمعوا هذه الخصال وكذا قد توجد لبعض
السلف وبعض العلماء بعض هذا او كله قال الشيخ هذا ليس بحمد الله اشكال ولكن
اختلف العلماء في معناه فالذي قاله المحققون والاكثرون وهو الصحيح المختار
ان معناه ان هذه الخصال خصال نفاق وصاحبها شبيه بالمنافقين في هذه الخصال
ويتخلق باخلاقهم فان النفاق هو اظهار ما يبطن خلافه وهذا موجود في صاحب
هذه الخصال فيكون نفاقه في حق من حدثه ووعده وائتمنه وخاصمه وعاهده
من الناس لا انه منافق في الاسلام فيظهره وهو يبطن الكفر ولم يرد النبي صلى الله
عليه وسلم بهذا انه منافق نفاق الكفار المخلدين في الدرك الاسفل من النار وقوله
صلى الله عليه وسلم كان منافقا خالصا معناه كان شديد الشبه بالمنافقين بسبب
هذه الخصال الغالبة عليه فاما من تندر ذلك منه فليس ذلك داخلا فيه هذا هو
المختار في معنى هذا الحديث وقال جماعة من العلماء المراد به المنافقين الذين كانوا
في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فانهم حدثوا بايمانهم فكذبوا وائتمنوا على دينهم فخانوا
ووعدوا في امر الدين ونصره فاخلفوا وفجروا في خصوماتهم وهذا قول سعيد بن جبير
وعطاء بن ابي رباح ورجع اليه الحسن البصري بعد ان كان على خلافه وهو مروي عن
ابن عباس وابن عمر ورواه ايضا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال القاضي عياض واليه
مال اكثر ائمتنا وحكى الخطابي قولا آخر ان معناه التحذير للمسلم ان يعتاد هذه
الخصال وحكى ايضا عن بعضهم ان الحديث ورد في رجل بعينه منافق وكان النبي صلى الله
عليه وسلم لا يواجههم بصريح القول فيقول فلان منافق وانما يشير اشارة كقوله
ما بال اقوام يفعلون كذا والله اعلم وقال الامام فخر الدين الرازي ظاهر هذه الآية
يدل على نقض العهد وخلف الوعد يورث النفاق فيجب على المسلم ان يبالغ في الاحتراز
عنه فاذا عاهد امرا فليجتهد في الوفاء به وقوله تعالى **ألم يعلموا** يعني هؤلاء المنافقين

ان الله يعلم سرهم يعني ما تنطوي عليه صدورهم من النفاق ونجواهم يعني
ويعلم ما يفاوض به بعضهم بعضا فيما بينهم والنجوى هو الخفي يكون بين القوم والمعنى
انهم يعلمون ان الله يعلم جميع احوالهم لا يخفى عليه شيء منها وان الله علام الغيوب
وهذا مبالغة في العلم يعني ان الله تعالى عالم بجميع الاشياء فكيف يخفى عليه احوالهم
قوله عز وجل الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات الاية (ق) عن ابي
ابن مسعود البدري قال لما نزلت اية الصدقة كنا نحامل على ظهورنا فجاء رجل فتصدق
بشيء كثير فقالوا مرائي وجاء رجل فتصدق بصاع فقالوا ان الله لغني عن صاع هذا
فنزلت الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون
الا جهدهم الاية قال ابن عباس وغيره من المفسرين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف باربعة الاف درهم وقال يا رسول الله
مالي ثمانية الاف جئتك باربعة الاف فاجعلها في سبيل الله وامسكت اربعة الاف
لعيالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت
فبارك الله في مال عبد الرحمن حتى انه خلف امراتين يوم مات فبلغ ثمن ماله لهما
مائة وسبعين الف درهم وتصدق يومئذ عاصم بن عدي العجلاني بمائة وسق من تمر
وجاء ابو عقيل الانصاري واسمه الحبحاب بصاع من تمر وقال يا رسول الله بت ليلتي
اجر بالجرير الماء حتى نلت صاعين من تمر فامسكت احدهما لعيالي واتيتك بالاخر
فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينثره فلمزهم المنافقون فقالوا ما اعطى
عبد الرحمن وعاصم الا رياء وان الله ورسوله لغنيان عن صاع ابي عقيل ولكنه احب
ان يذكر نفسه ليعطى من الصدقة فانزل الله تعالى الذين يلمزون يعيبون المطوعين
يعني المتبرعين من المؤمنين يعني عبد الرحمن بن عوف وعاصم بن عدي في الصدقات
والتطوع التنفل بما ليس بواجب عليه والذين لا يجدون الا جهدهم يعني
ابا عقيل الانصاري والجهد بالضم الطاقة وهي لغة اهل الحجاز وبالفتح لغيرهم وقيل
الجهد بالضم الطاقة وبالفتح المشقة وقد يكون القليل من المال الذي ياتي به
فيتصدق به اكثر موقعا عند الله تعالى من الكثير الذي ياتي به فيتصدق به لان
الغني اخرج ذلك المال عن قدرة وهذا الفقير الذي اخرج القليل انما اخرجه
عن ضعف وجهد وقد يؤثر المحتاج الى المال لغيره رجاء ما عند الله تعالى قال ويؤثرون
على انفسهم ولو كان بهم خصاصة فيسخرون منهم يعني ان المنافقين كانوا يستهزؤن
بالمؤمنين في انفاقهم المال في طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وهو
قولهم لقد كان الله عن صدقة هذا لغنيا وكانوا يعيبون الفقير الذي يتصدق
بالقليل ويقولون انه لفقره محتاج اليه فكيف يتصدق به وجوابهم ان كل من يرجو
ما عند الله من الخير والثواب يبذل الموجود لينال ذلك الثواب الموعود به وقوله
تعالى سخر الله منهم يعني انه تعالى جازاهم على سخريتهم ثم وصف ذلك وهو قوله
ولهم عذاب اليم يعني في الاخرة قوله تعالى استغفر لهم او لا تستغفر لهم

ان

ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم قال المفسرون لما نزلت الايات
المتقدمة في المنافقين وبان نفاقهم وظهر للمؤمنين جاؤا الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم يعتذرون اليه ويقولون استغفر لنا فنزلت استغفر لهم او لا تستغفر لهم
وهذا كلام خرج مخرج الامر ومعناه الخبر تقديره استغفرت لهم ام لم تستغفر
لهم فلن يغفر الله لهم وانما خص السبعين من العدد في الذكر لان العرب كانت
تستكثر السبعين ولهذا كبر رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صلى على عمه حمزة رضي الله
تعالى عنه سبعين تكبيرة ولان احاد السبعين سبعة وهو عدد شريف فان السموات
سبع والارضين سبع والايام سبع والاقاليم سبع والبحار سبع والنجوم
السيارة سبع فلهذا خص السبعين بالذكر للمبالغة في الياس من طمع المغفرة لهم
قال الضحاك لما نزلت هذه الاية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد رخص
لي فسازيدن على السبعين لعل الله ان يغفر لهم فانزل الله سواء عليهم استغفرت
لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم (ق) عن ابن عمر قال لما توفي عبد الله يعني
ابن ابي بن سلول جاء ابنه عبد الله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسال له ان يعطيه
قميصه يكفن فيه اباه ليصلي عليه فقام عمر فاخذ بثوب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال يا رسول الله تصلي عليه وقد نهاك ربك ان تصلي عليه فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انما خيرني الله عز وجل فقال استغفر لهم او لا تستغفر لهم ان
تستغفر لهم سبعين مرة وسازيد على السبعين قال انه منافق فصلى عليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل ولا تصل على احد منهم مات ابدا
ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون زاد في رواية فترك
الصلاة عليهم ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله يعني ان هذا الفعل من الله وهو
ترك عفوه عنهم وترك المغفرة من اجل انهم اختاروا الكفر على الايمان بالله ورسوله
والله لا يهدي القوم الفاسقين يعني والله لا يوفق للايمان به وبرسوله
من اختار الكفر والخروج عن طاعة الله وطاعة رسوله قوله عز وجل فرح
المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله يعني فرح المتخلفون عن غزوة تبوك
والمخلف المتروك بمقعدهم يعني بقعودهم في المدينة خلاف رسول الله يعني بعده
وعلى هذا المعنى خلاف بمعنى خلف وهو اسم للجهة المعينة لان الانسان اذا توجه
الى قدامه فمن تركه خلفه فقد تركه بعده وقيل معناه مخالفة لرسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو قوله تعالى وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم
في سبيل الله والمعنى انهم فرحوا بسبب التخلف وكرهوا الخروج الى الجهاد وذلك
ان الانسان يميل بطبعه الى ايثار الراحة والقعود مع الاهل والولد ويكره
اتلاف النفس والمال وهو قوله تعالى وقالوا لا تنفروا في الحر وكانت غزوة تبوك
في شدة الحر فاجاب الله عز وجل عن هذا بقوله قل نار جهنم اشد حرا لو كانوا يفقهون
يعني قل يا محمد لهؤلاء الذين اختاروا الراحة والقعود خلافك عن الجهاد في الحر ان نار

جهنم التي هي موعدهم في الآخرة هي أشد حرا من حر الدنيا لو كانوا يعلمون قال ابن
عباس إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الناس أن ينبعثوا معه وذلك في
الصيف فقال رجال يا رسول الله الحر شديد ولا نستطيع الخروج فلا تنفر
في الحر فقال الله عز وجل قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون فأمره الله بالخروج
فليضحكوا قليلا يعني فليضحك هؤلاء الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فرحين قليلا في الدنيا الفانية بمقعدهم خلافه **وليبكوا كثيرا** يعني مكان
ضحكهم في الدنيا وهذا وإن ورد بصيغة الأمر لكن معناه الإخبار والمعنى أنهم
وإن فرحوا وضحكوا طول أعمارهم في الدنيا فهو قليل بالنسبة إلى بكائهم في الآخرة
لأن الدنيا فانية والآخرة باقية والمنقطع الفاني بالنسبة إلى الدائم الباقي
قليل **جزاء بما كانوا يكسبون** يعني أن ذلك البكاء في الآخرة جزاء لهم على ضحكهم
وأعمالهم الخبيثة في الدنيا **خ** عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وروى البغوي بسنده عن أنس
ابن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا أيها الناس ابكوا
فإن لم تستطيعوا أن تبكوا فتباكوا فإن أهل النار يبكون في النار حتى تسيل
دموعهم في خدودهم كأنها جداول حتى تنقطع الدموع فتسيل الدماء فتقرح العيون
فلو أن سفنا أجريت فيها لجرت قوله تعالى **فإن رجعك الله** من غزاتك هذه **إلى
طائفة منهم** يعني إلى المتخلفين عنك وإنما قال منهم لأنه ليس كل من تخلف بالمدينة
عن غزوة تبوك كان منافقا مثل أصحاب الأعذار **فاستأذنوك للخروج** يعني فاستأذنك
المنافقون الذين تخلفوا عنك وتحققت نفاقهم في الخروج معك إلى غزوة أخرى
فقل لن تخرجوا معي أبدا يعني فقل يا محمد لهؤلاء الذين طلبوا الخروج وهم مقيمون
على نفاقهم لن تخرجوا معي أبدا لا إلى غزوة ولا إلى سفر **ولن تقاتلوا معي عدوا
إنكم** يعني لأنكم **رضيتم بالقعود أول مرة** يعني أنكم رضيتم بالتخلف من غزوة تبوك
فاقعدوا مع الخالفين يعني مع المتخلفين النساء والصبيان وقيل مع المرضى
والزمنى وقال ابن عباس مع الذين تخلفوا بغير عذر وقيل مع المخالفين يقال
صاحبه خالفه إذا كان يخالفه كثير الخلاف وفي الآية دليل على أن الرجل إذا
ظهر منه مكر وخداع وبدعة يجب الانقطاع عنه وترك مصاحبته لأن الله
تعالى منع المنافقين من الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الجهاد
مشعرا بإظهار نفاقهم وذمهم وطردهم وإبعادهم لما علم من مكرهم وخداعهم
إذا خرجوا إلى الغزوات قوله عز وجل **ولا تصل على أحد منهم مات أبدا**
الآية قال قتادة بعث عبد الله بن أبي بن سلول إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو مريض ليأتيه فنهاه عمر عن ذلك فأتاه نبي الله صلى الله عليه وسلم
فلما دخل عليه نبي الله صلى الله عليه وسلم قال أهلكك حب اليهود فقال يا نبي الله
إني لم أبعث إليك لتؤنبني ولكن بعثت إليك لتستغفر لي وسأله قميصه أن يكفن

فيه فأعطاه إياه واستغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم فمات فكفن في قميص رسول الله
صلى الله عليه وسلم ونفث في جلده ودلاه في قبره فأنزل الله ولا تصل على أحد منهم
مات أبدا ولا تقم على قبره الآية **خ** عن عمر بن الخطاب قال لما مات عبد الله بن أبي
ابن سلول دعي له رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه فلما قام رسول الله
صلى الله عليه وسلم وثبت إليه فقلت يا رسول الله أتصلي على ابن أبي بن سلول وقد
قال يوم كذا وكذا كذا وكذا أعدد عليه قوله فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال أخر عني يا عمر فلما أكثرت عليه قال أما إني خيرت فاخترت لو أني أعلم أني
إن زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها قال فصلى عليه رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم انصرف فلم يمكث إلا يسيرا حتى نزلت الآيتان من براءة ولا تصل على
أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره إلى قوله وهم فاسقون قال فعجبت بعد من
جرأتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ والله ورسوله أعلم وأخرجه الترمذي
وزاد فيه فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده على منافق ولا قام على قبره
حتى قبضه الله تعالى **ق** عن جابر قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن
أبي بعدما أدخل حفرته فأمر به فأخرج فوضعه على ركبتيه ونفث فيه من ريقه
وألبسه قميصه والله أعلم قال وكان كسا عباسا قميصا قال سفيان وقال أبو
هارون وكان على رسول الله صلى الله عليه وسلم قميصان فقال له ابن عبد الله يا
رسول الله ألبس عبد الله قميصك الذي يلي جلدك قال سفيان فيرون أن النبي
صلى الله عليه وسلم ألبس عبد الله قميصه مكافأة لما صنع وفي رواية عن جابر قال
لما كان يوم بدر أتي بالأسارى وأتي بالعباس ولم يكن عليه ثوب فنظر النبي صلى الله
عليه وسلم له قميصا فوجدوا قميص عبد الله بن أبي يقدر عليه فكساه النبي
صلى الله عليه وسلم إياه فلذلك نزع النبي صلى الله عليه وسلم قميصه الذي ألبسه **فصل**
فقد وقع في هذه الأحاديث التي تتضمن قصة موت عبد الله بن أبي بن سلول المنافق
صورة اختلاف في الروايات ففي حديث ابن عمر المتقدم أنه لما توفي عبد الله بن أبي
أتى ابنه عبد الله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله أن يعطيه قميصه ليكفنه
فيه وأن يصلي عليه فأعطاه قميصه وصلى عليه وفي حديث عمر بن الخطاب من أفراد
البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعي له ليصلي عليه وفي حديث جابر أن النبي
صلى الله عليه وسلم أتاه بعدما أدخل حفرته فأمر به فأخرج فوضعه على ركبتيه ونفث
عليه من ريقه وألبسه قميصه ووجه الجمع بين هذه الروايات أنه صلى الله عليه وسلم
أعطاه قميصه فكفن فيه ثم إنه صلى عليه وليس في حديث جابر ذكر الصلاة عليه
فالظاهر والله أعلم أنه صلى عليه أولا كما في حديث عمر وابن عمر ثم إن رسول الله
صلى الله عليه وسلم أتاه ثانيا بعدما أدخل حفرته فأخرجه منها ونزع عنه القميص
الذي أعطاه وكفن فيه لينفث عليه من ريقه ثم إنه صلى الله عليه وسلم ألبسه
قميصه بيده الكريمة فعل هذا كله بعبد الله بن أبي تطييبا لقلب ابنه عبد الله

فانه كان صحابيا مسلما صالحا مخلصا واما قول قتادة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم عاده في مرضه وانه سأله ان يستغفر له وان يعطيه قميصه وان يصلي عليه
فاعطاه قميصه واستغفر له وصلى عليه ونفث في جلده ودلاه في حفرته فهذه
جمل من القول ظاهرها الترتيب واما المراد بهذا الترتيب توفيقا بين الاحاديث
فيكون قوله ونفث في جلده ودلاه في قبره جملة منقطعة عما قبلها يعني انه
صلى الله عليه وسلم فعل ذلك بعد ما اعطاه القميص وبعد ان صلى عليه والله اعلم
وقال القرطبي في شرح صحيح مسلم له ان عبد الله بن ابي بن سلول كان سيد الخزرج
في آخر جاهليتهم فلما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم وانصرف اليه الخزرج وغيرهم حسده
وناصبه العداوة غير ان الاسلام غلب عليه فنافق فكان رأسا في المنافقين
واعظمهم نفاقا واشدهم كفرا وكان المنافقون كثيرا حتى لقد روي عن ابن عباس
انه قال كانوا ثلاثمائة رجل ومائة وسبعين امرأة وكان ولده عبد الله يعني
ولد عبد الله بن ابي من فضلاء الصحابة واصدقهم اسلاما واكثرهم عبادة واشرحهم
صدرا وكان ابر الناس بابيه ومع ذلك فقد قال يوما للنبي صلى الله عليه وسلم
يا رسول الله انك لتعلم اني من ابر الناس لابي وان امرتني ان آتيك برأسه فعلت
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل تعفو عنه وكان من احرص الناس على اسلام
ابيه وعلى ان ينتفع من بركات النبي صلى الله عليه وسلم بشيء ولذلك لما مات ابوه سأل
النبي صلى الله عليه وسلم ان يعطيه قميصه ليكفنه فيه تبركا من بركته فاعطاه
وسأله ان يصلي عليه فصلى عليه كل ذلك اكراما لابنه عبد الله واسعافا له وطلبته
وقول عمر اتصلي عليه وقد نهاك الله ان تصلي عليه يحتمل ان يكون قبل نزول ولا
تصل على احد منهم مات ابدا ويظهر من هذا السياق ان عمر وقع في خاطره ان الله
نهاه عن الصلاة عليه فيكون هذا من قبيل الالهام والتحديث الذي شهد له
به النبي صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان يكون فهمه من سياق قوله استغفر لهم او لا
تستغفر لهم وهذان التأويلان فيما بعد قال القرطبي والنهي يظهر منها والله
اعلم ان البخاري ذكر هذا الحديث من رواية ابن عباس وساقه سياقة هي ابين
من هذه وليس فيها هذا اللفظ فقال عن ابن عباس عن عمر لما مات عبد الله بن ابي
ابن سلول دعي له رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال عمر وثبت اليه الحديث الى قوله فصلى عليه ثم انصرف فلم يلبث الا يسيرا حتى
انزلت عليه الآيتان من براءة قال القرطبي وهذا سياق حسن وتنزيل متقن ليس
فيه شيء من الاشكال المتقدم فهو الاولى وقوله صلى الله عليه وسلم سأزيد على
السبعين وعدها بالزيادة وهو مخالف في حديث ابن عباس عن عمر فانه فيه لو اعلم
اني ان زدت على السبعين غفر له لزدت وهذا تقييد لذلك الوعد المطلق فان
الاحاديث يفسر بعضها بعضا ويقيد بعضها بعضا فلذلك قال لو اعلم اني اذا زدت
على السبعين غفر له لزدت فقد علم انه لا يغفر له وقوله صلى الله عليه وسلم اني خيرت

مشكل

مشكل مع قوله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين الآية
وهذا يفهم منه النهي عن الاستغفار لمن مات كافرا وهو متقدم على الآية التي
فيها التخيير والجواب عن هذا الاشكال ان المنهي عنه استغفار لمن تحقق موته
على الكفر والشرك واما استغفاره لاولئك المنافقين المخير فيهم فهو قد علم
صلى الله عليه وسلم انه لا ينفع ولا ينتفع وغايته ان وقع كان تطييبا لقلوب الاحياء
من قراباتهم فانفصل الاستغفار المنهي عنه من المخير فيه فارتفع الاشكال بحمد الله
والله اعلم وقال الشيخ محيي الدين النواوي انما اعطاه قميصه ليكفنه فيه تطييبا
لقلب ابنه عبد الله فانه كان صحابيا صالحا وقد سأل ذلك فاجابه اليه وقيل
بل اعطاه مكافاة لعبد الله بن ابي المنافق الميت لانه البس العباس حين اسر
يوم بدر قميصا وفي هذا الحديث بيان مكارم اخلاق النبي صلى الله عليه وسلم فقد علم
ما كان من هذا المنافق من الايذاء له وقابله بالحسنى والبسه قميصه كفنا وصلى
عليه واستغفر له قال الله تعالى وانك لعلى خلق عظيم وقال البغوي قال سفيان
ابن عيينة كانت له يد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحب ان يكافيه بها
ويروى ان النبي صلى الله عليه وسلم كلم فيما فعل بعبد الله بن ابي فقال صلى الله
عليه وسلم وما يغني عنه قميصي وصلاتي من الله والله اني كنت ارجو ان يسلم به
الف من قومه فيروى انه اسلم الف من قومه لما رأوه تبرك بقميص النبي صلى الله
عليه وسلم وقوله تعالى ولا تقم على قبره يعني لا تقف عليه ولا تتولى دفنه من
قولهم مات فلان بامر فلان اذا لقاه امره وناب عنه فيه انهم كفروا بالله
ورسوله وماتوا وهم فاسقون وهذا تعليل لسبب المنع من الصلاة عليه والقيام
على قبره ولما نزلت هذه الآية ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على منافق ولا
قام على قبره بعدها فان قلت الفسق ادنى حالا من الكفر ولما ذكر في تعليل هذا
النهي كونه كافرا فيدخل تحته الفسق وغيره فما الفائدة في وصفه فاسقا بعد
وصفه بالكفر قلت ان الكافر قد يكون عدلا في نفسه بان يؤدي الامانة
ولا يضمر لاحد سوءا وقد يكون خبيثا في نفسه كثير الكذب والمكر والخداع واضمار
السوء للغير وهذا امر مستقبح عند كل احد ولما كان المنافق بهذه الصفة الخبيثة
وصفهم الله تعالى بكونهم فاسقين بعد ان وصفهم بالكفر قوله تعالى ولا تعجبك اموالهم
واولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون
الكلام على هذه الآية في مقامين المقام الاول في وجه التكرار والحكمة فيه ان
تجدد النزول له شأن في تقرير ما نزل اولا وتأكيده وارادة ان يكون المخاطب به
على بال ولا يغفل عنه ولا ينساه وان يعتقد ان العمل به مهم وانما اعيد هذا المعنى
لقوته فيما يجب ان يحذر منه وهو ان اشد الاشياء جذبا للقلوب والخواطر
الاشتغال بالاموال والاولاد وما كان كذلك يجب التحذير منه مرة بعد اخرى
وبالجملة فالتكرير يراد به التأكيد والمبالغة في التحذير من ذلك الشيء الذي

وقع الاستهزاء به وقيل ايضا انما كرر هذا المعنى لانه اراد بالاية الاولى قوما من
المنافقين كان لهم اموال واولاد عند نزولها وبالاية الاخرى اقواما اخرين
منهم المقام الثاني في وجه بيان ما حصل من التفاوت في الالفاظ في هاتين
الايتين وذلك انه تعالى قال في الاية الاولى فلا تعجبك بالفاء وقال هنا
ولا تعجبك بالواو والفرق بينهما انه عطف الاية الاولى على قوله ولا ينفقون
الا وهم كارهون وصفهم بكونهم كارهين للانفاق لشدة المحبة للاموال
والاولاد فحسن العطف عليه بالفاء في قوله فلا تعجبك واما هذه الاية فلا
تعلق لها بما قبلها فلهذا اتى بحرف الواو وقال تعالى في الاية الاولى فلا تعجبك
اموالهم ولا اولادهم واسقط حرف لا هنا فقال اموالهم واولادهم والسبب فيه
ان حرف لا دخل هناك لزيادة التاكيد فيدل على انهم كانوا معجبين بكثرة
الاموال والاولاد وكان اعجابهم باولادهم اكثر وفي اسقاط حرف لا هنا دليل
على انه لا تفاوت بين الامرين وقال تعالى في الاية الاولى انما يريد الله ليعذبهم
بحرف اللام وقال هنا ان يعذبهم بحرف ان والفائدة فيه التنبيه على ان
التعليل في احكام الله محال وانه اينما ورد حرف لا فمعناه ان كقوله وما امروا
الا ليعبدوا الله معناه وما امروا الا بان يعبدوا الله وقال تعالى في الاية
الاولى في الحياة الدنيا وقال هنا في الدنيا والفائدة في اسقاط لفظة الحياة
تنبيها على ان الحياة الدنيا بلغت في الخسة الى حيث انها لا تستحق ان تذكر
ولا تسمى حياة بل يجب الاقتصار عند ذكرها على لفظ الدنيا تنبيها على كمال
دناءتها فهذه جملة في ذكر الفرق بين هذه الالفاظ والله اعلم بمراده واسرار
كتابه فقوله عز وجل **وإذا أنزلت سورة** يحتمل ان يراد بالسورة بعضها لان
اطلاق لفظ الجمع على البعض جائز ويحتمل ان يراد جميع السورة فعلى هذا المراد
بالسورة سورة براءة لانها مشتملة على الامر بالايمان والامر بالجهاد **ان** اي
بان **آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله** فان قلت كيف يامرهم بالايمان مع كونهم مؤمنين
فهو من باب تحصيل الحاصل قلت معناه الامر بالدوام على الايمان والجهاد
في المستقبل وقيل ان الامر بالايمان متوجه على كل احد في كل ساعة وقيل
ان هذا الامر وان كان ظاهره العموم لكن المراد به الخصوص وهم المنافقون والمعنى
اخلصوا الايمان بالله وجاهدوا مع رسوله وانما قدم الامر بالايمان على الامر
بالجهاد لان الجهاد بغير ايمان لا يفيد اصلا فكانه قيل للمنافقين الواجب عليكم
ان تؤمنوا بالله اولا وتجاهدوا مع رسوله ثانيا حتى يفيدكم ذلك الجهاد فائدة
يرجع عليكم نفعها في الدنيا والاخرة وقوله تعالى **استأذنك أولوا الطول**
منهم قال ابن عباس يعني اهل الغنى وهم اهل القدرة والثروة والسعة
من المال وقيل هم رؤساء المنافقين وكبراؤهم وفي تخصيص اولي الطول بالذكر
قولان احدهما ان الذم لهم الزم لكونهم قادرين على اهبة السفر والجهاد والقول

الثاني انما خص اولوا الطول بالذكر لان العاجز عن السفر والجهاد لا يحتاج
الى الاستئذان **وقالوا** يعني اولوا الطول **ذرنا نكن مع القاعدين** يعني
في البيوت مع النساء والصبيان وقيل مع المرضى والزمنى **رضوا بان يكونوا**
مع الخوالف قيل الخوالف النساء اللواتي يتخلفن في البيوت فلا يخرجن منها
والمعنى رضوا بان يكونوا في تخلفهم عن الجهاد كالنساء وقيل خوالف جمع خالفة
وهم ادنياء الناس وسفلتهم يقال فلان خالفة قومه اذا كان دونهم **وطبع على**
قلوبهم فهم لا يفقهون يعني وختم على قلوب هؤلاء المنافقين فهم لا يفقهون مراد
الله في الامر بالجهاد قوله تعالى **لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا**
باموالهم وانفسهم اي ان تخلف هؤلاء ولم يجاهدوا فقد جاهد من هو خير
منهم يعني الرسول والمؤمنين **واولئك لهم الخيرات** منافع الدارين النصر
والغنيمة في الدنيا والجنة والكرامة في الاخرة وقيل الحور لقوله فيهن خيرات
حسان وهي جمع خيرة تخفيف خيرة **واولئك هم المفلحون** اي الفائزون بالمطلب
اعد الله لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم بيان
لما لهم من الخيرات الاخروية قوله تعالى **وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم**
يعني وجاء المعتذرون من اعراب البوادي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون
اليه في التخلف عن الغزو معه قال الضحاك هم رهط عامر بن الطفيل جاءوا الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم معتذرين اليه دفعا عن انفسهم فقالوا يا نبي الله
ان نحن غزونا معك تغير اعراب طيء على حلائلنا واولادنا ومواشينا فقال لهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم قد انباني الله من اخباركم وسيغني الله عنكم وقيل هم
نفر من بني غفار رهط خفاف بن ايماء بن رحضة وقيل هم من اسد وغطفان وقال
ابن عباس هم الذين تخلفوا لعذر فاذن لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنى
الاية وجاء المعذرون اي المقصرون يعني انهم قصروا ولم يبالغوا فيما اعتذروا
به والمعذر من يرى ان له عذرا ولا عذر له وقيل ان الاصل في هذا اللفظ عند
النحاة المعتذرون ادغمت التاء في الذال لقرب مخرجيهما والاعتذار في كلام
العرب على قسمين يقال اعتذر اذا كذب في عذره ومنه قوله تعالى يعتذرون
اليكم فرد الله عليهم بقوله قل لا تعتذروا فدل ذلك على فساد عذرهم وكذبهم
فيه ويقال اعتذر اذا اتى بعذر صحيح ومنه قول لبيد ∴ ومن يبك حولا كاملا
فقد اعتذر ∴ يعني فقد جاء بعذر صحيح وقيل هو من التعذير الذي هو التقصير
يقال عذر تعذيرا اذا قصر ولم يبالغ فعلى هذا المعنى يحتمل انهم كانوا صادقين
في اعتذارهم وانهم كانوا كاذبين ومن المفسرين من قال انهم كانوا صادقين بدليل
انه تعالى لما ذكرهم قال بعده وقعد الذين كذبوا الله ورسوله فلما فصل بينهم
وميزهم عن الكاذبين دل ذلك على انهم ليسوا كاذبين ويروى عن ابي عمرو ابن
العلاء انه لما قيل له هذا الكلام فقال ان اقواما تكلفوا عذرا بباطل فهم الذين

عنهم الله تعالى بقوله وجا المعذرون وتخلف اخرون لا لعذر ولا لشبهة
عذر جراءة على الله فهم المراد بقوله **وقعد الذين كذبوا الله ورسوله** وهم
منافقوا الاعراب الذين جاوا وما اعتذروا وظهر بذلك انهم كذبوا الله
ورسوله يعني في ادعايهم الايمان **سيصيب الذين كفروا منهم عذاب اليم**
يعني في الدنيا بالقتل وفي الاخرة بالنار وانما قال منهم لانه تعالى علم ان منهم
من سيومن ويخلص في ايمانه فاستثناهم الله من المنافقين الذين اصروا
على الكفر والنفاق وماتوا عليه قوله عز وجل **ليس على الضعفا** لما ذكر الله
المنافقين الذين تخلفوا عن الجهاد واعتذروا باعذار باطلة عقبه بذكر اصحاب
الاعذار الحقيقية الصحيحة وعذرهم واخبران فرض الجهاد عنهم ساقط فقال
تعالى ليس على الضعفا فالضعيف هو الصحيح في بدنه العاجز عن الغزو وتحمل
مشاق السفر والجهاد مثل الشيوخ والصبيان والنسا ومن خلق في اصل الخلقة
ضعيفا نحيفا ويدل على ان هولا الاصناف هم الضعفا ان الله تعالى عطف عليهم
المرضى فقال تعالى **ولا على المرضى** والمعطوف مغاير للمعطوف عليه فاما المرضى
فيدخل فيهم اهل العمى والعرج والزمانة وكل من كان موصوفا بمرض يمنعه من
التمكن من الجهاد والسفر للغزو **ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون** يعني
الفقرا العاجزين عن اهبة الغزو والجهاد فلا يجدون الزاد والراحلة والسلاح
ومونة السفر لان العاجز عن نفقة الغزو معذور **حرج** اي ليس على هولا الاصناف
الثلاثة حرج اي اثم في التخلف عن الغزو وقال الامام فخر الدين الرازي ليس
في الاية انه يحرم عليهم لان الواحد منهم لو خرج ليعين المجاهدين بمقدار القدرة
اما بحفظ متاعهم او تكثير سوادهم بشرط ان لا يجعل نفسه كلا ووبالا عليهم فان
ذلك طاعة مقبولة ثم انه تعالى شرط على الضعفا في جواز التخلف عن الغزو
شرطا معينا وهو قوله تعالى **اذا نصحوا لله ورسوله** ومعناه انهم اذا اقاموا
في البلد احترزوا عن افشا الاراجيف واثارة الفتن وسعوا في ايصال الخير الى
اهل المجاهدين الذين خرجوا الى الغزو وقاموا بمصالح بيوتهم واخلصوا الايمان
والعمل لله وتابعوا الرسول صلى الله عليه وسلم فان جملة هذه الامور تجري
مجرى النصح لله ولرسوله **ما على المحسنين من سبيل** اي ليس على من احسن
فنصح لله ولرسوله في تخلفه عن الجهاد بعذر قد اباحه الشارع طريق يتطرق
عليه فيعاقب عليه والمعنى انه سد باحسانه طريق العقاب عن نفسه ويستنبط
من قوله ما على المحسنين من سبيل كل مسلم يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا
رسول الله مخلصا من قلبه بان ما عليه سبيل في نفسه وماله الا ما اباحه الشرع
بدليل منفصل **والله غفور** لمن تخلف عن الجهاد بعذر ظاهر اباحه الشرع
رحيم يعني انه تعالى رحيم بجميع عباده قال قتادة نزلت هذه الاية في عايذ
ابن عمرو واصحابه وقال الضحاك نزلت في عبد الله بن ام مكتوم وكان ضرير البصر

ولما ذكر الله

730

ولما ذكر الله عز وجل هذه الاقسام الثلاثة من المعذورين اتبعه بذكر قسم
رابع وهو قوله تعالى **ولا على الذين اذا ما اتوك** يعني ولا حرج ولا اثم
في التخلف عنك على الذين اذا ما اتوك **لتحملهم** يعني يسالونك الحملان
ليبلغوا الى غزو عدوك وعدوهم قال ابن اسحاق نزلت في البكايين وكانوا
سبعة ونقل الطبري عن محمد بن كعب وغيره قالوا جا ناس من اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم يستحملونه فقال لا اجد ما احملكم عليه فانزل الله هذه الاية
وهم سبعة نفر من بني عمرو بن عوف سالم بن عمير ومن بني واقف حرمي بن عمير
ومن بني مازن بن النجار عبد الرحمن بن كعب يكنى ابا ليلة ومن بني المعلى سلمان
ابن صخر ومن بني حارثة عبد الرحمن بن زيد ابو عبلة وهو الذي تصدق بعرضه
فقبله الله منه ذلك ومن بني سلمة عمرو بن غنمة وعبد الله بن عمرو المزني وقال
البغوي هم سبعة نفر سموا البكايين معقل بن يسار وصخر بن خنسا وعبد الله
ابن كعب الانصاري وعلبة بن زيد الانصاري وسالم بن عمير وثعلبة بن غنمة
وعبد الله بن مغفل المزني قالوا اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا
رسول الله ان الله عز وجل قد ندبنا الى الخروج معك فاحملنا فقال لا اجد
ما احملكم عليه وقال مجاهد هم بنو مقرن من مزينة وكانوا ثلاثة اخوة معقل
وسويد والنعمان بنو مقرن وقيل نزلت في العرباض بن سارية ويحتمل انها
نزلت في كل من ذكر قال ابن عباس سالوه ان يحملهم على الدواب وقيل سالوه
ان يحملهم على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة فقال النبي صلى الله عليه وسلم
لا اجد ما احملكم عليه تولوا وهم يبكون ولذلك سموا البكايين فذلك قوله
تعالى **قلت لا اجد ما احملكم عليه تولوا واعينهم تفيض من الدمع** قال
صاحب الكشاف هو كقوله تفيض دمعا وهو ابلغ من يفيض دمعها لان العين
جعلت كانها دمع فايض ومن للبيان كقولك افديك من رجل **حزنا ان لا
يجدوا ما ينفقون** يعني على انفسهم في الجهاد **انما السبيل** لما قال
الله تعالى ما على المحسنين من سبيل قال تعالى في حق من يعتذر ولا عذر له
انما السبيل يعني انما يتوجه الطريق بالعقوبة **على الذين يستاذنونك** يا محمد
في التخلف عنك والجهاد معك **وهم اغنيا** يعني قادرين على الخروج معك **رضوا
بان يكونوا مع الخوالف** يعني رضوا بالدناءة والضيعة والانتظام في جملة
الخوالف وهم النسا والصبيان والقعود معهم **وطبع الله على قلوبهم** يعني
ختم عليها **فهم لا يعلمون** ما في الجهاد من الخير في الدنيا والاخرة اما في الدنيا
فالفوز بالغنيمة والظفر بالعدو واما في الاخرة فالثواب والنعيم الدايم
الذي لا ينقطع قوله تعالى **يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم** يعني يعتذر هولا
المنافقون المتخلفون عنك يا محمد اليك وانما ذكره بلفظ الجمع تعظيما له صلى الله
عليه وسلم ويحتمل انهم اعتذروا اليه والى المومنين فلهذا قال تعالى يعتذرون

الاعذار الباطلة الكاذبة اذا رجعتم اليهم يعني من سفركم **قل** اي قل لهم يا محمد
لا تعتذروا قال البغوي روي ان المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك
كانوا بضعة وثمانين وقال الله تعالى قل لا تعتذروا **لن نؤمن لكم** يعني لن نصدقكم
فيما اعتذرتم **قد نبأنا الله من اخباركم** يعني قد اخبرنا الله فيما سلف من اخباركم
وسيرى الله عملكم ورسوله يعني في المستانف اتتوبون من نفاقكم ام تقيمون
عليه وقيل يحتمل انهم وعدوا بانهم ينصروا المومنين في المستقبل فلهذا قال
وسيرى الله عملكم ورسوله هل تفون بما قلتم ام لا **ثم تردون الى عالم**
الغيب والشهادة فينبئكم يعني فيخبركم **بما كنتم تعملون** لانه هو المطلع
على ما في ضمايركم من الخيانة والكذب واخلاف الوعد قوله عز وجل **سيحلفون**
بالله لكم اذا انقلبتم يعني اذا رجعتم **اليهم** من سفركم يعني الى المتخلفين
بالمدينة الى المنافقين **لتعرضوا عنهم** يعني لتصفحوا عنهم ولا تؤنبوهم
بسبب تخلفهم **فاعرضوا** يعني فدعوهم وما اختاروا لانفسهم من النفاق
وقيل يريد ترك الكلام يعني لا تكلموهم ولا تجالسوهم فلما قدم النبي صلى الله
عليه وسلم المدينة قال لا تجالسوهم ولا تكلموهم قال اهل المعاني ان هولاء المنافقين
طلبوا اعراض الصفح فاعطوا اعراض المقت ثم ذكر العلة في سبب الاعراض
عنهم فقال تعالى **انهم رجس** يعني ان بواطنهم خبيثة نجسة واعمالهم قبيحة
وماواهم يعني مسكنهم في الاخرة **جهنم جزاء بما كانوا يكسبون** يعني من الاعمال
الخبيثة في الدنيا قال ابن عباس نزلت في الجد بن قيس ومعتب بن قشير واصحابهما
وكانوا ثمانين رجلا من المنافقين فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تجالسوهم ولا
تكلموهم وقال مقاتل نزلت في عبد الله بن ابي حلف للنبي صلى الله عليه وسلم
بالله الذي لا اله الا هو انه لا يتخلف عنه بعدها وطلب من النبي صلى الله
عليه وسلم ان يرضى عنه فانزل الله عز وجل هذه الاية والتي بعدها **يحلفون**
لكم لترضوا عنهم يعني يحلف لكم هولاء المنافقون لترضوا عنهم **فان ترضوا**
عنهم يعني فان رضيتم عنهم ايها المومنون بما حلفوا لكم وقبلتم عذرهم **فان الله**
لا يرضى عن القوم الفاسقين يعني ان الله تعالى يعلم ما في قلوبهم من النفاق والشك
فلا يرضى عنهم ابدا قوله تعالى **الاعراب اشد كفرا ونفاقا** نزلت في سكان
البادية يعني اهل البدو اشد كفرا ونفاقا من اهل الحضر قال اهل اللغة يقال
رجل عربي اذا كان نسبه في العرب وجمعه العرب ورجل اعرابي اذا كان بدويا
يطلب مساقط الغيث والكلا وجمع الاعرابي الاعراب والاعاريب فمن استوطن
القرى والمدن العربية فهم عرب ومن نزل البادية فهم الاعراب فالاعرابي
اذا قيل له يا عربي فرح بذلك والعربي اذا قيل له يا اعرابي غضب والعربي افضل
من الاعراب لان المهاجرين والانصار وعلما الدين من العرب والسبب في كون
الاعراب اشد كفرا ونفاقا لبعدهم عن مجالسة العلما وسماع القران والسنن

والمواعظ

والمواعظ وهو قوله تعالى **واجدر** يعني والخلق والحري من **ان لا يعلموا** اي بان
لا يعلموا **حدود ما انزل الله على رسوله** يعني الفرايض والسنن والاحكام
والله عليم يعني بما في قلوب عباده **حكيم** فيما فرض من فرايضه واحكامه
ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما يعني لا يرجوا على انفاقه ثوابا ولا
يخاف على امساكه عقابا انما ينفق خوفا او ريا والمغرم التزام ما لا يلزم
والمعنى ان من الاعراب من يعتقد ان الذي ينفقه في سبيل الله غرامة
لانه لا ينفقه لله لا خوفا من المسلمين او مرايا لهم ولم يرد بذلك
الانفاق وجه الله وثوابه **ويتربص** يعني وينتظر **بكم الدواير** التي
تاتي مرة بالخير ومرة بالشر قال يمان بن رباب يعني تقلب الزمان فيموت
الرسول ويظهر المشركون **عليهم دايرة السوء** يعني بل ينقلب عليهم
الزمان ويدور السوء والبلا والحزن ولا يرون في اصحاب محمد ودينه الا ما يسوؤهم
والله سميع يعني لاقوالهم **عليم** يعني بما يخفون في ضمايرهم من النفاق
والغش وارادة السوء للمومنين نزلت هذه الاية في اعراب اسد وغطفان
وتميم ثم استثنى الله عز وجل فقال تعالى ومن الاعراب **من يومن بالله واليوم**
الاخر قال مجاهد هم بنو مقرن من مزينة وقال الكلبي هم اسلم وغفار وجهينة
ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارايتم ان كان جهينة
ومزينة واسلم وغفار خيرا من بني تميم وبني اسد وبني عبد الله بن غطفان
ومن بني عامر بن صعصعة وفي رواية ان الاقرع بن حابس قال للنبي صلى الله
عليه وسلم انما تابعك سراق الحجيج من اسلم وغفار ومزينة واحسبه قال
وجهينة خير من بني تميم وبني عامر واسد وغطفان فقال خابوا وخسروا
قال نعم **ق** عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اسلم سالمها الله
وغفار غفر الله لها زاد مسلم في رواية له اما اني لم اقلها لكن الله قالها
ق عن ابي هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم قريش والانصار وجهينة
ومزينة واسلم واشجع وغفار موالي ليس لهم مولى دون الله ورسوله قوله
تعالى **ويتخذ ما ينفق قربات عند الله** جمع قربة اي يطلب بما ينفق القربة الى الله
تعالى **وصلوات الرسول** يعني ويرغبون في دعا النبي صلى الله عليه وسلم وذلك
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة
ويستغفر لهم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل ابي اوفى **الا**
انها قربة لهم يحتمل ان يعود الضمير في انها الى صلوات الرسول ويحتمل انها
تعود الى الانفاق وكلاهما قربة عند الله وهذه شهادة من الله تعالى للمومن
المتصدق بصحة ما اعتقد من كون نفقته قربات عند الله وصلوات الرسول
له مقبولة عند الله لان الله اكد ذلك بحرف التنبيه وهو قوله الا وبحرف
التحقيق وهو قوله تعالى انها قربة لهم **سيدخلهم الله في رحمته** وهذه

النعمة من افضى مرادهم **ان الله غفور** للمومنين المنفقين في سبيله **رحيم**
يعني بهم حيث وفقهم لهذه الطاعة قوله عز وجل **والسابقون الاولون**
من المهاجرين والانصار اختلف العلماء في السابقين الاولين فقال سعيد
وقتادة وابن سيرين وجماعة هم الذين صلوا الى القبلتين وقال عطاء ابن رباح
هم اهل بدر وقال الشعبي هم اهل بيعة الرضوان وكانت بيعة الرضوان
بالحديبية وقال محمد بن كعب القرظي هم جميع الصحابة لانهم حصل لهم السبق
بصحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حميد بن زياد قلت يوما لمحمد
ابن كعب القرظي الا تخبرنا عن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بينهم
واردت الفتن فقال ان الله قد غفر لجميعهم محسنهم ومسيئهم واوجب
لهم الجنة في كتابه فقلت له في اي موضع اوجب لهم الجنة فقال سبحان الله الا
تقرا والسابقون الاولون الى اخر الاية فاوجب الله الجنة لجميع اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم زاد في رواية في قوله والذين اتبعوهم باحسان
قال شرط في السابقين بشريطة وهي ان يتبعوهم في افعالهم الحسنة دون السيئة
قال حميد فكاني لم اقرا هذه الاية قط واختلف العلماء في اول الناس اسلاما
بعد اتفاقهم على ان خديجة اول الخلق اسلاما واول من صلى مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال بعض العلماء اول من امن بعد خديجة علي بن ابي طالب
وهذا قول جابر بن عبد الله ثم اختلفوا في سنه وقت اسلامه فقيل كان
ابن عشر سنين وقيل اقل من ذلك وقيل اكثر وقيل كان بالغا والصحيح انه لم يكن بالغا
وقت اسلامه وقال بعضهم اول من اسلم بعد خديجة ابو بكر الصديق وهذا قول ابن
عباس والنخعي والشعبي وقال الزهري وعروة بن الزبير اول من اسلم بعد خديجة
زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اسحاق بن ابراهيم الحنظلي يجمع
بين الروايات فيقول اول من اسلم من الرجال ابو بكر ومن النساء خديجة ومن الصبيان
علي بن ابي طالب ومن العبيد زيد بن حارثة رضي الله عنهم فهولاء الاربعة سابقو الخلق
الى الاسلام وقال ابن اسحاق فلما اسلم ابو بكر اظهر اسلامه ودعا الناس الى الله والى
رسوله وكان رجلا محببا سهلا وكان انسب قريش لقريش واعلمها بما كان فيها وكان
رجلا تاجرا وكان ذا خلق حسن ومعروف وكان رجال قومه ياتونه ويالفونه لعلمه
وحسن مجالسته فجعل يدعو الى الاسلام من يثق به من قومه فاسلم على يده عثمان
ابن عفان والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابي وقاص وطلحة بن عبيد الله
فجاء بهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فاسلموا على يده وصلوا معه فكان هولاء النفر الثمانية
اول من سبق الناس الى الاسلام ثم تتابع الناس بعدهم في الدخول الى الاسلام
واما السابقون من الانصار فهم الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة
العقبة وهي الاولى وكانوا ستة نفر سعد بن زرارة وعوف بن مالك ورافع
ابن مالك بن العجلان وقطبة بن عامر وجابر بن عبد الله بن رباب ثم اصحاب العقبة

الثانية من العام المقبل فكانوا اثني عشر رجلا ثم اصحاب العقبة الثالثة وكانوا
سبعين رجلا منهم البراء بن معرور وعبد الله بن عمرو بن حرام ابو جابر وسعد
ابن الربيع وسعد بن رواحة وهولاء السباق الانصار ثم بعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم مصعب بن عمير الى اهل المدينة يعلمهم القران فاسلم على يده خلق كثير
من الرجال والنساء والصبيان من اهل المدينة وذلك قبل ان يهاجر رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى المدينة وقيل ان المراد بالسابقين الاولين من سبق
الى الهجرة والنصرة والذي يدل عليه ان الله تعالى ذكر كونهم سابقين ولم يبين
بماذا سبقوا فبقي اللفظ مجملا فلما قال تعالى من المهاجرين والانصار وصفهم
بكونهم مهاجرين وانصارا فوجب صرف اللفظ اليه وهو الهجرة والنصرة والذي
يدل عليه ايضا فاذا الهجرة طاعة عظيمة ومرتبة عالية من حيث ان الهجرة امر
شاق على النفس لمفارقة الوطن والعشيرة وكذلك النصرة مرتبة عالية ومنقبة
شريفة لانهم نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم على اعدايه واووه ونصروه
وواسوه واصحابه فلذلك اثنى الله عز وجل عليهم ومدحهم فقال تعالى والسابقون
الاولون من المهاجرين والانصار قوله تعالى **والذين اتبعوهم باحسان**
قيل بقية المهاجرين والانصار سوى السابقين الاولين فعلى هذا القول
يكون الجميع من الصحابة وقيل هم الذين سلكوا سبيل المهاجرين والانصار
في الايمان والهجرة والنصرة الى يوم القيامة قال عطا هم الذين يذكرون
المهاجرين والانصار فيترحمون عليهم ويدعون لهم ويذكرون محاسنهم **ق** عن
عمران بن حصين ان النبي صلى الله عليه وسلم قال خير الناس قرني ثم الذين يلونهم
ثم الذين يلونهم قال عمران فلا ادري اذكر بعده قرنين او ثلاثة **ق** عن ابي سعيد
الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابي فلو ان احدا
وفي رواية احدكم انفق مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه اراد بالقرن
في الحديث الاول اصحابه والقرن امة من الناس يقارن بعضهم بعضا واختلفوا في
مدته من الزمان فقيل من عشر سنين الى عشرين وقيل من مائة الى مائة
وعشرين والمد المذكور في الحديث هو ربع صاع والنصيف نصفه والمعنى لو ان
احدا عمل مهما قدر عليه من اعمال البر والانفاق في سبيل الله ما بلغ هذا القدر
اليسير التافه من اعمال الصحابة وانفاقهم لانهم انفقوا وبذلوا المجهود في وقت
الحاجة وقوله تعالى **رضي الله عنهم ورضوا عنه** يعني رضي الله اعمالهم ورضوا
عنه بما جازاهم عليها من الثواب وهذا لفظ عام يدخل فيه كل الصحابة
واعد لهم جنات تجري تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم قوله تعالى
وممن حولكم من الاعراب منافقون ذكر جماعة من المفسرين منهم المتاخرين
البغوي والواحدي وابن الجوزي انهم من اعراب مزينة وجهينة واشجع وغفار
واسلم وكانت منازلهم حول المدينة يعني وممن حولكم هولاء الاعراب منافق وما ذكره

عبادة وسعد

مشكل لان النبي صلى الله عليه وسلم دعا لهؤلاء القبايل ومدحهم فان صح نقل المفسرين فيحمل قوله تعالى وممن حولكم من الاعراب منافقون على التقليل فان لفظة من للتبعيض ويحمل دعا النبي صلى الله عليه وسلم على الاكثر والاغلب وبهذا يمكن الجمع بين قول المفسرين وقول النبي صلى الله عليه وسلم فيه واما الطبري فانه اطلق القول ولم يعين احدا من القبايل المذكورة في تفسير هذه الاية من القوم الذين حول مدينتكم ايها المومنون من الاعراب منافقون ومن اهل مدينتكم ايضا امثالهم قوم منافقون وقال البغوي ومن اهل المدينة من الاوس والخزرج منافقون مردوا على النفاق فيه تقديم وتاخير تقديره وممن حولكم من الاعراب ومن اهل المدينة منافقون مردوا على النفاق اي يعني مردوا عليه يقال تمرد فلان على ربه اذا عتا وتجبر ومنه الشيطان المارد وتمرد في معصيته اي مرن وثبت عليها واعتادها ولم يتب منها قال ابن اسحاق لجوا فيه وابوا غيره وقال ابن زيد اقاموا عليه ولم يتوبوا منها قال تعالى لا تعلمهم يعني انهم بلغوا في النفاق الى حيث انك لا تعلمهم يا محمد مع صفا خاطرك واطلاعك على الاسرار نحن نعلمهم اي يعني لكن نحن نعلمهم لانه لا يخفى علينا خافية وان دقت سنعذبهم مرتين اختلف المفسرون في العذاب الاول مع اتفاقهم على ان العذاب الثاني هو عذاب القبر بدليل قوله ثم يردون الى عذاب عظيم وهو عذاب النار في الاخرة فثبت بهذا انه يعذب المنافقين ثلاث مرات مرة في الدنيا ومرة في القبر ومرة في الاخرة اما المرة الاولى وهي التي اختلفوا فيها فقال الكلبي والسدي قام النبي صلى الله عليه وسلم خطيبا في يوم جمعة فقال اخرج يا فلان فانك منافق اخرج يا فلان فانك منافق فخرج من المسجد اناس وفضحهم فهذا هو العذاب الاول والثاني هو عذاب القبر فان صح هذا القول فيحتمل ان يكون العذاب الذي اعلمه الله حالهم وما هم عليه لان الله تعالى قال لا تعلمهم نحن نعلمهم ثم بعد ذلك اعلمه وقال مجاهد هذا العذاب الاول هو القتل والاسر وهذا قول ضعيف لان احكام الاسلام في الظاهر كانت جارية على المنافق فلم يقتلوا ولم يسبوا وعن مجاهد رواية اخرى انهم عذبوا بالجوع مرتين وقال قتادة المرة الاولى هي الدبيلة في الدنيا وقد جاء تفسيرها في الحديث بانها خراج من نار تظهر من اكتافهم حتى تنجم من صدورهم يعني تخرج من صدورهم وقال ابن زيد الاولى المصايب في الاموال والاولاد في الدنيا والاخرى عذاب القبر وقال ابن عباس الاولى اقامة الحدود عليهم في الدنيا والاخرى عذاب القبر وقال ابن اسحاق الاولى هي ما يدخل عليهم من غيظ الاسلام ودخولهم فيه كرها غير حسبة والاخرى عذاب القبر وقيل احدهما ضرب الملايكة وجوههم وادبارهم عند قبض ارواحهم والاخرى عذاب القبر وقيل الاولى احراق مسجدهم مسجد الضرار والاخرى لحرافهم بنار جهنم وهو قوله تعالى ثم يردون الى عذاب عظيم يعني عذاب جهنم يخلدون فيه قوله عز وجل واخرون اعترفوا بذنوبهم

فيه

فيه قولان احدهما انهم قوم من المنافقين تابوا من نفاقهم واخلصوا وحجة هذا القول ان قوله واخرون عطف على قوله وممن حولكم من الاعراب منافقون والعطف يوهم ومما يعضده ما نقله الطبري عن ابن عباس انه قال هم الاعراب والقول الثاني وهو قول جمهور المفسرين ايضا نزلت في جماعة من المسلمين من اهل المدينة تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ثم ندموا على ذلك واختلف المفسرون في عددهم فروي عن ابن عباس انهم كانوا عشرة منهم ابو لبابة وروي عنه انهم كانوا خمسة احدهم ابو لبابة وقال سعيد بن جبير وزيد بن اسلم كانوا ثمانية احدهم ابو لبابة وقيل كانوا ثلاثة ابو لبابة بن عبد المنذر واوس بن ثعلبة ووديعة ابن حزام وذلك انهم كانوا تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ثم ندموا بعد ذلك وقالوا نكون في الظلال مع النساء ورسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه في الجهاد واللاوا فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرب المدينة قالوا والله لنوثقن انفسنا بالسواري فلا نطلقها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يطلقنا ويعذرنا فربطوا انفسهم في سواري المسجد فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بهم فراهم فقال من هولا فقالوا هولا تخلفوا عنك فعاهدوا الله ان لا يطلقوا انفسهم حتى تكون انت تطلقهم وترضى عنهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا اقسم بالله لا اطلقهم ولا اعذرهم حتى اومر باطلاقهم رغبوا عني وتخلفوا عن الغزو مع المسلمين فانزل الله عز وجل هذه الاية فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطلقهم واعذرهم فلما اطلقوا قالوا يا رسول الله هذه اموالنا التي خلفتنا عنك خذها فتصدق بها عنا وطهرنا واستغفر لنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما امرت ان اخذ من اموالكم شيئا فانزل الله تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم الاية وقال قوم نزلت هذه الاية في ابي لبابة خاصة واختلفوا في الذنب الذي تاب منه فقال مجاهد نزلت في ابي لبابة حين قال لبني قريظة ان نزلتم على حكمه فهو الذبح واشار الى حلقه فندم على ذلك وربط نفسه بسارية وقال والله لا احل نفسي ولا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله علي فمكث سبعة ايام لا يذوق طعاما ولا شرابا حتى خر مغشيا عليه فانزل الله هذه الاية فقيل له قد تيب عليك فقال والله لا احل نفسي حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يحلني فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فحله بيده فقال ابو لبابة يا رسول الله ان من توبتي ان اهجر دار قومي التي اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي كله صدقة الى الله والى رسوله صلى الله عليه وسلم فقال يجزيك الثلث يا ابا لبابة قالوا جميعا فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث اموالهم وترك لهم الثلثين لان الله تعالى قال خذ من اموالهم ولم يقل خذ اموالهم ولان لفظة من تقتضي التبعيض قال الحسن وقتادة وهولاء الثلاثة الذين تخلفوا سوى الذين تخلفوا سبب الى خيرهم واما تفسير الاية

فقوله تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم قال اهل المعاني الاعتراف عبارة عن الاقرار
بالشيء ومعناه انهم اقروا بذنبهم وفيه دقيقة وهي انهم لم يعتذروا عن تخلفهم
باعذار باطلة كغيرهم من المنافقين ولكن اعترفوا على انفسهم بذنوبهم وندموا
على ما فعلوا فان **قلت** ان الاعتراف بالذنوب توبة **قلت** الاعتراف
بالذنب لا يكون توبة فاذا اقترن الاعتراف بالندم على الماضي من الذنب والذنب
والعزم على تركه في المستقبل فيكون ذلك الاعتراف والندم توبة قوله تعالى
خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا قيل اراد بالعمل اقرارهم بالذنب وتوبتهم منه
والعمل السيئ هو تخلفهم عن الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل العمل
الصالح هو خروجهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سائر الغزوات والسيئ
هو تخلفهم عن غزوة تبوك وقيل ان العمل الصالح يعم جميع البر والطاعة والسيئ ما كان ضده
فعلى هذا تكون الاية في حق جميع المسلمين والحمل على العموم اولى وان كان السبب
مخصوصا عن تخلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وروى الطبري
عن ابي عثمان قال ما في القران اية اعد لعندي من هذه الاية قوله وآخرون
اعترفوا بذنوبهم الاية فان **قلت** قد جعل كل واحد من العمل الصالح والسيئ
مخلوطا اي المخلوط به **قلت** ان الخلط عبارة عن الجمع المطلق فاما قولك خلطوا
انما يحسن في الموضع الذي يمتزج كل واحد من المختلطين بالاخر ويتغير به عن
صفته الاصلية كقولك خلطت الما باللبن وخلطت الما واللبن فتكون الواو
عبارة عن البا فيكون معنى الاية على هذا خلطوا عملا صالحا باخر سيئ ذكره
غالب المفسرين وانكره الامام فخر الدين الرازي وقال لا يليق بهذا الموضع
الجمع المطلق لان العمل الصالح والعمل السيئ اذا حصلا معا بقي كل واحد منهما
على حاله كما هو مذهبنا فان القول بالاختلاط باطل فالطاعة تبقى موجبة للمدح
والثواب والمعصية تبقى موجبة للذم والعذاب فقوله تعالى خلطوا عملا صالحا
وآخر سيئا فيه تنبيه على نفي القول بالمخالطة وانه بقي كل واحد منهما كما كان
من غير ان يتاثر احدهما بالاخر فليس الا الجمع المطلق وقال الواحدي العرب تقول
خلطت الما باللبن وخلطت الما واللبن كما تقول جمعت زيدا وعمرا والواو في الاية
احسن من البا لانه اريد معنى الجمع لا حقيقة الخلط الا ترى ان العمل الصالح لا يختلط
بالسيئ كما يختلط الما باللبن لكن قد يجمع بينهما قوله تعالى **عسى الله**
ان يتوب عليهم قال ابن عباس وجمهور المفسرين عسى من الله واجب عليه قوله
تعالى عسى الله ان ياتي بالفتح وقد صح فعل ذلك وقال اهل المعاني عسى هنا تفيد
الطمع والاشفاق لانه ابعد من الاتكال والاهمال وقيل ان الله تعالى لا يجب عليه
شي بل كلما يفعله على سبيل التفضيل والطول والاحسان فذكر لفظة عسى التي
هي للترجي والطمع حتى يكون العبد بين الترجي والاشفاق ولكن هو الى نيل ما يرجو
منه اقرب لانه ختم الاية بقوله تعالى **ان الله غفور رحيم** وهذا يفيد

الجواز

انجاز الوعد قوله تعالى **خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها** قال ابن عباس
لما اطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا لبابة وصاحبيه انطلق ابو لبابة وصاحباه
فاتوا باموالهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا خذ من اموالنا فتصدق
بها عنا وصل علينا يعني يقولون استغفر لنا وطهرنا فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا اخذ منها شيا حتى اومر به فانزل الله عز وجل خذ من اموالهم صدقة
الاية وهذا قول زيد بن اسلم وسعيد بن جبير وقتادة والضحاك ثم اختلف
العلما في المراد بهذه الصدقة فقال بعضهم هو راجع الى هولا الذين تابوا وذلك
انهم بذلوا اموالهم صدقة فاوجب الله تعالى اخذها وذلك معتبر في كمال
توبتهم فتكون جارية في مجرى الكفارة عليهم واصحاب هذا القول يقولون ليس
المراد بها الصدقة الواجبة وقال بعضهم ان الزكاة كانت واجبة عليهم فلما
تابوا من تخلفهم عن الغزو وحسن اسلامهم بذلوا الزكاة امر الله تعالى رسوله
صلى الله عليه وسلم ان ياخذها منهم وقال بعضهم ان الاية كلام مبتدا والمقصود
منها ايجاب اخذها من الاغنيا ودفعها الى الفقرا وهذا قول اكثر الفقها واستدلوا
بها على ايجاب اخذ الزكاة اما حجة اصحاب القول الاول فانهم قالوا ان الايات لا بد
وان تكون منتظمة متناسبة ولو حملناها على اخذ الزكاة الواجبة لم يبق لهذه
الاية تعلق بما قبلها ولا بما بعدها ولان جمهور المفسرين قالوا في سبب نزولها
انها نزلت في شان التائبين واما اصحاب القول الاخير فانهم قالوا المناسبة حاصلة
ايضا على هذا التقدير وذلك لانهم تابوا واخلصوا واقروا ان السبب الموجب
للتخلف هو حب المال فامروا باخراج الزكاة التي هي طهرة فلما اخرجوها علم
صحة قولهم وصحة توبتهم ولا يمنع من خصوص السبب عموم الحكم فان قالوا ان
الزكاة قدر معلوم لا يبلغ ثلث المال وقد اخذ منهم ثلث اموالهم قلنا لا يمنع
هذا صحة ما قلنا لانهم رضوا ببذل الثلث من اموالهم فلان يكونوا راضين
باخراج الزكاة اولى ثم في هذه الاية احكام الاول قوله تعالى خذ من اموالهم
صدقة الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم اي يا محمد خذ من اموالهم صدقة فكان
النبي صلى الله عليه وسلم ياخذها منهم ايام حياته ثم اخذها الايمة من بعده
فيجوز للامام ان ياخذ الزكاة من الاغنيا الى الفقرا الحكم الثاني قوله من اموالهم
ولفظة من تقتضي التبعيض وهذا البعض الماخوذ غير معلوم ولا مقدر بنص
القران فلم يبق الا الصدقة التي بين رسول الله صلى الله عليه وسلم قدرها وصفتها
في اخذ الصدقة الحكم الثالث ظاهر قوله خذ من اموالهم صدقة تفيد العموم
فتجب الزكاة في جميع المال حتى في الديون وفي مال الزكاة الحكم الرابع ظاهر قوله
تطهرهم ان الزكاة انما وجبت لكونها طهرة من الاثام وصدور الاثام لا يمكن
حصولها الا من البالغ دون الصبي فوجب ان تجب الزكاة في مال البالغ دون
الصبي وهذا قول ابي حنيفة ثم اجاب اصحاب الشافعي بانه لا يلزم من انتفا سبب

المعنى انتفا الحكم مطلقا وللعلما في قوله تطهرهم اقوال الاول معناه خذ يا محمد من اموالهم صدقة فانها تطهرهم باخذها من دنس الاثام القول الثاني ان يكون تطهرهم متعلقا بالصدقة تقديره خذ من اموالهم صدقة فانها طهرة لهم وانما حسن جعل الصدقة مطهرة لما جا ان الصدقة اوساخ الناس فاذا اخذت الصدقة فقد اندفعت تلك الاوساخ وكان ذلك الاندفاع جاريا مجرى التطهير فعلى هذا القول يكون قوله تعالى وتزكيهم بها منقطعا عن قوله تطهرهم تلك الصدقة وتزكيهم انت بها القول الثالث ان يجعل التا في قوله تطهرهم وتزكيهم ضميرا للمخاطب ويكون المعنى تطهرهم انت يا محمد باخذها منهم وتزكيهم بواسطة تلك الصدقة القول الرابع ان معناه تطهرهم من ذنوبهم وتزكيهم يعني ترفع منازلهم من منازل المنافقين الى منازل الابرار المخلصين وقيل معنى وتزكيهم اي تنمي اموالهم ببركة اخذها منهم الحكم الخامس قوله تعالى **وصل عليهم** يعني ادع واستغفر لهم لان اصل الصلاة في اللغة الدعا قال الشافعي السنة للامام اذا اخذ الصدقة ان يدعو للمتصدق فيقول اجرك الله فيما اعطيت وبارك لك فيما ابقيت وقال بعضهم يجب على الامام ان يدعو للمتصدق وقال بعضهم يستحب ذلك وقيل يجب في صدقة الفرض ويستحب في صدقة التطوع وقيل يجب على الامام ويستحب للفقير ان يدعو للمعطي وقال بعضهم يستحب ان يقول اللهم صل على محمد ويدل عليه ما روى عن عبد الله بن ابي اوفى وكان من اصحاب الشجرة قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اتاه قوم بصدقة قال اللهم صل عليهم فاتاه ابي بصدقته فقال اللهم صل على آل ابي اوفى اخرجه في الصحيحين وقوله تعالى **ان صلاتك** وقرئ صلواتك على الجمع **سكن لهم** يعني ان دعاك رحمة لهم وقال ابن عباس وقال ابن عباس طمانينة وسكون لهم وقيل ان الله قد قبل منهم وقال ابو عبيدة تثبيت لقلوبهم وقيل ان السكن ما سكنت اليه والمعنى ان صلاتك توجب سكون نفوسهم اليها والمعنى ان الله قد قبل توبتهم او قبل زكاتهم **والله سميع** يعني لاقوالهم ولدعايك لهم **عليم** يعني بنياتهم **الم يعلموا ان الله يقبل التوبة عن عباده** هذه صيغة استفهام الا ان المقصود منه التقرير فبشر الله عز وجل هولا التايبين بقبول توبتهم وصدقاتهم ومعنى الاية الم يعلم هولا الذين تابوا ان الله تعالى يقبل التوبة الصادقة والصدقة الخالصة وقيل ان المراد بهذه الاية غير التايبين ترغيبا لهم في التوبة وبذل الصدقات وذلك انه لما نزلت توبة هولا التايبين قال الذين لم يتوبوا من المتخلفين هولا كانوا معنا بالامس لا يكلمون ولا يجالسون فما بالهم اليوم فانزل الله هذه الاية ترغيبا لهم في التوبة وقوله تعالى عن عباده قيل لا فرق بين قوله عن عباده ومن عباده اذ لا فرق بين قولك اخذت هذا العلم عنك او منك وقيل بينهما فرق ولعل عن في هذا الموضع ابلغ لان فيه تبشيرا بقبول التوبة مع تسهيل سبيلها وقوله تعالى **وياخذ الصدقات** يعني

ويقبلها ويثيب عليها وانما ذكر بلفظ الاخذ ترغيبا في بذل الصدقة واعطايها الفقرا وقيل معناه اخذ الله الصدقات تضمنه الجزا عليها ولما كانت هو المجازي عليها والمثيب بها اسند الاخذ الى نفسه وان كان الفقير او السايل هو الاخذ لها وفي هذا تعظيم امر الصدقات وتشريفها وان الله تعالى يقبلها من عبده المتصدق ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تصدق احدكم بصدقة من كسب حلال طيب ولا يقبل الله الا الطيب الا اخذها الرحمن بيمينه وان كانت تمرة فتربو في كف الرحمن حتى تكون اعظم من الجبل كما يربي احدكم فلوه او فصيله لفظ مسلم وفي البخاري من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يصعد الى الله الا الطيب وفي رواية ولا يقبل الله الا الطيب فان الله يقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربي احدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل واخرجه الترمذي ولفظه ان الله يقبل الصدقة وياخذها بيمينه فيربيها لاحدكم كما يربي احدكم فلوه حتى ان اللقمة لتصير مثل احد وتصديق ذلك في كتاب الله الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده وياخذ الصدقات ويمحق الله الربا ويربي الصدقات وقوله من كسب طيب اي من حلال وذكر اليمين في الحديث كناية عن قبول الصدقة وان الله تعالى قد قبلها من المعطي لان من عادة الفقير او السايل اخذ الصدقة بكف اليمين وكان المتصدق قد وضع صدقته في القبول والاثابة وقوله فتربو اي تكبر يقال ربي الشي يربو اذا زاد وكبر الفلو بضم الفا وفتحها لغتان المهر اول ما يولد والفصيل ولد الناقة الى ان ينفصل عنها قوله تعالى **وان الله هو التواب الرحيم** تاكيد لقوله تعالى الم تعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده وتبشير لهم بان الله هو التواب الرحيم قوله تعالى **وقل** اي قل يا محمد لهولا التايبين **اعملوا** يعني لله بطاعته واداء فرايضه **فسيرى الله عملكم ورسوله** فيه ترغيب عظيم للمطيعين ووعيد عظيم للمذنبين فكانه قال اجتهدوا في العمل في المستقبل فان الله تعالى يرى اعمالكم ويجازيكم عليها **والمومنون** يعني ويرى رسوله والمومنون اعمالكم اما روية رسول الله صلى الله عليه وسلم باطلاع الله اياه على اعمالكم واما روية المومنين فيما يقذف الله عز وجل في قلوبهم من محبة الصالحين وبغضة المفسدين **وستردون الى عالم الغيب والشهادة** يعني وسترجعون يوم القيامة الى من يعلم سركم وعلانيتكم ولا يخفى عليه شي من بواطنكم وظواهركم **فينبئكم** اي فيخبركم **بما كنتم تعملون** يعني في الدنيا من خير او شر فيجازيكم على اعمالكم **واخرون مرجون** اي موخرون لارجا التاخير **لامر الله** يعني لحكم الله فيهم قال بعضهم ان الله تعالى قسم المتخلفين على ثلاثة اقسام اولهم المنافقون وهم الذين مردوا على النفاق واستمروا عليه والقسم الثاني التايبون وهم الذين سارعوا الى التوبة بعد ما اعترفوا بذنوبهم وهم ابو لبابة واصحابه فقبل الله توبتهم والقسم الثالث موقوف وموخرون الى ان

يحكم الله فيهم وهم المراد بقوله وآخرون مرجون لامر الله والفرق بين القسم
الثاني والقسم الثالث ان القسم الثاني سارعوا الى التوبة فقبل الله توبتهم
والقسم الثالث توقفوا ولم يسارعوا الى التوبة فأخر الله امرهم نزلت
هذه الاية في الذين تخلفوا وهم كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع
وسنأتي قصتهم عند قوله تعالى وعلى الثلاثة الذين خلفوا وذلك انهم لم يبالغوا
في التوبة والاعتذار كما فعل ابو لبابة واصحابه فوقفهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم خمسين ليلة ونهى الناس عن كلامهم وكانوا من اهل المدينة فجعل بعض
الناس يقول هلكوا وبعضهم يقول عسى الله ان يتوب عليهم ويغفر لهم وهو قوله
تعالى **اما يعذبهم واما يتوب عليهم** يعني امرهم الى الله ان شاء عذبهم بسبب تخلفهم
وان شاء غفر لهم وعفى عنهم **والله عليم** يعني بما في قلوبهم **حكيم** يعني فيما يقضي
عليهم قوله عز وجل **والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا** نزلت في جماعة من المنافقين
بنوا مسجدا ايضا يريدون به مسجد قبا وكانوا اثني عشر رجلا من اهل النفاق
وديعة بن ثابت وخذام بن خالد ومن داره اخرج هذا المسجد وثعلبة بن حاطب
وحارثة بن عمرو وابناه مجمع وزيد ومعتب بن قشير وعباد بن حنيف اخو سهيل
ابن حنيف وابو حبيبة بن الازعر ونبتل بن الحارث وبجاد بن عثمان ومخرج بنوا هذا
المسجد ضرارا يعني مضارة للمؤمنين يعني ليكفروا فيه بالله تعالى ورسوله **وتفريقا
بين المؤمنين** لانهم كانوا جميعا يصلون في مسجد قبا فبنوا مسجد الضرار ليصلي
فيه بعضهم فيؤدي ذلك الى الاختلاف وافتراق الكلمة وكان يصلي فيه مجمع بن حارثة
وكان شابا يقرأ القرآن ولم يدر ما ارادوا ببنائه فلما فرغوا من بنائه اتوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو يتجهز الى تبوك فقالوا يا رسول الله انا قد بنينا مسجدا
فتصلي لنا فيه لانه لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية
وانا نحب ان تأتينا وتصلي فيه وتدعو بالبركة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اني على جناح سفر ولو قدمنا ان شاء الله اتيناكم فصلينا فيه وقوله تعالى
وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل يعني انهم بنوا هذا المسجد للضرار والكفر
وبنوه ارصادا يعني انتظارا واعدادا لمن حارب الله ورسوله من قبل يعني من
قبل بناء هذا المسجد وهو ابو عامر الراهب والد حنظلة غسيل الملائكة وكان
ابو عامر قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح وتنصر فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم
المدينة قال له ابو عامر ما هذا الدين الذي جئت به فقال النبي صلى الله عليه وسلم
جئت بالحنيفية دين ابراهيم قال ابو عامر فانا عليها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
انك لست عليها قال ابو عامر بلى ولكنك ادخلت في الحنيفية ما ليس فيها فقال
النبي صلى الله عليه وسلم ما فعلت ولكن جئت بها بيضاء نقية فقال ابو عامر
امات الله الكاذب منا طريدا وحيدا غريبا فقال النبي صلى الله عليه وسلم امين
فسماه الناس ابا عامر الكذاب فلما كان يوم احد قال ابو عامر الفاسق للنبي صلى

عليه وسلم لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل كذلك الى يوم حنين
فلما انهزمت هوازن يئس ابو عامر وخرج هاربا الى الشام وارسل الى المنافقين
ان استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح وابنوا مسجدا فاني ذاهب الى قيصر
ملك الروم فآتي بجند من الروم فاخرج محمدا واصحابه فبنوا مسجد الضرار
الى جنب مسجد قبا فذلك قوله تعالى وارصادا يعني انتظارا لمن حارب الله
ورسوله يعني ابا عامر الفاسق ليصلي فيه اذا رجع من الشام من قبل يعني ان ابا عامر
الفاسق حارب الله ورسوله من قبل بناء المسجد الضرار **وليحلفن** يعني الذين بنوا
ان اردنا يعني ما اردنا ببنائه **الا الحسنى** يعني الا الفعلة الحسنى وهي الرفق
بالمسلمين والتوسعة على اهل الضعف والعجز عن الصلاة في مسجد قبا او مسجد
الرسول صلى الله عليه وسلم والله يشهد انهم لكاذبون يعني في قيلهم وحلفهم
روي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما انصرف من تبوك راجعا نزل بذي اوان وهو
موضع قريب من المدينة فاتاه المنافقون فسألوه ان يأتي مسجدهم فدعا بقميصه
ليلبسه ويأتيهم فانزل الله تعالى هذه الاية واخبره خبر مسجد الضرار وما هموا به
فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن
السكن ووحشيا وقال انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه
فخرجوا مسرعين حتى اتوا بني سالم بن عوف وهم رهط مالك بن الدخشم فقال
مالك انظروني حتى اخرج اليكم بنار فدخل اهله فاخذ من سعف النخل فاشعله ثم
خرجوا يشتدون حتى دخلوا المسجد وفيه اهله فحرقوه وهدموه وتفرق اهله
عنه وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتخذ ذلك الموضع كناسة يلقى
فيها الجيف والنتن والقمامة ومات ابو عامر الراهب بالشام غريبا وحيدا
وروي ان بني عمرو بن عوف الذين بنوا مسجد قبا اتوا عمر بن الخطاب في خلافته
فسألوه ان يأذن لمجمع بن حارثة ان يؤمهم في مسجدهم فقال لا ونعمة عين اليس
هو امام مسجد الضرار فقال مجمع يا امير المؤمنين لا تعجل علي فوالله لقد صليت
فيه وانا لا اعلم ما اضمروا عليه ولو علمت ما صليت فيه معهم وكنت غلاما قارئا
للقرآن وكانوا شيوخا لا يقرؤن فصليت بهم ولا احسب الا انهم يتقربون الى الله
ولا اعلم ما في انفسهم فعذره عمر وصدقه وامره بالصلاة في مسجد قبا قال عطا
لما فتح الله على عمر بن الخطاب الامصار امر المسلمين ان يبنوا المساجد وامرهم
ان لا يبنوا في موضع واحد مسجدين يضار احدهما الاخر وقوله تعالى **والله
يشهد انهم لكاذبون لا تقم** **فيه ابدا** قال ابن عباس معناه لا تصل فيه ابدا منع الله عز
وجل نبيه صلى الله عليه وسلم ان يصلي في مسجد الضرار **لمسجد اسس على التقوى**
اللام فيه لام الابتدا وقيل لام القسم تقديره والله لمسجد اسس يعني اصله
بني ووضع اساسه كان ذلك البنا على تقوى الله عز وجل **من اول يوم** يعني من اول
يوم بني ووضع اساسه كان ذلك البنا على التقوى **احق ان تقوم فيه** يعني مصليا

واختلفوا في المسجد الذي اسس على التقوى فقال عمرو زيد بن ثابت وابو سعيد
الخدري وهو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني مسجد المدينة ويدل عليه ما
روي عن ابي سعيد الخدري قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت بعض
نسائه فقلت يا رسول الله اي المسجد اسس على التقوى قال فاخذ كفا من حصبا
فضرب به الارض ثم قال مسجدكم هذا المسجد المدينة اخرجه مسلم ق عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة
ومنبري على حوضي ق عن عبد الله بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين
بيتي وروضتي روضة من رياض الجنة عن ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان قوايم منبري هذا رواتب في الجنة اخرجه النسا قوله رواتب يعني ثوابت
يقال رتب بالمكان اذا اقام فيه وثبت وفي رواية عن ابن عباس وعروة بن الزبير
وقتادة انه مسجد قبا ويدل عليه سياق الاية وهو قوله تعالى فيه رجال يحبون
ان يتطهروا ويدل على انهم اهل قبا ما روى عن ابي هريرة قال نزلت هذه الاية في
اهل قبا فيه رجال ان يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين قال وكانوا يستنجون
بالما فنزلت هذه الاية فيهم اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث غريب هكذا
ذكره صاحب الاصول من رواية ابي داود والترمذي موقوفا على ابي هريرة ورواه
البغوي من طريق ابي داود مرفوعا عن ابي هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم نزلت
هذه الاية في اهل قبا فيه رجال يحبون ان يتطهروا قال كانوا يستنجون بالما فنزلت
فيهم هذه الاية ومما يدل على فضل مسجد قبا ما روي عن ابن عمر كان النبي صلى الله
عليه وسلم يزور قبا او ياتي قبا راكبا وماشيا اد في رواية فيصلي فيه ركعتين
وفي رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ياتي مسجد قبا كل سبت راكبا وماشيا
وكان ابن عمر يفعله اخرج الرواية الاولى والزيادة البخاري ومسلم واخرج الرواية
الثانية البخاري عن سهل بن حنيف قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرج
حتى ياتي هذا المسجد مسجد قبا فيصلي فيه كان له كعدل عمرة اخرجه النساي عن
اسيد بن ظهير ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الصلاة في مسجد قبا كعمرة اخرجه
الترمذي وقوله تعالى **فيه رجال يحبون ان يتطهروا** يعني من الاحداث والجنابات
وساير النجاسات وهذا قول اكثر المفسرين قال ولما كانوا يستنجون بالما ولا
ينامون بالليل على الجنابة عن ابي هريرة قال نزلت هذه الاية في اهل قبا رجال يحبون
ان يتطهروا والله يحب المطهرين قال كانوا يستنجون بالما فنزلت هذه الاية فيهم
اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث غريب هكذا ذكره صاحب جامع الاصول
موقوفا على ابي هريرة وقال رفعه البغوي وغيره فقالوا عن ابي هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم وذكر وروى الطبري بسنده عن عويمر بن ساعدة وكان من اهل بدر قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاهل قبا اني اسمع الله عز وجل قد احسن عليكم
الثنا في الطهور فما هذا الطهور قالوا يا رسول الله ما نعمل شيا الا ان جيرانا لنا

من

من اليهود رايناهم يغسلون ادبارهم من الغايط فغسلنا كما غسلوا وعن قتادة قال
ذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لاهل قبا ان الله قد احسن عليكم الثنا في
الطهور فما تصنعون قالوا انا نغسل عنا اثر الغايط والبول وقال الامام فخر
الدين الرازي المراد من هذه الطهارة الطهارة من الذنوب والمعاصي وهذا القول
متعين لوجوه الاول ان التطهر من الذنوب هو المؤثر في القرب الى الله عز وجل
واستحقاق ثوابه ومدحه الوجه الثاني ان الله وصف اصحاب مسجد الضرار
بمضارة المسلمين والتفريق بينهم والكفر بالله وكون هولا يعني اهل قبا ما ضد
من صفاتهم وما ذاك الا لكونهم مبرين من الكفر والمعاصي وهي الطهارة الباطنة
الوجه الثالث ان طهارة الظاهر انما يحصل لها اثر عند الله اذا حصلت الطهارة
الباطنة من الكفر والنفاق والمعاصي وقيل يحتمل ان يكون محمولا على كلا
الامرين يعني طهارة الباطن من الكفر والنفاق والمعاصي وطهارة الاعضا يعني
الظاهرة من الاحداث والنجاسات بالما **والله يحب المطهرين** فيه مدح
لهم وثنا عليهم والرضا عنهم بما اختاروه لانفسهم والمداومة على محبة الطهارة
قوله تعالى **افمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان** يعني طلب بنيان
المسجد الذي بناه تقوى الله ورضاه والمعنى ان الباني لما بنى ذلك البنا كان قصده
تقوى الله وطلب رضاه وثوابه **خير امن اسس بنيانه على شفا جرف هار**
الشفا هو الشفير وشفا كل شي هو حرفه ومنه يقال شفي على ذلك اذا دنا منه
وقرب ان يقع فيه والجرف المكان الذي اكل الما تحته فهو الى السقوط قريب قال
ابو عبيد الجرف المكان الذي هو اللهوة وما يجرفه السيل من الاودية فينحفر
بالما فيبقى واهيا هار اي هاير وهو الساقط فهو من هار يهور فهو هاير وقيل هو
من هار يهار اذا انهدم وسقط وهو الذي تداعى بعضه في اثر بعض كما يهار الرمل
والشي الرخو **فانهار به** يعني سقط بالبناية **في نار جهنم والله لا يهدي القوم
الظالمين** والمعنى ان بنا هذا المسجد الضرار كالبنا على شفير جهنم يتهور باهله
فيها وهذا مثل ضربه الله تعالى للمسجدين مسجد الضرار ومسجد التقوى مسجد
قبا او مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم فمعنى المثل افمن اسس بنيانه دينه على قاعدة
قوية محكمة وهو الحق الذي هو تقوى الله ورضوانه خير امن اسس دينه على اضعف
القواعد واقلها بقا وثباتا وهو الباطل والنفاق الذي مثله مثل بنا على غير اساس
ثابت وهو شفا جرف هار فانهار به اذا كان كذلك كان اسرع الى السقوط في نار
جهنم ولان الباني الاول قصد ببنايه تقوى الله ورضوانه فكان بناه اشرف البنا
والباني الثاني قصد ببنايه الكفر والنفاق واضرار المسلمين فكان بناه اخس البنا
وكان عاقبته الى جهنم قال ابن عباس صيرهم نفاقهم الى النار وقال قتادة والله
ما تناهى بناوهم حتى وقع في النار ولقد ذكر لنا الله حفرة بقعة منه فروي
الدخان يخرج وقال جابر بن عبد الله رايت الدخان يخرج من مسجد الضرار

لايزال بنيانهم الذي بنوا ريبة يعني شكا ونفاقا **في قلوبهم** والمعنى ان ذلك البنا
صار سببا لحصول الريبة في قلوبهم لان المنافقين فرحوا ببنا مسجدهم فلما امر
رسول الله صلى الله عليه وسلم بتخريبه ثقل ذلك عليهم وازدادوا غما وحزنا وبغضا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكان ذلك سبب الريبة في قلوبهم وقيل انهم كانوا
محبين في بنايه كما حبب العجل الى بني اسرايل فلما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بتخريبه بقوا شاكين مرتابين لاي سبب امر بتخريبه وقال السدي لايزال هدم
بنيانهم ريبة اي حرارة وغيظا في قلوبهم **الا ان تقطع قلوبهم** اي تجعل قلوبهم قطعا
وتفرق اجزا اما السيف واما الموت والمعنى ان هذه الريبة باقية في قلوبهم
الى ان يموتوا عليها **والله عليم** يعني باحوالهم واحوال جميع عباده **حكيم** يعني بما
حكم به عليهم قوله عز وجل **ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم
الجنة** الاية قال محمد بن كعب القرظي لما بايعت الانصار رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليلة العقبة وكانوا سبعين رجلا قال عبد الله بن رواحة اشترط لربك ولنفسك
ما شيت قال اشترط لربي ان تعبدوه ولا تشركوا به شيا واشترط لنفسي ان تمنعوني
بما تمنعون منه انفسكم واموالكم قالوا اذا فعلنا ذلك فما لنا قال الجنة قالوا
ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل فنزلت ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم
بان لهم الجنة قال ابن عباس بالجنة قال اهل المعاني لا يجوز ان يشتري الله شيا في
الحقيقة لان المشتري يشتري ما لا يملك والاشيا كلها ملك لله تعالى ولهذا قال
الحسن انفسا هو خلقها واموالا هو رزقها ولكن جرى هذا مجرى التلطف
في الدعا الى الطاعة والجهاد وذلك لان المومن اذا قاتل في سبيل الله حتى
يقتل او ينفق ماله في سبيل الله عوضه الله الجنة في الاخرة جزا لما فعل في
الدنيا فجعل ذلك استبدالا او شرا فهذا معنى الاشترا من المومنين انفسهم
واموالهم بان لهم الجنة والمراد باموالهم انفاقها في سبيل الله وفي جميع وجوه
البر والطاعة **يقاتلون في سبيل الله** هذا تفسير لتلك المبايعة وقيل فيه
معنى الامر اي قاتلوا في سبيل الله فيقتلون ويقتلون يعني فيقتلون اعدا
الله **فيقتلون ويقتلون** في طاعة الله وسبيله **وعدا عليه حقا** يعني
ذلك الوعد **في التوراة والانجيل والقران** يعني ان هذا الوعد الذي وعده الله
للمجاهدين في سبيله قد اثبته في التوراة والانجيل كما اثبته في القران وفيه
دليل على ان الامر بالجهاد موجود في جميع الشرايع ومكتوب على جميع اهل الملل
ومن اوفى بعهده من الله يعني لا احد اوفى بالعهد من الله **فاستبشروا ببيعكم
الذي بايعتم به** يعني فاستبشروا ايها المومنون بهذا البيع الذي بايعتم به
وذلك يعني هذا البيع **هو الفوز العظيم** لانه رابح في الاخرة قال عمر ان الله بايعك
وجعل الصفقتين لك وقال الحسن اسمعوا الى بيعة ربيحة بايع الله بها كل مومن
وعنه ان الله تعالى اعطاك الدنيا فاشتر الجنة ببعضها وقال قتادة ثامنهم

فاعلم

فاعلم قوله تعالى **التائبون** قال الفرا استونف لفظ التائبين بالرفع لتمام
الاية الاولى وانقطاع الكلام وقال الزجاج التائبون رفع بالابتدا وخبره مضمر
المعنى التائبون الخ لهم الجنة ايضا من لم يجاهد غير معاند ولا قاصد لترك
الجهاد فله الجنة ايضا وهذا وجه حسن كانه وعد الجنة لجميع المومنين كما قال
تعالى وكلا وعد الله الحسنى ومن جعله تابعا للاول كان الوعد بالجنة خاصا للمجاهدين
الموصوفين بهذه الصفات فيكون رفع التائبون على المدح يعني المومنين المذكورين
في قوله ان الله اشترى واما التفسير فقوله تعالى التائبون يعني تابوا من
الشرك وبريوا من النفاق وقيل التائبون من كل معصية فيدخل فيه التوبة
من الكفر والنفاق من جميع المعاصي لان لفظ التائبين لفظ عموم فيتناول الكل
واعلم ان التوبة المقبولة انما تحصل بحصول امور اربعة اولها احتراق القلب
عند صدور المعصية وثانيها الندم على فعلها فيما مضى وثالثها العزم على
تركها في المستقبل ورابعها ان يكون الحامل له على التوبة طلب رضوان الله
وعبوديته فان كان غرضه بالتوبة طلب تحصيل مدح الناس ودفع مذمتهم فليس
بمخلص في توبته **العابدون** يعني المطيعين لله الذين يرون عبادة الله واجبة
عليهم وقيل هم الذين اتوا العبادة على افضى وجوه التعظيم لله تعالى وهي ان
تكون العبادة خالصة لله تعالى **الحامدون** يعني الذين يحمدون الله تعالى
على كل حال في السرا والضرا وروى البغوي بغير سند عن ابن عباس عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال اول من يدعى الى الجنة يوم القيامة الذين يحمدون الله في السرا والضرا
وقيل هم يحمدون الله ويقومون بشكره على جميع نعمه دنيا واخرى **السايحون**
قال ابن مسعود وابن عباس الصايمون قال سفيان بن عيينة انما سمي الصايم
سايحا لتركه اللذات كلها من المطعم والمشرب والنكاح وقال الازهري قيل للصايم
سايحا لان الذي يسيح في الارض متعبدا لا زاد معه فكان ممسكا عن الاكل وكذلك
الصايم ممسك مستمر على فعل الطاعة وترك المنهي وقال عطا السايحون
هم الغزاة المجاهدون في سبيل الله ويدل عليه ما روي عن عثمان بن مظعون قال
قلت يا رسول الله ايذن لنا في السياحة فقال ان سياحة امتي الجهاد في
سبيل الله ذكره البغوي بغير سند وقال عكرمة السايحون هم طلبة العلم لانهم
ينتقلون من بلد الى بلد في طلبه وقيل ان السياحة لها اثر عظيم في تهذيب
النفس وتحسين اخلاقها لان السايح لا بد ان يلقى انواعا من الضر والبوس ولا بد
له من الصبر عليها ويلقى العلما والصالحين في سياحته فيستفيد منهم ويعود عليه
من بركتهم ويرى عجايب واثار قدرة الله تعالى فيتفكر في ذلك فيدله على وحدانية
الله تعالى وعظيم قدرته **الراكعون الساجدون** يعني المصلين وانما عبر عن
الصلاة بالركوع والسجود لانهما معظم اركانها وبهما يتميز المصلي عن غير المصلي
بخلاف حالة القيام والقعود لانهما حالة المصلي وغيره **الامرون بالمعروف**

يعني يامرون الناس بالايمان بالله وحده **والناهون عن المنكر** عن الشرك بالله
وقيل انهم يامرون الناس بالحق في اديانهم واتباع الرشد والهدى والعمل الصالح
وينهونهم عن كل فعل قبيح وقول نهى الله عباده عنه او نهى عنه رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال الحسن اما انهم لم يامروا الناس بالمعروف حتى كانوا من اهله
ولم ينهوا عن المنكر فان العرب تعطف بالواو على السبعة ومنه قوله تعالى وثامنهم
كلبهم وقوله في صفة الجنة وفتحت ابوابها وقيل فيه وجه اخر وهو ان الموصوفين
بهذه الصفات الستة هم الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر **والحافظون**
لحدود الله قال ابن عباس يعني القايمين بطاعة الله وقال الحسن
الحافظون لفرايض الله وهم اهل الوفا ببيعة الله وقيل هم المودون فرايض الله
المنتهون الى امر الله ونهيه فلا يضيعون شيئا من العمل الذي لزمهم به ولا
يرتكبون منهيا نهاهم عنه **وبشر المومنين** يعني وبشر يا محمد المصدقين بما
وعدهم الله به اذا وفوا الله بعهده وانه موفيهم بما وعدهم من ادخال الجنة
وقيل وبشر المومنين من فعل هذه الافعال التسعة وهو قوله التايبون
الى اخر الاية فان لهم الجنة قوله عز وجل **ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا**
للمشركين ولو كانوا اولي قربى اختلف اهل التفسير في سبب نزول هذه
الاية فقال قوم في شان ابي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم والد علي كرم الله
وجهه ان النبي صلى الله عليه وسلم اراد ان يستغفر له بعد موته فنهاه الله عن ذلك
ويدل على ذلك ما روي عن سعيد بن المسيب عن ابيه المسيب بن حزن قال لما حضر
ابا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد عنده ابا جهل وعبد الله
ابن ابي امية بن المغيرة فقال اي عم قل لا اله الا الله كلمة احاج لك بها عند الله
فقال ابو جهل وعبد الله بن ابي امية اترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزل رسول الله
صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه ويعودان لتلك المقالة حتى قال ابو طالب اخر
ما كلمهم انا على ملة عبد المطلب وابى ان يقول لا اله الا الله فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم والله لاستغفرن لك ما لم انه عنك فانزل الله تعالى ما كان
للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى وانزل الله في
ابي طالب انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشا اخرجاه في الصحيحين
فان قلت قد استبعد بعض العلما نزول هذه الاية في شان ابي طالب وذلك
ان وفاته كان بمكة اول الاسلام ونزول هذه السورة بالمدينة وهي من اخر القران
نزولا قلت الذي نزل في ابي طالب قوله انك لا تهدي من احببت فقال
النبي صلى الله عليه وسلم لاستغفرن لك ما لم انه عنك كما في الحديث فيحتمل انه صلى الله
عليه وسلم كان يستغفر له في بعض الاوقات الى ان نزلت هذه الاية ومنع من
الاستغفار والله اعلم بمراده واسرار كتابه م عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لعمه عند الموت قل لا اله الا الله اشهد لك بها يوم القيامة فابى

فانزل الله

فانزل الله انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشا الاية وفي رواية قال
لولا تعيرني قريش يقولون انما حمله على ذلك الجزع لاقررت بها عينك فانزل الله
الاية عن ابي سعيد الخدري انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر عنده
عمه ابو طالب فقال لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من نار
من كعبيه تغلي منه ام دماغه وفي رواية يغلي منها دماغه من حرارة نعليه ق عن العباس
ابن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قلت يا رسول الله ما اغنيت
عن عمك كان يحوطك ويغضب لك قال هو في ضحضاح من نار ولولا انا لكان في
الدرك الاسفل من النار وفي رواية قال قلت يا رسول الله ان عمك ابا طالب كان
يحوطك وينصرك فهل ينفعه ذلك قال نعم وجدته في غمرات من النار فاخرجته
الى ضحضاح وقال ابو هريرة وبريدة لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة
اتى قبر امه امنة فوقف حتى حميت الشمس رجا ان يوذن له فيستغفر لها فنزلت
ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين وروى الطبري بسنده عن
بريدة ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم مكة اتى رسم قال واكثر ظني انه قال قبر
فجلس اليه فجعل يخاطب ثم قام مستعبرا فقلنا يا رسول الله انا راينا ما صنعت
قال اني استاذنت ربي في زيارة قبر امي فاذن لي واستاذنته في الاستغفار
لها فلم يوذن لي فما رايي باكيا اكثر من يوميذ وحكى ابن الجوزي عن بريدة قال مر
النبي صلى الله عليه وسلم بقبر امه فتوضى وصلى ركعتين ثم بكى وبكى الناس لبكايه
ثم انصرف اليهم فقالوا ما ابكاك قال مررت بقبر امي فصليت ركعتين ثم استاذنت
ربي ان استغفر لها فنهيت فبكيت ثم عدت فصليت ركعتين واستاذنت ربي
ان استغفر لها فزجرت زجرا فابكاني ثم دعا براحلته فركبها فما سار الا هنيهة
حتى قامت الناقة لثقل الوحي فنزلت ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا
للمشركين ولو كانوا اولي قربى الاية م عن ابي هريرة قال زار النبي صلى الله عليه وسلم
قبر امه فبكى وابكى من حوله فقال استاذنت ربي في ان استغفر لها فلم يوذن لي
واستاذنته في ان ازور قبرها فاذن لي فزوروا القبور فانها تذكركم الموت وقال
قتادة قال النبي صلى الله عليه وسلم لاستغفرن لابي كما استغفر ابرهيم لابيه
فانزل الله هذه الاية وروى الطبري بسنده عنه قال ذكر ان رجالا من اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم قالوا يا نبي الله ان من ابائنا من كان يحسن الجوار ويصل الرحم
ويفك العاني ويوفي بالذمم افلا نستغفر لهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لاستغفرن
لابي كما استغفر ابرهيم لابيه فانزل الله ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا
للمشركين الاية ثم عذر الله ابرهيم فقال وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن
موعدة وعدها اياه الاية عن علي بن ابي طالب قال سمعت رجلا يستغفر لابويه
وهما مشركان فقلت له اتستغفر لابويك وهما مشركان فقال استغفر ابرهيم
لابيه وهو مشرك فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت ما كان للنبي والذين

امنوا ان يستغفروا للمشركين الاية اخرجه النسائي والترمذي وقال حديث حسن
واخرجه الطبري وقال فيه فانزل الله عز وجل وما كان استغفار ابراهيم لابيه
الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له انه عدو لله تبرا منه الاية ومعنى الاية
ما كان ينبغي للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين وليس لهم ذلك لان الله
تعالى لا يغفر للمشركين ولا يجوز ان يطلب منه ما لا يفعله ففيه النهي عن الاستغفار
للمشركين ولو كانوا اولي قربى لان النهي عن الاستغفار للمشركين عام فيستوي
فيه القريب والبعيد ثم ذكر الله عز وجل سبب المنع فقال تعالى **من بعد ما
تبين لهم انهم اصحاب الجحيم** يعني تبين لهم انهم اصحاب الشرك وماتوا عليه
فهم من اصحاب الجحيم وايضا فقد قال الله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به والله لا
يخلف وعده واما قوله تعالى **وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة
وعدها اياه** فمعناه فما كان طلب ابراهيم لابيه المغفرة من الله الا من اجل موعدة
وعد ابراهيم اياه ان يستغفر له رجاء اسلامه قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه
لما انزل الله خبرا عن ابراهيم انه قال سلام عليك سأستغفر لك ربي سمعت رجلا
يستغفر لابويه وهما مشركان فقلت استغفر لابويك وهما مشركان فقال
اولم يستغفر ابراهيم لابيه فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فانزل الله
تعالى قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم الى قوله الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن
لك يعني ان ابراهيم ليس بقدوة في هذا الاستغفار لانه انما استغفر لابيه وهو
مشرك لمكان الوعد الذي وعده رجاء ان يسلم فلما تبين له انه عدو لله تبرا منه
فعلى هذا الهاء في اياه راجعة الى ابراهيم والوعد كان من ابيه وذلك ان ابا ابراهيم
وعد ابراهيم ان يسلم فقال ابراهيم سأستغفر لك ربي يعني اذا اسلمت وقيل الهاء
راجعة الى الاب وذلك ان ابراهيم وعد اباه ان يستغفر له رجاء اسلامه ويؤكد
هذا قوله سأستغفر لك ربي ويدل عليه ايضا قراءة الحسن وعدها اباه بالباء الموحدة
فلما تبين له انه عدو لله تبرا منه يعني فلما ظهر لابراهيم وبان ان اباه عدو لله
يعني بموته على الكفر تبرا منه عند ذلك وقيل يحتمل ان الله تعالى اوحى الى ابراهيم
ان اباه عدو له تبرا منه وقيل لما يتبين له في الاخرة انه عدو لله تبرا منه ويدل على
ذلك ما روي عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يلقى ابراهيم عليه السلام
اباه ازر يوم القيامة وعلى وجه ازر قترة وغبرة فيقول له ابراهيم الم اقل لك لا
تعصني فيقول ابوه فاليوم لا اعصيك فيقول ابراهيم يا رب انك وعدتني ان لا تخزني
يوم يبعثون فاي خزي اخزى من ابي الابعد فيقول الله تعالى اني حرمت الجنة على
الكافرين ثم يقال يا ابراهيم ما تحت رجليك فينظر فاذا هو بذيخ متلطخ فيؤخذ
بقوائمه فيلقى في النار اخرجه البخاري زاد غيره فيتبرأ منه القترة غبرة يعلوها
سواد والذيخ بذال معجمة ثم ياء مثناة من تحت ثم خاء معجمة وهو ذكر الضباع والانثى
ذيخة وقوله تعالى **ان ابراهيم لاواه حليم** جاء في الحديث ان الاواه الخاشع المتضرع

وقال ابن مسعود

وقال ابن مسعود الاواه الكثير الدعاء وقال ابن عباس هو المؤمن التواب وقال الحسن
وقتادة الاواه الرحيم بعباد الله وقال مجاهد الاواه الموقن وقال كعب الاحبار
هو الذي يكثر التأوه وكان ابراهيم عليه الصلاة والسلام يكثر ان يقول اوه من النار
قبل ان لا ينفع اوه وقال عقبة بن عامر الاواه الكثير الذكر لله عز وجل وقال سعيد
ابن جبير هو المسبح وعنه انه المعلم للخير وقال عطاء هو الراجع عما يكره الله الخائف من
النار وقال ابو عبيدة هو المتاوه شفقا وفرقا المتضرع يقينا ولزوما للطاعة
وقال الزجاج انتظم في قول ابي عبيدة جميع ما قيل في الاواه واصله من التاوه
وهو ان يسمع للصدر صوت من تنفس الصعداء والفعل منه اوه وهو قول الرجل عند شدة
خوفه وحزنه اوه والسبب فيه ان عند الحزن تحمى الروح داخل القلب ويشتد
حرها فالانسان يخرج ذلك النفس المحترق في القلب ليخف بعض ما به من الحزن
والشدة واما الحليم فمعناه ظاهر وهو الصفوح عمن سبه او اتاه بمكروه ثم يقابله
بالاحسان واللطف كما فعل ابراهيم مع ابيه حين قال له لئن لم تنته لارجمنك
فاجابه ابراهيم بقوله عليه السلام سلام عليك سأستغفر لك ربي وقال ابن عباس
الحليم السيد وانما وصف الله عز وجل ابراهيم عليه السلام بهذين الوصفين وهو
شدة الرقة والخوف والوجل والشفقة على عباد الله تعالى فبين الله تعالى انه
مع هذه الصفات الجميلة الحميدة تبرا من ابيه لما ظهر له اصراره على الكفر فاقتدوا به
انتم في هذه الحالة ايضا قوله تعالى **وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم**
يعني وما كان الله ليقضي عليكم بالضلال بسبب استغفاركم لموتاكم المشركين بعد ان
رزقكم الهداية ووفقكم للايمان به وبرسوله وذلك انه لما منع المؤمنين من
الاستغفار للمشركين وكانوا قد استغفروا لهم قبل المنع خافوا ما صدر منهم فاعلم
ان ذلك ليس بضائرهم **حتى يبين لهم ما يتقون** يعني ما يأتون وما
يذرون ويتقدم اليهم بالنهي عن ذلك الفعل فاما قبل النهي فلا حرج عليهم في فعله
وقيل ان جماعة من المسلمين كانوا قد ماتوا قبل النهي عن الاستغفار للمشركين
فلما سمعوا من ذلك وقع في قلوبهم المؤمنين خوف على من مات على ذلك فانزل الله
عز وجل هذه الاية وبين انه لا يؤاخذهم بعمل الا بعد ان يبين لهم انه يجب عليهم
ان يتقوه ويتركوه قال مجاهد بيان الله للمؤمنين في ترك الاستغفار للمشركين
خاصة وبيانه لهم في معصيته وطاعته عامة وقال الضحاك وما كان الله ليعذب
قوما حتى يبين لهم ما يأتون وما يذرون وقال مقاتل والكلبي هذا في امر المنسوخ
وذلك ان قوما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم واسلموا قبل تحريم الخمر وصرف
القبلة الى الكعبة فرجعوا الى قومهم وهم على ذلك ثم حرمت الخمر وصرفت القبلة
الى الكعبة ولا علم لهم بذلك ثم قدموا بعد ذلك الى المدينة فوجدوا الخمر قد حرمت
والقبلة قد صرفت الى الكعبة فقالوا يا رسول الله قد كنت على دين ونحن على غيره
فنحن ضلال فانزل الله وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم يعني وما كان الله

ليبطل عمل قوم قد عملوا بالمنسوخ حتى يتبين الناسخ **ان الله بكل شيء عليم** يعني انه
تعالى عليم بما خالط نفوسكم من الخوف عندما نهاكم عن الاستغفار للمشركين ويعلم ما
يبين لكم من اوامره ونواهيه **ان الله له ملك السموات والارض** يعني انه تعالى
هو القادر على ملك السموات والارض وما فيهما عبيده وملكه يحكم فيهم بما يشاء
يحيي ويميت يعني انه تعالى يحيي من يشاء على الايمان ويميته عليه ويحيي من
يشاء على الكفر ويميته عليه لا اعتراض لاحد عليه في حكمه وعبيده **وما لكم من
دون الله من ولي ولا نصير** يعني انه تعالى هو وليكم وناصركم ليس لكم غيره يمنعكم من
عدوكم وينصركم عليهم قوله عز وجل **لقد تاب الله على النبي والمهاجرين
والانصار** الاية تاب الله بمعنى تجاوز وصفح عن النبي والمهاجرين والانصار ومعنى
توبته على النبي صلى الله عليه وسلم باذنه للمنافقين بالتخلف عنه في غزوة تبوك
وهو كقوله عفا الله عنك لم اذنت لهم فهو من باب ترك الافضل لا انه ذنب يوجب
عقابا وقال اصحاب المعاني هو مفتاح كلام للتبرك فهو كقوله تعالى فان لله خمسه
ومعنى هذا ان ذكر النبي بالتوبة عليه تشريف للمهاجرين والانصار في ضم
توبتهم الى توبة النبي صلى الله عليه وسلم كما ضم اسم الرسول الى اسم الله في قوله
فان لله خمسه وللرسول فهو تشريف له واما معنى توبة الله على المهاجرين والانصار
فلاجل ما وقع في قلوبهم من الميل الى القعود عن غزوة تبوك لانها كانت في وقت
شديد وربما وقع في قلوب بعضهم انا لا نقدر على قتال الروم وكيف لنا بالخلاص
منهم فتاب الله عليهم وعفا عنهم ما وقع في قلوبهم من هذه الخواطر والوساوس النفسانية
وقيل ان الانسان لا يخلو من زلات وتبعات في مدة عمره اما من باب الصغائر واما
من باب ترك الافضل ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين معه لما تحملوا احتمال
هذا السفر ومتاعبه وصبروا على تلك الشدائد التي حصلت لهم في ذلك السفر
غفر الله لهم وتاب عليهم لما تحملوه من الشدائد العظيمة في تلك الغزوة مع النبي
صلى الله عليه وسلم وانما ضم ذكر النبي صلى الله عليه وسلم الى ذكرهم تنبيها على عظم
مراتبهم في الدين وانهم قد بلغوا الى الرتبة التي لاجلها ضم ذكر النبي صلى الله
عليه وسلم الى ذكرهم **الذين اتبعوه** في تلك الغزوة من المهاجرين والانصار
وقد ذكر بعض العلماء ان النبي صلى الله عليه وسلم سار الى تبوك في سبعين الفا ما بين
راكب وماش من المهاجرين والانصار وغيرهم من سائر القبائل **في ساعة العسرة**
يعني في وقت العسرة ولم يرد ساعة بعينها والعسرة الشدة والضيق وكانت
غزوة تبوك تسمى غزوة العسرة والجيش الذي سار فيه يسمى جيش العسرة لانه
كان عليهم عسرة في الظهر والزاد والماء قال الحسن كان العسرة منهم يخرجون على
بعير واحد يعتقبونه بينهم يركب الرجل ساعة ثم ينزل فيركب صاحبه وكان
زادهم التمر المسوس والشعير المتغير وكان النفر منهم يخرجون وما معهم
الا التمرات اليسيرة بينهم فاذا بلغ الجوع من احدهم اخذ التمرة فلاكها حتى

يجد

يجد طعمها ثم يخرجها من فيه ويعطيها صاحبه ثم يشرب عليها جرعة من الماء كذلك
حتى ياتي على اخرهم ولا يبقى من التمرة الا النواة فمضوا مع النبي صلى الله عليه وسلم
على صدقهم ويقينهم رضي الله عنهم وقال عمر بن الخطاب خرجنا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى تبوك في قيظ شديد فنزلنا منزلا اصابنا فيه عطش شديد حتى
ظننا ان رقابنا ستنقطع وحتى ان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل
ما بقي على كبده وحتى ان الرجل كان يذهب يلتمس الماء فلا يرجع حتى يظن ان رقبته
ستنقطع فقال ابو بكر الصديق يا رسول الله ان الله عودك في الدعاء خيرا فادع
الله قال اتحب ذلك قال نعم فرفع يديه صلى الله عليه وسلم فلم يرجعهما حتى قالت السماء
فاظلت ثم سكبت فملؤوا ما معهم من الاوعية ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت
العسكر اسنده الطبري عن عمر كذلك **من بعد ما كاد تزيغ قلوب
فريق منهم** يعني من بعد ما قارب ان يميل قلوب بعضهم عن الحق من هذه المشقة
والشدة التي نالتهم والزيغ في اللغة الامالة وقيل هم بعضهم ان يفارق الرسول
صلى الله عليه وسلم عند تلك الشدة التي نالتهم لكنهم صبروا واحتسبوا وقدموا
على ما خطر في قلوبهم فلاجل ذلك قال الله تعالى **ثم تاب عليهم** يعني انه علم خلوص
نيتهم وصدق توبتهم فرزقهم الانابة والتوبة فان قلت قد ذكر التوبة اولا
ثم ذكرها ثانيا فما فائدة التكرار قلت انه تعالى ذكر التوبة اولا قبل
ذكر الذنب تفضلا منه وتطييبا لقلوبهم ثم ذكر الذنب بعد ذلك واردفه
بذكر التوبة مرة اخرى تعظيما لشانهم وليعلموا انه تعالى قد قبل توبتهم وعفا
عنهم ثم اتبعه بقوله **انه بهم رؤوف رحيم** تاكيدا لذلك ومعنى الرؤوف في صفة
الله تعالى انه الرفيق بعباده لانه لم يحملهم ما لا يطيقون من العبادات وبين
الرؤوف والرحيم فرق لطيف وان تقاربا في المعنى قال الخطابي قد تكون الرحمة
مع الكراهة للمصلحة ولا تكاد الرافة تكون مع الكراهة قوله تعالى **وعلى
الثلاثة الذين خلفوا** هذا معطوف على ما قبله تقديره لقد تاب الله على
النبي والمهاجرين والانصار وعلى الثلاثة الذين خلفوا وفائدة هذا العطف
بيان قبول توبتهم وهم كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع وكلهم
من الانصار وهم المرادون بقوله تعالى واخرون مرجون لامر الله وفي معنى
خلفوا قولان احدهما انهم خلفوا عن توبة ابي لبابة واصحابه وذلك انهم
لم يخضعوا كما خضع ابو لبابة واصحابه فتاب الله عليهم على ابي لبابة واصحابه
واخر امر هؤلاء الثلاثة مدة ثم تاب عليهم بعد ذلك والقول الثاني انهم خلفوا
عن غزوة تبوك ولم يخرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها واما حديث
توبة كعب بن مالك وصاحبيه فقد روى عن ابن شهاب الزهري قال اخبرني عبد الرحمن
ابن عبد الله بن كعب بن مالك ان عبد الله بن كعب وكان قائد كعب من بنيه حين عمي
قال وكان اعلم قومه واوعاهم لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سمعت كعب

ابن مالك بن عبد الله بن كعب وكان يحدث حديثه حين تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
في غزوة تبوك قال كعب لم اتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها قط
الا في غزوة تبوك غير اني قد تخلفت في غزوة بدر ولم يعاتب احدا تخلف عنها انما خرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون يريد عير قريش حتى جمع الله بينهم وبين
عدوهم على غير ميعاد ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة
حتى تواثقنا على الاسلام وما احب ان لي بها مشهد بدر وان كان بدر اذكر في الناس
وكان من خبري حين تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك اني لم
اكن قط اقوى ولا ايسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزوة والله ما جمعت قبلها
راحلتين قط حتى جمعتهما في تلك الغزوة ولم يكن صلى الله عليه وسلم يريد غزوة الا
ورى بغيرها حتى كانت تلك الغزوة فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حر شديد
واستقبل سفرا بعيدا ومفازا واستقبل عدوا كثيرا فجلا للمسلمين امرهم ليتاهبوا
اهبة غزوهم واخبرهم بوجههم الذي يريد والمسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
كثير لا يجمعهم كتاب حافظ يريد بذلك الديوان قال كعب فقل رجل يريد ان يتغيب
الا ظن ان ذلك سيخفى ما لم ينزل به وحي من الله تعالى وغزا رسول الله صلى الله
عليه وسلم حين طابت الثمار والظلال وانا اليهما اصعر فتجهز رسول الله صلى الله
عليه وسلم والمسلمون معه وطفقت اغدو لكي اتجهز معهم فارجع ولم اقض شيئا واقول
في نفسي انا قادر على ذلك اذا اردت فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى استمر بالناس الجد
فاصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم غاديا والمسلمون معه ولم اقض من جهازي
شيئا ثم غدوت فرجعت ولم اقض شيئا فلم يزل ذلك يتمادى حتى اسرعوا وتفارط
الغزو فهممت ان ارتحل فادركهم فيا ليتني فعلت ثم لم يقدر لي ذلك فطفقت
اذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم يحزنني اني لا ارى
لي اسوة الا رجلا مغموصا عليه في النفاق او رجلا ممن عذر الله من الضعفاء ولم يذكرني
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك فقال وهو جالس في القوم بتبوك
ما فعل كعب بن مالك فقال رجل من بني سلمة يا رسول الله بئس ما قلت والله ما علمنا
عليه الا خيرا فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينما هو كذلك راى رجلا مبيضا
يزول به السراب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن ابا خيثمة فاذا هو ابو خيثمة
الانصاري وهو الذي تصدق بصاع التمر حين لمزه المنافقون قال كعب فلما بلغني
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه قافلا من تبوك حضرني بثي فطفقت اتذكر
الكذب واقول بما اخرج من سخطه غدا واستعنت على ذلك بكل ذي راي من اهلي فلما
قيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اظل قادما زاح عني الباطل حتى عرفت اني لن
انجو منه بشيء ابدا فاجمعت صدقه واصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قادما
وكان اذا قدم من سفر بدا بالمسجد فصلى فيه ركعتين ثم جلس للناس فلما فعل
ذلك جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون اليه ويحلفون له وكانوا بضعة وثمانين

رجلا

رجلا فقبل منهم علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم الى الله حتى جئت
فتبسم تبسم المغضب ثم قال تعال فجئت امشي حتى جلست بين يديه فقال لي ما خلفك
الم تكن قد ابتعت ظهرك قلت يا رسول الله اني لو جلست عند غيرك من اهل الدنيا
لرايت اني ساخرج من سخطه بعذر لقد اعطيت جدلا ولكن والله لقد علمت لئن
حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله ان يسخطك علي ولئن
حدثتك حديث صدق تجد علي فيه اني لارجو فيه عقبى الله وفي رواية عفو الله
عز وجل والله ما كان لي من عذر والله ما كنت قط اقوى ولا ايسر مني حين تخلفت
عنك قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما هذا فقد صدق فقم حتى يقضي
الله فيك فقمت وثار رجال من بني سلمة فاتبعوني فقالوا لي والله ما علمناك اذنبت
ذنبا قبل هذا لقد عجزت في ان لا تكون اعتذرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما
اعتذر اليه المخلفون فقد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال فوالله ما زالوا يؤنبونني حتى اردت ان ارجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاكذب نفسي قال ثم قلت لهم هل لقي هذا معي من احد قالوا نعم لقيه معك رجلان قالا مثل ما قلت وقيل لهما
مثل ما قيل لك قلت من هما قالوا مرارة بن الربيع العامري وهلال بن امية الواقفي
قال فذكروا رجلين صالحين قد شهدا بدرا فيهما اسوة قال فمضيت حين ذكروهما
لي قال ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا ايها الثلاثة من بين من تخلف
عنه قال فاجتنبنا الناس او قال تغيروا لنا حتى تنكرت في نفسي الارض فما هي بالارض
التي اعرف فلبثنا على ذلك خمسين ليلة فاما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما
يبكيان واما انا فكنت اشب القوم واجلدهم فكنت اخرج فاشهد الصلاة واطوف
في الاسواق فلا يكلمني احد واتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم عليه وهو في
مجلسه بعد الصلاة فاقول في نفسي هل حرك شفتيه برد السلام ام لا ثم اصلي قريبا
منه واسارقه النظر فاذا اقبلت على صلاتي نظر الي فاذا التفت نحوه اعرض عني حتى
اذا طال علي ذلك من جفوة المسلمين مشيت حتى تسورت حائط ابي قتادة وهو ابن عمي
واحب الناس الي فسلمت عليه فوالله ما رد السلام فقلت يا ابا قتادة انشدك
بالله هل تعلمني احب الله ورسوله قال فسكت فعدت فناشدته فعدت فناشدته
فقال الله ورسوله اعلم ففاضت عيناي وتوليت حتى تسورت الجدار فبينا انا امشي
في سوق المدينة اذا نبطي من نبط اهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول
من يدل على كعب بن مالك قال فطفق الناس يشيرون له الي حتى جاءني فدفع الي كتابا
من ملك غسان وكنت كاتبا فقراته فاذا فيه اما بعد فانه قد بلغنا ان صاحبك قد
جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة فالحق بنا نواسك قال فقلت حين قراتها
وهذه ايضا من البلاء فتيممت بها التنور فسجرتها حتى اذا مضت اربعون من الخمسين واستلبث
الوحي فاذا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم ياتيني فقال ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يامرك ان تعتزل امراتك قال فقلت اطلقها ام ماذا افعل قال لا بل اعتزلها فلا

تقربها قال وارسل الي صاحبي مثل ذلك قال فقلت لامراتي الحقي باهلك فكوني عندهم
حتى يقضي الله في هذا الامر قال فجاءت امراة هلال بن امية رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالت يا رسول الله ان هلال بن امية شيخ ضايع ليس له خادم فهل تكره ان اخدمه
قال لا ولكن لا يقربنك فقالت انه والله ما به من حركة الى شيء ووالله ما زال يبكي
منذ كان من امره ما كان الى يومه هذا قال فقال لي بعض اهلي لو استاذنت رسول الله
صلى الله عليه وسلم في امراتك فقد اذن لامراة هلال بن امية ان تخدمه قال فقلت
لا استاذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدريني ما يقول لي رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا استاذنته فيها وانا رجل شاب قال فلبثت بذلك عشر ليال فكمل لنا
خمسون ليلة من حين نهى عن كلامنا قال ثم صليت صلاة الفجر صباح خمسين ليلة
على ظهر بيت من بيوتنا فبينا انا جالس على الحالة التي ذكرها الله عنا قد ضاقت
على نفسي وضاقت علي الارض بما رحبت سمعت صوت صارخ اوفى على سلع يقول
باعلى صوته يا كعب بن مالك ابشر قال فخررت ساجدا وعلمت ان قد جاء فرج قال
واذن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر
فذهب الناس يبشروننا فذهب قبل صاحبي مبشرون وركض رجل الي فرسا وسعى
ساع من اسلم قبلي واوفى على الجبل فكان الصوت اسرع من الفرس فلما جاءني الذي سمعت
صوته يبشرني نزعت له ثوبي فكسوته اياه ببشارته فوالله ما املك غيرهما
يومئذ واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت اتامم رسول الله صلى الله عليه وسلم
يتلقاني الناس فوجا فوجا يهنوني بالتوبة ويقولون ليهنك توبة الله عليك
حتى دخلت المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم حوله الناس فقام طلحة
ابن عبيد الله يهرول حتى صافحني وتلقاني ووالله ما قام رجل من المهاجرين غيره
قال فكان كعب لا ينساها لطلحة قال كعب فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال وهو يبرق وجهه من السرور ابشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك امك قال
قلت امن عندك يا رسول الله ام من عند الله قال لا بل من عند الله وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا سر استنار وجهه كان وجهه قطعة قمر قال وكنا نعرف
ذلك منه فلما جلست بين يديه قلت يا رسول الله ان من توبتي ان انخلع من مالي
صدقة الى الله والى رسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم امسك بعض مالك
فهو خير لك قال فقلت فاني امسك سهمي الذي بخيبر قال وقلت يا رسول الله
ان الله انما انجاني بالصدق وان من توبتي ان لا احدث الا صدقا ما بقيت قال
فوالله ما علمت احدا من المسلمين ابلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله
صلى الله عليه وسلم احسن مما ابلاني الله والله ما تعمدت كذبة منذ قلت ذلك
لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى يومي هذا واني لارجو ان يحفظني الله فيما بقي
قال فانزل الله عز وجل لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه
في ساعة العسرة حتى بلغ انه بهم رؤف رحيم وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا

ضاقت عليهم الارض بما رحبت حتى بلغ اتقوا الله وكونوا مع الصادقين قال
كعب والله ما انعم الله علي من نعمة قط بعد ان هداني للاسلام اعظم في نفسي من
صدقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا اكون كذبته فاهلك كما هلك الذين
كذبوا ان الله عز وجل قال للذين كذبوا حين انزل الوحي شر ما قال لاحد فقال الله
سبحانه وتعالى سيحلفون لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فاعرضوا عنهم انهم
رجس وماواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون يحلفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا
عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين قال كعب كنا خلفنا ايها الثلاثة عن امر
اولئك الذين قبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حلفوا له فبايعهم
واستغفر لهم وارجا رسول الله صلى الله عليه وسلم امرنا حتى قضى الله فيه بذلك
قال الله عز وجل وعلى الثلاثة الذين خلفوا وليس الذي ذكر مما خلفنا عن الغزو
وانما هو تخليفه ايانا وارجاوه وامرنا عمن حلف له واعتذر اليه وفي رواية
ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن كلامي وكلام صاحبي ولم ينه عن كلام احد من
المتخلفين غيرنا فاجتنب الناس كلامنا فلبثت كذلك حتى طال علي الامر وما من شيء
اهم الي من ان اموت فلا يصلي علي النبي صلى الله عليه وسلم او يموت رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاكون من الناس بتلك المنزلة فلا يكلمني منهم احد ولا يسلم علي ولا يصلي
علي احد قال فانزل الله عز وجل توبتنا على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم حين بقي الثلث
الاخير من الليل ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند ام سلمة وكانت ام سلمة
محسنة في شاني معتنية بامري فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ام سلمة
تيب على كعب قالت افلا ارسل اليه فابشره قال اذا يحطمنكم الناس فيمنعونكم
النوم ساير الليل حتى اذا صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الفجر اذن رسول الله
صلى الله عليه وسلم بتوبة الله علينا اخرجه البخاري ومسلم شرح غريب
هذا الحديث قوله حين تواثقنا على الاسلام التوثق تفاعل من الميثاق وهو
العهد والراحلة الجمل او الناقة القوية على الحمل والسفر وقوله ورى بغيره
يقال ورى عن الشيء اذا اخفاه واظهر غيره والمفازة البرية القفر سميت بذلك تفاؤلا
بالفوز والنجاة منها فقوله فجلا لهم بالتخفيف يعني كشف لهم مقصدهم واظهره
لهم والاهبة الجهاز وما يحتاج اليه المسافر قوله وانا اليهم اصعر بالعين المهملة
اي امثل والصعر الميل قوله وتفارط الغزو اي تباعد ما بيني وبينه من المسافة
وطفق مثل جعل والمغموص المعيب المشار اليه بالعيب يقال فلان ينظر في عطفيه
اذا كان معجبا بنفسه يقال زال به السراب يزول اذا ظهر شخص الانسان خيالا لا فيه
من بعد والسراب هو ما يظهر للانسان في البرية في وقت الهاجرة كانه ماء والمبيض
بكسر الياء لابس البياض كن ابا خيثمة معناه انت ابو خيثمة وقيل معناه اللهم اجعله
ابا خيثمة اي ليوجد هذا الشخص ابا خيثمة حقيقة الذي لمزه المنافقون اي عابوه
واحتقروه والقافل الراجع من سفره الى وطنه قوله حضرني بثي البث اشد الحزن لانه

لشدته يشبه صاحبه اي بطهن زاح عني الباطل اي زال وذهب عني واجمعت صدقه اي عزمت عليه لقد اعطيت جدلا اي فصاحة وقوة في الكلام بحيث اخرج عن عهدة ما اردته بما اشاء من انشاء الكلام والمغضب بفتح الصاد هو الغضبان قوله فما زالوا يؤنبونني اي يلومونني اشد اللوم حتى تنكرت في نفسي الارض فما هي في الارض التي اعرف معناه تغير علي كل شيء من الارض وتوحشت علي وصارت كانها ارض لا اعرفها وقوله واما صاحباي فاستكانا يعني خضعا وسكنا قوله تسورت حايط ابي قتادة اي علوته وتصعدت سوره وهو اعلاه والانباط الفلاحون والزراعون وهم من العجم والروم والمضيعة مفعلة من الاضياع والاطراح وقوله فتيممت بها التنور فسجرتها اي فقصدت بالصحيفة التي ارسل بها ملك غسان فاحرقتها في التنور سلع جبل بالمدينة معروف فانطلقت انا ام يعني اقصد رسول الله صلى الله عليه وسلم والفوج الجماعة من الناس يبرق وجهه اي لمع وظهر عليه امارات الفرح والسرور قوله انخلع من مالي اي اخرج منه جميعه واتصدق به كما يخلع الانسان قميصه قوله ما علمت احدا من المسلمين ابلاه في صدق الحديث احسن مما ابلاني البلاء والابتلاء يكون في الخير وفي الشر واذا اطلق يكون في الشر غالبا فاذا اريد به الخير قيد به كما قيد هنا لقوله احسن مما ابلاني اي انعم علي قوله ان لا اكون كذبته هكذا هو في جميع روايات الحديث بزيادة لفظ لا قال العلماء لفظة لا زايدة ومعناه ان اكون كذبته وقوله فاهلك هو بكسر اللام وارجا امرنا تاخيره وقوله في الرواية الاخرى يحطمكم الناس اي يطاوكم ويزدحمون عليكم واصل الوطء الكسر وقوله سايرا الليل يعني في الليل وقوله واذن بتوبة الله علينا اي اعلم والاذان الاعلام انتهى والله اعلم وقوله عز وجل **حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت** يعني بما اتسعت والرحب سعة المكان والمعنى انه ضاق عليهم المكان لعدان كان واسعا **وضاقت عليهم انفسهم** يعني من شدة الغم والحزن ومجانبة الناس اياهم وترك كلامهم **وظنوا** يعني ايقنوا وعلموا **ان لا ملجا** يعني لا مفزع ولا مفر **من الله الا اليه** ولا عاصم من عذابه الا هو **ثم تاب عليهم** فيه اضمار وحذف تقديره فظنوا ان لا ملجا من الله الا اليه فرحمهم **ثم تاب عليهم** وانما حسن هذا الحذف لدلالة الكلام عليه وقوله ثم تاب عليهم تاكيد لقبول توبتهم لانه قد ذكر توبتهم في قوله وعلى الثلاثة الذين خلفوا كما تقدم بيانه وانه عطف على قوله لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار وتاب الله على الثلاثة الذين خلفوا وقوله ليتوبوا معناه ان الله تاب عليهم في الماضي ليكون ذلك داعيا لهم الى التوبة في المستقبل ويدوموا عليها وقيل ان اصل التوبة الرجوع ومعناه ثم تاب عليهم ليرجعوا الى حالهم الاولى يعني الى عادتهم في الاختلاط بالناس ومكالمتهم فتسكن نفوسهم بذلك **ان الله هو التواب** يعني على عباده **الرحيم** بهم وفيه دليل على ان قبول التوبة بمحض الرحمة والكرم والتفضل والاحسان وانه لا يجب على الله تعالى شي

قوله عز وجل **يا ايها الذين امنوا اتقوا الله** يعني في مخالفة امر رسول الله صلى الله عليه وسلم **وكونوا مع الصادقين** يعني مع النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه في الغزوات ولا تكونوا مع المتخلفين من المنافقين الذين قعدوا في البيوت وتركوا الغزو قال سعيد بن جبير مع الصادقين يعني ابا بكر وعمر وقال ابن جريج مع المهاجرين وقال ابن عباس مع الذين صدقت نياتهم واستقامت قلوبهم واعمالهم وخرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك باخلاص نية وقيل كونوا مع الذين صدقوا في الاعتراف بالذنب ولم يعتذروا بالاعذار الباطلة الكاذبة وهذه الاية تدل على فضيلة الصدق لان الصدق يهدي الى الجنة والكذب الى الفجور كما ورد في الحديث وقال ابن مسعود الكذب لا يصلح في جد ولا هزل ولا ان يعد احدكم صاحبه شيا ثم لا ينجزه اقرؤوا ان شيتم وكونوا مع الصادقين روي ان ابا بكر الصديق احتج بهذه الاية على الانصار في يوم السقيفة وذلك ان الانصار قالوا منا امير ومنكم امير فقال ابو بكر يا معشر الانصار ان الله يقول في كتابه للفقراء المهاجرين الى قوله اولئك هم الصادقون من هم قالت الانصار انتم هم فقال ابو بكر ان الله تعالى يقول يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين فامركم ان تكونوا معنا ولم يامرنا ان نكون معكم نحن الامرا وانتم الوزرا وقيل مع بمعنى من والمعنى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا من الصادقين قوله تعالى **ما كان لاهل المدينة** يعني لساكني المدينة من المهاجرين والانصار **ومن حولهم من الاعراب** يعني سكان البوادي مزينة وجهينة واسلم واشجع وغفار وقيل هو عام في كل الاعراب لان اللفظ عام وحمله على العموم اولى **ان يتخلفوا عن رسول الله** يعني اذا غزا وهذا ظاهره خبر ومعناه النهي اي ليس لهم ان يتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم **ولا يرغبوا** يعني ولا ان يرغبوا **بانفسهم عن نفسه** يعني ليس لهم ان يكرهوا لانفسهم ما يختار رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرضاه لنفسه ولا يختاروا لانفسهم الخفض والدعة ويكرهوا مصاحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم والجهاد معه في حال الشدة والمشقة وقال الحسن لا يرغبوا بانفسهم ان يصيبهم من الشدايد فيختاروا الخفض والدعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم في مشقة السفر ومقاساة التعب **ذلك بانهم لا يصيبهم** في سفرهم وغزوهم **ظما** اي عطش **ولا نصب** اي تعب **ولا مخمصة** اي مجاعة شديدة **في سبيل الله ولا يطيون موطيا يغيظ الكفار** يعني ولا يضعون قدما على الارض ليكون ذلك القدم سببا لغيظ الكفار وغمهم وحزنهم **ولا ينالون من عدو نيلا** يعني اسرا او قتلا او هزيمة وغنيمة ونحو ذلك قليلا كان او كثيرا **الا كتب لهم به عمل صالح** يعني الا كتب الله لهم بذلك ثواب عمل صالح قد ارتضاه الله لهم وقبله منهم **ان الله لا يضيع اجر المحسنين** يعني ان الله لا يدع محسنا من خلقه قد احسن في عمله واطاعه فيما امره به او نهاه عنه ان يجازيه على احسانه

وعمله الصالح وفي الاية دليل على ان من قصد طاعة الله كان قيامه وقعوده ومشيه
وحركته وسكونه كلها حسنات مكتوبة عند الله وكذا القول في قصد المعصية لان
حركته فيها كلها سيئات الا ان يغفرها الله بفضله وكرمه واختلف العلما في حكم هذه
الاية فقال قتادة هذه خاصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غزا بنفسه
لم يكن لاحد ان يتخلف عنه من الانصار الا بعذر فاما غيره من الايمة والولاة فيجوز
لمن شا من المومنين ان يتخلف عنه اذا لم يكن للمسلمين اليه ضرورة وقال الوليد
ابن مسلم سمعت الاوزاعي وابن المبارك وابن جابر وسعيد بن العزيز يقولون في
هذه الاية انها لاول هذه الاية ولاخرها فعلى هذا تكون محكمة لم تنسخ وقال ابن
زيد هذا حين كان اهل الاسلام قليلا فلما كثر نسخها الله تعالى واباح لمن شا بقوله
وما كان المومنون لينفروا كافة ونقل الواحدي عن عطية انه قال وما كان لهم
ان يتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعاهم وامرهم قال الواحدي هذا
هو الصحيح لانه تتعين الطاعة والاجابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا امر
وكذا غيره من الايمة والولاة اذا ندبوا او عينوا لانا لو سوغنا للمندوب ان يتقاعد
ولم يختص بذلك بعض دون بعض لادى ذلك الى تعطيل الجهاد والله اعلم قوله عز
وجل **ولا ينفقون** يعني في سبيل الله **نفقة صغيرة ولا كبيرة** يعني تمرة فما دونها
او اكثر منها حتى علاقة سوط **ولا يقطعون واديا** يعني ولا يجاوزون في مسيرهم
واديا مقبلين ومدبرين **الا كتب لهم** يعني كتب الله لهم اثارهم وخطاهم ونفقاتهم
ليجزيهم الله احسن ما كانوا يعملون قال الواحدي معناه باحسن ما كانوا يعملون
قال الامام فخر الدين الرازي فيه وجهان الاول ان الاحسن من صفة فعلهم وفيها
الواجب والمندوب والمباح فالله تعالى يجزيهم على الاحسن وهو الواجب والمندوب
دون المباح والثاني ان الاحسن صفة للجزا اي يجزيهم جزا هو احسن من اعمالهم
واجل وافضل وهو الثواب وفي الاية دليل على فضل الجهاد وانه من احسن اعمال العباد
ق عن سهل بن سعد الساعدي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رباط يوم
في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها وموضع سوط احدكم من الجنة خير من الدنيا
وما عليها والروحة يروحها العبد في سبيل الله او الغدوة خير من الدنيا وما عليها
وفي رواية وما فيها **ق** عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تضمن الله
لمن خرج في سبيله لا يخرجه الا جهاد في سبيلي وايمان بي وتصديق برسلي
فهو علي ضامن ان ادخله الجنة او ارجعه الى مسكنه الذي خرج منه نايلا ما نال
من اجر او غنيمة والذي نفس محمد بيده ما من كلم يكلم في سبيل الله الا جا يوم القيامة
كهيئته يوم كلم لونه لون دم وريحه ريح مسك والذي نفس محمد بيده لولا ان اشق
على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله ابدا ولكن لا اجد سعة
فاحملهم ولا يجدون سعة ويشق عليهم ان يتخلفوا عني والذي نفس محمد بيده
لوددت ان اغزو في سبيل الله فاقتل ثم اغزو فاقتل لفظ مسلم وللبخاري

ق

عن ابي سعيد الخدري قال جا رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اي الناس
افضل قال مومن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله قال ثم من قال ثم رجل في شعب
من الشعاب يعبد الله وفي رواية يتقي الله ويدع الناس من شره **خ** عن ابي عبس
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احتبس فرسا في سبيل الله ايمانا
وتصديقا بوعده فان شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة يعني
حسنات **م** عن ابي مسعود الانصاري البدري قال جا رجل بناقة مخطومة الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال هذه في سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لك بها يوم القيامة سبعماية ناقة كلها مخطومة عن خريم بن فاتك قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من انفق نفقة في سبيل الله كتبت له سبعماية
ضعف اخرجه الترمذي والنسايي قوله عز وجل **وما كان المومنون لينفروا
كافة** الاية قال عكرمة لما نزلت هذه الاية ما كان لاهل المدينة ومن حولهم
من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله قال ناس من المنافقين هلك من تخلف
فنزلت هذه الاية وما كان المومنون لينفروا كافة قال ابن عباس انها ليست في
الجهاد ولكن لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على مضر بالسنين اجدبت
بلادهم فكانت القبيلة منهم تقبل باسرها حتى يحلوا بالمدينة من الجهد ويعتلوا
بالاسلام وهم كاذبون فضيقوا على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واجهدوهم
فانزل الله عز وجل يخبر نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم انهم ليسوا مومنين فردهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عشايرهم وحذر قومهم اذا رجعوا اليهم وفي رواية
اخرى عن ابن عباس انه قال كان ينطلق من كل حي من العرب عصابة فياتون النبي
فيسالونه عما يريدون من امر دينهم ويتفقهون في دينهم ويقولون لنبي الله
صلى الله عليه وسلم ما تامرنا ان نفعله واخبرنا بما نقوله لعشايرنا اذا انطلقنا
اليهم فيامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بطاعة الله وطاعة رسوله
ويبعثهم الى قومهم بالصلاة والزكاة وكانوا اذا اتوا قومهم نادوا ان من اسلم
فهو منا وينذرونهم حتى ان الرجل ليفارق اباه وامه وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يخبرهم بما يحتاجون اليه من امر الدين وينذرون قومهم اذا رجعوا اليهم
ويدعونهم الى الاسلام وينذرونهم النار ويبشرونهم الجنة وقال مجاهد ان ناسا
من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا الى البوادي فاصابوا من الناس
معروفا ومن الخصب ما ينتفعون به ودعوا من وجدوا من الناس الى الهدى فقال
الناس لهم ما نراكم الا وقد تركتم اصحابكم وجيتمونا فوجدوا في انفسهم تحرجا
واقبلوا من البادية كلهم حتى دخلوا على النبي صلى الله عليه وسلم فقال الله عز وجل
فلولا نفر من كل فرقة منهم طايفة يبتغون الخير وقعد طايفة ليتفقهوا
في الدين وليسمعوا ما انزل الله ولينذروا قومهم من الناس اذا رجعوا اليهم
لعلهم يحذرون قال ابن عباس ما كان المومنون لينفروا جميعا ويتركوا رسول الله

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما اغبرت قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار **خ** عن ابي هريرة ح

عليه وسلم وحده فلولا نفر من كل فرقة منهم طايفة يعني عصبة يعني السرايا
ولا يسيروا الا باذنه فاذا رجعت السرايا وقد نزل بعدهم قرآن تعلمه القاعدون
من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا ان الله قد انزل على نبيكم بعدكم قرآنا وقد
تعلمناه فتمكث السرايا يتعلمون ما انزل الله على نبيهم بعدهم ويبعث سرايا اخرى
فذلك قوله ليتفقهوا في الدين يقول ليتعلموا ما انزل الله على نبيهم ويعلموا السرايا
اذا رجعت اليهم لعلهم يحذرون نقل هذه الاقوال كلها الطبري واما تفسير
الآية فيمكن ان يقال انها من بقية احكام الجهاد ويمكن ان يقال انها كلام مبتدا
لا تعلق لها بالجهاد وعلى الاحتمال الاول فقد قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان اذا خرج الى الغزو لم يتخلف عنه الا منافق او صاحب عذر فلما بالغ الله
في الكشف عن عيوب المنافقين وفضحهم في تخلفهم عن غزوة تبوك قال المؤمنون
والله لا نتخلف عن شيء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن سرية يبعثها فلما
قدم المدينة وبعث السرايا نفر المؤمنون جميعا الى الغزو وتركوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم وحده فنزلت هذه الآية فيكون المعنى ما كان ينبغي للمؤمنين
ولا يجوز لهم ان ينفروا بكليتهم الى الجهاد ويتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بل يجب ان ينقسموا قسمين فطايفة يكونوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
وطايفة ينفرون الى الجهاد لان ذلك الوقت كانت الحاجة داعية الى انقسام
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قسمين قسم للجهاد وقسم لتعلم العلم
والتفقه في الدين لان الاحكام والشرايع كانت تتجدد شيئا بعد شيء والملازمون
لرسول الله صلى الله عليه وسلم يحفظون ما نزل من الاحكام وتجدد الشرايع
فاذا قدم الغزاة اخبروهم بذلك فيكون معنى الآية وما كان المؤمنون لينفروا
كافة فلولا نفر يعني فهلا نفر من كل فرقة طايفة للجهاد وقعدت طايفة ليتفقهوا
في الدين ولينذروا قومهم الذين نفروا الى الجهاد اذا رجعوا اليهم من غزوهم
لعلهم يحذرون يعني مخالفة امر الله وامر رسوله صلى الله عليه وسلم وهذا معنى
قول قتادة وقيل التفقه صفة للطايفة النافرة قال الحسن ليتفقه الذين
خرجوا بما يريهم من الظهور على المشركين والنصرة وينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم
ومعنى ذلك ان الفرقة النافرة اذا شاهدوا نصر الله لهم على اعدائهم وان الله يريد
اعلاء دينه وتقوية نبيه صلى الله عليه وسلم وان الفئة القليلة قد غلبت جمعا كثيرا
فاذا رجعوا من ذلك النفير الى قومهم من الكفار انذروهم بما شاهدوا من دلايل
النصر والفتح والظفر لعلهم يحذرون فيتركوا الكفر والنفاق واورد على هذا القول
ان هذا النوع لا يعد تفقها في الدين ويمكن ان يجاب عنه بانهم اذا علموا بان الله
هو ناصرهم ومقويهم على عدوهم كان ذلك زيادة في ايمانهم فيكون ذلك تفقها في الدين
واما الاحتمال الثاني ان يقال ان هذه الآية كلام مبتدا لا تعلق لها بالجهاد وهو
ما ذكرناه عن مجاهد ان ناسا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا

الى البوادي

الى البوادي ودعوا من وجدوا من الناس الى الهدى فقال لهم الناس ما نراكم الا
وقد تركتم صاحبكم وجئتمونا فوجدوا في انفسهم حرجا من ذلك فاقبلوا كلهم من البادية
حتى دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الآية والمعنى هلا نفر
من كل فرقة طايفة وقعد طايفة ليتفقهوا في الدين وليبلغوا ذلك الى الذين
لينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون يعني باس الله ونقمته اذا خالفوا
امره وفي الآية دليل على انه يجب ان يكون المقصود من العلم والتفقه دعوة الخلق
الى الحق وارشادهم الى الدين القويم والصراط المستقيم فكل من تفقه وتعلم لهذا
المقصد كان على المنهج القويم والصراط المستقيم ومن عدل عنه وتعلم العلم لطلب
الدنيا كان من الاخسرين اعمالا الآية ق عن معاوية قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وانما انا قاسم والله
يعطي ولن يزال امر هذه الامة مستقيما حتى تقوم الساعة وحتى ياتي امر الله
ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تجدون الناس معادن
خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا عن ابن عباس ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال فقيه واحد اشد على الشيطان من الف عابد اخرجه
الترمذي واصل الفقه في اللغة الفهم يقال فقه الرجل اذا فهم وفقه فقاهة
اذا صار فقيها وقيل الفقه هو التوصل الى علم غايب بعلم شاهد فهو اخص من العلم
وفي الاصطلاح ان الفقه عبارة عن العلم باحكام الشرع واحكام الدين وذلك
ينقسم الى فرض عين وفرض كفاية ففرض العين معرفة احكام الطهارة واحكام
الصلاة والصوم فعلى كل مكلف معرفة ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم
طلب العلم فريضة على كل مسلم ذكره البغوي بغير سند وكذلك كل عبادة وجبت
على المكلف بحكم الشرع يجب عليه معرفة علمها مثل علم الزكاة اذا صار له مال
تجب في مثله الزكاة وعلم احكام الحج اذا وجب عليه واما فرض الكفاية من الفقه
فهو ان يتعلم حتى يبلغ به رتبة الاجتهاد ودرجة الفتيا واذا قعد اهل بلد عن تعلمه
عصوا جميعا واذا قام به من كل بلد واحد فتعلم حتى يبلغ درجة الفتيا سقط الفرض
عن الباقين وعليهم تقليده فيما يقع لهم من الحوادث عن ابي امامة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على ادناكم اخرجه الترمذي
مع زيادة فيه عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلك طريقا
يلتمس فيه علما سهل له طريقا الى الجنة اخرجه الترمذي عن انس ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع اخرجه
الترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم قال العلم ثلاثة
وما سوى ذلك فهو فضل آية محكمة او سنة قايمة او فريضة عادلة اخرجه ابو داود
الآية المحكمة هي التي لا اشتباه فيها ولا اختلاف في حكمها وما ليس بمنسوخ والسنة
القايمة هي المستمرة الملازمة التي يعمل بها متصلا لا يترك والفريضة العادلة هي التي

لاجور فيها ولا حيفية في فضيلتها قال الفضيل بن عياض عالم معلم يدعا عظيما في ملكوت
السموات اخرجه الترمذي موقوفا وقال الشافعي طلب العلم افضل من صلاة النافلة
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار امروا بقتال الاقرب
فالاقرب اليهم في الدار والنسب قال ابن عباس مثل قريظة والنضير وخيبر ونحو
وقال ابن عباس مثل قريظة والنضير وخيبر ونحوها وقال ابن عمر هم الروم لانهم
كانوا سكان الشام والشام اقرب الى المدينة من العراق وقال بعضهم هم الديلم
وقال ابن زيد الذين يلونكم من الكفار العرب فقاتلهم حتى فرغ منهم امر بقتال
اهل الكتاب وجهادهم حتى يؤمنوا او يعطوا الجزية نقل عن بعض العلما انه قال نزلت
هذه الاية قبل الامر بقتال المشركين كافة فلما نزلت وقاتلوا المشركين كافة
صارت ناسخة لقوله قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وقال المحققون من العلما
لا وجه للنسخ لانه تعالى لما امرهم بقتال المشركين كافة ارشدهم الى الطريق الاصوب
الاصلح وهو ان يبدو بقتال الاقرب فالاقرب حتى يصلوا الى الابعد فالابعد وبهذا
الطريق يحصل الغرض من قتال المشركين كافة لان قتالهم في دفعة واحدة لا يتصور
ولهذا المسبب قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم اولا قومه ثم انتقل منهم الى
قتال سائر العرب ثم الى قتال اهل الكتاب وهم قريظة والنضير وخيبر وفدك ثم
انتقل الى غزوة الروم في الشام فكان فتح الشام في زمن الصحابة ثم انهم انتقلوا
الى العراق ثم بعد ذلك الى سائر الامصار لانه اذا قاتل الاقرب تقوى بما يناله
منهم من الغنايم على الابعد وقوله تعالى وليجدوا فيكم غلظة يعني شدة
وقوة وشجاعة والغلظة ضد الرقة وقال الحسن صبرا على جهادهم واعلموا ان الله
مع المتقين يعني بالعواقب والنصر وقوله تعالى واذا ما انزلت سورة فمنهم
من يقول ايكم زادته هذه ايمانا يعني واذا انزل الله سورة من القران فمن المنافقين
من يقول يعني لبعضهم بعضا ايكم زادته هذه يعني نزول السورة ايمانا وتصديقا
ويقينا وانما يقول ذلك المنافقون استهزاء وقيل يقول المنافقون ذلك لبعض
المؤمنين فقال تعالى فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا يعني تصديقا ويقينا
وقربة من الله تعالى ومعنى الزيادة ضم شي الى جنسه مما هو في صفته فالمؤمنون
اذا اقروا بنزول سورة من القران عن تقدم واعترفوا انها من عند الله عز وجل زادهم
ذلك الاقرار والاعتراف ايمانا وقد تقدم بسط الكلام على زيادة الايمان في اول
سورة الانفال وهم يستبشرون يعني المؤمنون يفرحون بنزول القران شيا
بعد شي لانهم كلما نزل ازدادوا ايمانا وذلك يوجب مزيد الثواب في الاخرة وكما تحصل
الزيادة في الايمان بسبب نزول القران كذلك تحصل الزيادة في الكفر وهو قوله
تعالى واما الذين في قلوبهم مرض اي شك ونفاق سمي الشك في الدين مرضا لانه فساد
في القلب يحتاج الى علاج كالمرض في البدن اذا حصل يحتاج الى العلاج فزادتهم
يعني نزول السورة من القران رجسا الى رجسهم يعني كفرا الى كفرهم وذلك كلما جحدوا

نزول سورة او استهزوا بها ازدادوا كفرا الى كفرهم الاول سمي الكفر رجسا لانه
اقبح الاشيا واصل الرجس في اللغة الشي المستقذر وماتوا يعني هولا المنافقين
وهم كافرون يعني وهم جاحدون لما انزل الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم
قال مجاهد في هذه الاية الايمان يزيد وينقص وكان عمر ياخذ بيد الرجل والرجلين
من اصحابه ويقول تعالوا حتى نزداد ايمانا وقال علي بن ابي طالب ان الايمان يبدو
لمظة بيضا في القلب فكلما ازداد في الايمان عظما ازداد ذلك البياض حتى يبيض القلب
كله وان النفاق يبدو لمظة سودا في القلب فكلما ازداد في النفاق ازداد السواد
حتى يسود القلب كله وايم الله لو شققتم عن قلب مومن لوجدتموه ابيض ولو شققتم
عن قلب منافق لوجدتموه اسود قوله عز وجل اولا يرون قرى ترون بالتاء على خطاب
المومنين وقرى بالياء على انه خبر عن المنافقين المذكورين في قوله في قلوبهم مرض
انهم يفتنون يعني يبتلون في كل عام مرة او مرتين يعني بالامراض والشدائد
وقيل بالقحط والجدب وقيل بالغزو والجهاد وقيل يفتضحون باظهار نفاقهم وقيل
انهم ينافقون ثم يومنون ثم ينافقون وقيل انهم ينقضون عهدهم في السنة مرة
او مرتين ثم لا يتوبون يعني من النفاق ونقض العهد ولا يرجعون الى الله ولا هم
يذكرون يعني ولا يتعظون بما يرون من صدق وعد الله بالنصر والظفر للمسلمين
واذا ما انزلت سورة يعني فيها عيب المنافقين وتوبيخهم نظر بعضهم الى بعض
يريدون بذلك الهرب يقولون بعضهم لبعض اشارة هل يراكم من احد يعني
هل احد من المسلمين يراكم ان قمتم من مجلسكم فان لم يرهم احد خرجوا من المسجد
وان علموا ان احدا يراهم اقاموا ولبثوا على تلك الحالة ثم انصرفوا يعني عن
الايمان بتلك السورة النازلة وقيل انصرفوا عن مواضعهم التي يسمعون فيها
ما يكرهون صرف الله قلوبهم يعني عن الايمان وقال الزجاج اضلهم الله
مجازاة على فعلهم بانهم قوم لا يفقهون يعني لا يفهمون عن الله دينه ولا شي
فيه نفعهم قوله عز وجل لقد جاءكم رسول من انفسكم هذا خطاب للعرب يعني لقد
جاءكم ايها العرب رسول من انفسكم تعرفون نسبه وحسبه وانه من ولد اسماعيل
ابن ابراهيم عليهما السلام قال ابن عباس ليس قبيلة من العرب الا وقد ولدت النبي
صلى الله عليه وسلم وله فيه نسب وقال جعفر بن محمد الصادق لم يصبه شي من
ولادة الجاهلية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني خرجت من نكاح ولم
اخرج من سفاح هكذا ذكره الطبري وذكر البغوي باسناد الثعلبي عن ابن عباس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ولدني من سفاح اهل الجاهلية شي
ما ولدني الا نكاح كنكاح اهل الاسلام قال قتادة جعله الله من انفسهم فلا
يحسدونه على ما اعطاه الله من النبوة والكرامة قال بعض العلماء في تفسير قول
ابن عباس ليس قبيلة من العرب الا ولدت النبي صلى الله عليه وسلم يعني من مضرها
وربيعها ويمانها فاما ربيعة ومضر فهم من ولد معد بن عدنان واليه تنسب قريش

وهو منهم واما نسبته الى عرب اليمن وهم الانصار فان امنة لها نسب في الانصار
وان كانت من قريش والانصار اصلهم من عرب اليمن من ولد قحطان بن سبا فعلى هذا
القول يكون المقصود من قوله لقد جاءكم رسول من انفسكم ترغيب العرب في نصره
والايمان به فانه شرفهم بشرفه وعزهم بعزته وفخرهم بفخره فانه من عشيرتكم يعرفونه
بالصدق والامانة والصيانة والعفاف وطهارة النسب والاخلاق الحميدة وقرأ
ابن عباس والزهري من انفسكم بفتح الفاء ومعناه انه من اشرفكم وافضلكم **خ** عن ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعثت من خير قرون بني ادم قرنا فقرنا حتى كنت
من القرن الذي كنت منه **م** عن واثلة بن الاسقع قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول ان الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل واصطفى قريشا من كنانة
واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم عن العباس بن عبد المطلب
عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قلت يا رسول الله ان قريشا جلسوا فتذاكروا
احسابهم بينهم فجعلوا مثلك كمثل نخلة في كبوة من الارض فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الله خلق الخلق فجعلني من خير فريقهم وخير الفريقين ثم خير القبائل
فجعلني في خير قبيلة ثم خير البيوت فجعلني في خير بيوتهم فانا خيرهم نفسا وخيرهم
بيتا اخرجه الترمذي وقيل ان قوله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم عام فحمله
على العموم اولى فيكون المعنى على هذا القول لقد جاءكم يا ايها الناس رسول من انفسكم
يعني من جنسكم بشر مثلكم اذ لو كان من الملائكة لضعفت قوى البشر عن سماع كلامه
والاخذ عنه وقوله تعالى **عزيز عليه ما عنتم** اي شديد عليه عنتكم اي مكروهكم
وقيل يشق عليه ضلالتكم **حريص عليكم** يعني حريص على ايمانكم وايصال
الخير اليكم وقال قتادة حريص على هدايتكم وان يهديكم الله **بالمؤمنين رؤف
رحيم** يعني انه صلى الله عليه وسلم رؤف بالمطيعين رحيم بالمذنبين **ق** عن جبير بن
مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة اسما انا محمد وانا احمد وانا
الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وانا العاقب
والعاقب الذي ليس بعده نبي وقد سماه الله رؤفا رحيما قال الحسين بن الفضل لم يجمع
الله لاحد من انبيائه بين اسمين من اسمائه الا للنبي صلى الله عليه وسلم فسماه رؤفا
رحيما وقال ان الله بالناس لرؤف رحيم قوله تعالى **فان تولوا** يعني فان اعرض هؤلاء
الكفار والمنافقون عن الايمان بالله ورسوله وناصبوك الحرب **فقل حسبي الله**
يعني يكفيني الله وينصرني عليكم **لا اله الا هو عليه توكلت** لا على غيره وبه
وثقت **وهو رب العرش العظيم** انما خصه بالذكر لانه اعظم المخلوقات فيدخل ما
دونه في الذكر فيكون المعنى وهو رب العرش فما دونه او يكون خصه بالذكر تشريفا
له كما يقال بيت الله روي عن ابي بن كعب انه قال ان اخر الايتان لقد جاءكم رسول
من انفسكم الى اخر السورة اخر القران نزولا وفي رواية عنه قال احدث القران عهدا
بالله هاتان الايتان لقد جاءكم رسول من انفسكم الى اخر الايتين والله اعلم

تفسير سورة يونس عليه الصلاة والسلام

نزلت بمكة الا ثلاث ايات وهي وان كنت في شك مما انزلنا اليك الى اخر الثلاث
ايات قاله ابن عباس وبه قال قتادة وفي رواية اخرى عن ابن عباس ان فيها من المدني
قوله ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به الاية وقال مقاتل هي مكية الا ايتين
وهي قوله بفضل الله وبرحمته والتي تليها وهي مائة وتسع ايات والف وثمانمائة
واثنان وثلاثون كلمة وتسعة الاف وتسعة وتسعون حرفا **بسم الله الرحمن الرحيم**
قوله عز وجل **الر** قال ابن عباس والضحاك معناه انا الله ارى وقال ابن عباس في
رواية اخرى عنه الر وحم ون حروف مقطعة وقال سعيد بن جبير وسالم
ابن عبد الله وقال قتادة الر اسم من اسماء القران وقيل هو اسم للسورة
وقد تقدم الكلام في معنى الحروف المقطعة في اول سورة البقرة بما فيه كفاية
تلك ايات الكتاب يعني المراد من لفظ تلك الاشارة الى الايات الموجودة في
هذه السورة ويكون التقدير تلك الايات هي ايات الكتاب وهو القران الذي
انزله الله اليك يا محمد وذلك ان الله وعده ان ينزل عليه كتابا لا يمحوه الماء ولا
يغيره الدهور وقيل ان لفظة تلك الاشارة الى ما تقدم هذه السورة من ايات
القران والمعنى ان تلك الايات هي ايات الكتاب الحكيم وفيه قول اخر ان المراد
بايات الكتاب الكتب التي قبل القران حكاه الطبري عن قتادة وروى الطبري
عن مجاهد انها التوراة والانجيل فعلى هذا القول يكون التقدير ان الايات
المذكورة في هذه السورة هي الايات المذكورة في التوراة والانجيل والمراد
من الايات القصص المذكورة في هذه السورة وهذا وان كان له وجه فهو ضعيف
لان التوراة والانجيل لم يجر لهما ذكر فيبعد حمل الاشارة اليهما وقيل المراد من
الايات حروف الهجاء التي منها الر سميت ايات لانها افتتاح السور وسر القران
الحكيم يعني المحكم بالحلال والحرام والحدود والاحكام فعيل بمعنى مفعول وقيل
الحكيم بمعنى الحاكم فعيل بمعنى فاعل لان القران حاكم يميز بين الحق والباطل وبين
الحلال من الحرام وقيل حكيم بمعنى المحكوم فعيل بمعنى المفعول قال الحسن حكم
بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وقيل ان الحكيم هو الذي يفعل الحكمة والصواب
فمن حيث يدل على الاحكام صار كانه هو الحكيم في نفسه قوله تعالى **اكان للناس
عجبا** سبب نزول هذه الاية قال ابن عباس ان الله عز وجل لما بعث محمدا
صلى الله عليه وسلم رسولا انكرت العرب ذلك ومن انكر منهم وقال المشركون
الله اعظم من ان يكون له رسولا بشرا مثل محمد فقال الله تعالى اكان للناس عجبا
ان اوحينا الى رجل منهم وقال وما ارسلنا قبلك الا رجالا والهمزة في اكان
همزة استفهام ومعناه الانكار والتوبيخ والمعنى لا يكون ذلك عجبا ان اوحينا
الى رجل منهم والعجب حالة تعتري الانسان من رؤية شيء على خلاف العادة وقيل العجب

حالة تعرض للانسان عند الجهل بسبب الشي ولهذا قال بعض الحكما العجب ما لا يعرف
سببه والمراد بالناس هنا اهل مكة وبالرجل محمد صلى الله عليه وسلم منهم يعني من
اهل مكة من قريش يعرفون نسبه وصدقه وامانته **ان انذر الناس** يعني
خوفهم بعقاب الله ان اصروا على الكفر والمخالفة والانذار اخبار مع تخويف كما ان البشارة
اخبار مع سرور وهو قوله تعالى **وبشر الذين امنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم**
اختلفت عبارات المفسرين واهل المعاني في معنى قدم صدق فقال ابن عباس اجرا
حسنا بما قدموا من اعمالهم وقال الضحاك ثواب صدق وقال مجاهد الاعمال
الصالحة صلاتهم وصيامهم وصدقتهم وتسبيحهم وقال الحسن عمل صالح
اسلفوه يقدمون عليه وفي رواية اخرى عن ابن عباس قال سبقت لهم السعادة
في الذكر الاول يعني في اللوح المحفوظ وقال زيد بن اسلم هو شفاعة محمد صلى الله
عليه وسلم وهو قول قتادة وقيل لهم منزلة رفيعة عند ربهم واضيف القدم
الى الصدق وهو نعته كقولهم مسجد الجامع وصلاة الاولى وحب الحصيد والفايدة
في هذه الاضافة التنبيه على زيادة الفضل ومدح القدم لان كل شي اضيف
الى الصدق فهو ممدوح ومثله في مقعد صدق ومدخل صدق وقال ابو عبيدة
كل سابق في خير او شر فهو عند العرب قدم يقال لفلان قدم في الاسلام
وقدم في الخير ولفلان عندي قدم صدق وقدم سوء وقال حسان بن ثابت
في شعره

لنا القدم العليا اليك وخلفنا ۞ لاولنا في طاعة الله تابع

وقال الليث وابو الهيثم القدم السابق والمعنى انه قد سبق لهم عند الله خير
قال ذو الرمة حيث يقول

وانت امرؤ من اهل بيت ذوابة ۞ لهم قدم معروفة ومفاخر

قال والسبب في اطلاق لفظ القدم على هذه المعاني ان السعي والسبق لا يحصل
الا بالقدم فسمي المسبب باسم السبب كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد
وقال ذو الرمة في شعره

لكم قدم لا ينكر الناس انها ۞ مع الحسب العادي طمت على البحر

معناه لكم سابقة عظيمة لا ينكرها الناس وقال اخر

صل لذي العرش واتخذ قدما ۞ ينجيك يوم العثار والزلل

قوله تعالى **قال الكافرون ان هذا لسحر** وقرئ لساحر **مبين** وفيه حذف
تقديره اكان للناس عجبا ان اوحينا الى رجل منهم فلما جاءهم بالوحي وانذرهم
قال الكافرون ان هذا لساحر يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم وانما نسبوه الى السحر
لما اتاهم بالمعجزات الباهرات التي لا يقدر احد من البشر على مثلها ومن قرا لسحر
فانه عنوا به القران المنزل عليه وانما نسبوه الى السحر لان فيه الاخبار بالبعث
والنشور وكانوا ينكرون ذلك قوله تعالى **ان ربكم الله الذي خلق السموات**

والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش تقدم تفسيره هذا في سورة الاعراف
بما فيه كفاية قوله تعالى **يدبر الامر** قال مجاهد يقضيه وحده وقيل معنى التدبير
تنزيل الامور في مراتبها وعلى احكام عواقبها وقيل انه تعالى يقضي ويقدر على حسب
مقتضى الحكمة وهو النظر في ادبار الامور وعواقبها لئلا يدخل في الوجود ما لا ينبغي
وقيل معناه انه تعالى يدبر احوال الخلق واحوال ملكوت السموات والارض فلا يحدث
حدث في العالم العلوي ولا في العالم السفلي الا بارادته وتدبيره وقضايه وحكمته
ما من شفيع الا من بعد اذنه يعني لا يشفع عنده شافع يوم القيامة الا من بعد
ان ياذن له في الشفاعة لانه عالم بمصالح عباده وبموضع الصواب والحكمة في تدبيرهم
فلا يجوز لاحد ان يساله ما ليس له به علم فاذا اذن له في الشفاعة كان له ان يشفع
فيمن ياذن له فيه وفيه رد على كفار قريش في قولهم ان الاصنام تشفع لهم عند
الله يوم القيامة اخبر الله انه لا يشفع عند الله لاحد الا باذنه لان له التصرف
المطلق في جميع العالم **ذلكم الله ربكم** يعني الذي خلق هذه الاشيا ودبرها هو
الله ربكم وسيدكم لا رب غيره سواكم **فاعبدوه** يعني فاجعلوا عبادتكم له لا لغيره
لانه المستحق للعبادة بما انعم عليكم من النعم العظيمة **افلا تذكرون** يعني
تتعظون وتعتبرون بهذه الدلايل والايات التي تدل على وحدانيته سبحانه
وتعالى قوله تعالى **اليه مرجعكم جميعا** يعني الى ربكم الذي خلق جميع المخلوقات
مصيركم جميعا ايها الناس يوم القيامة والمرجع بمعنى الرجوع **وعد الله حقا**
يعني وعدكم الله ذلك وعدا حقا **انه يبدؤ الخلق ثم يعيده** اي يحييهم ابتدا
ثم يميتهم ثم يحييهم وهذا معنى قول مجاهد فانه قال يحييه ثم يميته ثم
يحييه وفي هذه الاية دليل على امكان الحشر والنشر والمعاد وصحة وقوعه
ورد على منكري البعث ووقوعه لان القادر على خلق هذه الاجسام المولفة
والاعضا المركبة على غير مثال سبق قادر على اعادتها بعد تفرقها بالموت
والبلى فيركب تلك الاجزا المتفرقة تركيبا ثانيا ويخلق الانسان الاول
مرة اخرى وكما لم يمتنع تعلق هذه النفس بالبدن في المرة الاولى لم يمتنع تعلقها
بالبدن مرة اخرى فاذا ثبت القول بصحة المعاد والبعث بعد الموت كان المقصود
عنه ايصال الثواب للمطيع والعقاب للعاصي وهو قوله تعالى **ليجزي الذين
امنوا وعملوا الصالحات بالقسط** يعني بالعدل لا ينقص من اجورهم شيا **والذين كفروا
لهم شراب من حميم** يعني ماء حار قد انتهى حره **وعذاب اليم بما كانوا يكفرون**
قوله عز وجل **هو الذي جعل الشمس ضيا** يعني ذات ضيا **والقمر نورا**
ذا نور واختلف العلما اصحاب الكلام في ان الشعاع الفايض من الشمس هل هو جسم
او عرض والحق انه عرض وهو كيفية مخصوصة فالنور اسم لهذه الكيفية والفعل
اسم لهذه الكيفية اذا كانت كاملة تامة قوية فلهذا خص الشمس بالضيا لانها
اقوى واكمل من النور وخص القمر بالنور لانه اضعف من الضيا لانهما لو تساويا

لم يعرف الليل من النهار فدل ذلك على ان الضياء المختص بالشمس اكمل واقوى
من النور المختص بالقمر **وقدره منازل** قيل الضمير في قدره يرجع الى الشمس
والقمر والمعنى قدر لهما منازل او قدر لسيرهما منازل لا يجاوزانها في السير
ولا يقصران عنها وانما وحد الضمير في وقدره للايجاز فاكتفي بذكر احدهما دون الاخر
فهو كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه وقيل الضمير في وقدره يرجع الى القمر
وحده لان سير القمر في المنازل اسرع وبه يعرف انقضا الشهور والسنين
وذلك لان الشهور المعتبرة في الشرع مبنية على روية الاهلة والسنة المعتبرة
في الشرع هي السنة القمرية لا الشمسية ومنازل القمر ثمانية وعشرون
منزلا وهي الشرطين • والبطين • والثريا • والدبران • والهقعة • والهنعة •
والذراع • والنثرة • والطرف • والجبهة • والزبرة • والصرفة • والعوا • والسماك •
والغفر • والزبانا • والاكليل • والقلب • والشولة • والنعايم • والبلدة •
وسعد الذابح • وسعد بلع • وسعد السعود • وسعد الاخبية • وفرع الدلو
المقدم • وفرع الدلو المؤخر • وبطن الحوت • فهذه منازل القمر مقسومة على اثني
عشر برجا وهي الحمل والثور والجوزا والسرطان والاسد والسنبلة والميزان
والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت ولكل برج منزلان وثلث
منزل وينزل القمر كل ليلة منزلا منها الى انقضا ثمانية وعشرين ليلة ثم يستتر
ليلتين ان كان الشهر ثلاثين وان كان تسعا وعشرين اختفى ليلة واحدة **لتعلموا**
عدد السنين والحساب يعني ولتعلموا حساب الشهور والايام والساعات
ونقصانها وزيادتها **ما خلق الله ذلك الا بالحق** يعني للحق واظهار قدرته
ودلايل وحدانيته ولم يخلق ذلك باطلا ولا عبثا **يفصل الايات لقوم يعلمون**
يعني نبين دلايل التوحيد بالبراهين القاطعة لقوم يستدلون بها على قدرة الله
تعالى ووحدانيته **ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات**
والارض لايات لقوم يتقون تقدم تفسير مثل هذه الاية في نظايرها **ان الذين**
لا يرجون لقاءنا يعني لا يخافون لقاءنا يوم القيامة فهم المكذبون بالثواب
والعقاب والرجا يكون بمعنى الخوف تقول العرب فلان لا يرجو فلانا بمعنى لا يخافه
ومنه قوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا ومنه قول ابي ذويب الهذلي اذا لسعته
النحل لم يرجو لسعها اي لم يخفه والرجا يكون بمعنى الطمع فيكون المعنى لا يطمعون
في ثوابنا **ورضوا بالحياة الدنيا** يعني اختاروها وعملوا في طلبها فهم راضون بزينة
الدنيا وزخرفها **واطمانوا بها** يعني وسكنوا اليها مطمئنين فيها ومنه الطمانينة
التي حصلت في قلوب الكفار من الميل الى الدنيا ولذاتها ازالت عن قلوبهم الوجل
والحزن فاذا سمعوا الانذار والتخويف لم يصل ذلك الى قلوبهم **والذين هم عن**
اياتنا غافلون قيل المراد بالايات ادلة التوحيد وقال ابن عباس عن اياتنا
يعني عن محمد صلى الله عليه وسلم والقران غافلون اي معرضون **اولئك ماواهم النار**

بما كانوا يكسبون يعني من الكفر والتكذيب والاعمال الخبيثة قوله عز وجل **ان الذين**
امنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم يعني يهديهم ربهم الى الجنات ثوابا
لهم بايمانهم واعمالهم الصالحة وقال يهديهم على الصراط الى الجنة يجعل لهم نورا
يمشون به وقال قتادة بلغنا ان المومن اذا خرج من قبره يصور له عمله في صورة
حسنة فيقول له من انت فيقول انا عملك فيكون له نورا وقايدا الى الجنة
والكافر بالضد فلا يزال به عمله حتى يدخله النار وقال ابن الانباري يجوز ان يكون
المعنى ان الله يزيدهم هداية بخصايص ولطايف وبصاير ينور بها قلوبهم ويزيل
بها الشكوك عنهم ويجوز ان يكون المعنى ويثبتهم على الهداية وقيل معناه بايمانهم
يهديهم ربهم لدينه اي بتصديقهم هداهم **تجري من تحتهم الانهار** يعني بين ايديهم
ينظرون اليها من اعالي اسرتهم وقصورهم فهو كقوله قد جعل ربك تحتك سريا
لم يرد به انه تحتها وهي قاعدة عليه بل اراد بين يديها وقيل تجري بامرهم **في**
جنات النعيم يعني ذلك لهم في جنات النعيم **دعواهم فيها** اي قولهم وكلامهم
فيها وقيل الدعوى بمعنى الدعا اي دعاوهم فيها **سبحانك اللهم** وهي كلمة تنزيه
لله من كل سوء ونقيصة قال اهل التفسير هذه الكلمة علامة بين اهل الجنة
والخدم في الطعام فاذا ارادوا الطعام قالوا سبحانك اللهم فاتوهم في الوقت
بما يشتهون على الموايد كل مايدة ميل في ميل على كل مايدة سبعون الف صحفة
في كل صحفة لون من طعام لا يشبه بعضها بعضا فاذا فرغوا من الطعام حمدوا
الله على ما اعطاهم فذلك قوله تعالى واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين وقيل
ان المراد بقوله سبحانك اللهم اشتغال اهل الجنة بالتسبيح والتقديس لله
عز وجل والثنا عليه بما هو اهله وفي هذا الذكر سرورهم وابتهاجهم وكمال لذتهم
ويدل عليه ما روي عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اهل
الجنة ياكلون فيها ويشربون ولا يتفلون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون
قالوا فما بال الطعام قال جشا ورشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والتحميد
كما يلهمون النفس وفي رواية التسبيح والحمد اخرجه مسلم قوله جشا اي يخرج
ذلك الطعام جشا وعرقا قوله تعالى **وتحيتهم فيها سلام** يعني يحيي بعضهم
بعضا بالسلام وقيل تحييهم الملايكة بالسلام وقيل تاتيهم الملايكة من عند
ربهم بالسلام **واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين** قد ذكرنا ان جماعة
من المفسرين حملوا التسبيح والتحميد على احوال اهل الجنة بسبب الماكول
والمشروب وانهم اذا اشتهوا شيئا قالوا سبحانك اللهم فيحضر ذلك الشي واذا فرغوا
منه قالوا الحمد لله رب العالمين فترفع الموايد عند ذلك وقال الزجاج اعلم
الله ان اهل الجنة يبتدون بتعظيم الله وتنزيهه ويختمون بشكر الله والثنا
عليه وقيل انهم يفتتحون كلامهم بالتسبيح ويختمونه بالتحميد وقيل انهم يلهمون
ذلك كما ذكر في الحديث قوله تعالى **ولو يعجل الله للناس الشر** يعني ولو يعجل

انه للناس اجابة دعائهم في الشر فيما لهم فيه مضرة ومكروه في نفس او مال قال ابن
عباس هذا في قول الرجل لاهله وولده عند الغضب لعنكم الله لا بارك الله فيك وقال
قتادة هو دعاء الرجل على نفسه واهله وماله بما يكره ان يستجاب له فيه **استعجالهم**
بالخير يعني كاستعجالهم بالخير وكما يحبون ان يعجل لهم اجابة دعائهم بالخير **لقضي**
اليهم اجلهم يعني لفرغ من هلاكهم وماتوا جميعا والتعجيل تقديم الشي قبل
وقته والاستعجال طلب العجلة وقال ابن عباس ان الناس عند الغضب والضجر قد
يدعون على انفسهم واهلهم واولادهم بالموت وتعجيل البلا كما يدعون بالرزق
والرحمة واعطاء السؤل يقول لو اجابهم الله تعالى اذا دعوا بالشر الذي يستعجلون
به استعجالهم بالخير لقضي اليهم اجلهم يعني لفرغ من هلاكهم ولكن الله عز وجل بفضله
وكرمه يستجيب للداعي بالخير ولا يستجيب له في الشر وقيل ان هذه الاية نزلت
في النضر بن الحارث حين قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة
من السما فعلى هذا يكون المعنى ولو يعجل الله للكافرين العذاب كما عجل لهم خير الدنيا
من المال والولد لعجل قضى اجلهم واهلكوا جميعا ويدل على صحة هذا القول قوله
تعالى **فنذر الذين لا يرجون لقاءنا** يعني فندع الذين لا يخافون عقابنا
ولا يخافون بالبعث بعد الموت **في طغيانهم** يعني في تمردهم وعتوهم **يعمهون**
يعني يترددون **ق** عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اني
اتخذ عندك عهدا لن تخلفنيه فانما انا بشر اغضب كما يغضب البشر فايما رجل
من المسلمين سببته او لعنته او جلدته فاجعلها له صلاة وزكاة وقربة تقربه
بها اليك يوم القيامة واجعل ذلك كفارة له يوم القيامة قوله عز وجل **واذا**
مس الانسان الضر اي الشدة والجهد والمراد بالانسان في هذه الاية
الكافر **دعانا لجنبه** اي على جنبه مضطجعا **او قاعدا او قائما** يريد جميع
حالاته لان الانسان لا ينفك عن هذه الحالات الثلاث والمعنى ان المضرور
لا يزال داعيا في كل حالاته الى ان ينكشف ضره سوا كان مضطجعا او قاعدا او قائما
وقال الزجاج وجايز ان يكون المعنى اذا مس الانسان الضر لجنبه او مسه قاعدا
او مسه قائما وهذا القول فيه بعد لان ذكر الدعا الى هذه الاحوال اقرب من
ذكر الضر **فلما كشفنا عنه ضره** يعني فلما ازلنا عنه ما نزل به من الضر ورفعنا
عنه **مر** يعني على طريقته الاولى قبل مس الضر **كان لم يدعنا** فيه حذف تقديره
كانه لم يدعنا وانما اسقط الضمير على سبيل التخفيف **الى ضر مسه**
والمعنى انه استمر على حالته الاولى قبل ان يمسه الضر ونسي ما كان فيه من الجهد
والبلا والضيق والفقر **كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون** يعني مثل ما زين
لهذا الكافر هذا العمل القبيح كذلك زين للمسرفين والمزين هو الله تعالى لانه
مالك الملك والخلق كلهم عبيده ويتصرف فيهم كيف يشا وقيل المزين هو الشيطان
وذلك باقدار الله تعالى اياه والمسرف هو المجاوز الحد في كل شي وانما سمي الكافر مسرفا

لانه

لانه اتلف نفسه وضيعها في عبادة الاصنام واتلف نفسه وضيعه في البحاير والسوايب
وما كانوا ينفقونه على الاصنام وسدنتها يعني خدامها وقال ابن جريج في قوله كذلك
زين للمسرفين ما كانوا يعملون يعني من الدعا عند المصيبة وترك الشكر عند الرخا
وقيل كما زين لكم اعمالكم كذلك زين للمسرفين الذين كانوا من قبلكم اعمالهم وبيان
مقصود الاية وهو ان الانسان قليل الصبر عند نزول البلا قليل الشكر عند
حصول النعمة والرخا فاذا مسه الضر اقبل على الدعا والتضرع في جميع حالاته
مجتهدا في الدعا طالبا من الله ازالة ما نزل به من المحنة والبلا فاذا كشف الله
ذلك عنه اعرض عن الشكر ورجع الى ما كان عليه اولا وهذه حالة الغافل الضعيف
اليقين فاما المومن العاقل فانه بخلاف ذلك فيكون صابرا عند نزول البلا شاكرا
عند الرخا والنعما كثير التضرع والدعا في اوقات الراحة والرفاهية وهاهنا
مقام اعلى من هذا وهو ان المومن اذا ابتلي ببلية او نزل به مكروه يكون مع صبره على
ذلك صابرا راضيا بقضا الله غير معترض بالقلب عنه بل يكون شاكرا لله عز وجل
في جميع احواله ويعلم العبد المومن ان الله تبارك وتعالى مالك الملك على الاطلاق
وحكيم في جميع افعاله وله التصرف في خلقه بما يشا ويعلم انه ان ابقى عليه تلك المحنة
فهو عدل وان ازالها فهو فضل قوله تعالى **ولقد اهلكنا القرون من قبلكم**
يعني اهلكنا الامم الماضية من قبلكم يخوف بذلك كفار مكة **لما ظلموا** يعني لما
اشركوا **وجاءتهم رسلهم بالبينات** يعني فكذبوهم **وما كانوا ليومنوا** يعني هولاء
الامم برسلهم ولم يصدقوهم بما جاءوا به من عند الله **كذلك نجزي القوم المجرمين**
يعني كما اهلكنا الامم الخالية لما كذبوا رسلهم كذلك نهلككم ايها المشركون
بتكذيبكم محمدا صلى الله عليه وسلم **ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم** الخطاب
لاهل مكة الذين ارسل فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى ثم جعلناكم
ايها الناس خلفا في الارض من بعد القرون الماضية الذين اهلكناهم **لننظر**
كيف تعملون يعني خيرا او شرا فنعاملكم على حسب اعمالكم والنظر هنا بمعنى العلم
(في الهامش: ليتبين اعمالكم وهو يعلم ما يكون قبل)
قبل ان يكون قال اهل المعاني معنى النظر هو طلب العلم وجاز في وصف الله تعالى
اظهارا للعدل لانه تعالى يعامل العباد معاملة من يطلب العلم بما يكون منهم
ليجازيهم بحسبه كقوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا ذكره الواحدي والرازي
عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الدنيا
حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا
النسا اخرجه مسلم قوله فاتقوا الدنيا معناه احذروا فتنة الدنيا
واحذروا فتنة النسا قوله عز وجل **واذا تتلى عليهم اياتنا بينات**
يعني واذا قرئ على هولا المشركين ايات كتابنا الذي انزلناه اليك يا محمد
بينات يعني واضحات تدل على وحدانيتنا وصحة نبوتك **قال الذين لا**
يرجون لقاءنا يعني قال هولا المشركون الذين لا يخافون عقابنا ولا

يرجون لقاءنا لانهم لا يومنون بالبعث بعد الموت وكل من كان منكرا للبعث
فانه لا يرجو ثوابا ولا يخاف عقابا **ائت بقران غير هذا او بدله** قال
قتادة قال ذلك مشركو مكة وقال مقاتل هم خمسة نفر عبد الله بن امية
المخزومي والوليد بن المغيرة ومكرز بن حفص وعمرو بن عبد الله بن ابي قيس
العامري والعاص بن عامر بن هشام قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ان كنت
تريد ان نومن بك فات بقران غير هذا ليس فيه ترك عبادة اللات والعزى
ومناة وليس فيه عيبها وان لم ينزل الله عليك فقل انت من نفسك او بدله
فاجعل مكان اية عذاب اية رحمة ومكان حرام حلالا ومكان حلال حراما قال الامام
فخر الدين الرازي اعلم ان اقدام الكفار على هذا الالتماس يحتمل وجهين احدهما
انهم ذكروا ذلك على سبيل السخرية والاستهزاء وهو قولهم لو جئتنا بقران غير هذا
القران او بدلته لامنا بك وغرضهم السخرية والاستهزاء الثاني ان يكونوا قالوا
ذلك على سبيل التجربة والامتحان حتى انه لو فعل ذلك علموا انه كان كذابا في قوله
ان هذا القران ينزل عليه من عند الله ومعنى قوله ائت بقران غير هذا او بدله يحتمل
ان ياتي بقران اخر مع وجود هذا القران والتبديل لا يكون الا مع وجوده وهو
ان يبدل بعضها باية غيرها كما طلبوه ولما سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم امره
الله ان يجيبهم بقوله **قل** اي قل يا محمد لهولاء **ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي**
يعني ان هذا الذي طلبتموه من التبديل ليس الي وما ينبغي لي ان اغيره من قبلي
يعني ولم اومر به **ان اتبع الا ما يوحى الي** يعني فيما امركم به او انهاكم عنه وما اخبركم
الا ما يخبرني الله به وان الذي اتيتكم به هو من عند الله لا من عندي **اني
اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم** اي قل لهم يا محمد اني اخشى من الله ان خالفت
امره او غيرت احكام كتابه او بدلته فعصيته بذلك ان يعذبني بعذاب اليم
في يوم تذهل كل مرضعة عما ارضعت قوله تعالى **قل** اي قل يا محمد لهولاء المشركين
الذين طلبوا منك تغيير القران وتبديله **لو شاء الله ما تلوته عليكم** يعني
لو شاء الله لم ينزل علي هذا القران ولم يامرني بقراته عليكم **ولا ادراكم به**
قال ابن عباس ولا اعلمكم به وقيل ولا اعلمكم به **فقد لبثت فيكم عمرا من قبله**
يعني فقد لبثت فيكم قبل ان يوحى هذا القران مدة اربعين سنة لم اتكم بشي ووجه
هذا الاحتجاج ان كفار مكة كانوا قد شاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل
مبعثه وعلموا احواله وانه كان اميا لم يطالع كتابا ولم يتعلم من احد مدة عمره قبل
الوحي وذلك اربعون سنة ثم من بعد الاربعين جاءهم بهذا الكتاب العظيم المشتمل
على نفايس العلوم واخبار الماضين وفيه من الاحكام والاداب ومكارم الاخلاق
والفصاحة والبلاغة ما اعجز العلماء والفصحاء والبلغاء عن معارضته كل من كان له
عقل سليم وفهم ثاقب يعلم ان هذا لم يحصل الا بوحي من الله تعالى لا من عند نفسه
وهو قوله **افلا تعقلون** يعني ان هذا القران من عند الله اوحاه الي لا من قبل

نفسي **ق** عن ابن عباس قال انزل على رسول الله وهو ابن اربعين فمكث ثلاث عشرة
سنة يوحى اليه ثم امر بالهجرة فهاجر الى المدينة فمكث بها عشر سنين ثم توفي صلى الله
عليه وسلم وفي رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اقام بمكة ثلاث عشرة سنة
يوحى اليه وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة وفي رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم
اقام بمكة خمس عشرة سنة يسمع الصوت ويرى الضوء ولا يرى شيئا سبع
سنين وثمان سنين يوحى اليه واقام بالمدينة عشرا وتوفي وهو ابن خمس
وستين سنة اخرجاه في الصحيحين **ق** عن عايشة ان النبي صلى الله عليه وسلم
توفي وهو ابن ثلاث وستين سنة **م** عن انس قال توفي رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين وابو بكر وهو ابن ثلاث وستين وعمر وهو ابن
ثلاث وستين اخرجه مسلم **ق** عن ربيعة عن ابي عبد الرحمن قال انس بن مالك
يصف رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كان ربعة من القوم ليس بالطويل
البائن ولا بالقصير ازهر اللون ليس بالابيض الامهق ولا بالادم وليس بجعد
قطط ولا سبط رجل انزل عليه الوحي وهو ابن اربعين سنة فلبث بمكة عشر
سنين ينزل عليه الوحي وبالمدينة عشرا وتوفاه الله على راس ستين سنة
وليس في راسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء اخرجاه في الصحيحين قال الشيخ
محيي الدين النووي ورد في عمره صلى الله عليه وسلم ثلاث روايات احداها انه
صلى الله عليه وسلم توفي وهو ابن ستين سنة والثانية خمس وستون سنة
والثالثة ثلاث وستون سنة وهي اصحها واشهرها رواها مسلم من حديث
انس وعايشة وابن عباس واتفق العلماء على ان اصحها ثلاث وستون وتاولوا
الباقي عليه فرواية ستين اقتصر فيها على العقود وترك الكسر ورواية الخمسة
متاولة ايضا وحصل فيها اشتباه قوله يسمع الصوت يعني صوت الهاتف من
الملايكة ويرى الضوء يعني نور الملايكة او نور ايات الله حتى راى الملك بعينه
وشافهه بالوحي من الله عز وجل وقوله ليس بالابيض الامهق المراد به الشديد
البياض كلون الجص وهو كريه المنظر وربما توهم الناظر انه برص والمراد انه
كان اسمر اللون بين البياض والسمرة قوله عز وجل **فمن اظلم ممن افترى على الله
كذبا** يعني فزعم ان له شريكا وولدا والمعنى اني لم افتر على الله كذبا ولم اكذب
عليه في قولي ان هذا القران من عند الله وانتم قد افتريتم على الله الكذب
فزعمتم ان له شريكا وولدا والله منزه عن الشريك والولد وقيل معناه ان هذا
القران لو لم يكن من عند الله لما كان احد في الدنيا اظلم على نفسه مني حيث
افتريته على الله ولما كان هذا القران من عند الله اوحاه الي وجب ان يقال
ليس احد في الدنيا اجهل ولا اظلم على نفسه منكم من حيث انكم انكرتم ان يكون
هذا القران من عند الله فقد كذبتم باياته وهو قوله عز وجل **او كذب باياته**
يعني جحد بكون القران من عند الله وانكر دلايل التوحيد **انه لا يفلح المجرمون**

يعني المشركين وهذا وعيد وتأكيد لما سبق **ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم**
ولا ينفعهم يعني ويعبد هؤلاء المشركون الاصنام التي لا تضرهم ان عصوها
وتركوا عبادتها ولا تنفعهم ان عبدوها لانها حجارة وجماد لا تضر ولا تنفع ولان
العبادة اعظم انواع التعظيم فلا تليق الا بمن يضر وينفع ويحيي ويميت وهذه
الاصنام جماد وحجارة لا تضر ولا تنفع **ويقولون هؤلاء** يعني الاصنام التي
يعبدونها **شفعاؤنا عند الله** قال اهل المعاني توهموا ان عبادتها اشد في
تعظيم الله من عبادتهم اياه وقالوا لسنا باهل ان نعبد الله ولكن نشتغل بعبادة
هذه الاصنام فانها تكون لنا شافعة عند الله ومنه قوله اخبارا عنهم ما
نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وفي هذه الشفاعة قولان احدهما انهم يزعمون
انها تشفع لهم في الاخرة قاله ابن جريج عن ابن عباس والثاني انها تشفع لهم
في الدنيا في اصلاح معاشهم قاله الحسن لانهم كانوا لا يعتقدون بعثا بعد
الموت **قل** اي قل يا محمد **اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض**
اي اتخبرون الله ان له شريكا ولا يعلم الله لنفسه شريكا في السموات ولا في الارض
وهذا على طريق الالزام والمقصود نفي علم الله بذلك التشفيع وانه لا وجود
له البتة لانه لو كان موجودا لعلمه الله وحيث لم يكن معلوما لله وجب ان لا
يكون موجودا ومثل هذا مشهور في العرف فان الانسان اذا اراد نفي شيء
حصل في نفسه يقول ما علم الله ذلك مني مقصوده انه ما حصل ذلك الشيء
منه قط ولا وقع **سبحانه وتعالى عما يشركون** نزه الله تعالى نفسه عن الشركاء
والاضداد والانداد وتعالى ان يكون شيء في السموات والارض ولا يعلمه قوله
تعالى **وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا** يعني فتفرقوا الى مؤمن وكافر
يعني كانوا جميعا على الدين الحق وهو دين الاسلام ويدل على ذلك ان ادم عليه
السلام وذريته كانوا على دين الاسلام الى ان قتل قابيل هابيل ثم اختلفوا
وقيل بقوا على ذلك الى زمن نوح عليه السلام ثم اختلفوا فبعث الله نوحا وقيل
انهم كانوا على دين الاسلام وقت خروج نوح ومن معه من السفينة ثم اختلفوا
بعد ذلك وقيل كانوا على دين الاسلام من عهد ابراهيم الخليل عليه السلام الى ان غير
عمرو بن لحي فعلى هذا القول يكون المراد من الناس في قوله وما كان الناس الا امة
واحدة العرب خاصة وقيل كان الناس امة واحدة يعني في الكفر والقول منقول
عن جماعة من المفسرين ويدل عليه قوله تعالى في سورة البقرة فبعث الله
النبيين وتقريره انه لا مطمع في ان يصير الناس على دين واحد فانهم كانوا اولا
على الكفر وانما اسلم بعضهم ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل كان الناس
امة واحدة وليس في الاية ما يدل على اي دين كانوا من ايمان او كفر فهو موقوف
على دليل من خارج وقيل معناه كانوا في اول الخلق على الفطرة السليمة الصحيحة
ثم اختلفوا في الاديان واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على

الفطرة

الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه والمراد بالفطرة في الحديث فطرة
الاسلام وقوله تعالى **ولولا كلمة سبقت من ربك** يعني انه تعالى جعل لكل امة
اجلا وقضى في سابق الازل قال الكلبي هي امهاله هذه الامة وانه لا يهلكهم
بالعذاب **لقضي بينهم** يعني بنزول العذاب وتعجيل العقوبة للمكذبين
لكان ذلك فصلا بينهم **فيما فيه يختلفون** وقال الحسن ولولا كلمة سبقت
من ربك يعني مضت في حكمة الله انه لا يقضي عليهم فيما اختلفوا فيه في الثواب
والعقاب دون يوم القيامة لقضى بينهم في الدنيا فادخل المؤمنين الجنة باعمالهم
وادخل الكافرين النار بكفرهم ولكن سبق من الله الاجل فجعل موعدهم يوم
القيامة وقيل سبق من الله انه لا ياخذ احدا الا بعد اقامة الحجة عليه وقيل
الكلمة التي سبقت من الله هي قوله ان رحمتي سبقت غضبي ولولا رحمته لعجل لهم
العقوبة في الدنيا ولكن اخرهم برحمته الى يوم القيامة ثم يقضي بينهم فيما
كانوا فيه يختلفون يعني في الدنيا **ويقولون** يعني كفار مكة **لولا انزل
عليه اية من ربه** يعني هلا انزل على محمد ما نقترحه عليه من الايات **فقل** اي
فقل لهم يا محمد **انما الغيب لله** يعني ان الذي سالتموني هو من الغيب وانما
الغيب لله لا يعلم احد ذلك الا هو والمعنى لا يعلم احد متى نزول الاية الا هو
فانتظروا يعني نزولها **اني معكم من المنتظرين** وقيل معناه فانتظروا قضاء
الله بيننا باظهار المحق على المبطل اني معكم من المنتظرين قوله عز وجل
واذا اذقنا الناس رحمة يعني رخاء ونعمة **من بعد ضراء مستهم** يعني من بعد
شدة وبلاء وضيق في العيش اصابهم والمراد بالناس هنا كفار اهل مكة وذلك
ان الله حبس عنهم المطر سبع سنين حتى هلكوا من الجوع والقحط ثم ان الله
تعالى رحمهم فانزل عليهم المطر الكثير حتى اخصبت البلاد وعاش الناس بعد
ذلك الضر فلم يتعظوا بذلك بل رجعوا الى العناد والكفر والمكر وهو قوله
تعالى **اذا لهم مكر في اياتنا** قال مجاهد اي تكذيب واستهزاء وقال مقاتل بن حيان
لا يقولون هذا رزق الله انما يقولون سقينا بنوء كذا وكذا ويدل على صحة
هذا القول ما روي عن زيد بن خالد الجهني قال صلى بنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية على اثر سماء كانت من الليل فلما انصرف اقبل
على الناس فقال هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله اعلم قال
قال اصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فاما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك
مؤمن بي وكافر بالكواكب اخرجاه في الصحيحين قوله على اثر سماء اي مطر كان قد
وقع في الليل وسمي المطر سماء لانه ينزل من السماء والانواء عند العرب هي منازل
القمر اذا طلع نجم سقط نظيره وكانوا يعتقدون ذلك في الجاهلية انه لا بد لذلك
من وجود مطر او ريح كما تزعم المنجمون ايضا فمن العرب من يجعل ذلك التاثير للطالع
لانه ناء اي ظهر اي طلع ومنهم من ينسبه للغارب فنفى النبي صلى الله عليه وسلم صحة ذلك

وبرى عنه وكفر معتقده اذا اعتقد ان النجم فاعل ذلك التاثير واما من يجعله دليلا
فهو جاهل بمعنى الدلالة واما من اسند ذلك الى العادة التي عود اخراجها فقد
كرهه قوم وحرمه قوم ومنهم من تاول الكفر بكفر نعمة الله والله اعلم وسمي تكذيبهم
بآيات الله مكرا لان المكر عبارة عن صرف الشي عن وجهه الظاهر بنوع من الحيلة
وكان كفار مكة يحتالون في دفع آيات الله بكل ما يقدرون عليه من المفاسد
قل الله اسرع مكرا اي قل لهم يا محمد الله اعجل عقوبة واشد اخذا واقدر على
الجزاء وان عذابه في هلاككم اسرع اليكم مما ياتي منكم في دفع الحق ولما قابلوا
نعمة الله بالمكر قابل مكرهم بمكر اشد منه وهو امهالهم الى يوم القيامة ان رسلنا
يكتبون ما تمكرون يعني الحفظة الكرام الكاتبين يكتبون ويحفظون اعمالهم
القبيحة السيئة الى يوم القيامة حتى يفتضحوا بها ويجزون على مكرهم قوله
عز وجل هو الذي يسيركم في البر والبحر يعني والله الذي يسيركم
ويحملكم في البر على ظهور الدواب وفي البحر على الفلك وقيل معناه الله الهادي
لكم الى السير في البر والبحر طلبا للمعاش وهو المهيئ لكم اسباب السير في البر
والبحر حتى اذا كنتم في الفلك يعني في السفن ولفظة الفلك تطلق على
الواحد والجمع وتقديرها مختلفات فان اريد بها الواحد كان كقفل وان
اريد بها الجمع كان كحمر والمراد به هنا الجمع لقوله تعالى وجرين بهم يعني
وجرت السفن بركابها فان قلت ما فائدة صرف الكلام عن الخطاب الى الغيبة
قلت قال صاحب الكشاف المقصود منه المبالغة كانه يذكر لغيرهم حالهم
ليعجبهم منها ويستدعي منهم مزيد الانكار والتقبيح وقال غيره ان مخاطبة
الله لعباده هو على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم فهو بمنزلة الخبر عن الغائب
وقيل وكل من اقام الغائب مقام المخاطب حسن منه ان يرده الى الغائب وقيل
ان الالتفات في الكلام من الغيبة الى الحضور وبالعكس فهو من فصيح كلام العرب
بريح طيبة يعني وجرت السفن بريح طيبة ساكنة وفرحوا بها يعني وفرح
ركبان تلك الفلك بتلك الريح الطيبة الموافقة للمقصود وحصل له التفع
التام والمسرة العظيمة بذلك جاءتها ريح عاصف يعني قيل ان الضمير في
جاءتها يرجع الى الريح فيكون المعنى جاءت الريح الطيبة ريح عاصف شديدة
فاقلبتها وقيل الضمير في جاءتها يرجع الى الفلك يعني جاءت الفلك ريح عاصف
يقال ريح عاصف وعاصفة ومعنى عصفت الريح اشتدت واصل العصف السرعة
وانما قال عاصف لانه يراد به ذات عصوف او لاجل ان الريح قد تذكر وجاءهم
الموج من كل مكان يعني وجاء ركبان السفينة الموج وهو ما ارتفع وعلا من غوارب
الماء في البحر وقيل هو شدة حركة الماء في البحر واختلاطه وظنوا انهم احيط بهم
قيل يعني وظنوا ان الهلاك قد احاط بهم واحدق قيل المراد من الظن اليقين
اي وايقنوا انه الهلاك وقيل بل المراد منه المقارب يعني من الهلاك والدنو

منه والاشراف عليه دعوا الله مخلصين له الدين اي يعني انهم اخلصوا في الدعا
لله عز وجل ولم يدعوا احدا سواه من الهتهم وقيل في معنى هذا الاخلاص العلم
الحقيقي لا اخلاص ايمان لانهم كانوا يعلمون حقيقة انهم لا ينجيهم من جميع الشدايد
والبلايا الا الله تعالى فكانوا اذا وقعوا في شدة وضيق وبلا اخلصوا لله الدعا
لئن انجيتنا اي قائلين لئن انجيتنا يا ربنا من هذه يعني من هذه الشدة
التي نحن فيها وهي الريح العاصفة والامواج الشديدة لنكونن من الشاكرين
يعني من الشاكرين لك على انعامك علينا بخلاصنا مما نحن فيه من الشدة فلما
انجاهم يعني فلما انجا الله هولاء الذين ظنوا انهم احيط بهم من الشدة التي
كانوا فيها اذا هم يبغون في الارض بغير الحق يعني انهم اخلفوا الله ما وعدوه
وبغوا في الارض فتجاوزوا فيها الى غير ما امر الله به من الكفر والعمل بالمعاصي
على ظهرها واصل البغي مجاوزة الحد قال صاحب المفردات والبغي على ضربين
احدهما محمود وهو مجاوزة العدل الى الاحسان والفرض الى التطوع والثاني
مذموم وهو مجاوزة الحق الى الباطل والى الشبهة قال صاحب الكشاف
فان قلت ما معنى قوله بغير الحق والبغي لا يكون بحق قلت بلى قد
يكون بحق وهو استيلاء المسلمين على ارض الكفرة وهدم دورهم واحراق زروعهم
وقطع اشجارهم كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ببني قريظة يا ايها الناس انما
بغيكم على انفسكم يعني ان وبال بغيكم راجع اليكم متاع الحياة الدنيا قيل هو كلام
مبتدا والمعنى ان بغي بعضكم على بعض هو متاع الحياة الدنيا لا يصلح لزاد الاخرة
وقيل هو كلام متصل بما قبله والمعنى يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم لا
يتهيا ان يبغي بعضكم على بعض الا اياما قليلة وهي مدة حياتكم مع قصرها في سرعة
الانقضا والبغي من منكرات الذنوب العظام قال بعضهم لو بغى جبل على جبل
لاندك الباغي وقد نظم بعضهم هذا المعنى وكان المامون يتمثل به ويقول

• يا صاحب البغي ان البغي مصرعة • فارجع فخير مقال المرء اعدله •
• لو بغى جبل يوما على جبل • لاندك منه اعاليه واسفله •

قوله عز وجل ثم الينا مرجعكم يوم القيامة فننبئكم اي فنخبركم بما كنتم
تعملون يعني في الدنيا من البغي والمعاصي فنجازيكم عليها قوله عز وجل انما مثل
الحياة الدنيا يعني في فنائها وزوالها كما انزلناه من السما يعني المطر
فاختلط به يعني بالمطر نبات الارض قال ابن عباس نبت بالماء من كل لون
مما ياكل الناس يعني من الحبوب والثمار والانعام يعني ومما ياكل الانعام
من الحشيش ونحوه حتى اذا اخذت الارض زخرفها يعني حسنها
ونضارتها وبهجتها واظهرت الوان زهرها من ابيض واحمر واصفر وغير ذلك
من الزهور وازينت اي وتزينت وظن اهلها يعني اهل تلك الارض انهم
قادرون عليها يعني على جذاذها وقطافها وحصادها والكناية الى الارض

والمراد النبات اذ كان مفهوما وقيل رده الى الثمرة والغلة وقيل الى الزينة **اتاها امرنا**
يعني قضاؤنا باهلاكها **ليلا او نهارا** يعني في الليل او النهار **فجعلناها حصيدا** يعني
محصودة مقطوعة **كان لم تغن بالامس** يعني كان لم تكن تلك الاشجار والنبات
والزرع نابتة قائمة على ظهر الارض واصله من غني فلان بالمكان اذا اقام به وهذا
مثل ضربه الله تعالى للمتشبث بالدنيا الراغب في زهرتها وحسنها وذلك انه تعالى
لما قال يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم متاع الحياة الدنيا اتبعه بهذا المثل لمن بغي
في الارض وتجبر فيها وركن الى الدنيا واعرض عن الاخرة لان النبات في اول بروزه
من الارض ومبدأ خروجه يكون ضعيفا فاذا نزل عليه المطر واختلط به قوي وحسن
واكتسى كمال الرونق والزينة وهو المراد من قوله حتى اذا اخذت الارض زخرفها
وازينت يعني بالنبات والزخرف عبارة عن كمال الحسن للشيء فجعلت الارض اخذة
زخرفها على التشبيه بالعروس اذا لبست الثياب الفاخرة من كل لون حسن من حمرة
وخضرة وصفرة وبياض ولا شك ان الارض متى كانت على هذه الصفة فانه يفرح
بها صاحبها ويعظم رجاؤه في الانتفاع بها وبما فيها ثم ان الله تعالى ارسل الى هذه الارض
صاعقة او بردا او ريحا فجعلها حصيدا كان لم تغن من قبل قال قتادة ان المتشبث
بالدنيا ياتيه امر الله وعذابه اغفل ما يكون ووجه التمثيل ان غاية هذه الحياة
الدنيا التي ينتفع بها المرء كغاية هذا النبات الذي لما عظم الرجاء في الانتفاع به
وقع الياس منه ولان المتمسك بالدنيا اذا نال منها بغيته فسلبه مما هو فيه من
نعيم الدنيا ولذاتها وقيل يحتمل ان يكون ضرب هذا المثل لمن ينكر المعاد والبعث
بعد الموت وذلك لان الزرع اذا انتهى وتكامل في الحسن الى الغاية القصوى اتاه
افة فتلف بالكلية ثم ان الله تعالى قادر على اعادته كما كان اول مرة فضرب الله تعالى
هذا المثل ليدل على ان من قدر على اعادة ذلك النبات بعد التلف كان قادرا على اعادة
الاموات احياء في الاخرة ليجازيهم على اعمالهم فيثيب الطائع ويعاقب العاصي **كذلك**
نفصل الايات لقوم يتفكرون يعني كما بينا لكم مثل الحياة الدنيا وعرفناكم حكمها كذلك
نبين حججنا وادلتنا لمن تفكر واعتبر ليكون ذلك موجبا وسببا لزوال الشك والشبهة
من القلوب قوله تعالى **والله يدعو الى دار السلام** لما ذكر الله تعالى زهرة الحياة
الدنيا وانها زائلة فانية لا محالة دعا الى داره السلام قال قتادة الله هو السلام وداره
الجنة فعلى هذا السلام اسم من اسماء الله عز وجل ومعناه انه تعالى سلم من جميع النقائص
والعيوب والفناء والتغير وقيل انه تعالى يوصف بالسلام بمعنى ذو السلام اي لا يقدر
على تخليص العاجزين من المكاره والافات الا هو وقيل دار السلام اسم للجنة
وهو جمع سلامة والمعنى ان من دخلها فقد سلم من جميع الافات كالموت والمرض
والمصائب والحزن والغم والتعب والنكد وقيل سميت الجنة دار السلام لان
الله تعالى يسلم على اهلها او تسلم الملائكة عليهم وقيل ان من كمال رحمة الله
وجوده وكرمه على عباده ان دعاهم الى جنته التي هي دار السلام وفيه دليل على ان فيها

مالا

ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر لان العظيم لا يدعو الا الى
عظيم ولا يصف الا عظيما وقد وصف الله الجنة في ايات كثيرة من كتابه **ويهدي**
من يشاء الى صراط مستقيم يعني والله يهدي من خلقه من يشاء الى صراط المستقيم
وهو دين الاسلام عمم بالدعوة اولا اظهارا للحجة وخص بالدعوة ثانيا استغنا
عن الخلق واظهارا للقدرة فحصلت المغايرة بين الدعوتين (خ) عن جابر قال جاءت
ملائكة الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو نائم فقال بعضهم انه نائم وقال بعضهم
انه نائم والقلب يقظان فقالوا ان لصاحبكم مثلا فاضربوا له مثلا فقالوا مثله
كمثل رجل بنى دارا وجعل فيها مادبة وبعث داعيا فمن اجاب الداعي دخل الدار
واكل من المادبة ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم ياكل من المادبة فقالوا
اولوها يفقهها فقال بعضهم ان العين نائمة والقلب يقظان فالدار الجنة والداعي
محمد صلى الله عليه وسلم فمن اطاع محمدا فقد اطاع الله ومن عصى محمدا فقد عصى الله
ومحمد فرق بين الناس وفي رواية قال جابر خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
لم يزد قال الحميدي وذكر ابو مسعود اوله فقال خرج علينا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال اني رايت في المنام كان جبريل عند راسي وميكائيل عند رجلي
يقول احدهما لصاحبه اضرب له مثلا وذكره عن النواس بن سمعان قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ضرب مثلا صراطا مستقيما على كنفي الصراط
سوران لهما ابواب مفتحة على الابواب ستور وداع يدعو على راس الصراط
وداع يدعو فوقه والله يدعو الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم
والابواب التي على كنفي الصراط حدود الله فلا يقع احد في حدود الله حتى
يكشف الستر والذي يدعو من فوقه واعظ ربه اخرجه الترمذي وقال حديث
حسن غريب قوله عز وجل **للذين احسنوا الحسنى** قال ابن عباس للذين
شهدوا ان لا اله الا الله الجنة وقيل معناه للذين احسنوا عبادة الله في
الدنيا من خلقه واطاعوه فيما امرهم به ونهاهم عنه الحسنى قال ابن الانباري
الحسنى في اللغة تانيث الاحسن والعرب توقع هذه اللفظة على الخلة المحبوبة
والخصلة المرغوب فيها وقيل معناه للذين احسنوا الحسنى المثوبة الحسنى
وزيادة اختلف اهل التفسير في معنى هذه الحسنى وهذه الزيادة على اقوال
القول الاول ان الحسنى هي الجنة والزيادة هي النظر الى وجه الله الكريم وهذا
قول جماعة من الصحابة منهم ابو بكر الصديق وحذيفة وابو موسى الاشعري
وعبادة بن الصامت وهو قول الحسن وعكرمة والضحاك ومقاتل والسدي
ويدل على صحة هذا القول المنقول والمعقول اما المنقول فما روي عن صهيب
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل اهل الجنة الجنة يقول الله
تبارك وتعالى تريدون شيئا ازيدكم فيقولون الم تبيض وجوهنا الم تدخلنا
الجنة وتنجنا من النار قال فيكشف الحجاب فما اعطوا شيئا احب اليهم من النظر الى

ربهم تبارك وتعالى زاد في رواية ثم تلا هذه الآية للذين احسنوا الحسنى وزيادة
اخرجه مسلم وروى الطبري بسنده عن كعب بن عجرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
في قوله للذين احسنوا الحسنى وزيادة قال الزيادة النظر الى وجه الله الكريم
وبه عن ابي بن كعب انه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى للذين
احسنوا الحسنى وزيادة قال الحسنى الجنة والزيادة النظر الى وجه الله تعالى
وله عن ابي بكر الصديق للذين احسنوا الحسنى وزيادة قال النظر الى وجه الله
وبه عن ابي موسى الاشعري قال اذا كان يوم القيامة بعث الله الى اهل الجنة مناديا
ينادي هل انجزكم الله ما وعدكم به فينظرون الى ما اعد الله لهم من الكرامات
فيقولون نعم فيقول الله للذين احسنوا الحسنى وزيادة النظر الى وجه الرحمن
تبارك وتعالى وفي رواية رفعه ابو موسى قال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله يبعث يوم القيامة وذكر بمعناه وبه عن عبد الرحمن بن ابي ليلى قال اذا
دخل اهل الجنة الجنة قال لهم قد بقي من حقكم شيء لم تعطوه فيتجلى لهم عز وجل
قال فيصغر عندهم كل شيء اعطوه ثم قال للذين احسنوا الحسنى وزيادة قال
الحسنى الجنة والزيادة النظر الى وجه ربهم فهذه الاخبار والآثار قد دلت على
ان الزيادة هي النظر الى وجه الله تعالى واما المعقول فيقول ان الحسنى لفظة مفردة
دخل عليها حرف التعريف فانصرف الى المعهود السابق وهو الجنة في قوله والله
يدعو الى دار السلام فثبت بهذا ان المراد من لفظة الحسنى هي الجنة واذا ثبت
هذا وجب ان يكون المراد من الزيادة امرا مغايرا لكل ما في الجنة من النعيم والا لزم
التكرار واذا كان كذلك وجب حمل هذه الزيادة على رؤية الله تعالى ومما يؤكد
ذلك قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فاثبت لاهل الجنة امرين
احدهما النضارة وهي حسن الوجوه وذلك من نعيم الجنة والثاني النظر الى وجه
الله تعالى وايضا فان القرآن يفسر بعضه بعضا فوجب حمل الحسنى على الجنة ونعيمها
وحمل الزيادة على رؤية الله تعالى وقالت المعتزلة لا يجوز حمل هذه الزيادة
على الرؤية لان الدلائل العقلية دلت على ان رؤية الله تعالى ممتنعة ولان الزيادة
يجب ان تكون من جنس المزيد عليه ورؤية الله تعالى ليست من نعيم الجنة ولان
الاخبار التي تقدمت توجب التشبيه ولان جماعة من المفسرين حملوا هذه الزيادة
على غير الرؤية فانتفى ما قلتم فاجاب اصحابنا عن هذه الاعتراضات بان الدلائل
العقلية قد دلت على امكان وقوع رؤية الله تعالى في الآخرة واذا لم يوجد في
العقل ما يمنع من رؤية الله تعالى وجاءت الآيات الصحيحة باثبات الرؤية وجب المصير
اليها واجراؤها على ظواهرها من غير تشبيه ولا احاطة واجيب عن قولهم بان الزيادة
يجب ان تكون من جنس المزيد عليه فنقول المزيد عليه اذا كان مقدرا بمعين وجب
ان تكون الزيادة مجانسة لها فاما المذكور في الآية لفظ الحسنى وهي الجنة ونعيمها
غير مقدر بقدر معين وجب ان الزيادة عليها تكون شيئا مغايرا النعيم الجنة وذلك

المغاير

المغاير هو الرؤية واجيب عن قولهم بان جماعة من المفسرين حملوا الزيادة على غير
الرؤية فهو معارض بقول جماعة من المفسرين بان الزيادة هي الرؤية والمثبت مقدم
على النافي والله اعلم القول الثاني في معنى هذه الآية ما روي عن علي بن ابي طالب
انه قال الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة لها اربعة ابواب القول الثالث الحسنى
الواحدة من الحسنات والزيادة التضعيف الى تمام العشرة والى سبعماية قال ابن عباس
هو مثل قوله تعالى ولدينا مزيد يقول يجزيهم بعملهم ويزيدهم من فضله قال قتادة
كان الحسن يقول الزيادة بالحسنة عشر امثالها الى سبعماية ضعف القول الرابع ان
الحسنى حسنة مثل حسنة والزيادة مغفرة من الله تعالى ورضوان قاله مجاهد
القول الخامس قول ابن زيد ان الحسنى هي الجنة والزيادة ما اعطاهم في الدنيا لا يحاسبهم
به يوم القيامة قوله تعالى **ولا يرهق وجوههم** يعني ولا يغشى وجوه اهل الجنة
قتر اي كآبة ولا كسوف ولا غبار وقال ابن عباس هو سواد الوجه **ولا ذلة**
يعني ولا هوان قال ابن ابي ليلى هذا بعد نظرهم الى ربهم تبارك وتعالى **اولئك اصحاب
الجنة هم فيها خالدون** يعني ان هؤلاء الذين وصفتهم هم اصحاب الجنة لا غيرهم
وهم فيها مقيمون لا يخرجون منها ابدا قوله تعالى **والذين كسبوا السيئات جزاء
سيئة بمثلها** اعلم انه لما شرح الله تعالى احوال المحسنين وما اعد لهم من الكرامات
شرح في هذه الآية حال من اقدم على هذه السيئات والمراد بهم الكفار فقال تعالى
والذين كسبوا السيئات يعني والذين عملوا بالكفر والمعاصي جزاء سيئة بمثلها يعني
فلهم جزاء السيئة التي عملوها مثلها من العقاب والمقصود من هذا التقييد التنبيه
على الفرق بين الحسنات والسيئات لان الحسنات يضاعف ثوابها لعاملها من الواحدة
الى العشرة الى السبعماية الى اضعاف كثيرة وذلك تفضلا منه وتكرما واما السيئات
فانه يجازي عليها بمثلها عدلا منه سبحانه وتعالى **وترهقهم ذلة** قال ابن عباس
تغشاهم ذلة وشدة وقيل تغشاهم ذلة وهوان لعقاب الله اياهم **ما لهم من الله
من عاصم** يعني ما لهم مانع يمنعهم من عذاب الله تعالى اذا نزل بهم **كانما اغشيت
وجوههم قطعا من الليل مظلما** يعني كانما البست وجوههم سوادا من الليل المظلم
اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون قوله تعالى **ويوم نحشرهم جميعا**
الحشر الجمع من كل جانب وناحية الى موضع واحد والمعنى ويوم نجمع الخلائق جميعا الموقف
الحساب وهو يوم القيامة **ثم نقول للذين اشركوا مكانكم** اي الزموا مكانكم
واثبتوا فيه حتى تسألوا وفي هذا وعيد وتهديد للعابدين والمعبودين **انتم
وشركاؤكم** يعني انتم ايها المشركون والاصنام التي كنتم تعبدونها من دون الله
فزيلنا بينهم يعني ففرقنا بين العابدين والمعبودين وميزنا بينهم وانقطع
ما كان بينهم من التواصل في الدنيا فان قلت قوله فزيلنا بينهم جاء على لفظ الماضي
بعد قوله ثم نقول للذين اشركوا وهو منتظر في المستقبل فما وجهه قلت
السبب فيه ان الله حكم الله فيه بانه سيكون صار كالكائن الآن اما قوله تعالى

وقال شركاؤهم يعني الاصنام التي كانوا يعبدونها من دون الله وانما سماهم
شركاؤهم لانهم جعلوا لهم نصيبا من اموالهم ولانه تعالى لما خاطب العابدين والمعبودين
بقوله مكانكم فقد صاروا شركاء في هذا الخطاب ما كنتم ايانا تعبدون تبرا
المعبودون من العابد فان قلت كيف صدر هذا الكلام من الاصنام وهي جماد
لا روح فيها ولا عقل لها قلت يجوز ان الله خلق لها في ذلك اليوم الحياة
والعقل والنطق حتى قدرت على هذا الكلام فان قلت اذا احياهم الله في ذلك
اليوم فهل يفنيهم او يبقيهم قلت الكل محتمل ولا اعتراض على الله في شي من
افعاله واحوال القيامة غير معلومة الا ما دل عليه الدليل من كتاب وسنة
فان قلت فان الاصنام قد انكرت ان الكفار كانوا يعبدونها وقد كانوا يعبدونها
قلت قد تقدمت هذه المسئلة وجوابها في تفسير سورة الانعام ونقول
هنا قال مجاهد يكون في يوم القيامة ساعة يكون فيها شدة تنصب لهم الالهة
التي كانوا يعبدونها من دون الله فتقول الالهة والله ما كنا نسمع ولا نبصر
ولا نعقل ولا نعلم انكم كنتم تعبدوننا فيقولون والله اياكم كنا نعبد فتقول
الالهة فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم ان كنا عن عبادتكم لغافلين
والمعنى قد علم الله وكفى به شهيدا انا ما علمنا انكم كنتم تعبدوننا وما كنا
عن عبادتكم ايانا من دون الله الا غافلين لا نشعر بذلك اما قوله هنالك
تبلو كل نفس ما اسلفت فهو كالتتمة للاية المتقدمة والمعنى ان في ذلك
المقام او ذلك الموقف او في ذلك الوقت على معنى استعارة اسم المكان على
الزمان وفي قوله تبلو قراءات قرئ بتائين ولها معنيان احدهما انه من تلاه اذا
تبعه اي تتبع كل نفس ما اسلفت لان العمل هو الذي يهدي النفس الى الثواب
او العقاب الثاني ان يكون من التلاوة والمعنى ان كل نفس تقرا صحيفة عملها من
خير او شر وقرئ تبلو بالباء والتاء ومعناه تختبر وتعلم والبلو الاختبار ومعنى
الاختبار هاهنا ما اسلفت انه قدم خيرا او شرا قدم عليه وجوزي به قوله تعالى وردوا
الى الله مولاهم الحق الرد عبارة عن صرف الشي الى الموضع الذي جاء منه
والمعنى ردوا الى ما يظهر لهم من الله الذي هو مالكهم ومتولي امورهم
فان قلت قد قال الله تعالى في اية اخرى وان الكافرين لا مولى لهم
فما الفرق قلت المولى في اللغة يطلق على المالك ويطلق على الناصر
فمعنى المولى هنا المالك ومعنى المولى هناك الناصر فحصل الفرق بين الايتين
وضل عنهم ما كانوا يفترون يعني وبطل وذهب ما كانوا يكذبون فيه
في الدنيا وهو قولهم ان هذه الاصنام تشفع لنا قوله عز وجل قل من يرزقكم
من السماء والارض اي قل يا محمد لهؤلاء المشركين من يرزقكم من السماء يعني
المطر والارض يعني النبات امن يملك السمع والابصار يعني ومن اعطاكم
هذه الحواس التي تسمعون بها وتبصرون بها ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت

من

من الحي يعني انه تعالى يخرج الانسان حيا من النطفة وهي ميتة وكذلك
الطير من البيضة وكذلك يخرج النطفة الميتة من الانسان الحي ويخرج البيضة
الميتة من الطائر الحي وقيل معناه انه يخرج المومن من الكافر والكافر من المومن
والقول الاول اقرب الى الحقيقة ومن يدبر الامر يعني امر السموات
وما فيها وامر الارض وما فيها هو الله تعالى وكذلك قوله فسيقولون
الله يعني انهم يعترفون بان فاعل هذه الاشياء هو الله واذا كانوا يعترفون
بذلك فقل لهم يا محمد افلا تتقون يعني افلا تخافون عقابه حيث تعبدون
هذه الاصنام التي لا تضر ولا تنفع ولا تقدر على شي من هذه الامور فذلكم
الله ربكم الحق يعني فذلكم الذي يفعل هذه الاشياء هو الله ويقدر عليها هو
الله ربكم الحق الذي يستحق العبادة لا هذه الاصنام فماذا بعد الحق
الا الضلال يعني اذا ثبت بهذه البراهين الواضحة والدلايل القاطعة
ان الله هو الحق وجب ان يكون ما سواه باطلا وضلالا فانى تصرفون يعني
اذا عرفتم هذا الامر الظاهر الواضح فكيف تستجيزون العدول عن الحق الى الضلال
الباطل كذلك اي كما ثبت انه ليس بعد الحق الا الضلال حقت اي وجبت
كلمة ربك في الازل على الذين فسقوا انهم لا يؤمنون فقيل المراد بكلمة الله
قضاؤه في اللوح المحفوظ انهم لا يؤمنون وقضاء الله لا يرد ولا يدفع قل هل
من شركائكم اي قل يا محمد لهؤلاء المشركين هل من شركائكم يعني هذه الاصنام
الذين تزعمون انها الهة من يبدؤا الخلق يعني من يقدر على ان ينشئ الخلق
على غير مثال سبق ثم يعيده اي ثم يعيده بعد الموت كهيئته اول مرة وهذا
السؤال استفهام انكار قل انت يا محمد الله يبدؤا الخلق ثم يعيده يعني الله هو
القادر على ابتداء الخلق واعادته فانى تؤفكون يعني فانى تصرفون عن قصد
السبيل والمراد من هذا التعجب من احوالهم كيف تركوا هذا الامر الواضح وعدلوا
عنه الى غيره قل اي قل يا محمد هل من شركائكم من يهدي الى الحق يعني هل
من هذه الاصنام من يقدر على ان يرشد الى الحق فاذا قالوا ولا بد لهم من ذلك
قل اي قل لهم انت الله يهدي للحق يعني ان الله هو الذي يرشد الى الحق
لا غيره افمن يهدي الى الحق احق ان يتبع امن لا يهدي الا ان يهدى يعني
ان الله هو الذي يهدي الى الحق فهو احق بالاتباع لا هذه الاصنام التي لا تهتدي
الا ان يهدى فان قلت الاصنام جماد لا يتصور هدايتها ولا ان تهدى فكيف
قال الا ان يهدى قلت ذكر العلماء عن هذا السؤال وجوها الاول ان معنى
الهداية في حق الاصنام الانتقال من مكان الى مكان فيكون المعنى انها لا تنتقل
من مكان الى مكان اخر الا ان تحمل وتنقل فبين بهذا عجز الاصنام الوجه الثاني
ان ذكر الهداية في حق الاصنام على وجه المجاز وذلك ان المشركين لما اتخذوا
الاصنام الهة وانزلوها منزلة من يسمع ويعقل عبر عنها بمن يسمع ويعقل ويعلم

ووصفها بهذه الصفة وان كان الامر ليس كذلك الوجه الثالث يحتمل ان يكون المراد من قوله تعالى قل هل من شركائكم من يبدؤ الخلق ثم يعيده الاصنام والمراد من قوله هل من شركائكم من يهدي الى الحق رؤساء الكفر والضلالة والله تعالى يهدي الخلق الى الدين بما اظهر من الدلايل الدالة على وحدانيته واما رؤساء الكفر والضلالة فانهم لا يقدرون على هداية غيرهم الا اذا هداهم الله الى الحق فكان اتباع دين الله والتمسك بهدايته اولى من اتباع غيره وقوله تعالى **فما لكم كيف تحكمون** قال الزجاج فما لكم كلام تام كانه قيل لهم اي شيء لكم في عبادة هذه الاصنام ثم قال كيف تحكمون يعني على اي حال تحكمون وقيل معناه كيف تقضون لانفسكم بالجور حين تزعمون ان مع الله شريكا وقيل معناه بيس ما حكمتم اذ جعلتم لله شريكا من ليس بيده منفعة ولا مضرة ولا هداية **وما يتبع اكثرهم الا ظنا** يعني وما يتبع اكثر هولاء المشركين الا ما لا علم لهم بحقيقته وصحته بل هم في شك منه وريبة قيل المراد باكثر الكل لان جميع المشركين يتبعون الظن في دعواهم ان الاصنام تشفع لهم وقيل المراد بالاكثر الرؤساء **ان الظن لا يغني من الحق شيئا** يعني ان الشك لا يغني عن الحق شيئا ولا يقوم مقامه وقيل في الاية ان قولهم ان الاصنام الهة وانها تشفع لهم ظن منهم لم يرد به كتاب ولا رسول ان الظن لا يغني من الحق شيئا يعني لا يدفع عنهم من عذاب الله شيئا **ان الله عليم بما يفعلون** يعني من اتباعهم الظن وتكذيبهم الحق اليقين **وما كان هذا القران ان يفترى من دون الله** يعني وما كان ينبغي لمثل هذا القران ان يختلق ويفتعل لان معنى الافترا الاختلاق والمعنى ليس وصف القران وصف شي يمكن ان يفترى به على الله لان المفترى هو الذي ياتي به البشر وذلك ان كفار مكة زعموا ان محمدا صلى الله عليه وسلم اتى بهذا القران من عند نفسه على سبيل الافتعال والاختلاق فاخبر الله عز وجل ان هذا القران وحي انزله الله عليه وانه مبرا عن الافترا والكذب وانه لا يقدر عليه احد الا الله ثم ذكر ما يوكد ذلك بقوله **ولكن تصديق الذي بين يديه** يعني ولكن الله انزل هذا القران مصدقا لما قبله من الكتب التي انزلها على انبيائه كالتوراة والانجيل وتقرير هذا ان محمدا صلى الله عليه وسلم كان اميا لا يقرا ولا يكتب ولا يجتمع باحد من العلما ثم انه اتى بهذا القران العظيم المعجز وفيه اخبار الاولين وقصص الماضين وكل ذلك موافق لما في التوراة والانجيل والكتب المنزلة قبله ولو لم يكن كذلك لقدحوا فيه لعداوة اهل الكتاب له ولما لم يقدح فيه احد من اهل الكتاب علم بذلك ان ما فيه من القصص والاخبار مطابقة لما في التوراة والانجيل مع القطع بانه ما علم ما فيها فثبت بذلك انه وحي من الله انزله عليه وانه مصدق لما بين يديه وانه معجزة له وقيل يعني من اخبار القلوب الاتية فانها جاءت على وفق ما اخبر **وتفصيل الكتاب** يعني وتبيين ما في الكتاب من الحلال والحرام والفرايض والاحكام

لا ريب فيه من رب العالمين يعني ان هذا القران لا شك فيه انه من رب العالمين وانه ليس مفترا على الله وانه لا يقدر احد من البشر على الاتيان بمثله **ام يقولون افتراه** يعني ام يقول هولاء المشركون افترى محمد هذا القران واختلقه من قبل نفسه وهو استفهام انكار وقيل ام بمعنى الواو اي ويقولون افتراه **قل** يا محمد ان كان الامر كما تقولون **فاتوا بسورة مثله** يعني بسورة تشبهه في الفصاحة والبلاغة وحسن النظم وانتم عرب مثلي في الفصاحة والبلاغة فان قلت فاتوا بسورة من مثله في سورة البقرة وقال هنا بسورة مثله فما فايدة ذلك وما الفرق بينهما قلت لما كان محمد صلى الله عليه وسلم اميا لم يقرا ولم يكتب واتى بهذا القران العظيم كان معجزا في نفسه قيل لهم فاتوا بسورة من مثله يعني من انسان مثل محمد صلى الله عليه وسلم يساويه في عدم الكتابة والقراءة ويساوي القران في الفصاحة والبلاغة وهو المراد بقوله بسورة مثله يعني ان السورة في نفسها معجزة فان الخلق اذا اجتمعوا على ذلك لم يقدروا عليه وهو المراد من قوله **وادعوا من استطعتم من دون الله** يعني وادعوا على الاستعانة على ذلك من استطعتم من خلقه **ان كنتم صادقين** يعني في قولكم ان محمدا صلى الله عليه وسلم افتراه ثم قال تعالى بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه يعني القران اي كذبوا بما لم يعلموه قال عطا يريد انه ليس خلق يحيط بجميع علوم القران وقيل **بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه** معناه بل كذبوا بما في القران من ذكر الجنة والنار والحشر والقيامة والثواب والعقاب بما لم يحيطوا بعلمه لانهم كانوا ينكرون ذلك قوله وقيل انهم لما سمعوا ما في القران من القصص واخبار الامم الخالية ولم يكونوا سمعوها قبل ذلك انكروها لجهلهم فرد الله عليهم بقوله بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه لان القران العظيم مشتمل على علوم كثيرة لا يقدر احد على استيعابها وتحصيلها **ولما ياتهم تاويله** يعني انهم كذبوا به فلما ياتهم بعد بيان ما يؤول اليه ذلك الوعيد الذي توعدهم الله في القران به من العقوبة والمعنى انهم لم يعلموا ما يؤول اليه عاقبة امرهم وقيل معناه انهم لم يعلموا تنزيلا ولا علموا تاويلا فكذبوا به وذلك لانهم جهلوا القران وعلمه وعلم تاويله **كذلك كذب الذين من قبلهم** يعني كما كذب هولاء بالقران كذلك كذبت الامم الخالية انبياءهم فيما وعدوهم به **فانظر كيف كان عاقبة الظالمين** الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي فانظر يا محمد كيف كان عاقبة من كذب من قومك ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل يحتمل ان يكون الخطاب لكل فرد من الناس والمعنى فانظر ايها الانسان كيف كان عاقبة من ظلم فاحذر ان تفعل مثل فعله قوله عز وجل **ومنهم من يومن به** يعني ومن قومك يا محمد من سيؤمن بالقران **ومنهم من لا يومن به** لعلم الله السابق فيه انه لا يومن **وربك اعلم بالمفسدين** يعني الذين لا يومنون

وان كذبوك يعني فان كذبك قومك يا محمد فقل اي فقل لهم لي عملي يعني
الطاعة وجزا ثوابها ولكم عملكم يعني الشرك وجزا عقابه انتم بريون مما
اعمل وانا بري مما تعملون قيل المراد منه الزجر والرجوع وقال مقاتل والكلبي هذه
الاية منسوخة باية السيف قال الامام فخر الدين الرازي وهو بعيد لان
شرط الناسخ ان يكون رافعا لحكم المنسوخ ومدلول الاية اختصاص كل
واحد بافعاله وبثمرات افعاله من الثواب والعقاب واية القتال لم ترفع
شيا من مدلولات هذه الاية فكان النسخ بالقول باطل قوله تعالى ومنهم
يعني ومن هولا المشركين من يستمعون اليك يعني باسماعهم الظاهرة
ولا ينفعهم لشدة بغضهم وعداوتهم لك افانت تسمع الصم اي يعني كما انك
لا تقدر على اسماع الاصم فكذلك لا تقدر على اسماع من اصمه الله سمع قلبه
ولو كانوا لا يعقلون يعني ان الله صرف قلوبهم عن الانتفاع بما يسمعون
ولم يوافقهم ذلك فهم بمنزلة الجهال اذ لم ينتفعوا بما يسمعوا وهم ايضا
كالصم الذين لا يعقلون شيا ولا يفهمونه لعدم التوفيق ومنهم من ينظر اليك
يعني بابصارهم الظاهرة افانت تهدي العمي يريد عمي القلوب ولو كانوا
لا يبصرون لان الله اعمى بصاير قلوبهم فلا يبصرون بها شيا من الهدي وفي هذا
تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل انك لا تقدر ان تسمع
من سلبته السمع ولا تقدر ان تهدي من سلبته البصر ولا تقدر ان توفق
للايمان من حكمت عليه ان لا يومن ان الله لا يظلم الناس شيا ولكن الناس
انفسهم يظلمون قال العلما لما حكم الله عز وجل على اهل الشقوة بالشقاوة
لقضايه وقدره السابق فيهم اخبر في هذه الاية ان تقدير الشقوة عليهم
ما كان ذلك ظلما منه لانه يتصرف في ملكه كيف يشا والخلق كلهم عبيده وكل
من تصرف في ملكه لا يكون ظالما انما قال ولكن الناس انفسهم يظلمون لان
الفعل منسوب اليهم بسبب الكسب وان كان قد سبق قضا الله وقدره
فيهم قوله تعالى ويوم يحشرهم يعني واذكر يا محمد يوم يجمع هولا المشركين
لموقف الحساب واصل الحشر اخراج الجماعة وازعاجهم عن مكانهم يعني كان لم
لم يلبثوا في الدنيا الا قدر ساعة من النهار وقيل معناه كان لم يلبثوا في
قبورهم الا قدر ساعة من النهار والوجه الاول اولى لان حال المومن والكافر
سوا في عدم المعرفة بمقدار دروسهم في القبور الى وقت الحشر فتعين حمله
على امر يختص بحال الكفار وهو انهم لما لم ينتفعوا باعمارهم في الدنيا استقلوها
والمومن لما انتفع بعمره في الدنيا لم يستقله وسبب استقلال الكفار مدة
مقامهم في الدنيا انهم لما ضيعوا اعمارهم في طلب الدنيا والحرص على ما فيها
ولم يعملوا بطاعة الله فيها كان وجود ذلك كالعدم فلذلك استقلوه
وقيل انهم لما شاهدوا الهوال يوم القيامة وطال عليهم ذلك استقلوا

كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار

مدة مقامهم في الدنيا لان مقامهم في الدنيا في جنب مقامهم في الاخرة قليل جدا
يتعارفون بينهم يعني يعرف بعضهم بعضا اذا خرجوا من قبورهم كما كانوا
يتعارفون في الدنيا ثم تنقطع المعرفة بينهم اذا عاينوا اهوال يوم القيامة
وفي بعض الاثار ان الانسان يوم القيامة يعرف من بجنبه ولا يقدر ان يكلمه
هيبة وخشية وقيل ان احوال يوم القيامة مختلفة ففي بعضها يعرف بعضهم
بعضا وفي بعضها ينكر بعضهم بعضا لهول ما يعاينوا في ذلك اليوم قد خسر
الذين كذبوا بلقا الله يعني ان من باع اخرته الباقية بدنياه الفانية
قد خسر لانه اثر الفاني على الباقي وما كانوا مهتدين يعني الى ما يصلحهم وينجيهم
من هذا الخسار قوله تعالى واما نرينك يعني يا محمد بعض الذي نعدهم يعني
ما نعدهم به من العذاب في الدنيا فذاك او نتوفينك قبل ان نريك ذلك
الوعد في الدنيا فانك ستراه في الاخرة وهو قوله فالينا مرجعهم يعني
في الاخرة وفيه دليل على ان الله تعالى يري رسوله صلى الله عليه وسلم انواعا
من عذاب الكافرين وذلهم وخزيهم في حال حياته في الدنيا وقد اراه ذلك في
يوم بدر وغيره من الايام وسيريه ما اعد لهم من العذاب في الاخرة بسبب
كفرهم وتكذيبهم ثم الله شهيد على ما يفعلون فيه وعيد وتهديد لهم يعني
انه تعالى شاهد على افعالهم التي فعلوها في الدنيا فيجازيهم عليها يوم القيامة
قوله عز وجل ولكل امة رسول لما بين الله عز وجل حال محمد صلى الله عليه وسلم
مع قومه بين ان حال الانبيا مع اممهم كذلك فقال تعالى ولكل امة يعني قد
خلت وتقدمت قبلكم رسول يعني مبعوثا اليهم يدعوهم الى الله تعالى والى
طاعته والايمان به فاذا جا رسولهم قضي بينهم بالقسط في هذا الكلام
اضمار تقديره فاذا جا رسولهم وبلغهم ما ارسل به اليهم فكذبه قومه وصدقه
اخرون قضي بينهم بالقسط يعني حكم بينهم بالعدل وفي هذا القضا والحكم
بينهم قولان احدهما انه في الدنيا وذلك ان الله تعالى ارسل الى كل امة رسولا
لتبليغ الرسالة واقامة الحجة وازالة العذر فاذا كذبوا على رسلهم وخالفوا
ما امرهم الله قضي بينهم وبين رسلهم في الدنيا فيهلك الكافرين وينجي
رسوله والمومنين ويكون ذلك عدلا لا ظلما لان قبل مجي الرسول لا يكون
ثوابا ولا عقابا القول الثاني ان وقت القضا في الاخرة وذلك ان الله اذا
جمع الامم يوم القيامة للحساب والقضا بينهم والفصل بين المومن والكافر
والطايع والعاصي جي بالرسل ليشهد عليهم والمراد من ذلك المبالغة في
اظهار العدل وهو قوله تعالى وهم لا يظلمون يعني من جزا اعمالهم شيا
ولكن يجازي كل احد على قدر عمله وقيل معناه انهم لا يعذبون بغير ذنب ولا
يواخذون بغير حجة ولا ينقص من حسناتهم ولا يزاد على سياتهم ويقولون
يعني هولا الكفار متى هذا الوعد يعني الذي تعدنا به يا محمد من نزول العذاب

وقيام الساعة وانما قالوا ذلك على وجه التكذيب والاستبعاد **ان كنتم**
صادقين يعني فيما تعدونا به وانما قالوا ذلك بلفظ الجمع لان كل امة قالت
لرسولها ذلك او يكون المعنى ان كنتم صادقين انت واتباعك يا محمد وذكروه بلفظ
الجمع على سبيل التعظيم **قل** اي قل لهم يا محمد **لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا**
يعني لا املك لنفسي دفع ضر او جلب نفع ولا اقدر على ذلك **الا ما شاء الله**
يعني ان اقدر عليه او املكه والمعنى ان انزال العذاب على الاعداء واظهار النصر
للاولياء وعلم قيام الساعة لا يقدر عليه احد الا الله فتعيين الوقت الى الله
تعالى بحسب مشيئته ثم اذا حضر ذلك الوقت الذي وقته الله لحدوث هذه الاشياء
فانه يحدث لا محالة وهو قوله تعالى **لكل امة اجل** اي مدة مضروبة ووقت معين
اذا جاء اجلهم يعني اذا انقضت مدة اعمارهم **فلا يستاخرون ساعة ولا
يستقدمون** يعني لا يتاخرون عن ذلك الاجل الذي اجل لهم ولا يتقدمونه **قل**
اي قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك **ارايتم ان اتاكم عذابه بياتا**
يعني ليلا يقال بات يفعل كذا اذا فعله بالليل والسبب فيه ان الانسان في الليل
لا يكون الا في البيت غالبا فجعل الله هذا اللفظ كناية عن الليل **او نهارا** يعني في
النهار **ماذا يستعجل منه المجرمون** يعني ما الذي يستعجل من نزول العذاب وقد
وقعوا فيه وحقيقة المعنى انهم كانوا يستعجلون بنزول العذاب كما اخبر الله عنهم
بقوله اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب
اليم فاجابهم الله بقوله ماذا يستعجل منه المجرمون يعني اي شيء يعلم المجرمون
ما يطلبون ويستعجلون كما يقول الرجل لغيره وقد فعل فعلا قبيحا ماذا جنيت
على نفسك **اثم اذا ما وقع** يعني اذا ما نزل العذاب ووقع **امنتم به** يعني
امنتم به بعد نزول العذاب وهو وقت الباس وقيل معناه صدقتم بالعذاب عند
نزوله ودخلت همزة الاستفهام على ثم للتوبيخ والتقريع **الآن** فيه اضمار تقديره
يقال لهم الآن تؤمنون حين وقع العذاب **وقد كنتم به تستعجلون** يعني تكذيبا
واستهزاء **ثم قيل للذين ظلموا** يعني ظلموا انفسهم بسبب شركهم وكفرهم بالله
قوله تعالى **ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون الا بما كنتم تكسبون** يعني في الدنيا
من الاعمال قوله تعالى **ويستنبئونك احق هو** ويستخبرونك يا محمد احق ما تعدنا
به من نزول العذاب وقيام الساعة **قل اي وربي** اي قل لهم يا محمد نعم وربي
انه لحق يعني ان الذي اوعدكم به لحق لا شك فيه **وما انتم بمعجزين** يعني بفائتين
من العذاب لان من عجز عن شيء فقد فاته **ولو ان لكل نفس ظلمت** يعني اشركت **ما
في الارض** يعني من شيء **لافتدت به** يعني يوم القيامة والافتداء بمعنى البدل
بما ينجوا به من العذاب الا انه لا ينفعه الفداء ولا يقبل منه **واسروا الندامة**
يعني يوم القيامة وانما جاء بلفظ الماضي والقيامة من الامور المستقبلة لان احوال
يوم القيامة لما كانت واجبة الوقوع جعل الله مستقبلها كالماضي والاسرار

يكون

يكون بمعنى الاخفاء وبمعنى الاظهار فهو من الاضداد فلهذا اختلفوا في قوله واسروا
الندامة قال ابو عبيدة معناه واظهروا الندامة لان ذلك اليوم ليس يوم
تصبر وتصنع وقيل معناه اخفوا بمعنى اخفى الرؤساء الندامة من الضعفاء والاتباع
خوفا من ملامتهم اياهم وتعييرهم لهم **لما راوا العذاب** يعني حين عاينوا
العذاب وابصروا **وقضي بينهم بالقسط** يعني وحكم بينهم بالعدل قيل بين
المومنين والكافرين وقيل بين الرؤساء والاتباع وقيل بين الكفار لاحتمال
ان بعضهم قد ظلم بعضا فيوخذ للمظلوم من الظالم وهو قوله عز وجل **وهم لا
يظلمون** يعني الحكم لهم وعليهم بان يخفف من عذاب المظلوم ويشدد في عذاب
الظالم **الا ان لله ما في السموات والارض** يعني ان كل شيء في السموات
والارض لله وحده لا يشركه فيه غيره فليس للكافر شيء يفتدي به من عذاب الله
يوم القيامة لان الاشياء كلها لله وهو ايضا ملك لله تعالى فكيف يفتدي
به من هو مملوك لغيره بشيء لا يملكه **الا ان وعد الله حق** يعني ما وعد الله
به على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم من ثواب الطائع وعقاب العاصي حق لا شك
فيه **ولكن اكثرهم لا يعلمون** يعني حقيقة ذلك **هو يحيي ويميت**
يعني الذي يملك ما في السموات والارض قادر على الاحياء والاماتة لا يتعذر
عليه شيء مما اراد **واليه ترجعون** يعني بعد الموت للجزاء قوله تعالى **يا ايها
الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم** قيل اراد بالناس قريشا وقيل هو على العموم
وهو الاصح وهو اختيار الطبري قد جاءتكم موعظة من ربكم يعني القرآن والوعظ
زجر مقترن بتخويف وقال الخليل هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب
وقيل الموعظة الانابة عن ما يدعو الى الصلاح بطريق الرغبة والرهبة والقرآن
داع الى كل خير وصلاح بهذا الطريق **وشفاء لما في الصدور** يعني ان القرآن
دواء وشفاء لما في القلوب من داء الجهل وذلك لان الجهل اضر للقلب من ضرر
المرض للبدن وامراض القلب هي الاخلاق الذميمة والعقائد الفاسدة
والجهالات المهلكة فالقرآن مزيل لهذه الامراض كلها لان فيه المواعظ والزجر
والتخويف والترغيب والترهيب والتحذير والتذكير فهو الدواء والشفاء لهذه
الامراض القلبية وانما خص الصدر بالذكر لانه موضع القلب وغلافه وهو
اعز موضع في بدن الانسان لمكان القلب فيه **وهدى** يعني وهو هدى من
الضلالة **ورحمة للمومنين** يعني ونعمة على المومنين لانهم هم الذين انتفعوا
بالقرآن دون غيرهم **قل بفضل الله وبرحمته** الباء في بفضل الله متعلق بمضمر
استغنى عن ذكره لدلالة ما تقدم عليه وهو قوله قد جاءتكم موعظة من ربكم
والفضل هنا بمعنى الافضال ويكون معنى الاية على هذا يا ايها الناس قد جاءتكم
موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهو القرآن بافضال الله عليكم وبرحمته
بكم وارادته الخير لكم ثم قال تعالى **فبذلك فليفرحوا** اشارة بذلك الى القرآن

لان المراد بالموعظة والشفا القران فترك اللفظ واشار الى المعنى وقيل فبذلك اشارة الى معنى الفضل والرحمة والمعنى فبذلك التطوع والانعام فليفرحوا قال الواحدي الفا في قوله فليفرحوا زايدة كقول الشاعر

وإذا هلكت فعند ذلك فاجزعي

الفا في قوله فاجزعي زايدة وقال صاحب الكشاف في معنى الاية بفضل الله وبرحمته فليفرحوا فبذلك فليفرحوا والتكرير للتاكيد والتقدير ايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوايد الدنيا فحذف احد الفعلين لدلالة المذكور عليه والفا داخلة بمعنى الشرط كانه قيل ان فرحوا بشي فليخصوها بالفرح فانه لا مفروح به احق منهما والفرح لذة في القلب بادراك المحبوب والمشتهى يقال فرحت بكذا اذا ادركت المامول وكذلك اكثر ما يستعمل الفرح في اللذات البدنية الدنيوية واستعمل هنا فيما يرغب فيه من الخيرات ومعنى الاية ليفرح المومنون بفضل الله ورحمته فان ما اتاهم من المواعظ وشفا ما في الصدور وثلج اليقين بالايمان وسكون النفس اليه **هو خير مما يجمعون** اي يعني من متاع الدنيا ولذاتها الفانية هذا مذهب اهل المعاني في هذه الاية واما مذهب المفسرين فغير هذا قال ابن عباس والحسن وقتادة قالوا فضل الله الاسلام ورحمته القران وقال ابو سعيد الخدري فضل الله القران ورحمته ان جعلنا من اهله وقال ابن عمر فضل الله الاسلام ورحمته تزيينه في قلوبنا وقيل فضل الله الاسلام ورحمته الجنة وقيل فضل الله القران ورحمته السنن فعلى هذا الباء في بفضل الله تتعلق بمحذوف تفسيره ما بعده تقديره قل فليفرحوا بفضل الله وبرحمته **قل** اي قل يا محمد لكفار مكة **ارايتم ما انزل الله لكم من رزق** يعني من زرع وضرع وغير ذلك وعبر عما في الارض بالانزال لان جميع ما في الارض من رزق وخير فانما هو من بركات السما **فجعلتم منه** يعني من ذلك الرزق **حراما وحلالا** يعني ما حرموه على انفسهم في الجاهلية من الحرث والانعام كالبحيرة والسايبة والوصيلة والحام قال الضحاك وهو قوله وجعلوا لله مما ذرا من الحرث والانعام نصيبا **قل** اي قل لهم يا محمد **الله اذن لكم** يعني اذن لكم في التحريم والتحليل **ام على الله تفترون** يعني بل انتم على الله تكذبون في ادعايكم ان الله امرنا بهذا **وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة** يعني اذا لقوه يوم القيامة ايحسبون انه لا يواخذهم ولا يجازيهم على اعمالهم وهو استفهام بمعنى التوبيخ والتقريع والوعيد العظيم لمن يفتري على الله الكذب **ان الله لذو فضل على الناس** يعني ببعثة الرسل وانزال الكتب لبيان الحلال والحرام **ولكن اكثرهم لا يشكرون** يعني لا يشكرون الله على ذلك الفضل والاحسان قوله عز وجل **وما تكون في شان وما تتلوا منه من قران** الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وحده والشان الخطب والحال والامر الذي يتفق ويصلح ولا يقال الا فيما

يعظم

يعظم من الاحوال والامور وجمعه الشوون تقول العرب ما شان فلان اي ما حاله والشان اسم اذا كان بمعنى الخطب والحال ويكون مصدرا اذا كان معناه القصد والذي في هذه الاية يجوز ان يكون المراد به الاسم قال ابن عباس قال معناه وما تكون يا محمد في شان ما تريد من اعمال البر وقال الحسن في شان من شان الدنيا وحوايجكم ويجوز ان يكون المراد منه القصد يعني قصد الشي وما تتلوا منه من قران اختلفوا في الضمير في قوله منه الى ما ذا يعود فقيل يعود الى الشان لان تلاوة القران شان من شان رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو اعظم شانه فعلى هذا يكون داخلا تحت قوله وما تكون في شان الا انه تعالى خصه بالذكر لشرفه وعلو مرتبته وقيل انه راجع الى القران لانه قد تقدم ذكره في قوله قل بفضل الله وبرحمته فعلى هذا المعنى يكون وما تتلوا من القران من قران يعني من سورة وشي منه لان لفظ القران يطلق على جميعه وعلى بعضه وقيل الضمير في منه راجع الى الله تعالى والمعنى وما تتلوا من الله من قران نازل عليك واما قوله تعالى **ولا تعملون من عمل** خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وامته داخلون فيه ومرادون به لان من المعلوم انه اذا خوطب رييس قوم وكبيرهم كان القوم داخلين في ذلك الخطاب ويدل عليه قوله ولا تعملون من عمل على صيغة الجمع فدل على انهم داخلون في الخطابين الاولين وقوله تعالى **الا كنا عليكم شهودا** يعني شاهدين عليكم لاعمالكم وذلك لان الله تعالى شاهد على كل شي وعالم بكل شي لانه لا محدث ولا خالق ولا موجد الا الله تعالى فكل ما يدخل في الوجود من احوال العباد واعمالهم الظاهرة والباطنة داخل في علمه وشاهد عليه فقوله تعالى **اذ تفيضون فيه** يعني انه تعالى شاهد عليكم حين تدخلون وتخوضون في ذلك العمل والافاضة الدخول في العمل على جهة الانصباب اليه والانبساط فيه وقال ابن الانباري معناه اذ تدفعون فيه وتنبسطون في ذكره وقيل الافاضة الدفع بكثرة وقال الزجاج او تنتشرون فيه يقال افاض القوم في الحديث اذا انتشروا فيه **وما يعزب عن ربك** يعني وما يبعد وما يغيب عن ربك يا محمد من عمل خلقه شي لانه عالم به وشاهد عليه واصل العزوب البعد يقال منه كلا عازب اذا كان بعيد المطلب **من مثقال ذرة** يعني وزن ذرة والمثقال الوزن والذرة النملة الصغيرة الحمرا وهي صغيرة الوزن جدا **في الارض ولا في السما** فان قلت لم قدم ذكر الارض على السما هنا وقدم ذكر السما على الارض في سورة سبا فما فايدة ذلك قلت كان حق السما ان تقدم على الارض كما في سورة سبا الا انه تعالى ذكر في هذه الاية شهادته على اهل الارض واحوالهم واعمالهم ثم وصل ذلك بقوله وما يعزب عن ربك حسن تقديم الارض على السما في ذلك الموضع لهذه الفايدة **ولا اصغر من ذلك** يعني من الذرة **ولا اكبر**

يعني منها **الا في كتاب مبين** يعني في اللوح المحفوظ قوله عز وجل **الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون** اعلم انا نحتاج اولا في تفسير هذه الاية الى ان نبين من يستحق اسم الولاية ومن هو الولي فنقول اختلف العلما فيمن يستحق هذا الاسم فقال ابن عباس في هذه الاية هم الذين يذكرون الله لرؤيتهم وروي الطبري بسنده عن سعيد بن جبير مرسلا قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اوليا الله من اوليا الله فقال هم الذين اذا راوا ذكر الله وقال ابن زيد هم الذين امنوا وكانوا يتقون ولن يتقبل الايمان الا بالتقوى وقال قوم هم المتحابون في الله ويدل على ذلك ما روى عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من عباد الله لاناسا ما هم بانبيا ولا شهدا يغبطهم الانبيا والشهدا يوم القيامة بمكانتهم عند الله قالوا يا رسول الله تخبرنا من هم قال هم قوم تحابوا في الله على غير ارحام بينهم ولا اموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس وقرا هذه الاية الا ان اوليا الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون اخرجه ابو داود م عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى يوم القيامة اين المتحابون بجلالي اليوم اظلهم في ظلي يوم لا ظل الا ظلي اخرجه مسلم عن معاذ بن جبل قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى المتحابون بجلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهدا اخرجه الترمذي وروى البغوي بسنده عن ابي مالك الاشعري قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان لله عبادا ليسوا بانبيا ولا شهدا يغبطهم النبيون والشهدا بقربهم ومقعدهم من الله يوم القيامة قال وفي ناحية القوم اعرابي فجثى على ركبتيه ورمى بيديه ثم قال حدثنا يا رسول الله من هم قال فرايت في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم البشر فقال هم عباد من عباد الله ومن بلدان شتى وقبائل شتى لم يكن بينهم ارحام يتواصلون بها ولا دنيا يتباذلون بها يتحابون بروح الله يجعل الله وجوههم نورا ويجعل لهم منابر من لولو قدام الرحمن يفزع الناس ولا يفزعون ويخاف الناس ولا يخافون ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى ان اوليائي من عبادي الذين يذكرون بذكري واذكر بذكرهم هكذا ذكره البغوي بغير سند وروى الطبري بسنده عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من عبادي عبادا يغبطهم الانبيا والشهدا قيل من هم يا رسول الله لعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا في الله من غير اموال ولا انساب وجوههم نور على منابر من نور ولا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم قرا الا ان اوليا الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الغبطة نوع من الحسد لان الحسد نوع من الغبطة محمودة والفرق بين الحسد والغبطة ان الحاسد يتمنى زوال ما على المحسود من النعمة ونحوها والغبطة هي ان يتمنى الغابط مثل تلك النعمة التي هي على المغبوط من غير زوال

عنه قال ابو بكر الاصم اوليا الله هم الذين تولى الله هدايتهم وتولوا القيام بحق العبودية لله والدعوة اليه واصل الولي من الولا وهو القرب والنصرة فولي الله هو الذي يتقرب الى الله بكل ما افترض عليه ويكون مشتغلا بالله مستغرق القلب في نور معرفة جلال الله تعالى فان راى راى دلايل قدرة الله وان سمع سمع ايات الله وان نطق نطق بالثنا على الله تعالى وان تحرك تحرك في طاعة الله وان اجتهد اجتهد فيما يقربه الى الله لا يفتر عن ذكر الله ولا يرى بقلبه غير الله فهذه صفة اوليا الله واذا كان العبد كذلك كان الله وليه وناصره ومعينه قال الله تعالى الله ولي الذين امنوا وقال المتكلمون ولي الله من كان اتيا بالاعتقاد الصحيح المبني على الدليل ويكون اتيا بالاعمال الصالحة على وفق ما وردت به الشريعة واليه الاشارة بقوله **الذين امنوا وكانوا يتقون** وهو ان الايمان مبني على جميع الاعتقاد والعمل ومقام التقوى هو ان يتقي العبد ما نهى الله عنه وقوله تعالى لا خوف عليهم يعني في الاخرة اذا خاف غيرهم ولا هم يحزنون يعني على شي فاتهم من نعيم الدنيا ولذاتها قال بعض المحققين زوال الخوف والحزن عنهم انما يحصل لهم في الاخرة لان الدنيا لا تخلو من هم وغم وانكاد وحزن قال بعض العارفين ان الولاية عبارة عن القرب من الله تعالى ودوام الاشتغال بالله واذا كان العبد بهذه الحالة فلا يخاف من شي ولا يحزن على شي لان مقام الولاية والمعرفة منعه من ان يخاف ويحزن واما قوله الذين امنوا وكانوا يتقون فقد تقدم تفسيره وانه صفة لاوليا الله تعالى وقوله تعالى **لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الاخرة** اختلفوا في هذه البشرى فروي عن عبادة بن الصامت قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله لهم البشرى في الحياة الدنيا قال هي الرويا الصالحة يراها المومن او ترى له اخرجه الترمذي وله عن رجل من اهل مصر قال سالت ابا الدردا عن هذه الاية لهم البشرى في الحياة الدنيا فقال ما سالني عنها احد منذ سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم غيرك منذ انزلت هي الرويا الصالحة يراها المسلم او ترى له قال الترمذي حديث حسن خ عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم يبق بعدي من النبوة الا المبشرات قالوا وما المبشرات قال الرويا الصالحة ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا اقترب الزمان لم تكد رويا المومن تكذب ورويا المومن جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة لفظ البخاري ولمسلم اذا اقترب الزمان لم تكد رويا المسلم تكذب واصدقكم رويا اصدقكم حديثا ورويا المسلم جزء من خمسة واربعين جزءا من النبوة والرويا ثلاثة الرويا الصالحة بشرى من الله ورويا تحزين من الشيطان ورويا مما يحدث المرء نفسه قال بعض العلما ووجه هذا القول هو انا اذا حملنا قوله لهم البشرى على الرويا الصالحة الصادقة فظاهر هذا النص يقتضي ان لا تحصل هذه الحالة الا لهم وذلك لان ولي الله هو الذي يكون

مستغرق القلب والروح بذكر الله عز وجل ومن كان كذلك فانه عند النوم لا يبقى في
قلبه غير ذكر الله عز وجل ومعرفته ومن المعلوم ان معرفة الله في القلب لا تفيد
الا الحق والصدق فاذا راى الولي رويا او رويت له كانت تلك الرويا بشرى من الله
عز وجل لهذا الولي قال الخطابي في هذه الاحاديث توكيد لامر الرويا وتحقيق
لمنزلتها وانما كانت جزا من اجزا النبوة في حق الانبيا دون غيرهم وكان الانبيا عليهم
السلام يوحى اليهم في منامهم كما يوحى اليهم في اليقظة قال الخطابي قال بعض العلما
معنى الحديث ان الرويا تاتي على موافقة النبوة لا انها جزء من النبوة قال الخطابي
وغيره في معنى قوله الرويا جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة اقام النبي صلى الله
عليه وسلم في النبوة ثلاثا وعشرين سنة على الصحيح وكان قبل ذلك ستة اشهر
يرى في المنام الوحي فهي جزء من ستة واربعين جزءا وقيل ان المنام لعل ان يكون فيه
اخبار بغيب وهو احدى ثمرات النبوة وهو يسير في جنب النبوة لانه لا يجوز ان يبعث
الله بعد محمد صلى الله عليه وسلم نبيا ليشرع الشرايع ويبين الاحكام ولا يخبر بغيب
ابدا فاذا وقع لاحد في المنام الاخبار بغيب يكون هذا القدر جزءا من النبوة لا انه نبي
واذا وقع كذلك لاحد في المنام يكون صدقا والله اعلم وقيل في تفسير الاية ان المراد
بالبشرى في الحياة الدنيا هي الثنا الحسن وفي الاخرة الجنة ويدل على ذلك
ما روي عن ابي ذر قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ارايت الرجل يعمل
العمل من الخير ويحمده الناس عليه قال تلك عاجل بشرى المومن اخرجه مسلم قال
الشيخ محيي الدين النواوي قال العلما معنى هذه البشرى المعجلة له بالخير وهي دليل
للبشرى المؤخرة في الاخرة بقوله بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الانهار وهذه
البشرى المعجلة دليل على رضى الله تعالى عنه ومحبته له وتحبيبه الى الخلق كما قال ثم
يوضع له القبول في الارض هذا كله اذا حمده الناس من غير تعرض منه لحمدهم والا
فالتعرض مذموم قال بعض المحققين اذا اشتغل العبد بالله عز وجل استنار
قلبه وامتلاه نورا فيفيض من ذلك النور الذي في قلبه على وجهه فيظهر عليه اثار
الخشوع والخضوع فيحبه الناس ويثنون عليه فتلك عاجل بشراه بمحبة الله له
ورضوانه عليه قال الزهري وقتادة في تفسير البشرى هي نزول الملك بالبشارة
من الله عند الموت ويدل عليه قوله تعالى تتنزل عليهم الملايكة الا تخافوا ولا تحزنوا
وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون وقال عطا عن ابن عباس البشرى في الدنيا
عند الموت تاتيهم الملايكة بالبشارة وفي الاخرة عند خروج نفس المومن يعرج
بها الى الله تعالى ويبشره برضوان الله تعالى قال الحسن هي ما بشر الله به المومنين
في كتابه من جنته وكريم ثوابه ويدل عليه قوله **لا تبديل لكلمات الله** يعني
لا خلف لوعد الله الذي وعد اولياءه واهل طاعته في كتابه وعلى السنة رسله
ولا تغيير لذلك الوعد **ذلك هو الفوز العظيم** يعني ما وعدهم به في الاخرة
ولا يحزنك قولهم يعني يقول الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولا يحزنك يا محمد

قول

قول هولا المشركين لك ولا يغمك تخويفهم اياك **ان العزة لله جميعا** يعني ان القهر
والغلبة والقدرة لله جميعا هو المنفرد بها دون غيره وهو ناصرك عليهم والمنتقم
منهم قال سعيد بن المسيب ان العزة لله جميعا فيعز من يشا وهذا كما قال تعالى
في اية ولله العزة ولرسوله وللمومنين ولا منافاة بين الايتين فان عزة الرسول
صلى الله عليه وسلم وعزة المومنين باعزاز الله اياهم فثبت بذلك ان العزة لله
جميعا وهو الذي يعز من يشا ويذل من يشا وقيل ان المشركين كانوا يتعززون
بكثرة اموالهم واولادهم وعبيدهم فاخبر الله ان جميع ذلك لله وفي ملكه وهو قادر
على ان يسلبهم جميع ذلك ويذلهم بعد العز **هو السميع** يعني لاقوالكم
ودعاكم **العليم** يعني بجميع احوالكم لا يخفى عليه خافية قوله تعالى **الا ان لله من
في السموات ومن في الارض** الا كلمة تنبيه معناه انه لا ملك لاحد في السموات
ولا في الارض الا لله عز وجل فهو يملك من في السموات ومن في الارض فان قلت
قال تعالى في الاية التي قبل هذه الا ان لله ما في السموات بلفظة ما وقال في
هذه الاية بلفظة من فما فايدة ذلك **قلت** ان لفظة ما تدل على ما لا يعقل
ولفظة من تدل على من يعقل فمجموع الايتين يدل على ان الله عز وجل يملك جميع
شي في السموات وفي الارض من العقلا وغيرهم وهم عبيده وفي ملكه وقيل
ان لفظة من لمن يعقل فيكون المراد بمن في السموات الملايكة العقلا ومن في
الارض المميزون في ملكه وتحت قدرته فالجمادات بطريق الاولى ان يكون
ملكه اذا ثبت هذا فتكون الاصنام التي يعبدها المشركون ايضا في ملكه
وتحت قبضه وقدرته ويكون ذلك قدحا في جعل الاصنام شركا لله معبودة
دون الله **وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء** لفظة ما استفهامية
معناه واي شي يتبع الذين يدعون من دون الله شركا والمقصود تقبيح فعلهم
يعني انهم ليسوا على شي لانهم يعبدونها على انها شركا لله يشفعون لهم وليس
الامر على ما يظنون وهو قوله عز وجل **ان يتبعون الا الظن** يعني ان فعلهم
ذلك ظنا منهم انها تنفعهم وانها تقربهم الى الله عز وجل وذلك ظنا منهم
لا حقيقة له **وان هم الا يخرصون** يعني انهم يكذبون في دعواهم ذلك قوله تعالى
هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا يعني هو الله ربكم الذي
خلق لكم الليل راحة لتسكنوا فيه وليزول التعب والكلال بالسكون فيه واصل
السكون الثبوت بعد الحركة **والنهار مبصرا** يعني وجعل النهار مضيا لتهتدوا
فيه لحوايجكم واسباب معاشكم اضاف الابصار الى النهار وانما يبصر فيه وليس
النهار مما يبصر ولكن لما كان مفهوما في كلام العرب معناه خاطبهم بلغتهم وما
يفهمونه قال جرير

لقد لمتنا يا ام غيلان في السرى ۝ ونمت وما ليل المطي بنايم

فاضاف النوم الى الليل ووصفه به وانما عنى نفسه وان لم يكن نايما هو ولا بعيره

وهذا من باب نقل الاسم من السبب قال قطرب تقول العرب •
اظلم الليل وابصر النهار • ذا ظلمة وذا ضياء •
يعني صار ذا ظلمة وذا ضياء قوله عز وجل **ان في ذلك لايات لقوم يسمعون** يعني
يسمعون سمع اعتبار وتدبر فيعلمون بذلك ان الذي خلق هذه الاشياء كلها هو
الاله المعبود المنفرد بالوحدانية في الوجود **قالوا** المشركون **اتخذ الله ولدا**
يعني به قولهم الملائكة بنات الله **سبحانه** نزه الله نفسه عن اتخاذ الولد **هو
الغني** يعني انه تعالى هو الغني عن جميع خلقه فكيف يليق بجلاله اتخاذ الولد
وانما يتخذ الولد من هو محتاج اليه والله الغني المطلق وجميع الاشياء محتاجة
اليه وهو غني عنها **له ما في السموات وما في الارض** يعني انه مالك ما في السموات
وما في الارض وكلهم عبيده وفي قبضته وتصرفه وهو محدثه وخالقه ولما نزه الله
تعالى نفسه عن اتخاذ الولد عطف على من قال ذلك بالانكار والتوبيخ والتقريع
فقال تعالى **ان عندكم من سلطان بهذا** يعني انه لا حجة عندكم على هذا القول البتة
ثم بالغ في الانكار عليهم بقوله تعالى **اتقولون على الله ما لا تعلمون** يعني اتقولون
على الله قولا لا تعلمون حقيقته وصحته وتضيفون اليه ما لا يجوز اضافته
اليه جهلا منكم بما تقولون بغير حجة ولا برهان **قل ان الذين يفترون على الله
الكذب** اي قل يا محمد لهؤلاء الذين يختلقون على الله الكذب فيقولون عليه الباطل
ويزعمون ان له ولدا **لا يفلحون** يعني لا يسعدون وان اغتروا بطول السلامة
في البقاء في النعمة والمعنى ان قائل هذا القول لا ينجح في سعيه ولا يفوز بمطلوبه
بل خاب وخسر قال الزجاج هذا وقف تام يعني على قوله لا يفلحون ثم ابتدا فقال
تعالى **متاع في الدنيا** وفيه اضمار تقديره لهم متاع في الدنيا يتمتعون به مدة
اعمارهم وانقضاء اجالهم في الدنيا وهي ايام يسيرة بالنسبة الى طول مقامهم
في العذاب وهو قوله تعالى **ثم الينا مرجعهم** يعني بعد الموت **ثم نذيقهم العذاب
الشديد بما كانوا يكفرون** يعني ذلك العذاب بسبب ما كانوا يجحدون في الدنيا نعم الله
عليهم ويصفونه بما لا يليق بجلاله قوله تعالى **واتل عليهم نبا نوح** لما ذكر الله
سبحانه وتعالى في هذه السورة احوال كفار قريش وما كانوا عليه من الكفر والعناد
شرع بعد ذلك في بيان قصص الانبياء وما جرى لهم مع اممهم ليكون لرسول الله
صلى الله عليه وسلم في ذلك اسوة بمن سلف من الانبياء وتسلية له ليخف عليه
ما يلقى من اذى قومه اذا سمعوا هذه القصص وما جرى لكفار الامم الماضية
من العذاب والهلاك في الدنيا كان ذلك سببا لخوف قلوبهم وداعيا لهم الى الايمان
ولما كان قوم نوح اول الامم هلاكا واعظم كفرا وجحودا فذكر الله قصتهم
وانه اهلكهم بالغرق ليصير ذلك موعظة وعبرة لكفار قريش فقال تعالى
واتل عليهم نبا نوح يعني واقرا على قومك يا محمد خبر نوح **اذ قال لقومه يا قوم**
وهم بنو قابيل **ان كان كبر** يعني ثقل **عليكم مقامي** يعني فيكم **وتذكيري**

بايات الله يعني ووعظي اياكم بايات الله وقيل معناه ان كان كبر وشق عليكم
طول مقامي فيكم وذلك انه عليه السلام اقام فيهم الف سنة الا خمسين عاما
يدعوهم الى الله تعالى ويذكرهم بايات الله وهو قوله وتذكيري بايات الله
يعني ووعظي بايات الله وحججه وبيناته فعزمتم على قتلي وطردي **فعلى الله
توكلت** يعني فهو حسبي وثقتي **فاجمعوا امركم** يعني فاحكموا امركم واعزموا
عليه قال الفراء الاعداد والعزيمة على الامر قال ابن الانباري المراد من الامر هنا
وجوه كيدهم ومكرهم فالتقدير لا تدعوا من امركم شيئا الا احضرتموه **وشركاءكم**
يعني وادعوا شركاءكم يعني الهتكم فاستعينوا بها لتجتمع معكم وتعينكم على مطلوبكم
وانما حثهم على الاستعانة بالاصنام بناء على مذهبهم واعتقادهم انها تضر
وتنفع مع اعتقاده انها جماد ولا تضر ولا تنفع فهو كالتبكيت والتوبيخ لهم **ثم
لا يكن امركم عليكم غمة** يعني لا يكن امركم خفيا مبهما ولكن ليكن امركم ظاهرا
منكشفا من قولهم غم الهلال فهو مغموم اذا خفي والتبس على الناس **ثم اقضوا
الي** ثم امضوا الي بما في انفسكم من مكروه وما توعدوني به من قتل وطرد
وافرغوا منه تقول العرب قضى فلان اذا مات ومضى وقيل معناه ثم افضوا
ما انتم قاضون **ولا تنظرون** اي ولا تؤخرون ولا تمهلون بعد اعلامكم اياي
ما انتم عليه وهذا الكلام من نوح عليه السلام على سبيل التعجيز لهم اخبر الله
عز وجل عن نوح عليه السلام انه كان قد بلغ الغاية في التوكل على الله وانه
كان واثقا بنصره اياه غير خائف من كيدهم علما منه بانهم والهتهم ليس لهم نفع ولا
ضر وان مكرهم لا يصل اليه **فان توليتم** يعني اعرضتم عن قولي وقبول نصحي **فما
سالتكم من اجر** يعني من جعل وعوض على تبليغ الرسالة فاذا لم آخذ على تبليغ
الدعوة الى الله شيئا كان اقوى تاثيرا في النفس **ان اجري الا على الله** يعني ما ثوابي
وجزائي على تبليغ الرسالة الا على الله **وامرت ان اكون من المسلمين** يعني
اني امرت بدين الاسلام وانا ماض فيه غير تارك له سواء قبلتموه او لم تقبلوه
وقيل معناه وامرت ان اكون من المستسلمين لامر الله ولكل مكروه يصل
الي منكم لاجل هذه الدعوة قوله تعالى **فكذبوه** يعني فكذبوا نوحا عليه السلام
فنجيناه ومن معه في الفلك يعني في السفينة **وجعلناهم خلائف** يعني
وجعلنا الذين نجيناهم معه في الفلك سكان الارض بعد الهالكين **واغرقنا
الذين كذبوا باياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين** اي فانظر يا محمد او يا ايها الانسان
كيف كان اخر امر من انذرتهم الرسل فلم يؤمنوا ولم يقبلوا ذلك **ثم بعثنا
من بعده** يعني من بعد نوح **رسلا الى قومهم** لم يسم هنا من كان بعد
نوح من الرسل وقد كان بعد نوح هود وصالح وغيرهما من الرسل **فجاؤوهم
بالبينات** يعني بالدلالات الواضحات والمعجزات الباهرات التي تدل على
صدقهم **فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل** يعني ان هؤلاء الاقوام والامم

التي جاءتهم الرسل جروا على منهاج قوم نوح في التكذيب ولم يزجرهم ما جاءتهم به
الرسل ولم يرجعوا عما هم فيه من الكفر والتكذيب كذلك نطبع على قلوب المعتدين
يعني كمثل اغراقنا قوم نوح بسبب تكذيبهم نوحًا كذلك نختم على قلوب من اعتدى
برسله سبيلهم في التكذيب قوله عز وجل ثم بعثنا من بعدهم اي من بعد الرسل
موسى وهارون الى فرعون وملايه يعني اشراف قومه باياتنا فاستكبروا
يعني عن الايمان بما جاء به موسى وهارون وكانوا قومًا مجرمين اي يعني مستكسبين
للاثم فلما جاءهم الحق من عندنا يعني فلما جاء فرعون وقومه الحق الذي جاء
به موسى من عند الله قالوا ان هذا لسحر مبين يعني ان الذي جاء به موسى سحر
مبين يعرفه كل احد قال موسى اتقولون للحق لما جاءكم اسحر هذا فيه حذف
تقديره اتقولون للحق لما جاءكم هو سحر اسحر هذا فحذف السحر الاول اكتفا بدلالة
الكلام عليه ثم قال اسحر هذا وهو استفهام على سبيل الانكار يعني انه ليس بسحر
ثم احتج على صحة قوله فقال تعالى ولا يفلح الساحرون يعني حاصل السحر تمويه
وتخييل وصاحب ذلك لا يفلح ابدًا قالوا يعني قال قوم فرعون لموسى اجئتنا
لتلفتنا يعني لتصرفنا وتلوينا عما وجدنا عليه اباءنا يعني من الدين وتكون
لكما الكبرياء يعني الملك والسلطنة في الارض يعني ارض مصر والخطاب لموسى
وهارون قال الزجاج سمي الملك كبرياء لانه اكبر ما يطلب من امر الدنيا وما نحن
لكما بمومنين يعني بمصدقين وقال فرعون ايتوني بكل ساحر عليم يعني
ان فرعون اراد ان يعارض معجزة موسى عليه السلام بانواع من التلبيس ليظهر
ان ما اتى به موسى سحر فلما جاء السحرة قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون انما امرهم
موسى بالقاء ما معهم من الحبال والعصي ليرى فيها سحرهم ليظهر الحق ويبطل الباطل
ويتبين ان ما اتوا به فاسد فلما القوا يعني ما معهم من الحبال والعصي قال
موسى ما جئتم به السحر يعني الذي جئتم به هو السحر الباطل وهذا على سبيل
التوبيخ لهم ان الله سيبطله يعني يهلكه ويظهر فضيحة صاحبه ان الله لا يصلح
عمل المفسدين يعني لا يقويه ولا يحسنه ويحق الله الحق يعني ويظهر الله
الحق ويقويه ويعليه بكلماته يعني بوعده الصادق لموسى انه يظهره وقيل بما
سبق من قضايه وقدره لموسى انه يغلب السحرة ولو كره المجرمون قوله تعالى
فما امن لموسى الا ذرية من قومه لما ذكر الله عز وجل ما اتى به موسى من المعجزات
العظيمة الباهرة اخبر الله تعالى انه مع مشاهدته هذه المعجزات ما امن لموسى الا
ذرية من قومه وانما ذكر الله هذا تسلية لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم لانه كان
كثير الاهتمام بايمان قومه وكان يغتم بسبب اعراضهم عن الايمان به واستمرارهم
على الكفر والتكذيب فبين الله تعالى ان له اسوة بالانبيا عليهم السلام لان الذي
جاء به موسى عليه السلام من المعجزات كان امرًا عظيمًا ومع ذلك فما امن لموسى الا
ذرية من قومه والذرية اسم يقع على القليل من القوم قال ابن عباس الذرية

القليل

القليل وقيل المراد به التصغير وقلة العدد واختلفوا في هاء الكناية في قومه
فقيل انها راجعة الى موسى واراد بهم قوم موسى وهم بنو اسرايل الذين كانوا
بمصر من اولاد يعقوب قال مجاهد هم اولاد يعقوب الذي ارسل اليهم موسى
من بني اسرايل هلك الاباء وبقي الابناء وقيل هم قوم نجوا من قتل فرعون وذلك
ان فرعون لما امر بقتل ابناء بني اسرايل كانت المراة في بني اسرايل اذا ولدت ولدا
وهبته لقبطية خوفا عليه من القتل فنشا وا بين القبط فلما كان اليوم الذي
غلب فيه موسى السحرة امنوا به وقال ابن عباس ذرية من قومه يعني من بني
اسرايل وقيل انها راجعة الى فرعون يعني الا ذرية من قوم فرعون وروى
عطية عن ابن عباس قال هم ناس يسير من قوم فرعون امنوا منهم امراة فرعون
ومومن ال فرعون وخازنه وامراة خازنه وماشطته قال الفرا سموا ذرية
لان اباءهم كانوا من القبط من ال فرعون وامهاتهم من بني اسرايل وكان الرجل
يتبع امه واخواله في الايمان وذلك كما يقال لاولاد فارس الذين دخلوا
اليمن الابنا لان امهاتهم من غير جنس الابا على خوف من فرعون وملايهم
الملا الاشراف فعلى هذا يكون معنى الاية على خوف من فرعون ومن اشرافهم
وهم ملا الذرية لانه كان ابناؤهم من القبط وامهاتهم من قبل بني اسرايل واراد
بالملا ملا فرعون وانما قال وملايهم بالجمع وفرعون واحد على سبيل
التعظيم له ان يفتنهم اي يصرفهم ويبعدهم عن الايمان وانما قال ان
يفتنهم ولم يقل ان يفتنوهم لان قوم فرعون كانوا على مراده وتابعين لامره
وان فرعون لعال في الارض يعني لغالب قهار متكبر فيها وانه لمن المسرفين
يعني من المجاوزين الحد لانه كان عبدًا فادعى الربوبية وكان كثير القتل والتعذيب
لبني اسرايل وقال موسى يعني لقومه يا قوم ان كنتم امنتم بالله فعليه
توكلوا يعني فيه فاثقوا ولامره فسلموا فانه ناصر اوليايه ومهلك اعدايه
ان كنتم مسلمين يعني ان كنتم مستسلمين لامره وقيل انما اعيد قوله ان كنتم
مسلمين بعد قوله ان كنتم امنتم بالله يعني ان كنتم موصوفين بالايمان القلبي
وبالاسلام الظاهر ودلت الاية على ان التوكل على الله والتفويض لامره من
كمال الايمان وان من كان يومن بالله فلا يتوكل الا على الله لا على غيره فقالوا
يعني قال قوم موسى مجيبين له على الله توكلنا يعني عليه اعتمدنا لا على غيره
ثم دعوا ربهم فقالوا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين يعني لا تظهرهم
علينا ولا تهلكنا بذنوبهم فيظنوا انا لم نكن على الحق فيزدادوا طغيانا
وكفرًا وقال مجاهد لا تعذبنا بعذاب من عندك فيقول قوم فرعون لو كانوا
على حق لما عذبوا ويظنوا انهم خير منا فيفتنوا بذلك وقيل معناه لا تسلطهم
علينا فيفتنونا ونجنا برحمتك من القوم الكافرين يعني وخلصنا برحمتك
من ايدي قوم فرعون الكافرين لانهم كانوا يستعبدونهم ويستعملونهم في

في الاعمال الشاقة قوله عز وجل **واوحينا الى موسى واخيه ان تبوآ لقومكما**
بمصر بيوتا يعني اتخذا لقومكما بيوتا للصلاة فيها يقال تبوا فلان لنفسه
بيتا اذا اتخذ مباتا اي وطنا والمعنى اجعلا بمصر لقومكما بيوتا ترجعون اليها
للصلاة والعبادة قوله تعالى **واجعلوا بيوتكم قبلة** اختلف اهل التفسير
في معنى هذه الاية البيوت والقبلة فمنهم من قال المراد بالبيوت المساجد التي تصلى
فيها وفسروا القبلة بالجانب الذي يستقبل في الصلاة فعلى هذا يكون معنى الكلام
واجعلوا بيوتكم مساجد تستقبلونها لاجل الصلاة وقيل معناه اجعلوا بيوتكم
الى القبلة واختلفوا في هذه القبلة وظاهر القران لا يدل على تعيينها الا انه
قد نقل عن ابن عباس انه قال كانت الكعبة قبلة لموسى وهارون وهو قول
مجاهد ايضا قال ابن عباس قالت بنوا اسرايل لموسى لا نستطيع ان نظهر صلاتنا
مع الفراعنة فاذن الله لهم ان يصلوا في بيوتهم وان يجعلوا بيوتهم قبل القبلة
وقيل كانت القبلة الى جهة بيت المقدس وقيل اراد مطلق البيوت وعلى هذا
يكون معنى قوله واجعلوا بيوتكم قبلة اي مقابلة يعني يقابل بعضها بعضا وقيل
معناه واجعلوا في بيوتكم قبلة تصلون اليها فان قلت انه تعالى قد خص موسى
وهارون بالخطاب في اول الاية بقوله واوحينا الى موسى واخيه ان تبوآ لقومكما
بمصر بيوتا ثم انه عمم الخطاب فقال واجعلوا بيوتكم قبلة فما السبب فيه
قلت انه تعالى امر موسى بهذا الخطاب وهارون بان يتبوآ لقومكما
بيوتا للعبادة وذلك مما يختص به الانبيا فخصا بالخطاب كذلك ثم لما كانت
العبادة عامة يجب على الكافة عمم الخطاب للجميع فقال واجعلوا بيوتكم قبلة
واقيموا الصلاة يعني في بيوتكم وذلك حين خاف موسى ومن امن معه من بني اسرايل
من فرعون وقومه اذا صلوا في الكنايس والبيع الجامعة لبيوتهم فامرهم الله
ان يصلوا في بيوتهم خيفة من فرعون وقومه وقيل كانت بنوا اسرايل لا يصلون
الا في الكنايس الجامعة وكانت ظاهرة فلما ارسل موسى امر فرعون بتخريب
تلك الكنايس ومنعهم من الصلاة فيها فامروا ان يتخذوا في بيوتهم مساجد
ويصلوا فيها خوفا من فرعون وقيل ان الله لما ارسل موسى وهارون واظهرهما على
فرعون امرهما باتخاذ المساجد ظاهرة على رغم الاعدا وتكفل الله لهم بصونهم عن شرهم
وهو قوله تعالى واقيموا الصلاة **وبشر المؤمنين** يعني انهم لا يصلون اليهم بمكروه
قوله تعالى **وقال موسى ربنا انك اتيت فرعون وملاه زينة واموالا في الحياة الدنيا**
لما اتى موسى عليه السلام بالمعجزات الباهرات وراى القوم مصرين على الكفر
والعناد والانكار لما جاء به اخذ في الدعا عليهم ومن حق من يدعو على الغير
ان يذكر اولا سبب اقدامهم على الجرايم التي كانت بسبب اصراره على ما يوجب
الدعا عليه ولما كان سبب كفرهم وعنادهم هو حب الدنيا وزينتها لا جرم
ان موسى لما اخذ في الدعا قدم هذه المقدمة فقال ربنا انك اتيت فرعون وملاه

زينة واموالا في الحياة الدنيا والزينة عبارة عما يتزين به كاللباس والدواب والغلمان
واثاث البيت التفاخر والاشيا الجميلة والمال ما زاد على هذه الاشيا من الصامت
ونحوه ثم قال **ربنا ليضلوا عن سبيلك** اختلفوا في هذه اللام فقال الفرا هي
كي فعلى هذا يكون المعنى ربنا انك جعلت هذه الاموال سببا لضلالتهم لانهم بطروا
وطغوا في الارض واستكبروا عن الايمان وقال الاخفش انما هي لام العاقبة
الامر والمعنى انك اتيت فرعون وملاه زينة فضلوا فعلى هذا انها لام العاقبة
يعني فكان عاقبتهم الضلال وقال ابن الانباري هي لام الدعا وهي لام مكسورة
وتجزم المستقبل ويفتتح بها الكلام فيكون المعنى ربنا انك ابتليتهم بالضلال
عن سبيلك **ربنا اطمس على اموالهم** الطمس ازالة اثر الشي بالمحو ومعنى
الطمس على اموالهم ازل صورها وهياتها وقال مجاهد اهلكها وقال اكثر المفسرين
امسخها وغيرها عن هياتها قال مجاهد اهلكها قال قتادة بلغنا ان اموالهم وحروثهم
وزروعهم وجواهرهم صارت حجارة وقال محمد بن كعب القرظي صار سكرهم حجارة
وكان الرجل مع اهله في فراشه فصارا حجرين والمراة قايمة تخبز صارت حجرا وهذا
فيه ضعف لان موسى عليه السلام دعا على اموالهم ولم يدع على انفسهم بالمسخ
قال ابن عباس بلغنا ان الدراهم والدنانير صارت حجارة منقوشة وهي حجارة
كهيئتها صحاحا وانصافا واثلاثا وقيل ان عمر بن عبد العزيز دعا بخريطة فيها شي من
بقايا ال فرعون فاخرج منها البيضة مشقوقة وهي حجارة والجوزة مشقوقة
وهي حجارة وقال السدي مسخ الله اموالهم حجارة والنخل والثمار والدقيق
والاطعمة وهذا الطمس هو احد الايات التسع التي اوتيها موسى عليه السلام
واشدد على قلوبهم يعني اربط على قلوبهم واطبع عليها وقسها حتى لا تلين ولا
تنشرح للايمان ومعنى الشد على القلوب الاستيثاق منها حتى لا يدخلها الايمان
قال الواحدي وهذا دليل على ان الله يفعل ذلك لمن يشا ولولا ذلك لما جسر
موسى عليه السلام على هذا السوال **فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم**
يعني الغرق قاله ابن عباس وقال ابن عباس في رواية اخرى عنه قال موسى قبل
ان ياتي فرعون ربنا اشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم
فاستجاب الله له فحال بين فرعون وبين الايمان حتى ادركه الغرق فلم ينفعه
الايمان قال بعض العلما انما دعا موسى عليهم بهذا الدعا لما علم ان سابق قضا الله
وقدره فيهم انهم لا يؤمنون وذلك ان الله كتب عليهم في الازل فوافق دعا
موسى ما قدره وقضى عليهم قال الله عز وجل لموسى وهارون عليهما السلام
قد اجيبت دعوتكما انما نسب الدعا اليهما وان الداعي هو موسى وحده لان هارون
عليه السلام كان يؤمن والتامين دعا لانه طلب وسوال ايضا ومعناه اللهم
استجب فصار بذلك شريك موسى في الدعا فلذلك **قال تعالى قد اجيبت**
دعوتكما فاستقيما يعني على تبليغ الرسالة وامضيا لامري الى ان ياتيهم العذاب

ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون يعني ولا تسلكان طريق الذين يجهلون حقيقة
وعدي فان وعدي لا خلف فيه ووعيدي نازل بفرعون وقومه فلا تستعجلا
قيل كان بين دعا موسى عليه السلام وبين الاجابة اربعين سنة قال الامام
فخر الدين واعلم ان هذا النهي لا يدل على ان ذلك قد صدر من موسى وهارون كما
ان قوله لئن اشركت ليحبطن عملك لا يدل على صدور الشرك منه قوله عز وجل
وجاوزنا ببني اسرائيل البحر اي وقطعنا ببني اسرايل البحر وعبرنا بهم اياه حتى
جاوزوه وعبروه فاتبعهم فرعون وجنوده يعني لحقهم وادركهم بغيا وعدوا اي
ظلما وعدوانا وقيل البغي ظلما طلب الاستعلا بغير الحق والعدوان الظلم وقيل
بغيا في القول وعدوا في الفعل وقال اهل التفسير اجتمع يعقوب وبنوه
الى يوسف وهم اثنان وسبعون وخرجوا مع موسى من مصر وهم ستماية الف
وذلك لما اجاب الله دعا موسى وهارون امرهما بالخروج ببني اسرايل من مصر
في الوقت الذي امره ان يخرج فيه ويسر لهم اسباب الخروج وكان فرعون غافلا
عنهم فلما سمع بخروجهم من مملكته ومفارقته خرج بجنوده في طلبهم فلما ادركهم
فرعون قالوا لموسى اين المخلص والمخرج البحر امامنا وفرعون اتانا من ورائنا وقد
كنا نلقى من فرعون البلا العظيم فاوحى الله الى موسى ان اضرب بعصاك البحر
فضربه فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وكشف الله عن وجه الارض
وايبسه لهم البحر فلحقهم فرعون وكان على حصان ادهم وكان معه في عسكره ثمان
مائة الف حصان على لون حصانه سوى ساير الالوان وكان يقدمهم جبريل وكان
على فرس انثى وديق وميكايل يسوقهم حتى لا يشذ منهم احد فلما خرج اخر بني اسرايل
من البحر دنا جبريل بفرسه فلما وجد الحصان ريح الانثى لم يملك فرعون من امره
شيا فنزل البحر وتبعه جنوده حتى اكتملوا جميعا في البحر وهم اولهم بالخروج انطم
البحر عليهم فلما ادرك فرعون الغرق اتى بكلمة الاخلاص ظنا منه انه ينجيه من
الهلاك وهو قوله تعالى حتى اذا ادركه الغرق قال امنت انه لا اله الا الذي
امنت به بنوا اسرايل وانا من المسلمين قال ابن عباس لم يقبل الله ايمانه عند نزول
العذاب وقد كان في مهل قال العلما ايمانه غير مقبول وذلك ان الايمان والتوبة
عند معاينة الملايكة والعذاب غير مقبول ويدل عليه قوله تعالى فلم يك ينفعهم
ايمانهم لما راوا باسنا وقيل انه قال هذه الكلمة ليتوصل بها الى دفع ما نزل به
من البلية الحاضرة ولم يكن قصده بها الاقرار بوحدانية الله تعالى والاعتراف
له بالربوبية لاجرم لم ينفعه ما قال في ذلك الوقت وقيل ان فرعون كان
من الدهرية المنكرين لوجود الصانع الخالق سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا
فلهذا قال امنت انه لا اله الا الذي امنت به بنوا اسرايل فلم ينفعه ذلك
لحصول الشك في ايمانه ولما رجع فرعون الى الايمان والتوبة حتى اغلق بابها
بحضور الموت ومعاينة الملايكة قيل له الان وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين

يعني الان تتوب وقد اضعت التوبة في وقتها واثرت دنياك الفانية على اخرتك
الباقية والمخاطب لفرعون بهذا هو جبريل عليه السلام وقيل انها الملايكة وقيل
ان القايل هو الله تعالى غرق فرعون فبح صنعه وما كان عليه من الفساد في الارض
ويدل على هذا القول قوله فاليوم ننجيك ببدنك والقول الاول اشهر ويعضد
هذا القول ما روي عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما اغرق
الله فرعون وجنوده قال فرعون امنت انه لا اله الا الذي امنت به بنوا اسرايل
قال جبريل يا محمد فلو رايتني وانا اخذ من خبال البحر فادسه في فيه مخافة ان تدركه
الرحمة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن وفي رواية اخرى عنه عن عدي بن
ثابت وعطا بن السايب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ذكر احدهما عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه ذكر ان جبريل جعل يدس في في فرعون الطين خشية ان يقول لا اله
الا الله فيرحمه الله او خشية ان يرحمه الله اخرجه الترمذي وقال حديث
حسن صحيح فصل في الكلام على صحة الحديث لانه في الظاهر مشكل
فيحتاج الى بيان وايضاح فنقول قد ورد هذا الحديث على طريقين مختلفين
عن ابن عباس ففي الطريق الاول علي بن زيد بن جدعان وان كان قد ضعفه يحيى بن
معين وغيره فانه كان شيخا نبيلا صدوقا ولكنه كان سيئ الحفظ ويغلط وقد
احتمل الناس حديثه وانما يخشى من حديثه ما لم يتابع عليه وخالفه فيه الثقات
وكلاهما متفق في هذا الحديث لان الطريق الاخر شعبة عن عدي بن ثابت عن سعيد
ابن جبير وهذا الاسناد على شرط البخاري ورواه ايضا شعبة عن عطا بن السايب
عن سعيد بن جبير وعطا بن السايب ثقة قد اخرج له مسلم فهو على شرط مسلم
وان كان عطا قد تكلم فيه من قبل اختلاطه فانما يخاف منه ما انفرد به او يخالف
فيه وكلاهما متفق فيه فقد علم بهذا ان لهذا الحديث اصلا وان رواته ثقات ليس
فيهم متهم وان كان فيهم من هو سيئ الحفظ فقد تابعه عليه غيره فان قلت ففي الحديث
الثاني شك في رفعه لانه قال فيه ذكر احدهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قلت
ليس بشك في رفعه انما هو جزم بان احد الرجلين رفعه وشك شعبة في تعيينه
هل هو عطا بن السايب او عدي بن ثابت وكلاهما ثقة فاذا رفعه احدهما وشك في
تعيينه لم يكن هذا علة في الحديث وقوله من خبال البحر اي من طين البحر كما في الرواية
الاخرى فصل ووجه اشكال ما اعترض عليه الامام فخر الدين
الرازي في تفسيره فقال ان جبريل اخذ يملا فمه بالطين لئلا يتوب غضبا عليه
الجواب الاقرب انه لا يصح لانه في تلك الحال اما التكليف هل كان باقيا او لا
فان كان باقيا لم يجز لجبريل ان يمنعه من التوبة بل يجب عليه ان يعينه على
التوبة وان كان التكليف زايلا عن فرعون في ذلك الوقت فحينئذ لا يبقى
لهذا الذي نسب الى جبريل فايدة وايضا لو منعه من التوبة لكان قد رضي
ببقايه على الكفر والرضى بالكفر كفر وايضا فكيف يليق بجلال الله ان يامر جبريل

ان يمنعه من الايمان وقيل ان جبريل فعل ذلك من عند نفسه لا لامر الله فهذا يبطله
قول جبريل وما نتنزل الا بامر ربك فهذا وجه الاشكال الذي اورده الامام
على هذا الحديث في كلام اكثر من هذا والجواب عن هذا الاعتراض ان الحديث قد ثبت
عن النبي صلى الله عليه وسلم فلا اعتراض عليه لاحد واما قول الامام ان التكليف هل
كان باقيا في تلك الحالة او لا فان كان باقيا في تلك الحالة او لا فان كان باقيا لم
يجز لجبريل ان يمنعه من التوبة فان هذا القول لا يستقيم على اصل المثبتين
للقدر القايلين بخلق الافعال وان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء وهذا قول
اهل السنة المثبتين للقدر فانهم يقولون ان الله يحول بين الكفار والايمان ويدل
على ذلك قوله تعالى ان الله يحول بين المرء وقلبه وقوله وقالوا قلوبنا غلف بل طبع
الله عليها بكفرهم وقال تعالى ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة
وهكذا فعل بفرعون منعه من الايمان عند نزول الموت جزاء على تركه الايمان اولا
فدس الطين في فم فرعون من جنس الختم والطبع على القلب ومنع الايمان وصون
الكافر عنه وذلك جزاء على كفره السابق وهذا قول طايفة من المثبتين للقدر القايلين
بخلق الافعال لله ومن المنكرين لخلق الافعال من اعترف ايضا بان الله تعالى يفعل
هذا عقوبة للعبد على كفره السابق فيحسن منه ان يضله ويطبع على قلبه ويمنعه
من الايمان فاما قصة جبريل عليه السلام مع فرعون فانها من هذا الباب فانه
غاية ما يقال فيه ان الله منع فرعون من الايمان وحال بينه وبينه عقوبة له على كفره
ورده للايمان لما جاءه واما فعل جبريل من دس الطين في فيه فانما فعل ذلك بامر الله
تعالى لا من تلقاء نفسه فاما قول الامام لم يجز لجبريل ان يمنعه من التوبة بل يجب
عليه ان يعينه عليها وعلى كل طاعة هذا اذا كان تكليف جبريل كتكليفنا ويجب عليه
ما يجب علينا واما اذا كان جبريل انما يفعل ما امره الله تعالى به فهو الذي منع فرعون
من الايمان وجبريل منفذ لامر الله فكيف لا يجوز له منع من منعه الله من التوبة
وكيف يجب عليه اعانة من لم يعنه الله بل قد حكم عليه واخبر عنه انه لا يؤمن حتى
يرى العذاب الاليم حين لا ينفعه الايمان وقد يقال ان جبريل اما ان يتصرف بامر الله
فلا يفعل الا ما امره الله به واما ان يفعل ما يشاء من تلقاء نفسه لا بامر الله وعلى
هذين التقديرين فلا يجب عليه اعانة فرعون على التوبة ولا يحرم عليه منعه
منها لانه انما يجب عليه فعل ما امر به ويحرم عليه فعل ما نهي عنه والله تعالى لم يخبر
انه امره باعانة فرعون ولا حرم عليه منعه من التوبة وليست الملايكة مكلفين
كتكليفنا وقوله وان كان التكليف زايلا عن فرعون في ذلك الوقت فحينئذ لا
يبقى لهذا الذي نسب الى جبريل فايدة فجوابه ان يقال ان للناس في تعليل افعال
الله قولان احدهما ان افعاله تعالى لها غاية بحسب المصالح لاجلها فعلها وكذا
اوامره ونواهيه لها غاية محمودة محبوبة لاجلها امر بها ونهى عنها وعلى هذا التقدير
فقد يقال لما قال فرعون امنت انه لا اله الا الذي امنت به بنوا اسرايل وقد علم

جبريل

جبريل انه ممن حقت عليه كلمة العذاب وان ايمانه لا ينفعه فدس الطين في فيه لتحقق
معاينته للموت فلا تكون تلك الكلمة نافعة له وانه وان كان قالها في وقت لا
ينفعه فدس الطين في فيه تحقيقا لهذا المنع والفايدة فيه تعجيل ما قد قضي عليه
وسد الباب عنه سدا محكما بحيث لا ينفع ولا يبقى للرحمة فيه منفذ ولا يبقى من عمره
زمن يتسع للايمان فان موسى لما دعا ربه بان فرعون لا يؤمن حتى يرى العذاب
الاليم والايمان عند رؤية العذاب غير نافع فاجاب الله دعاءه فلما قال فرعون
تلك الكلمة عند معاينة الغرق استعجل جبريل فدس الطين في فيه لييأس من الحياة
ولا ينفعه تلك الكلمة وتتحقق اجابة تلك الدعوة التي وعد الله موسى بقوله قد
اجيبت دعوتكما فيكون سعي جبريل في تكميل ما سبق في حكم الله انه يفعله فيكون
سعي جبريل في مرضات الله منفذا لما امر به وقدره وقضاه على فرعون وقوله
لو منعه من التوبة لكان قد رضي ببقائه على الكفر والرضى بالكفر كفر فجوابه ما تقدم
ان الله يفعل ما يشاء يضل من يشاء ويهدي من يشاء وجبريل انما يتصرف بامر الله لا
يفعل الا ما امر الله به واذا كان جبريل قد فعل ما امره الله به ونفذه فانما رضي
بالامر لا بالمامور به فاي كفر يكون هنا وايضا فان الرضى بالكفر انما يكون كفرا في
حقنا لانا مامورون بازالته بحسب الامكان فاذا اقررنا الكافر على كفره ورضينا
به كان كفرا في حقنا لمخالفتنا ما امرنا به واما من ليس مامورا كامرنا ولا مكلفا
كتكليفنا بل يفعل ما يامره به ربه فاذا نفذ ما امره به لم يكن رضي بالكفر ولا يكون
كفرا في حقه وعلى هذا التقدير فان جبريل لما دس الطين في في فرعون كان ساخطا
لكفره غير راض به والله تعالى خالق افعال العباد خيرها وشرها وهو غير راض بالكفر
فغاية امر جبريل مع فرعون ان يكون منفذا لقضاء الله وقدره في فرعون من الكفر
وهو ساخط له غير راض به وقوله كيف يليق بجلال الله ان يامر جبريل بان يمنعه
من الايمان فجوابه ان الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يسال عما يفعل فقوله
وان قيل ان جبريل انما فعل ذلك من عند نفسه لا بامر الله فجوابه انما فعل ذلك
بامر الله منفذا لامر الله والله اعلم بمراده قوله تعالى **فاليوم ننجيك** معناه
انما نلقيك على نجوة من الارض وهي المكان المرتفع قال اهل التفسير لما اغرق الله
تعالى فرعون وقومه اخبر موسى قومه بهلاك فرعون وقومه قالت بنوا اسرايل
ما مات فرعون وانما قالوا ذلك لعظمته عندهم وما حصل في قلوبهم من الرعب
لاجله فامر الله عز وجل البحر فالقى فرعون على الساحل احمر قصيرا كانه ثور فراه
بنوا اسرايل فعرفوه فمن ذلك الوقت لا يقبل الماء ميتا ابدا ومعنى قوله تعالى **ببدنك**
يعني نلقيك جسدا وانت لا روح فيك وقيل هذا الخطاب على سبيل التهكم والاستهزا
كانه قيل له ننجيك ولكن هذه النجاة انما تحصل لبدنك لا لروحك وقيل اراد بالبدن
الدرع وكان لفرعون درع من ذهب مرصع بالجواهر يعرف به فلما راوه في درعه ذلك
عرفوه **لتكون لمن خلفك اية** يعني عبرة وموعظة وذلك انهم ادعوا ان مثل فرعون

لا يموت فاظهره الله لهم حتى شاهدوه وهو ميت لتزول الشبهة من قلوبهم ويعتبرون
به لانه كان في غاية العظمة فصار الى نهاية الخسة والذلة ملقى على الارض لا يهابه
احد **وان كثيرا من الناس عن اياتنا لغافلون ولقد بوانا بني اسرائيل مبوأ
صدق** يعني اسكناهم مكان صدق وانزلناهم منزل صدق يعني بعد خروجهم من البحر
واغراق عدوهم فرعون والمعنى انزلناهم منزلا محمودا صالحا وانما وصف المكان
بالصدق لان عادة العرب اذا مدحت شيئا اضافته الى الصدق تقول العرب
هذا رجل صدق وقدم صدق والسبب فيه ان الشيء اذا كان كاملا صالحا
لابد ان يصدق الظن فيه وفي المراد بالمكان الذي بوؤا قولان احدهما انه مصر
فيكون المراد ان الله اورث بني اسرائيل جميع ما كان تحت ايدي فرعون وقومه
من ناطق وصامت وزرع وغيره والقول الثاني انه ارض الشام والقدس والاردن
لانها بلاد الخصب والخير والبركة قوله تعالى **ورزقناهم من الطيبات** يعني تلك
المنافع والخيرات التي رزقهم الله تعالى **فما اختلفوا حتى جاءهم العلم** يعني
فما اختلف هؤلاء الذين فعلنا بهم هذا الفعل من بني اسرائيل حتى جاءهم ما كانوا به
عالمين وذلك انهم كانوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم مقرين به مجمعين على
نبوته غير مختلفين فيه لما يجدونه مكتوبا عندهم فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم
اختلفوا فيه فامن بعضهم كعبد الله بن سلام وكفر به بعضهم بغيا وحسدا فعلى هذا
المعنى يكون المراد من العلم المعلوم والمعنى فما اختلفوا حتى جاءهم المعلوم الذي كانوا
يعلمونه حقا فوضع العلم مكان المعلوم وقيل المراد من العلم القران النازل على محمد
صلى الله عليه وسلم وانما سماه علما لانه سبب العلم وتسمية السبب بالمسبب مجاز
مشهور وهو في كون القران سببا لحدوث الاختلاف وجهان الاول ان اليهود
كانوا يخبرون بمبعث محمد صلى الله عليه وسلم وصفته ونعته ويفتخرون بذلك على
المشركين فلما بعث كذبوه بغيا وحسدا وايثارا لبقاء الرياسة لهم فامن به طائفة
قليلة وكفر به غالبهم والوجه الثاني ان اليهود كانوا على دين واحد قبل نزول القران
فلما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم فامن به طائفة وكفر به اخرى وقوله عز وجل **ان ربك**
يعني يا محمد **يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون** يعني في امرك
وامر نبوتك في الدنيا فيدخل من امن بك الجنة ومن كفر بك وجحد نبوتك دخل
النار قوله تعالى **فان كنت في شك مما انزلنا اليك** الشك في موضوع اللغة خلاف
اليقين والشك اعتدال النقيضين عند الانسان لوجود امارتين او لعدم الامارة
والشك ضرب من الجهل وهو اخص منه فكل شك جهل وليس كل جهل شكا فاذا قيل
فلان يشك في هذا الامر معناه انه توقف فيه حتى يتبين له فيه الصواب او خلافه
وظاهر هذا القول الخطاب في قوله فان كنت في شك للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى
فان كنت يا محمد في شك مما انزلنا اليك يعني من حقيقة ما اخبرناك به وانزلناه يعني
القران **فاسال الذين يقرؤون الكتاب من قبلك** يعني علماء اهل الكتاب يخبرونك

انك

انك مكتوب عندهم في التوراة والانجيل وانك نبي يعرفونك بصفتك عندهم وقد
توجه هاهنا سؤال واعتراض وهو ان يقال هل شك النبي صلى الله عليه وسلم فيما
انزل اليه او في نبوته حتى يسال اهل الكتاب عن ذلك وان كان شاكا في نبوة نفسه
كان غيره اولى منه بالشك قلت الجواب عن هذا السؤال والاعتراض ما قاله
القاضي عياض في كتابه الشفا فانه اورد هذا السؤال ثم قال احذر ثبت الله
قلبك ان يخطر ببالك ما ذكره فيه بعض المفسرين عن ابن عباس وغيره من اثبات
شك النبي صلى الله عليه وسلم فيما اوحي اليه وانه من البشر فمثل هذا لا يجوز عليه
صلى الله عليه وسلم جملة بل قد قال ابن عباس لم يشك النبي صلى الله عليه وسلم
ولم يسال ونحوه عن سعيد بن جبير والحسن البصري وحكي عن قتادة انه قال
بلغنا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما اشك ولا اسال وعامة المفسرين على هذا
تم كلام القاضي عياض رحمه الله ثم اختلفوا في معنى الاية ومن المخاطب بهذا
الخطاب على قولين احدهما ان الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم في الظاهر والمراد
به غيره فهو كقوله لئن اشركت ليحبطن عملك ومعلوم ان النبي صلى الله عليه وسلم
لم يشرك فثبت ان المراد به غيره ومن امثلة العرب اياك اعني واسمعي يا جارة
فعلى هذا يكون معنى الاية قل يا محمد يا ايها الانسان الشاك ان كنت في شك مما
انزلنا اليك على لسان رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم فسال الذين يقرؤون الكتاب
يخبرونك بصحته ويدل على صحة هذا التاويل قوله تعالى في اخر هذه السورة قل يا
ايها الناس ان كنتم في شك من ديني الاية فبين ان المذكور في هذه الاية على سبيل
الرمز هم المذكورون في هذه الاية على سبيل التصريح وايضا لو كان النبي صلى الله
عليه وسلم شاكا في نبوته لكان غيره اولى بالشك في نبوته وهذا يوجب سقوط
الشريعة بالكلية معاذ الله من ذلك وقيل ان الله تعالى علم ان النبي صلى الله
عليه وسلم لم يشك قط فيكون المراد بهذا التهييج فانه صلى الله عليه وسلم
اذا سمع هذا الكلام فانه يقول لا اشك يا رب ولا اسال اهل الكتاب بل اكتفي
بما انزلته علي من الدلائل الظاهرة وقال الزجاج ان الله خاطب الرسول صلى الله
عليه وسلم في قوله فان كنت في شك وهو شامل للخلق فهو كقوله يا ايها النبي اذا
طلقتم النساء وهذا وجه حسن لكن فيه بعد وهو ان يقال متى كان الرسول
صلى الله عليه وسلم داخلا في هذا الخطاب كان الاعتراض موجودا والسؤال واردا
وقيل ان لفظة ان في قوله فان كنت في شك للنفي ومعناه وما انت في شك مما
انزلنا اليك حتى تسال فلا تسال ولئن سالت لازددت يقينا والقول الثاني
وهو ان يقال ان هذا الخطاب ليس هو للنبي صلى الله عليه وسلم البتة ووجه هذا
القول ان الناس كانوا في زمانه على ثلاث فرق فرقة له مصدقون وبه مؤمنون
وفرقة على الضد من ذلك والفرقة الثالثة المتوقفون في امره الشاكون
فيه فخاطبهم الله عز وجل بهذا الخطاب فقال تعالى فان كنت ايها الانسان في شك

مما انزلنا اليك من الهدى على لسان محمد صلى الله عليه وسلم فسأل اهل الكتاب
ليدلوك على صحة نبوته وانما وحد الضمير في قوله فان كنت وهو يريد الجمع لانه
خطاب للجنس لانسان كما في قوله تعالى يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم
لم يرد في الاية انسانا بعينه بل اراد الجمع واختلفوا في المسئول عنه في قوله تعالى
فسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك من هم فقال المحققون من اهل التفسير
هم الذين امنوا من اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه لانهم هم الموثوق
بأخبارهم وقيل المراد به كل اهل الكتاب سواء مؤمنهم وكافرهم لان المقصود من
هذا السؤال الاخبار بصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وانه مكتوب عندهم
صفته ونعته فاذا اخبروا بذلك فقد حصل المقصود والاول اصح قال الضحاك
يعني اهل التقوى واهل الايمان من اهل الكتاب ممن ادرك النبي صلى الله عليه وسلم
لقد جاءك الحق من ربك هذا كلام مبتدأ منقطع عما قبله وفيه معنى القسم تقديره
اقسم لقد جاءك الحق اليقين من الخبر بانك رسول الله حقا وان اهل الكتاب
يعلمون صحة ذلك **فلا تكونن من الممترين** يعني من الشاكين في صحة ما انزل
اليك **ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله** يعني بدلائله وبراهينه الواضحة
فتكون من الخاسرين يعني الذين خسروا انفسهم واعلم ان هذا كله على ما تقدم
من ان ظاهره خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم في ظاهره والمراد به غيره ممن عنده
شك وارتياب فان النبي صلى الله عليه وسلم لم يشك ولم يرتب ولم يكذب بآيات الله
فثبت بذلك ان المراد غيره والله تعالى اعلم قوله عز وجل **ان الذين حقت
عليهم** يعني وجبت عليهم **كلمة ربك** يعني حكم ربك وهو قوله خلقت هؤلاء للنار
ولا ابالي وقال قتادة سخط ربك وقيل لعنة ربك وقيل هو ما قدره عليهم
وقضاه في الازل **لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية** لا يؤمنوا فانهم لا يؤمنون بها
حتى يروا العذاب الاليم فحينئذ لا ينفعهم الايمان لان الله تعالى قد حكم عليهم
وصرفهم عن الايمان فلا ينفعهم شيء قوله تعالى **فلولا** يعني فهلا **كانت قرية**
وقيل معناه فما كانت قرية وقيل لم تكن قرية لان في الاستفهام معنى الجحد والمراد
اهل كان قرية **آمنت** يعني عند معاينة العذاب **فنفعها ايمانها** يعني في حال
اليأس **الا قوم يونس** هذا استثناء منقطع يعني لكن قوم يونس فانهم امنوا
فنفعهم ايمانهم في ذلك الوقت وهو قوله **لما آمنوا** يعني لما اخلصوا الايمان **كشفنا
عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين** يعني الى وقت انقضاء اجالهم
واختلفوا في قوم يونس هل رأوا العذاب عيانا ام لا فيدل قوله كشفنا عنهم عذاب
الخزي وان الكشف لا يكون الا بعد الوقوع او اذا قرب وقوعه ذكر القصة
في ذلك على ما ذكره عبد الله بن مسعود وسعيد بن جبير ووهب وغيرهم قالوا
ان قوم يونس كانوا بقرية نينوى من ارض الموصل وكانوا اهل كفر وشرك فارسل الله
عز وجل اليهم يونس عليه السلام يدعوهم الى الايمان بالله وترك عبادة الاصنام فدعاهم

فابوا عليه فقيل له اخبرهم ان العذاب مصبحهم الى ثلاث فاخبرهم بذلك فقالوا انا لم
نجرب عليه كذبا قط فانظروا فان بات فيكم الليلة فليس بشيء وان لم يبت فاعلموا
ان العذاب مصبحكم فلما كان جوف الليل خرج يونس من بين اظهرهم فلما اصبحوا تغشاهم
العذاب فكان فوق رؤوسهم قال ابن عباس ان العذاب كان اهبط على قوم يونس
حتى لم يكن بينهم وبينه الا قدر ثلثي ميل فلما دعوا كشف الله عنهم ذلك وقال
مقاتل قدر ميل وقال سعيد بن جبير غشي قوم يونس العذاب كما يغشى الثوب
القبر وقال وهب غامت السماء غيما اسود هائلا يدخن دخانا شديدا فهبط
حتى غشي مدينتهم واسودت سطوحهم فلما راوا ذلك ايقنوا بالهلاك فطلبوا نبيهم
يونس فلم يجدوه فقذف الله في قلوبهم التوبة فخرجوا الى الصحراء بانفسهم ونسائهم
وصبيانهم ودوابهم ولبسوا المسوح واظهروا الايمان والتوبة وفرقوا بين
والدة وولدها من الناس والدواب فحن البعض الى البعض فحنت الامهات الى الاولاد
والاولاد الى الامهات وعلت الاصوات وعجوا جميعا الى الله وتضرعوا اليه وقالوا
امنا بما جاء به يونس وتابوا الى الله واخلصوا النية فرحمهم ربهم فاستجاب دعاءهم
وكشف ما نزل بهم من العذاب بعد ما اظلهم وكان ذلك اليوم يوم عاشوراء وكان
يوم الجمعة قال ابن مسعود بلغ من توبتهم ان ترادوا المظالم فيما بينهم حتى ان كان
الرجل ليأتي الى الحجر وقد وضع اساس بنيانه عليه فيقلعه فيرده وروى الطبري بسنده
عن ابي الجلد جيلان قال لما غشي قوم يونس العذاب مشوا الى شيخ من بقية من علمائهم
فقالوا انه قد نزل بنا العذاب قال قولوا يا حي حين لا حي ويا حي محيي الموتى ويا حي
لا اله الا انت فقالوها فكشف الله عنهم العذاب ومتعوا الى حين وقال الفضيل
ابن عياض قالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وانت اعظم واجل فافعل بنا ما
انت اهله ولا تفعل بنا ما نحن اهله قالوا وخرج يونس وجعل ينتظر العذاب
فلم ير شيئا فقيل له ارجع الى قومك قال وكيف ارجع اليهم فيجدوني كذابا وكان
من كذب ولا بينة له قتل فانصرف اليهم مغاضبا فالتقمه الحوت وستاتي القصة
في سورة الصافات ان شاء الله تعالى فان قلت كيف كشف الله العذاب
عن قوم يونس بعد ما نزل بهم وقبل توبتهم ولم يكشف العذاب عن فرعون حين
امن ولم تقبل توبته قلت اجاب العلماء عن هذا باجوبة احدها ان ذلك كان
خاصا بقوم يونس والله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد الجواب الثاني ان فرعون
ما امن الا بعد ما باشره العذاب وهو وقت اليأس من الحياة وقوم يونس دنا منهم
العذاب ولم ينزل بهم ولم يباشرهم فكانوا كالمريض يخافون الموت ويرجون العافية
الجواب الثالث ان الله عز وجل علم صدق نياتهم في التوبة فقبل توبتهم بخلاف
فرعون فانه ما صدق في ايمانه ولا اخلص فلم يقبل الله منه والله تعالى اعلم قوله
عز وجل **ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم** يعني يقول الله عز وجل لنبيه
محمد صلى الله عليه وسلم ولو شاء ربك يا محمد لامن بك وصدق بك من في الارض كلهم

جميعا ولكن يشاء من يصدقك ويؤمن بك الا من سبقت له السعادة في الازل قال
ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يحرص ان يؤمن به جميع الناس ويتابعوه
على الهدى فاخبر الله عز وجل انه لا يؤمن به الا من سبق له من الله السعادة في الذكر
الاول ولم يضل الا من سبق له الشقاوة في الذكر الاول وفي هذا تسلية للنبي
صلى الله عليه وسلم لانه كان حريصا على ايمانهم كلهم فاخبره انه لا يؤمن به الا من سبقت
له العناية الازلية فلا تتعب نفسك على ايمانهم وهو قوله **جميعا أفأنت تكره
الناس حتى يكونوا مؤمنين** يعني ليس ايمانهم اليك يعني تكرههم عليه او تحرص عليه
انما ايمان المؤمن واضلال الكافر بمشيئة الله تعالى وقدره ليس لاحد ذلك سواه
وما كان لنفس أن تؤمن الا باذن الله يعني وما كان ينبغي لنفس خلقها الله ان تؤمن
وتصدق الا ان يقضي الله لها بالايمان فان هدايتها الى الله هو الهادي المضل وقال ابن
عباس معنى باذن الله بامر الله وقال عطا بمشيئة الله قوله **ويجعل** قرئ بالنون
على سبيل التعظيم اي ونجعل نحن وقرئ بالياء ومعناه ويجعل الله **الرجس** يعني
العذاب وقال ابن عباس يعني السخط **على الذين لا يعقلون** يعني لا يفهمون عن
الله امره ونهيه قوله تعالى **قل انظروا** اي قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين
يسألونك الايات انظروا يعني انظروا بقلوبكم نظر اعتبار وتفكر وتدبر **ماذا في
السموات والارض** يعني ماذا خلق الله في السموات والارض من الايات الدالة
على وحدانيته ففي السموات الشمس والقمر وهما دليلان على الليل والنهار والنجوم
طالعة وغاربة وانزال المطر من السما وفي الارض الجبال والبحار والمعادن
والانهار والاشجار والنبات كل ذلك ايات دالة على وحدانية الله تعالى وانه
خالقها كما قال الشاعر

وفي كل شيء له اية • تدل على انه واحد

قوله **وما تغني الايات والنذر** يعني الرسل **عن قوم لا يؤمنون** وهذا في حق
اقوام علم الله انهم لا يؤمنون لما سبق لهم في الازل من الشقا **فهل ينتظرون**
يعني مشركي مكة **الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم** يعني من مضى قبلهم من الامم
السالفة المكذبة للرسل قال قتادة يعني وقايع الله في قوم نوح وعاد وثمود
والعرب تسمي العذاب اياما والنعم اياما كقوله تعالى وذكرهم بايام الله والمعنى
فهل ينتظر هؤلاء المشركون من قومك يا محمد الا يوما يعاينون فيه العذاب
مثل ما فعلنا بالامم السالفة المكذبة اهلكناهم جميعا فان كانوا ينتظرون ذلك
العذاب **قل فانتظروا** يعني قل لهم يا محمد فانتظروا العذاب **اني معكم من
المنتظرين** يعني هلاككم قال الربيع بن انس خوفهم عذابه ونقمته ثم اخبرهم
انه اذا وقع ذلك بهم انجى الله رسله والذين امنوا معهم من ذلك العذاب وهو قوله
تعالى **ثم ننجي رسلنا والذين امنوا** يعني من العذاب والهلاك **كذلك حقا
علينا ننج المؤمنين** يعني كما انجينا رسلنا والذين امنوا معهم من الهلاك كذلك

ننجيك

ننجيك يا محمد والذين امنوا معك وصدقوك من الهلاك والعذاب قال بعض
المتكلمين والمراد بقوله حقا علينا الوجوب لان تخليص الرسل والمؤمنين
من العذاب واجب والجواب عن هذا بانه حق واجب بحسب الوعد والحكم لانه
واجب بسبب الاستحقاق لانه قد ثبت ان العبد لا يستحق على خالقه شيئا
قوله تعالى **قل يا ايها الناس** الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي قل يا محمد
لهؤلاء الذين ارسلتك اليهم فشكوا في امرك ولم يؤمنوا بك **ان كنتم في شك
من ديني** يعني الذي ادعوكم اليه وانما حصل الشك لبعضهم في امره صلى الله
عليه وسلم لما راى الايات التي كانت تظهر على يدي النبي صلى الله عليه وسلم فحصل لهم
الاضطراب والشك فقال ان كنتم في شك من ديني الذي ادعوكم اليه فلا
ينبغي لكم ان تشكوا فيه لانه دين ابراهيم عليه السلام وانتم من ذريته وتعرفونه
ولا تشكون فيه وانما ينبغي لكم ان تشكوا في عبادتكم لهذه الاصنام التي لا
اصل لها البتة فاذا اصررتم على ما انتم عليه **فلا اعبد الذين تعبدون من
دون الله** يعني هذه الاوثان وانما وجب تقديم هذا النفي لان العبادة هي غاية
التعظيم للمعبود فلا يليق لاخس الاشياء وهي الحجارة التي لا تنفع من عبدها
ولا تضر من تركها ولكن يليق العبادة لمن بيده النفع والضر وهو القادر على الاحيا
والاماتة وهو قوله **ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم** والحكمة في وصف الله
عز وجل في هذا المقام بهذه الصفة لان الذي يستحق العبادة فاعبده انا
وانتم هو الذي خلقكم اولا ولم تكونوا شيئا ثم يميتكم ثانيا ثم يحييكم بعد
الموت ثالثا فاكتفى بذكر الوفاة تنبيها على الباقي وقيل لما كان الموت اشد
الاشياء على النفس ذكر في هذا المقام ليكون اقوى في الزجر والردع وقيل
انهم لما استعجلوه بطلب العذاب فاجابهم بقوله ولكن اعبد الله الذي هو
قادر على اهلاككم ونصري عليكم **وامرت ان اكون من المؤمنين** يعني
وامرني ربي ان اكون من المصدقين لما جاء من عنده وقيل لما ذكر العبادة
وهي من اعمال الجوارح اتبعه بذكر الايمان لانه من اعمال القلوب قوله
عز وجل **وان اقم وجهك للدين حنيفا** الواو في قوله وان واو عطف معناه
وامرت ان اقيم وجهك يعني اقم نفسك على دين الاسلام حنيفا يعني مستقيما
عليه غير معوج عنه الى دين اخر وقيل معناه اقم عملك على الدين الحنيف وقيل
اراد بقوله وان اقم وجهك للدين صرف نفسه بكليته الى طلب الدين الحنيف
غير مايل عنه **ولا تكونن من المشركين** يعني ولا تكونن ممن يشرك في عبادة ربه
غيره فتهلك وقيل ان النهي عن عبادة الاوثان قد تقدم في الاية المتقدمة
فوجب حمل هذا النهي على معنى زايد وهو ان من عرف الله عز وجل وعرف
جميع اسمايه وصفاته وانه المستحق للعبادة لا غيره فينبغي له ان لا يلتفت
الى غيره بالكلية وهذا هو الذي تسميه اصحابنا بالشرك الخفي **ولا تدع من**

دون الله ما لا ينفعك يعني ان عبدته ودعوته ولا يضرك يعني ان تركت عبادته
فان فعلت يعني ما نهيتك عنه فعبدت غيري او طلبت النفع ودفع الضر من
غيري فانك اذا من الظالمين يعني لنفسك لانك وضعت العبادة في غير
موضعها وهذا الخطاب وان كان في الظاهر للنبي صلى الله عليه وسلم فالمراد به غيره
لانه صلى الله عليه وسلم لم يدع من دون الله شيئا البتة فيكون المعنى ولا تدع
من دون الله ايها الانسان ما لا ينفعك الاية قوله عز وجل وان يمسسك الله
بضر يعني وان يصبك الله بشدة وبلا فلا كاشف له يعني لذلك الضر الذي انزله
بك الا هو وان يردك بخير يعني سعة ورخا فلا راد لفضله يعني فلا دافع
لرزقه يصيب به يعني بكل واحد من الضر والخير من يشاء من عباده وقيل انه
تعالى لما ذكر الاوثان وبين انها لا تقدر على ضر ولا نفع بين انه تعالى هو القادر
على ذلك كله وان جميع الكائنات محتاجة اليه وجميع الممكنات مستندة اليه لانه
هو القادر على كل شيء وانه ذو الجود والكرم والرحمة وبهذا المعنى ختم الاية بقوله
وهو الغفور الرحيم وفي الاية لطيفة اخرى وهي ان الله تعالى رجح جانب
الخير على جانب الشر وذلك انه تعالى لما ذكر اساس الضر بين انه لا كاشف له الا هو
وذلك يدل على انه تعالى يزيل جميع المضار ويكشفها لان الاستثناء من النفي
اثبات ولما ذكر الخير قال فيه فلا راد لفضله يعني ان جميع الخيرات منه فلا يقدر
احد على ردها لانه هو الذي يفيض جميع الخيرات على عباده وعضده بقوله وهو الغفور
يعني الساتر لذنوب عباده الرحيم بهم قوله تعالى قل يا ايها الناس قد جاءكم
الحق من ربكم يعني القران والاسلام وقيل الحق هو محمد صلى الله عليه وسلم جاء بالحق
من الله عز وجل فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه لان نفع ذلك يرجع اليه
ومن ضل فانما يضل عليها اي على نفسه لان وباله راجع اليه فمن حكم الله
له بالاهتداء في الازل انتفع ومن حكم عليه بالضلال ضل ولم ينتفع بشيء ابدا
وما انا عليكم بوكيل يعني وما انا عليكم بحفيظ احفظ عليكم اعمالكم قال ابن
عباس هذه الاية منسوخة باية السيف واتبع ما يوحى اليك يعني الامر
الذي يوحيه الله اليك يا محمد واصبر يعني على اذى من خالفك من كفار مكة وهي
قومك حتى يحكم الله يعني بنصرك عليهم باظهار دينك قوله عز وجل وهو خير
الحاكمين يعني انه تعالى حكم بنصر نبيه واظهار دينه وبقتل المشركين واخذ
الجزية من اهل الكتاب وقهرها ذلهم وصغارهم والله اعلم بمراده واسرار كتابه
والله تعالى اعلم

تفسير سورة هود عليه السلام

وهي مكية في قول ابن عباس وبه قال الحسن وعكرمة ومجاهد وابن زيد وقتادة
وفي رواية عن ابن عباس انها مكية غير اية وهي قوله تعالى واقم الصلاة طرفي
النهار وعن قتادة نحوه وقال مقاتل هي مكية الا قوله فلعلك تارك بعض ما يوحى

اليك

الليل وقوله اولئك يؤمنون به وقوله ان الحسنات يذهبن السيئات وهي مائة وثلاث
وعشرون اية والف وتسعمائة كلمة وتسعة الاف وخمسمائة وسبعة وستون
حرفا عن ابن عباس قال قال ابو بكر يا رسول الله قد شبت قال شيبتني
هود والواقعة والحاقة والواقعة وعم يتساءلون وهل اتاك حديث الغاشية قال
بعض العلماء سبب شيبه صلى الله عليه وسلم من هذه السور المذكورة في الحديث لما فيها
من ذكر القيامة والبعث والحساب والجنة والنار والله اعلم بمراده

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى الر كتاب احكمت اياته قال ابن عباس لم ينسخها كتاب كما نسخت هي
الكتب والشرائع ثم فصلت يعني بينت قال الحسن احكمت اياته بالامر
والنهي وفصلت بالثواب والعقاب وفي رواية عنه بالعكس قال احكمت بالثواب
والعقاب وفصلت بالامر والنهي وقال قتادة احكمها الله من الباطل ثم فصلها
بعلمه فبين حلاله وحرامه وطاعته ومعصيته فيها وقيل احكمها الله فليس فيها
تناقض ثم فصلها وبينها وقيل معناه نظمت اياته نظما رصينا محكما بحيث لا يقع فيه
نقض ولا خلل كالبناء المحكم الذي ليس فيه خلل ثم فصلت اياته سورا سورة سورة
وقيل ان ايات هذا الكتاب دالة على التوحيد وصحة النبوة والمعاد واحوال القيامة
وكل ذلك لا يدخله النسخ ثم فصلت بدلائل الاحكام والمواعظ والقصص والاخبار
عن المغيبات وقال مجاهد فصلت بمعنى فسرت وثم في قوله فصلت ليست للتراخي
في الوقت ولكن في الحال كما تقول هي محكمة احسن الكلام ثم مفصلة احسن التفصيل
فان قلت كيف عم الايات هنا بالاحكام وخص بعضها في قوله منه ايات محكمات
قلت ان الاحكام الذي عم به هنا غير الذي خص به هناك فمعنى الاحكام العام
هنا انه لا يتطرق الى اياته التناقض والفساد كاحكام البناء وان هذا الكتاب جميعه
نسخ الكتب المتقدمة عليه والمراد بالاحكام الخاص المذكور في قوله منه ايات
محكمات ان بعض اياته منسوخة نسخها بايات الله منه ايضا لم ينسخها من غيره وقيل
احكمت اياته ان معظم ايات الكتاب محكمة وان كان قد دخل النسخ على البعض فاجرى
الكل على البعض لان الحكم للغالب واجرا الكل على البعض فيستعمل في كلامهم
تقول اكلت طعام زيد وانما اكلت بعضه وقوله تعالى من لدن حكيم يعني احكمت
ايات الكتاب من عند حكيم في جميع افعاله خبير يعني باحوال عباده وما يصلحهم
الا تعبدوا الا الله هذا معطوف على ما قبله معناه كتاب احكمت اياته
ثم فصلت بان لا تعبدوا الا الله والمراد بالعبادة التوحيد وخلع الانداد
والاصنام وما كانوا يعبدون والرجوع الى الله تعالى والى عبادته والدخول في
دين الاسلام انني لكم منه اي قل لهم يا محمد انني لكم من عند الله نذير ينذركم
عقابه ان ثبتم على كفركم ولم ترجعوا عنه وبشير اي يعني وابشر بالثواب الجزيل
لمن امن بالله ورسوله واطاع واخلص العمل لله وحده وان استغفروا ربكم

ثم توبوا اليه اختلفوا في بيان الفرق بين هذين المرتبتين فقيل معناه اطلبوا
من ربكم المغفرة لذنوبكم ثم ارجعوا اليه لان الاستغفار هو طلب العفو وهو الستر
والتوبة الرجوع عما كان فيه من شرك او معصية الى الله في ذلك فلهذا السبب
قدم الاستغفار على التوبة وقيل معناه استغفروا ربكم لما سلف من ذنوبكم
ثم توبوا اليه في المستقبل وقال الفراء ثم هنا بمعنى الواو لان الاستغفار والتوبة
بمعنى واحد فذكرهما للتاكيد **يمتعكم متاعا حسنا** يعني انكم اذا فعلتم ما امرتم به
من الاستغفار والتوبة واخلصتم العبادة لله عز وجل بسط عليكم من الدنيا واسباب
الرزق ما تعيشون به في امن وسعة وخير قال بعضهم العيش الحسن هو الرضى بالميسور
والصبر على المقدور **الى اجل مسمى** يعني يمتعكم متاعا حسنا الى حين الموت
ووقت انقضاء اجالكم فان **قلت** قد ورد في الحديث ان الدنيا سجن المومن وجنة
الكافر وقد يضيق على الرجل في بعض اوقاته حتى لا يجد ما ينفقه على نفسه
وعياله فكيف الجمع بين هذا وبين قوله يمتعكم متاعا حسنا الى اجل مسمى **قلت**
اما قوله صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المومن فهو بالنسبة الى ما اعد الله له في
الاخرة من الثواب الجزيل والنعيم المقيم فانه في سجن في الدنيا حتى يفضي الى ذلك المعد له
واما كون الدنيا جنة الكافر فهو بالنسبة الى ما اعد الله له في الاخرة من العذاب
الدايم الذي لا ينقطع فهو في الدنيا في جنة حتى يفضي الى ما اعد الله له في الاخرة واما
ما يضيق على الرجل المومن في بعض الاوقات فانما ذلك لاجل رفع الدرجات وتكفير
السيئات وبيان الصبر عند المصيبات فعلى هذا يكون المومن في جميع احواله في عيشة
حسنة لانه راض عن الله في جميع احواله وقوله تعالى **ويوت كل ذي فضل فضله**
اي ويعط كل ذي عمل صالح في الدنيا اجره وثوابه في الاخرة قال ابو العالية
من كثرت طاعته في الدنيا زادت درجاته في الجنة لان الدرجات تكون على قدر الاعمال
وقال ابن عباس من زادت حسناته ودرجاته في الجنة لان الجنة تكون على قدر الاعمال
وقال ابن عباس من زادت حسناته على سيئاته دخل الجنة ومن زادت سيئاته
على حسناته دخل النار ومن استوت حسناته وسيئاته كان من اهل الاعراف ثم
يدخلون الجنة وقال ابن مسعود من عمل سيئة كتبت عليه سيئة ومن عمل حسنة
كتبت له عشر حسنات فان عوقب بالسيئة التي عملها في الدنيا بقيت له عشر حسنات
وان لم يعاقب بها في الدنيا اخذ من حسناته العشر واحدة وبقيت له تسع حسنات
ثم يقول ابن مسعود هلك من غلبت احاده اعشاره وقيل معنى الاية من عمل لله
وفقه الله في المستقبل لطاعته **وان تولوا** يعني وان اعرضوا عما جيتهم به من الهدى
فاني اخاف عليكم اي فقل لهم اني اخاف عليكم **عذاب يوم كبير** يعني عذاب
النار في الاخرة **الى الله مرجعكم** يعني في الاخرة فيثيب المحسن على احسانه
ويعاقب المسيء على فعله واساته **وهو على كل شيء قدير** يعني من ايصال
الرزق اليكم في الدنيا وثوابكم وعقابكم في الاخرة قوله تعالى **الا انهم يثنون صدورهم**

قال ابن عباس نزلت في الاخنس بن شريف وكان رجلا حلو الكلام حلو المنظر وكان
يلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يحب وينطوي بقلبه على ما يكره فنزلت الا
انهم يثنون صدورهم يعني يخفون ما في صدورهم من الشحنا والعداوة من ثنيت الثوب
اذا طويته وقال عبد الله بن شداد بن الهاد نزلت في المنافقين كان اذا مر برسول الله
ثنى صدره وظهره وطاطا راسه وغطى وجهه كي لا يراه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال قتادة كانوا يحنون صدورهم كي لا يسمعوا كتاب الله ولا ذكره وقيل كان
الرجل من الكفار يدخل بيته ويرخي ستره ويحني ظهره ويتغشى بثوبه ويقول هل يعلم
الله ما في قلبي وقال السدي يثنون صدورهم اي يعرضون بقلوبهم من قولهم ثنيت
عناني **ليستخفوا منه** يعني من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال مجاهد من الله عز
وجل ان استطاعوا **الا حين يستغشون ثيابهم** يعني يغطون روسهم **يعلم ما
يسرون وما يعلنون انه عليم بذات الصدور** ومعنى الاية على ما قاله الازهري ان الذين
اضمروا عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخفى علينا حالهم في كل حال وقد نقل
عن ابن عباس غير هذا التفسير وهو ما اخرجه البخاري في افراده عن محمد بن عباس بن
جعفر المخزومي انه سمع ابن عباس يقرا الا انهم يثنون صدورهم قال فسالته عنها
فقال كان اناس يستحيون ان يتخلوا فيفضوا الى السما وان يجامعوا نساءهم
فيفضوا الى السما فنزل ذلك فيهم وقوله تعالى **وما من دابة في الارض** الدابة
اسم لكل حيوان دب على وجه الارض واطلق لفظ الدابة على كل ذي اربع من الحيوان
على سبيل العرف والمراد منه الاطلاق فيدخل فيه الادمي وغيره من جميع الحيوان
الا على الله رزقها يعني هو المتكفل برزقها فضلا منه لا على سبيل الوجوب فهو الى
مشيئته ان شا رزق وان لم يشا لم يرزق وقيل ان لفظة على بمعنى من اي من الله
رزقها قال مجاهد ما جاءها من رزق فمن الله وربما لم يرزقها فتموت جوعا **ويعلم
مستقرها ومستودعها** قال ابن عباس مستقرها المكان الذي تاوي اليه
في ليل او نهار ومستودعها المكان الذي تدفن فيه بعد الموت وقال ابن مسعود
مستقرها ارحام الامهات والمستودع المكان الذي تموت فيه وقيل المستقر
الجنة او النار والمستودع القبر **كل في كتاب مبين** اي كل ذلك مثبت في اللوح
المحفوظ قبل خلقها قوله عز وجل **وهو الذي خلق السموات والارض في ستة
ايام وكان عرشه على الما** يعني قبل خلق السموات والارض قال كعب خلق الله
ياقوتة خضرا ثم نظر اليها بالهيبة فصارت ما ترتعد ثم خلق الريح فجعل الما على
متنها ثم وضع العرش على الما وقال ضمرة ان الله تعالى كان عرشه على الما ثم خلق السموات
والارض وخلق القلم فكتب به ما خلق وما هو خالق وما هو كاين من خلقه الى يوم
القيامة ثم ان ذلك الكتاب سبح الله ومجده الف عام قبل ان يخلق شيا من خلقه
وقال سعيد بن جبير سيل ابن عباس عن قوله وكان عرشه على الما على اي شي كان الما
قال على متن الريح وقال وهب بن منبه ان العرش كان قبل ان يخلق الله السموات والارض

ثم قبض قبضة من صفا الما ثم فتح القبضة فارتفع دخانا ثم قضاهن سبع سموات في
يومين ثم اخذ طينة من الما فوضعها مكان البيت ثم دحى الارض منها ثم خلق الاقوات
في يومين والسموات في يومين والارض في يومين ثم فرغ اخر الخلق في اليوم السابع
قال بعض العلما وفيه خلق جميع الاشيا وجعلها على الماية دليلا على كمال القدرة لان
البنا الضعيف اذا لم يكن له اساس على ارض صلبة لم يثبت فكيف بهذا الخلق العظيم
وهو العرش العظيم والسموات والارض على الما فهذا يدل على كمال قدرة الله تعالى
عن عمران بن حصين قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلقت ناقتي
بالباب فاتى ناس من بني تميم فقال اقبلوا البشرى يا بني تميم قالوا بشرتنا
فاعطنا مرتين فتغير وجهه ثم دخل عليه ناس من اهل اليمن فقال اقبلوا البشرى
يا اهل اليمن اذ لم يقبلها بنو تميم قالوا قبلنا يا رسول الله ثم قالوا جيناك
لنتفقه في الدين ولنسالك عن اول هذا الامر ما كان قال كان الله ولم يكن معه شي
قبله وكان عرشه على الما ثم خلق السموات والارض وكتب في الذكر كل شي ثم اتاني
رجل فقال يا عمران ادرك ناقتك فقد ذهبت فانطلقت اطلبها فاذا السراب
يقطع دونها وايم الله لوددت انها ذهبت ولم اقم عن ابي رزين العقيلي قال قلت
يا رسول الله اين كان ربنا قبل ان يخلق خلقه قال كان في عما ما تحته هوا ولا فوقه
هوا وخلق عرشه على الما اخرجه الترمذي وقال قال احمد قال يزيد العما اي ليس
معه شي قال ابو بكر البيهقي في كتابه الاسما والصفات له قوله صلى الله عليه وسلم كان
الله ولم يكن شي قبله يعني لا الما ولا العرش ولا غيرهما فجميع ذلك غير الله وقوله
وكان عرشه على الما يعني وخلق الما وخلق العرش على الما ثم كتب في الذكر كل شي وقوله
في عما وجدته في كتابي عما مقيدا بالمد فان كان في الاصل ممدودا فمعناه سحاب رقيق
ويريد بقوله في عما اي فوق سحاب مدبرا له وعاليا عليه كما قال ا امنتم من في السما
يعني من فوق السما وقال لاصلبنكم في جذوع النخل يعني على جذوعها وقوله ما فوقه
هوا اي ما فوق السحاب هوا وكذلك قوله وما تحته هوا اي ما تحت السحاب هوا وقد
قيل ان ذلك القول العما مقصور والعمى اذا كان مقصورا فمعناه لا شي ثابت لانه مما
عمي عن الخلق لكونه غير شي فكانه قال في جوابه كان قبل ان يخلق خلقه ولم يكن شي
غيره ثم قال ما فوقه هوا وما تحته هوا اي ليس فوق العمى الذي هو لا شي موجود
لا فوقه هوا ولا تحته هوا لان ذلك اذا كان غير شي فليس يثبت له هوا بوجه والله
اعلم وقال الهروي صاحب الغريبين قال بعض اهل العلم معناه اين كان عرش ربنا
فحذف المضاف اختصارا كقوله واسال القرية ويدل على ذلك قوله وكان عرشه على
الما هذا اخر كلام البيهقي وقال ابن الاثير العما في اللغة السحاب الرقيق وقيل الكثيف
وقيل هو الضباب ولا بد في الحديث من حذف مضاف تقديره اين كان عرش ربنا
فحذف ويدل على هذا المحذوف قوله تعالى وكان عرشه على الما وحكى عن بعضهم في
عما مقصور وهو كل امر لا يدركه الفطن وقال الازهري قال ابو عبيد انما تاولنا هذا

الحديث على كلام العرب المعقول عنهم والا فلا ندري كيف كان ذلك العما قال الازهري
فنحن نؤمن به ولا نكيف صفته م عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول كتب الله مقادير الخلايق قبل ان يخلق السموات والارض
بخمسين الف سنة وكان عرشه على الما وفي رواية فرغ الله من المقادير وامور الدنيا
قبل ان يخلق السموات والارض وكان عرشه على الما بخمسين الف سنة قوله فرغ
يعني اتم خلق المقادير لا انه كان مشغولا ففرغ منه لان الله تعالى لا يشغله
شان عن شان فانما امره اذا اراد شيا ان يقول له كن فيكون وقوله تعالى
ليبلوكم يعني ليختبركم وهو اعلم بكم منكم **ايكم احسن عملا** يعني بطاعة الله
واورع عن محارم الله **ولين قلت** يعني ولين قلت يا محمد لهولا الكفار من قومك
انكم مبعوثون من بعد الموت يعني للحساب والجزا **ليقولن الذين كفروا ان هذا**
الا سحر مبين يعنون القران **ولين اخرنا عنهم العذاب الى امة معدودة** يعني
الى اجل محدود واصل الامة في اللغة الجماعة من الناس فكانه قال الى انقراض امة
ومجي امة اخرى **ليقولن ما يحبسه** يعني اي شي يحبس العذاب وانما يقولون ذلك
استعجالا للعذاب واستهزا يعنون انه ليس بشي قال الله عز وجل **الا يوم**
ياتيهم يعني العذاب **ليس مصروفا عنهم** اي لا يصرفه عنهم شي **وحاق بهم ما كانوا**
به يستهزءون اي ونزل بهم وبال استهزايهم قوله تعالى **ولين اذقنا**
الانسان منا رحمة يعني رخا وسعة في الرزق والعيش وبسطنا عليه من الدنيا
ثم نزعناها منه يعني سلبناه ذلك كله واصابته المصايب فاجتاحته وذهب
به **انه ليؤس كفور** اي يعني يظل قانطا من رحمة الله ايسا من كل خير كفور اي جحود
لنعمتنا عليه او لا قليل الشكر لربه قال بعضهم يا ابن ادم اذا كانت بك نعمة من الله
من امن وسعة وعافية فاشكرها ولا تجحدها فان نزعت عنك فينبغي لك ان تصبر
ولا تياس من رحمة الله فانه الجواد الرحيم على عباده بالخير وهو قوله تعالى **ولين**
اذقناه نعما بعد ضرا مسته يعني ولين نحن انعمنا على الانسان فبسطنا عليه
من العيش **ليقولن** يعني الذي اصابه الخير والسعة **ذهب السيات عني**
يعني ذهبت الشدايد والعسر والضيق وانما قال ذلك غرة بالله عز وجل وجراة
عليه لانه لم يعرف الاشيا كلها لله وانما اضافها الى العوايد فلهذا ذمه الله تعالى
فقال **انه لفرح فخور** اي انه اشر بطر والفرح لذة تحصل في القلب بنيل المراد
والمشتهى والفخر هو التطاول على الناس بتعديد المناقب وذلك منهي عنه
ثم استثنى فقال تعالى **الا الذين صبروا وعملوا الصالحات** قال الفرا هذا
استثنا منقطع معناه لكن الذين صبروا وعملوا الصالحات فانهم ليسوا كذلك فانهم
ان نالتهم شدة صبروا وان نالوا نعمة شكروا عليها **اوليك** يعني من هذه صفته
لهم مغفرة يعني لذنوبهم **واجر كبير** يعني الجنة قوله عز وجل **فلعلك**
تارك بعض ما يوحى اليك الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل فلعلك

يا محمد تارك بعض ما يوحى اليك ربك ان تبلغه الى من امرتك ان تبلغ ذلك اليه
وضائق به صدرك يعني ويضيق صدرك بما يوحى اليك فلا تبلغه اياهم وذلك ان
كفار مكة قالوا ايت بقرآن غير هذا ليس فيه سب آلهتنا فهم النبي صلى الله عليه وسلم
ان يترك ذكر آلهتهم ظاهرا فانزل الله تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك يعني من ذكر
آلهتهم هذا ما ذكره المفسرون في معنى هذه الآية واجمع المسلمون على انه صلى الله عليه وسلم
فيما كان طريقه البلاغ فانه معصوم فيه من الاخبار عن شيء منه بخلاف ما هو
به لا قصدا ولا عمدا ولا سهوا ولا غلطا وانما بلغ صلى الله عليه وسلم جميع ما انزل الله
عليه على امته ولم يكتم منه شيئا واجمعوا على انه لا يجوز على رسول الله صلى الله عليه وسلم
خيانة في الوحي والانذار ولا يترك بعض ما يوحى اليه لقول احد لان تجويز ذلك
يؤدي الى الشك في اداء الشرائع والتكاليف لان المقصود من ارسال الرسول التبليغ
الى من ارسل فاذا لم يحصل ذلك فقد فاتت فائدة الرسالة والنبي صلى الله عليه وسلم
معصوم من ذلك كله واذا ثبت هذا وجب ان يكون المراد بقوله تعالى فلعلك تارك
بعض ما يوحى اليك شيئا آخر سوى ما ذكره المفسرون وللعلماء من ذلك اجوبة احدها
قال ابن الانباري قد علم الله سبحانه وتعالى ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يترك شيئا مما يوحى
اليه اشفاقا من موجدة احد وغضبه ولكن الله تعالى اكد على رسوله صلى الله عليه وسلم
في متابعة الابلاغ كما قال تعالى يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك الآية
الثاني ان هذا ادب من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وتحريض على اداء ما انزله
اليه والله تعالى من وراء ذلك في عصمته ممن يخافه ويخشاه الثالث ان الكفار كانوا
يستهزءون بالقرآن ويضحكون منه ويتهاونون به وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يضيق صدره لذلك وان يلقي اليهم ما لا يقبلونه ويستهزءون به فامره الله بتبليغ
ما اوحي اليه وان لا يلتفت الى استهزائهم وان يتحمل هذا الضرر اهون من كتم شيء
من الوحي والمقصود من هذا الكلام التنبيه على هذه الدقيقة لان الانسان اذا علم
ان كل واحد من طرفي الفعل والترك مشتمل على ضرر عظيم ثم علم ان الضرر في جانب
الترك اعظم سهل عليه الاقدام على الفعل وقيل ان الله تعالى مع علمه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا يترك شيئا من الوحي هيجه لاداء الرسالة وطرح المبالاة باستهزائهم
وردهم الى قبول قوله بقوله فلعلك تارك اي لعلك تترك ان تلقيه اليهم مخافة ردهم
واستهزائهم به وضائق به صدرك بان تتلوه عليهم **ان يقولوا** يعني مخافة ان
يقولوا **لولا انزل عليه كنز** يعني يستغني به وينفقه **او جاء معه ملك** يعني
يشهد بصدقه وقائل هذه المقالة هو عبد الله بن ابي امية المخزومي والمعنى انهم قالوا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت صادقا في قولك بانك رسول الله صلى الله
عليه وسلم الذي تصفه بالقدرة على كل شيء وانت عزيز عنده مع انك فقير فهلا انزل
اليك ما تستغني به انت واصحابك وهلا انزل عليك ملكا يشهد لك بالرسالة
فتزول الشبهة في امرك فاخبر الله عز وجل انه صلى الله عليه وسلم نذير بقوله عز وجل

انما

انما انت نذير تنذر بالعقاب من خالفك وعصى امرك وتبشر بالثواب من اطاعك
وآمن بك وصدقك **والله على كل شيء وكيل** يعني انه تعالى حافظ يحفظ اقوالهم
واعمالهم فيجازيهم عليها يوم القيامة قوله تعالى **ام يقولون افتراه** يعني بل
يقول كفار مكة اختلقه يعني ما اوحي اليه من القرآن **قل** اي قل لهم يا محمد **فاتوا**
بعشر سور مثله مفتريات لما قالوا له افتريت القرآن واختلقته من عند
نفسك وليس هو من عند الله تحداهم وارخى لهم العنان وفاوضهم على مثل دعواهم
فقال صلى الله عليه وسلم هبوا اني اختلقته من عند نفسي ولم يوح الي شيء وان الامر
كما قلتم وانتم عرب مثلي من اهل الفصاحة وفرسان البلاغة واصحاب اللسان فاتوا
انتم بكلام مثل هذا الكلام الذي جئتكم به مختلق من عند انفسكم فانكم تقدرون
على مثل ما اقدر عليه من الكلام فلهذا قال فاتوا بعشر سور مثله مفتريات في مقابلة
قوله افتراه فان قلت قد تحداهم بان ياتوا بسورة من مثله فلم يقدروا على ذلك وعجزوا
عنه فكيف قال فاتوا بعشر سور مثله ومن عجز عن سورة واحدة فهو عن العشرة اعجز
قلت قد قال بعضهم ان سورة هود نزلت قبل سورة يونس وانه تحداهم اولا بسورة
يونس وانكر المبرد هذا القول وقال ان سورة يونس نزلت اولا قال ومعنى قوله في
سورة يونس فاتوا بسورة مثله يعني مثله في الاخبار عن الغيب والاحكام والوعد والوعيد
وقوله في سورة هود فاتوا بعشر سور مثله يعني في مجرد البلاغة والفصاحة
من غير خبر ولا ذكر غيب ولا حكم ولا وعد ولا وعيد ولما تحداهم بهذا الكلام امره
بان يقول لهم وادعوا بقوله تعالى **وادعوا من استطعتم من دون الله** يعني من يعينكم
على ذلك **ان كنتم صادقين** يعني في قولكم انه مفترى **فان لم يستجيبوا لكم** اعلم
انه لما اشتملت الآية المتقدمة على امرين وخطابين احدهما امر وخطاب
للكفار وهو قوله قل فاتوا بعشر سور مثله والثاني امر وخطاب للكفار وهو قوله
وادعوا من استطعتم من دون الله ثم اتبعه بقوله فان لم يستجيبوا لكم احتمل ان يكون
ان يكون المراد من الكفار لم يستجيبوا في المعارضة لعجزهم عنها واحتمل ان يكون
المراد من يدعون من دون الله لم يستجيبوا للكفار في المعارضة فلهذا السبب
اختلف المفسرون في معنى الآية على قولين احدهما انه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
والمؤمنين وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين معه كانوا يتحدون الكفار
بالمعارضة ليتبين عجزهم فلما عجزوا عن المعارضة قال الله لنبيه والمؤمنين فان لم
يستجيبوا لكم فيما دعوتهم اليه من المعارضة وعجزوا عنه فاعلموا انما انزل بعلم الله
يعني فاثبتوا على العلم الذي انتم عليه وازدادوا يقينا وثباتا لانهم كانوا عالمين انه
منزل من عند الله وقيل الخطاب في قوله فان لم يستجيبوا لكم للنبي صلى الله عليه وسلم
وحده وانما ذكره بلفظ الجمع تعظيما له صلى الله عليه وسلم القول الثاني قوله تعالى
فان لم يستجيبوا لكم خطاب مع الكفار وذلك انه تعالى لما قال في الآية المتقدمة
وادعوا من استطعتم من دون الله قال الله عز وجل في هذه الآية فان لم يستجيبوا لكم

ايها الكفار ولم يعينوكم فاعلموا انما انزل بعلم الله وانه ليس مفترى على الله
بل هو انزله على محمد صلى الله عليه وسلم وان لا اله الا هو يعني ان الذي انزل القرآن
هو الذي لا اله الا هو لا من تدعون من دونه فهل انتم مسلمون فيه معنى الامر
اي اسلموا واخلصوا لله العبادة وان حملنا معنى الآية على انه خطاب مع المؤمنين كان
معنى قوله فهل انتم مسلمون للترغيب اي دوموا على ما انتم عليه من الاسلام وقوله
عز وجل من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها يعني بعمله الذي يعمله من اعمال البر
نزلت في كل من عمل عملا يبتغي به غير الله عز وجل نوف اليهم اعمالهم فيها
يعني اجور اعمالهم التي عملوا لطلب الدنيا وذلك ان الله تعالى يوسع عليهم في الرزق
ويدفع عنهم المكاره في الدنيا وما اشبه ذلك وهم فيها لا يبخسون يعني انهم
لا ينقصون من اجور اعمالهم التي عملوها في الدنيا بل يعطون اجور اعمالهم في الدنيا
كاملة موفرة اولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها
يعني وبطل ما عملوا في الدنيا من اعمال البر وباطل ما كانوا يعملون لانه لغير الله
واختلف المفسرون في المعنى بهذه الآية فروي عن قتادة عن انس انها في اليهود
والنصارى وعن الحسن مثله وقال الضحاك من عمل عملا صالحا في غير تقوى يعني
من اهل الشرك اعطي على ذلك اجرا في الدنيا وهو ان يصل رحما او يعطي سائلا او يرحم
مضطرا او نحو هذا من اعمال البر يعجل الله له ثواب عمله في الدنيا يوسع الله عليه
في المعيشة والرزق ويقر عينه فيما خوله ويدفع المكاره في الدنيا وليس له في
الآخرة من نصيب ويدل على ذلك صحة هذا القول وسياق الآية وهو قوله تعالى
اولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار الآية وهو قوله وهذه حالة الكفار
في الآخرة وقيل نزلت في المنافقين الذين كانوا يطلبون بغزوهم مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم الغنائم لانهم كانوا لا يرجون ثواب الآخرة وقيل ان حمل الآية
على العموم اولى فيندرج الكافر والمنافق الذي هذه صفته والمؤمن الذي يأتي
بالطاعات واعمال البر على وجه الرياء والسمعة قال مجاهد في هذه الآية هم اهل
الرياء وهذا القول مشكل لان قوله اولئك الذين ليس لهم في
الآخرة الا النار لا يليق بحال المؤمن الا اذا قلنا ان تلك الاعمال الفاسدة
والافعال الباطلة لما كانت لغير الله استحق فاعلها الوعيد الشديد وهو
عذاب النار ويدل على هذا ما روي عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى انا اغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا اشرك
فيه معي غيري تركته وشركه اخرجه مسلم وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من تعلم علما لغير الله او اراد به غير الله فليتبوأ مقعده من النار اخرجه
الترمذي وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعلم علما مما
يبتغى به وجه الله لا يتعلمه الا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم
القيامة يعني ريحها اخرجه ابو داود وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

نعوذ

نعوذ بالله من جب الحزن قالوا يا رسول الله وما جب الحزن قال واد في جهنم
تتعوذ منه جهنم في كل يوم مائة مرة قيل يا رسول الله ومن يدخله قال القراء
المراؤون باعمالهم اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب قال البغوي
وروينا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر
قيل يا رسول الله وما الشرك الاصغر قال الرياء اخرجه بغير سند والرياء هو ان
يظهر الانسان الاعمال الصالحة ليحمده الناس عليها ويعتقدوا فيه الصلاح او
ليقصدوه بالعطاء فهذا العمل هو الذي لغير الله نعوذ بالله من الخذلان قال
البغوي وقيل هذا في الكفار يعني قوله من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها
اما المؤمن فيريد الدنيا والآخرة وارادته الآخرة غالبة فيجازى بحسناته في
الدنيا ويثاب عليها في الآخرة وروينا عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان الله لا يظلم المؤمن حسنة يثاب عليها الرزق في الدنيا ويجزى بها في
الآخرة واما الكافر فيطعم بحسناته في الدنيا حتى اذا افضى الى الآخرة لم يكن له
حسنة يعطى بها خيرا اخرجه البغوي بغير سند قوله تعالى افمن كان على بينة
من ربه لما ذكر الله تعالى في الآية المتقدمة الذين يريدون باعمالهم الحياة
الدنيا وزينتها ذكر في هذه الآية من كان يريد بعمله وجه الله والدار الآخرة
فقال تعالى افمن كان على بينة من ربه كمن يريد الحياة الدنيا وزينتها وليس لهم
في الآخرة الا النار وانما حذف هذا الجواب لظهوره ودلالة الكلام عليه وقيل
معناه افمن كان على بينة من ربه وهو النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه كمن هو في ضلالة
وكفر والمراد بالبينة الدين الذي امر الله به نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم
وقيل المراد بالبينة اليقين يعني انه على يقين من ربه انه على الحق ويتلوه
شاهد منه يعني ويتبعه من يشهد له بصدقه واختلفوا في الشاهد من هو
فقال ابن عباس وعلقمة وابراهيم ومجاهد وعكرمة والضحاك واكثر المفسرين
انه جبريل عليه السلام يتبع النبي صلى الله عليه وسلم ويؤيده ويسدده ويقويه
وقال الحسن وقتادة هو لسان النبي صلى الله عليه وسلم وروي عن محمد بن الحنفية
قال قلت لابي يعني علي بن ابي طالب رضي الله عنهما انت التالي قال وما تعني بالتالي
قلت قوله ويتلوه شاهد منه قال وددت اني هو ولكنه لسان رسول الله صلى الله
عليه وسلم ووجه هذا القول ان اللسان لما كان يعرب عما في الجنان ويظهره جعل
الشاهد له لان اللسان هو آلة الفصل والبيان وبه يتلى القرآن وقال مجاهد
الشاهد هو ملك يحفظ النبي صلى الله عليه وسلم ويسدده وقال الحسين بن الفضل
الشاهد هو القرآن لان اعجازه وبلاغته وحسن نظمه يشهد للنبي صلى الله عليه وسلم
بنبوته ولانه اعظم معجزاته الباقية على طول الدهر وقال الحسين بن علي وابن زيد
الشاهد منه هو محمد صلى الله عليه وسلم ووجه هذا القول ان من نظر الى النبي
صلى الله عليه وسلم بعين العقل والبصيرة علم انه ليس بكذاب ولا ساحر ولا كاهن

ولا يحبون وقال جابر بن عبد الله بن يحيى قال علي بن ابي طالب ما من رجل من قريش الا وقد نزلت فيه الاية والايتان فقال له رجل وانت ايش نزل فيك فقال على ما تقرا الاية التي في هود ويتلوه شاهد منه فعلى هذا القول يكون الشاهد علي بن ابي طالب وقوله منه يعني من النبي صلى الله عليه وسلم والمراد منه تشريف هذا الشاهد وهو علي لاتصاله بالنبي صلى الله عليه وسلم وقيل يتلوه شاهد منه يعني الانجيل وهو اختيار الفرا والمعنى ان الانجيل يتلو القران في التصديق بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم والامر بالايمان به وان كان قد نزل قبل القران وقيل قوله تعالى **ومن قبله** يعني ومن قبل نزول القران وارسال محمد صلى الله عليه وسلم **كتاب موسى** يعني التوراة **اماما ورحمة** يعني انه اماما لهم يرجعون اليه في امور الدين والاحكام والشرايع وكونه رحمة لانه الهادي من الضلال وذلك سبب حصول الرحمة وقوله تعالى **اوليك يومنون به** يعني ان الذين وصفهم الله بانهم على بينة من ربهم هم المشار اليهم بقوله اوليك يومنون به يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل اراد الذين اسلموا من اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه **ومن يكفر به** يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم **من الاحزاب** يعني جميع الكفار واصحاب الاديان المختلفة فيدخل فيه اليهود والنصارى والمجوس وعبدة الاصنام وغيرهم والاحزاب الفرق الذين تحزبوا وتحزبوا على مخالفة الانبيا **فالنار موعده** يعني في الاخرة روى البغوي بسنده عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي احد من هذه الامة ولا يهودي ولا نصراني ومات ولم يومن بالذي ارسلت به الا كان من اصحاب النار قال سعيد بن جبير ما بلغني حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجهه الا وجدت مصداقه في كتاب الله عز وجل حتى بلغني هذا الحديث لا يسمع بي احد من هذه الامة الحديث قال سعيد فقلت اين هذا في كتاب الله حتى اتيت على هذه الاية ومن قبله كتاب موسى الى قوله ومن يكفر به فالنار موعده قال فالاحزاب اهل الملل كلها ثم قال تعالى **فلا تك في مرية منه انه الحق من ربك** فيه قولان احدهما ان معناه فلا تك في شك من صحة هذا الدين ومن كون القران نازلا من عند الله فعلى هذا القول يكون متعلقا بما قبله من قوله تعالى ام يقولون افتراه والقول الثاني انه راجع الى قوله ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده فلا تك في شك من ان النار موعد من كفر من الاحزاب والخطاب في قوله فلا تك في مرية للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يشك قط ويعضد هذا القول سياق الاية وهو قوله تعالى **ولكن اكثر الناس لا يومنون** يعني لا يصدقون بما اوحينا اليك وان موعد الكفار النار قوله عز وجل **ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا** يعني اي الناس اشد تعديا ممن اختلق على الله كذبا فكذب عليه وزعم ان له شريكا او ولدا وفي الاية دليل على ان الكذب على الله من اعظم انواع الظلم لان قوله ومن اظلم

ممن

ممن افترى على الله كذبا يورد في معرض المبالغة **اوليك** يعني المفترين على الله الكذب **يعرضون على ربهم** يعني يوم القيامة فيسالهم عن اعمالهم في الدنيا **ويقول الاشهاد** يعني الملايكة الذين يحفظون اعمال بني ادم قاله مجاهد وقال ابن عباس هم الانبيا والرسل وبه قال الضحاك وقال قتادة الاشهاد الخلق كلهم **هولا الذين كذبوا على ربهم** يعني في الدنيا وهذه الفضيحة تكون في الاخرة لكل من كذب على الله **الا لعنة الله على الظالمين** يعني يقول الله ذلك يوم القيامة فيلعنهم الله ويطردهم الله من رحمته **ق** عن صفوان بن محرز المازني قال بينما ابن عمر يطوف اذ عرض له رجل فقال يا ابا عبد الرحمن اخبرني ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم في النجوى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدني المومن من ربه عز وجل حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه تعرف ذلك كذا وكذا فيقول اعرف رب اعرف مرتين فيقول سترتها عليك في الدنيا وانا اغفرها لك اليوم ثم يعطى كتاب حسناته وفي رواية ثم تطوى صحيفة حسناته واما الكفار والمنافقون فيقول الاشهاد وفي رواية فينادى بهم على روس الاشهاد من الخلايق هولا الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين قوله تعالى **الذين يصدون عن سبيل الله** هذه الاية متصلة بما قبلها والمعنى الا لعنة الله على الظالمين ثم وصفهم فقال الذين يصدون عن سبيل الله يعني يمنعون الناس من الدخول في دين الله الذي هو دين الاسلام **ويبغونها عوجا** يعني ويطلبون لها الشبهات في قلوب الناس ويعوجون الدلايل الدالة على صحة دين الاسلام **وهم بالاخرة هم كافرون** يعني وهم مع صدهم عن سبيل الله يجحدون البعث بعد الموت منكرون له **اوليك** يعني من هذه صفتهم **لم يكونوا معجزين في الارض** قال ابن عباس يعني سابقين وقيل هاربين وقيل فايتين في الارض والمعنى انهم لا يعجزون الله اذا اراد بهم العقاب والانتقام منهم ولكنهم في قبضته وملكه لا يقدرون على الامتناع منه اذا طلبهم **وما كان لهم من دون الله من اوليا** يعني وما لهولا المشركين من انصار يوم القيامة يمنعونهم من الله اذا اراد بهم سوا وعذابا يضاعف لهم العذاب يعني في الاخرة يزاد عذابهم بسبب صدهم عن سبيل الله وانكارهم البعث بعد الموت **يضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع** قال قتادة عن سماع الحق فلا يسمعون خيرا فينتفعون به وقال ابن عباس اخبر الله انه حال بين اهل الشرك وبين طاعته في الدنيا والاخرة اما في الدنيا فانه قال ما كانوا يستطيعون السمع وهي طاعته **وما كانوا يبصرون** واما في الاخرة فانه قال لا يستطيعون خاشعة ابصارهم **اوليك الذين خسروا انفسهم** يعني ان هولا الذين هذه صفتهم الذين غبنوا انفسهم حظوظها من رحمة الله **وضل عنهم ما كانوا يفترون** يعني بطل كذبهم وافكهم وفريتهم على الله وادعاؤهم ان الملايكة والاصنام تشفع لهم **لا جرم** يعني حقا وقال الفرا لا محالة **انهم في الاخرة هم**

الاخسرون لانهم باعوا منازلهم في الجنة واشتروا عوضها منازل في النار
وهذا هو الخسران المبين قوله تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات واخبتوا
الى ربهم لما ذكر الله عز وجل احوال الكفار في الدنيا وخسرانهم في الاخرة اتبعه
بذكر احوال المومنين في الدنيا وربحهم في الاخرة والاخبات في اللغة هو الخشوع
والخضوع وطمانينة القلب ولفظ الاخبات يتعدى بالى وباللام فاذا قلت
اخبت فلان الى كذا فمعناه اطمان اليه واذا قلت اخبت له فمعناه خشع وخضع له
فقوله ان الذين امنوا وعملوا الصالحات اشارة الى جميع اعمال الجوارح وقوله
واخبتوا اشارة الى اعمال القلوب وهي الخشوع والخضوع فاذا فسرنا الاخبات
بالطمانينة كان معنى الكلام انهم ياتون بالاعمال الصالحة مطمئنين الى صدق
وعد الله بالثواب والجزاء على تلك الاعمال ويكونوا مطمئنين الى ذكره سبحانه وتعالى
واذا فسرنا الاخبات بالخشوع والخضوع كان معناه انهم ياتون بالاعمال الصالحة
خايفين وجلين ان لا تكون مقبولة وهو الخشوع والخضوع اوليك يعني الذين
هذه صفتهم اصحاب الجنة هم فيها خالدون اخبر عن حالهم في الاخرة بانهم من اهل
الجنة التي لا انقطاع لها لنعيمها ولا زوال له قوله تعالى مثل الفريقين كالاعمى
والاصم والبصير والسميع لما ذكر الله تعالى احوال الكفار وما كانوا عليه من العمى
عن طريق الهدى والحق ومن الصمم عن سماعه وذكر احوال المومنين وما كانوا عليه
من البصيرة وسماع الحق والانقياد للطاعة ضرب لهم مثلا فقال تعالى مثل الفريقين
يعني فريق المومنين وفريق الكافرين كالاعمى هو الذي لا يهتدي لرشده والاصم
وهو الذي لا يسمع شيا البتة والبصير وهو الذي يبصر الاشيا على ما هيتها والسميع
وهو الذي يسمع الاصوات ويجيب الداعي فمثل المومنين كمثل الذي يسمع ويبصر
وهو الكامل في نفسه ومثل الكفار كمثل الذي لا يسمع ولا يبصر وهو الناقص في
نفسه فقال هل يستويان مثلا قال الفراء لم يقل يستوون لان الاعمى والاصم
في حيز كانهما واحد وهما من وصف الكافر والبصير والسميع في حيز فكانهما واحد وهما
من وصف المومن افلا تذكرون يعني فتتعظون قوله عز وجل ولقد ارسلنا
نوحا الى قومه اني لكم نذير مبين يعني ان نوحا عليه السلام قال لقومه حين
ارسله الله اليهم اني لكم ايها القوم نذير يعني بين النذارة اخوف بالعقاب لمن خالف
امر الله وعبد غيره وهو قوله الا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم
يعني مولم موجع قال ابن عباس بعث نوح بعد اربعين سنة ولبث يدعو قومه تسعماية
وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان ستين سنة وكان عمره الف سنة وخمسين
وقال مقاتل بعث وهو ابن ماية سنة وقيل وهو ابن ماية وخمسين سنة وقيل
وهو ابن ماية وخمسين سنة مكث يدعو قومه تسعماية وخمسين سنة وعاش
بعد الطوفان مايتين وخمسين سنة فكان عمره الفا واربعماية وخمسين سنة
فقال الملا الذين كفروا من قومه يعني الاشراف والرؤسا من قوم نوح ما نراك

يا نوح

يا نوح الا بشرا مثلنا يعني ادميا مثلنا لا فضل لك علينا لان التفاوت الحاصل
بين احاد البشر يمتنع انتهاؤه الى حيث يصير الواحد منهم واجب الطاعة على
جميع العالم وانما قالوا هذه المقالة وتمسكوا بهذه الشبهة جهلا منهم لان من حق
الرسول ان يباشر الامة بالدعوة الى الله باقامة الدليل والبرهان على ذلك وتظهر
المعجزة الدالة على صدقه ولا ينافي ذلك الا من احاد البشر وهو من اختصه الله بكرامته
وشرفه بنبوته وارسله الى عباده ثم قال تعالى اخبارا عن قوم نوح وما نراك
اتبعك الا الذين هم اراذلنا يعني سفلتنا والاراذل الدون من كل شي قيل هم الحاكة
والاساكفة واصحاب الصنايع الخسيسة وانما قالوا ذلك جهلا منهم ايضا لان الرفعة
في الدين ومتابعة الرسل لا تكون بالشرف والمال والمناصب العالية بل للفقرا الخاملين
وهم اتباع الرسل ولا تضرهم خسة صنايعهم اذا احسنت سيرتهم في الدين بادي الراي
يعني انهم اتبعوك في اول الراي من غير تثبت وتفكر في امرك ولو تفكروا ما اتبعوك
وقيل معناه ظاهر الراي يعني اتبعوك ظاهرا من غير ان يتفكروا باطنا وما نرى لكم
علينا من فضل يعني بالمال والشرف والجاه وهذا القول ايضا جهل منهم لان الفضيلة
المعتبرة عند الله بالايمان والطاعة لا بالشرف والرياسة بل نظنكم كاذبين
قيل الخطاب لنوح ومن امن معه من قومه وقيل هو لنوح وحده فعلى هذا يكون
الخطاب بلفظ الجمع للواحد وهو على سبيل التعظيم قال نوح يا قوم ارايتم
ان كنت على بينة من ربي يعني على بيان ويقين من ربي بالذي انذرتكم به واتاني
رحمة من عنده يعني هدى ومعرفة ونبوة فعميت عليكم اي خفيت والتبست
عليكم انلزمكموها الهاء عايدة الى الرحمة والمعنى انلزمكم ايها القوم قبول الرحمة
يعني انا لا نقدر ان نلزمكم ذلك من عند انفسنا وانتم لها كارهون وهذا استفهام
معناه الانكار ولا اقدر على ذلك والذي اقدر عليه ان ادعوكم الى الله وليس الي اضطراركم
الى ذلك قال قتادة والله لو استطاع نبي الله لالزمها قومه ولكنه لم يملك
ذلك قوله ويا قوم لا اسالكم عليه مالا يعني لا اسالكم ولا اطلب على تبليغ
الرسالة جعلا ان اجري الا على الله وما انا بطارد الذين امنوا وذلك انهم طلبوا
من نوح ان يطرد الذين امنوا وهم الاراذلون في زعمهم فقال ما يجوز لي ذلك لانهم
يعتقدون انهم ملاقوا ربهم فلا اطردهم ولكني اراكم قوما تجهلون يعني
عظمة الله ووحدانيته وربوبيته وقيل معناه انكم تجهلون ان هولاء المومنين خير منكم
ويا قوم من ينصرني من الله ان طردتهم يعني من يمنعني من عذاب الله ان طردتهم
عني لانهم مومنون مخلصون افلا تذكرون يعني افلا تتعظون ولا اقول لكم
عندي خزاين الله هذا عطف على قوله لا اسالكم عليه مالا والمعنى لا اسالكم عليه
مالا ولا اقول عندي خزاين الله يعني التي لا يفنيها شي فادعوكم الى اتباعي عليها
لاعطيكم منها وقال ابن الانباري الخزاين هنا بمعنى غيوب الله وما هو منطوي عن الخلق
وانما وجب ان يكون هذا جوابا من نوح عليه السلام لهم لما قالوا وما نراك اتبعك

الا الذين هم اراذلنا بادي الرأي فادعوا ان هولا المومنين انما اتبعوه في ظاهر ما يرى
منهم وهم في الحقيقة غير متبعين له فقال مجيبا ولا اقول لكم عندي خزاين الله يعني
منها ما ينطوي عليها عباده وما يظهرونه وانما قيل للغيوب خزاين لغموضها على
الناس واستتارها عنهم والقول الاول اولى ليحصل الفرق بين قوله ولا اقول
لكم عندي خزاين الله وبين قوله ولا اعلم الغيب يعني ولا ادعي علم ما يغيب عني
مما تسرونه في نفوسكم فسبيلي قبول ايمانكم في الظاهر ولا يعلم ما في ضمايرهم
الا الله ولا اقول اني ملك وهذا جواب لقولهم ما نراك الا بشرا مثلنا اي لا
ادعي اني من الملايكة بل انا بشر مثلكم ادعوكم الى الله وابلغكم ما ارسلت به اليكم

فصل

استدل بعضهم بهذه الايات في تفضيل الملايكة على الانبيا
قالوا لان نوحا عليه السلام قال ولا اقول اني ملك لان الانسان اذا قال
انا لا ادعي كذا وكذا لا يحسن الا اذا كان كذلك الشيء اشرف وافضل من احوال
ذلك القايل فلما قال نوح عليه السلام هذه المقالة وجب ان يكون الملك افضل
منه والجواب ان نوحا عليه السلام انما قال هذه المقالة في مقابلة قولهم ما نراك
الا بشرا مثلنا لما كان في ظنهم ان الرسل لا يكونون من البشر انما يكونون من الملايكة
فاعلمهم ان هذا الظن باطل وان الرسل الى البشر انما يكونون من البشر فلهذا
قال ولا اقول لكم اني ملك ولم يرد ان درجة الملايكة افضل من درجة الانبيا
والله اعلم وقوله تعالى ولا اقول للذين تزدري اعينكم يعني تحتقر وتستصغر
اعينكم يعني المومنين وذلك لما قالوا انهم اراذلنا من الرذالة وهي الخسة لن يوتيهم
الله خيرا يعني توفيقا وهداية وايمانا واجرا الله اعلم بما في انفسهم يعني من الخير
والشر اني اذا لمن الظالمين يعني ان طردتهم تكذيبا لظاهرهم ومبطلا لايمانهم
يعني اني ان فعلت هذا فاكون قد ظلمتهم وان لا افعله فما انا من الظالمين قالوا
يا نوح قد جادلتنا يعني خاصمتنا فاكثرت جدالنا يعني خصومتنا فاتنا
بما تعدنا يعني من العذاب ان كنت من الصادقين يعني في دعواك انك رسول الله
الينا قال انما ياتيكم به الله ان شا اي يعني قال نوح لقومه حين استعجلوه
بانزال العذاب وان ذلك ليس لهم انما هو الى الله ينزله متى شا وعلى من يشا
وما انتم بمعجزين قيل معناه لغني وما انتم بفايتين اذا اراد انزال العذاب بكم
ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم يعني ولا ينفعكم انذاري وتحذيري
اياكم عقوبته ونزول العذاب بكم ان كان الله يريد ان يغويكم يعني يضلكم وقيل
يهلككم وهذا معنى وليس بتفسير لان الاغوا يودي الى الاهلاك هو ربكم يعني
انه تعالى هو يملككم فلا تقدرون على الخروج من سلطانه واليه ترجعون يعني
في الاخرة فيجازيكم باعمالكم ام يقولون افتراه اي اختلقه وجا به من عند نفسه
والضمير يعود الى الوحي الذي جاءهم به قل ان افتريته اي اختلقته فعلي اجرامي
اي اثم اجرامي والاجرام اقتراف السيئة واكتسابها يقال جرم واجرم بمعنى

انه اكتسب الذنب وافتعله وانا بري مما تجرمون يعني من الكفر والتكذيب
واكثر المفسرين على ان هذا من محاورة نوح عليه السلام على قومه فهي من
قصة نوح عليه السلام وقال مقاتل ام يقولون يعني المشركين من كفار مكة
افتراه يعني محمدا صلى الله عليه وسلم اختلق القران من عند نفسه فعلى هذا القول
تكون هذه الاية معترضة في قصة نوح ثم رجع الى القصة فقال تعالى واوحي
الى نوح انه لن يومن من قومك الا من قد امن قال ابن عباس ان قوم نوح كانوا
يضربون نوحا حتى يسقط فيلفونه في لبد ويلقونه في بيت يظنون انه قد مات
فيخرج في اليوم الثاني ويدعوهم الى الله وروي ان شيخا منهم جا متوكيا على عصا
ومعه ابنه فقال يا بني لا يغرنك هذا الشيخ المجنون فقال يا ابت امكني من العصا
فاخذها من ابيه وضرب بها نوحا عليه السلام حتى شجه شجة منكرة فاوحى الله اليه
انه لن يومن من قومك الا من قد امن فلا تبتيس يعني فلا تحزن عليهم فاني مهلكهم
بما كانوا يفعلون يعني بسبب كفرهم وافعالهم فحينيذ دعا نوح عليه السلام
عليهم فقال رب لا تذر على الارض وحكى محمد بن اسحاق عن عبيد الله بن عمير الليثي
انه بلغه انهم كانوا يبطشون نوحا فيخنقونه حتى يغشى عليه فاذا افاق قال
رب اغفر لقومي فانهم لا يعلمون حتى تمادوا في المعصية واشتد عليه منهم البلا
وهو ينتظر الجيل بعد الجيل فلا ياتي قرن الا كانوا اخبث من الذين قبلهم
ولقد كان ياتي القرن الاخر منهم فيقول قد كان هذا الشيخ مع ابايتا واجدادنا
هكذا مجنونا فلا يقبلون منه شيا فشكى نوح الى الله عز وجل فقال رب
اني دعوت قومي ليلا ونهارا الايات حتى بلغ رب لا تذر على الارض من الكافرين
ديارا فاوحى الله اليه واصنع الفلك يعني السفينة والفلك جمع يطلق على
الواحد والجمع باعيننا قال ابن عباس بمراينا وقيل بعلمنا وقيل بحفظنا ووحينا
وقيل بامرنا ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون يعني بالطوفان والمعنى
لا تخاطبني في امهال الكفار فاني قد حكمت باغراقهم وقيل لا تخاطبني في ابنك كنعان
وامراتك واعلة فانهما هالكان مع القوم وقيل ان جبريل اتى نوحا فقال له ان ربك
يامرك ان تصنع الفلك فقال كيف اصنعها ولست نجارا فقال ان ربك يقول لك
اصنع فانك باعيننا فاخذ القدوم وجعل ينجر فلا يخطي فصنعها مثل جوجو
الطاير وهو قوله تعالى ويصنع الفلك يعني كما امره الله تعالى قال اهل السير
لما امر الله عز وجل نوحا عليه السلام بعمل السفينة اقبل على عملها وكف عن
قومه وجعل يقطع الخشب ويضرب الحديد ويهيي القار وكلما يحتاج اليه في عمل
الفلك وجعل قومه يمرون به وهو في عمله فيسخرون منه ويقولون يا نوح
قد صرت نجارا بعد النبوة واعقم الله ارحام النسا فلا يولد لهم ولد قال البغوي
وزعم اهل التوراة ان الله امره ان يصنع الفلك من خشب الساج وان
يصنعه ازور وان يطليه بالقار من داخله وخارجه وان يجعل طوله ثمانين ذراعا

وعرضه خمسين ذراعا وطوله في السما ثلاثين ذراعا والذراع الى المنكب وان
يجعله ثلاثة طباق سفلى ووسطا وعليا وانه يجعله فيه كوي فصنعه نوح
كما امره الله عز وجل وقال ابن عباس اتخذ نوح السفينة في سنتين فكان طولها
ثلاثماية ذراع وعرضها خمسين ذراعا وطولها في السما ثلاثين ذراعا وكانت
من خشب الساج وجعل لها ثلاث بطون فحمل في البطن السفلى الوحوش
والسباع والهوام وفي البطن الاوسط الدواب والانعام وركب هو ومن معه
البطن الاعلى وحمل معه ما يحتاج من الزاد وغيره قال قتادة وكان بابها في
عرضها وروي عن الحسن انه كان طولها الف ذراع ومايتى ذراع وعرضها سبعماية
ذراع والقول الاول اشهر ان طولها ثلاثماية ذراع وقال ابن زيد بن اسلم مكث
نوح ماية سنة يغرس الاشجار ويقطعها وماية سنة يصنع الفلك وقال كعب
الاحبار عمل نوح السفينة في ثلاثين سنة وروي انها ثلاثة اطباق الطبقة
السفلى للدواب والطبقة الوسطى للانس والطبقة العليا للطير فلما كثر اروات
الدواب اوحى الله تعالى الى نوح ان اغمز ذنب الفيل فغمزه فوقع منه خنزير وخنزيرة
ومسح على الخنزير فوقع منه الفار فاقبلوا على الروث فاكلوه فلما افسد الفار
في السفينة فجعل يقرضها ويقرض حبالها فاوحى الله تعالى الى نوح ان اضرب بين
عيني الاسد فخرج من منخره سنور وسنورة وهي القط فاقبلا على الفار
فاكلاه فذلك قوله تعالى **وكلما مر عليه ملا من قومه سخروا منه** اي جماعة من
قومه سخروا يعني استهزوا وامن قومه سخروا يعني استهزوا به وذلك انهم قالوا ان
هذا الذي كان يزعم انه نبي قد صار نجارا وقيل قالوا يا نوح ماذا تصنع قال اصنع
بيتا يمشي على الما فيضحكون منه **قال** يعني نوحا لقومه **ان تسخروا منا فانا
نسخر منكم كما تسخرون** يعني ان تستجهلونا في صنعنا فانا نستجهلكم لتعرضكم لما
يوجب سخط الله وعذابه فان قلت السخرية لا تليق بمنصب النبوة فكيف قال
نوح عليه السلام ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون قلت انما سمي هذا
الفعل سخرية على سبيل الازدواج في مشاكلة الكلام كما في قوله تعالى وجزاء
سيئة سيئة مثلها والمعنى انا نرى غب سخريتكم بنا اذا نزل بكم العذاب وقوله
تعالى **فسوف تعلمون** يعني فستدرون **من ياتيه** يعني ايّنا ياتيه نحن او انتم
عذاب يخزيه يعني يهينه **ويحل عليه عذاب مقيم** يعني في الاخرة فالمراد بالعذاب
الاول عذاب الدنيا في الغرق والمراد بالعذاب الثاني عذاب الاخرة وهو عذاب النار
لا انقطاع لها قوله تعالى **حتى اذا جاء امرنا وفار التنور** يعني وغلى والفور
الغليان وفارت القدر اذا غلت والتنور فارسي معرب لا تعرف له العرب اسما
غير هذا فلذلك جاء في القران بهذا اللفظ فخوطبوا بما يعرفون وقيل ان لفظ تنور
جاء هكذا بكل لسان عربي وعجمي وقيل ان لفظ التنور اصله اعجمي فتكلمت به العرب
فصار عربيا مثل الديباج ونحوه واختلفوا في المراد بهذا التنور فقال عكرمة والزهري

هو وجه الارض وذلك انه قيل لنوح اذا رايت الما قد فار على وجه الارض فاركب
السفينة فعلى هذا يكون قد جعل فوران التنور علامة لنوح على هذا الامر
العظيم وقال علي فار التنور اي طلع الفجر ونور الصبح شبه نور التنور بخروج النار
من التنور وقال الحسن ومجاهد والشعبي ان التنور هو الذي يخبز فيه وهو قول
اكثر المفسرين ورواية عن ابن عباس ايضا وهذا القول اصح لان اللفظ اذا دار
بين الحقيقة والمجاز كان حمله على الحقيقة اولى ولفظ التنور حقيقة في اسم الموضع
الذي يخبز فيه فوجب حمل اللفظ عليه فان قلت الالف واللام في لفظ التنور
للعهد وليس هنا معهود سابق عند السامع فوجب حمله على غيره وهو شدة الامر
والمعنى اذا رايت الما اشتد نبوعه وتقوى فانج بنفسك ومن معك قلت لا يبعد
ان يكون ذلك التنور معلوما عند نوح عليه السلام قال الحسن كان تنورا من حجارة
وكانت حوا تخبز فيه فصار الى نوح فقيل له اذا رايت الما يفور من التنور فاركب
انت واصحابك واختلفوا في موضع التنور فقال مجاهد نبع الما في التنور فعلمت به
امراته فاخبرته وكان ذلك في ناحية الكوفة وكان الشعبي يحلف بالله ما فار التنور
الا من ناحية الكوفة قال الشعبي اتخذ نوح السفينة في جوف مسجد الكوفة
وكان التنور على يمين الداخل مما يلي باب كندة وكان فوران التنور علامة لنوح
عليه السلام وقال مقاتل كان ذلك التنور تنور ادم عليه السلام وكان بالشام
بموضع يقال له عين وردة وروي عن ابن عباس انه كان بالهند والفوران الغليان
قلنا احمل فيها يعني قلنا لنوح احمل في السفينة **من كل زوجين اثنين**
الزوجان كل اثنين لا يستغني احدهما عن الاخر كالذكر والانثى يقال لكل واحد
منهما زوج والمعنى من كل صنف زوجين ذكر وانثى فحشر اليه الحيوان من الدواب
والسباع والطير فجعل نوح يضرب بيديه في كل جنس منهما فيقع الذكر في يده اليمنى
والانثى في يده اليسرى فيجعلهما في السفينة **واهلك** اي واحمل اهلك وولدك
وعيالك **الا من سبق عليه القول** يعني بالهلاك واراد به امراته واعلة وابنه
كنعان **ومن امن** يعني واحمل معك من امن بك من قومك **وما امن معه الا قليل**
اختلفوا في عدد من حمل نوح معه في السفينة فقال قتادة وابن جريج ومحمد بن كعب
القرظي لم يكن في السفينة الا ثمانية نفر نوح وامراته وثلاثة بنين له وهم سام
وحام ويافث ونساوهم وقال الاعمش كانوا سبعة نوح وبنيه وثلاث كناين
له وقال محمد بن اسحاق كانوا عشرة سوى نسايهم وهم نوح وبنوه سام وحام ويافث
وستة نفر امنوا بنوح وازواجهم جميعا وقال مقاتل كانوا اثنين وسبعين نفرا رجلا
وامراة وقال ابن عباس كان في السفينة ثمانون رجلا احدهم جرهم وقال الطبري
والصواب من القول في ذلك ان يقال كما قال الله عز وجل وما امن معه الا قليل
فوصفهم الله بالقلة ولم يحد عددا بمقدار فلا ينبغي ان يتجاوز في ذلك حد الله تعالى
اذ لم يرد ذلك في كتاب ولا خبر صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مقاتل

حمل نوح معه جسد ادم عليه السلام فجعله معترضا بين الرجال والنسا وقصد
نوح جميع الدواب والطيور ليحملها قال ابن عباس اول ما حمل نوح الدرة واخر ما
حمل الحمار فلما اراد ان يدخل الحمار ادخل صدره فتعلق ابليس بذنبه فلم تستقل
رجلاه وجعل نوح يقول له ويحك ادخل فينهض فلا يستطيع حتى قال له ادخل
وان كان الشيطان معك كلمة زلت عن لسانه فلما قالها نوح خلى سبيل الحمار فدخل
ودخل الشيطان معه فقال له نوح ماذا ادخلك علي يا عدو الله قال الم تقل ادخل
وان كان الشيطان معك قال اخرج عني يا عدو الله قال ما لك بد من ان تحملني معك
وكان فيما يزعمون على ظهر السفينة هكذا نقله البغوي قال الامام فخر الدين الرازي
واما الذي يروى ان ابليس دخل السفينة فبعيد لانه من الجن وهو جسم ناري
او هوائي فكيف يفر من الغرق وايضا فان كتاب الله لم يدل على ذلك ولم يرد فيه
خبر صحيح فالاولى ترك الخوض فيه قال البغوي وروي بعضهم ان الحية والعقرب اتيا
نوحا فقالتا احملنا معك فقال انكما سبب البلا فلا احملكما فقالتا احملنا فنحن نضمن
لك ان لا نضر احدا ذكرك فمن قرا حين يخاف مضرتهما سلام على نوح في العالمين لم يضراه
وقال الحسن لم يحمل نوح معه في السفينة الا ما يلد ويبيض واما ما سوى ذلك
مما يتولد من الطين من حشرات الارض كالبق والبعوض فلم يحمل منها شيئا قوله تعالى
وقال اركبوا فيها يعني وقال نوح لمن حمل معه اركبوا في السفينة **بسم الله
مجريها ومرسيها ان ربي لغفور رحيم** يعني بسم الله اجراؤها وارساؤها قال الضحاك
كان نوح اذا اراد ان تجري السفينة قال بسم الله فتجري وكان اذا اراد ان ترسي
قال بسم الله فترسو اي تقف وهذا تعليم من الله لعباده انه من اراد امرا فلا ينبغي
له ان يشرع فيه حتى يذكر اسم الله عليه وقت الشروع حتى يكون ذلك سببا للنجاح
والفلاح في سائر الامور **وهي تجري بهم في موج كالجبال** الموج ما ارتفع من الما
اذا اشتد فتغلبه الريح شبهه بالجبال في عظمه وارتفاعه على الما قال العلما بالسير
ارسل المطر اربعين يوما وليلة وخرج الما من الارض فذلك قوله تعالى ففتحنا ابواب
السما بما منهمر وفجرنا الارض عيونا فالتقى الما على امر قد قدر يعني صار الما نصفين نصف
من السما ونصف من الارض وارتفع الما على اعلى جبل واطوله اربعين ذراعا وقيل خمسة
عشر ذراعا حتى اغرق كل شي وروي انه لما كثر الما في السكك خافت ام صبي على ولدها
من الغرق وكانت تحبه حبا شديدا فخرجت به الى الجبل حتى بلغت ثلثه فلحقها الما
ذهبت حتى استوت على الجبل فلما بلغ الما الى رقبتها رفعت الصبي بيدها حتى ذهب
بهما الما فاغرقهما فلو رحم الله منهم احدا لرحم الصبي **ونادى نوح ابنه** يعني كنعان
وكان كافرا **وكان في معزل** يعني عن نوح لم يركب معه **يا بني اركب معنا** يعني
في السفينة **ولا تكن مع الكافرين** يعني فتهلك معهم **قال** يعني كنعان **ساوي**
يعني سالجي واصير **الى جبل يعصمني** يعني يمنعني **من الما قال** يعني قال له نوح
لا عاصم يعني لا مانع **اليوم من امر الله** يعني من عذابه **الا من رحم** يعني الا من رحم

الله

الله فينجيه من الغرق **وحال بينهما الموج فكان من المغرقين** يعني كنعان **وقيل**
يعني بعد ما تناهى الطوفان واغرق قوم نوح **يا ارض ابلعي ماءك** اي اشربيه
ويا سما اقلعي اي امسكي **وغيض الما** اي ونقص ونضب يقال غاض اذا نقص وذهب
وقضي الامر يعني وفرغ من الامر وهو هلاك قوم نوح **واستوت** يعني واستقرت
السفينة **على الجودي** وهو جبل بالجزيرة بقرب الموصل **وقيل بعدا** يعني هلاكا
للقوم الظالمين قال العلما بالسير لما استقرت السفينة بعث نوح الغراب
ليأتيه بخبر الارض فوقع على جيفة فلم يرجع اليه فبعث الحمامة فجاءت بورق زيتون
في منقارها ولطخت رجليها بالطين فعلم نوح ان الما قد ذهب فدعا على الغراب
بالخوف فلذلك لا يالف البيوت وطوق الحمامة بالخضرة التي في عنقها ودعا لها
بالامان فمن ثم تالف البيوت وروي ان نوحا عليه السلام ركب السفينة
لعشر بقين من رجب وجرت بهم السفينة ستة اشهر ومرت بالبيت الحرام
وقد رفعه الله من الغرق وبقي موضعه فطافت السفينة به سبعا واودع الحجر
الاسود جبل ابي قبيس وهبط نوح ومن معه من السفينة يوم عاشورا فصامه
نوح عليه السلام وامر جميع من معه بصيامه شكرا لله تعالى وبنوا قرية بقرب
الجبل فسميت سوق ثمانين فهو اول قرية عمرت على وجه الارض بعد الطوفان
وقيل انه لم ينج احد من الكفار من الغرق غير عوج بن عنق وكان الما يصل الى حجزته
وسبب نجاته من الهلاك ان نوحا عليه السلام احتاج الى خشب ساج لاجل السفينة
فلم يمكنه نقله فحمله عوج من الشام الى نوح فنجاه الله من الغرق لذلك فان قلت
كيف اقتضت الحكمة الالهية والكرم العظيم غرق من لم يبلغ الحلم من الاطفال
ولم يدخلوا تحت التكليف بذنوب غيرهم قلت قد ذكر بعض المفسرين ان الله عز
وجل اعقم ارحام نسائهم اربعين سنة فلم يولد لهم ولد في تلك المدة وهذا الجواب
ليس بقوي لانه يرد عليه اغراق الدواب والهوام والطير وغير ذلك من الحيوان
ويرد عليه ذلك ايضا هلاك اطفال الامم الكافرة مع ابائهم غير قوم نوح
والجواب الشافي عن هذا كله ان الله متصرف في خلقه وهو المالك المطلق يفعل ما
يشا ويحكم ما يريد لا يسال عما يفعل وهم يسالون قوله عز وجل **ونادى نوح ربه**
اي دعاه وساله **فقال رب ان ابني من اهلي** يعني وقد وعدتني ان تنجيني واهلي
وان وعدك الحق يعني الصدق الذي لا خلف فيه **وانت احكم الحاكمين** يعني انك حكمت
لقوم بالنجاة وحكمت على قوم بالهلاك **قال** يعني قال الله **يا نوح** هذا الابن
الذي سالتني نجاته **انه ليس من اهلك** اختلف علما التفسير هل كان هذا الولد
ابن نوح لصلبه ام لا فقال الحسن ومجاهد كان ولد حنث من غير نوح ولم يعلم به
فلذلك قال انه ليس من اهلك وقال محمد بن جعفر الباقر كان ابن امراة نوح ولذلك
قال من اهلي ولم يقل مني وقال ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير والضحاك واكثر
المفسرين انه ابن نوح من صلبه وهذا القول هو الصحيح والقولان الاولان ضعيفان

بل باطلان ويدل على صحة قول الجمهور ما صح عن ابن عباس انه قال ما بغت امراة نبي قط ولان
الله تعالى نص عليه بقوله يا بني اركب معنا وهذا نص في الدلالة وصرف الكلام عن الحقيقة
الى المجاز من غير ضرورة لا يجوز وانما خالف هذا الظاهر من خالفه لانه استبعد
ان يكون ولد نبي كافرا وهذا خطا ممن قاله لان الله خلق خلقه فريق في الجنة وهم
المومنون وفريق في السعير وهم الكافرون والله تعالى يخرج الكافر من المومن
والمومن من الكافر ولا فرق في ذلك بين الانبيا وغيرهم فان الله اخرج قابيل من
صلب ادم عليه السلام وهو نبي وكان قابيل كافرا واخرج ابراهيم وهو نبي من صلب
ازر وكان كافرا وكذلك اخرج كنعان وهو كافر من صلب نوح وهو نبي فهو المتصرف
في خلقه كيف يشا **فان قلت** فعلى هذا كيف ناداه نوح فقال اركب معنا وسال
له النجاة مع قوله رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا **قلت** قد ذكر بعضهم
ان نوحا عليه السلام لم يعلم بكون ابنه كان كافرا فلذلك ناداه وعلى تقدير انه يعلم
كفره انما حمله على ان ناداه رقة الابوة ولعله اذا راى تلك الاهوال ان يسلم فينجيه
الله بذلك من الغرق فاجابه الله عز وجل بقوله انه ليس من اهلك يعني انه ليس هو
من اهل دينك لان اهل الرجل من يجمعه واياهم نسب او دين او ما يجري مجراهما وقد حكمت
الشريعة برفع حكم النسب في كثير من الاحكام بين المسلم والكافر قال الله تعالى
لنوح انه ليس من اهلك **انه عمل غير صالح** قرا الكسائي ويعقوب عمل بكسر الميم وفتح
اللام غير بفتح الرا على عود الفعل على الابن ومعناه انه عمل الشرك والكفر والتكذيب
وكل هذا غير صالح وقرا الباقون من القرا عمل بفتح الميم ورفع اللام مع التنوين غير
بضم الرا ومعناه ان سوالك اياي ان انجيه من الغرق عمل غير صالح لان طلب نجاة
الكافر بعد ما حكم عليهم بالهلاك بعيد فلهذا قال انه عمل غير صالح ويجوز ان يعود
الضمير في انه على ابن نوح ايضا ويكون التقدير على هذه القراة ان ابنك ذو عمل او
صاحب عمل غير صالح فحذف المضاف كما قالت الخنسا فانما هي اقبال وادبار قال
الواحدي وهذا قول ابي اسحاق يعني الزجاج وابن الانباري وابي علي الفارسي قال ابو علي
ويجوز ان يكون ابن نوح عمل عملا غير صالح كما يجعل الشي الشي نفسه لكثرة ذلك
منه كما يقال الشعر زهير والعلم فلان اذا كثر منه فعلى هذا لا حذف **فلا تسالني
ما ليس لك به علم** وذلك ان نوحا عليه السلام سال ربه انجا ولده من الغرق وهو من
كمال شفقة الوالد على الولد وهو لا يعلم ان ذلك محظور لاصرار ولده على الكفر
فنهاه الله عن مثل هذه المسيلة واعلمه ان ذلك لا يجوز فكان المعنى فلا تسالني ما
ليس لك به علم بجواز مسيلته **اني اعظك** يعني انهاك **ان تكون من الجاهلين** يعني
لمثل هذا السوال **قال** يعني قال نوح **رب اني اعوذ بك** يعني التجا اليك واعتذر
اليك من مسالتي ما ليس لي به علم **والا تغفر لي** يعني جهلي واقدامي على سوال ما ليس
لي به علم **وترحمني** يعني برحمتك التي وسعت كل شي **اكن من الخاسرين فصل**
وقد استدل بهذه الايات من لا يرى عصمة الانبيا وبيانه ان قوله انه غير صالح والمراد

منه

منه السوال وهو محظور فلهذا نهاه عنه بقوله فلا تسالني ما ليس لك به علم وقوله
اني اعظك ان تكون من الجاهلين وهذا يدل على ان ذلك السوال كان جهلا ففيه
زجر وتهديد وطلب المغفرة والرحمة له يدل على صدور الذنب منه والجواب
ان الله عز وجل كان قد وعد نوحا عليه السلام بان ينجيه واهله فاخذ نوح
ظاهر اللفظ واتبع التاويل بمقتضى هذا الظاهر ولم يعلم ما غاب عنه ولم يشك
في وعد الله تعالى فاقدم على هذا السوال لهذا السبب فعاتبه الله تعالى على سواله
ما ليس له به علم وبين له انه ليس من اهله الذين وعده بنجاتهم لكفره وعمله الذي هو
غير صالح وقد اعلمه الله انه مغرق مع الذين ظلموا ونهاه عن مخاطبته فيهم فاشفق
نوح من اقدامه على سوال ربه فيما لم يوذن له فيه فخاف نوح من ذلك الهلاك فلجا
الى الله عز وجل وخشع له وعاذ به وساله المغفرة والرحمة لان حسنات الابرار
سيات المقربين وليس في الايات ما يقتضي صدور ذنب ولا معصية من نوح عليه السلام
سوى تاويله واقدامه على سوال ما لم يوذن له فيه وهذا ليس بذنب ولا معصية
والله اعلم قوله تعالى **قيل يا نوح اهبط** اي انزل من السفينة او من الجبل الى الارض
بسلام منا اي بامن وسلامة منا **وبركات عليك** البركة هو ثبوت الخير ونماوه
وزيادته وقيل المراد بالبركة هنا ان الله تعالى جعل ذريته هم الباقين الى يوم
القيامة فكل العالم من ذرية اولاده الثلاثة ولم يعقب من كان معه في السفينة
غيرهم **وعلى امم ممن معك** يعني وعلى ذرية امم ممن كان معك في السفينة
والمعنى وبركات عليك وعلى قرون تجي من بعدك من ذرية اولادك وهم المومنون
قال محمد بن كعب القرظي دخل في هذا كل مومن الى يوم القيامة **وامم سنمتعهم**
هذا ابتدا كلام اي وامم كافرة يحدثون بعدك سنمتعهم يعني في الدنيا الى منتهى
اجالهم **ثم يمسهم منا عذاب اليم** يعني في الاخرة **تلك من انبا الغيب** هذا
خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني ان هذه القصة التي اخبرناك بها من قصة
نوح وخبره وخبر قومه من انبا الغيب يعني من اخبار الغيب **نوحيها اليك ما كنت
تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا** يعني من قبل نزول القران عليك **فان قلت** ان
قصة نوح كانت مشهورة معلومة معروفة في العالم فكيف قال ما كنت تعلمها
انت ولا قومك من قبل هذا **قلت** يحتمل ان يكون كانوا يعلمونها مجملا فنزل القران
بتفصيلها وبيانها وجواب اخر وهو انه صلى الله عليه وسلم كان اميا لم يقرا الكتب
المتقدمة ولم يعلمها وكذلك كانت امته فصح قوله ما كنت تعلمها انت ولا قومك
من قبل نزول القران بها **فاصبر** يا محمد على اذى مشركي قومك كما صبر نوح على اذى
قومه **ان العاقبة** يعني بالنصر والظفر على الاعدا والفوز بالسعادة الاخروية
للمتقين يعني للمومنين قوله عز وجل **والى عاد** يعني وارسلنا الى عاد **اخاهم
هودا** يعني انه اخوهم في النسب لا في الدين **قال يا قوم اعبدوا الله** يعني
وحدوه ولا تشركوا به شيا في العبادة **ما لكم من اله غيره** يعني انه تعالى

هو الهكم لا هذه الاصنام التي تعبدونها فانها حجارة لا تضر ولا تنفع **ان انتم الا مفترون**
يعني ما انتم الا كاذبون في عبادتكم غيره **يا قوم لا اسألكم عليه** يعني على تبليغ الرسالة
اجرا جعلا اخذه منكم **ان اجري** يعني ما ثوابي **الا على الذي فطرني** يعني خلقني
فهو الذي يرزقني في الدنيا ويثيبني في الآخرة **افلا تعقلون** يعني فتتعظون **ويا**
قوم استغفروا ربكم اي آمنوا به فالاستغفار هنا بمعنى الايمان لانه هو المطلوب
اولا **ثم توبوا اليه** يعني من شرككم وعبادتكم غيره ومن سالف ذنوبكم **يرسل السماء**
عليكم مدرارا يعني ينزل المطر عليكم متتابعا مرة بعد مرة في اوقات الحاجة اليه
وذلك ان بلادهم كانت مخصبة كثيرة الخير والنعم فامسك الله عنهم المطر مدة ثلاث
سنين فاجدبت بلادهم وقحطت بسبب كفرهم فاخبرهم هود عليه السلام انهم ان آمنوا
بالله وصدقوا رسله ارسل الله عليهم المطر فاحيا بلادهم كما كانت اول مرة **ويزدكم**
قوة الى قوتكم يعني شدة مع شدتكم وقيل انكم ان آمنتم نقويكم بالاموال والاولاد
وذلك انه اعقم ارحام نسائهم فلم تلد ثلاث فقال لهم هود عليه السلام ان آمنتم ارسل
الله المطر فتزدادون مالا ويعيد ارحام الامهات الى ما كانت عليه فيلدن فتزدادون
قوة بالاموال والاولاد وقيل تزدادون في الدين الى الدنيا والابدان **ولا تتولوا**
مجرمين يعني ولا تعرضوا عن قبول قولي ونصحي حال كونكم مشركين **قالوا يا هود**
ما جئتنا ببينة اي ببرهان وحجة واضحة في صحة ما تقول **وما نحن بتاركي**
آلهتنا عن قولك يعني وما نترك عبادة آلهتنا لاجل قولك **وما نحن لك بمؤمنين**
يعني بمصدقين **ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء** يعني انك يا هود لست
تتعاطى ما نتعاطاه من نهي آلهتنا وسب آلهتنا الا ان بعض آلهتنا اصابك بخبل وجنون
لانك تسبها فانتقمت منك بذلك ولا نحمل امرك الا على هذا **قال** يعني هود مجيبا
لهم **اني اشهد الله** يعني على نفسي **واشهدوا** يعني اشهدوا انتم ايضا على **اني**
بريء مما تشركون من دونه يعني هذه الاصنام التي كانوا يعبدونها **فكيدوني جميعا**
يعني احتالوا في كيدي وضري انتم واصنامكم التي تعتقدون انها تضر وتنفع فانها
لا تضر ولا تنفع **ثم لا تنظرون** يعني ثم لا تمهلون وهذا فيه معجزة عظيمة لهود
عليه السلام وذلك انه كان وحيدا في قومه وقال لهم هذه المقالة ولم يهبهم ولم يخف
منهم مع ما هم فيه من الكفر والجبروت الا لثقته بالله عز وجل وتوكله عليه وهو قوله
اني توكلت على الله ربي وربكم يعني انه فوض امره الى الله واعتمد عليه **ما من دابة**
يعني تدب على الارض ويدخل في هذا جميع بني آدم والحيوان لانهم يدبون على الارض
الا هو آخذ بناصيتها يعني انه تعالى هو مالكها والقادر عليها ويقهرها لان من اخذت
بناصيته فقد قهرته والناصية مقدم الراس ويسمى الشعر الذي عليه ناصية
للمجاورة قيل انما خص الناصية بالذكر لان العرب تستعمل ذلك كثيرا في كلامهم واذا
وصفوا انسانا بالذلة مع غيره فيقولون ناصية فلان بيد فلان وكانوا اذا اسروا
اسيرا وارادوا اطلاقه جزوا ناصيته ليمنوا عليه ويعدوا ذلك فخرا عليه فخاطبهم

الله

الله بما يعرفون من كلامهم **ان ربي على صراط مستقيم** يعني ان ربي وان كان قادرا وانتم في
قبضته كالعبد الذليل فانه تعالى لا يظلمكم ولا يعمل الا بالاحسان والانصاف
والعدل فيجازي المحسن باحسانه والمسيء بعصيانه وقيل معناه ان دين ربي هو
الصراط المستقيم وقيل فيه اضمار تقديره ان ربي يحملكم على صراط مستقيم **فان تولوا**
يعني تتولوا يعني تعرضوا عن الايمان بما ارسلت به اليكم **فقد ابلغتكم ما ارسلت**
به اليكم يعني اني لم يقع مني تقصير في تبليغ ما ارسلت به اليكم انما التقصير منكم
في قبول ذلك **ويستخلف ربي قوما غيركم** يعني انكم ان اعرضتم عن الايمان وقبول
ما ارسلت به اليكم يهلككم الله ويستبدل بكم قوما غيركم اطوع منكم يوحدونه ويعبدونه
وفيه اشارة الى عذاب الاستيصال فهو وعيد وتهديد **ولا تضرونه شيئا** يعني بتوليكم
انما تضرون انفسكم بذلك وقيل لا تنقصونه شيئا اذا اهلككم لان وجودكم وعدمكم
عنده سواء **ان ربي على كل شيء حفيظ** يعني انه تعالى حافظ لكل شيء فيحفظني ان تنالوني
بسوء قوله تعالى **ولما جاء امرنا** يعني باهلاكهم وعذابهم **نجينا هودا والذين**
آمنوا معه وكانوا اربعة آلاف **برحمة منا** وذلك ان العذاب اذا نزل قد يعم
المؤمن والكافر فلما انجى الله المؤمن من ذلك العذاب كان برحمته وفضله وكرمه
ونجيناهم من عذاب غليظ يعني الريح التي اهلكت بها عاد وذلك ان الله تعالى
ارسل على عاد ريحا شديدة غليظة سبع ليال وثمانية ايام حسوما وهي الايام
النحسات فاهلكتهم جميعا وانجى الله المؤمنين جميعا فلم تصبهم شيئا وقيل المراد
بالعذاب الغليظ هو عذاب الآخرة وهذا هو الصحيح ليحصل الفرق بين العذابين
والمعنى انه تعالى كما انجاهم من عذاب الدنيا كذلك ينجيهم من عذاب الآخرة ووصف
عذاب الآخرة بكونه غليظا لانه اعظم من عذاب الدنيا **وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم**
وعصوا رسله لما فرغ من ذكر قصة عاد خاطب امة محمد صلى الله عليه وسلم
فقال وتلك عاد رده الى القبيلة وفيه اشارة الى قبورهم وآثارهم كانه قال
سيروا في الارض فانظروا اليها واعتبروا بها ثم وصف حالهم فقوله جحدوا بآيات
ربهم يعني المعجزات التي اتى بها هود عليه السلام وعصوا رسله يعني هودا وحده وانما
اتى به بلفظ الجمع اما للتعظيم او لان من كذب برسول فقد كذب كل الرسل **واتبعوا امر**
كل جبار عنيد يعني ان السفلة منهم اتبع الرؤساء والمراد من الجبار المرتفع في نفسه
المتمرد على الله والعنيد المعاند الذي لا يقبل الحق ولا يتبعه **واتبعوا في هذه الدنيا لعنة**
يعني اردفوا لعنة تلحقهم وتنصرف معهم فاللعنة الطرد والابعاد من رحمة الله تعالى
ويوم القيامة يعني وفي يوم القيامة ايضا تتبعهم اللعنة كما تتبعهم في الدنيا ثم ذكر
السبب الذي استحقوا به هذه اللعنة فقال تعالى **الا ان عادا كفروا ربهم** اي
كفروا بربهم **الا بعدا لعاد** يعني هلاكا لهم وقيل بعدا عن الرحمة فان قلت اللعنة
معناها الابعاد والهلاك فما الفائدة في قوله الا بعدا لعاد لان الثاني هو
الاول بعينه قلت الفائدة فيه ان التكرار فيه بعبارتين مختلفتين يدل على نهاية

التأكيد وانهم كانوا مستحقين له **قوم هود** عطف بيان لعاد فان قلت هذا البيان
حاصل مفهوم فما الفائدة في قوله قوم هود قلت ان عادا كانوا قبيلتين عاد الاولى
القديمة التي هي قوم هود وعادا الثانية ارم ذات العماد وهم العماليق فاتي بقوله
قوم هود ليزول الاشتباه وجواب اخر وهو ان المبالغة في التنصيص تدل على تقوية
التأكيد قوله عز وجل **والى ثمود** اي وارسلنا الى ثمود وهم سكان الحجر **اخاهم**
صلحا يعني في النسب لا في الدين **قال يا قوم اعبدوا الله** اي وحدوا الله
وخصوه بالعبادة **ما لكم من اله غيره** يعني هو المستحق للعبادة لا هذه الاصنام
ثم ذكر الدلائل الدالة على وحدانيته وكمال قدرته فقال **هو انشأكم من الارض**
يعني انه هو ابتدا خلقكم من الارض وذلك انهم من بني ادم وادم خلق من الارض
واستعمركم فيها يعني وجعلكم عمارها وسكانها وقال الضحاك اطال اعماركم فيها
حتى كان الواحد منهم يعيش ثلاثمائة سنة الى الف سنة وكذلك كان قوم عاد
وقال مجاهد اعمركم من العمرى اي جعلها لكم ما عشتم **فاستغفروه** يعني من ذنوبكم
ثم توبوا اليه يعني من الشرك **ان ربي قريب** يعني من المؤمنين **مجيب** لدعائهم
قالوا يا صلح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا يعني قبل هذا القول الذي جئت به والمعنى
انا نرجوا ان يكون فينا سيدا لانه كان من قبيلتهم وكان يعين ضعيفهم ويغني
فقيرهم وقيل معناه انا كنا نطمع ان تعود في ديننا فلما اظهر دعاءهم الى الله وعاب
الاصنام انقطع رجاؤهم منه **اتنهانا ان نعبد ما يعبد اباؤنا** يعني الالهة **واننا لفي**
شك مما تدعونا اليه يعني من عبادة الله **مريب** يعني اناهم ناهون في قولك
من رابه اذا اوقعه في الريبة وهي قلق النفس ووقوعها في الريبة والتهمة **قال**
يا قوم يعني قال صلح مجيبا لقومه يا قوم **ارايتم ان كنت على بينة من ربي** على يقين
وبرهان **واتاني منه رحمة** يعني حكمة ونبوة **فمن ينصرني من الله** اى فمن يمنعني
من عذاب الله **ان عصيته** يعني ان خالفت امره **فما تزيدونني غير تخسير** قال
ابن عباس معناه غير بصارة في خسارتكم وقال الحسين بن الفضل لم يكن صالح في
خسارة حتى يقول فما تزيدونني غير تخسير وانما المعنى فما تزيدونني بما تقولون الا
نسبتي اياكم الى الخسارة **ويا قوم هذه ناقة الله لكم اية** وذلك ان قومه طلبوا
منه ان يخرج لهم ناقة من صخرة كانت هناك اشاروا اليها فدعا الله عز وجل فاخرج
لهم من تلك الصخرة ناقة عشراء ثم ولدت فصيلا يشبهها وقوله ناقة الله اضافة
تشريف كبيت الله وعبد الله فكانت هذه الناقة لهم اية ومعجزة دالة على صدق
صلح عليه السلام **فذروها تاكل** يعني من العشب والنبات **في ارض الله** يعني
فليس عليكم مؤنتها **ولا تمسوها بسوء** يعني بعقر **فياخذكم** يعني ان قتلتموها **عذاب**
قريب يعني في الدنيا **فعقروها** يعني فخالفوا امر ربهم فعقروها **فقال**
يعني قال لهم صلح **تمتعوا** يعني عيشوا **في داركم** اي في بلدكم **ثلاثة ايام**
ثم تهلكون **ذلك** يعني العذاب الذي وعدهم به بعد ثلاثة ايام **وعد غير مكذوب**

اي هو غير مكذوب روي انه قال لهم يا تيكم العذاب بعد ثلاثة ايام فيصبحون في
اليوم الاول ووجوهكم مصفرة وفي اليوم الثاني مصفرة محمرة وفي اليوم الثالث
مسودة فكان كما قال واتاهم العذاب في اليوم الرابع وهو قوله تعالى **فلما جاء امرنا**
يعني بالعذاب **نجينا صلحا والذين امنوا معه برحمة منا** اي بنعمة منا بان هديناهم
الى الايمان فامنوا **ومن خزي يومئذ** يعني ونجيناهم من عذاب يومئذ سمي خزيا لان
فيه خزي الكفار **ان ربك** الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني ان ربك يا محمد **هو**
القوي يعني هو القادر على انجاء المؤمنين واهلاك الكفار **العزيز** يعني القاهر
الذي لا يغلبه شيء ثم اخبر عن عذاب قوم صلح فقال تعالى **واخذ الذين ظلموا**
يعني انفسهم بالكفر **الصيحة** وذلك ان جبريل صاح بهم صيحة واحدة فهلكوا جميعا
وقيل اتاهم صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شيء في الارض فتقطعت
قلوبهم في صدورهم فماتوا جميعا **فاصبحوا في ديارهم جاثمين** يعني صرعى
هلكى **كان لم يغنوا فيها** كان لم يقيموا فيها في تلك الديار ولم يسكنوا مرة من
الدهر تقال غنيت بالمكان اذا اتيته واقمت به **الا ان ثمود كفروا ربهم الا بعدا لثمود**
وهذه القصص قد تقدمت مستوفاة في سورة الاعراف قوله عز وجل **ولقد**
جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى اراد بالرسل الملائكة واختلفوا في عددهم فقال ابن
عباس وعطا كانوا ثلاثة جبريل وميكائيل واسرافيل وقال الضحاك كانوا تسعة
وقال مقاتل كانوا اثني عشر ملكا وقال محمد بن كعب القرظي كان جبريل ومعه سبعة
املاك وقال السدي كانوا احد عشر على صورة الغلمان الحسان الوجوه وقول ابن
عباس هو الاولى لان اقل الجمع ثلاثة وقوله ارسلنا جمع فيحمل على الاقل وما بعده
غير مقطوع به والبشرى يعني بالبشارة باسحاق ويعقوب وقيل باهلاك قوم
لوط **قالوا سلاما** يعني ان الملائكة قالوا سلاما **قال** يعني ابراهيم **سلام** اي
عليكم **فما لبث ان جاء بعجل حنيذ** يعني مشويا والحنيذ هو المشوي على الحجارة المحماة
في حفرة من الارض وهو من فعل اهل البادية وكان سمينا يسيل منه الودك قال قتادة
كان عامة مال ابراهيم عليه السلام البقر وقيل مكث ابراهيم عليه السلام خمسة عشر
ليلة لم ياته ضيف فاغتم لذلك وكان يحب الضيف ولا ياكل الا معه فلما جاءه الملائكة
راى اضيافا لم ير مثلهم قط فعجل قراهم وجاءهم بعجل سمين مشوي **فلما راى ايديهم**
يعني ايدي الاضياف **لا تصل اليه** يعني الى العجل المشوي **نكرهم** يعني انكرهم وانكر
حالهم وانما انكر حالهم لامتناعهم من الطعام **واوجس منهم خيفة** يعني وقع في
قلبه خوف منهم والوجس هو رعب القلب وانما خاف ابراهيم صلى الله عليه وسلم منهم
لانه كان ينزل ناحية من الناس فخاف ان ينزلوا به مكروها لامتناعهم من طعامه
ولم يعرف انهم ملائكة وقيل ان ابراهيم عرف انهم ملائكة وانما خاف ان يكونوا نزلوا
لعذاب قومه خاف من ذلك والاقرب ان ابراهيم لم يعرف انهم ملائكة في اول الامر
ويدل على صحة هذا انه عليه السلام قدم اليهم الطعام ولو عرف انهم ملائكة لما قدمه

اليهم لعلمه ان الملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولانه خافهم ولو عرفهم انهم ملائكة لما
خافهم فلما رأت الملائكة خوف ابراهيم عليه السلام **قالوا لا تخف** يا ابراهيم **انا**
ملائكة الله **ارسلنا الى قوم لوط وامرأته** يعني سارة زوجة ابراهيم وهي بنت هارون
ابن ناحور وهي ابنة عم ابراهيم **قائمة** يعني من وراء الستر تسمع كلامهم وقيل كانت
قائمة في خدمة الرسل وابراهيم جالس معهم **فضحكت** اصل الضحك انبساط الوجه
من سرور يحصل للنفس ولظهور الاسنان عنده سميت مقدمات الاسنان الضواحك
ويستعمل في السرور المجرد وفي التعجب المجرد ايضا ثم قال وللعلماء في تفسير هذا الضحك
قولان احدهما انه الضحك المعروف وعليه اكثر المفسرين ثم اختلفوا في سبب هذا
الضحك فقال السدي لما قرب ابراهيم الطعام الى ضيفه فلم يأكلوا خاف ابراهيم منهم
فقال الا تأكلون فقالوا انا لا نأكل طعاما الا بثمن قال فان له ثمنا قال وما ثمنه
قال تذكرون اسم الله على اوله وتحمدونه على آخره فنظر جبريل الى ميكائيل وقال حق لهذا
ان يتخذه ربه خليلا فلما رأى ابراهيم وسارة ايديهم لا تصل اليه ضحكت سارة وقالت
يا عجبا لاضيافنا نخدمهم بانفسنا تكرمة لهم وهم لا يأكلون طعامنا وقال قتادة
ضحكت من غفلة قوم لوط وقرب العذاب منهم وقال مقاتل والكلبي ضحكت من خوف
ابراهيم من ثلاثة فيما بين خدمه وحشمه وخواصه وقيل ضحكت من زوال الخوف عنها
وعن ابراهيم وذلك انها خافت لخوف ابراهيم فحين قالوا لا تخف ضحكت سرورا
وقيل ضحكت سرورا بالبشارة وقال ابن عباس ووهب ضحكت تعجبا من ان يكون لها
ولد على كبر سنها وسن زوجها فعلى هذا القول يكون في الآية تقديم وتأخير تقديره
فبشرناها باسحاق فضحكت يعني تعجبا من ذلك وقيل انها قالت لابراهيم اضمم
اليك ابن اخيك لوطا فان العذاب نازل بقومه فلما جاءت الرسل وبشرت بعذابهم
سرت سارة بذلك وضحكت لموافقتهم ما ظنت القول الثاني في معنى قوله فضحكت
قال عكرمة ومجاهد اي حاضت في الوقت وانكر بعض اهل اللغة ذلك قال الراغب
وقول من قال حاضت فليس ذلك تفسيرا لقوله فضحكت كما تصوره بعض المفسرين
فقال ضحكت بمعنى حاضت وانما ذكر ذلك تخصيصا لحالها فان جعل ذلك امارة لما
بشرت به فحاضت في الوقت لتعلم ان حملها ليس بمنكر اذ كانت المرأة ما دامت تحيض
فانها تحمل قال الفراء ضحكت بمعنى حاضت لم نسمعه من ثقة وقال الزجاج ليس
بشيء ضحكت بمعنى حاضت قال ابن الانباري قد انكر الفراء وابو عبيدة ان يكون ضحكت
بمعنى حاضت وقد عرفه غيرهم وانشد بقوله

فضحك الضبع لقتلى هذيل ۞ وترى الذئب بها يستهل

قال اراد انها تحيض فرحا وقال الليث في هذه الآية فضحكت اي طمثت وحكى الازهري
عن بعضهم في قوله فضحكت اي حاضت قال ويقال اصله من ضحاك الطلعة اذا انشقت
قال وقال الاخطل فيه بمعنى الحيض

تضحك الضبع من دماء سليم ۞ اذ رآها على الحراب تمور

وقال في المحكم ضحكت المرأة حاضت وبه فسر بعضهم قوله تعالى فضحكت فبشرناها
باسحاق وضحكت الارنب ضحكا حاضت كما قال

وضحك الارانب فوق الصفا ۞ كمثل دم الجوف عند اللقا

يعني الحيض فيما زعم بعضهم واجاب عن هذا من انكر ان يكون الضحك بمعنى الحيض
كابن دريد فقال من شاهد الضبع عند حيضها فيعلم انها تحيض وانما اراد الشاعر
انها تكشر لاكل اللحوم وهذا سهو منه لانه جعل كشرها ضحكا وقيل معناه انها تستبشر
بالقتلى اذا اكلتهم فيهر بعضها على بعض فجعل هريرها ضحكا وقيل لانها تسر بهم فجعل
سرورها ضحكا فان **قلت** اي القولين اصح في معنى الضحك **قلت** ان الله عز
وجل حكى عنها انها ضحكت وكلا القولين محتمل في معنى الضحك فالله اعلم اي ذلك كان
قوله تعالى **فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب** يعني ومن بعد اسحاق
يعقوب وهو ولد الولد فبشرت سارة بانها تعيش حتى ترى ولد ولدها فلما بشرت
بالولد صكت وجهها اي ضربت وجهها وهو من صنيع النساء وعادتهن وانما فعلت
ذلك تعجبا **قالت يا ويلتى** نداء ندبة واصلها يا ويلتاه وهي كلمة يستعملها الانسان
عند رؤية ما يتعجب منه مثل يا عجبا **أألد وانا عجوز** وكانت بنت تسعين سنة
في قول ابن اسحاق وقال مجاهد كانت بنت تسع وتسعين سنة **وهذا بعلي**
يعني زوجي والبعل هو المستعلي على غيره ولما كان زوج المرأة مستعليا عليها
قائما بامرها سمي بعلا لذلك **شيخا** وكان سن ابراهيم يومئذ مائة وعشرين سنة
في قول محمد بن اسحاق وقال مجاهد مائة سنة وكان بين البشارة والولادة سنة
ان هذا لشيء عجيب لم تنكر قدرة الله تعالى وانما تعجبت من كون الشيخ الكبير والعجوز
الكبيرة يولد لهما **قالوا** يعني قالت الملائكة لسارة **أتعجبين من امر الله** معناه لا
تعجبين من ذلك فان الله تعالى قادر على كل شيء فاذا اراد شيئا كان سريعا **رحمة
الله وبركاته عليكم اهل البيت** يعني بيت ابراهيم عليه السلام وهذا على معنى الدعاء
من الملائكة لهم بالخير والبركة وفيه دليل على ان ازواج الرجل من اهل بيته **انه
حميد** يعني هو المحمود الذي يحمد على افعاله كلها وهو المستحق لان يحمد في السراء
والضراء والشدة والرخاء فهو محمود على كل حال **مجيد** ومعناه المنيع الذي
لا يرام وقال الخطابي المجيد الواسع الكرم واصل المجد في كلامهم السعة يقال
رجل ماجد اذا كان سخيا كريما واسع العطاء وقيل الماجد هو ذو الشرف والكرم
قوله تعالى **فلما ذهب عن ابراهيم الروع** يعني الفزع والخوف الذي حصل له عند امتناع
الرسل من الاكل **وجاءته البشرى** يعني زال الخوف عنه بسبب البشرى التي جاءته
وهي البشارة بالولد **يجادلنا** فيه اضمار تقديره اخذ يجادلنا وجعل يجادلنا
وقيل معناه يكلمنا ويسائلنا **في قوم لوط** لان العبد لا يقدر ان يخاصم ربه قال
جمهور المفسرين معناه يجادل رسلنا في قوم لوط وكانت مجادلة ابراهيم مع الملائكة
انه قال لهم ارأيتم لو كان في مدائن قوم لوط خمسون من المؤمنين قالوا لا قال

فاربعون قالوا لا قال فثلاثون قالوا لا قال فما زال كذلك حتى بلغ خمسة قالوا
لا قال ارايتم لو كان فيها رجلا واحدا مسلما اتهلكونها قالوا لا قال ابراهيم فان
فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله الا امراته كانت من الغابرين وقيل
انما طلب ابراهيم تاخير العذاب عنهم لعلهم يؤمنوا او يرجعوا عما هم فيه من الكفر والمعاصي
قال ابن جريج وكان في قرى قوم لوط اربعة الاف الف **ان ابراهيم لحليم اواه منيب**
تقدم تفسيره في سورة التوبة فعند ذلك قالت الملايكة لابراهيم **يا ابراهيم اعرض
عن هذا** يعني اعرض عن هذا المقال واترك هذا الجدال **انه قد جاء امر ربك**
يعني ان ربك قد حكم بعذابهم فهو نازل بهم وهو قوله **وانهم اتيهم عذاب غير مردود**
يعني ان العذاب الذي نزل بهم غير مصروف ولا مدفوع عنهم قال تعالى **ولما جاءت رسلنا
لوطا** يعني هولا الملايكة الذين كانوا عند ابراهيم وكانوا على صورة غلمان مرد حسان
الوجوه **سيء بهم** يعني حزن لوط بمجيئهم اليه وساءه ظنه بقومه **وضاق بهم
ذرعا** قال الازهري الذرع يوضع موضع الطاقة والاصل فيه ان البعير يذرع بيديه
في سيره ذرعا على قدر سعة خطوه فاذا حمل عليه اكثر من طوقه ضاق ذرعه عن
ذلك وضعف ومد عنقه فجعل ضيق الذراع عبارة عن ضيق الوسع والطاقة فمعنى
قوله وضاق بهم ذرعا ولم يجد من المكروه في ذلك الامر مخلصا وقال غيره معناه
ضاق بهم قلبا وصدرا ولا يعرف اصله الا ان يقال ان الذرع كناية عن الوسع والعرب
تقول ليس هذا في يدي يعنون ليس هذا في وسعي لان الذراع من اليد ويقال ضاق
فلان ذرعا بكذا اذا وقع في مكروه ولا يطيق الخروج منه وذلك ان لوطا عليه السلام
لما نظر الى حسن وجوههم وطيب روايحهم اشفق عليهم من قومه وخاف ان يقصدوهم
بمكروه او فاحشة وعلم انه سيحتاج الى المدافعة عنهم **وقال** يعني لوطا **هذا يوم
عصيب** اي شديد كانه قد عصب به الشر والبلاء اي شد به ماخوذ من العصابة
التي يشد بها الراس قال قتادة والسدي خرجت الملايكة من عند ابراهيم نحو قرية
لوط فاتوا لوطا نصف النهار وهو يعمل في ارض له وقيل انه كان يحتطب وقد قال الله
تعالى للملايكة لا تهلكوهم حتى تشهد عليهم اربع شهادات فاستضافوه فانطلق
بهم فلما مشى ساعة قال لهم ما بلغكم امر هذه القرية قالوا وما امرهم قال اشهد
بالله انها لاشر قرية في الارض عملا يقول ذلك اربع مرات فمضوا معه حتى دخلوا
منزله وقيل انه لما حمل الحطب ومعه الملايكة مر على جماعة فتغامزوا فيما بينهم
فقال لوط ان قومي شر خلق الله تعالى فقال جبريل ان هذه واحدة فمروا على جماعة
اخرى فتغامزوا فقال مثله ثم مروا على جماعة اخرى ففعلوا ذلك فقال لوط
مثل ما قال فقال جبريل عليه السلام للملايكة اشهدوا وقيل ان الملايكة جاوا
الى بيت لوط فوجدوه في داره فدخلوا عليه ولم يعلم احد بمجيئهم الا اهل بيت لوط
عليه السلام فخرجت امراته الخبيثة فاخبرت قومها وقالت ان في بيت لوط رجالا
ما رايت مثل وجوههم قط ولا احسن منهم **وجاءه قومه يهرعون اليه** قال ابن عباس

وقتادة يسرعون اليه وقال مجاهد يهرولون وقال الحسن الاهراع هو مشي بين
مشيتين وقال شمر هو بين الهرولة والجمز **ومن قبل** يعني ومن قبل مجي الرسل
عليهم وقيل من قبل مجيئهم الى لوط **كانوا يعملون السيئات** يعني الفعلات الخبيثة
والفاحشة القبيحة وهي اتيان الرجال في ادبارهم **قال** يعني قال لوط لقومه
حين قصدوا اضيافه وظنوا انهم غلمان من بني ادم **يا قوم هولاء بناتي** ازوجكم
اياهن وفي اضيافه ببناته قيل انه كان في ذلك الوقت وفي تلك الشريعة مباحا
تزويج المراة المسلمة بالكافر وقال الحسين بن الفضل عرض بناته عليهم بشرط الاسلام
وقال مجاهد وسعيد بن جبير اراد ببناته نسا قومه واضافهن الى نفسه لان كل نبي
هو ابو امته وكالوالد لهم وهذا القول هو الصحيح واشبه بالصواب الى الله تعالى
والدليل عليه ان بنات لوط كانتا اثنتين وليستا بكافيتين للجماعة وليس من المروة
ان يعرض الرجل بناته على اعدايه ليزوجهن اياهم فكيف يليق ذلك بمنصب الانبيا
ان يعرضوا بناتهم على الكفار وقيل انما قال ذلك لوط على سبيل الدفع لقومه لا على
التحقيق وفي قوله تعالى **هن اطهر لكم** سوال وهو ان يقال ان قوله هن اطهر لكم
من باب افعل التفضيل فيقتضي ان يكون الذي يطلبونه من الرجال طاهرا ومعلوم
انه محرم فاسد نجس لا طهارة فيه البتة فكيف قال هن اطهر لكم والجواب عن هذا
السوال ان هذا جار مجرى قوله تعالى اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم ومعلوم ان
شجرة الزقوم لا خير فيها وكقوله صلى الله عليه وسلم لما قال يوم احد اعل هبل قال
الله اعلى واجل اذ لا مماثلة بين الله عز وجل والصنم فانما هو كلام خرج مخرج المقابلة
ولهذا نظاير كثيرة وقوله عز وجل **فاتقوا الله** اي خافوه وراقبوه واتركوا ما
انتم عليه من الكفر والعصيان **ولا تخزون في ضيفي** يعني ولا تسوؤني في اضيافي
ولا تفضحوني معهم **اليس منكم رجل رشيد** اي صالح سديد عاقل وقال عكرمة
رجل يقول لا اله الا الله وقال محمد بن اسحاق رجل يامر بالمعروف وينهى عن المنكر
حتى ينهى عن هذا الفعل القبيح **قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق** يعني ليس لنا
بهن حاجة ولا لنا فيهن شهوة وقيل معناه ليس بناتك لنا بازواج ولا مستحقين
نكاحهن وقيل معناه ما لنا في بناتك من حاجة لانك دعوتنا الى نكاحهن بشرط الايمان
ولا نريد ذلك **وانك لتعلم ما نريد** يعني في اتيان الرجال في ادبارهم فعند ذلك
قال لوط **قال لو ان لي بكم قوة** اي لو اني اقدر ان اتقوى عليكم **او اوي الى ركن
شديد** يعني وانضم الى عشيرة يمنعوني منكم وجواب لو محذوف تقديره لو وجدت
قوة لقاتلتكم ولو وجدت عشيرة لانضممت اليها قال ابو هريرة ما بعث الله نبيا
بعده الا في منعة من عشيرته ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يرحم الله لوطا لقد كان ياوي الى ركن شديد ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف
ثم اتاني الداعي لاجبت قال الشيخ محيي الدين النووي المراد بالركن الشديد هو
الله عز وجل فانه اشد الاركان واقواها وامنعها ومعنى الحديث ان لوطا عليه السلام

لما خاف على اضيافه ولم تكن لهم عشيرة تمنعهم من الظالمين ضاق ذرعه واشتد حزنه
عليهم فغلب ذلك عليه فقال في تلك الحال لو ان لي فيكم قوة في الدفع بنفسي او اوي
الى عشيرة تمنع لمنعتكم وقصد لوط اظهار العذر عند اضيافه وانه لو استطاع
لدفع المكروه عنهم ومعنى باقي الحديث فيما يتعلق بيوسف عليه السلام ياتي في موضعه
في سورة يوسف ان شا الله تعالى قال ابن عباس واهل التفسير اغلق لوط بابه والملائكة
معه في الدار وجعل يناظر قومه ويناشدهم من ورا الباب وقومه يعالجون تسور الجدار
فلما رات الملايكة ما يلقى لوط بسببهم قالوا يا لوط ركنك شديد انا رسل ربك
لن يصلوا اليك يعني بمكروه فافتح الباب ودعنا واياهم ففتح الباب فدخلوا فاستاذن
جبريل ربه في عقوبتهم فاذن له فتحول الى صورته التي يكون فيها ونشر جناحيه وعليه
وشاح من در وهو براق الثنايا اجلى الجبين وراسه حبك مثل المرجان كانه الثلج
بياضا وقدماه الى الخضرة فضرب بجناحيه وجوههم فطمس اعينهم واعماهم فصاروا
لا يعرفون الطريق ولا يهتدون الى بيوتهم فانصرفوا وهم يقولون النجاة النجاة في
بيت لوط اسحر قوم في الارض قد سحرونا وجعلوا يقولون يا لوط كما انت حتى تصبح
وسترى ما تلقى منا غدا يوعدونه بذلك فاسر باهلك يعني بنيك بقطع من
الليل قال ابن عباس بطائفة من الليل وقال الضحاك ببقية من الليل وقال
قتادة بعد مضي اوله وقيل انه السحر الاول ولا يلتفت منكم احد يعني ولا
يلتفت منكم احد الى ورايه ولا ينظر خلفه الا امراتك فانها من الملتفتات فتهلك
مع من هلك من قومها وهو قوله تعالى الا امراتك انه مصيبها ما اصابهم فقال
لوط متى يكون العذاب قالوا ان موعدهم الصبح قال لوط انه بعيد اريد اسرع من
ذلك فقالوا له اليس الصبح بقريب فلما خرج لوط من قريته واخذ اهله معه وامرهم
ان لا يلتفت منهم احد فقبلوا منه الا امراته فانها لما سمعت هدة العذاب وهو نازل
التفتت وصاحت واقوماه فاخذتها حجارة فاهلكتها معهم فلما جاء امرنا يعني
امرنا بالعذاب جعلنا عاليها سافلها وذلك ان جبريل عليه السلام ادخل جناحيه
تحت قرى قوم لوط وهي خمس مداين اكبرها سدوم وهي المؤتفكات المذكورة في
سورة براءة وكان فيها اربعمائة الف وقيل اربعة الاف الف فرفع جبريل المدن
كلها حتى سمع اهل السما صياح الديكة ونباح الكلاب لم يكفا لهم اناء ولم ينتبه لهم نايم
ثم قلبها فجعل عاليها سافلها وامطرنا عليها يعني على شذاذها ومن كان خارجا
عنها من مسافريها وقيل بعد ما قلبها امطر عليهم حجارة من سجيل قال ابن عباس
وسعيد بن جبير معناه سنك وكل فارسي معرب لان العرب اذا تكلمت بشي من الفارسي
صار لغة للعرب ولا يضاف الى الفارسي مثل قولهم استبرق وسندس ونحو ذلك
فكل هذه الالفاظ فارسية تكلمت بها العرب واستعملتها في الفاظهم فصارت
عربية وقال قتادة وعكرمة السجيل الطين دليله قوله في موضع اخر حجارة من
طين وقال مجاهد اولها حجر واخرها طين وقال الحسن اصل الحجارة طين فشددت

وقال

وقال الضحاك يعني الاجر وقيل السجيل اسم للسما الدنيا وقيل هو جبال في سما الدنيا
منضود قال ابن عباس متتابع يتبع بعضها بعضا مفعول من النضد وهو وضع
الشي بعضه فوق بعض مسومة عند ربك صفة للحجارة يعني معلمة قال ابن جريج
عليها سيما لا تشاكل حجارة الارض وقال قتادة وعكرمة عليها خطوط حمر على
هيئة الجزع وقال الحسن والسدي كانت مختومة عليها امثال الخواتيم وقيل
كان مكتوب على كل حجر اسم صاحبها الذي يرمى بها وما هي يعني تلك الحجارة من
الظالمين يعني مشركي مكة ببعيد قال قتادة وعكرمة يعني ظالمي هذه الامة
والله ما اجار الله منها ظالما بعد وفي بعض الاثار ما من ظالم الا وهو بعرض
عليه حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل ان الحجارة اتبعت شذاذ قوم لوط
حتى ان واحدا منهم دخل الحرم فبقي الحجر معلقا في السما اربعين يوما حتى خرج ذلك
الرجل من الحرم فسقط الحجر فاهلكه قوله تعالى والى مدين اي ارسلنا الى مدين
اخاهم شعيبا ومدين اسم لابن ابراهيم الخليل عليه السلام ثم صار اسما للقبيلة
من اولاده وقيل هو اسم مدينة بناها مدين بن ابراهيم فعلى هذا يكون التقدير
وارسلنا الى اهل مدين فحذف المضاف لدلالة الكلام عليه قال يا قوم اعبدوا
الله ما لكم من اله غيره يعني وحدوا الله ما لكم من اله غيره ولا تعبدوا معه غيره
وهذا كان عادة الانبيا عليهم السلام يبدون بها ولا بهم فاولا بهم فلما كانت الدعوة
الى توحيد الله وعبادته اهم الاشيا فلهذا قال شعيب اعبدوا الله ما لكم من اله
غيره ثم بعد الدعوة شرع فيما هم فيه ولما كان المعتاد من اهل مدين البخس في الكيل
والوزن دعاهم الى ترك هذه العادة القبيحة وهي تطفيف الكيل والوزن فقال
ولا تنقصوا المكيال والميزان والنقص في الكيل والوزن على وجهين احدهما ان يكون
الاستنقاص من قبلهم فيكيلون ويزنون للغير ناقصا والوجه الاخر هو استيفا
الكيل والوزن لانفسهم زايدا عن حقهم فيكون نقصا في مال الغير وكلا الوجهين
مذموم فلهذا نهاهم شعيب عن ذلك بقوله ولا تنقصوا المكيال والميزان اني
اراكم بخير قال ابن عباس كانوا موسرين في نعمة وقال مجاهد كانوا في خصب
وسعة فحذرهم زوال تلك النعمة وغلا السعر وحلول النقمة ان لم يتوبوا ويومنوا
وهو قوله واني اخاف عليكم عذاب يوم محيط يعني يحيط بكم فيهلككم جميعا
وهو عذاب الاستيصال في الدنيا وحذرهم عذاب الاخرة ومنه قوله وان جهنم
لمحيطة بالكافرين ويا قوم اوفوا المكيال والميزان اي اتموهما ولا تطففوا فيهما
بالقسط اي بالعدل وقيل بتقديم لسان الميزان وتعديل المكيال قوله
ولا تبخسوا الناس اي ولا تنقصوا الناس اشياءهم يعني اموالهم فان قلت قد
وقع التكرار في هذه القصة من ثلاثة اوجه لانه قال ولا تنقصوا المكيال والميزان
ثم قال اوفوا المكيال والميزان وهذا عين الاول ولا تبخسوا الناس اشياءهم
وهذا عين ما تقدم فما الفايدة في هذا التكرار قلت ان القوم لما كانوا مصرين

على ذلك العمل القبيح وهو تطفيف الكيل والميزان ومنع الناس حقوقهم احتيج في المنع
منه الى المبالغة في التاكيد والتكرير يفيد شدة الاهتمام والعناية بالتاكيد
فلهذا اكرر ذلك ليقوى الزجر والمنع من ذلك الفعل ولان قوله ولا تنقصوا المكيال
والميزان نهي عن التنقيص وقوله اوفوا المكيال والميزان امر بايفاء العدل وهذا
غير الاول ومغاير له ولقايل ان يقول النهي ضد الامر فالتكرار لازم على هذا
الوجه قلنا الجواب عن هذا قد يجوز ان ينهى عن التنقيص ولا يامر بايفاء الكيل والوزن
فلهذا جمع بينهما فهو كقولك صل رحمك ولا تقطعها فتزيد المبالغة في الامر والنهي
واما قوله ثانيا ولا تبخسوا الناس اشياءهم فليس بتكرار ايضا لانه تعالى لما
خصص النهي عن التنقيص والامر بايفاء الحق في الكيل والوزن عم الحكم في جميع الاشياء
التي يجب ايفاء الحقوق فيها فيدخل فيه الكيل والوزن والزرع وغير ذلك فظهر
بهذا البيان فايدة هذا التكرار والله اعلم قوله **ولا تعثوا في الارض مفسدين**
يعني بتنقيص الكيل والوزن ومنع الناس حقوقهم **بقيت الله خير لكم** قال
ابن عباس يعني ما ابقى الله لكم من الحلال بعد ايفاء الكيل والوزن خير لكم مما تاخذونه
بالتطفيف وقال مجاهد بقيت الله يعني طاعة الله خير لكم وقيل بقية الله يعني ما
ابقاه لكم من الثواب في الاخرة خير لكم مما يحصل لكم في الدنيا من المال الحرام **ان كنتم
مومنين** يعني مصدقين بما قلت لكم وامرتكم به ونهيتكم عنه **وما انا عليكم
بحفيظ** يعني احفظ اعمالكم قال بعضهم انما قال لهم شعيب ذلك لانه لم يؤمر
بقتالهم **قالوا يا شعيب اصلواتك تامرك ان نترك ما يعبد اباؤنا** يعني من الاصنام
او ان نفعل في اموالنا ما نشاء يعني من النقص والزيادة قال ابن عباس كان شعيب كثير
الصلاة فلذلك قالوا هذا وقيل انهم كانوا يمرون به فيرونه يصلي فيستهزؤن
به ويقولون هذه المقالة وقال الاعمش اقراءتك لان الصلاة تطلق على القراءة والدعاء
وقيل المراد بالصلاة هنا الدين يعني اديتك يامرك ان نترك ما يعبد اباؤنا او
ان نفعل في اموالنا ما نشاء وذلك انهم كانوا يقرضون الدراهم والدنانير فكان شعيب
ينهاهم عن ذلك ويخبرهم انه محرم عليهم وانما ذكروا الصلاة لانها من اعظم شعاير الدين
انك لانت الحليم الرشيد قال ابن عباس ارادوا السفيه الغاوي لان العرب قد تصف
الشيء بضده فيقولون للديغ السليم وللفلاة المهلكة مفازة وقيل هو على حقيقته
وانما قالوا ذلك على سبيل الاستهزاء والسخرية وقيل معناه انك لانت الحليم الرشيد
في زعمك وقيل هو على بابه في الصحة ومعناه انك يا شعيب فينا حليم رشيد فلا يجمل
بك شق عصا قومك ومخالفتهم في دينهم **قال** يعني قال لهم شعيب **يا قوم ارايتم
ان كنت على بينة من ربي** يعني على بصيرة وهداية وبيان **ورزقني منه رزقا حسنا** يعني
حلالا وقيل كان شعيب كثير المال والنعم وقيل الرزق الحسن ما اتاه الله من العلم
والهداية والنبوة والمعرفة وجواب ان وهي الشرطية محذوف تقديره ارايتم ان كنت
على بينة من ربي ورزقني المال الحلال والهداية والنبوة والمعرفة فهل يسعني مع هذه

النعم

النعم العظيمة ان اخونه في وحيه وان اخالف امره واتبع الضلال وابخس الناس اشياءهم
وهذا الجواب شديد المطابقة لما تقدم وذلك انهم قالوا انك لانت الحليم الرشيد
والمعنى فكيف يليق بالحليم الرشيد ان اخالف امر ربه وله عليه نعم كثيرة وقوله **وما اريد
ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه** قال صاحب الكشاف يقال خالفني فلان الى كذا اذا
قصده وانت مول عنه واذا ولي عنه وانت قاصده ويلقاك الرجل صادرا عن الما فتساله
عن صاحبه فيقول خالفني الى الما يريد انه قد ذهب اليه واردا وانا ذاهب عنه صادرا
ومنه قوله تعالى وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه يعني ان اسبقكم الى شهواتكم
التي نهيتكم عنها لاستبد بها دونكم قال الامام فخر الدين الرازي وتحقيق الكلام
فيه ان القوم اعترفوا بانه حليم رشيد وذلك يدل على كمال العقل وكمال العقل
يحمل صاحبه على اختيار الطريق الاصوب الاصلح فكانه عليه السلام قال لما اعترفتم
بكمال عقلي فاعلموا ان الذي اخترته لنفسي هو اصوب الطرق واصلحها وهو الدعوة
الى توحيد الله وترك البخس والنقصان فانا مواظب عليها غير تارك لها فاعلموا ان هذه
الطريقة خير الطرق واشرفها لا ما انتم عليه وقال الزجاج معناه اني لست انهاكم
عن شي وادخل فيه انما اختار لكم ما اختار لنفسي وقال ابن الانباري بين ان الذي
يدعوهم اليه من اتباع طاعة الله وترك البخس والتطفيف هو ما يرتضيه لنفسه
ولا ينطوي الا عليه فكان هذا محض النصيحة لهم **ان اريد** يعني بما اريده فيما امركم
به وانهاكم عنه **الا الاصلاح** يعني فيما بيني وبينكم **ما استطعت** يعني ما استطعت
الا الاصلاح وهو الابلاغ والانذار فقط ولا استطيع اجباركم على الطاعة لان ذلك
الى الله فانه يهدي من يشاء ويضل من يشاء **وما توفيقي الا بالله** التوفيق تسهيل
سبل الخير والطاعة على العبد ولا يقدر على ذلك الا الله تعالى فلذلك قال وما توفيقي
الا بالله **عليه توكلت** يعني على الله اعتمدت في جميع اموري **واليه انيب**
يعني واليه ارجع فيما ينزل بي من النوايب وقيل ارجع في معادي وروي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان اذا ذكر شعيبا قال ذلك خطيب الانبيا لحسن مراجعته
قومه وقوله تعالى **ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي** اي لا يحملنكم خلافي وعداوتي **ان
يصيبكم** يعني عذاب العاجلة على كفركم وافعالكم الخبيثة **مثل ما اصاب قوم نوح**
يعني الغرق **او قوم هود** يعني الريح التي اهلكتهم **او قوم صالح** يعني ما اصابهم من
الصيحة حتى هلكوا جميعا **وما قوم لوط منكم ببعيد** وذلك انهم كانوا حديثي عهد بهلاكهم
وقيل معناه وما ديار قوم لوط منكم ببعيد وذلك انهم كانوا جيران قوم لوط وبلادهم
قريبة من بلادهم **واستغفروا ربكم** يعني من عبادة الاصنام **ثم توبوا
اليه** يعني من البخس والنقصان في الكيل والوزن **ان ربي رحيم** يعني بعباده
اذا تابوا واستغفروا **ودود** قال ابن عباس الودود المحب لعباده المومنين فهو
من قولهم وددت الرجل اوده اذا احببته وقيل يحتمل ان يكون ودود فعول بمعنى
مفعول معناه ان عباد الله الصالحين يودونه ويحبونه لكثرة افضاله واحسانه اليهم

وقال الحليمي قد قيل هو الواد لاملطاعته اي الراضي عنهم باعمالهم والمحسن اليهم
لاجلها والمادح لهم بها وقال ابو سليمان الخطابي وقد يكون معناه ان يوددهم الي
خلقه قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول يعني ما نفهم ما تدعون اليه وذلك
ان الله ختم علي قلوبهم فصارت لاتعي ولا تفهم ما ينفعها وان كانوا في الظاهر
يسمعون ويفهمون وانا لنراك فينا ضعيفا قال ابن عباس وقتادة كان اعمي قال
الزجاج ويقال ان حمير كانوا يسمون المكفوف ضعيفا وقال الحسن وابو روق ومقاتل
يعني ذليلا قال ابو روق ان الله تعالي لم يبعث نبيا اعمي ولا نبيا به زمانة وقال كان
ضعيف البصر وقيل المراد بالضعف العجز عن الكسب والتصرف وقيل هو الذي يتعذر
عليه المنع عن نفسه ويدل علي صحة هذا القول ما بعده وهو قوله تعالي ولولا
رهطك يعني جماعتك وعشيرتك وقيل الرهط ما بين الثلاثة الي العشرة وقيل
الي سبعة لرجمناك يعني لقتلناك بالحجارة والرجم بالحجارة اسوء القتلات واشرها
وقيل معناه لشتمناك واغلظنا لك القول وما انت علينا بعزيز يعني بكريم وقيل
بممتنع والمقصود من هذا القول وحاصله انهم بينوا لشعيب عليه السلام انه لا حرمة
له عندهم ولا وقع له في صدورهم وانهم انما يقتلوه ولم يسمعوا الكلام الغليظ الفاحش
لاجل احترامهم رهطه وعشيرته وذلك لانهم كانوا علي دينهم وملتهم ولما قالوا لشعيب
عليه السلام هذه المقالة اجابهم بقوله قال يا قوم ارهطي اعز عليكم يعني ارهطي اهيب عندكم
من الله وامنع حتي تركتم قتلي لمكان رهطي عندكم فالاولي ان تحفظوني في الله ولاجل الله لا لرهطي
لان الله اعز واعظم واتخذتموه وراءكم ظهريا يعني ونبذتم امر الله وراءكم
وتركتموه كالشيء الملقي الذي لا يلتفت اليه ان ربي بما تعملون محيط يعني انه
عالم باحوالكم جميعا لا يخفي عليه منها شيء فيجازيكم بها يوم القيامة ويا قوم اعملوا
علي مكانتكم يعني علي تؤدتكم وتمكنكم من عملكم وقيل المكانة الحالة والمعني اعملوا
حال كونكم موصوفين بغاية المكنة والقدرة من الشر اني عامل يعني ما اقدر عليه
من الطاعة والخير وهذا الامر في قوله اعملوا فيه وعيد وتهديد عظيم ويدل علي ذلك
قوله سوف تعلمون يعني اينا الجاني علي نفسه المخطي في فعله فان قلت اي فرق بين
ادخال الفاء وحذفها في قوله سوف تعلمون قلت ادخال الفاء في قوله فسوف تعلمون
وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل ونزعها في قوله سوف تعلمون وصل خفي تقديري
بالاستيناف الذي جواب لسؤال مقدر كانهم قالوا فما يكون اذا عملنا نحن علي
مكانتنا وعملت انت فقال سوف تعلمون يعني عاقبة ذلك فوصل تارة بالفاء وتارة
بالاستيناف للتفنن في البلاغة كما هو عادة بلغاء العرب واقوي الوصلين وابلغهما
الاستيناف وهو باب من ابواب علم البيان تتكاثر محاسنه والمعني سوف تعلمون
من ياتيه عذاب يخزيه بسبب عمله السيء واينا الشقي الذي ياتيه عذاب يخزيه
ومن هو كاذب يعني فيما يدعيه قوله وارتقبوا يعني وانتظروا العاقبة وما
يؤول اليه امري وامركم اني معكم رقيب اي منتظر والرقيب بمعني المراقب ولما جا

امرنا

امرنا يعني بعذابهم واهلاكهم نجينا شعيبا والذين امنوا معه برحمة منا يعني
بفضل منا بان هديناهم للايمان ووفقناهم للطاعة واخذت الذين ظلموا يعني
ظلموا انفسهم بالشرك والبخس الصيحة وذلك ان جبريل عليه السلام صاح بهم صيحة
خرجت ارواحهم وماتوا جميعا وقيل اتتهم صيحة من السماء فاهلكتهم جميعا فاصبحوا
في ديارهم جاثمين يعني ميتين وهو استعارة من قولهم جثم الطير اذا قعد ولطي
بالارض كان لم يغنوا فيها يعني كان لم يقيموا بديارهم مرة من الدهر ماخوذ من
قولهم غني بالمكان اذا اقام فيه مستغنيا به عن غيره الا بعدا يعني هلاكا لمدين
كما بعدت ثمود قال ابن عباس لم تعذب امتان قط بعذاب واحد الا قوم شعيب
وقوم صالح فاما قوم صالح فاخذتهم الصيحة من تحتهم واما قوم شعيب فاخذتهم
من فوقهم قوله عز وجل ولقد ارسلنا موسي باياتنا يعني بحججنا والبراهين الذي
اعطيناه الدالة علي صدقه ونبوته وسلطان مبين يعني ومعجزة باهرة ظاهرة
دالة علي صدقه ايضا قال بعض المحققين سميت الحجة سلطانا لان صاحب الحجة
يقهر من لا حجة له كالسلطان يقهر غيره وقال الزجاج السلطان هو الحجة وسمي
السلطان حجة لانه حجة الله في الارض الي فرعون وملائه يعني اتباعه واشراف
قومه فاتبعوا امر فرعون يعني ما هو عليه من الكفر وترك الايمان بما جاءهم
به موسي وما امر فرعون برشيد يعني وما طريق فرعون وما هو عليه بسديد
ولا حميد العاقبة ولا يدعو الي خير يقدم قومه يوم القيامة فاوردهم النار
يعني كما تقدم قومه فادخلهم البحر في الدنيا كذلك يتقدم قومه فيدخلهم
النار ويدخل هو امامهم والمعني كما كان قدوتهم في الضلال والكفر في الدنيا فكذلك
هو قدوتهم وامامهم في النار وبئس الورد المورود يعني وبئس المدخل المدخول
فيه وقيل شبه فرعون في تقدمه علي قومه بمن يتقدم علي الوارد الي الماء وشبه
اتباعه بالواردين بعده ولما كان ورود الماء محمودا عند الواردين لانه يكسر العطش
قال في حق فرعون واتباعه فاوردهم النار وبئس الورد المورود لان الاصل فيه
قصد الماء واستعمل في ورود النار علي سبيل الفظاعة واتبعوا في هذه يعني في
الدنيا لعنة يعني طردا وبعدا عن الرحمة ويوم القيامة يعني بئس العون والمعان
وذلك ان اللعنة في الدنيا رفد للعنة الاخرة وقيل معناه بئس العطاء المعطي وذلك
انهم ترادفت عليهم لعنتان لعنة في الدنيا ولعنة في الاخرة قوله تعالي ذلك من انباء
القري يعني من اخبار اهل القري نقصه عليك يعني نخبرك به يا محمد لتخبر قومك
اخبارهم لعلهم يعتبروا بهم فيرجعوا عن كفرهم او ينزل بهم مثل ما نزل بهم من العذاب
منها يعني من القري التي اهلكنا اهلها قائم وحصيد يعني منها عامر ومنها
خراب وقيل منها قائم يعني الحيطان بغير سقوف ومنها ما قد محي اثره بالكلية
شبهها الله بالزرع الذي بعضه قائم علي ساقه وبعضه قد حصد وذهب اثره
وحصيد بمعني محصود وما ظلمناهم يعني بالعذاب والاهلاك ولكن ظلموا

واتبعوا اللعنة اخري يوم القيامة مع اللعنة الاولي
حصلت لهم في الدنيا بئس الرفد المرفود لعنتان

أنفسهم يعني بالكفر والمعاصي فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من
شيء لما جاء أمر ربك يعني لما جاء عذاب ربك لم تنفعهم أصنامهم ولم تدفع عنهم العذاب
وما زادوهم غير تتبيب يعني تخسير وقيل غير تدمير وكذلك أخذ ربك يعني
وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة الضمير فيه عائد على القرى
والمراد أهلها إن أخذه أليم شديد وعن أبي موسى الأشعري قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم إن الله يملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ثم قرأ وكذلك أخذ
ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد في الآية الكريمة والحديث دليل
على أن من أقدم على ظلم فإنه يجب أن يتدارك ذلك بالتوبة والإنابة ورد الحقوق
إلى أهلها إن كان الظلم للغير لئلا يقع في هذا الوعيد العظيم والعذاب الشديد
ولا يظن أن هذه الآية حكمها مختص بظالمي الأمم الماضية بل هو عام في كل ظالم ويعضده
الحديث والله أعلم قوله تعالى إن في ذلك لآية يعني إن في ما ذكر من عذاب الأمم الخالية
وإهلاكهم لعبرة وموعظة لمن خاف عذاب الآخرة يعني أن في ذلك أوليك عبرة
يعتبر بها وموعظة يتعظ بها من كان يخشى الله ويخاف عذابه في الآخرة لأنه إذا
ما أحل الله بأوليك الكفار في الدنيا من أليم عذابه وعظيم عقابه في الآخرة وهو
كالأنموذج مما أعد لهم في الآخرة فيكون زيادة في خوفه وخشيته من الله ذلك
يوم مجموع له الناس يعني يوم القيامة يجمع فيه الخلائق من الأولين والآخرين
للحساب والوقوف بين يدي رب العالمين وذلك يوم مشهود يعني يشهده
أهل السما وأهل الأرض وما نؤخره إلا لأجل معدود يعني وما نؤخر ذلك اليوم وهو
يوم القيامة إلا إلى وقت معلوم محدود وذلك الوقت لا يعلمه أحد إلا الله
تعالى يوم يأتي يعني ذلك اليوم لا تكلم نفس إلا بإذنه قيل إن جميع الخلق
يسكتون في ذلك فلا يتكلم أحد فيه إلا بإذن الله تعالى فإن قلت كيف وجه الجمع
بين هذه الآية وبين قوله تعالى يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وبين قوله إخبارا
عن محاجة الكفار وهو قوله والله ما كنا مشركين والأخبار أيضا تدل على الكلام
في ذلك قلت يوم القيامة يوم طويل وله أحوال مختلفة وفيه أهوال عظيمة
ففي بعض الأحوال لا يقدرون على الكلام لشدة الأهوال وفي بعض الأحوال يؤذن لهم
في الكلام فيتكلمون وفي بعضها تخفف عنهم تلك الأهوال فيحاجون ويجادلون
وينكرون وقيل المراد من قوله تعالى لا تكلم نفس إلا بإذنه الشفاعة يعني لا تشفع
نفس لنفس إلا أن يأذن الله تعالى لها في الشفاعة فمنهم يعني فمن أهل الموقف
شقي وسعيد الشقاء خلاف السعادة والسعادة هي معاونة الأمور الإلهية
للإنسان ومساعدته على فعل الخير والصلاح وتيسيره لها ثم السعادة ثم الشقاوة
على ضربين سعادة دنيوية وسعادة أخروية وهي السعادة القصوى لأن نهايتها
الجنة وكذلك الشقاوة على ضربين شقاوة دنيوية وشقاوة أخروية وهي
الشقاوة القصوى لأن نهايتها النار فالشقي من سبقت له الشقاوة في الأزل

والسعيد

والسعيد من سبقت له السعادة في الأزل وعن علي بن أبي طالب قال كنا في جنازة
في بقيع الغرقد فأتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقعد وقعدنا حوله
ومعه مخصرة فنكس وجعل ينكت بمخصرته ثم قال ما منكم من أحد إلا وقد كتب
مقعده من الجنة ومقعده من النار فقالوا يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا
فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له أما من كان من أهل السعادة فسييسر لعمل السعادة
وأما من كان من أهل الشقا فسييسر لأهل الشقا ثم قرأ فأما من أعطى واتقى وصدق
بالحسنى فسنيسره لليسرى الآية بقيع الغرقد هو مقبرة أهل المدينة الشريفة
ومدفنهم فيه والمخصرة كالسوط والعصى ونحو ذلك مما يمسكه بيده الإنسان
والنكت بالنون والتاء المثناة من فوق ضرب الشيء بتلك المخصرة أو باليد ونحو
ذلك حتى يؤثر فيه استدل بعض العلماء بهذه الآية وهذا الحديث على أن أهل الموقف
قسمان شقي وسعيد لا ثالث لهما وظاهر الآية والحديث يدل على ذلك لكن بقي قسم
آخر مسكوت عنه وهم من استوت حسناته وسيئاته وهم أصحاب الأعراف في قول
والأطفال والمجانين الذين لا حسنات لهم ولا سيئات فهؤلاء مسكوت عنهم وهم
تحت مشيئة الله عز وجل يوم القيامة يحكم فيهم بما يشا وتخصيص هذين القسمين
بالذكر لا يدل على نفي القسم الثالث فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها
أي هم في النار من العذاب والهوان زفير وشهيق أصل الزفير ترديد النفس
في الصدر حتى تنتفخ منه الضلوع والشهيق رد النفس إلى الصدر والزفير مد
وإخراجه من الصدر قال ابن عباس الزفير الصوت الشديد والشهيق الصوت
الضعيف وقال الضحاك ومقاتل الزفير أول صوت الحمار والشهيق آخره
إذا ردده في جوفه يعني لابثين مقيمين في النار وقال أبو العالية الزفير في
الحلق والشهيق في الجوف خالدين فيها يعني لابثين مقيمين في النار ما دامت
السموات والأرض قال الضحاك يعني ما دامت سموات الجنة والنار وأرضهما
ولا بد لأهل الجنة ولأهل النار من سما تظلهم وأرض تقلهم فكل ما علاك فأظلك
فهو سما وكل ما استقل عليه قدمك فهو أرض وقال أهل المعاني هذا عبارة عن
التأبيد وذلك على عادة العرب فإنهم يقولون لا آتيك ما دامت السموات والأرض
وما اختلف الليل والنهار يريدون بذلك التأبيد وقوله تعالى إلا ما شاء ربك
اختلف العلماء في هذين الاستثنائين فقال ابن عباس والضحاك الاستثناء الأول
المذكور في أهل الشقا يرجع إلى قوم من المؤمنين يدخلهم الله النار بذنوب
اقترفوها ثم يخرجهم منها فيكون استثناء من غير الجنس لأن الذين أخرجوا من النار
سعداء في الحقيقة استثناهم الله تعالى من الأشقياء ويدل على صحة هذا التأويل
ما روي عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله يخرج قوما من النار
بالشفاعة وفي رواية إن الله يخرج ناسا من النار فيدخلهم الجنة أخرجه البخاري
ومسلم خ عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليخرجن من النار قوم

بعدما مسهم منها سفع فيدخلون الجنة فيسميهم اهل الجنة الجهنميين وفي رواية
ليصيبن اقواما سفع من النار بذنوب اصابوها عقوبة ثم يدخلهم الله الجنة بفضل
رحمته فيقال لهم الجهنميون خ عن عمران بن حصين ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يخرج
قوم من النار بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم فيدخلون الجنة يسمون الجهنميين واما
الاستثناء الثاني المذكور في اهل السعادة فيرجع الى مدة لبث هولاء في النار قبل
دخولهم الجنة فعلى هذا القول يكون معنى الاية فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها
زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك ان يخرجهم
منها فيدخلهم الجنة **ان ربك فعال لما يريد واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين
فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك** ان يدخله النار ولا ثم يخرجه منها
فيدخله الجنة فحاصل هذا القول ان الاستثناءين يرجع كل واحد منهما الى قوم مخصوصين
هم في الحقيقة سعداء اصابوا ذنوبا استوجبوا بها عقوبة يسيرة في النار ثم يخرجون
منها فيدخلون الجنة ولان اجماع الامة على ان من دخل الجنة لا يخرج منها ابدا وقيل
ان الاستثناءين يرجعان الى الفريقين السعداء والاشقياء وهو مدة تعميرهم في الدنيا
واحتباسهم في البرزخ وهو ما بين الموت والبعث ومدة وقوفهم للحساب ثم يدخل اهل
الجنة الجنة واهل النار النار فيكون المعنى خالدين فيها الجنة والنار الا هذا المقدار وقيل
معناه الا ما شاء ربك سوى ما شاء ربك فيكون المعنى خالدين فيها ما دامت السموات
والارض سوى ما شاء ربك من الزيادة على ذلك وهو قولك لفلان علي الف الا الفين
اي سوى الالفين اللتين تقدمتا وقيل الا بمعنى الواو يعني وقد شاء ربك خلود هولاء
في النار وخلود هولاء في الجنة فهو كقوله لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا
اي ولا الذين ظلموا وقيل معناه ولو شاء ربك لاخرجهم منها ولكنه لا يشاء لانه حكم
لهم بالخلود فيها قال الفراء هذا الاستثناء استثناه الله ولا يفعله كقولك والله لاضربنك
الا ان ارى غير ذلك وعزمك ان تضربه فهذه الاقوال في معنى الاستثناء ترجع الى النوعين
والصحيح هو الاول ويدل عليه قوله تعالى في اخر الاية ان ربك فعال لما يريد يعني من اخراج
من اراد من النار وادخالهم الجنة فهذا على الاجمال في حال الفريقين واما التفصيل
فقوله الا ما شاء ربك في جانب الاشقياء يرجع الى الزفير والشهيق وتقديره ان يفيد
حصول الزفير والشهيق مع الخلود لانه اذا دخل عليه الاستثناء وجب ان يحصل فيه
هذا المجموع والاستثناء في جانب السعداء يكون بمعنى الزيادة يعني الا ما شاء ربك من
الزيادة لهم من النعيم بعد الخلود وقيل ان الاستثناء الاول في جانب الاشقياء
معناه الا ما شاء ربك من ان يخرجهم من حر النار الى البرد والزمهرير وفي جانب السعداء
معناه الا ما شاء ربك ان يرفع بعضهم الى منازل اعلى من منازل الجنان ودرجاتها والقول
الاول هو المختار ويدل عليه دخول اهل الجنة في الجنة وهوان الامة مجتمعة على ان من
يدخل الجنة لا يخرج منها بل هو خالد فيها قوله تعالى في جانب السعداء **عطاء غير
مجذوذ** يعني غير مقطوع قال ابن زيد اخبرنا الله تعالى بالذي يشاء لاهل الجنة

فقال

فقال تعالى عطاء غير مجذوذ ولم يخبرنا بالذي يشاء لاهل النار وروي عن ابن
مسعود انه قال ليأتين على جهنم زمان ليس فيها احد وذلك بعد ما يلبثون
فيها احقابا وعن ابي هريرة نحوه وهذا ان صح عن ابن مسعود وابي هريرة فمحمول
عند اهل السنة على خلاء اماكن المومنين الذين استحقوا النار من النار بعد
اخراجهم منها لانه ثبت بالدليل الصحيح القاطع اخراج جميع الموحدين من النار
وخلود الكفار فيها او يكون محمولا على اخراج الكفار من حر النار الى برد الزمهرير
ليزدادوا عذابا فوق عذابهم والله اعلم قوله تعالى **فلا تك في مرية مما يعبد
هولاء** يعني فلا تك في شك يا محمد في هذه الاصنام التي يعبدها هولاء الكفار فانها
لا تضر ولا تنفع **ما يعبدون الا كما يعبد اباؤهم من قبل** يعني انه ليس لهم في عبادة
هذه الاصنام مستند الا انهم راوا اباءهم يعبدونها فعبدوها مثلهم **وانا
لموفوهم نصيبهم غير منقوص** يعني وانا مع عبادتهم هذه الاصنام نرزقهم الرزق
الذي قدرناه لهم من غير نقص فيه ويحتمل ان يكون المراد من توفية نصيبهم يعني
من العذاب الذي قدرناه لهم في الاخرة كاملا موفرا غير منقوص اي غير ناقص قوله
عز وجل **ولقد اتينا موسى الكتاب** يعني التوراة **فاختلف فيه** يعني في
الكتاب فمنهم مصدق به ومكذب به كما فعل قومك يا محمد بالقران ففيه تسلية
للنبي صلى الله عليه وسلم **ولولا كلمة سبقت من ربك** بتأخير العذاب عنهم الى يوم
القيامة لما زال الذي يستحقونه من تعجيل العقوبة في الدنيا على كفرهم وتكذيبهم
وقوله تعالى **لقضي بينهم** يعني لعذبوا في الحال وفرغ من عذابهم واهلاكهم **وانهم
لفي شك منه** يعني من القران ونزوله عليك يا محمد **مريب** يعني انهم قد وقعوا
في الريب والتهمة **وان كلا** يعني من الفريقين المختلفين المصدق والمكذب **لما
ليوفينهم ربك اعمالهم** اللام لام القسم تقديره والله ليوفينهم جزاء اعمالهم
في القيامة بالصدق على تصديقه الجنة ويجازي المكذب على تكذيبه النار
انه بما يعملون خبير يعني انه تعالى لا يخفى عليه شيء من اعمال عباده وان دقت
ففيه وعد للمحسنين المصدقين ووعيد وتهديد للمكذبين الكافرين قوله
تعالى **فاستقم كما امرت** الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم يعني فاستقم يا محمد
على دين ربك والعمل به والدعاء اليه كما امرك ربك والامر في واستقم للتاكيد لان
النبي صلى الله عليه وسلم كان على الاستقامة لم يزل عليها فهو كقولك للقائم
قم حتى اتيك اي دم على ما انت عليه من القيام حتى اتيك **ومن تاب معك** يعني
ومن امن معك من امتك فليستقيموا ايضا على دين الله تعالى والعمل بطاعته
قال عمر بن الخطاب الاستقامة ان تستقيم على الامر والنهي ولا تروغ عنه
روغان الثعلب م عن سفيان بن عبد الله الثقفي قال قلت يا رسول الله قل لي
في الاسلام قولا لا اسال عنه احدا بعدك قال قل امنت بالله ثم استقم **ولا
تطغوا** يعني ولا تجاوزوا امري الى غيره ولا تعصوني وقيل معناه ولا تغلوا في الدين

فتتجاوز واما امرتكم به ونهيتكم عنه انه بما تعملون بصير يعني انه تعالى عالم باعمالكم
ايها الناس لا يخفى عليه شيء منها قال ابن عباس ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم
آية هي اشد عليه من هذه الآية ولذلك قال شيبتني هود واخواتها عن ابي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الدين يسر ولن يشاد الدين احد الا غلبه فسددوا
وقاربوا وابشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة قوله ان الدين
يسر اليسر ضد العسر واراد به التسهيل في الدين وترك التشدد فان هذا
الدين مع يسره وسهولته قوي فلن يغالب ولن يقاوى فسددوا اي اقصدوا
التسداد من الامور وهو الصواب وقاربوا اي اطلبوا المقاربة وهي القصد الذي
لا غلو فيه ولا تقصير والغدو الرواح بكرة والرواح الرجوع عشيا والمراد منه
اعملوا اطراف النهار وقتا ووقتا والدلجة سير الليل والمراد منه اعملوا بالليل ايضا
وقوله واستعينوا بشيء من الدلجة اشارة الى تقليله وقوله تعالى ولا تركنوا
الى الذين ظلموا قال ابن عباس ولا تميلوا والركون هو المحبة والميل بالقلب
وقال ابو العالية لا ترضوا باعمالهم قال السدي لا تداهنوا الظلمة وعن عكرمة
لا تطيعوهم وقيل معناه ولا تسكنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار اي
فتصيبكم النار بحرها وما لكم من دون الله من اولياء يعني اعوانا وانصارا يمنعونكم
من عذاب الله ثم لا تنصرون يعني ثم لا تجدوا لكم من ينصركم ويخلصكم من عذاب الله
غدا في القيامة فيه وعيد لمن ركن الى الظلمة ورضي باعمالهم وجميع فكيف بحال
الظلمة في انفسهم نعوذ بالله من الظلم قوله تعالى واقم الصلاة طرفي النهار
سبب نزول هذه الآية ما روى الترمذي عن ابي اليسر قال اتتني امرأة تبتاع مني تمرا
فقلت ان في البيت تمرا هو اطيب منه فدخلت معي البيت فاهويت اليها فقبلتها
فاتيت ابا بكر فذكرت ذلك له فقال استر على نفسك وتب ولا تخبر احدا فلم اصبر
فاتيت عمر فذكرت ذلك له فقال استر على نفسك وتب ولا تخبر احدا فلم اصبر
فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال اخلفت غازيا في سبيل
الله في اهله بمثل هذا حتى تمنى انه لم يكن اسلم الا تلك الساعة حتى ظن انه من اهل النار قال
واطرق النبي صلى الله عليه وسلم طويلا حتى اوحى الله اليه واقم الصلاة طرفي النهار وزلفا
من الليل الى قوله ذلك ذكرى للذاكرين قال ابو اليسر فاتيته فقرأها رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال اصحابه يا رسول الله ألهذا خاصة ام للناس عامة فقال بل
للناس عامة قال الترمذي هذا حديث حسن غريب وقيس بن الربيع ضعفه
وكيع وغيره وابو اليسر هو كعب بن عمرو ق عن عبد الله بن مسعود ان رجلا اصاب من
امرأة قبلة فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فنزلت واقم الصلاة طرفي
النهار وزلفا من الليل الآية فقال الرجل يا رسول الله ألي هذه الآية قال لمن عمل
بها من امتي وفي رواية فقال رجل من القوم يا نبي الله هذا له خاصة قال بل للناس
كافة عن معاذ بن جبل قال اتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال يا رسول الله

ارايت

ارايت رجلا لقي امرأة ليس بينهما معرفة فليس يأتي الرجل امرأته شيئا الا وقد
اتى هو اليها الا انه لم يجامعها فانزل الله عز وجل واقم الصلاة طرفي النهار
وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين فامره
النبي صلى الله عليه وسلم ان يتوضأ ويصلي قال معاذ فقلت يا رسول الله اهي له
خاصة ام للمؤمنين عامة قال بل للمؤمنين عامة اخرجه الترمذي وقال هذا
الحديث ليس بمتصل عبد الرحمن بن ابي ليلى لم يسمع من معاذ اما التفسير فقوله
تعالى واقم الصلاة طرفي النهار يعني صلاة الغداة والعشاء قال مجاهد طرفا
النهار يعني صلاة الصبح والظهر والعصر وزلفا من الليل يعني صلاة المغرب والعشاء
وقال مقاتل صلاة الصبح والظهر طرف وصلاة العصر والمغرب طرف وزلفا من
الليل صلاة العشاء وقال الحسن طرفا النهار الصبح والعصر وزلفا من الليل
المغرب والعشاء وقال ابن عباس طرفا النهار الغداة والعشي يعني صلاة الصبح
والمغرب قال الامام فخر الدين الرازي كثرت المذاهب في تفسير طرفي النهار
والاشهر ان الصلاة التي في طرفي النهار هي الفجر والعصر وذلك لان احد طرفي النهار
هو طلوع الشمس والثاني هو غروبها فالاول هو صلاة الفجر والطرف الثاني
لا يجوز ان تكون صلاة المغرب لانها داخلة تحت قوله وزلفا من الليل يعني
واقم الصلاة في زلف من الليل وهي ساعة واحدتها زلفة واصل الزلفة المنزلة
والمراد بها صلاة المغرب والعشاء ان الحسنات يذهبن السيئات يعني ان صلاة
الخمس يذهبن الخطيئات ويكفرن بها م عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال الصلاة الخمس والجمعة الى الجمعة كفارات لما بينهن زاد في رواية ما لم تغش
الكبائر وزاد في رواية اخرى ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن اذا اجتنبت
الكبائر ق عن ابي هريرة انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ارأيتم لو ان
نهرا على باب احدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات ما تقول لو كان ذلك يبقى من درنه
فقالوا لا يبقى من درنه شيئا قال فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا
خ عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الصلوات الخمس كمثل نهر
جار غمر على باب احدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات قال الحسن وما يبقى من الدرن
قال العلماء الصغائر من الذنوب تكفرها الاعمال الصالحة مثل الصلاة والصدقة
والذكر والاستغفار ونحو ذلك من اعمال البر واما الكبائر من الذنوب فلا يكفرها
الا التوبة النصوح ولها ثلاث شرايط الاول الاقلاع عن الذنب بالكلية الثاني
الندم على فعله الثالث العزم التام ان لا يعود اليه في المستقبل فاذا حصلت
هذه الشرايط صحت التوبة وكانت مقبولة ان شاء الله تعالى وقال مجاهد في
تفسير الحسنات انها قول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر والقول
الاول اصح ان الصلوات الخمس وهو قول ابن مسعود وابن عباس وابن المسيب
ومجاهد في احدى الروايتين عنه والقرطبي والضحاك وجمهور المفسرين ذلك

اشارة الى ما تقدم في ذكر الاستقامة والتوبة وقيل هو اشارة الى القران ذلك **ذكرى للذاكرين** يعني عظة للمومنين المطيعين **واصبر** الخطاب للنبي صلى الله
عليه وسلم يعني واصبر يا محمد على اذى قومك وما تلقاه منهم وقيل معناه واصبر
على الصلاة **فان الله لا يضيع اجر المحسنين** يعني اعمالكم وقال ابن عباس يعني
المصلين قوله تعالى **فلولا كان من القرون** يعني فهلا كان من القرون الذين
اهلكناهم **من قبلكم** يا امة محمد **اولو بقية** يعني اولو تمييز وطاعة وخير
يقال فلان ذو بقية اذا كان فيه خير وقيل معناه اولو بقية من خير يقال فلان
على بقية من الخير اذا كان على خصلة محمودة **ينهون عن الفساد في الارض** يعني يقومون
بالنهي عن الفساد في الارض والاية للتقريع والتوبيخ يعني لم يكن فيهم من فيه
خير ينهى عن الفساد في الارض فلذلك اهلكناهم **الا قليلا** هذا استثناء
منقطع معناه لكن قليلا **ممن انجينا منهم** يعني لم يكن فيه الامم الماضية
وهم اتباع الانبيا كانوا ينهون عن الفساد في الارض **واتبع الذين ظلموا ما اترفوا
فيه** يعني واتبع الذين ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي ما تنعموا فيه والترفه والتنعم
والمعنى انهم اتبعوا ما تعودوا به من النعم وايثار اللذات على الاخرة ونعيمها **وكانوا
مجرمين** يعني كافرين **وما كان ربك** يعني وما كان ربك يا محمد **ليهلك القرى بظلم**
يعني لا يهلكهم بظلم منه **واهلها مصلحون** يعني في اعمالهم ولكن يهلكهم بكفرهم وركوبهم
السيئات وقيل في معنى الاية وما كان ربك ليهلك القرى بمجرد شركهم اذا كانوا
مصلحين يعني يعامل بعضهم بعضا بالصلاح والسداد والمراد من الهلاك عذاب
الاستيصال في الدنيا اما عذاب الاخرة فهو لازم لهم ولهذا قال بعض الفقها
ان حقوق الله مبناها على المسامحة والمساهلة وحقوق العباد مبناها على الضيق
والتشديد قوله تعالى **ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة** يعني كلهم على دين
واحد وشريعة واحدة **ولا يزالون مختلفين** يعني على اديان شتى ما بين يهودي
ونصراني ومجوسي ومشرك ومسلم فكل اهل دين من اهل هذه الاديان اختلفوا
في دينهم ايضا اختلافا كثيرا لا ينضبط عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال تفترق اليهود على احدى وسبعين فرقة او اثنين وسبعين
فرقة والنصارى مثل ذلك وستفترق امتي على ثلاث وسبعين فرقة اخرجه
ابو داود والترمذي بنحوه عن معاوية قال قام فينا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال الا ان من قبلكم من اهل الكتاب افترقوا على اثنين وسبعين
ملة وان هذه الامة ستفترق على ثلاث وسبعين ثنتان وسبعين في النار
وواحدة في الجنة وهي الجماعة اخرجه ابو داود وقال الخطابي قوله صلى الله
عليه وسلم وستفترق امتي فيه دلالة على ان هذه الفرق خارجة من الملة
والدين اذ جعلهم من امته وقال غيره المراد بهذه الفرق اهل البدع والاهوا
الذين تفرقوا واختلفوا وظهروا بعده كالخوارج والقدرية والمعتزلة

والرافضة وغيرهم من اهل البدع والمراد بالواحدة هي فرقة السنة والجماعة
الذين اتبعوا الرسول صلى الله عليه وسلم فاتفقوا له وافقا له وقوله تعالى **الا من
رحم ربك** يعني لكن من رحم ربك فمن عليه بالهداية والتوفيق الى الحق وهداه الى
الدين القويم والصراط المستقيم فهم لا يختلفون **ولذلك خلقهم** قال الحسن
وعطا وللاختلاف خلقهم قال اشهب سالت مالك بن انس عن هذه الاية فقال
خلقهم ليكون فريق في الجنة وفريق في السعير وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة
والضحاك وللرحمة خلقهم يعني الذين يرحمهم وقال الفرا خلق اهل الرحمة للرحمة
وخلق اهل الاختلاف للاختلاف وقيل خلق الله عز وجل اهل الرحمة ان لا يختلفوا
وخلق اهل العذاب ليلا يختلفوا وخلق الجنة وخلق لها اهلا وخلق النار وخلق
لها اهلا وجعلهم متفقين فحكم على بعضهم بالاختلاف ومصيرهم الى النار وخلق اهل
الجنة فحاصل الاية ان الله خلق اهل الباطل وجعلهم مختلفين وخلق اهل الجنة
ومصيرهم الى الجنة وهم اهل الاتفاق ويدل على صحة هذا القول سياق الاية وهو
قوله تعالى **وتمت كلمة ربك لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين** وهذا صريح
بان الله تعالى خلق اقواما للجنة والرحمة فهداهم ووفقهم لاعمال اهل الجنة وخلق
اقواما للضلالة والنار فخذلهم ومنعهم من الهداية قوله تعالى **وكلا نقص عليك من
انباء الرسل ما نثبت به فوادك** لما ذكر الله عز وجل في هذه السورة الكريمة قصص
الامم الماضية والقرون الخالية وما جرى لهم مع انبيايهم خاطب نبيه محمدا صلى الله
عليه وسلم بقوله وكلا نقص عليك يا محمد من انبا الرسل يعني من اخبار الرسل وما
جرى لهم مع قومهم ما نثبت به فوادك يعني ما نقوي به قلبك لتصبر على اذى قومك
وتتاسى بالرسل الذين خلوا من قبلك وذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم اذا سمع هذه
القصص وعلم ان حال جميع الانبيا مع اتباعهم هكذا سهل عليه تحمل الاذى من قومه
وامكنه الصبر عليه **وجاءك** يا محمد **في هذه الحق** اختلفوا في هذا الضمير الى ماذا
يعود فقيل يعود معناه وجاءك في هذه الدنيا الحق وفيه بعد لانه لم يجر للدنيا
ذكر حتى يعود الضمير اليه وقيل في هذه الاية وقيل في هذه السورة وهو الاقرب
وهو قول اكثر المفسرين فان قلت قد جاءه الحق في سور القران فلم خص هذه السورة
بالذكر قلت لا يلزم من تخصيص هذه السورة بالذكر ان لا يكون قد جاءه الحق في غيرها
من السور بل القران كله حق وصدق وانما خصها بالذكر تشريفا لها **وموعظة وذكرى
للمومنين** اي وهذه السورة موعظة يتعظ بها المومنون اذا تذكروا احوال الامم
الماضية وما نزل بهم **وقل للذين لا يومنون اعملوا على مكانتكم** فيه وعيد وتهديد
يعني اعملوا ما انتم عاملون فسوف تعلمون عاقبة ذلك العمل فهو كقوله اعملوا ما
شيتم **انا عاملون** يعني ما امرنا به ربنا **وانتظروا** يعني ما يعدكم به الشيطان
انا منتظرون يعني ما يحل بكم من نقمة الله اما في الدنيا واما في الاخرة **ولله
غيب السموات والارض** يعني ما غاب عن العباد فيهما يعني ان علمه سبحانه

سبحانه وتعالى نافذ في جميع الاشيا خفيها وجليها وحاضرها ومعدومها لا يخفى عليه شي
في الارض ولا في السما **واليه يرجع الامر كله** يعني الي الله يرجع امر الخلايق كلهم في الدنيا
والاخرة **فاعبده** يعني ان من كان كذلك كان مستحقا للعبادة لا غيره فاعبده ولا
تشتغل بعبادة غيره **وتوكل عليه** يعني وثق به في جميع امورك فانه يكفيك **وما ربك
بغافل عما تعملون** قال اهل التفسير هذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ولجميع
الخلق مومنهم وكافرهم والمعنى انه تعالى يحفظ على العباد اعمالهم لا يخفى عليه منها شي
ليجزي المحسن باحسانه والمسي باساته قال كعب الاحبار خاتمة التورية خاتمة سورة
هود والله اعلم بمراده واسرار كتابه

سورة يوسف عليه السلام

وهي مكية باجماعهم وهي ماية واحدى عشرة اية والف وستماية كلمة وسبعة الاف وماية
وستة وستون حرفا قال ابن الجوزي وفي سبب نزولها قولان احدهما روي عن سعد
ابن ابي وقاص قال انزل القران على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلاه عليهم زمانا
فقالوا يا رسول الله لو قصصت علينا فانزل الله الر تلك ايات الكتاب المبين الى قوله
تعالى نحن نقص عليك احسن القصص القول الثاني رواه الضحاك عن ابن عباس قال
سالت اليهود النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا حدثنا عن امر يعقوب وشان يوسف
فانزل الله عز وجل الر تلك ايات الكتاب المبين الايات بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل **الر** تقدم تفسيره في اول سورة يونس **تلك** اشارة الى ايات هذه
السورة اي تلك الايات التي انزلت اليك في هذه السورة المسماة بالر تلك هذه
ايات الكتاب المبين وهو القران المبين حلاله وحرامه وحدوده واحكامه
وقال قتادة مبين والله بركته وهداه ورشده فهذا من بان يعني ظهر وقال
الزجاج مبين الحق من الباطل والحلال من الحرام فهذا من ابان بمعنى اظهر وقيل انه
يبين فيه قصص الاولين وشرح احوال المتقدمين **انا انزلناه** يعني هذا الكتاب
قرانا عربيا اي انزلناه بلغتكم لكي تعلموا معانيه وتفهموا ما فيه وقيل لما قالت
اليهود لمشركي مكة سلوا محمدا صلى الله عليه وسلم عن امر يعقوب وقصة يوسف وكانت
عند اليهود بالعبرانية فانزل الله هذه السورة وذكر فيها قصة يوسف بالعربية
ليفهمها العرب ويعرفوا معانيها والتقدير انا انزلنا هذا الكتاب الذي فيه قصة يوسف
في حال كونه عربيا فعلى هذا القول يجوز اطلاق اسم القران على بعضه لانه اسم
جنس يقع على الكل والبعض واختلف العلما هل يمكن ان يقال في القران شي بغير العربية
فقال ابو عبيدة من زعم ان في القران لسانا غير العربية فقد اعظم على الله القول واحتج
بهذه الاية انا انزلناه قرانا عربيا وروي عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة ان فيه من
غير لسان العربية مثل سجيل ومشكاة واليم واستبرق ونحو ذلك وهذا هو الصحيح
المختار لان هولا اعلم من ابي عبيدة بلسان العرب وكلا القولين صواب ان شا الله
تعالى ووجه الجمع بينهما ان هذه الالفاظ لما تكلمت بها العرب ودارت على السنتهم صارت

عربية فصيحة وان كانت غير عربية في الاصل لكنهم لما تكلموا بها نسبت اليهم وصارت
لهم لغة فظهر بهذا البيان صحة القولين وامكن الجمع بينهما **لعلكم تعقلون** اي لكي
تفهموا ايها العرب لانه نازل بلغتكم قوله تعالى **نحن نقص عليك احسن القصص**
الاصل في معنى القصص اتباع الخبر بعضه بعضا والقاص الذي ياتي بالخبر على وجهه
واصله في اللغة من قص الاثر اذا تتبعه وانما سميت الحكاية قصة لان الذي يقص
الحديث يذكر تلك القصة شيا فشيا والمعنى نحن نبين لك يا محمد اخبار الامم
السالفة والقرون الماضية احسن البيان وقيل المراد منه قصة يوسف عليه
السلام خاصة سماها احسن القصص لما فيها من العبر والحكم والنكت والفوايد التي
تصلح للدين والدنيا وما فيها من سير الملوك والمماليك والعلما ومكر النسا والصبر
على اذى الاعدا وحسن التجاوز عنهم بعد اللقا وغير ذلك من الفوايد المذكورة في
هذه السورة الشريفة قال خالد بن معدان سورة يوسف وسورة مريم يتفكه بها
اهل الجنة في الجنة وقال ابن عطا لا يسمع سورة يوسف محزون الا استراح اليها
وقوله عز وجل **بما اوحينا اليك** يعني بايحاينا اليك يا محمد **هذا القران وان كنت**
يعني وقد كنت **من قبله** يعني من قبل وحينا اليك **لمن الغافلين** يعني عن هذه
القصة وما فيها من العجايب قال سعد بن ابي وقاص انزل القران على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فتلاه عليهم زمانا فقالوا يا رسول الله لو حدثتنا فانزل الله عز وجل
الله نزل احسن الحديث فقالوا يا رسول الله لو قصصت علينا فانزل الله نحن نقص
عليك احسن القصص فقالوا يا رسول الله لو ذكرتنا فانزل الله الم يان للذين امنوا
ان تخشع قلوبهم لذكر الله قوله عز وجل **اذ قال يوسف لابيه** اي اذكر يا محمد لقومك
قول يوسف لابيه يعقوب بن اسحاق بن ابرهيم صلى الله عليه وسلم عليهم اجمعين
عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الكريم بن الكريم بن الكريم
يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابرهيم ويوسف اسم عبري ولذلك لا يجري فيه وقيل
هو عربي سيل ابو الحسن الاقطع عن يوسف فقال الاسف الحزن والاسيف
العبد واجتمعا في يوسف فسمي به **يا ابت اني رايت احد عشر كوكبا والشمس والقمر
رايتهم لي ساجدين** قال اهل التفسير راى يوسف في منامه كان احد عشر كوكبا نزلت
من السما ومعها الشمس والقمر فسجدوا له وكانت هذه الروية ليلة الجمعة وكانت
ليلة القدر وكان النجوم في التاويل اخوته وكانوا احد عشر رجلا يستضاء بهم كما
يستضاء بالنجوم والشمس ابوه والقمر امه في قول قتادة وقال السدي القمر خالته
لان امه راحيل قد ماتت وقال ابن جريج القمر ابوه والشمس امه لان الشمس مونثة والقمر
مذكر وكان يوسف عليه السلام ابن اثني عشرة سنة وقيل سبعة عشر سنة وقيل سبع
سنين واراد بالسجود تواضعهم له ودخولهم تحت امره وقيل اراد به حقيقة السجود
لانه كان في ذلك الزمان التحية فيما بينهم السجود فان قلت ان الكواكب جماد لا
تعقل فكيف عبر عنها بكناية من يعقل في قوله رايتهم لي ساجدين ولم يقل رايتها

وقوله ساجدين ولم يقل ساجدات قلت لما اخبر عنها بفعل من يعقل وهو السجود
كني عنها بكناية من يعقل فهو كقوله يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم وقيل ان الفلاسفة
المنجمين يزعمون ان الكواكب احيا ناطقة حساسة فيجوز ان يعبر عنها بعبارة من
يعقل وهذا القول ليس بشي والاول اصح فان قلت قد قال اني رايت احد عشر كوكبا
والشمس والقمر ثم اعاد لفظ الرؤية مرة ثانية فقال رايتهم لي ساجدين فما فايدة
هذا التكرار قلت معنى الرؤية الاولى انه راي اجرام الكواكب والشمس والقمر ومعنى
الرؤية الثانية انه اخبر بسجودها له وقال بعضهم معناه انه لما قال اني رايت احد
عشر كوكبا والشمس والقمر فكانه قيل له وكيف رايت قال رايتهم لي ساجدين
وانما افرد الشمس والقمر بالذكر وان كانا من جملة الكواكب للدلالة على فضلهما
وشرفهما على ساير الكواكب قال اهل التفسير ان يعقوب عليه السلام كان شديد
الحب ليوسف عليه السلام فحسده اخوته لهذا السبب وظهر ذلك ليعقوب
فلما راي يوسف هذه الرؤيا وكان تاويلها ان اخوته وابويه يخضعون له فلهذا
قال يعقوب **يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك** يعني لا تخبرهم برؤياك فانهم
يعرفون تاويلها **فيكيدوا لك كيدا** فيحتالوا في اهلاكك فامره بكتمان رؤياه
عن اخوته لان رؤيا الانبيا وحي وحق واللام في يكيدوا لك كيدا تاكيد للصلة
كقولك نصحتك ونصحت لك وشكرتك وشكرت لك **ان الشيطان للانسان عدو
مبين** يعني انه بين العداوة لان عداوته قديمة فهم ان قدموا على الكيد كان ذلك
مضافا الى تزيين الشيطان ووسوسته **ق** عن ابي قتادة قال كنت ارى الرؤيا
تمرضني حتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الرؤيا الصالحة من الله
والرؤيا السوء من الشيطان فاذا راى احدكم ما يحب فلا يحدث بها الا من يحب
واذا راى ما يكره فليتفل عن يساره ثلاثا وليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم
وشرها فانها لن تضره **خ** عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اذا راى احدكم الرؤيا يحبها فانها من الله تعالى فليحمد الله وليحدث بها واذا راى
غير ذلك مما يكره فانها من الشيطان فليستعذ بالله من شرها ولا يذكرها لاحد
فانها لن تضره **م** عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا راى احدكم الرؤيا
يكرهها فليبصق عن يساره ثلاثا وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم ثلاثا وليتحول
عن جنبه الذي كان عليه عن ابي رزين العقيلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
رؤيا المؤمن جزء من اربعين وفي رواية جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة وهي على
رجل طاير ما لم يحدث بها فاذا حدث بها سقطت قال واحسبه قال ولا تحدث بها
الا لبيبا او حبيبا اخرجه الترمذي ولابي داود نحوه قال الشيخ محيي الدين النووي
قال المازري مذهب اهل السنة في حقيقة الرؤيا ان الله تعالى يخلق في قلب النايم
اعتقادات كما يخلقها في قلب اليقظان وهو سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء لا
يمنعه نوم ولا يقظة فاذا خلق هذه الاعتقادات فكانه جعلها علما على امور اخر يخلقها في

ثاني الحال والجميع خلق الله تعالى ولكن يخلق الرؤيا والاعتقادات التي جعلها علما على
ما يسر بغير حضرة الشيطان واذا خلق ما هو علم على ما يضر يكون بحضرة الشيطان
فينسب الى الشيطان مجازا وان كان لا فعل له في الحقيقة فهذا معنى قوله صلى الله
عليه وسلم الرؤيا من الله والحلم من الشيطان لا على ان الشيطان يفعل شيئا والرؤيا
اسم للمحبوب والحلم اسم للمكروه وقال غيره اضاف الرؤيا المحبوبة الى الله تعالى
اضافة تشريف بخلاف الرؤيا المكروهة وان كانتا جميعا من خلق الله وتدبيره وارادته
ولا فعل للشيطان فيهما ولكنه يحضر المكروهة ويرتضيها فيستحب اذا راى الرجل في
منامه ما يحب فليحدث به من يحب واذا راى ما يكره فلا يحدث به وليتعوذ بالله من
الشيطان الرجيم من شرها وليتفل ثلاثا وليتحول عن جنبه الاخر فانها لا تضره
لان الله جعل هذه الاسباب سببا لسلامته من المكروه كما جعل الصدقة سببا
لوقاية المال وغيره من البلاء والله اعلم قوله عز وجل **وكذلك يجتبيك ربك** يعني يقول
يعقوب ليوسف عليهما السلام اي وكما رفع منزلتك بهذه الرؤيا الشريفة
العظيمة كذلك يجتبيك يعني يصطفيك ربك والاجتبا اصطفا الله العبد بتخصيصه اياه
بفيض الهي فيحصل له منه انواع من المكرمات بلا سعي من العبد وذلك مختص بالانبيا
او ببعض من يقاربهم من الصديقين والشهدا والصالحين **ويعلمك من تاويل الاحاديث**
يعني به تعبير الرؤيا سمي تاويلا لانه يؤول امره الى ما راى في منامه يعني يعلمك تاويل
احاديث الناس فيما يرونه في منامهم وكان يوسف عليه السلام اعلم الناس بتعبير
الرؤيا وقال الزجاج تاويل احاديث الانبيا والامم السالفة والكتب المنزلة
وقال ابن زيد يعلمك العلم والحكمة **ويتم نعمته عليك** يعني بالنبوة قاله ابن
عباس لان منصب النبوة اعلى من جميع المناصب وكل الخلق دون درجة الانبيا فهذا
من اتمام النعمة عليهم لان جميع الخلق دونهم في الرتب والمناصب **وعلى آل يعقوب**
المراد بآل يعقوب اولاده فانهم كانوا انبيا وهو المراد من اتمام النعمة عليهم **كما
اتمها على ابويك من قبل ابراهيم واسحاق** بان جعلهما نبيين وهو المراد من اتمام النعمة
عليهما وقيل المراد من اتمام النعمة على ابراهيم صلى الله عليه وسلم بان خلصه الله
من النار واتخذه الله خليلا والمراد من اتمام النعمة على اسحاق بان خلصه الله من
الذبح وهذا على قول من يقول ان اسحاق هو الذبيح وليس بشي والقول الاول اصح
بان اتمام النعمة عليهما بالنبوة فانه لا اعظم اعظم من منصب النبوة فهو من اعظم
النعم على العبد **ان ربك عليم** يعني بمصالح خلقه **حكيم** يعني انه تعالى لا يفعل شيئا
الا بحكمة وقيل انه تعالى حكم بوضع النبوة في بيت ابراهيم صلى الله عليه وسلم قال ابن
عباس كان بين رؤيا يوسف هذه وبين تحقيقها بمصر واجتماعه بابويه واخوته اربعون
سنة وهذا قول اكثر المفسرين قال الحسن البصري كان بينهما ثمانون سنة فلما بلغ
هذه الرؤيا اخوة يوسف حسدوه وقالوا ما رضي ان يسجد له اخوته حتى يسجد له
ابواه قوله تعالى **لقد كان في يوسف واخوته** يعني في خبره وخبر اخوته واسماؤهم وهم

روبيل وهو اكبرهم وشمعون ولاوي ويهوذا وريالون ويشجر وامهم ليا بنت ليان وهي ابنة خال يعقوب وولد ليعقوب من سريتين اسم احدهما زلفة والاخرى بلهة اربعة اولاد واسماوهم دان ونفتالي وجاد واشير ثم توفيت ليا فتزوج يعقوب باختها راحيل فولدت له يوسف وبنيامين فهو لا بني يعقوب وهم الاسباط وعددهم اثنا عشر نفرا ايات للسائلين وذلك ان اليهود سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة يوسف وقيل سالوا عن سبب انتقال ولد يعقوب من ارض كنعان الى ارض مصر فذكر قصة يوسف مع اخوته فوجدوها موافقة لما في التوراة فتعجبوا منه فعلى هذا تكون هذه القصة دلالة على نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه لم يقرا الكتب المتقدمة ولم يجالس العلما واصحاب الاخبار ولم ياخذ عن احد منهم شيئا فدل ذلك على ان ما اتى به وحي سماوي وعلم قدسي اوحاه الله اليه وعرفه به ومعنى ايات للسائلين اي عبرة للمعتبرين فان هذه القصة تشتمل على انواع من العبر والمواعظ والحكم ومنها رويا يوسف وما حقق الله فيها ومنها حسد اخوته له وما ال اليه امرهم من الحسد ومنها صبر يوسف وبلواه مثل القايه في الجب وبيعه عبدا وسجنه بعد ذلك وما ال اليه امره من الملك ومنها ما اشتمل عليه على حزن يعقوب وصبره على فقد ولده وما ال اليه امره من بلوغ المراد وغير ذلك من الايات التي اذا فكر فيها الانسان اعتبر وانفعظ **اذ قالوا** يعني اخوة يوسف **ليوسف** اللام فيه لام القسم تقديره والله ليوسف **واخوه** يعني بنيامين وهما من ام واحدة **احب الى ابينا منا ونحن عصبة** انما قالوا هذه المقالة حسدا منهم ليوسف واخيه لما راوا من ميل يعقوب اليه وكثرة شفقته عليه والعصبة الجماعة وكانوا عشرة قال الفرا العصبة هي العشرة فما زاد وقيل هي ما بين الواحد الى العشرة وقيل ما بين الثلاث الى العشرة وقال مجاهد هي ما بين العشرة الى الخمسة عشر وقيل الى الاربعين والاصل فيه ان كل جماعة يتعصب بعضهم لبعض يسموا عصبة والعصبة لا واحد لها من لفظها كالرهط والنفر **ان ابانا لفي ضلال مبين** يعني انه خطا بين في ايثاره حب يوسف علينا مع صغره لا نفع فيه ونحن عصبة ننفعه ونقوم بمصالحه من امر دنياه واصلاح امر مواشيه وليس المراد من ذكر هذا الضلال هو الضلال عن الدين اذ لو ارادوا ذلك لكفروا به ولكن ارادوا به الخطا الدنيوي في امر الدنيا وما يصلحها يقولون نحن انفع له من يوسف فهو مخطي في صرف محبته اليه لانا اكبر منه سنا واشد قوة واكثر منفعة وغاب عنهم المقصود الاعظم وهو ان يعقوب عليه السلام ما فضل يوسف واخيه على ساير الاخوة الا في المحبة المحضة ومحبة القلب ليس في وسع البشر دفعها ويحتمل ان يعقوب انما خص يوسف بمزيد المحبة والشفقة لان امه ماتت وهو صغير او لانه راى فيه من ايات الرشد والنجابة ما لم يره في ساير اخوته فان قلت الذي فعله اخوة يوسف بيوسف هو محض الحسد والحسد من امهات الكباير وكذلك نسبة ابيهم الى الضلال هو من محض العقوق وهو من الكباير ايضا وكل قادح

في عصمة

في عصمة الانبيا عليهم السلام فما الجواب عنه قلت ان هذه الافعال انما صدرت من اخوة يوسف قبل ثبوت النبوة لهم والمعتبر في عصمة الانبيا هو وقت حصول النبوة لا قبلها وقيل كانوا وقت هذه الافعال مراهقين غير بالغين ولا تكليف عليهم قبل البلوغ فعلى هذا لم تكن هذه الافعال قادحة في عصمة الانبيا عليهم الصلاة والسلام قوله تعالى حكاية عن اخوة يوسف **اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا يخل لكم وجه ابيكم** لما قوي الحسد وبلغ النهاية قال اخوة يوسف فيما بينهم لا بد من تبعيد يوسف عن ابيه وذلك لا يحصل الا باحدى الطريقين اما القتل مرة واحدة او التغريب الى ارض يحصل الياس من اجتماعه بابيه بان يفترسه الاسد او السباع او يموت في تلك الارض البعيدة ثم ذكروا العلة في ذلك وهو قولهم يخل لكم وجه ابيكم والمعنى انه قد شغله حب يوسف عنكم فاذا فعلتم ذلك بيوسف اقبل يعقوب بوجهه عليكم وصرف محبته اليكم **وتكونوا من بعده** يعني من بعد قتل يوسف او ابعاده عن ابيه **قوما صالحين** يعني تائبين تتوبون الى الله يعف عنكم فتكونوا قوما صالحين وذلك انهم لما علموا ان الذي عزموا عليه من الكباير والذنوب قالوا نتوب الى الله من هذا الفعل ونكون من الصالحين في المستقبل وقال مقاتل معناه نصلح لكم امركم فيما بينكم وبين ابيكم فان قلت كيف يليق ان تصدر هذه الافعال منهم وهم انبيا قلت الجواب ما تقدم انهم لم يكونوا انبيا في ذلك الوقت حتى يكون هذا الفعل قادحا في عصمة الانبيا وانما اقدموا على هذه الافعال قبل النبوة وقيل ان الذي اشار بقتل يوسف كان اجنبيا شاوروه في ذلك فاشار عليهم بقتله **قال قايل منهم لا تقتلوا يوسف** يعني قال قايل من اخوة يوسف وهو يهوذا وقال قتادة هو روبيل وهو ابن خالته وكان اكبرهم واحسنهم رايا فيه فنهاهم عن قتله وقال القتل كبيرة عظيمة والاصح ان قايل هذه المقالة هو يهوذا لانه كان اقربهم اليه نسبا **والقوه في غيابة الجب** يعني القوه في اسفل الجب وظلمته والغيابة كل موضع ستر شيئا وغيبه عن النظر والجب البير الكبيرة غير مطوية سمي بذلك لانه جب اي قطع ولم يطووا فائدة ذكر الغيابة مع ذكر الجب ان المشير اشار بطرحه في موضع من الجب مظلم لا يراه احد واختلفوا في مكان ذلك الجب فقال قتادة هو بير بيت المقدس وقال وهب هو في ارض الاردن وقال مقاتل هو في ارض الاردن على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب وانما عينوا ذلك الجب للعلة التي ذكروها وهي قوله **يلتقطه بعض السيارة** وذلك لان هذا الجب كان معروفا يرد عليه كثير من المسافرين والالتقاط اخذ الشي من الطريق او من حيث لا يحتسب ومنه يلتقطه بعض السيارة يعني ياخذه بعض المسافرين فيذهب به الى ناحية اخرى فيستريحوا منه **ان كنتم فاعلين** فيه اشارة الى ترك الفعل فكانه قال لا تفعلوا ذلك ولو ان عزمتم على هذا الفعل فافعلوا هذا القدر ان كنتم فاعلين ذلك قال البغوي كانوا يوميذ بالغين ولم يكونوا انبيا بعد وقيل

لم يكونوا بالغين وليس بصحيح بدليل انهم قالوا وتكونوا من بعده قوما صالحين
وقالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا والصغير لا ذنب له وقال محمد بن اسحاق اشتمل
فعلهم هذا على جرائم كبيرة من قطيعة الرحم وعقوق الوالدين وقلة الرأفة
بالصغير الذي لا ذنب له والغدر بالامانة وترك العهد والكذب مع ابيهم وعفى الله
عن ذلك كله حتى لا ييأس احد من رحمة الله تعالى وقال بعض اهل العلم عزموا على
وعصمهم الله رحمة بهم ولو فعلوا ذلك لهلكوا جميعا وكل ذلك كان قبل ان نبأهم
الله فلما اجمعوا على التفريق بين يوسف وبين والده بضرب من الحيل **قالوا**
يعني قال اخوة يوسف ليعقوب **يا ابانا ما لك لا تأمنا على يوسف** بدأوا بالانكار
عليه في ترك ارسال يوسف معهم كانهم قالوا تخاف علينا اذا ارسلته معنا **وانا**
له لناصحون المراد بالنصح هنا القيام بالمصلحة وقيل البر والعطف والمعنى
انا لعاطفون عليه قائمون بمصلحته وبحفظه وقال مقاتل في الكلام تقديم
وتأخير وذلك انهم قالوا لابيهم ارسله معنا فقال يعقوب اني ليحزنني ان تذهبوا
به فحينئذ قالوا ما لك لا تأمنا على يوسف وانا له لناصحون ثم قالوا **ارسله**
معنا غدا يعني الى الصحراء **نرتع** الرتع هو الاتساع في الملاذ يقال رتع فلان في
ماله اذا انفقه في شهواته والاصل في الرتع اكل البهائم في الخصب زمن الربيع
ويستعار للانسان اذا اراد الاكل الكثير **ونلعب** اللعب معروف قال
الراغب يقال لعب فلان اذا كان فعله غير قاصد به مقصدا صحيحا سئل ابو عمرو
ابن العلاء كيف قالوا نلعب وهم انبياء فقال لم يكونوا يومئذ انبياء ويحتمل ان يكون
اللعب المراد هنا الاقدام على المباحات لاجل انشراح الصدر ومنه قوله صلى الله
عليه وسلم لجابر هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك وايضا فان لعبهم كان الاستباق وهو
غرض صحيح مباح لما فيه من المحاربة والاقدام على الاقران في الحرب بدليل قوله
نستبق وانما سموه لعبا لانه في صورة اللعب وقيل معناه نرتع ونلعب نتنعم
ونأكل ونلهو وننشط **وانا له لحافظون** يعني نحفظه في حفظه غاية الاجتهاد
حتى نرده اليك سالما **قال** يعني قال لهم يعقوب **اني ليحزنني ان تذهبوا به**
اي ذهابكم به والحزن هنا الم القلب بفراق المحبوب ومعنى الاية انهم طلبوا منه
ان يرسل معهم يوسف فاعتذر يعقوب عليه السلام بعذرين احدهما ان ذهابهم
به ومفارقته اياه يحزنه لانه كان لا يقدر ان يصبر عنه ساعة والثاني قوله
واخاف ان ياكله الذئب وانتم عنه غافلون يعني اذا غفلوا عنه برعيهم ولعبهم وذلك
ان يعقوب عليه السلام راى في المنام ان ذئبا شد على يوسف فكان يعقوب
يخاف على يوسف من ذلك وقيل كانت الذئاب في ارضهم كثيرة **قالوا** يعني
قال اخوة يوسف مجيبين ليعقوب **لئن اكله الذئب ونحن عصبة** اي جماعة عشرة
رجال **انا اذا لخاسرون** يعني عجزة ضعفاء وقيل انهم خافوا ان يدعو عليهم
يعقوب بالخسار والبوار وقيل معناه انا اذا لم نقدر على حفظ اخينا فكيف

نحفظ

نحفظ مواشينا فنحن اذا خاسرون قوله عز وجل **فلما ذهبوا به** فيه اضمار واختصار
تقديره فارسله معهم فلما ذهبوا به **واجمعوا ان يجعلوه في غيابة الجب** يعني وعزموا
على ان يلقوه في غيابة الجب **ذكر قصة** ذهابهم بيوسف عليه
السلام قال وهب وغيره من اهل السير والاخبار ان اخوة يوسف قالوا له اما تشتاق
ان تخرج معنا الى مواشينا فنتصيد ونستبق فقال بلى قالوا فسل اباك ان
يرسلك معنا قال يوسف افعل فدخلوا بجماعتهم على يعقوب فقالوا يا ابانا ان يوسف
قد احب ان يخرج معنا الى مواشينا فقال يعقوب ما تقول يا بني قال نعم يا ابت
اني ارى من اخوتي اللين واللطف فاحب ان تاذن لي وكان يعقوب يكره مفارقته
ويحب مرضاته فاذن له وارسله معهم فلما خرجوا به من عند يعقوب جعلوا يحملونه
على رقابهم ويعقوب ينظر اليهم فلما بعدوا عنه وصاروا الى الصحراء القوه الى الارض
واظهروا له ما في انفسهم من العداوة وبسطوا اليه القول وجعلوا يضربونه
فجعل كلما جاء الى واحد منهم واستغاث به ضربه فلما فطن لما عزموا عليه من قتله
جعل ينادي يا ابتاه يا يعقوب لو رأيت يوسف وما نزل به من اخوته لاحزنك
ذلك وابكاك يا ابتاه ما اسرع ما نسوا عهدك وضيعوا وصيتك وجعل
يبكي بكاء شديدا فاخذه روبيل فجلد به الارض ثم جثم على صدره واراد قتله
فقال له يوسف مهلا يا اخي لا تقتلني فقال له يا ابن راحيل انت صاحب الاحلام
قل لرؤياك تخلصك من ايدينا ولوى عنقه فاستغاث يوسف بيهوذا وقال له
اتق الله في وحل بيني وبين من يريد قتلي فادركته رحمة ورقة له فقال يهوذا
يا اخوتاه ما على هذا عاهدتموني الا ادلكم على ما هو اهون لكم وارفق به قالوا وما هو
قال تلقونه في هذا الجب اما ان يموت او يلتقطه بعض السيارة فانطلقوا به الى
بئر هناك على غير الطريق واسع الاسفل ضيق الراس فجعلوا يدلونه في البئر فيتعلق
بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قميصه فقال يا اخوتاه ردوا على قميصي لاستتر
به في الجب فقالوا ادع الشمس والقمر والكواكب تخلصك وتؤنسك فقال اني
لم ار شيئا فالقوه فيها ثم قال لهم يا اخوتاه اتدعوني فيها وحيدا وقيل جعلوه في دلو
ثم ارخوه فيها فلما بلغ نصفها القوه ارادة ان يموت وكان في البئر ماء فسقط فيه
ثم اوى الى صخرة كانت في البئر فقام عليها وقيل نزل اليه ملك فحل يديه واخرج له
صخرة في البئر فاجلسه وقيل انهم لما القوه في الجب جعل يبكي فينادوه فظن انها رحمة
ادركتهم فاجابهم فارادوا ان يرضخوه بصخرة ليقتلوه فمنعهم يهوذا من ذلك وقيل ان
يعقوب لما بعثه مع اخوته اخرج له قميص ابراهيم عليه السلام الذي كساه الله اياه
من الجنة حين القي في النار فجعله يعقوب في قصبة فضة وجعلها في عنق يوسف فالبسه
الملك اياه حين القي في الجب فاضاء له الجب وقال الحسن لما القي يوسف في الجب عذب
ماؤه فكان يغنيه عن الطعام والشراب ودخل عليه جبريل فانس به فلما امسى
نهض جبريل ليذهب فقال له انك اذا خرجت استوحشت فقال اذا رهبت شيئا

فقال يا صريخ المستصرخين ويا غوث المستغيثين ويا مفرج كرب المكروبين فقد
ترى مكاني وتعلم حالي ولا يخفى عليك شيء من أمري فلما قالها يوسف حفته الملائكة
واستأنس في الجب وقال محمد بن مسلم الطائفي لما ألقي يوسف قال يا شاهدا غير
غائب ويا قريبا غير بعيد ويا غالبا غير مغلوب اجعل لي فرجا مما أنا فيه فما بات فيه
واختلفوا في قدر عمر يوسف يوم ألقي في الجب فقال الضحاك ست سنين وقال
الحسن اثنا عشر سنة وقال ابن السائب سبعة عشر سنة وقيل ثمانية عشر سنة
وقيل مكث في الجب ثلاثة أيام وكان إخوته يرعون حوله وكان يهوذا يأتيه بالطعام
فلذلك قوله تعالى **وأوحينا إليه لتنبئنهم بأمرهم هذا** يعني لتخبرن إخوتك قال
أكثر المفسرين إن الله أوحى إليه وحيا حقيقة فبعث إليه جبريل يؤنسه ويبشره
بالخروج ويخبره أنه ينبئهم بما فعلوا به ويجازيهم عليه وهذا قول طائفة عظيمة
من المحققين ثم القائلون بهذا القول اختلفوا هل كان بالغا في ذلك الوقت
أو كان صبيا صغيرا فقال بعضهم إنه كان بالغا وكان عمره سبعة عشر سنة وقال
آخرون بل كان صغيرا إلا أن الله عز وجل أكمل عقله ورشده وجعله صالحا لقبول
الوحي والنبوة كما في حق عيسى عليه الصلاة والسلام فإن قلت كيف جعله
نبيا في ذلك الوقت ولم يكن أحد يبلغه رسالة ربه لأن فائدة النبوة والرسالة
تبليغها إلى من أرسل إليه قلت لا يمتنع أن الله يشرفه بالوحي ويكرمه بالنبوة
والرسالة في ذلك الوقت وفائدة ذلك تطييب قلبه وإزالة الغم والهم والوحشة
عنه ثم بعد ذلك يأمره بتبليغ الرسالة في وقتها وقيل إن المراد من قوله وأوحينا
إليه وحي إلهام كما في قوله وأوحى ربك إلى النحل وأوحينا إلى أم موسى والقول
الأول أولى وقوله **وهم لا يشعرون** يعني بإيحائنا إليك وأنت في البير
بأنك ستخبرهم بصنيعهم هذا والفائدة في إخفاء ذلك الوحي عنهم أنهم إذا عرفوه
فربما ازداد حسدهم له وقيل إن الله أوحى إلى يوسف لتخبرن إخوتك بصنيعهم
هذا بعد هذا اليوم وهم لا يشعرون بأنك أنت يوسف والمقصود من ذلك تقوية
قلب يوسف عليه السلام وأنه سيخلص مما هو فيه من المحنة ويصير مستوليا
عليهم ويصيرون تحت أمره وقهره قوله تعالى **وجاؤوا أباهم عشاء يبكون**
قال المفسرون لما طرحوا يوسف في الجب رجعوا إلى أبيهم وقت العشاء ليكونوا
في الظلمة ليجترئوا على الاعتذار بالكذب فلما قربوا من منزل يعقوب جعلوا يبكون
ويصرخون فسمع أصواتهم ففزع لذلك وخرج إليهم فلما رآهم قال ما لكم يا بني هل
أصابكم شيء في غنمكم قالوا لا قال فما أصابكم وأين يوسف **قالوا يا أبانا إنا ذهبنا**
نستبق قال ابن عباس يعني ننتضل قال الزجاج نتسابق بعضنا بعضا في الرمي
ومنه التناضل أيضا وسمي المترامين بذلك يقال تسابقا واستبقا إذا فعلا ذلك
لتبيين أيهما أبعد سهما وقال السدي يعني نشتد ونعدو والمعنى نستبق
على الأقدام لتبيين أيهما أسرع عدوا وأخف حركة وقال مقاتل نتصيد والمعنى

نستبق

نستبق إلى الصيد **وتركنا يوسف عند متاعنا** يعني ثيابنا **فأكله الذئب** يعني في حال
استباقنا وغفلتنا عنه **وما أنت بمؤمن لنا** يعني وما أنت بمصدق لنا **ولو كنا**
صادقين يعني في قولنا والمعنى إنا وإن كنا صادقين لكنك لا تصدقنا في قولنا لشدة
محبتك ليوسف فإنك تتهمنا في قولنا هذا وقيل معناه إنا وإن كنا صادقين فإنك
لا تصدقنا لأنه لم يظهر عندك أمارة تدل على صدقنا **وجاؤوا على قميصه** يعني على قميص
يوسف **بدم كذب** أي مكذوب فيه قال ابن عباس ذبحوا سخلة وجعلوا دمها على
قميص يوسف ثم جاؤوا أباهم وفي القصة أنهم لطخوا القميص بالدم ولم يشقوه فقال
يعقوب لهم كيف أكله الذئب ولم يشق قميصه فاتهمهم بذلك وقيل إنهم أتوه بذئب
وقالوا هذا أكله فقال يعقوب أيها الذئب أنت أكلت ولدي وثمرة فؤادي فأنطقه
الله عز وجل وقال والله ما أكلته ولا رأيت ولدك قط ولا يحل لنا أن نأكل لحوم الأنبياء
فقال له يعقوب فكيف وقعت بأرض كنعان فقال جئت لصلة الرحم وهو قرابة لي
فأخذوني وأتوني إليك فأطلقه يعقوب ولما ذكر إخوة يوسف ليعقوب هذا
الكلام واحتجوا على صدقهم بالقميص الملطخ بالدم **قال** يعقوب **بل سولت لكم**
أنفسكم أمرا يعني بل زينت لكم أنفسكم أمرا وأصل التسويل تقرير معنى في
النفس مع الطمع في إتمامه وقال صاحب الكشاف سولت سهلت من السول وهو
الاسترخاء أي سهلت لكم أنفسكم أمرا عظيما ارتكبتموه من يوسف وهونتموه في
أعينكم فعلى هذا يكون معنى قوله بل رد لقولهم أكله الذئب كأنه قال ليس الأمر
كما تقولون أكله الذئب بل سولت لكم أنفسكم أمرا آخر غير ما تصفون **فصبر جميل**
أي فشأني صبر جميل وقيل معناه فصبري صبر جميل والصبر الجميل الذي لا شكوى
فيه ولا جزع وقيل من الصبر أن لا تحدث بمصيبتك ولا تزكي نفسك قوله
والله المستعان على ما تصفون يعني من القول الكذب وقيل معناه والله
المستعان على حمل ما تصفون قوله عز وجل **وجاءت سيارة** يعني وهم القوم
المسافرون سموا سيارة لسيرهم في الأرض وكانوا رفقة من مدين يريدون مصر
فأخطؤوا الطريق فنزلوا قريبا من الجب الذي كان فيه يوسف وكان في قفرة
بعيدة من العمارة ترده المارة والرعاة وكان ماؤه ملحا فلما ألقي يوسف فيه عذب
فلما نزلوا أرسلوا رجلا من أهل مدين يقال له مالك بن ذعر الخزاعي ليطلب لهم
الماء فذلك قوله **فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه** قال والوارد الذي يتقدم
الرفقة فيستقي [illegible] يقال أدليت الدلو إذا أرسلتها في البير ودلوتها
إذا أخرجتها قالوا فتعلق يوسف عليه السلام بالحبل وكان يوسف أحسن ما
يكون من الغلمان وذكر البغوي بغير سند أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أعطي
يوسف شطر الحسن ويقال إنه ورث ذلك الجمال من جدته سارة وكانت قد
أعطيت سدس الحسن قال محمد بن إسحاق ذهب يوسف وأمه بثلثي الحسن وحكى
الثعلبي عن كعب الأحبار قال كان يوسف حسن الوجه جعد الشعر ضخم العينين

مستوي الخلق ابيض اللون غليظ الساعدين والعضدين والساقين خميص البطن
صغير السرة وكان اذا تبسم رايت النور في ضواحكه واذا تكلم رايت شعاع النور
من ثناياه لا يستطيع احد وصفه وكان حسنه كضوء النهار عند الليل وكان يشبه
آدم عليه السلام يوم خلقه وصوره قبل ان يصيب الخطيئة قالوا فلما خرج
يوسف ورآه مالك بن ذعر كاحسن ما يكون من الغلمان **قال** يعني الوارد وهو
مالك بن ذعر **يا بشراي** يعني يا قوم الوارد لاصحابه ابشروا **هذا غلام** وقرئ
يا بشري بغير اضافة ومعناه ان الوارد نادى رجلا من اصحابه اسمه بشرى كما تقول
يا زيد يقال ان جدران البير بكت على يوسف حين خرج منها **واسروه بضاعة** قال
مجاهد اسره مالك بن ذعر واصحابه من التجار الذين كانوا معه وقالوا انه بضاعة
استبضعناه لبعض اهل الماء الى مصر وانما قالوا ذلك خيفة ان يطلبوا منهم الشركة فيه
وقيل ان اخوة يوسف اسروا شان يوسف حتى انهم اخفوا امر يوسف وكونه اخا
لهم بل قالوا هو عبد لنا ابق وصدقهم يوسف على ذلك لانهم توعدوه بالقتل
سرا من مالك بن ذعر واصحابه والقول الاول اصح ان مالك بن ذعر هو الذي
اسره بضاعة من اصحابه **والله عليم بما يعملون** يعني من ارادة اهلاك يوسف
فجعل ذلك سببا لنجاته وتحقيقا لرؤياه انه يصير ملك مصر بعد ان كان عبدا
قال اصحاب الاخبار ان يهوذا كان ياتي يوسف بالطعام فاتاه فلم يجده في الجب
فاخبر اخوته بذلك فطلبوه فاذا هم بمالك بن ذعر واصحابه نزول قريبا من البير
فاتوهم فاذا يوسف عندهم فقالوا لهم هذا عبد ابق منا ويقال انهم هددوا
يوسف حتى كتم حاله ولم يعرفها وقال لهم مثل قولهم ثم انهم باعوه منهم فذلك
قوله تعالى **وشروه** اي باعوه وقد يطلق لفظ الشرا على البيع يقال شريت الشيء
بمعنى بعته وانما وجب حمل هذا الشرا على البيع لان الضمير في شروه وفي وكانوا
فيه من الزاهدين يرجع الى شيء واحد وذلك ان اخوته زهدوا فيه فباعوه وقيل
ان الضمير في وشروه يعود على مالك بن ذعر واصحابه فعلى هذا القول يكون لفظ
الشرا على بابه **بثمن بخس** قال الضحاك ومقاتل والسدي بخس اي حرام لان ثمن
الحر حرام وسمي الحرام بخسا لانه مبخوس البركة يعني منقوصها وقال ابن مسعود وابن
عباس بخس اي زيوف يعني ناقص العيار وقال قتادة بخس اي ظلم والظلم نقصان
الحق يقال ظلمه اذا نقصه حقه وقال عكرمة والشعبي بخس اي قليل وعلى الاقوال
كلها فالبخس في اللغة هو نقص الشيء على سبيل الظلم والبخس والباخس الشيء
الطفيف **دراهم معدودة** فيه اشارة الى قلة تلك الدراهم لانهم في ذلك الزمان
كانوا لا يزنون اقل من اربعين درهما انما كانوا ياخذون ما دونها عددا فاذا بلغت
اربعين وهو اوقية وزنوها واختلفوا في عدد تلك الدراهم فقال ابن عباس
وابن مسعود وقتادة كانت عشرين درهما فاقتسموها درهمين درهمين لانهم
كانوا احد عشر اخا وقال عكرمة كانت اربعين درهما **وكانوا فيه من الزاهدين**

يعني

يعني وكانوا اخوة يوسف في يوسف من الزاهدين واصل الزهد قلة الرغبة يقال زهد
فلان في كذا اذا لم يكن له فيه رغبة والضمير في قوله وكانوا فيه من الزاهدين ان قلنا
انه يرجع الى اخوة يوسف كان وجه زهدهم فيه انهم حسدوه وارادوا ابعاده عنهم
ولم يكن قصدهم تحصيل الثمن وان قلنا ان قوله وشروه وكانوا فيه من الزاهدين
يرجع الى معنى واحد وهو ان الذين شروه كانوا فيه من الزاهدين وكان وجه زهدهم
فيه اظهار قلة الرغبة فيه ليشتروه بثمن بخس قليل ويحتمل ان يقال ان اخوته لما قالوا
انه عبد لنا وقد ابق اظهر المشتري قلة الرغبة فيه بهذا السبب قال اصحاب الاخبار
ان مالك بن ذعر واصحابه لما اشتروا يوسف انطلقوا به الى مصر وتبعهم اخوته يقولون
استوثقوا منه لا يابق منكم فذهبوا به حتى قدموا مصر فعرضه مالك على البيع فاشتراه
قطفير قاله ابن عباس وكان قطفير صاحب امر الملك وكان على خزائن مصر وكان يسمى
العزيز وكان الملك بمصر ونواحيها اسمه ريان بن الوليد بن ثروان وكان من العماليق وقيل
ان هذا الملك لم يمت حتى امن بيوسف واتبعه على دينه ثم مات ويوسف عليه السلام
حي قال ابن عباس لما دخلوا مصر لقي قطفير مالك بن ذعر فاشترى يوسف منه بعشرين
دينارا وزوج نعل وثوبين ابيضين وقال وهب بن منبه قدمت السيارة بيوسف
مصر ودخلوا به السوق يعرضونه للبيع فترافع الناس في ثمنه حتى بلغ وزنه ذهبا
ووزنه فضة ووزنه مسكا وحريرا وكان وزنه اربعمائة رطل وكان عمره يومئذ ثلاث
عشرة سنة او سبع عشرة سنة فابتاعه قطفير بهذا الثمن فذلك قوله تعالى **وقال**
الذي اشتراه من مصر يعني قطفير من اهل مصر **لامرأته** وكان اسمها راعيل وقيل
زليخا **اكرمي مثواه** يعني اكرمي منزله ومقامه عندك والمثوى موضع الاقامة وقيل
اكرميه في المطعم والملبس والمقام **عسى ان ينفعنا** يعني ان اردنا بيعه بعناه بربح
او يكفينا بعض امورنا ومصالحنا اذا قوي وبلغ **او نتخذه ولدا** يعني نتبناه وكان
حصورا ليس له ولد قال ابن مسعود وافرس الناس ثلاثة العزيز في يوسف
حيث قال لامرأته اكرمي مثواه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا وابنة شعيب في
موسى حيث قالت لابيها يا ابت استاجره ان خير من استاجرت القوي الامين وابو بكر في
عمر حيث استخلفه بعده **وكذلك مكنا ليوسف في الارض** يعني كما مننا على يوسف
وانقذناه من القتل واخرجناه من الجب كذلك مكناه في الارض يعني ارض مصر
فجعلناه على خزائنها **ولنعلمه من تاويل الاحاديث** اي مكنا له في الارض لكي نعلمه
من تاويل الاحاديث يعني عبارة الرؤيا وتفسيرها **والله غالب على امره** قيل
الكناية في امره راجعة الى الله تعالى ومعناه والله غالب على امره يفعل ما يشا ويحكم
ما يريد لا دافع لامره ولا راد لقضائه لا يغلبه شي وقيل هي راجعة الى يوسف ومعناه
ان الله مستول على امر يوسف بالتدبير والاحاطة لا يكله الى احد سواه حتى يبلغ
منتهى ما علمه فيه **ولكن اكثر الناس لا يعلمون** يعني ما هو صانع بيوسف وما يريد
منه **ولما بلغ اشده** يعني منتهى شبابه وشدته وقوته قال مجاهد ثلاثة وثلاثين

سنة وقال السدي ثلاثين سنة وقال الضحاك عشرون سنة وقال الكلبي الاشد
ما بين ثمانية عشر سنة الى ثلاثين سنة وسئل مالك عن الاشد فقال هو الحلم **آتيناه**
حكما وعلما يعني آتينا يوسف بعد بلوغ الاشد نبوة وفقها في الدين وقيل حكما
يعني اصابة في القول وعلما بتاويل الرويا وقيل الفرق بين الحكيم والعالم ان العالم هو
الذي يعلم الاشيا بحقايقها والحكيم هو الذي يعمل بما يوجبه العلم وقيل الحكمة حبس
النفس عن هواها وصونها عما لا ينبغي والعلم هو العلم النظري وكذلك يعني وكما انعمنا
علي يوسف بهذه النعم كلها كذلك **نجزي المحسنين** قال ابن عباس يعني المومنين
وعنه ايضا المهتدين وقال الضحاك يعني الصابرين علي النوايب كما صبر يوسف
وراودته التي هو في بيتها عن نفسه يعني ان امراة العزيز طلبت الفعل القبيح من
يوسف ودعته الى نفسها ليواقعها **وغلقت الابواب** اي اطبقتها وكانت سبعة
لان مثل هذا الفعل لا يكون الا في ستر وخفية او انها اغلقتها لشدة خوفها **وقالت**
هيت لك اي هلم واقبل قال ابو عبيدة كان الكسائي يقول هي لغة لاهل حوران
رفعت الى الحجاز معناها تعال وقال عكرمة ايضا بالحورانية هلم وقال مجاهد وغيره
هي لغة عربية هي كلمة حث واقبال علي الشي وقيل هي بالعبرانية واصلها هيت
لج اي تعال فعربت فقيل هيت لك فمن قال انها بغير لغة العرب يقول ان العرب
وافقت اصحاب هذه اللغة فتكلمت بها علي لغاتهم كما وافقت لغة العرب للروم
في القسطاس ولغة العرب للفرس في اقليد ولغة العرب للترك في الغساق ولغة
العرب للحبشة في ناشية الليل وبالجملة فان العرب اذا تكلمت بكلمة صارت لها
لغة وقري هيت لك بكسر الهاء مع الهمزة ومعناها تهيات لك **قال** يعني قال يوسف
معاذ الله اي اعوذ بالله واعتصم به والجا اليه فيما دعوتني اليه **انه ربي** يعني ان
العزيز قطفير سيدي **احسن مثواي** اي اكرم منزلتي فلا اخونه وقيل ان الهاء في انه
راجعة الى الله تعالى يقول ان الله ربي احسن مثواي يعني اواني ومن بلا الجب
نجاني **انه لا يفلح الظالمون** يعني ان فعلت هذا فانا ظالم ولا يفلح الظالمون وقيل
معناه ليس لا يسعد الزناة قوله تعالى **ولقد همت به وهم بها لولا ان راي برهان**
ربه الاية هذه الاية الكريمة لا اعتنا بها والبحث عنها والكلام عليها في مقامين
الاول في ذكر اقوال المفسرين في هذه الاية قال المفسرون الهم هو المقاربة من
الفعل من غير دخول فيه وقيل الهم مصدر هممت بالشي اذا اردته وحدثتك نفسك
به وقاربته من غير دخول فيه فمعنى قوله ولقد همت به اي ارادته وقصدته
فكان همها عزمها على المعصية والزنا وقال الزمخشري هم بالامر اذا قصده وعزم
عليه قال الشاعر وهو عمرو بن ضابي البرجمي

همت ولم افعل وكدت وليتني • تركت على عثمان تبكي حلائله

وقوله ولقد همت به معناه ولقد همت بمخالطته وهم بها وهم بمخالطتها لولا ان
راي برهان ربه جوابه محذوف تقديره لخالطها قال البغوي واما همه بها فروي عن

ابن

ابن عباس انه قال حل الهميان وجلس منها مجلس الخاين وقال مجاهد حل سراويله
وجعل يعالج ثيابه وهذا قول اكثر المفسرين منهم سعيد بن جبير والحسن وقال
الضحاك جري الشيطان بينهما فضرب بيده الى جيد يوسف وبيده الاخرى جيد
المراة حتى جمع بينهما قال ابو عبيدة القاسم بن سلام وقد انكر قوم هذا القول
قال البغوي والقول ما قاله قدما هذه الامة وهم كانوا اعلم بالله ان يقولوا
في الانبيا من غير علم قال السدي وابن اسحاق لما ارادت امراة العزيز مراودة يوسف
عن نفسه جعلت تذكر له محاسن نفسه وتشوقه الى نفسها فقالت يا يوسف
ما احسن شعرك قال هو اول ما ينتثر من جسدي قالت ما احسن عينيك
قال هي اول ما تسيل علي خدي في قبري قالت ما احسن وجهك قال هو للتراب
ياكله وقيل انها قالت له ان فراش الحرير مبسوط فقم فاقض حاجتي قال اذا
يذهب نصيبي من الجنة فلم تزل تطمعه وتدعوه الى اللذة وهو شاب يجد من شبق
الشباب ما يجد الرجل وهي امراة حسنا جميلة حتى لان لها مما يرى من كلفها به
فهم بها ثم ان الله تعالى تدارك عبده يوسف بالبرهان الذي ذكره وسياتي الكلام
علي تفسير البرهان الذي راه يوسف عليه السلام فهذا ما قاله المفسرون
في هذه الاية اما الكلام علي المقام الثاني في تنزيه يوسف عليه السلام عن هذه
الرذيلة وبيان عصمته من هذه الخطيئة الذي نسبت اليه قال بعض المحققين
الهم همان فهم ثابت وهو ما كان معه عزم وقصد وعقيدة رضا مثل هم امراة العزيز
فالعبد ماخوذ به وهم عارض وهو الخطرة في القلب وحديث النفس من غير اختيار
ولا عزم مثل هم يوسف فالعبد غير ماخوذ به ما لم يتكلم او يعمل به ويدل علي
صحة هذا ما روي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله
تبارك وتعالى اذا هم عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه فان عملها فاكتبوها عليه
سيئة واحدة واذا هم بحسنة فلم يعملها فاكتبوها حسنة فان عملها فاكتبوها
عشرة لفظ مسلم والبخاري بمعناه ق وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال فيما يرويه عن ربه عز وجل ان الله تبارك وتعالى كتب الحسنات والسيئات
ثم بين ذلك فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة وان هم
بها وعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات الى سبعمائة ضعف الى اضعاف كثيرة
ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه وان هم بها وعملها كتبها الله عليه سيئة
واحدة زاد في رواية او محاها ولا يهلك على الله الا هالك قال القاضي عياض
في كتابه الشفا فعلى مذهب كثير من الفقها والمحدثين ان هم النفس يواخذ به وليست
سيئة وذكر الحديث المتقدم فلا معصية في هم يوسف اذا واما على مذهب المحققين
من الفقها والمتكلمين فان الهم اذا وطنت عليه النفس كان سيئة واما ما لم توطن
عليه النفس من همومها وخواطرها فهو المعفو عنه هذا هو الحق فيكون ان شا الله
هم يوسف من هذا ويكون قوله وما ابري نفسي ان النفس لامارة بالسو الا

مارهم ربه في الاية اي ما ابرتها من هذا الهم ويكون ذلك على طريق التواضع والاعتراف
بمخالفة هذا النفس لما زكى فيقتل وبري فكيف وقد حكى ابو حاتم عن ابي عبيدة ان يوسف
عليه السلام لم يهم وان الكلام فيه تقديم وتاخير ولقد همت به لولا ان راى برهان
ربه لهم بها وقال تعالى حاكيا عن المراة ولقد راودته عن نفسه فاستعصم وقال
تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشا وقال تعالى وغلقت الابواب وقالت هيت
لك قال معاذ الله وقيل في قوله وهم بها بزجرها ووعظها وقيل هم بها اي غم امتناعه
منها وقيل هم بها اي نظر اليها وقيل هم بضربها ودفعها وقيل هذا كله كان قبل نبوته
وقد ذكر بعضهم ما زال النسا يملن الى يوسف ميل شهوة حتى نباه الله تعالى فالقى
عليه هيبة النبوة فشغلت هيبته كل من راه عن حسنه هذا اخر كلام القاضي
رحمه الله واما الامام فخر الدين فذكر في هذا المقام كلاما طويلا مبسوطا وانا
اذكر بعضه ملخصا فاقول قال الامام فخر الدين ان يوسف عليه السلام كان بريا
من العمل الباطل والهم المحرم وهذا قول المحققين من المفسرين والمتكلمين وبه
نقول وعنه نذب فان الدلايل قد دلت على عصمة الانبيا عليهم السلام ولا
يلتفت الى ما نقله بعض المفسرين عن الايمة المتقدمين فان الانبيا عليهم الصلاة
والسلام متى صدرت منهم زلة او هفوة استعظموها فاتبعوها باظهار الندامة
والتوبة والاستغفار كما ذكر عن ادم عليه السلام في قوله ربنا ظلمنا انفسنا
الاية وقال في حق داود عليه السلام فاستغفر ربه وخر راكعا واناب واما
يوسف عليه السلام فلم يحك عنه شيئا من ذلك في هذه الواقعة لانه صدر منه شي
لاتبعه بالتوبة والاستغفار ولو اتى بالتوبة لحكى الله عنه ذلك في كتابه العزيز
كما ذكر عن غيره من الانبيا وحيث لم يحك عنه شيئا علمنا براءته مما قيل فيه ولم يصدر
عنه شيء مما نقله اصحاب الاخبار ويدل على ذلك ايضا ان كل من كان له تعلق بهذه
الواقعة فقد شهد ببراءة يوسف عليه السلام عما نسب اليه واعلم ان الذين لهم
تعلق بهذه الواقعة يوسف والمراة وزوجها والنسوة اللاتي قطعن ايديهن
والشهود الذين شهدوا على القميص والله تعالى شهد ببراءته من الذنب ايضا
اما بيان ان يوسف ادعى براءته مما نسب اليه فقوله هي راودتني عن نفسي وقوله رب
السجن احب الي مما يدعونني اليه واما بيان ان المراة اعترفت على نفسها واعترفت
ببراءة يوسف ونزاهته بقولها انا راودته عن نفسه فاستعصم وقولها الان
حصحص الحق انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين واما بيان ان زوج المراة اعترف
ايضا ببراءة يوسف بقوله انه من كيدكن ان كيدكن عظيم يوسف اعرض عن هذا
واستغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين واما شهادة الشهود ببراءته فقوله وشهد
شاهد من اهلها الاية واما شهادة الله له بذلك فقوله تعالى كذلك لنصرف عنه
السوء والفحشا انه من عبادنا المخلصين فشهد الله له في هذه الاية بتنزيهه
وبراءته وانه من عباده المخلصين ومن كان كذلك فليس للشيطان عليه سلطان بدليل

قوله

قوله لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين ويبطل بهذا قول من قال ان الشيطان
جرى بينهما حتى اخذ بجيده وجيد المراة حتى جمع بينهما فانه قول منكر لا يجوز
لاحد ان يقول ذلك واما ما روى عن ابن عباس انه جلس منها مجلس الخاين فحاشا
ابن عباس ان يقول مثل هذا عن يوسف عليه السلام ولعل بعض القصاص واصحاب
الاخبار وضعوه عن ابن عباس وكذلك ما روي عن مجاهد وغيره ايضا فانه لا يكاد
يصح بسند صحيح فبطل ذلك كله وثبت ما بيناه من براءة يوسف عليه السلام
من هذه الرذيلة والله اعلم بمراده واسرار كتابه وما صدر من انبيايه عليهم الصلاة
والسلام فان قلت فعلى هذا التقدير لا يبقى لقوله عز وجل لولا ان راى برهان
ربه فايدة قلت فيه اعظم الفوايد وبيانه من وجهين احدهما انه تعالى اعلم يوسف
عليه السلام انه لو هم بدفعها لقتلته فاعلمه بالبرهان ان الامتناع من
ضربها اولى من صرفها للنفس عن الهلاك الوجه الثاني انه عليه الصلاة والسلام
لو اشتغل بدفعها عن نفسه لتعلقت به فكان في ذلك ان يتمزق ثوبه من قدام
وكان في علم الله ان الشاهد يشهد بان ثوبه لو تمزق من قدام لكان يوسف
هو الخاين واذا تمزق من خلف كانت هي الخاينة فاعلمه بالبرهان هذا المعنى
فلم يشتغل بدفعها عن نفسه بل ولى هاربا فاثبت بذلك الشاهد حجة
له لا عليه واما تفسير البرهان على ما ذكره المفسرون في قوله تعالى لولا ان
راى برهان ربه فقال قتادة واكثر المفسرين ان يوسف راى صورة يعقوب
عليه السلام وهو يقول له يا يوسف اتعمل عمل السفها وانت مكتوب في الانبيا
وقال الحسن وسعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة والضحاك انفرج له سقف البيت
فراى يعقوب عاضا على اصبعه وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس مثل له يعقوب
فضرب بيده في صدره فخرجت شهوته من انامله وقال السدي نودي يا يوسف
اتواقعها انما مثلك ما لم تواقعها مثل الطير في جو السما لا يطاق عليه وان مثلك
ان واقعتها كمثله اذا وقع على الارض لا يستطيع ان يدفع عن نفسه شيا ومثلك
ما لم تواقعها مثل الثور الصعب الذي لا يطاق ومثلك اذا واقعتها كمثله اذا مات
ودخل النمل في قرنه لا يستطيع ان يدفعه عن نفسه وقيل انه راى معصما
بلا عضد عليه مكتوب وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون فولى
هاربا ثم رجع فعاد المعصم وعليه مكتوب ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة
ومقتا وسا سبيلا فولى هاربا ثم عاد فراى ذلك الكف وعليه مكتوب واتقوا
يوما ترجعون فيه الى الله الاية ثم عاد فقال الله تعالى لجبريل ادرك عبدي
يوسف قبل ان يصيب الخطيئة فانحط جبريل عاضا على اصبعه يقول يا يوسف
اتعمل عمل السفها وانت مكتوب عند الله في الانبيا وقيل انه مسحه بجناحه
فخرجت شهوته من انامله قال محمد بن كعب القرظي رفع يوسف راسه الى سقف البيت
فراى كتابا في حايط كان ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة ومقتا وسا سبيلا

وفي رواية عن ابن عباس انه راى مثال الملك وعن علي بن الحسين قال كان في
البيت صنم فقامت المراة اليه وسترته بثوب فقال لها يوسف لما فعلت هذا
قالت استحييت منه ان يراني على معصية فقال لها يوسف انستحيين ممن لا يسمع
ولا يبصر ولا يفقه شيا فانا احق من ان استحي من ربي وهرب فذلك قوله لولا
ان راى برهان ربه اما المحققون فقد فسروا البرهان بوجوه الاول قال جعفر
ابن محمد الصادق البرهان هو النبوة التي جعلها الله في قلبه حالت بينه وبين
ما يسخط الله عز وجل الثاني البرهان حجة الله تعالى على العبد في تحريم الزنا
والعلم بما على الزاني من العقاب الثالث ان الله عز وجل طهر نفوس الانبيا عليهم
السلام من الاخلاق الذميمة والافعال الرذيلة وجبلهم على الاخلاق الشريفة
الطاهرة المقدسة فتلك الاخلاق الشريفة الطاهرة تحجزهم عن فعل ما لا يليق
فعله كذلك يعني كما اريناه البرهان كذلك لنصرف عنه السوء يعني الاثم
والفحشا يعني الزنا وقيل السوء مقدمات الفحشا وقيل السوء الثنا القبيح
وصرف الله عنه ذلك كله وجعله من عباده المخلصين وهو قوله انه يعني يوسف
من عبادنا المخلصين قري بفتح اللام ومعناه انه من عبادنا الذين اصطفيناهم
بالنبوة واخترناهم على غيرهم وقري بكسر اللام ومعناه انه من عبادنا الذين اخلصوا
الطاعة لله عز وجل قوله تعالى واستبقا الباب وذلك ان يوسف عليه السلام
لما راى البرهان قام هاربا مبادرا الى الباب وتبعته المراة لتمسك عليه الباب
حتى لا يخرج والمسابقة طلب السبق فسبق يوسف وادركته المراة فتعلقت
بقميصه من خلفه وجذبته اليها حتى لا يخرج اليها قوله عز وجل وقدت
قميصه من دبر يعني شقته من خلفه فغلبها يوسف وخرج خلفه والفيا
سيدها لدى الباب يعني فلما خرجا وجدا زوج المراة قطفير وهو العزيز عند الباب
جالسا مع ابن عم المراة فلما رأته المراة هابته وخافت التهمة فسابقت يوسف
بالقول قالت يعني لزوجها ما جزاء من اراد باهلك سوءا يعني الفاحشة ثم خافت
عليه ان يقتل وذلك لشدة حبها له فقالت الا ان يسجن اي يحبس في السجن
ويمنع التصرف او عذاب اليم يعني الضرب بالسياط وانما بدات بذكر السجن على
العذاب لان المحب لا يشتهي ايلام المحبوب وانما ارادت ان يسجن عندها يوما او
يومين ولم ترد السجن الطويل وهذه لطيفة فافهما فلما سمع يوسف مقالتها اراد
ان يبري نفسه قال يعني يوسف هي راودتني عن نفسي يعني طلبت
مني الفحشا فابيت وفررت وذلك ان يوسف عليه السلام ما كان يريد ان يذكر هذا
القول ولا يهتك سترها ولكن لما قالت هي ما قالت ولطخت عرضه احتاج الى ازالة
هذه التهمة عن نفسه فقال هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من اهلها يعني
وحكم حاكم من اهل المراة واختلفوا في ذلك الشاهد فقال سعيد بن جبير والضحاك
كان صبيا في المهد فانطقه الله عز وجل وهو رواية عن ابن عباس عن النبي صلى الله

عليه وسلم

عليه وسلم قال تكلم اربعة وهم صغار ابن ماشطة ابنة فرعون وشاهد يوسف
وصاحب جريج وعيسى بن مريم ذكره البغوي بغير سند والذي جا في الصحيح
ثلاثة عيسى بن مريم وصاحب جريج وابن المراة وقصتهم مخرجة في الصحيح وقيل
كان هذا الصبي شاهد يوسف ابن خال المراة وقال الحسن وعكرمة وقتادة
ومجاهد لم يكن صبيا ولكنه كان رجلا حكيما ذا راي قال السدي هو ابن عم المراة
فحكم فقال ان كان قميصه قد من قبل اي من قدام فصدقت وهو من الكاذبين وان كان
قميصه قد من دبر اي من خلف فكذبت وهو من الصادقين وانما كان الشاهد
من اهل المراة ليكون اقوى في نفي التهمة عن يوسف عليه السلام مع ما وجد من كثرة
العلامات الدالة على صدق يوسف عليه السلام ونفي التهمة عنه منها انه كان في
الظاهر مملوك هذه المراة والمملوك لا ينبسط يده الى سيدته ومنها انهم شاهدوا
يوسف يعدو ليخرج هربا منها والطالب لا يهرب ومنها انهم راوا المراة وقد
تزينت باكمل الوجوه فكان الحاق التهمة بها اولى ومنها انهم عرفوا يوسف في المدة
الطويلة فلم يروا عليه حالة تناسب اقدامه على مثل هذه الحالة فكان مجموع
هذه العلامات دالة على صدقه مع شهادة الشاهد له بصدقه ايضا فلما راى
قميصه قد من دبر فلما راى قطفير زوج المراة قميص يوسف قد شق من خلفه عرف خيانة
امراته وبراءة يوسف عليه السلام قال يعني قال لها زوجها قطفير يعني هذا
الصنيع انه من كيدكن يعني من حيلكن ومكركن ان كيدكن عظيم فان قلت
كيف وصف كيد النسا بالعظم مع قوله تعالى وخلق الانسان ضعيفا وهل لا كان
مكر الرجال اعظم من مكر النسا قلت اما كون الانسان خلق ضعيفا فهو بالنسبة
الى خلق ما هو اعظم منه كخلق الملايكة والسموات والارض والجبال ونحو ذلك وانما
عظم كيد النسا ومكرهن في هذا الباب اعظم من كيد جميع البشر لان لهن من المكر
والحيل والكيد في تمام مرادهن ما لا يقدر عليه الرجال في هذا الباب وقيل
ان قوله من كيدكن ان كيدكن عظيم من قول الشاهد وذلك انه لما ثبت عنده
خيانة المراة وبراءة يوسف عليه السلام قال هذه المقالة يوسف يعني يا يوسف
اعرض يعني اعرض عن هذا الحديث فلا تذكره لاحد حتى لا يفشو ويشيع
وينتشر بين الناس وقيل معناه يا يوسف لا تكترث بهذا الامر ولا تهتم
به فقد بان عذرك وبراءتك ثم التفت الى المراة فقال لها واستغفري لذنبك
اي توبي الى الله مما رميتي به يوسف من الخطيئة وهو بري منها وقيل ان هذا من قول
الشاهد يقول للمراة سلي زوجك ان يصفح عنك ولا يعاقبك بسبب ذنبك انك
كنت من الخاطئين يعني من المذنبين حين خنت زوجك ورميت يوسف بالتهمة
وهو بري وانما قال من الخاطئين ولم يقل من الخاطئات تغليبا لجنس الرجال
على النسا وقيل انه لم يقصد به الخبر عن النسا بل قصد الخبر عن من يفعل من هذا
الفعل تقديره انك كنت من القوم الخاطئين فهو كقوله وكانت من القانتين

قوله تعالى **وقال نسوة في المدينة امرات العزيز تراود فتاها عن نفسه** يعني
وقال جماعة من النسا وكن خمسا وقيل هن اربع وذلك لما شاع خبر يوسف
والمراة في مدينة مصر وقيل هي مدينة عين الشمس وتحدث النسا فيما بينهن
بذلك وهن امراة حاجب الملك وامراة صاحب دوابه وامراة خبازه وامراة
ساقيه وامراة صاحب سجنه وقيل نسوة من اشراف مصر امراة العزيز يعني زليخا
تراود فتاها عن نفسه يعني تراود عبدها الكنعاني عن نفسه بانها تطلب
منه الفاحشة وهو يمتنع منها والفتا الشاب الحدث **قد شغفها حبا** يعني
قد علقها حبا والشغف جلدة محيطة بالقلب يقال لها غلاف القلب والمعنى
ان حبه دخل الجلد حتى اصاب القلب وقيل ان حبه احاط بقلبها كما احاطت الشغاف
بالقلب قال الكلبي حجب حبه قلبها حتى لا تعقل شيا سواه **انا لنراها في ضلال
مبين** يعني في خطا بين ظاهر حيث تركت ما يجب على امثالها من العفاف والستر
ولحبت فتاها **فلما سمعت بمكرهن** يعني فلما سمعت زليخا بقولهن وما تحدثن
به وانما سمي قولهن بذلك مكرا لانهن طلبن بذلك رؤية يوسف وكان وصف
لهن حسنه وجماله فقصدن ان يرينه وقيل ان امراة العزيز افشت اليهن سرها
واستكتمتهن وافشين ذلك عليها فلذلك سماه مكرا **ارسلت اليهن** يعني
انها لما سمعت بانهن يلمنها على محبتها ليوسف ارادت ان تقيم عذرها عندهن
قال وهب اتخذت مادبة يعني صنعت لهن وليمة وضيافة ودعت اربعين امراة
من اشراف مدينتها فيهن هولا اللاتي عيرنها **واعتدت لهن متكئا** يعني وضعت لهن
نمارق ومساند يتكين عليها وقال ابن عباس وابن جبير والحسن وقتادة ومجاهد
متكئا يعني طعاما وانما سمي الطعام متكئا لان كل من دعوته ليطعم عندك فقد
اعددت له وسايد يجلس ويتكي عليها فسمي الطعام متكئا على الاستعارة ويقال
اتكانا عند فلان اي طعمنا عنده والمتكا ما يتكا عليه عند الطعام والشراب والحديث
ولذلك جا النهي عنه في الحديث وهو قوله صلى الله عليه وسلم لا اكل متكئا وقيل
المتكى الاترج وقيل كل شي يقطع بالسكين او يحزها يقال ان المراة زينت البيت
بالوان الفواكه والاطعمة ووضعت الوسايد ودعت النسوة اللاتي عيرنها بحب يوسف
واتت كل واحدة منهن سكينا يعني واعطت كل واحدة من النسا سكينا لتاكل بها
وكان من عادتهن ان ياكلن اللحم والفواكه بالسكين **وقالت اخرج عليهن** يعني زليخا
ليوسف لتخرج على النسوة وكان يخاف من مخالفتها فخرج عليهن يوسف وكانت قد
زينته واحتبسته في مكان اخر **فلما راينه** يعني النسوة **اكبرنه** يعني اعظمنه
ودهشن عند رؤيته وكان يوسف قد اعطي شطر الحسن وقال عكرمة كان فضل
يوسف على الناس في الحسن كفضل القمر ليلة البدر على ساير النجوم وروى ابو
سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت ليلة اسري بي الى السما
يوسف كالقمر ليلة البدر ذكره البغوي بغير سند وقال اسحاق بن ابي فروة كان

يوسف اذا سار في ازقة مصر يرى تلالو وجهه على الجدران ويقال انه ورث حسن
ادم يوم خلقه الله عز وجل قبل ان يخرج من الجنة وقال ابو العالية هالهن
امره وبهتن اليه وفي رواية عن ابن عباس قال اكبرنه اي حضن ونحوه عن مجاهد
والضحاك قال حضن من الفرح والكر اكثر اهل اللغة هذا القول قال الزجاج
هذه اللفظة ليست معروفة في اللغة والهاء في اكبرنه تمنع من هذا لانه لا يجوز
ان يقال النسا قد حضنه لان حضن لا يتعدى الى مفعول قال الازهري ان
صحت هذه اللفظة في اللغة فلها مخرج وذلك ان المراة اذا حاضت اول ما تحيض
فقد خرجت من حد الصغار الى حد الكبار فيقال لها اكبرت اي حاضت على هذا
المعنى قال الازهري فان صحت الرواية عن ابن عباس سلم له وجعلنا الها في قوله
اكبرنه ها الوقف لا ها الكناية وقيل ان المراة اذا خافت او فزعت فربما اسقطت
ولدها وتحيض فان كان ثم حيض فربما كان من فزعهن وما هالهن من امر
يوسف عليه السلام حين راينه قال الامام فخر الدين الرازي وعندي انه
يحتمل وجها اخر وهو انهن انما اكبرنه لانهن راين عليه نور النبوة وسيما الرسالة
واثار الخضوع والاخبات وشاهدن فيه مهابة وهيبة ملكية وهي عدم الالتفات
الى المطعوم والمنكوح وعدم الاعتداد بهن وكان الجمال العظيم مقرونا بتلك
الهيبة والهيبة فتعجبن من تلك الحالة فلا جرم اكبرنه واعظمنه ووقع الرعب
والمهابة في قلوبهن قال وحمل الاية على هذا الوجه اولى قوله **وقطعن ايديهن**
يعني وجعلن يقطعن ايديهن بالسكاكين التي معهن وهن يحسبن انهن يقطعن
الاترج ولم يجدن الالم لدهشتهن وشغل قلوبهن بيوسف قال مجاهد فما
احسسن الا بالدم وقال قتادة ابن ايديهن حتى القينها والاصح انه كان قطعا
من غير ابانة وقال وهب ماتت جماعة منهن **وقلن** يعني النسوة **حاش لله
ما هذا بشرا** اي معاذ الله ان يكون هذا بشرا **ان هذا الا ملك كريم** يعني
على الله والمقصود من هذا اثبات الحسن العظيم المفرط ليوسف لانه قد ركز
في النفوس انه لا شي احسن من الملك فلذلك وصفنه بكونه ملكا وقيل لما كان
الملك مطهرا من بواعث الشهوة وجميع الافات والحوادث التي تحصل للبشر
وصفن يوسف بذلك قوله عز وجل **قالت فذلكن الذي لمتنني فيه**
يعني قالت امراة العزيز للنسوة لما راين يوسف ودهشن عند رؤيته فذلكن
الذي لمتنني في محبته وانما قالت لاقامة عذرها عندهن حين قلن ان امراة
العزيز قد شغفها فتاها الكنعاني حبا وانما قالت ذلك بعد ما قام من المجلس
وذهب قال صاحب الكشاف قالت فذلكن ولم تقل فهذا وهو حاضر رفعا
لمنزلته في الحسن واستحقاق ان يحب ويفتتن به ويجوز ان يكون اشارة الى المعنى
بقوله فقولهن عشقت عبدها الكنعاني تقول هو ذلك العبد الكنعاني الذي
صورتن في انفسكن ثم لمتنني فيه ثم ان امراة العزيز صرحت بما فعلت فقالت

ولقد راودته عن نفسه فاستعصم يعني فامتنع من ذلك الفعل الذي طلبته منه
وانما صرحت بذلك لانها علمت انه لا ملامة عليها منهن وانهن قد اصابهن ما اصابها
عند رويته ثم ان امراة العزيز قالت **ولئن لم يفعل ما امره** يعني ولئن لم يطاوعني
فيما دعوته اليه **ليسجنن** يعني ليعاقبن بالحبس والسجن **وليكونا من الصاغرين**
يعني من الاذلاء المهانين فقال النسوة ليوسف اطع مولاتك فيما دعتك اليه
فاختار يوسف السجن على المعصية حين توعدته المراة بذلك **قال رب** اي يا ربي
السجن احب الي مما يدعونني اليه قيل انما الدعا كان منها خاصة وانما اضاف اليهن
جميعا خروجا من التصريح الى التعريض وقيل انهن جميعا دعونه الى انفسهن وقيل
انهن لما قلن له اطع مولاتك صح اضافة الدعا اليهن جميعا قال بعضهم لو لم يقل السجن
احب الي لم يبتل بالسجن والاولى بالعبد ان يسال الله تعالى العافية **والا
تصرف عني كيدهن** يعني ما اردنه مني **اصب اليهن** يعني اميل اليهن يقال صبا
فلان الى كذا اذا مال اليه واشتاقه **واكن من الجاهلين** يعني من المذنبين وقيل
معناه اكن ممن يستحق صفة الذم بالجهل وفيه دليل على ان من ارتكب ذنبا انما
يرتكبه عن جهالة **فاستجاب له ربه** يعني فاجاب الله دعا يوسف **فصرف
عنه كيدهن انه هو السميع** يعني لدعا يوسف وغيره **العليم** بحاله وفي الاية
دليل على ان يوسف عليه السلام لما ظلمته البلية بكيد النسا ومطالبتهن اياه
بما لا يليق بحاله لجا الى الله تعالى وفزع الى الدعا رغبة الى الله ليكشف ما نزل
به من ذلك الامر مع الاعتراف بانه ان لم يعصمه من المعصية وقع فيها فدل ذلك
على انه لا يقدر احد على الانصراف عن المعصية الا بعصمة الله ولطفه به قوله عز وجل
ثم بدا لهم يعني للعزيز واصحابه في الراي وذلك انهم لما ارادوا ان يقتصروا من امر
يوسف بالاعراض وكتم الحال وذلك ان المراة قالت لزوجها ان هذا العبد العبراني
قد فضحني عند الناس يخبرهم باني قد راودته عن نفسه فاما ان تاذن لي فاخرج
واعتذر الى الناس واما ان تحبسه فرأى حبسه **من بعد** اي **ما راوا الايات**
الدالة على صدق يوسف وبراءته من قد القميص وكلام الطفل وقطع النسا
ايديهن وذهاب عقولهن عند رويتهن له **ليسجننه** اي ليحبسنه في السجن
حتى حين يعني الى مدة يرون رايهم فيها وقال عطا الى ان تنقطع مقالة الناس
وقال عكرمة الى سبع سنين وقال الكلبي خمس سنين فحبسه قال السدي جعل الله
ذلك الحبس تطهيرا ليوسف من همه بالمراة **ودخل معه السجن فتيان** وهما غلامان
كانا للوليد بن ثروان العمليق ملك مصر الاكبر احدهما خبازه وصاحب طعامه
والاخر ساقيه وصاحب شرابه وكان قد غضب عليهما الملك فحبسهما وكان السبب
في ذلك ان جماعة من اشراف مصر ارادوا المكر بالملك واغتياله وقتله فضمنوا
لهذين الغلامين مالا على ان يسما الملك في طعامه وشرابه فاجابا الى ذلك ثم ان الساقي
ندم فرجع عن ذلك وقبل الخباز الرشوة وسم الطعام فلما احضر الطعام بين يدي

الملك

الملك قال الساقي لا تاكل ايها الملك فان الطعام مسموم وقال الخباز لا تشرب
فان الشراب مسموم فقال للساقي اشربه فشربه فلم يضره وقال للخباز كل من
طعامك فابى فاطعم من ذلك الطعام لدابة فهلكت فامر الملك بحبسهما فحبسا
مع يوسف وكان يوسف لما دخل السجن جعل ينشر علمه ويقول اني اعبر الاحلام
فقال احد الغلامين لصاحبه هلم فلنجرب هذا العبد العبراني نترايا له رويا
فسالاه من غير ان يكونا قد رايا شيئا قال ابن مسعود وما رايا شيئا انما تحالما
ليجربا يوسف وقال قوم بل كانا قد رايا حقيقة فرآهما يوسف وهما مهمومان
فسالهما عن شانهما فذكرا انهما غلامان للملك وانه حبسهما وقد رايا رويا
قد اغمتهما فقال يوسف قصا علي ما رايتما فقصا عليه ما رايا وذلك قوله تعالى
قال احدهما وهو صاحب شراب الملك **اني اراني اعصر خمرا** يعني عنبا
سمي العنب خمرا باسم ما يؤول اليه يقال فلان يطبخ الاجر اي يطبخ اللبن حتى
يصير اجرا وقيل الخمر العنب بلغة عمان وذلك انه قال اني رايت في المنام كاني
في بستان واذا فيه اصل حبلة وعليها ثلاثة عناقيد عنب فجنيتها وكان
كاس الملك في يدي فعصرتها فيه وسقيت الملك فشربه **وقال الاخر** وهو
صاحب طعام الملك **اني اراني احمل فوق راسي خبزا تاكل الطير منه** وذلك انه
قال اني رايت في المنام كان فوق راسي ثلاث سلال فيها الخبز والوان الاطعمة
وسباع الطير تنهش فيها **نبئنا بتاويله** اي اخبرنا بتفسير ما راينا وما يؤول
اليه امر هذه الرويا **انا نراك من المحسنين** يعني من العالمين بعبارة
الرويا والاحسان هنا بمعنى العلم وسئل الضحاك ما كان احسانه قال كان
اذا مرض انسان في الحبس عاده وقام عليه واذا ضاق عليه المكان وسع له واذا احتاج
جمع له شيئا وكان مع هذا يجتهد في العبادة ويصوم النهار ويقوم الليل
كله للصلاة وقيل انه لما دخل السجن وجد فيه قوما اشتد بلاوهم وانقطع
رجاوهم وطال حزنهم فجعل يسليهم ويقول اصبروا وابشروا فقالوا بارك الله
فيك يا فتى ما احسن وجهك وخلقك وحديثك لقد بورك لنا في جوارك فمن
اين انت قال انا يوسف بن صفي الله يعقوب بن ذبيح الله اسحاق بن خليل الله
ابراهيم فقال له صاحب السجن يا فتى والله لو استطعت لخليت سبيلك ولكن
سارفق بك واحسن جوارك فاختر اي بيوت السجن شئت وقيل ان الفتيين لما رايا
يوسف قالا انا قد احببناك منذ رايناك فقال لهما يوسف انشدكما بالله
لا تحباني فوالله ما احبني احد قط الا دخل علي من حبه بلا لقد احبتني عمتي
فدخل علي من ذلك بلا واحبني ابي فالقيت في الجب واحبتني امراة العزيز فحبست
فلما قصا عليه رؤياهما كره يوسف ان يعبرها لهما حين سالاه لما علم ما في ذلك
من المكروه لاحدهما فاعرض عن سوالهما واخذ في غيره من اظهار المعجزة والنبوة
والدعا الى التوحيد وقيل انه عليه السلام اراد ان يبين لهما ان له رتبة في العلم

اعظم واعلى مما اعتقدوا فيه وذلك انهما طلبا منه علم التعبير ولا شك ان هذا
العلم مبني على الظن والتخمين فاراد ان يعلمهما انه يمكنه الاخبار عن المغيبات على
سبيل القطع واليقين وذلك مما يعجز الخلق عنه واذا قدر على الاخبار عن
الغيوب كان اقدر على تعبير الرويا بطريق الاولى وقيل انما عدل عن تعبير
رؤياهما الى اظهار المعجزة لانه علم ان احدهما سيصلب فاراد ان يدخله في الاسلام
ويخلصه من الكفر ودخول النار فاظهر المعجزة لهذا السبب **قال لا يأتيكما طعام**
ترزقانه الا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما قيل اراد به في النوم يقول لا يأتيكما
طعام ترزقانه في نومكما الا اخبرتكما خبره في اليقظة وقيل اراد به في اليقظة
يقول لا يأتيكما طعام من منازلكما ترزقانه يعني تطعمانه وتأكلانه الا نبأتكما
بتأويله بقدره ولونه والوقت الذي يصل اليكما فيه قبل ان يأتيكما يعني قبل ان يصل
اليكما واي طعام اكلتم وكم اكلتم ومتى اكلتم وهذا وهو مثل معجزة عيسى عليه السلام
حيث قال وانبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم فقالا ليوسف عليه السلام
هذا من علم العرافين والكهنة فمن اين لك هذا العلم فقال ما انا بكاهن ولا عراف
وانما ذلك اشارة الى المعجزة والعلم الذي اخبرتكما به **ذلكما مما علمني ربي** يعني
ان هذا الذي اخبرتكما به وحي من الله اوحاه الي وعلم علمنيه **اني تركت ملة قوم لا يؤمنون**
بالله فان قلت ظاهر قوله اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله انه كان عليه السلام
داخلا في هذه الملة ثم تركها وليس الامر كذلك لان الانبياء عليهم السلام من حين
ولدوا وظهروا الى الوجود هم على التوحيد فما معنى هذا الترك في قوله تركت قلت
الجواب من وجهين الاول ان الترك عبارة عن عدم التعرض للشيء والالتفات اليه
بالمرة وليس من شرطه ان يكون قد كان داخلا فيه ثم تركه وخرج عنه الوجه الثاني
وهو اقرب ان يوسف عليه السلام لما كان عند العزيز وهو كافر وجميع من عنده كذلك
وقد كان بينهم ويوسف كان على التوحيد والايمان الصحيح صح قوله اني تركت ملة
قوم لا يؤمنون بالله **وهم بالآخرة هم كافرون** فترك ملتهم واعرض عنهم ولم يوافقهم
على ما كانوا عليه وتكرير لفظة هم في قوله وهم بالآخرة هم كافرون للتوكيد لشدة انكارهم
للمعاد قوله **واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب** لما ادعى يوسف النبوة
واظهر المعجزة اظهر انه من اهل بيت النبوة وان كان اباؤه كلهم انبياء وقيل لما كان
ابراهيم واسحاق مشهورين بالنبوة والرسالة ولهم الدرجة العليا في الدنيا والمنزلة
الرفيعة عند الخلق اظهر يوسف عليه السلام انه من اولادهم وانه من اهل بيت
النبوة ليسمعوا قوله ويطيعوا امره فيما يدعوهم اليه من التوحيد **ما كان لنا**
أن نشرك بالله من شيء معناه ان الله تعالى لما اختارنا لنبوته واصطفانا برسالته
وعصمنا من الشرك فما كان ينبغي لنا ان نشرك به مع جميع هذه الاختصاصات التي
اختصنا بها قال الواحدي لفظة من في قوله من شيء زائدة موكدة كقولك ما جاءني
من احد وقال صاحب الكشاف ما كان لنا ما صح لنا معشر الانبياء ان نشرك بالله

اي

اي شيء من ملك او جني او انسي فضلا ان نشرك به صنما لا يسمع ولا يبصر **ذلك**
من فضل الله يعني ذلك التوحيد وعدم الاشراك والعلم الذي رزقنا من فضل الله
علينا وعلى الناس يعني بما نصب لهم من الادلة الدالة على وحدانيته وبين
لهم طريق الهداية اليه فكل ذلك من فضل الله على عباده **ولكن أكثر الناس لا**
يشكرون يعني ان اكثرهم لا يشكرون الله على هذه النعم التي انعم بها عليهم لانهم
تركوا عبادته وعبدوا غيره ثم دعاهما الى الاسلام فقال **يا صاحبي السجن** يريد
يا صاحبي في السجن فاضافهما الى السجن كما تقول يا سارق الليلة لان الليلة مسروق
فيها غير مسروقة ويجوز ان يريد ساكني السجن كقوله اصحاب النار واصحاب الجنة
أأرباب متفرقون اي آلهة شتى من ذهب وفضة وصفر وحديد وخشب
وحجارة وغير ذلك وصغير وكبير ومتوسط متباينون في الصفة وهي مع ذلك
لا تضر ولا تنفع **خير أم الله الواحد القهار** يعني ان هذه الاصنام اعظم صفة في
المدح واستحقاق اسم الالهية والعبادة ام الله الواحد قال الخطابي الواحد
هو الفرد الذي لم يزل وحده وقيل هو المنقطع عن القرين والمعدوم الشريك
والنظير وليس هو كسائر الآحاد من الاجسام المؤلفة لان ذلك قد يكثر
بانضمام بعضها الى بعض والواحد ليس كذلك فهو الله الواحد الذي لا مثل له
ولا يشبهه شيء من خلقه القهار هو الذي قهر الجبابرة من خلقه بالعقوبة وقهر
الخلق كلهم بالموت وقال غيره القهار هو الذي قهر كل شيء فذلل فاستسلم
وانقاد وذل له والمعنى ان هذه الاصنام التي تعبدونها ذليلة مقهورة اذا اراد
الانسان كسرها واهانتها قدر عليه والله هو الواحد في ملكه القهار لعباده
الذي لا يغلبه شيء وهو الغالب لكل شيء سبحانه وتعالى ثم بين عجز الاصنام وانها
لا شيء البتة فقال **ما تعبدون من دونه** يعني من دون الله وانما قال تعبدون
بلفظ الجمع وقد ابتدأ بالتثنية في المخاطبة لانه اراد جميع من في السجن من المشركين
إلا أسماء سميتموها يعني سميتموها آلهة وأربابا وهي حجارة جماد خالية عن المعنى
لا حقيقة لها **أنتم وآباؤكم** يعني من قبلكم سموها آلهة **ما أنزل الله بها من**
سلطان يعني ان تسمية الاصنام آلهة لا حجة لكم ولا برهان ولا امر الله بها وذلك
انهم كانوا يقولون ان الله امرنا بهذه التسمية فرد الله عليهم بقوله ما انزل الله
بها من سلطان **إن الحكم إلا لله** يعني ان الحكم والقضاء والامر والنهي لله تعالى
لا شريك له في ذلك **أمر ألا تعبدوا إلا إياه** لانه هو المستحق للعبادة لا هذه الاصنام
التي سميتموها آلهة **ذلك الدين القيم** يعني عبادة الله هو الدين المستقيم
ولكن أكثر الناس لا يعلمون ولما فرغ يوسف عليه السلام من الدعاء الى الله تعالى
وعبادته رجع الى تعبير رؤياهما فقال **يا صاحبي السجن أما أحدكما فيسقي ربه خمرا**
يعني ان صاحب شراب الملك يرجع الى منزلته ويسقي الملك خمرا كما كان يسقيه
اول مرة والعناقيد الثلاثة هي ثلاثة ايام يبقى في السجن ثم يدعوه الملك

وبرده إلى منزلته التي كان عليها **وأما الآخر فيصلب** يعني صاحب طعام الملك بعد
الثلاث ثلاثة أيام ثم يدعوا به الملك فيصلبه **فتأكل الطير من رأسه** قال ابن مسعود
لما سمعا قول يوسف قالا ما رأينا شيئا إنما كنا نلعب قال يوسف **قضي الأمر الذي**
فيه تستفتيان يعني فرغ من الأمر الذي فيه سألتما عنه ووجب حكم الله عليكما بالذي
أخبرتكما به رأيتما أو لم تريا شيئا **وقال** يعني يوسف **للذي ظن** يعني علم وتحقق والظن
بمعنى العلم **أنه ناج منهما** يعني ساقي الملك **اذكرني عند ربك** يعني عند
سيدك وهو الملك الأكبر فقل له إن في السجن غلاما محبوسا مظلوما طال حبسه
قوله **فأنساه الشيطان ذكر ربه** في هاء الكناية في فأنساه إلى من تعود قولان أحدهما
أنها ترجع إلى الساقي وهو قول جماعة من المفسرين والمعنى فأنسى الشيطان الساقي أن يذكر
يوسف عند الملك قالوا لأن صرف وسوسة الشيطان إلى ذلك الرجل الساقي حتى
أنساه ذكر يوسف أولى من صرفها إلى يوسف والقول الثاني وهو قول أكثر المفسرين
أن هاء الكناية ترجع إلى يوسف والمعنى أن الشيطان أنسى يوسف ذكر ربه عز وجل
حتى ابتغى الفرج من غيره واستعان بمخلوق في دفع الضرر وذلك جائز إلا أنه لما كان مقام
يوسف أعلى المقامات ورتبته أشرف المراتب وهي منصب النبوة والرسالة لا جرم
صار يوسف مؤاخذا بهذا القدر فإن حسنات الأبرار سيئات المقربين فإن قلت
كيف تمكن الشيطان من يوسف حتى أنساه ذكر ربه قلت بشغل الخاطر وإلقاء
الوسوسة فإنه قد صح في الحديث إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فأما
النسيان الذي هو عبارة عن ترك الذكر وإزالته عن القلب بالكلية فلا يقدر عليه قوله
تعالى **فلبث في السجن بضع سنين** اختلفوا في قدر البضع فقال مجاهد هو ما بين
الثلاث إلى السبع وقال قتادة هو ما بين الثلاث إلى التسع وقال ابن عباس هو ما دون
العشرة وأكثر المفسرين على أن البضع في هذه الآية سبع سنين وكان يوسف قد لبث قبلها
في السجن خمس سنين فجملة ذلك اثنتا عشرة سنة وقال وهب أصاب أيوب البلاء سبع سنين
وترك يوسف في السجن بضع سنين وقال مالك بن دينار لما قال يوسف للساقي اذكرني
عند ربك قيل له يا يوسف اتخذت من دوني وكيلا لأطيلن حبسك فبكى يوسف عليه
السلام وقال يا رب أنسى قلبي كثرة البلوى فقلت كلمة قال الحسن قال النبي صلى الله
عليه وسلم رحم الله يوسف لولا الكلمة التي قالها ما لبث في السجن ما لبث يعني قوله
اذكرني عند ربك ثم بكى الحسن وقال نحن إذا نزل بنا أمر فزعنا إلى الناس ذكره الثعلبي
مرسلا وبغير سند وقيل إن جبريل دخل على يوسف في السجن فلما رآه يوسف عرفه
فقال له يوسف يا أخا المنذرين ما لي أراك بين الخاطئين فقال له جبريل يا طاهر
ابن الطاهرين يقرأ عليك السلام رب العالمين ويقول لك أما استحييت مني أن استغثت
بالآدميين فوعزتي وجلالي لألبثنك في السجن بضع سنين قال يوسف وهو في ذلك
عني راض قال نعم قال إذا لا أبالي وقال كعب قال جبريل ليوسف يقول الله عز وجل
من خلقك قال الله قال فمن رزقك قال الله قال فمن حببك إلى أبيك قال الله قال فمن

نجاك من كرب البئر قال الله قال فمن علمك تأويل الرؤيا قال الله قال فمن صرف عنك
السوء والفحشاء قال الله قال فكيف استغثت بآدمي مثلك قالوا فلما انقضت
السبع سنين قال الكلبي وهذه السبع سوى الخمس سنين التي كانت قبل ذلك ودنا
فرج يوسف وأراد الله عز وجل إخراجه من السجن رأى ملك مصر الأكبر رؤيا عجيبة
هالته وذلك أنه رأى في منامه سبع بقرات سمان قد خرجن من البحر ثم خرج عقيبهن
سبع بقرات عجاف في غاية الهزال فابتلع العجاف السمان ودخلن في بطونهن ولم ير منهن شيئا
ولم يتبين على العجاف منها شيء ورأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبعا أخر يابسات
قد استحصدت فالتوت اليابسات على الخضر حتى علون عليهن ولم يبق من خضرتها شيء
فجمع السحرة والكهنة والمعبرين وقص عليهم رؤياه التي رآها فذلك قوله تعالى **وقال**
الملك إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر
يابسات يا أيها الملأ أفتوني في رؤياي يعني يا أيها الأشراف أخبروني بتأويل
رؤياي **إن كنتم للرؤيا تعبرون** يعني إن كنتم تحسنون علم العبارة وتعبيرها
وعلم التعبير مختص بتفسير الرؤيا وسمي هذا العلم تعبيرا لأن المفسر للرؤيا عابر من
ظاهرها إلى باطنها ليستخرج معناها وهذا أخص من التأويل لأن التأويل يقال فيه
وفي غيره **قالوا** يعني قال جماعة الملأ وهم السحرة والكهنة والمعبرون مجيبين للملك
أضغاث أحلام يعني أخلاط مشتبهة واحدها ضغث وأصله الحزمة المختلطة من أنواع
الحشيش والأحلام جمع حلم وهو الرؤيا التي يراها الإنسان في منامه **وما نحن**
بتأويل الأحلام بعالمين لما جعل الله هذه الرؤيا سببا لخلاص يوسف عليه السلام
من السجن وذلك أن الملك لما رآها قلق واضطرب وذلك لأنه شاهد أن الناقص الضعيف
قد استولى على القوي الكامل حتى غلبه وقهره فأراد أن يعرف ذلك فجمع سحرته وكهنته
ومعبريه وأخبرهم بما رأى في منامه وسألهم عن تأويلها فأعجز الله عز وجل بقدرته جماعة
الكهنة والمعبرين عن تأويل هذه الرؤيا ومنعهم من الجواب ليكون ذلك سببا لخلاص يوسف
من السجن فذلك قوله تعالى **وقال الذي نجا منهما** يعني وقال الساقي الذي
نجا من السجن والقتل بعد صاحبه الخباز **وادكر بعد أمة** يعني أنه تذكر قول
يوسف اذكرني عند ربك بعد أمة يعني بعد حين وهو سبع سنين وسمي الحين من الزمان
أمة لأنه جماعة أيام والأمة الجماعة **أنا أنبئكم** يعني أخبركم **بتأويله** وقوله
أنا أنبئكم بلفظ الجمع إما أنه أراد به الجمع مع جماعة السحرة والكهنة والمعبرين أو أراد
الملك وحده وخاطبه بلفظ الجمع على سبيل التعظيم وذلك أن الساقي جثا بين يدي
الملك وقال إن في السجن رجلا عالما يعبر الرؤيا **فأرسلون** فيه اختصار تقديره
فأرسلني أيها الملك فأرسله فأتى السجن قال ابن عباس ولم يكن السجن في المدينة **يوسف**
أي يا يوسف **أيها الصديق** إنما سماه صديقا لأنه لم يجرب عليه كذبا قط والصديق
الكثير الصدق والذي لم يكذب قط وقيل سماه صديقا لأنه صدق في تعبير رؤياه
التي رآها في السجن **أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات**

خضر واخر يابسات فان الملك راى هذه الرؤيا لعلي ارجع الى الناس يعني ارجع الى
الملك بتاويل هذه الرؤيا وجماعته لعلهم يعلمون يعني بتاويل هذه الرؤيا وقيل لعلهم
يعلمون منزلتك في العلم قال يعني قال يوسف معبرا لتلك الرؤيا اما البقرات
السمان والسنبلات الخضر فسبع سنين مخاصيب واما البقرات العجاف والسنبلات
اليابسات فسبع سنين مجدبة فذلك قوله تزرعون وهو خبر بمعنى الامر اي ازرعوا
سبع سنين دابا يعني عادتكم في الزراعة والداب العادة وقيل بجد واجتهاد
فما حصدتم فذروه في سنبله انما امرهم بترك ما حصدوه من الحنطة في سنبله
لئلا يفسد ويقع فيه السوس وذلك ابقى له على طول الزمان الا قليلا مما تاكلون
يعني ادرسوا قليلا من الحنطة للاكل بقدر الحاجة وامرهم بحفظ الاكثر لوقت الحاجة
ايضا وهو وقت السنين المجدبة وهو قوله ثم ياتي من بعد ذلك يعني من
بعد السنين المخصبة سبع شداد يعني سبع سنين مجدبة ممحلة شديدة على الناس
ياكلن يعني يفنين ما قدمتم لهن يعني يؤكل فيهن ما اعددتم وادخرتم لهن من
الطعام وانما اضاف الاكل الى السنين على سبيل التوسع في الكلام الا قليلا مما
تحصنون يعني تحرزون وتدخرون للبذر والاحصان الاحراز وهو ابقاء الشيء
في الحصن بحيث يحفظ ولا يضيع ثم ياتي من بعد ذلك يعني من بعد السنين
المجدبة عام فيه يغاث الناس اي يمطرون من الغيث الذي هو المطر وقيل هو
من قولهم استغثت بفلان فاغاثني من الغوث وفيه يعصرون يعني يعصرون
العنب خمرا والزيتون زيتا والسمسم دهنا اراد به كثرة الخير والنعم على الناس
وكثرة الخصب في الزرع والثمار وقيل يعصرون معناه ينجون من الكرب والشدة
والجدب قوله عز وجل وقال الملك ائتوني به وذلك ان الساقي لما رجع الى الملك
واخبره بفتيا يوسف وما عبر به رؤياه استحسنه الملك وعرف ان الذي قاله كائن
لا محالة قال ائتوني به حتى ابصر هذا الرجل الذي عبر رؤياي بهذه العبارة فرجع
الساقي الى يوسف وقال له اجب الملك فذلك قوله تعالى فلما جاءه الرسول
فابى ان يخرج معه حتى تظهر براءته للملك ولا يراه بعين النقص قال يعني يوسف
للرسول ارجع الى ربك يعني الى سيدك وهو الملك فسئله ما بال النسوة
اللاتي قطعن ايديهن ولم يصرح بذكر امراة العزيز ادبا واحتراما لها ق
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو لبثت في السجن طول لبث
يوسف لاجبت الداعي اخرجه الترمذي وزاد فيه ثم قرا فلما جاءه الرسول قال
ارجع الى ربك فسئله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن هذا الحديث فيه بيان
فضل يوسف عليه السلام وبيان قوة صبره وثباته والمراد بالداعي رسول الملك
الذي جاء من عنده فلم يخرج معه مبادرا الى الراحة ومفارقة ما هو فيه من الضيق
والسجن الطويل بل ثبت في السجن وارسل الى الملك في كشف امره الذي سجن بسببه
لتظهر براءته عند الملك وغيره فاثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على يوسف وبين

فضله

فضله وحسن صبره على المحنة والبلاء وقوله تعالى ان ربي بكيدهن عليم
يعني ان الله تعالى عالم بصنيعهن وما احتلن في هذه الواقعة العظيمة من الحيل
فرجع الرسول من عند يوسف الى الملك بهذه الرسالة فجمع الملك النسوة وامراة
العزيز معهن قال لهن ما خطبكن يعني ما شانكن وامركن اذ راودتن
يوسف عن نفسه انما خاطب الملك جميع النسوة بهذا الخطاب والمراد به امراة
العزيز وحدها ليكون استر لها وقيل ان امراة العزيز راودته عن نفسه وحدها
وسائر النسوة امرنه بطاعتها فلذلك خاطبهن بهذا الخطاب قلن يعني النسوة
جميعا مجيبات للملك حاش لله يعني معاذ الله ما علمنا عليه من سوء
يعني في خيانته من شيء من الاشياء قالت امراة العزيز الآن حصحص الحق يعني
ظهر وتبين وقيل ان النسوة اقبلن على امراة العزيز فقررنها وقيل خافت ان يشهدن
عليها فاقرت فقالت انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين يعني في قوله
هي راودتني عن نفسي واختلفوا في قوله ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب
على قولين احدهما انه من قول المراة ووجه هذا القول ان هذا كلام متصل بما قبله
وهو قول المراة الآن حصحص انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين ثم قال ذلك
ليعلم اني لم اخنه بالغيب والمعنى ذلك ليعلم يوسف اني لم اخنه في حال غيبته
وهو في السجن ولم اكذب عليه بل قلت انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين
وان كنت قد قلت فيه ما قلت في حضرته ثم بالغت في تاكيد هذا القول فقالت
وان الله لا يهدي كيد الخائنين يعني اني لما اقدمت على هذا التاكيد والمكر
لا جرم اني افتضحت لان الله لا يرشد ولا يوفق كيد الخائنين والقول الثاني انه
من قول يوسف عليه السلام وهو قول الاكثرين من المفسرين والعلماء ووجه هذا القول
انه لا يبعد وصل كلام انسان بكلام انسان آخر اذا دلت القرينة عليه فعلى هذا يكون
معنى الآية انه لما بلغ يوسف قول المراة انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين
قال يوسف ذلك اي ذلك الذي فعلت من ردي رسول الملك اليه ليعلم يعني العزيز
اني لم اخنه يعني في زوجته بالغيب يعني في حال غيبته فيكون هذا من كلام يوسف
اتصل بكلام امراة العزيز انا راودته عن نفسه من غير تمييز بين الكلامين لمعرفة
السامعين بذلك مع غموض فيه لانه ذكر كلام انسان ثم اتبعه بكلام آخر من غير
فصل بين الكلامين ونظير هذا قوله تعالى يريد ان يخرجكم من ارضكم هذا من قول الملا
فماذا تامرون من قول فرعون ومثله قوله تعالى وجعلوا اعزة اهلها اذلة هذا من
قول بلقيس وكذلك يفعلون من قول الله تصديقا لها وعلى هذا القول اختلفوا اين
كان يوسف حين قال هذه المقالة على قولين احدهما انه كان في السجن وذلك انه لما
رجع اليه رسول الملك وهو في السجن واخبره بجواب امراة العزيز للملك قال ذلك ليعلم
اني لم اخنه بالغيب وهذه رواية ابي صالح عن ابن عباس وبه قال ابن جريج والقول الثاني
انه قال هذه المقالة عند حضوره عند الملك وهذه رواية عطاء عن ابن عباس قال قلت

فعلى هذا القول كيف خاطبهم بلفظة ذلك وهي اشارة للغايب مع حضوره عندهم قلت قال
ابن الانباري قال اللغويون هذا وذلك يصلحان في هذا الموضع لقرب الخبر من اصحابه
فصار كالمشاهد الذي يشار اليه بهذا وقيل ذلك اشارة الى ما فعله لقوله ذلك اي
فعلته من ترداد الرسول ليعلم اني لم اخنه بالغيب اي لم اخن العزيز في حال غيبته
ثم ختم هذا الكلام بقوله وان الله لا يهدي كيد الخائنين يعني اني لو كنت خائنا لما
خلصني الله من هذه الورطة التي وقعت لان الله لا يهدي اي لا يرشد ولا يوفق كيد
الخائنين واختلفوا في قوله **وما ابرئ نفسي** على قولين ايضا احدهما انه من
قول المراة وهذا التفسير على قول من قال ان قوله ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب
من قول المراة فعلى هذا يكون المعنى وما ابرئ نفسي من مراودتي يوسف عن نفسه
وكذبي عليه والقول الثاني وهو الاصح وعليه اكثر المفسرين انه من قول يوسف
عليه السلام وذلك انه لما قال ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب قال له جبريل ولا حين
هممت بها فقال يوسف عند ذلك وما ابرئ نفسي وهذه رواية عن ابن عباس وهو
قول الاكثرين وقال الحسن ان يوسف لما قال ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب
خاف ان يكون قد زكى نفسه فقال وما ابرئ نفسي لان الله تعالى يقول فلا تزكوا
انفسكم ففي قوله وما ابرئ نفسي هضم للنفس وانكسار وتواضع لله عز وجل فان
روية النفس في مقام العصمة والتزكية ذنب عظيم فاراد ازالة ذلك عن نفسه
فان حسنات الابرار سيئات المقربين **ان النفس لامارة بالسوء** والسوء لفظ
جامع لكل ما يهم الانسان من الامور الدنيوية والاخروية والسيئة الفعلة القبيحة
واختلفوا في النفس الامارة بالسوء ما هي فالذي عليه اكثر المحققين من المتكلمين
وغيرهم ان النفس الانسانية واحدة لها صفات منها الامارة بالسوء ومنها اللوامة
ومنها المطمينة فهذه الثلاثة هي مراتب صفات النفس واحدة فاذا دعت النفس
الى شهواتها ومالت اليها فهي النفس الامارة بالسوء فاذا فعلتها اتت النفس اللوامة
فلامتها على ذلك الفعل القبيح من ارتكاب الشهوات فيحصل عند ذلك الندامة على ذلك
الفعل القبيح وهذا من صفات النفس المطمينة وقيل ان النفس امارة بالسوء
بطبعها فاذا تزكت وصفت من اخلاقها الذميمة صارت مطمينة وقوله **الا ما رحم**
ربي قال ابن عباس معناه الا من عصم ربي فتكون ما بمعنى من فهو كقوله ما طاب لكم
من النسا يعني من طاب لكم وهذا استثنا منقطع تقديره لكن من رحم ربي فعصمه
من متابعة النفس الامارة بالسوء **ان ربي غفور** يعني لذنوب عباده **رحيم** بهم قوله
تعالى **وقال الملك ايتوني به استخلصه لنفسي** وذلك انه لما تبين للملك عذر
يوسف وعرف امانته وعلمه طلب حضوره اليه فقال ايتوني به يعني بيوسف ا
لنفسي اي اجعله خالصا لنفسي والاستخلاص طلب خلوص الشي من جميع شوايب
الاشتراك وانما طلب الملك ان يستخلص يوسف لنفسه لان عادة الملوك ان ينفردوا
بالاشيا النفيسة العزيزة ولا يشاركهم فيها احد من الناس وانما قال الملك ذلك

لما عظم اعتقاده في يوسف لما علم من غزارة علم يوسف وحسن صبره في السجن واحسانه
الى اهل السجن وحسن ادبه وثباته عند المحن كلها فلهذا حسن اعتقاد الملك فيه واذا
اراد الله امرا هيا اسبابه فالهم الملك ذلك فقال ايتوني به استخلصه لنفسي فلما كلمه
فيه اختصار تقديره فلما جاء الرسول الى يوسف فقال له اجب الملك الان بلا معاودة
روي ان يوسف لما قام ليخرج من السجن دعا لاهله فقال اللهم اعطف عليهم قلوب
الاخيار ولا تعم عليهم الاخبار فهم اعلم الناس بالاخبار في كل بلد فلما خرج من السجن كتب
على بابه هذا بيت البلوى وقبور الاحيا وشماتة الاعدا وتجربة الاصدقا ثم اغتسل
وتنظف من درن السجن ولبس ثيابا حسنة ثم قصد باب الملك قال وهب فلما وقف
على باب الملك قال حسبي ربي من دنياي وحسبي ربي من خلقه عز جارك وجل ثناوك
ولا اله غيرك ثم دخل الباب فلما ابصر الملك فقال اللهم اني اسالك بخيرك من خيره واعوذ
بك من شره وشر غيره فلما نظر اليه الملك سلم عليه يوسف بالعربية فقال له الملك ما
هذا اللسان قال لسان عمي اسماعيل ثم دعا له بالعبرانية فقال له وما هذا اللسان
ايضا قال يوسف هذا لسان ابايي قال وهب وكان الملك يتكلم كلما تكلم بلسان اجابه
يوسف وزاد عليه بالعربية والعبرانية فلما راى الملك ذلك منه اعجبه ما راى مع حداثة
سن يوسف وكان له من العمر يوميذ ثلاثون سنة فاجلسه الى جنبه فذلك قوله
تعالى **فلما كلمه** يعني فلما كلم الملك يوسف لان مجالس الملوك لا يحسن لاحد ان
يبدا بالكلام فيها وانما يبدا الملك فيها بالكلام وقيل معناه فلما كلم يوسف الملك قال
الساقي ايها الملك هذا الذي علم تاويل روياك مع عجز السحرة والكهنة عنها فاقبل
عليه الملك و**قال انك اليوم لدينا مكين امين** يقال اتخذ فلان عند فلان مكانة
اي منزلة وهي الحالة التي يتمكن بها صاحبها مما يريد وقيل المكان المنزلة والجاه
والمعنى قد عرفت امانتك ومنزلتك وصدقك وبراتك مما نسبت اليك وقوله
مكين امين كلمة جامعة لكل ما يحتاج اليه من الفضايل والمناقب في امر الدين والدنيا
روي ان الملك قال ليوسف عليه السلام احب ان اسمع روياي منك شفاها
فقال نعم ايها الملك رايت سبع بقرات سمان شهب غر حسان غير عجاف كشف لك
عنهن النيل فطلعن عليه من شاطيه تشخب اخلافهن لبنا فبينا انت تنظر اليهن
وقد اعجبك حسنهن اذ نضب النيل فغار ماوه وبدا يبسه فخرج من حماته سبع
بقرات عجاف شعث غبر مقلصات البطون ليس لهن ضروع ولا اخلاف ولهن انياب
واضراس واكف كاكف الكلاب وخراطيم كخراطيم السباع فافترسن السمان افتراس
السبع فاكلن لحومهن ومزقن جلودهن وحطمن عظامهن وتمششن مخهن فبينا
انت تنظر وتتعجب اذا سبع سنبلات خضر وسبع سنبلات اخر سود يابسات
في منبت واحد عروقهن في الثرى والما فبينا انت تقول في نفسك اي شي
هولا خضر مثمرات وهولا سود يابسات والمنبت واحد واصولهن في الما اذ هبت
ريح فذرت الاوراق اليابسات السود على الخضر المثمرات فاشتعلت فيهن النار

فاحرقتهن فصرن سودا فهذا ما رايت ثم انتبهت مذعورا فقال الملك والله ما اخطات
فيها شيا فما شان هذه الرويا وان كانت عجبا فما هي باعجب مما سمعت منك وما ترى في
تاويل روياي ايها الصديق قال يوسف عليه السلام اري ان تجمع الطعام وتزرع
زرعا كثيرا في هذه السنين المخصبة وتجعل ما يتحصل من ذلك الطعام في الخزاين
بقصبه وسنبله فانه ابقى له ويكون القصب والسنبل علفا للدواب فامر
الناس فيرفعوا الخمس من زرعهم ايضا فيكفيك ذلك الطعام الذي جمعته لاهل
مصر ومن حولها وياتيك الخلق من ساير النواحي للميرة ويجتمع عندك من الكنوز
والاموال ما لا يجتمع لاحد قبلك فقال الملك ومن لي بهذا ومن يجمعه ويبيعه
لي ويكفيني العمل فيه فعند ذلك قال يعني يوسف اجعلني على خزاين الارض
يعني على خزاين الطعام والاموال واراد بالارض ارض مصر اي اجعلني على خزاين
ارضك التي تحت يدك وقال الربيع بن انس اجعلني على خراج مصر ودخلها
اني حفيظ عليم اي حفيظ للخزاين عليم بوجوه مصالحها وقيل معناه اني حاسب كاتب
وقيل اني لما استودعتني حفيظ بما وليتني وقيل حفيظ للحساب عليم اعلم لغة من ياتيني
وقال الكلبي حفيظ بتقديره في السنين الخصبة للسنين الجدبة عليم بوقت الجوع
حين يقع فعند ذلك قال الملك من احق بذلك منك وولاه ذلك روى البغوي باسناد الثعلبي
عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله اخي يوسف لو لم يقل اجعلني
على خزاين الارض لاستعمله من ساعته ولكنه اخر ذلك سنة فان قلت كيف طلب
يوسف عليه السلام الامارة والولاية مع ما ورد من كراهية طلبها صح من حديث عبد الرحمن
ابن سمرة قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عبد الرحمن لا تسال الامارة
فانك ان اوتيتها عن مسيلة وكلت اليها وان اعطيتها عن غير مسيلة اعنت عليها اخرجاه
في الصحيحين قلت انما يكره طلب الامارة اذا لم يتعين عليه طلبها واذا تعين
عليه طلبها وجب عليه ذلك ولا كراهة فيه فاما يوسف عليه السلام فكان عليه طلب
الامارة لانه مرسل له من الله والرسول اعلم بمصالح الامة من غيره واذا كان برعاية
المصالح فلا يمكنه ذلك الا بطلب الامارة وجب عليه طلبها وقيل انه لما علم انه سيحصل
قحط وشدة اما بطريق الوحي من الله او بغيره وربما افضى ذلك الى هلاك معظم الخلائق
وكان في طلب الامارة ايصال الخير والراحة الى المستحقين وجب عليه طلب الامارة
لهذا السبب فان قلت كيف مدح يوسف نفسه بقوله اني حفيظ عليم والله
تعالى يقول فلا تزكوا انفسكم قلت انما يكره تزكية النفس اذا قصد به الرجل
التطاول والتفاخر والتوصل به الى غير ما يحل فهذا القدر مذموم في تزكية النفس
ومدحها ايصال الخير والنفع الى الغير فلا يكره ذلك ولا يحرم بل يجب عليه ذلك
مثاله ان يكون بعض الناس عنده علم نافع ولا يعرف به فانه يجب عليه ان يقول
انا عالم بمصالح الدين ولما كان الملك قد علم من يوسف انه عالم بمصالح الدين ولم
يعلم انه عالم بمصالح الدنيا نبهه يوسف بقوله اني حفيظ عليم على انه عالم بما

يحتاج اليه في مصالح الدنيا ايضا مع كمال علمه بمصالح الدين قوله عز وجل
وكذلك مكنا ليوسف في الارض وكذلك اشارة الى ما تقدم يعني وكما انعمنا
على يوسف بان انجيناه من الجب وخلصناه من السجن وزيناه في عين الملك حتى قربه
وادنى منزلته كذلك مكنا له في الارض يعني ارض مصر ومعنى التمكين ان لا ينازعه
منازع فيما يراه ويختاره واليه الاشارة بقوله يتبوا منها حيث يشا لانه
تفسير للتمكين قال ابن عباس وغيره لما انقضت السنة من يوم سال يوسف الامارة
دعاه الملك فتوجه ورداه بسيفه وحلاه بخاتمه ووضع له سريرا من ذهب مكللا
بالدر والياقوت طوله ثلاثون ذراعا وعرضه عشرة اذرع ووضع له عليه ثلاثون
فراشا وستون مقرمة وضرب له عليه حلة من استبرق وامره ان يخرج فخرج
لونه كالثلج ووجهه كالقمر يرى الناظر وجهه فيه من صفا لونه فانطلق حتى جلس
على ذلك السرير ودانت ليوسف الملوك وفوض الملك الاكبر اليه ملكه وعزل
قطفير عما كان عليه وجعل يوسف مكانه قال ابن اسحاق قال ابن زيد وكان لملك
مصر خزاين كثيرة فسلمها الى يوسف وسلم اليه سلطانه كله وجعل امره وقضاه
نافذا في مملكته قالوا ثم هلك قطفير عزيز مصر في تلك الليالي فزوج الملك
يوسف امراة العزيز بعد هلاكه فلما دخل يوسف عليها قال لها اليس هذا خيرا مما
كنت تريدين فقالت ايها الصديق لا تلمني فاني كنت امراة حسناء ناعمة كما ترى في ملك
ودنيا وكان صاحبي لا ياتي النساء وكنت كما جعلك الله في حسنك وهيئتك فغلبتني
نفسي وعصمك الله قالوا فوجدها يوسف عذراء فاصابها فولدت له ذكرين افرايم
وميشا وهما ابنا يوسف منها واستوسق ليوسف ملك مصر واقام فيهم العدل
واحبه الرجال والنساء فلما اطمان يوسف في ملكه دبر في جمع الطعام بحسن التدبير
فبنى الحصون والبيوت الكثيرة وجمع فيها الطعام للسنين المجدبة وانفق المال بالمعروف
حتى خلت السنون المخصبة ودخلت السنون المجدبة بهول وشدة لم ير الناس مثله
وقيل انه دبر في طعام الملك وحاشيته كل يوم مرة واحدة نصف النهار فلما دخلت سنة
القحط كان اول من اصابه الجوع الملك فجاع نصف الليل فنادى يا يوسف الجوع الجوع
فقال يوسف هذا اوان القحط فهلك في السنة الاولى من سني القحط كلما اعدوه
في السنين المخصبة فجعل اهل مصر يبتاعون الطعام من يوسف فباعهم في السنة الاولى
بالنقود حتى لم يبق بمصر درهم ولا دينار الا اخذه منهم وباعهم في السنة الثانية بالحلي
والجواهر فلم يبق في ايدي الناس منها شيا وباعهم في السنة الثالثة بالدواب والمواشي
حتى احتوى عليها كلها وباعهم في السنة الرابعة بالعبيد والجواري حتى لم يبق
بايدي الناس عبد ولا امة وباعهم في السنة الخامسة بالضياع والعقار حتى احتوى
عليها كلها وباعهم في السنة السادسة باولادهم حتى استرقهم وباعهم في السنة
السابعة برقابهم حتى لم يبق بمصر حر ولا حرة الا ملكه فصاروا جميعهم عبيدا ليوسف
فقال يوسف للملك كيف رايت صنع الله فيما ترى في هولا فقال الملك الراي رايك

ونحن لك تبع فقال فاني اشهد الله واشهدك اني قد اعتقت اهل مصر عن اخرهم ورددت
عليهم املاكهم وقيل ان يوسف كان لا يشبع من الطعام في تلك الايام فقيل له اتجوع
وبيدك خزاين الارض فقال اخاف ان شبعت انسى الجايع وامر يوسف طباخي الملك
ان يجعلوا غداه نصف النهار واراد بذلك ان يذوق الملك طعم الجوع فلا ينسى الجياع
فمن ثم جعل الملوك غداهم نصف النهار قال مجاهد ولم يزل يوسف يدعو الملك
الى الاسلام ويتلطف به حتى اسلم الملك وكثير من الناس قوله تعالى **نصيب برحمتنا**
من نشا يعني نخص بنعمتنا وهي النبوة من نشا يعني من عبادنا **ولا نضيع اجر**
المحسنين قال ابن عباس يعني الصابرين **ولاجر الاخرة** يعني ولثواب الاخرة
خير يعني افضل من اجر الدنيا **للذين امنوا وكانوا يتقون** يعني يتقون ما نهى الله
عنه وفيه دليل على ان الذي اعد الله عز وجل ليوسف في الاخرة من الاجر والثواب
الجزيل افضل مما اعطاه الله في الدنيا من الملك قوله تعالى **وجاء اخوة يوسف**
فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون قال العلما لما اشتد القحط وعظم البلاء عم
ذلك جميع البلاد حتى وصل الى بلاد الشام فقصد الناس مصر من كل مكان للميرة
فجعل يوسف لا يعطي لاحد اكثر من حمل بعير وان كان عظيما تقسيطا وتساويا بين
الناس ونزل بال يعقوب ما نزل بالناس من الشدة فبعث بنيه الى مصر للميرة
وامسك عنده بنيامين اخا يوسف لامه وابيه وارسل عشرة فذلك قوله تعالى
وجاء اخوة يوسف وكانوا عشرة وكان مسكنهم بالعربات من ارض فلسطين بغور
الشام وكانوا اهل بادية وابل وشاة فدعاهم يعقوب عليه السلام وقال بلغني
ان بمصر ملكا صالحا يبيع الطعام فتجهزوا اليه واقصدوه لتشتروا منه ما تحتاجون
اليه من الطعام فخرجوا حتى قدموا مصر فدخلوا على يوسف فعرفهم قال ابن عباس
ومجاهد باول نظرة نظر اليهم عرفهم وقال الحسن لم يعرفهم حتى تعرفوا اليه وهم له
منكرون يعني لم يعرفوه قال ابن عباس كان بين ان قذفوه في الجب وبين دخولهم
عليه مدة اربعين سنة فلذلك انكروه وقال عطا انما لم يعرفوه لانه كان على سرير
الملك وكان على راسه تاج الملك وقيل لانه قد كان لبس زي ملوك مصر عليه ثياب
حرير وفي عنقه طوق من ذهب وكل واحد من هذه الاسباب مانع من حصول المعرفة
فكيف وقد اجتمعت فيه وقيل ان العرفان انما يقع في القلب بخلق الله تعالى فيه
وان الله لم يخلق ذلك العرفان في تلك الساعة في قلوبهم تحقيقا لما اخبر انه سينبئهم
بامرهم هذا وهم لا يشعرون فكان ذلك معجزة ليوسف عليه السلام فلما نظر اليهم
يوسف وكلموه بالعبرانية كلمهم بلسانهم فقال لهم اخبروني من انتم وما امركم فاني
قد انكرت حالكم قالوا نحن قوم من ارض الشام رعاة قد اصابنا من الجهد ما اصاب
الناس فجينا نمتار قال يوسف لعلكم جيتم تنظرون عورة بلادي قالوا لا والله
ما نحن بجواسيس انما نحن اخوة بنوا اب واحد وهو شيخ كبير صديق يقال له يعقوب
نبي من انبيا الله قال وكم انتم قالوا كنا اثني عشر فذهب اخ لنا معنا الى البرية فهلك

فيها

فيها وكان اخونا احبنا الى ابينا فقال فكم انتم الان قالوا عشرة قال فاين الاخر قالوا هو
عند ابينا لانه اخو الذي هلك لامه فابونا يتسلى به قال فمن يعلم ان الذي تقولون
حق قالوا ايها الملك انا ببلاد غربة لا يعرفنا فيها احد فقال فاتوني باخيكم الذي
من ابيكم ان كنتم صادقين فانا راض بذلك منكم قالوا ان ابانا يحزنه فراقه وسنراوده
عنه قال فدعوا بعضكم عندي رهينة حتى تاتوني به فاقترعوا فيما بينهم فاصابت
القرعة شمعون وكان احسنهم رايا في يوسف فخلفوه عنده فذلك قوله تعالى
ولما جهزهم بجهازهم يقال جهزت القوم تجهيزا اذا تكلفت لهم جهاز سفرهم
وهو ما يحتاجون اليه في وجوههم والجهاز بفتح الجيم هي اللغة الفصيحة الجيدة وعليها
الاكثرون من اهل اللغة وكسر الجيم لغة ليست بجيدة قال حمل لكل واحد منهم بعيرا من
الطعام واكرمهم في النزول واحسن ضيافتهم واعطاهم ما يحتاجون اليه في سفرهم
قال ايتوني باخ لكم من ابيكم يعني الذي خلفتموه عنده وهو بنيامين **الا ترون اني**
اوفي الكيل يعني اني اتمه ولا ابخس منه شيا وازيدكم حمل بعير اخر لاجل اخيكم اكرمكم
بذلك **وانا خير المنزلين** يعني خير المضيفين لانه كان قد احسن ضيافتهم مدة اقامتهم
عنده قال الامام فخر الدين الرازي هذا الكلام يضعف قول من يقول من المفسرين
انه اتهمهم وزعم لهم انهم عيون وجواسيس ومن يشافههم بهذا الكلام فلا يليق به
ان يقول لهم الا ترون اني اوفي الكيل وانا خير المنزلين وايضا يبعد من يوسف عليه السلام
مع كونه صديقا ان يقول لهم انهم جواسيس وعيون مع انه يعرف براتهم من هذه التهمة
لان البهتان لا يليق بالصديقين ثم قال يوسف عليه السلام **فان لم تاتوني به**
يعني باخيكم الذي من ابيكم **فلا كيل لكم عندي** يعني لست اكيل لكم طعاما **ولا تقربون**
ولا ترجعوا تقربوا بلادي وهذا هو نهاية التخويف والترغيب لانهم كانوا محتاجين
الى تحصيل الطعام ولا يمكنهم تحصيله الا من عنده فاذا منعهم من العود كان قد
ضيق عليهم فعند ذلك **قالوا** يعني اخوة يوسف **سنراود عنه اباه** يعني سنجتهد
ونحتال حتى ننزعه من عنده **وانا لفاعلون** يعني ما امرتنا به قوله عز وجل **وقال**
لفتيته يعني وقال يوسف لفتيته وهم غلمانه واتباعه **اجعلوا بضاعتهم في رحالهم**
اراد بالبضاعة ثمن الطعام الذي اعطوه ليوسف وكانت دراهم وحكى الضحاك عن
ابن عباس انها كانت النعال والادم والرحال جمع رحل وهي الاوعية التي يحمل فيها الطعام
وغيره **لعلهم يعرفونها** يعني يعرفون بضاعتهم **اذا انقلبوا الى اهلهم لعلهم يرجعون**
الينا واختلفوا في السبب الذي من اجله رد يوسف اليهم بضاعتهم فقيل انهم اذا
فتحوا متاعهم ووجدوا بضاعتهم قد ردت اليهم علموا ان ذلك من كرم يوسف وسخايه
فيبعثهم ذلك الى الرجوع اليه سريعا وقيل انه خاف ان لا يكون عند ابيه شي
اخر من المال لان الزمان كان زمان قحط وشدة وقيل انه راى ان اخذ ثمن الطعام
من ابيه واخوته لوم لشدة حاجتهم اليه وقيل اراد ان يحسن اليهم على وجه لا يلحقهم
فيه لوم ولا عيب وقيل اراد ان يريهم بره وكرمه واحسانه اليهم في رد بضاعتهم

ليكون ذلك ادعى لهم الى العود وقيل انما فعل ذلك لانه علم ان ديانتهم وامانتهم تحملهم
على رد البضاعة اليه اذا وجدوها في رحالهم لانهم انبيا واولاد انبيا وقيل اراد
برد البضاعة اليهم ليكون ذلك عونا لابيه واخوته على شدة الزمان **فلما رجعوا**
الى ابيهم قالوا يا ابانا انا قدمنا على خير رجل انزلنا واكرمنا كرامة عظيمة لو كان رجلا
من اولاد يعقوب ما اكرمنا كرامته فقال لهم يعقوب عليه السلام اذا رجعتم
الى ملك مصر فاقروه عني السلام وقولوا له ان يعقوب ابانا يصلي عليك ويدعو
لك بما اوليتنا ثم قال لهم اين شمعون قالوا ارتهنه ملك مصر واخبروه بالقصة
ثم **قالوا يا ابانا منع منا الكيل** وفيه قولان احدهما انهم لما اخبروا يوسف
باخيهم من ابيهم طلبوا منه الطعام لابيهم ولاخيهم المتخلف عند ابيهم فمنعهم
من ذلك حتى يحضر فقوله منع منا الكيل اشارة اليه واراد بالكيل الطعام
لانه يكال والقول الثاني انه سيمنع منا الكيل في المستقبل وهو اشارة الى قول
يوسف فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون وقال الحسن يمنع منا
الكيل ان لم تحمل معنا اخانا وهو قوله تعالى اخبارا عنهم **فارسل معنا اخانا** يعني
بنيامين **نكتل** قرئ بالياء يعني يكتل لنفسه وقرئ بالنون يعني نكتل نحن
جميعا واياه معنا **وانا له لحافظون** يعني حتى نرده اليك فلما قالوا ليعقوب هذه
المقالة **قال** يعقوب **هل امنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل** يعني كيف
امنكم على ولدي بنيامين وقد فعلتم باخيكم يوسف ما فعلتم وانكم ذكرتم مثل هذا
الكلام بعينه في يوسف وضمنتم حفظه وقلتم وانا له لحافظون ثم فعلتم
فلما لم يحصل الامان والحفظ هناك فكيف يحصل هاهنا ثم قال **فالله خير حفظا**
يعني ان حفظ الله له خير من حفظكم له ففيه التفويض الى الله تعالى والاعتماد عليه
في جميع الامور **وهو ارحم الراحمين** وظاهر هذا الكلام يدل على انه ارسله معهم وانما
ارسله معهم وقد شاهد ما فعلوا بيوسف لانه لم يشاهد فيما بينهم وبين بنيامين
من الحسد والحقد مثل ما كان بينهم وبين يوسف وان يعقوب شاهد منهم الخير
والصلاح لما كبروا فارسله معهم او ان شدة القحط وضيق الوقت احوجه الى ذلك
قوله عز وجل **ولما فتحوا متاعهم** يعني الذي حملوه من مصر فيحتمل ان يكون المراد
به الطعام او وعية الطعام **وجدوا بضاعتهم ردت اليهم** يعني انهم وجدوا في
متاعهم ثمن الطعام الذي كانوا قد اعطوه ليوسف قد رد عليهم ودس في متاعهم
قالوا يا ابانا ما نبغي يعني ماذا نبغي واي شي نطلب وذلك انهم كانوا قد ذكروا
ليعقوب احسان ملك مصر اليهم وحثوا يعقوب على ارسال بنيامين معهم فلما
فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم قد ردت اليهم **قالوا يا ابانا ما نبغي** يعني اي شي
نطلب من الكلام بعد هذا العيان من الاحسان والاكرام واوفى الكيل ورد علينا
الثمن ارادوا بهذا الكلام تطييب قلب ابيهم **هذه بضاعتنا ردت الينا ونمير اهلنا**
يقال مار اهله يميرهم ميرا اذا حمل لهم الطعام وجلبه من بلد اخر اليهم والمعنى

نشتري

نشتري لاهلنا الطعام ونحمله اليهم **ونحفظ اخانا** يعني بنيامين مما نخاف عليه
حتى نرده اليك **ونزداد كيل بعير** يعني ونزداد لاجل اخينا على احمالنا حمل بعير
من الطعام **ذلك كيل يسير** يعني ان ذلك الحمل الذي نزداده من الطعام هين على
الملك لانه قد احسن الينا واكرمنا باكثر من ذلك وقيل معناه ان الذي حملنا
معنا كيل يسير قليل لا يكفينا واهلنا **قال** يعني قال لهم يعقوب **لن ارسله**
معكم حتى تؤتون موثقا من الله يعني لن ارسل معكم بنيامين حتى تعطوني عهد الله
وميثاقه والموثق العهد المؤكد باليمين وقيل هو المؤكد باشهاد الله عليه
لتاتنني به دخلت اللام هنا لاجل اليمين وتقديره حتى تحلفوا بالله **لتاتنني**
به الا ان يحاط بكم قال مجاهد الا ان تهلكوا جميعا فيكون عذرا لكم عندي
لان العرب تقول احيط بفلان اذا هلك او قارب هلاكه وقال قتادة الا
ان تغلبوا جميعا فلا تقدروا على الرجوع **فلما اتوه موثقهم** يعني فلما اعطوه عهدهم
وحلفوا له **قال الله على ما نقول وكيل** يعني قال يعقوب الله شاهد على ما نقول
لان الشاهد وكيل يعني انه موكول اليه هذا العهد وقيل وكيل بمعنى حافظ قال
كعب الاحبار لما قال يعقوب فالله خير حفظا قال الله تعالى وعزتي لاردن
كليهما اليك بعد ما توكلت علي وفوضت امرك الي وذلك انه لما اشتد بهم الامر وضاق
عليهم الوقت وجهد واشتد الجهد لم يجد يعقوب بدا من ارسال بنيامين معهم
فارسله معهم متوكلا على الله ومفوضا امره اليه قوله تعالى **وقال يا بني لا تدخلوا**
من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وذلك انهم لما خرجوا من عند يعقوب
قاصدين مصر قال لهم يا بني لا تدخلوا يعني مدينة مصر من باب واحد وادخلوا
من ابواب متفرقة وكان لمدينة مصر يومئذ اربعة ابواب وقال السدي اراد
الطرق لا الابواب يعني من طرق متفرقة وانما امرهم بذلك لانه خاف عليهم من
العين لانهم كانوا قد اعطوا جمالا وقوة وامتداد قامة وكانوا اولاد رجل
واحد فامرهم ان يتفرقوا في دخولهم المدينة لئلا يصابوا بالعين فان العين
حق وهذا قول ابن عباس ومجاهد وقتادة وجمهور المفسرين **ق** عن ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العين حق زاد البخاري ونهى عن الوشم **م** عن
ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العين حق ولو كان شي سابق القدر
لسبقته العين واذا استغسلتم فاغسلوا عن عائشة قالت كان يومر العاين
فيتوضا ثم يغتسل منه المعين اخرجه ابو داود وقال الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله
قال المازري اخذ جماهير العلما بظاهر هذا الحديث وقالوا العين حق وانكره
طوايف من المبتدعة والدليل على فساد قولهم ان كل معنى ليس مخالفا في نفسه
ولا يودي الى قلب حقيقة ولا افساد دليل فانه من مجوزات العقول واذا
اخبر الشارع بوقوعه وجب اعتقاده ولا يجوز تكذيبه وانكاره وهو فرق بين
تكذيبهم بهذا وتكذيبهم بما يخبر به من امور الاخرة قال وقد زعم بعض الطبائعيين

المنتجين للعين ان العاين ينبعث من عينيه قوة سمية تتصل بالمعين فيهلك او يفسد قالوا ولا يمتنع هذا كما لا يمتنع انبعاث قوة سمية من الافعي والعقرب تتصل باللديغ فيهلك وان كان غير محسوس لنا فكذا العين قال المازري وهذا غير مسلم لانا بينا في كتب علم الكلام ان لا فاعل الا الله تعالى وبينا فساد القول بالطبايع وبينا ان المحدث لا يفعل في غيره شيئا فاذا تقرر هذا بطل ما قالوه ثم نقول هذا المنبعث من العين اما جوهر واما عرض فباطل ان يكون عرضا لانه لا يقبل الانتقال وباطل ان يكون جوهرا لان الجواهر متجانسة فليس بعضها بان يكون مفسدا لبعضها باولى من عكسه فبطل ما قالوه واقرب طريقة قالها من ينتحل الاسلام منهم ان قالوا لا يبعد ان ينبعث جواهر لطيفة غير مرئية من عين العاين فتتصل بالمعين فيتخلل مسام جسمه فيخلق الله عز وجل الهلاك عندها كما يخلق الهلاك عند شرب السموم عادة اجراها الله عز وجل وليست ضرورة ولا طبيعة الجا العقل اليها قال ومذهب اهل السنة ان المعين انما يفسد ويهلك عند نظر العاين بفعل الله تعالى اجرى الله تعالى العادة بان يخلق الضرر عند مقابلة هذا الشخص لشخص اخر وهل ثم جواهر ام لا هذا من مجوزات العقول لا نقطع فيه بواحد من الامرين وانما نقطع بنفي الفعل عنها واضافته الى الله تعالى فمن قطع من اطبا الاسلام بانبعاث الجواهر فقد اخطا في قطعه وانما هو من الجايزات هذا ما يتعلق بعلم الاصول واما ما يتعلق بعلم الفقه فان الشرع قد ورد بالوضوء في هذا الامر في حديث سهل بن حنيف لما اصيب بالعين عند اغتساله رواه مالك في الموطا واما صفة وضوء العاين فمذكور في كتب شروح الحديث ومعروف عند العلما فيطلب من هناك فليس هذا موضعه والله اعلم وقال وهب بن منبه في قوله لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة اني اخاف ان تغتالوا لما ظهر لهم في ارض مصر من التهمة حكاه ابن الجوزي عنه وقيل ان يعقوب عليه السلام كان قد علم ان ملك مصر هو ولده يوسف الا ان الله لم ياذن له في اظهار ذلك فلما بعث ابناءه اليه قال لهم لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وكان غرضه ان يصل بنيامين الى اخيه يوسف في وقت الخلوة قبل اخوته والقول الاول اصح انه خاف عليهم من العين ثم رجع الى علمه وفوض امره الى الله تعالى بقوله **وما اغني عنكم من الله من شيء** يعني ان كان الله قد قضى عليكم بقضا فهو يصيبكم مجتمعين كنتم او متفرقين فان المقدور كاين ولا ينفع حذر من قدر **ان الحكم الا لله** يعني وما الحكم الا لله وحده لا شريك له فيه وهذا تفويض من يعقوب في اموره كلها الى الله تعالى **عليه توكلت** يعني على الله اعتمدت في اموري كلها لا على غيره **وعليه فليتوكل المتوكلون** **ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم** يعني من الابواب المتفرقة وكان لمدينة مصر وقيل هي لمدينة الفرما اربعة ابواب فدخلوا من ابوابها كلها **ما كان يغني عنهم من الله من شيء** وهذا تصديق من الله ليعقوب فيما قال وما اغني عنكم من الله من شيء **الا حاجة في نفس يعقوب قضاها** هذا استثنا منقطع ليس من الاول في شيء معناه لكن حاجة في نفس

يعقوب قضاها وهو انه اشفق عليهم اشفاق الاباء على الابناء وذلك انه خاف عليهم من العين او خاف عليهم حسد اهل مصر وخاف ان يرد واعليه فاشفق من هذا كله او بعضه **وانه** يعني يعقوب **لذو علم** يعني صاحب علم **لما علمناه** يعني لتعليمنا اياه ذلك العالم وقيل معناه انه لذو علم للشيء الذي علمناه والمعنى انا لما علمناه الاشيا حصل له العلم بتلك الاشيا وقيل انه لذو حفظ لما علمناه وقيل انه كان يعمل ما يعمل عن علم لا عن جهل وقيل انه لعامل بما علمناه قال سفيان من لا يعمل بما يعلم لا يكون عالما **ولكن اكثر الناس لا يعلمون** يعني لا يعلمون ما كان يعلم يعقوب لانهم لم يسلكوا طريق اصابة العلم وقال ابن عباس لا يعلم المشركون ما الهم الله اولياه قوله عز وجل **ولما دخلوا على يوسف اوى اليه اخاه** قال المفسرون لما دخل اخوة يوسف على يوسف قالوا ايها الملك هذا اخونا الذي امرتنا ان ناتيك به قد جيناك به فقال لهم احسنتم واصبتم وستجدون ذلك عندي ثم انزلهم واكرمهم واحسن نزلهم ثم انه اضافهم واجلس كل اثنين على مايدة فبقي بنيامين وحيدا فبكى وقال لو كان اخي يوسف حيا لاجلسني معه فقال لهم يوسف لقد بقي هذا وحده فقالوا له كان له اخ فهلك قال لهم فانا اجلسه معي فاخذه واجلسه معه على مايدته وجعل يواكله فلما كان الليل امرهم بمثل ذلك وقال كل اثنين ينامان على فراش واحد فبقي بنيامين وحده فقال يوسف هذا ينام عندي على فراشي فنام بنيامين مع يوسف على فراشه فجعل يوسف يضمه اليه ويشم ريحه حتى اصبح فلما اصبح قال لهم اني ارى هذا الرجل وحيدا ليس معه ثان وساضمه الي فيكون معي في منزلي ثم انه انزلهم واجرى عليهم الطعام فقال روبيل ما راينا مثل هذا فذلك قوله تعالى اني انا اخوك يعني اخاك يعني ضمه اليه وانزله معه في منزله فلما خلا به قال له يوسف ما اسمك قال بنيامين قال وما بنيامين قال ابن المثكل وذلك انه لما ولدته امه هلكت قال ما اسم امك قال راحيل قال فهل لك من ولد قال عشرة بنين قال فهل من اخ لامك قال كان لي اخ فهلك قال يوسف اتحب ان اكون لك اخا بدل اخيك الهالك قال نعم ولكن لم يلدك يعقوب قال بنيامين ومن يجد اخا مثلك ايها الملك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف عليه السلام وقام اليه وعانقه وقال له **اني انا اخوك** يعني انا يوسف **فلا تبتئس** يعني لا تحزن وقال اهل اللغة تبتئس تفتعل من البوس وهو الضرر والشدة والابتياس اجتلاب الحزن والبوس **بما كانوا يعملون** يعني فلا تحزن بشي فعلوه بنا فيما مضى فان الله قد احسن الينا وجمع بيننا وقيل ان يوسف صفح عن اخوته وصفى لهم فاراد ان يجعل قلب اخيه مثل قلبه صافيا عليهم ثم قال يوسف لاخيه بنيامين لا تعلم اخوتك بشي مما اعلمتك به ثم انه وفى لاخوته الكيل وزاد كل واحد حمل بعير ولبنيامين حمل بعير باسمه ثم امر بسقاية الملك فجعلت في رحل اخيه بنيامين قال السدي وهو لا يشعر وقال كعب لما قال له يوسف اني انا اخوك قال بنيامين انا لا افارقك فقال يوسف قد علمت اغتمام والدي

في واذا حبستك عندي ازداد غمه ولا يمكني هذا الا بعد ان اشهرك بامر فظيع وانسبك
الى ما لا يجمل قال لا ابالي فافعل ما بدا لك فاني لا افارقك قال فاني ادس صاعي في
رحلك ثم انادي عليكم بالسرقة ليتهيأ لي ردك بعد تسريحك قال فافعل ما شئت
فذلك قوله عز وجل **فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل اخيه** وهي المشربة
التي كان الملك يشرب فيها قال ابن عباس كانت من زبرجد وقال ابن اسحاق كانت من فضة
وقيل من ذهب وقال عكرمة كانت مشربة من فضة مرصعة بالجواهر جعلها يوسف
مكيالا لا يكال بغيرها وكان يشرب فيها والسقاية والصواع اسم لاناء واحد جعلت في
وعاء طعام اخيه بنيامين ثم ارتحلوا الى بلادهم فامهلهم يوسف حتى ارتحلوا
وانطلقوا منزلا وقيل حتى خرجوا من العمارة ثم ارسل خلفهم من استوقفهم وحبسهم
ثم اذن مؤذن اي نادى مناد واعلم معلم الاذان في اللغة الاعلام **ايتها العير** وهي القافلة
التي فيها الاحمال وقال مجاهد العير الحمير وقال ابو الهيثم كل ما سير عليه من الابل والحمير
والبغال فهي عير وقول من قال انها الابل خاصة باطل وقيل العير الابل التي عليها
الاحمال سميت بذلك لانها تعير اي تذهب وتجي وقيل هي قافلة الحمير ثم اثر ذلك
في الاستعمال حتى قيل لكل قافلة عير فقوله ايتها العير اراد اصحاب العير **انكم لسارقون**
فقفوا والسرقة اخذ ما ليس له اخذه في خفاء فان قلت هل كان هذا النداء بامر
يوسف ام لا فان كان بامره فكيف يليق بيوسف مع علو منصبه وشريف رتبته
من النبوة والرسالة ان يتهم قوما وينسبهم الى السرقة كذبا مع علمه ببراءتهم
في تلك التهمة التي نسبوا اليها ثم ذكر العلماء عن هذا السؤال اجوبة احدها ان يوسف
لما اظهر لاخيه انه اخاه قال لست افارقك قال لا سبيل الى ذلك الا بتدبير حيلة
انسبك فيها الى ما لا يليق قال رضيت بذلك فعلى هذا التقدير لم يتألم قلبه بسبب
هذا الكلام بل قد رضي به فلا يكون ذنبا الثاني ان يكون المعنى انكم لسارقون ليوسف
من ابيه الا انهم ما اظهروا هذا الكلام فهو من المعاريض وفي المعاريض مندوحة
عن الكذب الثالث انه يحتمل ان يكون المنادي ربما قال ذلك النداء على سبيل الاستفهام
وعلى هذا التقدير لا يكون كذبا الرابع ليس في القرآن ما يدل على انهم قالوا ذلك
بامر يوسف وهو الاقرب الى ظاهر الحال لانهم طلبوا السقاية فلم يجدوها ولم
يكن هناك احد غيرهم غلب على ظنهم انهم هم الذين اخذوها فقالوا ذلك بناء على
غلبة ظنهم **قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون** قال اصحاب الاخبار لما وصل
الرسل الى اخوة يوسف قالوا لهم الم نكرم مثواكم ونحسن ضيافتكم ونوفي لكم الكيل
ونفعل بكم ما لم نفعل بغيركم قالوا بلى وما ذاك قالوا فقدنا سقاية الملك ولا
نتهم عليها غيركم فذلك قوله تعالى واقبلوا عليهم ماذا تفقدون والفقدان ضد
الوجود **قالوا** يعني المؤذن واصحابه **نفقد صواع الملك** اي الصاع الاناء الذي كان يكال
به والجمع اصوع والصواع لغة فيه وجمعه صيعان **ولمن جاء به** يعني بالصواع **حمل بعير**
يعني من الطعام **وانا به زعيم** اي كفيل قال الكلبي الزعيم هو الكفيل بلسان اهل اليمن

ومنه

ومنه الاية تدل على ان الكفالة كانت صحيحة في شرعهم وقد حكم رسول الله صلى الله
عليه وسلم في قوله الحميل غارم والحميل الكفيل فان قلت كيف تصح هذه الكفالة
مع ان السارق لا يستحق شيئا قلت لم يكونوا سراقا في الحقيقة فيحمل ذلك على مثل
رد الصاع فيكون جعالة او لعل مثل هذه الكفالة كانت جائزة عندهم في ذلك
فيحمل عليه **قالوا** يعني اخوة يوسف **تالله** التاء بدل من الواو ولا تدخل على اسم الله في
اليمين خاصة تقديره والله **لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض** قال المفسرون
ان اخوة يوسف حلفوا على امرين احدهما انهم ما جاؤوا لاجل الفساد في الارض والثاني
انهم ما جاؤوا سارقين وانما قالوا هذه المقالة لانه كان قد ظهر من احوالهم ما يدل
على صدقهم وهو انهم كانوا مواظبين على انواع الخير والطاعة والبر حتى بلغ من امورهم
انهم شدوا افواه دوابهم لئلا تؤذي زرع الناس ومن كانت هذه صفته فالفساد
في حقه ممتنع واما الثاني وهو انهم ما كانوا سارقين لانهم كانوا قد ردوا البضاعة
التي وجدوها في رحالهم ولم يستحلوا اخذها ومن كانت هذه صفته فليس بسارق
فلاجل ذلك قالوا لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين فلما تبين
براءتهم من هذه التهمة **قالوا** يعني اصحاب يوسف وهو المنادي واصحابه **فما جزاؤه ان كنتم
كاذبين** يعني فما جزاء السارق ان كنتم كاذبين في قولكم ما جئنا لنفسد في الارض
وما كنا سارقين **قالوا** يعني اخوة يوسف **جزاؤه من وجد في رحله** يعني جزاء السارق
الذي وجد في رحله ان يسلم بسرقته الى المسروق منه فيسترقه سنة وكان ذلك
سنة آل يعقوب في حكم السارق وكان في حكم ملك مصر ان يغرم ضعفي قيمة المسروق
وكان هذا في شرعهم في ذلك الزمان يجري مجرى القطع في شرعنا فاراد يوسف
ان ياخذه بحكم ابيه في السارق فلذلك رد الحكم اليهم والمعنى ان جزاء السارق ان يستعبد
سنة جزاء له على جرمه وسرقته **فهو جزاؤه** يعني هذا الجزاء جزاؤه **كذلك نجزي
الظالمين** يعني مثل هذا الجزاء وهو ان يسترق السارق سنة نجزي الظالمين
ثم قيل هذا الكلام من بقية كلام اخوة يوسف وقيل هو من كلام اصحاب يوسف
فعلى هذا ان اخوة يوسف لما قالوا جزاء السارق ان يسترق سنة قال اصحاب يوسف
كذلك نجزي الظالمين يعني السارقين قوله عز وجل **فبدأ باوعيتهم قبل وعاء اخيه**
قال اهل التفسير ان اخوة يوسف لما اقروا ان جزاء السارق ان يسترق سنة
قال اصحاب يوسف لا بد من تفتيش رحالكم فردوهم الى يوسف فامر بتفتيشها
بين يديه فبدأ بتفتيش اوعيتهم قبل وعاء اخيه لازالة التهمة فجعل يفتش اوعيتهم
واحدا واحدا قال قتادة ذكر لنا انه كان لا يفتح متاعا ولا ينظر في وعاء الا استغفر
الله تأثما مما قذفهم به حتى لم يبق الا رحل بنيامين قال ما اظن هذا اخذ شيئا
قال اخوته والله لا نتركك حتى تنظر رحله فانه اطيب لنفسك وانفسنا فلما فتحوا
متاعه وجدوا الصواع فيه فذلك قوله تعالى **ثم استخرجها من وعاء اخيه**
انما انث الكناية لانه ردها الى السقاية وقيل ان الصواع يؤنث ويذكر فلما اخرج

الصواع من رحل بنيامين نكس اخوته رؤوسهم من الحياء واقبلوا على بنيامين يلومونه ويقولون
له ايش الذي صنعت بنا فضحتنا وسودت وجوهنا يا بني راحيل ما زال لنا منكم بلاء
متى اخذت هذا الصواع فقال بنيامين بل بنو راحيل ما زال لهم منكم بلاء ذهبتم
باخي فاهلكتموه في البرية ان الذي وضع هذا الصواع في رحلي الذي وضع البضاعة
في رحالكم قالوا فاخذ بنيامين رقيقا وقيل ان المنادي واصحابه هم الذين تولوا
تفتيش رحالهم وهم الذين استخرجوا الصواع من رحل بنيامين فاخذوه برقبته
وردوه الى يوسف **كذلك كدنا ليوسف** يعني ومثل ذلك الكيد كدنا ليوسف وهو
اشارة الى الحكم باسترقاق السارق اي مثل ذلك الحكم الذي ذكره اخوة يوسف حكمنا
به ليوسف ولفظ الكيد مستعار للحيلة والخديعة وهذا في حق الله عز وجل محال
فيجب تاويله منه ان اللفظ بما يليق بجلال الله سبحانه وتعالى فنقول الكيد هنا جزاء
الكيد يعني كما فعلوا بيوسف في الابتداء فعلنا بهم فالكيد من الخلق الحيلة ومن الله
التدبير بالحق والمعنى كما الهمنا اخوة يوسف بان حكموا ان جزاء السارق ان يسترق كذلك
الهمنا يوسف حتى دس الصواع في رحل اخيه ليضمه اليه على ما حكم به اخوته وقال ابن
الانباري الكيد التدبير بالباطل وبحق فعلى هذا يكون المعنى كذلك دبرنا ليوسف
وقيل صنعنا ليوسف قال ابن الانباري كدنا وقع خبرا عن الله عز وجل على خلاف
معناه في اوصاف المخلوق فانه اذا اخبر به عن مخلوق كان تحته احتيال وهو في موضع
فعل الله تعالى معري من المعاني المذمومة ويخلص بانه وقع بمن يكيده تدبيرا
يريده به من حيث لا يشعر ولا يقدر على دفعه فهو من الله مشيئته بالذي يكون
من المخلوق من اجل ان المخلوق اذا كاد المخلوق ستر عنه ما ينويه ويضمره له والذي
يقع به من الكيد من الله تعالى فهو ستر ما اختم الله عاقبته به والذي وقع باخوة
يوسف من كيد الله هو ما انتهى اليه شان يوسف من ارتفاع المنزلة وتمام النعمة
فجرت جرى الامر على غير ما قدروا من هلاكه وخلوص ابيهم لهم بعده وكل ذلك
بتدبير الله تعالى وخفي لطفه سماه كيدا لما يشبهه من كيد المخلوقين فعلى هذا
كيد الله عز وجل ليوسف عايد الى جميع ما اعطاه الله وانعم به عليه على خلاف تدبير
اخوته من غير ان يشعروا بذلك وقوله عز وجل **ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك**
يعني في حكم الملك وقضائه لانه كان في حكم الملك ان السارق يضرب ويغرم ضعفي
قيمة المسروق فلم يكن يتمكن يوسف من حبس اخيه عنده في حكم الملك فالله تعالى الهم
يوسف ما دبره حتى وجد السبيل **الا ان يشاء الله** يعني ان ذلك الامر كان بمشيئة
الله عز وجل وتدبيره لان ذلك كله كان الهاما من الله ليوسف واخوته حتى جرى الامر
على وفق المراد **نرفع درجات من نشاء** يعني بالعلم كما رفعنا درجة يوسف على اخوته
وفي هذه الاية دلالة على ان العلم اشرف المقامات واعلى الدرجات لان الله تعالى
مدح يوسف ورفع درجته على اخوته بالعلم وبما الهمه من وجه الهداية والصواب
في الامور كلها **وفوق كل ذي علم عليم** قال ابن عباس فوق كل عالم عالم الى ان ينتهي العلم

الى الله

الى الله فانه تعالى فوق كل عالم لانه هو الغني بعلمه عن التعليم وفي الاية دليل على ان اخوة
يوسف كانوا علماء وكان يوسف اعلم منهم قال ابن الانباري يجب ان يتهم العالم نفسه
ويستشعر التواضع لربه تعالى ولا يطمع نفسه في الغلبة لانه لا يخلو عالم من فوقه قوله
تعالى **قالوا** يعني اخوة يوسف **ان يسرق** يعني بنيامين الصواع **فقد سرق اخ له من قبل**
يعني يوسف وظاهر الاية يقتضي ان اخوة يوسف قالوا للملك ان هذا الامر ليس
بغريب منه فان اخاه الذي هلك كان سارقا ايضا وكان غرضهم من هذا الكلام انا
لسنا على طريقته ولا على سيرته بل هذا واخوه كانا على هذه الطريقة ومنه التبرئة لانهما
من ام اخرى غير امنا واختلفوا في السرقة التي نسبوها الى يوسف عليه السلام فقال
سعيد بن جبير وقتادة كان لجده ابي امه صنم وكان يعبده فاخذه يوسف سرا وكسره
والقاه في الطريق لئلا يعبده وقال مجاهد ان يوسف جاءه سائل يوما فاخذ بيضة
من البيت فناولها السائل وقال سفيان بن عيينة اخذ دجاجة من الطير الذي كانت
في بيت يعقوب فاعطاها سائلا وقال وهب كان يخبأ الطعام من المائدة للفقراء
وذكر محمد بن اسحاق ان يوسف كان عند عمته ابنة اسحاق بعد موت امه راحيل
فحضنته عمته واحبته حبا شديدا فلما ترعرع وكبر وقعت محبة يعقوب عليه
فاتاها فقال لاخته يا اختاه سلمي الي يوسف فوالله ما اقدر على ان يغيب عني ساعة
واحدة قالت لا اعطيكه فقال لها والله ما انا بتاركه عندك فقالت دعه
عندي اياما انظر اليه لعل ذلك يسليني عنه ففعل ذلك فعمدت الى منطقة
كانت لاسحاق وكانوا يتوارثونها بالكبر وكانت اكبر اولاد اسحاق فكانت عند
فشدت المنطقة على وسط يوسف تحت ثيابه وهو صغير لا يشعر ثم قالت
لقد فقدت منطقة اسحاق ففتشوا اهل البيت فوجدوها مع يوسف فقالت
انه لسلم لي يعني يوسف فقال يعقوب ان كان قد فعل ذلك فهو سلم لك فامسكته
عندها حتى ماتت فلذلك قال اخوة يوسف ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل
يعنون هذه السرقة قال ابن الانباري وليس في هذه الافعال كلها ما يوجب السرقة
ولكنها تشبه السرقة فعيروه بها عند الغضب **فاسرها يوسف في نفسه ولم يبدها**
لهم في هذه الكناية ثلاثة اقوال احدها ان الضمير يرجع الى الكلمة التي بعدها وهي
قوله تعالى قال يعني يوسف انتم شر مكانا روى هذا المعنى العوفي عن ابن عباس
والثاني ان الضمير يرجع الى الكلمة التي قالوها في حقه وهي قولهم فقد سرق
اخ له من قبل وهذا معنى قول ابي صالح عن ابن عباس فعلى هذا القول يكون المعنى
فاسر يوسف جواب الكلمة التي قالوها في حقه ولم يجبهم عليها والثالث ان الضمير
يرجع الى الحجة فيكون المعنى على القول فاسر يوسف الاحتجاج عليهم في ادعائهم عليه
السرقة ولم يبدها لهم **قال انتم شر مكانا** يعني منزلة عند الله ممن رميتموه
بالسرقة لانه لم تكن من يوسف سرقة في الحقيقة وخيانتكم حقيقة **والله اعلم**
بما تصفون يعني بحقيقة ما تقولون قوله عز وجل **قالوا** يعني اخوة يوسف

يا ايها العزيز يخاطبون بذلك الملك **ان له ابا شيخا كبيرا** قال اصحاب الاخبار والسير ان يوسف عليه السلام لما استخرج الصواع من رحل بنيامين نقره وادناه ثم قال ان صواعي هذا يخبرني انكم اثنى عشر رجلا لاب واحد وانكم انطلقتم باخ لكم من ابيكم فبعتموه قال بنيامين ايها الملك سل صواعك هذا من جعله في رحلي فنقره ثم قال ان صواعي غضبان وهو يقول كيف تسألني عن صاحبي وقد رايت مع من كنت قال فغضب روبيل لذلك وكانوا بنوا يعقوب اذا غضبوا لم يطاقوا وكان روبيل اذا غضب لم يقم لغضبه شي وكان اذا صاح القت كل حمل حملها اذا سمعت صوته وكان مع هذا اذا مسه احد من ولد يعقوب يسكن غضبه وكان اقوى الاخوة واشدهم وقيل كانت هذه الصفة لشمعون بن يعقوب وقيل انه قال لاخوته كم عدد الاسواق بمصر قالوا عشرة قال اكفوني انتم الاسواق وانا اكفيكم الملك او اكفوني انتم الملك وانا اكفيكم الاسواق فدخلوا على يوسف فقال روبيل ايها الملك لتردن علينا اخانا او لاصيحن صيحة لا يبقى بمصر امراة حامل الا وضعت ولدها وقامت كل شعرة في جسد روبيل حتى خرجت من ثيابه فقال يوسف لابن له صغير قم الى جنب هذا فمسه او خذ بيده فاتني به فلما مسه سكن غضبه فقال لاخوته من مسني منكم قالوا لم يصبك منا احد فقال روبيل ان هذا بذر من بذر يعقوب وقيل انه غضب ثانيا فقام اليه يوسف فوكزه برجله واخذ بتلابيبه فوقع على الارض وقال انتم يا معشر العبرانيين تزعمون ان لا احد اشد منكم فلما راوا ما نزل بهم وراوا ان لا سبيل الى تخليصه خضعوا وذلوا وقالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا يعني في السن ويحتمل ان يكون كبيرا في القدر لانه نبي من اولاد الانبيا **فخذ احدنا مكانه** يعني بدلا منه لانه يحبه ويتسلى به عن اخيه الهالك **انا نراك من المحسنين** يعني في افعالك كلها وقيل من المحسنين الينا في توفية الكيل وحسن الضيافة ورد البضاعة الينا وقيل ان رددت الينا اخانا واخذت احدنا مكانه كنت من المحسنين **قال معاذ الله** يعني قال يوسف اعوذ بالله معاذا **ان ناخذ الا من وجدنا متاعنا عنده** لم يقل من سرق تحرزا من الكذب لانه يعلم ان اخاه ليس بسارق **انا اذا لظالمون** يعني ان اخذنا بريا بمذنب فان قلت كيف استجاز يوسف ان يعمل مثل هذه الاعمال ولم يخبر بمكانه واحبس اخاه ايضا عنده مع علمه بشدة وجد ابيه عليه ففيه ما فيه من العقوق وقطيعة الرحم وقلة الشفقة وكيف يجوز ليوسف مع علو منصبه من النبوة والرسالة ان يزور على اخوته ويروج عليهم مثل هذا مع ما فيه من الايذا لهم فكيف يليق به هذا كله قلت قد ذكر العلما عن هذا السؤال اجوبة كثيرة احسنها واصحها انه انما فعل ذلك بامر الله تعالى له لا عن امره وانما امره الله بذلك ليزيد بلا يعقوب فيضاعف له الاجر على البلا ويلحقه بدرجة ابايه الماضين ولله تعالى اسرار لا يعلمها احد من خلقه فهو المتصرف في خلقه بما يشا فهو الذي اخفى خبر يوسف عن يعقوب في طول هذه المدة مع قرب المسافة فيما بينهم والله اعلم باحوال عباده قوله عز وجل **فلما استيأسوا منه** يعني يئسوا

من يوسف

من يوسف ان يجيبهم الى ما سالوه وقيل ايسوا من اخيهم ان يرد عليهم وقال ابو عبيدة استيأسوا اي استيقنوا ان الاخ لا يرد اليهم **خلصوا نجيا** يعني خلا بعضهم ببعض يتناجون ويتشاورون ليس فيهم غيرهم **قال كبيرهم** يعني في العقل والعلم لا في السن قال ابن عباس والكلبي هو يهوذا وكان اعقلهم وقال مجاهد هو شمعون وكانت له الرياسة على اخوته وقال قتادة والسدي والضحاك هو روبيل وكان اكبرهم سنا واحسنهم رايا في يوسف لانه نهاهم عن قتله **الم تعلموا ان اباكم** يعني يعقوب **قد اخذ عليكم موثقا من الله** يعني عهدا من الله **ومن قبل ما فرطتم في يوسف** يعني قصرتم في امر يوسف حتى صنعتم به ما صنعتم **فلن ابرح الارض** يعني الارض التي انا فيها وهي ارض مصر والمعنى فلن ابرح من ارض مصر ولا افارقها على هذه الصورة **حتى ياذن لي ابي** يعني في الخروج من ارض مصر ويدعوني اليه **او يحكم الله لي** يعني يرد اخي الي او بخروجي معكم وتركه او يحكم الله لي بالسيف فاقاتلهم حتى استرد اخي **وهو خير الحاكمين** لانه يحكم بالحق والعدل والانصاف والمراد من هذا الكلام الالتجا الى الله تعالى في اقامة عذره عند والده يعقوب عليه السلام **ارجعوا الى ابيكم** يعني يقول الاخ الكبير الذي عزم على الاقامة بمصر لاخوته الباقين ارجعوا الى ابيكم يعقوب **فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق** انما قالوا له ذلك ونسبوه الى السرقة لانهم شاهدوا الصواع وقد اخرج من متاع بنيامين فغلب على ظنهم انه سرق فلذلك نسبوه الى السرقة في ظاهر الامر لا في حقيقة الحال ويدل على انهم لم يقطعوا عليه بالسرقة قولهم **وما شهدنا الا بما علمنا** يعني ان هذا القدر لا يعدو ذلك او ما راينا اخراج الصواع من متاعه وقيل معناه ما كانت منا شهادة في عمرنا على شي الا بما علمناه وهذه ليست بشهادة انما هو خبر عن صنيع ابنك انه سرق بزعمهم فيكون المعنى ان ابنك سرق في زعم الملك واصحابه لانا لا نشهد عليه بالسرقة وقرا ابن عباس والضحاك سرق بضم السين وكسر الرا وتشديدها اي نسب الى السرقة وانهم بها وهذه القراءة لا تحتاج الى تاويل لان القوم نسبوه الى السرقة الا ان هذه القراءة ليست مشهورة فلا تقوم بها حجة والقراءة الصحيحة المشهورة هي الاولى وقوله وما شهدنا الا بما علمنا يعني ما قلنا هذا الا بما علمنا فانا راينا اخراج الصواع من متاعه وقيل معناه ما كانت منا شهادة في عمرنا على شي الا بما علمناه وليست هذه شهادة وانما هو خبر عن صنيع ابنك بزعمهم وقيل قال لهم يعقوب هب انه سرق فما يدري هذا الرجل ان السارق يوخذ بسرقته الا بقولكم فقالوا ما شهدنا عنده ان السارق يسترق الا بما علمنا من الحكم وكان الحكم كذلك عند الانبيا قبله يعقوب وبنيه او ورد على هذا القول كيف جاز لبني يعقوب اخفا هذا الحكم حتى ينكر على انبيائه ذلك واجيب عنه بانه يحتمل ان ذلك الحكم كان مخصوصا بما اذا كان المسروق منه مسلما فلهذا انكر عليهم اعلام الملك بهذا الحكم لظنه انه كان كافرا **وما كنا للغيب حافظين** قال مجاهد وقتادة معناه ما كنا نعلم ان ابنك

يسرق ويصير امرنا الى هذا ولو علمنا ذلك ما ذهبنا به وانما قلنا ونحفظ اخانا
مما لنا الى حفظه سبيل وقال ابن عباس ما كنا لليله ونهاره ومجيئه وذهابه حافظين
وقيل معناه ان حقيقة الحال غير معلومة لنا فان الغيب لا يعلمه الا الله فلعل
الصواع دس في رحله ونحن لا نعلم بذلك **واسال القرية التي كنا فيها** يعني واسال
اهل القرية الا انه حذف المضاف للايجاز ومثل هذا النوع من المجاز مشهور
في كلام العرب والمراد بالقرية مصر وقال ابن عباس هي قرية من قرى مصر كان قد
جرى فيها حديث السرقة والتفتيش **والعير التي اقبلنا فيها** اي يعني مثل القافلة
التي كنا فيها وكان صحبهم قوم من كنعان من جيران يعقوب **وانا لصادقون**
يعني فيما قلناه وانما امرهم اخوهم الذي اقام بمصر بهذه المقالة ليتمكنوا في ازالة
التهمة عن انفسهم عند ابيهم لانهم كانوا متهمين عنده بسبب واقعة يوسف **قال**
بل سولت لكم انفسكم امرا فيه اختصار تقديره فرجعوا الى ابيهم فاخبروه بما
جرى لهم في سفرهم ذلك وبما قال لهم كبيرهم وامرهم ان يقولوه لابيهم فعند ذلك
قال لهم يعقوب بل سولت يعني زينت لكم انفسكم امرا وهو حمل اخيكم الى مصر لطلب نفع
عاجل فآل امركم الى ما آل وقيل معناه بل خيلت لكم انفسكم انه سرق وما سرق
فصبر جميل تقدم تفسيره في اول السورة وقوله **عسى الله ان ياتيني بهم جميعا**
يعني بيوسف وبنيامين والاخ الثالث الذي اقام بمصر وانما قال يعقوب هذه
المقالة لانه لما طال حزنه واشتد بلاؤه ومحنته علم ان الله سيجعل له فرجا ومخرجا
عن قريب فقال ذلك على سبيل حسن الظن بالله عز وجل لانه اذا اشتد البلا
وعظم كان اسرع الى الفرج وقيل ان يعقوب علم بما جرى عليه وعلى بنيه من اول
الامر وهو رؤيا يوسف وقوله له لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا
فلما تناهى الامر قال عسى الله ان ياتيني بهم جميعا **انه هو العليم** يعني بحزني
ووجدي عليهم **الحكيم** يعني فيما يدبره ويقضيه قوله تعالى **وتولى عنهم** يعني واعرض
يعقوب عن بنيه حين بلغه خبر بنيامين فتتام حزنه واشتد بلاؤه وبلغ
جهده وهيج حزنه على يوسف فعند ذلك اعرض عنهم **وقال يا اسفا على يوسف**
الاسف اشد الحزن وانما جدد حزنه على يوسف عند وجود هذه الواقعة لان
الحزن القديم اذا صادفه حزن اخر كان ذلك اوجع للقلب واعظم لهيجان الحزن الاول
كما قال متمم بن نويرة لما راى قبرا جديدا جدد حزنه على اخيه مالك فقال

اتبكي على كل قبر رايته • لقبر ثوى بين اللوى فالدكادك
فقلت له ان الاسى يبعث الاسى • فدعني فهذا كله قبر مالك

فاجاب بان الحزن يجدد الحزن وقيل ان يوسف وبنيامين لما كانا من ام واحدة
فكان يعقوب يتسلى عن يوسف ببنيامين فلما حصل فراق بنيامين زاد حزنه
عليه وجدد حزنه على يوسف لان يوسف كان اصل المصيبة وقد اعترض بعض الجهال
على يعقوب عليه السلام في قوله يا اسفا على يوسف وقال ان هذه شكاية واظهار جزع فلا

يليق بعلو منصبه ذلك وليس الامر كما قال هذا الجاهل المعترض لان يعقوب
عليه السلام شكى الى الله لا منه فقوله يا اسفا على يوسف معناه يا رب ارحم اسفي
على يوسف وقد ذكر ابن الانباري عن بعض اللغويين انه قال نادى يعقوب الاسف
في اللفظ من المجاز يعني به غير المظهر في اللغة وتلخيصه يا الهي ارحم اسفي او انت
راي اسفي وهذا اسفي فنادى الاسف في اللفظ والمنادى سواه في المعنى ولا اثم
اذا لم ينطق اللسان بكلام مؤثم لانه لم يشك الا الى ربه عز وجل فلما كان قوله
يا اسفا على يوسف شكوى الى ربه كان غير ملوم في شكواه وقيل ان يعقوب لما عظمت
مصيبته واشتد بلاؤه وقويت محنته قال يا اسفا على يوسف اي اشكو الى الله
شدة اسفي على يوسف ولم يشك الى احد من الخلق بدليل قوله انما اشكو بثي وحزني
الى الله **وابيضت عيناه من الحزن** اي عمي من شدة الحزن على يوسف قال مقاتل
لم يبصر شيئا ست سنين وقيل انه ضعف بصره من كثرة البكا وذلك ان الدمع
يكثر عند غلبة البكا فتصير العين كانها بيضاء من ذلك الماء الخارج من العين **فهو**
كظيم اي مكظوم وهو الممتلي من الحزن الممسك عليه لا يبثه قال قتادة هو
الذي يرد حزنه في جوفه ولم يقل الا خيرا وقال الحسن كان بين خروج يوسف
من حجر ابيه الى يوم التقيا ثمانين سنة لم تجف عينا يعقوب وما على وجه الارض
يومئذ اكرم على الله منه قال ثابت البناني ووهب بن منبه والسدي ان جبريل
دخل على يوسف وهو في السجن فقال هل تعرفني ايها الصديق قال يوسف
ارى صورة طاهرة قال اني رسول رب العالمين وانا الروح الامين فقال يوسف
فما ادخلك مدخل المذنبين وانت اطيب الطيبين وراس المقربين وامين رب العالمين
قال الم تعلم يا يوسف ان الله يطهر الارض بطهر النبيين وان الارض التي يدخلونها
هي اطهر الارضين وان الله قد طهر بك السجن وما حوله يا اطهر الطاهرين وابن
الصالحين المخلصين قال يوسف كيف لي باسم الصديقين وتعدني من المخلصين
الطاهرين وقد ادخلت مدخل المذنبين قال انه لم يفتتن قلبك ولم تطع سيدتك
في معصية ربك فلذلك سماك الله في الصديقين وعدك من المخلصين والحقك بابائك
الصالحين قال يوسف فهل لك علم من يعقوب ايها الروح الامين قال نعم قد ذهب
بصره وابتلاه بالحزن عليك فهو كظيم ووهب له الصبر الجميل قال فما قدر حزنه
قال حزنه سبعين ثكلى قال فما له من الاجر يا جبريل قال اجر مائة شهيد قال
افتراني لاقيه قال نعم فطابت نفس يوسف وقال ما ابالي ما لقيت ان رايته
قوله عز وجل **قالوا** اي يعني اخوة يوسف لابيهم **تالله تفتؤ تذكر يوسف**
يعني لا تزال تذكر يوسف ولا تفتر من حبه يقال ما فتئ يفعل كذا اي ما زال
ولا محذوفة في جواب القسم لان موضعها معلوم فحذفت للتخفيف كقول امرئ
القيس فقال

فقلت يمين الله ابرح قاعدا • ولو قطعوا راسي لديك واوصالي

اي لا ابرح قاعدا وقوله حتى تكون حرضا قال ابن عباس يعني دنفا قال مجاهد
الحرض ما دون الموت يعني قريبا من الموت وقال ابن اسحاق يعني فاسدا لا عقل
له والحرض الذي فسد جسمه وعقله وقيل ذائبا من الهم واصل الحرض الفساد
في الجسم والعقل من الحزن او الهم ومعنى الاية حتى تكون دنف الجسم مخبول
العقل يعني لا تنتفع بنفسك من شدة الحزن والهم والاسف او تكون من
الهالكين يعني من الاموات فان قلت كيف حلفوا على شي لم يعلموا
حقيقته قطعا قلت بنوا الامر على الاغلب الظاهر اي فقوله ظنا منا ان
الامر يصير الى ذلك قال يعني يعقوب عند ما راى قولهم وغلظتهم عليه انما اشكو
بثي وحزني الى الله اصل البث اثارة الشي وتفريقه وبث النفس ما انطوت
عليه من الغم والسر قال ابن قتيبة البث اشد الحزن وذلك لان الانسان
اذا ستر الحزن وكتمه كان هما فاذا ذكره لغيره كان بثا فالبث اشد الحزن والحزن
الهم فعلى هذا يكون انما اشكو احزاني العظيم وحزني القليل الى الله لا اليكم
قال ابن الجوزي روى الحاكم ابو عبد الله في صحيحه من حديث انس بن مالك عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال كان ليعقوب اخ مواخ فقال له ذات يوم يا يعقوب
ما الذي اذهب بصرك وما الذي قوس ظهرك قال اما الذي اذهب بصري فالبكاء
على يوسف واما الذي قوس ظهري فالحزن على بنيامين فاتاه جبريل فقال
يا يعقوب ان الله يقريك السلام ويقول لك اما تستحي ان تشكو الى غيري
فقال انما اشكو بثي وحزني الى الله فقال جبريل الله اعلم بما تشكو وقيل انه دخل
على يعقوب جار له فقال له يا يعقوب ما لي اراك قد تهشمت وفنيت ولم تبلغ
من السن ما بلغ ابوك فقال هشمني وافناني ما ابتلاني الله به من هم يوسف فاوحى
الله اليه يا يعقوب اتشكوني الى خلقي فقال رب خطيئة اخطاتها فاغفرها لي
قال قد غفرتها لك فكان بعد ذلك اذا سئل يقول انما اشكو بثي وحزني الى الله
وقيل ان الله اوحى اليه وعزتي وجلالي لا اكشف ما بك حتى تدعوني فعند ذلك
قال انما اشكو بثي وحزني الى الله ثم قال اي رب اما ترحم الشيخ الكبير اذهبت
بصري وقوست ظهري فاردد علي ريحانتي اشمه شمة قبل ان اموت ثم اصنع ما شئت
فاتاه جبريل فقال يا يعقوب ان الله يقريك السلام ويقول ابشر وعزتي لو
كانا ميتين لنشرتهما لك اتدري لم وجدت عليك لانكم ذبحتم شاة طعام فقام
على بابكم فلان المسكين وهو صايم فلم تطعموه شيا منها وان احب عبادي علي
الانبيا ثم المساكين اصنع طعاما وادع اليه المساكين فصنع طعاما ثم قال
من كان صايما فليفطر الليلة عند ال يعقوب وكان بعد ذلك اذا تغدى ينادي
مناديه من اراد الغدا فليات يعقوب واذا افطر امر من ينادي من اراد ان يفطر فليات
يعقوب فكان يتغدى ويتعشى مع المساكين قال وهب بن منبه اوحى الله تعالى
الى يعقوب اتدري لم عاقبتك وحبست عنك يوسف ثمانين سنة قال لا يا رب قال

شويت عناقا وقترت على جارك واكلت ولم تطعمه وقيل ان سبب ابتلا يعقوب
انه ذبح عجلا من يدي امه وهي تخور فلم يرحمها فان قلت مثل هذا الزلات
ما يقدح في عصمة الانبيا قلت لا وانما عوقب يعقوب بهذا لان حسنات
الابرار سيات المقربين وانما يطلب من الانبيا من الاعمال على قدر منصبهم وشريف
رتبتهم فيعقوب عليه السلام من اهل بيت النبوة والرسالة ومع ذلك فقد
ابتلى الله كل واحد من انبيايه بمحنة فصبر فابراهيم عليه السلام القي في النار
فصبر ولم يشك الى احد واسماعيل ابتلي بالذبح فصبر وفوض امره الى الله واسحاق
ابتلي بالعمى فصبر ولم يشك الى احد ويعقوب ابتلي بفقد ولده يوسف وبعده
بنيامين ثم عمي بعد ذلك او ضعف بصره من كثرة البكا على فقدهما ولم يشك مع
ذلك الى احد شيا مما نزل به وانما كانت شكايته الى الله عز وجل يدل عليه قوله انما
اشكو بثي وحزني الى الله فاستوجب بذلك المدح العظيم والثنا الجميل في الدنيا
والدرجات العالية في الاخرة مع من سلف له من ابايه ابراهيم واسحاق عليهم السلام
واما دمع العين وحزن القلب فلا يستوجب به عتبا ولا عقوبة لان ذلك ليس
الى اختيار الانسان فلا يدخل تحت التكليف بدليل ان النبي صلى الله عليه وسلم
بكى على ولده ابراهيم عند موته وقال ان العين تدمع وان القلب يحزن وما نقول
الا ما يرضي ربنا فهذا القدر لا يقدر الانسان على دفعه عن نفسه فصار مباحا
لا حرج فيه على احد من الناس وقوله واعلم من الله ما لا تعلمون يعني انه تعالى
من رحمته واحسانه ياتي بالفرج من حيث لا احتسب وفيه اشارة الى انه كان يعلم
حياة يوسف ويتوقع رجوعه اليه روي ان ملك الموت زار يعقوب فقال له يعقوب
ايها الملك الطيب ريحه الحسن صورته الكريم على ربه هل قبضت روح ابني يوسف
في الارواح قال لا فاطمانت نفس يعقوب وطمع في رويته فلذلك قال واعلم من الله
ما لا تعلمون وقيل معناه واعلم ان رويا يوسف حق واني وانتم سنسجد له وقال
السدي لما اخبره بنوه بسيرة ملك مصر وكمال حاله في جميع احواله وافعاله احست
نفس يعقوب وطمع ان يكون هو يوسف فعند ذلك قال يعني يعقوب يا بني اذهبوا
فتحسسوا من يوسف واخيه التحسس طلب الخبر بالحاسة وهو قريب من التجسس
بالجيم وقيل ان التحسس بالحا يكون في الخير وبالجيم يكون في الشر ومنه الجاسوس
وهو الذي يطلب الكشف عن عورات الناس قال ابن عباس التمسوا وقال ابن الانباري
يقال تحسست عن فلان ولا يقال من فلان وقال هنا من يوسف واخيه
لانه اقيم من مقام عن قال ويجوز ان يقال من للتبعيض ويكون المعنى تحسسوا
خبرا من اخبار يوسف واخيه روي عن عبد الله بن يزيد عن ابي فروة ان يعقوب
كتب كتابا الى يوسف حين حبس عنده بنيامين من يعقوب اسرايل الله بن اسحاق
ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله الى ملك مصر اما بعد فانا اهل بيت وكل بنا البلا
اما جدي ابراهيم فشدت يداه ورجلاه والقي في النار فجعلها الله عليه بردا وسلاما

واما ابي فشدت يداه ورجلاه ووضع السكين على قفاه ففداه الله واما انا
فكان لي ابن وكان احب اولادي الي فذهب به اخوته الى البرية ثم اتوني بقميصه
ملطخا بالدم وقالوا قد اكله الذيب فذهبت عيناي ثم كان لي ابن اخر وكان اخاه
من امه وكنت اتسلى به وانك حبسته وزعمت انه سرق وانا اهل بيت لا نسرق
ولا نلد سارقا فان رددته الي والا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك
فلما قرا يوسف كتاب ابيه اشتد بكاوه وعيل صبره واظهر نفسه لاخوته على ما
سنذكره ان شا الله تعالى فذلك قوله تعالى يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف
واخيه **ولا تيأسوا** يعني ولا تقنطوا **من روح الله** يعني من رحمة الله وقيل من
فضل الله وقيل من فرج الله **انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون**
يعني ان المومن على خير يرجوه من الله فيصبر عند البلا فيناله به خيرا ويحمد عند
الرخا فيناله خيرا والكافر بضد ذلك قوله عز وجل **فلما دخلوا عليه** فيه حذف
واختصار تقديره فخرجوا من عند ابيهم قاصدين مصر فلما دخلوا عليه يعني على
يوسف **قالوا يا ايها العزيز** اي يقولون يا ايها الملك والعزيز القادر الممتنع وكان
العزيز لقب لملك مصر يوميذ **مسنا واهلنا الضر** اي الشدة والفقر والجوع
وارادوا باهلهم من خلفوا وراهم من العيال **وجينا ببضاعة مزجاة** يعني جينا
ببضاعة ردية كاسدة لا تنفق في ثمن الطعام ولا يتجوز من البايع واصل الازجا
في اللغة الدفع قليلا قليلا والتزجية دفع الشي ليتساق كتزجية الريح
السحاب ومنه قول الشاعر وحاجة غير مزجاة من الحاج يعني هي قليلة يسيرة
يمكن دفعها وسوقها لقلة الاعتداد بها وانما وصفوا تلك البضاعة بانها مزجاة
اما لنقصانها او لرداتها او لمجموعهما فلذلك اختلفت عبارات المفسرين في معنى
هذه البضاعة المزجاة فقال ابن عباس كانت دراهم ردية زيوفا وقيل كانت خلق
الغراير والحبال وقيل كانت من متاع الاعراب من الصوف والاقط وقال الكلبي
ومقاتل كانت الحبة الخضرا وقيل كانت سويق المقل وقيل كانت الادم والنعال
قال الزجاج سميت هذه البضاعة القليلة الردية مزجاة من قولهم فلان يزجي
العيش اي يدفع الزمان بالقليل والمعنى جينا ببضاعة مزجاة لنتدافع بها الزمان
وليست مما يتسع بها وقيل انما قيل للدراهم الردية مزجاة لانها مردودة
مدفوعة غير مقبولة ممن يدفعها **فاوف لنا الكيل** يعني اعطنا ما كنت تعطينا
من قبل بالثمن الجيد الوافي والمعنى انا نريد ان تقيم لنا الزايد مقام الناقص
والجيد مقام الردي **وتصدق علينا** يعني وتفضل علينا بما بين الثمنين الجيد
والردي ولا تنقصنا هذا قول اكثر المفسرين قال ابن الانباري وكان الذي
يسالونه من المسامحة يشبه الصدقة وليس به واختلف العلما هل كانت الصدقة
حلالا للانبيا قبل نبينا ام لا فقال سفيان بن عيينة ان الصدقة كانت حلالا
للانبيا قبل محمد صلى الله عليه وسلم واستدل بهذه الاية وانكر جمهور العلما ذلك

وقالوا ان حال الانبيا كلهم واحد في تحريم الصدقة عليهم ولانهم يانفون من الخضوع
للمخلوقين والاخذ منهم لان الصدقة اوساخ الناس فلا يحل لهم لانهم مستغنون
بالله عمن سواه واجيب عن قوله وتصدق علينا انهم طلبوا منه ان يجريهم على عا تهم
في المسامحة وايفا الكيل ونحو ذلك مما يفعل بهم من الكرامة وتفضل الضيافة
لا نفس الصدقة وكره الحسن ومجاهد ان يقول الرجل في دعايه اللهم تصدق علي
لان الصدقة لا تكون الا ممن يبتغي الثواب وروي ان الحسن سمع رجلا يقول
اللهم تصدق علي فقال ان الله لا يتصدق انما يتصدق من يبتغي الثواب قل اللهم
اعطني وتفضل علي وقال ابن جريج والضحاك وتصدق علينا يعني ترد اخانا الينا
ان الله يجزي المتصدقين يعني بالثواب الجزيل وقال الضحاك لم يقولوا ان الله يجزيك
لانهم لم يعلموا انه مومن **قال** يعني يوسف لاخوته **هل علمتم ما فعلتم بيوسف
واخيه** وقد اختلفوا في السبب الذي من اجله حمل يوسف وبعثه على هذا القول
فقال ابن اسحاق ذكر لي انهم لما كلموه بهذا الكلام ادركته رقة على اخوته فباح
بالذي كان يكتم وقيل انه كان اخرج لهم نسخة الكتاب الذي كتبوه ببيعه من مالك
وفي اخره وكتب يهودا فلما قروا الكتاب اعترفوا بصحته وقالوا ايها الملك انه كان
لنا عبد فبعناه منه فغاظ ذلك يوسف وقال انكم تستحقون العقوبة وامر بقتلهم
فلما ذهبوا بهم ليقتلوهم قال يهودا كان يعقوب يبكي ويحزن لفقد واحد فكيف
اذا اتاه الخبر بقتل بنيه كلهم ثم قالوا ان كنت فاعلا ذلك فابعث بامتعتنا الى ابينا
فانه بمكان كذا وكذا فذلك حين ادركته الرقة عليهم ورحمهم فبكى وقال هذا القول
وقيل ان يوسف لما قرا كتاب ابيه اليه فلم يتمالك ان بكى وقال هل علمتم ما فعلتم
بيوسف واخيه وهذا استفهام يفيد تعظيم امر هذه الواقعة ومعناه ما اعظم
ما ارتكبتم من امر يوسف وما اقبح ما اقدمتم عليه من قطيعة الرحم وتفريقه من
ابيه وهذا كما تقال للمذنب هل تدري من عصيت وهل تعرف من خالفت ولم يرد
بهذا نفس الاستفهام ولكنه اراد تفظيع الامر وتعظيمه ويجوز ان يكون المعنى هل
علمتم عقبى ما فعلتم بيوسف واخيه من تسليم الله اياهما من المكروه واعلم ان هذه
الاية تصديق لقوله تعالى واوحينا اليه لتنبينهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون
فان قلت الذي فعلوه بيوسف معلوم ظاهر فما الذي فعلوه باخيه
من المكروه حتى يقول لهم هذه المقالة فانهم لم يسعوا في حبسه ولا ارادوا ذلك قلت
انهم لما فرقوا بينه وبين اخيه يوسف تنغص عليه عيشه وكانوا يوذونه كما ذكر يوسف
وقيل انهم قالوا له لما اتهم باخذ الصواع ما راينا منكم يا بني راحيل خيرا **اذ انتم جاهلون**
هذا يجري مجرى العذر لهم يعني انكم انما اقدمتم على الفعل القبيح المنكر حال كونكم
جاهلين وهو وقت الصبا وحالة الجهل وقيل جاهلون بما يوول اليه امر يوسف قوله
عز وجل **قالوا اينك لانت يوسف** قري على سبيل الاستفهام وحجته هذه القراءة
قال ابن عباس لما قال لهم هل علمتم بيوسف واخيه تبسم فراوا ثناياه كاللولو فشبهوه

ثنايا يوسف فشبهوه بيوسف فقالوا استفهاما ائنك لانت يوسف وقرئ
على الخبر وحجته ما قال ابن عباس ايضا في رواية اخرى عن ان اخوة يوسف لم يعرفوه
حتى وضع التاج عن راسه وكان له في قرنه علامة تشبه الشامة وكان ليعقوب
مثلها فعرفوه بها وقالوا انك يوسف وقيل قالوه على التوهم ولم يعرفوه حتى
قال انا يوسف قال بعض العلماء انما اظهر الاسم في قوله انا يوسف ولم يقل
انا هو تعظيما لما نزل به من ظلم اخوته له وما عوضه الله من النصر والظفر
والملك فكانه قال انا يوسف المظلوم الذي ظلمتموني وقصدتم قتلي بان القيتموني
في الجب ثم بعتموني بالبخس لانما نتم صرت الى ما ترون فكان تحت ظهور الاسم
هذه المعاني كلها ولهذا قال وهذا اخي وهم يعرفونه لانه قصد به ايضا وهذا
اخي المظلوم كما ظلمتموني ثم صرت انا وهو الى ما ترون وهو قوله قد من الله
علينا يعني بان جمع بيننا وقيل من علينا بكل عز وخير في الدنيا والاخرة وقيل
من علينا بالسلامة في ديننا ودنيانا انه من يتق ويصبر يعني يتق الزنا ويصبر
على العزوبة قال ابن عباس وقال مجاهد يتق المعصية ويصبر على السجن وقيل
يتق الله باداء فرايضه ويصبر عن ما حرم الله فان الله لا يضيع اجر المحسنين
يعني اجر من كان هذا حاله قالوا يعني قال اخوة يوسف معتذرين اليه مما صدر
منهم في حقه تالله لقد اثرك الله علينا اي اختارك وفضلك علينا يقال
اثرك الله ايثارا اي اختارك ويستعار الاثر للفضل والايثار للتفضيل والمعنى
لقد فضلك الله علينا بالعلم والعقل وقال الضحاك عن ابن عباس بالملك وقال
ابو صالح بالصبر وقيل بالصفح والحلم علينا وقيل بالحسن وساير الفضايل التي
اعطاها الله له دون اخوته وقيل فضله الله عليهم بالنبوة واورد على هذا القول
بان اخوته كانوا انبيا ايضا فليس له عليهم فضل واجيب عنه بان يوسف عليه السلام
فضل عليهم بالرسالة مع النبوة فكان افضل منهم بهذا الاعتبار لان من جمع له النبوة
والرسالة كان افضل ممن خص بالنبوة فقط وان كنا لخاطئين يعني وما كنا
في صنيعنا بك الا خاطئين ولهذا اختير لفظ الخاطي على المخطي والفرق بينهما ان يقال
خطا اذا تعمد واخطا اذا كان غير متعمد وقيل يجوز ان يكون اثر لفظ خاطئين على
مخطئين لموافقة رؤس الاي لان خاطئين اشبه بما قبلها قال يعني يوسف
لا تثريب عليكم يعني لا تعيير ولا توبيخ عليكم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اذا
زنت امة احدكم فليجلدها الحد ولا يثرب اي لا يعيرها بالزنا بعد اقامة الحد عليها
وفي محل قوله اليوم قولان احدهما انه يرجع الى ما قبله فيكون التقدير لا تثريب
عليكم اليوم والمعنى ان هذا اليوم هو يوم التثريب والتقريع والتوبيخ وانا لا اقرعكم
اليوم ولا اوبخكم ولا اثرب عليكم فعلى هذا يحسن الوقف على قوله لا تثريب عليكم
اليوم ويبتدي بقوله يغفر الله لكم والقول الثاني ان اليوم متعلق بقوله
يغفر الله لكم فعلى هذا يحسن الوقف على قوله تثريب عليكم ويبتدي اليوم يغفر الله

لكم

لكم كانه لما نفى عنهم التوبيخ والتقريع بقوله لا تثريب عليكم ثم بشرهم بقوله اليوم
يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين ولما عرفهم يوسف بنفسه سالهم عن حال ابيه
فقال ما حال ابي بعدي قالوا ذهب بصره من كثرة البكا عليك فاعطاهم قميصه
وقال اذهبوا بقميصي هذا قال الضحاك كان ذلك القميص من نسج الجنة وقال مجاهد
امره جبريل ان يرسل اليه قميصه وكان ذلك القميص قميص ابراهيم وذلك انه لما
جرد من ثيابه والقي في النار عريانا فاتاه جبريل بقميص من حرير الجنة فالبسه
اياه فكان ذلك القميص عند ابراهيم فلما مات ورثه اسحاق فلما مات ورثه يعقوب
فلما شب يوسف جعل يعقوب ذلك القميص في قصبة من فضة وسد راسها وعلقها
في عنق يوسف كالتعاويذ لما كان يخاف عليه من العين وكانت لا تفارقه فلما القي
يوسف عليه السلام عريانا فاتاه جبريل في البير واخرج ذلك القميص والبسه اياه
فلما كان هذا الوقت جاءه جبريل فامره ان يرسل هذا القميص الى ابيه لان فيه
ريح الجنة فلا يقع على مبتلى ولا سقيم الا عوفي في الوقت فدفع ذلك القميص يوسف
الى اخوته وذلك قوله اذهبوا بقميصي هذا فالقوه على وجه ابي يات بصيرا قال المحققون
انما علم يوسف ان القاء ذلك القميص على وجه يعقوب يوجب رد بصره كان بوحي من
الله اليه ذلك ويمكن ان يقال ان يوسف لما علم ان اباه قد عمي من كثرة البكا عليه
وضيق الصدر فبعث اليه قميصه ليجد ريحه فيزول بكاوه وينشرح صدره ويفرح
قلبه فعند ذلك يزول الضعف ويقوي البصر فهذا القدر يمكن معرفته من جهة
العقل وقوله واتوني باهلكم اجمعين قال الكلبي كانوا نحوا من سبعين انسانا وقال
مسروق كانوا ثلاثة وسبعين ما بين رجل وامراة ولما فصلت العير يعني خرجت
من مصر وقيل من عريش مصر متوجهين الى كنعان قال ابوهم يعني قال يعقوب
لولده وولد ولده اني لاجد ريح يوسف قيل ان ريح الصبا استاذنت ربها ان تاتي يعقوب
بريح يوسف قبل ان ياتيه البشير وقال مجاهد اصاب يعقوب ريح يوسف من مسيرة
ثلاثة ايام وقال ابن عباس مسيرة ثمان ليال وقال الحسن بينهما ثمانون فرسخا وقيل
هبت ريح فاحملت ريح القميص الى يعقوب فوجد ريح الجنة فعلم انه ليس في الارض من
ريح الجنة الا ما كان من ذلك القميص فعلم بذلك انه من ريح يوسف فلذلك قال
اني لاجد ريح يوسف لولا ان تفندون اصل التفنيد من الفند وهو ضعف الراي
وقال ابن الانباري افند الرجل اذا خرف وفند اذا جهل ونسب ذلك اليه وقال
الاصمعي اذا كثر كلام الرجل من خرف فهو الفند والمفند فيكون المعنى لولا ان تفندون
اي تنسبوني الى الخرف وقيل تسفهون وقيل تلومون وقيل تجهلون وهو قول ابن
عباس وقال الضحاك تهرمون فتقولون شيخ كبير قد خرف وذهب عقله قالوا يعني
اولاد اولاد يعقوب واهله الذين عنده لان اولاده لصلبه كانوا غايبين عنه تالله
انك لفي ضلالك القديم يعني من ذكر يوسف ولا تنساه لان عنده ان يوسف قد مات
وهلك ويروى ان يعقوب قد لج بذكره فلذلك قالوا تالله انك لفي ضلالك القديم

يعني من فكره والضلالة الذهاب عن طريق الصواب **فلما ان جاء البشير** وهو
المبشر بخبر يوسف قال ابن مسعود جاء البشير بين يدي العير قال ابن عباس
هو يهودا قال السدي قال يهودا انا ذهبت بالقميص ملطخا بالدم الى يعقوب
واخبرته ان يوسف اكله الذيب فانا اذهب اليوم بالقميص واخبره انه حي فافرحه
كما احزنته قال ابن عباس حمله يهودا وخرج به حافيا حاسرا يعدوا ومعه سبعة
ارغفة فلم يستوف اكلها حتى اتى اباه وكانت المسافة ثمانين فرسخا **فالقاه**
على وجهه قيل يعني فالقى البشير قميص يوسف على وجه يعقوب **فارتد بصيرا**
يعني فرجع بصيرا بعد ما كان قد اعمى وعادت اليه قوته بعد الضعف وسروره
بعد الحزن **قال الم اقل لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون** من حياة يوسف وان الله
يجمع بيننا وروي ان يعقوب قال للبشير كيف تركت يوسف قال تركته ملك
مصر قال يعقوب ما اصنع بالملك على اي دين تركته قال على دين الاسلام قال الان
تمت النعمة **قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا** يعني قال اولاد يعقوب حين
وصلوا اليه واخذوا يعتذرون اليه مما صنعوا به وبيوسف استغفر لنا اي
اطلب لنا غفر ذنوبنا من الله **انا كنا خاطئين** يعني في صنيعنا **قال سوف استغفر**
لكم ربي قال اكثر المفسرين ان يعقوب اخر الدعاء والاستغفار لهم الى وقت
السحر لانه اشرف الاوقات وهو الوقت الذي يقول الله فيه هل من داع فاستجيب
له فلما انتهى يعقوب الى وقت السحر قام الى الصلاة متوجها الى الله فلما فرغ
رفع يديه الى الله تعالى وقال اللهم اغفر لي جزعي على يوسف وقلة صبري عنه واغفر لي
ولولدي ما اتوا على اخيهم يوسف فاوحى الله اليه اني قد غفرت لك ولهم اجمعين قال
عكرمة عن ابن عباس انه اخر الاستغفار لهم الى ليلة الجمعة لانها اشرف الاوقات
قال وهب كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة نيف وعشرين سنة وقال طاوس اخر
الاستغفار الى وقت السحر من ليلة الجمعة فوافق ذلك ليلة عاشورا وقال الشعبي
سوف استغفر لكم ربي قال حتى اسال يوسف فان كان قد عفى عنكم استغفرت لكم
ربي **انه هو الغفور** يعني لذنوب عباده **الرحيم** بجميع خلقه قال عطا الخراساني
طلب الحوايج الى الشباب اسهل منه الى الشيوخ الا ترى ان قول يوسف لاخوته
لا تثريب عليكم اليوم وقول يعقوب سوف استغفر لكم قال اصحاب الاخبار ان يوسف
بعث الى ابيه مائتي راحلة وجهازا كثيرا ليأتوه بيعقوب وجميع اهله الى مصر
فلما اتوه تجهز يعقوب للخروج الى مصر فجمع اهله وهم يومئذ اثنان وسبعون
ما بين رجل وامراة قال مسروق كانوا ثلاثة وسبعين فلما دنا يعقوب من مصر
كلم يوسف الملك الاكبر يعني ملك مصر وعرفه بمجيء ابيه واهله فخرج يوسف
ومعه الملك في اربعة الاف من الخيل وركب اهل مصر معهم يتلقون يعقوب عليه
السلام وكان يعقوب يمشي وهو يتوكا على يد ابنه يهودا فلما نظر الى الخيل والناس
قال يا يهودا هذا فرعون مصر قال لا هذا ابنك يوسف فلما دنا كل واحد من صاحبه

اراد يوسف ان يبدا يعقوب بالسلام فقال له جبريل لا حتى يبدا يعقوب بالسلام
فقال يعقوب السلام عليك يا مذهب الاحزان وقيل انهما نزلا وتعانقا وفعلا كما
يفعل الوالد بولده والولد بوالده وبكيا وقيل ان يوسف قال لابيه يا ابت
بكيت علي حتى ذهب بصرك الم تعلم ان القيامة تجمعنا قال بلى ولكن خشيت ان
تسلب دينك فيحال بيني وبينك فذلك قوله تعالى **فلما دخلوا على يوسف اوى**
اليه ابويه قال اكثر المفسرين هو ابوه يعقوب وخالته ليا وكانت امه قد ماتت
في نفاس بنيامين قال الحسن هو ابوه وامه كانت حية بعد وقيل ان الله احياها
ونشرها من قبرها حتى تسجد ليوسف تحقيقا لرؤياه والاول اصح **وقال ادخلوا**
مصر قيل المراد بالدخول الاول في قوله فلما دخلوا على يوسف ارض مصر
وذلك حين استقبلهم ثم قال ادخلوا مصر يعني البلد وقيل انه اراد بالدخول
الاول دخولهم مصر واراد بالدخول الثاني الاستيطان بها اي ادخلوا مصر
مستوطنين فيها **ان شاء الله امنين** قيل ان هذا الاستثناء عايد الى الامن
لا الى الدخول والمعنى ادخلوا مصر امنين ان شاء الله وقيل انه عايد الى الدخول
فعلى هذا يكون قد قال ذلك لهم قبل ان يدخلوا مصر وقيل ان هذا الاستثناء
يرجع الى الاستغفار فعلى هذا يكون هذا الكلام تقديما وتاخيرا تقديره سوف
استغفر لكم ربي ان شاء الله وقيل ان الناس كانوا يخافون من ملوك مصر فلا يدخلها
احد الا بجوارهم فقال لهم يوسف ادخلوا مصر امنين على انفسكم واهليكم ان شاء الله
فعلى هذا يكون قوله ان شاء الله للتبرك فهو كقوله صلى الله عليه وسلم وانا ان شاء الله
بكم لاحقون مع علمه بانه لاحق بهم **ورفع ابويه على العرش** يعني على السرير الذي
كان يجلس عليه يومئذ والرفع النقل الى العلو **وخروا له سجدا** يعني يعقوب
وخالته ليا واخوته وكانت تحية الناس يومئذ السجود وهو الانحناء والتواضع
ولم يرد به حقيقة السجود من وضع الجبهة على الارض على العبادة فان قلت كيف
استجاز يوسف ان يسجد له ابوه وهو اكبر منه واعلى منصبا في النبوة والشيخوخة
قلت يحتمل ان الله تعالى امره بذلك لتحقيق رؤياه ثم في معنى هذا السجود
قولان احدهما انه كان انحناء على سبيل التحية كما تقدم فلا اشكال والقول
الثاني انه كان حقيقة السجود وهو وضع الجبهة على الارض وهذا مشكل لان السجود
على هذه الصورة لا ينبغي ان يكون الا لله تعالى واجيب عن هذا الاشكال ان السجود
كان في الحقيقة لله تعالى على سبيل الشكر له وانما كان يوسف كالقبلة كما سجد
الملايكة لادم ويدل على صحة هذا التاويل قوله ورفع ابويه على العرش وخروا
له سجدا وظاهر هذا يدل على انهم لما صعدوا على السرير خروا سجدا لله ولو كانت
ليوسف لكان قبل الصعود لان ذلك ابلغ في التواضع فان قلت يدفع صحة هذا
التاويل قوله رايتهم لي ساجدين وقوله خروا له سجدا فان الضمير يرجع الى
اقرب المذكورات وهو يوسف عليه السلام قلت يحتمل ان يكون المعنى وخروا لله

ساجدين لاجل يوسف واجتماعهم به وقيل يحتمل ان الله امر يعقوب بتلك السجدة لحكمة خفية وهو ان اخوة يوسف ربما احتملهم الانفة والتكبر عن السجود ليوسف فلما راوا ان اباهم قد سجد له سجدوا له ايضا فتكون هذه السجدة على سبيل التحية والتواضع لا على سبيل العبادة وكان ذلك جايزا في ذلك الزمان فلما جاء الاسلام نسخت هذه الفعلة والله اعلم بمراده واسرار كتابه **وقال** يعني قال يوسف عند ما راى ذلك **يا ابت هذا تاويل رؤياي من قبل** يعني هذا تصديق الرؤيا التي رايت في حال الصغر **قد جعلها ربي حقا** يعني في اليقظة واختلفوا فيما بين رؤياه وتاويلها فقال سلمان الفارسي وعبد الله بن شداد بن الهاد اربعون سنة وقال ابو صالح عن ابن عباس اثنان وعشرون سنة وقال سعيد بن جبير وعكرمة والسدي ستة وثلاثون سنة وقال قتادة خمس وثلاثون سنة وقال عبد الله بن شوذب سبعون سنة وقال الفضيل بن عياض ثمانون سنة حكى هذه الاقوال كلها ابن الجوزي وزاد غيره عن الحسن ان يوسف كان عمره حين القي في الجب سبع عشرة سنة واقام في العبودية والسجن والملك مدة ثمانين سنة واقام مع ابيه واخوته واقاربه مدة ثلاثة وعشرين سنة وتوفاه الله وهو ابن ماية وعشرين سنة قوله **وقد احسن بي** يعني انعم علي بي الاحسن الي والى بمعنى **اذ اخرجني من السجن** انما ذكر انعام الله عليه في خروجه من السجن وان كان الجب اصعب منه استعمالا للادب والكرم لئلا يخجل اخوته بعد ان قال لهم لا تثريب عليكم اليوم ولان نعمة الله عليه في اخراجه من السجن كانت اعظم من اخراجه من الجب وسبب ذلك ان خروجه من الجب كان سببا لحصوله في العبودية والرق وخروجه من السجن كان سببا لوصوله الى المملك وقيل ان دخوله الجب كان لحسد اخوته ودخوله السجن كان لزوال التهمة عنه فكان ذلك اعظم نعمة عليه **وجاء بكم من البدو** اي يعني من البادية واصل البدو البسيط من الارض يبدو الشخص فيه من بعد يعني يظهر والبدو خلاف الحضر والبادية خلاف الحاضرة وكان يعقوب واولاده اصحاب ماشية فسكنوا البادية **من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي** يعني افسد ما بيننا بسبب الحسد واصل النزغ دخول في امر لافساده واستدل بهذه الاية من يرى بطلان الجبر من المبتدعة قالوا ان يوسف اضاف الاحسان الى الله واضاف النزغ الى الشيطان ولو كان من فعل الله لوجب ان ينسب اليه كما في الاحسان والنعم والجواب عن هذا الاستدلال ان اسناد الفعل الى الشيطان واضافته اليه على سبيل المجاز وان كان ظاهر اللفظ يقتضي اضافة الفعل الى الشيطان لا على الحقيقة لان الفاعل المطلق المختار هو الله تعالى في الحقيقة فلو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا فثبت بذلك ان الكل من عند الله وبقضايه وقدره ليس للشيطان فيه مدخل الا بالقا الوسوسة والتحريش لافساد ذات البين وذلك باقدار الله اياه على ذلك **ان ربي لطيف لما يشا** يعني انه تعالى ذو لطف عالم بدقايق

الامور

الامور وان يكون لرفقه بالعباد في هدايتهم وقوله ان ربي لطيف لما يشا الى حسن الاستغراج تنبيها على ما اوصل الى يوسف حيث القاه في الجب وقيل ان اجتماع يوسف بابيه واخوته لعد طول الفرقة وحسد اخوته له وازالة الدلة مع طيبة النفس وشدة المحنة كان من لطف الله بهم حيث حصل ذلك كله لان الله تعالى اذا اراد امرا هيا اسبابه **انه هو العليم** بمصالح عباده **الحكيم** في جميع افعاله قال اصحاب الاخبار والتواريخ ان يعقوب عليه السلام اقام عند يوسف بمصر اربعا وعشرين سنة في امنا عيش وانعم بال واحسن حال فلما حضرته الوفاة اوصى الى ابنه يوسف ان يحمل جسده حتى يدفنه عند قبر ابيه اسحاق بالارض المقدسة بالشام فلما مات يعقوب بمصر فعل يوسف ما امره به ابوه فحمل جسده في تابوت من ساج حتى قدم به الشام فوافق ذلك موت العيص اخي يعقوب وكانا قد ولدا في بطن واحد فدفنا في قبر واحد وكان عمرهما ماية وسبعة واربعين سنة فلما دفن يوسف اباه وعمه ورجع الى مصر فلما جمع الله شمل يوسف عليه السلام بابيه واخوته علم ان نعيم الدنيا زايل سريع الفنا لا يدوم فسال الله حسن العاقبة والخاتمة الصالحة فقال **رب** اي يا رب **قد اتيتني من الملك** يعني ملك مصر ومن هنا للتبعيض لانه لم يوت ملك مصر كله بل كان له شريك فوقه ملك اخر والملك عبارة عن الاتساع في المقدور لمن له السياسة والتدبير **وعلمتني من تاويل الاحاديث** يعني تعبير الرؤيا **فاطر السموات والارض** يعني خالقهما ومبدعهما على غير مثال سبق واصل الفطر الشق يقال انفطر ناب البعير اذا انشق وظهر وفطر الله الخلق اوجدهم وابدعهم **انت وليي** يعني انت معيني ومتولي امري في الدنيا والاخرة **توفني مسلما** اي اقبضني اليك مسلما واختلفوا هل هو طلب للوفاة في الحال ام لا على قولين احدهما انه سال الله تعالى الوفاة في الحال قال قتادة لم يسال نبي من الانبيا الموت الا يوسف قال اصحاب هذا القول وانه لم يات عليه اسبوع حتى توفاه الله القول الثاني انه سال الوفاة على الاسلام ولم يتمن الموت في الحال قال الحسن انه عاش بعد هذا سنين كثيرة فعلى هذا القول يكون معنى الاية توفني اذا توفيتني على الاسلام فهو طلب لان يجعل الله وفاته على الاسلام وليس في هذا اللفظ ما يدل على انه طلب الوفاة في الحال قال بعض العلما وكلا القولين محتمل لان اللفظ صالح للامرين ولا يبعد من الرجل العاقل الكامل ان يتمنى الموت لعلمه بان الدنيا ولذاتها فانية زايلة سريعة الذهاب وان نعيم الاخرة باق دايم لا انفاد له ولا زوال ولا يمنع من هذا قوله صلى الله عليه وسلم لا يتمنى احدكم الموت لضر نزل به فان تمني الموت عند نزول الضر ونزول البلا مكروه والصبر عليه اولى وقوله **والحقني بالصالحين** اراد به درجة ابايه وهم ابرهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب عليهم السلام قال علما التاريخ عاش يوسف عليه السلام ماية وعشرين عاما وفي التوراة ماية وعشر سنين

وولد ليوسف عليه السلام من امراة العزيز افرايم ومنشا ورحمة زوجة ايوب وقيل
عاش بعد ابيه ستين سنة وقيل اكثر ولما مات يوسف عليه السلام دفنوه
في النيل في صندوق من رخام وقيل من حجارة المرمر وذلك انه لما مات تشاح
الناس فيه فطلب كل اهل محلة ان يدفن في محلتهم رجاء بركته حتى هموا ان يقتتلوا
ثم ارادوا ان يدفن في محلتهم في النيل بحيث يجري عليه الما ويتفرق عنه فتصل
بركته الى جميعهم وقال عكرمة انه دفن في الجانب الايمن من النيل فاخصب ذلك
الجانب واجدب الجانب الاخر فنقل الى الجانب الايسر فاخصب واجدب الجانب
الايمن فدفنوه في وسط النيل وقدروه بسلسلة فاخصب الجانبان فبقي الى
ان اخرجه موسى عليهما السلام وحمله معه حتى دفنه بقرب ابايه بالشام
في الارض المقدسة قوله عز وجل **ذلك** يعني الذي ذكرت لك يا محمد من قصة
يوسف وما جرى له مع اخوته الى ان صار الملك بعد الرق **من انباء الغيب**
يعني اخبار الغيب **نوحيه اليك** يعني الذي اخبرناك به من اخبار يوسف وحي
اوحيناه اليك يا محمد وفي هذه الاية دليل قاطع على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
لانه كان رجلا اميا لم يقرا الكتب ولم يلق العلما ولم يسافر الى بلد غير بلده
الذي نشا فيه وانه صلى الله عليه وسلم نشا بين امة امية مثله ثم انه صلى الله
عليه وسلم اتى بهذه القصة الطويلة على احسن ترتيب وابين معان وافصح عبارة
علم بذلك ان الذي اتى به هو وحي ونور قدسي سماوي فهو معجزة له باقية الى اخر
الدهر وقوله تعالى **وما كنت لديهم** يعني وما كنت يا محمد عند اولاد يعقوب **اذ**
اجمعوا امرهم يعني حين عزموا على القا يوسف في الجب **وهم يمكرون** يعني
بيوسف **وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين** الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
والمعنى وما اكثر الناس يا محمد ولو حرصت على ايمانهم بمؤمنين وذلك ان اليهود
وقريشا سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة يوسف فلما اخبرهم بها
على وفق ما عندهم في التوراة ولم يسلموا احزن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقيل له انهم لا يؤمنون ولو حرصت على ايمانهم ففيه تسلية له **وما تسالهم**
عليه من اجر يعني على تبليغ الرسالة والدعا الى الله تعالى من اجر يعني اجرا وجعلا
على ذلك **ان هو** اي ما هو يعني القران **الا ذكر** يعني عظة وتذكيرا **للعالمين**
وكاين من اية يعني وكم من اية دالة على التوحيد **في السموات والارض يمرون عليها**
يعني لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها **وهم عنها معرضون** اي لا يلتفتون اليها
والمعنى ليس اعراضهم عن هذه الايات الدالة على وحدانية الله تعالى باعجب من
اعراضهم عنك يا محمد قوله **وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون** يعني ان من ايمانهم
انهم اذا سئلوا من خلق السموات والارض قالوا الله واذا قيل لهم من ينزل المطر
قالوا الله وهم مع ذلك يعبدون الاصنام وفي رواية عن ابن عباس انهم يقرون
ان الله خالقهم فذلك ايمانهم وهم يعبدون غيره فذلك شركهم وفي رواية اخرى

عنه

عنه انها نزلت في تلبية مشركي العرب وذلك انهم كانوا يقولون لبيك لبيك لا
شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك وقال عطا هذا في الدعا وذلك ان
الكفار نسوا ربهم في الرخا فاذا اصابهم البلا اخلصوا في الدعا **افامنوا ان تاتيهم**
غاشية من عذاب الله يعني عقوبة مجللة تعمهم وقال مجاهد عذاب يغشاهم
وقال قتادة وقيعة وقال الضحاك يعني الصواعق والقوارع **او تاتيهم**
الساعة بغتة يعني فجاة **وهم لا يشعرون** يعني بقيامها قال ابن عباس تهيج
الناس في اسواقهم **قل** اي قل يا محمد لهولا **هذه سبيلي** يعني طريقي التي ادعو
اليها وهي توحيد الله عز وجل ودين الاسلام وسمي الدين سبيلا لانه الطريق
المودي الى الله عز وجل والى الثواب والجنة **الى الله على بصيرة** يعني الى توحيد
الله والايمان به على بصيرة يعني على يقين ومعرفة والبصيرة هي المعرفة التي يميز
بها بين الحق والباطل **انا ومن اتبعني** يعني ومن امن بي وصدق بما جئت به ايضا
يدعو الى الله وهذا قول الكلبي وابن زيد قال حق على من اتبعه وامن به ان يدعو
الى ما دعا اليه ويذكر بالقران ثم الكلام عند قوله ادعو الى الله ثم استانف
على بصيرة انا ومن اتبعني يعني اني على بصيرة ومن اتبعني ايضا على بصيرة قال ابن عباس
يعني اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا على احسن طريقة وافضل هداية
وهم معدن العلم وكنز الايمان وجند الرحمن وقال ابن مسعود من كان
مستنا فليستن بمن قد مات اولئك اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا خير
هذه الامة ابرها قلوبا واعمقها علما واقلها تكلفا قوم اختارهم الله تعالى
لصحبة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ونقل دينه فتشبهوا باخلاقهم وطرائقهم
فهولاء كانوا على الهدى المستقيم وقوله **وسبحان الله** يعني وقل سبحان الله
يعني تنزيها لله عما لا يليق بجلاله من جميع العيوب والنقايص والشركا والاضداد
والانداد **وما انا من المشركين** يعني وقل يا محمد وما انا من الذين اشركوا بالله
غيره قوله تعالى **وما ارسلنا من قبلك الا رجالا** يعني وما ارسلنا قبلك يا محمد
الا رجالا امثالك ولم يكونوا ملايكة **يوحى اليهم** هذا جواب لاهل مكة حيث قالوا
لا يبعث الله ملكا والمعنى كيف تعجبوا من ارسالنا اياك يا محمد وساير الرسل الذين
كانوا من قبلك بشر مثلك حالهم كحالك **من اهل القرى** يعني انهم من اهل الامصار
والمدن لا من اهل البوادي لان اهل الامصار افضل واعلم واكمل عقلا من اهل
البوادي قال الحسن لم يبعث الله نبيا من بدو ولا من الجن ولا من النسا وقيل
انما لم يبعث نبيا من البادية لغلظهم وجفاهم **افلم يسيروا في الارض** يعني هولا
المشركين المكذبين **فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم** يعني كان عاقبتهم
الهلاك لما كذبوا رسلنا فليعتبر هولاء بهم وبما حل بهم من عذابنا **ولدار الاخرة**
خير للذين اتقوا يعني فعلنا هذا باوليائنا واهل طاعتنا ان انجيناهم عند نزول
العذاب بالامم المكذبة وما في الدار الاخرة خير لهم يعني الجنة لانها خير من الدنيا

وانما اضاف الدار الى الاخرة وان كانت هي الجنة لان العرب تضيف الشي الى نفسه
كقولهم حق اليقين والحق هو اليقين نفسه **افلا يعقلون** يعني يتفكرون ويعتبرون
بهم فيومنون قوله عز وجل **حتى اذا استياس الرسل** قال صاحب الكشاف
حتى متعلقة بمحذوف دل عليه الكلام كانه قال وما ارسلنا من قبلك الا رجالا
يوحي اليهم فتراخى نصرهم حتى اذا استياسوا عن النصر وقال الواحدي حتى هنا
حرف من حروف الابتدا يستانف بعدها ومعنى استياس الرسل اي من ايمان قومهم
وظنوا انهم قد كذبوا قرا اهل الكوفة وهم عاصم وحمزة والكسائي كذبوا بالتخفيف
ووجه هذه القراءة على ما قاله الواحدي ظن الامم ان معناه ظن الامم ان الرسل
قد كذبوهم فيما اخبروهم به من نصر الله اياهم واهلاك اعدائهم وهذا معنى قول ابن
عباس وابن مسعود وسعيد بن جبير ومجاهد وقال اهل المعاني كذبوا من قولهم
كذبتك الحديث اي لم اصدقك ومنه قوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله قال
ابو علي والضمير في قولهم وظنوا على هذه القراءة للمرسل اليهم والتقدير وظن المرسل
اليهم ان الرسل قد كذبوهم فيما اخبروهم به من نصر الله اياهم واهلاك اعدائهم وهذا
معنى قول ابن عباس انهم لم يومنوا بهم حتى نزل بهم العذاب وانما ظنوا ذلك لما شاهدوا
من امهال الله اياهم ولا يمتنع حمل الضمير في وظنوا على المرسل اليهم وان شئت قلت
ان ذكرهم قد جرى في قوله افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين
من قبلهم فيكون الذين من قبلهم مكذبي الرسل وظن هنا على معنى التوهم والحسبان
وهذا معنى ما روي عن ابن عباس انه قال في الاجابة حتى اذا استياس الرسل من
قومهم الاجابة وظن قومهم ان الرسل قد كذبوا فيما وعدوا من نصرهم واهلاك
من كذبهم وقيل معناه وتيقن الرسل انهم قد كذبوا في وعد قومهم اياهم الايمان
اي وعدوا ان يومنوا ثم لم يومنوا وقال صاحب الكشاف وظنوا انهم قد كذبوا
اي كذبتهم انفسهم حين حدثتهم بانهم لا ينصرون او رجاوهم كقولهم رجا صادق
ورجا كاذب والمعنى ان مدة التكذيب والعداوة وانتظار النصر من الله تعالى
وتاميله قد تطاولت عليهم وتمادت حتى استشعروا القنوط وتوهموا ان لا نصر لهم
في الدنيا فجاءهم نصرنا فجاة من غير احتساب وعن ابن عباس وظنوا حين ضعفوا
وغلبوا انهم قد اخلفوا ما وعدهم الله من النصر فقال وكانوا بشرا وتلا قوله وزلزلوا
حتى يقول الرسول والذين امنوا معه متى نصر الله قال صاحب الكشاف فان صح
هذا عن ابن عباس فقد اراد بالظن ما يخطر بالبال ويهجس في القلب من شبه
الوسوسة وحديث النفس على ما عليه البشرية واما الظن الذي هو ترجيح احد الجانبين
على الاخر فغير جائز على رجل من المسلمين فما بال الرسل الذين هم اعرف الناس
بربهم وانه متعال عن خلف الميعاد وحكى الواحدي عن ابن الانباري انه قال هذا
غير معول عليه من جهتين احدهما ان التفسير فيه ليس عن ابن عباس لكنه من
متاول تاوله عليه والاخرى ان قوله جاءهم نصرنا لا نه على ان اهل الكفر لما

ظنوا ما لا يجوز مثله واستضعفوا رسل الله نصر الله الرسل ولو كان الظن للرسل
كان ذلك خطا عظيما لا يستحقون نصرا ولا ظفرا وتنزيه الانبيا وتطهيرهم
واجب علينا اذا وجدنا الى ذلك سبيلا وقرا الباقون وهم نافع وابن كثير
وابو عمرو وابن عامر وظنوا انهم قد كذبوا بالتشديد ووجهه ظاهر
وهو معناه حتى اذا استياس الرسل من ايمان قومهم وظنوا يعني وايقنوا يعني
الرسل ان الامم قد كذبوهم تكذيبا لا يرجى بعده ايمانهم والظن بمعنى اليقين
وهذا معنى قول قتادة وقال بعضهم معناه حتى اذا استياس الرسل ممن كذبهم
من قومهم ان يصدقوهم وظنوا ان من امن بهم من قومهم قد فارقوهم وارتدوا عن
دينهم لشدة المحنة والبلا واستبطاء النصر واتاهم النصر وعلى هذا القول
الظن بمعنى الحسبان والتكذيب مظنون من جهة من امن بهم يعني وظنت الرسل
ظن حسبان ان من امن بهم قد كذبهم في وعدهم الظفر والنصر لابطائه وتاخره
عنهم وطول البلا بهم لا انهم كذبوهم كونهم رسلا وقيل ان هذا التكذيب لم يحصل
من اتباعهم المومنين لانه لو حصل لكان نوع كفر ولكن الرسل ظنت بهم ذلك لبطو
النصر على هذا القول الظن بمعنى اليقين والتكذيب المتيقن هو من جهة الكفار
وعلى القولين جميعا الكناية في وظنوا للرسل خ عن عروة بن الزبير انه سال
عائشة عن قوله تعالى حتى اذا استياس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا او كذبوا
قالت بل كذبهم قومهم فقالت والله لقد استيقنوا انهم قد كذبوهم وما هو بالظن
فقالت يا عروة اقبل لقد استيقنوا بذلك فقلت لعلها قد كذبوا فقالت
معاذ الله لم تكن الرسل تظن ذلك بربها قلت فما هذه الاية قالت هم اتباع
الرسل الذين امنوا بربهم وصدقوهم وطال عليهم البلا واستاخر عنهم النصر حتى
اذا استياست الرسل ممن كذبهم عن قومهم وظنوا ان اتباعهم كذبوهم جاءهم
نصر الله عند ذلك وفي رواية عبيد الله بن عبيد الله بن ابي مليكة قال قال
ابن عباس حتى اذا استياس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا خفيفة قال ذهب بها هنالك
وتلا حتى يقول الرسول والذين امنوا معه متى نصر الله الا ان نصر الله قريب قال
فلقيت عروة ابن الزبير فذكرت ذلك له فقال قالت عائشة معاذ الله والله
ما وعد الله رسوله من شي قط الا علم انه كائن قبل ان يموت ولكن لم يزل البلا بالرسل
حتى خافوا ان يكون من معهم من قومهم يكذبونهم وكانت تقروها وظنوا انهم قد كذبوا
مثقلة وقوله تعالى **جاءهم نصرنا** يعني جاء نصر الله النبيين **فنجي من نشا**
يعني من عبادنا عند نزول العذاب بالكافرين فنجي المومنين المطيعين **ولا يرد باسنا**
يعني عذابنا **عن القوم المجرمين** يعني المشركين قوله تعالى **لقد كان في قصصهم**
يعني في خبر يوسف واخوته **عبرة** اي موعظة **لاولي الالباب** يعني يتعظ بها اولوا
العقول الصحيحة ومعنى الاعتبار والعبرة الحالة التي يتوصل بها الانسان من معرفة
المشاهد الى ما ليس بمشاهد والمراد منها التامل والتفكر ووجه الاعتبار بهذه

القصة ان الذي قدر على اخراج يوسف من الجب بعد القايه فيه واخراجه من السجن وتمليكه مصر بعد العبودية وجمع شمله بابيه واخوته بعد المدة الطويلة واليأس من الاجتماع لقادر على اعزاز محمد صلى الله عليه وسلم واعلاء كلمته واظهار دينه وان اخبار هذه القصة العجيبة جار مجرى الاخبار عن الغيوب فكانت معجزة لمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل ان الله تعالى قال اول السورة نحن نقص عليك احسن القصص وقال في اخرها لقد كان في قصصهم عبرة لاولى الالباب فدل على ان هذه القصة من احسن القصص وان فيها عبرة لمن اعتبر بها **ما كان حديثا يفترى** اي يعني ما كان هذا القران حديثا يفترى ويختلق لان الذي جاء به من عند الله وهو محمد صلى الله عليه وسلم لا يصح منه ان يفتريه او يختلقه لانه لم يقرا الكتب ولم يخالط العلماء ثم انه جاء بهذا القران المعجز فدل ذلك على صدقه وانه ليس بمفتر **ولكن تصديق الذي بين يديه** يعني ولكن تصديق الذي بين يديه من الكتب الالهية المنزلة من السماء من التوراة والانجيل وفيه اشارة الى ان هذه القصة وردت على الوجه الموافق لما في التوراة من ذكر قصة يوسف **وتفصيل كل شيء** يعني ان في هذا القران المنزل عليك يا محمد تفصيل كل شيء يحتاج اليه من الحلال والحرام والحدود والاحكام والقصص والمواعظ والامثال وغير ذلك مما يحتاج اليه العباد في امور دينهم ودنياهم **وهدى** يعني الى كل خير **ورحمة** يعني انزلناه رحمة **لقوم يؤمنون** لانهم هم الذين ينتفعون به والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الرعد وهي مكية

قال ابن الجوزي اختلفوا في نزولها على قولين احدهما انها مكية رواه ابو طلحة عن ابن عباس وبه قال الحسن وسعيد ابن جبير وقتادة وروى ابو صالح عن ابن عباس انها مكية الا ايتين احدهما قوله ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة والاخرى قوله ويقول الذين كفروا لست مرسلا والقول الثاني انها مدنية رواه عطا الخراساني عن ابن عباس وبه قال جابر بن زيد وروي عن ابن عباس انها مدنية الا ايتين وقال بعضهم المدني منها قوله هو الذي يريكم البرق الى قوله له دعوة الحق وهي ثلاث وقيل خمس واربعون اية وثمانماية وخمس وخمسون كلمة وثلاثة الاف وخمسماية وستة احرف **بسم الله الرحمن الرحيم**

قوله تعالى **المر** قال ابن عباس معناه انا الله اعلم وارى وروي عنه انه قال معناه انا الله الملك الرحمن **تلك ايات الكتاب** اشارة الى ايات السورة المسماة بالمر والمراد بالكتاب السورة اي ايات السورة الكاملة العجيبة في بابها ثم قال تعالى **والذي انزل اليك** يعني من القران كله هو الحق الذي لا مزيد عليه وقيل المراد بالاشارة في قوله تلك الاخبار والقصص التي قصصتها عليك هي ايات التوراة والانجيل والكتب الالهية القديمة المنزلة والذي انزل اليك يعني وهذا القران الذي انزل اليك **من ربك** يا محمد **الحق** اي هو الحق فاعتصم به وقال ابن عباس وقتادة اراد

بايات الكتاب القران والمعنى هذه الايات ايات الكتاب الذي هو القران ثم قال والذي انزل اليك من ربك الحق يعني وهذا القران الذي انزل اليك من ربك هو الحق الذي لا شك فيه ولا ريب **ولكن اكثر الناس لا يؤمنون** يعني مشركي مكة نزلت هذه الاية في الرد عليهم حين قالوا ان محمدا يقوله من تلقاء نفسه ثم ذكر من دلايل ربوبيته وعجايب قدرته ما يدل على وحدانيته فقال تعالى **الله الذي رفع السموات بغير عمد** جمع عمود وهي الاساطين والدعايم التي تكون تحت السقف في قوله تعالى **ترونها** قولان احدهما ان الروية ترجع الى السما والمعنى وانتم ترون السموات مرفوعة بغير عماد من تحتها يعني ليس من دونها دعامة تدعمها ولا من فوقها علاقة تمسكها والمراد نفي العمد بالكلية قال اياس بن معاوية السما مقبية على الارض مثل القبة وهذا قول الحسن وقتادة وجمهور المفسرين واحد الروايتين عن ابن عباس والقول الثاني ان الروية ترجع الى العمد والمعنى ان لها عمدا ولكن لا ترونها انتم ومن قال بهذا القول يقول ان عمدها على جبل قاف وجبل من زمرد محيط بالدنيا والسما عليه مثل القبة وهذا قول مجاهد وعكرمة والرواية الاخرى عن ابن عباس والقول الاول هو الصحيح وقوله **ثم استوى على العرش** تقدم تفسيره والكلام عليه في سورة الاعراف بما فيه كفاية **وسخر الشمس والقمر** يعني ذللهما لما يراد منهما من المنافع لخلقه فهما مقهوران يجريان على ما يريد **كل يجري لاجل مسمى** يعني الى وقت معلوم وهو وقت فنا الدنيا وزوالها وقال ابن عباس اراد بالاجل المسمى درجاتهما ومنازلهما يعني انهما يجريان في منازلهما ودرجاتهما الى غاية ينتهيان اليها ولا يجاوزانها وتحقيقه ان الله تعالى جعل لكل من الشمس والقمر سيرا خاصا الى جهة خاصة بمقدار خاص من السرعة والبطوء في الحركة **يدبر الامر** يعني انه تعالى يدبر امر العالم العلوي والسفلي ويصرفه ويقضيه بمشيئته وحكمته على اكمل الاحوال لا يشغله شان عن شان وقيل يدبر الامر بالايجاد والاعدام والاحيا والاماتة فتبين دليل على كمال القدرة والرحمة لان جميع العالم محتاجون الى تدبيره ورحمته داخلون تحت قهره وقضايه وقدرته **يفصل الايات** يعني انه تعالى يبين الايات الدالة على وحدانيته وكمال قدرته وقيل ان الدلايل الدالة على وجود الصانع قسمان الاول الموجودات المشاهدة وهي خلق السموات وما فيها من العجايب واحوال الشمس والقمر وساير النجوم وهذا قد تقدم ذكره والقسم الثاني الموجودات الحادثة وهي الموت بعد الحياة والفقر بعد الغنا والضعف بعد القوة الى غير ذلك من احوال هذا العالم فكل ذلك مما يدل على وجود الصانع وكمال قدرته **لعلكم بلقاء ربكم توقنون** يعني انه تعالى ذكر هذه الدلايل الدالة على وجوده وكمال قدرته لكي توقنوا وتصدقوا بلقايه والمصير اليه بعد الموت لان من قدر على ايجاد الانسان بعد عدمه قادر على ايجاده واحيايه بعد موته واليقين صفة من صفات العلم

وهي فوق المعرفة والدراية وهو سكون الفهم مع ثبات الحكم وزوال الشك يقال
منه استيقن وايقن بمعنى علم قوله تعالى **وهو الذي مد الارض** لما ذكر الدلايل الدالة
على وحدانيته وكمال قدرته وهي رفع السموات بغير عمد وذكر احوال الشمس والقمر
اردفها بذكر الدلايل الارضية فقال وهو الذي مد الارض اي والله هو الذي مد
الارض وبسطها على وجه الما وقيل كانت الارض مجتمعة فمدها من تحت البيت الحرام
وهذا القول انما يصح اذا قيل ان الارض منسطحة لا كرة وعند اصحاب الهيئة
ان الارض كرة ويمكن ان يقال ان الكرة اذا كانت كبيرة عظيمة فكل قطعة منها تشاهد
ممدودة كالسطح الكبير العظيم فحصل الجمع ومع ذلك فالله تعالى قد اخبر انه مد
الارض وانه دحاها وانه بسطها وكل ذلك يدل على التسطيح والله تعالى اصدق
قيلا وابين دليلا من اصحاب الهيئة **وجعل فيها** يعني في الارض **رواسي** يعني
جبالا ثابتة يقال رسى الشي يرسو اذا ثبت وارساه غيره قال ابن عباس كان
ابو قبيس اول جبل وضع على الارض **وانهارا** يعني وجعل في الارض انهارا جارية لمنافع
الخلق **ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين** يعني صنفين اثنين احمر واصفر
وحلوا وحامضا **يغشي الليل النهار** يعني يلبس النهار بظلمة الليل ويلبس الليل
بضوء النهار **ان في ذلك** يعني الذي تقدم ذكره من عجايب صنعته وغرايب
قدرته الدالة على وحدانيته **لايات** اي لدلالات **لقوم يتفكرون** يعني
فيستدلون بالصنعة على الصانع وبالسبب على المسبب والفكر هو تصرف القلب
في طلب الاشيا وقال صاحب المفردات الفكر قوة مطرقة للعلم الى المعلوم والتفكر
جريان تلك القوة بحسب نظر العقل وذلك للانسان دون الحيوان ولا يقال
الا فيما يمكن ان يحصل له صورة في القلب ولهذا روي تفكروا في الا الله ولا تتفكروا
في الله اذ كان الله منزها ان يوصف بصورة وقال بعض الادبا الفكر مقلوب
عن الفرك لكن يستعمل الفكر في طلب المعاني وهو فرك الامور وبحثها طلبا للوصول
الى حقيقتها قوله عز وجل **وفي الارض قطع متجاورات** يعني متقاربات يقرب
بعضها من بعض وهي مختلفة في الطبايع فهذه طيبة تنبت وهذه سبخة لا تنبت
وهذه قليلة الريع وهذه كثيرة الريع **وجنات** يعني بساتين والجنة بستان
ذو شجر من نخيل واعناب وغير ذلك سمي جنة لانه يستتر باشجاره الارض واليه الاشارة
بقوله **من اعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان** جمع صنو وهي النخلات
يجمعهن من اصل واحد ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم في عمه العباس صنو ابيه
يعني انهما من اصل واحد وغير صنوان يعني النخلة المفردة باصلها فالصنوان المجتمع
وغير الصنوان المتفرق **تسقى بما واحد** اي يعني اشجار الجنات وزروعها والما
جسم رقيق مايع به حياة كل نام وقيل في حده جوهر سيال به قوام الارواح
ونفضل بعضها على بعض في الاكل يعني في الطعم ما بين الحلو والحامض والعفص
وغير ذلك من الطعوم عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى ونفضل

بعضها على بعض في الاكل قال الدقل والفارسي والحلو والحامض اخرجه الترمذي
وقال حديث حسن غريب قال مجاهد كمثل بني آدم صالحهم وخبيثهم وابوهم واحد
وقال الحسن هذا مثل ضربه الله لقلوب بني آدم كانت الارض طينة واحدة في يد
الرحمن فسطحها فصارت قطعا متجاورات فينزل عليها ما السما فتخرج هذه زهرتها
وثمرتها وشجرها وتخرج نباتها وتخرج هذه سبخها وملحها وخبيثها وكل يسقى بما واحد
فلو كان الما مالحا قيل انما هذا من قبل الما كذلك الناس خلقوا من آدم فينزل
عليهم من السما تذكرة فترق قلوب قوم فتخشع وتخضع وتقسو قلوب قوم فتلهو
ولا تسمع وقال الحسن والله ما جالس القرآن احد الا قام من عنده بزيادة او
نقصان قال الله تعالى وننزل من القرآن ما هو شفا ورحمة للمومنين ولا يزيد
الظالمين الا خسارا وقوله تعالى **ان في ذلك** يعني الذي ذكرت **لايات لقوم
يعقلون** يعني فيتدبرون ويتفكرون في الايات الدالة على وحدانيته قوله
تعالى **وان تعجب فعجب قولهم** العجب تغير النفس برؤية المستبعد في العادة وقيل العجب
حالة تعرض للانسان عند الجهل بالسبب ولهذا قال بعض الحكما العجب ما لا يعرف
سببه ولهذا قيل العجب في حق الله محال لانه تعالى علام الغيوب لا يخفى عليه
خافية والخطاب في الاية للنبي صلى الله عليه وسلم ومعناه انك يا محمد ان تعجب
من تكذيبهم لك بعد ان كنت عندهم تعرف بالصادق الامين فعجب امرهم وقيل
معناه وان تعجب من اتخاذ المشركين ما لا يضرهم ولا ينفعهم الهة يعبدونها مع
اقرارهم بان الله تعالى خالق السموات والارض وهو يضر وينفع وقدرا وامن قدرة
الله وما ضرب لهم به الامثال فعجب قولهم وقيل وانك ان تعجب من انكارهم النشاة
الاخرة والبعث مع الموت مع اقرارهم بان ابتدا الخلق من الله فعجب قولهم وذلك ان
المشركين كانوا ينكرون البعث بعد الموت مع اقرارهم بان ابتدا الخلق من الله وقد تقرر
في النفوس ان الاعادة اهون من الابتدا فهذا موضع التعجب وهو قولهم **ايذا كنا
ترابا** يعني بعد الموت **اينا لفي خلق جديد** يعني نعاد خلقا جديدا بعد الموت كما كنا
قبله ثم ان الله تعالى قال في حقهم **اولئك الذين كفروا بربهم** وفيه دليل على
ان كل من انكر البعث بعد الموت فهو كافر بالله تعالى لان من انكر البعث بعد الموت
فقد انكر القدرة وان الله على كل شي قدير ومن انكر ذلك فهو كافر **واولئك الاغلال
في اعناقهم** يعني يوم القيامة والاغلال جمع غل وهو طوق من حديد يجعل في
العنق وقيل اراد بالاغلال ذلهم وانقيادهم يوم القيامة كما يقال للاسير ذليل
بالغل **واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون** يعني انهم مقيمون فيها لا يخرجون
منها ولا يموتون **ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة** الاستعجال طلب تعجيل
الامر قبل مجي وقته والمراد بالسيئة هنا العقوبة وبالحسنة العافية وذلك
ان مشركي مكة كانوا يطلبون العقوبة بدلا من العافية استهزا منهم وهو
قولهم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السما او ايتنا

بعذابهم **وقد خلت من قبلهم المثلات** يعني وقد مضت في الامم المكذبة بالعقوبات
بسبب تكذيبهم رسلهم والمثلة بفتح الميم وضم الثا نقمة تنزل بالانسان فيجعل
مثالا لاين ندع غيره به وذلك كالنكال وجمعه مثلات ومثلات بفتح الميم وضمها
مع ضم الثا فيهما لغتان **وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم** قال ابن عباس
معناه انه لذو تجاوز عن المشركين اذا امنوا **وان ربك لشديد العقاب** يعني
للمصرين على الشرك الذي ما توا عليه وقال مقاتل انه لذو تجاوز عن شركهم في
تاخير العذاب عنهم وانه لشديد العقاب اذا عاقب **ويقول الذين كفروا** يعني
من اهل مكة **لولا** اي هلا **انزل عليه** يعني محمدا صلى الله عليه وسلم **اية من ربه**
يعني مثل عصى موسى وناقة صالح وذلك انهم لم يقتنعوا بما راوا من الايات التي جا
بها النبي صلى الله عليه وسلم **انما انت منذر** يعني ليس عليك يا محمد الا الانذار
والتخويف وليس لك من الايات شي **ولكل قوم هاد** قال ابن عباس الهادي
هو الله وهذا قول سعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد والضحاك والنخعي والمعنى
انما اليك الانذار يا محمد والهادي هو الله تعالى يهدي من يشا وقال عكرمة
في رواية اخرى عنه وابو الضحى الهادي هو رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى
انت منذر وانت هادي وقال الحسن وقتادة وابن زيد يعني ولكل قوم نبي
يهديهم وقال ابو العالية الهادي هو العمل الصالح وقال ابو صالح الهادي هو القائد
الى الخير والى الشر قوله عز وجل **الله يعلم ما تحمل كل انثى** لما سالوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم الايات اخبرهم الله عن عظيم قدرته وكمال علمه وانه عالم بما
تحمل كل انثى يعني من ذكر او انثى سوي الخلق او ناقص الخلق واحدا او اثنين او اكثر
وما تغيض يعني وما تنقص **الارحام وما تزداد** قال اهل التفسير
غيض الارحام الحيض على الحمل فاذا حاضت الحامل كان ذلك نقصانا في الولد
لان دم الحيض هو غذا الولد في الرحم فاذا خرج الدم نقص الغذا فينقص الولد
واذا لم تحض يزداد الولد ويتم فالنقصان نقصان خلقة الولد بخروج الدم
والزيادة تمام خلقته باستمساك الدم وقيل اذا حاضت المراة في وقت
حملها ينقص الغذا ويزداد مدة الحمل حتى تستكمل تسعة اشهر طاهرة فان
زادت خمسة ايام وما وضعت لتسعة اشهر وخمسة ايام فالنقصان في الغذا
والزيادة تمام الحمل وقيل النقصان السقط والزيادة تمام الخلق وقال الحسن
غيضها نقصانها من تسعة اشهر والزيادة زيادتها على تسعة اشهر فاقل مدة
الحمل ستة اشهر وقد يولد لهذه المدة ويعيش واختلفوا في اكثره فقال قوم
اكثر مدة الحمل سنتان وهو قول عايشة وبه قال ابو حنيفة وقيل ان الضحاك
ولد لسنتين وقال جماعة اكثرها اربع سنين واليه ذهب الشافعي قال حماد
ابن ابي سلمة انما سمي هرم بن حيان هرما لانه بقي في بطن امه اربع سنين وعند
مالك ان اكثر مدة الحمل خمس سنين **وكل شي عنده بمقدار** يعني بتقدير وحد لا يجاوزه

ولا

ولا ينقص منه وقيل انه تعالى يعلم كمية كل شي وكيفيته على اكمل الوجوه وقيل معناه
انه خصص كل حادثة من الحوادث بوقت معين وحالة معينة وذلك بمشيئته
الازلية وارادته وتقديره الذي لا يقدر عليه غيره **عالم الغيب والشهادة**
يعني انه تعالى يعلم ما غاب عن خلقه وما يشاهدوه وقيل الغيب هو المعدوم
والشاهد هو الموجود وقيل الغيب ما غاب عن الحس والشهادة ما حضر في الحس
الكبير اي العظيم الذي يصغر كل كبير بالاضافة الى عظمته وكبريايه فهو يعود
الى معنى كبر قدره وانه تعالى المستحق لصفات الكمال **المتعال** يعني المنزه عن
صفات النقص المتعالي عن الخلق وفيه دليل على انه تعالى موصوف بالعلم الكامل
والقدرة التامة وتنزيهه عن جميع النقايص قوله تعالى **سوا منكم من اسر
القول ومن جهر به** اي مستو منكم من اخفى القول وكتمه ومن اظهره واعلنه والمعنى
انه قد استوى في علم الله تعالى المسر بالقول والجاهر به **ومن هو مستخف بالليل**
اي مستتر بظلمته **وسارب بالنهار** اي ذاهب في سربه ظاهرا والسرب بفتح السين
وسكون الرا الطريق وقال القتيبي السارب المتصرف في حوايجه قال ابن عباس
في هذه الاية هو صاحب ريبة مستخف بالليل فاذا خرج بالنهار راي الناس
انه بري من الاثم وقيل مستخف بالليل ظاهر من قولهم خفيت الشي اذا كتمته
وسارب بالنهار اي متوار داخل في سرب مستخفيا ومعنى الاية سوا ما اضمرت به
القلوب وانطلقت به الالسن وسوا من اقدم على القبايح مستترا في ظلمات الليل
او اتى بها ظاهرا في النهار فان علمه تعالى محيط بالكل **له معقبات** يعني لله ملايكة
يتعاقبون بالليل والنهار فاذا صعدت ملايكة الليل عقبتها ملايكة النهار والتعقيب
العود بعد البدا وانما ذكر معقبات بلفظ التانيث وان كان الملايكة ذكورا لان
واحدها معقب وجمعه معقبة ثم جمع المعقبة معقبات كما قيل ابناوات سعد
ورجالات بكر **ق** عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يتعاقبون فيكم
ملايكة بالليل وملايكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ثم
يعرج الذين باتوا فيكم فيسالهم وهو اعلم بكم كيف تركتم عبادي فيقولون
تركناهم وهم يصلون واتيناهم وهم يصلون وقيل ان مع كل واحد من بني ادم ملكان
ملك عن يمينه وهو صاحب الحسنات وملك عن شماله وهو كاتب السيات وكاتب
الحسنات امين على كاتب السيات فاذا عمل العبد حسنة كتبها له بعشر امثالها
واذا عمل سيئة قال صاحب الشمال لصاحب اليمين اكتبها عليه فيقول انظره لعله
يتوب او يستغفر فيستاذنه ثلاث مرات فاذا هو تاب منها والا قال له اكتبها
عليه سيئة واحدة وملك موكل بناصية العبد فاذا تواضع العبد لله عز وجل رفعه
بها وان تجبر على الله وضعه بها وملك موكل بعينيه يحفظهما من الاذى وملك موكل
بفيه لا يدعه يدخل فيه شي من الهوام يوذيه فهولا خمسة املاك موكلون بالعبد
في ليله وخمسة غيرهم في نهاره فانظر الى عظمة الله وقدرته وكمال شفقته عليه ايها العبد

المسكين وهو قوله تعالى **من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله** يعني يحفظون العبد
من بين يديه ومن وراء ظهره ومعنى من امر الله بامر الله واذنه ما لم يجئ المقدر
خلوا عنه وقيل معناه انهم يحفظونه مما امر الله به من الحفظ قال مجاهد ما من
عبد الا وملك موكل به يحفظه في نومه ويقظته من الجن والانس والهوام فما
منهم شيء يأتيه يريده الا قال له الملك وراءك الا شيء يأذن الله فيه فيصيبه
قال كعب الاحبار لولا ان الله تعالى وكل بكم ملائكة يذبون عنكم في مطعمكم ومشربكم
وعوراتكم لتخطفكم الجن وقال ابن جريج معنى يحفظونه اي يحفظون عليه
الحسنات والسيئات وهذا على قول من يقول ان الاية في الملكين القاعدين
عن اليمين والشمال يكتبان الحسنات والسيئات وقال عكرمة الاية في الامراء
وحرسهم يحفظونهم من بين ايديهم ومن خلفهم والضمير في قوله له راجع الى النبي
صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس في معنى هذه الاية لمحمد صلى الله عليه وسلم
حراس من الرحمن من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من شر الجن وطوارق
الليل والنهار وقال عبد الرحمن بن زيد نزلت هذه الاية في عامر بن الطفيل
واربد بن ربيعة وكانت قصتهما على ما رواه الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس
قال اقبل عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة وهما عامريان يريدان رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد في نفر من اصحابه فدخلا المسجد فاستشرف
الناس لجمال عامر وكان من اجمل الناس وكان اعور فقال رسول الله هذا عامر بن
الطفيل قد اقبل نحوك فقال دعه فان يرد الله به خيرا يهده فاقبل حتى قام
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا محمد ما لي ان اسلمت قال لك ما للمسلمين
وعليك ما على المسلمين قال تجعل لي الامر بعدك قال ليس ذلك الي انما ذلك الى الله
يجعله حيث يشاء قال فتجعلني على الوبر وانت على المدر قال لا قال فما تجعل لي
قال اجعل لك اعنة الخيل تغزو عليها قال او ليس ذلك الي اليوم قم معي اكلمك
فقام معه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عامر قد اومى الى اربد بن ربيعة
اذا رأيتني اكلمه فدر من خلفه فاضربه بالسيف فجعل عامر يخاصم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ويراجعه ودار اربد من خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضربه
فاخترط شبرا من سيفه ثم حبسه الله تعالى عليه فلم يقدر على سله وجعل عامر يومي
اليه فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى اربد وما صنع بسيفه فقال
اللهم اكفنيهما بما شئت فارسل الله على اربد صاعقة في يوم صحو قائظ فاحرقته وولى
عامر هاربا وقال يا محمد دعوت ربك فقتل اربد والله لاملانها عليك خيلا ورجالا
جردا وفتيانا مردا فقال النبي صلى الله عليه وسلم يمنعك الله من ذلك وابناء قيلة يريد
الاوس والخزرج فنزل عامر بيت امرأة سلولية فلما اصبح ضم عليه سلاحه فخرج له
خراج في اصل اذنه اخذه منه مثل النار فاشتد عليه فقال غدة كغدة البكر
وموت في بيت سلولية ثم ركب فرسه وجعل يركض في الصحراء ويقول ادن يا ملك

الموت وجعل يقول الشعر ويقول لان ابصرت محمدا وصاحبه يعني ملك الموت لانفذتهما
برمحي فارسل الله ملكا فلطمه فارداه في التراب ثم عاد فركب واجراه حتى مات على ظهره
واجاب الله عز وجل دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في عامر بن الطفيل فمات بالطعن
واربد بن ربيعة مات بالصاعقة وانزل الله في شأن هذه القصة سواء منكم من اسر
القول ومن جهر به الى قوله له معقبات من بين يديه ومن خلفه يعني لرسول الله
صلى الله عليه وسلم معقبات يحفظونه من بين يديه ومن خلفه من امر الله اي
بامر الله وقيل ان تلك المعقبات من امر الله وفيه تقديم وتاخير تقديره له
معقبات من امر الله يحفظونه من بين يديه ومن خلفه وقوله **ان الله لا يغير**
ما بقوم خطاب لهذين عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة يعني لا يغير ما بقوم
من العافية والنعمة التي انعم بها عليهم **حتى يغيروا ما بانفسهم** يعني من الحالة
الجميلة فيعصون ربهم ويجحدون نعمه عليهم وهو قوله عز وجل **واذا اراد الله**
بقوم سوءا يعني هلاكا وعذابا **فلا مرد له** يعني لا يقدر احد يرد ما نزل
بهم من قضائه وقدره **وما لهم من دونه من وال** يعني وليس لهم من دون الله
من وال يلي امرهم ونصرهم ويمنع العذاب عنهم قوله عز وجل **هو الذي يريكم البرق**
خوفا وطمعا لما خوف الله عز وجل عباده بقوله واذا اراد الله بقوم سوءا
ذكر في هذه الاية من عظيم قدرته ما يشبه النعم من وجه ويشبه العذاب من وجه
فقال تعالى هو الذي يعني والله الذي يريكم البرق والبرق معروف وهو لمعان
يظهر من خلال السحاب وفي كونه خوفا وطمعا وجوه الاول ان عند لمعان البرق
يخاف من الصواعق ويطمع في نزول المطر الثاني انه يخاف من البرق من يتضرر بالمطر
كالمسافر ومن في جرينه يعني بيدره التمر والزبيب والقمح ونحو ذلك ويطمع فيه من له
في نزول المطر نفع ونحوه الثالث ان المطر يخاف منه اذا كان في غير مكانه وزمانه
والطمع فيما اذا كان في زمانه ومكانه فان من البلاد اذا امطرت قحطت واذا لم تمطر
اخصبت **وينشئ السحاب الثقال** يعني بالمطر يقال انشأ الله السحابة فنشأت
اي ابداها فبدت والسحاب جمع سحابة والسحابة غربال الماء قاله علي بن ابي طالب
رضي الله عنه وقيل السحاب الغيم فيه ماء او لم يكن فيه ماء ولهذا قيل سحاب
جهام وهو الخالي من الماء واصل السحب الجر وسمي السحاب سحابا اما لجر الريح له او لجره
الماء او لانجراره في سيره **ويسبح الرعد بحمده** اكثر المفسرين على ان الرعد اسم للملك
الذي يسوق السحاب والصوت المسموع منه تسبيحه واورد على هذا القول انه
عطف عليه **والملائكة من خيفته** واذا كان المعطوف مغايرا للمعطوف عليه وجب
ان يكون غيره واجيب عنه انه لا يبعد ان يكون الرعد اسما لملك من الملائكة وانما
افرده بالذكر تشريفا على غيره من الملائكة فهو كقوله وملائكته وجبريل وميكال
قال ابن عباس اقبلت يهود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا اخبرنا عن الرعد
ما هو قال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها حيث شاء

قالوا له ما هذا الصوت الذي نسمع قال زجره السحاب حتى ينتهي حيث أمر قالوا
صدقت أخرجه الترمذي مع زيادة فيه المخاريق جمع مخراق وهو في الأصل
ثوب يلف ويضرب الصبيان به بعضهم بعضًا وأراد به هنا آلة تزجر الملائكة السحاب
بها وقد جاء تفسيره في حديث آخر وهو سوط من نور تزجر به الملائكة السحاب
قال ابن عباس من سمع صوت الرعد فقال سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة
من خيفته وهو على كل شيء قدير فإن أصابته صاعقة فعلي ديته وقال عبد الله
ابن الزبير إذا سمع الرعد ترك الحديث وقال سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة
من خيفته وكان يقول إن الوعيد لأهل الأرض شديد وفي بعض الأخبار أن الله
تعالى يقول لو أن عبادي أطاعوني لسقيتهم المطر بالليل وأطلعت عليهم
الشمس بالنهار ولم أسمعهم صوت الرعد وروى جبير عن الضحاك عن ابن عباس
أنه قال إن الرعد ملك موكل بالسحاب يصرفه إلى حيث يؤمر وأنه يحوز الماء في نقرة
إبهامه وأنه يسبح الله فإذا سبح لا يبقى ملك في السماء إلا رفع صوته بالتسبيح
فعندها ينزل المطر وقيل إن الرعد اسم لصوت الملك الموكل بالسحاب ومع
ذلك فإن صوت الرعد تسبيح لله عز وجل لأن التسبيح والتقديس عبارة عن
تنزيه الله عز وجل عن جميع النقائص فكان وجود هذا الصوت المسموع من الرعد
وحدوثه دليلًا على وجود موجود خالق قادر منزه عن جميع النقائص وإلا لم
يكن ذلك في الحقيقة تسبيحًا ومنه قوله وإن من شيء إلا يسبح بحمده وقيل
المراد من تسبيح الرعد أن من سمعه سبح الله فلهذا المعنى أضيف التسبيح إليه
وقوله والملائكة من خيفته يعني ويسبح الملائكة من خيفة الله عز وجل
وهيبته وخشيته وقيل أراد بهؤلاء الملائكة أعوان السحاب جعل الله عز وجل
مع الملك الموكل بالسحاب أعوانًا من الملائكة فهم خائفون خاضعون طائعون
وقيل المراد بهم جميع الملائكة وحمله على العموم أولى **ويرسل الصواعق** جمع
صاعقة وهي العذاب النازل من البرق فتحرق من تصيبه وقيل هي الصوت الشديد
النازل من الجو ثم تكون فيه نار أو عذاب أو موت وهي في ذاتها شيء واحد وهذه
الأشياء الثلاثة تنشأ منها **فيصيب بها من يشاء** يعني بالصواعق من يشاء فيهلكه
بها كما أصاب أربد بن ربيعة قال محمد بن علي الباقر الصاعقة تصيب المسلم
وغير المسلم ولا تصيب الذاكر **وهم يجادلون في الله** يعني يخاصمون في الله
وقيل المجادلة المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة وأصله من جدلت الحبل
أي أحكمت فتله نزلت في شأن أربد بن ربيعة حين قال للنبي صلى الله عليه وسلم
مم ربك أمن در أم من ياقوت أم من ذهب فنزلت صاعقة من السماء فأحرقته وسئل
الحسن عن قوله ويرسل الصواعق الآية فقال كان رجل من طواغيت العرب بعث
إليه النبي صلى الله عليه وسلم نفرًا من أصحابه يدعونه إلى الله وإلى رسوله فقال
لهم أخبروني عن رب محمد هذا الذي يدعوني إليه هو من ذهب أم من فضة أم من

حديد أم من نحاس فاستعظم القوم كلامه فانصرفوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم
فقالوا يا رسول الله ما رأينا رجلًا أكفر قلبًا ولا أعتى على الله منه فقال ارجعوا
إليه فرجعوا إليه فلم يزدهم على مقالته الأولى شيئًا وقال أجيب محمدًا إلى رب لا
أراه ولا أعرفه فانصرفوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ما زادنا
على مقالته الأولى شيئًا فبينما هم عنده ينازعونه ويدعونه وهو لا يزيدهم على مقالته
شيئًا إذ ارتفعت سحابة فكانت فوق رؤوسهم فرعدت وبرقت ورمت بصاعقة
فأحرقت الكافر وهم جلوس عنده فرجعوا ليخبروا النبي صلى الله عليه وسلم
فاستقبلهم نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا لهم احترق صاحبكم
فقالوا من أين علمتم ذلك قالوا قد أوحي إلى النبي صلى الله عليه وسلم ويرسل الصواعق
فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله اختلفوا في هذه الواو فقيل هي
واو الحال فيكون المعنى فيصيب بها من يشاء في حال جداله في الله وذلك أن أربد
لما جادل في الله أحرقه الله بالصاعقة وقيل إنها واو الاستئناف فيكون المعنى
أنه تعالى لما تمم ذكر الدلائل قال بعد ذلك وهم يجادلون في الله **وهو شديد
المحال** أي شديد الأخذ بالعقوبة من قولهم محل به محلًا إذا أراد به سوءًا
وقيل هو من قولهم محل به إذا سعى به إلى السلطان وعرضه للهلاك وتمحل إذا تكلف
استعمال الحيلة واجتهد فيه فيكون المعنى أنه سبحانه وتعالى شديد المحال بأعدائه
حتى يهلكهم بطريق لا يعرفونه ولا يتوقعونه وقيل المحال من الحول والحيلة والميم
زائدة ثم اختلفت عبارات المفسرين في معنى قوله شديد المحال فقال الحسن
معناه شديد النقمة وقال قتادة ومجاهد شديد القوة وقال ابن عباس شديد
الحول وقيل شديد العقوبة وقيل معناه شديد الجدال وذلك أنه لما أخبرهم
أنهم يجادلون في الله أخبر أنه أشد جدالًا منهم فقوله تعالى **له دعوة الحق** يعني
لله دعوة الصدق قال علي دعوة الحق التوحيد وقال ابن عباس شهادة أن لا إله
إلا الله قال صاحب الكشاف دعوة الحق فيه وجهان أحدهما أن تضاف الدعوة إلى
الحق الذي هو نقيض الباطل كما تضاف الكلمة في قولك كلمة الحق للدلالة على أن الدعوة
ملابسة للحق مختصة به وأنها بمعزل عن الباطل والمعنى أن الله تعالى يدعى فيستجيب
الدعوة ويعطي الداعي سؤله إن كان مصلحة له فكانت دعوته ملابسة للحق لكونه
حقيقًا بأن توجه إليه الدعاء لما في دعوته من الجدوى والنفع بخلاف ما لا ينفع
فيه ولا يجدي دعاؤه والثاني أن تضاف إلى الحق الذي هو الله على معنى دعوة المدعو
الحق الذي يسمع فيجيب وعن الحسن الله هو الحق وكل دعاء إليه دعوة الحق فإن قلت
ما وجه اتصال هذين الوصفين بما قبله قلت أما على قصة أربد فظاهر لأن إصابته
بالصاعقة كانت بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه دعا عليه وعلى صاحبه
عامر بن الطفيل فاستجيب فيهما فكانت الدعوة دعوة حق وأما على قوله وهم يجادلون
في الله فوعيد للكفار على مجادلتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وإجابة دعائه إن دعا

عليهم وقيل في معنى الاية الدعا بالاخلاص والدعا الخالص لا يكون الا لله تعالى
والذين يدعون من دونه يعني والذين يدعونهم الهة من دون الله تعالى وهي
الاصنام التي يعبدونها لا يستجيبون لهم بشيء يعني لا يجيبونهم بما يريدونه
من نفع او دفع ضر ان دعوهم الا كباسط كفيه الى الما ليبلغ فاه وما هو ببالغه يعني
الا استجابة كاستجابة الما لمن بسط كفيه اليه يطلب منه ان يبلغ فاه والما جماد
لا يشعر ببسط كفيه ولا بعطشه ولا يقدر ان يجيب دعاه او يبلغ فاه وكذلك
ما يدعونه جماد لا يحس بدعايهم ولا يستطيع اجابتهم ولا يقدر على نفعهم وقيل
شبههم في قلة جدوى دعايهم لالهتهم بمن اراد ان يغرف الما بيديه ليشربه
فبسطهما ناشرا اصابعه فلم تلق كفاه منه شيا ولم يبلغ طلبته من شربه وقيل
ان القابض على الما ناشرا اصابعه لا يكون في يده منه شي وقيل شبهه بالرجل
العطشان الذي يرى الما بعينه من بعيد فهو يشير بكفيه الى الما ويدعوه بلسانه
فلا ياتيه ابدا هذا معنى قول مجاهد وعن عطا كالعطشان الجالس على شفير البير
وهو يمد يده الى البير فلا هو يبلغ قعر البير ليخرج الما ولا الما يرتفع اليه فلا ينفعه
بسط الكف الى الما ودعاوه له ولا هو يبلغ فاه كذلك الذين يدعون الاصنام
لا ينفعهم ذلك وقال ابن عباس كالعطشان اذا بسط كفيه الى الما لا ينفعه ذلك
ما لم يغرف بهما ولا يبلغ الما فاه ما دام باسط كفيه وهذا مثل ضربه الله للكفار
ودعايهم الاصنام وحين لا تنفعهم البتة ثم ختم هذا بقوله وما دعا الكافرين
يعني اصنامهم الا في ضلال يعني يضل عنهم اذا احتاجوا اليه وقال ابن عباس في
هذه الاية لان اصواتهم محجوبة عن الله تعالى قوله عز وجل ولله يسجد من في
السموات والارض طوعا وكرها في معنى هذا السجود قولان احدهما ان المراد منه
السجود على الحقيقة وهو وضع الجبهة على الارض ثم على هذا القول في الاية
وجهان احدهما ان اللفظ وان كان عاما الا ان المراد منه الخصوص فقوله ولله
يسجد من في السموات يعني الملايكة ومن في الارض من الانس يعني المومنين طوعا
وكرها يعني من المومنين من يسجد لله طوعا وهم المومنون المخلصون لله العبادة
وكرها يعني المنافقين الداخلين في المومنين وليسوا منهم فان سجودهم لله على
كره منهم لانهم لا يرجون على سجودهم ثوابا ولا يخافون على تركها عقابا بل
سجودهم وعبادتهم خوفا من المومنين الوجه الثاني وهو حمل اللفظ على العموم
وعلى هذا ففي اللفظ اشكال وهو ان جميع الملايكة من المومنين من الجن والانس
يسجدون لله طوعا ومنهم من يسجد له كرها كما تقدم واما الكفار من الجن والانس
فلا يسجدون لله البتة فهذا وجه الاشكال والجواب عنه انه يجب على كل من في
السموات ومن في الارض ان يسجد لله فعبر عن الوجوب بالوقوع والحصول
وجواب اخر وهو ان يكون المراد من هذا السجود الاعتراف بالعظمة والعبودية
وكل من في السموات من ملك ومن في الارض من انس ومن جن فانهم يقرون لله بالعبودية

والتعظيم ويدل عليه قوله تعالى ولين سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن
الله والقول الثاني في معنى هذا السجود وهو الانقياد والخضوع وترك الامتناع
وكل من في السموات والارض ساجد لله بهذا المعنى وهذا الاعتبار لان قدرته
ومشيته نافذة في الكل فهم خاضعون منقادون له وقوله تعالى وظلالهم بالغدو
والاصال الغدو والغدوة والغداة من اول النهار فقيل الى نصف النهار والغدوة
بالضم من طلوع الفجر الى طلوع الشمس والاصال جمع اصيل وهو العشية والاصال
العشايا جمع عشية وهو ما بين صلاة العصر الى غروب الشمس قال المفسرون ظل
كل شخص يسجد لله سوا ظل المومن والكافر وقال مجاهد ظل المومن يسجد لله طوعا
وهو طايع وظل الكافر يسجد لله كرها وهو كاره وقال الزجاج جا في التفسير
ان الكافر يسجد لغير الله وظله يسجد لله قال ابن الانباري لا يبعد ان يخلق الله تعالى
للظلال عقولا وافهاما تسجد بها وتخشع كما جعل للجبال افهاما حتى سجدت لله مع
داود وقيل المراد بسجود الظلال ميلانها من جانب الى جانب اخر وطولها وقصرها
بسبب ارتفاع الشمس ونزولها وانما خص الغدو والاصال بالذكر لان الظلال
تعظم وتكثر في هذين الوقتين وقيل لانهما طرفا النهار فيدخل وسطه فيما بينهما

فصل وهذه السجدة من عزايم التلاوة فيسن للقاري والمستمع
ان يسجد عند قراته واستماعه لهذه السجدة والله اعلم قوله تعالى قل من رب
السموات والارض اي قل يا محمد لهولا المشركين الذين يعبدون غير الله من رب
السموات والارض يعني من مالك السموات والارض ومن مدبرهما وخالقهما فسيقولون
الله لانهم مقرون بان الله خالق السموات والارض وما فيهما فاذا اجابوك بذلك
فقل انت يا محمد الله رب السموات والارض وقيل لما قال هذه المقالة للمشركين عطفوا
عليه وقالوا اجب انت فامره الله ان يجيبهم بقوله قل اي قل يا محمد الله وقيل انما
جا السوال والجواب من جهة واحدة لان المشركين لا ينكرون ان الله خالق كل شي
فلما لم ينكروا ذلك واجاب النبي صلى الله عليه وسلم بقوله الله فكانهم قالوا ذلك
ايضا ثم الزمهم الحجة على عبادتهم الاصنام بقوله قل اي قل يا محمد للمشركين افاتخذتم
من دونه يعني من دون الله اوليا يعني الاصنام لا يملكون يعني وهم لا يملكون
لانفسهم نفعا ولا ضرا فكيف لغيرهم ثم ضرب الله مثلا للمشركين الذين يعبدون
الاصنام والمومن الذي يعبد الله فقال تعالى قل هل يستوي الاعمى والبصير
قال ابن عباس يعني المشرك والمومن ام هل تستوي الظلمات والنور يعني الشرك
والايمان والمعنى كما لا يستوي الاعمى والبصير كذلك لا يستوي الكافر والمومن وكما
لم تستو الظلمات والنور كذلك لا يستوي الكفر والايمان وانما شبه الكافر بالاعمى
لانه لا يهتدي سبيلا كذلك الكافر لا يهتدي سبيلا ام جعلوا لله شركا
هذا استفهام انكار يعني جعلوا لله شركا خلقوا كخلقه يعني خلقوا سموات
وارضين وشمسا وقمرا وجبالا وبحارا وجنا وانسا فتشابه الخلق عليهم من هذا

والمعنى هل راوا غير الله خلق شيئا فاشتبه عليهم خلق الله بخلق غيره وقيل انه تعالى
وبخهم بقوله ام جعلوا لله شركا خلقوا كخلقه فتشابه خلق الشركا بخلق الله
عندهم وهذا استفهام انكار اي ليس الامر كذلك حتى يشتبه عليهم الامر بل اذا
تفكروا بعقولهم وجدوا الله تعالى هو المنفرد بخلق سائر الاشيا والشركا مخلوقون
له ايضا لا يخلقون شيئا حتى يشتبه خلق الله بخلق الشركا واذا كان الامر كذلك
فقد لزمهم الحجة وهو قوله **قل الله خالق كل شيء** اي قل يا محمد لهولا المشركين الله خالق
كل شيء مما يصح ان يكون مخلوقا وقوله الله خالق كل شيء من العموم الذي يراد به الخصوص
لان الله تعالى خلق كل شيء وهو غير مخلوق **وهو الواحد** يعني والله تعالى هو الواحد
المنفرد بخلق الاشيا كلها **القهار** لعباده حتى يدخلهم تحت قضايه وقدره
واراده قوله تعالى **انزل من السما ما** لما شبه الله عز وجل الكافر بالاعمى والمومن
بالبصير وشبه الكفر بالظلمات والايمان بالنور ضرب لذلك مثلا فقال تعالى انزل
من السما ما يعني المطر **فسالت اودية بقدرها** اودية جمع واد وهو الفرج بين
الجبلين يسيل فيه الما وقوله فسالت اودية فيه اتساع وحذف تقديره سال
في الوادي فهو كما يقال جري النهر والمراد جري الما في النهر فحذف المضاف لدلالة
الكلام عليه بقدرها قال مجاهد بملئها وقال ابن جريج الصغير بقدره والكبير
بقدره وقيل بمقدار ملئها وانما نكر اودية لان المطر اذا نزل لا يعم جميع الارض
ولا يسيل في كل الاودية بل ينزل في ارض دون ارض ويسيل في واد دون واد فلهذا
السبب جا هذا بالتنكير وقال ابن عباس انزل من السما ما يعني قرانا وهذا مثل
ضربه الله تعالى فسالت اودية بقدرها يريد ما الاودية القلوب شبه نزول القران
الجامع للهدى والنور والبيان بنزول المطر اذ نزل عم نفعه وكذلك القران وشبه
القلوب بالاودية لان الاودية يستكن فيها الما وكذلك القلوب يستكن فيها الايمان
والعرفان ببركة نزول القران فيها وهذا خاص بالمومنين لانهم الذين انتفعوا
بنزول القران **ق** عن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث اصاب ارضا فكانت منها طايفة
قبلت الما فانبتت الكلا والعشب الكثير فكان منها اجادب امسكت الما فنفع
الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا واصاب طايفة منها اخرى انما هي قيعان
لا تمسك ما ولا تنبت كلا فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به
فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك راسا ومن لم يقبل هدى الله الذي ارسلت به
قال الشيخ محيي الدين النواوي وغيره في معنى هذا الحديث وشرحه اما الكلا فبالهمزة
يقع على الرطب واليابس من الحشيش وقوله وكان منها اجادب فبالجيم والدال المهملة
كذا وقع في الصحيحين وهي الارض التي لا تنبت كلا جمع جدب على غير قياس وقياسه
اجدب والجدب ضد الخصب وقال الخطابي هي التي تمسك الما ولا يسرع فيه النضوب
وفي رواية الهروي اخاذات بالخا المعجمة والذال المعجمة جمع اخاذة وهي الغدير الذي

يمسك الما

يمسك الما ورعوا كذا في صحيح مسلم من الرعي ووقع في صحيح البخاري وزرعوا وفي رواية
من الزرع والقيعان بكسر القاف جمع قاع وهو المستوي من الارض وقوله فذلك مثل
من فقه في دين الله يروى بضم القاف وهو المشهور وروي بكسرها ومعناه فهم الاحكام
واما معنى الحديث ومقصوده فهو ان النبي صلى الله عليه وسلم ضرب مثلا لما جا به من
الهدى والعلم بالارض التي اصابها المطر فقال العلما والارض ثلاثة انواع وكذلك الناس
لانهم منها خلقوا فالنوع الاول من انواع الارض الطيبة التي تنتفع بالمطر فينبت
به العشب فينتفع الناس به والدواب بالشرب والرعي وغير ذلك وكذلك النوع
الاول من الناس من يبلغه الهدى والعلم فيحيي به قلبه ويحفظه ويعمل به ويعلمه غيره
فينتفع به وينفع غيره قال مسروق صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدتهم
كالاخاذات لان قلوبهم كانت واعية فصارت اوعية العلوم بما رزقت من صفا الفهوم
النوع الثاني من انواع الارض ارض لا تقبل الانتفاع في نفسها لكن فيها فايدة لغيرها
وهي امساك الما لغيرها فينتفع به الناس والدواب وكذلك النوع من الناس لهم
قلوب حافظة ولكن ليس لهم افهام ثاقبة فيبقى ما عندهم من العلم حتى يجي المحتاج
اليه المتعطش لما عندهم من العلم فياخذه منهم فينتفع به هو وغيره النوع الثالث من
انواع الارض ارض سبخة لا تنبت مرعا ولا تمسك ما النوع الثالث من الناس ليس
لهم قلوب حافظة ولا افهام ثاقبة فاذا بلغهم شي من العلم لا ينتفعون به في انفسهم
ولا ينفعون غيرهم والله اعلم قوله عز وجل **فاحتمل السيل زبدا رابيا** الزبد ما يعلو على
وجه الما عند الزيادة كالحبب وكذلك ما يعلو على القدر عند غليانها والمعنى فاحتمل
السيل الذي حدث من ذلك الما زبدا رابيا يعني عاليا مرتفعا فوق الما طافيا عليه
وههنا تم المثل ثم ابتدا بمثل اخر فقال تعالى **ومما توقدون عليه في النار** الايقاد
جعل الحطب في النار ليتقد تحت ذلك النار تحت الشي ليذوب **ابتغا حلية**
يعني لطلب زينة والضمير في عليه يعود على الذهب والفضة وان لم يكونا مذكورين
لان الحلية لا تطلب الا منهما **او متاع** يعني او لطلب متاع اخر مما ينتفع به كالحديد
والنحاس والرصاص ونحوه مما يذاب ويتخذ به الاواني وغيرها مما ينتفع به والمتاع
كل ما يتمتع به ويقال لكل ما ينتفع به في البيت كالطبق والقدر ونحو ذلك من
الاواني متاع **زبد مثله** يعني ان ذلك الذي يوقد عليه في النار اذا ذيب فله ايضا
زبد مثل زبد الما الصافي من الما ومن هذه الجواهر الذي ينتفع به وهو مثل الحق والزبد
من الما ومن هذه الجواهر هو الذي لا ينتفع به وهو مثل الباطل وهو قوله تعالى **كذلك**
يضرب الله الحق والباطل فالحق هو الجوهر الصافي الثابت والباطل هو الزبد
الطافي الذي لا ينتفع به وهو قوله **فاما الزبد فيذهب جفا** يعني صايرا باطلا
والجفا ما رمى به الوادي من الزبد الى جنباته وقيل الجفا المتفرق يقال جفات الريح
الغيم اذا فرقته والمعنى ان الباطل وان علا في وقت فانه يضمحل ويذهب **واما ما**
ينفع الناس يعني الما الصافي والجوهر الجيد من هذه الاجسام التي تذاب **فيمكث**

في الارض يعني يثبت ويبقى ولا يذهب كذلك يضرب الله الامثال قال اهل التفسير
والمعاني هذا مثل ضربه الله للحق والباطل فالباطل وان علا على الحق في بعض
الاوقات والاحوال فان الله يمحقه ويبطله ويجعل العاقبة للحق واهله كالزبد
الذي يعلو على الماء فيذهب الزبد ويبقى الماء الصافي الذي ينتفع به وكذلك
الصفو من هذه الجواهر يبقى ويذهب الزبد الذي هو الكدر وهو ما ينفيه الكير مما
يذاب من جواهر الارض كذلك الحق والباطل فالباطل وان علا في وقت فانه يضمحل
هو واهله والحق يظهر هو واهله وقيل هذا مثل للمؤمن واعتقاده وانتفاعه
بالايمان كمثل الماء الصافي الذي ينتفع به الناس ومثل الكافر وخبث اعتقاده
كالزبد الذي لا ينتفع به البتة وقيل هذا مثل ضربه الله للنور الذي يحصل في
قلوب العباد على ما قسم لها في الازل لان الوادي اذا سال كنس كل شيء فيه
من النجاسات والمستقذرات كذلك النور اذا سال وارى قلب العبد بالنور
الذي قسم له على قدر ايمانه ومعرفته كنس كل ظلمة وغفلة فيه فاما الزبد
فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض يعني يذهب الباطل وهو الاخلاق
المذمومة ويبقى الحقايق وهي الاخلاق الحميدة كذلك يضرب الله الامثال وقوله
تعالى للذين استجابوا لربهم الحسنى قيل اللام في للذين متعلقة بيضرب والمعنى
كذلك يضرب الله الامثال للمؤمنين الذين استجابوا لربهم يعني اجابوه الى ما دعاهم
اليه من توحيده والايمان به وبرسوله وللكافرين الذين لم يستجيبوا فعلى هذا
يكون قوله يضرب الله الامثال للفريقين من المؤمنين والكافرين وقيل تم الكلام
عند قوله كذلك يضرب الله الامثال ثم استانف الكلام بقوله للذين استجابوا
لربهم الحسنى قال ابن عباس وجمهور المفسرين يعني الجنة وقيل الحسنى هي المنفعة العظمى
في الحسن وهي المنفعة الخالصة الخالية عن شوايب المضرة والانقطاع والذين لم
يستجيبوا له يعني الكفار الذين استمروا على كفرهم وشركهم وماتوا عليه لو ان لهم
ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به يعني لبذلوا ذلك كله فداء لانفسهم
من عذاب النار يوم القيامة اولئك يعني الذين لم يستجيبوا لربهم لهم سوء
الحساب قال ابراهيم النخعي سوء الحساب اي يحاسب الرجل بذنبه كله لا يغفر له منه
شيء وماواهم جهنم يعني في الآخرة جهنم وبئس المهاد يعني وبئس ما مهد لهم في
الآخرة وقيل المهاد الفراش يفرش لهم في جهنم قوله تعالى افمن يعلم انما انزل اليك
من ربك الحق يعني فيؤمن به ويعمل بما فيه كمن هو اعمى يعني اعمى البصيرة لا اعمى البصر
وهو الكافر فلا يؤمن بالقران ولا يعمل بما فيه قال ابن عباس نزلت في حمزة بن عبد المطلب
عم النبي صلى الله عليه وسلم وابي جهل بن هشام وقيل نزلت في عمار بن ياسر وابي
جهل فالاول هو حمزة او عمار والثاني هو الاعمى ابو جهل وحمل الاية على العموم اولى وان
كان السبب مخصوصا والمعنى لا يستوي من يبصر الحق ويتبعه ومن لا يبصر الحق ولا
يتبعه وانما شبه الكافر والجاهل بالاعمى لان الاعمى لا يهتدي لرشد وربما وقع في مهلكة

وكذلك

وكذلك الكافر والجاهل لا يهتديان لرشد وهما واقعان في المهالك انما يتذكر
اولوا الالباب قيل انه يعني انما يتعظ ذوو العقول السليمة الصحيحة وهم الذين
ينتفعون بالمواعظ والاذكار قوله عز وجل الذين يوفون بعهد الله يعني الذي
عاهدهم عليه وهو القيام بما امرهم به وفرضه عليهم واصل العهد حفظ الشيء
ومراعاته حالا بعد حال وقيل اراد بالعهد ما اخذه على اولاد آدم حين اخرجهم
من صلبه واخذ عليهم العهود والمواثيق ولا ينقضون الميثاق بل يوفون به
فهو تاكيد لقوله الذين يوفون بعهد الله والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل
قال ابن عباس يريد الايمان بجميع الكتب والرسل يعني يصلون بينهم بالايمان بهم ولا
يفرقون بين احد منهم والاكثرون على ان المراد به صلة الرحم عن عبد الرحمن بن عوف
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى انا الله
انا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها
قطعته او قال بتته اخرجه ابو داود والترمذي ق عن عايشة قالت قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله
ومن قطعني قطعه الله خ عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سره
ان يبسط له في رزقه وان ينسا له في اثره فليصل رحمه صلة الرحم مبرة الاهل
والاقارب والاحسان اليهم وضده القطع قوله وان ينسا له في اثره الاثر هاهنا
الاجل وسمي الاجل اثرا لانه تابع للحياة وسابقها ومعنى ينسا يؤخر والمراد به
تاخير الاجل وهو على وجهين احدهما ان يبارك له في عمره فكانما قد زاد فيه والثاني
ان يزيد في عمره زيادة حقيقة والله يفعل ما يشاء ق عن جبير بن مطعم ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة قاطع زاد في رواية قال سفيان يعني قاطع
رحم عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ليس الواصل بالمكافي ولكن الواصل من اذا قطعت رحمه وصلها عن ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعلموا من انسابكم ما تصلون به ارحامكم
فان صلة الرحم محبة في الاهل مثراة في المال منساة في الاثر اخرجه الترمذي
وقوله تعالى ويخشون ربهم اي يعني انهم مع وفايهم بعهد الله وميثاقه والقيام
بما امر الله به من صلة الرحم يخشون ربهم والخشية خوف يشوبه تعظيم لما امر
به واكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه ويخافون سوء الحساب تقدم معناه
والذين صبروا يعني على طاعة الله وقال ابن عباس على ما امر الله وقال عطاء على
المصايب والنوايب وقيل صبروا عن الشهوات وعن المعاصي وقيل حمله على العموم
اولى فيدخل فيه الصبر على جميع المامورات من ساير العبادات والطاعات وجميع اعمال
البر وترك جميع المنهيات فيدخل فيه ترك جميع المعاصي والحسد والحقد والغيبة
وغير ذلك من المنهيات ويدخل فيه الصبر عن المباحات مثل جميع الشهوات والصبر
على ما تؤديه من الامراض والمصايب واصل الصبر حبس النفس عما يقتضيه العقل والشرع

او عما يقتضيه ان حبسها عنه فالصبر لفظ عام يدخل تحته جميع ما ذكر وانما قيد الصبر بقوله ابتغاء وجه ربهم لان الصبر ينقسم على نوعين الاول الصبر المذموم وهو ان الانسان قد يصبر ليقال ما اكمل صبره واشد قوته على ما تحمل من النوازل وقد يصبر لئلا يعاب على الجزع وقد يصبر لئلا يشمت به الاعداء فكل هذه الامور وان كان ظاهرها الصبر فذلك ليس داخلا تحت قوله ابتغاء وجه ربهم لانها لغير الله تعالى النوع الثاني الصبر المحمود وهو ان يكون الانسان صابرا لله بما نزل به من الله طالبا في ذلك الصبر ثواب الله محتسبا الجزاء على الله فهذا هو الصبر الداخل تحت قوله ابتغاء وجه ربهم يعني صبروا على ما نزل بهم تعظيما لله وطلب رضوانه قوله تعالى واقاموا الصلاة يعني الصلاة المفروضة وقيل حمله على العموم اولى فيدخل صلاة الفرض والنفل والمراد باقامتها تمام اركانها وهيئاتها وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية قال الحسن المراد به الزكاة المفروضة فان لم يتهم بترك اداء الزكاة فالاولى ان يؤديها سرا وان كان متهما بترك اداء الزكاة فالاولى ان يؤديها علانية وقيل ان المراد بالسر ما يخرج من الزكاة بنفسه والمراد بالعلانية ما يؤديه الى الامام وقيل المراد بالسر صدقة التطوع والمراد بالعلانية الزكاة الواجبة وحمله على العموم اولى ويدرؤن بالحسنة السيئة قال ابن عباس يدفعون بالصالح من العمل السيء وهو معنى قوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات ويدل على صحة هذا التاويل ما جاء في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال واذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة تمحها السر بالسر والعلانية بالعلانية وروى البغوي بسنده عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثل الذي يعمل السيئات ثم يعمل الحسنات كمثل رجل عليه درع ضيقة قد خنقته ثم عمل حسنة فانفكت حلقة ثم عمل اخرى فانفكت اخرى حتى يخرج الى الارض وقال ابن كيسان يدفعون الذنب بالتوبة وقيل لا يكافئون الشر بالشر ولكن يدفعون الشر بالخير وقال القتيبي معناه اذا سفه عليهم حلموا فالسفه السيئة والحلم الحسنة وقال قتادة ردوا عليهم معروفا وقال الحسن اذا حرموا اعطوا واذا ظلموا عفوا واذا قطعوا وصلوا قال عبد الله بن المبارك هذه ثمان خلال مشيرة الى ابواب الجنة الثمانية قلت انما هي تسع خلال فيحتمل انه عد خلتين بواحدة ولما ذكر الله عز وجل هذه الخلال من اعمال البر ذكر بعدها ما اعد للعاملين بها من الثواب فقال تعالى اوليك يعني من هذه الاعمال لهم عقبى الدار يعني الجنة والمعنى ان عاقبتهم دار الثواب جنات عدن بدل من عقبى الدار يعني بساتين اقامة يقال عدن بالمكان اذا اقام به يدخلونها يعني الذين تقدم وصفهم ومن صلح من اباءهم وازواجهم وذرياتهم يعني ومن صدق من اباءهم بما صدقوا به وان لم يعمل باعمالهم قاله ابن عباس وقال الزجاج ان الانسان لا ينتفع بغير اعماله الصالحة فعلى قول ابن عباس معنى صلح صدق وامن ووحد وعلى قول الزجاج معناه صلح في عمله قال الواحدي والصحيح ما قاله ابن عباس لان الله تعالى جعل ثواب المطيع سروره

بما يراه في اهله حيث بشره بدخوله الجنة معه ولولا ذلك لدل على انهم يدخلونها كرامة للمطيع العامل لا باتيانهم بالاعمال الصالحة ولو كان دخولهم الجنة باعمالهم الصالحة لم تكن في ذلك كرامة للمطيع ولا فايدة في الوعد به اذ كل من كان صالحا في عمله فهو يدخل الجنة قال الامام فخر الدين الرازي قوله تعالى وازواجهم ليس فيه ما يدل على التمييز بين زوجة وزوجة ولعل الاولى من ماتت عنها او مات عنها وما روي انه لما كبرت سودة اراد النبي صلى الله عليه وسلم طلاقها فسالته ان لا يفعل ووهبت يومها لعايشة فامسكها رجاء ان تحشر في جملة ازواجه كالدليل على ما ذكرناه قوله تعالى والملايكة يدخلون عليهم من كل باب يعني من ابواب الجنة وقيل من ابواب القصور قال ابن عباس يريد بالتحية من الله والتحف والهدايا سلام عليكم يعني يقولون سلام عليكم فاضمر القول هاهنا لدلالة الكلام عليه بما صبرتم يعني يقولون سلمكم الله من الافات التي كنتم تخافون منها وادخلكم بما صبرتم في دار الدنيا على الطاعات وترك المحرمات وقيل ان السلام قول والصبر فعل ولا يكون القول ثوابا للفعل فعلى هذا يكون قوله سلام عليكم دعاء من الملايكة لهم يعني سلمكم الله بما صبرتم قال مقاتل ان الملايكة يدخلون عليهم في مقدار يوم من ايام الدنيا ثلاث مرات معهم الهدايا والتحف من الله تعالى يقولون سلام عليكم بما صبرتم وروى البغوي بسنده عن ابي امامة موقوفا عليه قال ان المومن ليكون متكيا على اريكته اذا دخل الجنة وعنده سماطان من خدم وعند طرف السماطين باب مبوب فيقبل الملك من ملايكة الله يستاذن فيقوم ادنى الخدم الى الباب فاذا بالملك يستاذن فيقول للذي يليه ملك يستاذن فيقول للذي يليه ملك يستاذن كذلك حتى يبلغ المومن فيقول ايذنوا له فيقول اقربهم الى المومن ايذنوا له ويقول للذي يليه ايذنوا كذلك حتى يبلغ اقصاهم الذي عند الباب فيفتح له فيدخل فيسلم ثم ينصرف فنعم عقبى الدار يعني فنعم العقبى عقبى الدار وقيل معناه فنعم عقبى الدار ما انتم فيه والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه لما ذكر الله احوال السعداء وما اعد لهم من الكرامات والخيرات ذكر بعده احوال الاشقياء وما لهم من العقوبات فقال تعالى والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ونقض العهد ضد الوفاء به وهذا من صفة الكفار لانهم هم الذين نقضوا عهد الله من بعد ميثاقه وخالفوا امره ومعنى من بعد ميثاقه من بعد ما اوثقوه على انفسهم من الاعتراف والقبول ويقطعون ما امر الله به ان يوصل يعني ما بينهم وبين المومنين من الرحم والقرابة ويفسدون في الارض يعني بالكفر والمعاصي اوليك يعني من هذه صفته لهم اللعنة يعني الطرد عن رحمة الله يوم القيامة ولهم سوء الدار يعني النار لان منقلب الناس في العرف الى دورهم ومنازلهم فالمومنون لهم عقبى الدار وهي الجنة والكفار لهم سوء الدار وهي النار قوله تعالى الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يعني يوسع على من يشاء من عباده فيغنيه من فضله ويضيق على من يشاء من عباده فيفقره ويقتر عليه وهذا امر اقتضته

حكمة الله وفرحوا بالحياة الدنيا يعني مشركي مكة لما بسط الله الرزق عليهم اشروا
وبطروا والفرح لذة تحصل في القلب بنيل المشتهى وفيه دليل على ان الفرح بالدنيا
والركون اليها حرام وما الحياة الدنيا يعني بالنسبة في الاخرة الا متاع اي قليل
ذاهب قال الكلبي المتاع مثل السكرجة والقصعة والقدر ينتفع بها ثم
يذهب كذلك الحياة الدنيا لانها ذاهبة لا بقاء لها ويقول الذين كفروا يعني
من اهل مكة لولا انزل عليه اية من ربه يعني هلا انزل على محمد اية ومعجزة مثل معجزة
موسى وعيسى قل اي قل لهم يا محمد ان الله يضل من يشا فلا ينفعه نزول الايات وكثرة
المعجزات اذا لم يهده الله عز وجل وهو قوله ويهدي اليه من اناب يعني ويرشد
الى دينه والايمان به من اناب بقلبه ورجع اليه بكليته الذين امنوا بدل من اناب
وتطمين قلوبهم يعني وتسكن قلوبهم بذكر الله قال مقاتل بالقران لانه طمانينة
لقلوب المومنين والطمانينة والسكون انما يكونان بقوة اليقين والاضطراب انما
يكون بالشك الا بذكر الله تطمين القلوب يعني بذكره تسكن قلوب المومنين ويستقر
اليقين فيها وقال ابن عباس هذا في الحلف وذلك ان المسلم اذا حلف بالله على شي سكن
قلوب المومنين اليه فان قلت اليس قد قال الله تبارك وتعالى في اول سورة الانفال
انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والوجل استشعار الخوف وحصول
الاضطراب وهو ضد الطمانينة فكيف وصفهم بالوجل والطمانينة وهل يمكن الجمع
بينهما في حال واحدة قلت انما يكون الوجل عند ذكر الوعيد والعقاب والطمانينة انما
تكون عند الوعد والثواب فالقلوب توجل اذا ذكرت عدل الله وشدة حسابه
وعقابه وتطمين اذا ذكرت فضل الله ورحمته وكرمه واحسانه الذين امنوا وعملوا
الصالحات طوبى لهم اختلف العلماء في تفسير طوبى فقال ابن عباس فرح لهم وقرة
عين وقال عكرمة نعمى لهم وقال قتادة حسنى لهم وفي رواية اخرى عنه ان هذه كلمة
عربية تقول الرجل للرجل طوبى لك اي اصبت خيرا وقال ابراهيم النخعي خير لهم وكرامة
وقال الزجاج طوبى من الطيب وقيل تاويلها الحال المستطابة لهم وهو كما استطاب
في الجنة من بقا بلا فنا وعز بلا ذل وغنى بلا فقر وصحة بلا سقم قال الازهري تقول
طوبى لك وطوباك لحن لا تقوله العرب وهو قول اكثر النحويين وقال سعيد بن جبير
طوبى اسم الجنة بالحبشية وروي عن ابي امامة وابي هريرة وابي الدردا ان طوبى اسم
شجرة في الجنة تظل الجنان كلها قال عبيد بن عمير هي شجرة في جنة عدن اصلها في دار
النبي صلى الله عليه وسلم وفي كل دار وغرفة في الجنة منها غصن لم يخلق الله لونا ولا زهرة
الا وفيها منها الا السواد ولم يخلق الله فاكهة ولا ثمرة الا وفيها منها ينبع من اصلها
عينان الكافور والسلسبيل وقال مقاتل كل ورقة منها تظل امة عليها ملك
يسبح الله بانواع التسبيح وروي عن ابي سعيد الخدري ان رجلا سال النبي صلى الله
عليه وسلم عن طوبى فقال شجرة في الجنة مسيرة ماية سنة ثياب اهل الجنة تخرج من
اكمامها وعن معاوية بن قرة عن ابيه يرفعه قال طوبى شجرة غرسها الله بيده ونفخ

فيها من روحه تنبت الحلي والحلل وان اغصانها لترى من وراء سور الجنة هكذا ذكره
البغوي هذين الحديثين بغير سند وروي بسنده موقوفا عن ابي هريرة قال ان في
الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها ماية سنة اقروا ان شيتم وظل ممدود فبلغ ذلك
كعب الاحبار فقال صدق والذي انزل التوراة على موسى والفرقان على محمد لو ان رجلا
ركب حقة او جذعة ثم دار باصل تلك الشجرة ما بلغها حتى يسقط هرما ان الله غرسها
بيده ونفخ فيها من روحه وان افنانها لمن وراء سور الجنة وما في الجنة نهر الا وهو
يخرج من اصل تلك الشجرة قال البغوي وبهذا الاسناد عن عبد الله بن المبارك
عن الاشعث عن عبد الله عن شهر بن حوشب عن ابي هريرة قال ان في الجنة شجرة يقال
لها طوبى يقول الله لها تفتقي لعبدي عما يشا فتنفتق له عن فرس بسرجه ولجامه
وهيئته كما يشا وتفتق له عن الراحلة برحلها وزمامها وهيئتها كما يشا وعن النبي
ق عن سهل بن سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة شجرة يسير
الراكب في ظلها ماية عام لا يقطعها ق عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ان في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع ماية عام ما
يقطعها ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة شجرة يسير
الراكب في ظلها ماية سنة زاد البخاري في روايته واقروا ان شيتم وظل ممدود
وقوله تعالى وحسن ماب يعني ولهم حسن منقلب ومرجع ينقلبون ويرجعون
اليه في الاخرة وهي الجنة قوله عز وجل كذلك ارسلناك في امة قد خلت من قبلها
امم يعني كما ارسلنا الى امم يا محمد الى هذه الامة كذلك ارسلنا انبيا قبلك الى امم
قد خلت ومضت لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك يعني لتقرا عليهم اي على امتك
الذي اوحينا اليك من القران وشرايع الدين وهم يكفرون بالرحمن قال قتادة
ومقاتل وابن جريج هذه الاية مدنية نزلت في صلح الحديبية وذلك ان سهيل بن
عمرو لما جا للصلح واتفقوا على ان يكتبوا كتابا للصلح قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لعلي بن ابي طالب اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا لا نعرف الرحمن الا
صاحب اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب اكتب كما كنت تكتب باسمك اللهم فهذا معنى
قوله وهم يكفرون بالرحمن يعني انهم ينكرونه ويجحدونه والمعروف ان الاية مكية
وسبب نزولها ان ابا جهل سمع النبي صلى الله عليه وسلم وهو في الحجر يدعو ويقول
في دعايه يا الله يا رحمن فرجع ابو جهل الى المشركين وقال ان محمدا يدعو الهين يدعو
الله ويدعو الها اخر يسمى الرحمن ولا نعرف الرحمن الا رحمن اليمامة فنزلت هذه
الاية ونزل قوله قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسما الحسنى
وروي الضحاك عن ابن عباس انها نزلت في كفار قريش حين قال لهم النبي صلى الله
عليه وسلم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن فقال الله تعالى قل اي قل يا محمد ان
الرحمن الذي انكرتم معرفته هو ربي لا اله الا هو عليه توكلت يعني عليه اعتمدت
في اموري كلها واليه متاب يعني واليه توبتي ورجوعي قوله تعالى ولو ان قرانا

سُيِّرَتْ بِهِ الجِبَالُ الاية نزلت في نفر من مشركي قريش من مكة منهم ابو جهل بن هشام وعبد الله بن ابي امية جلسوا خلف الكعبة وارسلوا خلف النبي صلى الله عليه وسلم فاتاهم وقيل مر بهم وهم جلوس فدعاهم الى الله عز وجل فقال له عبد الله بن ابي امية ان سرك ان نتبعك فسير جبال مكة بالقران فاذهبها عنا حتى تنفسح فانها ارض ضيقة لمزارعنا واجعل لنا انهارا وعيونا لنغرس الاشجار ونزرع ونتخذ البساتين فلست كما زعمت باهون على ربك من داود حيث سخر له الجبال يسبحن معه او سخر لنا الريح لنركبها الى الشام لميرتنا وحوائجنا ونرجع في يومنا كما سخرت لسليمان كما زعمت فلست باهون على ربك من سليمان واحيي لنا جدك قصيا او من شئت من موتانا فنسأله عن امرك احق ام باطل فان عيسى كان يحيي الموتى ولست باهون على الله منه فانزل الله تعالى هذه الاية ولو ان قرانا سيرت به الجبال فاذهبت عن وجه الارض او قطعت به الارض يعني شققت فجعلت انهارا وعيونا او كلم به الموتى فاحياها واختلفوا في جواب لو فقال قوم جواب لو محذوق وانما حذف اكتفاء بمعرفة السامع مراده وتقديره ولو ان قرانا فعل به كذا وكذا لكان هذا القران فهو كقول الشاعر •

• فاقسم لو شيء اتانا رسوله • سواك ولكن لم نجد لك مدفعا •

اراد لو شيء اتانا رسول سواك لرددناه وهذا معنى قول قتادة فانه قال معناه لو فعل هذا بقران قبل قرانكم وقال الاخرون جواب لو متقدم تقديره الكلام وهم يكفرون بالرحمن ولو ان قرانا سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى لكفروا بالرحمن ولم يؤمنوا لما سبق من علمنا فيهم كما قال ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا ثم قال تعالى بَلْ لِلَّهِ الأَمْرُ جَمِيعًا يعني في هذه الاشياء وفي غيرها ان شاء فعل وان شاء لم يفعل أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا قال اكثر المفسرين معناه افلم يعلم قال الكلبي هذه لغة وقيل هي لغة هوازن واختلف اهل اللغة في هذه اللفظة فقال الليث وابو عبيد لم ييأس لم يعلم واستدلوا لهذه اللغة بقول الشاعر •

• اقول لهم بالشعب اذ ياسرونني • الم تيأسوا اني ابن فارس زهدم •

بمعنى الم تعلموا واستدلوا عليه ايضا بقول شاعر اخر •

• الم ييأس الاقوام اني انا ابنه • وان كنت عن ارض العشيرة نائيا •

بمعنى الم يعلم الاقوام قال قطرب ييئس بمعنى علم لغة للعرب قالوا ووجه هذه اللغة انما وقع الياس في مكان العلم لان علمك بالشيء ويقينك به يأسك من غيره وقيل لم يرد ان الياس في موضع كلام العرب للعلم وانما قصد ان ياس الذين امنوا من ذلك يقتضي ان يحصل العلم بانتفائه فاذا معنى يأسهم يقتضي حصول العلم وقال الكسائي ما وجدت العرب تقول يئست بمعنى علمت قال وهذا الحرف في القران من الياس المعروف لا من العلم وذلك ان المشركين لما طالبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه

الايات ارتاب المسلمون لذلك وارادوا ان يظهر لهم اية ليجتمعوا على الايمان فقال الله تعالى افلم ييأس الذين امنوا من ايمان هؤلاء ويعلموا علما يقينا ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا من غير ظهور اية وقال الزجاج القول عندي ان معناه افلم ييأس الذين امنوا من ايمان هؤلاء لان الله تعالى لو شاء لهدى الناس جميعا وحاصله ان في معنى الاية قولان احدهما ان ييئس بمعنى علم والقول الثاني انه من الياس المعروف وتقرير القولين ما تقدم وتمسك اهل السنة بقوله أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا على ان الله لم يشأ هداية جميع الخلق وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا يعني من الكفر والاعمال الخبيثة قَارِعَةٌ اي نازلة وداهية تقرعهم بانواع البلايا احيانا مرة بالجدب ومرة بالسلب ومرة بالقتل والاسر وقال ابن عباس اراد بالقارعة السرايا التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثها أَوْ تَحُلُّ يعني السرية والبلية قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ وقيل معناه او تحل انت يا محمد قريبا من دارهم حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ يعني بالنصر والفتح وظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم ودينه وقيل اراد بوعد الله يوم القيامة لان الله يجمعهم فيه فيجازيهم باعمالهم إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ والغرض منه تقوية قلب النبي صلى الله عليه وسلم وازالة الحزن عنه لعلمه بان الله لا يخلف الميعاد قوله عز وجل وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ وذلك ان كفار مكة انما سألوا هذه الاشياء على سبيل الاستهزاء فانزل الله هذه الاية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى انهم كما طلبوا منك هذه الايات على سبيل الاستهزاء فكذلك قد استهزئ برسل من قبلك فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا يعني فامهلتهم واطلت لهم المدة ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ يعني بالعذاب بعد الامهال فعذبتهم في الدنيا بالقحط والاسر والقتل وفي الاخرة بالنار فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ يعني فكيف كان عقابي لهم أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ يعني افمن هو حافظها ورازقها وعالم بها وبما عملت من خير او شر ويجازيها بما كسبت فيثيبها ان احسنت ويعاقبها ان اساءت وجوابه محذوف تقديره كمن ليس بقائم بل هو عاجز عن نفسه ومن كان عاجزا عن نفسه فهو عن غيره اعجز وهي الاصنام التي لا تضر ولا تنفع وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ يعني وهو المستحق للعبادة لا هذه الاصنام التي جعلوها لله شركاء قُلْ سَمُّوهُمْ يعني له وقيل صفوهم بما يستحقون ثم انظروا هل هي اهل لان تعبد أَمْ تُنَبِّئُونَهُ يعني ام تخبرون الله بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ يعني انه لا يعلم ان لنفسه شركاء من خلقه وكيف يكون المخلوق شريكا للخالق وهو العالم بما في السموات والارض ولو كان لعلمه والمراد من ذلك نفي العلم بان يكون له شريك أَمْ بِظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ يعني انهم يتعلقون بظاهر من القول مسموع وهو في الحقيقة باطل لا اصل له وقيل معناه بل بباطل من القول لا يعلمون حقيقته بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ قال ابن عباس زين لهم الشيطان الكفر وانما فسر المكر بالكفر لان مكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم كفر منهم والمزين في الحقيقة

هو الله تعالى لانه هو الفاعل المختار على الاطلاق لا يقدر احد ان يتصرف في الوجود الا باذنه فتزيين الشيطان القا الوسوسة فقط ولا يقدر على اضلال احد وهدايته الا الله تعالى ويدل لسياق الاية وهو قوله ومن يضلل الله فما له من هاد وقوله **وصدوا عن السبيل** قرئ بضم الصاد ومعناه صرفوا عن سبيل الدين والرشد والهداية ومنعوا من ذلك والصاد المانع لهم هو الله تعالى وقرئ وصدوا بفتح الصاد ومعناه انهم صدوا غيرهم عن الايمان **ومن يضلل الله فما له من هاد** الوقف عليه بسكون الدال وحذف اليا في قراءة اكثر القرا **لهم عذاب في الحياة الدنيا** يعني بالقتل والاسر ونحو ذلك مما فيه غيظهم **ولعذاب الاخرة اشق** يعني اشد واغلظ لان المشقة غلظ الامر على النفس وشدته كما يكاد يصدع القلب من شدته فهو من الشق الذي هو الصدع **وما لهم من الله** يعني من عذاب الله **من واق** يعني من مانع يمنعهم من عذابه قوله تعالى **مثل الجنة التي وعد المتقون** اي صفة الجنة التي وعد المتقون **تجري من تحتها الانهار اكلها دائم** لا ينقطع ابدا **وظلها** يعني انه دايم ابدا لا ينقطع وليس في الجنة شمس ولا قمر ولا ظلمة بل ظل ممدود لا ينقطع ولا يزول وفي الاية رد على جهم واصحابه يقولون ان نعيم الجنة يفنى وينقطع وفي الاية دليل على حركات اهل الجنة لا تنتهي الى سكون دايم كما يقوله ابو الهذيل واستدل القاضي عبد الجبار المعتزلي بهذه الاية ان الجنة لم تخلق بعد قال ووجه الدليل انها لو كانت مخلوقة لوجب ان يفنى وينقطع اكلها لقوله كل شيء هالك الا وجهه فوجب ان لا تكون الجنة مخلوقة لقوله اكلها دايم يعني لا ينقطع قال ولا ينكر ان يكون في السموات جنات كثيرة يتمتع بها الملايكة ومن يعد حيا من الانبيا والشهدا وغيرهم على ما روي الا ان الذي يذهب اليه ان الجنة الخالدة لم تخلق بعد والجواب عن هذا ان حاصل دليلهم مركب من احد بما قوله تعالى كل شيء هالك الا وجهه والاخرى قوله اكلها دايم وظلها فاذا ادخلنا التخصيص على هذين العمومين سقط دليلهم فيختص هذان الدليلان بالدلايل الدالة على ان الجنة مخلوقة منها ان قوله تعالى **تلك عقبى الذين اتقوا** يعني ان عاقبة اهل التقوى هي الجنة **وعقبى الكافرين النار** يعني في الاخرة قوله تعالى **والذين اتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك** فالمراد بالكتاب هو التوراة ويحتمل انه القران والذين اوتوه المسلمون وهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد انهم يفرحون بما يتجدد من الاحكام والتوحيد والنبوة والحشر بعد الموت يتجدد نزول القران **ومن الاحزاب** يعني الجماعات الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكفار واليهود والنصارى **من ينكر بعضه** وهذا قول الحسن وقتادة فان قلت ان الان الاحزاب من الكفار وغيرهم من اهل الكتاب ينكرون القران كله فكيف قال ومن الاحزاب من ينكر بعضه قلت ان الاحزاب لا ينكرون القران جملة لانه قد ورد فيه اثبات الله واثبات قدرته وعلمه وحكمته وهم لا ينكرون ذلك ابدا والقول الثاني ان المراد بالكتاب التوراة والانجيل

والمراد

والمراد بالذين اسلموا من اليهود والنصارى مثل عبد الله بن سلام واصحابه ومن اسلم من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون من نجران وثلاثون من الحبشة وعشرة ممن سواهم فرحوا بالقران لكونهم امنوا به وصدقوه ومن الاحزاب يعني بقية اهل الكتاب وساير المشركين من ينكر بعضه وقيل كان ذكر الرحمن قليلا في القران في الابتدا فلما اسلم عبد الله بن سلام ومن معه من اهل الكتاب سائهم قلة ذكر الرحمن في القران فرحوا بذلك فانزل الله تعالى والذين اتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك ومن الاحزاب يعني مشركي مكة من ينكر بعضه وذلك لما كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب الصلح يوم الحديبية كتب فيه بسم الله الرحمن الرحيم قالوا ما نعرف الرحمن الا رحمن اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب فانزل الله وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي وانما قال ومن الاحزاب من ينكر بعضه لانهم كانوا لا ينكرون الله وينكرون الرحمن **قل** اي قل يا محمد **انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به** يعني وحده ولا اشرك به شيئا **اليه ادعوا** يعني الى الله والى الايمان به ادعو الناس **واليه ماب** يعني مرجعي يوم القيامة **وكذلك انزلناه حكما عربيا** اي انزلنا الكتب على الانبيا بلغاتهم ولسانهم انزلنا اليك يا محمد هذا الكتاب وهو القران عربيا بلسانك ولسان قومك وانما سمي القران حكما لان فيه جميع التكاليف والاحكام والحلال والحرام والنقض والابرام فلما كان القران سببا للحكم جعله نفس الحكم على سبيل المبالغة وقيل ان الله لما حكم على جميع الخلق بقبول القران والعمل بمقتضاه سمي حكما لذلك المعنى **ولين اتبعت اهواءهم** قال جمهور المفسرين ان المشركين دعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ملة ابايه فتوعده الله على اتباع اهوايهم في ذلك وقال ابن السايب المراد به متابعة ابايهم في الصلاة الى بيت المقدس **بعد ما جاءك من العلم** يعني بانك على الحق وان قبلتك هي الكعبة وقيل ظاهر الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره وقيل هو حث للنبي صلى الله عليه وسلم على تبليغ الرسالة والقيام بما امر به ويتضمن ذلك تحذير غيره من المكلفين لان من هو ارفع منه منزلة واعظم قدرا واعلى مرتبة اذا حذر كان غيره ممن هو دونه بطريق الاولى **ما لك من الله من ولي ولا واق** يعني من ناصر ولا حافظ قوله **ولقد ارسلنا رسلا من قبلك** روي ان اليهود وقيل المشركين قالوا ان هذا الرجل يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم ليس له همة الا في النسا فعابوا عليه ذلك وقالوا لو كان يزعم انه رسول من الله لكان مشتغلا بالزهد وترك الدنيا فاجاب الله عز وجل عن هذه الشبهة وعما عابوه به بقوله تعالى **ولقد ارسلنا رسلا من قبلك** يا محمد **وجعلنا لهم ازواجا وذرية** فانه قد كان لسليمان ثلاث ماية امراة حرة وسبعماية سرية فلم يقدح ذلك في نبوته وكان لابيه داود عليهما السلام ماية امراة فلم يقدح ذلك ايضا في نبوته فكيف يعيبون عليك ذلك ويجعلونه قادحا في نبوتك والمعنى ولقد ارسلنا رسلا من قبلك ياكلون ويشربون وينكحون وما جعلناهم ملايكة

مع كثرة ذكره في التوراة كما ذكره الله
تعالى ذكر لفظة الرحمن في القران

لا ياكلون ولا يشربون ولا ينكحون **وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ** هذا جواب لعبد الله بن ابي امية وغيره من المشركين الذين سالوا رسول الله صلى الله عليه الايات واقترحوا عليه ان يريهم المعجزات وتقريره هذا الجواب ان المعجزة الواحدة كافية في اثبات النبوة وقد اقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعجزات كثيرة يعجز عن مثلها البشر فلهم ان يقترحوا عليه شيا واتيان الرسول بالمعجزات ليس اليه بل هو مفوض الى مشية الله عز وجل فان شا اظهرها وان شا لم يظهرها **لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ** وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخبرهم بنزول العذاب عليهم لما استبطاوا ذلك وقد كانوا يستعجلون بنزوله فاخبر الله ان لكل قضا قضاه كتاب قد كتبه فيه ووقت يقع فيه لا يتقدم ولا يتاخر والمعنى ان لكل اجل اجله الله كتاب فذا ثبت فيه وقيل في الاية تقديم وتاخير تقديره لكل كتاب اجل ومدة والمعنى ان الكتب المنزلة لكل كتاب منها وقت ينزل فيه **يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ** وذلك انهم لما اعترضوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا ان محمدا يامر اصحابه بامر اليوم ثم يامرهم بخلافه غدا وما سبب ذلك الا انه يقوله من تلقا نفسه فاجاب الله عن هذا الاعتراض بقوله يمحو الله ما يشا ويثبت قال سعيد بن جبير وقتادة يمحو الله ما يشا من الشرايع والفرايض فينسخه ويبدله ويثبت ما يشا من ذلك فلا ينسخه ولا يبدله وقال ابن عباس يمحو الله ما يشا ويثبت الا الرزق والاجل والسعادة والشقاوة ويدل على صحة هذا التاويل ما روي عن حذيفة بن اسيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مر بالنطفة ثنتان واربعون ليلة بعث الله اليها ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ثم قال يا رب اذكر ام انثى فيقضي ربك ما يشا فيكتب الملك ثم يقول يا رب اجله فيقول ربك ما يشا ويكتب الملك ثم يقول الملك يا رب رزقه فيقضي ربك ما يشا ويكتب الملك ثم يخرج الملك الصحيفة فلا يزيد على امر ولا ينقص اخرجه مسلم (ق) عن ابن مسعود قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان خلق احدكم يجمع في بطن امه اربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله اليه ملكا باربع كلمات يكتب رزقه واجله وعمله وشقي او سعيد ثم ينفخ فيه الروح فو الذي لا اله غيره ان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها وان احدكم ليعمل بعمل اهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخلها فان **قلت** هذا الحديث والذي قبله صحيح بان الاجال والارزاق مقدورة وكذا السعادة والشقاوة لا تتغير عما قدره الله وعلمه في الازل فيستحيل زيادتها ونقصانها وكذلك يستحيل ان ينقلب السعيد شقيا او سعيدا وقد صح في وصل صلة الرحم ان صلة الرحم تزيد في العمر وزيد في العمر فكيف الجمع بين هذه الاحاديث وبين قوله تعالى يمحو الله ما يشا ويثبت **قلت** قد تقرر بالدلايل القطعية ان الله عالم بالاجال والارزاق وغيرها وحقيقة العلم معرفة

المعلوم على ما هو عليه فاذا علم الله ان زيدا يموت في وقت معين استحال ان يموت قبله او بعده وهو قوله تعالى فاذا جا اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون فدل ذلك على ان الاجال لا تزيد ولا تنقص واجاب العلما عما ورد في الحديث في فضل صلة الرحم تزيد في العمر باجوبة الصحيح منها ان هذه الزيادة تكون بالبركة في عمره بالتوفيق للطاعات وعمارة اوقاته بما ينفعه في الاخرة وصيانتها عن الضياع وغير ذلك والجواب الثاني منها انها بالنسبة الى ما يظهر للملايكة في اللوح المحفوظ ان عمر زيد مثلا ستون سنة الا ان يصل رحمه فان وصلها زيد له اربعين سنة وقد علم الله في الازل ما سيقع له ذلك وهو معنى قوله يمحو الله ما يشا ويثبت فهو بالنسبة الى ما يظهر للمخلوقين من تصور الزيادة واما انقلاب الشقي سعيدا او الشقي سعيدا فيتصور في الظاهر ايضا لان الكافر قد يسلم فينقلب من الشقاوة الى السعادة وكذلك العاصي ونحوه وقد يتوب فينقلب من الشقاوة الى السعادة والاصل في هذا الاعتبار بالخاتمة عند الموت بما يختم الله له وهو المراد من علم الله الازلي الذي لا يتغير ولا يتبدل والله اعلم واصل المحو ذهاب اثر الكتابة وضده الاثبات فمن العلما من حمل الاية على ظاهرها فجعلها عامة في كل شي يقتضيه ظاهر اللفظ فيزيد الله ما يشا في الارزاق والاجل وكذا القول في السعادة والشقاوة والايمان والكفر ونقل نحو هذا عن ابن عمر وابن مسعود فانهما قالا لا يمحو السعادة والشقاوة ويمحو الرزق والاجل وروي عن ابن عمر انه كان يطوف بالبيت وهو يبكي ويقول اللهم ان كنت كتبتني في اهل السعادة فاثبتني فيها وان كنت كتبتني في اهل الشقاوة فامحني واثبتني في اهل السعادة والمغفرة فانك تمحو ما تشا وتثبت وعندك ام الكتاب وروي مثله عن ابن مسعود وقد ورد في بعض الاثار ان الرجل يكون قد بقي من عمره ثلثة ايام فيصل رحمه فيمد الى ثلاثين سنة هكذا ذكره البغوي بغير سند وروي بسنده عن ابي الدردا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل الله تبارك وتعالى في اخر ثلث ساعات يبقين من الليل فينظر في الساعة الاولى منهن في الكتاب الذي لا ينظر فيه احد غيره فيمحو ما يشا ويثبت ومن العلما من حمل معنى الاية على الخصوص في بعض الاشيا دون بعض فقال المراد بالمحو والاثبات نسخ الحكم المتقدم واثبات حكم اخر عوضا عن الحكم المتقدم وقيل ان الحفظة يكتبون جميع اعمال بني ادم واقوالهم فيمحو الله من ديوان الحفظة ما ليس فيه ثواب ولا عقاب مثل قول القايل اكلت شربت دخلت خرجت ونحوه من الكلام وهو صادق فيه ويثبت ما فيه عقاب وهذا قول الضحاك وقال الكلبي يكتب القول كله حتى اذا كان يوم الخميس طرح منه شي ليس فيه ثواب ولا عقاب وقال ابن عباس هو الرجل يعمل بطاعة الله ثم يعود لمعصية الله فيموت على ضلالة فهو الذي يمحو والذي يثبت هو الرجل يعمل بطاعة الله ثم يموت وهو في طاعته فهو الذي يثبت وقال الحسن يمحو الله ما يشا يعني من جا اجله فيذهب به ويثبت من لم يجي اجله وقال سعيد بن جبير يمحو الله ما يشا من ذنوب عباده فيغفرها ويثبت ما يشا فلا

يغفرها وقال عكرمة يمحو الله ما يشاء من الذنوب بالتوبة ويثبت بدل الذنوب
حسنات وقال السدي يمحو الله ما يشاء يعني القمر ويثبت الشمس وقال الربيع
هذا في الارواح يقبضها الله عند النوم فمن اراد موته محاه وامسكه ومن اراد بقاءه
اثبته ورده الى صاحبه وقيل ان الله يثبت في اول كل سنة حكمها فاذا مضت السنة
محاه واثبت حكما اخر للسنة المستقبلة وقيل يمحو الله الدنيا ويثبت الاخرة وقيل
هذا في المحن والمصايب فهي مثبتة في الكتاب ثم يمحوها بالدعاء والصدقة وقيل ان الله
يمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء لا اعتراض لاحد عليه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فان قلت
مذهب اهل السنة ان المقادير سابقة وقد جف القلم بما هو كاين الى يوم القيامة
فكيف يستقيم مع هذا المحو والاثبات قلت المحو والاثبات مما جف به القلم
وسبق به القدر فلا يمحو شيا ولا يثبت شيا الا ما سبق به علمه في الازل وعليه
يترتب القضا والقدر ومسئلة استدلت الرافضة على مذهبهم في البدا بهذه
الاية قالوا ان البدا جايز على الله وهو ان يعتقد شيا ثم يظهر له خلاف ما اعتقد
وتمسكوا بقوله يمحو الله ما يشا ويثبت والجواب عن هذه المسئلة ان هذا مذهب
باطل ظاهر الفساد لان علم الله قديم ازلي وهو من لوازم ذاته المخصوصة
وما كان كذلك كان دخول التغيير والتبديل فيه محالا كذا ذكره الامام فخر
الدين الرازي في تفسير هذه الاية وقوله تعالى **وعنده ام الكتاب** يعني اصل
الكتاب وهو اللوح المحفوظ الذي لا يغير ولا يبدل وسمي اللوح المحفوظ ام الكتاب
لان جميع الاشيا مثبتة فيه ومنه ينسخ الله الكتب المنزلة وقيل ان العلوم
كلها تنسب اليه وتتولد منه قال ابن عباس هما كتابان كتاب يمحو الله ما يشا
ويثبت ما يشا وام الكتاب الذي لا يغير شي منه وروى عطية عن ابن عباس
قال ان لله لوحا محفوظا مسيرة خمسماية عام من درة بيضا له دفتان من ياقوت
لله فيه كل يوم ثلثماية وستون لحظة يمحو الله ويثبت وعنده ام الكتاب وسال ابن
عباس كعبا عن ام الكتاب فقال علم الله ما هو خالق وما خلقه عاملون فقوله عز وجل
واما نرينك يا محمد **بعض الذي نعدهم** يعني من العذاب **او نتوفينك** يعني قبل ان نريك
ذلك **فانما عليك البلاغ** يعني ليس عليك الا تبليغ الرسالة اليهم والبلاغ اسم
اقيم مقام التبليغ **وعلينا الحساب** يعني وعلينا ان نحاسبهم يوم القيامة فنجازيهم
باعمالهم قوله عز وجل **اولم يروا انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها** يعني اولم يروا كفار
مكة الذين سالوا محمدا صلى الله عليه وسلم الايات انا نأتي الارض يعني ارض المشرك
ننقصها من اطرافها يعني ارض الشرك ننقصها من اطرافها قال اكثر المفسرين المراد منه
فتح دار الشرك فاما ما زاد في دار الاسلام فقد نقص من دار الشرك والمعنى
اولم يروا انا نأتي الارض فنفتحها لمحمد صلى الله عليه وسلم ارضا بعد ارض حوالي ارضهم
افلا يعتبرون فيتعظون وهذا قول ابن عباس وقتادة وجماعة من المفسرين وذلك
ان المسلمين اذا استولوا على بلاد الكفار قهرا واخرابا كان ذلك نقصانا في ديارهم

وزيادة

وزيادة في دار المسلمين وقوتهم وكان ذلك من اقوى الدلايل على ان الله تعالى ينصر
عبده وجنده ويظهر دينه وينجز له ما وعده وقيل هو خراب الارض والمعنى اولم يروا
انا نأتي الارض فنخربها ونهلك اهلها افلا يخافون ان نفعل بهم مثل ذلك قال
مجاهد هو خراب الارض وقبض اهلها وعن عكرمة والشعبي نحوه وهذا القول قريب
من الاول وقال عطا وجماعة من المفسرين نقصانها موت العلما وذهاب الفقها **ف**
عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله
لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس وفي رواية من العباد ولكن يقبض العلم بقبض
العلما حتى اذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فافتوا بغير علم فضلوا
واضلوا وقال الحسن قال عبد الله بن مسعود موت العالم ثلمة في الاسلام لا يسدها
شي ما اختلف الليل والنهار وقال عبد الله ايضا عليكم بالعلم قبل ان يقبض وقبضه
ذهاب اهله وقال سليمان لا تزال الناس بخير ما بقي الاول حتى يتعلم الاخر فاذا
هلك الاول ولم يتعلم الاخر هلك الناس وقيل لسعيد بن جبير ما علامة هلاك
الناس قال هلاك العلما فعلى هذا القول فالمراد بالاطراف العلما والاشراف من
الناس حكى الجوهري عن ثعلب قال الاطراف الاشراف واستدل الواحدي بهذه
اللغة بقول الفرزدق في قوله

واسأل بنا وبكم اذا وردت • منى اطراف كل قبيلة من يمنع

قال يريد اشراف كل قبيلة قال الواحدي والتفسير على القول الاول اولى لان هذا
وان صح فلا يليق بهذا الموضع قال الامام فخر الدين الرازي ويمكن ان يقال اولم
يروا ما يحدث في الدنيا من اختلاف خراب بعد عمارة وموت بعد حياة وذل
بعد عز ونقص بعد كمال واذا كانت هذه التغيرات مشاهدة محسوسة فما الذي
يؤمنهم ان يقلب الله الامر على هؤلا الكفرة فيجعلهم ذليلين بعد ما كانوا عزيزين
ومقهورين بعد ما كانوا قاهرين وعلى هذا الوجه ايضا يحسن اتصال الكلام بما قبله
قوله تعالى **والله يحكم لا معقب لحكمه** يعني لا راد لحكمه ولا ناقض لقضايه والمعقب
هو الذي يعقب غيره بالرد والابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يعقب
غريمه بالاقتضا والطلب والمعنى والله يحكم نافذا حكمه خاليا من المدافع والمعارض
والمنازع لا يتعقب حكمه احد بتغيير ولا نقض **وهو سريع الحساب** قال ابن عباس
يريد سريع الانتقام يعني حسابه للمجازاة بالخير والشر فمجازاة الكفار بالانتقام
منهم ومجازاة المومنين بايصال الثواب اليهم وقد تقدم بسط الكلام في معنى
سريع الحساب قبل هذا **وقد مكر الذين من قبلهم** يعني من قبل مشركي مكة من الامم
الماضية مكروا بانبيايهم والمكر ايصال المكروه الى الانسان من حيث لا يشعر
مثل ما مكر نمرود بابراهيم وفرعون بموسى واليهود بعيسى **فلله المكر جميعا**
يعني عند الله جزا مكرهم وقال الواحدي يعني جميع مكر الماكرين له ومنه اي هو من
خلقه وارادته والمكر جميعا مخلوق له بيده الخير والشر والنفع والضر والمعنى

ان المكر لا يضر الا باذنه وارادته وفي هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وامان له من
مكرهم كانه قيل قد فعل من كان قبلهم من الكفار مثل فعلهم وصنعوا مثل صنيعهم
فلم يضروا الا من اراد الله ضره واذا كان الامر كذلك وجب ان لا يكون الخوف الا
من الله لا من احد من المخلوقين **يعلم ما تكسب كل نفس** يعني ان جميع اكتساب العباد
وثمراتها معلومة لله وموجودة بخلقها وخلاف المعلوم ممتنع الوقوع واذا كان كذلك
فكل ما علم وقوعه فهو واجب الوقوع وكل ما علم عدمه كان ممتنع الوقوع واذا
كان كذلك فلا قدرة للعبد على الفعل والترك فكان الكل من الله ولا يحصل ضرر
الا باذنه وارادته وفيه وعيد للكفار والماكرين **وسيعلم الكافر** وقرئ الكافر
على التوحيد قال ابن عباس يعني ابا جهل وقيل اراد المستهزئين وهم خمسة نفر
من كفار مكة **لمن عقبى الدار** والمعنى انهم وان كانوا جاهلين بالعواقب فسيعلمون
ان العاقبة الحميدة للمؤمنين ولهم العاقبة المذمومة في الآخرة حين يدخلون
النار ويدخل المؤمنون الجنة قوله تعالى **ويقول الذين كفروا لست مرسلا** لما انكر
الكفار كون محمدا رسولا من عند الله امره الله بقوله **قل** اي قل يا محمد لهؤلاء الكفار
الذين انكروا نبوتك **كفى بالله شهيدا بيني وبينكم** والمراد بشهادة الله على نبوة
محمد صلى الله عليه وسلم ما اظهر على يديه من المعجزات الباهرات والآيات القاهرات
الدالة على صدقه وكونه نبيا مرسلا من عند الله تعالى **ومن عنده علم الكتاب**
ايضا يشهد على صحة نبوتك يا محمد واختلفوا في الذي عنده علم الكتاب من هو فروى
العوفي عن ابن عباس انهم علماء اليهود والنصارى والمعنى ان كل من كان عالما من
اليهود بالتوراة ومن النصارى بالانجيل علم ان محمدا مرسل من الله تعالى لما يجد
من الدلائل الدالة على نبوته فيهما شهد بذلك من شهد به وانكره من انكره منهم
وقيل انهم مؤمنوا اهل الكتاب يشهدون ايضا على نبوتك قال قتادة هو عبد الله
ابن سلام وانكر الشعبي هذا وقال هذه السورة مكية وعبد الله بن سلام اسلم
بالمدينة وقال يونس لسعيد بن جبير ومن عنده علم الكتاب اهو عبد الله بن سلام
فقال كيف يكون عبد الله بن سلام وهذه السورة مكية وقال الحسن ومجاهد
ومن عنده علم الكتاب هو الله تعالى وهذا القول يكون المعنى كيف بالذي يستحق
العبادة وبالذي لا يعلم علم ما في اللوح المحفوظ الا هو شهيدا بيني وبينكم قال
الزجاج الاشبه ان الله لا يشهد على صحة حكمه لغيره وهذا قول مشكل لان عطف الصفة
على الموصوف وان كان جائزا الا انه خلاف الاصل فلا يقال شهد به هذا زيد والفقيه
بل يقال شهد به هذا زيد الفقيه لكن يشهد لصحة القول الاول قراءة من قرأ ومن
عنده علم الكتاب ودليل هذه القراءة قوله وعلمناه من لدنا علما وقيل معناه ان من
علم ان القرآن الذي جئتكم به معجز ظاهر وبرهان باهر لما فيه من الفصاحة والبلاغة
والاخبار عن الغيوب وعن الامم الماضية فمن علم بهذه الصفات كان شهيدا
بيني وبينكم والله اعلم بمراده واسرار كتابه

سورة ابراهيم عليه السلام مكية

سوى آيتين وهما قوله الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا الى آخر الآيتين وهي احدى
وقيل اثنتين وخمسين آية وثمانمائة واحدى وستون كلمة وثلاثة آلاف واربعمائة
واربع وثلاثون حرفا **بسم الله الرحمن الرحيم**
قوله عز وجل **الر كتاب انزلناه اليك** يعني هذا الكتاب انزلناه اليك يا محمد والكتاب
هو القرآن المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم **لتخرج الناس من الظلمات الى النور** يعني بهذا
القرآن والمراد من الظلمات ظلمات الكفر والضلالة والجهل والمراد بالنور الايمان
قال الامام فخر الدين الرازي وفيه دليل على ان طريق الكفر والبدع كثيرة وطريق
الحق ليس الا واحدا لانه تعالى قال لتخرج الناس من الظلمات الى النور فعبر عن الكفر
والجهل بالظلمات وهو صيغة جمع وعبر عن الايمان والهدى بالنور وهو لفظ مفرد
وذلك يدل على ان طرق الكفر والجهل كثيرة واما طريق العلم والايمان ليس الا واحد
باذن ربهم يعني بامر ربهم وقيل بعلم ربهم **الى صراط العزيز الحميد** يعني
الى دين الاسلام وهو دينه الذي امر به عباده والعزيز هو الغالب الذي لا يغلب
والحميد المحمود على كل حال المستحق لجميع المحامد **الله** قرئ بالرفع على الاستئناف
وخبره ما بعده وقرئ بالجر نعتا للعزيز الحميد وقال ابو عمرو قراءة الخفض
على التقديم والتأخير تقديره الى صراط الله العزيز الحميد **الذي له ما في السموات
وما في الارض** يعني ملكا وما فيهما عبيده **وويل للكافرين** يعني الذين تركوا
عبادة الله الذي يستحق العبادة وله ما في السموات وما في الارض وعبدوا من لا
يملك شيئا البتة بل هو مملوك لله لانه من جملة خلق الله تعالى ومن جملة ما في السموات
من عذاب شديد يعني معد لهم في الآخرة ثم وصفهم فقال تعالى **الذين يستحبون
الحياة الدنيا على الآخرة** يعني يختارون الحياة الدنيا ويؤثرونها على الآخرة
ويصدون عن سبيل الله اي ويمنعون الناس عن قبول دين الله **ويبغونها عوجا**
اي ويطلبون لها زيغا وميلا فحذف الجار واوصل الفعل وقيل معناه يطلبون
سبيل الله جائرين عن القصد وقيل الهاء في ويبغونها راجعة الى الدنيا ومعناه
يطلبون الدنيا على طريق الميل عن الحق لكن بجهة الحرام **اولئك** يعني من هذه
صفته **في ضلال بعيد** يعني عن الحق بجواز ان يراد في ضلال بعيد ذي بعد او فيه
بعد لان الضلال يبعد عن الطريق قوله تعالى **وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه**
يعني بلغة قومه ليفهموا عنه ما يدعوهم اليه وهو قوله تعالى **ليبين لهم** يعني ما يأتون
وما يذرون فان قلت لم يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى العرب وحدهم
وانما بعث الى الناس جميعا بدليل قوله تعالى يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا
بل هو مبعوث الى الثقلين الجن والانس على السنة مختلفة ولغات شتى وقوله بلسان
قومه وليس قومه سوى العرب وذلك يقتضي بظاهره انه مبعوث الى العرب خاصة

فكيف يكون وجه الحجة قلت بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب وبلسانهم
والناس تبع للعرب فكان مبعوثا الى الخلق لانهم تبع للعرب ثم انه يبعث الرسل الى الاطراف
فيترجمون لهم بالسنتهم ويدعونهم الى الله تعالى بلغاتهم وقيل يحتمل انه اراد بقومه
اهل بلده وفيهم العرب وغير العرب فيدخل معهم غيرهم من جنسهم في عموم الدعوى وقيل
ان الرسول اذا ارسل بلسان قومه وكانت دعوته وهو محمد صلى الله عليه وسلم خاصة وكان
كتابه بلسان قومه كان اقرب لفهمهم عنه واقوم للحجة عليهم في ذلك فاذا فهموه ونقل
عنهم انتشر علمه وقامت التراجم ببيانه وتفهيمه لمن يحتاج الى ذلك ممن هو من غير
العرب واذا كان الكتاب واحدا بلغات واحدة مع اختلاف الامم وتباين اللغات
كان ذلك ابلغ في اجتهاد المجتهدين في تعليم معانيه وتفهيم فوايده وغوامضه واسراره
وعلومه وجميع حدوده واحكامه وقوله **فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء** يعني ان
الرسول ليس عليه الا التبليغ والتبيين والله هو الهادي المضل يفعل ما يشاء **وهو
العزيز** يعني الذي يغلب ولا يغلب **الحكيم** في جميع افعاله قوله عز وجل **ولقد
ارسلنا موسى باياتنا** المراد بالايات المعجزات التي جاء بها موسى عليه الصلاة
والسلام مثل العصى واليد وفلق البحر وغير ذلك من المعجزات العظيمة الباهرة
ان اخرج قومك من الظلمات الى النور يعني ان اخرج قومك بالدعوة من ظلمات
الكفر الى نور الايمان **وذكرهم بايام الله** قال ابن عباس وابي بن كعب ومجاهد وقتادة
يعني بنعم الله وقال مقاتل بوقايع الله في الامم السالفة يقال فلان عالم بايام
العرب اي بوقايعهم وانما اراد بما كان في ايام الله من النعمة والنقمة فاخبر بذلك
الايام عن ذلك لان ذلك كان معلوما عندهم وعلى هذا يكون المعنى عظهم بالترغيب
والترهيب والوعد والوعيد فالترغيب والوعد ان يذكرهم بما انعم الله عليهم
به من النعم وعلى من قبلهم ممن امن بالرسل فيما مضى من الايام والترهيب والوعيد
ان يذكر باس الله وشدة انتقامه ممن خالف امره وكذب رسله وقيل بايام الله
في حق موسى ان يذكر قومه بايام المحنة والشدة والبلا حين كانوا تحت ايدي القبط
يسومونهم سوء العذاب فخلصهم الله من ذلك وجعلهم ملوكا بعد ان كانوا مملوكين
ان في ذلك لايات لكل صبار شكور الصبار الكثير الصبر والشكور الكثير الشكر
وانما خص الصبور والشكور بالاعتبار بالايات وان كان فيها عبرة للكافة لانهم هم
المنتفعون بها دون غيرهم فلهذا خصهم بالايات فكانها ليست لغيرهم فهو كقوله
وهدى للمتقين ولان الانتفاع بالايات لا يمكن حصوله الا لمن يكون صابرا شاكرا
اما من لم يكن كذلك فلا ينتفع بها البتة **واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله
عليكم** لما امر الله عز وجل موسى عليه السلام ان يذكر قومه بايام الله امتثل ذلك
الامر وذكرهم بايام الله فقال اذكروا نعمة الله عليكم **اذ انجاكم من ال فرعون
يسومونكم سوء العذاب ويذبحون ابناءكم** فان قلت قال في سورة البقرة
يذبحون بغير واو وقال هنا ويذبحون بزيادة واو فما الفرق قلت انما حذفت

الواو في سورة البقرة لان قوله يذبحون تفسير لقوله يسومونكم سوء العذاب
وفي التفسير لا يحسن ذكر الواو تقول جاءني القوم زيد وعمرو واذا اردت تفسير
القوم واما دخول الواو هنا في هذه السورة لان ال فرعون كانوا يعذبونهم بانواع
من العذاب غير التذبيح وبالتذبيح ايضا فقوله يسومونكم سوء العذاب ويذبحون
نوع اخر من العذاب لا انه تفسير للعذاب **ويستحيون نساءكم** يعني يتركونهن احيا
وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم فان قلت كيف كان فعل فرعون بلاء من ربهم قلت
تمكينهم وامهالهم حتى فعلوا ما فعلوا كان ذلك بلاء من الله ووجه اخر وهو ان ذلك
اشارة الى الانجا وهو بلاء عظيم لان البلاء يكون ابتلاء بالنعمة والمحنة جميعا ومنه
قوله ونبلوكم بالشر والخير فتنة وهذا الوجه اولى لانه موافق الاول وهو قوله
اذكروا نعمة الله عليكم[2] واذكروا حين تاذن ومعنى تاذن اذن اي اعلم ولا بد من
تفعل زيادة معنى ليس في افعل كانه قيل واذن ربك ايذانا بليغا تنتفي عنده الشكوك
وتنزاح الشبهة والمعنى واذ تاذن ربكم فقال **لئن شكرتم** يعني يا بني اسرايل ما خولتكم
من نعمة الانجا وغيرها من النعم بالايمان الخالص والعمل الصالح **لازيدنكم** يعني نعمة الى
نعمة ولاضاعفن لكم ما اتيتكم قيل شكر الموجود صيد المفقود وقيل لئن شكرتم
بالطاعة لازيدنكم في الثواب واصل الشكر تصور النعمة واظهارها وحقيقته الاعتراف
بنعمة المنعم مع تعظيمه وتوطين النفس على هذه الطريقة وها هنا دقيقة وهي ان
العبد اذا اشتغل بمطالعة اقسام نعم الله عز وجل عليه وانواع فضله وبره وكرمه
واحسانه اليه اشتغل بشكر تلك النعم وذلك يوجب المزيد وبذلك تتاكد محبة العبد
لله عز وجل وهو مقام شريف واعلى منه وهو ان يشغله حب المنعم عن الالتفات الى
النعم وهذا مقام الصديقين نسال الله القيام بواجب شكر النعمة حتى يزيدنا
من فضله وكرمه واحسانه وانعامه وقوله **ولئن كفرتم** المراد بالكفر هاهنا كفران
النعمة وهو جحودها لانه مذكور في مقابلة الشكر **ان عذابي لشديد** يعني لمن كفر
نعمتي ولا يشكرها **وقال موسى ان تكفروا** يعني انتم يا بني اسرايل **ومن في الارض
جميعا** يعني والناس كلهم جميعا فانما ضرر ذلك يعود الى انفسكم وحرمتموها الخير كله
فان الله لغني عن جميع خلقه **حميد** اي محمود في جميع افعاله لانه فيها متفضل وعادل
الم ياتكم نبا يعني خبر **الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود** قال بعض المفسرين
يحتمل ان يكون هذا خطابا من موسى لقومه والمقصود منه انه عليه السلام كان
يخوفهم بهلاك من تقدم من الامم ويحتمل ان يكون خطابا من الله على لسان موسى
لقومه يذكرهم بذلك امر القرون الماضية والامم الخالية والمقصود منه حصول
العبرة باحوال من تقدم وهلاكهم **والذين من بعدهم** يعني من بعد هولاء الامم
الثلاثة **لا يعلمهم الا الله** يعني لا يعلم كنه مقادير هم وعددهم الا الله لان علمه
محيط بكل شي الا يعلم من خلق وقيل المراد بقوله والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله هو اقوام
وامم ما بلغنا خبرهم اصلا ومنه قوله وقرونا بين ذلك كثيرا وكان ابن مسعود

[2] فان قلت هب ان الابناء يذبحون فكيف يكون استحياء النساء فيه بلاء قلت كانوا يستخدمونهن [illegible] ... واذ تاذن [illegible] لقومه ... اذكروا [illegible]

اذا قرا هذه الآية يقول كذب النسابون يعني انهم يدعون علم النسب الى آدم وقد نفى
الله علم ذلك عن العباد وعن عبد الله بن عباس انه قال بين ابراهيم وعدنان ثلاثون
قرنا لا يعلمهم الا الله وكان مالك بن انس يكره ان ينسب الانسان نفسه ابا ابا الى آدم
لانه لا يعلم اولئك الا الله قوله تعالى **جاءتهم رسلهم بالبينات** يعني بالدلالات الواضحات
والمعجزات الباهرات **فردوا ايديهم في افواههم** وفي معنى الايدي والافواه قولان
احدهما ان المراد بهما هنا الجارحتان المعلومتان ثم في معنى ذلك وجوه قال ابن مسعود
عضوا ايديهم غيظا وقال ابن عباس لما سمعوا كتاب الله عجبوا ورجعوا بايديهم الى افواههم
وقال مجاهد وقتادة كذبوا الرسل وردوا ما جاءوا به يقال رددت قول فلان
في فيه اي كذبته وقال الكلبي يعني ان الامم ردوا ايديهم الى افواه انفسهم يعني
انهم وضعوا الايدي على الافواه اشارة منهم الى الرسل ان اسكتوا وقال مقاتل
ردوا ايديهم على افواه الرسل يسكتونهم بذلك وقيل ان الامم لما سمعوا كلام الرسل
عجبوا منه وضحكوا على سبيل السخرية فعند ذلك ردوا ايديهم في افواههم كما يفعل
الذي غلبه الضحك القول الثاني ان المراد بالايدي والافواه غير الجارحتين فقيل
المراد بالايدي النعم معناه ردوا ما لو قبلوه لكانت نعمة عليهم يقال لفلان عندي
يد نعمة والمراد بالافواه تكذيبهم الرسل والمعنى كذبوهم بافواههم وقيل انهم كفوا عن
قبول ما امروا بقبوله عن الحق ولم يؤمنوا به يقال فلان رد يده الى فيه اذا امسك
عن الجواب فلم يجب وهذا القول فيه بعد لانهم قد اجابوا بالتكذيب وهو ان الامم
ردوا على رسلهم **وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به** يعني انا كفرنا بما زعمتم ان الله ارسلكم
به لانهم لم يقروا بانهم ارسلوا اليهم لانهم لو اقروا بان الرسل ارسلوا اليهم لكانوا
مؤمنين **وانا لفي شك مما تدعوننا اليه مريب** يعني موجب للريبة او موقع في
الريبة والتهمة والريبة قلق النفس وان لا تطمئن الى الامر الذي تشك فيه فان قلت
انهم قالوا اولا انا كفرنا بما ارسلتم فكيف يقولون ثانيا وانا لفي شك والشك دون
الكفر او داخل فيه قلت انهم لما صرحوا بكفرهم بالرسل كانهم حصل لهم شبهة
توجب لهم الشك فقالوا ان لم ندع الجزم في قولنا وكفرنا فلا اقل من ان نكون
شاكين مرتابين في ذلك **قالت رسلهم** يعني مجيبين للامم **أفي الله شك** يعني هل
تشكون في الله وهو استفهام انكار ونفي لما اعتقدوه **فاطر السموات والارض** يعني
وهل تشكون في كونه خالق السموات والارض وخالق جميع ما فيهما **يدعوكم ليغفر
لكم من ذنوبكم** يعني ليغفر لكم ذنوبكم اذا آمنتم وصدقتم وحرف من صلة وقيل انها
ليست بصلة وعلى هذا او على انه يغفر لهم ما بينهم وبينه من الكفر والمعاصي دون مظالم
العباد **ويؤخركم الى اجل مسمى** اي يعني الى حين انقضاء آجالكم فلا يعاجلكم بالعذاب
قالوا يعني الامم مجيبين للرسل **ان انتم** اي ما انتم **الا بشر مثلنا** يعني في الصورة
الظاهرة لستم ملائكة **تريدون ان تصدونا عما كان يعبد آباؤنا** يعني ما تريدون
بقولكم هذا الا صدنا عن آلهتنا التي كان آباؤنا يعبدونها **فأتونا بسلطان مبين**

بحجة

بحجة بينة واضحة على صحة دعواكم **قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم** يعني ان الكفار
لما قالوا لرسلهم ان انتم الا بشر مثلنا قالت لهم رسلهم مجيبين هب ان الامر كما وصفتم
فنحن بشر مثلكم لا ننكر ذلك **ولكن الله يمن على من يشاء من عباده** يعني بالنبوة
والرسالة فيصطفي من يشاء من عباده لهذا المنصب العظيم الشريف **وما كان لنا
ان نأتيكم بسلطان الا باذن الله** يعني وليس لنا مع ما خصنا به من النبوة وشرفنا
به من الرسالة ان نأتيكم باية وبرهان ومعجزة تدل على صدقنا الا باذن الله لنا
في ذلك **وعلى الله فليتوكل المؤمنون** يعني في دفع شرور اعدائهم عنهم **وما لنا
ان لا نتوكل على الله** يعني ان الانبياء قالوا ايضا قد عرفنا انه لا يصيبنا شيء الا
بقضاء الله وقدره فنحن نثق به ونتوكل عليه في دفع شروركم عنا **وقد هدانا
سبلنا** يعني وقد عرفنا طريق النجاة وبين لنا الرشد **ولنصبرن** لام القسم
تقديره والله لنصبرن **على ما آذيتمونا** يعني من قول وفعل **وعلى الله فليتوكل
المتوكلون** فان قلت كيف كرر الامر بالتوكل وهل من فرق بين التوكلين
قلت نعم التوكل الاول فيه اشارة الى استحداث التوكل والتوكل الثاني
فيه اشارة الى السعي في التثبيت على ما استحدثوا من توكلهم وابقائه وادامته
فحصل الفرق بين التوكلين قوله تعالى **وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم
من ارضنا او لتعودن في ملتنا** يعني ليكونن احد الامرين اما اخراجكم ايها الرسل
من بلادنا وارضنا واما عودكم الى ملتنا فان قلت هذا يوهم بظاهره انهم كانوا
على ملتهم في اول الامر حتى يعودوا فيها قلت معاذ الله ولكن العود هنا بمعنى
الصيرورة وهو كثير في كلام العرب وفيه وجه آخر وهو ان الانبياء عليهم السلام
قبل الرسالة لم يظهروا خلاف اممهم فلما ارسلوا اليهم اظهروا مخالفتهم ودعوهم
الى الله تعالى قالوا لهم لتعودن في ملتنا ظنا منهم انهم كانوا على ملتهم ثم خالفوهم
واجماع الامة على ان الرسل من اول الامر انما نشأوا على التوحيد لا يعرفون
غيره **فأوحى اليهم ربهم** يعني ان الله تعالى اوحى الى رسله وانبيائه بعد هذه المخاطبات
والمحاورات **لنهلكن الظالمين** يعني ان عاقبة امرهم الى الهلاك فلا تخافوهم
ولنسكننكم الارض من بعدهم يعني من بعد هلاكهم **ذلك** يعني ذلك الاسكان
لمن خاف مقامي يعني خاف قيامه بين يدي يوم القيامة فاضاف قيام العبد الى
نفسه لان العرب قد تضيف افعالها الى انفسها فهو كقولهم ندمت على ضربي اياك
وندمت على ضربك مثله **وخاف وعيد** يعني وخاف عقابي قوله عز وجل **واستفتحوا**
يعني واستنصروا قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني الامم وذلك انهم قالوا اللهم
ان كان هؤلاء الرسل صادقين فعذبنا وقال مجاهد وقتادة واستفتح الرسل
على اممهم وذلك انهم لما يئسوا من ايمان قومهم استنصروا الله ودعوا على قومهم
بالعذاب **وخاب** يعني وخسر وقيل هلك **كل جبار عنيد** الجبار في صفة الانسان
يقال لمن تجبر لنفسه بادعاء منزلة عالية لا يستحقها وهو صفة ذم في حق الانسان

وقيل الجبار الذي لا يرى فوقه احدا وقيل الجبار المتعظم في نفسه المتكبر على اقرانه
والعنيد المعاند للحق ومجانبه قاله مجاهد وقال ابن عباس هو المعرض عن الحق وقال
مقاتل هو المتكبر وقال قتادة هو الذي يابى ان يقول لا اله الا الله وقيل العنيد
المعجب بما عنده وقيل العنيد الذي يعاند ويخالف **من ورائه جهنم** يعني من امامه
وهو صائر اليها قال ابو عبيدة هو من الاضداد يعني انه يقال وراء بمعنى خلف وبمعنى
امام وقال الاخفش هو كما يقال هذا الامر من ورائك يعني انه سياتيك **ويسقى**
يعني في جهنم **من ماء صديد** وهو ما سال من اللحم والجلد من القيح جعل ذلك شراب اهل
النار وقال محمد بن كعب القرظي هو ما يسيل من فروج الزناة يسقاه الكافر وهو
قوله **يتجرعه** اي يتحساه ويشربه لا بمرة واحدة بل جرعة بعد جرعة لمرارته
وحرارته وكراهته ونتنه **ولا يكاد يسيغه** اي لا يقدر على ابتلاعه يقال ساغ الشراب
في الحلق اذا سهل انحداره فيه قال بعض المفسرين كاد صلة والمعنى يتجرعه ولا يسيغه
وقال صاحب الكشاف دخلت كاد للمبالغة يعني ولا يقارب ان يسيغه فكيف تكون
الاساغة وقال بعضهم ولا يكاد يسيغه اي يسيغه بعد ابطاء لان العرب تقول
ما كدت اقوم اي قمت بعد ابطاء فعلى هذا كاد على اصلها وليست صلة وقال ابن
عباس معناه لا يجيزه وقيل معناه يكاد لا يسيغه ويسيغه فيغلي في جوفه عن ابي
امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله ويسقى من ماء صديد يتجرعه
قال يقرب الى فيه فيكرهه فاذا ادني منه شوى وجهه ووقعت فروة راسه فاذا
شربه قطع امعاءه حتى يخرج من دبره قال وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم وقال
وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا
اخرجه الترمذي وقال حديث غريب قوله وقعت فروة راسه اي جلدة راسه
شبهها بالفروة للشعر الذي عليها قوله تعالى **وياتيه الموت من كل مكان** يعني
ان الكافر يجد الم الموت وشدته من كل مكان من اعضائه وقال ابراهيم التيمي حتى
من تحت كل شعرة من جسده وقيل ياتيه الموت من قدامه ومن خلفه ومن فوقه
ومن تحته وعن يمينه وعن شماله **وما هو بميت** فيستريح وقال ابن جريج
تعلق نفسه عند حنجرته فلا تخرج من فيه فيموت ولا ترجع الى مكانها من جوفه
فتنفعه الحياة **ومن ورائه** يعني امامه **عذاب غليظ** اي شديد وقيل هو الخلود
في النار قوله تعالى **مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد اشتدت به الريح في**
يوم عاصف هذا كلام مستانف منقطع عما قبله وهو مبتدا محذوف الخبر عند
سيبويه تقديره فيما يقص او فيما يتلى عليكم مثل الذين كفروا والمثل مستعار للقصة
التي فيها غرابة وقوله اعمالهم كرماد وقال الفراء مثل اعمال الذين كفروا بربهم كرماد
فحذف المضاف اعتمادا على ذكره بعد المضاف اليه وقيل يحتمل ان يكون المعنى صفة الذين
كفروا بربهم اعمالهم كرماد كقولك صفة زيد عرضه مصون وماله مبذول والرماد
معروف وهو ما يسقط من الحطب والفحم بعد احراقه بالنار اشتدت به الريح يعني

فتسفته

فتسفته وطيرته ولم يبق منه شيء في يوم عاصف وصف اليوم بالعصوف والعصوف من
صفة الريح لان الريح تكون فيه كقولك يوم بارد وحار وليلة ماطرة لان البرد والمطر
والحر يوجد فيه وقيل معناه في يوم عاصف الريح فحذف الريح لانه قد تقدم ذكرها
وهذا مثل ضربه الله لاعمال الكفار التي لم ينتفعوا بها ووجه المشابهة بين هذا
المثل وبين هذه الاعمال هو ان الريح العاصف تطير الرماد وتذهب به وتفرق اجزاءه
بحيث لا يبقى منه شيء وكذلك اعمال الكفار تبطل وتذهب بسبب كفرهم وشركهم
حتى لا يبقى منها شيء ثم اختلفوا في هذه الاعمال ما هي فقيل هي ما عملوه من اعمال الخير
في حال الكفر كالصدقة وصلة الارحام وفك الاسير واقراء الضيف وبر الوالدين
ونحو ذلك من اعمال البر والصلاح فهذه الاعمال وان كانت اعمال بر لكنها لا ينتفع
بها صاحبها يوم القيامة بسبب كفره لان كفره احبطها وابطلها كلها وقيل المراد
بالاعمال عبادتهم الاصنام التي ظنوا انها تنفعهم فبطلت وحبطت ولم تنفعهم
البتة ووجه خسرانهم انهم اتعبوا ابدانهم في الدهر الطويل لكي ينتفعوا بها فصارت
وبالا عليهم وقيل اراد بالاعمال الاعمال التي عملوها في الدنيا واشركوا فيها غير الله
فانها لا تنفعهم لانها صارت كالرماد الذي ذرته الريح وصار هباء لا ينتفع به وهو
قوله تعالى **لا يقدرون مما كسبوا** يعني في الدنيا **على شيء** يعني من تلك الاعمال
والمعنى انهم لا يجدون ثواب اعمالهم في الاخرة **ذلك هو الضلال البعيد** يعني ذلك
الخسران الكبير لان اعمالهم ضلت وهلكت فلا يرجى عودها والبعيد هنا الذي
لا يرجى عوده **الم تر ان الله خلق السموات والارض بالحق** يعني لم يخلقهما باطلا ولا
عبثا وانما خلقهما لامر عظيم وغرض صحيح **ان يشا يذهبكم** يعني ايها الناس **ويات**
بخلق جديد يعني سواكم اطوع لله منكم والمعنى ان الذي قدر على خلق السموات
والارض فبان يقدر على افناء قوم واماتتهم وايجاد خلق اخر سواهم كان اولى
لان القادر لا يصعب عليه شيء قيل هذا خطاب لكفار مكة يريد اميتكم يا معشر
الكفار واخلق قوما غيركم خيرا منكم واطوع **وما ذلك على الله بعزيز** يعني
بممتنع لان الاشياء كلها سهلة على الله وان جلت وعظمت قوله عز وجل **وبرزوا لله**
جميعا يعني وخرجوا من قبورهم الى الله ليحاسبهم ويجازيهم على قدر اعمالهم والبراز
الفضاء وبرز حصل في البراز وذلك ان يظهر بذاته كله والمعنى وخرجوا من قبورهم
وظهروا الى الفضاء واورد بلفظ الماضي وان كان معناه الاستقبال لان كل ما اخبر الله
عنه فهو حق وصدق وكائن لا محالة فصار كانه قد حصل ودخل في الوجود **فقال**
الضعفاء يعني الاتباع **للذين استكبروا** وهم القادة الرؤساء **انا كنا لكم تبعا**
يعني في الدين والاعتقاد **فهل انتم** في هذا اليوم **مغنون عنا** يعني دافعون
من عذاب الله من شيء من هنا للتبعيض والمعنى هل تقدرون على ان تدفعوا
عنا بعض عذاب الله الذي حل بنا **قالوا** يعني الرؤساء والقادة والمتبوعين للتابعين
لو هدانا الله لهديناكم يعني لو ارشدنا الله لارشدناكم ودعوناكم الى الهدى

ولكن لما اضللنا دعوناكم الى الضلالة سواء علينا اجزعنا ام صبرنا يعني مستوي ان علينا
الجزع والصبر والجزع ابلغ من الحزن لانه يصرف الانسان عما هو بصدده ويقطعه عنه
ما لنا من محيص يعني من مهرب ولا منجاة مما نحن فيه من العذاب قال مقاتل يقولون
في النار تعالوا نجزع فيجزعون خمسماية عام فلا ينفعهم الجزع فيقولون تعالوا نصبر
فيصبرون خمسماية عام فلا ينفعهم الصبر فعند ذلك يقولون سواء علينا اجزعنا
ام صبرنا ما لنا من محيص وقال محمد بن كعب القرظي بلغني ان اهل النار يستغيثون
بالخزنة كما قال الله تعالى وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما
من العذاب فردت الخزنة عليهم اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات قالوا فردت الخزنة عليهم
ادعوا وما دعاء الكافرين فلما يئسوا مما عند الخزنة نادوا يا مالك ليقض علينا ربك
سالوا الموت فلا يجيبهم ثمانين سنة والسنة ثلثماية وستون يوما واليوم كالف
سنة مما تعدون ثم يجيبهم بقوله انكم ماكثون فلما يئسوا مما عنده قال بعضهم لبعض
تعالوا فلنصبر كما صبر اهل الطاعة لعل ذلك ينفعنا فصبروا فطال صبرهم فلم ينفعهم
فجزعوا فلم ينفعهم فعند ذلك قالوا سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص
قوله تعالى وقال الشيطان يعني ابليس لما قضي الامر يعني فرغ منه وادخل اهل
الجنة الجنة واهل النار النار اخذ اهل النار في لوم ابليس وتقريعه وتوبيخه فيقوم
فيها خطيبا قال مقاتل يوضع له منبر في النار فيجتمع اليه اهل النار يلومونه
فيقول لهم ما اخبر الله ان الله وعدكم وعد الحق فيه اضمار تقديره وصدق في وعده
ووعدتكم فاخلفتكم يعني الموعد وقيل يقول لهم اني قلت لكم لا بعث ولا جنة ولا
نار وما كان لي عليكم من سلطان يعني من ولاية وقهر وقيل لم اتكم بحجة فيما وعدتكم
به الا ان دعوتكم هذا استثناء منقطع معناه لكن دعوتكم فاستجبتم لي فلا
تلوموني ولوموا انفسكم يعني ما كان مني الا الدعاء والقاء الوسوسة وقد
سمعتم دلايل الله وجاءتكم الرسل فكان من الواجب عليكم ان لا تلتفتوا الي ولا تسمعوا
قولي فلما رجحتم قولي على الدلايل الظاهرة فكان اللوم بكم اولى باجابتي ومتابعتي
من غير حجة ولا دليل ما انا بمصرخكم يعني بمغيثكم ولا منقذكم وما انتم بمصرخي
يعني بمغيثي ولا منقذي مما انا فيه اني كفرت بما اشركتمون من قبل يعني كفرت
بجعلكم اياي شريكا له في عبادته وتبرات من ذلك والمعنى ان ابليس جحد ما يعتقده
الكفار فيه من كونه شريكا لله وتبرا من ذلك ان الظالمين لهم عذاب اليم وروى
البغوي بسنده عن عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الشفاعة وذكر
الحديث الى قوله فياتوني فياذن الله لي ان اقوم فيثور مجلسي من اطيب ريح شمها
احد حتى اتي ربي فيشفعني ويجعل لي نورا من شعر راسي الى ظفر قدمي ثم يقول الكفار
قد وجد المؤمنون من يشفع لهم فمن يشفع لنا فيقولون ما هو غير ابليس هو
الذي اضلنا فياتونه فيقولون قد وجد المؤمنون من يشفع لهم فقم انت فاشفع
لنا فانك انت اضللتنا فيقوم فيثور من مجلسه انتن ريح شمها احد ثم نعظم جهنم

ويقول

ويقول عند ذلك ان الله وعدكم وعد الحق الاية قوله تعالى وادخل الذين امنوا وعملوا
الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار لما شرح الله عز وجل حال الكفار الاشقياء
بما تقدم من الايات الكثيرة شرح احوال المؤمنين السعداء وما اعد لهم في الاخرة
من الثواب العظيم والاجر الجزيل وذلك ان الثواب منفعة خالصة دايمة مقرونة
بالتعظيم فالمنفعة الخالصة اليها الاشارة بقوله تعالى وادخل الذين امنوا وعملوا
الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار وكونها دايمة اشير اليه بقوله خالدين فيها
والتعظيم حصل من وجهين احدهما قوله باذن ربهم لان تلك المنافع انما كانت تفضلا
من الله وانعامه الثاني قوله تحيتهم فيها سلام فيحتمل ان بعضهم يحيي بعضا بهذه
الكلمة والملائكة تحييهم بهذه التحية او الرب سبحانه وتعالى يحييهم بها ويحتمل
ان يكون المراد انهم لما دخلوا الجنة سلموا من جميع الافات لان السلام مشتق من
السلامة قوله عز وجل الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة لما شرح الله عز وجل
حال الاشقياء واحوال السعداء ضرب الله مثلا فيه حكم هذين القسمين فقال
تعالى الم تر اي بعين قلبك فتعلم علم يقين باعلامي اياك فعلى هذا يحتمل ان يكون
الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل معه غيره فيه ويحتمل ان يكون الخطاب
لكل فرد من الناس فيكون المعنى الم تر ايها الانسان كيف ضرب الله مثلا يعني بين
شبها والمثل عبارة عن قول في شيء يشبه قولا في شيء اخر بينهما مشابهة ليتبين
احدهما من الاخر ويصوره وقيل هو قول ساير لتشبيه شيء بشيء اخر كلمة طيبة
هي قول لا اله الا الله في قول ابن عباس وجمهور المفسرين كشجرة طيبة يعني
كشجرة طيبة الثمر قال ابن عباس هي النخلة وبه قال ابن مسعود وانس ومجاهد
وعكرمة والضحاك ق عن ابن عمر قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال اخبروني عن شجرة تشبه الرجل او قال كالرجل المسلم لا يتحات ورقها ولا تؤتي اكلها
كل حين قال ابن عمر رضي الله تعالى عنهما فوقع في نفسي انها النخلة ورايت ابا بكر وعمر
لا يتكلمان فكرهت ان اتكلم فلما لم يقولوا شيا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
هي النخلة فلما قمنا قلت لعمر يا ابتاه والله لقد كان وقع في نفسي انها النخلة فقال
ما منعك ان تتكلم قال لم اركم تتكلمون فكرهت ان اتكلم او اقول شيا فقال عمر
لان تكون قلتها احب الي من كذا وكذا وفي رواية ان من الشجر شجرة لا يسقط ورقها
وانها مثل المسلم فحدثوني ما هي فوقع الناس في شجر البوادي قال عبد الله ووقع
في نفسي انها النخلة فاستحييت ثم قالوا حدثنا ما هي يا رسول الله قال هي النخلة
وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنه انها شجرة في الجنة وفي رواية اخرى عنه
انها المومن وقوله اصلها ثابت يعني في الارض وفرعها يعني اعلاها في السما يعني
ذاهبة في السما تؤتي اكلها يعني ثمرها كل حين باذن ربها يعني بامر ربها والحين
في اللغة الوقت يطلق على القليل والكثير واختلفوا في مقداره ها هنا فقال
مجاهد وعكرمة الحين هنا سنة كاملة لان النخلة تثمر في كل سنة مرة وقال

سعيد بن جبير وقتادة والحسن ستة اشهر يعني من وقت طلعها الى حين صرامها وروي
ذلك عن ابن عباس رضي الله عنه وقال علي بن ابي طالب ثمانية اشهر يعني ان مدة حملها
ظاهرا وباطنها ثمانية اشهر وقيل اربعة اشهر من حين ظهور حملها الى ادراكها وقال
سعيد بن المسيب شهران يعني من كل وقت يوكل منها الى صرامها وقال الربيع بن انس
كل حين يعني كل غدوة وعشية لان ثمر النخل يوكل ابدا ليلا ونهارا صيفا وشتا
فيوكل منها الجمار والطلع والبلح والخلال والبسر والمنصف والرطب وبعد ذلك
يوكل التمر اليابس الى حين الطري الرطب فاكلها دايم في كل وقت قال العلما ووجه
ووجه الحكمة في تمثيل هذه الكلمة التي هي كلمة الاخلاص واصل الايمان بالنخلة من
اوجه احدها ان كلمة الاخلاص شديدة الثبوت في قلب كل مومن كثبوت اصل هذه
النخلة في الارض الوجه الثاني ان هذه الكلمة ترفع عمل المومن الى السما كما قال
تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وكذلك فرع هذه النخلة عال
في السما الوجه الثالث ان ثمر هذه النخلة ياتي في كل حين ووقت وكذلك ما يكسبه
المومن من الاعمال الصالحة في كل وقت وحين ببركة هذه الكلمة فالمومن كلما قال لا
اله الا الله صعدت الى السما وجاءت بركتها وثوابها وخيرها ومنفعتها الوجه الرابع
ان النخلة شبيهة بالانسان في غالب الامر لانها خلقت من فضلة طين ادم وانها
اذا قطع راسها تموت كالادمي بخلاف ساير الشجر فانه اذا قطع نبت وانها لا تحمل
حتى يلقح بطلع الذكر الوجه الخامس في وجه الحكمة في تمثيل الايمان بالشجر على
الاطلاق ان الشجرة لا تسمى شجرة الا بثلاثة اشيا عرق راسخ واصل قايم وفرع
عال وكذلك لا يتم الايمان الا بثلاثة اشيا تصديق بالقلب وقول باللسان
وعمل بالابدان قوله تعالى **ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون** يعني ان في
ضرب الامثال زيادة في الافهام وتصوير المعاني وتذكير ومواعظ لمن تذكر واتعظ
وقوله تعالى **ومثل كلمة خبيثة** وهو الشرك **كشجرة خبيثة** يعني الحنظل
قاله انس بن مالك ومجاهد وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما انها الكشوث
وعنه ايضا انها الثوم وعنه ايضا انها الكافر لا يقبل الله عمله فليس له اصل ثابت
ولا يصعد الى السما **اجتثت** يعني استوصلت وقطعت **من فوق الارض ما لها
من قرار** يعني ما لهذه الشجرة من ثبات في الارض لانها ليس لها اصل ثابت في الارض
ولا فرع صاعد الى السما كذلك الكافر لا خير فيه ولا يصعد له قول طيب ولا عمل
صالح ولا لاعتقاده اصل ثابت فهذا وجه تمثيل الكافر بهذه الشجرة الخبيثة عن انس
قال اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بقناع عليه رطب فقال مثل كلمة طيبة كشجرة
طيبة اصلها ثابت وفرعها في السما تؤتي اكلها كل حين باذن ربها قال هي النخلة
ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار قال هي
الحنظلة اخرجه الترمذي مرفوعا وموقوفا وقال الموقوف اصح قوله عز وجل
يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت لما وصف الله الكلمة في الاية المتقدمة لجهة

هذه

هذه الاية انه يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت والقول الثابت هو الكلمة
الطيبة وهي شهادة ان لا اله الا الله في قول جمهور المفسرين ولما وصف الكلمة
الخبيثة في الاية المتقدمة وهي كلمة الشرك قال في هذه الاية ويضل الله
الظالمين يعني بالكلمة الخبيثة وهي كلمة الشرك في قول جميع المفسرين قوله **في
الحياة الدنيا** يعني في القبر عند السوال **وفي الاخرة** يعني يوم القيامة عند
البعث والحساب والقول الذي عليه الجمهور اصح ويدل عليه ما روي عن البرا
ابن عازب رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول المسلم
اذا سيل في القبر يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فذلك قوله
يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت وفي رواية ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قرا يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت قال نزلت في عذاب القبر
زاد في رواية يقال له من ربك فيقول ربي الله ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم اخرجه
البخاري ومسلم وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العبد
اذا وضع في القبر وتولى وذهب عنه اصحابه انه ليسمع قرع نعالهم اذا انصرفوا
اتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل محمد فاما المومن
فيقول اشهد انه عبد الله ورسوله فيقال له انظر الى مقعدك من النار ابدلك
الله به مقعدا من الجنة قال النبي صلى الله عليه وسلم فيراهما جميعا قال قتادة
ذكر لنا انه يفسح له في قبره ثم رجع الى حديث انس واما الكافر والمنافق وفي
رواية واما الكافر والمنافق فيقول لا ادري كنت اقول ما يقول الناس فيه
فيقال لا دريت ولا تليت ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين اذنيه فيصيح
صيحة يسمعها من يليه الا الثقلين لفظ البخاري ولمسلم بمعناه زاد في رواية انه
يفسح له في قبره سبعون ذراعا ويملا عليه خضرا الى يوم يبعثون واخرجه ابو داود
عن انس وهذا لفظه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان المومن اذا وضع
في قبره اتاه ملك فيقول ما كنت تعبد فان هداه الله قال كنت اعبد الله فيقول
له ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول هو عبد الله ورسوله فما يسال عن شي بعدها
فينطلق به الى بيت كان له في النار فيقال له هذا كان لك ولكن عصمك الله فابدلك
به بيتا في الجنة فيراه فيقول دعوني حتى اذهب فابشر اهلي فيقال له اسكن وان الكافر
او المنافق اذا وضع في قبره اتاه ملك فينتهره فيقول ما كنت تعبد فيقول لا ادري
فيقال له لا دريت ولا تليت فيقال له ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول كنت
اقول ما يقول الناس فيضربه بمطراق من حديد بين اذنيه فيصيح صيحة يسمعها
الخلق غير الثقلين واخرجه النساي ايضا عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال اذا اقبر الميت او قال اذا اقبر احدكم اتاه ملكان اسودان
ازرقان يقال لاحدهما المنكر وللاخر النكير فيقولان ما كنت تقول في هذا
الرجل فيقول ما كان يقول هو عبد الله ورسوله اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا

عبده ورسوله فيقولان قد كنا نعلم انك تقول هذا يفسح له في قبره سبعون ذراعا
ثم ينور له فيه ثم يقال له نم فيقول ارجع الى اهلي فاخبرهم فيقولون نم كنومة العروس
الذي لا يوقظه الا احب اهله اليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك وان كان منافقا
فيقول سمعت الناس يقولون قولا فقلت مثله لا ادري فيقولان كنا نعلم انك
كنت تقول ذلك فيقال للارض التئمي عليه فتلتئم عليه فتختلف اضلاعه فلا يزال
معذبا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك اخرجه الترمذي عن البراء بن عازب رضي الله
عنه قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الانصار فانتهينا
الى القبر ولما يلحد بعد فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا حوله كانما على
رؤوسنا الطير وبيده عود ينكت به الارض فرفع راسه صلى الله عليه وسلم فقال تعوذوا
من عذاب القبر مرتين او ثلاثا زاد في رواية وقال ان الميت ليسمع خفق نعالهم اذا ولوا
مدبرين حين يقال له يا هذا من ربك وما دينك ومن نبيك وفي رواية ياتيه ملكان فيجلسانه
فيقولان من ربك فيقول ربي الله فيقولان له وما دينك فيقول ديني الاسلام
فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول هو رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيقولان وما يدريك فيقول قرات كتاب الله وامنت به وصدقت زاد في رواية
فذلك قوله يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الاخرة
ثم اتفقا قال فينادي مناد من السماء ان صدق عبدي فافرشوه في الجنة وافتحوا
له بابا الى الجنة فياتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره وان كان الكافر
فذكر موته قال فتعاد روحه في جسده وياتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له
من ربك فيقول هاه هاه لا ادري فيقولان ما دينك فيقول هاه هاه لا ادري فيقولان
ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول هاه هاه لا ادري فينادي مناد من السماء
ان قد كذب عبدي فافرشوه من النار والبسوه من النار وافتحوا له بابا الى النار
فياتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه اضلاعه زاد في رواية
ثم يقيض له اعمى ابكم اصم معه مرزبة من حديد لو ضرب بها جبل لصار ترابا فيضربه
بها ضربة يسمعها من بين المشرق والمغرب الا الثقلين فيصير ترابا ثم تعاد فيه الروح
اخرجه ابو داود وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال استغفروا لاخيكم واسالوا له التثبيت فانه
الان يسال اخرجه ابو داود وعن عبد الرحمن بن شماسة المهري قال حضرنا عمرو
ابن العاص وهو في سياق الموت فبكى طويلا وحول وجهه الى الجدار فجعل ابنه يقول
ما يبكيك يا ابتاه اما بشرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بكذا وبكذا فاقبل بوجهه
وقال ان افضل ما نعد شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وذكر الحديث
بطوله وفيه فاذا انا مت فلا تصحبني نائحة ولا نار فاذا دفنتموني فشنوا
على التراب شنا ثم اقيموا حول قبري قدر ما تنحر جزور ويقسم لحمها حتى استانس
بكم وانظر ماذا اراجع به رسل ربي اخرجه مسلم بزيادة طويلة فيه قيل ان المراد

من التثبت بالقول الثابت هو ان الله تعالى انما يثبتهم في القبر بسبب كثرة مواظبتهم
على الشهادة والحق في الحياة الدنيا وحبهم لها فمن كان مواظبته على شهادة الاخلاص
اكثر كان رسوخها في قلبه اعظم فينبغي للعبد المسلم ان يكثر من قول لا اله الا الله
محمد رسول الله في جميع حالاته من قيامه وقعوده ونومه ويقظته وجميع حركاته
وسكونه فلعل الله عز وجل ان يرزقه ببركة مواظبته على شهادة الاخلاص التثبيت
في القبر ويسهل عليه جواب الملكين مما فيه من خلاصه من عذاب الاخرة نسال
الله التثبيت في القبر وحسن الجواب وتسهيله بفضله ومنه وكرمه واحسانه
انه على كل شيء قدير قوله عز وجل **ويضل الله الظالمين** يعني ان الله تعالى لا يهدي
المشركين للجواب بالصواب في القبر **ويفعل الله ما يشاء** يعني من التوفيق
والخذلان والهداية والاضلال والتثبيت وترك التثبيت لا اعتراض عليه في جميع
افعاله لا يسال عما يفعل وهم يسالون قوله عز وجل **الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله**
كفرا خ عن ابن عباس في قوله الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا قال هم والله
كفار قريش قال عمرو هم قريش ومحمد نعمة الله واحلوا قومهم دار البوار قال النار
يوم بدر وعن علي رضي الله تعالى عنه قال هم كفار قريش نحروا يوم بدر وقال عمر
ابن الخطاب رضي الله تعالى عنه الافجران من قريش بنو المغيرة وبنو امية اما
بنو المغيرة فقد كفيتموهم يوم بدر واما بنو امية فقد متعوا الى حين فقوله
بدلوا نعمة الله كفرا معناه ان الله تعالى لما انعم على قريش بمحمد صلى الله عليه وسلم
فارسله اليهم وانزل عليه كتابه ليخرجهم من ظلمات الكفر الى نور الايمان فاختاروا
الكفر على الايمان وغيروا نعمة الله عليهم وقيل يجوز ان يكون بدلوا شكر نعمة الله عليهم
كفرا لانه لما وجب عليهم الشكر بسبب هذه النعمة اتوا بالكفر فكانهم غيروا الشكر
وبدلوا بالكفر **واحلوا قومهم** يعني من تبعهم على دينهم وكفرهم **دار البوار**
يعني دار الهلاك ثم فسرها بقوله تعالى **جهنم يصلونها وبئس القرار** يعني
المستقر **وجعلوا لله اندادا** يعني امثالا واشباها هي الاصنام وليس لله تعالى
ند ولا مثل تعالى الله عن الند والشبيه والمثل علوا كبيرا **ليضلوا عن سبيله**
يعني ليضلوا الناس عن طريق الهدى ودين الحق **قل تمتعوا** اي قل يا محمد لهؤلاء الكفار
عيشوا في الدنيا اياما قلائل **فان مصيركم الى النار** يعني في الاخرة قوله تعالى
قل لعبادي الذين امنوا يقيموا الصلاة يعني اقيموا او ليقيموا الصلاة يعني الواجبة
واقامتها اتمام اركانها **وينفقوا مما رزقناهم** قيل اراد بهذا الانفاق اخراج
الزكاة الواجبة وقيل اراد به جميع الانفاق في جميع وجوه الخير والبر وحمله
على العموم اولى لانه يدخل فيه اخراج الزكاة والانفاق في جميع وجوه البر **سرا**
وعلانية يعني ينفقون اموالهم في حال السر وحال العلانية وقيل اراد بالسر
صدقة التطوع وبالعلانية اخراج الزكاة الواجبة **من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه**
قال ابو عبيدة البيع هنا الفداء يعني لا فداء في ذلك اليوم **ولا خلال** يعني ولا خلة

وهي المودة والصداقة التي تكون بين اثنين وقال مقاتل انما هو يوم لا بيع فيه ولا شرا ولا مخالة ولا قرابة انما هي الاعمال اما ان يثاب بها او يعاقب عليها فان قلت كيف نفي الخلة في هذه الاية وفي الاية التي في سورة البقرة واثبتها في قوله تعالى الاخلا يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين قلت الاية الدالة على نفي الخلة محمولة على نفي الخلة بسبب ميل الطبيعة ورعونة النفس والاية الدالة على حصول الخلة وثبوتها محمولة على الخلة الحاصلة بسبب محبة الله تعالى الا تراه اثبتها للمتقين فقط ونفاها عن غيرهم وقيل ان ليوم القيامة احوال لا تختلفة ففي بعضها يشتغل كل خليل عن خليله وفي بعضها يتعاطف الاخلا بعضهم على بعض اذا كانت المخالة لله تعالى في محبته قوله تعالى الله الذي خلق السموات والارض وانزل من السما ما فاخرج به من الثمرات رزقا لكم اعلم انه تقدم تفسير هذه الاية في مواضع كثيرة ونذكر هنا بعض فوائد هذه الاية الدالة على وجود الصانع المختار القادر الذي يخرج بشي اراده فقوله الله الذي خلق السموات والارض انما بدا بذكر خلق السموات والارض لانهما اعظم المخلوقات المشاهدة الدالة على وجود الصانع الخالق القادر المختار وانزل من السما ما يعني من السحاب سمي السحاب سما لارتفاعه مشتق من السمو وهو الارتفاع وقيل ان المطر ينزل من السما الى السحاب ومن السحاب الى الارض فاخرج به اي بذلك الما من الثمرات رزقا لكم الثمر اسم يقع على ما يحصل من الشجر وقد يقع على الزرع ايضا بدليل قوله كلوا من ثمره اذا اثمر واتوا حقه يوم حصاده وقوله من الثمرات بيان للرزق اي اخرج به رزقا هو الثمرات وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بامره لما ذكر الله تعالى انعامه بانزال المطر واخراج الثمر لاجل الرزق والانتفاع بها ذكر نعمته على عباده بتسخير السفن الجارية على الما لاجل الانتفاع بها في جلب ذلك الرزق الذي هو الثمرات وغيرها من بلد الى بلد اخر فهي من تمام نعم الله على عباده وسخر لكم الانهار يعني ذللها لكم تجرونها حيث شئتم ولما كان ما البحر لا ينتفع به في سقي الزرع والثمرات ولا في الشرب ايضا ذكر نعمته على عباده في تسخير الانهار وتفجير العيون لاجل هذه الحاجة فهي من اعظم نعم الله على عباده وسخر لكم الشمس والقمر دائبين الدأب العادة المستمرة دائما على حالة واحدة ودأب في السير داوم عليه والمعنى ان الله سخر الشمس والقمر يجريان دائما فيما يعود الى مصالح العباد لا يفتران الى اخر الدهر وهو انقضا عمر الدنيا وذهابها قال ابن عباس رضي الله عنه دؤوبهما في طاعة الله عز وجل وقال بعضهم معناه يجريان في طاعة الله عز وجل اي في مسيرهما وتاثيرهما في ازالة الظلمة واصلاح النبات والحيوان لان الشمس سلطان النهار وبها تعرف فصول السنة والقمر سلطان الليل وبه يعرف انقضا الشهور وكل ذلك بتسخير الله عز وجل وانعامه على عباده وسخر لكم الليل والنهار يعني يتعاقبان في الضيا والظلمة والنقصان والزيادة وذلك من انعام الله على عباده وتسخيره لهم واتاكم من كل ما سالتموه لما

لما ذكر الله الانعام العظيمة التي انعم بها على عباده وسخرها لهم بين بعد ذلك انه تعالى لم يقتصر على تلك النعم بل اعطى عباده من المنافع والمرادات ما لا ياتي على بعضها العد والحصر والمعنى اتاكم من كل ما سالتموه شيا فحذف الشي الثاني اكتفا بدلالة الكلام على التبعيض وقيل هو على التكثير واتاكم من كل ما سالتموه وما لم تسالوه لان نعمه علينا اكثر من ان تحصر وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها يعني ان نعم الله كثيرة على عباده فلا يقدر احد على حصرها ولا عدها لكثرتها ان الانسان قال ابن عباس رضي الله عنه يريد ابا جهل وقال الزجاج هو اسم جنس ولكن يقصد به الكافر لظلوم كفار يعني ظلوم لنفسه كفار بنعمة ربه وقيل الظلوم الشاكر لغير من انعم عليه فيضع الشكر في غير موضعه كفار جحود لنعم الله عليه وقيل ظالم لنعمة باغفال شكرها كفار شديد الكفران بها وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع قوله تعالى واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد امنا يعني ذا امن يومن فيه واراد بالبلد مكة فان قلت اي فرق بين قوله اجعل هذا البلد وبين قوله اجعل هذا بلدا امنا قلت الفرق بينهما انه تعالى في الاولى ان يجعلها من جملة البلاد التي يامن اهلها ولا يخافون وسال في الثاني ان يخرج هذا البلد من صفة كان عليها من الخوف الى ضدها من الامن كانه قال هو بلد مخوف فاجعله امنا واجنبني وبني ان نعبد الاصنام يعني ابعدني وبني ان نعبد الاصنام فان قلت اي فرق بين قوله اجعل هذا البلد امنا وبين قوله اجعل هذا بلدا امنا قلت الفرق بينهما انه تعالى سال في الاولى ان يجعلها من جملة البلاد التي يامن اهلها ولا يخافون وسال في الثاني ان يخرج من هذا البلد من صفة كان عليها من الخوف الى ضدها من الامن كانه قال البلد امنا قد توجه على هذه الاية اشكال وهي من وجوه الاول ان ابراهيم دعا ربه ان يجعل مكة امنة ثم ان جماعة من الجبابرة وغيرهم قد اغاروا عليها واخافوا اهلها الوجه الثاني ان الانبيا عليهم السلام معصومون من عبادة الاصنام وان كان كذلك فما الفايدة في قوله اجنبني عن عبادتها الوجه الثالث ان ابراهيم عليه السلام سال ربه ايضا ان يجنب بنيه من عبادة الاصنام وقد وجد كثير من بنيه عبدوا الاصنام مثل كفار قريش وغيرهم ممن ينتسب الى ابراهيم عليه السلام قلت الجواب عن الوجوه المذكورة من وجوه فالجواب عن الوجه الاول من وجهين احدهما ان ابراهيم عليه السلام لما فرغ من بنا الكعبة دعا بهذا الدعا والمراد منه جعل مكة امنة من الخراب وهذا موجود بحمد الله فلم يقدر احد على خراب مكة واورد على هذا ما ورد في الصحيح عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة اخرجاه في الصحيحين واجيب عنه بان قوله اجعل هذا البلد امنا يعني الى قرب القيامة وخراب الدنيا وقيل هو عام مخصوص بقصة ذي السويقتين فلا تعارض بين النصين الوجه الثاني ان يكون المراد اجعل هذا البلد ذا امنين وهذا الوجه عليه اكثر العلما من المفسرين وغيرهم وعلى هذا فقد

اختص اهل مكة بزيادة الامن في بلدهم كما اخبر الله تعالى بقوله ويتخطف الناس
من حولهم واهل مكة امنون من ذلك حتى ان من التجأ الى مكة امن على نفسه وماله
من ذلك وحتى ان الوحوش اذا كانت خارجة من الحرم استوحشت فاذا دخلت
الحرم امنت واستأنست لعلمها لا يهيجها احد في الحرم وهذا القدر من الامن حاصل
بحمد الله بمكة وحرمها واما الجواب عن الوجه الثاني من وجوه ايضا الوجه الاول
ان دعا ابراهيم عليه السلام لنفسه لزيادة العصمة والتثبيت فهو كقوله واجعلنا
مسلمين لك الوجه الثاني ان ابراهيم عليه السلام وان كان يعلم ان الله تعالى يعصمه
من عبادة الاصنام الا انه دعا بهذا الدعا هضما للنفس واظهارا للعجز والحاجة
والفاقة الى فضل الله تعالى ورحمته وان احدا لا يقدر على نفع نفسه بشي لم ينفعه
الله به فلهذا السبب دعا لنفسه بهذا الدعا واما دعاؤه لبنيه وهو الوجه
الثالث من الاشكالات فالجواب عنه من وجوه الاول ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام
دعا لبنيه من صلبه ولم يعبد احد منهم صنما قط الوجه الثاني انه اراد اولاده
واولاد اولاده الموجودين حالة الدعا ولا شك ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام
قد اجيب فيهم الوجه الثالث قال الواحدي دعا لمن اذن الله في ان يدعو له فكانه
قال وبني الذي اذنت لي في الدعا لهم لان دعا الانبيا مستجاب وقد كان في نسله
من عبد الصنم فعلى هذا الوجه يكون هذا الدعا من العام المخصوص الوجه الرابع
ان هذا مختص بالمومنين من اولاده والدليل عليه انه قال في اخر الاية فمن تبعني فانه
مني وذلك يفيد ان من لم يتبعه على دينه فليس منه والله اعلم بمراده واسرار كتابه
قوله تعالى رب انهن يعني الاصنام اضللن كثيرا من الناس وهذا مجاز لان
الاصنام جمادات لا تعقل شيا حتى تضل من عبدها الا انه لما حصل الاضلال
بعبادتها اضيف اليها كما تقول فتنتهم الدنيا وغرتهم وانما فتنوا بها واغتروا بسببها
فمن تبعني فانه مني يعني فمن تبعني على ديني واعتقادي فانه مني يعني المتدينين
بديني المتمسكين بحبلي كما قال الشاعر

اذا حاولت في اسد فجورا • فاني لست منك ولست مني •

اراد ولست من المتمسكين بحبلي وقيل معناه فانه مني حكمه كحكمي جار مجراي في القرب
والاختصاص ومن عصاني يعني في غير الدين فانك غفور رحيم قال السدي ومن
عصاني ثم تاب فانك غفور رحيم وقال مقاتل ومن عصاني فيما دون الشرك فانك
غفور رحيم وصرح ابو بكر بن الانباري بهذا فقال ومن عصاني فخالفني في بعض الشرايع
وعقد التوحيد فانك غفور رحيم ان شيت ان تغفر له غفرت اذا كان مسلما وذكر
وجهين اخرين احدهما ان هذا كان قبل ان يعلمه انه لا يغفر الشرك كما استغفر لابويه
وهذا يقر وان ذلك غير محظور فلما عرفا انهما غير مغفور لهما تبرا منهما والوجه
الاخر قوله ومن عصاني باقامته على الكفر فانك غفور يعني انك قادر على ان تغفر له
وترحمه بان تنقله من الكفر الى الاسلام وتهديه الى الصواب قوله عز وجل اخبارا

عن ابراهيم عليه الصلاة والسلام ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند
بيتك المحرم (خ) عن ابن عباس رضي الله عنه اول ما اتخذ النسا المنطق من قبل ام
اسماعيل اتخذت منطقا لتعفي اثرها على سارة ثم جاء بها ابراهيم وبابنها اسماعيل
وهي ترضعه حتى وضعها عند البيت عند دوحة فوق زمزم في اعلى المسجد وليس بمكة
احد يوميذ وليس بها ما فوضعها هنالك ووضع لهما جرابا فيه تمر وسقا فيه
ما ثم قفا ابراهيم منطلقا فتبعته ام اسماعيل فقالت يا ابراهيم اين تذهب وتتركنا
بهذا الوادي الذي ليس فيه انيس ولا شي فقالت ذلك مرارا وجعل لا يلتفت
اليها فقالت الله امرك بهذا قال نعم قالت اذا لا يضيعنا ثم رجعت فانطلق
ابراهيم عليه السلام ثم دعا بهولا الدعوات فرفع يديه فقال رب اني اسكنت
من ذريتي بواد غير ذي زرع حتى بلغ يشكرون وجعلت ام اسماعيل ترضع اسماعيل
وتشرب من ذلك الما حتى اذا نفد ما في السقا عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر
اليه يتلوى او قال يتلبط فانطلقت كراهة ان تنظر اليه فوجدت الصفا اقرب جبل
في الارض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى احدا فلم تر احدا فهبطت
حتى اذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها ثم سعت سعي الانسان المجهود حتى جاوزت الوادي
ثم اتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى احدا فلم تر احدا ففعلت ذلك سبع
مرات قال ابن عباس رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم فلذلك سعى الناس
بينهما فلما اشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت صه تريد نفسها ثم تسمعت فسمعت
ايضا فقالت اسمعت ان كان عندك غواث فاذا بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه
او قال بجناحه حتى ظهر الما فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا وجعلت تغرف
من الما في سقايها وهي يفور بعد ما تغرف وفي رواية بقدر ما تغرف قال ابن عباس
رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم يرحم الله ام اسماعيل لو تركت زمزم
او قال لو لم تغرف من الما لكانت زمزم عينا معينا فقال فشربت وارضعت ولدها
فقال الملك لا تخافوا الضيعة فان ها هنا بيت الله تعالى يبنيه هذا الغلام وابوه
وان الله لا يضيع اهله وكان البيت مرتفعا في الارض كالرابية تاتيه السيول
فتاخذ عن يمينه وعن شماله فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم او اهل
بيت من جرهم مقبلين من طريق كدي فنزلوا في اسفل مكة فراوا طايرا عايفا فقالوا
ان هذا الطاير ليدور على ما لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ما فارسلوا جريا او
جريين فاذا هم بالما فرجعوا فاخبروهم فاقبلوا وام اسماعيل عند الما فقالوا
اتاذنين لنا ان ننزل عندك قالت نعم ولكن لا حق لكم في الما قالوا نعم قال ابن عباس
رضي الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم فالفى ذلك ام اسماعيل وهي تحب الانس
فنزلوا فارسلوا الى اهليهم فنزلوا معهم حتى اذا كان بها اهل ابيات منهم وشب الغلام
وتعلم العربية منهم وكان انفسهم واعجبهم حين شب فلما ادرك زوجوه بامراة منهم
وماتت ام اسماعيل فجا ابراهيم بعدما تزوج اسماعيل يطالع تركته الحديث اخرجه البخاري

باطول من هذا وقد تقدم الحديث بطوله في تفسير سورة البقرة واما تفسير الاية فقوله **ربنا اني اسكنت من ذريتي** من للتبعيض اي بعض ذريتي وهو اسماعيل عليه السلام بواد غير ذي زرع يعني ليس فيه زرع ومكة واد بين جبلين جبل على ابي قبيس وجبل اجياد ومكة في واد بينهما عند بيتك المحرم سماه محرما لانه يحرم عنده ما لا يحرم عند غيره وقيل لان الله حرمه على الجبابرة فلم ينالوه بسوء وحرم التعرض له والتهاون به وبحرمته وجعل ما حوله محرما لمكانه وشرفه وقيل لانه حرم على الطوفان بمعنى امتنع منه وقيل سمي محرما لان الزائرين له يحرمون على انفسهم اشيا كانت مباحة لهم من قبل وسمي عتيقا ايضا لانه عتق من الجبابرة ومن الطوفان فان قلت كيف قال عند بيتك المحرم ولم يكن هناك بيت حينئذ وانما بناه ابراهيم عليه السلام بعد ذلك قلت يحتمل ان الله قد اوحى اليه واعلمه ان له هناك بيتا قد كان في سالف الزمان وانه سيعمره فلذلك قال عند بيتك المحرم وقيل يحتمل ان يكون المعنى عند بيتك الذي جرى في سابق علمك انه سيحدث في هذا المكان **ربنا ليقيموا الصلاة** اللام في ليقيموا متعلقة باسكنت يعني اسكنت قوما من ذريتي وهم اسماعيل واولاده بهذا الوادي الذي لا زرع فيه ليقيموا اي لاجل ان يقيموا او لكي يقيموا الصلاة **فاجعل افيدة من الناس** قال البغوي رحمه الله جمع لوفد **تهوي اليهم** اي تحن وتشتاق اليهم قال السدي رحمه الله امل قلوبهم الى هذا الوادي وقال ابن الجوزي افيدة من الناس اي قلوب جماعة من الناس فلهذا جمع جمع فواد قال ابن الانباري رحمه الله وانما عبر عن القلوب بالافيدة لقرب القلب من الفواد فجعل القلب والفواد خارجين وقال الجوهري رحمه الله الفواد القلب والجمع افيدة فجعلهما خارجة واحدة ولفظة من في قوله من الناس للتبعيض قال مجاهد رحمه الله لو قال افيدة الناس لزاحمتكم فارس والروم والترك والهند وقال سعيد بن جبير لحجت اليهود والنصارى والمجوس ولكنه قال افيدة من الناس فهم المسلمون تهوي اليهم قال الاصمعي يقال هوي يهوي هويا اذا سقط من علو الى اسفل وقال الفرا تهوي اليهم تريدهم كما تقول رايت فلانا يهوي نحوك معناه يريدك وقال ايضا تهوي تسرع اليهم وقال ابن الانباري رحمه الله معناه تنحط اليهم وتنحدر وتنزل وهذا قول اهل اللغة في هذا الحرف واما قول المفسرين رحمهم الله تعالى فقال ابن عباس رضي الله عنهما يريد تحن اليهم لزيادة بيتك وقال قتادة تسرع اليهم وفي هذا بيان ان حنين الناس اليهم انما هو لطلب حج البيت لا لاعيانهم وفيه دعا للمومنين بان يرزقهم حج البيت ودعا لسكان مكة من ذريته لانهم ينتفعون بمن ياتي اليهم من الناس لزيارة البيت فقد جمع ابراهيم عليه السلام في هذا الدعا من امر الدين والدنيا ما ظهر بيانه وعمت بركته **وارزقهم من الثمرات** يعني كما رزقت سكان القرى ذوات الما والزرع فيكون المراد عمارة قرى بقرب مكة لتحصل تلك الثمار وقيل يحتمل ان يكون المراد جلب الثمرات الى مكة

بطريق

بطريق النقل والتجارة فهو كقوله يجبى اليه ثمرات كل شيء وقوله **لعلهم يشكرون** يعني لعلهم يشكرون هذه النعم التي انعمت بها عليهم وقيل معناه لعلهم يوحدونك ويعظمونك وفيه دليل على ان تحصيل منافع الدنيا انما هي ليستعين بها على اداء العبادات واقامة الطاعات **ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن** يعني تعلم السر كما تعلم العلن علما لا تفاوت فيه والمعنى انك تعلم احوالنا وما يصلحها وما يفسدنا وانت ارحم بنا منا فلا حاجة بنا الى الدعا والطلب انما ندعوك اظهارا للعبودية لك وتخشعا لعظمتك وتذللا لعزتك وافتقارا الى ما عندك وقيل معناه تعلم ما نخفي من الوجد بفرقة اسماعيل وامه حيث اسكنتهما بواد غير ذي زرع وما نعلن يعني من البكاء وقيل ما نخفي يعني من الحزن المتمكن في القلب وما نعلن يعني ما جرى بينه وبين هاجر عند الوداع حين قالت لابراهيم عليه السلام الى من تكلنا قال الى الله قالت اذا لا يضيعنا **وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السما** قيل هذا من تتمة قول ابراهيم عليه السلام يعني وما يخفى على الله الذي هو عالم الغيب من شيء في كل مكان وقال الاكثرون انه من قول الله تعالى تصديقا لابراهيم فيما قال فهو كقوله وكذلك يفعلون **الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسماعيل واسحاق** قال ابن عباس رضي الله عنهما ولد اسماعيل لابراهيم عليهما السلام وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له اسحاق وهو ابن مائة واثنا عشر وقال سعيد بن جبير بشر ابراهيم باسحاق وهو ابن مائة وسبع عشرة سنة ومعنى قوله على الكبر مع الكبر لان منة الولد في هذا السن من اعظم المنن لانه سن الياس من الولد فلهذا شكر الله على هذه المنة فقال الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسماعيل واسحاق فان **قلت** كيف جمع بين اسحاق واسماعيل في الدعا في وقت واحد وانما بشر باسحاق بعد اسماعيل بزمان طويل **قلت** ان ابراهيم عليه السلام انما اتى بهذا الدعا عندما بشر باسحاق وذلك انه لما عظمت المنة على قلبه بهبة ولدين عظيمين عند كبره قال عند ذلك الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسماعيل واسحاق ولا يرد على هذا ما ورد في الحديث انه دعا بما تقدم عند مفارقة اسماعيل وامه لان الذي في الحديث انه دعا بقوله ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد الى قوله لعلهم يشكرون اذا ثبت هذا فيكون قوله الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسماعيل واسحاق في وقت اخر والله اعلم بحقيقة الحال ان ربي لسميع الدعا كان ابراهيم عليه السلام قد دعا ربه وساله الولد بقوله رب هب لي من الصالحين فلما استجاب الله دعاه ووهبه ما سال شكر الله على ما اكرمه به من اجابة دعايه فعند ذلك قال الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسماعيل واسحاق **ان ربي لسميع الدعا** وهو من قولك سمع الملك كلام فلان اذا اعتد به وقبله **رب اجعلني مقيم الصلاة** يعني ممن يقيم الصلاة باركانها ويحافظ عليها في اوقاتها **ومن ذريتي** اي واجعل من ذريتي من يقيم الصلاة وانما ادخل لفظة من التي هي للتبعيض في قوله ومن ذريتي

لانه علم باعلام الله اياه انه قد يوجد في ذريته جمع من الكفار لا يقيموا الصلاة
فلهذا قال ومن ذريتي واراد بهم المومنين من ذريتي ربنا وتقبل دعاي سال ابراهيم
عليه السلام ربه ان يتقبل دعاه فاستجاب الله لابراهيم عليه السلام وقبل دعاه
بفضله ومنه وكرمه ربنا اغفر لي فان قلت طلب المغفرة من الله انما يكون
لسابق ذنب قد سلف حتى يطلب المغفرة له من ذلك الذنب وقد ثبت عصمة الانبيا
عليهم السلام من الذنوب فما وجه طلب المغفرة له قلت المقصود منه الالتجا
الى الله سبحانه وتعالى وقطع الطمع من كل شي الا من فضله وكرمه والاعتراف بعبوديته
لله تعالى والاتكال على رحمته ولوالدي فان قلت كيف استغفر ابراهيم عليه السلام
لابويه الكافرين قلت اراد انهما ان اسلما وتابا وقيل انما قال ذلك قبل ان يتبين
له انهما من اصحاب الجحيم وقيل ان امه اسلمت فدعا لها وقيل اراد بوالديه آدم وحوا
عليهما السلام وقوله وللمومنين اي واغفر للمومنين كلهم يوم يقوم الحساب
يعني يبدو ويظهر فيه الحساب وقيل اراد يوم يقوم الناس فيه للحساب فاكتفى
بذكر الحساب لكونه مفهوما عند السامع وهذا دعا للمومنين بالمغفرة والله تعالى
لا يرد دعا خليله ابراهيم عليه السلام ففيه بشارة للمومنين عظيمة لجميع المومنين
بالمغفرة قوله تعالى ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون الغفلة معنى يمنع
الانسان من الوقوف على حقايق الامور وقيل هي حقيقة الغفلة سهو يعتري
الانسان من قلة التحفظ والتيقظ وهذا في حق الله تعالى محال فلا بد من تاويل
الاية فالمقصود منه انه تعالى ينتقم من الظالم للمظلوم ففيه وعيد وتهديد
للظالم واعلام له بان لا يعامله معاملة الغافل عنه بل ينتقم ولا يتركه
مغفلا عنه قال سفيان بن عيينة فيه تسلية للمظلوم وتهديد للظالم فقال قائل
يتعالى الله عن السهو والغفلة فكيف يحسبه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو اعلم
الناس به انه لم يكن غافلا حتى قيل له ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون
قلنا ان كان المخاطب به رسول الله صلى الله عليه وسلم ففيه وجهان احدهما
التثبيت على ما كان عليه من انه لا يحسب الله غافلا فهو كقوله ولا تكونن من المشركين
ولا تدع مع الله الها اخر وكقوله يا ايها الذين امنوا امنوا اي اثبتوا على ما انتم عليه
من الايمان الوجه الثاني ان المراد بالنهي عن حسبانه غافلا الاعلام بانه تعالى عالم
بما يفعل الظالمون لا يخفى عليه شي وانه ينتقم منهم فهو على سبيل الوعيد والتهديد
لهم والمعنى ولا تحسبنه معاملهم معاملة الغافل عنهم ولكن يعاملهم معاملة الرقيب الحفيظ
عليهم المحاسب لهم على الصغير والكبير وان كان المخاطب غير النبي صلى الله عليه وسلم
فلا اشكال فيه ولا سوال لان اكثر الناس غير عارفين بصفات الله فمن جوز يحسبه
غافلا فلجهله بصفاته انما يوخرهم ليوم تشخص فيه الابصار يقال شخص بصر الرجل
اذا بقيت عيناه مفتوحتان لا ينطرف فيهما وشخوص البصر يدل على الحيرة والدهشة
من هول ما يرى في ذلك اليوم مهطعين قال قتادة رحمه الله مسرعين وهذا قول

ابي عبيدة

ابي عبيدة فعلى هذا المعنى ان الغالب من حال من بقي بصره شاخصا من شدة الخوف فانه
يبقى واقفا باهتا فبين الله تعالى في هذه الاية ان احوال اهل الموقف يوم القيامة
بخلاف الحال المعتاد فاخبرهم مع شخوص الابصار يكونوا مهطعين يعني مسرعين
نحو الداعي وقيل المهطع الخاضع الذليل الساكت مقنعي روسهم الاقناع رفع الراس
الى فوق فاهل الموقف من صفتهم انهم رافعوا روسهم الى السما وهذا بخلاف المعتاد
لان من يتوقع البلا فانه يطرق ببصره الى الارض قال الحسن وجوه الناس يوم القيامة
الى السما لا ينظر احد الى احد وهو قوله لا يرتد اليهم طرفهم اي لا يرجع اليهم
ابصارهم من شدة الخوف فهي شاخصة لا ترتد اليهم قد شغلهم ما بين ايديهم وافيدتهم
هوا اي خالية قال قتادة رحمه الله خرجت قلوبهم من صدورهم فصارت في حناجرهم
فلا تخرج من افواههم ولا تعود الى اماكنها ومعنى الاية ان افيدتهم خالية فارغة
لا تعي شيا ولا تعقل من شدة الخوف وقال سعيد بن جبير وافيدتهم هوا اي مترددة
تهوي في اجوافهم ليس لها مكان تستقر فيه ومعنى الاية ان القلوب يوميذ زايلة
عن اماكنها والابصار شاخصة والروس مرفوعة الى السما من هول ذلك اليوم
وشدته وانذر الناس يعني وخوف الناس يا محمد يوم القيامة وهو قوله عز
وجل يوم ياتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا يعني ظلموا انفسهم بالشرك
والمعاصي ربنا اخرنا الى اجل قريب يعني امهلنا مدة يسيرة قال بعضهم طلبوا
الرجوع الى الدنيا حتى يومنوا به فينفعهم ذلك وهو قوله تعالى نجب دعوتك ونتبع
الرسل فاجيبوا بقوله اولم تكونوا اقسمتم من قبل يعني في دار الدنيا ما لكم
من زوال يعني ما لكم عنها انتقال ولا بعث ولا نشور وسكنتم في مساكن الذين
ظلموا انفسهم يعني بالكفر والمعاصي ممن كان قبلكم من كفار الامم الخالية
كقوم نوح وعاد وثمود وغيرهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم يعني وقد عرفتم كيف
كان عقوبتنا اياهم وضربنا لكم الامثال يعني الامثال التي ضربها الله عز وجل في
القران ليتدبروها ويعتبروا بها فيجب على كل من شاهد احوال الماضين من الامم
الخالية والقرون الماضية وعلم ما جرى لهم وكيف اهلكوا ان يعتبر بهم ويعمل
في خلاص نفسه من العقاب والهلاك وقد مكروا مكرهم اختلفوا في الضمير في
من يعود في قوله وقد مكروا فقيل يعود الى الذين سكنوا في مساكن الذين ظلموا
انفسهم وهذا القول صحيح لان الضمير يجب عوده الى اقرب مذكور وقيل المراد
بقوله قد مكروا كفار قريش الذين مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم ومكرهم
ما ذكره الله تعالى بقوله واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك الاية والمعنى وانذر
الناس يا محمد يوم ياتيهم العذاب يعني بسبب مكرهم بك وقوله وعند الله مكرهم
يعني جزا مكرهم وقيل ان مكرهم مثبت عند الله ليجازيهم به يوم القيامة وان
كان مكرهم لتزول منه الجبال يعني وان مكرهم لاضعف من ان تزول منه الجبال
وقيل معناه ان مكرهم لا يزيل امر محمد صلى الله عليه وسلم الذي هو ثابت كثبوت الجبال

وقد حكي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه في الاية المتقدمة قولا اخر وهو انها نزلت
في نمرود الجبار الذي حاج ابراهيم في ربه فقال نمرود ان كان ما يقول ابراهيم حقا
فلا انتهي حتى اصعد الى السما فاعلم ما فيها فعمد الى اربعة افرخ من النسور فرباهن
حتى شبت وكبرت واتخذ تابوتا من خشب وجعل له بابا من اعلا وبابا من اسفل
ثم جوع النسور ونصب خشبات اربع في اطراف التابوت وجعل على روس تلك
الخشبات لحما احمر وقعد هو في التابوت واقعد معه رجلا اخر وامر بالنسور
فربطت في اطراف التابوت من اسفل فجعل النسور كلما رات اللحم طرن اليه فكما راته
النسور يوما اجمع حتى تعلقت في الهوى فقال نمرود لصاحبه افتح الباب الاعلى
وانظر الى السما هل قربنا منها ففتح ونظر فقال له ان السما كهيئتها فقال له افتح الباب
الاسفل فانظر الى الارض كيف تراها ففعل فقال اري الارض مثل اللجة والجبال
مثل الدخان قال فطارت النسور يوما اخر وارتفعت حتى حالت الريح بينهما
وبين الطيران فقال نمرود لصاحبه افتح الباب الاعلى ففتح فاذا السما كهيئتها وفتح
الباب الاسفل فاذا الارض سودا مظلمة ونودي ايها الطاغية اين تريد قال
عكرمة وكان معه في التابوت غلام قد حمل القوس والنشاب فاخذ منه القوس
ورمى بسهم فعاد اليه السهم ملطخا بدم سمكة قذفت بنفسها في بحر في الهوى
وقيل طاير اصابه السهم فلما رجع اليه السهم ملطخا قال كفيت اله السما ثم
امر نمرود صاحبه ان يصوب الخشبات الى اسفل وينكس اللحم فهبطت النسور
بالتابوت فسمعت الجبال حفيف التابوت والنسور ففزعت وظنت ان قد
حدث حدث من السما وان الساعة قد قامت فكادت تزول عن اماكنها فذلك
قوله وان كان مكرهم لتزول منه الجبال استبعد بعض العلما هذه الحكاية
وقال لان الخطر فيه عظيم ولا يكاد عاقل ان يقدر على مثل هذا الامر العظيم
وليس فيه خبر صحيح يعتمد عليه ولا مناسبة لهذه الحكاية بتاويل الاية البتة
فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله يعني فلا تحسبن الله يا محمد مخلف ما وعد به رسله
من النصر واعلا الكلمة واظهار الدين فانه ناصر رسله واوليايه ومهلك اعداه
وفيه تقديم وتاخير تقديره فلا تحسبن الله مخلف رسله وعده **ان الله عزيز**
اي غالب **ذو انتقام** يعني من اعدايه قوله عز وجل **يوم تبدل الارض غير
الارض والسموات** ذكر المفسرون في معنى هذا التبديل قولين احدهما انه
تبدل صفة الارض والسما لا ذاتهما فاما تبديل الارض فتغيير صفتها وهيبتها
مع بقا ذاتها وهو ان تدك جبالها وتسوي وهادها واوديتها وتذهب
اشجارها وجميع ما عليها من عمارة وغيرها لا يبقى على وجهها شي الا ذهب وتمد
مد الاديم واما تبديل السما فهو ان تنتثر كواكبها وتطمس شمسها وقمرها وكونها
وكونها تارة كالدهان وتارة كالمهل وبهذا القول قال جماعة من العلما ويدل
على صحة هذا القول ما روي عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

يحشر الناس يوم القيامة على ارض بيضا عفرا كقرصة النقي ليس فيها علم لاحد اخرجاه
في الصحيح العفرا بالعين المهملة وهي البيضا الى الحمرة ولهذا شبهها بقرصة النقي
وهو الخبز الابيض الجيد الفايق المايل الى الحمرة كان النار ملات بياض وجهه الى الحمرة
وقوله ليس فيها علم لاحد يعني فيها علامة لاحد لتبديل هيبتها وزوال جبالها وجميع
بنايها ولا يبقى فيها اثر يستدل به والقول الثاني هو تبديل ذوات الارض والسما
وهذا قول جماعة من العلما ثم اختلفوا في معنى هذا التبديل فقال ابن مسعود
في معنى هذه الاية قال تبدل الارض بارض كالفضة البيضا نقية لم يسفك بها
دم ولم يعمل بها خطيية وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه الارض من فضة والسما
من ذهب وقال ابي بن كعب في معنى التبديل بان تصير الارض نيرانا والسما جنانا
وقال ابو هريرة وسعيد بن جبير ومحمد بن كعب القرظي تبدل الارض خبزة بيضا
ياكل المومن من تحت قدميه عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم تكون الارض خبزة واحدة يوم القيامة يتكفاها الجبار بيده كما
يتكفا احدكم خبزته في السفر نزلا لاهل الجنة اخرجه في الصحيحين بزيادة
فيه قال الشيخ محيي الدين النووي في شرح هذا الحديث اما النزل فبضم النون
والزاي ويجوز اسكان الزاي وهو ما يعد للضيف عند نزوله واما الخبزة فبضم
الخا قال اهل اللغة هي الظلمة التي توضع في الملة ويتكفاها بالهمز بيده اي يميلها
من يد الى يد حتى تجتمع وتستوي لانها ليست منبسطة كالرقاقة وقد حققنا
الكلام في اليد في حق الله تعالى وتاويلها مع القطع باستحالة الجارحة ليس كمثله
شي ومعنى الحديث ان الله تعالى يجعل الارض كالظلمة او الرغيف العظيم يكون
طعاما نزلا لاهل الجنة والله على كل شي قدير **فان قلت** اذا فسرت التبديل
بما ذكرت فكيف يمكن الجمع بينه وبين قوله تعالى يوميذ تحدث اخبارها[٢] ثم بعد
ذلك تبدل تبديلا ثانيا وهو ان تبدل ذاتها بغيرها كما تقدم ايضا ويدل على صحة
هذا التاويل ما روي عن عايشة قالت سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات فاين يكون الناس يوميذ
يا رسول الله فقال على الصراط اخرجه مسلم وروي ثوبان ان حبرا من اليهود سال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اين يكون الناس يوم تبدل الارض غير الارض قال
هم في الظلمة دون الجسر ذكره البغوي بغير سند ففي هذين الحديثين دليل على ان
تبديل الارض ثاني مرة يكون بعده الحساب والله اعلم بمراده وقوله تعالى **وبرزوا**
يعني وخرجوا من قبورهم **لله** يعني لحكم الله والوقوف بين يديه للحساب **الواحد
القهار** صفتان لله تعالى فالواحد الذي لا ثاني له ولا شريك معه المنزه عن الشبه
والضد والند والقهار الغالب الذي يقهر عباده على ما يريد ويفعل ما يشا ويحكم
ما يريد قوله تعالى **وترى المجرمين يوميذ مقرنين** يعني مشدودين بعضهم الى بعض
يقال قرنت الشي بالشي شددته معه في رباط واحد **في الاصفاد** يعني في القيود

[٢] وهو ان تخبر بكل ما عمل عليها قلت وجه الجمع بين الايتين
ان الارض تبدل [illegible]
منه رحمه

والاغلال قال ابن عباس يقرن كل كافر مع شيطان في سلسلة وقال ابن زيد ايديهم
وارجلهم الى رقابهم بالاصفاد وهي القيود وقال ابن قتيبة تقرن بعضهم الى بعض
سرابيلهم يعني قمصهم واحدها سربال وقيل السربال كل ما لبس **من قطران** القطران
دهن يتحلب من شجر الابهل والعرعر والتوت كالزفت يدهن به الابل اذا اجربت
وهو الهنا يقال هنات البعير اذا هنوته بالهنا وهو القطران قال الزجاج وانما جعل
لهم القطران سرابيل لانه يبالغ في اشتعال النار في الجلود ولو اراد الله المبالغة في
احراقهم بغير ذلك لقدر ولكنه حذرهم ما يعرفون وقرا عكرمة ويعقوب من قطران
على كلمتين منونتين فالقطر النحاس المذاب والان الذي انتهى حره **وتغشى وجوههم**
النار يعني تعلوها وتجللها **ليجزي الله كل نفس ما كسبت** يعني من خير او شر **ان الله**
سريع الحساب يعني اذا حاسب عباده يوم القيامة **هذا بلاغ للناس** يعني هذا
القران فيه تبليغ وموعظة للناس **ولينذروا به** يعني وليخوفوا بالقران ومواعظه
وزواجره **وليعلموا انما هو اله واحد** يعني وليستدلوا بهذه الايات على وحدانية
الله تعالى **وليذكر اولوا الالباب** يعني وليتعظ بهذا القران وما فيه من المواعظ
اولوا العقول والافهام الصحيحة فانه موعظة لمن اتعظ والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الحجر مكية باجماعهم وهي تسع وتسعون اية

وستماية واربع وخمسون كلمة والفان وسبعماية وستون حرفا **بسم الله الرحمن الرحيم**
الر تلك ايات الكتاب وقران مبين تلك اشارة الى ما تضمنته السورة من الايات
والمراد بالكتاب وبالقران المبين الكتاب الذي وعد الله محمدا صلى الله عليه وسلم
وتنكير القران للتفخيم والتعظيم والمعنى تلك ايات ذلك الكتاب الكامل في كونه كتابا
وفي كونه قرانا واي قران كانه قيل الكتاب الجامع للكمال والغرابة في البيان وقيل
اراد بالكتاب التوراة والانجيل لانه عطف القران على الكتاب والمعطوف غير المعطوف
عليه وهذا القول ليس بالقوي لانه لم يجر للتوراة والانجيل ذكر حتى يشار اليهما
وقيل المراد بالكتاب القران وانما جمع له بوصفين وان كان الموصوف واحدا لما في ذلك
من الفايدة وهي التفخيم والتعظيم والمبين الذي يبين الحلال من الحرام والحق من
الباطل **ربما** قرئ بالتخفيف والتشديد وهما لغتان ورب للتقليل وكم للتكثير
وانما زيدت ما مع رب ليليها الفعل تقول رب رجل جاءني وربما جاءني زيد وانشد
جعلت ما بمنزلة شيء كانك قلت رب شيء فيكون المعنى رب ود **يود الذين كفروا** وقيل
ما في ربما بمعنى حين اي رب حين يود يعني يتمنى الذين كفروا لان التمني هو تشهي حصول
ما يوده واختلف المفسرون في الوقت الذي يتمنى الذين كفروا **لو كانوا مسلمين**
على قولين احدهما ان ذلك يكون عند معاينة العذاب وقت الموت فحينئذ يعلم الكافر
انه كان على الضلال فيتمنى لو كان مسلما وذلك حين لا ينفعه التمني قاله الضحاك وهو عند
حالة المعاينة والقول الثاني هذا التمني يكون في الاخرة وذلك حين يعاينون اهوال

يوم القيامة

يوم القيامة وشدايده وما يصيرون اليه من العذاب فحينئذ يتمنى الذين كفروا
لو كانوا مسلمين وقال الزجاج ان الكافر كلما راى حالا من احوال العذاب وراى حالا
من احوال المسلم ود لو كان مسلما وقيل اذا راى الكافر ان الله تعالى يرحم المسلمين
ويشفع بعضهم في بعض يقول من كان من المسلمين فليدخل الجنة فحينئذ يود الذين
كفروا لو كانوا مسلمين والقول المشهور ان ذلك التمني حين يخرج الله المومنين
من النار عن ابي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا اجتمع اهل النار
في النار ومعهم من شاء الله من اهل القبلة قال الكفار لمن في النار من اهل القبلة
الستم مسلمين قالوا بلى قالوا فما اغنى عنكم اسلامكم وانتم معنا في النار قالوا
كانت لنا ذنوب فاخذنا بها فيغضب الله لهم بفضل رحمته فيومر بكل من كان من اهل
القبلة في النار فيخرجون منها فحينئذ يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ذكره
البغوي بغير سند وكذا ذكره ابن الجوزي وقال واليه ذهب ابن عباس في رواية عنه
وانس بن مالك ومجاهد وعطاء وابو العالية وابراهيم يعني النخعي فان قلت رب انما
وضعت للتقليل وتمنى الذين كفروا لو كانوا مسلمين قلت قال صاحب الكشاف
وهو وارد على مذهب العرب في قولهم لعلك ستندم على فعلك وربما ندم الانسان
على فعله ولا يشكون في ندمه ولا يقصدون تقليله ولكنهم ارادوا لو كان الندم
مشكوكا فيه او كان قليلا لحق عليك ان لا تفعل هذا الفعل لان العقلاء يتحرزون
من التعرض للغم المظنون كما يتحرزون من المتيقن ومن القليل منه كما يتحرزون من
الكثير وقال غيره ان هذا التقليل ابلغ في التهديد ومعناه يكفيك قليل الندم في
كونه زاجرا لك عن هذا الفعل فكيف بكثيره وقيل ان شغلهم بالعذاب لا يفرغهم
للندامة انما يخطر ذلك ببالهم فان قلت رب لا تدخل الا على الماضي فكيف قال
ربما يود الذين وهو في المستقبل قلت لان المترقب في اخبار الله تعالى بمنزلة
الماضي المقطوع به في تحققه كانه قال ربما ود الذين وقال تعالى **ذرهم ياكلوا**
ويتمتعوا يعني يا محمد دع هولاء الكفار ياكلوا في دنياهم ويتمتعوا بلذاتها
ويلههم الامل يعني ويشغلهم طول الامل عن الايمان والاخذ بطاعة الله
تعالى **فسوف يعلمون** يعني اذا وردوا القيامة وذاقوا وبال ما صنعوا وهذا
فيه تهديد ووعيد لمن اخذ بحظه من الدنيا ولذاتها ولم ياخذ بحظه من طاعة الله
عز وجل قال بعض اهل العلم ذرهم تهديد وسوف يعلمون تهديد اخر فمتى يهنى
العيش بين تهديدين وهذه الاية منسوخة باية القتال وفي الاية دليل على
ان ايثار التلذذ والتنعم في الدنيا يودي الى طول الامل وليس ذلك من اخلاق
المومنين قال علي بن ابي طالب انما اخشى عليكم اثنتين طول الامل واتباع الهوى
فان طول الامل ينسي الاخرة واتباع الهوى يصد عن الحق **وما اهلكنا من قرية**
يعني من اهل قرية واراد اهلاك الاستيصال **الا ولها كتاب معلوم** اي اجل
مضروب ووقت معين لا يتقدم العذاب عليه ولا يتاخر عنه ولا يا[تيهم] الا في

في الوقت الذي حد لهم في اللوح المحفوظ **ما تسبق من امة اجلها** من زايدة في قوله من
امة كقولك ما جاءني من احد يعني احدا وقيل هي على اصلها لانها تفيد التبعيض اي هذا الحكم
فيكون ذلك في افادة عموم النفي آكد ومعنى الاية ان الاجل المضروب لهم وهو وقت الموت
ونزول العذاب لا يتقدم ولا يتاخر وهو قوله **وما يستاخرون** وانما ادخل الهاء في اجلها
لارادة الامة واخرجها من قوله وما يستاخرون لارادة الرجال قوله عز وجل
وقالوا يعني مشركي مكة **يا ايها الذي نزل عليه الذكر** يعني القران واراديه محمدا صلى الله
عليه وسلم **انك لمجنون** انما نسبوه الى الجنون لانه صلى الله عليه وسلم كان يظهر عليه
عند نزول الوحي عليه ما يشبه الغشي فظنوا ان ذلك جنونا فلهذا السبب نسبوه الى
الجنون وقيل ان الرجل اذا سمع كلاما مستغربا من غيره فربما نسبه الى الجنون ولما
كانوا مستبعدين كونه رسولا من عند الله واتي بهذا القران العظيم انكروه ونسبوه
الى الجنون وانما قالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر على طريق الاستهزا وقيل معناه
يا ايها الذي نزل عليه الذكر في زعمه واعتقاده واعتقاد اصحابه واتباعه انك لمجنون
في ادعايك الرسالة **لوما** قال الزجاج والفرا لوما ولولا لغتان ومعناهما هلا يعني
هلا **تاتينا بالملايكة** يعني يشهدون لك بانك رسول من عند الله حقا **ان كنت
من الصادقين** يعني في ادعايك الرسالة **ما ننزل الملايكة الا بالحق** يعني بالعذاب
او وقت الموت وهو قوله **وما كانوا اذا منظرين** يعني لو نزلت الملايكة اليهم لم يمهلوا
ولم يوخروا ساعة واحدة وذلك ان كفار مكة كانوا يطلبون من رسول الله صلى الله
عليه وسلم انزال الملايكة عيانا فاجابهم الله عز وجل بهذا والمعنى لو نزلوا عيانا
لزال عن الكفار الامهال وعذبوا في الحال ان لم يومنوا ويصدقوا **انا نحن نزلنا الذكر**
يعني القران انزلناه عليك يا محمد وانما قال تعالى انا نحن نزلنا الذكر جوابا لقولهم يا ايها
الذي نزل عليه الذكر فاخبر الله عز وجل انه هو الذي انزل الذكر على محمد صلى الله عليه
وسلم **وانا له لحافظون** الضمير في له يرجع الى الذكر يعني وانا للذكر الذي انزلناه
على محمد صلى الله عليه وسلم لحافظون يعني من الزيادة فيه او النقص منه او التغيير
والتبديل والتحريف فالقران العظيم محفوظ من هذه الاشيا كلها لا يقدر احد من
جميع الخلق من الجن والانس ان يزيد فيه او ينقص منه حرفا واحدا او كلمة واحدة وهذا
مختص بالقران العظيم بخلاف ساير الكتب المنزلة فانه قد دخل على بعضها التحريف
والتبديل والزيادة والنقصان ولما تولى الله عز وجل حفظ هذا الكتاب بقي مصونا
الى الابد محروسا من الزيادة والنقصان وقال ابن السايب ومقاتل الكناية في له راجعة
الى محمد صلى الله عليه وسلم يعني وانا لمحمد صلى الله عليه وسلم لحافظون ممن ارادة بسوء فهو
كقوله والله يعصمك من الناس ووجه هذا القول ان الله تعالى لما ذكر الانزال والمنزل
دل ذلك على المنزل عليه وهو محمد صلى الله عليه وسلم فحسن صرف الكناية فكان التنزيل
امرا معلوما الا ان القول الاول اصح واشهر وهو قول الاكثرين لانه اشبه بظاهر
التنزيل ورد الكناية الى اقرب المذكور اولى وهو الذكر واذا قلنا ان الكناية عايدة الى

القران

القران وهو الاصح واختلفوا في كيفية حفظ الله عز وجل للقران فقال بعضهم حفظه
بان جعله معجزا باينا لكلام البشر فعجز الخلق عن الزيادة فيه والنقصان منه
لانهم لو ارادوا الزيادة فيه والنقصان منه لتغير نظمه وظهر ذلك لكل عالم عاقل وعلموا
ضرورة ان ذلك المزاد ليس بقران وقال اخرون ان الله حفظه وصانه من المعارضة
فلم يقدر احد من الخلق ان يعارضه وقال اخرون بل اعجز الله الخلق عن ابطاله وافساده
بوجه من الوجوه فقيض له العلما الراسخين يحفظونه ويذبون عنه الى اخر الدهر
لان دواعي جماعة من الملاحدة واليهود متوفرة على ابطاله وافساده فلم يقدروا على
ذلك بحمد الله تعالى قوله تعالى **ولقد ارسلنا من قبلك في شيع الاولين** لما تجري كفار
مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وخاطبوه بالسفاهة وهو قولهم انك لمجنون واساوا
الادب عليه فاخبر الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ان عادة الكفار في قديم الزمان
مع انبيايهم كذلك فلك يا محمد اسوة في الصبر على اذى قومك بجميع الانبيا ففيه تسلية
للنبي صلى الله عليه وسلم وفي الاية محذوف تقديره ولقد ارسلنا رسلا من قبلك يا محمد
فحذف ذكر الرسل لدلالة الارسال عليه وقوله تعالى في شيع الاولين الشيعة هم القوم
المجتمعة المتفقة كلمتهم وقال الفرا الشيعة هم الاتباع وشيعة الرجل اتباعه وقيل
الشيعة من يتقوى بهم الانسان وينتشرون عنه فقوله في شيع الاولين من باب
اضافة الصفة الى الموصوف **وما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون كذلك
نسلكه في قلوب المجرمين** السلوك النفاذ في الطريق والدخول فيه والسلك ادخال
الشيء في الشيء كادخال الخيط في المخيط ومعنى الاية كما سلكنا الكفر والتكذيب والاستهزا
في قلوب شيع الاولين كذلك نسلكه اي ندخله في قلوب المجرمين يعني مشركي مكة
وفيه رد على القدرية والمعتزلة وهي ابين اية في ثبوت القدر لمن اذعن للحق ولم يعاند
قال الواحدي قال اصحابنا اضاف الله تعالى الى نفسه ادخال الكفر في قلوب الكفار
وحسن ذلك منه فمن امن بالقران فليستحسنه وقال الامام فخر الدين الرازي
احتج اصحابنا بهذه الاية على انه تعالى يخلق الباطل والضلال في قلوب فقالوا قوله
كذلك نسلكه اي كذلك نسلك الباطل والضلال في قلوب المجرمين قالت المعتزلة
لم يجر للضلال والكفر ذكر فيما قبل هذا اللفظ فلا يمكن ان يكون الضمير عايدا اليه
واجيب عنه بانه تعالى قال وما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون فالضمير
في قوله كذلك نسلكه عايدا اليه والاستهزا بالانبيا كفر وضلال فثبت صحة
قولنا ان المراد من قولهم كذلك نسلكه في قلوب المجرمين انه الكفر والضلال والله
اعلم قوله تعالى **لا يومنون به** يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل بالقران **وقد
خلت سنة الاولين** فيه وعيد وتهديد لكفار مكة يخوفهم ان ينزل بهم مثل ما
انزل بالامم الماضية المكذبة للرسل والمعنى وقد مضت سنة الله باهلاك من كذب
الرسل من الامم الماضية واحذروا يا اهل مكة ان يصيبكم مثل ما اصابهم من العذاب
ولو فتحنا عليهم بابا من السما فظلوا فيه يعرجون يعني ولو فتحنا على هولا الذين قالوا

لو ما تاتينا بالملايكة بابا من السما فظلوا فيه يقال ظل فلان يفعل كذا اذا فعله بالنهار كما
يقال بات يفعل كذا اذا فعله بالليل فيه يعني في ذلك الباب يعرجون يعني يصعدون ؞
والمعارج المصاعد وفي المشار اليه بقوله فظلوا فيه يعرجون قولان احدهما انهم الملايكة
وهو قول ابن عباس والضحاك والمعنى لو كشف عن ابصار هولا الكفار فراوا بابا من السما
مفتوحا والملايكة تصعد منه لما امنوا والقول الثاني انهم المشركون وهو قول الحسن
وقتادة والمعنى فظل المشركون يصعدون في ذلك الباب فينظروا الى ملكوت السموات
وما فيها من الملايكة لما امنوا لعنادهم وكفرهم ولقالوا انا سحرنا وهو قوله تعالى **لقالوا
انما سكرت ابصارنا** قال ابن عباس سدت ابصارنا ماخوذ من سكر النهر اذا حبس ومنع
من الجري وقيل هو من سكر الشراب والمعنى ان ابصارهم حارت ووقع بها من فساد النظر
مثل ما يقع للرجل السكران من تغير العقل وفساد النظر وقيل سكرت يعني غشيت ابصارنا
وسكنت عن النظر واصله من السكور يقال سكرت عينه اذا تحيرت وسكنت عن النظر **بل
نحن قوم مسحورون** يعني سحرنا محمد وعمل فينا سحره وحاصل الاية ان الكفار لما طلبوا
من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليهم الملايكة فيرونهم عيانا ويشهدوا بصدقه
فاخبر الله تعالى انه لو حصل لهم هذا وشاهدوه عيانا لما امنوا ولقالوا سحرنا لما سبق لهم
في الازل من الشقاوة قوله عز وجل **ولقد جعلنا في السما بروجا** يعني البروج التي
تنزلها الشمس في مسيرها واحدها برج وهي بروج الفلك الاثنا عشر برجا وهي الحمل •
والثور • والجوزا • والسرطان • والاسد • والسنبلة • والميزان • والعقرب •
والقوس • والجدي • والدلو • والحوت • وهذه البروج مقسومة على ثمانية
وعشرين منزلا لكل برج منزلان وثلث منزل وقد تقدم ذكر منازل القمر في تفسير
سورة يونس وهذه البروج مقسومة على ثلاثماية وستين درجة لكل برج منها ثلاثون
درجة تقطعها الشمس في كل سنة مرة وبها تتم دورة الفلك ويقطعها القمر في ثمانية
وعشرين يوما قال ابن عباس في هذه الاية يريد بروج الشمس والقمر يعني منازلهما
وقال ابن عطية هي قصور في السما عليها الحرس وقال الحسن ومجاهد وقتادة هي النجوم
العظام قال ابو اسحاق يريد ان نجوم هذه البروج وهي نجوم على ما صورت به وسميت
واصل بنية الكلمة من الظهور **وزيناها** يعني السما بالشمس والقمر والنجوم **للناظرين**
يعني للمعتبرين المستدلين بها على توحيد خالقها وصانعها وهو الله الذي اوجد كل شي
وخلقه وصوره **وحفظناها** يعني السما **من كل شيطان رجيم** اي مرجوم فعيل
بمعنى مفعول وقيل ملعون مطرود من رحمة الله قال ابن عباس كانت الشياطين
لا يحجبون عن السموات وكانوا يدخلونها وياتون باخبارها الى الكهنة فيلقونها اليهم
فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم
منعوا من السموات اجمع فما منهم من احد يريد ان يسترق السمع الا رمي بشهاب فلما منعوا
من تلك المقاعد ذكروا ذلك لابليس فقال لقد حدث في الارض حدث فبعثهم ينظرون
فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلو القران فقالوا هذا والله حدث **الا من**

استرق

من استرق السمع هذا استثنا منقطع معناه لكن من استرق السمع **فاتبعه** اي لحقه
شهاب مبين والشهاب شعلة من نار ساطع تسمى الكوكب شهابا لاجل ما فيه من
البريق يشبهه بشهاب النار وقال ابن عباس في قوله الا من استرق السمع يريد الخطفة
اليسيرة وذلك ان الشيطان يركب بعضهم بعضا الى السما يسترقون السمع من الملايكة
فيرمون بالكواكب فلا تخطي سهم ابدا فمنهم من تقتله ومنهم من تحرق وجهه او جنبه
او يده او حيث يشا الله ومنهم من تخبله فيصير غولا يضل الناس في البوادي **خ** عن ابي
هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قضى الله الامر في السما ضربت الملايكة
باجنحتها خضعانا لقوله كانه سلسلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا
قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير فيسمعها مسترقو السمع هكذا بعضه فوق
بعض ووصف سفيان بكفه فحرفها وبدد بين اصابعه فيسمع الكلمة فيلقيها الى من تحته
ثم يلقيها الاخر الى من تحته حتى يلقيها على لسان الساحر او الكاهن فربما ادركه
الشهاب قبل ان يلقيها وربما القاها قبل ان يدركه فيكذب معها ماية كذبة فيقال
اليس قد قال لنا كذا وكذا فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السما **فصل**
اختلف العلما هل كانت الشياطين ترمى بالنجوم قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم
ام لا على قولين احدهما انه لم يكن يرمى بالنجوم قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم
وانما ظهر ذلك في بدو امره وكان ذلك اساسا لنبوته صلى الله عليه وسلم ويدل على
صحة هذا القول ما روي عن ابن عباس قال انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم
في طايفة من اصحابه عامدين الى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السما
وارسلت عليهم الشهب اخرجاه في الصحيحين وظاهر هذا الحديث يدل على ان هذا الرمي
بالشهب لم يكن قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم لما بعث حدث هذا الرمي ويعضده
ما روي ان يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الاخنس بن شريق قال اول من فزع للرمي
بالنجوم هذا الحي من ثقيف وانهم جاوا الى رجل منهم يقال له عمرو بن امية احد بني علاج
وكان ادهى العرب فقالوا له الم تر ما حدث في السما من القذف بالنجوم فقال
بلى ولكن انظروا فان كانت معالم النجوم التي يهتدى بها في البر والبحر ويعرف بها
الانوا من الصيف والشتا لما يصلح الناس من معايشهم هي التي يرمى بها فهو والله
طي الدنيا وهلاك الخلق الذين فيها وان كانت نجوما غيرها وهي ثابتة على حالها فهذا
لامر اراده الله بهذا الخلق قال الزجاج ويدل على انها كانت بعد مولد النبي صلى الله
عليه وسلم ان شعرا العرب الذين ذكروا البرق والاشيا المسرعة لم يوجد في شعرها
ذكر الكواكب المنقضة فلما حدثت بعد مولده صلى الله عليه وسلم استعملت الشعرا
ذكرها قال ذو الرمة •

• كانه كوكب في اثر عفرية • مقوم في سواد الليل منتصب •

والقول الثاني ان ذلك كان موجودا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ولكن لما بعث
شدد وغلظ عليهم قال معمر قلت للزهري اكان يرمى بالنجوم في الجاهلية قال نعم

قال أفرأيت قوله وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فقال غلظت وشدد امرها حين
بعث محمد صلى الله عليه وسلم ويدل على صحة هذا القول ما روي عن ابن عباس قال
اخبرني رجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من الانصار انهم بينما هم جلوس ليلة مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ رمي بنجم واستنار فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما كنتم تقولون في الجاهلية اذا رمي بمثل هذا قالوا الله ورسوله اعلم كنا نقول ولد
الليلة رجل عظيم ومات رجل عظيم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانها لا يرمى بها
لموت احد ولا لحياته ولكن ربنا تبارك اسمه اذا قضى امرا سبح حملة العرش ثم سبح اهل
السما الذين يلونهم حتى يبلغ التسبيح الى اهل هذه السما ثم قال الذين يلون حملة
العرش لحملة العرش ماذا قال ربكم فيخبرونهم بما قال فيستخبر بعض اهل السما بعضا حتى
يبلغ الخبر هذه السما الدنيا فتخطف الجن السمع فيقذفون الى اوليايهم ويرمون فما جاوا
به على وجهه فهو حق ولكنهم يفرقون فيه ويزيدون اخرجه مسلم قال ابن قتيبة ان الرجم
كان قبل مبعثه ولكن لم يكن في شدة الحراسة بعد مبعثه قال ويدل على هذا وجدنا الشعر
القديم قال بشر بن ابي خازم وهو جاهلي

والعير يرهقها الغبار وجحشها • ينقض خلفهما انقضاض الكوكب

وقال اوس بن حجر وهو جاهلي

فانقض كالدري يتبعه • نقع يثور تخاله طنبا

والجمع بين هذين القولين ان الرمي بالنجوم كان موجودا قبل مبعث النبي صلى الله
عليه وسلم فلما بعث شدد ذلك وزاد في حفظ السما وحراستها صونا لاخبار الغيوب
والله اعلم وقوله تعالى **والارض مددناها** يعني بسطناها على وجه الما يقال انها
دحيت من تحت الكعبة ثم بسطت هذا قول اهل التفسير وزعم ارباب الهيئة انها
كرة عظيمة بعضها في الما وبعضها خارج من الما وهو الجزو المعمور منها واعتذروا عن
قوله تعالى والارض مددناها بان الكرة اذا كانت عظيمة كان كل جزء منها كالسطح
العظيم فثبت بهذا ان الارض ممدودة مبسوطة وانها كرة لجاب اصحاب التفسير بان
الله اخبر في كتابه بانها ممدودة وانها مبسوطة ولو كانت كرة لاخبر بذلك والله
اعلم بمراده وكيف هي الارض **والقينا فيها رواسي** يعني جبالا ثوابتا وذلك ان
الله تعالى لما خلق الارض على الما مادت ورجفت فاثبتها بالجبال **وانبتنا فيها**
اي في الارض لان انواع النبات المنتفع به يكون في الارض وقيل الضمير يرجع الى الجبال
لانها اقرب مذكور ولقوله من كل شي **موزون** وانما يوزن ما يتولد في الجبال من المعادن
من كل شي موزون قال ابن عباس وسعيد بن جبير اي معلوم وقال مجاهد وعكرمة
اي مقدور فعلى هذا يكون المعنى معلوم القدر عند الله لان الله تعالى يعلم القدر
الذي يحتاج اليه الناس في معايشهم وارزاقهم فيكون اطلاق الوزن عليه مجاز لان
الناس لا يعرفون مقادير الاشيا الا بالوزن وقال الحسن وعكرمة وابن زيد انه
عنى به الشي الموزون كالذهب والفضة والرصاص والحديد والكحل ونحو ذلك مما

يستخرج

يستخرج من المعادن ومده الاشيا كلها توزن وقيل معنى موزون متناسب في الحسن
والهيئة والشكل تقول العرب فلان موزون الحركات اذا كانت حركاته متناسبة
حسنة وكلام موزون اذا كان متناسبا حسنا بعيدا من الخطا والسخف وقيل ان
جميع ما ينبت في الارض والجبال نوعان احدهما ما يخرج من المعادن وجميع ذلك موزون
والثاني النبات فبعضه موزون ايضا وبعضه مكيل وهو يرجع الى الوزن لان الصاع
والمد مقدران بالوزن **وجعلنا لكم فيها معايش** جمع معيشة وهو ما يعيش به
الانسان مدة حياته في الدنيا من المطاعم والمشارب والملابس ونحو ذلك **ومن
لستم له برازقين** يعني الدواب والوحش والطير انتم منتفعون بها ولستم لها
برازقين لان رزق جميع الخلق على الله ومنه قوله وما من دابة في الارض الا على
الله رزقها وتكون من في قوله ومن لستم بمعنى ما لان من لمن يعقل وما لمن لا يعقل
وقيل يجوز اطلاق لفظة من على من لا يعقل وهو كقوله فمنهم من يمشي على بطنه وقيل
اراد بهم العبيد والخدم فتكون من على اصلها ويدخل معهم من لا يعقل من الدواب
والوحش **وان من شي الا عندنا خزاينه** الخزاين جمع خزانة وهو اسم للمكان
الذي يخزن فيه الشي للحفظ يقال خزن الشي اذا احرزه وقيل اراد مفاتيح
الخزاين وقيل اراد بالخزاين المطر لانه سبب الارزاق والمعايش لبني ادم والدواب
والوحش والطير ومعناه عندنا انه في حكمه وتصرفه وامره وتدبيره تعالى **وما
ننزله الا بقدر معلوم** يعني بقدر الكفاية وقيل ان لكل ارض حدا ومقدارا من
المطر يقال لا ينزل من السما قطرة مطر الا ومعها ملك يسوقها الى حيث يشا الله
تعالى وقيل ان المطر ينزل من السما كل عام بقدر واحد لانه لا يزيد ولا ينقص ولكن
الله يمطر قوما ويحرم اخرين وقيل اذا اراد الله بقوم خيرا انزل عليهم المطر
والرحمة واذا اراد بقوم شرا صرف عنهم المطر الى حيث لا ينتفع به كالبراري
والقفار والرمال والبحار ونحو ذلك حكي جعفر بن محمد الصادق عن ابيه عن جده
انه قال في العرش تمثال جميع ما خلق الله في البر والبحر وهو تاويل قوله وان من
شي الا عندنا خزاينه **وارسلنا الرياح لواقح** قال ابن عباس يعني للشجر وهو
قول الحسن وقتادة واصل هذا من قولهم لقحت الناقة والقحها الفحل اذا
القى اليها الما فحملته فكذلك الرياح كالفحل للسحاب قال ابن مسعود في تفسير
هذه الاية يرسل الله الرياح لتلقح السحاب فتحمل الما فتمجه ثم تمر به فتدر
كما تدر اللقحة وقال عبيد بن عمير يرسل الرياح المبشرة فتقم الارض قما ثم يرسل
المثيرة فتثير السحاب ثم يرسل المولفة فتولف السحاب بعضه الى بعض فيجعله
ركاما ثم يرسل اللواقح فتلقح الشجر والاظهر في هذه الاية لقاحها السحاب لقوله
بعدوا انزلنا من السما ما قال ابو بكر بن عياش لا تقطر قطرة من السما الا بعد ان تعمل
الرياح الاربع فيها فالصبا تهيج السحاب والشمال تجمعه والجنوب تدره والدبور
تفرقه وقال ابو عبيدة لواقح هنا بمعنى ملاقح جمع ملقحة حذفت الميم وردت الى الاصل

وقال الزجاج يجوز ان يقال لها لواقح وان كانت تلقح غيرها لان معناها النسب
كما يقال درهم وازن اي ذو وزن واعترض الواحدي على هذا فقال هذا ليس بمعنى
لانه كان يجب ان يصح اللاقح بمعنى ذات لقح حتى يوافق قول المفسرين واجاب
الرازي عنه بان قال هذا ليس بشيء لان اللاقح هو المنسوب الى اللقحة ومن افاد غيره
اللقحة فله نسبة الى اللقحة وقال صاحب المفردات لواقح اي ذات لقاح وقيل ان
الريح في نفسها لاقح لانها حاملة للسحاب والدليل عليه قوله حتى اذا اقلت سحابا
ثقالا اي حملت فعلى هذا تكون الريح لاقحة بمعنى حاملة تحمل السحاب قال الزجاج
ويجوز ان يقال للريح لقحت اذا اتت بالخير كما قيل لها عقيم اذا لم تات بخير وورد
في بعض الاخبار ان اللواقح الرياح الجنوب وفي بعض الاثار ما هبت ريح الجنوب الا
وانبعث عين غدقة **ق** عن عايشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا عصفت
الريح قال اللهم اني اسالك خيرها وخير ما فيها وخير ما ارسلت به واعوذ بك من
شرها وشر ما فيها وشر ما ارسلت به وروى البغوي بسنده الى الشافعي الى ابن عباس
قال ما هبت ريح قط الا جثى النبي صلى الله عليه وسلم على ركبتيه وقال اللهم اجعلها رحمة
ولا تجعلها عذابا اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا قال ابن عباس في كتاب الله
عز وجل انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا فارسلنا عليهم الريح العقيم وقال وارسلنا
الرياح لواقح وقال ويرسل الرياح مبشرات وقوله تعالى **فانزلنا من السما ما**
يعني المطر **فاسقيناكموه** يعني جعلنا المطر لكم سقيا يقال اسقى فلان فلانا اذا جعل
له سقيا وسقاه اذا اعطاه ما يشرب وتقول العرب سقيت الرجل ما ولبنا اذا
كان لشفته فاذا جعلوا له ما لشرب ارضه او ماشيته يقولوا سقيته
وما انتم له يعني المطر **بخازنين** يعني ان المطر في خزاينا لا في خزاينكم وقيل وما
انتم له بمانعين **وانا لنحن نحيي ونميت** يعني بيدنا احيا الخلق واماتتهم لا يقدر
على ذلك احد الا الله سبحانه وتعالى لان قوله وانا لنحن يفيد الحصر يعني لا يقدر
على ذلك سوانا **ونحن الوارثون** وذلك بان نميت جميع الخلق فلا يبقى احد سوانا
فيزول ملك كل مالك ويبقى جميع ملك المالكين لنا والوارث هو الباقي بعد ذهاب
غيره والله تعالى هو الباقي بعد فنا خلقه الذين متعهم بما اتاهم في الحياة الدنيا
لان وجود الخلق وما اتاهم كان ابتداوه منه تعالى فاذا فني جميع الخلايق رجع
الذي كان يملكونه في الدنيا على المجاز الى مالكه على الحقيقة وهو الله وقيل مصير
الخلق اليه قوله تعالى **ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستاخرين** عن ابن عباس
قال كانت امراة تصلي خلف النبي صلى الله عليه وسلم من احسن الناس فكان بعض الناس
يتقدم حتى يكون في الصف الاول ليلا يراها ويتاخر بعضهم حتى يكون في الصف المؤخر
فاذا ركع نظر من تحت ابطيه فانزل الله ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا
المستاخرين اخرجه النسائي واخرجه الترمذي وقال فيه وقد روي عن ابن الجوزا
نحوه ولم يذكر فيه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وهذا اشبه بشي ان يكون

اصح

اصح قال البغوي وذلك ان النسا كن يخرجن الى الجماعة فيقفن خلف الرجال فربما كان
من الرجال من في قلبه ريبة فيتاخر الى اخر صف الرجال ومن النسا من في قلبه ريبة
فتتقدم الى اول صف النسا لتقرب من الرجال فنزلت هذه الاية فعند ذلك قال
النبي صلى الله عليه وسلم خير صفوف الرجال اولها وشرها اخرها وخير صفوف النسا
اخرها وشرها اولها اخرجه مسلم عن ابي هريرة قال ابن عباس رضي الله عنهما اراد بالمستقدمين
من خلق الله وبالمستاخرين من لم يخلق الله تعالى بعد وقال مجاهد المستقدمون
القرون الاولى والمستاخرون امة محمد صلى الله عليه وسلم وقال الحسن المستقدمون
يعني في الطاعة والخير والمستاخرون المبطيون فيهما وقال الاوزاعي اراد بالمستقدمين
المصلين في اول الوقت وبالمستاخرين المؤخرين لها الى اخرها وقال مقاتل اراد بالمستقدمين
والمستاخرين في صف القتال وقال ابن عيينة اراد من يسلم اولا ومن يسلم اخرا وقال
ابن عباس في رواية اخرى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم حرض على الصف الاول فازدحموا
عليه وقال قوم كانت بيوتهم قاصية عن المسجد لنبيعن دورنا ولنشترين دورا قريبة
من المسجد حتى ندرك الصف المقدم فنزلت الاية ومعناها انما تجزون على النيات
فاطمانوا واسكنوا فيكون معنى الاية على القول الاول المستقدم للتقوى والمتاخر
للنظر وعلى القول الاخير المتقدم لطلب الفضيلة والمتاخر للعذر ومعنى الاية
ان علمه تعالى محيط بجميع خلقه متقدمهم ومتاخرهم طايعهم وعاصيهم لا يخفى عليه
شي من احوال خلقه **وان ربك هو يحشرهم انه حكيم عليم** يعني على ما علم منهم وقيل
انه تعالى يميت الكل ثم يحشرهم الاولين والاخرين على ما ماتوا عليه **م** عن جابر
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث كل عبد على ما مات عليه قوله تعالى
ولقد خلقنا الانسان يعني ادم عليه السلام في قول جميع المفسرين سمي انسانا
لظهوره وادراك البصر اياه وقيل من النسيان لانه عهد اليه فنسي **من صلصال**
يعني من الطين اليابس الذي اذا نقرته سمعت له صلصلة يعني صوتا قال ابن عباس
هو الطين الحر الطيب الذي اذا نضب عنه الما تشقق فاذا حرك تقعقع وقال
مجاهد هو الطين المنتن واختاره الكسائي وقال هو من صل اللحم واصل اذا انتن
من حما يعني من الطين الاسود **مسنون** اي متغير قال مجاهد وقتادة وهو
المنتن المتغير وقال ابو عبيدة هو المصبوب تقول العرب سننت الما اذا صببته
قال ابن عباس رضي الله عنهما هو التراب المبتل المنتن جعل صلصالا كالفخار والجمع
بين هذه الاقاويل على ما ذكره بعضهم ان الله لما خلق ادم عليه الصلاة والسلام
قبض قبضة من تراب الارض بله بالما حتى اسود وانتن ريحه وتغير واليه الاشارة
بقوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب ثم ان ذلك التراب بله
بالما وخمره حتى اسود وانتن ريحه وتغير واليه الاشارة بقوله من حما مسنون
ثم ان ذلك الطين الاسود المتغير صوره صورة الانسان اجوف فلما جف ويبس كان
تدخل فيه الريح فيسمع له صلصلة يعني صوتا واليه الاشارة بقوله من صلصال

كالفخار وهو الطين اليابس تخرج في الشمس ثم نفخ فيه الروح فكان بشرا سويا
والجان خلقناه من قبل يعني من قبل آدم قال ابن عباس الجان ابو الجن كما ان آدم ابو البشر
وقال قتادة هو ابليس وقيل الجان ابو الجن وابليس ابو الشياطين وفي الجن مسلمون
وكافرون ويأكلون ويشربون ويحيون ويموتون كبني آدم واما الشياطين فليس
فيهم مسلمون ولا يموتون الا اذا مات ابليس قال وهب ان من الجن من يولد له ويأكلون
ويشربون بمنزلة الآدميين ومن الجن من هو بمنزلة الريح لا يتوالدون ولا يأكلون ولا
يشربون وهم الشياطين والاصح ان الشياطين نوع من الجن لاشتراكهم في الاستتار
سموا جنا لتواريهم واستتارهم عن الاعين من قولهم جن الليل اذا استتر والشيطان
هو العاتي المتمرد الكافر والجن منهم المؤمن ومنهم الكافر من نار السموم يعني من ريح
حارة تدخل مسام الانسان من لطفها وقوة حرارتها فتقتله ويقال للريح الحارة
التي تكون بالنهار السموم والريح الحارة تكون بالليل الحرور وقال ابو صالح
السموم نار لا دخان لها والصواعق تكون منها وهي نار بين السماء والحجاب فاذا احدث
امرا خرقت الحجاب فهوت الى ما امرت به فالهدة التي تسمعون خرق ذلك الحجاب وهذا
على قول اصحاب الهيئة ان الكرة الرابعة تسمى كرة النار وقيل من نار السموم يعني
من نار جهنم وقال ابن مسعود هذه السموم جزء من سبعين جزءا من السموم التي
خلق منها الجان وتلا هذه الآية قال ابن عباس كان ابليس من حي من الملائكة يسمون
الجان خلقوا من نار السموم وخلقت الجن الذين ذكروا في القرآن من مارج من نار
وخلقت الملائكة من نور قوله عز وجل واذ قال ربك للملائكة اي واذكر يا محمد
اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا سمي الآدمي بشرا لانه جسم كثيف ظاهر
البشرة ظاهر الجلد من صلصال من حمإ مسنون تقدم تفسيره فاذا سويته يعني
عدلت صورته واتممت خلقه ونفخت فيه من روحي النفخ عبارة عن اجراء الريح
في تجاويف جسم آخر ومنه نفخ الروح في النشأة الاولى وهو المراد بقوله ونفخت
فيه من روحي واضاف الله عز وجل روح آدم الى نفسه على سبيل التشريف والتكريم
له كما يقال بيت الله وناقة الله وعبد الله وسيجيء الكلام على الروح في تفسير
سورة سبحان عند قوله ويسألونك عن الروح ان شاء الله فقعوا له ساجدين
وكان السجود سجود تحية لا سجود عبادة فسجد الملائكة كلهم يعني الذين امروا
بالسجود لآدم كلهم اجمعون قال سيبويه هذا توكيد وسئل المبرد عن هذه
الآية فقال لو قال فسجد الملائكة لاحتمل ان يكون سجد بعضهم فلما قال كلهم
زال هذا الاحتمال فظهر بهذا انهم سجدوا بأسرهم ثم عند هذا بقي احتمال آخر
وهو انهم سجدوا في اوقات متفرقة او في دفعة واحدة فلما قال اجمعون ظهر ان
الكل سجدوا دفعة واحدة ولما حكى الزجاج هذا القول عن المبرد قال وقول
الخليل وسيبويه اجود لان اجمعين معرفة فلا يكون حالا وروي عن ابن عباس
رحمهما الله تعالى ان الله تعالى امر جماعة من الملائكة بالسجود لآدم فلم يفعلوا

فارسل

فارسل عليهم نارا فاحرقتهم ثم قال لجماعة اخرى اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس
ابى ان يكون مع الساجدين يعني مع الملائكة الذين امروا بالسجود لآدم قال يعني
قال الله تعالى يا ابليس ما لك الا تكون مع الساجدين قال يعني ابليس لم اكن
لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإ مسنون اراد ابليس انه افضل من آدم لان
آدم طيني الاصل وابليس ناري الاصل والنار افضل من الطين فيكون ابليس في قياسه
افضل من آدم ولم يدر الخبيث ان الفضل فيما فضله الله قال فاخرج منها يعني
من الجنة وقيل من السماء فانك رجيم اي طريد وان عليك اللعنة الى يوم الدين
قيل ان اهل السموات يلعنون ابليس كما يلعنه اهل الارض فهو ملعون في السموات
والارض فان قلت ان حرف الى لانتهاء الغاية فهل ينقطع اللعن عنه يوم الدين
الذي هو يوم القيامة قلت لا بل يزداد عذابا الى اللعنة التي عليه كأنه قال
وان عليك اللعنة فقط الى يوم الدين ثم تزداد بعد ذلك معها عذابا دائما مستمرا
لا انقطاع له قال رب فانظرني يعني اخرني الى يوم يبعثون يعني يوم القيامة
واراد بهذا السؤال انه لا يموت ابدا لانه اذا امهل الى يوم القيامة ويوم القيامة
لا يموت فيه احد لزم من ذلك انه لا يموت ابدا فلهذا السبب سأل الانظار الى
يوم يبعثون فاجابه الله بقوله قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم
يعني الوقت الذي يموت فيه جميع الخلائق وهو النفخة الاولى فيقال ان مدة
موت ابليس اربعون سنة وهو ما بين النفختين ويقال لم تكن اجابة الله تعالى
اياه في الامهال اكراما له بل كان ذلك الامهال زيادة في بلائه وشقائه وعذابه
وانما سمي يوم القيامة بيوم الوقت المعلوم لان ذلك اليوم لا يعلمه الا الله
تعالى فهو معلوم عنده وقيل لان جميع الخلائق يموتون فيه فهو معلوم بهذا
الاعتبار وقيل لما سأل ابليس الانظار الى يوم يبعثون فاجابه تعالى بقوله
فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم يعني اليوم الذي عينت وسألت
الانظار اليه قال رب بما اغويتني الباء للقسم اي قوله بما وما مصدرية وجواب
القسم لازينن والمعنى اقسم باغوائك اياي لازينن لهم في الارض وقيل
هي باء السببية يعني بسبب كوني غاويا لازينن لهم في الارض يعني لازينن لهم حب
الدنيا ومعاصيك ولاغوينهم اجمعين يعني بالقاء الوسوسة في قلوبهم وذلك ان
ابليس لما علم انه يموت على الكفر غير مغفور له حرص على اضلال الخلق واغوائهم
ثم استثنى فقال الا عبادك منهم المخلصين يعني المؤمنين الذين اخلصوا لك
التوحيد والطاعة والعبادة ومن فتح اللام من المخلصين يكون المعنى الا من
اخلصته واصطفيته لتوحيدك وعبادتك وانما استثنى ابليس المخلصين لانه
علم ان كيده ووسوسته لا تعمل فيهم ولا يقبلون منه وحقيقة الاخلاص فعل
الشيء خالصا عن شائبة الغير فكل من اتى بعمل من اعمال الطاعات فلا يخلو ان يكون
مراده بتلك الطاعة وجه الله فقط او لغير الله او المجموع الامرين اما ما كان لله

فقط فهو الخالص المقبول وأما ما كان لغير الله فهو الباطل المردود وأما من كان مراده
مجموع الامرين فان ترجح جانب الله تعالى كان من المخلصين الناجين وان ترجح الاخر كان
من الهالكين لان الميل يقابله الميل فيبقى القدر الزايد فالى اي الجانبين ترجح اخذ به
قال يعني قال الله تبارك وتعالى **هذا صراط علي مستقيم** قال الحسن معناه هذا
صراط الي وقال مجاهد الحق يرجع الى الله وعليه طريقه لا يعوج على شيء وقال الاخفش
معناه على الدلالة على الصراط المستقيم وقال الكسائي هذا على طريق التهديد والوعيد
كما يقول الرجل لمن يخاصمه طريقك علي اي لا ينفلت مني وقيل معناه على استقامته
بالبيان والبرهان والتوفيق والهداية وقيل هذا عايد الى الاخلاص والمعنى ان
الاخلاص طريق علي والي يودي الى كرامتي ورضواني **ان عبادي ليس لك عليهم سلطان**
اي قوة وقدرة وذلك ان ابليس لما قال لازينن لهم في الارض لاغوينهم الا عبادك منهم المخلصين
اوهم بهذا الكلام ان له سلطانا على غير المخلصين فبين الله تعالى انه ليس له سلطان
على احد من عبيده سوا كان من المخلصين او لم يكن من المخلصين قال اهل المعاني
ليس لك عليهم سلطان على قلوبهم وسيل سفيان بن عيينة عن هذه الاية فقال
معناه ليس لك عليهم سلطان ان تلقيهم في ذنب يضيق عنه عفوي وهولا ثنية
الله الذين هداهم واختارهم من عباده **الا من اتبعك من الغاوين** يعني الا من
اتبع ابليس من الغاوين فانه ليس له عليهم سلطان بسبب كونهم منقادين له فيما
يامرهم به **وان جهنم لموعدهم اجمعين** يعني موعد ابليس واشياعه واتباعه لها يعني
لجهنم **سبعة ابواب** يعني سبع طبقات قال علي بن ابي طالب تدرون كيف ابواب النار
هكذا ووضع احدى يديه على الاخرى اي سبعة ابواب بعضها فوق بعض قال ابن
جريج النار سبع دركات اولها جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر
ثم الجحيم ثم الهاوية **لكل باب منهم جزء مقسوم** يعني لكل دركة يسكنونها والجزء
بعض الشيء وجزاته جعلته اجزاء والمعنى ان الله تعالى يجزي اتباع ابليس سبعة
اجزاء فيدخل كل جزء وقسم منهم دركة من النار والسبب فيه ان مراتب الكفر
مختلفة فلذلك اختلفت مراتبهم في النار قال الضحاك في الدركة الاولى اهل
التوحيد الذين دخلوا النار يعذبون فيها بقدر ذنوبهم ثم يخرجون منها وفي
الثانية النصارى وفي الثالثة اليهود وفي الرابعة الصابيون وفي الخامسة
المجوس وفي السادسة اهل الشرك وفي السابعة المنافقون فذلك قوله تعالى
ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار عن ابن عمر رضي الله عنه قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لجهنم سبعة ابواب باب منها لمن سل السيف على امتي او قال على
امة محمد صلى الله عليه وسلم اخرجه الترمذي وقال حديث غريب قوله تعالى **ان
المتقين في جنات وعيون** المراد بالمتقين الذين اتقوا الشرك في قول جمهور المفسرين
وقيل هم الذين اتقوا الشرك والمعاصي والجنات البساتين والعيون الانهار الجارية
في الجنات وقيل يحتمل ان تكون هذه العيون غير الانهار الكبار التي في الجنة وعلى هذا فهل

يختص كل واحد من اهل الجنة بعيون ويجري هذه العيون من بعضهم الى بعض وكلا الامرين
محتمل فيحتمل ان كل واحد من اهل الجنة يختص بعيونه يجري في جنانه وقصوره ودوره
فينتفع بها هو ومن يختص به من حوره وولدانه ويحتمل انها يجري في جنات بعضهم الى
جنان بعض لانهم قد طهروا من الحقد والحسد **ادخلوها** اي يقال لهم ادخلوها والقايل
هو الله تعالى او بعض ملايكته **بسلام امنين** يعني ادخلوا الجنة بسلام امنين مع السلامة
والامن من الموت ومن جميع الافات **ونزعنا ما في صدورهم من غل** الغل الحقد
الكامن في القلب ويطلق على الشحنا والعداوة والبغضا والحقد والحسد فكل هذه
الخصال المذمومة داخلة في الغل لانها كامنة في القلب يروى ان المومنين يحبسون
على باب الجنة فيقتص بعضهم من بعض ثم يومر بهم الى الجنة وقد نقي قلوبهم من الغل
والغش والحقد والحسد ٢ يعني في المودة والمحبة والمخالطة وليس المراد منه اخوة
النسب **على سرر** جمع سرير قال بعض اهل المعاني السرير مجلس رفيع عال
مهيا للسرور وهو ماخوذ منه لانه مجلس سرور قال ابن عباس على سرر من ذهب
مكللة بالزبرجد والدر والياقوت والسرير مثل صنعا الى الجابية **متقابلين**
يعني يقابل بعضهم بعضا لا ينظر احدهم في قفا صاحبه وفي بعض الاخبار ان المومن
في الجنة اذا اراد ان يلقى اخاه المومن سار سرير كل واحد منهم الى صاحبه فيلتقيان
ويتحدثان **لا يمسهم فيها** يعني في الجنة **نصب** اي تعب ولا اعيا **وما هم منها
بمخرجين** يعني من الجنة هذا نص من الله في كتابه على خلود اهل الجنة في الجنة
والمراد منه خلود بلا زوال وبقا بلا فنا وكمال بلا نقصان وفوز بلا حرمان
قوله عز وجل **نبي عبادي اني انا الغفور الرحيم** قال ابن عباس رحمهما الله تعالى يعني
من تاب منهم روي ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج على اصحابه وهم يضحكون فقال
اتضحكون وبين ايديكم النار فنزل جبريل عليه السلام بهذه الاية وقال يقول
لك ربك يا محمد لم تقنط عبادي ذكره البغوي بغير سند **وان عذابي هو العذاب
الاليم** قال قتادة بلغنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لو يعلم العبد قدر عفو الله
لما تورع عن حرام ولو يعلم قدر عذابه لبخع نفسه يعني لتقتل نفسه خ عن ابي هريرة
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله خلق الرحمة يوم خلقها
ماية رحمة فامسك عنده تسعا وتسعين رحمة وارسل في خلقه كلهم رحمة واحدة
فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييئس من الجنة ولو يعلم المومن بكل
الذي عند الله من العذاب لم يامن من النار وفي الاية لطايف منها انه تعالى اضاف
العباد الى نفسه بقوله نبي عبادي وهذا تشريف وتعظيم لهم الا ترى انه لما اراد
ان يشرف محمدا صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج لم يزد على قوله سبحان الذي اسرى
بعبده ليلا فكل من اعترف على نفسه بالعبودية لله تعالى فهو داخل في هذا التشريف
العظيم ومنها انه تعالى لما ذكر الرحمة والمغفرة بالغ في التاكيد بالفاظ ثلاثة اولها
قوله اني وثانيها انا وثالثها ادخال الالف واللام على قوله الغفور الرحيم وهذا يدل

اخوانا

على تغليب جانب الرحمة والمغفرة ولما ذكر العذاب لم يقل اني انا المعذب وما وصف نفسه
بذلك بل قال وان عذابي هو العذاب الاليم على سبيل الاخبار ومنها انه تعالى امر رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان يبلغ عباده هذا المعنى فكانه اشهد رسوله على نفسه في التزام
المغفرة والرحمة قوله تعالى **ونبئهم عن ضيف ابراهيم** هذا معطوف على ما قبله اي واخبر
يا محمد عبادي عن ضيف ابراهيم واصل الضيف الميل يقال اضفت الى كذا اذا ملت
اليه والضيف من مال اليك نزولا بك وصارت الضيافة متعارفة في القرى واصل
الضيف مصدر ولذلك استوى فيه الواحد والجمع في عامة كلامهم وقد يجمع فيقال
اضياف وضيوف وضيفان وضيف ابراهيم هم الملائكة الذين ارسلهم الله تعالى
ليبشروا ابراهيم عليه السلام بالولد ويهلكوا قوم لوط **اذ دخلوا عليه** يعني اذ
دخل الاضياف على ابراهيم **فقالوا سلاما** اي فسلم سلاما **قال** يعني ابراهيم
انا منكم وجلون اي خائفون وانما خاف ابراهيم عليه السلام منهم لانهم لم ياكلوا
طعامه **قالوا لا توجل** يعني لا تخف **انا نبشرك بغلام عليم** يعني انهم بشروه
بولد ذكر غلام في صغره عليم في كبره وقيل عليم بالاحكام والشرائع والمراد به اسحاق
عليه السلام فلما بشروه بالولد تعجب ابراهيم من كبره وكبر امراته **قال ابشرتموني**
يعني بالولد **على ان مسني الكبر** يعني حالة الكبر قاله على طريقة التعجب **فبم**
تبشرون يعني فباي شيء تبشرون وهو استفهام بمعنى التعجب كانه تعجب من حصول
الولد على الكبر **قالوا بشرناك بالحق** يعني بالصدق الذي قضاه الله بان يخرج منك
ذكرا تكثر ذريته وهو اسحاق عليه السلام **فلا تكن من القانطين** يعني فلا تكن من الايسين
من الخير والقنوط هو الاياس من الخير **قال** يعني ابراهيم **ومن يقنط من رحمة ربه الا**
الضالون يعني من ييس من رحمة ربه الا المكذبون وفيه دليل على ان ابراهيم
لم يكن من القانطين ولكنه استبعد حصول الولد على الكبر فظنت الملائكة ان به
قنوطا فنفى ذلك عن نفسه واخبر ان القانط من رحمة الله تعالى ضال لان القنوط
من رحمة الله تعالى كبيرة كالامن من مكر الله ولا يحصل الا عند من جهل كون الله
تعالى قادرا على ما يريد وان يجهل كونه تعالى عالما بجميع المعلومات فكل هذه الامور
سبب للضلال **قال** يعني ابراهيم **فما خطبكم** يعني فما شانكم وما الامر الذي
جئتم فيه ايها المرسلون والمعنى ما الامر الذي جئتم بسببه سوى ما بشرتموني
به من الولد فالوا يعني الملائكة **قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين** يعني لهلاك قوم
مجرمين **الا آل لوط** يعني اشياعه واتباعه من اهل دينه **انا لمنجوهم اجمعين الا**
امراته يعني امراة لوط **قدرنا** يعني قضينا وانما اسند الملائكة القدر الى انفسهم
وان كان ذلك لله عز وجل لاختصاصهم بالله وقربهم منه كما تقول خاصة الملك
نحن امرنا نحن فعلنا وان كان قد فعلوه بامر الملك **انها لمن الغابرين** يعني انها لمن
الباقين في العذاب والاستثناء من النفي اثبات ومن الاثبات نفي فاستثنى امراة
لوط من التابعين مخلفة بالهالكين **فلما جاء آل لوط المرسلون** وذلك ان الملائكة

عليهم

عليهم السلام لما بشروا ابراهيم بالولد وعرفوه بما ارسلوا به ساروا الى لوط وقومه ولما
دخلوا على لوط **قال انكم قوم منكرون** وانما قال هذه المقالة لوط لانهم دخلوا اليه
بجمالهم في زي شبان مردان حسان الوجوه فخاف ان يهجم عليهم قومه فلهذا السبب
قال هذه المقالة وقيل ان النكرة ضد المعرفة فقوله انكم منكرون لا اعرفكم ولا
اعرف من اي الاقوام انتم ولا لاي غرض دخلتم علي فعند ذلك **قالوا** يعني الملائكة **بل**
جئناك بما كانوا فيه يمترون يعني جئناك بالعذاب الذي كانوا يشكون فيه **واتيناك**
بالحق يعني اليقين الذي لا شك فيه **وانا لصادقون** يعني فيما اخبرناك به من
هلاكهم **فاسر باهلك بقطع من الليل** يعني اخر الليل والقطع القطعة من الشيء
والبعضة **واتبع ادبارهم** يعني واتبع اثار اهلك وسر خلفهم **ولا يلتفت منكم احد**
يعني حتى لا يرى ما نزل بقومه من العذاب فيرتاع بذلك وقيل المراد الاسراع
في السير وترك الالتفات الى ورائه والاهتمام بما خلفه كما تقول امض لشانك ولا
تعرج على شيء وقيل جعل ترك الالتفات علامة لمن ينجو من آل لوط ولئلا يتخلف
منهم احد فيناله العذاب **وامضوا حيث تؤمرون** وقال ابن عباس يعني الشام
وقال مقاتل يعني زغر وقيل الاردن وقيل الى حيث يامركم جبريل عليه السلام
وذلك ان جبريل عليه السلام امرهم ان يسيروا الى قرية معينة ما عمل اهلها عمل
قوم لوط **وقضينا اليه ذلك الامر** يعني واوحينا الى لوط ذلك الامر الذي حكمنا به
على قومه وفرغنا منه ثم انه تعالى فسر ذلك الامر الذي قضاه بقوله **ان دابر**
هؤلاء مقطوع مصبحين يعني ان هؤلاء القوم يستاصلون عن اخرهم بالعذاب
وقت الصبح وانما ابهم الامر الذي قضاه عليهم اولا وفسره ثانيا تفخيما له وتعظيما
لشانه **وجاء اهل المدينة** يعني مدينة سدوم وهي مدينة قوم لوط **يستبشرون**
يعني يبشر بعضهم بعضا باضياف لوط والاستبشار اظهار الفرح والسرور
وذلك ان الملائكة لما نزلوا على لوط ظهر امرهم في المدينة وقيل ان امراته اخبرتهم
بذلك وكانوا شبابا مردا في غاية الحسن ونهاية الجمال فجاء قوم لوط الى داره
طمعا فيهم في ركوب الفاحشة **قال** يعني قال لوط لقومه **ان هؤلاء ضيفي** وحق
على الرجل اكرام ضيفه **فلا تفضحون** يعني فيهم يقال فضحه يفضحه اذا اظهر من
امره ما يلزمه العار بسببه **واتقوا الله** يعني خافوا الله في امرهم **ولا تخزون**
يعني ولا تخجلون **قالوا** يعني قوم لوط الذين جاؤوا اليه **اولم ننهك عن العالمين**
اولم ننهك عن ان تضيف احدا من العالمين وقيل معناه اولم ننهك ان تدخل الغربا
الى بيتك فانا نريد ان نركب منهم الفاحشة وقيل معناه السنا قد نهيناك ان تكلمنا
في احد من العالمين اذا قصدناه بالفاحشة **قال** يعني قال لوط لقومه الذين
قصدوا اضيافه **هؤلاء بناتي** يعني ازوجكم اياهن ان اسلمتم فاتوا الحلال ودعوا
الحرام وقيل اراد بالبنات نساء قومه لان النبي كالوالد لامته **ان كنتم فاعلين**

يعني ما امركم به لعمرك الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس رحمهما الله
تعالى معناه وحياتك يا محمد قال ابن عباس ما خلق الله نفسا اكرم عليه من محمد
صلى الله عليه وسلم وما اقسم بحياة احد الا بحياته والعمر والعمر واحد وهو اسم لمدة عمارة
بدن الانسان بالحياة والروح وبقائه مدة حياته وقال النحويون ارتفع لعمرك
بالابتداء والخبر محذوف والمعنى لعمرك قسمي فحذف الخبر لان في الكلام دلالة عليه انهم
لفي سكرتهم يعني حيرتهم وضلالتهم وقيل في غفلتهم يعمهون يعني يترددون
متحيرين وقال قتادة يلعبون فاخذتهم الصيحة مشرقين يعني حين اضاءت
الشمس فكان ابتداء العذاب الذي نزل بهم وقت الصبح وتمامه وانتهاؤه حين اشرقت
الشمس فجعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليهم حجارة من سجيل تقدم تفسيره
في سورة هود ان في ذلك يعني الذي نزل بهم العذاب لايات للمتوسمين قال
ابن عباس للناظرين وقال قتادة للمعتبرين وقال مقاتل للمتفكرين وقال مجاهد
للمتفرسين ويعضد هذا التاويل ما روي عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله ثم قرأ ان في ذلك لايات
للمتوسمين اخرجه الترمذي وقال حديث غريب الفراسة بالكسر اسم من قولك
تفرست في فلان الخير وهو على نوعين احدهما ما دل عليه ظاهر الحديث وهو ما يوقعه
الله في قلوب اوليائه فيعلمون بذلك احوال الناس بنوع من الكرامات واصابة
الحدس والنظر والظن والتثبت والنوع الثاني ما يحصل بدلائل التجارب والخلق
والاخلاق تعرف بذلك احوال الناس ايضا وللناس في علم الفراسة تصانيف
قديمة وحديثة قال الزجاج حقيقة المتوسمين في اللغة المتثبتين في نظرهم
حتى يعرفوا سمة الشيء وصفته وعلامته فالمتوسم الناظر في سمة الدلالة تقول
توسمت في فلان كذا اي عرفت وسم ذلك وسمته وانها يعني قرى قوم لوط
لبسبيل مقيم يعني بطريق واضح قال مجاهد بطريق معلم ليس بخفي ولا زائل والمعنى
ان آثار ما انزل الله بهذه القرى من عذابه وغضبه لبسبيل مقيم ثابت لم يندرس
ولم يخف والذين يمرون عليها من الحجاز الى الشام يشاهدون ذلك الطريق ويرون
اثره ان في ذلك يعني الذي ذكر من عذاب قوم لوط وما انزل بهم لاية للمؤمنين
يعني المصدقين بما انزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم وان كان اصحاب الايكة
لظالمين يعني كان اصحاب الايكة لظالمين وهي الغيضة واللام في قوله لظالمين
للتاكيد وهم قوم شعيب كانوا اصحاب غياض وشجر ملتف وكان عامة شجرهم المقل وكانوا
قوما كافرين فبعث الله عز وجل اليهم شعيبا رسولا فكذبوه فاهلكهم الله وهو
قوله تعالى فانتقمنا منهم يعني بالعذاب وذلك ان الله تعالى سلط عليهم الحر سبعة
ايام حتى اخذ بانفاسهم وقربوا من الهلاك فبعث الله سبحانه وتعالى لهم ظلة فالتجأوا
اليها واجتمعوا تحتها يلتمسون الروح فبعث الله عليهم نارا فاحرقتهم جميعا وانهما
يعني مدينة قوم لوط ومدينة اصحاب الايكة لبامام مبين يعني بطريق واضح

مستبين

مستبين لمن مر بهما وقيل الضمير راجع الى الايكة ومدين لان شعيبا كان مبعوثا
اليهما وانما سمي الطريق اماما لانه يؤم ويتبع ولان المسافر يأتم به حتى يصير الى الموضع
الذي يريده قوله عز وجل ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين قال المفسرون الحجر
اسم واد كان يسكنه ثمود وهو معروف بين المدينة النبوية والشام وآثاره
موجودة باقية يمر عليها ركب الشام الى الحجاز واهل الحجاز الى الشام واراد بالمرسلين
صالحا وحده وانما ذكره بلفظ الجمع للتعظيم او لانهم كذبوه وكذبوا من قبله من
الرسل وآتيناهم آياتنا يعني الناقة وولدها والآيات التي كانت في الناقة
خروجها من الصخرة وعظم جثتها وقرب ولادتها وغزارة لبنها وانما اضاف الآيات
اليهم وان كانت لصالح لانه مرسل اليهم بهذه الآيات فكانوا عنها يعني عن الآيات
معرضين يعني تاركين لها غير ملتفتين اليها وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين
يعني خوفا من الخراب او ان يقع عليهم الجبل او السقف فاخذتهم الصيحة يعني العذاب
مصبحين يعني وقت الصبح فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون يعني من الشرك
والاعمال الخبيثة ق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال لما مر رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالحجر قال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم ان يصيبكم ما اصابهم
الا ان تكونوا باكين ثم قنع راسه واسرع السير حتى جاز الوادي قوله تعالى
وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق يعني لاظهار الحق والعدل وهو
ان يثاب المؤمن المصدق ويعاقب الجاحد المكذب وان الساعة لآتية يعني وان
القيامة لتاتي ليجازي المحسن باحسانه والمسيء باساءته فاصفح الصفح الجميل
الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي فاعرض عنهم يا محمد واعف عنهم عفوا حسنا
واحتمل ما تلقى من اذى قومك وهذا الصفح والاعراض منسوخ باية القتال
وقيل فيه بعد لان الله تعالى امر نبيه صلى الله عليه وسلم ان يظهر الخلق الحسن
وان يعاملهم بالعفو والصفح الخالي من الجزع والخوف ان ربك هو الخلاق العليم
يعني انه تعالى خلق خلقه وعلم ما هم فاعلوه وما يصلحهم قوله عز وجل ولقد آتيناك
سبعا من المثاني والقرآن العظيم قال ابن الجوزي سبب نزولها ان سبع قوافل
وافت من بصرى واذرعات ليهود قريظة والنضير في يوم واحد فيها انواع من
البز والطيب والجواهر فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا
وانفقناها في سبيل الله فانزل الله هذه الآية وقال قد اعطيتكم سبع آيات
هي خير من سبع قوافل ويدل على صحة هذا قوله ولا تمدن عينيك الآية قال الحسين
بن الفضل قلت وهذا القول ضعيف ولا يصح لان هذه السورة مكية باجماع
المفسرين ليس فيها من المدني شيء ويهود قريظة والنضير كانوا بالمدينة فكيف
يصح انه قال ان سبع قوافل جاءت في يوم واحد فيها اموال عظيمة حتى تمناها المسلمون
فانزل الله هذه الآية واخبرهم ان هذه السبع آيات هي خير من هذه السبع قوافل
والله اعلم وفي المراد بالسبع المثاني اقوال احدها انها فاتحة الكتاب وهذا قول

عمر وعلي وابن مسعود وفي رواية عنه وابن عباس وفي رواية الاكثرين عنه وابي هريرة والحسن وسعيد بن جبير في رواية عنه ومجاهد في رواية عنه وعطا وقتادة في آخرين ويدل على صحة هذا التاويل ما روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله رب العالمين ام القران وام الكتاب والسبع المثاني اخرجه ابو داود والترمذي (خ) عن ابي سعيد بن المعلى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقران العظيم الذي اوتيته اخرجه البخاري وفيه زيادة اما التسمية في تسمية فاتحة الكتاب بالسبع المثاني لانها سبع ايات باجماع اهل العلم واختلفوا في سبب تسميتها بالمثاني فقال ابن عباس والحسن وقتادة لانها تثنى في الصلاة فتقرا في كل ركعة وقيل لانها مقسومة بين العبد وبين الله نصفين فنصفها الاول ثنا على الله ونصفها الثاني دعا ويدل على صحة هذا التاويل ما روي عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تبارك وتعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين الحديث مذكور في فضايل الفاتحة وقيل سميت مثاني لان كلماتها مثناة كلها مثل قوله الرحمن الرحيم اياك نعبد واياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط فكل هذه الالفاظ مثناة وقال الحسين بن الفضل لانها نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة معها سبعون الف ملك وقال مجاهد لان الله تعالى استثناها وادخرها لهذه الامة فلم يعطها لغيرهم وقال ابو زيد البلخي رحمه الله تعالى تثني اهل الشرك عن الشرك من قول العرب ثنيت عناني وقال الزجاج رحمه الله سميت فاتحة الكتاب مثاني لاشتمالها على الثنا على الله تعالى وهو حمد الله وتوحيده وملكه واذا ثبت كون الفاتحة هي السبع المثاني دل ذلك على فضلها وشرفها وانها من افضل سور القران لان افرادها بالذكر في قوله ولقد اتيناك سبعا من المثاني والقران العظيم مع انها جزء من اجزا القران واحد سوره لا بد وان يكون لاختصاصها بالشرف والفضيلة القول الثاني تفسير قوله سبعا من المثاني انها السبع الطوال وهو قول ابن عمر وابن مسعود في رواية عنه وابن عباس في رواية عنه وسعيد بن جبير في رواية عنه والسبع الطوال هي سورة البقرة وال عمران والنسا والمايدة والانعام والاعراف واختلفوا في السابعة فقيل الانفال مع براءة لانهما كالسورة الواحدة ولهذا لم يكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم وقيل السابعة هي سورة يونس ويدل على صحة هذا القول ما روي عن ثوبان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله اعطاني السبع الطوال مكان التوراة واعطاني المبين مكان الانجيل واعطاني مكان الزبور المثاني وفضلني ربي بالمفصل اخرجه البغوي باسناد الثعلبي قال ابن عباس انما سميت السبع الطوال مثاني لان الفرايض والحدود والامثال والخبر والعبر ثنيت فيها واورد على هذا القول ان هذه السور الطوال مدنيات غالبها فكيف يمكن ان تفسر هذه الاية بها وهي مكية واجيب عن هذا الايراد بان الله تعالى حكم في سابق علمه بانزال هذه السور على النبي صلى الله عليه وسلم

واذا كان كذلك صح ان تفسر هذه الاية بهذه السورة القول الثالث ان السبع المثاني هي السور التي دون الطوال وفوق المفصل وهي المبين وحجة هذا القول الحديث المتقدم واعطاني المثاني مكان الزبور القول الرابع ان السبع المثاني هو القران كله وهذا قول طاوس وحجة هذا القول قوله تعالى الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثاني وسمي القران مثاني لان الاخبار والقصص والامثال ثنيت فيه فان قلت كيف يصح عطف القران في قوله والقران العظيم على قوله سبعا من المثاني وهل هو الا عطف الشي على نفسه قلت اذا عني بالسبع المثاني فاتحة الكتاب او السبع الطوال فما وراءهن ينطلق عليه القران لان القران اسم يقع على البعض كما يقع على الكل الا ترى الى قوله تعالى بما اوحينا اليك هذا القران يعني سورة يوسف عليه السلام واذا عنيت بالسبع المثاني القران كله كان المعنى ولقد اتيناك سبعا من المثاني التي هي القران العظيم وانما سمي القران عظيما لانه كلام الله ووحيه انزله على خير خلقه محمد صلى الله عليه وسلم قوله تعالى **لا تمدن عينيك** الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي لا تمدن عينيك يا محمد **الى ما متعنا به ازواجا** يعني اصنافا **منهم** يعني من الكفار متمنيا لها نهى الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم عن الرغبة في الدنيا ومزاحمة اهلها عليها والمعنى انك قد اوتيت القران العظيم الذي فيه غنى عن كل شي فلا تشغل قلبك وسرك بالالتفات الى الدنيا والرغبة فيها روي ان سفيان بن عيينة تاول قول النبي صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يتغن بالقران يعني لم يستغن بالقران فتاول هذه الاية وقيل انما يكون ماد عينيه الى الشي اذا ادام النظر اليه مستحسنا له فيحصل من ذلك تمني ذلك الشي فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينظر الى شي من متاع ولا يلتفت اليه ولا يستحسنه **ولا تحزن عليهم** يعني ولا تغتم على ما فاتك من مشاركتهم في الدنيا وقيل ولا تحزن على ايمانهم اذا لم يومنوا به ففيه النهي عن الالتفات الى اموال الكفار والالتفات اليهم ايضا روى البغوي بسنده عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تغبطن فاجرا بنعمته فانك لا تدري ما هو لاق بعد موته ان له عند الله قاتلا لا يموت قال النار (**ق**) عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نظر احدكم الى من فضل عليه في المال والخلق فلينظر الى من هو اسفل منه لفظ البخاري ولمسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظروا الى من هو اسفل منكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فهو اجدر ان لا تزدروا نعمة الله عليكم قال عون بن عبد الله بن عتبة كنت اصحب الاغنيا فما كان احد اكثر هما مني كنت ارى دابة خيرا من دابتي وثوبا خيرا من ثوبي فلما سمعت هذا الحديث صحبت الفقرا فاسترحت وقوله تعالى **واخفض جناحك** يعني لين جانبك **للمومنين** وارفق بهم لما نهاه الله تعالى عن الالتفات الى الاغنيا من الكفار امره بالتواضع واللين والرفق بفقرا المسلمين وغيرهم من المومنين **وقل** اي قل لهم يا محمد

انى انا النذير المبين لما امر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بالزهد في الدنيا
والتواضع للمؤمنين امره بتبليغ ما ارسل به اليهم والنذارة تبليغ مع تخويف
والمعنى انى انا النذير بالعقاب لمن عصاني مبين تبيين النذارة **كما انزلنا على المقتسمين**
يعنى انذركم عذابا كما انزلناه بالمقتسمين قال ابن عباس رضي الله عنهما اراد
بالمقتسمين اليهود والنصارى وهو قول الحسن ومجاهد سموا بذلك لانهم امنوا ببعض
القرآن وكفروا ببعضه فما وافق كتبهم امنوا به وما خالف كتبهم كفروا به وقال
عكرمة رضي الله عنه انهم اقتسموا سور القرآن فقال واحد منهم هذه السورة
لي وقال الاخر هذه السورة لي وانما فعلوا ذلك استهزاء به قال مجاهد انهم اقتسموا
كتبهم فامن بعضهم ببعضها وكفر ببعضها وكفر اخرون منهم بما امن به غيرهم وقال
قتادة وابن السايب سموا بالمقتسمين كفار قريش قال قتادة سموا بذلك لان
اقواما منهم تقسموا في القرآن فقال بعضهم انه سحر وزعم بعضهم انه كهانة وزعم
بعضهم انه اساطير الاولين وقال ابن السايب سموا بالمقتسمين لانهم اقتسموا عقاب
مكة وطرقها وذلك ان الوليد بن المغيرة بعث رهطا من اهل مكة قيل ستة عشر
وقيل اربعين فقال لهم انطلقوا فتفرقوا على عقاب مكة وطرقها حيث يمر بكم
اهل الموسم فاذا سالوكم عن محمد فليقل بعضكم انه شاعر وليقل بعضكم انه ساحر
وليقل بعضكم انه كاهن فاذا جاءوا الى صدقتكم فذهبوا وقعدوا على عقاب مكة
وطرقها يقولون لمن مر بهم من حجاج العرب لا تغتروا بهذا الخارج الذي يدعي النبوة
فانه مجنون كاهن وشاعر وقعد الوليد بن المغيرة على باب المسجد الحرام فاذا
جاءوا سالوه عما قالوا اولئك المقتسمين قال صدقوا قوله تعالى **الذين جعلوا
القرآن عضين** خ عن ابن عباس في قوله الذين جعلوا القرآن عضين قال هم
اليهود والنصارى جزوه اجزاء امنوا ببعض وكفروا ببعض قيل هو جمع عضو من
عضيت الشيء اذا فرقته وجعلته اجزاء وذلك انهم جعلوا القرآن اعضاء متفرقة
فقال بعضهم هو سحر وقال بعضهم هو اساطير الاولين وقيل هو جمع عضة وهو
الكذب والبهتان وقيل المراد به العضة وهو السحر يعني انهم جعلوا القرآن سحرا
فوربك لنسألنهم اجمعين اقسم الله بنفسه انه يسال هؤلاء المقتسمين الذين جعلوا
القرآن عضين **عما كانوا يعملون** يعني عما كانوا يقولونه في القرآن وعما كانوا يعملون
من الكفر والمعاصي وقيل يرجع الضمير في لنسألنهم الى جميع الخلق المؤمن والكافر
لان اللفظ عام فحمله على العموم اولى قال جماعة من اهل العلم لا اله الا الله
عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون
عن قول لا اله الا الله اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقال ابو العالية
يسال العباد عن خلتين عما كانوا يعبدون وماذا اجابوا المرسلين فان قلت كيف
الجمع بين قوله لنسألنهم اجمعين وبين قوله فيومئذ لا يسال عن ذنبه انس ولا
جان قلت قال ابن عباس رضي الله عنهما لا يسالهم هل عملتم لانه اعلم به منهم ولكن

يقول لهم لم عملتم كذا واعتمد فطرب فقال السؤال ضربان سؤال استعلام وسؤال
توبيخ فقوله تعالى فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان يعني سؤال استعلام وقوله
لنسألنهم اجمعين سؤال توبيخ وتقريع وجواب اخر وهو مروي عن ابن عباس ايضا انه
قال في الايتين ان يوم القيامة يوم طويل فيه مواقف فيسألون في بعض المواقف
ولا يسالون في بعضها نظيره هذا يوم لا ينطقون وقال في اية اخرى ثم انكم
يوم القيامة عند ربكم تختصمون قوله تعالى **فاصدع بما تؤمر** قال ابن عباس اظهر
ويروى عنه امضه وقال الضحاك اعلم واصل الصدع الشق والفرق اي افرق بالقرآن
بين الحق والباطل امر النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الاية باظهار الدعوة وتبليغ
الرسالة الى من ارسل اليهم قال عبد الله بن عبيدة ما زال النبي صلى الله عليه وسلم
مستخفيا حتى نزلت هذه الاية فخرج هو واصحابه **واعرض عن المشركين** اي كف
عنهم ولا تلتفت الى لومهم على اظهار دينك وتبليغ رسالة ربك وقيل اعرض عن
الاهتمام باستهزائهم وقوله تعالى **انا كفيناك المستهزئين** واكثر المفسرين
على ان هذا الاعراض منسوخ باية القتال وقال بعضهم ما للنسخ وجه لان معنى
الاعراض ترك المبالاة بهم والالتفات اليهم فلا يكون منسوخا وقوله تعالى انا
كفيناك المستهزئين يقول الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فاصدع بما
امرتك به ولا تخف احدا غيري فاني انا كافيك وحافظك ممن عاداك كما كفيناك
المستهزئين وكانوا خمسة نفر من رؤساء قريش كانوا يستهزئون بالنبي صلى الله
عليه وسلم وبالقرآن وهم الوليد بن المغيرة المخزومي وكان راسهم والعاصي بن وائل
السهمي والاسود بن المطلب بن الحرث بن اسد بن عبد العزى ابو زمعة وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد دعا عليه فقال اللهم اعم بصره واثكله بولده والاسود بن
عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة والحرث بن قيس بن طلالة كذا ذكره
البغوي وقال ابن الجوزي الحرث بن قيس بن غيطلة قال الزهري غيطلة امه وقيس
ابوه فهو منسوب الى امه قال المفسرون رحمهم الله اتى جبريل الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم والمستهزئون يطوفون بالبيت فقام جبريل وقام رسول الله الى جنبه
فمر به الوليد بن المغيرة فقال جبريل يا محمد كيف تجد هذا قال بئس عبد الله فقال قد
كفيته واومى الى ساق الوليد فمر الوليد برجل من خزاعة نبال يريش نباله وعليه برد
يماني وهو يجر رداءه فتعلقت شظية من النبل بازار الوليد فمنعه الكبر ان يطاطئ
راسه فينزعها وجعلت تضرب في ساقه فخدشته فمرض منها ومات ومر بهما العاص
ابن وائل السهمي فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد فقال بئس عبد الله فاشار جبريل
الى اخمص قدميه وقال قد كفيته فخرج العاص على راحلة يتنزه ومعه ابناه فنزل
شعبا من تلك الشعاب فوطئ على شبرقة فدخلت منها شوكة في اخمص رجله فقال
لدغت لدغت فطلبوا فلم يجدوا شيئا وانتفخت رجله حتى صارت مثل عنق البعير فمات
مكانه ومر بهما الاسود بن المطلب فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد فقال عبد سوء

فاشار جبريل بيده الى عينيه وقال قد كفيتنه فعمي قال ابن عباس رماه جبريل بورقة
خضرا فذهب بصره ووجعت عينه فجعل يضرب براسه الجدار حتى هلك وفي رواية الكلبي
قال اتاه جبريل وهو قاعد في اصل شجرة ومعه غلام له وفي رواية فجعل ينطح راسه
بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك فاستغاث بغلامه فقال له غلامه ما ارى احدا
يصنع بك شيئا غير نفسك فمات وهو يقول قتلني محمد ومر بهما الاسود بن عبد يغوث
فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد فقال بئس عبد الله على انه خالي فقال جبريل قد
كفيتنه واشار الى بطنه فاستسقى بطنه فمات وفي رواية الكلبي انه خرج من اهله
فاصابه سموم فاسود حتى صار حبشيا فاتى اهله فلم يعرفوه واغلقوا الباب دونه
فمات وهو يقول قتلني رب محمد ومر بهما الحارث بن قيس فقال جبريل كيف تجد
هذا يا محمد فقال عبد سوء فاومى جبريل الى راسه وقال قد كفيتنه فامتخط قيحا
فقتله وقال ابن عباس انه اكل حوتا مالحا فاصابه العطش فلم يزل يشرب حتى انقد
بطنه فمات فذلك قوله تعالى انا كفيناك المستهزئين يعني بك وبالقران الذين
يجعلون مع الله الها اخر فسوف يعلمون يعني اذا نزل بهم العذاب ففيه وعيد
وتهديد فقوله تعالى ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون يعني بسبب ما يقولون
وهو ما كانوا يسمعونه من الاستهزاء به والقول الفاحش والجبلة البشرية تابى ذلك
فيحصل عند سماع ذلك الضيق في الصدر فعند ذلك امره الله بالتسبيح والعبادة
وهو قوله فسبح بحمد ربك قال ابن عباس فصل بامر ربك وكن من الساجدين
يعني من المتواضعين لله وقال الضحاك فسبح بحمد ربك قل سبحان الله وبحمده
وكن من الساجدين يعني من المصلين روي ان النبي صلى الله عليه وسلم اذا احزنه امر
فزع الى الصلاة قال بعض العارفين من المحققين السبب في زوال الحزن عن
القلب اذا اتى الانسان بهذه العبادات انه يتنور باطنه وينشرح قلبه وينفسح
وينشرح صدره فعند ذلك يعرف قدر الدنيا وحقارتها فلا يلتفت اليها ولا ياسف
على فواتها فيزول الهم والغم والحزن عن قلبه وقال بعض العلماء اذا نزل بالعبد
مكروه ففزع الى الصلاة كانه يقول يا رب انما يجب على عبادتك سواء اعطيتني
ما احب او كفيتني ما اكره فانا عبدك وبين يديك فافعل بي ما تشا قوله
واعبد ربك حتى ياتيك اليقين يعني الموت الموقن به الذي لا يشك فيه احد
والمعنى واعبد ربك في جميع اوقاتك ومدة حياتك حتى ياتيك الموت وانت في عبادة
ربك وهذا مثل قوله تعالى في سورة مريم واوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت
حيا روى البغوي بسنده عن جبير بن نفير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما اوحى الله الي ان اجمع المال واكن من التاجرين ولكن اوحى الي ان سبح بحمد ربك
وكن من الساجدين واعبد ربك حتى ياتيك اليقين وعن عمر قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى مصعب بن عمير مقبلا وعليه اهاب كبش قد تنطق به
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظروا الى هذا الذي نور الله قلبه لقد رايته

بين

بين ابويه يغذوانه باطيب الطعام والشراب ولقد رايت عليه حلة شراها او قال
شريت له بمائتي درهم فدعاه حب الله وحب رسوله الى ما ترون ذكره البغوي بغير
سند والله اعلم

تفسير سورة النحل مكية

الا قوله تعالى وان عاقبتم فعاقبوا الى اخر السورة فانها نزلت بالمدينة في قتل
حمزة قاله ابن عباس وفي رواية اخرى عنه انها مكية غير ثلاث ايات نزلت بالمدينة
وهي قوله تعالى ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا الى قوله تعلمون وقال قتادة هي
مكية الا خمس ايات وهي قوله والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا وقوله ثم
ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا وقوله وان عاقبتم الى اخر السورة زاد
مقاتل قوله من كفر بالله من بعد ايمانه الاية وضرب الله مثلا قرية كانت امنة
مطمئنة الاية وقيل كان يقال لسورة النحل سورة النعم لكثرة تعداد النعم
فيها وهي مائة وثمان وعشرون اية والفان وثمانمائة واربعون كلمة وسبعة الاف
وسبعمائة وسبعة احرف بسم الله الرحمن الرحيم قوله
عز وجل اتى امر الله يعني جا ودنا وقرب امر الله تقول العرب اتاك الامر وهو
متوقع المجي بعد ما اتى ومعنى الاية اتى امر الله وعدا فلا تستعجلوه يعني وقوعا
والمراد به مجي القيامة قال ابن عباس لما نزل قوله تعالى اقتربت الساعة قال
الكفار بعضهم لبعض ان هذا الرجل يزعم ان القيامة قد قربت فامسكوا عن بعض
ما كنتم تعملون حتى ننظر ما هو كاين فلما راوا انه لا ينزل شيئا قالوا ما نرى شيئا
فنزل قوله اقترب للناس حسابهم فاشفقوا فلما امتدت الايام قالوا يا محمد
ما نرى شيئا مما تخوفنا به فنزل اتى امر الله فوثب النبي صلى الله عليه وسلم ورفع
الناس رؤسهم وظنوا انها قد اتت حقيقة فنزل فلا تستعجلوه فاطمانوا والاستعجال
طلب مجي الشي قبل وقته ولما نزلت هذه الاية قال النبي صلى الله عليه وسلم
بعثت انا والساعة كهاتين ويشير باصبعيه يمدهما اخرجاه في الصحيحين
من حديث سهل بن سعد ق عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال بعثت انا والساعة
كهاتين كفضل احداهما على الاخرى وضم السبابة والوسطى وفي رواية بعثت في
نفس الساعة فسبقتها كفضل هذه على الاخرى قال ابن عباس كان مبعث النبي
صلى الله عليه وسلم من اشراط الساعة ولما مر جبريل باهل السموات مبعوثا الى
محمد صلى الله عليه وسلم قالوا الله اكبر قامت الساعة وقال قوم المراد بالامر هنا
عقوبة المكذبين وهو العذاب بالقتل بالسيف وذلك ان النضر بن الحارث قال
اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السما او ائتنا بعذاب اليم
فاستعجل العذاب فنزلت هذه الاية وقتل النضر يوم بدر صبرا سبحانه وتعالى
عما يشركون يعني تنزه الله وتعاظم بالاوصاف الحميدة عما يصفه به المشركون
قوله تعالى ينزل الملائكة بالروح يعني بالوحي من امره وانما سمي الامر روحا لان به

يحيى القلوب من موت الجهالات وقال عطا بالنبوة وقال قتادة بالرحمة وقيل الروح
هو جبريل والبا بمعنى مع يعني ينزل الملايكة مع الروح وهو جبريل **على من يشا من عباده**
يعني على من يصطفيه من عباده للنبوة والرسالة وتبليغ الوحي الى الخلق **ان انذروا**
يعني بان اعلموا **انه لا اله الا انا فاتقون** اى فخافون وقيل معناه مروهم بقول
لا اله الا الله منذرين يعني مخوفين بالقران قوله تعالى **خلق السموات والارض**
بالحق تعالى عما يشركون تقدم تفسيره **خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين**
يعني انه جدل بالباطل بين الخصومة فيه نزلت في ابي بن خلف الجمحي وكان ينكر البعث فجا
بعظم رميم الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اتزعم ان الله يحيي هذا العظم بعد ما رم فنزلت
فيه هذه الاية ونزل فيه ايضا قوله قال من يحيي العظام وهي رميم والصحيح ان الاية
عامة في كل ما يقع فيه الخصومة في الدنيا ويوم القيامة وحملها على العموم اولى وفيها
بيان القدرة وان خلق الانسان من نطفة قذرة فصار جبارا كثير الخصومة وفيها
كشف قبيح على ما فعله الكفار من جحدهم نعم الله تعالى مع ظهورها عليهم قوله تعالى
والانعام خلقها لكم لما ذكر الله تعالى انه خلق السموات والارض ثم اتبعه بذكر خلق
الانسان ذكر بعده ما ينتفع به في ساير ضروراته ولما كان اعظم ضرورات الانسان
الى الاكل واللباس الذين يقوم بهما بدن الانسان بدا بذكر الحيوان المنتفع به في ذلك
وهو الانعام فقال تعالى والانعام خلقها وهي الابل والبقر والغنم قال الواحدي
تم الكلام عند قوله والانعام خلقها لكم ثم ابتدا فقال تعالى لكم **فيها دفء** قال
ويجوز ايضا ان يكون تمام الكلام عند قوله لكم ثم ابتدا فقال تعالى فيها دفء[2] والدليل
عليه انه عطف عليه قوله ولكم فيها جمال والتقدير لكم فيها دفء ولكم فيها جمال ولما كان
منافع الانعام منها ضرورية ومنها غير ضرورية بدا الله تعالى بذكر المنافع الضرورية
فقال تعالى لكم فيها دفء وهو ما يستدفا به من اللباس والاكسية ونحوها المتخذة
من الاصواف والاوبار والاشعار الحاصلة من النعم **ومنافع** يعني النسل والدر
والركوب والحمل عليها وساير ما ينتفع به من الانعام **ومنها تاكلون** يعني من لحومها
فان قلت قوله ومنها تاكلون يفيد الحصر لان تقديم الظرف موذن بالاختصاص
وقد يوكل من غيرها قلت الاكل من هذه الانعام هو الذي يعتمده الناس في معايشهم
واما الاكل من غيرها كالبط والدجاج والاوز وصيد البر والبحر فغير معتد به في الاغلب
واكله يجري مجرى التفكه به فخرج ومنها تاكلون مخرج الاغلب في الاكل من هذه
الانعام فان قلت منفعة الاكل مقدمة على منفعة اللباس فلم اخر
منفعة الاكل وقدم منفعة اللباس قلت منفعة اللباس اكثر واعظم من
منفعة الاكل فلهذا قدم على الاكل وقوله تعالى **ولكم فيها** يعني في الانعام **جمال**
اي زينة **حين تريحون وحين تسرحون** الاراحة رد الابل بالعشي الى مراحها حيث
تاوي اليه بالليل ويقال سرح القوم ابلهم تسريحا اذا اخرجوها بالغداة الى المرعى
قال اهل اللغة واكثر ما تكون هذه الاراحة ايام الربيع اذا سقط الغيث ونبات العشب

قال صاحب النظم احسن الوجهين ان يكون الوقف عند [illegible]

والكلا وخرجت العرب للنجعة واحسن ما يكون النعم في ذلك الوقت فمن الله تعالى
بالتجمل بها كما من بالانتفاع بها لانه من اغراض اصحاب المواشي بل هو من معظمها لان
الرعاة اذا سرحوا النعم بالغداة الى المرعى وروحوها بالعشي الى الافنية والبيوت
يسمع للابل رغا وللشا ثغا يجاوب بعضها بعضا فعند ذلك يفرح اربابها بها وتتجمل
بها الافنية والبيوت ويعظم وقعها عند الناس فان قلت لم قدمت الاراحة
على التسريح قلت لان الجمال في الاراحة وهو رجوعها الى البيوت اكثر منها وقت
التسريح لان النعم تقبل من المراعي ملاء البطون حافلة الضروع فيفرح اهلها
بها بخلاف تسريحها الى المرعى فانها تخرج جايعة البطون ضامرة الضروع من اللبن
ثم تاخذ في التفرق والانتشار للرعي في البرية فثبت بهذا البيان ان التجمل في
الاراحة اكثر منه في التسريح فوجب تقديمه وقوله تعالى **وتحمل اثقالكم** الاثقال
جمع ثقل وهو متاع السفر وما يحتاج اليه من الات السفر **الى بلد** يعني غير
بلدكم قال ابن عباس يريد من مكة الى اليمن والى الشام وانما قال ابن عباس هذا
القول لانه خطاب لاهل مكة واكثر تجاراتهم واسفارهم الى اليمن والشام وحمله
على العموم اولى لانه خطاب عام فدخول الكافة فيه من تخصيصه ببعض المخاطبين
لم تكونوا بالغيه يعني بالغي ذلك البلد الذي تقصدونه **الا بشق الانفس**
يعني بالمشقة والجهد والعنا والتعب والشق نصف الشيء والمعنى على هذا لم تكونوا
بالغيه الا بنقصان قوة النفس وذهاب نصفها **ان ربكم لروف** يعني بخلقه حيث
خلق لهم هذه المنافع **رحيم** يعني بهم قوله تعالى **والخيل والبغال والحمير لتركبوها**
هذه الاية عطف على ما قبلها والمعنى وخلق هذه الحيوانات لاجل ان تركبوها والخيل
اسم جنس لا واحد له من لفظه كالابل والرهط والنسا **وزينة** يعني جعلها زينة
مع المنافع التي فيها **فصل** احتج بهذه الاية من يرى تحريم اكل الخيل وهو
قول ابن عباس وتلا هذه الاية وقال هذه للركوب واليه ذهب الحاكم ومالك وابو
حنيفة رحمهم الله واستدلوا ايضا بان منفعة الاكل اعظم من منفعة الركوب
فلو كان اكل لحوم الخيل جايزا لكان هذا المعنى اولى بالذكر فلما لم يذكره الله علمنا
تحريم اكله لان الله حصر الانعام بالاكل حيث قال ومنها تاكلون وخص هذه بالركوب
فقال لتركبوها فعلمنا انها مخلوقة للركوب لا للاكل وذهب جماعة من اهل العلم
الى اباحة لحوم الخيل وهو قول الحسن وشريح وعطا وسعيد بن جبير واليه ذهب
الشافعي واحمد واسحاق واحتجوا على اباحة لحوم الخيل وهو قول الحسن وشريح بما
روي عن اسما بنت ابي بكر الصديق انها قالت نحرنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فرسا فاكلناه وفي رواية قالت ذبحنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فرسا ونحن بالمدينة فاكلناه اخرجه البخاري ومسلم ق عن جابر ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم نهى عن لحوم الحمر الاهلية واذن في الخيل وفي رواية قال اكلنا
زمن خيبر الخيل وحمر الوحش ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الحمار الاهلي هذه رواية

البخاري ومسلم وفي رواية ابي داود قال ذبحنا يوم خيبر الخيل والبغال والحمير
وكنا قد اصابتنا مخمصة فنهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البغال والحمير
ولم ينهنا عن الخيل ولجاب من اباح لحوم الخيل عن هذه الاية بان ذكروا الركوب والزينة
لا يدل على ان منفعتها مختصة بذلك وانما خص هذين المنفعتين بالذكر لانهما معظم
المقصود قالوا ولهذا سكت عن حمل الاثقال على الخيل مع قوله في الانعام وتحمل
اثقالكم الى بلد ولم يلزم من هذا تحريم حمل الاثقال على الخيل وقال البغوي
ليس المراد من الاية بيان التحليل والتحريم بل المراد منها تعريف الله عباده
نعمه وتنبيههم على كمال قدرته وحكمته والدليل الصحيح المعتمد عليه في اباحة لحوم
الخيل ان السنة مبينة الكتاب ولما كان نص الاية يقتضي ان الخيل والبغال والحمير
مخلوقة للركوب والزينة وكان الاكل مسكوتا عنه دار الامر فيه على الاباحة
والتحريم فوردت السنة باباحة لحوم الخيل وتحريم لحوم البغال والحمير اخذنا
به جمعا بين النصين والله اعلم قوله تعالى **ويخلق ما لا تعلمون** لما ذكر الله تعالى
الحيوانات التي ينتفع بها الانسان في الغالب على سبيل الاجمال لان مخلوقات
الله تعالى في البر والبحر والسموات اكثر من ان تحصر او يحيط بها عقل احد وفهمه فلهذا
ذكره على الاجمال وقال بعضهم ويخلق ما لا تعلمون يعني مما اعد الله لاهل الجنة
في الجنة ولاهل النار في النار مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
وقال قتادة في قوله ويخلق ما لا تعلمون السوس في النبات والدود في الفواكه
قوله عز وجل **وعلى الله قصد السبيل** القصد استقامة الطريق يقال طريق
قصد وقاصد اذا اداك الى مطلوبك وفي الاية حذف تقديره وعلى الله بيان قصد
السبيل وهو بيان طريق الهدى من الضلالة وقيل معناه وعلى الله بيان طريق
الحق بالآيات والبراهين **ومنها جائر** يعني ومن السبيل سبيل جائر عن الاستقامة
بل هو معوج فالقصد من السبيل هو دين الاسلام والجائر منها اليهودية والنصرانية
وساير ملل الكفر قال جابر بن عبد الله قصد السبيل بيان الشرايع والفرايض وقال
عبد الله بن المبارك وسهل بن عبد الله قصد السبيل السنة ومنها جائر الاهواء والبدع
ولو شاء لهداكم اجمعين فيه دليل على ان الله تعالى ما شاء هداية الكفار وما اراد منهم
الايمان لان كلمة لو تفيد انتفاء الشيء لانتفاء غيره فقوله ولو شاء لهداكم معناه ولو شاء
هدايتكم لهداكم اجمعين وذلك يفيد انه تعالى ما شاء هدايتهم فلا جرم ما هداهم قوله
عز وجل **هو الذي انزل من السماء ماء** لما ذكر الله تعالى نعمته على عباده بخلق الحيوانات
لاجل الانتفاع والزينة عقبه بذكر انزال المطر من السماء وهو من اعظم النعم على
عباده فقال والله الذي خلق جميع الاشياء هو الذي انزل من السماء ماء يعني المطر
لكم منه يعني من ذلك الماء **شراب** يعني تشربونه **ومنه** يعني ومن ذلك الماء **شجر**
الشجر في اللغة ما له ساق من نبات الارض ونقل الواحدي عن اهل اللغة انهم قالوا
الشجر اصناف فاما جل الشجر فعظامه التي تبقى على الشتاء واما دق الشجر فصنفان

احدهما

احدهما يبقى له ارومة في الشتاء وينبت في الربيع ومنها ما لا يبقى له ساق في الشتاء
كالبقول وقال ابو اسحاق كل ما ينبت فهو شجر وانشد: يطعمها اللحم اذا عز الشجر
اراد انهم يسقون الخيل اللبن اذا اجدبت الارض وقال ابن قتيبة في هذه الاية يعني الكلا وهو معنى الاية
انه ينبت بالماء الذي نزل من السماء ترعى الراعية من ورق الشجر لان الابل ترعى كل الشجر
فيه يعني في الشجر **تسيمون** يعني ترعون مواشيكم يقال اسمت السائمة اذا خليتها
ترعى وسامت هي اذا رعت حيث شاءت **ينبت لكم** اي ينبت الله لكم وقرئ ننبت
على التعظيم لكم **به** اي بذلك الماء **الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات**
لما ذكر الله في الحيوان تفصيلا واجمالا ذكر في الثمار تفصيلا واجمالا فابتدأ بذكر
الزرع وهو الحب الذي يقتات به كالحنطة والشعير وما اشبههما لان به قوام بدن
الانسان وثنى بذكر الزيتون لما فيه من الادم والدهن والبركة فيه وثلث بذكر
النخيل لان ثمرها غذاء وفاكهة وختم بذكر الاعناب لانه يشبه النخل في المنفعة
من التفكه والتغذية ثم ذكر ساير الثمرات اجمالا لينبه بذلك على عظم قدرته
وجزيل نعمته على عباده ثم قال تعالى **ان في ذلك** يعني الذي ذكر من انواع الثمار
لآية يعني علامة دالة على قدرتنا ووحدانيتنا **لقوم يتفكرون** يعني فيما ذكر
من دلايل قدرته ووحدانيته **وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم**
تقدم تفسيره في سورة الاعراف **مسخرات** يعني مذللات مقهورات تحت قهره
وارادته وفيه رد على الفلاسفة والمنجمين لانهم يعتقدون ان هذه النجوم هي
الفعالة المتصرفة في العالم السفلي فاخبر الله تعالى ان هذه النجوم مسخرات
في نفسها مذللات **بامره** يعني لامر ربها مقهورات تحت قهره يصرفها كيف يشاء
ويختار وانها ليس لها تصريف في نفسها فضلا عن غيرها ولما ذكر الله عز وجل
انه خلق هذه النجوم وجعلها مسخرة لمنافع عباده ختم هذه الاية بقوله **ان في
ذلك لآيات لقوم يعقلون** يعني ان كل من كان له عقل سليم صحيح علم ان الله تعالى هو
الفعال المختار وان جميع الخلق تحت قهره لما اراده منهم **وما ذرأ لكم في الارض** يعني
وما خلق لكم في الارض وسخرها لاجلكم من الدواب والانعام والاشجار والثمار
مختلفا الوانه يعني في الخلقة والهيئة والكيفية واختلاف الوان المخلوقات
مع كثرتها حتى لا يشبه بعضها بعضا من كل الوجوه دليل قاطع على كمال قدرة الله
تعالى ولذلك ختم الاية بقوله **ان في ذلك لآية لقوم يذكرون** يعني فيعتبرون
بذلك قوله تعالى **وهو الذي سخر البحر** لما ذكر الله تعالى الدلائل الدالة على قدرته
ووحدانيته من خلق السموات والارض وخلق الانسان من نطفة وخلق ساير
الحيوانات والنبات وتسخير الشمس والقمر والنجوم وغير ذلك واثار قدرته وعجايب
صنعته وذكر انعامه في ذلك على عباده ذكر بعد ذلك انعامه على عباده بتسخيره
البحر لهم نعمة من الله عليهم ومعنى تسخير الله البحر لعباده جعله بحيث يتمكن الناس
من الانتفاع به اما بالركوب عليه او بالغوص فيه او الصيد منه فذكر هذه الثلاثة

اقسام من انواع الانتفاع به فقال تعالى وهو الذي سخر لكم البحر **لتاكلوا منه لحما طريا**
فبدا بذكر الاكل لانه اعظم المقصود لان به قوام البدن وفي ذكر الطري مزيد فايدة
دالة على كمال قدرة الله تعالى وذلك ان السمك لو كان كله مالحا لما عرف من قدرة
الله تعالى ما يعرف بالطري لانه لما خرج من البحر الملح الزعاق الحيوان الطري الذي لحمه
في غاية العذوبة علم انه انما حدث بخلق الله وقدرته لا بحسب الطبع وعلم بذلك ان
الله قادر على اخراج الضد من الضد المنفعة الثانية قوله تعالى **وتستخرجوا
منه حلية تلبسونها** يعني اللؤلؤ والمرجان كما قال تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان
والمراد يلبسها نساؤهم لان زينة النساء بالحلي وانما هو لاجل الرجال فكان
ذلك زينة لهم المنفعة الثالثة قوله تعالى **وترى الفلك** يعني السفن **مواخر فيه**
يعني جواري قال قتادة مقبلة ومدبرة وذلك انك ترى سفينتين احداهما
تقبل والاخرى تدبر تجريان بريح واحدة واصل المخر في اللغة الشق يقال
مخرت السفينة مخرا اذا شقت الماء بجؤجؤها وقال مجاهد تمخر الرياح السفن
انها اذا جرت تسمع لها صوتا قال ابو عبيدة يعني صوائح والمخر صوت هبوب الريح
عند شدتها وقال الحسن مواخر يعني مواقر مملوءة متاعا **ولتبتغوا من
فضله** يعني الارباح بالتجارة في البحر **ولعلكم تشكرون** يعني نعم الله
عليكم اذا رايتم نعم الله فيما سخره لكم **والقى في الارض رواسي** يعني جبالا ثوابت
ان تميد بكم يعني لئلا تميل وتضطرب بكم والميد هو اضطراب الشيء العظيم كالارض
وقال وهب لما خلق الله تعالى الارض جعلت تمور وتتحرك فقالت الملائكة ان
هذه غير مقرة احدا على ظهرها فاصبحوا وقد ارسيت بالجبال فلم تدر الملائكة
مم خلقت الجبال **وانهارا** يعني وجعل فيها انهارا لان في القى معنى الجعل فقوله
تعالى وانهارا معطوف على القى ولما ذكر الله الجبال ذكر بعدها الانهار لان
معظم عيون الانهار واصولها تكون من الجبال **وسبلا** يعني وجعل فيها طرقا
مختلفة تسلكونها في اسفاركم والتردد في حوائجكم من بلد الى بلد ومن مكان
الى مكان **لعلكم تهتدون** يعني بذلك السبل الى ما تريدون فلا تضلون **وعلامات**
يعني وجعل فيها علامات تهتدون بها في اسفاركم قال بعضهم تم الكلام عند قوله
وعلامات ثم ابتدا **وبالنجم هم يهتدون** وقال محمد بن كعب والكلبي اراد
بالعلامات الجبال فالجبال علامات النهار والنجوم علامات الليل وقال
مجاهد اراد بالكل النجوم فمنها ما يكون علامات ومنها ما يهتدى به وقال السدي
اراد بالنجم الثريا وبنات نعش والفرقدين والجدي فهذه يهتدى بها الى الطريق
والقبلة قال قتادة انما خلق الله النجوم لثلاثة اشياء لتكون زينة السماء ومعالم
الطرق ورجوما للشياطين فمن قال غير هذا فقد تكلف ما لا علم له به قوله تعالى
افمن يخلق كمن لا يخلق لما ذكر الله عز وجل من عجايب قدرته وعجايب صنعه
وبديع خلقه ما ذكر على وجه الاحسن والترتيب الاكمل وكانت هذه الاشيا المخلوقة

المذكورة

المذكورة في الايات المتقدمة كلها دالة على كمال قدرة الله تعالى ووحدانيته وانه
تعالى هو المنفرد بخلقها جميعها قال على سبيل الانكار على من ترك عبادته واشتغل
بعبادة هذه الاصنام التي لا تضر ولا تنفع ولا تقدر على شيء افمن يخلق يعني هذه
الاشيا الموجودة المرئية بالعيان وهو الله تعالى الخالق لها كمن لا يخلق يعني
هذه الاصنام العاجزة التي لا تخلق شيئا البتة لانها جمادات لا تقدر على شيء
فكيف يليق بالعاقل ان يشتغل بعبادتها ويترك عبادة من يستحق العبادة وهو
الله خالق هذه الاشيا كلها وبهذا المعنى ختم هذه الاية بقوله **افلا تذكرون**
يعني ان هذا القدر ظاهر غير خاف على احد فلا يحتاج فيه الى دقيق الفكر والنظر
بل مجرد التذكر فيه كفاية لمن فهم وعقل واعتبر بما ذكر بقي في الاية سؤالان
الاول قوله كمن لا يخلق المراد به الاصنام وهي جماد لا تعقل فكيف يعبر عنها بلفظة
من وهي لمن يعقل والجواب عنه ان الكفار لما سموا هذه الاصنام الهة وعبدوها
اجريت مجرى من يعقل في زعمهم الا ترى الى قوله بعد هذه والذين تدعون من دون الله
لا يخلقون شيئا فخاطبهم على قدر زعمهم وعقولهم السؤال الثاني قوله افمن يخلق
كمن لا يخلق المقصود منه الزام الحجة على من عبد الاصنام حيث جعل غير الخالق مثل
الخالق فكيف قال على سبيل الاستفهام افمن يخلق كمن لا يخلق والجواب عنه ليس
المراد منه استفهام بل المراد منه ان من خلق الاشيا العظيمة واعطى هذه النعم
الجزيلة كيف يسوى بينه وبين هذه الجمادات الخسيسة في التسمية والعبادة
وكيف يليق بالعاقل ترك عبادة من يستحق العبادة لانه خالق هذه الاشيا
الظاهرة كلها ويشتغل بعبادة جمادات لا تخلق شيئا البتة والله اعلم قوله
تعالى **وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها** يعني ان نعم الله على العبد فيما خلق في العبد
من صحة البدن وعافية الجسم واعطاه النظر الصحيح والعقل السليم والسمع
الذي يفهم به الاشيا وبطش اليدين وسعي الرجلين الى غير ذلك مما انعم به في نفسه
وفيما انعم الله به عليه مما خلق الله له من جميع ما يحتاج اليه من امر الدين والدنيا
حتى لو رام احد معرفة ادنى نعمة من هذه النعم لعجز عن معرفتها وحصرها فكيف بنعمه
العظام التي لا يمكن الوصول الى حصرها جميع الخلق فذلك قوله تعالى وان تعدوا
نعمة الله لا تحصوها يعني ولو اجتهدتم في ذلك واتعبتم نفوسكم فلا تقدروا **ان الله
لغفور رحيم** يعني لتقصيركم في القيام بشكر نعمته كما يجب عليكم رحيم بكم حيث
وسع عليكم النعم ولم يقطعها عنكم بسبب التقصير والمعاصي **والله يعلم ما تسرون
وما تعلنون** يعني ان الكفار مع كفرهم كانوا يسرون اشيا وهو ما كانوا يمكرون
بالنبي صلى الله عليه وسلم وما يعلنون يعني وما يظهرون من اذاه فاخبرهم
الله تعالى انه عالم بكل احوالهم سرها وعلانيتها لا يخفى عليه خافية وان دقت
وخفيت وقيل ان الله تعالى لما ذكر الاصنام وذكر عجزها في الاية المتقدمة وذكر
في هذه الاية ان الاله الذي يستحق العبادة يجب ان يكون عالما بكل المعلومات

سرها وعلانيتها وهذه الاصنام ليست كذلك فلا تستحق العبادة ثم وصف الله
تعالى هذه الاصنام بصفات فقال تعالى والذين يدعون من دون الله يعني الاصنام
يدعونها الهة من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون فان قال قوله في
الاية المتقدمة افمن يخلق كمن لا يخلق تدل على ان هذه الاصنام لا تخلق شيئا وقوله
هنا لا يخلقون شيئا وهم يخلقون وهذا هو نفس المعنى المذكور في تلك الاية
فما فائدة هذا التكرار قلت فائدته ان المعنى المذكور في الاية المتقدمة ثمة
انهم لا يخلقون شيئا فقط والمذكور في هذه الاية انهم لا يخلقون شيئا وانهم مخلوقون
كغيرهم فكان هذا زيادة في المعنى وهو فائدة التكرار اموات اي جمادات ميتة لا حياة
فيها غير احياء يعني كغيرها والمعنى لو كانت هذه الاصنام الهة كما تزعمون لكانت احياء
غير جائز عليها الموت لان الاله الذي يستحق ان يعبد هو الحي الذي لا يموت وهذه
هذه اموات غير احياء فلا تستحق العبادة فمن عبدها فقد وضع العبادة في غير موضعها
وما يشعرون يعني هذه الاصنام ايان يبعثون يعني متى يبعثون وفيه دليل
على ان الاصنام تجعل فيها الحياة وتبعث يوم القيامة حتى تتبرا من عابدها وقيل
معناه ان ما يدري الكفار الذين عبدوا الاصنام متى يبعثون قوله تعالى الهكم
اله واحد يعني الذي يستحق العبادة هو اله واحد وهذه الاصنام متعددة فكيف
تستحق العبادة فالذين لا يؤمنون بالاخرة قلوبهم منكرة يعني جاحدة لهذا المعنى
وهم مستكبرون يعني عن اتباع الحق لان الحق اذا تبين كان تركه تكبرا لا جرم يعني
حقا ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون انه لا يحب المستكبرين يعني عن اتباع الحق
عن ابن مسعود رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة من
كان في قلبه مثقال ذرة من كبر فقال رجل ان الرجل يحب ان يكون ثوبه حسنا
ونعله حسنة قال ان الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس قوله
بطر الحق هو ان يجعل ما جعله الله حقا من توحيده وعبادته باطلا وهذا على قول
من جعل اصل البطر من الباطل ومن جعله من الحيرة فمعناه يتحير عند سماع الحق فلا
يقبله ولا يجعله حقا وقيل البطر التكبر يعني انه يتكبر عند سماع الحق فلا يقبله
وقوله وغمط الناس يقال غمطت حق فلان اذا احتقرته ولم تره شيئا وكذا معنى
غمصته اذا استخففت به وازدريته قوله عز وجل واذا قيل لهم يعني لهؤلاء الذين لا
يؤمنون بالاخرة وهم كفار مكة الذين اقتسموا عقابها وطرقها اذا سالهم
الحاج الذين يقدمون عليهم ماذا انزل ربكم قالوا اساطير الاولين
يعني احاديثهم واباطيلهم ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة اللام في ليحملوا لام
العاقبة وذلك انهم لما وصفوا القران بكونه اساطير الاولين كان عاقبتهم بذلك
ان يحملوا اوزارهم يعني ذنوب انفسهم وانما قال كاملة لان البلايا التي اصابتهم
في الدنيا واعمال البر التي عملوا في الدنيا لا تكفر عنهم شيئا يوم القيامة بل يعاقبون
بكل اوزارهم قال الامام فخر الدين الرازي وهذا يدل على انه تعالى قد يسقط بعض

العقاب

العقاب عن المؤمنين اذ لو كان هذا المعنى حاصلا في حق الكل لم يكن لتخصيص هؤلاء الكفار
بهذا التكميل فائدة قوله تعالى ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم يعني
ويحصل للرؤساء الذين اضلوا غيرهم وصدوهم عن الايمان مثل اوزار الاتباع والسبب
فيه ما روي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من دعى الى هدى كان له
من الاجر مثل اجور من تبعه لا ينقص ذلك من اجورهم شيئا ومن دعى الى ضلالة كان عليه
من الاثم مثل اثام من تبعه لا ينقص ذلك من اثامهم شيئا اخرجه مسلم ومعنى الاية
والحديث ان الرئيس والكبير اذا سن سنة حسنة او سيئة قبيحة فتبعه عليها
جماعة فعملوا بها فان الله تعالى يعظم ثوابه او عقابه حتى يكون ذلك الثواب او العقاب
معاونا لكل ما يستحقه كل واحد من الاتباع الذين عملوا بسنته الحسنة او القبيحة
وليس المراد ان الله تعالى يوصل جميع الثواب او العقاب الذي يستحقه الاتباع
الى الرؤساء لان ذلك ليس بعدل الله ويدل عليه قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر
اخرى وقوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى قال الواحدي ولفظة من في قوله
ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم ليست للتبعيض لانها لو كانت للتبعيض لنقص
عن الاتباع بعض الاوزار وذلك غير جائز لقوله عليه الصلاة والسلام لا ينقص
ذلك من اثامهم شيئا لكنها للجنس اي ليحملوا من جنس اوزار الاتباع وقوله بغير علم
يعني ان الرؤساء انما يقدمون على الضلال غيرهم بغير علم بما يستحقونه من العقاب
على ذلك الاضلال بل يقدمون على ذلك جهلا منهم بما يستحقونه من العقاب الشديد
الا ساء ما يزرون يعني الا بئس ما يحملون ففيه وعيد وتهديد لهم قوله تعالى قد مكر
الذين من قبلهم يعني من قبل كفار قريش وهو نمرود بن كنعان الجبار وكان
اكبر ملوك الارض في زمن ابراهيم عليه السلام وكان من مكره انه بنى صرحا ببابل
ليصعد الى السماء ويقاتل اهلها في زعمه وقال ابن عباس وكان طول الصرح في السماء
خمسة الاف ذراع وقال كعب ومقاتل كان طوله فرسخين فهبت ريح فقصفته والقت
راسه في البحر وخر عليهم الباقي فاهلكهم وهم تحته فلما سقط تبلبلت السن الناس
من الفزع فتكلموا يومئذ بثلاث وسبعين لسانا فلذلك سميت بابل وكان لسان
الناس قبل ذلك السريانية قلت هكذا ذكره البغوي وفي هذا نظر لان صالحا عليه
السلام كان قبلهم وكان يتكلم بالعربية وكان اهل اليمن عربا منهم جرهم الذين
نشا اسماعيل بينهم وتعلم منهم العربية وكانت قبائل من العرب قديمة قبل ابراهيم
مثل طسم وجديس ولام كل هؤلاء عرب فتكلموا في قديم الزمان بالعربية ويدل
على صحة هذا قوله ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى والله اعلم وقيل حمل قوله
قد مكر الذين من قبلهم على العموم اولى فتكون الاية عامة في جميع الماكرين المبطلين
الذين يحاولون الحاق الضرر والمكر بالغير قوله تعالى فاتى الله بنيانهم من القواعد
يعني قصد تخريب بنيانهم من اصوله وذلك بان اتاهم بريح فقصفت بنيانهم من
اعلاه واتاهم بزلزلة قلعت بنيانهم من قواعده واساسه هذا اذا حملنا تفسير
الاية على القول الاول وهو ظاهر اللفظ وان حملنا تفسير الاية

الاية على القول الثاني وهو حملها على العموم كان المعنى انهم بنوا منصوبات ليمكروا
بها على انبيا الله واهل الحق من عباده فاهلكهم الله تعالى وجعل هلاكهم مثل هلاك
قوم بنوا بنيانا وثيقا شديدا ودعموه بالاساطين فانهدم ذلك البنيان وسقط
فاهلكهم فهو مثل ضربه الله تعالى لمن مكر باخر فاهلكه الله بمكره ومنه المثل السائر
على السنة الناس من حفر بيرا لاخيه اوقعه الله فيه قوله تعالى فخر عليهم السقف
من فوقهم يعني سقط عليهم السقف فاهلكهم وقوله من فوقهم للتاكيد لان
السقف لا يخر الا من فوقهم وقيل يحتمل انهم لم يكونوا تحت السقف عند سقوطه
فلما قال من فوقهم علم انهم كانوا تحته وانهم لما خر عليهم اهلكهم وماتوا تحته واتاهم
العذاب من حيث لا يشعرون يعني من مامنهم وذلك انهم لما اعتمدوا على قوة
بنيانهم وشدته كان ذلك البنيان سبب هلاكهم ثم يوم القيامة يخزيهم
يعني يهينهم بالعذاب وفيه اشعار بان اهل العذاب يحصل لهم في الدنيا وفي الاخرة
لان الخزي هو العذاب مع الهوان ويقول يعني ويقول لهم اين شركاي يعني في
زعمكم واعتقادكم الذين كنتم تشاقون فيهم يعني كنتم تعادون وتخالفون المومنين
وتخاصمونهم في شانهم لان المشاقة عبارة عن كون كل واحد من الخصمين في
شق غير شق صاحبه والمعنى ما لهم لا يحضرون معكم ليدفعوا عنكم ما نزل بكم
من العذاب والهوان قال الذين اوتوا العلم يعني المومنين وقيل الملايكة ان الخزي
يعني الهوان اليوم يعني في هذا اليوم وهو يوم القيامة والسوء يعني العذاب
على الكافرين وانما يقول المومنون هذا يوم القيامة لان الكفار كانوا يستهزون
بالمومنين في الدنيا وينكرون عليهم احوالهم فاذا كان يوم القيامة ظهر اهل الحق
واكرموا بانواع الكرامات واهين اهل الباطل وعذبوا بانواع العذاب فعند ذلك
يقول المومنون ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين وفايدة هذا القول اظهار
الشماتة لهم فتكون اعظم في الهوان والخزي الذين تتوفاهم الملايكة ظالمي انفسهم
تقبض ارواحهم الملايكة وهو ملك الموت واعوانه وهم ظالمي انفسهم بالكفر
فالقوا السلم يعني انهم استسلموا وانقادوا لامر الله الذي نزل بهم وقالوا
ما كنا نعمل من سوء يعني شركا وانما قالوا ذلك من شدة الخوف بلى ان الله عليم
بما كنتم تعملون يعني فلا فايدة لكم في انكاركم قال عكرمة عني بذلك من قتل
من الكفار يوم بدر فادخلوا اي فيقال لهم ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها
يعني مقيمين فيها لا يخرجون منها وانما قال ذلك لهم ليكونوا اعظم في الحزن والغم
وفيه دليل على ان الكفار بعضهم اشد عذابا من بعض فلبئس مثوى المتكبرين
يعني عن الايمان قوله عز وجل وقيل للذين اتقوا ماذا انزل ربكم قالوا خيرا وذلك
ان احيا العرب كانوا يبعثون الى مكة ايام الموسم من ياتيهم بخبر النبي صلى الله عليه وسلم
فاذا جاء الوفد سال الذين كانوا يقعدون على طرقات مكة من الكفار فيقولون
هو ساحر كاهن شاعر كذاب مجنون واذا لم تلقه خير لك فيقول الوفد انا شر وفد

ان رجعت الى قومي دون ان ادخل مكة والقاه فيدخل مكة فيرى اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيسالهم عنه فيخبرونه بصدقه وامانته وانه نبي مبعوث
من الله تعالى فذلك قوله وقيل للذين اتقوا يعني اتقوا الشرك وقول الزور والكذب
ماذا انزل ربكم قالوا خيرا يعني انزل خيرا فان قلت لم رفع الاول وهو قوله
قالوا اساطير الاولين ونصب الثاني وهو قوله قالوا خيرا قلت ليحصل
الفرق بين الجوابين جواب المنكر الجاحد وجواب المقر المومن وذلك انهم لما سالوا
الكفار عن المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم عدلوا بالجواب عن السوال فقالوا
هو اساطير الاولين وليس هو من الانزال في شي لانهم لم يعتقدوا كونه منزلا ولما
سالوا المومنين عن المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم لم يتلعثموا واطبقوا الجواب
على السوال بينا مكشوفا مفعولا للانزال فقالوا خيرا اي انزل خيرا وتم الكلام عند قوله
خيرا فهو وقف تام ثم ابتدا بقوله تعالى للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة
يعني للذين اتوا بالاعمال الصالحة الحسنة لهم ثوابها حسنة مضاعفة من الواحدة
الى العشر الى السبعماية الى اضعاف كثيرة وقال الضحاك هي النصر والفتح وقال مجاهد
هي الرزق الحسن فعلى هذا يكون معنى الاية للذين احسنوا ثواب احسانهم في هذه
الدنيا حسنة وهي النصر والفتح والرزق الحسن وغير ذلك مما انعم الله به على عباده
في الدنيا ويدل على صحة هذا التاويل قوله ولدار الاخرة خير يعني ما لهم في الاخرة
مما اعد الله لهم في الجنة خير مما يحصل لهم في الدنيا ولنعم دار المتقين يعني
الجنة وقال الحسن هي الدنيا لان اهل التقوى يتزودون فيها الى الاخرة والقول
الاول اولى وهو قول جمهور المفسرين لان الله فسر هذه الاية بقوله جنات عدن
يعني بساتين اقامة من قولهم عدن بالمكان اي اقام به يدخلونها يعني تلك الجنات
يعني لا يرحلون عنها ولا يخرجون منها تجري من تحتها الانهار يعني تجري الانهار
في هذه الجنات تحت دورها وقصورهم ومساكنهم لهم فيها يعني في الجنات
ما يشاءون يعني ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين مع زيادات غير ذلك وهذه
الحالة لا تحصل لاحد الا في الجنة لان قوله لهم فيها ما يشاءون لا يفيد الحصر
وذلك يدل على ان الانسان لا يجد كل ما يريده في الدنيا كذلك يجزي الله المتقين
اي هذا يكون جزا المتقين ثم عاد الى وصف المتقين فقال تعالى الذين تتوفاهم
الملايكة طيبين يعني مومنين طاهرين من الشرك قال مجاهد زاكية اقوالهم
وافعالهم وقيل ان قوله طيبين كلمة جامعة لكل معنى حسن فيدخل فيه انهم اتوا
بكل ما امروا به من فعل الخيرات والطاعات واجتنبوا كل ما نهوا عنه من المكروهات
والمحرمات مع الاخلاق الحسنة والخصال الحميدة والمباعدة من الاخلاق الذميمة
والخصال المكروهة والقبيحة وقيل معناه ان اوقاتهم تكون طيبة سهلة لانهم يبشرون
عند قبض ارواحهم بالرضوان والجنة والكرامة فيحصل لهم عند ذلك السرور
والفرح والابتهاج فيسهل عليهم قبض ارواحهم ويطيب لهم الموت على هذه الحالة

يقولون لهم يعني الملائكة سلام عليكم تسلم عليهم الملائكة وتبلغهم السلام من الله ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون يعني في الدنيا من الاعمال الصالحة فان قلت كيف الجمع بين قوله تعالى ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون وبين قوله صلى الله عليه وسلم لن يدخل احد منكم بعمله الجنة قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله بفضل منه ورحمة اخرجاه في الصحيحين من حديث ابي هريرة قلت قال الشيخ العلامة محيي الدين النواوي رحمه الله في شرح مسلم ان مذهب اهل السنة انه لا يثبت بالعقل ثواب ولا عقاب ولا ايجاب ولا تحريم ولا غير ذلك من انواع التكليف ولا تثبت هذه الاشياء كلها ولا غيرها الا بالشرع ومذهب اهل السنة ايضا ان الله تعالى لا يجب عليه شيء بل العالم ملكه والدنيا والاخرة في سلطانه يفعل فيهما ما يشاء فلو عذب المطيعين والصالحين اجمعين وادخلهم النار كان ذلك منه عدلا واذا اكرمهم ورحمهم وادخلهم الجنة فهو فضل منه ولو نعم الكافرين وادخلهم الجنة كان ذلك له ولكنه تعالى اخبر وخبره صدق لا يفعل هذا بل يغفر للمؤمنين ويدخلهم الجنة برحمته ويعذب الكافرين ويدخلهم النار عدلا منه واما المعتزلة فيثبتون الاحكام بالعقل ويوجبون ثواب الاعمال ويوجبون الاصلح في ضبط طويل لهم تعالى الله عن اختراعاتهم الباطلة المنابذة لنصوص الشرع وفي ظاهر الحديث دلالة لاهل الحق انه لا يستحق احد الثواب والجنة بطاعته واما قوله تعالى ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون وتلك الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون ونحوهما من الايات التي تدل على ان الاعمال الصالحة يدخل بها الجنة فلا تعارض بينها وبين هذا الحديث بل معنى الايات ان ادخلوا الجنة بسبب الاعمال ثم التوفيق للاعمال والهداية للاخلاص فيها وقبولها برحمة الله تعالى وفضله فيصح انه لم يدخل الجنة بمجرد العمل وهو مراد الحديث ويصح انه دخل بالاعمال اي بسببها وهي من الرحمة والله اعلم قوله تعالى هل ينظرون يعني هؤلاء الذين اشركوا بالله وجحدوا نبوتك يا محمد الا ان تأتيهم الملائكة يعني لقبض ارواحهم او يأتي امر ربك يعني بالعذاب في الدنيا وهو عذاب الاستئصال وقيل المراد به يوم القيامة كذلك فعل الذين من قبلهم يعني من الكفر والتكذيب وما ظلمهم الله يعني بتعذيبه اياهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون يعني باكتسابهم الكفر والاعمال القبيحة الخبيثة فاصابهم سيئات ما عملوا اي يعني فاصابهم عقوبات ما اكتسبوا من الاعمال الخبيثة وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون والمعنى ونزل بهم جزاء استهزائهم وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا اباؤنا يعني ان مشركي مكة قالوا هذا على طريق الاستهزاء والحاصل انهم تمسكوا بهذا القول في انكار النبوة فقالوا لو شاء الله منا الايمان لحصل جئت او لم تجئ ولو شاء الله منا الكفر لحصل جئت او لم تجئ واذا كان الامر كذلك فالكل من الله فلا فائدة في بعثة الرسل الى الامم والجواب عن هذا انهم لما قالوا ان الكل من الله فكان بعثة الرسل عبثا هذا اعتراض

على الله

على الله تعالى وهو جار مجرى طلب العلة في احكام الله تعالى وفي افعاله وهو باطل لان الله تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فلا اعتراض لاحد عليه في احكامه وافعاله ولا يجوز لاحد ان يقول له لم فعلت هذا ولم لم تفعل هذا اذا كان في حكم الله تعالى وسنته في عباده المرسل اليهم ليأمروهم بعبادة الله تعالى وينهوهم عن عبادة غيره وان الهداية والضلالة اليه فمن هداه فهو المهتدي ومن اضله فهو الضال وهذه سنة الله في عباده انه يأمر الكل بالايمان به وينهاهم عن الكفر ثم انه تعالى يهدي من يشاء ويضل من يشاء فلا اعتراض لاحد عليه ولما كان سنة الله قديمة ببعثة الرسل الى الامم الكافرة المكذبة كان قول هؤلاء لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا اباؤنا جهلا منهم لانهم اعتقدوا ان لو كان الامر كذلك لامتنع من جواز بعثة الرسل وهذا الاعتقاد باطل فلا جرم استحقوا عليه الذم والوعيد واما قوله ولا حرمنا من دونه من شيء يعني السائبة والوصيلة والحام والمعنى فلولا ان الله رضيها لنا لغير ذلك لهدانا الى غيرها كذلك فعل الذين من قبلهم يعني ان من تقدم هؤلاء من كفار الامم الماضية كانوا على هذه الطريقة وهذا الفعل الخبيث فانكار بعثة الرسل كان قديما في الامم الخالية فهل على الرسل الا البلاغ المبين يعني ليس اليهم هداية احد انما عليهم تبليغ ما ارسلوا به الى من ارسلوا اليه ولقد بعثنا في كل امة رسولا يعني كما بعثنا فيكم محمدا صلى الله عليه وسلم رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت يعني ان الرسل كانوا يأمرونهم ان يعبدوا الله ويجتنبوا عبادة الطاغوت وهو اسم كل معبود عبد من دون الله فمنهم يعني فمن الامم الذين جاءتهم الرسل من هدى الله يعني من هداه الله الى دين الاسلام والايمان به وتصديق رسله ومنهم من حقت عليه الضلالة يعني ومن الامم من وجبت عليه الضلالة بالقضاء السابق في الازل حتى مات على الكفر والضلالة وفي هذه الاية ابين دليل على ان الهادي والمضل هو الله تعالى لانه المتصرف في عباده فيهدي من يشاء ويضل من يشاء لا اعتراض لاحد عليه فيما حكم في سابق علمه فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين يعني فسيروا في الارض معتبرين متفكرين لتعرفوا مآل امر من كذب الرسل وهو خراب منازلهم بالعذاب والهلاك ولتعرفوا ان العذاب نازل بكم ان اصررتم على الكفر والتكذيب كما نزل بهم قوله تعالى ان تحرص على هداهم الخطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم ان تحرص يا محمد على هدى هؤلاء وايمانهم وتجتهد كل الجهد فان الله لا يهدي من يضل قرئ بفتح الياء وكسر الدال يعني لا يهدي الله من اضله وقيل لا يهتدي من اضله الله وقرئ بضم الياء وفتح الدال ومعناه من اضله الله فلا هادي له وما لهم من ناصرين يعني ما لهم من ناصرين يمنعونهم من العذاب واقسموا بالله جهد ايمانهم قال ابن الجوزي سبب نزولها ان رجلا من المسلمين كان له على رجل من المشركين دين فاتاه يتقاضاه فكان فيما يتكلم المسلم والذي ارجوه بعد الموت فقال المشرك وانك لتزعم انك تبعث

بعد الموت فاقسم بالله انه لا يبعث الله من يموت فنزلت هذه الاية قاله ابو العالية
وتقرير الشبهة التي حصلت للمشركين في انكار البعث بعد الموت ان الانسان ليس
هو الا هذه البنية المخصوصة فاذا مات وتفرقت اجزاؤه وبلي امتنع عوده
بعينه لان الشيء اذا عدم فقد فني ولم يبق له ذات ولا حقيقة بعد فنائه وعدمه
وهذا هو اصل شبهتهم ومعتقدهم في انكار البعث بعد الموت فذلك قوله واقسموا
بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت فرد الله عليهم ذلك واكذبهم في قولهم
فقال تعالى بلى يعني بلى يبعثهم الله بعد الموت لان لفظة بلى اثبات لما بعد النفي
والجواب عن شبهتهم ان الله خلق الانسان واوجده من العدم ولم يك شيئا فالذي
اوجده بقدرته ثم اعدمه قادر على ايجاده بعد اعدامه لان النشأة الثانية
اهون من الاولى وعدا عليه حقا يعني ان الذي وعد به من البعث بعد الموت
وعد حق لا خلف فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون يعني لا يعلمون كيف
يكون ذلك العود فالله سبحانه وتعالى قادر على كل شيء ليبين لهم الذي
يختلفون فيه يعني من امر البعث ويظهر لهم الحق الذي لا خلف فيه وليعلم الذين
كفروا انهم كانوا كاذبين يعني في قولهم لا بعث بعد الموت انما قولنا لشيء
اذا اردناه ان نقول له كن فيكون يعني ان الله تعالى اذا اراد ان يحيي الموتى ويبعثهم
للحساب والجزاء فلا تعب عليه في احيائهم وبعثهم انما نقول لشيء اذا اراده كن
فيكون علما منا ارادة الله لانه القادر الذي لا يعجزه شيء اراده خ عن ابي هريرة رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى يشتمني ابن ادم
وما ينبغي له ان يشتمني ويكذبني وما ينبغي له اما شتمه اياي فيقوله ان لي ولدا واما
تكذيبه فقوله ليس يعيدني كما بداني وفي رواية كذبني ابن ادم ولم يكن له كفوا احد
والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا يعني اوذوا وعذبوا نزلت في بلال وصهيب
وخباب وعابس وجبير وابو جندل بن سهيل اخذهم المشركون بمكة فجعلوا يعذبونهم
ليرجعوا عن الاسلام الى الكفر وهم المستضعفون فاما بلال فاصحابه كانوا يجرونه
الى بطحاء مكة في شدة الحر ويشدونه ويجعلون على صدره الحجارة وهو يقول احد
احد فاشتراه منهم ابو بكر الصديق رضي الله عنه واعتقه واشترى معه ستة نفر
اخر واما صهيب فقال لهم اني رجل كبير ان كنت معكم فلن انفعكم وان كنت عليكم
فلا اضركم فاشتروني نفسي بما له فباعوه منه فمر به ابو بكر الصديق رضي الله عنه فقال
ربح البيع يا صهيب واما باقيهم فاعطوهم بعض ما يريدون فخلوا عنهم وقال قتادة
هم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ظلمهم اهل مكة فاخرجوهم من ديارهم حتى لحق
طائفة منهم بالحبشة ثم بوأهم الله المدينة بعد ذلك فجعلها لهم دار هجرة فهاجروا
اليها وجعل لهم انصارا من المؤمنين فاووهم ونصروهم وواسوهم وهذه الاية تدل
على فضل المهاجرين وفضل الهجرة وفيه على ان الهجرة اذا لم تكن لله خالصة لم
يكن لها موقع وكانت بمنزلة الانتقال من بلد الى بلد اخر ومنه حديث الاعمال

بالنيات

بالنيات وفيه ومن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت
هجرته لدنيا يصيبها او امرأة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه الحديث اخرجاه في الصحيحين
من رواية عمر بن الخطاب رضي الله عنه لنبوئنهم في الدنيا حسنة يعني لننزلنهم تبوئة
حسنة وهو انه تعالى انزلهم المدينة وجعلها لهم دار هجرة والمعنى لنبوئنهم في
الدنيا دار حسنة او بلدة حسنة وهي المدينة روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
كان اذا اعطى الرجل من المهاجرين عطاءه يقول له خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك
الله في الدنيا وما ادخر لك في الاخرة افضل ثم يقرأ هذه الاية وقيل معناه لنحسنن
اليهم في الدنيا بان يفتح الله لهم مكة ويمكنهم من اهلها الذين ظلموهم واخرجوهم منها
ثم نصرهم على العرب قاطبة وعلى اهل المشرق والمغرب وقيل المراد بالحسنة في
الدنيا التوفيق والهداية الى الدين ولاجر الاخرة اكبر يعني اعظم وافضل واشرف
مما اعطاهم في الدنيا لو كانوا يعلمون قيل الضمير يرجع الى الكفار لان المؤمنين
يعلمون ما لهم في الاخرة والمعنى لو كانوا الكفار يعلمون ان الاجر الاخرة اكبر
مما هم فيه من نعيم الدنيا لرغبوا فيه وقيل انه راجع الى المهاجرين والمعنى لو
كانوا يعلمون ما اعد الله لهم في الاخرة لزادوا في الجد والاجتهاد والصبر على ما اصابهم
من اذى المشركين الذين صبروا يعني في الله على ما نالهم من الاذى والمكروه
وهو صفة مدح يعني صبروا على العذاب ومفارقة الوطن وعلى الجهاد وبذل النفس
والاموال في سبيل الله وعلى ربهم يتوكلون يعني في امورهم كلها قال بعضهم
ذكر الله الصبر والتوكل في هذه الاية وهما مبدأ السلوك الى الله تعالى ومنتهاه
اما الصبر فهو قهر النفس وحبسها على اعمال البر وسائر الطاعات واحتمال الاذى
من الخلق والصبر عن الشهوات المباحات والمحرمات والصبر على المصائب واما التوكل
فالانقطاع عن الخلق بالكلية والتوجه الى الحق تعالى بالكلية فالاول هو مبدأ
السلوك الى الله تعالى والثاني هو اخر الطريق ومنتهاه قوله تعالى وما ارسلنا من
قبلك الا رجالا نوحي اليهم نزلت هذه الاية جوابا للمشركين حيث انكروا نبوة
محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا الله اعظم واجل من ان يكون رسوله بشرا فهلا بعث
ملكا الينا فاجابهم الله تعالى بقوله وما ارسلنا من قبلك يا محمد الا رجالا يعني
مثلك يوحى اليهم والمعنى ان عادة الله عز وجل جارية من اول مبدأ الخلق انه
لم يبعث الا رسولا من البشر فهذه عادة مستمرة وسنة جارية قديمة فاسئلوا
اهل الذكر يعني اهل الكتاب وهم اليهود والنصارى وانما امرهم بسؤال اهل الكتاب
لان كفار مكة كانوا يعتقدون ان اهل الكتاب اهل علم وقد ارسل اليهم رسلا منهم مثل
موسى وعيسى وغيرهم من الرسل وكانوا بشرا مثلهم فاذا سألوهم فلابد وان يخبروهم
بان الرسل الذين ارسلوا اليهم كانوا بشرا فاذا اخبروهم بذلك زالت الشبهة عن قلوبهم
ان كنتم لا تعلمون الخطاب لاهل مكة يعني ان كنتم يا اهل مكة لا تعلمون ذلك بالبينات
والزبر اختلفوا في المعنى الجالب لهذه الباء فقيل المعنى وما ارسلنا من قبلك بالبينات

والزبر الا رجالا نوحي اليهم ولم نبعث ملائكة وقيل معناه وما ارسلنا من قبلك الا رجالا
نوحي اليهم ارسلناهم بالبينات والزبر وقيل الذكر بمعنى العلم في قوله فاسئلوا اهل
الذكر يعني اهل العلم والمعنى فاسئلوا اهل الذكر الذي هو اهل العلم بالبينات والزبر
ان كنتم لا تعلمون انتم ذلك والبينات والزبر لفظ جامع لكل ما تتكامل به امر الرسالة
لان مدار امر الرسول على المعجزات الدالة على صدقه وهي البينات وعلى بيان
الشرايع والتكاليف وهي المراد بالزبر يعني الكتب المنزلة على الرسل من الله عز
وجل **وانزلنا اليك الذكر** الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني وانزلنا عليك يا محمد
الذكر الذي هو القران وانما سماه ذكرا لان فيه مواعظ وتنبيها للغافلين **لتبين**
للناس ما نزل اليهم يعني ما اجمل من احكام القران وبيان الكتاب يطلب
من السنة والمبين لذلك المجمل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا قال بعضهم
متى وقع تعارض بين القران والحديث وجب تقديم الحديث لان القران مجمل والحديث
مبين بدلالة هذه الاية المبين مقدم على المجمل وقال بعضهم القران منه محكم
ومنه متشابه فالمحكم يجب ان يكون مبينا والمتشابه هو المجمل ويطلب بيانه
من السنة فقوله لتبين للناس ما نزل اليهم محمول على ما اجمل فيه دون المحكم
المفسر المبين **ولعلهم يتفكرون** يعني فيما انزل اليهم فيعملوا به **افامن الذين مكروا**
السيئات فيه اضمار تقديره المكرات السيئات وهم كفار قريش مكروا برسول الله
صلى الله عليه وسلم وباصحابه وبالغوا في اذيتهم والمكر عبارة عن السعي بالفساد
على سبيل الاخفا وقيل المراد بهذا المكر اشتغالهم بعبادة غير الله فيكون
مكرهم على انفسهم والصحيح ان المراد بهذا المكر السعي في اذى رسول الله صلى الله
عليه وسلم والمومنين وقيل المراد بالذين مكروا السيئات نمرود ومن هو مثله
والصحيح ان المراد بهم كفار مكة **ان يخسف الله بهم الارض** يعني كما خسف
بقارون من قبلهم **او ياتيهم العذاب من حيث لا يشعرون** يعني ان العذاب
ياتيهم بغتة فيهلكهم فجاءة كما اهلك قوم لوط وغيرهم **او ياخذهم في تقلبهم** يعني
في تصرفهم في الاسفار فانه تعالى قادر على اهلاكهم في السفر كما هو قادر على اهلاكهم
في الحضر وقال ابن عباس ياخذهم في اختلافهم وقال ابن جريج في اقبالهم وادبارهم
يعني انه تعالى قادر على ان ياخذهم في ليلهم ونهارهم وفي جميع احوالهم **فما هم**
بمعجزين يعني بسابقين الله او يفوتونه بل هو قادر عليهم **او ياخذهم على تخوف**
قال ابن عباس ومجاهد يعني على تنقص قال ابن قتيبة التخوف التنقص ومثله التخون
يقال تخوفه الدهر وتخونه اذا انتقصه واخذ ماله وحشمه ويقال هذه لغة هذيل
فعلى هذا القول يكون المراد به انه ينقص من اطرافهم ونواحيهم الشي بعد الشي
حتى يهلك جميعهم وقيل هو على اصله من الخوف فيحتمل انه تعالى لا ياخذهم بالعذاب
اولا بل يخوفهم ثم يعذبهم بعد ذلك وقال الضحاك والكلبي هو من الخوف يعني طايفة
فيتخوف الاخرون ان يصيبهم مثل ما اصابهم والحاصل انه تعالى خوفهم بخسف يحصل

في الارض

في الارض او بعذاب ينزل من السما او بافات تحدث دفعة او بافات تحدث قليلا قليلا
الى ان ياتي الهلاك على اخرهم ثم انه تعالى ختم بقوله **فان ربكم لرؤف رحيم** يعني
انه تعالى لا يعاجل بالعقوبة والعذاب قوله تعالى **اولم يروا** قرئ بالتا على خطاب
الحاضرين وبالتا على الغيبة **الى ما خلق الله من شيء** يعني من جسم قايم له ظل وهذه
الروية لما كانت بمعنى النظر وصلت بالى لان المراد منها الاعتبار والاعتبار لا يكون
الا بنفس الروية التي يكون معها نظر الى الشي ليتامل احواله ويتفكر فيه ويعتبر
به **يتفيؤ ظلاله** يعني تميل وتدور من جانب الى جانب فهي اول النهار على حال
ثم تتقلص ثم تعود في اخر النهار الى حالة اخرى ويقال للظل بالعشي فيء لانه من فا
يفيء اذا رجع من المغرب الى المشرق والفيء الرجوع قال الازهري تفيؤ الظلال
رجوعها بعد انتصاف النهار فالتفيؤ لا يكون الا بالعشي وما انصرفت عنه الشمس
والظل يكون بالغداة وهو ما لم تنله الشمس وقوله ظلاله جمع ظل وانما اضاف
الظلال وهو جمع الى مفرد وهو قوله من شيء لانه يراد به الكثرة ومعناه الاضافة
الى ذوي الظلال **عن اليمين والشمائل** قال العلما اذا طلعت الشمس من المشرق
وانت متوجه الى القبلة كان ظلك عن يمينك فاذا ارتفعت الشمس واستوت
في وسط السما كان ظلك خلفك فاذا مالت الشمس الى الغروب كان ظلك عن يسارك
قال قتادة والضحاك اما اليمين فاول النهار واما الشمائل فاخر النهار وانما
وحد اليمين وان كان المراد به الجمع للايجاز والاقتصار في اللفظ وقيل اليمين
راجع الى لفظ الشي وهو واحد والشمائل راجع الى المعنى لان لفظ الشي يراد به
الجمع **سجدا لله** في معنى هذا السجود قولان احدهما ان المراد به الاستسلام
والانقياد والخضوع يقال سجد البعير اذا طاطا راسه ليركب وسجدت النخلة
اذا مالت لكثرة الحمل والمعنى ان جميع الاشيا التي لها ظلال فهي منقادة مستسلمة
لامره غير ممتنعة عليه فيما سخرها الله له من التفيؤ وغيره وقال مجاهد اذا زالت
الشمس سجد كل شي لله والقول الثاني في معنى هذا السجود ان الظلال واقعة على الارض
ملتصقة بها كالساجد على الارض فلما كانت الظلال يشبه شكلها شكل الساجدين
اطلق الله عليها هذا اللفظ وقيل ظل كل شي ساجد لله سوا كان ذلك الشي
يسجد لله او لا ويقال ان ظل الكافر ساجد لله وهو غير ساجد لله **وهم داخرون**
اي صاغرون اذلا والداخر الصاغر الذي يفعل ما يامر به شا او ابى وذلك ان
جميع الاشيا منقادة لامر الله فان قلت الظلال ليست من العقلا فكيف عبر
عنها بلفظ من يعقل وجمعها بالواو والنون قلت لما وصفها الله بالطاعة والانقياد
لامره وذلك صفة من يعقل عبر عنها بلفظ من يعقل وجمعها بالواو والنون
وهو جمع العقلا قوله تعالى **ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة**
قال العلما السجود على نوعين سجود طاعة وعبادة كسجود المسلم لله تعالى وسجود
خضوع وانقياد كسجود الظلال وقوله ولله يسجد ما في السموات وما في الارض

يحتمل النوعين لان سجود كل شي بحسبه فسجود الملايكة والمسلمين لله سجود عبادة
وطاعة وسجود غيرهم سجود انقياد وخضوع واتى بلفظ ما في قوله ما في السموات
وما في الارض للتغليب لان من لا يعقل اكثر ممن يعقل في العدد والحكم للاغلب
كتغليب المذكر على المونث ولانه لو اتى بمن لتى مى للعقلا لم يكن فيها دلالة على
التغليب بل كانت متناولة للعقلا خاصة واتى بلفظ ما ليشمل الكل ولفظة الدابة
مشتقة من الدبيب وهو عبارة عن الحركة الجسمانية فالدابة اسم يقع على كل حيوان
جسماني يتحرك ويدب فيدخل فيه الانسان لانه مما يدب على الارض ولهذا افرد
الملايكة في قوله **والملايكة** لانهم اولوا اجنحة يطيرون بها وافردهم بالذكر وان
كانوا في جملة من في السموات لشرفهم وقيل اراد ولله يسجد ما في السموات من الملايكة
وما في الارض من دابة فسجود الملايكة والمسلمين للطاعة وسجود غيرهم تذللها
وتسخيرها لما خلقت له او سجوده ما لا يعقل والجمادات تدل على قدرة الصانع سبحانه
وتعالى فتدعوا الغافلين الى السجود لله عند التامل والتدبير **وهم لا يستكبرون**
يعني الملايكة **يخافون ربهم من فوقهم** هو كقوله وهو القاهر فوق عباده وقد
تقدم تفسيره **ويفعلون ما يومرون** عن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اني ارى ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون اطت السما وحق لها ان تيط ما فيها موضع
اربع اصابع الا وملك واضع جبهته ساجدا والله لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا
ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنسا على الفرش ولخرجتم الى الصعدات تجارون الى الله
تعالى قال ابو ذر لوددت اني كنت شجرة تعضد اخرجه الترمذي وقال وقد روي
عن ابي ذر موقوفا **فصل** وهذه السجدة من عزايم سجود القران فيسن
للقاري والمستمع ان يسجد عند قراتها او سماعها قوله تعالى **وقال الله لا تتخذوا
الهين اثنين** لما اخبر الله عز وجل في الاية المتقدمة ان كل ما في السموات وما في
الارض خاضعون له منقادون لامره عابدون له وانهم في ملكه وتحت قدرته وقبضته
نهى في هذه الاية عن الشرك وعن اتخاذ الهين اثنين فقال والله لا تتخذوا الهين
اثنين قال الزجاج ذكر الاثنين توكيدا لقوله الهين وقال صاحب النظم فيه
تقديم وتاخير تقديره لا تتخذوا اثنين الهين يعني ان الاثنين لا يكون كل واحد منهما
الها ولكن اتخذوا الها واحدا وهو قوله **انما هو اله واحد** لان الالهين لا يكونان
متساويين في الوجود من الهين اثنين والقدم وصفات الكمال والقدرة والارادة
وصار الاثنينية متنافية للالهية فلذلك قوله انما هو اله واحد يعني لا
يجوز ان يكون في الوجود الهين اثنين انما هو اله واحد **فاياي فارهبون** يعني فخافون
والرهب مخافة مع حزن واضطراب وانما نقل الكلام من الغيبة الى خطاب الحضور
وهو من طريق الالتفات لانه ابلغ في الترهيب من قوله فاياه فارهبوه فهو
من بديع الكلام وبليغه وقوله فاياي فارهبون يفيد الحصر وهو ان لا يرهب الخلق
الا منه ولا يرغبوا الا اليه والى كرمه وفضله واحسانه **وله ما في السموات**

والارض لما ثبت بالدليل الصحيح والبرهان الواضح ان اله العالم لا شريك له
في الالهية وجب ان يكون جميع المخلوقات عبيدا له وفي ملكه وتصرفه وتحت
قدرته فذلك قوله تعالى وله ما في السموات والارض يعني عبيدا وملكا **وله الدين
واصبا** يعني وله العبادة والطاعة واخلاص العمل دايما ثابتا والواصب الدايم
قال ابن قتيبة ليس من احد يدان له ويطاع الا انقطع ذلك السبب في حال الحياة
او بعد الموت الا الحق سبحانه وتعالى فان طاعته واجبة ابدا ولانه المنعم على عباده المالك
لهم فكانت طاعته واجبة دايمة ابدا **افغير الله تتقون** يعني انكم عرفتم ان الله وحده
لا شريك له في ملكه وعرفتم ان كل ما سواه محتاج اليه فبعد هذه المعرفة كيف
تخافون غيره وتتقون سواه فهو استفهام بمعنى التعجب وقيل هو استفهام على طريق
الانكار قوله عز وجل **وما بكم من نعمة فمن الله** يعني من نعمة الاسلام وصحة الابدان
وسعة في الارزاق وكل ما اعطاكم من مال او ولد فكل ذلك من الله تعالى هو المتفضل
به على عباده فيجب عليكم شكره على جميع انعامه ولما بين في الاية المتقدمة انه
يجب على جميع العباد ان لا يخافوا الا الله تعالى بين في هذه الاية ان جميع النعم منه
فلا يشكر عليها الا اياه لانه هو المتفضل بها على عباده فيجب عليكم شكره عليها
ثم اذا مسكم الضر اي الشدة والامراض والاسقام **فاليه تجارون** يعني اليه
تستغيثون وتضجون بالدعا ليكشف عنكم ما نزل بكم من الضر والشدة واصل
الجوار هو رفع الصوت الشديد ومنه جوار البقر والمعنى ان النعم لما كانت كلها
ابتدا فان حصل شدة وضر في بعض الاوقات فلا يفزع الا اليه ولا يدعى الا اياه
ليكشفها فانه هو القادر على كشفها وهو قوله تعالى **ثم اذا كشف الضر عنكم** يعني
اذا ازال الشدة والبلا عنكم **اذا فريق منكم** يعني طايفة وجماعة منكم **بربهم يشركون**
يعني انهم يضيفون كشف الضر الى العوايد والاسباب ولا يضيفونه الى الله
تعالى فهذا من جملة شركهم الذي كانوا عليه وانما قسمهم فريقين لان فريق المومنين
لا يرون كشف الضر الا من الله تعالى ثم قال تعالى **ليكفروا بما اتيناهم** قيل ان
هذه اللام لام كي ويكون المعنى على هذا انهم انما اشركوا بالله ليجحدوا نعمه عليهم
في كشف الضر عنهم وقيل انها لام العاقبة والمعنى عاقبة امرهم هو كفرهم بما اتيناهم
من النعما وكشفنا عنهم الضر والبلا **فتمتعوا** لفظه امر والمراد منه التهديد
والوعيد يعني فعيشوا في اللذة التي فيها الى المدة التي ضربها الله لكم **فسوف تعلمون**
يعني عاقبة امركم الى ماذا يصير وهو نزول العذاب بكم قوله تعالى **ويجعلون لما
لا يعلمون نصيبا** قيل الضمير في قوله لما لا يعلمون عايد الى المشركين يعني ان
المشركين لا يعلمون وقيل انه عايد الى الاصنام يعني ان الاصنام لا تعلم شيا البتة
لانها جماد والجماد لا علم له ومنهم من رجح القول الاول لان نفي العلم عن الحي حقيقة
وعن الجماد مجازا فكان عود الضمير الى المشركين اولى ولانه قال لا يعلمون فجمعهم
بالواو والنون وهو جمع لمن يعقل ومنهم من رجح القول الثاني قال لانا اذا قلنا

الى المشركين احتجنا فيه الى اضمار فيكون المعنى ويجعلون يعني المشركين لما لا يعلمون
انه الهاد لا له حقا نصيبا واذا قلنا انه عايد الى الاصنام لم يحتج الى هذا الاضمار لانها
لا علم لها ولا فهم وقوله **مما رزقناهم** يعني المشركين جعلوا للاصنام نصيبا
من حروثهم وانعامهم واموالهم التي رزقهم الله وتقدم تفسيره في سورة الانعام
تالله اقسم بنفسه على نفسه انه يسئلهم يوم القيامة وهو قوله **لتسئلن
عما كنتم تفترون** يعني عما كنتم تكذبون في الدنيا في قولكم من ان هذه الاصنام
الالهة وان لها نصيبا من اموالكم وهذا الالتفات من الغيبة الى الحضور وهو من
بديع الكلام وبليغه **ويجعلون لله البنات** وهم خزاعة وكنانة قالوا الملايكة
بنات الله وانما اطلقوا لفظ البنات على الملايكة لاستتارهم عن العيون كالنسا
او لدخول لفظ التانيث في تسميتهم **سبحانه** نزه الله سبحانه نفسه عن الولد
والبنات **ولهم ما يشتهون** يعني ويجعلون لانفسهم ما يشتهون يعني من البنين
واذا بشر احدهم بالانثى يعني بشر احدهم بالانثى البشارة عبارة عن الخبر السار
الذي يظهر على بشرة الوجه اثر الفرح به ولما كان ذلك الفرح والسرور يوجبان
تغير بشرة الوجه فكذلك الحزن والغم ايضا يظهر اثره على الوجه وهو الكمودة
التي تعلو الوجه عند حصول الحزن والغم فثبت بهذا ان البشارة لفظ مشترك
بين الخبر السار والخبر المحزن فصح قوله واذا بشر احدهم **ظل وجهه مسودا** يعني
متغيرا من الحزن والغم والغيظ والكراهة التي حصلت له عند هذه البشارة والمعنى
ان هولا المشركين لا يرضى احدهم بان ينسب الانثى ان تنسب اليه فكيف يرضى ان ينسبها
الى الله تعالى ففيه تبكيت لهم وتوبيخ قوله **وهو كظيم** يعني انه ظل ممتلي حزنا
وغما **يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ايمسكه على هون** يعني انه
يختفي من ذلك القول الذي بشر به وذلك ان العرب كانوا في الجاهلية اذا قرب
ولادة زوجة احدهم توارى عن القوم الى ان يعلم ما ولد له فان ولد له ذكر ابتهج
وسر بذلك وظهر وان كانت انثى حزن ولم يظهر اياما حتى يفكر ما يصنع بها وهو
قوله تعالى ايمسكه على هون يعني على هوان وانما ذكر الضمير في ايمسكه لانه عايد
الى ما بشر به في قوله واذا بشر احدهم **ام يدسه في التراب** يعني ام يخفي ذلك
الذي بشر به في التراب ويئده والدس اخفا الشي في الشي قال اهل التفسير ان مضر
وخزاعة وتميما كانوا يدفنون البنات احيا والسبب في ذلك اما خوف الفقر وكثرة
العيال ولزوم النفقة او للحمية فيخاف عليهن من الاسر ونحوه او لطمع غير الاكفا فيهن
فكان الرجل من العرب في الجاهلية اذا ولدت له بنت واراد ان يستحييها تركها حتى
اذا كبرت البسها جبة من صوف او شعر وجعلها ترعى الابل والغنم في البادية واذا
اراد ان يقتلها تركها حتى اذا صارت سداسية قال لامها زينيها حتى اذا ذهب بها الى
حمايها ويكون قد حفر لها حفرة في الصحرا فاذا بلغ بها تلك الحفرة قال لها انظري الى
هذه البير فاذا نظرت اليها دفعها من خلفها في تلك البير ثم يهيل التراب الى راسها

وكان

وكان صعصعة عم الفرزدق اذا احس بشي من ذلك وجه بابل الى والد البنت
حتى يحييها بذلك فقال الفرزدق يفتخر بذلك •
• وعمي الذي منع الوايدات • فاحيى الوييد فلم يود •
عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الوايد
والموودة في النار اخرجه ابو داود وقوله تعالى **الا سا ما يحكمون** يعني بيس
ما يقضون حيث يجعلون لله الذي خلقهم البنات وهم يستنكفون منها ويجعلون
لانفسهم البنين نظيره قوله تعالى الكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى
وقيل معناه الا سا ما يحكمون في واد البنات **للذين لا يؤمنون بالاخرة مثل السو**
يعني صفة السوء من احتياجهم الى الولد وكراهتهم الاناث وقتلهم خوف الفقر
ولله المثل الاعلى اي الصفة العليا المقدسة وهو انه التوحيد وانه المنزه
عن الولد وانه لا اله الا هو وان له جميع صفات الجلال والكمال من العلم والقدرة
والبقا السرمدي وغير ذلك من الصفات التي وصف بها نفسه وقال ابن عباس
رضي الله عنه مثل السوء النار والمثل الاعلى شهادة ان لا اله الا الله **وهو
العزيز** اي الممتنع في كبريايه وجلاله **الحكيم** يعني في جميع افعاله قوله عز وجل
ولو يواخذ الله الناس بظلمهم يعني بسبب ظلمهم فيعاجلهم بالعقوبة على
ظلمهم وكفرهم وعصيانهم فان **قلت** الناس اسم جنس يشمل الكل وقد قال
تعالى في اية اخرى فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فقسمهم
في هذه الاية ثلاثة اقسام فجعل الظالمين قسما واحدا من ثلاثة **قلت** قوله ولو
يواخذ الله الناس بظلمهم عام مخصوص بهذه الاية الاخرى لان في جنس الناس
الانبيا والصالحون ومن لا يطلق عليه اسم الظلم وقيل اراد بالناس الكفار فقط
بدليل قوله ان الشرك لظلم عظيم وقوله **ما ترك عليها** يعني على الارض
كناية من غير مذكور لان الدابة لا تدب الا على الارض **من دابة** يعني ان الله
تعالى لو يواخذ الله الناس بظلمهم لاهلك جميع الدواب التي على وجه الارض قال
قتادة وقد فعل الله ذلك في زمن نوح عليه السلام فاهلك من كان على وجه
الارض الا من كان في[٢] سمع رجلا يقول ان الظالم لا يضر الا نفسه فقال بيس ما
قلت ان الحبارى تموت هزلا بظلم الظالم وقال ابن مسعود رضي الله عنه ان
الجعل تعذب في جحرها بذنب ابن ادم وقيل اراد بالدابة الكافر بدليل قوله ان شر
الدواب عند الله الذين كفروا وقيل في معنى الاية ولو يواخذ الله الاباء الظالمين
بسبب ظلمهم لانقطع النسب ولم يوجد الابنا فلم يبق في الارض احد قوله **ولكن
يوخرهم** يعني يمهلهم بفضله وكرمه وحلمه **الى اجل مسمى** يعني الى انتها اجالهم
وانقضا اعمالهم **فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون** يعني
لا يوخرون ساعة عن الاجل الذي جعله الله لهم ولا ينقصون منه وقيل اراد
بالاجل المسمى يوم القيامة والمعنى ولكن يوخرهم الى يوم القيامة فيعذبهم فلا

[٢] السفينة مع نوح عليه السلام ودوابه اثنين اثنين ح

فلا يستاخرون عن العذاب ساعة ولا يستقدمون ويجعلون لله ما يكرهون
يعني لانفسهم ومن البنات وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى يعني ويقولون
ان لهم البنين وذلك انهم قالوا لله البنات ولنا البنين وهذا القول كذب منهم
وافترا على الله تعالى وقيل اراد بالحسنى الجنة والمعنى انهم مع كفرهم وقولهم الكذب
يزعمون انهم على الحق وان لهم الجنة وذلك انهما قالوا ان كان محمد صادقا في البعث
بعد الموت فان لنا الجنة لانا على الحق فكذبهم الله تعالى لا جرم ان لهم النار يعني
في الاخرة لا الجنة وانهم مفرطون قرئ بكسر الرا مع التخفيف يعني مسرفون وقرئ
وقرئ بكسر الرا مع التشديد يعني مضيعون لامر الله وقرا الجمهور بفتح الرا وتخفيفها
اي منسيون في النار قاله ابن عباس وقال سعيد بن جبير ومقاتل متروكون وقال
قتادة معجلون الى النار وقال الفرا مقدمون الى النار والفرط المتقدم الى الما قبل
القوم ومنه قال صلى الله عليه وسلم انا فرطكم على الحوض اي متقدمكم تالله لقد ارسلنا
الى امم من قبلك يعني كما ارسلناك الى هذه الامة لقد ارسلنا الى امم من قبلك
فكان شانهم مع رسلهم التكذيب ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم فزين لهم
الشيطان اعمالهم يعني اعمالهم الخبيثة من الكفر والتكذيب والمزين في الحقيقة
هو الله تعالى هذا مذهب اهل السنة وانما جعل الشيطان آلة بالقا الوسوسة
في قلوبهم وليس له قدرة ان يضل احدا او يهدي احدا وانما له الوسوسة فقط فمن
اراد الله شقاوته سلطه عليه حتى يقبل وسوسته فهو وليهم اي ناصرهم اليوم
ومن كان الشيطان وليه وناصره فهو مخذول مغلوب مقهور وانما سماه وليا لهم لطاعتهم
اياه ولهم عذاب اليم يعني في الاخرة قوله وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم
الذي اختلفوا فيه يعني من امر الدين والاحكام فتبين لهم الهدى من الضلال والحق
من الباطل والحلال من الحرام وهدى ورحمة يعني وما انزلنا الكتاب الا بيانا
وهدى ورحمة لقوم يومنون لانهم هم المنتفعون به قوله تعالى والله انزل من
السما ما يعني المطر فاحيى به الارض يعني بالما الارض يعني بالنبات والزرع
بعد موتها يعني بعد يبسها وجدوبتها ان في ذلك لاية يعني ان في هذه لدلالة واضحة
على كمال قدرة الله لقوم يسمعون يعني سماع انصاف وتدبر وتفكر لان سماع القلوب
هو النافع لا سماع الاذان فمن سمع ايات القران بقلبه وتدبرها وتفكر فيها انتفع
ومن لم يسمع بقلبه لم ينتفع بالايات وان لكم في الانعام لعبرة يعني اذا تفكرتم
فيها عرفتم كمال قدرتنا على ذلك نسقيكم مما في بطونه الضمير عايد الى الانعام فكان
حقه ان يقال مما في بطونها واختلف النحويون في الجواب فقيل ان لفظ الانعام
مفرد وضع لافادة الجمع فهو بحسب اللفظ مفرد ويكون ضميره ضميرا للواحد وهو مذكر
وبحسب المعنى يكون ضميره ضمير الجمع وهو مونث فلهذا المعنى قال هنا مما في بطونه
وقال في سورة المومنون مما في بطونها وهذا قول ابي عبيدة والاخفش وقال الكسائي
رده الى ما يعني مما في بطون ما ذكرنا وقال المورخ الكناية مردودة الى البعض وفيه

اضمار

اضمار كانه قال نسقيكم مما في بطونه اللبن فاضمر اللبن اذ ليس لكلها لبن من بين
فرث وهو ما في الكرش من الثفل فاذا خرج منها لا يسمى فرثا ودم لبنا يعني من
الدم والفرث ليس عليه لا لون الدم ولا رايحة الفرث قال ابن عباس اذا اكلت
الدابة العلف واستقر في كرشها وطبخته كان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه
دما والكبد مسلطة عليها تقسمها بتقدير الله تعالى فيجري الدم في العروق
واللبن في الضرع ويبقى الثفل كما هو خالصا سايغا للشاربين يعني هينا سهلا
يجري في الحلق بسهولة وقيل انه لم يغص باللبن احد قط هذا قول المفسرين
في معنى هذه الاية وحكى الامام فخر الدين الرازي قول الحكما في ذلك فقال
ولقايل ان يقول الدم واللبن لا يتولدان في الكرش البتة والدليل عليه الحس
فان هذه الحيوانات تذبح ذبحا متواليا وما راى احد في كرشها دما ولا لبنا بل الحق
ان الحيوان اذا تناول الغذا وصل ذلك العلف الى معدته ان كان من الانعام الى
كرشه فاذا طبخ وحصل الهضم الاول فما كان منه صافيا انجذب الى الكبد وما
كان كثيفا نزل الى الامعا ثم ذلك الذي يحصل في الكبد ينطبخ فيها ويصير دما
وهو الهضم الثاني ويكون ذلك مخلوطا بالصفرا والسودا وزيادة المايية فاما
الصفرا فتذهب الى الكلية ومنها الى المثانة واما الدم فيذهب في الاوردة وهي
العروق النابتة من الكبد وهنا يحصل الهضم الثالث بين الكبد وبين الضرع
عروق كثيرة فينصب الدم من تلك العروق الى الضرع والضرع لحم غددي
ابيض فيقلب الله ذلك الدم عند انصبابه الى ذلك اللحم الغددي الرخو الابيض
فيصير الدم لبنا فهذا صورة تكون اللبن في الضرع فاللبن انما يتولد من بعض
اجزا الدم والدم انما يتولد من الاجزا اللطيفة من الاشيا الماكولة الحاصلة
في الكرش فاللبن تولد اولا من الفرث ثم من الدم ثانيا ثم صفاه الله تعالى
بقدرته فجعله لبنا خالصا من بين فرث ودم وعند تولد اللبن في الضرع
خلق الله عز وجل بلطيف حكمته في حلمة الثدي ثقبا صغارا ومساما ضيقة
فجعلها كالمصفي للبن فكل ما كان لطيفا من اللبن خرج بالمص او الحلب وما كان
كثيفا احتبس في البدن وهو المراد بقوله خالصا يعني من شوايب كدورة الدم
والفرث سايغا للشاربين يعني جاريا في حلوقهم سهلا لذيذا هنيا مريا وقوله
عز وجل ومن ثمرات النخيل والاعناب يعني ولكم ايضا عبرة فيما نسقيكم ونرزقكم من
من ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه الضمير في منه يرجع الى ما تقدم
ولكم من ثمرات النخيل والاعناب ما تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا قال
ابن مسعود وابن عمر والحسن وسعيد بن جبير ومجاهد وابراهيم وابن ابي ليلى
والزجاج وابن قتيبة السكر الخمر سميت بالمصدر من قولهم سكر سكرا وسكرا
والرزق الحسن ساير ما يتخذ من ثمرات النخيل والاعناب مثل الدبس والتمر
والزبيب والخل وغير ذلك فان قلت الخمر محرمة فكيف ذكرها الله تعالى في

معرضا لانعام والامتنانات قلت قال العلما في الجواب عن هذا ان السورة مكية
وتحريم الخمر انما نزل في سورة المايدة وهي مدنية فكان نزول هذه الاية في الوقت الذي
كانت الخمر فيه غير محرمة وقيل ان الله عز وجل نبه في هذه الاية على تحريم الخمر ايضا لانه ميز
بينها وبين الرزق الحسن في الذكر فوجب ان يقال الرجوع عن كونه حسنا يدل على
التحريم وروي العوفي عن ابن عباس ان السكر هو الخل بلغة الحبشة وقال بعضهم
السكر النبيذ وهو نقيع التمر والزبيب اذا اشتد والمطبوخ من العصير وهو قول
الضحاك والنخعي ومن يبيح شرب النبيذ ومن يحرمه يقول المراد من الاية الاخبار
لا الاحلال واولى الاقاويل ان قوله تتخذون منه سكرا منسوخ سيل ابن عباس
عن هذه الاية فقال السكر ما حرم من ثمراتها والرزق الحسن ما حل قلت القول
بالنسخ فيه نظر لان قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا خبر
والاخبار لا يدخلها النسخ ومن زعم انها منسوخة راي ان هذه الاية نزلت بمكة
في وقت اباحة الخمر ثم ان الله حرمها بالمدينة فحكم على هذه الاية بانها منسوخة
وقال ابو عبيدة في معنى الاية ان السكر الطعم يقال هذا سكر لك اي طعم لك
وقال غيره السكر ما سد الجوع من قولهم سكرت النهر اي سددته والتمر والزبيب
مما يسد الجوع وهذا شرح قول ابي عبيدة ان السكر الطعم ان في ذلك يعني
ان الذي ذكر من تعامه على عبيده لاية يعني دلالة وحجة واضحة لقوم يعقلون
يعني ان من كان عاقلا استدل بهذه الايات على كمال قدرة الله تعالى ووحدانيته
وعلم بالضرورة ان لهذه الاشيا خالقا ومدبرا قادرا على ما يريد قوله تعالى
واوحى ربك الى النحل لما ذكر الله تعالى دلايل قدرته وعجايب صنعته الدالة على
وحدانيته من اخراج اللبن من بين فرث ودم واخراج السكر والرزق الحسن
من ثمرات النخيل والاعناب فذكر في هذه الاية اخراج العسل الذي جعله شفا للناس
من دابة ضعيفة وهي النحلة فقال تعالى واوحى ربك الى النحل قيل الخطاب للنبي
صلى الله عليه وسلم والمراد به كل فرد من الناس ممن له عقل وتفكر يستدل به على
كمال قدرة الله تعالى ووحدانيته وانه الخالق لجميع الاشيا المدبر لها بلطيف حكمته
وقدرته واصل الوحي الاشارة السريعة وذلك يكون وذلك يكون بالكلام على
سبيل الرمز والتعريض وقد يكون بصوت مجرد ويقال للكلمة الالهية التي تلقيها
الى انبيايه وحي والى اوليايه الهام واما تسخيره لما خلق الله ومنه قوله واوحى
ربك الى النحل يعني انه سخرها لما خلقها له والهمها رشدها وقدر في انفسها هذه
الاعمال العجيبة التي يعجز عنها العقلا من البشر وذلك ان النحل تبني بيوتا على شكل
مسدس من اضلاع متساوية لا يزيد بعضها على بعض بمجرد طباعها ولو كانت البيوت
مدورة او مثلثة او مربعة او غير ذلك من الاشكال لكان فيما بينها خلل ولما حصل
المقصود فالهمها الله تعالى ان تبنيها على هذا الشكل المسدس الذي لا يحصل فيه خلل
وفرجة خالية ضايعة والهمها الله ايضا ان يجعلوا عليهم اميرا كبيرا نافذ الحكم

فيهم

فيهم وهم يطيعونه ويمتثلون امره ويكون هذا الامير اكبرهم جثة واعظمهم خلقة
ويسمى اليعسوب الفحل يعني ملكهم كذا حكاه الجوهري والهمها الله تعالى ان جعلوا
على باب كل خلية بوابا لا يمكن غير اهلها من الدخول اليها والهمها الله ايضا انها
تخرج من بيوتها فتدور وترعى ثم ترجع الى بيوتها ولا تضل عنها ولما امتاز هذا الحيوان
الضعيف بهذه الخواص العجيبة الدالة على مزيد الذكاة والفطنة دل ذلك على
الالهام الالهي فكان ذلك شبيها بالوحي فلذلك قال الله تعالى واوحى ربك الى
النحل والنحل زنبور العسل ويسمى الدبور ايضا قال الزجاج يجوز ان يقال
سمي هذا الحيوان نحلا لان الله تعالى نحل العسل الذي يخرج من بطونها يعني
اعطاهم وقال غيره النحل يذكر ويونث وهي مونثة في لغة الحجاز ولذا انثها الله
فقال تعالى ان اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون يعني يبنون ويسقفون
وذلك ان النحل منه وحشي وهو الذي يسكن الجبال والشجر ويأوي الى الكهوف
ومنه اهلي وهو الذي ياوي الى البيوت ويربيه الناس عندهم وقد جرت العادة
ان الناس يبنون للنحل الاماكن حتى تاوي اليها وقال ابن زيد اراد بالذي
يعرشون الكروم ثم كلي من كل الثمرات يعني من بعض الثمرات لانها لا تاكل جميع
الثمار فلفظة كل هنا ليست للعموم فاسلكي سبل ربك يعني الطرق التي
الهمك الله ان تسلكيها وتدخلي فيها لاجل طلب الثمرات ذللا قيل انها نعت
للسبل يعني انها مذللة لك الطرق مسهلة لك مسالكها قال مجاهد لا يتوعر عليها
مكان تسلكه وقيل الذلل نعت النحل يعني انها مذللة مسخرة لاربابها مطيعة
منقادة لهم حتى انهم ينقلونها من مكان الى مكان اخر حيث شاوا واذا ارادوا لا
تستعصي عليهم يخرج من بطونها يعني العسل شراب مختلف الوانه يعني ما
بين ابيض واحمر واصفر وغير ذلك من الوان العسل وذلك على قدر ما تاكل
من الثمار والازهار ويستحيل في بطونها عسلا بقدرة الله تعالى ثم يخرج من
افواهها يسيل كاللعاب وزعم الامام فخر الدين الرازي انه راى في كتب الطب
ان العسل طل من السما ينزل كالترنجبين فيقع على الازهار واوراق الشجر
فتجمعه النحلة فتاكل بعضه وتدخر بعضه في بيوتها لا نفسها لتتغذى به فاذا
اجتمع في بيوتها من تلك الاجزا الطلية شي كثير فذلك هو العسل وقال هذا القول
اقرب الى العقل لان طبيعة الترنجبين تقرب من طبيعة العسل وايضا فانا
شاهدنا ان النحل يتغذى بالعسل واجاب عن قوله تعالى يخرج من بطونها بان
كل تجويف في داخل البدن يسمى بطنا فقوله يخرج من بطونها يعني من افواهها
وقول اهل الظاهر اولى لانا نشاهد انه يوجد في طعم العسل طعم تلك الازهار
التي تاكلها النحل وكذلك يوجد لونها وريحها وطعمها فيه ايضا ويعضد هذا
قول بعض ازواج النبي صلى الله عليه وسلم له اكلت مغافير قال لا قالت فما هذا
الريح الذي اجد منك قال سقتني حفصة شربة عسل قالت جرست نحلة العرفط

العرفط شجر الطلح وله صمغ يقال له المغافير كريه الرائحة فمعنى جرست نحلة العرفط
اكلت ورعت من العرفط الذي له الرائحة الكريهة فثبت بهذا الدليل صحة قول
اهل الظاهر من المفسرين وانه يوجد في طعم العسل ولونه وريحه طعم ما ياكله
النحل ولونه وريحه لا ما قاله الاطبا من انه طل لانه لو كان طلا لكان على لون واحد
وطبيعة واحدة وقوله ان طبيعة العسل تقترب من طبيعة الترنجبين فيه نظر
لان مزاج الترنجبين معتدل الى الحرارة وهو الطف من السكر ومزاج العسل
حار يابس في الدرجة الثانية فبينهما فرق كبير وقوله كل تجويف في داخل البدن
يسمى بطنا فيه نظر لان لفظ البطن اذا اطلق لم يرد به الا العضو المعروف مثل
بطن الانسان وغيره والله اعلم وقوله تعالى **فيه** يعني في الشراب الذي يخرج
من بطون النحل **شفا للناس** وهذا قول ابن عباس وابن مسعود ان الضمير في
قوله شفا للناس يرجع الى العسل وقد اختلفوا في هذا الشفا هل هو على العموم
من كل مرض او على الخصوص لمرض دون مرض على قولين احدهما ان العسل فيه شفا
لكل دا وكل مرض قال ابن مسعود العسل شفا من كل دا والقران شفا من كل
دا لما في الصدور وفي رواية اخرى عنه عليكم بالشفائين القران والعسل وروي
نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما ما كانت تخرج به قرحة ولا شي الا لطخ الموضع
بالعسل ويقرا ويخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفا للناس **ق**
عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال جا رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال ان اخي استطلق بطنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسقه
عسلا فسقاه ثم جاه فقال اني سقيته عسلا فلم يزده الا استطلاقا
فقال له ثلاث مرات ثم جاه الرابعة فقال اسقه عسلا فقال لقد سقيته
فلم يزده الا استطلاقا فقال النبي صلى الله عليه وسلم صدق الله وكذب بطن
اخيك فسقاه فبري وقد اعترض بعض الملحدين ومن في قلبه مرض على هذا
الحديث فقال ان الاطبا مجمعون على ان العسل مسهل فكيف يوصف لمن به
الاسهال فنقول في الرد على هذا المعترض الملحد الجاهل بعلم الطب ان الاسهال
يحصل من انواع كثيرة منها الاسهال الحادث من التخم والهيضات وقد اجمع الاطبا
في مثل هذا على ان علاجه بان تترك الطبيعة وفعلها فان احتاجت الى معين على
الاسهال اعينت ما دامت القوة باقية فاما حبسها فضرر عندهم واستعجال
مرض فيحتمل ان يكون هذا الاسهال لهذا الشخص المذكور في الحديث اصابه
الاسهال من امتلا او هيضة فدواوه ترك اسهاله على ما هو عليه او تقويته فامره
رسول الله صلى الله عليه وسلم بشرب العسل فزاده اسهالا وزاده عسلا الى ان
فنيت المادة فوقف الاسهال ويكون الخلط الذي كان به يوافقه شرب العسل
فثبت بما ذكرناه ان امر رسول الله صلى الله عليه وسلم لهذا الرجل بشرب العسل
جار على صناعة الطب وان المعترض عليه جاهل لها ولسنا نقصد الاستظهار

لتصديق

لتصديق الحديث بقول الاطبا بل لو كذبوه لكذبناهم وكفرناهم بذلك وانما ذكرنا
هذا الجواب الجاري على صناعة الطب دفعا لهذا المعترض وانه لا يحسن صناعة
الطب التي اعترض بها والله اعلم وقوله صلى الله عليه وسلم صدق الله وكذب
بطن اخيك يحتمل انه صلى الله عليه وسلم علم بنور الوحي الالهي ان العسل الذي امره
بشربه سيظهر نفعه بعد ذلك فلما لم يظهر نفعه في الحال عندهم قال صدق الله
يعني فيما وعد به من ان فيه شفا وكذب بطن اخيك يعني باستعجالكم الشفا
في اول مرة والله اعلم بمراده ومراد رسوله صلى الله عليه وسلم فان قيل كيف
يكون شفا للناس وهو يضر باصحاب الصفرا ويهيج الحرارة ويضر الشبان
المحرورين ويعطش قلنا في الجواب عن هذا الاعتراض ايضا ان قوله فيه شفا
للناس خرج مخرج الاغلب وانه في الاغلب فيه شفا للناس ولم يقل انه شفا لكل
الناس ولكل دا لكنه في الجملة دوا وان نفعه اكثر من مضرته وقل معجون من
المعاجين الا وتمامه به والاشربة المتخذة من العسل نافعة لاصحاب البلغم
والشيوخ المبرودين ومنافعه كثيرة جدا والقول الثاني انه شفا للاوجاع
التي شفاوها فيه وهو قول السدي وقال مجاهد في قوله فيه شفا للناس
يعني القران لانه شفا من امراض الشرك والجهالة والضلالة وهو هدى ورحمة
للناس والقول الاول اصح لان الضمير يجب ان يعود الى اقرب المذكورات
واقربها قوله يخرج من بطونها شراب وهو العسل فهو اولى ان يرجع الضمير
اليه لانه اقرب مذكور وقوله تعالى **ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون** يعني
فيعتبرون ويستدلون بما ذكرنا على وحدانيتنا وقدرتنا قوله عز وجل
والله خلقكم يعني والله اوجدكم من العدم واخرجكم الى الوجود ولم تكونوا
شيئا **ثم يتوفاكم** يعني عند انقضا اجالكم اما صبيانا واما شبانا واما كهولا
ومنكم من يرد الى ارذل العمر يعني الى ارداه واضعفه وهو الهرم قال بعض العلما
عمر الانسان له اربع مراتب اولها من النشو والنما وهو من اول العمر الى بلوغ
ثلاث وثلاثين سنة وهو غاية سن الشباب وبلوغ الاشد ثم المرتبة الثانية
من الوقوف وهو من ثلاث وثلاثين سنة الى اربعين سنة وهو غاية القوة
وكمال العقل ثم المرتبة الثالثة سن الكهولة وهو من الاربعين الى الستين سنة
وهذه المرتبة يشرع الانسان في النقص لكنه يكون نقصا خفيا لا يظهر ثم
المرتبة الرابعة سن الشيخوخة والانحطاط من الستين الى اخر العمر وفيه
يتبين النقص ويكون الهرم والخرف قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه ارذل
العمر خمس وسبعون سنة وقيل ثمانون سنة وقال قتادة تسعون سنة
ق عن انس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اني اعوذ بك من
العجز والكسل والجبن والهرم والبخل واعوذ بك من عذاب القبر واعوذ بك
من فتنة المحيا والممات وفي رواية اخرى عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

يدعو بهؤلا الدعوات اللهم اني اعوذ بك من البخل والكسل وارذل العمر وعذاب القبر وفتنة المحيا والممات وقوله تعالى **لكيلا يعلم بعد علم شيئا** يعني اذا الانسان يرجع الى حالة الطفولية بنسيان ما كان علم بسبب الكبر قال ابن عباس رضي الله عنهما لكي يصير كالصبي الذي لا عقل له وقال ابن قتيبة معناه حتى لا يعلم بعد علمه بالامور شيئا لشدة هرمه وقال الزجاج المعنى وان منكم من يكبر حتى يذهب عقله خرفا فيصير بعد ان كان عالما جاهلا ليريكم من قدرته انه كما قدر على اماتته واحيائه انه قادر على نقله من العلم الى الجهل هكذا وجدته منقولا عنه ولو قال ليريكم من قدرته انه كما قدر على نقله من العلم الى الجهل انه قادر على احيائه بعد اماتته فيكون ذلك دليلا على صحة البعث بعد الموت كان اجود قال ابن عباس رضي الله عنهما ليس هذا في المسلمين المسلم لا يزداد في طول العمر والبقاء الا كرامة عند الله وعقلا ومعرفة قال عكرمة رضي الله عنه من قرا القران لم يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيئا وقال في قوله الا الذين امنوا وعملوا الصالحات هم الذين قروا القران وقال ابن عباس في قوله تعالى ثم رددناه اسفل سافلين يريد ثم استثنى المومنين فقال الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وقوله **ان الله عليم** بما صنع باوليائه واعدائه **قدير** يعني على ما يريد قوله تعالى **والله فضل بعضهم على بعض في الرزق** يعني ان الله تعالى بسط على واحد[2] يعني من العبيد حتى يستووا فيه هم وعبيدهم لقول الله تعالى هم لا يرضون ان يكونوا هم ومماليكهم فيما رزقهم سوا وقد جعلوا عبيدي شركاي في ملكي وسلطاني يلزم بهذا الحجة على المشركين بحيث جعلوا الاصنام شركاء لله قال قتادة هذا مثل ضربه الله عز وجل يقول هل احد يرضى ان يشركه مملوكه في جميع ما له فكيف تعدلون بالله خلقه وعباده وقيل في معنى الاية ان الموالي والمماليك الله رازقهم جميعا **فهم فيه** يعني في رزقه **سوا** فلا تحسبن الموالي انهم يردون رزقهم على مماليكهم من عند انفسهم بل ذلك رزق الله اجراه على ايدي الموالي للمماليك والمقصود منه بيان ان الرازق هو الله تعالى لجميع خلقه وان الموالي والمماليك في ذلك الرزق سوا وان المالك لا يرزق المملوك بل الرازق للمماليك والمالك هو الله تعالى وقوله **افبنعمة الله يجحدون** فيه انكار على المشركين بحيث جحدوا نعمته وعبدوا غيره قوله عز وجل **والله جعل لكم من انفسكم ازواجا** يعني النسا لخلق من ادم حوا زوجته وقيل جعل لكم من جنسكم ازواجا لانه خطاب عام يعم الكل فتخصيصه ادم وحوا خلاف الدليل **وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة** جمع حافد وهو المسرع في الخدمة المسارع الى الطاعة ومنه قوله في الدعا واليك نسعى ونحفد اي نسرع الى طاعتك هذا اصله في اللغة ثم اختلف اقوال المفسرين فيهم فقال ابن مسعود والنخعي الحفدة اختان الرجل على بناته وعن ابن مسعود انهم اصهاره فهو بمعنى الاول فعلى هذا القول يكون معنى الاية وجعل لكم من ازواجكم بنات تزوجونهم فيحصل لكم بسببهم

[2] ... وضيق على واحد ووسع على واحد وكثر لواحد وقلل على الآخر وجعل بعضهم فضل بعضهم على البعض في الرزق كذلك فضل بعضهم على بعض في الخَلق والخُلق والعقل والصحة والسقم والحسن والقبح والعلم والجهل والغنى والفقر ... في ذلك كله بما اقتضت حكمته ... والقدرة الربانية فما الذين فضلوا برادّي رزقهم على ما ملكت ايمانهم

الاختنان والاصهار وقال الحسن وعكرمة والضحاك هم الخدم وقال مجاهد هم الاعوان وكل ما اعانك فقد حفدك وقال عطا هم ولد الرجل الذين يعينونه ويخدمونه وقيل هم اهل المهنة الذين يمتهنون ويخدمون من الاولاد وقال الكلبي ومقاتل البنين هم الصغار والحفدة كبار الاولاد الذين يعينون الرجل على عمله وقال ابن عباس رضي الله عنهما هم ولد الولد وفي رواية اخرى عنه انهم بنوا امراة الرجل الذين ليسوا منه وكل هذه الاقوال متقاربة لان اللفظ يحتمل الكل بحسب المعنى المشترك وبالجملة فان الحفدة هم غير البنين لان الله تعالى قال بنين وحفدة والعطف بينهم مغايرة **ورزقكم من الطيبات** يعني النعم التي انعم بها عليكم من انواع الثمار والحبوب والحيوان والاشربة المستطابة الحلال من ذلك كله **افبالباطل يومنون** يعني بالاصنام وقيل بالشيطان يومنون فقيل معناه يصدقون ان لي شريكا وصاحبة وولدا وهذا استفهام انكار اي ليس لهم ذلك **وبنعمة الله هم يكفرون** يعني انهم يضيفون ما انعم الله به عليهم الى غيره وقيل معناه انهم يجحدون ما احل الله لهم **ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض** يعني ان الاصنام التي لا تقدر على انزال المطر الذي في السموات خزاينه ولا يقدرون على اخراج النبات التي في الارض معدنه **شيئا** يعني لا يملك من الرزق شيئا يعني قليلا ولا كثيرا وقيل معناه يعبدون من لا يرزق شيئا **ولا يستطيعون** يعني ولا يقدرون على شيء بذكر عجز الاصنام عن ايصال نفع او دفع ضر **فلا تضربوا لله الامثال** يعني لا تشبهون الله بخلقه وانه واحد لا مثل له ولا شبيه له ولا شريك من خلقه لان الخلق كلهم عبيده وفي ملكه فكيف يشبه الخالق بالمخلوق او الرازق بالمرزوق او القادر بالعاجز **ان الله يعلم** يعني خطا ما انتم عليه من ضرب الامثال له **وانتم لا تعلمون** ذلك وقيل معناه وانتم لا تعلمون خطا ما تضربون له من الامثال قوله تعالى **ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا** لما نهاهم الله تعالى عن ضرب الامثال لقلة علمهم فضرب هو لنفسه مثلا فقال تعالى مثلكم في اشراككم بالله الاوثان كمثل من سوى بين عبد مملوك عاجز عن التصرف وبين حر كريم مالك قادر قد رزقه الله مالا فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف شا فصريح العقل يشهد بانه لا يجوز التسوية بينهما في التعظيم والاجلال فلما لم يجز التسوية بينهما مع استوائهما في الخلقة والصورة والبشرية فكيف يجوز للعاقل ان يسوي بين الله عز وجل الخالق القادر على الرزق والافضال وبين الاصنام التي لا تملك ولا تقدر على شيء البتة وقيل هذا مثل ضربه الله للمومن والكافر فالمراد بالعبد المملوك الذي لا يقدر على شيء هو الكافر لانه لما كان محروما من عبادة الله وطاعته صار كالعبد الذليل الفقير العاجز الذي لا يقدر على شيء وقيل ان الكافر لما رزقه الله مالا فلم يقدم فيه خيرا صار كالعبد الذي لا يملك شيئا والمراد بقوله ومن رزقناه منا رزقا حسنا المومن لانه لما اشتغل بطاعة

الله وعبوديته والانفاق في وجوه البر والخير فصار كالحر المالك الذي ينفق سرا
وجهرا في طاعة الله وابتغاء مرضاته وهو قوله **فهو ينفق منه سرا وجهرا** فاثابه
الجنة على ذلك فان قلت لم قال عبدا مملوكا لا يقدر على شي وكل عبد فهو مملوك
وهو غير قادر على التصرف قلت انما قال عبدا مملوكا لا يقدر على شي وكل عبد
فهو مملوك لما ذكر المملوك فالتمييز من الحر لان اسم العبد يقع عليهما جميعا لانهما
من عباد الله تعالى واما قوله لا يقدر على شي لاحترزيه عن المملوك المكاتب والماذون
له في التصرف لانهما يقدران على التصرف واحتج الفقهاء بهذه الاية على ان العبد
لا يملك شيئا **هل يستوون** ولم يقل هل يستويان يعني هل يستوون الاحرار
والعبيد والمعنى كما لا يستوي هذا الفقير البخيل والغني السخي كذا لا يستوي
الكافر والمومن والعاصي والطايع قال عطا في قوله عبدا مملوكا هو ابو جهل
ابن هشام ومن رزقناه منا رزقا حسنا هو ابو بكر الصديق رضي الله عنه
ثم قال **الحمد لله** حمد الله نفسه لانه المستحق لجميع المحامد لانه المنعم
المتفضل على عباده وهو الخالق الرازق لان هذه الاصنام التي عبدتموها لا
فانها لا تستحق الحمد لانها جماد عاجزة لا يد لها على احد ولا معروف فتحمد
انما الحمد الكامل لله لا لغيره فيجب على جميع العباد حمد الله تعالى لانه اهل الحمد
والثنا الحسن **بل اكثرهم** يعني الكفار **لا يعلمون** يعني ان الحمد لله لا لهولا
الاصنام **وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم** وهو الذي ولد اخرس فكل ابكم
اخرس وليس كل اخرس ابكم والابكم الذي لا يفهم ولا يفهم **لا يقدر على شي** وهو
اشارة الى العجز التام والنقصان الكامل **وهو كل على مولاه** اي ثقيل
على من يلي امره ويعوله وقيل اصله من الغلظ وهو نقيض الحدة وقال كل السكين
اذا غلظت شفرته وكل اللسان اذا غلظ فلم يقدر على النطق وكل فلان عن الامر
اذا غلظ عليه فلم ينبعث فقوله وهو كل على مولاه اي غليظ ثقيل **اينما يوجهه**
يعني حيث ما يرسله ويصرفه في طلب حاجة او كفاية مهم **لا يات بخير** يعني
لا ياتي بنجح لانه اخرس عاجز لا يحسن ولا يفهم **هل يستوي هو** يعني صاحب
هذه الصفات المذمومة **ومن يامر بالعدل** يعني ومن هو سليم الحواس نفاع
ذو كفايات وهو ذو رشد وديانة يامر بالعدل والخير **وهو** يعني في نفسه
على صراط مستقيم يعني على سيرة صالحة ودين قويم فيجب ان يكون الامر
بالعدل عالما قادرا مستقيما في نفسه حتى يتمكن من الامر بالعدل وهو مثل
ثان ضربه الله تعالى لنفسه ولما يفيض على عباده من نعامه ويشملهم به
من اثار رحمته والطافه وللاصنام التي هي اموات جماد لا تضر ولا تنفع ولا
تسمع ولا تنطق ولا تعقل وهي كل على عابديها لانها تحتاج الى الكلفة والنقل والخدمة
وقيل هذا المثل للمومن والكافر فالمومن هو الذي يامر بالعدل وهو على
صراط مستقيم والكافر هو الابكم الثقيل الذي لا يامر بخير فعلى هذا القول

الاية على العموم في كل مومن وكافر وقيل هي على الخصوص فالذي يامر بالعدل هو
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على صراط مستقيم والذي هو ابكم هو ابو جهل
وقيل الذي يامر بالعدل عثمان بن عفان رضي الله عنه وكان له مولى يامره بالاسلام
وذلك ان المولى يامر عثمان بالامساك على الانفاق في سبيل الله فهو الذي لا ياتي بخير
وقيل المراد بالابكم الذي لا ياتي بخير ابي بن خلف وبالذي يامر بالعدل حمزة وعثمان
ابن عفان وعثمان بن مظعون **ولله غيب السموات والارض** اخبر الله عز وجل في الاية
عن كمال علمه وانه عالم بجميع الغيوب فلا يخفى عليه شي منها وقيل الغيب هنا علم الساعة
وقيامها وهو قوله **وما امر الساعة** يعني في قيامها والساعة هي الوقت الذي
يقوم فيه الناس لموقف الحساب **الا كلمح البصر** يعني في السرعة ولمح البصر هو انطباق
جفن العين وفتحه وهو طرف العين ايضا **او هو اقرب** اي يعني ان لمح البصر يحتاج
الى زمان وحركة والله تعالى اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون في اسرع من لمح
البصر وهو قوله **ان الله على كل شي قدير** فيه دليل على كمال قدرته وانه
تعالى مهما اراده كان اسرع ما يكون قال الزجاج ليس المراد ان الساعة تاتي
في اقرب من لمح البصر ولكنه تعالى وصف سرعة القدرة على الاتيان بها متى شا
لا يعجزه شي قوله عز وجل **والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا** تم الكلام
هنا لان الانسان خلق في اول الفطرة ومبدا امره خاليا عن العلم والمعرفة لا يهتدي
سبيلا ثم ابتدا فقال تعالى **وجعل لكم السمع والابصار** يعني ان الله تعالى انما اعطاكم
هذه الحواس لتنتقلوا بها من الجهل الى العلم فجعل لكم السمع لتسمعوا به نصوص الكتاب
والسنة وبها الدلايل السمعية لتستدلوا بها على ما يصلحكم في امر دينكم وجعل لكم
الابصار لتبصروا بها عجايب مصنوعات الله تعالى وغرايب مخلوقاته فتستدلوا
بها على وحدانيته **وجعل لكم الافيدة** لتعقلوا بها وتفهموا بها معاني الاشيا
التي جعلها دلايل وحدانيته وقال ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الاية يريد
لتسمعوا مواعظ الله وتبصروا ما انعم الله به عليكم من اخراجكم من بطون امهاتكم
الى ان صرتم رجالا وتعقلوا عظمة الله وقيل في معنى الاية والله خلقكم في بطون
امهاتكم وسواكم وصوركم ثم اخرجكم من الضيق الى السعة وجعل لكم الحواس الات
لازالة الجهل الذي ولدتم عليه واجتلاب العلم والعمل به من شكر المنعم بها وعبادته
والقيام بحقوقه والترقي الى ما يسعدكم به في الاخرة فان قلت ظاهر الاية
يدل على ان جعل هذه الحواس الثلاث بعد الاخراج من البطون وانما خلقت هذه
الحواس للانسان في جملة خلقه وهو في بطن امه قلت ذكر العلما فيه ان تقديم
الاخراج وتاخيره ذكر هذه الحواس لا يدل على ان خلقها كان بعد الاخراج لان الواو
لا توجب الترتيب ولان العرب تقدم وتوخر في بعض كلامها واقول لما كان الانتفاع
بهذه الحواس بعد الخروج من البطن فكانما خلقت من البطن في ذلك الوقت الذي
ينتفع بها فيه وان كان قد خلقت قبل ذلك وقوله تعالى **لعلكم تشكرون** يعني

انما انعم الله عليكم بهذه الحواس لتستعملوها في شكر من انعم بها عليكم **ألم يروا**
إلى الطير مسخرات يعني مذللات **في جو السماء** الجو الفضاء الواسع بين السماء والارض
وهو الهواء قال كعب الاحبار ان الطير ترتفع في الجو اثني عشر ميلا ولا ترتفع فوق
ذلك **ما يمسكهن إلا الله** يعني في حال قبض اجنحتها وبسطها واصطفافها في الهواء
مما يحث على الاستدلال لانها تدل على ان لها مسخرا سخرها ومذللا ذللها وممسكا امسكها
في حال طيرانها ووقوفها في الهواء وهو الله تعالى وهو قوله **إن في ذلك لآيات**
لقوم يؤمنون انما خص المؤمنين بالذكر لانهم هم الذين يعتبرون بالآيات
ويتفكرون فيها وينتفعون بها دون غيرهم قوله تعالى **والله جعل لكم من بيوتكم سكنا**
يعني التي هي من الحجر والمدر سكنا يعني مسكنا تسكنونه والسكن ما سكنت
اليه وفيه من الف وبيت **وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا** يعني الخيام
والقباب والاخبية والفساطيط المتخذة من الادم والانطاع واعلم ان
المساكن على قسمين احدهما ما لا يمكن نقله من مكان الى مكان آخر وهي البيوت
من الحجارة والخشب ونحوهما والقسم الثاني ما يمكن نقله من مكان الى مكان آخر
وهي الخيام والفساطيط المتخذة من جلود الانعام واليه الاشارة بقوله
تستخفونها يعني يخف عليكم حملها **يوم ظعنكم** يعني في يوم سيركم ورحيلكم
في اسفاركم والظعن بالبادية هو طلب الماء والمرعى ونحو ذلك **ويوم إقامتكم** يعني
ويخف عليكم ايضا في اقامتكم وحضركم والمعنى لا تثقل عليكم في الحالتين **ومن**
أصوافها وأوبارها وأشعارها الكناية عائدة الى النعم يعني ومن اصواف الضان
واوبار الابل واشعار المعز **أثاثا** يعني تتخذون اثاثا الاثاث متاع البيت
الكبير واصله من اث اي كثر وتكاثف وقيل للمال اثاث اذا كثر قال ابن عباس
رضي الله عنهما اثاثا يعني مالا وقال مجاهد متاعا وقال القتيبي الاثاث المال
اجمع من الابل والغنم والعبيد والمتاع وقال غيره الاثاث متاع البيت من
الفرش والاكسية ونحو ذلك **ومتاعا** يعني وبلاغا وهو ما يتمتعون به **إلى حين**
يعني الى حين يبلى ذلك الاثاث وقيل الى حين الموت فان قلت اي فرق بين الاثاث
والمتاع حتى ذكرهما والعطف يوجب المغايرة فهل من فرق قلت
الاثاث ما كثر من آلات البيت وحوائجه وغير ذلك فيدخل فيه جميع اصناف
المال والمتاع ما ينتفع به في البيت خاصة فظهر الفرق بين اللفظين والله اعلم
قوله تعالى **والله جعل لكم مما خلق ظلالا** يعني جعل لكم ما تستظلون به من
شدة الحر والبرد وهي ظلال الابنية والجدران والاشجار **وجعل لكم من الجبال**
أكنانا جمع كن وهو ما يستكن من شدة الحر والبرد كالاسراب والغيران
ونحوها وذلك ان الانسان اما ان يكون غنيا او فقيرا فاذا سافر احتاج في
سفره الى ما يقيه من شدة الحر والبرد فاما الغني فيستصحب معه الخيام في
سفره ليسكن فيها واليه الاشارة بقوله وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا

واما

واما الفقير فيسكن في ظلال الشجر والحيطان والكهوف ونحوها واليه الاشارة
بقوله والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال اكنانا ولان بلاد العرب شديدة
الحرارة وحاجتهم الى الظلال وما يدفع شدته وقوته اكثر فلهذا السبب ذكر الله
هذه المعاني في معرض الامتنان عليهم بها لان النعمة عليهم فيها ظاهرة **وجعل لكم**
سرابيل تقيكم الحر يعني وجعل لكم قمصا وثيابا من القطن والكتان والصوف
وغير ذلك تمنعكم من شدة الحر قال اهل المعاني والبرد فاكتفى بذكر احدهما لدلالة
الكلام عليه **وسرابيل تقيكم بأسكم** يعني الدروع والجواشن وسائر ما يلبس في الحرب
ليمنع من السلاح والباس الحرب يعني تقيكم في باسكم السلاح ان يصيبكم السلاح قال
عطاء الخراساني انما نزل القرآن على قدر معرفتهم فقال تعالى وجعل لكم من الجبال اكنانا
وما جعل لهم من السهول اعظم واكثر ولكنهم كانوا اصحاب جبال كما قال ومن اصوافها
واوبارها واشعارها اثاثا وما جعل لهم من القطن والكتان اكثر ولكن كانوا اصحاب
صوف ووبر وشعر وكما قال وينزل من السماء من جبال فيها من برد وما انزل الله من
الثلج اكثر ولكنهم كانوا لا يعرفون الثلج وقال تقيكم الحر وما جعل لكم مما يقي من البرد
اكثر ولكنهم كانوا اصحاب حر وقوله تعالى **كذلك** يعني كما انعم عليكم بهذه النعم **يتم**
نعمته عليكم يعني من نعم الدنيا والدين **لعلكم تسلمون** يعني لعلكم يا اهل مكة
تخلصون لله الوحدانية والربوبية والعبادة والطاعة وتعلموا انه لا يقدر
على هذه الانعامات الا الله تعالى **فإن تولوا** يعني فان اعرضوا عن الايمان بك وتصديقك
يا محمد واثروا ما هم فيه من الكفر واللذات الدنيوية وانما وبال ذلك عليهم لا عليك
فإنما عليك البلاغ المبين يعني ليس عليك في ذلك عتب ولا سمة تقصير انما عليك
البلاغ وقد فعلت ذلك ثم ذمهم الله بقوله **يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها** قال
السدي نعمة الله يعني محمدا صلى الله عليه وسلم انكروه وكذبوه وقيل نعمة الله هي الاسلام
وهو من اعظم النعم التي انعم الله بها على عباده ثم ان كفار مكة انكروه وجحدوه وقال
مجاهد وقتادة نعمة الله ما عدد عليهم في هذه السورة من النعم يقرون بانها من الله
ثم اذا قيل لهم تصدقوا وامتثلوا امر الله فيها ينكرونها ويقولون ورثناها عن آبائنا
وقال الكلبي هو انه لما ذكر هذه النعم قالوا هذه نعم كلها من الله لكنها بشفاعة آلهتنا
وقيل هو قول الرجل لولا فلان لكان كذا ولولا فلان لما كان كذا وقيل انهم يعرفون
بان الله انعم بهذه النعم ولكنهم يستعملونها في طلب رضوانه ولا يشكرونها **وأكثرهم**
الكافرون انما قال تعالى واكثرهم الكافرون مع انهم كلهم كانوا كافرين لانه كان فيهم
من لم يبلغ بعد حد التكليف فعبر بالاكثر عن البالغين وقيل اراد بالاكثر الكفار
الجاحدين المعاندين وقد كان فيهم من ليس بمعاند وان كان كافرا وقيل انه عبر
بالاكثر عن الكل لانه قد يذكر الاكثر ويراد به الجميع قوله عز وجل **ويوم نبعث من**
كل أمة شهيدا لما ذكر الله تعالى انعامه على الكفار وانكارهم لها وذكر ان اكثرهم
كافرون اتبعه بذكر الوعيد لهم في الآخرة فقال تعالى ويوم نبعث من كل امة شهيدا

يعني رسولا وذلك اليوم هو يوم القيامة والمراد به ان الشهداء هم الانبياء يشهدون
على اممهم يوم القيامة بانكارهم نعم الله عليهم وبالكفر **ثم لا يؤذن للذين كفروا**
يعني في الاعتذار وقيل لا يؤذن لهم في الكلام اصلا وقيل لا يؤذن لهم بالرجوع الى
دار الدنيا حتى يعتذرون ويتوبون وقيل لا يؤذن لهم في معارضة الشهود بل
يشهدون عليهم ويقررونهم بذلك **ولا هم يستعتبون** الاستعتاب طلب العتاب
والمعتبة هي المغاضبة والموجدة التي يجدها الانسان في نفسه على غيره والرجل
انما يطلب العتاب من خصمه ليزيل ما في نفسه عليه من الموجدة والغضب ويرجع الى
الرضى عنه واذا لم يطلب العتاب منه دل ذلك انه ثابت على غضبه عليه ومعنى الاية
انهم لا يكلفون ان يرضوا ربهم في ذلك اليوم لان الاخرة ليست دار تكليف ولا يرجعون
الى الدنيا فيتوبوا ويرجعوا ويرضوا ربهم والاستعتاب التعرض لطلب الرضا وهذا باب
منسد على الكفار في الاخرة **واذا رأى الذين ظلموا** يعني ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي
العذاب يعني عذاب جهنم **فلا يخفف عنهم** يعني العذاب **ولا هم ينظرون** يعني لا يؤخرون
ولا يمهلون **واذا رأى الذين اشركوا** يعني يوم القيامة **شركاءهم** يعني اصنامهم التي
التي كانوا يعبدونها في الدنيا **قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك**
يعني اربابا وكنا نعبدهم ونتخذهم الهة **فالقوا** يعني الاصنام اليهم يعني الى عابديها
القول انكم لكاذبون يعني ان الاصنام قالوا للكفار انكم لكاذبون يعني في تسميتها
الهة وما دعوناكم الى عبادتها فان قلت الاصنام جماد لا تتكلم فكيف يصح منها
الكلام قلت لا يبعد ان الله تعالى لما بعثها واعادها في الاخرة خلق فيها الحياة
والنطق والعقل حتى قالوا ذلك والمقصود من اعادتها وبعثها حتى تكذب الكفار
ويراها الكفار وهي في غاية الذلة والحقارة فيزدادون بذلك غما وحسرة **والقوا**
يعني المشركين **الى الله يومئذ السلم** يعني انهم استسلموا له وانقادوا لحكمه
فيهم فلم تغن عنهم آلهتهم شيئا **وضل عنهم** يعني وزال عن المشركين **ما كانوا يفترون**
يعني ما كانوا يكذبون في الدنيا في قولهم ان الاصنام تشفع لهم **الذين كفروا**
وصدوا عن سبيل الله يعني انهم ضموا مع كفرهم انهم منعوا الناس عن الدخول في
الايمان بالله ورسوله **زدناهم عذابا فوق العذاب** يعني زدناهم هذه الزيادة
بسبب صدهم عن سبيل الله مع ما يستحقونه من العذاب على كفرهم الاصلي
واختلفوا في هذه الزيادة ما هي فقال عبد الله بن مسعود عقارب لها انياب كامثال
النخل الطوال وقال سعيد بن جبير حيات كالبخت وعقارب كامثال البغال تلسع
احداهن اللسعة فيجد صاحبها المها اربعين خريفا قال ابن عباس ومقاتل يعني خمسة
انهار من صفر مذاب كالنار تسيل من تحت العرش يعذبون بها ثلاثة على مقدار الليل
واثنان على مقدار النهار وقيل انهم يخرجون من حر النار الى برد الزمهرير فيبادرون
من شدة الزمهرير الى النار مستغيثين بها وقيل يضاعف لهم العذاب ضعفا بسبب
كفرهم وضعفا بسبب صدهم الناس عن سبيل الله **بما كانوا يفسدون** يعني ان

الزيادة

الزيادة انما حصلت لهم بسبب صدهم عن سبيل الله وبسبب ما كانوا يفسدون
مع ما يستحقونه من العذاب على الكفر **ويوم نبعث في كل امة شهيدا عليهم**
قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد الانبياء قال المفسرون كل نبي شاهد على امته
وهو اعدل شاهد عليهم **من انفسهم** يعني منهم لان كل نبي انما بعث من قومه الذي
بعث اليهم ليشهدوا عليهم بما فعلوه من كفر وايمان وطاعة وعصيان **وجئنا**
بك يعني يا محمد **شهيدا على هؤلاء** يعني على قومك وامتك وتم الكلام هنا ثم قال
تعالى **ونزلنا عليك** يعني على قومك القرآن **الكتاب تبيانا لكل شيء** تبيانا اسم
من البيان قال مجاهد يعني مما امر به ومما نهى عنه وقال اهل المعاني تبيانا لكل شيء
يعني من امور الدين اما بالنص او بالاحالة على ما يوجب العلم من بيان النبي صلى الله
عليه وسلم لان النبي صلى الله عليه وسلم بين ما في القرآن من الحدود والاحكام
والحلال والحرام وجميع المامورات والمنهيات او اجماع الامة فهو ايضا اصل
ومفتاح لعلوم الدين **وهدى** يعني من الضلالة **ورحمة** يعني لمن امن به
وصدقه **وبشرى للمسلمين** يعني وفيه بشرى للمسلمين من الله عز وجل قوله
تعالى **ان الله يامر بالعدل والاحسان** قال ابن عباس العدل شهادة ان لا اله
الا الله والاحسان اداء الفرائض وفي رواية عنه قال العدل خلع الانداد والاحسان
ان تعبد الله كانك تراه وان تحب للناس ما تحب لنفسك ان كان مؤمنا تحب ان يزداد
ايمانا وان كان كافرا تحب ان يكون اخاك في الاسلام وقال في رواية اخرى عنه
العدل التوحيد والاحسان الاخلاص واصل العدل في اللغة المساواة في كل شيء
من غير زيادة في شيء ولا غلو فيه ولا نقصان فيه ولا تقصير والعدل هو المساواة
في المكافاة ان خيرا فخير وان شرا فشر والاحسان ان تقابل الخير باكثر منه والشر
بان تعفو عنه وقيل العدل الانصاف ولا انصاف اعظم من الاعتراف للمنعم بانعامه
والاحسان ان تحسن الى من اساء عليك وقيل يعني بالعدل في الافعال وبالاحسان
في الاقوال فلا تفعل الا ما هو عدل ولا تقول الا ما هو حسن **وايتاء ذي القربى**
يعني ويامر بصلة الرحم وهم القرابة الادنى والابعد منك فيستحب ان تصلهم
من فضل ما رزقك الله فان لم يكن لك فضل فدعاء حسن وتودد **وينهى عن الفحشاء**
قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني الزنا وقال غيره الفحشاء ما قبح من القول والعمل
فيدخل فيه الزنا وغيره من جميع الاقوال والافعال المذمومة **والمنكر** قال
ابن عباس يعني الشرك والكفر وقال غيره المنكر ما لا يعرف في شريعة ولا سنة **والبغي**
يعني الكبر والظلم والعدوان وقيل البغي هو التطاول على الغير على سبيل الظلم
والعدوان قال بعضهم ان اعجل المعاصي البغي ولو ان جبلين بغى احدهما على الاخر لدك
الباغي قال ابن عيينة في هذه الاية العدل استواء السر والعلانية والاحسان
ان تكون سريرته احسن من علانيته والفحشاء والمنكر والبغي ان تكون علانيته
احسن من سريرته وقال بعضهم ان الله تعالى ذكر من المامورات ثلاثة اشياء ومن

المنهيات ثلاثة أشياء فذكر العدل وهو الإنصاف والمساواة في الأقوال والأفعال وذكر في مقابلته الفحشاء وهي ما قبح من الأقوال والأفعال وذكر الإحسان وهو أن تعفو عمن ظلمك وتحسن إلى من أساء إليك وذكر في مقابلته المنكر وهو أن تنكر إحسان من أحسن إليك وذكر إيتاء ذي القربى والمراد به صلة القرابة والتودد إليهم والشفقة عليهم وذكر في مقابلته البغي وهو أن تتكبر عليهم أو تظلمهم حقوقهم ثم قال تعالى **يعظكم لعلكم تذكرون** يعني إنما أمركم بما أمركم به ونهاكم عما نهاكم عنه لكي تتعظوا وتتذكروا فتعملوا بما فيه رضى الله تعالى قال ابن مسعود إن أجمع آية في القرآن لخير وشر هذه الآية قال أهل المعاني لما قال الله تعالى في الآية الأولى ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء بين في هذه الآية المأمور به والمنهي عنه على سبيل الإجمال فما من شيء يحتاج إليه الناس في أمر دينهم مما يجب أن يؤتى أو يترك إلا وقد اشتملت عليه هذه الآية وروى عكرمة أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ على الوليد بن المغيرة إن الله يأمر بالعدل والإحسان إلى آخر الآية فقال له يا ابن أخي أعد علي فأعادها عليه فقال له الوليد والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وما هو بقول البشر قوله عز وجل **وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم** لما ذكر الله تعالى في الآية المتقدمة المأمورات والمنهيات على سبيل الإجمال ذكر في هذه الآية بعض ذلك الإجمال على التفصيل فبدأ بالأمر بالوفاء بالعهد لأنه أوكد الحقوق فقال أوفوا بعهد الله إذا عاهدتم نزلت في الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام فأمرهم بالوفاء بهذه البيعة وقيل المراد منه كل ما يلتزمه الإنسان باختياره ويدخل فيه الوعد أيضا لأن الوعد من العهد وقيل العهد هاهنا وقال القتيبي العهد يمين وكفارته كفارة يمين فعلى هذا يجب الوفاء به إذا كان فيه صلاح أما إذا لم يكن فيه صلاح فلا يجب الوفاء به لقوله عليه الصلاة والسلام من حلف على يمين ثم رأى غيرها خيرا منها فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه فيكون قوله وأوفوا بعهد الله من العام الذي خصصته السنة وقال مجاهد وقتادة نزلت في حلف أهل الجاهلية ويشهد لهذا التأويل قوله صلى الله عليه وسلم كل حلف كان في الجاهلية لم يزده الإسلام إلا شدة **ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها** يعني بعد تشديدها فتحنثوا وفيه دليل على أن المراد بالعهد غير اليمين لأنه أعم منه **وقد جعلتم الله عليكم كفيلا** يعني شهيدا بالوفاء بالعهد **إن الله يعلم ما تفعلون** يعني من وفاء العهد ونقضه ثم ضرب الله لنقض العهد مثلا فقال تعالى **ولا تكونوا** يعني في نقض العهد **كالتي نقضت غزلها من بعد قوة** يعني من بعد إبرامه وإحكامه قال الكلبي ومقاتل هذه امرأة من قريش يقال لها ريطة بنت عمرو بن سعد بن كعب بن زيد مناة بن تميم وكانت خرقاء

حمقا

حمقاء بها وسوسة وكانت قد اتخذت مغزلا قدر ذراع وصنارة مثل إصبع وفلكة عظيمة على قدرها وكانت تغزل الغزل من الصوف والوبر والشعر وتأمر جواريها بالغزل فكن يغزلن من الغداة إلى نصف النهار فإذا انتصف النهار أمرتهن بنقض جميع ما غزلن فكان هذا دأبها والمعنى أن هذه المرأة لم تكف عن العمل ولا حين عملت كفت عن النقض فكذلك أنتم إذا نقضتم العهد لا تركه ولا حين عاهدتم وفيتم به **أنكاثا** جمع نكث وهو ما ينقض من الغزل والحبل بعد الفتل **تتخذون أيمانكم دخلا بينكم** يعني دخلا وخيانة وخديعة والدخل ما يدخل في الشيء على سبيل الفساد وقيل الدخل والدغل أن يظهر الرجل الوفاء بالعهد ويبطن نقضه **أن تكون أمة** يعني لأن تكون **هي أربى من أمة** يعني أكثر وأعلى من أمة قال مجاهد وذلك أنهم كانوا يحالفون الحلفاء فإذا جاءوا قوما أكثر من أولئك وأعز حلفوا هؤلاء وحالفوا الأكثر والمعنى أنكم طلبتم العز بنقض بأن كانت أمة جماعة أكثر من جماعة فنهاهم الله عن ذلك وأمرهم بالوفاء بالعهد لمن عاهدوا وحالفوا **إنما يبلوكم الله به** يعني يختبركم بما أمركم به من الوفاء بالعهد وهو أعلم **وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون** يعني في الدنيا فيثيب الطائع المحق ويعاقب المسيء المخالف قوله عز وجل **ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة** يعني على ملة واحدة ودين واحد وهو دين الإسلام **ولكن يضل من يشاء** يعني بخذلانه إياه عدلا منه **ويهدي من يشاء** بتوفيقه إياه فضلا منه وذلك مما اقتضته الحكمة الإلهية لا يسأل عما يفعل وهم يسألون وهو قوله تعالى **ولتسألن عما كنتم تعملون** يعني في الدنيا فيجازي المحسن بإحسانه ويعاقب المسيء أو يغفر له قوله عز وجل **ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم** يعني خديعة وفسادا بينكم فتغرون بها الناس فيسكنون إلى أيمانكم ويأمنون إليكم ثم تنقضونها وإنما كرر هذا النهي تأكيدا عليهم وإظهارا لعظم أمر نقض العهد قال المفسرون وهذا في نهي الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإيمان به وشريعته وقوله نهاهم عن نقض عهده لأن الوعيد الذي بعده وهو قوله **فتزل قدم بعد ثبوتها** لا يليق بنقض عهد قبله إنما يليق بنقض عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإيمان به وشريعته وقوله فتزل قدم بعد ثبوتها مثل يذكر لكل من وقع في بلاء ومحنة بعد عافية ونعمة أو سقط في ورطة بعد سلامة تقول العرب لكل من وقع في بلاء بعد عافية زلت قدمه والمعنى فتزل أقدامكم عن محجة الإسلام بعد ثبوتها عليها **وتذوقوا السوء** يعني العذاب **بما صددتم عن سبيل الله** يعني بسبب صدكم غيركم عن دين الله وذلك لأن من نقض العهد فقد علم غيره نقض العهد فيكون هو أقدمه على ذلك **ولكم عذاب عظيم** يعني بنقضكم العهد **ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا** يعني ولا تنقضوا عهودكم وتطلبوا بنقضها عوضا من الدنيا قليلا ولكن أوفوا بها **إنما عند الله** يعني فإنما

عند الله من الثواب لكم على الوفا بالعهد **هو خير لكم** يعني من عاجل الدنيا
ان كنتم تعلمون يعني فضل ما بين العوضين ثم بين ذلك فقال تعالى
ما عندكم ينفد يعني من متاع الدنيا ولذاتها يعني وتذهب **وما عند الله**
باق يعني من ثواب الاخرة ونعيم الجنة **وليجزين الذين صبروا** يعني على الوفا
بالعهد في السرا والضرا **اجرهم** يعني ثواب صبرهم **باحسن ما كانوا يعملون** عن
ابي موسى الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من احب دنياه اضر باخرته ومن احب اخرته اضر بدنياه فاثروا ما يبقى على ما
يفنى وقوله تعالى **من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن** فان قلت
من عمل صالحا يفيد العموم فما فايدة الذكر والانثى قلت هو مبهم صالح
على الاطلاق للنوعين الا انه اذا ذكر واطلق كان الظاهر تناوله للذكور دون
الاناث فقيل من ذكر او انثى على التعيين ليعم الوعد للنوعين جميعا وجواب
اخر وهو ان هذه الاية واردة بالوعد بالثواب والمبالغة في تقرير الوعد من
اعظم دلايل الكرم والرحمة اثباتا للتوكيد وازالة لوهم التخصيص وقوله وهو
مؤمن جعل الايمان شرطا في كون العمل الصالح موجبا للثواب **فلنحيينه حياة**
طيبة قال سعيد بن جبير وعطا هي الرزق الحلال وقال مقاتل يعني العيش
في الطاعة وقيل هي حلاوة الطاعة وقال الحسن هي القناعة وقيل رزق يوم
بيوم واعلم ان عيش المؤمن في الدنيا وان كان فقيرا اطيب من عيش الكافر وان
كان غنيا لان المؤمن لما علم ان رزقه من عند الله وذلك بتقديره وتدبيره وعرف
الله محسن كريم متفضل لا يفعل الا الصواب فكان المؤمن راضيا عند الله وراضيا
بما قدره الله له ورزقه اياه وعرف ان له مصلحة في ذلك القدر الذي رزقه اياه
فاسترحت نفسه من الكد والحرص فطاب عيشه بذلك واما الكافر والجاهل
بهذه الاصول الحريص على طلب الرزق فيكون ابدا في حزن وتعب وعنا وحرص
وكد ولا ينال من الرزق الا ما قدر له وظهر بهذا ان عيش المؤمن القنوع
الطيب من غيره وقال السدي الحياة الطيبة انما تحصل في القبر لان المؤمن
يستريح بالموت من نكد الدنيا وتعبها وقال مجاهد وقتادة في قوله فلنحيينه
حياة طيبة هي الجنة ورواه عوف عن الحسن وقال لا تطيب لاحد الحياة
الا في الجنة لانها حياة بلا موت وغنى بلا فقر وصحة بلا سقم وملك بلا هلك
وسعادة بلا شقاوة فثبت بهذا ان الحياة الطيبة لا تكون الا في الجنة ولقوله
في سياق الاية **ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون** لان ذلك الجزا انما
يكون في الجنة قوله عز وجل **فاذا قرات القران فاستعذ بالله من الشيطان**
الرجيم الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل فيه غيره من امته لان النبي
صلى الله عليه وسلم لما كان محتاجا الى الاستعاذة وقد امر بها فغيره اولى بذلك
ولما كان الشيطان ساعيا في القا الوسوسة في قلوب بني ادم وكانت الاستعاذة

بالله مانعة من ذلك فلهذا السبب امر الله رسوله والمؤمنين بالاستعاذة
عند القراءة حتى تبقى مصونة من وسواس الشيطان عن جبير بن مطعم انه راى
رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة قال عمرو لا ادري اي صلاة هي فقال الله اكبر
كبيرا الله اكبر كبيرا ثلاثا والحمد لله كثيرا ثلاثا وسبحان الله بكرة واصيلا ثلاثا اعوذ
بالله من الشيطان الرجيم من نفخه ونفثه وهمزه قال نفخه الكبر ونفثه الشعر
وهمزه الموتة يعني الجنون اخرجه ابو داود والموتة الجنون والقاية قوله فاستعذ بالله للتعقيب
فظاهر لفظ الاية يدل على ان الاستعاذة بعد القراءة واليه ذهب جماعة من الصحابة
والتابعين رضي الله عنهم وهو قول ابي هريرة رضي الله عنه واليه ذهب مالك وجماعة
وداود الظاهري قالوا لان القاري القران يستحق ثوابا عظيما وربما حصلت الوساوس
في قلب القاري هل حصل له ذلك الثواب ام لا فاذا استعاذ بعد القراءة اندفعت
تلك الوساوس وبقي الثواب مخلصا فاما مذهب الاكثرين من الصحابة والتابعين
ومن بعدهم من الايمة وفقها الامصار فقد اتفقوا على ان الاستعاذة مقدمة
على القراءة قالوا ومعنى الاية اذا اردت ان تقرا القران فاستعذ بالله ومثله اذا
قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم ومثله من الكلام اذا اردت ان تاكل فقل بسم الله
واذا اردت ان تسافر فتاهب وايضا فان الوسوسة انما تحصل في اثنا القراءة
فتقديم الاستعاذة على القراءة لتذهب الوسوسة عنه اولى من تاخيرها عن وقت
الحاجة اليها ومذهب عطا انه تجب الاستعاذة عند قراءة القران سوا كانت في
الصلاة او في غيرها واتفق ساير الفقها على ان الاستعاذة سنة في الصلاة وغيرها
وقد تقدمت هذه المسالة والخلاف فيها في اول سورة الفاتحة والاستعاذة الاعتصام
بالله والالتجا اليه من شر الشيطان ووسوسته والمراد من الشيطان ابليس
وقيل هو اسم جنس يطلق على جميع المردة من الشياطين لان لهم قدرة على القا الوسوسة
في قلوب بني ادم باقدار الله اياهم على ذلك **انه ليس له سلطان على الذين امنوا**
وعلى ربهم يتوكلون لما امر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالاستعاذة من
الشيطان فكان ذلك اوهم ان له قدرة على التصرف في ابدان بني ادم فازال الله هذا
الوهم بقوله انه ليس له سلطان يعني ليس له قدرة ولا ولاية على الذين امنوا وعلى
ربهم يتوكلون قال سفيان ليس له سلطان على ان يحملهم على ذنب لا يغفر ونظهر
من هذا ان الاستعاذة انما تفيد اذا حضر في قلب الانسان كونه ضعيفا وانه لا
يمكنه التحفظ من وسوسة الشيطان الا بعصمة الله ولهذا قال المحققون لا حول
عن معصية الله الا بعصمة الله ولا قوة على طاعة الله الا بتوفيق الله ثم قال
تعالى **انما سلطانه على الذين يتولونه** يعني يطيعونه ويدخلون في ولايته
يقال توليته اذا اطعته وتوليت عنه اذا اعرضت عنه **والذين هم به مشركون**
يعني بالله وقيل الضمير في به راجع الى الشيطان والمعنى والذين هم في مدخله
مشركون بالله قوله تعالى **واذا بدلنا اية مكان اية والله اعلم بما ينزل** الاية

وذلك ان المشركين من اهل مكة قالوا ان محمدا يسخر باصحابه يامرهم اليوم بامر
وينهاهم عنه غدا ما هو الا مفتري يتقوله من تلقا نفسه فانزل الله هذه الاية
والمعنى واذا نسخنا حكم اية فابدلنا مكانه حكما اخر والله اعلم بما ينزل اعتراض دخل
في الكلام والمعنى والله اعلم بما ينزل من الناسخ وبما هو اصلح لخلقه وفيما يغير ويبدل
من احكامه اي هو اعلم بجميع ذلك فيما هو من مصالح عباده وهذا توبيخ وتقريع للكفار
في قولهم للنبي صلى الله عليه وسلم وهو قوله **قالوا انما انت مفتر** اي تختلقه من
عندك والمعنى اذا كان الله تعالى اعلم بما ينزل فما بالهم ينسبون محمدا صلى الله
عليه وسلم الى الافترا والكذب لاجل التبديل والنسخ وفايدة ذلك ترجع الى مصالح
العباد كما يقال ان الطبيب يامر المريض بشرب دوا ثم بعد ذلك ينهاه عنه ويامره
بغيره لما يرى فيه من المصلحة **بل اكثرهم لا يعلمون** يعني يعلمون فايدة الناسخ وتنزيل
المنسوخ **قل** اي قل لهم يا محمد **نزله روح القدس** يعني جبريل صلى الله عليه وسلم
اضيف الى القدس وهو الطهر كما يقال حاتم الجود وطلحة الخير والمعنى الروح المقدسة
المطهرة **من ربك بالحق** يعني ان جبريل نزل بالقران من ربك يا محمد **ليثبت الذين امنوا**
يعني ليثبت بالقران قلوب المومنين فيزدادوا ايمانا ويقينا **وهدى وبشرى**
يعني وهو هدى وبشرى **للمسلمين** قوله عز وجل **ولقد نعلم انهم يقولون**
انما يعلمه بشر وذلك ان كفار مكة قالوا انما يتعلم هذه القصص وهذه الاخبار
من انسان اخر وهو ادم مثله وليس هو من عند الله كما يزعم فاجابهم الله بقوله
ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر واختلفوا في ذلك البشر من هو فقال ابن
عباس رضي الله عنهما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم فتيا بمكة اسمه
بلعام وكان نصرانيا اعجمي اللسان وكان المشركون يرون رسول الله صلى الله عليه وسلم
يدخل عليه ويخرج من عنده فكانوا يقولون انما يعلمه بلعام وقال عكرمة كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقري غلاما لبني المغيرة يقال له يعيش وكان يقرا الكتب
فقالت قريش انما يعلمه يعيش وقال محمد بن اسحاق كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيما بلغني كثيرا ما يجلس عند المروة الى غلام رومي نصراني عبد لبعض بني الحضرمي
يقال له جبر وكان يقرا الكتب وقال عبيد الله بن مسلم كان لنا عبدان من اهل عين
التمر يقال لاحدهما يسار ويكنى ابا فكيهة والاخر يقال له جبر وكانا يصنعان السيوف
بمكة وكانا يقران التوراة والانجيل فربما مر بهما النبي صلى الله عليه وسلم وهما يقران
فيقف ويسمع قال الضحاك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اذاه الكفار يقعد
اليهما فيتروح بكلامهما فقال المشركون انما يتعلم محمد منهما وقال الفرا قال المشركون
انما يتعلم محمد من عايش مملوك كان لحويطب بن عبد العزى وكان قد اسلم وحسن اسلامه
وكان اعجم وقيل هو عداس غلام عتبة بن ربيعة والحاصل ان الكفار اتهموا رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقالوا انما يتعلم هذه الكلمات من غيره ثم انه يضيفها الى نفسه
ويزعم انه وحي من الله عز وجل وهو كاذب في ذلك فاجاب عنه تعالى وانزل هذه الاية

تكذيبا

تكذيبا لهم فيما رموا به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب فقال تعالى **لسان**
الذي يلحدون اليه يعني يميلون اليه ويشيرون به **اعجمي** يعني وهذا هو
اعجمي والاعجمي هو الذي لا يفصح في كلامه وان كان يسكن البادية ومنه سمي زياد
الاعجم كان في لسانه عجمة مع انه كان من العرب والعجمي منسوب الى العجم وان كان
فصيحا بالعربية والاعرابي الذي يسكن البادية والعربي الذي يسكن الامصا
من بلاد العرب وهو منسوب الى العرب فقوله **وهذا لسان عربي مبين** يعني
من الفصاحة والبلاغة ووجه الجواب هو ان الذي يشيرون اليه رجل
اعجمي في لسانه عجمة تمنعه من الاتيان بفصيح الكلام ومحمد صلى الله عليه وسلم
جاكم بهذا القران الفصيح الذي عجزتم عنه انتم وانتم اهل الفصاحة والبلاغة
فكيف يقدر من هو اعجمي على مثله واين فصاحة هذا القران من عجمة هذا الذي
تشيرون اليه فثبت بهذا البرهان الذي جا به محمد صلى الله عليه وسلم وحي اوحاه
الله اليه وليس هو من تعليم الذي يشيرون اليه ولا هو اتى به من تلقا نفسه بل هو
وحي من الله عز وجل اليه وروي ان الرجل الذي كانوا يشيرون اليه اسلم وحسن اسلامه
قوله تعالى **ان الذين لا يومنون بايات الله** يعني لا يصدقون انها من عند الله
لا يهديهم الله يعني لا يرشدهم ولا يوفقهم للايمان **ولهم عذاب اليم** يعني في
الاخرة ثم اخبر الله ان الكفار هم المفترون فقال تعالى **انما يفتري الكذب**
الذين لا يومنون بايات الله يعني انما يقدم على الفرية الكذب من لا يومن بايات الله
فهو رد لقول كفار قريش انما انت مفتر **واوليك هم الكاذبون** يعني في قولهم
انما يعلمه بشر لا محمد صلى الله عليه وسلم فان قلت قد قال الله تعالى انما يفتري
الكذب في معنى قوله واوليك هم الكاذبون والثاني هو الاول قلت قوله
انما يفتري الكذب اخبار عن فعلهم وهو قوله واوليك هم الكاذبون نعت لازم
لهم كقول الرجل لغيره كذبت وانت كاذب اي كذبت في هذا القول ومن عادتك
الكذب وفي الاية دليل على ان الكذب من افحش الذنوب الكبائر لان الكاذب
المفتري هو الذي لا يومن بايات الله روي البغوي باسناد الثعلبي عن عبد الله
ابن جراد قال قلت يا رسول الله المومن يزني قال قد يكون ذلك قلت المومن
يسرق قال قد يكون ذلك قلت المومن يكذب قال لا قال الله انما يفتري
الكذب الذين لا يومنون بايات الله قوله تعالى **من كفر بالله من بعد ايمانه**
الا من اكره وقلبه مطمين بالايمان نزلت في عمار بن ياسر وذلك ان المشركين
اخذوه واباه ياسرا وامه سمية وصهيبا وبلالا وخبابا وسالما فعذبوهم ليرجعوا
الى الاسلام فاما سمية ام عمار فانها ربطت بين بعيرين ووجي قبلها بحربة فقتلت
وقتل زوجها ياسر فهما اول قتيلين قتلا في الاسلام واما عمار فانه اعطاهم بعض
ما ارادوا بلسانه مكرها قال قتادة اخذ بنو المغيرة عمارا وغطوه في بير ميمون
وقالوا له اكفر بمحمد فبايعهم على ذلك وقلبه كاره فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم

بان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما وراك فقال شر يا رسول الله نلت منك وذكرت فقال كيف وجدت قلبك قال مطمئنا بالايمان فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه وقال ان عادوا لك فعد لهم بما قلت فنزلت هذه الاية وقال مجاهد نزلت في ناس من اهل مكة امنوا فكتب اليهم بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ان هاجروا الينا فانا لا نراكم منا حتى تهاجروا فخرجوا يريدون المدينة فادركتهم قريش في الطريق ففتنوهم عن دينهم فكفروا كارهين وهذا القول ضعيف لان الاية مكية وكان هذا في اول الاسلام قبل ان يومروا بالهجرة وقال مقاتل نزلت في جبر مولى عامر بن الحضرمي اكرهه سيده على الكفر فكفر مكرها وقلبه مطمئن بالايمان ثم اسلم عامر بن الحضرمي مولى جبر وحسن اسلامه وهاجر الى المدينة والاولى ان يقال ان الاية عامة في كل من اكره على الكفر وقلبه مطمئن بالايمان وان كان السبب خاصا فان قلت المكره على الكفر ليس بكافر فلا يصح استثناؤه من الكافر فما معنى هذا الاستثناء الا من اكره قلت المكره لما ظهر منه بعد الايمان ما مثله يظهر من الكافر طوعا صح هذا الاستثنا لهذه المشابهة والمشاكلة والله اعلم

فصل في حكم الاية قال العلما يجب ان يكون الاكراه الذي يجوز له ان يتلفظ معه بكلمة الكفر ان يعذب بعذاب لا طاقة له به مثل التخويف بالقتل والضرب الشديد والايلامات القوية مثل التخويف بالنار ونحوه قال العلما اول من اظهر الاسلام سبعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر الصديق وخباب وصهيب وبلال وعمار وابوه ياسر وامه سمية فاما رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعه الله من اذى المشركين بعمه ابي طالب واما ابو بكر فمنعه قومه وعشيرته واخذ الاخرين والبسوا دراع الحديد واجلسوهم في حر الشمس بمكة فاما بلال فكانوا يعذبونه وهو يقول احد احد حتى اشتراه ابو بكر واعتقه وقتل ياسر وسمية كما تقدم قال خباب لقد اوقدوا لي نارا ما اطفاها الا ودك ظهري واجمعوا على انه من اكره على الكفر لا يجوز له ان يتلفظ بكلمة تصريحا بل ياتي بالمعاريض وبما يوهم انه كفر فلو اكره على التصريح يباح له ذلك بشرط طمانينة القلب على الايمان غير معتقد ما يتولد من كلمة الكفر ولو صبر حتى قتل كان افضل لان ياسرا وسمية قتلا ولم يتلفظا بكلمة الكفر ولان بلالا صبر على العذاب ولم يلم على ذلك قال العلما من الافعال ما يتصور الاكراه عليها كشرب الخمر واكل لحم الخنزير والميتة ونحوها فمن اكره بالسيف والقتل على ان يشرب الخمر او ياكل الميتة او لحم الخنزير او نحوها جاز له ذلك لقوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وقيل لا يجوز له ذلك ولو صبر كان افضل ومن الافعال ما لا يتصور فيه الاكراه عليها كالزنا لان الاكراه يوجب الخوف الشديد وذلك يمنع من انتشار الالة فلا يتصور فيه الاكراه واختلف العلما في طلاق المكره فقال الشافعي واكثر العلما لا يقع طلاق المكره

وقال ابو حنيفة يقع حجة الشافعي ومن وافقه قوله تعالى لا اكراه في الدين ولا يمكن ان يكون المراد نفي ذاته لان ذاته موجودة فوجب حمله على نفي المادة اثاره والمعنى انه لا اثر له ولا عبرة به وقوله تعالى وقلبه مطمئن بالايمان فيه دليل على ان محل الايمان هو القلب ولكن من شرح بالكفر صدرا يعني فتحه ووسعه لقبول الكفر واختاره ورضي به فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم يعني في الاخرة ذلك بانهم استحبوا الحياة الدنيا على الاخرة يعني ذلك الاقدام على الارتداد الى الكفر لاجل انهم استحبوا الحياة الدنيا على الاخرة وان الله لا يهدي القوم الكافرين يعني يرشدهم الى الايمان ولا يوفقهم للعمل اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم تقدم تفسيره واولئك هم الغافلون يعني عما يراد بهم من العذاب في الاخرة وهو قوله تعالى لا جرم انهم في الاخرة هم الخاسرون يعني ان الانسان انما يعمل في الدنيا ليربح في الاخرة فاذا دخل النار بان خسرانه وظهر غبنه لانه ضيع راس ماله وهو الايمان ومن ضيع راس ماله فهو خاسر قوله عز وجل ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا يعني عذبوا ومنعوا من الدخول في الاسلام فتنهم المشركون ثم جاهدوا وصبروا يعني على الايمان والهجرة والجهاد ان ربك من بعدها يعني من بعد الفتنة التي فتنوها لغفور رحيم نزلت هذه الاية في عياش بن ربيعة وكان اخا ابي جهل من الرضاعة وقيل كان اخوه من امه وفي ابي جندل بن سهل بن عمرو والوليد بن الوليد بن المغيرة وسلمة ابن هشام وعبد الله بن اسيد الثقفي فتنهم المشركون وعذبوهم فاعطوهم بعض ما ارادوا ليسلموا من شرهم ثم انهم بعد ذلك هاجروا وجاهدوا وقال الحسن وعكرمة نزلت هذه في عبد الله بن ابي سرح كان قد اسلم وكان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم فاستزله الشيطان فارتد ولحق بالكفار فلما كان يوم فتح مكة امر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله فاستجار له عثمان وكان اخوه لامه فاجاره رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتى به فاسلم وحسن اسلامه وهذا القول انما يصح اذا قلنا ان هذه الاية مدنية نزلت بالمدينة فتكون من الايات المدنيات في السور المكيات والله اعلم بحقيقة ذلك قوله تعالى يوم تاتي كل نفس تجادل يعني تخاصم وتحتج عن نفسها اي بما اسلفت من خير وشر اشتغلت بالمجادلة لا تتفرغ الى غيرها فان قلت النفس هي واحدة وليس لها نفس اخرى فما معنى قوله كل نفس تجادل عن نفسها قلت ان النفس قد يراد بها بدن الانسان وقد يراد بها مجموع ذاته وحقيقته والنفس الاولى هي مجموع ذات الانسان وحقيقته والنفس الثانية هي بدنه فهي عينها وذاتها ايضا والمعنى يوم ياتي كل انسان يجادل عن ذاته ولا يهمه غيره ومعنى المجادلة الاعتذار بما لا يقبل منه كقولهم والله ربنا ما كنا مشركين ونحو ذلك من

الاعتذارات **وتوفى كل نفس ما عملت** يعني جزا ما عملت في الدنيا من خير او شر
وهم لا يظلمون يعني لا ينقصون من اعمالهم شيئا بل يوفون ذلك كاملا من غير زيادة
ولا انتقاص روي ان عمر بن الخطاب قال لكعب الاحبار خوفنا فقال يا امير المومنين
والذي نفسي بيده لو وافيت القيامة بمثل عمل سبعين نبيا لاتت عليك تارات وانت
لا يهمك الا نفسك فان جهنم لتزفر زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا جثى
على ركبتيه حتى ابراهيم الخليل يقول يا رب لا اسالك الا نفسي وان تصديق ذلك فيما
انزله الله عليكم يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها وروى عكرمة عن ابن عباس رضي الله
عنهما في هذه الاية قال ما تزال الخصومة بين الناس يوم القيامة حتى تخاصم الروح
الجسد فتقول الروح يا رب لم يكن لي يد ابطش بها ولا رجل امشي بها ولا عين ابصر بها
فيقول الجسد يا رب انت خلقتني كالخشبة ليست لي يد ابطش بها ولا رجل امشي
بها ولا عين ابصر بها فجاء هذا الروح كشعاع النور فيه به نطق لساني وبه ابصرت
عيناي وبه مشت رجلي فضرب الله مثلا لهما اعمى ومقعد دخلا حايطا يعني بستانا
فيه ثمار فالاعمى لا يبصر الثمرة والمقعد لا ينالها فحمل الاعمى المقعد فاصابا من الثمر
فعليهما العذاب قوله عز وجل **وضرب الله مثلا قرية** المثل عبارة عن قول
في شيء اخر بينهما مشابهة ليبين احدهما الاخر ويصوره وقيل هو عبارة عن المشابهة
لغيره في معنى من المعاني اي معنى كان وهو اعم من الالفاظ الموضوعة للمشابهة
قال الامام فخر الدين الرازي المثل قد يضرب بشيء موصوف بصفة معينة سوا
كان ذلك الشيء موجودا او لم يكن وقد يضرب بشيء موجود معين فهذه القرية
التي ضرب الله بها هذا المثل يحتمل ان تكون شيئا معروضا ويحتمل ان تكون قرية
معينة وعلى التقدير الثاني فتلك القرية يحتمل ان تكون مكة او غيرها والاكثر
من المفسرين على انها مكة والاقرب انها غير مكة لانها ضربت مثلا لمكة ومثل
مكة يكون غير مكة وقال الزمخشري في كتابه الكشاف وضرب الله مثلا قرية
اي جعلت القرية التي هذه حالها مثلا لكل قوم انعم الله عليهم فابطرتهم النعمة
فكفروا وتولوا فانزل الله تعالى بهم نقمته فيجوز ان يراد فيه قرية مقدرة على
هذه الصفة وان يكون في قرى الاولين قرية كانت هذه حالها فضرب الله مثلا
لمكة انذارا من مثل عاقبتها وقال الواحدي يعني ضربا المثل بيان المشبه والمشبه
به وها هنا ضرب المشبه به ولم يذكر المشبه لوضوحه عند عامة المفسرين
نازلة في اهل مكة وما امتحنوا به من الخوف والجوع بعد الامن والنعمة بتكذيبهم
النبي صلى الله عليه وسلم فتقريرا لاية ضرب الله مثلا لقريتكم مثلا اي يبين الله
لها شبها ثم قال قرية فيجوز ان تكون القرية بدلا من مثلا لانها هي الممثل بها
فيجوز ان يكون المعنى ضرب الله مثل قرية فحذف المضاف هذا قول الزجاج
والمفسرون كلهم قالوا ارادوا بالقرية مكة يعنون انه اراد مكة في تمثيلها
بقرية مثلها ما ذكر وقال ابن الجوزي في هذه القرية قولان احدهما انها مكة

قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والجمهور وهو الصحيح والثاني انها قرية اوسع الله
على اهلها حتى كانوا يستنجون بالخبز فبعث الله عليهم الجوع قاله الحسن واقول
هذه الاية نزلت في المدينة في قول مقاتل وبعض المفسرين وهو الصحيح لان الله
تعالى وصف هذه القرية بصفات ستة كانت هذه الصفات موجودة في اهل مكة
فضربها الله مثلا لاهل المدينة يحذرهم ان يصنعوا مثل صنيعهم فيصيبهم ما اصاب
من الجوع والخوف ويشهد لصحة ما قلت ان الخوف المذكور في هذه الاية في قوله تعالى
فاذاقهم الله لباس الجوع والخوف هو البعوث والسرايا التي كانت للنبي صلى الله
عليه وسلم يبعثها في قول جميع المفسرين لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يومر
بالقتال وهو بمكة وانما امر بالقتال لما هاجر الى المدينة فكان يبعث البعوث
والسرايا الى حول مكة يخوفهم بذلك وهو بالمدينة والله اعلم بمراده واما
تفسير الاية فقوله تعالى وضرب الله مثلا قرية يعني مكة **كانت امنة** يعني
ذات امن لا يهاج اهلها ولا يغار عليهم **مطمئنة** يعني قارة باهلها لا يحتاجون
الى الانتقال عنها للانتجاع كما كان يحتاج اليه ساير العرب **ياتيها رزقها رغدا**
يعني واسعا **من كل مكان** يعني يحمل اليها الرزق والميرة من البر والبحر
نظيره قوله تعالى يجبى اليه ثمرات كل شيء وذلك بدعوة سيدنا ابراهيم عليه
السلام وهو قوله وارزقهم من الثمرات **فكفرت** يعني هذه القرية والمراد
بها اهلها **بانعم الله** جمع نعمة والمراد بهم ساير النعم التي انعم الله بها على اهل
مكة فلما قابلوا نعم الله تعالى التي انعم بها عليهم بالجحود والكفر لاجرم ان الله
تعالى انتقم منهم فقال تعالى **فاذاقها الله لباس الجوع والخوف** وذلك
ان الله تعالى ابتلاهم بالجوع سبع سنين فقطع عنهم المطر وقطعت عنهم الميرة
بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جهدوا واكلوا العظام المحرقة والجيف
والكلاب والميتة والعهن وهو الوبر يعالج بالدم ويخلط به حتى يوكل حتى كان احدهم
ينظر الى السما فيرى شبه الدخان من الجوع ثم ان روسا مكة كلموا رسول الله
صلى الله عليه وسلم في ذلك وقالوا اما هذا هيك عادينا الرجال فما بال النسا
والصبيان فاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس في حمل الطعام اليهم
وهم بعد مشركون والخوف يعني خوف بعوث النبي صلى الله عليه وسلم وسراياه
التي كان يبعثها للاغارة فكانت تطيف بهم ويغيرون على من حولهم من العرب
فكان اهل مكة يخافونهم فان قلت الاذاقة واللباس استعارتان فما وجه
صحتهما والاذاقة المستعارة موقعة على اللباس المستعار صحة ايقاعها عليه
وهو ان اللباس لا يذاق بل يلبس فيقال كساهم الله لباس الجوع او يقال اذاقهم
الله طعم الجوع قلت قال صاحب الكشاف اما الاذاقة فقد جرت عندهم
مجرى الحقيقة لشيوعها في البلايا والشدايد وما يمس الناس منها فيقولون
ذاق فلان البوس والضر واذاقه العذاب شبه ما يدرون من اثر الضرر والالم

ما يدرك من طعم المر والشبع واما اللباس فقد شبه به لاشتماله على اللابس ما غشي الانسان
والتبس به من بعض الحوادث واما ايقاع الاذاقة على لباس الجوع والخوف فلانه لما
وقع عبارة عما يغشى منهما ويلابس فكانه قيل فاذاقها ما غشيهم من الخوف والجوع
ثم ذكر بعض من علم المعاني والبيان ما يشهد لصحة ما قال وقال الامام فخر الدين
الرازي رحمه الله جوابه من وجوه الاول ان الاحوال التي حصلت لهم عند الجوع
نوعان احدهما ان المذوق هو الطعام فلما فقدوا الطعام صاروا كانهم يذوقوا
الجوع الثاني ان ذلك الجوع شديد كامل فصار كانه احاط بهم من كل الجهات فاشبه
اللباس فالحاصل انهم حصل لهم في ذلك الجوع حالة تشبه المذوق وحالة تشبه
الملبوس فاعتبر الله كلا الاعتبارين فقال فاذاقها الله لباس الجوع والخوف
الوجه الثاني ان التقدير عرفها الله اثر لباس الجوع والخوف لانه تعالى عبر عن
التعريف بلفظ الاذاقة واصل الذوق بالفم ثم قد يستعار فيوضع موضع التعريف
والاختبار تقول ناظر فلانا وذق ما عنده قال الشاعر

• ومن يذق الدنيا فاني طعمتها • وسيق الينا عذبها وعذابها •

ولباس الجوع والخوف ما ظهر عليهم من الظهور وشحوب اللون ونكهة البدن
وتغيير الحال وكسوف البال كما تقول تعرفت سوء اثر الجوع والخوف على فلان
وذقت لا تفرقت الوجه الثالث ان تحمل لفظ الذوق واللبس على المماسة
فصار التقدير فاذاقها الله مساس الجوع والخوف ثم قال تعالى **بما كانوا يصنعون**
ولم يقل بما صنعت لانه اراد اهل القرية والمعنى فعلنا بهم ما فعلنا بسبب
ما كانوا يصنعون وهذا مثل اهل مكة لانهم كانوا في الامن والطمانينة والخصب
ثم انعم الله عز وجل عليهم بالنعمة العظيمة وهي ارسال محمد صلى الله عليه وسلم
اليهم فكفروا به وكذبوه وبالغوا في ايذايه وارادوا قتله فاخرجه الله من بينهم
وامره بالهجرة الى المدينة وسلط على اهل مكة البلا والشدايد والجوع كل ذلك
بسبب تكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وخروجهم من بين اظهرهم قوله
عز وجل **ولقد جاءهم رسول منهم** يعني لاهل مكة محمد صلى الله عليه وسلم يعرفون
نسبه ويعرفونه قبل النبوة وبعدها **فكذبوه فاخذهم العذاب** يعني الجوع
والخوف وقيل القتل يوم بدر والقول الاول اولى لما تقدم في الاية **وهم**
ظالمون يعني كافرون **فكلوا مما رزقكم الله** في المخاطبين في هذا قولان
احدهما انهم المسلمون وهو قول جمهور المفسرين والثاني انهم المشركون من اهل
مكة قال الكلبي لما اشتد الجوع باهل مكة كلمتم رؤساهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا انك انما عاديت الرجال فما بال النساء والصبيان فاذن رسول الله صلى
الله عليه وسلم الناس ان يحملوا الطعام اليهم حكاه الواحدي وغيره وعلى القول الاول
هو الصحيح قوله عز وجل فكلوا مما رزقكم الله قال ابن عباس فكلوا يا
معشر المومنين مما رزقكم الله يريد به الغنايم **حلالا طيبا** يعني ان الله

الغنايم لهذه الامة وطيبها لهم ولا تحل لاحد قبلهم **واشكروا نعمت الله** يعني
التي انعم بها عليكم **ان كنتم اياه تعبدون انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم**
الخنزير وما اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم
تقدم تفسير هذه الاية واحكامها في سورة البقرة فكم تعد دهنا وقوله
تعالى **ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب** يعني ولا تقولوا لاجل وصفكم
الكذب هذا حلال وهذا حرام يعني انكم تحلون وتحرمون لاجل الكذب لا لغيره
فليس لتحليلكم وتحريمكم معنى وسبب الا الكذب فقط فلا تفعلوا ذلك قال
مجاهد يعني البحيرة والسايبة وقال ابن عباس رضي الله عنهما يعني قولهم ما في بطون
هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا وذلك ان العرب في الجاهلية
كانوا يحلون اشيا ويحرمون اشيا من عند انفسهم وينسبون ذلك الى الله وهو
قوله تعالى لتفتروا على الله الكذب يعني لا تقولوا ان الله امرنا بذلك فتكذبوا
على الله لان وصفهم الكذب هو افترا على الله ثم اوعد المفترين الكذب فقال تعالى
ان الذين يفترون على الله الكذب يعني لا ينجون من العذاب وقيل معناه لا
يفوزون بخير لان الفلاح هو الفوز بالخير والنجاح ثم بين ان ما هم فيه من نعيم
الدنيا يزول عنهم عن قريب فقال تعالى لا يفلحون **متاع** يعني متاعهم في الدنيا
متاع **قليل** فانه لا بقا له **ولهم عذاب اليم** يعني في الاخرة **وعلى الذين**
هادوا يعني اليهود **حرمنا ما قصصنا عليك من قبل** يعني ما سبق ذكره وبيانه
في سورة الانعام وهو قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الاية
وما ظلمناهم يعني بتحريم ذلك عليهم **ولكن كانوا انفسهم يظلمون** يعني انا
حرمنا عليهم ما حرمنا بسبب بغيهم وظلمهم انفسهم نظيره قوله تعالى فبظلم
من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم قوله **ثم ان ربك للذين عملوا**
السوء بجهالة المقصود من هذه الاية بيان فضل الله تعالى وسعة مغفرته
ورحمته لان السوء لفظ جامع لكل فعل قبيح فيدخل تحته الكفر وساير المعاصي
وكل ما لا ينبغي فكل من عمل السوء فانما يفعله بالجهالة لان العاقل لا يرضى
بفعل القبيح فمن صدر عنه فعل قبيح من كفر او معصية فانما يصدر عنه بسبب
جهالة او لجهله بقدر ما يترتب عليه من العقاب او لجهله بقدر من يعصيه فثبت
ان من فعل السوء انما يفعله بجهالة ثم ان الله وعد من عمل سوا بجهالة ثم تاب
واصلح العمل في المستقبل فان الله يتوب عليه ويرحمه وهو قوله **ثم تابوا من**
بعد ذلك يعني من بعد عمل ذلك السوء **واصلحوا** يعني اصلحوا العمل في المستقبل
وقيل معنى الاصلاح الاستقامة على التوبة **ان ربك من بعدها** يعني من
بعد عمل السوء بالجهالة والتوبة منه **لغفور** يعني لمن تاب وامن **رحيم**
يعني بجميع المومنين التايبين قوله عز وجل **ان ابراهيم كان امة** حكى ابن
الجوزي عن ابن الانباري انه قال هذا مثل قول العرب فلان رحمة وفلان علامة

ونسابة يقصدون بهذا التانيث فصار التناهي في المعنى الذي يصفونه به والعرب توقع الاسما المبهمة على الجماعة وعلى الواحد كقوله تعالى فنادته الملايكة وانما ناداه جبريل وحده وانما سمي ابراهيم امة لانه اجتمع فيه من صفات الكمال وصفات الخير والاخلاق الحميدة ما اجتمع في امة ومنه قول الشاعر

وليس على الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد

ثم للمفسرين في معنى هذه اللفظة اقوال احدها قول ابن مسعود الامة معلم الخير يعني انه كان معلم الخير ياتم به اهل الدنيا الثاني قول مجاهد انه كان مومنا وحده والناس كفار فلهذا المعنى كان وحده ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في زيد ابن عمرو بن نفيل يبعثه الله امة وحده وانما قال فيه هذه المقالة لانه كان قد فارق الجاهلية وما كانوا عليه من عبادة الاصنام الثالث قال قتادة ليس من اهل دين الا وهم يتولونه ويرضونه وقيل الامة فعلة بمعنى مفعول وهو الذي يوتم به وكان ابراهيم عليه الصلاة والسلام اماما يقتدي به دليله قوله تعالى اني جاعلك للناس اماما وقيل انه عليه السلام هو السبب الذي لاجله جعلت امته ومن تبعه ممتازين عمن سواهم بالتوحيد لله تعالى والدين الحق وهو من باب اطلاق المسبب على السبب وقيل انما سمي ابراهيم عليه السلام امة لانه قام مقام امة في عبادة الله **قانتا لله** يعني مطيعا لله وقيل القايم باوامر الله تعالى **حنيفا** مسلما يعني مقيما على دين الاسلام لا يميل عنه ولا يزول وقيل هو اول من اختتن وضحى واقام مناسك الحج **ولم يك من المشركين** يعني انه عليه الصلاة والسلام كان من الموحدين المخلصين من صغره الى كبره **شاكرا لانعمه** يعني انه كان شاكرا لله على انعمه التي انعم الله بها عليه **اجتباه** اي اختاره لنبوته واصطفاه لخلته **وهداه الى صراط مستقيم** يعني هداه الى دين الاسلام لانه الصراط المستقيم والدين القويم **وآتيناه في الدنيا حسنة** يعني الرسالة والخلة وقيل هي لسان الصدق والثنا الحسن والقبول العام في جميع الامم وان الله حببه الى جميع الخلق فكل اهل الاديان يتولونه المسلمون واليهود والنصاري ومشركوا العرب وغيرهم وقيل هو قول المصلي في التشهد اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم وقيل انه ولد اولادا ابرارا على الكبر **وانه في الاخرة لمن الصالحين** يعني في اعلا مقامات الصالحين في الجنة وقيل معناه وانه في الاخرة لمع الصالحين يعني الانبيا في الجنة فتكون من بمعنى مع ولما وصف الله عز وجل ابراهيم عليه السلام بهذه الصفات الشريفة العالية امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم باتباعه فقال تعالى **ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم** يعني دينه وما كان عليه من الشريعة والتوحيد قال اهل الاصول كان النبي صلى الله عليه وسلم مامورا بشريعة ابراهيم الا ما نسخ منها وما لم ينسخ صار شرعا له وقال ابو جعفر الطبري امره في اتباعه في التبري من الاوثان والتدين بدين الاسلام وهو قوله

حنيفا

حنيفا مسلما **وما كان من المشركين** تقدم تفسيره **انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه** يعني انما فرض تعظيم السبت على الذين اختلفوا فيه وهم اليهود والنصاري وروي الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس قال امرهم موسي بتعظيم يوم الجمعة فقال تفرغوا لله في كل سبعة ايام يوما فاعبدوه في يوم الجمعة ولا تعملوا فيه شيئا من صنعتكم وستة ايام لصنعتكم فابوا عليه وقالوا لا نريد الا اليوم الذي فرغ الله فيه من الخلق وهو يوم السبت فجعل ذلك اليوم عليهم وشدد عليهم فيه ثم جاءهم عيسى عليه السلام بيوم الجمعة فقالوا لا نريد ان يكون عيدهم بعد عيدنا يعنون اليهود فاتخذوا الاحد فاعطى الله عز وجل الجمعة لهذه الامة فقبلوها فبورك لهم فيها ق عن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نحن الاخرون السابقون يوم القيامة بيد انهم اوتوا الكتاب من قبلنا فاختلفوا فيه واوتيناه من بعدهم فهذا يومهم الذي فرض الله عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له فهم لنا فيه تبع فغدا لليهود وبعد غد للنصارى وفي رواية لمسلم نحن الاخرون الاولون يوم القيامة ونحن اول من يدخل الجنة وفي رواية اخري له قال اضل الله عن الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت وللنصارى يوم الاحد فجا الله بنا وهدانا ليوم الجمعة فجعل الجمعة والسبت والاحد وكذلك هم لنا تبع يوم القيامة نحن الاخرون في الدنيا والاولون يوم القيامة المقضي لهم قبل الخلايق قال الشيخ محيي الدين النواوي في شرح مسلم قال العلما في معنى الحديث نحن الاخرون في الزمان والوجود والسابقون بالفضل ودخول الجنة فتدخل هذه الامة الجنة قبل ساير الامم وقوله بيد انهم يعني غير انهم اوتوا الكتاب قبلنا وقوله فهذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له قال القاضي عياض الظاهر انه فرض عليهم تعظيم يوم الجمعة بغير تعيين ووكل الى اجتهادهم لاقامة شرايعهم فيه فاختلف احبارهم في تعيينه ولم يهدهم الله له وفرضه على هذه الامة مبينا ولم يكله الى اجتهادهم ففازوا بفضيلته قال يعني القاضي عياض وقد جا ان موسي عليه السلام امرهم بيوم الجمعة فاعلمهم بفضلها فناظروه ان السبت افضل فقيل له دعهم قال القاضي عياض ولو كان منصوصا عليهم لم يصح اختلافهم فيه بل كان يقول خالفوا فيه قال الشيخ محيي الدين النواوي ويمكن ان يكون امروا به صريحا ونص على عينه فاختلفوا فيه هل يلزم تعيينه ام لهم ابداله فابدلوه وغلطوا في ابداله قال الامام فخر الدين الرازي في قوله تعالى على الذين اختلفوا فيه يعني على نبيهم موسي عليه الصلاة والسلام حيث امرهم بالجمعة فاختاروا السبت فاختلافهم في السبت كان اختلافا على نبيهم في ذلك اي لاجله وليس معنى قوله اختلفوا فيه ان اليهود اختلفوا فيه فمنهم من قال بالسبت ومنهم من لم يقل به لان اليهود متفقون على ذلك وزاد الواحدي على هذا فقال وهذا مما اشكل على كثير من المفسرين حتى قال بعضهم معنى الاختلاف

في السبت لان بعضهم قال هو اعظم الايام حرمة لان الله تعالى فرغ فيه من خلق الاشيا
وقال الاخرون بل الاحد لان الله تعالى ابتدا فيه بخلق الاشيا وهذا غلط لان اليهود
لم يكونوا فريقين في السبت وانما اختار الاحد النصارى بعدهم بزمان طويل
فان قلت ان اليهود اختاروا السبت لان اهل الملل اتفقوا على ان الله خلق
الخلق في ستة ايام وبدا بالخلق والتكوين في يوم الاحد وتم الخلق يوم الجمعة
وكان يوم السبت يوم فراغ فقالت اليهود ونحن نوافق ربنا في ترك العمل في هذا
اليوم فاختاروا السبت لهذا المعنى وقالت النصارى انما بدا بخلق الاشيا في
يوم الاحد فنحن نجعل هذا اليوم عيدا وهذان الوجهان معقولان فما وجه فضل
يوم الجمعة حتى جعله اهل الاسلام عيدا قلت يوم الجمعة افضل الايام لان كمال
الخلق وتمامه كان فيه وحصول التمام والكمال يوجب الفرح والسرور فيجعل
يوم الجمعة عيدا لهذا الوجه فهو اولى ووجه اخر وهو ان الله عز وجل
خلق فيه اشرف خلقه وهو ادم عليه السلام وهو ابو البشر وفيه تاب عليه فكان
يوم الجمعة اشرف الايام لهذا السبب ولان الله تعالى اختار يوم الجمعة لهذه
الامة وادخره لهم ولم يختاروا لانفسهم شيا فكان ما اختاره الله لهم افضل
مما اختاره غيرهم لانفسهم قال بعض العلما بعث موسى عليه السلام بتعظيم يوم
السبت ثم نسخ بيوم الاحد في شريعة عيسى عليه السلام ثم نسخ يوم السبت
ويوم الاحد بيوم الجمعة في شريعة محمد صلى الله عليه وسلم فكان افضل الايام يوم
الجمعة كما ان محمدا صلى الله عليه وسلم افضل الانبيا وفي معنى الاية قول اخر قاله
قتادة الذين اختلفوا اليهود استحله بعضهم وحرمه بعضهم وعلى هذا القول يكون
معنى قوله انما جعل السبت اي وبال السبت ولعنته على الذين اختلفوا فيه
وهم اليهود فاحله بعضهم فاصطادوا فيه فلعنوا ومسخوا قردة وخنازير في
زمن داود عليه السلام وقد تقدمت القصة في تفسير سورة الاعراف وبعضهم
ثبت على تحريمه فلم يصطاد فيه شيا وهم الناهون والقول الاول اقرب
الى الصحة وقوله تعالى **وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون**
يعني في امر السبت فيحكم الله بينهم يوم القيامة فيجازي المحقين بالثواب والمبطلين
بالعقاب قوله عز وجل **ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة**
يعني ادع الى دين ربك يا محمد وهو دين الاسلام بالحكمة يعني بالمقالة المحكمة الصحيحة
وهو الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة والموعظة الحسنة يعني وادعهم الى الله
بالترغيب والترهيب وهو انه لا يخفى عليهم انك تناصحهم وتقصد ما ينفعهم **وجادلهم
بالتي هي احسن** يعني بالطريقة التي هي احسن طرق المجادلة من الرفق واللين
من غير فظاظة ولا تعنيف وقيل ان الناس خلقوا وجبلوا على ثلاثة اقسام
القسم الاول وهم العلما الكاملون اصحاب العقول الصحيحة والبصاير الثاقبة
الذين يطلبون الاشيا على حقيقتها فهولاء هم المشار اليهم بقوله ادع الى سبيل ربك

بالحكمة

بالحكمة يعني ادعهم بالدلايل القطعية اليقينية حتى يعلموا الاشيا بحقايقها حتى
ينتفعوا وينفعوا الناس وهم خواص العلما من الصحابة وغيرهم القسم الثاني وهم
اصحاب الفطر السليمة والخلقة الاصلية وهم غالب الناس الذين لم يبلغوا حد الكمال
ولم ينزلوا الى حضيض النقصان فهم اوسط الاقسام وهم المشار اليهم بقوله بالحكمة
والموعظة الحسنة اي ادع هولا بالموعظة والقسم الثالث وهم اصحاب جدل وخصام
ومعاندة وهولاء هم المشار اليهم بقوله وجادلهم بالتي هي احسن حتى ينقادوا الى الحق
ويرجعوا اليه وقيل المراد بالحكمة القران اي ادعهم بالقران الذي هو حكمة وموعظة
حسنة وقيل المراد بالحكمة النبوة اي ادعهم بالنبوة والرسالة والمراد بالموعظة
الحسنة الرفق واللين في الدعوة وجادلهم بالتي هي احسن اي اعرض عن اذاهم ولا
تقصر في تبليغ الرسالة والدعا الى الحق فعلى هذا القول قال بعض علما التفسير
هذا منسوخ باية السيف **ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين**
يعني انما عليك يا محمد تبليغ ما ارسلت به اليهم ودعاؤهم بهذه الطرق الثلاثة
وهو اعلم بالفريقين الضال والمهتدي فيجازي كل عامل بعمله قوله تعالى **وان عاقبتم
فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به** نزلت هذه الاية بالمدينة في سبب شهدا احد
وذلك ان المسلمين لما راوا ما فعل المشركون بقتلى المسلمين يوم احد من تبقير
البطون والمثلة السيئة حتى لم يبق احد من قتلى المسلمين الا مثل به غير حنظلة
ابن ابي عامر الراهب وذلك ان اباه ابا عامر الراهب كان مع ابي سفيان فتركوا
حنظلة لذلك فقال المسلمون حين راوا ذلك لين اظهرنا الله عليهم لنربين
على صنيعهم ولنمثلن بهم مثلة لم يفعلها احد من العرب باحد ووقف رسول الله
صلى الله عليه وسلم على عمه حمزة بن عبد المطلب وقد جدعوا انفه واذنه وقطعوا
مذاكيره وبقروا بطنه واخذت هند بنت عتبة قطعة من كبده فمضغتها ثم استرطتها
لتاكلها فلم تلبث في بطنها حتى رمت بها فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال اما
انها لو اكلتها لم تدخل النار ابدا حمزة اكرم على الله من ان يدخل شيا من جسده
النار فلما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عمه حمزة نظر الى شي لم ينظر الى شي
قط كان اوجع لقلبه منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من بعدك عليك
لسرني ان ادعك حتى تحشر من افواج شتى اما والله لين ظفرني الله بهم لامثلن
بسبعين منهم مكانك فانزل الله عز وجل وان عاقبتم الاية فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم بل نصبر وامسك عما اراد وكفر عن يمينه عن ابي بن كعب قال لما كان يوم
احد اصيب من الانصار اربعة وستون رجلا ومن المهاجرين ستة منهم حمزة فمثلوا
بهم فقالت الانصار لين اصبنا منهم يوما مثل هذا لنربين عليهم قال فلما كان يوم
فتح مكة فانزل الله عز وجل وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولين صبرتم
لهو خير للصابرين فقال رجل لا قريش بعد اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كفوا عن القوم الا اربعة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب واما تفسير

الاية فقوله تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به سمى الفعل الاول باسم
الثاني للمزاوجة في الكلام والمعنى ان صنع بكم سوء من قتل او مثلة ونحوه فقابلوه
بمثله ولا تزيدوا عليه فهو كقوله جزاء سيئة سيئة مثلها امر الله برعاية العدل
والانصاف وفي هذه الاية في باب استيفاء الحقوق يعني ان رغبتم في استيفاء القصاص
فاقتصوا بالمثل ولا تزيدوا عليه فان استيفاء الزيادة ظلم والظلم ممنوع منه
في عدل الله وشرعه ورحمته وفي الاية دليل على ان الاولى ترك استيفاء القصاص
وذلك بطريق الاشارة والرمز والتعريض ان الترك اولى فان كان لا بد من
استيفاء القصاص فيكون من غير زيادة عليه بل يجب مراعاة المماثلة ثم
انتقل من طريق الاشارة الى طريق التصريح فقال تعالى ولئن صبرتم لهو خير
للصابرين يعني ولئن عفوتم وتركتم استيفاء القصاص وصبرتم كان ذلك
العفو والصبر خير من استيفاء القصاص وفيه اجر للصابرين العافين فصل
اختلف العلماء هل هذه الاية منسوخة ام لا على قولين احدهما انها نزلت
قبل براءة فامر النبي صلى الله عليه وسلم ان يقاتل من قاتله ولا يبدأ بالقتال
ثم نسخ ذلك وامر بالجهاد وهذا قول ابن عباس والضحاك فعلى هذا يكون معنى
قوله ولئن صبرتم عن القتال فلما اعز الله الاسلام وكثر اهله امر الله رسوله
بالجهاد ونسخ هذا بقوله واقتلوا المشركين حيث وجدتموهم الاية والقول
الثاني انها محكمة وانها نزلت فيمن ظلم ظلامة فلا يحل له ان ينال من ظالمه اكثر
مما نال منه الظالم وهذا قول مجاهد والشعبي والنخعي وابن سيرين والثوري
قال بعضهم الاصح انها محكمة لان الاية واردة في تعليم حسن الادب في كيفية
استيفاء الحقوق والقصاص وترك التعدي وهو طلب الزيادة وهذه الاشيا
لا تكون منسوخة فلا تعلق لها بالنسخ والله اعلم قوله عز وجل واصبر وما
صبرك الا بالله الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم امر الله نبيه صلى الله
عليه وسلم بالصبر واعلمه ان صبره بتوفيقه ومعونته قوله ولا تحزن عليهم
يعني الكافرين واعراضهم عنك وقيل معنى ولا تحزن على قتل احد وما فعل
بهم فانهم افضوا الى رحمة الله ورضوانه ولا تك في ضيق مما يمكرون
يعني ولا يضيقن صدرك يا محمد بسبب مكرهم فان الله كافيك وناصرك
عليهم قرئ في ضيق بفتح الضاد وكسرها فقيل هما لغتان وقال ابو عمرو الضيق
بالفتح الغم وبالكسر الشدة وقال ابو عبيدة الضيق بالكسر في قلة المعاش وفي
المسكن واما ما كان في القلب والصدر فانه بالفتح وقال ابن قتيبة الضيق
تخفيف ضيق مثل هين وهين ولين ولين فعلى هذا هو صفة كانه قال ولا
تك في امر ضيق من مكرهم قال الامام فخر الدين الرازي هذا الكلام من
المقلوب لان الضيق صفة والصفة تكون حاصلة في الموصوف ولا يكون الموصوف
حاصلا في الصفة وكان المعنى ولا يكن الضيق فيك الا ان الفايدة في قوله ولا

تك في ضيق هي ان الضيق فيك الا ان الفايدة في شي اذا عظم وقوي وصار كالشي
المحيط بالانسان من كل جانب كالقميص المحيط وكانت الفايدة في ذكر هذا اللفظ
هذا المعنى ان الله مع الذين اتقوا اي اتقوا المثلة والزيادة في القصاص
وساير المناهي والذين هم محسنون يعني بالعفو عن الجاني وهذه المعية يعني
بالعون والفضل والرحمة يعني ان اردت ايها الانسان ان اكون معك بالعون
والفضل والرحمة فكن من المتقين المحسنين وفي هذا اشارة الى التعظيم
لامر الله والشفقة على خلق الله تعالى قال بعض المشايخ كمال الطريق صدق
مع الحق وخلق مع الخلق وكمال الانسان ان يعرف الحق لذاته والخير لاجل ان يعمل
به وقيل لهرم بن حيان عند الموت اوص فقال انما الوصية في المال ولا مال
لي ولكني اوصيك بخواتيم سورة النحل والله اعلم بمراده وتفسير كتابه

تفسير سورة الاسرا مكية

فصل في نزولها قال ابن الجوزي هي مكية في قول الجماعة الا ان بعضهم يقول
فيها مدني وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال هي مكية الا ثمان ايات
هي من قوله وان كادوا ليفتنونك الى قوله نصيرا وهذا قول قتادة وقال
مقاتل فيها من المدني وقل رب ادخلني مدخل صدق الاية وقوله ان الذين
اوتوا العلم من قبله وقوله ان ربك احاط بالناس وقوله وان كادوا ليفتنونك
وقوله وان كادوا ليستفزونك وقوله ولولا ان ثبتناك والتي تليها وهي
ماية وعشر ايات وقيل واحدى عشرة وخمسماية وثلاثة وثلاثون كلمة وثلاثة
الاف واربعماية وستون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل سبحان الذي اسرى بعبده ليلا روى ابن الجوزي عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه سئل عن تفسير سبحان الله فقال تنزيه الله عن كل شيء هكذا
ذكره بغير سند فقال النحويون سبحان اسم علم للتسبيح يقال سبحت الله تسبيحا
فالتسبيح هو المصدر وسبحان اسم علم للتسبيح وتفسير سبحان الله تنزيه
الله عن كل سوء ونقيصة واصله في اللغة التباعد فمعنى سبحان الله تبعيده وتنزيهه
عن كل ما لا ينبغي الذي اسرى بعبده يقال سرى به واسرى به لغتان واجمع المفسرون
والعلماء والمتكلمون ان المراد به محمد صلى الله عليه وسلم لم يختلف احد من الامة
في ذلك وقوله بعبده اضافة تشريف وتعظيم وتكريم ومنه قول بعضهم

يا الله لا تدعني الا بيا عبدها .. فانه من اشرف اسمائي

قيل لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الدرجات العالية والمراتب الرفيعة
ليلة المعراج اوحى الله اليه يا محمد بم شرفتك قال يا رب بنسبتي اليك بالعبودية
فانزل الله سبحانه وتعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا فان قلت الاسرا
لا يكون الا بالليل فما معنى ذكر الليل قلت اراد بقوله ليلا بلفظ التنكير
تقليل مدة الاسرا وانه اسري به في بعض ليلة من مكة الى الشام مسيرة شهر

او اكثر فدل تنكير الليل على البعضية **من المسجد الحرام** يعني كان الاسرا من نفس
مسجد مكة وفي حديث مالك بن صعصعة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال بينا انا في المسجد الحرام في الحجر وذكر حديث المعراج بكماله فيما بعد وقيل
عرج به من دار ام هاني بنت ابي طالب رضي الله عنها وهي بنت عمه اخت علي كرم
الله وجهه فعلى هذا اراد بالمسجد الحرام الحرم **الى المسجد الاقصى** يعني
الى بيت المقدس سمي اقصى لبعده الى المسجد الحرام او لانه لم يكن حينئذ وراءه
مسجد **الذي باركنا حوله** يعني بالانهار والاشجار والثمار وقيل سماه مباركا
لانه مقر الانبيا ومهبط الملائكة والوحي وقبلة الانبيا قبل نبينا محمد صلى الله
عليه وسلم واليه يحشر الخلق يوم القيامة فان قلت ظاهر الاية يدل على
ان الاسرا كان الى بيت المقدس والاحاديث الصحيحة تدل على انه عرج به الى السما
فكيف الجمع بين الدليلين وما فايدة ذكر المسجد الاقصى فقط قلت كان الاسرا
على ظهر البراق الى المسجد الاقصى ومنه كان عروجه الى السما على المعراج وفايدة
ذكر المسجد الاقصى فقط انه صلى الله عليه وسلم لو اخبر بصعوده الى السما اولا
لاشتد انكارهم لذلك فلما اخبر انه اسري به الى بيت المقدس وبان لهم صدقه فيما
اخبر به من العلامات التي فيه وصدقوه عليها اخبر بعد ذلك بمعراجه الى السما
فجعل الاسرا الى المسجد الحرام كالتوطية لمعراجه الى السما وقوله تعالى **لنريه
من اياتنا** يعني من عجايب قدرتنا فقد راى محمد صلى الله عليه وسلم الانبيا
تلك الليلة وصلى بهم وراى الايات العظام فان قلت لفظة من في قوله من
اياتنا يقتضي التبعيض وقال في حق ابراهيم عليه السلام وكذلك نري ابراهيم
ملكوت السموات والارض فظاهر هذا يدل على ان فضيلة ابراهيم عليه السلام
على محمد صلى الله عليه وسلم ولا قايل به فما وجهه قلت ملكوت السموات والارض
من بعض ايات الله ايضا ولايات الله افضل من ذلك واكثر فالذي اراه
محمدا صلى الله عليه وسلم من اياته وعجايبه تلك الليلة كان افضل من ملكوت
السموات والارض فظهر بهذا البيان فضل محمد صلى الله عليه وسلم على ابراهيم
عليه الصلاة والسلام **انه هو السميع** لاقواله ودعايه **البصير** لافعاله
والحافظ له في ظلمة الليل وقت سرايه وقيل انه هو السميع لما قالت له قريش
حين اخبرهم بمسيره الى بيت المقدس البصير بما رد واعليه من التكذيب وقيل
انه هو السميع لاقوال الجميع خلقه البصير بافعالهم فيجازي كل عامل بعمله فحمله
على العموم اولى **فصل** في ذكر حديث المعراج وما يتعلق به من الاحكام
وما قال العلما فيه **ق** عن قتادة عن انس بن مالك عن مالك بن صعصعة
ان نبي الله صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة اسري به قال بينما انا في الحطيم
وربما قال في الحجر مضطجع ومنهم من قال بين النايم واليقظان اذ اتاني ات
قال فسمعته يقول فشق ما بين هذه الى هذه فقلت للجارود وهو بجنبي ما يعني

به قال من ثغرة نحره الى شعرته وسمعته يقول من قصته الى شعرته فاستخرج قلبي
ثم اتيت بطست من ذهب مملوءة ايمانا فغسل قلبي ثم حشي ثم اعيد ثم اتيت
بدابة دون البغل وفوق الحمار ابيض فقال الجارود وهو البراق يا ابا حمزة فقال انس
نعم يضع خطوه الى اقصى طرفه فحملت عليه فانطلق بي جبريل عليه السلام حتى اتى بي
السما الدنيا فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد صلى الله
عليه وسلم قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به ونعم المجيء جا فلما خلصت فاذا
فيها ادم فقال هذا ابوك ادم فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام وقال مرحبا
بالابن الصالح والنبي الصالح ثم صعد حتى اتى السما الثانية فاستفتح فقيل من
هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد صلى الله عليه وسلم قيل وقد ارسل اليه
قال نعم قال مرحبا به فنعم المجيء جا ففتح فلما خلصت فاذا بيحيى وعيسى
وهما ابنا الخالة قال هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما فسلمت فردا ثم قالا
مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح ثم صعد بي الى السما الثالثة فاستفتح
فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم
قيل مرحبا به فنعم المجيء جا فلما خلصت فاذا بيوسف عليه السلام قال هذا
يوسف فسلم عليه فسلمت عليه قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد
حتى اتى السما الرابعة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد
قيل وقد ارسل اليه قال نعم قال مرحبا به فنعم المجيء جا فلما خلصت فاذا ادريس
قال هذا ادريس فسلم عليه فسلمت عليه قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم
صعد بي حتى اتى السما الخامسة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك
قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جا فلما خلصت
فاذا هارون قال هذا هارون فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ
الصالح والنبي الصالح ثم صعد حتى اتى السما السادسة فاستفتح قيل من هذا
قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به
فنعم المجيء جا فلما خلصت فاذا موسى قال هذا موسى فسلم عليه فسلمت عليه
فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح فلما جاوزته بكى فقيل ما يبكيك
قال ابكي لان غلاما بعث بعدي يدخل الجنة من امته اكثر مما يدخلها من امتي ثم صعد
بي الى السما السابعة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك
قال محمد قيل وقد بعث اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جا فلما خلصت فاذا
ابراهيم عليه السلام قال هذا ابوك ابراهيم عليه السلام فسلم عليه فسلمت عليه
فرد السلام ثم قال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح ثم رفعت الى سدرة المنتهى
فاذا نبقها مثل قلال هجر واذا ورقها كاذان الفيلة قال هذه سدرة المنتهى
فاذا اربعة انهار نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت ما هذان يا جبريل
فقال اما الباطنان فنهران في الجنة واما الظاهران فالنيل والفرات ثم رفع

الى البيت المعمور ثم اوتيت باناء من خمر واناء من لبن واناء من عسل فاخذت اللبن
فقال هي الفطرة التي انت عليها وامتك ثم فرضت علي الصلاة خمسين صلاة
كل يوم فرجعت فمررت على موسى فقال بما امرت قلت امرت بخمسين صلاة
كل يوم قال ان امتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم واني والله قد جربت
الناس قبلك وعالجت بني اسرايل اشد المعالجة فارجع الى ربك فاساله التخفيف
لامتك فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت فقال مثله فرجعت فوضع عني عشرا
فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت الى موسى فقال
مثله فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فامرت
بعشر صلوات كل يوم فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فامرت
بخمس صلوات كل يوم فرجعت الى موسى فقال بما امرت فقلت بخمس صلوات
كل يوم قال ان امتك لا تستطيع ذلك واني قد جربت الناس قبلك وعالجت
بني اسرايل اشد المعالجة فارجع الى ربك فاساله التخفيف لامتك قال فسالت
ربي حتى استحييت ولكن ارضى واسلم فلما جاوزت نادى منادٍ امضيت فريضتي
وخففت عن عبادي زاد في رواية اخرى واجزي بالحسنة عشرا وفي رواية
بينما انا عند البيت بين النائم واليقظان وفيه ثم غسل البطن بماء زمزم
ثم ملأ ايمانا وحكمة وفيه فرفع لي البيت المعمور فسالت جبريل فقال هذا
البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون الف ملك اذا خرجوا لم يعودوا
مرة اخرى ق عن انس بن مالك قال كان ابو ذر يحدث ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال فرج سقف بيتي وانا بمكة فنزل جبريل ففرج عن صدري
ثم غسله من ماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وايمانا فافرغها
في صدري ثم اطبقه ثم اخذ بيدي فعرج بي الى السما فلما جينا الى السما الدنيا
قال جبريل لخازن السما الدنيا افتح قال من هذا قال هذا جبريل قال هل
معك احد قال نعم معي محمد صلى الله عليه وسلم قال فارسل اليه قال نعم ففتح
فلما علونا السما الدنيا فاذا رجل بيمينه اسودة وعن شماله اسودة فاذا
نظر قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن
الصالح قال قلت يا جبريل من هذا قال هذا آدم وهذه الاسودة عن يمينه وعن
شماله نسم بنيه فاهل اليمين اهل الجنة والاسودة التي عن شماله اهل النار
فاذا نظر قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى قال ثم عرج بي جبريل حتى اتى
السما الثانية فقال لخازنها افتح فقال له خازنها مثل ما قال خازن سما
الدنيا قال انس بن مالك فذكر انه وجد في السموات آدم وادريس وموسى وعيسى
وابراهيم ولم يثبت كيف منازلهم غير انه ذكر انه وجد آدم في سما الدنيا وابراهيم
في السما السادسة قال فلما مر جبريل ورسول الله صلى الله عليه وسلم بادريس
فقال مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح قال ثم مر فقلت من هذا قال هذا ادريس

قال ثم

قال ثم مررت بموسى فقال مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح قال فقلت من هذا
قال هذا موسى ثم مررت بعيسى فقال مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح قال
فقلت من هذا قال هذا عيسى قال ثم مررت بابراهيم فقال مرحبا بالنبي
الصالح والابن الصالح قال فقلت من هذا قال ابراهيم قال ابن شهاب اخبرني
ابن حزم ان ابن عباس وابا حبة الانصاري يقولان قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى اسمع فيه صريف الاقلام قال ابن حزم
وانس بن مالك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ففرض على امتي خمسين صلاة
فرجعت بذلك حتى مررت بموسى فقال موسى ما فرض ربك على امتك قال قلت فرض
عليهم خمسين صلاة قال لي موسى فراجع ربك فان امتك لا تطيق ذلك قال فراجعت
ربي فوضع شطرها قال فرجعت الى موسى فاخبرته فقال راجع ربك فان امتك
لا تطيق ذلك فراجعت ربي فقال هي خمس وهي خمسون لا يبدل القول لدي فرجعت
الى موسى فقال راجع ربك فقلت قد استحييت من ربي قال ثم انطلق بي جبريل
حتى اتى سدرة المنتهى فغشيها الوان ما ادري ما هي قال ثم ادخلت الجنة فاذا
فيها جنابذ اللولو واذا ترابها المسك ق عن شريك بن ابي نمر انه سمع انس بن مالك
يقول ليلة اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم من مسجد الكعبة انه جاءه ثلاثة
نفر قبل ان يوحى اليه وهو نائم في المسجد الحرام فقال اولهم ايهم هو فقال
اوسطهم هو خيرهم فقال آخرهم خذوا خيرهم فكانت تلك الليلة فلم يرهم حتى اتوه
ليلة اخرى فيما يرى قلبه وتنام عينه ولا ينام قلبه وكذلك الانبيا تنام اعينهم
ولا تنام قلوبهم فلم يكلموه حتى احتملوه فوضعوه عند بير زمزم فتولاه منهم جبريل
فشق جبريل ما بين نحره الى لبته حتى فرغ من صدره وجوفه وغسله من ماء زمزم
بيده حتى انقى جوفه ثم اتي بطست من ذهب فيه تور محشوا ايمانا وحكمة فحشا
صدره ولغاديده يعني عروق حلقه ثم اطبقه ثم عرج به الى السما الدنيا فضرب بابا
من ابوابها فناداه اهل السما من هذا قال جبريل قالوا ومن معك قال معي محمد قالوا
وقد بعث اليه قال نعم قالوا مرحبا به واهلا يستبشر به اهل السما لا يعلم اهل
السما بما يريد الله به في الارض حتى يعلمهم فوجد في السما الدنيا آدم عليه السلام
قال جبريل هذا ابوك آدم فسلم عليه فرد عليه السلام وقال مرحبا واهلا يا بني
نعم الابن انت فاذا هو في سما الدنيا بنهرين يطردان فقال ما هذان النهران يا جبريل
فقال هذا النيل والفرات عنصرهما قال ثم مضى به في السما فاذا بنهر آخر عليه
قصر من لولو وزبرجد فضرب بيده فاذا هو مسك اذفر قال ما هذا يا جبريل
قال هذا الكوثر الذي خبأ لك ربك ثم عرج به الى السما الثانية فقالت الملايكة
مثل ما قالت الاولى من هذا قال جبريل قالوا ومن معك قال محمد قالوا وقد
بعث اليه قال نعم قالوا مرحبا به واهلا قال ثم عرج به الى السما الثالثة فقالوا
مثل ما قالت الاولى والثانية ثم عرج به الى السما الرابعة فقالوا مثل ذلك

ثم عرج به الى الخامسة فقالوا مثل ذلك ثم عرج به الى السادسة فقالوا
مثل ذلك ثم عرج به الى السابعة فقالوا مثل ذلك كل سماء فيها انبياء قد سماهم
فاوعيت منهم ادريس في الثانية وهارون في الرابعة وآخر في الخامسة لم احفظ
اسمه وابراهيم في السادسة وموسى في السابعة بتفضيل كلام الله فقال موسى رب
لم اظن ان ترفع علي احدا ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه احد الا الله حتى جاء سدرة
المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى فكان منه قاب قوسين او ادنى فاوحى الى عبده
بما اوحى اليه خمسين صلاة على امتك كل يوم وليلة ثم هبط حتى بلغ موسى فاحتبسه
موسى فقال يا محمد ماذا عهد اليك ربك قال عهد الي خمسين صلاة كل يوم وليلة
قال ان امتك لا تستطيع ذلك فارجع فليخفف عنك ربك وعنهم فالتفت النبي صلى الله
عليه وسلم الى جبريل كانه يستشيره في ذلك فاشار اليه جبريل ان نعم ان شئت
فعلا به الى الجبار تعالى فقال وهو مكانه يا رب خفف عنا فان امتي لا تستطيع
هذا فوضع عنه عشر صلوات ثم رجع الى موسى فاحتبسه فلم يزل يردده موسى
الى ربه حتى صارت الى خمس صلوات ثم احتبسه موسى عند الخمس فقال يا محمد
لقد راودت بني اسرائيل قومي على ادنى من هذا فضعفوا وتركوه فامتك اضعف
اجسادا وقلوبا وابدانا وابصارا واسماعا فارجع فليخفف عنك ربك كل ذلك
يلتفت النبي صلى الله عليه وسلم الى جبريل عليه السلام ليشير عليه فلا يكره ذلك
جبريل فرفعه عند الخامسة فقال يا رب ان امتي ضعفاء اجسادهم وقلوبهم واسماعهم
وابصارهم وابدانهم فخفف عنا فقال الجبار يا محمد قال لبيك وسعديك
قال انه لا يبدل القول لدي كما فرضت عليك في ام الكتاب فكل حسنة بعشر
امثالها فهي خمسون في ام الكتاب وهي خمس عليك فرجع الى موسى فقال كيف فعلت
قال خفف عنا اعطانا بكل حسنة عشر امثالها فقال موسى قد والله راودت
بني اسرائيل على اقل من ذلك وادنى فتركوه فارجع الى ربك فليخفف عنك ايضا
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا موسى قد والله استحييت من ربي مما
اختلف اليه قال فاهبط بسم الله فاستيقظ وهو في المسجد الحرام هذا لفظ حديث
البخاري وادرج مسلم حديث شريك عن انس الموقوف عليه على حديث ثابت
البناني المسند وذكر من اول حديث شريك طرفا ثم قال وساق الحديث نحو
حديث ثابت قال مسلم وقدم واخر وزاد ونقص وليس في حديث ثابت من هذه
الالفاظ الا ما نورده على نصه اخرجه مسلم وحده من حديث حماد بن سلمة عن
ثابت عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتيت بالبراق وهو دابة
ابيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه قال فركبته
حتى اتيت بيت المقدس قال فربطته بالحلقة التي تربط بها الانبياء قال ثم دخلت
المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل باناء من خمر واناء من لبن فاخترت
اللبن فقال جبريل عليه السلام اخترت الفطرة قال ثم عرج بنا الى السماء فاستفتح

جبريل فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه
ففتح لنا فاذا انا بآدم فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الثانية
فاستفتح فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه
قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بابني الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا
فرحبا ودعوا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الثالثة فاستفتح جبريل فقيل
من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح
لنا فاذا انا بيوسف عليه السلام اذا هو قد اعطي شطر الحسن قال فرحب بي ودعا
لي بخير ثم عرج الى السماء الرابعة فاستفتح جبريل فقيل من هذا قال جبريل
قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا
انا بادريس فرحب ودعا لي بخير قال الله ورفعناه مكانا عليا ثم عرج بي الى السماء
الخامسة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد
قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بهارون فرحب بي ودعا
لي بخير ثم عرج بنا الى السماء السادسة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل
قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا
بموسى فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء السابعة فاستفتح جبريل
فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد
بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بابراهيم عليه السلام مسندا ظهره الى البيت
المعمور فاذا هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون اليه ثم ذهب بي
الى السدرة المنتهى فاذا ورقها كآذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال قال فلما غشيها
من امر الله ما غشي تغيرت فما احد من خلق الله يستطيع ان ينعتها من حسنها
فاوحى الله الي ما اوحى ففرض علي خمسين صلاة كل يوم وليلة فنزلت الى موسى
فقال ما فرض ربك على امتك قلت خمسين صلاة قال ارجع الى ربك فسأله
التخفيف فان امتك لا تطيق ذلك فاني قد بلوت بني اسرائيل وخبرتهم قال
فرجعت الى ربي فقلت يا رب خفف عن امتي فحط عني خمسا فرجعت الى موسى
فقلت حط عني خمسا فقال ان امتك لا يطيقون ذلك فارجع الى ربك فسأله
التخفيف قال فلم ازل ارجع بين موسى وربي تبارك وتعالى حتى قال يا محمد انهن
خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فذلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة
فلم يعملها كتبت له حسنة وان هم بها وعملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة
فلم يعملها لم تكتب شيئا وان عملها كتبت له سيئة واحدة قال فنزلت حتى انتهيت
الى موسى فاخبرته فقال ارجع الى ربك فسأله التخفيف فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقلت قد رجعت الى ربي حتى استحييت منه من رواية
مسلم واخرجه الترمذي مختصرا وفيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتي بالبراق
ليلة اسري به ملجما مسرجا فاستصعب عليه فقال له جبريل ابمحمد تفعل هكذا

ما ركب لاحد اكرم على الله منه فارفض عرقا واخرجه النسائي مختصرا والمعنى واحد
وفي اخره قال فرجعت الى ربي فسألته التخفيف فقال لي يوم خلقت السموات والارض
فرضت عليك وعلى امتك خمسين صلاة فخمس بخمسين فقم بها انت وامتك فعرفت
انها امر الله صري فقول حتم فلم ارجع **فصل** قال البغوي قال بعض اهل
الحديث ما وجدنا للبخاري ومسلم في كتابيهما شيئا لا يحتمل مخرجا الا حديث شريك
ابن ابي نمر عن انس بن مالك ولحال الامر فيه على شريك وذلك انه ذكر فيه ان ذلك
كان قبل الوحي واتفق اهل العلم ان المعراج كان بعد الوحي بنحو من اثني عشر سنة
وفيه ان الجبار تبارك وتعالى دنى فتدلى وذكرت عائشة رضي الله تعالى عنها ان
الذي تدلى هو جبريل عليه السلام قال البغوي وهذا الاعتراض عندي لا يصح لان
هذا كان رؤيا في النوم اراه الله ذلك قبل ان يوحى اليه بدليل اخر الحديث فاستيقظ
وهو في المسجد الحرام ثم عرج به في اليقظة بعد الوحي وقبل الهجرة بسنة تحقيقا لرؤيا
صلى الله عليه وسلم التي رآها من قبل كما انه راى فتح مكة في المنام عام الحديبية
سنة ست من الهجرة ثم كان تحقيقها سنة ثمان ونزل قوله تعالى لقد صدق الله
رسوله الرؤيا بالحق وقال الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله في كتابه شرح مسلم
قد جاء في رواية شريك في هذا الحديث اوهام انكرها عليه العلماء وقد نبه مسلم على
ذلك بقوله قدم واخر وزاد ونقص منها قوله وذلك قبل ان يوحى اليه وهو غلط
لم يوافق عليه وان الاسرا اقل ما قيل فيه ما قيل انه كان بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم
بخمسة عشر شهرا وقال الحربي كان ليلة سبع وعشرين من ربيع الاخر قبل الهجرة
بسنة وقال الزهري كان بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم بخمس سنين وقال ابن اسحاق
اسري به صلى الله عليه وسلم وقد فشا الاسلام بمكة والقبايل قال الشيخ محيي الدين
رحمه الله واشبه الاقوال قول الزهري وابن اسحاق واما قوله في رواية شريك
وهو نايم وفي الرواية الاخرى بينا انا عند البيت بين النايم واليقظان فقد يحتج
من يجعلها رؤيا نوم ولا حجة فيه اذ قد يكون ذلك اول وصول الملك اليه وليس
في الحديث ما يدل على كونه نايما في القصة كلها هذا كلام القاضي عياض وهذا الذي
قاله في رواية شريك وان اهل العلم قد انكروها وقد قاله غيره وقد ذكر البخاري
في رواية شريك هذه عن انس في كتاب التوحيد من صحيحه واتى بالحديث مطولا
عبد الحق في كتابه الجمع بين الصحيحين بعد ذكر هذه الرواية هذا الحديث بهذا
اللفظ من رواية شريك بن ابي نمر عن انس قد زاد فيه زيادة مجهولة واتى فيه بالفاظ
غير معروفة وقد روى حديث الاسرى جماعة من الحفاظ المتقنين والايمة المشهورين
كابن شهاب وثابت البناني وقتادة يعني عن انس فلم يات احد منهم بما اتى به شريك
وشريك ليس بالحافظ عند اهل الحديث قال والاحاديث التي تقدمت قبل هذا
هي المعول عليها **فصل** في شرح بعض الفاظ حديث المعراج وما يتعلق به كانت
ليلة الاسرا قبل الهجرة بسنة تعالى كان في رجب وقيل في رمضان وقد تقدم

زيادة

زيادة على هذا القدر في الفصل الذي قبل هذا واختلف الناس في الاسرا برسول الله
صلى الله عليه وسلم فقيل انما كان ذلك في المنام والحق الذي كان عليه اكثر الناس
ومعظم السلف وعامة الخلف من المتاخرين من الفقها والمحدثين والمتكلمين انه
اسري بروحه وجسده صلى الله عليه وسلم ويدل عليه قوله سبحانه وتعالى سبحان
الذي اسرى بعبده ولفظ العبد عبارة عن مجموع الروح والجسد والاحاديث
التي تقدمت تدل على صحة هذا القول لمن طالعها وبحث عنها وحكى محمد بن جرير
الطبري في تفسيره عن حذيفة انه قال كل ذلك كان رؤيا وانه ما فقد جسد
رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما اسري بروحه وحكى هذا القول عن عائشة
رضي الله تعالى عنها ايضا وعن معاوية نحوه والصحيح ما عليه جمهور العلماء من السلف
والخلف والله اعلم قوله صلى الله عليه وسلم اوتيت بالبراق هو اسم للدابة التي
ركبها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به واشتقاقه من البرق لسرعته
او لشدة صفايه وبياضه ولمعانه وتلاليه ونوره والحلقة باسكان اللام ويجوز
فتحها والمراد بربط البراق بالحلقة الاخذ بالاحتياط في الامور وتعاطي الاسباب
وان ذلك لا يقدح في التوكل اذا كان الاعتماد على الله تعالى و**قوله** جاني جبريل
باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن فيه اختصار والتقدير وقال اخترت
فاخترت اللبن وقول جبريل اخترت الفطرة يعني فطرة الاسلام وجعل اللبن
علامة للفطرة الصحيحة السليمة لكونه سهلا طيبا سايغا للشاربين وانه
سليم العاقبة بخلاف الخمر فانها ام الخبايث وجالبة لانواع الشر **قوله** ثم
عرج بي حتى اتى السما الدنيا فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل فيه
بيان الادب لمن استاذن وان يقول انا فلان ولا يقول انا فانه مكروه
وفيه ان للسما ابوابا وبوابين وان عليها حرسا وقول بواب السما وقد ارسل
وفي الرواية الاخرى وقد بعث اليه معناه للاسرا وصعود السما وليس مراده
الاستفهام عن اصل البعثة والرسالة فان ذلك لا يخفى عليه الى هذه المدة هذا
هو الصحيح في معناه وقيل غيره و**قوله** فاذا انا بآدم وذكر جماعة من الانبيا
فيه استحباب لقا اهل الفضل والصلاح والبشر والترحيب والكلام الحسن
للحسن وان كان الزاير افضل من المزار وفيه جواز مدح الانسان في وجهه اذا
امن عليه من الاعجاب وغيره من اسباب الفتنة و**قوله** فاذا انا بابراهيم
مسند ظهره الى البيت المعمور فيه دليل على جواز الاستناد الى القبلة وتحويل
ظهره اليها و**قوله** ثم ذهب بي الى السدرة المنتهى هكذا وقع في هذه الرواية
السدرة بالالف واللام وفي باقي الروايات الى سدرة المنتهى قال ابن عباس
وغيره من المفسرين سميت بذلك لان علم الملايكة ينتهي اليها ولم يجاوزها
احد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن مسعود سميت بذلك لكونه
ينتهي اليها ما يهبط من فوقها وما يصعد من تحتها من امر الله عز وجل و**قوله**

واذا ثمرها كالقلال هو بكسر القاف جمع قلة وبضمها وهي الجرة الكبيرة التي تسع قربتين او اكثر **وقوله** فرجعت الى ربي قال الشيخ محيي الدين معناه رجعت الى الموضع الذي ناجيته فيه اولا فناجيته فيه ثانيا **وقوله** فلم ازل ارجع بين موسى وربي معناه بين موضع مناجاة ربي عز وجل قلت واما الكلام على معنى الرؤيا وما يتعلق بها فانه سياتي ان شا الله تعالى في تفسير سورة النجم عند قوله تعالى ثم دنا فتدلى **قوله** ففرض على امتي خمسين صلاة الى قوله فوضع شطرها وفي الرواية الاخرى فوضع عني عشرا وفي الاخرى خمسا ليس بين هذه الروايات منافاة لان المراد بالشطر الجزء وهو الخمس وليس المراد منه التنصيف واما رواية العشر ففي رواية شريك ورواية ثابت البناني وقتادة وهما اثبت من شريك فالمراد حط عني خمسا الخ ثم قال هي خمس وهي خمسون يعني خمسين في الاجر والثواب لان الحسنة بعشر امثالها واحتج العلما بهذا الحديث على جواز نسخ الشي قبل فعله وفي اول الحديث انه شق صدره صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج وقد شق ايضا في صغره وهو عند حليمة التي كانت ترضعه فالمراد بالشرح الثاني زيادة التطهير لما يراد به من الكرامات ليلة المعراج **وقوله** اتيت بطست من ذهب قد يتوهم متوهم انه يجوز استعماله الذهب لنا وليس الامر كذلك لان هذا الفعل من فعل الملائكة وهو مباح لهم استعمال الذهب او يكون هذا قد كان قبل تحريمه **وقوله** ممتلي حكمة وايمانا فافرغها في صدري فان قلت الحكمة والايمان معان والافراغ صفة الاجسام فما معنى ذلك قلت يحتمل انه جعل بشي يحصل به كمال الايمان والحكمة وزيادتهما فسمي ايمانا وحكمة لكونه سببا لهما وهذا من احسن المجاز **وقوله** في صفة آدم عليه السلام فاذا رجل عن يمينه اسودة وعن يساره اسودة وهو جمع سواد وقد فسر في الحديث بانه نسم بنيه يعني ارواح بنيه وقد اعترض على هذا بان ارواح المومنين في السما وارواح الكفار تحت الارض فكيف تكون في السما والجواب عنه بانه يحتمل بان ارواح الكفار تعرض على آدم عليه السلام مر ورا لنبي صلى الله عليه وسلم فاخبر بما راى **وقوله** اذا نظر عن يمينه ضحك واذا نظر الى شماله بكى فيه شفقة الوالد على اولاده وسروره وفرحه بحسن حال المومن منهم وحزنه على سو حال الكافر منهم وقوله في ادريس مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح وقد اتفق المورخون ان ادريس هو اخنوخ وهو جد نوح عليهما السلام وعلى ان ادريس هو اخنوخ فيكون جد النبي صلى الله عليه وسلم كما ان ابراهيم عليه السلام جده فكان ينبغي ان يقول بالنبي الصالح والابن الصالح كما قال ابراهيم عليه السلام والجواب عن هذا انه قيل ان ادريس المذكور هنا هو الياس وهو من ذرية ابراهيم فليس هو جد لنوح هذا جواب القاضي عياض قال الشيخ محيي الدين ليس في الحديث ما يمنع كون ادريس ابا لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وان قوله الاخ الصالح يحتمل

ان يكون قال

ان يكون قاله تلطفا وتادبا وهو اخ وان كان ابنا لان الانبيا اخوة والمومنون اخوة والله اعلم **فصل** في ذكر الايات التي ظهرت بعد المعراج الدالة على صدقه صلى الله عليه وسلم وسببا واحاديث تتعلق بالاسرا قال البغوي روي انه لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به فكان بذي طوى قال يا جبريل ان قومي لا يصدقوني قال يصدقك ابو بكر وهو الصديق قال ابن عباس وعايشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كانت ليلة اسري بي اصبحت بمكة فضقت بامري وعرفت ان الناس يكذبوني فروي انه صلى الله عليه وسلم قعد معتزلا حزينا فمر به ابو جهل فجلس اليه فقال كالمستهزي استفدت من شي قال نعم اسري بي الليلة قال الى اين قال الى بيت المقدس قال ابو جهل ثم اصبحت بين اظهرنا قال نعم فلم ير ابو جهل ان ينكر ذلك مخافة ان يجحده الحديث ولكن قال اتحدث قومك بما حدثتني قال نعم قال ابو جهل يا معشر بني كعب بن لوي هلم قال فانتفضت المجالس وجاوا حتى جلسوا اليهما قال حدث قومك بما حدثتني قال نعم اسري بي الليلة قالوا الى اين قال الى بيت المقدس قالوا ثم اصبحت بين اظهرنا قال نعم قال فبقي الناس بين مصفق وبين واضع يده على راسه متعجبا وارتد ناس ممن قد امن به وصدقه وسعى رجل الى ابي بكر الصديق فقال له هل لك في صاحبك يزعم انه اسري به الليلة الى بيت المقدس قال او قد قال ذلك قال نعم قال لين كان قال ذلك لقد صدق قالوا وتصدقه انه ذهب الى بيت المقدس وجا في ليلة قبل ان يصبح قال نعم اني اصدقه بما هو ابعد من ذلك اصدقه بخبر السما في غدوة او روحة فلذلك سمي ابو بكر الصديق قال وكان في القوم من قد اتى المسجد الاقصى قالوا هل تستطيع ان تنعت لنا المسجد قال نعم فذهبت انعت وانعت حتى التبس علي قال فجي بالمسجد وانا انظر اليه حتى وضع دون دار عقيل فنعته النبي صلى الله عليه وسلم صفة المسجد وانا انظر اليه فقال القوم اما النعت فوالله لقد اصاب فيه ثم قالوا يا محمد اخبرنا عن عيرنا فهي اهم الينا هل لقيت منها شيا قال نعم مررت بعير بني فلان وهي بالروحا وقد اضلوا بعيرا وهم في طلبه وفي رحالهم قدح من ما فعطشت فاخذته فشربته ثم وضعته كما كان فسلوا هل وجدوا الما في القدح حين رجعوا قالوا هذه اية قال ومررت بعير بني فلان وفلان راكبان قعودا بذي مر فنفر بعيرهما مني فرمى بفلان فانكسرت فاسيلوهما عن ذلك قالوا هذه اية اخرى فاخبرنا عن عيرنا قال مررت بها بالتنعيم قالوا فما عدتها واحمالها وهيبتها فقال كنت في شغل عن ذلك ثم مثلت له بعدتها واحمالها وهيبتها ومن فيها وكانوا بالحزورة قال نعم هيبتها كذا وكذا وفيها فلان وفلان يقدمها جمل اورق عليه غرارتان مخيطتان تطلع عليكم عند طلوع الشمس قالوا وهذه اية ثم خرجوا يشتدون نحو الثنية وهم يقولون والله لقد قص محمد شيا وبينه انوا

كدي فجلسوا عليه يجعلوا ينظرون متى تطلع الشمس فيكذبونه اذ قال قايل
هذه الشمس قد طلعت وقال الاخر وهذه العير قد طلعت يقدمها بعير اورق
فيها فلان وفلان كما قال فلم يومنوا وقالوا هذا سحر مبين م عن ابي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد رايتني في الحجر وقريش
تسالني عن مسراي فسالتني عن اشيا في بيت المقدس لم اثبتها فكربت كربة
ما كربت مثلها قط قال فرفعه الله لي انظر اليه ما يسالوني عن شي الا انباتهم
به وقد رايتني في جماعة من الانبيا فاذا موسى قايم يصلي فاذا رجل ضرب جعد
كانه من رجال شنوءة واذا عيسى ابن مريم قايم يصلي اقرب الناس به شبها
عروة بن مسعود الثقفي واذا ابراهيم قايم يصلي اشبه الناس به صاحبكم يعني
به نفسه صلى الله عليه وسلم فحانت الصلاة فاممتهم فلما فرغت قال قايل يا محمد هذا
مالك خازن النار فسلم عليه فالتفت اليه فبداني بالسلام ق عن جابر انه
سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لما كذبتني قريش قمت الى الحجر فجلا الله
لي بيت المقدس فطفقت اخبرهم عن اياته وانا انظر اليه زاد البخاري في رواية
له لما كذبني قريش حين اسري بي الى بيت المقدس وذكر الحديث م عن انس
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتيت على موسى ليلة اسري بي عند الكثيب
الاحمر وهو قايم يصلي في قبره عن بريدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما انتهينا الى بيت المقدس قال جبريل كذا باصبعه فخرق الحجر وشد به البراق
اخرجه الترمذي فان قلت كيف راى رسول الله صلى الله عليه وسلم موسى يصلي
في قبره وكيف صلى بالانبيا ببيت المقدس ثم وجدهم على مراتبهم في السموات
وسلموا عليه ورحبوا به وكيف تصح الصلاة من الانبيا بعد الموت وهم في الدار
الاخرة قلت اما صلاته صلى الله عليه وسلم بالانبيا ببيت المقدس يحتمل
ان الله جمعهم له ليصلي بهم ويعرفوا فضله وتقدمه عليهم ثم ان الله تعالى
اراه اياهم في السموات على مراتبهم ليعرف مراتبهم وفضلهم واما مروره بموسى
وهو قايم يصلي في قبره عند الكثيب الاحمر فيحتمل انه كان بعد رجوعه عن المعراج
واما حكم صلاة الانبيا وهم في الدار الاخرة فهم في حكم الشهدا بل افضل منهم
وقد قال الله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احيا فالانبيا
احيا بعد الموت واما حكم صلاتهم فيحتمل انها الذكر والدعا وذلك من اعمال الاخرة
قال الله تعالى دعواهم فيها سبحانك اللهم وورد في الحديث انهم يلهمون التسبيح
كما يلهمون النفس ويحتمل ان الله تعالى خصهم بخصايص في الاخرة كما خصهم في الدنيا
بخصايص لم يخص بها غيرهم منها انه صلى الله عليه وسلم اخبر انه راهم يلبون ويحجون
فكذلك الصلاة والله اعلم بالحقايق قوله تعالى **واتينا موسى الكتاب** يعني
التوراة **وجعلناه** يعني الكتاب **هدى لبني اسرايل الا تتخذوا** يعني وقلنا
لهم لا تتخذوا **من دوني وكيلا** يعني ربا وكفيلا **ذرية** يعني يا ذرية **من**

حملنا

حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا يعني نوحا انه كان كثير الشكر وذلك انه كان
اذا اكل طعاما او شرب شرابا او لبس ثوبا قال الحمد لله فسماه عبدا شكورا
لذلك قوله عز وجل **وقضينا الى بني اسرايل في الكتاب** يعني اعلمناهم واخبرناهم فيما
اتيناهم من الكتب انهم سيفسدون وهو قوله **لتفسدن في الارض مرتين**
قال ابن عباس وقضينا عليهم في الكتاب فالى بمعنى على والمراد بالكتاب اللوح
المحفوظ واللام في لتفسدن لام القسم مجازه والله لتفسدن في الارض
يعني بالمعاصي والمراد بالارض ارض الشام وبيت المقدس **ولتعلن** يعني ولتستكبرن
ولتظلمن الناس **علوا كبيرا فاذا جا وعد اولاهما** يعني اولى المرتين قيل افسادهم
في المرة الاولى هو ما خالفوا من احكام التوراة وركبوا من المحارم وقيل افسادهم
في المرة الاولى قتل شعيا في الشجرة وارتكابهم المعاصي **بعثنا عليكم عبادا لنا**
يعني جالوت وجنوده وهو الذي قتله داود وقيل هو سنحاريب من اهل نينوى
وقيل هو بخت نصر البابلي وهو الاصح **اولي باس شديد** يعني ذوي بطش وقوة
في الحرب **فجاسوا خلال الديار** يعني طافوا بين الديار ووسطها يطلبونكم
ليقتلوكم **وكان وعدا مفعولا** يعني قضا كاينا لازما لا خلف فيه **ثم رددنا
لكم الكرة عليهم** يعني رددنا لكم الدولة والغلبة على الذين بعثوا عليكم
حين تبتم من ذنوبكم ورجعتم عن الفساد **وامددناكم باموال وبنين
وجعلناكم اكثر نفيرا** يعني اكثر عددا **ان احسنتم احسنتم لانفسكم** يعني
لها ثوابها وجزا احسانها **وان اساتم فلها** يعني فعليها اساتها **فاذا جا وعد
الاخرة** يعني المرة الاخرة من فسادكم وهو قصدهم قتل عيسى فخلصه الله منهم
ورفعه اليه وقتلوا زكريا ويحيى عليهما السلام فسلط الله عليهم الفرس والروم
فسبوهم وقتلوهم وهو قوله **ليسووا وجوهكم** يعني ليحزنوكم ويغموكم
وقرئ بالنون اي ليسوء الله وجوهكم **وليدخلوا المسجد** يعني بيت المقدس
ونواحيه **كما دخلوه اول مرة** يعني وقت افسادهم الاول **وليتبروا ما علوا
تتبيرا** يعني وليهلكوا ما غلبوا عليه من بلاد بني اسرايل ذكر القصة
في هذه الايات قال محمد بن اسحاق كانت بنو اسرايل فيهم الاحداث والذنوب
وكان الله في ذلك متجاوزا عنهم ومحسنا اليهم وكان اول ما نزل بهم بسبب
ذنوبهم ان ملكا منهم يدعى صديقة وكان الله اذا ملك عليهم الملك بعث معه
نبيا يسدده ويرشده ولا ينزل عليهم كتابا انما يومرون باتباع التوراة
والاحكام التي فيها فلما ملك صديقة بعث الله معه شعيا بن امصيا وذلك قبل
مبعث زكريا ويحيى وشعيا هو الذي بشر بعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم
فقال ابشري اوري شلم ومعناه البشرى الان ياتيك راكب الحمار ومن بعده صاحب
البعير فملك ذلك الملك يعني صديقة بني اسرايل وبيت المقدس زمانا فلما انقضى
ملكه عظمت الاحداث فيهم وكان معه شعيا فبعث الله سنحاريب ملك بابل ومعه

ستماية الف راية فلم يزل سائرا حتى نزل حول بيت المقدس والملك مريض من قرحة
في ساقه فجاءه النبي شعيا وقال له يا ملك بني اسرايل ان سنحاريب ملك بابل قد نزل
به هو وجنوده وقد هابهم الناس وفرقوا منه فكبر ذلك على الملك وقال يا نبي الله
هل اتاك من الله وحي فيما حدث فتخبرنا به وكيف يفعل الله بنا وبسنحاريب وجنوده
فقال شعيا يا نبي لم يوح الي في ذلك فبينما هم كذلك اوحى الله الى شعيا النبي ملك
بني اسرايل فمره ان يوصي وصيته ويستخلف على ملكه من يشاء من اهل بيته فاتى
شعيا ملك بني اسرايل فقال ان ربك قد اوحى الي ان امرك ان توصي وصيتك
وتستخلف من شئت على ملكك من اهل بيتك فانك ميت فلما قال ذلك شعيا
لصديقة الملك اقبل على القبلة فصلى ودعا وقال وهو يبكي ويتضرع بقلب
مخلص اللهم رب الارباب واله الالهة يا قدوس المتقدس يا رحمن يا رحيم يا رؤوف
الذي لا تاخذه سنة ولا نوم اذكرني بعملي وفعلي وحسن قضائي على بني اسرايل
وذلك كله كان منك وانت اعلم به مني سري وعلانيتي لك قال فاستجاب الله
دعاءه وكان عبدا صالحا فاوحى الله الى شعيا ان يخبر صديقة ان ربه قد استجاب
دعاءه ورحمه واخر اجله خمس عشرة سنة وانجاه من عدوه سنحاريب فاتاه النبي
شعيا واخبره فلما قال ذلك انقطع عنه الحزن وخر لله ساجدا وقال الهي
واله ابائي لك سجدت وسبحت وكرمت وعظمت انت الذي تعطي الملك من
تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء عالم الغيب والشهادة
انت الاول والاخر والظاهر والباطن وانت ترحم وتستجيب دعوة المضطرين
انت الذي اجبت دعوتي ورحمت تضرعي فلما رفع راسه اوحى الله الى شعيا
ان قل للملك صديقة فيامر عبدا من عبيده فياتيه بماء التين فيجعله على قرحته
فيشفى فيصبح وقد برئ ففعل ذلك فشفي فقال الملك لشعيا اسال ربك ان
يجعل لنا علما بما هو صانع بعدونا هذا قال الله لشعيا قل له اني كفيتك عدوك
وانجيتك منه وانهم سيصبحون موتى كلهم الا سنحاريب وخمسة نفر من كتابه
فلما اصبح جاء صارخ يصرخ على باب المدينة يا ملك بني اسرايل ان الله قد كفاك
عدوك فاخرج فان سنحاريب ومن معه هلكوا فخرج الملك والتمس سنحاريب فلم
يوجد في الموتى فبعث الملك في طلبه فادركه الطلب في مغارة ومعه خمسة
نفر من كتابه احدهم بختنصر فجعلوهم في الجوامع ثم اتوا بهم الى الملك فلما راهم
خر ساجدا لله تعالى من حين طلعت الشمس الى العصر ثم قال لسنحاريب كيف
رايت فعل ربنا بكم الم يقتلكم بحوله وقوته ونحن وانتم غافلون فقال سنحاريب
قد اتاني خبر ربكم ونصره اياكم ورحمته التي يرحمكم بها قبل ان اخرج من بلادي
فلم اطع مرشدا ولم يلقني في الشقوة الا قلة عقلي ولو سمعت وعقلت ما غزوتكم
فقال الملك صديقة الحمد لله رب العالمين الذي كفاناكم بما شاء ان ربنا
لم يبقك ومن معك لكرامة بك عليه ولكنه انما ابقاك ومن معك لتزدادوا

شقوة في الدنيا وعذابا في الاخرة ولتخبروا من وراءكم بما رايتم من فعل ربنا بكم
فتنذروا بما بعدكم ولولا ذلك لقتلتك ومن معك ولدمك ودم من معك اهون
على الله من دم قراد لو قتلت ثم ان ملك بني اسرايل امر امير حرسه ان يقذف في
رقابهم الجوامع ففعل وطاف بهم سبعين يوما حول بيت المقدس وايليا وكان
يرزقهم في كل يوم خبزتين من شعير فقال سنحاريب للملك صديقة القتل خير مما
يفعل بنا فامر بهم الى القتل فاوحى الله الى شعيا النبي ان قل لملك بني اسرايل يرسل
سنحاريب ومن معه لينذروا من وراءهم وليكرمهم وليحملهم حتى يبلغوا بلادهم فبلغ
ذلك شعيا للملك ففعل وخرج سنحاريب ومن معه حتى قدموا بابل فلما قدموا
جمعوا الناس فاخبرهم كيف فعل الله بجنوده فقال له كهانه وسحرته يا ملك بابل
قد كنا نقص عليك خبر ربهم وخبر نبيهم ووحي الله الى نبيهم فلم تطعنا وهي امة
لا يستطيعها احد مع ربهم وكان امر سنحاريب تخويفا لبني اسرايل ثم كفاهم
الله ذلك تذكرة وعبرة ثم ان سنحاريب لبث بعد ذلك سبع سنين ثم مات
واستخلف على ملكه ابن ابنه بختنصر فعمل بعمله وقضى بقضائه فلبث سبع
عشرة سنة ثم قبض الله ملك بني اسرايل صديقة فمرج امر بني اسرايل
وتنافسوا الملك حتى قتل بعضهم بعضا وشعيا نبيهم معهم لا يقبلون منه
فلما فعلوا ذلك قال الله لشعيا قم في قومك اوحي على لسانك فلما قام
انطلق لسانه بالوحي فقال يا سماء استمعي ويا ارض انصتي فان الله يريد
ان يقص شان بني اسرايل الذي رباهم برحمته ونعمته واصطفاهم لنفسه
وخصهم بكرامته وفضلهم على عباده وهم كالغنم الضائعة التي لا راعي لها
فاوى شاردتها وجمع ضالتها وجبر كسيرها وداوى مريضها واسمن مهزولها وحفظ
سمينها فلما فعل ذلك بطرت فتناطحت كباشها فقتل بعضها بعضا حتى لم يبق
منها عظم صحيح يجبر اليه كسير فويل لهذه الامة الخاطئة لا يدرون انى جاءهم
الحين ان البعير مما يذكر وطنه فينتابه وان الحمار مما يذكر الاري الذي يشبع
عليه فيراجعه وان الثور مما يذكر المرج الذي سمن فيه فينتابه وان هولاء القوم
لا يذكرون من حيث جاءهم الحين وهم اولوا الالباب والعقول وليسوا ببقر ولا
حمير اني ضارب لهم مثلا فليسمعوه قل كيف ترون في ارض كانت خرابا زمانا
لا عمران فيها وكان لها رب حكيم قوي فاقبل عليها بالعمارة وكره ان تخرب ارضه
وهو قوي او يقال ضيع وهو حكيم فاحاط عليها جدارا وشيد فيها قصرا وانبع
نهرا وصف فيها غراسا من الزيتون والرمان والنخيل والاعناب والوان الثمار
كلها وولى ذلك واستحفظه ذا راي وهمة حفيظا قويا امينا فلما اطلعت جاء
طلعها خروبا قالوا بئست الارض هذه نرى ان تهدم جدارها وقصرها ويدفن
نهرها ويقبض قيمها ويحرق غرسها حتى تصير كما كانت اول مرة خرابا مواتا
لا عمران فيها قال الله تعالى قل لهم الجدار ذمتي وان القصر شريعتي وان النهر كتابي

وان الغنم بني وانا الغراس بهم وان الحزوب الذي اطلع الغراس اعمالهم الخبيثة واني قد قضيت
عليهم قضاءهم علي انفسهم وانه مثل ضربته لهم يتقربون الي بذبح البقر والغنم وليس ينالني
اللحم ولا الاكل ويدعون ان يتقربوا الي بالتقوي والكف عن ذبح الانفس التي حرمتها فايديهم
مخضوبة منها وثيابهم متزملة بدمائها يشيدون لي البيوت مساجد ويطهرون
اجوافها وينجسون قلوبهم واجسادهم ويدنسونها ويزوقون لي المساجد ويزينونها
ويخربون عقولهم واخلاقهم ويفسدونها واي حاجة لي الي تشييد البيوت ولست اسكنها
واي حاجة لي الي تزويق المساجد ولست ادخلها انما امرت برفعها لاذكر واسبح فيها يقولون
صمنا فلم يرفع صيامنا وصلينا فلم تنور صلاتنا وتصدقنا فلم تزك صدقتنا ودعونا
بمثل حنين الحمام وبكينا مثل عوا الذياب في كل ذلك لا يستجاب لنا قال الله فسلهم
ما الذي منعني ان استجيب لهم السنا اسمع السامعين وابصر الناظرين واقرب المجيبين
وارحم الراحمين فكيف ارفع صيامهم وهم يلبسون بقول الزور ويتقوون
عليه بطعمة الحرام ام كيف انور صلاتهم وقلوبهم صاغية الي من يحاربني ويحادني
وينتهك محارمي ام كيف تزكوا عندي صدقاتهم وهم يتصدقون باموال غيرهم انما
اجزي عليها اهلها المغصوبين ام كيف استجيب دعاءهم وانما هو قول بالسنتهم
والفعل من ذلك بعيد وانما استجيب للداعي اللين وانما استمع قول المستضعف
المسكين وان من علامة رضاي رضي المساكين يقولون لما سمعوا كلامي وبلغتهم رسالتي
انها اقاويل منقولة واحاديث متواترة وتاليف مما تالف السحرة والكهنة وزعموا
انهم لو شاووا ان ياتوا بحديث مثله فعلوا ولو شاووا ان يطلعوا علي عالم الغيب بما
يوحي اليهم الشياطين اطلعوا واني قد قضيت يوم خلقت السموات والارض قضا
اثبتته وحتمته علي نفسي وجعلت دونه اجلا موجلا لا بد انه واقع فان صدقوا
فيما ينتحلون من علم الغيب فليخبروك متي انفذه او في اي زمان يكون وان كانوا
يقدرون علي ان ياتوا بما يشاوون فلياتوا بمثل القدرة التي بها امضيه فاني
مظهره علي الدين كله ولو كره المشركون فان كانوا يقدرون علي ان يولفوا ما يشاوون
فيولفوا مثل الحكمة التي ادبر بها ذلك القضا ان كانوا صادقين واني قد قضيت
يوم خلقت السما والارض ان اجعل النبوة في الاجرا وان اجعل الملك في الرعا والعز
في الاذلا والقوة في الضعفا والغنا في الفقرا والعلم في الجهلة والحلم في الاميين
فسلهم متي هذا ومن القايم بها ومن اعوان هذا الامر وانصاره وان كانوا يعلمون
فاني باعث لذلك نبيا اميا ليس اعجمي من عميان ضالا لا من ضالين ليس بفظ ولا غليظ
ولا صخاب في الاسواق ولا متزين بالفحش ولا قوال للخنا اسدده لكل جميل واهب
كل خلق كريم اجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوي ضميره والحكمة معقوله
والصدق والوفا طبيعته والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق شريعته
والهدى امامه والاسلام ملته واحمد اسمه اهدي به بعد الضلالة واعلم به بعد الجهالة
وارفع به بعد الذلة والخمالة واشهر به بعد النكرة واكثر به بعد القلة واغني به بعد

العيلة واجمع به بعد الفرقة واولف به بين قلوب مختلفة واهوا متشتتة وامم متفرقة
واجعل امته خير امة اخرجت للناس يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر توحيدا
لي وايمانا بي واخلاصا لي يصلون لي قياما وقعودا وركعا وسجودا يقاتلون في سبيلي
صفوفا وزحوفا ويخرجون من ديارهم واموالهم ابتغا مرضاتي الهمهم التكبير والتسبيح
والتحميد والمدحة والتمجيد لي في مسيرهم ومجالسهم ومضاجعهم ومتقلبهم ومثواهم
يكبرون ويهللون ويقدسون علي روس الاشراف ويطهرون الي الوجوه والاطراف
ويعقدون الثياب علي الانصاف قربانهم دماوهم واناجيلهم في صدورهم رهبان
بالليل ليوث بالنهار ذلك فضلي اوتيه من اشا وانا ذو الفضل العظيم فلما فرغ
شعيا من مقالته عدوا عليه ليقتلوه فهرب منهم فلقيته شجرة فانفلقت له فدخل
فيها فادركه الشيطان فاخذ هدبة من ثوبه فاراهم اياها فوضعوا المنشار في وسطها
فنشروها حتى قطعوها وقطعوه في وسطها واستخلف الله علي بني اسرايل بعد
ذلك رجلا منهم يقال له ناشية بن اموص وبعث لهم ارميا بن حلقيا نبيا وكان من
سبط هارون بن عمران وذكر ابن اسحاق انه الخضر واسمه ارميا سمي الخضر لانه جلس
علي فروة بيضا فقام عنها وهي تهتز خضرا فبعث الله ارميا الى ذلك الملك يسدده
ويرشده ثم عظمت الاحداث في بني اسرايل وركبوا المعاصي واستحلوا المحارم
فاوحي الله تبارك وتعالي الي ارميا ان ايت قومك من بني اسرايل فاقصص عليهم
ما امرك به وذكرهم نعمي وعرفهم باحداثهم فقال ارميا اني ضعيف ان لم تقوني عاجز
ان لم تبلغني مخذول ان لم تنصرني قال الله ولم تعلم ان الامور كلها تصدر عن مشيئتي
وان القلوب والالسنة بيدي اقلبها كيف شيت لاني معك ولن يصل اليك شي
معي فقام ارميا ولم يدر ما يقول فالهمه الله في الوقت خطبة بليغة بين لهم فيها
ثواب الطاعة وعقاب المعصية وقال في اخرها عن الله عز وجل واني حلفت بعزتي
لاقيضن لهم فتنة يتحير فيها الحكيم ولاسلطن عليهم جبارا قاسيا البسه الهيبة
وانزع من صدره الرحمة يتبعه عدد مثل سواد الليل المظلم ثم اوحي الله الي ارميا
اني مهلك بني اسرايل بيافث ويافث من اهل بابل علي ما ذكرنا في سورة البقرة فسلط
الله عليهم بخت نصر فخرج في ستماية الف راية ودخل بيت المقدس بجنوده ووطي
الشام وقتل بني اسرايل حتى افناهم وخرب بيت المقدس وامر جنوده ان يملا كل
رجل منهم ترسه ترابا ثم يقذفه في بيت المقدس ففعلوا حتى ملاوه ثم امرهم ان يجمعوا
كل من في بلدان بيت المقدس كلهم فاجتمع عنده كل صغير وكبير من بني اسرايل
فاختار منهم سبعين الف صبي فلما خرجت غنايم جنده واراد ان يقسمها فيهم
قالت له الملوك الذين كانوا معه ايها الملك لك غنايمنا كلها واقسم بيننا هولا
الصبيان الذين اخترتهم من بني اسرايل فقسمهم بين الملوك الذين كانوا معه فاصاب
كل رجل منهم اربع غلمان وفرق من بقي من بني اسرايل ثلاث فرق ثلثا اقرهم بالشام
وثلثا سباهم وثلثا قتلهم وذهب بناية بيت المقدس وبالصبيان السبعين

الف حتى اقدمهم بابل وكانت هذه الوقعة الاولى الذي انزل الله عز وجل في بني
اسرايل بظلمهم وذلك قوله تعالى فاذا جا وعد اولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا اولي
باس شديد يعني بخت نصر واصحابه ثم ان بخت نصر اقام في سلطانه ما شا الله
ثم راى رويا عجيبة اذ راى شيا اصابه فانساه الذي راى فدعى دانيال وحنانيا
وعزاريا وميشايل وكانوا من ذراري الانبيا وسالهم عنها فقالوا اخبرنا بها نخبرك
بتاويلها فقال ما اذكرها وان لم تخبروني بها وبتاويلها لانزعن اكتافكم فخرجوا
من عنده فدعوا الله وتضرعوا اليه فعلمهم الذي سالهم عنه فجاوا فقالوا رايت
تمثالا قدماه وساقاه من فخار وركبتاه وفخذاه من نحاس وبطنه من فضة وصدره
من ذهب وراسه وعنقه من حديد فقال صدقتم فقالوا فبينما انت تنظر اليه قد
اعجبك ارسل الله صخرة من السما فدقته فهي التي انسيتها قال صدقتم فما تاويلها قالوا
تاويلها انك رايت ملك الملوك بعضهم كان الين ملكا وبعضهم كان احسن ملكا وبعضهم
كان اشد ملكا الفخار اضعفه ثم فوقه النحاس اشد منه ثم فوق النحاس الفضة
افضل من ذلك والذهب احسن من الفضة وافضل ثم الحديد ملكك فهو اعز واشد
مما كان قبله والصخرة التي رايت ارسل الله من السما فدقته نبي يبعثه الله من
السما فيدق ذلك اجمع ويصير الامر اليه ثم ان اهل بابل قالوا لبخت نصر ارايت
هولا الغلمان من بني اسرايل الذين سالناك ان تعطيناهم ففعلت فانا قد انكرنا
نسانا منذ كانوا معنا لقد راينا نساءنا انصرفت وجوههم عنا اليهم فاخرجهم من
بين اظهرنا واقتلهم فقال شانكم بهم فمن احب ان يقتل من كان في يده فليفعل فلما
قربوهم للقتل بكوا وتضرعوا الى الله عز وجل وقالوا يا ربنا اصابنا البلا بذنوب
غيرنا فوعدهم الله ان يحييهم فقتلوا الا من كان مع بخت نصر منهم دانيال وحنانيا
وعزاريا وميشايل ثم لما اراد الله هلاك بخت نصر انبعث فقال لمن في يده
من بني اسرايل ارايتم هذا البيت الذي اخربته والناس الذي قتلتهم وما
هذا البيت قالوا هذا بيت الله وهولا اهله كانوا من ذراري الانبيا فظلموا
وتعدوا فسلط الله عليهم بذنوبهم وكان ربهم رب السموات والارض ورب الخلايق
كلهم ويعزهم فلما فعلوا ما فعلوا اهلكهم وسلط عليهم غيرهم فاستكبر وتجبر
وظن انه بجبروته فعل ذلك ببني اسرايل فقال اخبروني كيف لي ان اطلع الى السما
العليا فاقتل من فيها واتخذها لي ملكا فاني قد فرغت من اهل الارض قالوا ما
يقدر عليها احد من الخلايق قال لتفعلن او لاقتلنكم عن اخركم فبكوا وتضرعوا الى الله
تعالى فبعث الله بقدرته بعوضة فدخلت منخره فعضت على ام دماغه فما
كان يقر ولا يسكن حتى يوجا له دماغه على ام راسه فلما مات شقوا راسه فوجدوا
البعوضة عاضة على ام دماغه ليري الله عباده قدرته ونجى الله من بقي من
بني اسرايل في يده وردهم الى الشام فبنوا فيه وكثروا حتى كانوا على احسن ما كانوا
عليه ويزعمون ان الله تعالى احيى اوليك الذين قتلوا فلحقوا بهم ثم انهم لما دخلوا

الشام

الشام دخلوها وليس معهم من الله عهد كانت التوراة قد احترقت وكان عزير
من السبايا الذين كانوا ببابل فلما رجع الى الشام جعل يبكي ليله ونهاره وخرج عن
الناس فبينما هو كذلك اذ جاءه رجل فقال له يا عزير ما يبكيك قال ابكي على كتاب الله
وعهده الذي كان بين اظهرنا الذي لا يصلح ديننا واخرتنا غيره قال افتحب ان يرد
عليك ارجع فصم فتطهر وطهر ثيابك ثم موعدك هذا المكان غدا فرجع عزير فصام وتطهر
وطهر ثيابه ثم عمد الى المكان الذي وعده فجلس فيه فاتى ذلك الرجل باناء فيه ما
وكان ملكا فبعثه الله اليه فسقاه من ذلك الانا فتمثلت التوراة في صدره فرجع
الى بني اسرايل فوضع لهم التوراة فاحبوه حبا لم يحبوا مثل حبه شيا قط ثم قبضه
الله تعالى وجعلت بنو اسرايل بعد ذلك يحدثون الاحداث ويعود الله عليهم
ويبعث فيهم الرسل ففريقا يكذبون وفريقا يقتلون حتى كان اخر من بعث اليهم
من انبيايهم زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام وكانوا من بيت ال داود فمات زكريا
وقيل قتل وقصدوا عيسى ليقتلوه فرفعه الله من بين اظهرهم وقتلوا يحيى
فلما فعلوا ذلك بعث الله عليهم ملكا من ملوك بابل يقال له خردوس فسار اليهم
باهل بابل حتى دخل عليهم الشام فلما ظهر عليهم امر راسا من روسا جنوده يقال
له نبوزراذان صاحب المقتل فقال له اني كنت قد حلفت بالهي اني لان انا ظفرت
على اهل بيت المقدس لاقتلنهم حتى يسيل الدم في وسط عسكري ان لا اجد احدا الا
قتلته فامره ان يقتلهم حتى يبلغ ذلك منهم ثم ان نبوزراذان دخل بيت المقدس فقام
في البقعة التي كانوا يقربون فيها قربانهم فوجد فيها دما يغلي فسالهم عنه فقال
يا بني اسرايل ما شان هذا الدم يغلي فاخبروني خبره قالوا هذا دم قربان لنا قربناه
فلم يقبل منا فلذلك يغلي ولقد قربنا من القربان ثمانماية سنة فتقبل منا الا
هذا فقال ما صدقتموني فقالوا لو كان كاول زماننا لتقبل منا ولكن قد انقطع
منا الملك والنبوة والوحي فلذلك لم يتقبل منا فذبح نبوزراذان منهم على ذلك الدم
سبعماية وسبعين رجلا من روسهم فلم يهدا الدم فامر بسبعماية غلام من غلمانهم
فذبحوا على الدم فلم يهدا الدم فامر بسبعة الاف من سبيهم وازواجهم فذبحهم
على الدم فلم يبرد الدم فلما راى نبوزراذان ان الدم لا يهدا قال لهم يا بني اسرايل
ويلكم اصدقوني واصبروا على امر ربكم فطالما ملكتم في الارض تفعلون ما شيتم
قبل ان لا اترك منكم نافخ نار من ذكر وانثى الا قتلته فلما راوا الجهد وشدة القتل
اصدقوه الخبر فقالوا ان هذا دم نبي كان ينهانا عن امور كثيرة من سخط الله تعالى
فلو كنا اطعناه كان ارشد لنا وكان يخبرنا عن اموركم فلم نصدقه فقتلناه فهذا
دمه فقال نبوزراذان ما كان اسمه قالوا يحيى بن زكريا قال الان صدقتموني لمثل
هذا ينتقم ربكم منكم فلما راى نبوزراذان انهم صدقوه خر ساجدا لله وقال لمن حوله اغلقوا
ابواب المدينة واخرجوا من كان ها هنا من جيش خردوش وخلا في بني اسرايل ثم قال
يا يحيى بن زكريا قد علم ربي وربك ما اصاب قومك من اجلك وما قتل منهم فاهدا باذن

ربك قبل ان لا يبقى من قومك احد فهدأ الدم باذن الله تعالى ورفع نبوزرادان
عنهم القتل وقال امنت بما امنت به بنوا اسرائيل وايقنت انه لا رب غيره وقال
لبني اسرائيل ان حردوش امرني ان اقتل منكم حتى تسيل دماؤكم وسط عسكره
واني لا استطيع ان اعصيه قالوا له افعل ما امرت به فامرهم فحفروا خندقا وامر
باموالهم من الخيل والبغال والحمير والابل والبقر والغنم فذبحوها حتى سال الدم
في العسكر فامر بالقتلى الذين قتلوا قبل ذلك فطرحوا على ما قتل من المواشي
فلم يظن حردوش الا ان ما في الخندق من دماء بني اسرائيل فلما بلغ الدم عسكره ارسل
الى نبوزرادان ان ارفع عنهم القتل ثم انصرف الى بابل وقد افنى بني اسرائيل او كاد وهي
الوقعة الاخرة التي انزل الله ببني اسرائيل في قوله لتفسدن في الارض مرتين
فكانت الوقعة الاولى بخت نصر وجنوده والاخرة حردوش وجنوده وكانت اعظم
الوقعتين فلم يقم لهم بعد ذلك راية وانتقل الملك بالشام ونواحيها الى الروم
واليونانيين الا ان بقايا بني اسرائيل كثيرة وكانت لهم الرياسة ببيت المقدس
ونواحيها على وجه الملك وكانوا في نعمة الى ان بدلوا واحدثوا فسلط الله عليهم
ططوس بن اسبيانوس الرومي فاخرب بلادهم وطردهم عنها ونزع الله عنهم الملك
والرياسة وضربت عليهم الذلة والمسكنة فما لبثوا في امة الا وعليهم الصغار
والجزية وبقي بيت المقدس خرابا الى خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فعمره
المسلمون بامره وقيل في سبب قتل يحيى عليه السلام ان ملك بني اسرائيل كان
يكرمه ويدني مجلسه وان الملك هوى بنت امرأته وقال ابن عباس ابنة اخيه فسأل
يحيى تزويجها فنهاه عن نكاحها فبلغ ذلك امها فحقدت على يحيى وعمدت حين جلس
الملك على شرابه والبستها ثيابا رقاقا حمرا وطيبتها والبستها الحلي وارسلتها
الى الملك وامرتها ان تسقيه فان هو راودها عن نفسها ابت عليه حتى يعطيها ما
سألته فاذا اعطاها ما سألته سألت رأس يحيى بن زكريا في هذا الطشت فقال
ويحك سليني غير هذا قالت ما اريد غير هذا فلما ابت عليه بعث فاتي برأسه حتى
وضعت بين يديه والرأس تتكلم وتقول لا يحل لك فلما اصبح اذا دمه يغلي فامر
بتراب فالقي عليه فرقي الدم يغلي فلا زال يلقي عليه التراب وهو يغلي حتى بلغ سور
المدينة وهو في ذلك يرقى ويغلي فسلط الله عليهم ملك بابل فخرب بيت المقدس
وقتل سبعين الفا حتى سكن دمه قوله عز وجل **عسى ربكم ان يرحمكم** يعني
يا بني اسرائيل بعد انتقامه منكم فيرد الدولة اليكم **وان عدتم** اي الى المعصية
عدنا اي الى العقوبة قال قتادة فعادوا فبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فهم
يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون **وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا** اي سجنا
ومحبسا من الحبس الذي هو الحبس وقيل هو فراشا من الحصير الذي يبسط ويفرش
قوله تعالى **ان هذا القران يهدي للتي هي اقوم** اي الى الطريق التي هي اصوب
وقيل الى الكلمة التي هي اعدل وهي شهادة ان لا اله الا الله **ويبشر** يعني القران

المومنين

المومنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا يعني الجنة **وان الذين لا يومنون**
بالاخرة اعتدنا لهم عذابا اليما يعني النار في الاخرة **ويدع الانسان** اي على
نفسه وولده وماله **بالشر** يعني قوله عند الغضب اللهم اهلكه اللهم العنه
ونحو ذلك **دعاءه بالخير** اي كدعائه ربه ان يهب له النعمة والعافية ولو استجاب
الله دعاءه على نفسه لهلك ولكن الله لا يستجيب بفضله وكرمه **وكان**
الانسان عجولا اي بالدعاء على ما يكره ان يستجاب له فيه وقال ابن عباس
معناه ضجرا لا صبر له على سراء ولا ضراء قوله عز وجل **وجعلنا الليل والنهار ايتين**
اي علامتين دالتين على وحدانيتنا وقدرتنا وفي معنى الاية قولان احدهما
ان يكون المراد من الايتين نفس الليل والنهار وهو انه جعلهما دليلين للخلق
على مصالح الدين والدنيا اما الدين فلان كل واحد منهما مضادا للاخر مغايرا
مع كونهما متعاقبين على الدوام اقوى دليل على انهما مدبران بمدبر يقدرهما
بالمقادير المخصوصة واما في الدنيا فلان مصالح الدنيا لا تتم الا بهما ففي الليل
يحصل السكون والراحة وفي النهار يحصل التصرف في المعاش والكسب
والقول الثاني ان يكون المراد وجعلنا نيري الليل والنهار ايتين يريد
الشمس والقمر **فمحونا اية الليل** اي جعلنا الليل يمحو الضوء مطموسه
مظلما لا يستبان فيه شيء **وجعلنا اية النهار مبصرة** اي يبصر فيها الاشيا
رؤية بينة قال ابن عباس رضي الله عنهما جعل الله نور الشمس سبعين جزءا
ونور القمر كذلك فمحى من نور القمر تسعة وستين جزءا فجعلها مع نور الشمس
وحكي ان الله امر جبريل فامر جناحه على وجه القمر ثلاث مرات فطمس عنه الضوء
وبقي فيه النور وسأل ابن الكوا عليا عن السواد الذي في القمر فقال هو اثر
المحو **لتبتغوا فضلا من ربكم** اي لتتوصلوا ببياض النهار الى استبانة اعمالكم
والتصرف في معايشكم **ولتعلموا** اي باختلاف الليل والنهار **عدد السنين**
والحساب اي مما تحتاجون اليه منه ولولا ذلك لما علم احد حساب الاوقات
ولتعطلت الامور ولو ترك الله الشمس والقمر كما خلقهما لم يعرف الليل من
النهار ولم يدر الصائم متى يفطر ولم يعرف وقت الحج ولا وقت حلول الديون المؤجلة
واعلم ان الحساب يبنى على اربع مراتب الساعات والايام والشهور والسنين
والعدد للسنين والحساب لما دونها من الشهور والايام والساعات وليس بعد
هذه المراتب الاربعة الا التكرار **وكل شيء فصلناه تفصيلا** يعني وكل شيء تفتقرون
اليه من امور دينكم ودنياكم فقد بيناه بيانا شافيا واضحا غير ملتبس وقيل انه تعالى
لما ذكر احوال ايتي الليل والنهار وهما من وجه دليلان قاطعان على التوحيد ومن
وجه اخر انهما نعمتان من الله عز وجل على اهل الدنيا وكل ذلك تفصيل منه فلاجرم
عليه ثم قال وكل شيء فصلناه تفصيلا قوله عز وجل **وكل انسان الزمناه طائره**
في عنقه قال ابن عباس رضي الله عنهما عمله وما قدر عليه فهو ملازمه اينما

كان وقيل خيره وشره معه لا يفارقه حتى يحاسب به وقيل ما من مولود الا
وفي عنقه ورقة مكتوب فيها شقي او سعيد وقيل اراد بالطاير ما قضي عليه
انه عامله وما هو صاير اليه من شقاوة او سعادة وقيل هو من قولك طار
له سهم اذا خرج يعني الزمناه ما طار من عمله لزوم القلادة او الغل لا ينفك
عنه والعنق في قوله عنقه كناية عن اللزوم كما يقال جعلت هذا في عنقك اي
قلدتك هذا العمل والزمتك الاحتفاظ وانما خص العنق من بين ساير الاعضا
لانه موضع القلايد والاطواق والغل مما يزين او يشين فان كان عمله خيرا
كان له كالقلادة او الحلي في العنق وهو مما يزينه وان كان شرا كان له كالغل
في عنقه وهو مما يشينه ونخرج له بقوله تعالى **ونخرج له يوم القيمة**
كتابا يلقاه منشورا قيل بسطت للانسان صحيفتان ووكل به ملكان
يحفظان عليه حسناته وسياته فاذا مات طويت الصحيفتان وجعلت معه
في قبره فلا تنشران الى يوم القيامة **اقرا كتابك** اي يقال له اقرا كتابك
قيل يقرا يوم القيامة من لم يكن قاريا **كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا**
اي محاسبا قال الحسن لقد عدل اليك من جعلك حسيب نفسك وقيل يقول
لتكا قرانك لست بظلام للعبيد فاجعلني احاسب نفسي فيقال له اقرا كتابك
كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا قوله تعالى **من اهتدى فانما يهتدي لنفسه**
ومن ضل فانما يضل عليها يعني ان ثواب العمل الصالح مختص بفاعله وعقاب الذنب
مختص بفاعله ايضا ولا يتعدى منه الى غيره وهو قوله تعالى **ولا تزر وازرة**
وزر اخرى اي لا تحمل حاملة ثقل اخرى من الاثام ولا يواخذ احد بذنب
احد بل كل احد مختص بذنب نفسه **وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا** لاقامة
الحجة وقطعا للعذر وفيه دليل على انما وجب بالسمع لا بالعقل قوله عز وجل
واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها في معنى الاية قولان احدهما ان المراد
منه الامر بالفعل ثم ان لفظ الاية لا يدل على انه تعالى بماذا امرهم فقال
اكثر المفسرين معناه انه تعالى امرهم بالاعمال الصالحة وهي الايمان
والطاعة وفعل الخير والقوم خالفوا ذلك الامر عنادا وفسقوا والقول
الثاني امرنا مترفيها اي كثرنا فساقها يقال امر القوم اذا كثروا وامرهم
الله اذا كثرهم ومنه الحديث خير المال مهرة مامورة اي كثيرة النتاج
والنسل فعلى هذا امرنا ليس من الامر بالفعل والمترف هو الذي ابطرته
النعمة وسعة العيش **ففسقوا فيها** اي خرجوا عما امرهم الله به من الطاعة
فحق عليها القول اي وجب عليها العذاب **فدمرناها تدميرا** اي اهلكناها
هلاك استيصال والدمار الهلاك والخراب **ق** عن ام المومنين زينب
بنت جحش ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها فزعا يقول لا اله الا الله
ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم ياجوج وماجوج مثل هذه

وحلق باصبعه الابهام والتي تليها قالت زينب فقلت يا رسول الله انهلك وفينا
الصالحون قال نعم اذا كثر الخبث قوله ويل للعرب ويل كلمة تقال لمن وقع في هلكة
او اشرف ان يقع فيها وقوله اذا كثر الخبث اي الشر قوله تعالى **وكم اهلكنا من**
القرون اي المكذبة **من بعد نوح** وهم عاد وثمود وغيرهما من الامم الخالية
يخوف بذلك كفار مكة قال عبد الله بن ابي اوفى القرن عشرون ومائة سنة
فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في اول قرن ويزيد بن معاوية آخره وقيل
القرن مائة سنة روي عن محمد بن القاسم عن عبد الله بن بسر المازني ان النبي صلى الله
عليه وسلم وضع يده على راسه وقال سيعيش هذا الغلام قرنا قال محمد بن القاسم
ما زلنا نعد له حتى تمت له مائة سنة ثم مات وقيل القرن ثمانون سنة وقيل
اربعون **وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا** يعني انه عالم بجميع المعلومات
راء بجميع المرئيات لا يخفى عليه شيء من احوال الخلق قوله عز وجل **من كان**
يريد العاجلة اي الدار العاجلة يعني الدنيا **عجلنا له فيها ما نشاء**
اي من البسط والتقتير **لمن نريد** اي نفعل به ذلك او املاكه وقيل في معنى
الاية عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد اي القدر الذي نشاء نعجله له في الدنيا
لا الذي يشاء هو لمن نريد اي نعجل له شيئا قدرناه له وهذا ذم لمن اراد بعمله
وطلب الدنيا ومنفعتها وبيان ان من اراد بها لا يدرك منها الا ما قدر له **ثم**
جعلنا له جهنم اي في الاخرة **يصلاها** اي يدخلها **مذموما مدحورا**
اي مطرودا مباعدا قوله تعالى **ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها** اي عمل لها
عملها **وهو مومن فاولئك كان سعيهم مشكورا** اي مقبولا قيل في الاية ثلاث
شرايط كون السعي مشكورا ارادة الاخرة بعمله وينجافى عن دار الغرور
والسعي فيما كلفه من العمل وترك ما امر بتركه والايمان الصحيح الثابت وعن
بعض السلف من لم يكن معه ثلاث لم ينفعه عمل ايمان ثابت ونية صادقة
وعمل مصيب وتلا هذه الاية قوله عز وجل **كلا نمد هولاء وهولاء** اي نمد كلا
الفريقين من يريد الاخرة ومن يريد الدنيا **من عطاء ربك** اي نرزقهما
جميعا ثم يختلف بهما الحال في المال **وما كان عطاء ربك محظورا** اي ممنوعا
من عباده والمراد بالعطاء في الدنيا اذ لا حظ للكفار في الاخرة **انظر** يا محمد
كيف فضلنا بعضهم على بعض اي في الرزق والعمل يعني طالب العاجلة وطالب
الاخرة **وللاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا** يعني ان تفاضل الخلق في درجات
منافع الدنيا محسوس فتفاضلهم في درجات منافع الاخرة اكبر واعظم
فان نسبة الدنيا في التفاضل في درجات الاخرة الى التفاضل في درجات
الدنيا كنسبة الاخرة فاذا كان الانسان تشتد رغبته في طلب فضيلة
الدنيا فبان تقوى وتشتد رغبته في طلب الاخرة اولى لانها دار المقامة
قوله تعالى **لا تجعل مع الله الها اخر** الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم

والمراد غيره وقيل معناه لا تجعل ايها الانسان مع الله الها آخر وهذا اولى
فتقعد مذموما اي من غير حمد مخذولا اي بغير ناصر قوله عز وجل
وقضى ربك اي امر ربك قاله ابن عباس وقيل معناه واوجب ربك وقيل
معناه الحكم الجزم وقيل ووصى ربك وحكي عن الضحاك انه قرأها ووصى ربك
وقيل انهم الصقوا الواو بالصاد فصار قافا وهي على قراءة ابن مسعود
قال الامام فخر الدين الرازي في تفسيره الكبير هذا القول بعيد جدا لانه
يفتح باب التحريف والتغيير وهو يتطرق الى القران ولو جوزنا ذلك لارتفع
الامان عن القران وذلك يخرجه عن كونه حجة ولا شك انه طعن عظيم في الدين
الا تعبدوا الا اياه فيه وجوب عبادة الله والمنع عن عبادة غيره وهذا
هو الحق لان العبادة عبارة عن الفعل المشتمل على نهاية التعظيم لا يليق الا
بمن له الانعام والافضال على عباده ولا منعم الا الله فكان هو المستحق للعبادة
لا غيره وبالوالدين احسانا اي وامرنا بالوالدين احسانا اي برا بهما وعطفا
عليهما واحسانا اليهما اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما معناه انهما يبلغان
الى حالة الضعف والعجز فيصيران عندك في آخر العمر كما كنت عندهما في اول
العمر واعلم انه تعالى ذكر بهذه الجملة كلف الانسان في حق الوالدين خمسة اشيا
الاول قوله تعالى فلا تقل لهما اف وهي كلمة تضجر وكراهية وقيل ان
اصل هذه الكلمة انه اذا سقط عليك تراب ورماد نفخت فيه تزيله تقول فيه
اف ثم انهم توسعوا بذكر هذه الكلمة عند كل مكروه يصل اليهم والثاني قوله
ولا تنهرهما اي لا تزجرهما عما يتعاطيانه مما يعجبك بغلظة نهره وانتهره بمعنى
فان قلت المنع من التافيف يدل على المنع من الانتهار فما وجه الجمع قلت المراد
من قوله ولا تقل لهما اف المنع من اظهار الضجر بالقليل والكثير والمراد من قوله
ولا تنهرهما المنع من اظهار المخالفة في القول على سبيل الرد عليهما الثالث قوله
وقل لهما قولا كريما اي حسنا جميلا لينا كما يقتضيه حسن الادب معهما قيل
هو ان يقول يا ابتاه يا اماه ولا يسميهما باسمائهما ولا يكنيهما وقيل هو ان
تقول لهما كقول العبد الذليل المذنب للسيد الفظ الغليظ الرابع قوله عز وجل
واخفض لهما جناح الذل اي الن لهما جانبك واخفض لهما حتى لا تمتنع من شي احباه
من الرحمة اي من الشفقة عليهما لكبرهما وافتقارهما اليوم اليك كما كنت في
حال الصغر والضعف مفتقرا اليهما الخامس قوله تعالى وقل رب ارحمهما كما
ربياني صغيرا اي وادع الله لهما ان يرحمهما برحمته الباقية واراد به اذا كانا
مسلمين واما اذا كانا كافرين فان الدعا منسوخ في حقهما بقوله تعالى ما كان
للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى وقيل يجوز
الدعا لهما بان يهديهما الله الى الاسلام فاذا هداهما فقد رحمهما وقيل في معنى
هذه الاية ان الله سبحانه وتعالى بالغ في الوصية بهما حيث افتتحها بالامر

وعبادته ثم تعقبه بالاحسان اليهما ثم ضيق الامر في مراعاتهما حتى لم يرخص في ادا
كلمة تنسو منهما وان يذل ويخضع لهما ثم ختمها بالامر بالدعا لهما والترحم عليهما ...

فصل في ذكر الاحاديث التي وردت في بر الوالدين

ق عن ابي هريرة رضي الله عنهما قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
من احق الناس بحسن صحابتي قال امك ثم امك ثم ابوك ثم ادناك ادناك م عنه
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رغم انفه رغم انفه رغم انفه
قيل من يا رسول الله قال من ادرك والديه عند الكبر او احدهما ثم لم يدخل الجنة
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يجزي ولد والده الا ان يجده
مملوكا فيشتريه فيعتقه ق عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال جاء رجل الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستاذنه في الجهاد فقال احي والداك قال نعم
قال ففيهما فجاهد وعنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رضى الرب
في رضى الوالد وسخط الرب في سخط الوالد اخرجه الترمذي مرفوعا وموقوفا
قال وهو اصح عن ابي الدردا قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الوالد
اوسط ابواب الجنة فان شئت فاضع ذلك الباب او احفظه اخرجه الترمذي
وقال حديث حسن صحيح ق عن عبد الله بن مسعود قال سألت رسول الله
صلى الله عليه وسلم اي العمل احب الى الله تعالى قال الصلاة على وقتها قلت ثم اي
قال بر الوالدين قلت ثم اي قال الجهاد في سبيل الله قوله تعالى ربكم اعلم بما في
نفوسكم اي من بر الوالدين واعتقاد ما يجب لهما من التوقير او عقوقهما ان تكونوا
صالحين اي ابرارا مطيعين قاصدين الصلاح والبر بعد تقصير كان منكم في
القيام بما لزمكم من حق الوالدين وغيرهما وقيل او فرطت منكم في حال الغضب
وعند حرج الصدر وما لا يخلو منه البشر بشي يؤدي الى اذاهما ثم انبتم الى الله
واستغفرتم مما فرطت منكم فانه كان للاوابين يعني للتوابين غفورا قال سعيد
ابن جبير في هذه الاية قال الرجل يكون منه المبادرة الى ابويه لا يريد بذلك الا
الخير فانه لا يؤاخذ به وقال سعيد بن المسيب الاواب الذي يذنب ثم يتوب
ثم يذنب ثم يتوب وعنه انه الرجاع الى الخير وقال ابن عباس الاواب الراجع فيما
يحزنه وينوبه وعنه انهم المسبحون وقيل هم المصلون وقيل هم الذين يصلون صلاة
الضحى يدل عليه ما روي عن زيد بن ارقم قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
على اهل قبا وهم يصلون الضحى فقال صلاة الاوابين اذا رمضت الفصال اخرجه
مسلم قوله اذا رمضت الفصال يريد ارتفاع الضحى وان تحمى الرمضا وهو الرمل
بحر الشمس فتبرك الفصال من الحر وشدة الحراقة اخفافها والفصال جمع فصيل
وهو ولد الابل الصغار وقيل الاواب الذي يصلي بين المغرب والعشا يدل عليه
ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ان الملائكة لتحف بالذين يصلون بين

للمغرب والعشاء يدل عليه قوله تعالى **وآت ذا القربى حقه** قيل الخطاب للنبي
صلى الله عليه وسلم امره الله تعالى ان يؤتي اقاربه حقوقهم وقيل انه خطاب للكل
وهو انه سبحانه وتعالى وصى بعد بر الوالدين بالقرابة وان يؤتوا حقهم من صلة الرحم
والمودة والزيارة وحسن المعاشرة والموالفة على السرا والضرا والمعاضدة ونحو
ذلك وقيل ان كانوا محاويج وهو موسر لزمه الانفاق عليهم عند ابي حنيفة رحمه الله
وقال الشافعي رحمه الله لا تلزم النفقة الا للوالد على الولد او للولد على الوالد
فحسب وقيل اراد بالقرابة قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقدم الكلام
على ذلك **والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا** اي لا تنفق مالك في المعصية وقيل
لو انفق الانسان ماله كله في الحق لم يكن مبذرا ولو انفق درهما او مدا في باطل
كان مبذرا وسئل ابن مسعود عن المبذر فقال الانفاق في غير حقه وقيل
هو انفاق المال في العمارة على وجه السرف وقيل ان بعضهم انفق نفقة في خير فاكثر
فقال له صاحبه لا خير في السرف فقال لا سرف في الخير **ان المبذرين كانوا اخوان
الشياطين** يعني اولياءهم واصدقاءهم لانهم يطيعونهم فيما يامرونهم به من
الاسراف وقيل امثالهم في الشر وهذا غاية المذمة لانه لا اشر من الشيطان والعرب
تقول لكل من هو ملازم سنة قوم هو اخوهم **وكان الشيطان لربه كفورا**
اي جحودا للنعمة فما ينبغي ان يطاع لانه يدعو الى مثل عمله قوله تعالى **واما تعرضن
عنهم** نزلت في مهجع وبلال وصهيب وسالم وخباب كانوا يسالون النبي صلى الله
عليه وسلم في الاحايين ما يحتاجون اليه ولا يجد فيعرض عنهم حياء منهم ويمسك عن
القول فنزلت هذه الاية والمعنى وان تعرض عن هؤلاء الذين امرتك ان تؤتيهم
ابتغاء رحمة من ربك ترجوها اي انتظار رزق من الله ترجوه ان ياتيك **فقل لهم قولا
ميسورا** اي لينا جميلا اي عدهم وعدا طيبا تطيب به قلوبهم وقيل هو ان
تقول رزقنا الله واياكم من فضله قوله تعالى **ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك**
قال جابر اتى صبي فقال يا رسول الله ان امي تستكسيك درعا ولم يكن لرسول الله
صلى الله عليه وسلم الا قميصه فقال النبي صلى الله عليه وسلم من ساعة الى ساعة يظهر
كذا فعد الينا وقتا اخر فعاد الى امه فقالت قل له ان امي تستكسيك الدرع الذي
عليك فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم داره ونزع قميصه واعطاه وقعد
عريانا فاذن بلال بالصلاة ثم انتظروه فلم يخرج فاشتغل قلوب اصحابه فدخل
عليه بعضهم فرآه عريانا فانزل الله هذه الاية ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك
اي لا تمسك يدك عن النفقة وفي الحق والخير كالمغلولة يده لا يقدر على مدها
ولا تبسطها اي بالعطاء **كل البسط** اي فتعطي جميع ما عندك وقيل هذا تمثيل
مع الشحيح واعطاء المسرف وامر بالاقتصاد الذي هو بين الاسراف والتقتير
فتقعد ملوما اي عند الله لان السرف غير مرضي عنده وقيل ملوما عند نفسك
واصحابك ايضا يلومونك على تضييع المال بالكلية وقيل يلومك سائلوك عن

الامساك اذا لم تعطهم **محسورا** اي منقطعا لا شيء عندك تنفقه وقيل محسورا
اي نادما على ما فرط منك ثم سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يرمقه
من اضاقته بان ذلك ليس بهوان بك عليه ولا لبخل منه عليك فقال تعالى
ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر اي يغني ويضيق وذلك
لمصلحة العباد **انه كان بعباده خبيرا بصيرا** يعني انه تعالى عالم باحوال
عباده وما يصلحهم والتفاوت في ارزاق العباد ليس لاجل البخل بل لاجل
رعاية مصالح العباد قوله عز وجل **ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق** اي
فاقة وفقر **نحن نرزقهم واياكم** وذلك ان اهل الجاهلية كانوا يادون
خشية الفاقة او يخافوا عليهم من النهب والغارات او انهم ينكحوهن لغير
اكفاء لشدة الحاجة وذلك عار شديد عندهم فنهاهم الله عن قتلهن وقال
نحن نرزقهم واياكم يعني ان الارزاق بيد الله فكما انه فتح ابواب الرزق على الرجال
فكذلك يفتح على النساء **ان قتلهم كان خطا كبيرا** اي اثما كبيرا **ولا تقربوا
الزنا انه كان فاحشة** اي قبيحة زائدة على حد القبح **وساء سبيلا**
اي بئس طريقا طريقه وهو ان تغصب امراة غيرك او بنته او اخته من غير سبب
والسبب ممكن وهو الصهر الذي شرعه الله تعالى وقيل ان الزنا يشتمل
على انواع من المفاسد منها المعصية وايجاب الحد على نفسه ومنها اختلاط
الانساب فلا يعرف الرجل ولده ولا يقوم احد بتربيته وذلك يوجب
ضياع الاولاد وانقطاع النسل وذلك يوجب خراب العالم قوله تعالى **ولا
تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق** الاصل في القتل هو الحرمة المغلظة وحل
القتل انما يثبت بسبب عارض فلما كان كذلك نهى الله عن القتل على حكم الاصل
ثم استثنى الحالة التي يحصل فيها حل القتل وهي الاسباب المرضية فقال
الا بالحق اي باحدى ثلاث كما روي عن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لا يحل دم امرئ مسلم يشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله الا باحدى
ثلاث الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة اخرجه
في الصحيحين **ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا** اي قوة وولاية على القاتل
بالقتل وقيل سلطانه هو ان يتخير فان شاء استقاد منه وان شاء اخذ منه الدية
وان شاء عفى عنه **ولا يسرف في القتل** اي الولي قال ابن عباس لا يقتل غير
القاتل وذلك انهم كانوا في الجاهلية اذا قتل منهم قتيل لا يرضون بقتل قاتله
حتى يقتل اشرف منه وقيل معناه اذا كان القتيل واحدا فلا يقتل به جماعة
بل الواحد بالواحد وكان اهل الجاهلية اذا كان المقتول شريفا فلا يرضون بقتل
القاتل وحده حتى يقتلوا معه جماعة من اقربائه وقيل معناه انه لا يمثل بالقاتل
انه كان منصورا قيل الضمير راجع للمقتول ظلما يعني انه منصور في الدنيا
بايجاب القود على قاتله وفي الاخرة بتكفير خطاياه وايجاب النار لقاتله وقيل

الضمير راجع الى المقتول معناه انه كان منصورا على القاتل باستيفاء القصاص
منه او الدية وقيل في قوله فلا يسرف في القتل اراد به القاتل المتعدي يقول لا
تعتدي بالقتل بغير الحق فانه ان فعل ذلك فولي القتيل منصور من قبلي عليه باستيفاء
القصاص منه قوله تعالى ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن اي بالطريقة
التي هي احسن وهي تنميته وحفظه عليه حتى يبلغ اشده وهو بلوغ النكاح والمراد
بالاشد كما له العقل ورشده بحيث يمكنه القيام بمصالح حاله فلو بلغ غير كامل
العقل لم ينفك عنه الحجر واوفوا بالعهد اي الاتيان بما امر الله والانتهاء عما نهى
الله عنه وقيل اراد بالعهد ما يلتزمه الانسان على نفسه ان العهد كان مسئولا
اي عنه وقيل مطلوبا وقيل العهد يسأل عن صاحبه فيقال فيما نقضت كالموؤدة
تسأل فيما قتلت قوله تعالى واوفوا الكيل اذا كلتم المراد منه تمام الكيل وزنوا
بالقسطاس المستقيم قيل هو الميزان صغيرا كان او كبيرا من ميزان الدراهم
الى ما هو اكبر منه وقيل هو القبان وقيل هو رومي سرياني والاصح انه عربي ماخوذ
من القسط وهو العدل اي زنوا بالعدل المستقيم واعلم ان التفاوت الحاصل
بسبب نقصان الكيل والوزن قليل والوعيد الحاصل عليه شديد عظيم فوجب
على العاقل الاحتراز منه وانما عظم الوعيد فيه لان جميع الناس يحتاجون الى المعاوضة
والبيع والشرا فالشارع بالغ في منع التطفيف والنقصان سعيا في ابقاء الاموال
على اربابها ذلك خير واحسن تاويلا اي احسن عاقبة من آل اذا رجع وهو ما يوول
اليه امره قوله عز وجل ولا تقف اي ولا تتبع ما ليس لك به علم اي لا تقل رايت
ولم تره وسمعت ولم تسمعه وعلمت ولم تعلمه وقيل معناه لا ترم احدا بما ليس لك
به علم وقيل لا تتبعه بالحدس والظن وقيل هو ماخوذ من القفا كانه يقفو الامور
ويتبعها ويعترفها وحقيقته انه لا يتكلم في احد بالظن ان السمع والبصر والفؤاد
كل اولئك كان عنه مسئولا معناه يسال المرء عن سمعه وبصره وفؤاده وقيل يسال
السمع والبصر والفؤاد عما فعله المرء فعلى هذا ترجع الاشارة في اولئك الى الاعضاء
وعلى القول الاول يرجع الى اربابها عن شكل بن حميد قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم
فقلت يا رسول الله علمني تعويذا اتعوذ به قال فاخذ بيدي ثم قال قل اعوذ بك
من شر سمعي وشر بصري وشر لساني وشر قلبي وشر منيي قال الحفظ اخرجه ابو
داود والترمذي والنسائي وقال الحديث حسن غريب وقوله وشر منيي يعني ماءه
وذكره قوله تعالى ولا تمش في الارض مرحا اي بطرا وكبرا وخيلا انك لن
تخرق الارض اي لن تقطعها بكبرك حتى تبلغ آخرها ولن تبلغ الجبال طولا
اي لا تقدر ان تطاول الجبال وتساويها بكبرك والمعنى ان الانسان لا ينال
بكبره وبطره شيئا كمن يريد خرق الارض ومطاولة الجبال لا يحصل على شيء وقيل
ان الذي يمشي مختالا يمشي مرة على عقبيه ومرة على صدور قدميه فقيل له انك
لن تنقب الارض ان مشيت على عقبيك ولن تبلغ الجبال طولا ان مشيت على صدور قدميك عن علي قال كان رسول الله صلى الله

عليه وسلم

عليه وسلم اذا مشى تكفأ تكفيا كانما ينحط من صبب اخرجه الترمذي في الشمائل قوله
تكفيا التكفو التمايل في المشي الى قدام وقوله كانما ينحط من صبب هو قريب
من التكفو اي كانه ينحدر من موضع عال عن ابي هريرة رضي الله عنه قال ما رايت
احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الشمس تجري في وجهه وما رايت
احدا اسرع في مشيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم كانما الارض تطوى
له انا لنجهد انفسنا وانه لغير مكترث اخرجه الترمذي قوله لغير مكترث اي
شاق الاكتراث الامر الذي يشق على الانسان كل ذلك كان سيئه عند ربك
مكروها اي ما ذكر من الامور التي نهى الله عنها فيما تقدم فان قلت كيف
قيل سيئة مع قوله مكروها قلت قيل فيه تقديم وتاخير تقديره كل ذلك
كان مكروها سيئة وقيل مجازه كل ذلك كان سيئة وكان مكروها وقيل
انه يرجع الى المعنى دون اللفظ لان السيئة الذنب وهو مذكر قوله تعالى ذلك
اشارة الى ما تقدم من الاوامر والنواهي في هذه الايات مما اوحي اليك
ربك من الحكمة اي ان الاحكام المذكورة في هذه الايات شرائع واجبة
الرعاية في جميع الاديان والملل لا تقبل النسخ والابطال فكانت محكمة وحكمة
بهذا الاعتبار وقيل ان حاصل هذه الايات يرجع الى الامر بالتوحيد وانواع
البر والطاعات والاعراض عن الدنيا والاقبال على الاخرة وذلك من الحكمة
وقيل ان هذه الايات كانت في الواح موسى عليه السلام اولها ولا تجعل مع
الله الها آخر قال الله تعالى وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظة
واعلم ان الله تعالى افتتح هذه الايات بالامر بالتوحيد والنهي عن الشرك
وختمها به والمقصود منه التنبيه على ان كل قول وعمل يجب ان يكون فيه
التوحيد لانه راس كل حكمة وملاكها ومن عدمه لم ينفعه شيء ثم انه تعالى
ذكر في هذه الاية الاولى ان الشرك يجب كون صاحبه مذموما مخذولا وذكر
في هذه الاية ولا تجعل مع الله فتلقى في جهنم ملوما مدحورا والفرق
بين المذموم والملوم ان كونه مذموما معناه ان الفعل الذي اقدم عليه
قبيح ومنكر فهو مذموم يقال له لم فعلت هذا الفعل القبيح وما الذي
حملك عليه فهذا هو اللوم والفرق بين المخذول والمدحور ان المخذول هو الضعيف
الذي لا ناصر له والمدحور هو المبعود المطرود عن كل خير قوله عز وجل
افاصفاكم ربكم يعني اخصكم واختاركم فجعل لكم الصفوة ولنفسه ما
ليس بصفوة بالبنين يعني اختصكم بافضل الاولاد وهم البنون
واتخذ من الملائكة اناثا لانهم كانوا يقولون الملائكة بنات الله مع علمهم
بان الله تعالى هو الموصوف بالكمال الذي لا نهاية له وهذا الدليل على نهاية
جهل القائلين بهذا القول انكم لتقولون قولا عظيما يخاطب مشركي
مكة يعني باضافتهم اليه الاولاد وهي خاصة بالاجسام ثم انهم يفضلون عليه

انفسهم حيث يجعلون له ما يكرهون لانفسهم يعني البنات قوله تعالى **ولقد صرفنا**
في هذا القران يعني العبر والحكم والامثال والاحكام والحجج والاعلام والتشديد
في صرفنا للتكثير والتكرير **ليذكروا** اي ليتعظوا ويعتبروا **وما يزيدهم**
اي تصريفنا وتذكيرنا **الا نفورا** اي تباعدا عن الحق **قل** يا محمد لهؤلاء المشركين
لو كان معه الهة كما تقولون اذا لابتغوا اي لطلبوا يعني الالهة **الى ذي**
العرش سبيلا اي بالمغالبة والقهر وليزيلوا ملكه كفعل ملوك الدنيا
بعضهم ببعض وقيل معناه لتعرفوا الله وفضله وتبتغوا ما يقربهم اليه والاول اصح
ثم نزه نفسه فقال عز وجل **سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا** معنا وصفة
تبارك المنا لغة في البراة والبعد عما يصفونه به قوله عز وجل **تسبح له السموات**
السبع والارض ومن فيهن يعني الملائكة والانس والجن **وان من شيء الا يسبح**
بحمده قال ابن عباس وان من شيء حي الا يسبح وقيل جميع الحيوانات والنباتات
وقيل ان الشجرة تسبح والاسطوانة تسبح وقيل التراب يسبح ما لم يبتل فاذا
ابتل ترك التسبيح وان الخرزة تسبح ما لم ترفع من موضعها فاذا رفعت تركت التسبيح
وان الورقة تسبح ما دامت على الشجرة فاذا سقطت تركت التسبيح وان الما يسبح
ما دام جاريا فاذا ركد ترك التسبيح وان الوحش والطير تسبح اذا صاحت فاذا سكتت
تركت التسبيح وقيل ان من شي جمادا وحيا الا يسبح بحمده حتى صرير الباب ونقيض
السقف وقيل كل الاشيا تسبح الله تعالى حيوانا كان او جمادا وتسبيحها سبحان الله
وبحمده ويدل على ذلك ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال كنا نعد الايات بركة وانتم
تعدونها تخويفا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فقل الما فقال
اطلبوا فضلة من ما فجاووا باناء فيه ما قليل فادخل يده صلى الله عليه وسلم في الانا
ثم قال حي على الطهور المبارك والبركة من الله تعالى ولقد رايت الما ينبع من بين
اصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يوكل اخرجه
البخاري م عن جابر بن سمرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني بمكة حجرا كان
يسلم علي ليالي بعثت اني لا اعرفه الان عن ابن عمر رضي الله عنه قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يخطب الى جذع فلما اتخذ المنبر تحول اليه فحن الجذع فاتاه فمسح
بيده عليه وفي رواية فنزل فاحتضنه وساره بشي ففي هذه الاحاديث دليل
على ان الجماد يتكلم وانه يسبح وقال بعض اهل المعاني تسبيح السموات والارض
والجمادات والحيوانات سوى العقلا بلسان الحال بحيث تدل على الصانع وقدرته
ولطيف حكمته فكانها تنطق بذلك ويصير لها بمنزلة التسبيح والقول الاول اصح
لما دلت عليه الاحاديث وانه منقول عن السلف واعلم ان الله تعالى له علم في الجمادات
لا يقف عليه غيره فينبغي ان يوكل علمه اليه وقوله تعالى **ولكن لا تفقهون تسبيحهم**
اي لا تعلمون ولا تفقهون تسبيحهم ما عدا من يسبح بحمدكم ولغاتكم ولسانكم
انه كان حليما غفورا اي حيث لم يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وجهلكم بالتسبيح

قوله

قوله تعالى **واذا قرات القران جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالاخرة حجابا**
مستورا اي تحجب قلوبهم عن فهمه والانتفاع به وقيل معناه مستورا عن اعين
الناس فلا يرونه كما روي عن سعيد بن جبير انه قال لما نزلت تبت يدي ابي لهب
جاءت امراة ابي لهب ومعها حجر والنبي صلى الله عليه وسلم مع ابي بكر فلم تره فقالت
لابي بكر اين صاحبك لقد بلغني انه هجاني فقال لها ابو بكر والله ما ينطق بالشعر
ولا يقوله فرجعت وهي تقول قد كنت جيت بهذا الحجر لارضخ راسه فقال ابو بكر
ما راتك يا رسول الله قال لم يزل ملك بيني وبينها **وجعلنا على قلوبهم اكنة**
اي اغطية **ان يفقهوه** اي لئلا يفقهوه **وفي اذانهم وقرا** اي ثقلا لئلا
يسمعوه **واذا ذكرت ربك في القران وحده** اي اذا قلت لا اله الا الله وانت
تتلو القران **ولوا على ادبارهم نفورا** جمع نافر **نحن اعلم بما يستمعون به**
اي من الهزء بك وبالقران وقيل معناه نحن اعلم بالوجه الذي يستمعون به وهو
التكذيب به **اذ يستمعون اليك** اي وانت تقرا القران **واذ هم نجوى** اي
وبما يتناجون به في امرك وقيل معناه ويتحوى بعضهم يقول هو مجنون وبعضهم
يقول هو ساحر وبعضهم يقول هو كاهن او شاعر **اذ يقول الظالمون** يعني الوليد
ابن المغيرة واصحابه **ان تتبعون الا رجلا مسحورا** اي مطبوبا وقيل مخدوعا وقيل
معناه انه سحر فجن وقيل هو من السحر وهو الرية ومعناه انه بشر مثلكم ياكل ويشرب
قال الشاعر

ارانا موضعين لحتم غيب • ويسحر بالطعام وبالشراب

اي نغذى بهما **انظر كيف ضربوا لك الامثال** اي الاشباه فقالوا ساحر شاعر
كاهن مجنون **فضلوا** اي في جميع ذلك وحاروا **فلا يستطيعون سبيلا** الى طريق
الحق **وقالوا ائذا كنا عظاما** اي بعد الموت **ورفاتا** اي ترابا وقيل الرفات
الاجزا المتفتتة من كل شي تكسر **ائنا لمبعوثون خلقا جديدا** فيه انهم
استبعدوا الاعادة بعد الموت والبلا فقال الله تعالى ردا عليهم **قل** لهم يا محمد **كونوا**
حجارة اي في الشدة **او حديدا** اي في القوة وليس هذا بامر الزام بل هو امر
تعجيز اي استشعروا في قلوبكم انكم حجارة او حديد في القوة **او خلقا مما يكبر**
في صدوركم قيل يعني السما والارض والجبال لانها اعظم المخلوقات وقيل
يعني به الموت لانه لا شي في نفس ابن ادم اكبر من الموت ومعناه لو كنتم الموت بعينه
لاميتنكم ولابعثنكم **فسيقولون من يعيدنا** اي من يبعثنا بعد الموت
قل الذي فطركم اي خلقكم **اول مرة** فمن قدر على الانشا قدر على الاعادة
فسينغضون اليك رؤوسهم اي يحركونها اذا قلت لهم ذلك مستهزئين بما تقول
ويقولون متى هو يعني البعث والقيامة **قل عسى ان يكون قريبا** اي هو
قريب **يوم يدعوكم** اي من قبوركم الى موقف القيامة **فتستجيبون بحمده**
قال ابن عباس بامره وقيل بطاعته وقيل مقرين بانه خالقهم وباعثهم ويحمدونه

حين لا ينفعهم الحمد وقيل هذا الخطاب مع المؤمنين فانهم يبعثون حامدين ..
وتظنون ان لبثتم اي في الدنيا وقيل في القبور **الا قليلا** وذلك ان
الانسان لو مكث في الدنيا وفي القبر الوف السنين عدّ ذلك قليلا في نسبته
مدة يوم القيامة والخلود في الآخرة وقيل انهم يستقصرون مدة الدنيا في جنب
القيامة قوله تعالى **وقل لعبادي يقولوا التي هي احسن** وذلك ان المشركين
كانوا يوذون المسلمين فشكوا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله
عز وجل وقل لعبادي يقولوا يعني للكفار التي هي احسن اي لا يكافيوهم على سفههم
بل يقولوا له يهديك الله وكان هذا قبل الاذن بالقتال والجهاد وقيل نزلت
في عمر بن الخطاب وذلك انه شتمه بعض الكفار فامره الله بالعفو وقيل امر الله
المومنين بان يقولوا ويفعلوا الخلة التي هي احسن وقيل الاحسن كلمة الاخلاص
لا اله الا الله **ان الشيطان ينزغ بينهم** اي يفسد ويلقي العداوة **ان الشيطان
كان للانسان عدوا مبينا** اي ظاهر العداوة قوله عز وجل **ربكم اعلم
بكم ان يشا يرحمكم** اي يوفقكم للايمان فتومنوا **او ان يشا يعذبكم** اي
يميتكم على الشرك فتعذبوا وقيل معناه ان يشا يرحمكم فينجيكم من اهل مكة
او ان يشا يعذبكم اي يسلطهم عليكم **وما ارسلناك عليهم وكيلا** اي حفيظا
وكفيلا قيل نسختها اية القتال **وربك اعلم بمن في السموات والارض** يعني ان علمه
غير مقصور عليكم بل علمه متعلق بجميع الموجودات والمعدومات ومتعلق بجميع
ذات الارضين والسموات يعلم حال كل احد ويعلم ما يليق به من المصالح والمفاسد
وقيل معناه انه عالم باحوالهم واختلاف صورهم واخلاقهم ومللهم واديانهم
ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وذلك انه اتخذ ابراهيم خليلا وكلم موسى
تكليما وقال لعيسى كن فكان واتى سليمان ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي واتى داود
زبورا وذلك قوله تعالى **واتينا داود زبورا** وهو كتاب انزله الله على داود
يشتمل على مائة وخمسين سورة كلها دعا وثنا على الله وتحميد وتمجيد وليس
فيه حلال ولا حرام ولا فرايض ولا حدود ولا احكام فان قلت لم خص داود
في هذه الاية بالذكر دون الانبيا قلت فيه وجوه احدها انه ذكر انه فضل
بعض الانبيا على بعض ثم قال واتينا داود زبورا وذلك ان داود اعطي مع النبوة
الملك فلم يذكره بالملك وذكر ما اتاه من الكتاب تنبيها على ان الفضل المذكور في
هذه الاية المراد منه العلم لا الملك والمال الوجه الثاني ان الله كتب في الزبور
ان محمدا خاتم الانبيا وان امته خير الامم فلذلك خصه بالذكر الوجه الثالث ان اليهود
زعمت انه لا نبي بعد موسى ولا كتاب بعد التوراة فكذبهم الله بقوله واتينا داود
زبورا ومعنى الاية انكم لم تنكروا فضل النبيين فكيف تنكروا تفضيل النبي صلى الله
عليه وسلم واعطايه القران وانه اتى موسى التوراة وداود الزبور وعيسى الانجيل
فلم يبعد ان يفضل محمدا صلى الله عليه وسلم على جميع الخلايق ذلك فضل الله يوتيه من يشا

وهذا

وهذا الخطاب مع من يقر بتفضيل الانبيا عليهم السلام قوله عز وجل **قل ادعوا الذين
زعمتم من دونه** وذلك ان المشركين اصابهم قحط شديد حتى اكلوا الكلاب
والجيف فاستغاثوا بالنبي صلى الله عليه وسلم ليدعو لهم قال الله عز وجل للمشركين
ادعوا الذين زعمتم انها الهة من دون الله **فلا يملكون كشف الضر عنكم** اي
الجوع والقحط **ولا تحويلا** يعني الى غيركم او تحويل الحال من العسر الى اليسر ومقصود
الاية الرد على المشركين حيث قالوا ليس لنا اهلية ان نشتغل بعبادة الله
فنحن نعبد المقربين اليه وهم الملايكة ثم انهم اتخذوا لذلك الملك الذي عبدوه
تمثالا وصورة وقالوا نشتغل بعبادته واحتج على بطلان قولهم بهذه الاية
وبين عجز الهتهم ثم قال تعالى **اولئك الذين يدعون** يعني الذين يدعونهم
المشركين الهة **يبتغون الى ربهم الوسيلة** اي القربة والدرجة العليا قال
ابن عباس هم عيسى وامه وعزير والملايكة والشمس والقمر والنجوم وقال ابن
مسعود نزلت هذه الاية وقوله تعالى **ايهم اقرب** معناه ينظرون ايهم اقرب
الى الله فيتوسلون به وقيل ايهم اقرب يبتغي الوسيلة الى الله ويتقرب اليه
بالعمل الصالح وزيادة الخير والطاعة **ويرجون رحمته** اي جنته **ويخافون عذابه**
وقيل معناه يرجون ويخافون كغيرهم من عباد الله فكيف يزعمون انهم الهة **ان
عذاب ربك كان محذورا** اي كان حقيقا بان يحذره كل احد من ملك مقرب ونبي
مرسل فضلا عن غيرهم من الخلايق قوله تعالى **وان من قرية الا نحن مهلكوها**
اي بالموت والخراب **قبل يوم القيامة او معذبوها** اي بالقتل وانواع العذاب
اذا كفروا وعصوا وقيل الاهلاك في حق المومنين هو الاماتة والعذاب في حق
الكفار قال عبد الله بن مسعود اذا ظهر الزنا والربا في قرية اذن الله في هلاكها
عذابا شديدا كان ذلك في الكتاب اي اللوح المحفوظ **مسطورا** اي مكتوبا
مثبتا عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول اول ما خلق الله القلم قال له اكتب فقال ما اكتب قال القدر ما هو
كاين الى الابد اخرجه الترمذي قوله تعالى **وما منعنا ان نرسل بالايات الا
ان كذب بها الاولون** قال ابن عباس رضي الله عنهما سال اهل مكة ان يجعل لهم الصفا
ذهبا وان ينحي الجبال عنهم ليزرعوا فاوحى الله تعالى الى رسوله ان شئت ان استاني
بهم فعلت وان شئت اوتيهم ما سالوا فان فعلت فان لم يومنوا اهلكتهم كما اهلكت
من كان قبلهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا بل تستاني بهم فانزل الله وما منعنا
ان نرسل بالايات اي التي سالها كفار قومك الا ان كذب بها الاولون فاهلكناهم
فان لم يومنوا قومك بعد ارسال الايات اهلكتهم لان من سنتنا في الامم اذا
سالوا الايات ثم لم يومنوا بعد اتيانها ان نهلكهم ولا نمهلهم وقد حكمنا بامهال هذه
الامة الى يوم القيامة ثم ذكر من تلك الايات التي اقترحها الاولون ثم كذبوا بها
لما ارسلت فاهلكوا فقال تعالى **واتينا ثمود الناقة مبصرة** اي بينة وذلك

لان ثانارا مثلا كهم في بلاد العرب قريبة من حدودهم يبصرونها صادرهم وواردهم
فظلموا بها اي فجحدوا بها انها من عند الله وقيل فظلموا انفسهم بتكذيبها فعاجلناهم
بالعقوبة **وما نرسل بالآيات** اي وما نرسل بالآيات المقترحة الا
تخويفا من نزول العذاب فان لم يخافوا وقع عليهم وقيل معناه وما نرسل بالآيات
يعني العبر والدلالات الا تخويفا اي انذارا بعذاب الآخرة ان لم يؤمنوا فانه يخوف
الناس بما يشاء من آياته لعلهم يرجعون قوله تعالى **واذ قلنا لك** اي واذكر
يا محمد اذ قلنا لك **ان ربك احاط بالناس** اي قدرته محيطة بهم فهم في
قبضته وقدرته لا يقدرون على الخروج من مشيئته واذا كان الامر كذلك
فهم لا يقدرون على امر من الامور الا بقضائه وقدرته وهو حافظك ومانعك
منهم فلا تهبهم وامض بما امرتك به من التبليغ للرسالة فهو ينصرك ويقويك
على ذلك **وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس** الاكثرون من
المفسرين على ان المراد منه ما رآه النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج من
العجائب والآيات قال ابن عباس رضي الله عنهما هي رؤيا عين اريها صلى الله
عليه وسلم ليلة اسري به الى بيت المقدس اخرجه البخاري وهو قول سعيد
ابن جبير والحسن ومسروق وقتادة ومجاهد وعكرمة وغيرهم من العرب
تقول رأيت يعني رؤية ورؤيا فلما ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم
انكر بعضهم ذلك وكذبوا فكانت فتنة للناس وازداد المخلصون ايمانا وقال
قوم اسري بروحه دون جسده وهو ضعيف وقال قوم له معراجان معراج
رؤية عين في اليقظة ومعراج رؤية منام وقيل اراد بهذه الرؤية ما رأى
النبي صلى الله عليه وسلم عام الحديبية انه دخل مكة هو واصحابه فجعل السير
الى مكة قبل الاجل فصده المشركون فرجع الى المدينة فكان رجوعه في ذلك
العام بعدما اخبر انه يدخلها فتنة لبعضهم ثم دخل مكة في العام المقبل
وانزل الله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وقيل ان النبي صلى الله
رأى في المنام ولد الحكم بن امية يتداولون منبره كما يتداول الكرة فساءه ذلك
فان اعترض معترض على هذا التفسير وقال السورة مكية وهاتان الواقعتان
كانتا بالمدينة اجيب بانه لا اشكال فيه فانه لا يبعد ان النبي صلى الله عليه وسلم
رأى ذلك بمكة ثم كان تحقيقه بالمدينة **والشجرة الملعونة في القرآن** يعني شجرة
الزقوم وصفها الله تعالى في سورة الصافات والعرب تقول لكل طعام كريه
ملعون والفتنة فيها ان ابا جهل قال ان ابن ابي امية يعني النبي صلى الله عليه وسلم
يوعدكم بنار تحرق الحجارة ثم يزعم انه تنبت شجرة ويعلمون ان النار تحرق الشجر
وقيل ان عبد الله بن الزبعرى قال ان محمدا يخوفنا بالزقوم ولا نعرف الزقوم الا
الزبد والتمر وقال ابو جهل يا جارية تعالي فزقمينا فاتت بزبد وتمر فقال يا
قوم تزقموا فان هذا ما يخوفكم به محمد صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى حين عجبوا

ان يكون

ان يكون في النار شجرة انا جعلناها فتنة للظالمين الآيات فان قلت اين لعنت
شجرة الزقوم في القرآن قلت لعنت حيث لعن الكفار الذين يأكلونها لان
الشجرة لا ذنب لها حتى تلعن وانما وصفت باللعن اصحابها على المجاز وقيل وصفها
الله تعالى باللعن لان اللعن الابعاد من الرحمة وهي في جهنم في ابعد مكان
من الرحمة وقال ابن عباس في رواية عنه ان الشجرة الملعونة هي الكشوث
الذي يلتوي على الشجر والشوك فيجففه **ونخوفهم فما يزيدهم** اي التخويف
الا طغيانا كبيرا اي تمردا وعتوا عظيما قوله تعالى **واذ قلنا للملائكة**
اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس قال أأسجد لمن خلقت طينا اي من طين وذلك ان آدم
خلق من تراب الارض من عذبها وملحها فمن خلق من العذب فهو سعيد ومن
خلق من الملح فهو شقي **قال** يعني ابليس **أرأيتك** الكاف للخطاب والمعنى
اخبرني **هذا الذي كرمت علي** اي فضلته علي **لئن اخرتني** اي امهلتني
الى يوم القيامة لأحتنكن ذريته اي لاستأصلنهم بالاضلال وقيل معناه
لاقودنهم كيف شئت وقيل لاستولين عليهم بالاغواء **الا قليلا** يعني
المعصومين الذين استثناهم الله تعالى في قوله ان عبادي ليس لك عليهم
سلطان قال الله تعالى **قال اذهب** اي امض لشأنك وليس من الذهاب
الذي هو ضد المجيء **فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم** اي جزاؤك
وجزاء اتباعك **جزاء موفورا** اي مكملا قوله عز وجل **واستفزز** اي
اي استخف واستزل واستجهل وازعج **من استطعت منهم** اي من ذرية
آدم **بصوتك** قال ابن عباس معناه بدعائك الى معصية الله وكل داع الى
معصية فهو من جند ابليس وقيل اراد بصوتك الغناء والمزامير واللهو
واللعب **واجلب عليهم بخيلك ورجلك** اي اجمع عليهم مكايدك وحيلك
واحثهم على الاغواء وقيل معناه استعن عليهم بركبان جندك ومشاتهم يقال
انه له خيل ورجالة من الجن والانس فكل من قاتل او مشى في معصية الله
فهو من جند ابليس وقيل المراد منه ضرب المثل كما تقول للرجل المجد في الامر
جئتنا بخيلك ورجلك **وشاركهم في الاموال والاولاد** اما المشاركة في الاموال
فكل ما اصيب من حرام وانفق في حرام وقيل هو الربا وقيل هو ما كانوا يذبحونه
لآلهتهم او يحرمونه كالبحيرة والسائبة والوصيلة والمشاركة في الاولاد فروي
عن ابن عباس رضي الله عنهما انها الموؤدة وقيل اولاد الزنا وعن ابن عباس
رضي الله عنهما ايضا هو تسميتهم بعبد العزى وعبد الحارث وعبد شمس ونحوه
وقيل هو ان رغبوا اولادهم في الاديان الباطلة كاليهودية والنصرانية
والمجوسية ونحوها وقيل ان الشيطان يقعد على ذكر الرجل وقت الجماع فاذا
لم يقل بسم الله اصاب معه امرأته وانزل في فرجها كما ينزل الرجل وروي في بعض
الاخبار ان فيكم مغربين قيل وما المغربون قال الذين يشارك فيهم الجن وعن

ابن عباس انه سأله رجل فقال ان امرأتي استيقظت وفي فرجها شعلة نار فقال ذلك من وطي الجن **وعدهم** اي منهم الجميل في طاعتك وقيل قل لهم لا جنة ولا نار ولا بعث وذلك ان الشيطان اذا دعا الى المعصية فلا بد ان يقرر انه لا مضرة في فعله البتة وذلك لا يمكن الا اذا قال له لا معاد ولا جنة ولا نار ولا حياة بعد هذه الحياة فيقرر بهذا عنده انه لا مضرة البتة في هذه المعاصي واذا فرغ من هذا النوع فقرر عنده ان هذا العمل يفيده انواعا من اللذة والسرور ولا حياة للانسان في الدنيا الا به وهذا طريق الدعوة الى المعصية ثم ينفره عن فعل الطاعات وهو انه يقرر عنده ان لا جنة ولا نار ولا عقاب ولا فائدة فيها وقيل معنى عدهم اي شفاعة الاصنام عند الله وايثار العاجل على الآجل فان قلت كيف ذكر الله هذه الاشياء بصيغة الامر والله تعالى قال ان الله لا يأمر بالفحشاء قلت هذا على طريق التهديد كقوله تعالى اعملوا ما شئتم وكقول القائل اجتهد جهدك فسترى ما ينزل بك وقوله تعالى **وما يعدهم الشيطان الا غرورا** اي يزين الباطل بما يظن انه حق واعلم ان الله تعالى لما قال وعدهم اردف بما يكون زاجرا عن قبول وعده بقوله وما يعدهم الشيطان الا غرورا والسبب فيه انه انما يدعو الى قضاء الشهوة وطلب الرياسة ونحو ذلك ولا يدعو الى معرفة الله تعالى ولا الى عبادته وتلك الاشياء التي يدعو اليها خالية لا حقيقة لها ولا تحصل الا بعد متاعب ومشاق عظيمة واذا حصلت كانت سريعة الذهاب والانقضاء وينغصها الموت والهدم وغير ذلك واذا كانت هذه الاشياء بهذه الصفات كانت الرغبة فيها غرورا **ان عبادي ليس لك عليهم سلطان** يعني بعباده الانبياء واهل الفضل والصلاح لا يقدر على اغوائهم **وكفى بربك وكيلا** اي حافظا والمعنى انه تعالى لما امكن ابليس ان يأتي بما يقدر عليه من الوسوسة كان ذلك سببا لحصول الخوف في قلب الانسان فقال تعالى وكفى بربك وكيلا اي فان الله تعالى اقدر منه وارحم بعباده فهو يدفع عنهم كيد الشيطان ووسوسته ويعصمهم من اغوائه واضلاله وفي بعض الآثار ان ابليس لما خرج الى الارض قال يا رب اخرجتني من الجنة لاجل آدم فسلطني عليه وعلى ذريته قال انت مسلط قال لا استطيعه الا بك فزدني قال استفزز من استطعت منهم الآية فقال آدم يا رب سلطت ابليس علي وعلى ذريتي واني لا استطيعه الا بك قال لا يولد لك ولد الا وكلت به من يحفظه قال رب زدني قال الحسنة بعشر امثالها والسيئة بمثلها قال رب زدني قال التوبة معروضة ما دام الروح في الجسد فقال رب زدني فقال يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا الآية وفي الخبر ان ابليس قال يا رب بعثت انبياء وانزلت كتبا فما قراءتي قال الشعر قال فما كتابي قال الوشم قال ومن رسلي قال الكهنة قال واين مطبخي قال ما لم يذكر عليه اسمي قال فما شرابي قال كل مسكر قال واين مسكني قال

الحمامات

الحمامات قال واين مجلسي قال الاسواق قال وما حبالي قال النساء قال وما اذاني قال المزمار قوله تعالى **ربكم الذي يزجي** اي يسوق ويجري **لكم الفلك** اي السفن **في البحر لتبتغوا من فضله** اي لتطلبوا من رزقه بالارباح في التجارة وغيرها **انه كان بكم رحيما** اي حيث يسر لكم هذه المنافع والمصالح وسهلها عليكم **واذا مسكم الضر في البحر** اي الشدة وخوف الغرق في البحر **ضل من تدعون** اي ذهب عن اوهامكم وخواطركم كل من تدعون في حوادثكم من الاصنام وغيرها **الا اياه** الا الله وحده فانكم لا تذكرون سواه ولا يخطر ببالكم غيره لانه القادر على اغاثتكم ونجاتكم **فلما نجاكم** اي اجاب دعاءكم وانجاكم من هول البحر وشدته واخرجكم الى البر **الى البر اعرضتم** اي عن الايمان والاخلاص والطاعة وكفرتم النعمة وهو قوله تعالى **وكان الانسان كفورا** اي جحودا **أفأمنتم** اي بعد انجائكم **ان يخسف بكم جانب البر** اي تغوره والمعنى ان الجهات كلها له وفي قدرته برا كانا وبحرا بل ان كان الغرق في البحر ففي جانب البر ما هو مثله وهو الخسف لانه تغييب تحت الثرى كما ان الغرق تغييب تحت الماء **او نرسل عليكم حاصبا** اي يمطر عليكم حجارة من السماء كما امطرها على قوم لوط **ثم لا تجدوا لكم وكيلا** اي مانعا ولا ناصرا **ام امنتم ان يعيدكم فيه** اي في البحر **تارة اخرى** اي مرة **فيرسل عليكم قاصفا من الريح فيغرقكم بما كفرتم** قال ابن عباس اي عاصفا وهي الريح الشديدة وقيل هي الريح التي تقصف كل شيء من شجر وغيره فيغرقكم بما كفرتم اي بكفرانكم النعمة واعراضكم حين انجاكم **ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا** التبيع المطالب والمعنى انا نفعل ما نفعل بكم ثم لا تجدوا لكم احدا يطالبنا بما فعلنا انتصارا لكم ودركا للثار من جهتنا وقيل معناه ومن يتبعنا بالانكار علينا قوله تعالى **ولقد كرمنا بني آدم** قال ابن عباس رضي الله عنهما هو انهم يأكلون بالايدي وغير الآدمي يأكل بفيه من الارض وقال ايضا بالعقل وقيل بالنطق والتمييز والخط والفهم وقيل باعتدال القامة وامتدادها وقيل بحسن الصورة وقيل الرجال باللحا والنساء بالذوائب وقيل بتسليطهم على جميع ما في الارض وتسخيره لهم وقيل بحسن تدبيرهم امر المعاش والمعاد وقيل بانهم خير امة اخرجت للناس **وحملناهم في البر** اي على الابل والخيل والبغال والحمير **والبحر** اي وحملناهم في البحر على السفن وهذا من مؤكدات التكريم لان الله تعالى سخر لهم هذه الاشياء لينتفعوا بها ويستعينوا بها على مصالحهم **ورزقناهم من الطيبات** يعني لذيذ المطاعم والمشارب وقيل الزبد والسمن والتمر والحلوا وجعل رزق غيرهم مما لا يخفى وقيل ان الاغذية اما نباتية واما حيوانية ولا يتغذى الانسان الا باطيب القسمين بعد الطبخ الكامل والنضج التام ولا يحصل هذا الا للانسان **وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا** واعلم ان الله تعالى قال في اول الآية ولقد كرمنا بني آدم وفي آخرها وفضلناهم ولا بد من الفرق بين

التكريم والا لزم التكرار فيه والاقرب ان يقال ان الله تعالى اكرم الانسان
على سائر الحيوان بامور خلقية ذاتية طبيعية مثل العقل والنطق والخط وحسن
الصورة ثم انه تعالى عرفه بواسطة ذلك العقل والفهم واكتساب العقائد الصحيحة
والاخلاق الفاضلة فالاول هو التكريم والثاني هو التفضيل ثم قال تعالى على كثير
ممن خلقنا تفضيلا ظاهر الاية يدل على فضل بني ادم على كثير ممن خلقه لا على الكل
فقيل فضلوا على جميع الخلق الا على الملائكة وهذا مذهب المعتزلة وقال الكلبي
فضلوا على الخلائق كلهم الا على طائفة من الملائكة مثل جبريل وميكائيل واسرافيل
وعزرائيل واشباههم وقيل فضلوا على جميع الملائكة كلهم فان قلت كيف تصنع
بكثير قلت يوضع الاكثر موضع الكل كقوله تعالى يلقون السمع واكثرهم كاذبون
اراد كلهم وفي الحديث عن جابر يرفعه قال لما خلق الله ادم وذريته قالت الملائكة
يا رب خلقتهم يأكلون ويشربون وينكحون فاجعل لهم الدنيا ولنا الاخرة فقال
تعالى لا اجعل من خلقته بيدي ونفخت فيه من روحي كمن قلت له كن فكان وقيل
من التفضيل وهو الاول الراجح ان خواص بني ادم وهم الانبياء افضل من خواص
الملائكة وعوام الملائكة افضل من عوام البشر من بني ادم وهذا التفضيل انما هو
بين الملائكة والمؤمنين من بني ادم لان الكفار لا حرمة لهم قال الله تعالى ان الذين
امنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال المؤمن
اكرم على الله تعالى من الملائكة الذين عنده قوله عز وجل **يوم ندعوا كل اناس
بامامهم** اي نبيهم وقيل بكتابهم الذي انزله الله عليهم وقيل بكتاب اعمالهم
وعن ابن عباس بامام زمانهم الذي دعاهم في الدنيا اما الى هدى واما الى ضلالة
وذلك ان كل قوم يجتمعون الى رئيسهم في الخير والشر وقيل بمعبودهم وقيل
بامامهم جمع ام يعني بامهاتهم والحكمة فيه رعاية حق عيسى واظهار شرف الحسن
والحسين وان لا يفتضح اولاد الزنا **فمن اوتي كتابه بيمينه فاولئك يقرؤن كتابهم**
فان قلنا لم خص اصحاب اليمين بقراءة كتابهم وجدوه مشتملا على مهلكات
عظيمة فيستولي عليهم الخجل والدهشة فلا يقدرون على اقامة حروفه فتكون
قراءتهم كلا قراءة واما اصحاب اليمين اذا طالعوا كتابهم وجدوه مشتملا
على الحسنات والطاعات فيقرؤنه احسن قراءة وابينها **ولا يظلمون فتيلا**
اي ولا ينقصون من ثواب اعمالهم ادنى شيء **ومن كان في هذه اعمى** المراد عمى القلب
والبصيرة لا عمى البصر والمعنى ومن كان في هذه يعني الدنيا اعمى اي هذه النعم
التي قد عددنا في هذه الايات المتقدمة **فهو في الاخرة اعمى** اي التي لم
تعاين ولم تر اعمى **واضل سبيلا** قال ابن عباس قيل معناه من كان في هذه الدنيا
اعمى القلب عن رؤية قدرة الله واياته ورؤية الحق فهو في الاخرة اعمى واشد
عمى واضل سبيلا اي اخطا طريقا وقيل معناه ومن كان في الدنيا كافرا ضالا
فهو في الاخرة اعمى لانه في الدنيا تقبل توبته وفي الاخرة لا تقبل توبته قوله

عزوجل

عز وجل **وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك** قيل بحسب
نزولها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يستلم الحجر الاسود فمنعه قريش وقالوا لا ندعه
حتى تلم بالهتنا وتمسها فحدث نفسه ما علي ان افعل ذلك والله يعلم اني لها كاره بعد ان
يدعوني استلام الحجر وقيل طلبوا منه ان يذكر الهتهم حتى يسلموا ويتبعوه فحدث نفسه
فانزل الله تعالى هذه الاية وقال ابن عباس قدم وفد ثقيف على النبي صلى الله عليه وسلم
فقالوا نبايعك على ان تعطينا ثلاث خصال قال وما هن قالوا لا نجني في الصلاة اي
لا ننحني في الصلاة ولا نكسر اصنامنا بايدينا وان تمتعنا باللات سنة من غير ان
نعبدها فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا خير في دين لا ركوع فيه ولا سجود واما ان تكسروا
اصنامكم بايديكم فذلك لكم واما الطاغية يعني اللات والعزى فاني غير ممتعكم بها
قالوا يا رسول الله انا نحب ان تسمع العرب انك قد اعطيتنا ما لم تعط غيرنا فان
خشيت ان تقول العرب اعطيتهم ما لم تعطنا فقل الله امرني بذلك فسكت النبي
صلى الله عليه وسلم فطمع القوم في سكوته ان يعطيهم ذلك فانزل الله وان كادوا
اي زعموا ليفتنونك اي ليصرفونك عن الذي اوحينا اليك **لتفتري** اي لتختلق
وتتقول **علينا غيره** اي ما لم نعلمه **واذا** اي لو فعلت ما دعوك **لاتخذوك خليلا**
اي والوك وصافوك **ولولا ان ثبتناك** اي على الحق بعصمتنا **لقد كدت
تركن** اي تميل **اليهم شيئا قليلا** اي قليلا من الفعل فان قلت كان
النبي صلى الله عليه وسلم معصوما فكيف يجوز ان يقرب ما طلبوه قلت كان ذلك
خاطر قلب ولم يكن عزما وقد عفا الله عن حديث النفس وكان النبي صلى الله عليه وسلم
بعد ذلك يقول اللهم لا تكلني الى نفسي طرفة عين والجواب الصحيح هو ان الله تعالى قال
ولولا ان ثبتناك وقد ثبته الله فلم يركن اليهم **اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف
الممات** اي لو فعلت ذلك لاذقناك ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات
يعني اضعفنا لك العذاب في الدنيا والاخرة **ثم لا تجد لك علينا نصيرا**
اي ناصرا يمنعك من عذابنا قوله عز وجل **وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك
منها** قيل هذه الاية مدنية وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة كره
اليهود مقامه بالمدينة صلى الله عليه وسلم وذلك حسدا فاتوه فقالوا يا ابا القاسم
لقد علمت ما هذه بارض الانبياء وان ارض الانبياء الشام وهي الارض المقدسة وكان
بها ابراهيم عليه السلام والانبياء عليهم السلام فان كنت نبيا مثلهم فات الشام
وانما يمنعك الخروج اليها مخافة الروم وان الله سيمنعك من الروم ان كنت رسوله
فعسكر النبي صلى الله عليه وسلم على ثلاثة اميال من المدينة وفي رواية الى ذي الحليفة
حتى يجتمع اليه اصحابه فيخرج فانزل الله بعده الاية والارض ههنا ارض المدينة
وقيل الارض ارض مكة والاية مكية وهم المشركون ان يخرجوه منها فكفهم الله
عنه حتى امره بالخروج للهجرة فخرج بنفسه وهذا اليق بالاية لان ما قبلها خبر
عن اهل مكة والسورة مكية وقيل هم المشركون كلهم وارادوا ان يستفزوه من ارض

العرب باجماعهم وتظاهرهم عليه فمنع الله منه ولم يبنا لوامنه ما املوه والاستفزاز
الازعاج واذا لا يلبثون خلفك الا قليلا اي لا يبقون بعد اخراجك الا زمانا
قليلا حتى يهلكوا قوله تعالى سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا يعني
ان كل قوم اخرجوا رسولهم من بين اظهرهم فسنة الله ان يهلكهم وان لا يعذبهم
ما دام بينهم فاذا خرج من بين اظهرهم عذبهم ولا تجد لسنتنا تحويلا اي تبديلا
قوله عز وجل اقم الصلاة لدلوك الشمس روي ابن مسعود انه قال الدلوك
الغروب وهو قول النخعي ومقاتل والضحاك والسدي وقال ابن عباس وابن عمر
وجابر هو زوال الشمس وهو قول عطا وقتادة ومجاهد والحسن واكثر التابعين
ومعنى اللفظ يجمعهما لان اصل الدلوك الميل والشمس تميل اذا زالت واذا غربت
والحمل على الزوال اولى القولين لكثرة القايلين به واذا حملناه عليه كانت الاية
جامعة لمواقيت الصلاة كلها فدلوك الشمس يتناول صلاة الظهر والعصر الى غسق
الليل اي ظهور ظلمته وقال ابن عباس بدو الليل وهذا يتناول المغرب والعشا
وقران الفجر يعني صلاة الفجر سمي الصلاة قرانا لانها لا تجوز الا بقران ان قران
الفجر كان مشهودا اي يشهده ملايكة الليل وملايكة النهار خ عن ابي هريرة
رضي الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول تفضل صلاة الجمع صلاة احدكم
وحده بخمس وعشرين جزا وتجتمع ملايكة الليل وملايكة النهار في صلاة الفجر
ثم يقول ابو هريرة اقرءوا ان شيتم ان قران الفجر كان مشهودا قال الامام فخر الدين
الرازي رحمه الله في تفسيره هذا دليل قاطع قوي على ان التغليس افضل من التنوير
لان الانسان اذا شرع فيها من اول الصبح ففي ذلك الوقت الظلمة باقية فتكون ملايكة
الليل حاضرين ثم اذا امتدت الصلاة بسبب ترتيل القران وتكثيرها زالت الظلمة
وظهر الضوء وحضرت ملايكة النهار اما اذا ابتدا بهذه الصلاة في وقت الاسفار
فهناك لم يبق احد من ملايكة الليل فلا يحصل المعنى المذكور في الاية فثبت ان قوله
تعالى كان مشهودا دليل على ان الصلاة في اول وقتها افضل قوله تعالى ومن الليل
فتهجد به اي قم بعد نومك والتهجد لا يكون الا بعد القيام من النوم والمراد
من الاية قيام الليل للصلاة وكانت صلاة الليل فريضة على النبي صلى الله عليه وسلم
وعلى الامة في الابتدا لقوله تعالى يا ايها المزمل قم الليل الا قليلا ثم نزل التخفيف
فصار الوجوب منسوخا في حق الامة بالصلوات الخمس وبقي قيام الليل على
الاستحباب بدليل قوله فاقروا ما تيسر منه وبقي الوجوب ثابتا في حق النبي
صلى الله عليه وسلم بدليل قوله نافلة لك اي زيادة لك يريد فريضة زايدة على
صلاة الفرايض التي فرضها الله عليك روي عن عايشة ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال ثلاث هن فريضة علي وهي سنة لكم الوتر والسواك وقيام الليل وقيل ان
الوجوب صار منسوخا في حقه كما في حق الامة فصار قيام الليل نافلة لان الله
تعالى قال نافلة لك ولم يقل عليك فان قلت ما معنى التخصيص اذا كانت زيادة

في حق المسلمين كما في حقه صلى الله عليه وسلم قلت فايدة التخصيص ان النوافل كفارات
لذنوب العباد والنبي صلى الله عليه وسلم قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر فكانت
له نافلة وزيادة في رفع الدرجات فصل في الاحاديث الواردة في قيام الليل
ق عن المغيرة بن شعبة قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتفخت قدماه
فقيل له اتتكلف هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر قال افلا اكون
عبدا شكورا م عن زيد بن خالد الجهني قال لارمقن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم
الليلة فتوسدت عتبته او فسطاطه فقام فصلى ركعتين خفيفتين ثم صلى ركعتين
طويلتين طويلتين طويلتين ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم صلى ركعتين دون
اللتين قبلهما ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما
ثم اوتر فذلك ثلاث عشرة ركعة لفظ ابي داود ق عن ابي سلمة بن عبد الرحمن انه سال
عايشة كيف كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان فقالت ما كان يزيد
في رمضان ولا في غيره اكثر من احدى عشرة ركعة يصلي اربعا فلا تسال عن حسنهن
وطولهن ثم يصلي اربعا فلا تسال عن حسنهن وطولهن ثم يصلي ثلاثا قالت عايشة
فقلت يا رسول الله اتنام قبل ان توتر قال يا عايشة ان عيني تنامان ولا ينام
قلبي ق عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي فيما بين ان يفرغ
من صلاة العشا احدى عشرة ركعة يسلم في كل ركعتين ويوتر بواحدة ويسجد
سجدتين قدر ما يقرا احدكم خمسين اية قبل ان يرفع راسه فاذا سكت المؤذن
من صلاة الفجر وتبين له الفجر قام فركع ركعتين خفيفتين ثم اضطجع على شقه
الايمن حتى ياتيه المؤذن للاقامة م عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا قام من الليل افتتح صلاته بركعتين خفيفتين عن عوف بن مالك الاشجعي
قال قمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فقام فقرا سورة البقرة لا يمر
باية رحمة الا وقف وسال ولا يمر باية عذاب الا وقف وتعوذ ثم ركع بقدر قيامه
يقول في ركوعه سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبريا والعظمة ثم سجد بقدر
قيامه ثم قال في سجوده مثل ذلك ثم قام فقرا بال عمران ثم قرا سورة النسا
اخرجه ابو داود والنسايي عن عايشة رضي الله تعالى عنها قالت قام رسول الله
صلى الله عليه وسلم باية من القران ليلة اخرجه الترمذي ق عن الاسود قال سالت
عايشة رضي الله عنها كيف كانت صلاة النبي صلى الله عليه وسلم من الليل قالت كان
ينام اوله ويقوم اخره فيصلي ثم يرجع الى فراشه فاذا اذن المؤذن وثب فان
كانت به حاجة اغتسل والا توضا وخرج عن انس قال ما كنا نشا ان نرى رسول
الله صلى الله عليه وسلم في الليل مصليا الا رايناه ولا نشا ان نراه نايما الا رايناه اخرجه
النسايي زاد في رواية غيره قال وكان يصوم من الشهر حتى نقول لا يفطر منه شيا
ويفطر حتى نقول لا يصوم منه شيا قوله عز وجل عسى ان يبعثك ربك مقاما
محمودا اجمع المفسرون على ان عسى من الله واجب وذلك ان لفظة عسى تفيد الاطماع

ومن اطمع انسانا في شيء ثم حرمه كان غادرا والله اكرم من ان يطمع احدا ثم لا يعطيه
ما اطمعه فيه والمقام المحمود هو مقام الشفاعة لانه يحمده فيه الاولون والاخرون
ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي دعوة مستجابة
واني اختبات دعوتي شفاعة لامتي فهي نائلة منكم ان شاء الله تعالى من مات لا يشرك
بالله شيئا عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فمن صلى علي صلاة صلى الله
عليه بها عشرا ثم سلوا لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا ينبغي الا لعبد من عباد الله
وارجو ان اكون انا هو فمن سال لي الوسيلة حلت عليه شفاعتي خ عن جابر بن عبد الله
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة
التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا
الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة ق عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال يجمع الله الناس يوم القيامة فيهتمون لذلك وفي رواية فيلهمون ذلك فيقولون
لو استشفعنا الى ربنا فيريحنا من مكاننا فياتون ادم فيقولون انت ادم
ابو البشر خلقك الله بيده واسكنك جنته واسجد لك ملائكته وعلمك اسماء كل شيء
اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته
التي اصاب فيستحيي من ربه منها ولكن ائتوا نوحا اول رسول بعثه الله الى اهل
الارض فياتون نوحا فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته التي اصاب فيستحيي
من ربه منها ولكن ائتوا ابراهيم الذي اتخذه الله خليلا فياتون ابراهيم فيقول
لست هناكم ويذكر خطيئته التي اصاب فيستحيي من ربه منها ولكن ائتوا موسى
الذي كلمه الله واعطاه التوراة قال فياتون موسى فيقول لست هناكم ويذكر
خطيئته التي اصاب فيستحيي من ربه منها ولكن ائتوا عيسى روح الله وكلمته
فياتون عيسى روح الله وكلمته فيقول لست هناكم ولكن ائتوا محمدا صلى الله عليه وسلم
عبدا قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تاخر قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم فياتوني فاستاذن على ربي فيؤذن لي واذا رايته وقعت ساجدا
فيدعني ما شاء الله فيقال يا محمد ارفع راسك قل يسمع لك سل تعطه اشفع
تشفع قال فارفع راسي فاحمد ربي بتحميد يعلمنيه ربي ثم اشفع فيحد لي حدا
فاخرجهم من النار وادخلهم الجنة ثم اعود فاقع ساجدا فيدعني ما شاء الله ان
يدعني ثم يقال لي ارفع يا محمد قل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع فارفع راسي
فاحمد ربي بتحميد يعلمنيه ثم اشفع فيحد لي حدا فاخرجهم من النار وادخلهم
الجنة قال فلا ادري في الثالثة او في الرابعة فاقول يا رب ما بقي في النار الا
من حبسه القرآن اي وجب عليه الخلود وفي رواية للبخاري ثم تلا هذه الاية
عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا قال وهذا المقام المحمود الذي وعده نبيكم
محمد صلى الله عليه وسلم زاد في رواية فقال النبي صلى الله عليه وسلم يخرج من النار

من قال

من قال لا اله الا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة قال يزيد بن زريع
في حديث شعبة ذرة وفي رواية من ايمان مكان خير وفي حديث معبد بن هلال
عن انس في حديث الشفاعة وذكر نحوه وفيه فاقول يا رب امتي امتي فيقال
انطلق فمن كان في قلبه ادنى ادنى ادنى مثقال حبة من خردل من ايمان فاخرجه
من النار فانطلق فافعل قال فلما خرجنا من عند انس مررنا بالحسن فسلمنا
عليه فحدثناه بالحديث الى هذا الموضع فقال هيه فقلنا لم يزدنا على هذا فقال
لقد حدثني وهو جميع منذ عشرين سنة كما حدثكم ثم قال ثم اعود في الرابعة
واحمده بتلك المحامد ثم اخر له ساجدا فيقال يا محمد ارفع راسك وقل يسمع
وسل تعطه واشفع تشفع فاقول يا رب ائذن لي فيمن قال لا اله الا الله
قال ليس ذلك اليك ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي لاخرجن منها من قال
لا اله الا الله قوله وهو جميع اي مجتمع الذهن والراي عن ابي سعيد قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم يوم القيامة ولا فخر وبيدي لواء
الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ ادم فمن سواه الا تحت لوائي وانا اول من تنشق
عنه الارض ولا فخر قال فيفزع الناس ثلاث فزعات فياتون ادم فيقولون
انت ابونا اشفع لنا الى ربك فيقول اني اذنبت ذنبا عظيما فاهبطت به الى الارض
ولكن ائتوا نوحا فيقول اني دعوت على اهل الارض دعوة فاهلكوا ولكن اذهبوا
الى ابراهيم فياتون ابراهيم فيقول اني كذبت ثلاث كذبات ثم قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما منها كذبة الا ماحل بها عن دين الله ولكن ائتوا موسى فياتون
فياتون موسى فيقول قد قتلت نفسا ولكن ائتوا عيسى فياتون عيسى فيقول
اني عبدت من دون الله ولكن ائتوا محمدا فياتوني فانطلق معهم قال ابن جدعان
قال انس فكاني انظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاخذ حلقة باب الجنة
فاقعقعها فيقال من هذا فيقال محمد فيفتحون لي ويرحبون فيقولون مرحبا فاخر
ساجدا فيلهمني الله من الثناء والحمد فيقال لي ارفع راسك سل تعطه اشفع تشفع
وقل يسمع لقولك وهو المقام المحمود الذي قال الله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا
قال سفيان ليس عن انس غير هذه الكلمة فاخذ بحلقة باب الجنة فاقعقعها اخرجه
الترمذي قوله ماحل المماحلة المخاصمة والمجادلة والمعنى انه عليه السلام خاصم
وجادل عن دين الله بتلك الالفاظ التي صدرت عنه وقوله فاقعقعها اي احركها حركة
شديدة والقعقعة حكاية اصوات الترسة وغيرها مما له صوت عن انس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا خطيبهم اذا وفدوا
وانا مبشرهم اذا ايسوا ولواء الحمد يومئذ بيدي وانا اكرم ولد ادم ولا فخر اخرجه
الترمذي زاد في رواية غير الترمذي وانا مستشفعهم اذا حبسوا الكرامة
والمفاتيح يومئذ بيدي يطوف علي الف خادم كانهن بيض مكنون او لؤلؤ منثور عن
ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم

يوم القيامة واول من تنشق عنه الارض فاكسى حلة من حلل الجنة ثم اقوم عن يمين العرش فليس احد من الخلايق يقوم ذلك المقام غيري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال ان الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الاذن فبينما هم كذلك استغاثوا بادم ثم بموسى ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم فيشفع ليقضي بين الخلايق فيمشي حتى ياخذ بحلقة الباب فيومئذ يبعثه الله مقاما محمودا يحمده اهل الجمع كلهم م عن يزيد بن صهيب الفقير قال كنت قد شغفني راي من راي الخوارج فخرجنا في عصابة ذوي عدد نريد ان نحج ثم نخرج على الناس قال فمررنا على المدينة فاذا جابر بن عبد الله جالس الى سارية يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا هو قد ذكر الجهنميين فقلت يا رسول الله ما هذا الذي تحدثونا والله يقول انك من تدخل النار فقد اخزيته وكلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها فما هذا الذي تقولون قال اتقرا القران قلت نعم قال فاقرا ما قبله انه في الكفار ثم قال فهل سمعت بمقام محمد صلى الله عليه وسلم المحمود الذي يخرج الله به من يخرج من النار قال ثم نعت وضع الصراط ومر الناس عليه قال واخاف ان لا اكون احفظ ذلك قال غيره انه قد زعم ان قوما يخرجون من النار بعد ان يكونوا فيها قال يعني فيخرجون كانهم عيدان السماسم قال فيدخلون نهرا من انهار الجنة قال فيغتسلون فيه فيخرجون كانهم القراطيس فرجعنا فقلنا ويحكم اترون هذا الشيخ يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجعنا فلا والله ما خرج غير رجل واحد او كما قال والاحاديث في الشفاعة كثيرة واول من انكرها عمرو بن عبيد وهو مبتدع باتفاق اهل السنة وروى ابو وايل عن ابن مسعود انه قال ان الله اتخذ ابراهيم خليلا وان صاحبكم خليل الله واكرم الخلق عليه ثم قرا عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا قال يقعده على العرش وعن مجاهد مثله وعن عبد الله بن سلام قال يقعده على الكرسي قوله عز وجل **وقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق** المراد منهما الادخال والاخراج قال ابن عباس معناه ادخلني مدخل صدق المدينة واخرجني مخرج صدق مكة نزلت حين امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجرة وقيل معناه اخرجني من مكة امنا من المشركين وادخلني مكة ظاهرا عليها بالفتح وقيل ادخلني في امرك الذي ارسلتني به من النبوة مدخل صدق واخرجني من الدنيا وقد قمت بما وجب علي من حق النبوة مخرج صدق وقيل ادخلني في طاعتك مدخل صدق واخرجني من المناهي مخرج صدق وقيل معناه ادخلني حيث ما ادخلتني بالصدق ولا تجعلني ممن يدخل بوجه ويخرج بوجه فان ذا الوجهين عند الله لا يكون امينا **واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا** اي حجة بينة وقيل ملكا قويا تنصرني به على من عاداني وعزا ظاهرا اقيم به دينك فوعده الله لينزعن ملك فارس والروم وغيرهما ويجعله له واجاب دعاه وقال له والله يعصمك من الناس وقال ليظهره على الدين كله وقال وعد الله

الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض الاية قوله تعالى **وقل جاء الحق** يعني الاسلام والقران **وزهق الباطل** اي الشرك والشيطان **ان الباطل كان زهوقا** اي كان مضمحلا غير ثابت وذلك ان الباطل وان كان له دولة وصولة في وقت من الاوقات فهو سريع الزوال وعن عبد الله بن مسعود قال دخل النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح وحول البيت ثلاثمائة وستون صنما فجعل يطعنها بعود في يده ويقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا جاء الحق وما يبدي الباطل وما يعيد قوله عز وجل **وننزل من القران ما هو شفا ورحمة للمومنين** من في قوله من القران لبيان الجنس والمعنى ننزل من هذا الجنس الذي هو قران ما هو شفا اي بيان من الضلالة والجهالة يتبين به المختلف ويتضح به المشكل ويستشفى به من الشبهة ويهتدى به من الحيرة وهو شفا القلوب بزوال الجهل عنها وقيل هو شفا للامراض الباطنة والظاهرة وذلك لانها تنقسم الى نوعين احدهما الاعتقادات الباطلة والثاني الاخلاق المذمومة اما الاعتقادات فاشده فسادا الاعتقادات الفاسدة في الذات والصفات والنبوات والقضا والقدر والبعث بعد الموت فالقران كله مشتمل على دلايل المذهب الحق في هذه الاشيا وابطال المذاهب الفاسدة لا جرم كان القران شفا لما في القلوب من هذا النوع واما النوع الثاني وهو الاخلاق المذمومة فالقران مشتمل على التنفير منها والارشاد الى الاخلاق المحمودة والاعمال الفاضلة وثبت ان القران شفا من جميع الامراض الباطنة واما كونه شفا من الامراض الجسمانية فلان التبرك بقراءته يدفع كثيرا من الامراض يدل عليه ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في فاتحة الكتاب وما يدريك انها رقية ورحمة للمومنين لما كان القران شفا للامراض الباطنة والظاهرة فهو جدير بان يكون رحمة للمومنين **ولا يزيد الظالمين الا خسارا** لان الظالم لا ينتفع به والمومن ينتفع به فكان رحمة للمومنين وخسارا للظالم وقيل لان كل اية تنزل يتجدد لهم تكذيب بها فيزداد خسارهم قال قتادة لم يجالس القران احد الا قام عنه بزيادة او نقصان قضاه الله الذي قضى شفا ورحمة للمومنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا قوله تعالى **واذا انعمنا على الانسان** اي بالصحة والسعة **اعرض** اي عن ذكرنا ودعاينا **وناى بجانبه** اي تباعد منا بنفسه وترك التقرب الينا بالدعا وقيل معناه تكبر وتعاظم **واذا مسه الشر** اي الشدة والضر **كان يوسا** اي ايسا قنوطا وقيل معناه انه يتضرع ويدعو عند الضر والشدة فاذا تاخرت الاجابة ييس فلا ينبغي للمومن ان يدع الدعا ولو تاخرت الاجابة قوله عز وجل **قل كل** اي كل احد **يعمل على شاكلته** قال ابن عباس رضي الله عنهما على ناحيته وقيل الشاكلة الطريقة اي يعمل على طريقته التي جبل عليها وفيه وجه اخر وهو ان كل انسان يعمل على حسب جوهر نفسه فان كانت نفسه

شريفة طاهرة صدرت عنه افعال جميلة واخلاق زكية طاهرة وان كانت نفسه
كدرة خبيثة صدرت عنه افعال خسيسة فاسدة ردية **فربكم اعلم بمن هو**
اهدى سبيلا اي اوضح طريق واحسن مذهبا واتباعا للحق قوله تعالى
ويسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربي عن عبد الله بن مسعود قال
بينما انا امشي مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو يتوكا على عسيب معه فمر
بنفر من اليهود فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح وقال بعضهم لا تسئلوه
يسمعكم ما تكرهون فقاموا اليه وفي رواية فقام اليه رجل منهم فقال يا
ابا القاسم ما الروح فسكت وفي رواية فقالوا حدثنا عن الروح فقام
ساعة ينتظر وعرفت انه يوحى اليه فتاخرت حتى صعد الوحي قال ويسئلونك
عن الروح قل الروح من امر ربي **وما اوتيتم من العلم الا قليلا** فقال بعضهم
لبعض قد قلنا لكم لا تسئلوه وفي رواية ما اوتوا من العلم الا قليلا قال الاعمش
هكذا في قراتنا العسيب جريد النخل وسعفه وقال ابن عباس ان قريشا
اجتمعوا وقالوا ان محمدا نشا فينا بالامانة والصدق وما اتهمناه بكذب قط
وقد ادعى ما ادعى فابعثوا نفرا من اليهود بالمدينة واسالوهم عنه فانهم اهل كتاب
فبعثوا جماعة اليهم فقالت اليهود سلوه عن ثلاثة اشيا فان اجاب عن كلها
او لم يجب عن شي منها فليس بنبي وان اجاب عن اثنتين ولم يجب عن واحدة فهو
نبي فسلوه عن فتية فقدوا في الزمن الاول ما كان شانهم فانه كان لهم حديث
عجيب وعن رجل بلغ شرق الارض وغربها ما خبره وعن الروح قال فسئلوا النبي
صلى الله عليه وسلم فقال اخبركم بما سالتم غدا فلبث الوحي قال مجاهد اثني عشر
يوما وقيل خمسة عشر يوما وقيل اربعين يوما واهل مكة يقولون وعدنا
محمد غدا وقد اصبحنا لا يخبرنا بشي حتى حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من مكث الوحي فشق عليه ما يقوله اهل مكة ثم نزل جبريل عليه السلام بقوله
تعالى ولا تقولن لشاي اني فاعل ذلك غدا الا ان يشا الله ونزل في الفتية
ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من اياتنا عجبا ونزل فيمن بلغ الشرق
والغرب قوله ويسئلونك عن ذي القرنين ونزل في الروح قل الروح من امر
ربي واختلفوا في الذي وقع السوال عنه فروي عن ابن عباس انه جبريل وعن علي
انه ملك له سبعون الف وجه في كل وجه سبعون لسانا يسبح الله تعالى بكلها
وقال مجاهد خلق على صورة بني ادم لهم ايد وارجل وروس ليسوا ملايكة ولا
ناس ياكلون الطعام وقال سعيد بن جبير خلق الله لم يخلق الله خلقا اعظم
من الروح غير العرش لو شا ان يبتلع السموات السبع والارض ومن فيها بلقمة
واحدة لفعل ذلك صورة خلقه على صورة الملايكة وصورة وجهه على صورة
وجه الادميين يوم القيامة على يمين العرش وهو اقرب الخلق الى الله تعالى
يوم القيامة وهو ممن يشفع لاهل التوحيد ولولا ان بينه وبين الملايكة سترا

من نور لاحترق اهل السموات من نوره وقيل الروح هو القران لانه سماه الله روحا
ولان به حياة القلوب وقيل هو الروح المركب في الخلق الذي يحيى به الانسان
وهو اصح الاقوال وتكلم قوم في ماهية الروح فقال بعضهم هو الدم الا ترى
ان الانسان اذا مات لا يفوت منه الا الدم وقال قوم نفس الحيوان بدليل
انه يموت باحتباس النفس وقال قوم هو عرض وقال قوم هو جسم لطيف يحيى
به الانسان وقال الروح معنى اجتمع فيه النور والطيب والعلم والعلو والبقا
الا ترى انه اذا كان موجودا يكون الانسان موصوفا بجميع هذه الصفات واذا
خرج منه ذهب الكل واقاويل الحكما والصوفية في ماهية الروحية كثيرة وليس
هذا موضع استقصايها والاولى الاقاويل ان يوكل علمه الى الله تعالى وهو قول
اهل السنة قال عبد الله بن بريدة ان الله لم يطلع على الروح ملكا مقربا
ولا نبيا مرسلا يدل بدليل قوله تعالى قل الروح من امر ربي اي علم ربي الذي استاثر
به وما اوتيتم من العلم الا قليلا اي في جنب علم الله عز وجل الخطاب عام وقيل
هو خطاب لليهود فانهم كانوا يقولون اوتينا التوراة وفيها العلم الكثير فقيل
لهم ان علم التوراة قليل في جنب علم الله تعالى وقيل ان القلة والكثرة تدوران
مع الاضافة فوصف الشي بالقلة مضافا الى ما فوقه وبالكثرة مضافا الى ما
تحته وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم علم بمعنى الروح ولكن لم يخبر به لان ترك اخباره
كان علم النبوة والقول الاصح ان الله استاثر بعلم الروح قوله عز وجل **ولين**
شينا لنذهبن بالذي اوحينا اليك معناه انا كما منعنا علم الروح عنك وعن
غيرك ان شينا ذهبنا بالقران ومحوناه من الصدور والمصاحف فلم نترك له
اثرا وبقيت كما كنت ما تدري ما الكتاب **ثم لا تجد لك به علينا وكيلا** معناه
لا تجد بعد الذهاب به من يتوكل علينا باسترداده عليك واعادته محفوظا
مسطورا **الا رحمة من ربك** معناه الا ان يرحمك ربك فيرده عليك وقيل هذا
المستثنى منقطع معناه لكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به وهذا امتنان
من الله تعالى ببقا القران محفوظا فان قلت كيف يذهب بالقران وهو كلام الله
تعالى قلت المراد منه محو ما في المصاحف واذهاب ما في الصدور وقال عبد الله
ابن مسعود اقروا القران قبل ان يرفع فانه لا تقوم الساعة حتى يرفع قيل هذه
المصاحف ترفع فكيف بما في صدور الناس قال يسرى عليه ليلا فيرفع ما في صدورهم
فيصبحون ما يحفظون شيا ولا يجدون ما في المصاحف ثم يفيضون في الشعر
وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال لا تقوم الساعة حتى يرجع القران من
حيث نزل له دوي حول العرش كدوي النحل فيقول الرب ما لك فيقول يا رب
اتلى ولا يعمل بي **ان فضله كان عليك كبيرا** اي بسبب نبوة العلم والقران
عليك وجعلك سيد ولد ادم وختم بك النبيين واعطاك المقام المحمود قوله
تعالى **قل لين اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون**

أي لا يقدرون على ذلك **بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا** أي عونا
نزلت حين قال المشركون لو نشاء لقلنا مثل هذا فكذبهم الله عز وجل فالقرآن معجز
في النظم والتأليف والإخبار عن الغيوب وهو كلام في أعلى طبقات البلاغة لا يشبه
كلام الخلق لأنه كلام الخالق وهو غير مخلوق ولو كان مخلوقا لأتوا بمثله قوله عز
وجل **ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل** أي رددنا وكررنا من كل
معنى هو كالمثل في غرابته وحسنه وقيل معناه من كل وجه من العبرة والأحكام
والوعد والوعيد والقصص وغيرها **فأبى أكثر الناس إلا كفورا** أي جحودا وقوله
تعالى **وقالوا لن نؤمن لك** أي لن نصدقك **حتى تفجر لنا من الأرض
ينبوعا** لما تبين إعجاز القرآن وانضمت إليه معجزات أخر وبينات ولزمتهم الحجة وغلبوا
أخذوا يتعللون باقتراح الآيات فقالوا لن نؤمن لك روى عكرمة عن ابن عباس
أن عتبة وشيبة ابني ربيعة وأبا سفيان بن حرب والنضر بن حرب وأبا البختري
ابن هشام والأسود بن عبد المطلب وزمعة بن الأسود والوليد بن المغيرة وأبا جهل
ابن هشام وعبد الله بن أبي أمية وأمية بن خلف والعاص بن وائل ونبيها ومنبها
ابني الحجاج اجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة فقال بعضهم لبعض ابعثوا
إلى محمد فكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه فبعثوا إليه إن أشراف قومك قد اجتمعوا
إليك ليكلموك فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا وهو يظن أن بدا لهم
في أمره بدا وكان حريصا يحب رشدهم حتى جلس إليهم فقالوا يا محمد إنا بعثنا إليك
لنعذر فيك وإنا والله لا نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك
لقد شتمت الآباء وعبت الدين وسفهت الأحلام وسببت الآلهة وفرقت
الجماعة وما من قبيح إلا وقد جئته فيما بيننا وبينك فإن جئت بهذا الحديث تطلب
به مالا جعلنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا وإن كنت تريد الشرف سودناك
علينا وإن كنت تريد ملكا ملكناك علينا وإن كان هذا الذي يأتيك رئيا تراه قد غلب
عليك لا تستطيع رده بذلنا لك أموالنا في طلب الطب حتى نبريك منه ونعذر
فيك وكانوا يسمون الرئي التابع من الجن فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بي
ما تقولون ما جئتكم بما جئتكم به أطلب أموالكم ولا الشرف عليكم ولا الملك عليكم
ولكن الله بعثني إليكم رسولا وأنزل علي كتابا وأمرني أن أكون لكم بشيرا ونذيرا
فبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم فإن تقبلوا مني فهو حظكم من الدنيا والآخرة وإن
تردوا علي أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم فقالوا يا محمد فإن كنت غير قابل منا
ما عرضنا عليك فقد علمت أنه ليس أحد أضيق بلادا ولا أشد عيشا منا فسل
ربك الذي بعثك فليسير عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا وليبسط لنا بلادنا
وليفجر لنا الأنهار كأنهار الشام والعراق وليبعث لنا من مضى من آبائنا وليكن منهم قصي
ابن كلاب فإنه كان شيخا صدوقا فنسألهم عما تقول أحق هو أم باطل فإن صدقوك
صدقناك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بهذا بعثت فقد بلغتكم ما أرسلت

به فإن تقبلوه فهو حظكم وإن تردوه أصبر لأمر الله تعالى قالوا فإن لم تفعل هذا
فسل لنا ربك أن يبعث ملكا يصدقك واسأله أن يجعل لك جنانا وقصورا وكنوزا
من ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك فإنك تقوم بالأسواق وتلتمس المعاش
كما نلتمسه فقال ما بعثت بهذا ولكن الله بعثني بشيرا ونذيرا فقالوا فأسقط السماء
كما زعمت علينا إن ربك إن شاء فعل فقال ذلك إلى الله إن شاء فعل ذلك بكم وقال قائل
منهم لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلا فلما قالوا ذلك قام رسول الله
صلى الله عليه وسلم معه عبد الله بن أبي أمية وهو ابن عمته عاتكة بنت عبد المطلب
فقال يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم ثم سألوك لأنفسهم أمورا
يعرفون بها منزلتك من الله فلم تفعل ثم سألوك أن تعجل ما تخوفهم به من العذاب
فلم تفعل فوالله ما أومن بك أبدا حتى تتخذ إلى السماء سلما ترقى فيه وأنا أنظر حتى تأتيها
فتأتي بنسخة منشورة معك ونفر من الملائكة يشهدون لك بما تقول وأيم الله
لو فعلت ذلك لظننت أن لا أصدقك فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم
إلى أهله حزينا لما رأى من مباعدتهم فأنزل الله تعالى وقالوا لن نؤمن لك حتى
تفجر لنا من الأرض يعني أرض مكة ينبوعا أي عيونا **أو تكون لك جنة من نخيل
وعنب** أي بستان فيه نخيل وعنب **فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا** أي تشقيقا
أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا يعني قطعا **أو تأتي بالله والملائكة
قبيلا** قال ابن عباس كفيلا أي يكفلون بما تقول وقيل هو جمع القبيلة أي بأصناف
الملائكة قبيلة قبيلة يشهدون لك بصحة ما تقول وقيل معناه نراهم مقابلة عيانا
أو يكون لك بيت من زخرف أي من ذهب وأصله الزينة **أو ترقى** أي تصعد **في
السماء ولن نؤمن لرقيك** أي لأجل رقيك **حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه**
أي أمرنا فيه باتباعك وهذا قول عبد الله بن أبي أمية **قل** أي يا محمد **سبحان
ربي** أمر بتنزيهه وتمجيده وفيه معنى التعجب **هل كنت إلا بشرا رسولا**
أي كسائر الرسل للأمم وإن كان الرسل لا يأتون قومهم إلا بما يظهر الله
عليهم من الآيات فليس أمر الآيات إليهم إنما هو إلى الله تعالى ولو أراد أن ينزل
ما طلبوا لفعل ولكن لا ينزل الآيات على ما يقترحه البشر وما أنا إلا بشر
وليس ما سألتم في طوق البشر واعلم أن الله تعالى قد أعطى النبي صلى الله عليه وسلم
من الآيات والمعجزات ما يغني عن هذا كله مثل القرآن وانشقاق القمر ونبع الماء
من بين أصابعه وما أشبهها من الآيات وليست بدون ما اقترحوه بل هي أعظم
مما اقترحوه والقوم عامتهم كانوا متعنتين ولم يكن قصدهم طلب الدليل
ليؤمنوا فرد الله عليهم سؤالهم قوله تعالى **وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم
الهدى** أي الوحي والمعنى وما منعهم الإيمان بالقرآن ونبوة محمد صلى الله
عليه وسلم إلا شبهة تخلجت في صدورهم وهي إنكارهم أن يرسل الله البشر وهو
قوله **إلا أن قالوا** أي جهلا منهم **أبعث الله بشرا رسولا** وذلك أن

الكفار كانوا يقولون لن نؤمن لك لانك بشر وهلا بعث الله الينا ملكا فاجابهم الله
بقوله **قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين** اي مستوطنين مقيمين فيها
لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا اي من جنسهم لان الجنس الى الجنس اميل **قل كفى بالله**
شهيدا بيني وبينكم اي على اني رسوله اليكم واني قد بلغت ما ارسلت به اليكم
وانكم كذبتم وعاندتم **انه كان بعباده** يعني المنذرين والمنذرين **خبيرا**
بصيرا اي عالما باحوالهم فهو مجازيهم وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ووعيد للكفار **ومن يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فلن تجد لهم اولياء من دونه**
اي يهدونهم وفيه ايضا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وهو ان الذين حكم لهم بالايمان
والهداية وجب ان يكونوا مومنين ومن سبق لهم منهم حكم الله بالضلال والجهل
استحال ان ينتقلوا عن ذلك **ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم** ق عن انس
ان رجلا قال يا رسول الله قال الله الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم ايحشر الكافر
على وجهه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليس الذي امشاه على الرجلين في الدنيا
قادرا على ان يمشيه الله على وجهه يوم القيامة قال قتادة حين بلغه بلى وعزة
ربنا وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة
ثلاثة اصناف صنفا مشاة وصنفا ركبانا وصنفا على وجوههم قيل يا رسول الله
قيل يا رسول الله وكيف يمشون على وجوههم قال ان الذي امشاهم على اقدامهم
قادر ان يمشيهم على وجوههم اما انهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك اخرجه الترمذي
الحدب ما ارتفع من الارض **عميا وبكما وصما** اي لا يبصرون ولا ينطقون ولا
يسمعون فان قلت كيف وصفهم بانهم عمي وبكم وصم وقد قال تعالى ورأى المجرمون
وقال دعوا هنالك ثبورا وقال سمعوا لها تغيظا وزفيرا فاثبت لهم الرؤية والكلام
والسمع قلت فيه اوجه قال ابن عباس يعني عميا لا يرون ما يسرهم الوجه الثاني قيل
معناه يحشرون على ما وصفهم الله تعالى ثم تعاد اليهم هذه الاشياء الوجه الثالث
هذا حين يقال لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون فيصيرون باجمعهم عميا وبكما وصما لا يرون
ولا ينطقون ولا يسمعون **مأواهم جهنم كلما خبت** اي سكن لهيبها وقيل ضعفت
وهدت من غير ان يوجد نقصان في ايلام الكفار لان الله تعالى قال لا يفتر عنهم
وقيل معناه اراد ان تخبو **زدناهم سعيرا** اي وقودا وقيل المراد من خبت
اي نضجت جلودهم واحترقت اعيدوا الى ما كانوا عليه ويزيد في سعير النار لتحرقهم
ذلك جزاؤهم بانهم كفروا باياتنا لما ذكر الوعيد المتقدم قال ذلك جزاؤهم بسبب
كفرهم باياتنا **وقالوا ءاذا كنا عظاما ورفاتا ءانا لمبعوثون خلقا جديدا**
اجابهم الله ورد عليهم بقوله **اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض**
اي في عظمها وشدتها **قادر على ان يخلق مثلهم** اي في صغرهم وضعفهم
وجعل لهم اجلا اي وقتا لعذابهم **لا ريب فيه** اي لا شك فيه انه ياتيهم
قيل الموت وقيل يوم القيامة **فابى الظالمون الا كفورا** اي جحودا وعنادا **قل**

لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي اي خزائن نعمه ورزقه وقيل ان خزائن الله
غير متناهية والمعنى لو انكم ملكتم من النعم خزائن لا نهاية لها **اذا لامسكتم**
اي لبخلتم وحبستم **خشية الانفاق** اي خشية الانفاق والفقر والنفاد
وهذا مبالغة عظيمة في وصفهم بهذا الشح **وكان الانسان قتورا** اي ممسكا
بخيلا فان قلت قد يوجد في جنس الانسان من هو جواد كريم فكيف وصفه
بالبخل قلت الاصل في الانسان البخل لانه خلق محتاجا والمحتاج لا بد وان
يحب ما يدفع به ضرر الحاجة ويمسكه لنفسه الا انه قد يجود لاسباب خارجة
مثل ان يحب المدحة او رجاء ثواب فثبت بهذا ان الاصل في الانسان البخل
قوله تعالى **ولقد اتينا موسى تسع ايات بينات** اي دلالات واضحات قال
ابن عباس هي العصا واليد البيضاء والعقدة التي كانت بلسانه فحلها وفلق
البحر والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وقيل عوض فلق البحر
واليد السنون ونقص من الثمرات وقيل الطمس والحجر بدل السنين والنقص
قيل كان الرجل منهم مع اهله في الفراش وقد صارا حجرين وروي ان عمر بن عبد العزيز
سأل محمد بن كعب القرظي عن الايات فذكر منها الطمس فقال عمر هكذا يجب ان
يكون الفقيه ثم قال يا غلام اخرج ذلك الجراب فاخرج فاذا فيه بيض مكسور
نصفين وجوز مكسور وثوم وحمص وعدس كلها حجارة وقيل التسع ايات هي ايات
الكتاب وهي الاحكام يدل عليه ما روي عن صفوان بن عسال ان يهوديا قال
لصاحبه تعال حتى نسأل هذا النبي فقال الاخر لا تقل نبي فانه لو سمع صارت
له اربعة اعين فاتياه فسألاه عن هذه الاية ولقد اتينا موسى تسع ايات بينات
فقال لا تشركوا بالله شيئا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تزنوا
ولا تاكلوا الربا ولا تسحروا ولا تمشوا بالبريء الى السلطان ليقتله ولا تسرفوا ولا
تقذفوا المحصنات ولا تفروا يوم الزحف وعليكم خاصة اليهود ان لا تعدوا في
السبت فقبلا يديه وقالا نشهد انك نبي قال فما منعكم ان تتبعوني قالوا ان
داود دعا ربه ان لا يزال في ذريته نبي وانا نخاف ان اتبعناك ان تقتلنا اليهود
فاسأل يا محمد **بني اسرائيل** يجوز الخطاب معهم والمراد غيره ويجوز ان يكون
خاطبه وامره بالسؤال ليتبين كذبهم مع قومهم **اذ جاءهم** يعني جاء موسى الى
فرعون بالرسالة من عند الله عز وجل **فقال له فرعون اني لاظنك يا موسى**
مسحورا قال ابن عباس مخدوعا وقيل مطبوبا اي مسحورا وقيل معناه ساحرا
معطى علم السحر فهذه العجائب التي تفعلها من سحرك **قال لقد علمت** خطاب لفرعون
قال ابن عباس ملعونا وقيل هالكا وقيل هالكا رضي الله عنهما علمه فرعون ولكنه
عاند **ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض** يعني الايات التسع **بصائر**
اي بينات يبصر بها **واني لاظنك يا فرعون مثبورا** قال ابن عباس ملعونا
وقيل هالكا وقيل مصروفا عن الخير **فاراد ان يستفزهم من الارض** معناه اراد فرعون

ان يخرج موسى وبني اسرايل من ارض مصر فاغرقناه ومن معه جميعا اي اغرقنا
فرعون وجنوده ونجينا موسى وقومه وقلنا من بعده اي من بعد هلاك فرعون
لبني اسرايل اسكنوا الارض يعني ارض مصر والشام فاذا جاء وعد الاخرة يعني
القيامة جينا بكم لفيفا اي جميعا الى موقف القيامة واللفيف الجمع الكثير اذا
كانوا مختلفين من كل نوع فيهم المومن والكافر والبر والفاجر وقيل اراد بوعد الاخرة
نزول عيسى من السما قوله عز وجل وبالحق انزلناه وبالحق نزل يعني انا ما اردنا
انزال القران الا لتقرير الحق ولما اردنا هذا المعنى فلذلك وقع وحصل وقيل معناه
وما انزلنا هذا القران الا بالحق المقتضي لانزاله وما انزل الا متلبسا بالحق باشتماله
على الهداية الى كل خير وما ارسلناك الا مبشرا يعني بالجنة للمطيعين ونذيرا اي
مخوفا بالنار للعاصين قوله عز وجل وقرانا فرقناه اي فصلناه وبيناه وقيل فرقنا
به بين الحق والباطل وقيل معناه انزلناه نجوما لم ينزل مرة واحدة بدليل قوله تعالى
لتقراه على الناس على مكث اي على تؤدة وترسل في ثلاث وعشرين سنة ونزلناه
تنزيلا اي بحسب الحوادث قل امنوا به او لا تومنوا فيه وعيد وتهديد ان الذين
اوتوا العلم من قبله قيل هم مومنوا اهل الكتاب الذين كانوا يطلبون الدين
قبل مبعث رسول النبي صلى الله عليه وسلم ثم اسلموا من بعد مبعثه مثل زيد بن عمرو
ابن نفيل وسلمان الفارسي وابي ذر وغيرهم اذا يتلى عليهم يعني القران يخرون
للاذقان قال ابن عباس اراد بها الوجوه سجدا اي يسقطون على الوجوه سجدا
ويقولون سبحان ربنا اي تعظيما لربنا لانجازه ما وعد في الكتب المنزلة من
بعثة محمد صلى الله عليه وسلم ان كان وعد ربنا لمفعولا اي كاينا واقعا ويخرون
للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا اي خضوعا لربهم وقيل يزيدهم القران لين
قلب ورطوبة عين والبكا مستحب عند قراءة القران عن ابي هريرة رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود
اللبن في الضرع ولا يجتمع على عبد غبار في سبيل الله ودخان جهنم اخرجه الترمذي
والنساي وزاد النساي في منخري مسلم ابدا الولوج الدخول والمنخر الانف عن
ابن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عينان لا تمسهما النار
عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله اخرجه الترمذي قوله عز
وجل قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن قال ابن عباس سجد رسول الله صلى الله
عليه وسلم ذات ليلة فجعل يقول في سجوده يا الله يا رحمن فقال ابو جهل ان محمدا ينهانا
عن الهتنا وهو يدعو الهين فانزل الله هذه الاية ومعناه انهما اسمان لله تعالى فسموه
بهذا الاسم او بهذا الاسم ايا ما تدعوا ما صلة ومعناه اي هذين الاسمين
سميتم او ذكرتم او من جميع اسمايه فله الاسما الحسنى يعني اذا حسنت اسماوه كلها
فهذان الاسمان منها ومعنى كونها حسنى لانها مشتملة على معاني التقديس والتعظيم
والتمجيد ولا تجهر بصلاتك وفي عن ابن عباس في قوله ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت

بها

بها قال نزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم مختفي بمكة وكان اذا صلى باصحابه رفع
صوته بالقران فاذا سمعه المشركون سبوا القران ومن انزله ومن جاء به فقال الله
تبارك وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تجهر بصلاتك اي بقراتك فيسمعوا
المشركون فيسبوا القران ولا تخافت عن اصحابك فلا تسمعهم وابتغ بين ذلك
سبيلا زاد في رواية وابتغ بين ذلك سبيلا اسمعهم ولا تجهر حتى ياخذوا عنك
القران وقيل نزلت الاية في الدعا وهو قول عايشة والنخعي ومجاهد ومكحول
عن عايشة رضي الله عنها قالت قوله ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قال
نزلت في الدعا وقيل كان اعراب بني تميم اذا سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم
قالوا اللهم ارزقنا مالا وولدا ويجهرون بذلك فانزل الله ولا تجهر بصلاتك
اي لا ترفع صوتك بقراتك وبدعايك ولا تخافت بها المخافتة خفض الصوت
والسكون وابتغ اي اطلب بين ذلك سبيلا اي طريقا وسطا بين الجهر والاخفا
عن ابي قتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر مررت بك وانت تقرا وانت
تخفض من صوتك فقال اني سمعت من ناجيت فقال ارفع قليلا وقال لعمر مررت
بك وانت تقرا وانت ترفع صوتك فقال اني اوقظ الوسنان واطرد الشيطان
فقال اخفض قليلا اخرجه الترمذي وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا
امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان يحمده على وحدانيته فهو يمسك جميع النعم
لولده وان لم يكن له ولد افاض نعمه على عبيده وقيل ان الولد يقوم مقام
والده بعد انقضايه والله عز وجل يتعالى عن جميع النقايص فهو المستحق لجميع
المحامد ولم يكن له شريك في الملك والسبب في اعتبار هذه الصفة انه لو كان
له شريك لم يكن مستحقا للحمد والشكر وكذلك قوله تعالى ولم يكن له ولي
من الذل ومعناه انه لم يذل فيحتاج الى ناصر يتعزز به وكبره تكبيرا اي وعظمه
عن ان يكون له ولد او شريك او ولي وقيل اذا كان منزها عن الولد والشريك والولي
كان مستوجبا لجميع انواع المحامد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من يدعى الى الجنة يوم القيامة الذين يحمدون الله في السرا
والضرا عن عبد الله بن عمرو قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله راس الشكر
ما شكر الله عبد لا يحمده عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال افضل
الدعا الحمد لله وافضل الذكر لا اله الا الله اخرجه الترمذي وقال حديث
حسن غريب عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احب
الكلام الى الله اربع لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله والحمد لله لا يضرك
بايهن بدات اخرجه مسلم والله تعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الكهف

مكية واياتها ماية واحدى عشرة اية وكلماتها الف وخمسماية وسبعة وسبعون كلمة وحروفها

سنة الاف وثلاثماية وستون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل الحمد لله الذي انزل علي عبده الكتاب اثنى الله علي نفسه
بانعامه علي خلقه وعلم عباده كيف يثنون عليه ويحمدونه علي اجزل نعمائه عليهم
وهي الاسلام وما انزل علي عبده محمد صلى الله عليه وسلم من الكتاب الذي هو سبب
نجاتهم وفوزهم وخص رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذكر لان انزال القران كان
نعمة عليه علي الخصوص وعلي سائر الناس علي العموم ولم يجعل له عوجا اي لم يجعل له
شيئا من العوج فظ والعوج في المعاني كالعوج في الاعيان والمراد نفي الاختلاف
والتناقض عن معانيه وقيل معناه لم يجعله مخلوقا روي عن ابن عباس في قوله
قرانا عربيا غير ذي عوج قال غير مخلوق قيما اي مستقيما وقال ابن عباس
في قوله قيما اي عدلا وقيل قيما علي الكتب كلها ومصدقا لها وناسخا لشرايعها
لينذر باسا شديدا معناه لينذر الذين كفروا باسا وهو قوله بعذاب
بيس من لدنه اي من عنده ويبشر المومنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا
يعني في الجنة ماكثين فيه ابدا اي مقيمين فيه وينذر الذين قالوا اتخذ الله
ولدا ما لهم به من علم اي بالولد وباتخاذه يعني ان قولهم لم يصدر عن علم بل عن جهل
مفرط فان قلت اتخاذ الولد في نفسه محال فكيف قيل ما لهم به من علم قلت انتفا
العلم قد يكون للجهل بالطريق الموصل اليه وقد يكون في نفسه محالا لا يستقيم
تعلق العلم به ولا لابائهم اي ولا لاسلافهم من قبل كبرت اي عظمت كلمة
تخرج من افواههم اي هذا الذي يقولونه لا تحكم به عقولهم وفكرهم البتة لكونه
في غاية الفساد والبطلان فكانه يجري علي لسانهم علي سبيل التقليد ان يقولون
الا كذبا اي ما يقولون الا كذبا قيل حقيقة الكذب انه الخبر الذي لا يطابق
المخبر عنه وزاد بعضهم مع علم قايله انه غير مطابق وهذا القيد باطل لان الله
وصف قولهم باثبات الولد بكونه كذبا مع ان الكثير منهم يقولون ذلك ولا يعلمون
كونه باطلا فعلمنا ان كل خبر لا يطابق المخبر عنه فهو كذب والكذب بخلاف الصدق
وقيل هو الانصراف عن الحق الي الباطل ورجل كذاب وكذوب اذا كان كثير الكذب
قوله تعالى فلعلك باخع نفسك اي قاتل نفسك علي اثارهم اي من بعدهم
ان لم يومنوا بهذا الحديث يعني القران اسفا اي حزنا وقيل غيظا انا جعلنا
ما علي الارض زينة لها اي مما يصلح ان يكون زينة لها ولاهلها من زخارف
الدنيا وما يستحسن منها وقيل يعني النبات والشجر والانهار وقيل اراد به الرجال
خاصة فهم زينة الارض وقيل اراد به العلما والصلحا وقيل جميع ما في الارض هو زينة
لها فان قلت اي زينة في الحيات والعقارب والشياطين قلت زينتها
كونها تدل علي وحدانية الله تعالى وكمال قدرته وقيل ان جميع ما في الارض ثلثة
معدن ونبات وحيوان واشرف انواع الانسان الحيوان قيل الاولي ان لا يدخل
في هذه الزينة المكلف بدليل قوله تعالى لنبلوهم لمن نبلوه يجب ان لا يدخل فيه

ومعنى

ومعنى لنبلوهم نختبرهم ايهم احسن عملا اي اصلح عملا وقيل ايهم اترك للدنيا
وازهد فيها وانا لجاعلون ما عليها اي من الزينة صعيدا جرزا يعني مثل ارض
لا نبات فيها بعد ان كانت خضرا معشبة والصعيد وجه الارض وقيل هو التراب
والجرز الاملس اليابس الذي لا ينبت فيه شي قوله تعالى ام حسبت اي ظننت
يا محمد ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من اياتنا عجبا اي هم عجب من اياتنا
وقيل معناه انهم ليسوا باعجب اياتنا فان ما خلقت من السموات والارض وما
فيهن من العجايب اعجب منهم والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم هو لوح
كتب فيه اسما اصحاب الكهف وقصتهم ثم وضعوه علي باب الكهف وكان اللوح
من الرصاص وقيل من حجارة وعن ابن عباس ان الرقيم اسم الوادي الذي فيه اصحاب
الكهف قال كعب الاحبار هو اسم للقرية التي خرج منها اصحاب الكهف وقيل
اسم للجبل الذي فيه الكهف ثم ذكر الله قصة اصحاب الكهف فقال عز من قايل
اذ اوى الفتية الي الكهف اي صاروا اليه لجا وجعلوه ماواهم والفتية جمع فتى
وهو الطري من الشبان فقالوا ربنا اتنا من لدنك رحمة اي رحمة من خزاين
رحمتك وجلايل فضلك واحسانك وهب لنا الهداية والامن والنصر علي
الاعدا وهيي لنا اي اصلح لنا من امرنا رشدا اي حتى نكون بسببه راشدين
مهتدين وقيل معناه واجعل لنا امرنا رشدا كله

ذكر قصة اصحاب الكهف وسبب خروجهم اليه

قال محمد بن يسار لما مرج امر اهل الانجيل وعظمت فيهم الخطايا وطغت الملوك
حتى عبدوا الاصنام وذبحوا للطواغيت وفيهم بقايا علي دين المسيح متمسكين
بعبادة الله وتوحيده وكان ممن فعل ذلك من ملوكهم ملك من الروم يقال
له دقيانوس عبد الاصنام وذبح للطواغيت وقتل من خالفه وكان ينزل
قرى الروم فلا يترك في قرية نزلها احدا الا فتنه عن دينه حتى يعبد
الاصنام او يقتله فلما نزل مدينة اصحاب الكهف واسمها افسوس استخفى
منه اهل الايمان وهربوا في كل وجهة فاتخذ شرطا من الكفار وامرهم ان
يتتبعوهم فجعل اوليك الشرط يتتبعون اهل الايمان في اماكنهم ويخرجونهم
الي دقيانوس فيخيرهم بين القتل وبين عبادة الاصنام فمنهم من يرغب في الحياة
ومنهم من يابى ان يعبد غير الله فيقتل فلما راي ذلك اهل الشدة في الايمان
جعلوا يسلمون انفسهم للعذاب والقتل فيقتلون ويقطعون ويجعل ما قطع
من اجسادهم علي اسوار المدينة وابوابها فلما عظمت الفتنة وكثرت وراوا ذلك
الفتنة حزنوا حزنا شديدا فقاموا واشتغلوا بالصيام والصلاة والصدقة
والتسبيح والدعا وكانوا من اشراف الروم وهم ثمانية نفر وبكوا وتضرعوا
الي الله عز وجل وجعلوا يقولون ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه

الهنا لقد قلنا اذا شططا اكشف عن عبادك المومنين هذه الفتنة وارفع عنهم البلا
حتى يعلنوا عبادتك فبينما هم على ذلك وقد دخلوا مصلاهم ادركهم الشرط فوجدوهم
سجدا يبكون ويتضرعون الى الله عز وجل فقال لهم الشرط ما خلفكم عن امر الملك ثم انطلقوا
الى الملك خبر الفتية فبعث اليهم فاتي بهم تفيض اعينهم من الدمع معفرة وجوههم بالتراب
فقال لهم ما منعكم ان تشهدوا الذبح لالهتنا التى تعبد في الارض وتجعلوا انفسكم
اسوة اهل مدينتكم اختاروا اما ان تذبحوا لالهتنا واما ان اقتلكم فقال مكسلمينا
وهو اكبرهم ان لنا الها ملا السموات والارض عظمته لن ندعو من دونه الها ابدا
له التحميد والتكبير من انفسنا خالصا ابدا اياه نعبد واياه نسال النجاة والخير فاما
الطواغيت فلن نعبدها ابدا فاصنع بنا ما بدا لك وقال اصحابه مثل ذلك فلما سمع
الملك كلامهم امر بنزع ثيابهم وحلية كانت عليهم من الذهب والفضة وقال سافرغ
لكم وانجز لكم ما وعدتكم من العقوبة وما يمنعني ان اعجل ذلك لكم الا انى اراكم شبانا
حديثة اسنانكم فلا احب ان اهلككم حتى اجعل لكم اجلا تذكرون فيه وترجعون الى
عقولكم ثم امر بهم فاخرجوا من عنده وانطلق دقيانوس الى مدينة اخرى قريبة
منهم لبعض اموره فلما راى الفتية خروجه بادروا وخافوا اذا قدم ان يذكرهم
فاشتوروا بينهم واتفقوا على ان ياخذ كل واحد منهم نفقة من بيت ابيه فيتصدقوا
منها ويتزودوا بما بقي ثم انطلقوا الى كهف قريب من المدينة في جبل يقال له
بنجلوس فيمكثون فيه ويعبدون الله حتى اذا جاء دقيانوس اتوه ليصنع بهم ما
يشاء فلما اتفقوا على ذلك عمد كل فتى منهم الى بيت ابيه فاخذ نفقة فتصدق
منها وانطلقوا بما بقي معهم واتبعهم كلب كان لهم حتى اذا اتوا الى ذلك الكهف
مكثوا فيه وقال كعب الاحبار مروا بكلب فتبعهم فطردوه فعاد ففعلوا ذلك
مرارا فقال لهم الكلب ما تريدون مني لا تخشوا مني انا احب احباب الله عز وجل
فناموا حتى احرسكم وقال ابن عباس هربوا من دقيانوس وكانوا سبعة فمروا
براع معه كلب فتبعهم على دينهم وتبعهم الكلب فخرجوا من البلد الى الكهف قال
ابن اسحاق فلبثوا فيه ليس لهم عمل الا الصلاة والصيام والتسبيح والتحميد
ابتغا لوجه الله تعالى وجعلوا نفقتهم الى فتى منهم اسمه تمليخا فكان يبتاع لهم
ارزاقهم من المدينة سرا وكان من اجلهم واجلدهم وكان اذا دخل المدينة لبس فيها
ثيابا رثة كثياب المساكين ثم ياخذ ورقه وينطلق الى المدينة فيشترى لهم
طعاما وشرابا ويتجسس لهم الخبر هل ذكر هو واصحابه بشيء ثم يرجع الى اصحابه فلبثوا
بذلك ما شاء الله ان يلبثوا ثم قدم دقيانوس المدينة وامر عظما اهلها ان يذبحوا
للطواغيت ففزع من ذلك اهل الايمان وكان تمليخا بالمدينة يشتري لاصحابه
طعامهم فرجع الى اصحابه وهو يبكي ومعه طعام قليل فاخبرهم ان الجبار قد دخل
المدينة وانهم قد ذكروا والتمسوا مع عظما المدينة ففزعوا ووقعوا يدعون الله
ويتضرعون اليه ويتعوذون من الفتنة فقال لهم تمليخا يا اخوتاه ارفعوا رءوسكم

واطعموا

واطعموا وتوكلوا على ربكم ورفعوا رءوسهم واعينهم تفيض من الدمع وذلك عند غروب
الشمس ثم جلسوا يتحدثون ويذكر بعضهم بعضا فبينما هم كذلك اذ ضرب الله على اذانهم
في الكهف وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف فاصابه ما اصابهم وهم مومنون موقنون
ونفقتهم عند رءوسهم فلما كان من الغد فقدهم دقيانوس فالتمسهم فلم يجدهم فقال
لبعض عظما المدينة لقد ساءني شان هولا الفتية الذين ذهبوا لقد ظنوا ان بي غضبا
عليهم لجهلهم ما جهلوا من امري ما كنت لاجهل عليهم ان هم تابوا وعبدوا الهتي فقال عظما
المدينة ما كنت بحقيق ان ترحم قوما فجرة مردة عصاة قد كنت اجلت لهم اجلا ولو
شاءوا لرجعوا في ذلك الاجل ولكنهم لم يتوبوا فلما قالوا ذلك غضب غضبا شديدا ثم
ارسل الى ابائهم فاتوا بهم فقال اخبروني عن ابنائكم المردة الذين عصوني فقالوا اما
نحن فلم نعصك فلم تقتلنا بقوم مردة انهم ذهبوا باموالنا فاهلكوها في اسواق
المدينة ثم انطلقوا الى جبل يدعى بنجلوس فلما قالوا له ذلك خلى سبيلهم وجعل ما
يدري ما يفعل بالفتية فالقى الله عز وجل في نفسه ان يامر بسد باب الكهف عليهم
فاراد الله عز وجل ان يكرمهم بذلك ويجعلهم اية لامة تستخلف من بعدهم وان
يبين لهم ان الساعة اتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور فامر دقيانوس بالكهف
فسد عليهم فقال دعوهم كما هم في كهفهم يموتون جوعا وعطشا ويكون كهفهم الذي
اختاروه قبرا لهم وهو يظن انهم ايقاظ يعلمون ما يصنع بهم وقد توفى الله عز وجل
ارواحهم وفاة نوم وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف قد غشيه ما غشيهم يتقلبون
ذات اليمين وذات الشمال ثم ان رجلين مومنين في بيت الملك دقيانوس يكتمان
ايمانهما اسم احدهما بيدروس والاخر روناس اهتما ان يكتبا شان هذه الفتية
واسماءهم وانسابهم واخبارهم في لوحين من رصاص ويجعلاهما في تابوت من نحاس
ويجعلا التابوت في البنيان وقالا لعل الله ان يظهر على هولا الفتية قوما مومنين
قبل يوم القيامة فيعلم من فتح الله عليهم خبرهم حين يقرا الكتاب ففعلا ذلك
وبنيا عليه وبقي دقيانوس ما بقي ثم مات هو وقومه وقرون بعده كثيرة وخلفت
الملوك بعد الملوك وقال عبيد بن عمير وكان اصحاب الكهف فتيانا مطوقين مسورين
ذوي ذوائب وكان معهم كلب صيدهم فخرجوا في عيد لهم عظيم في زي ومركب واخرجوا
معهم الهتهم التى كانوا يعبدونها وكان معهم كلب صيد لهم وكان احدهم وزير الملك فقذف
الله الايمان في قلوبهم فامنوا واخفى كل واحد ايمانه وقال في نفسه اخرج من بين اظهر
هولا القوم لا يصيبني عقاب بجرمهم فخرج شاب منهم حتى انتهى الى ظل شجرة فجلس
فيه ثم خرج اخر فراه جالسا وحده فرجا ان يكون على مثل امره وجلس اليه من غير
ان يظهر على امره ثم خرج اخر فخرجوا جميعا فاجتمعوا فقال بعضهم لبعض ما جمعكم
وكل واحد يكتم ايمانه من صاحبه مخافة على نفسه ثم قالوا ليخرج كل فتيين فيخلوا
وليفشي كل واحد سره الى صاحبه ففعلوا ذلك فاذا هم جميعا على الايمان واذا الكهف
في جبل قريب منهم فقال بعضهم لبعض فاووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته فدخلوا

الكهف ومعهم كلب صيد فناموا ثلث مائة سنين وازدادوا تسعا وفقدهم قومهم
فطلبوهم فعمى الله عليهم آثارهم وكهفهم فكتبوا اسماءهم وانسابهم في لوح فلان
وفلان ابناء ملوكنا فقدناهم في شهر كذا وسنة كذا في مملكة فلان بن فلان الملك
ووضعوا اللوح في خزانة الملك وقالوا ليكونن لهؤلاء شأن ومات ذلك الملك وجاء
قرن بعد قرن قال محمد بن اسحاق ثم ملك اهل تلك البلاد رجل صالح يقال له تندروسيس
فلما ملك بقي في ملكه ثمانيا وستين سنة فتحزب الناس في ملكه فكانوا احزابا
منهم من يؤمن بالله ويعلم ان الساعة حق ومنهم من يكذب بها فكبر ذلك على الملك
الصالح وتضرع الى الله وحزن حزنا شديدا لما رأى اهل الباطل يزيدون ويظهرون
على اهل الحق ويقولون لا حياة الا الحياة الدنيا وانما تبعث الارواح دون الاجساد
وجعل تندروسيس الملك يرسل الى من يظن فيه خيرا وانهم ائمة في الحق فلم يقبلوا
منه وجعلوا يكذبون بالساعة حتى كادوا يخرجون الناس عن الحق وملة الحواريين
فلما رأى ذلك الملك الصالح دخل بيته واغلق بابه عليه ولبس مسحا وجعل تحته
رمادا فجلس عليه فغاب ليله ونهاره يتضرع الى الله تعالى ويبكي ويقول رب قد ترى
اختلاف هؤلاء فابعث لهم آية تبين لهم ثم ان الله الرحمن الرحيم الذي يكره هلكة
عباده اراد ان يظهر على الفتية اصحاب الكهف ويبين للناس شأنهم ويجعلهم آية وحجة
عليهم ليعلموا ان الساعة آتية لا ريب فيها ويستجيب لعبده الصالح تندروسيس
ويتم نعمته عليه وان يجمع من كان تبدد من المؤمنين فالقى الله تعالى في نفس رجل
من اهل ذلك البلد الذي كان فيه الكهف وكان اسمه اولياس ان يهدم ذلك البنيان
الذي على فم الكهف ويبني به حظيرة لغنمه فاستأجر غلامين فجعلا ينزعان تلك
الحجارة ويبنيان بها تلك الحظيرة حتى نزعا ما كان على باب الكهف وفتحا باب الكهف
وحجبهم الله تعالى عن الناس بالرعب فلما فتحا باب الكهف اذن الله تعالى ذو القدرة
والسلطان محيي الموتى للفتية ان يجلسوا بين ظهري الكهف فجلسوا فرحين
مسفرة وجوههم طيبة انفسهم فسلم بعضهم على بعض كأنما استيقظوا من
ساعتهم التي كانوا يستيقظون منها اذا اصبحوا من ليلتهم ثم قاموا الى الصلاة
فصلوا كما كانوا يصلون وكما كانوا يفعلون لا يرى في وجوههم ولا الوانهم شيء
يكرهونه ولكنهم كهيئتهم حين رقدوا وهم يرون دقيانوس في طلبهم فلما قضوا
صلاتهم قالوا لتمليخا صاحب نفقتهم انبئنا ما الذي قال الناس في شأننا عشية
امس عند هذا الجبار وهم يظنون انهم قد رقدوا البعض مما كانوا يرقدون
وقد خيل اليهم قد ناموا اطول مما كانوا ينامون حتى تساءلوا بينهم فقال
بعضهم لبعض كم لبثتم نياما قالوا لبثنا يوما او بعض يوم قالوا ربكم اعلم
بما لبثتم وكل ذلك في انفسهم يسير فقال لهم تمليخا قد التمستم في المدينة
وهو يريد ان يؤتى بكم اليوم فتذبحوا للطواغيت او يقتلكم فما شاء الله بعد
ذلك فعل فقال لهم مكسلمينا اخوتاه اعلموا انكم ملاقوا الله فلا تكفروا بعد

ايمانكم

ايمانكم اذا دعاكم عدو الله ثم قالوا لتمليخا انطلق الى المدينة فتسمع ما يقال
لنا بها وما الذي نذكر عند دقيانوس وتلطف ولا يشعرن بك احد وابتغ لنا طعاما
فأتنا به وزدنا على الطعام الذي جئتنا به فقد اصبحنا جياعا ففعل تمليخا كما كان
يفعل ووضع ثيابه واخذ الثياب التي كان يتنكر فيها واخذ ورقا من نفقتهم التي
كانت معهم التي ضربت بطابع دقيانوس وكانت كخفاف الربع فانطلق تمليخا خارجا
فلما مر بباب الكهف وجد الحجارة منزوعة التي كانت بباب الكهف فعجب منها ثم مر
فلم يبال بها حتى اذا اتى باب المدينة مستخفيا يصد عن الطريق متخوفا ان يراه
احد من اهلها فيعرفه ولا يشعر ان دقيانوس واهله هلكوا قبل ذلك بثلاثمائة
سنة فلما اتى تمليخا باب المدينة رفع بصره فرأى فوق ظهر الباب علامة كانت
لاهل الايمان اذا كان امر الايمان ظاهرا فيها فلما رآها عجب وجعل ينظر اليها
مستخفيا ينظر اليها يمينا وشمالا ثم ترك ذلك الباب ومضى الى باب آخر فرأى
مثل ذلك فخيل اليه ان المدينة ليست بالتي يعرف ورأى اشخاصا اناسا كثيرين
لم يكن رآهم قبل ذلك فجعل يمشي ويتعجب ويخيل اليه انه حيران ثم رجع الى الباب
الذي اتى منه فجعل يتعجب بينه وبين نفسه ويقول يا ليت شعري ما هذا
ما عشية امس كان المسلمون يخفون هذه العلامة في هذه المدينة ويستخفون
بها واليوم ظاهرة لعلي حالم ويرى انه ليس بنائم فاخذ كساءه فجعله على رأسه
ثم دخل المدينة وجعل يمشي في اسواقها فسمع اناسا يحلفون بعيسى بن مريم
فزاده ذلك تعجبا ورأى انه حيران فقام مستندا الى جدار من جدران المدينة
ويقول في نفسه والله ما ادري ما هذا اما عشية امس فليس على الارض من
يذكر عيسى بن مريم الا قتل واما اليوم فاسمع كل انسان يذكر عيسى بن مريم
لا يخاف ثم قال في نفسه فلعل هذه ليست بالمدينة التي اعرف والله لا اعلم
مدينة بقرب مدينتنا فقام كالحيران ثم لقي فتى فقال له ما اسم هذه المدينة
يا فتى فقال افسوس فقال في نفسه لعل بي مسا او امرا اذهب عقلي والله
يحق لي ان اسرع الخروج قبل ان يصيبني فيها شر فاهلك فدنى الى الذين يبيعون
الطعام فاخرج لهم الورق التي كانت معه فاعطاها الرجل منهم وقال له بعني
بهذا الورق طعاما فاخذها الرجل ونظر الى ضرب الورق ونقشها فعجب منها فناولها
رجلا آخر من اصحابه فنظر ثم جعلوا يتطارحونها بينهم من رجل الى رجل ويتعجبون
منها ويتشاورون بينهم ثم يقول بعضهم لبعض ان هذا اصاب كنزا في الارض منذ
زمان طويل فلما رآهم تمليخا يتحدثون فيه فرق فرقا شديدا وخاف وجعل
يرعد ويظن انهم قد فطنوا به وعرفوه وانهم يريدون ان يذهبوا به الى ملكهم دقيانوس
وجعل الناس يأتونه ويتعرفونه فقال لهم وهو شديد الخوف منهم افضلوا على
قد اخذتم ورقي فامسكوها واما طعامكم فلا حاجة لي به فقالوا له من انت
وما شأنك والله لقد وجدت كنزا من كنوز الاولين وانت تريد ان تخفيه منا

انطلق معنا وارناه وشاركنا فيه نخف عليك ما وجدت وانك لا تفعل نحملك الى
السلطان وتسلمك اليه فيقتلك فلما سمع قولهم قال والله لقد وقعت في كل شيء
كنت احذر منه فقالوا له يا فتى انك والله لا تستطيع ان تكتم ما وجدت وجعل
تمليخا ما يدري ما يقول لهم وخاف ولم يحر على لسانه اليهم شيئا فلما راوه لا يتكلم
اخذوا كساءه وطرحوه في عنقه وجعلوا يسحبونه في سكك المدينة حتى سمع به
من فيها وقيل قد اخذ رجل معه كنز واجتمع عليه اهل المدينة وجعلوا ينظرون
اليه ويقولون والله ما هذا الفتى من اهل المدينة وما رايناه فيها قط وما نعرفه
وجعل تمليخا لا يدري ما يقول لهم وكان مستيقنا ان اباه واخوته بالمدينة وانه
من عظما اهلها وانهم سياتونه اذا سمعوا به فبينما هو قايم كالحيران ينتظر متى
ياتيه بعض اهله فيخلصه من ايديهم اذا اختطفوه وانطلقوا به الى روسا المدينة
ومدبريها الذين يدبران امرها وهما رجلان صالحان اسم احدهما اريوس والاخر
اسطيوس فلما انطلقوا به اليهما ظن تمليخا انه انما ينطلق به الى دقيانوس الجبار
فجعل يلتفت يمينا وشمالا وهو يبكي والناس يسخرون منه كما يسخر من المجنون
ثم رفع راسه الى السما وقال اللهم اله السما واله الارض افرغ علي اليوم صبرا
واولج معه روحا منك تؤيدني بها عند هذا الجبار وجعل يقول في نفسه فرقوا
ما بيني وبين اخوتي يا ليتهم يعلمون ما لقيت ويا ليتهم ياتوني فنقوم جميعا بين
يدي هذا الجبار فانا كنا قد تواثقنا على الايمان بالله ولا نشرك به شيا ولا نفترق
في حياة ولا موت فلما انتهى الى الرجلين الصالحين اريوس واسطيوس وراى انه
لم يذهب الى دقيانوس افاق وسكن عنه البكا واخذ اريوس واسطيوس الورق
ونظرا اليه وعجبا منها وقالا له اين الكنز الذي وجدت يا فتى فقال تمليخا ما
وجدت كنزا ولكن هذا ورق ابائي ونقش هذه المدينة وضربها ولكن والله ما
ادري ما شاني وما اقول لكم فقال له احدهما ممن انت فقال لهم تمليخا اما انا
فاني كنت ارى اني من اهل هذه المدينة فقيل له من ابوك ومن يعرفك بها فاخبرهم
باسم ابيه فلم يوجد احد يعرفه ولا اباه فقال له احدهما انت رجل كذاب لا تنبينا
بالحق فلم يدر تمليخا ما يقول غير انه نكس بصره الى الارض فقال بعض من حوله هذا
رجل مجنون وقال بعضهم ليس بمجنون ولكنه رجل احمق يحمق نفسه عمدا لكي ينفلت
منكم فقال له احدهما ونظر اليه نظرا شديدا اتظن انا نرسلك ونصدقك بان
هذا مال ابيك ونقش هذه المدينة وضربها وله اكثر من ثلاثماية سنة وانت غلام
شاب اتظن انك تافكنا وتسخر بنا ونحن شيوخ شمط وحولك سراة هذه المدينة
وولاة امرها وخزاين هذه المدينة بايدينا وليس عندنا من هذا الضرب درهم
ولا دينار واني لاظنني سامر بك فتعذب عذابا شديدا ثم اوثقك حتى تعترف
بهذا الكنز الذي وجدته فقال لهم تمليخا اخبروني عما اسالكم عنه فان انتم فعلتم
صدقتكم عما عندي فقالوا سل لا نكتمك شيئا فقال لهم ما فعل بالملك دقيانوس

فقالوا

فقالوا لا نعرف على وجه الارض من اسمه دقيانوس ولم يكن الا ملك هلك في الزمان
الاول واهد دهر طويل وهلك بعده قرون كثيرة فقال تمليخا اني اذا لحيران وما هو
بمصدقي احد من الناس فيما اقول لقد كنا فتية وان الملك اكرهنا على عبادة الاصنام
والذبح للطواغيت فهربنا منه عشية امس فاتينا الكهف الذي في جبل ينجلوس
فنمنا فيه فلما انتبهنا خرجت لاشتري طعاما لاصحابي واتجسس الاخبار فاذا
انا معكم كما ترون فانطلقوا معي الى الكهف اريكم اصحابي قال فلما سمع اريوس قول
تمليخا قال يا قوم لعل هذه اية من ايات الله تعالى جعلها لكم على يدي هذا الفتى
فانطلقوا بنا معه حتى يرينا اصحابه فانطلق اريوس واسطيوس ومعهما جميع اهل
المدينة كبيرهم وصغيرهم نحو اصحاب الكهف لينظروا اليهم فلما راى الفتية اصحاب
الكهف ان تمليخا قد احتبس عنهم بطعامهم وشرابهم عن القدر الذي كان ياتي فيه
ظنوا انه قد اخذ وذهبوا به الى ملكهم دقيانوس فبينما هم كذلك يظنون ذلك
ويتخوفونه اذ سمعوا الاصوات وجلبة الخيل مصعدة فظنوا انهم رسل الجبار دقيانوس
بعث بهم اليهم ليوتى بهم فقاموا الى الصلاة وسلم بعضهم على بعض واوصى بعضهم
بعضا وقالوا انطلقوا بنا ناتي اخانا تمليخا فانه الان بين يدي الجبار وهو ينتظرنا
متى ناتيه فبينما هم يقولون ذلك وهم جلوس على هذه الحالة واذا هم باريوس واصحابه
وقوفا على باب الكهف فسبقهم تمليخا ودخل وهو يبكي فلما راوه يبكي بكوا معه
ثم سالوه عن خبره فقص عليهم الخبر فعرفوا انهم كانوا نياما بامر الله تعالى ذلك الزمن
الطويل وانما اوقظوا ليكونوا اية للناس وتصديقا للبعث وليعلموا ان الساعة
اتية لا ريب فيها ثم دخل على اثر تمليخا اريوس فراى تابوتا من نحاس مختوما بخاتم
فضة فوقف على الباب ودعا جماعة من عظما المدينة وامر بفتح التابوت فحضرهم
فوجد فيه لوحين من رصاص مكتوب فيهما مكسلمينا ومحسلمينا وتمليخا
ومرطونس وكسطونس ويبرونس ودينونس ويبطونس وقالوس فتية
هربوا من ملكهم دقيانوس الجبار مخافة ان يفتنهم عن دينهم فدخلوا هذا الكهف
فلما اخبروا بمكانهم امر بالكهف فسد عليهم بالحجارة وانا كتبنا شانهم وخبرهم
ليعلمه من بعدهم ان عثر بهم فلما قروه عجبوا وحمدوا الله الذي اراهم اية تدل
على البعث ثم رفعوا اصواتهم بحمد الله وتسبيحه ثم دخلوا على الفتية الكهف
فوجدوهم جلوسا مشرقة وجوههم لم تبل ثيابهم فخر اريوس واصحابه سجودا
وحمدوا الله الذي اراهم اية من اياته ثم كلم بعضهم بعضا واخبرهم الفتية عن
الذي لقوا من ملكهم دقيانوس ثم ان اريوس واصحابه بعثوا بريدا الى ملكهم الصالح
بيدروس ان عجل لعلك تنظر الى اية من ايات الله جعلها الله على ملكك وللناس
اية لتكون لهم نورا وضيا وتصديقا للبعث وذلك ان فتية بعثهم الله وكان
قد توفاهم منذ ثلاث ماية سنة واكثر فلما اتى الخبر الملك رجع عقله اليه وذهب
همه وقال احمدك اللهم رب السموات والارض واعبدك واسبح لك تطولت علي ورحمتني

ولم نظفا لنورا لتي جعلته لايابي وللعبد الصالح قسطنطينوس الملك ثم اخبر بذلك
اهل المدينة فركب وركبوا معه حتى اتوا مدينة افسوس فتلقاهم اهلها وساروا
معه نحو الكهف فلما صعدوا الجبل وراى الفتية بيدروس فرح بهم وخر ساجدا
على وجهه وقام بيدروس الملك فعانقهم وبكى وهم جلوس بين يديه
على الارض يسبحون الله تعالى ويحمدونه ثم قالوا الفتية لبيدروس الملك نستودعك
الله والسلام عليك ورحمة الله وبركاته حفظك الله وحفظ ملكك ونعيذك
بالله من شر الانس والجن فبينما الملك قايم اذ رجعوا الى مضاجعهم فناموا وتوفى
الله انفسهم فقام الملك اليهم وجعل ثيابهم عليهم وامر ان يجعل لكل رجل منهم في
تابوت من ذهب فلما امسى ونام اتوه في منامه وقالوا له انا لم نخلق من ذهب
ولا من فضة ولكنا خلقنا من تراب والى التراب نصير فاتركنا كما كنا في الكهف
على التراب حتى يبعثنا الله تعالى فامر الملك عند ذلك بتابوت من ساج فجعلوا
فيه وحجبهم الله حين خرجوا من عندهم بالرعب فلم يقدر احد ان يدخل
عليهم وامر الملك ان يتخذ على باب الكهف مسجدا يصلى فيه وجعل لهم عيدا
عظيما وامر ان يؤتى في كل سنة وقيل ان تمليخا حمل الى الملك الصالح فقال
له الملك من انت قال انا رجل من اهل هذه المدينة وذكر انه خرج امس او منذ
ايام وذكر منزله واقواما لم يعرفهم وكان الملك قد سمع ان فتية قد فقدوا
في الزمان الاول وان اسماءهم مكتوبة في خزانته فدعى باللوح ونظر في اسمائهم
فاذا اسمه مكتوب وذكر اسماء الاخرين فقال لهم تمليخا هم اصحابي فلما سمع الملك
ذلك ركب ومن معه من القوم فلما اتوا باب الكهف قال تمليخا دعوني حتى
ادخل على اصحابي وابشرهم فانهم ان راوكم معي رعبتموهم فدخل تمليخا وبشرهم
فقبض الله روحه وارواحهم واعمى على الملك واصحابه اثرهم فلم يهتدوا
اليهم فذلك قوله عز وجل **اذ اوى الفتية الى الكهف** اي صاروا الى الكهف وا
جيرهم **فقالوا ربنا اتنا من لدنك رحمة** اي هداية في الدين **وهيئ لنا** اي يسر لنا
من امرنا رشدا اي بما نلتمس من رضاك وما فيه رشدنا وقال ابن عباس
رضي الله عنهما اي مخرجا من الغار في سلامة قوله تعالى **فضربنا على اذانهم**
اي القينا عليهم النوم وقيل معناه منعنا نفوذ الاصوات الى مسامعهم فان
النايم اذا سمع الصوت ينتبه **في الكهف سنين عددا** اي انمناهم سنين كثيرة
فان العدد يدل على الكثرة **ثم بعثناهم** اي من نومهم **لنعلم** اي علم المشاهدة
وذلك ان الله عز وجل لم يزل عالما وانما اراد ما تعلق بالعلم من ظهور الامر
لهم ليزدادوا ايمانا واعتبارا **اي الحزبين** اي الطايفتين **احصى لما
لبثوا امدا** يعني احفظ لما لبثوا في كهفهم نياما وذلك ان اهل المدينة تنازعوا
في مدة لبثهم في الكهف قوله تعالى **نحن نقص عليك نباهم بالحق** اي بالصدق
نقرا عليك خبر اصحاب الكهف **انهم فتية** اي شبان **امنوا بربهم وزدناهم هدى**

ايمانا

ايمانا وبصيرة **وربطنا على قلوبهم** اي شددنا على قلوبهم بالصبر والتثبيت وقويناهم
بنور الايمان حتى صبروا على هجران دار قومهم ومفارقة ما كانوا عليه من خفض العيش
وفروا بدينهم الى الكهف **اذ قاموا** يعني بين يدي دقيانوس الجبار حين عاتبهم على ترك
عبادة الاصنام **فقالوا** اي الفتية **ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه
الها** اي قالوا ذلك لان قومهم كانوا يعبدون الاصنام **لقد قلنا اذا شططا**
قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يعني جورا وقيل كذبا يعني ان دعونا غير الله **هؤلاء
قومنا** يعني اهل بلدهم **اتخذوا من دونه الهة** اي من دون الله يعني اصناما
يعبدونها **لولا** اي هلا **ياتون عليهم** اي على عبادة الاصنام **بسلطان
بين** اي بحجة واضحة وفيه تبكيت لان الاتيان بحجة على عبادة الاصنام محال
فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا اي وزعم ان له شريكا او ولدا ثم قال
بعضهم لبعض **واذ اعتزلتموهم** يعني قومكم **وما يعبدون الا الله** وذلك
انهم كانوا يعبدون الله ويعبدون معه الاصنام والمعنى واذ اعتزلتموهم وجميع
ما يعبدون الا الله فانكم لم تعتزلوا عبادته **فاووا الى الكهف** اي الجأوا
اليه **ينشر لكم** اي يبسط لكم **ربكم من رحمته ويهيئ لكم** اي يسهل لكم **من
امركم مرفقا** اي ما يعود اليه يسركم ورفقكم قوله عز وجل **وترى الشمس
اذا طلعت تزاور** اي تميل وتعدل **عن كهفهم ذات اليمين** اي جانب اليمين
واذا غربت تقرضهم اي تتركهم وتعدل عنهم **ذات الشمال وهم في فجوة منه**
اي متسع من الكهف **ذلك من ايات الله** اي من عجايب صنعه ودلالات
قدرته وذلك انما كان في ذلك لانهم تصيبه الشمس ولا تصيبهم اختصاصا لهم
بالكرامة وذلك ان باب الكهف شمالي مستقبل لبنات نعش فهم في مغارة ابدا
لا تقع الشمس عليهم ابدا لا عند الطلوع ولا عند الغروب ولا عند الاستواء فتوذيهم
بحرها ولكن اختار لهم الله مضجعا في متسع ينالهم فيه برد الريح ونسيمها
وترفع عنهم كرب الغار وغمه وعلى هذا القول يكون معنى ذلك من ايات الله اي ان
شانهم وحديثهم من ايات الله **من يهد الله فهو المهتدي** يعني مثل اصحاب
الكهف وفيه ثناء عليهم **ومن يضلل** اي ومن يضلله الله لم يرشده **فلن تجد
له وليا** اي معينا **مرشدا** قوله تعالى **وتحسبهم** خطاب لكل احد **ايقاظا**
اي منتبهين اعينهم منفتحة **وهم رقود** اي نيام **ونقلبهم ذات اليمين
وذات الشمال** قال ابن عباس كانوا يقلبون في السنة مرة من جانب الى جانب لئلا
تاكل الارض لحومهم وقيل كانوا يقلبون في يوم عاشوراء وقيل كان لهم في السنة
تقليبتان **وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد** قال ابن عباس رضي الله عنهما كان
كلبا انمر وعنه انه كان فوق القلطي ودون الكردي والقلطي كلب صيني وقيل
كان اصفر وقيل كان شديد الصفرة ويضرب الى الحمرة وقال ابن عباس كان اسمه
قطمير وقيل ريان وقيل ليس في الجنة من الدواب سوى كلب اصحاب الكهف وحمار بلعم

بالوصيد يعني فناء الكهف وقيل عتبة الباب وكان الكلب قد بسط ذراعيه وجعل وجهه عليهم وقيل كان ينقلب مع اصحابه اذا انقلبوا ذات اليمين كسر الكلب اذنه اليمنى ورقد عليها واذا انقلبوا ذات الشمال كسر اذنه اليسرى ورقد عليها لو اطلعت عليهم يا محمد لوليت منهم فرارا وذلك لما البسهم الله من الهيبة حتى لا يصل اليهم احد حتى يبلغ الكتاب اجله فيوقظهم الله من رقدتهم ولملئت منهم رعبا اي خوفا من وحشة المكان وقيل لان اعينهم منفتحة كالمستيقظ الذي يريد ان يتكلم وهم نيام وقيل لكثرة شعورهم وطول اظفارهم وتقلبهم من غير حس ولا اشعار وقيل لان الله تعالى منعهم بالرعب لئلا يراهم احد قال ابن عباس غزونا مع معاوية نحو الروم فمررنا بالكهف الذي فيه اصحاب الكهف فقال معاوية لو كشف الله لنا عن هؤلاء لنظرنا اليهم فقال ابن عباس قد منع ذلك من هو خير منك فقيل له لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فبعث معاوية ناسا فقال اذهبوا فانظروا فلما دخلوا الكهف بعث الله عليهم ريحا فاخرجتهم قوله عز وجل وكذلك بعثناهم اي كما انمناهم في الكهف وحفظنا اجسادهم من البلا على طول الزمان بعثناهم من النومة التي تشبه الموت ليتساءلوا بينهم اي ليسال بعضهم بعضا قال قائل منهم وهو رئيسهم وكبيرهم مكسلمينا كم لبثتم يعني في نومكم وذلك انهم استكثروا طول نومهم وقيل انهم راعهم ما فاتهم من الصلاة فقالوا ذلك قالوا لبثنا يوما ثم نظروا فوجدوا الشمس قد بقي منها بقية فقالوا او بعض يوم فنظروا الى طول شعورهم واظفارهم علموا انهم لبثوا اكثر من يوم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم يعني وقيل ان مكسلمينا لما سمع الاختلاف بينهم قال دعوا الاختلاف ربكم اعلم بما لبثتم فابعثوا احدكم يعني تمليخا بورقكم يعني الفضة كانت مضروبة او غير مضروبة هذه الى المدينة قيل هي طرطوس وكان اسمها في الزمن الاول قبل الاسلام افسوس فلينظر ايها ازكى طعاما اي احل طعاما وقيل امروه ان يطلب ذبيحة مؤمن ولا يكون من ذبح من يذبح لغير الله وكان فيهم مؤمنون يخفون ايمانهم وقيل اجود طعاما واطيبه وقيل اكثر طعاما وارخصه فليأتكم برزق منه اي قوت وطعام تاكلونه وليتلطف اي وليترفق في الطريق وفي المدينة وليكن في ستر وكتمان ولا يشعرن اي ولا يعلمن بكم احدا اي من الناس انهم ان يظهروا عليكم اي يعلموا مكانكم يرجموكم قيل معناه يشتموكم ويؤذوكم بالقول وقيل يقتلوكم وقيل كان من عادتهم القتل بالحجارة وهو اخبث القتل وقيل يضربوكم او يعيدوكم في ملتهم اي بالكفر ولن تفلحوا اذا ابدا اي ان عدتم اليه قوله عز وجل وكذلك اعثرنا عليهم اي اطلعنا عليهم .. ليعلموا ان وعد الله حق يعني قوم بيدروس الذين انكروا البعث وان الساعة لا ريب فيها اي لا شك فيها انها اتية اذ يتنازعون بينهم امرهم

قال ابن عباس رضي الله عنهما في البنيان فقال المسلمون نبني عليهم مسجدا يصلي فيه الناس لانهم على ديننا وقال المشركون نبني بنيانا لانهم من اهل ديننا وقيل كان تنازعهم في البعث فقال المسلمون تبعث الاجساد والارواح وقال قوم تبعث الارواح فاراهم الله اية البعث للاجساد والارواح وقيل يتنازعوا في مدة لبثهم وقيل في عددهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم اعلم بهم قال الذين غلبوا على امرهم يعني بيدروس واصحابه لنتخذن عليهم مسجدا قوله تعالى سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم روي ان السيد والعاقب واصحابهما من نصارى نجران كانوا عند النبي صلى الله عليه وسلم فجرى ذكر اصحاب الكهف عنده ثم فقال السيد وكان يعقوبيا ثلاثة ورابعهم كلبهم ويقولون وقال العاقب وكان نسطوريا كانوا خمسة وسادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون وقال المسلمون كانوا سبعة وثامنهم كلبهم فحقق الله قول المسلمين وانما عرفوا ذلك باخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم على لسان جبريل عليه السلام بعد ما حكى قول النصارى اولا ثم اتبعه بقوله تعالى رجما بالغيب اي ظنا وحدسا من غير يقين ولم يقل في السبعة وتخصيص الشيء بالوصف يدل على ان الحال في الباقي بخلافه فوجب ان يكون المخصوص بالظن هو قول النصارى وان قول المسلمين مخالف لقول النصارى في كونه رجما بالغيب وظنا ثم اتبعه بقوله تعالى قل ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل اي بذلك هو الحق لان العالم بتفاصيل كاينات العوالم والكاينات فيه في الماضي والمستقبل لا يحصل الا بالله تعالى او من اخبره الله تعالى بذلك قال ابن عباس انا من اوليك القليل كانوا سبعة وهم مكسلمينا وتمليخا ومرطونس وبينوس وسارينونس وذونواس وكفشططيونس وهو الراعي واسم كلبهم قطمير فلا تمار فيهم اي لا تجادل ولا تقل في عددهم وشانهم الا مراء ظاهرا لا بظاهر ما قصصنا عليك فقف عنده ولا تزد عليه ولا تستفت فيهم اي في اصحاب الكهف منهم اي من اهل الكتاب احدا اي لا يرجع الى قوله احد منهم بعد ان اخبرناك قصتهم قوله عز وجل ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله يعني اذا عزمت على فعل شيء غدا فقل ان شاء الله ولا تقله بغير استثنا وذلك ان اهل مكة سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح وعن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين فقال اخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله فلبث الوحي اياما ثم نزلت الاية وقد تقدمت القصة في سورة بني اسرائيل واذكر ربك اذا نسيت قال ابن عباس معناه اذا نسيت الاستثنا ثم ذكرت فاستثني وجوز ابن عباس الاستثنا المنقطع وان كان بعد سنة وجوزه الحسن ما دام في المجلس وجوزه بعضهم اذا قرب الزمان فان بعد لم يصح ولم يجوزه جماعة حتى يكون الكلام متصلا بالاستثنا وقيل في معنى الاية واذكر ربك اذا غضبت قال وهب مكتوب في التوراة والانجيل يا ابن ادم اذكرني حين تغضب اذكرك حين اغضب وقيل الاية في الصلاة يدل عليه ما روي عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

من نسي صلاة فليصلها اذا ذكرها اقم الصلاة لذكري متفق عليه زاد مسلم او نام
عنها فكفارتها ان يصليها اذا ذكرها وقل عسى ان يهدين ربي لاقرب من هذا
رشدا اي يثبتني على طريق هو اقرب اليه وارشد وقيل ان الله تعالى امره ان يذكره
اذا نسي شيئا ويسأله ان يذكره ويهديه لما هو خير له من ان يذكر ما نسي وقيل ان
القوم لما سألوه عن قصة اصحاب الكهف على وجه العناد امره الله تعالى ان يخبرهم
ان الله تعالى سيؤتيه من الحجج على صحة نبوته ما هو ادل لهم من قصة اصحاب الكهف
وقد فعل حيث اتاه من علم غيب المرسلين وقصصهم ما هو اوضح واقرب الى الرشد
من خبر اصحاب الكهف وقيل هذا شيء امر ان يقوله مع قوله ان شاء الله عسى ان
يهدين ربي لاقرب اذا ذكر الاستثناء بعد النسيان واذا نسي الانسان قول ان شاء الله
فتوبته من ذلك ان يقوله مع قوله ان شاء الله عسى ان يهدين ربي لاقرب من هذا
رشدا قوله تعالى ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا
قيل هذا خبر عن قول اهل الكتاب لو كان خبرا من الله عن قدر لبثهم لم يكن لقوله
قل الله اعلم بما لبثوا وجه ولكن الله رد قولهم بقوله قل الله اعلم بما لبثوا ان
تنازعوا والاصح انه اخبار من الله تعالى عن قدر لبثهم في الكهف ويكون معنى قوله
قل الله اعلم بما لبثوا ان نازعوك في مدة لبثهم في الكهف فقل الله اعلم بما لبثوا
اي هو اعلم منكم وقد اخبر بمدة لبثهم وقيل ان اهل الكتاب قالوا ان المدة من
حين دخلوا الكهف الى يومنا هذا وهو اجتماعهم بالنبي صلى الله عليه وسلم ثلاث مائة
وتسع سنين فرد الله عليهم بذلك وقال قل الله اعلم بما لبثوا يعني بعد قبض
ارواحهم الى يومنا هذا لا يعلمه الا الله تعالى فان قلت لم قال سنين ولم
يقل سنة قلت قيل نزل قوله ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة فقالوا اياما او شهورا
او سنين فنزلت سنين على وفق قولهم وقيل هو تفسير لما اجمل في قوله فضربنا
على آذانهم في الكهف سنين عددا وازدادوا تسعا قيل قالت نصارى نجران
اما الثلاث مائة فقد عرفناها واما التسع فلا علم لنا بها فنزل قل الله اعلم
بما لبثوا وقيل ان عند اهل الكتاب لبثوا ثلاث مائة سنة شمسية والله تعالى
ذكر ثلاث مائة وتسع سنين قمرية والتفاوت بين القمرية والشمسية في كل مائة
ثلاث سنين فتكون الثلاث مائة الشمسية ثلاث مائة وتسع سنين قمرية له غيب
السموات والارض يعني انه تعالى لا يخفى عليه شيء من احوال اهلها فانه العالم
وحده به فكيف يخفى عليه حال اصحاب الكهف ابصر به واسمع معناه ما
ابصر الله بكل موجود واسمعه لكل مسموع لا يغيب عن سمعه وبصره شيء يدرك البواطن
كما يدرك الظواهر لا يخفى عليه خافية ما لهم اي ما لاهل السموات والارض
من دونه اي من دون الله من ولي اي ناصر ولا يشرك في حكمه احدا
قيل معناه لا يشرك الله في علم غيبه احدا وقيل في قضائه قوله عز وجل واتل
اي اقرأ يا محمد ما اوحي اليك من كتاب ربك يعني القرآن واتبع ما فيه واعمل به

لامبدل

لا مبدل لكلماته اي لا مغير للقرآن ولا يقدر احد على التطرق اليه بتغيير او تبديل
فان قلت موجب هذا ان لا يتطرق النسخ اليه قلت النسخ ليس في الحقيقة ليس
تبديلا لان المنسوخ ثابت في وقته الى وقت طريان الناسخ فالناسخ كالمغاير فكيف
يكون تبديلا وقيل معناه لا مغير لما وعد الله بكلماته لاهل معاصيه ولن تجد
من دونه اي من دون الله ان لم تتبع القرآن ملتحدا اي ملجأ وحرزا
تعدل اليه قوله عز وجل واصبر نفسك الاية نزلت في عيينة بن حصن الفزاري
اتى النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يسلم وعنده جماعة من الفقراء منهم سلمان وعليه
شملة صوف قد عرق فيها وبيده خوص يشقه وينسجه فقال عيينة للنبي صلى الله
عليه وسلم اما يؤذيك ريح هؤلاء ونحن سادات مضر واشرافها ان اسلمنا اسلم الناس
وما يمنعنا من اتباعك الا هؤلاء فنحهم حتى نتبعك او اجعل لنا مجلسا فانزل الله تعالى
واصبر نفسك اي احبس يا محمد نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة
والعشي يعني طرفي النهار يريدون وجهه اي يريدون الله لا يريدون به
عرض الدنيا وقيل نزلت في اصحاب الصفة وكانوا سبعمائة رجل فقراء في مسجد
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرجعون الى تجارة ولا الى زرع ولا ضرع يصلون
صلاة وينتظرون اخرى فلما نزلت هذه الاية قال النبي صلى الله عليه وسلم
الحمد لله الذي جعل في امتي من امرت ان اصبر معهم ولا تعد اي ولا تصرف
عيناك عنهم الى غيرهم تريد زينة الحياة الدنيا اي تطلب مجالسة الاغنياء
والاشراف وصحبة اهل الدنيا ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا اي جعلنا
قلبه غافلا عن ذكرنا يعني عيينة بن حصن وقيل امية بن خلف واتبع هواه
اي في طلب الشهوات وكان امره فرطا ضياعا ضيع امره وعطل ايامه وقيل
ندما وقيل سرفا وباطلا وقيل مخالفا للحق وقل الحق من ربكم اي قل يا محمد
لهؤلاء الذين اغفلنا قلوبهم عن ذكرنا من ربكم الحق واليه التوفيق والخذلان
وبيده الهدى والضلال ليس الي من ذلك شيء فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر
هذا على طريق التهديد والوعيد كقوله اعملوا ما شئتم وقيل معنى الاية وقل
الحق من ربكم اي لست بطارد المؤمنين لهواكم فان شئتم فامنوا وان شئتم فاكفروا
فان كفرتم فقد اعد لكم ربكم نارا وان امنتم فلكم ما وصف لاهل طاعته وعن ابن
عباس رضي الله تعالى عنهما في معنى الاية من شاء الله له الايمان امن ومن شاء له الكفر
كفر انا اعتدنا اي هيأنا من الاعتاد وهو العدة للظالمين اي للكافرين
نارا احاط بهم سرادقها السرادق الحجرة التي تطيف بالفساطيط عن ابي
سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سرادق النار اربع جدر كثف
كل جدار اربعين سنة اخرجه الترمذي قال ابن عباس هو حائط من نار وقيل
هو عنق يخرج من النار فيحيط بالكفار كالحظيرة وقيل هو دخان يحيط بالكفار
وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه قال

ابن عباس هو ماء غليظ مثل دردي الزيت عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال في قوله كالمهل قال كعكر الزيت فاذا قرب اليه سقط فروة وجهه منه اخرجه
الترمذي وقال لا رشد من احد رواة الحديث قد تكلم فيه من قبل حفظه الفروة
جلدة الوجه وقيل المهل الدم والقيح وقيل هو الرصاص والصفر المذاب بئس
الشراب اي ينضج الوجوه من حره بئس الشراب ذلك الذي يغاثون به وساءت
اي النار مرتفقا قال ابن عباس منزلا وقيل مجتمعا واصل المرتفق المتكأ وانما
جاء كذلك لمشاكلة قوله وحسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار ولا اتكاء
قوله عز وجل ان الذين امنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر اي لا نترك
اعمالهم تذهب ضياعا بل نجازيهم باعمالهم الصالحة وقيل ان قوله انا لا نضيع اجر
من احسن عملا كلام معترض تقديره ان الذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك
لهم جنات عدن اي دار اقامة سميت عدنا لخلود المومنين فيها تجري
من تحتهم الانهار وذلك افضل المساكن ما كان يجري فيه الماء يحلون فيها
من اساور من ذهب قيل يحلى كل انسان منهم ثلاثة اساور سوار من ذهب
لهذه الاية وسوار من فضة لقوله وحلوا اساور من فضة وسوار من لؤلؤ
لقوله ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير ويلبسون ثيابا خضرا من سندس هو الديباج
الرقيق واستبرق هو الديباج الصفيق الغليظ وقيل السندس المنسوج
بالذهب متكئين حض الاتكاء وهو هيئة المتنعمين والملوك فيها اي في الجنة
على الارائك جمع اريكة وهي السرر في الحجال لما وصف الله تعالى هذه الاشياء
قال نعم الثواب اي نعم الجزاء وحسنت اي الجنان مرتفقا اي منزلا
ومجلسا والمراد بقوله وحسنت مرتفقا مقابلة ما تقدم من قوله وساءت
مرتفقا قوله عز وجل واضرب لهم مثلا رجلين قيل نزلت في اخوين من اهل
مكة من بني مخزوم وهما ابو سلمة عبد الله بن عبد الاسد بن عبد يا ليل وكان
مومنا واخوه الاسود بن عبد الاسد وكان كافرا وقيل هذا مثل لعيينة بن
حصن واصحابه وسلمان واصحابه وشبههما برجلين من بني اسرائيل اخوين احدهما
مومن واسمه يهوذا في قول ابن عباس وقيل تمليخا والاخر كافر واسمه فرطوس
وهما اللذان وصفهما الله تعالى في سورة والصافات وكانت قصتهما على ما ذكر
عطا الخراساني قال كان رجلان شريكان لهما ثمانية الاف دينار وقيل كانا
اخوين ورثا من ابيهما ثمانية الاف دينار فاقتسماها فاشترى احدهما ارضا
بالف دينار فقال صاحبه اللهم ان فلانا قد اشترى ارضا بالف دينار واني اشتري
منك ارضا في الجنة بالف دينار فتصدق بها ثم ان صاحبه بنى دارا بالف دينار
فقال هذا اللهم ان فلانا بنى دارا بالف دينار واني اشتريت منك دارا في الجنة
بالف دينار فتصدق بها ثم تزوج صاحبه امراة فانفق عليها الف دينار فقال
هذا اللهم اني اخطب اليك امراة من نساء الجنة بالف دينار فتصدق بها ثم ان صاحبه

اشترى خدما ومتاعا بالف دينار فقال هذا اللهم اني اشتريت منك خدما ومتاعا
بالف دينار في الجنة فتصدق بها ثم اصابته حاجة شديدة فقال لو اتيت صاحبي
لعله ينالني منه بمعروف فجلس على طريقه حتى مر به في خدمه وحشمه فقام اليه
فنظر اليه صاحبه فعرفه فقال فلان قال نعم قال ما شانك قال اصابتني حاجة
بعدك فاتيتك لتصيبني بخير قال فما فعل مالك وقد اقتسمنا مالا واخذت شطره
فقص عليه قصته فقال وانك لمن المصدقين بهذا اذهب فلا اعطيك شيئا فطرده
فقضى عليهما فتوفيا فنزل فيهما فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال قائل منهم
اني كان لي قرين وروي انه لما اتاه اخذ بيده وجعل يطوف به ويريه اموال له فنزل فيهما
واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لاحدهما جنتين بستانين من اعناب
وحففناهما اي اطفناهما من جوانبهما وجعلنا بينهما زرعا اي وجعلنا
بين النخيل والاعناب الزرع وقيل بينهما اي بين الجنتين يعني لم يكن بين الجنتين
خراب بغير زرع كلتا الجنتين اتت اكلها اي اعطت كل واحدة من الجنتين اكلها
اي ثمرها تاما ولم تظلم منه شيئا اي ولم تنقص منه شيئا وفجرنا خلالهما
اي شققنا وسطهما نهرا وكان له اي صاحب البستان ثمر قرئ بالفتح جمع
ثمرة وقرئ بالضم وهو الاموال الكثيرة المثمرة من كل صنف الذهب والفضة وغيرهما
فقال يعني صاحب البستان لصاحبه اي المومن وهو يحاوره اي يخاطبه
انا اكثر منك مالا واعز نفرا اي عشيرة ورهطا وقيل خدما وحشما ودخل
جنته يعني الكافر اخذ بيد اخيه المومن يطوف به فيها ويريه اياها وهو
ظالم لنفسه اي بكفره قال ما اظن ان تبيد اي تهلك هذه يعني جنته
ابدا وذلك انه راقه حسنها وغرته زهرتها فتوهم انها لا تفنى ابدا وانكر
البعث قال وما اظن الساعة قائمة اي كائنة ولئن رددت الى ربي
فان قلت كيف قال ولئن رددت الى ربي وهو منكر للبعث قلت معناه ولئن
رددت الى ربي على ما تزعم من ان الساعة اتية لاجدن خيرا منها منقلبا اي
يعطيني هناك خيرا منها لانه لم يعطني الجنة في الدنيا الا ليعطيني في الاخرة
افضل منها قال له صاحبه يعني المومن وهو يحاوره اكفرت بالذي خلقك من تراب
اي خلق اصلك من تراب لان خلق اصله سبب في خلقه فكان خلقا له ثم من
نطفة ثم سواك رجلا اي عدلك بشرا سويا وكملك انسانا ذكرا بالغا مبلغ
الرجال لكنا هو الله ربي مجازه لكن انا هو الله ربي ولا اشرك بربي احدا
ولولا اي هلا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله والمعنى هلا قلت عند
دخولها والنظر الى ما رزقك الله منها الامر ما شاء الله اعترافا بانها وكل خير فيها
انما حصل بمشيئة الله وفضله وان امرها بيده ان شاء تركها عامرة وان شاء خربها
لا قوة الا بالله اي وقلت لا قوة الا بالله اقرارا بان ما قويت به على عمارتها
وتدبير امرها هو بمعونة الله وتاييده ولا اقدر على حفظ مالي ودفع شيء عنه الا

بالله وروي عن عروة بن الزبير انه اذا كان راى من ماله شيئا يعجبه او دخل حايطا
من حيطانه قال ما شاء الله لا قوة الا بالله الحايط البستان ان ترن انا
اقل منك مالا وولدا اي لاجل ذلك تكبرت علي وتقطعت فعسى ربي فلعل
ربي ان يؤتين اي يعطيني في الاخرة خيرا من جنتك ويرسل عليها اي على جنتك
حسبانا قال ابن عباس نارا وقيل مرامي من السماء وهي الصواعق فتهلكها
فتصبح صعيدا زلقا اي ارضا جرداء ملساء لا نبات فيها وقيل تزلق فيها الاقدام
وقيل رملا هايلا او يصبح ماؤها غورا اي غايرا ذاهبا لا تناله الايدي
ولا الدلاء فلن تستطيع له طلبا يعني ان طلبته لم تجده واحيط بثمره اي احاط
العذاب بثمر جنته وذلك ان الله تعالى ارسل من السماء نارا فاهلكها وغار ماؤها
فاصبح يعني صاحبها الكافر يقلب كفيه يعني يصفق بكف على كف ويقلب
كفيه ظهرا لبطن تاسفا وتلهفا على ما انفق فيها المعنى فاصبح يندم على ما
انفق في عمارتها وهي خاوية على عروشها اي ساقطة سقوفها وقيل ان كرومها
المعروشة سقطت عروشها على الارض ويقول يا ليتني لم اشرك بربي احدا
يعني انه تذكر موعظة اخيه المؤمن فعلم انه اتي من جهة شركه وطغيانه فتمنى
لو لم يكن مشركا ولم تكن له فئة اي جماعة ينصرونه من دون الله اي يمنعونه
من عذاب الله وما كان منتصرا اي ممتنعا لا يقدر على الانتصار لنفسه وقيل
معناه لا يقدر على رد ما ذهب منه قوله تعالى هنالك الولاية قرئ بكسر
الواو يعني السلطان في القيامة لله الحق وقرئ بفتحها من الموالاة
والنصرة يعني انهم يتولونه يومئذ ويتبرءون مما كانوا يعبدون في الدنيا هو خير
ثوابا اي افضل جزاء لاهل طاعته ولو كان غيره يثيب وخير عقبا يعني
عاقبة طاعته خير من عاقبة طاعة غيره فهو خير اثابة وعاقبة قوله تعالى
واضرب لهم اي يا محمد لقومك مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء يعني المطر
فاختلط به نبات الارض اي خرج من كل لون وزهرة فاصبح اي عن قريب هشيما
قال ابن عباس يابسا تذروه الرياح قال ابن عباس تذريه وقيل تفرقه
وتنسفه وكان الله على كل شيء مقتدرا قادرا قوله تعالى المال والبنون
يعني التي يفتخر بها عيينة واصحابه زينة الحياة الدنيا يعني ليست من
زاد الاخرة قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه البنون حرث الدنيا والاعمال
الصالحة حرث الاخرة وقد يجمعهما الله لاقوام والباقيات الصالحات قال ابن
عباس رضي الله عنهما هي قول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر
م عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان اقول سبحان الله
والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر احب الي مما طلعت عليه الشمس عن ابي
سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال استكثروا من قول الباقيات
الصالحات قيل وما هي يا رسول الله قال المسئلة قيل وما هي يا رسول الله

قال التكبير

التكبير والتهليل والتسبيح والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قلت
يا رسول الله ما رياض الجنة قال المساجد قلت وما الرتع قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر اخرجه الترمذي
وقال حديث غريب عن ابن المسيب ان الباقيات الصالحات هي قول العبد
الله اكبر وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله ولا حول ولا قوة الا بالله
العلي العظيم اخرجه مالك في الموطا موقوفا عليه وعن ابن عباس ان الباقيات
الصالحات الصلوات الخمس وعنه انها الاعمال الصالحات خير عند ربك ثوابا
اي جزاء وخير املا اي مما يؤمله الانسان قوله تعالى ويوم نسير الجبال
اي تذهب وذلك بان تجعل هباء منثورا كما تسير السحاب وترى الارض بارزة اي
ظاهرة ليس عليها شجر ولا جبل ولا بناء وقيل هو بروز ما في بطنها من الموتى وغيرهم
فيصير باطن الارض ظاهرا وحشرناهم يعني جمعناهم الى موقف الحساب
فلم نغادر منهم احدا اي لم نترك منهم احدا وعرضوا على ربك صفا اي صفا
صفا وفوجا فوجا لا انهم صف واحد وقيل قياما وقيل كل امة وزمرة صف ثم
يقال لهم لقد جئتمونا كما خلقناكم اول مرة يعني احياء وقيل حفاة عراة
غرلا بل زعمتم الن نجعل لكم موعدا يعني يوم القيامة تقول ذلك لمنكري
البعث ق عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قام فينا رسول الله صلى الله
عليه وسلم بموعظة فقال يا ايها الناس انكم تحشرون الى الله حفاة عراة غرلا
كما بدانا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين الا ان اول الخلائق يكسى
يوم القيامة ابراهيم الا وانه سيجاء برجال من امتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فاقول
يا رب اصحابي فيقول انك لا تدري ما احدثوا بعدك فاقول كما قال العبد الصالح
وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم الى قوله العزيز الحكيم قال فيقال لي انهم لن
يزالوا مرتدين على اعقابهم منذ فارقتهم زاد في رواية فاقول سحقا سحقا
قوله غرلا اي قلفا والغرلة القلفة التي تقطع من جلدة الذكر وهو موضع الختان
وقوله سحقا اي بعدا قال بعض العلماء ان المراد بهم اهل الردة الذين ارتدوا
من العرب ومنعوا الزكاة بعده ق عن عايشة رضي الله عنها قالت سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الناس حفاة عراة غرلا قالت عايشة
فقلت الرجال والنساء جميعا ينظر بعضهم الى بعض قال الامر اشد من ان يهمهم ذلك
زاد النسائي في رواية لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه قوله عز وجل ووضع
الكتاب يعني صحايف اعمال العباد توضع في ايدي الناس في ايمانهم وشمايلهم
وقيل توضع بين يدي الله تعالى فترى المجرمين مشفقين مما فيه اي خايفين
من الاعمال السيئة ويقولون يعني اذا راوها يا ويلتنا اي يا هلكتنا
وكل من وقع في هلكة دعا بالويل ما لهذا الكتاب لا يغادر اي لا يترك

صغيرة ولا كبيرة اي من ذنوبنا **الا احصاها** وكتبها واثبتها فيه وحفظها قال ابن عباس الصغيرة التبسم والكبيرة القهقهة وقال سعيد بن جبير الصغيرة اللمم والمسيس والقبلة والكبيرة الزنا عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم ومحقرات الذنوب فانما مثل محقرات الذنوب مثل قوم نزلوا بطن واد فجاء هذا بعود وجاء هذا بعود فانضجوا خبزهم وان محقرات الذنوب لموبقات الحقير الشي الصغير التافه وقوله لموبقات اي لمهلكات **ووجدوا ما عملوا حاضرا** اي مكتوبا مثبتا في كتابهم **ولا يظلم ربك احدا** اي لا ينقص ثواب احد عمل خيرا ولا ياخذ احدا بجرم لم يعمله عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فاما عرضتان فجدال ومعاذير واما العرضة الثالثة فعند ذلك تطاير الصحف في الايدي فآخذ بيمينه وآخذ بشماله اخرجه الترمذي وقال لا يصح هذا الحديث من قبل ان الحسن لم يسمع من ابي هريرة وقد رواه بعضهم عن الحسن عن موسى قوله تعالى **واذ قلنا** اي واذكر يا محمد اذ قلنا **للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن** قال ابن عباس كان حي من الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم وقال الحسن كان من الجن ولم يكن من الملائكة فهو اصل الجن كما ان آدم اصل الانس ووجه كونه من الملائكة لا ينافي كونه من الجن بدليل قوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا وذلك ان قريشا قالت الملائكة بنات الله فهذا يدل على ان الملك يسمى جنا ويعضده اللغة لان الجن ماخوذ من الاجتنان وهو الستر فعلى هذا تدخل الملائكة فيه فكل ملائكة جن لاستتارهم وليس كل جن ملائكة ووجه كونه من الملائكة ان الله استثناه والاستثناء يفيد اخراج ما لولاه لدخل او يصح دخوله وذلك يوجب كونه من الملائكة ووجه من قال انه كان من الجن ولم يكن من الملائكة قوله كان من الجن والجن جنس مخالف للملائكة وقوله افتتخذونه وذريته اولياء اثبت له ذرية والملائكة لا ذرية لهم واجيب عن هذا الاستثناء انه استثناء منقطع وهو مشهور في كلام العرب قال الله تعالى واذ قال ابراهيم لابيه وقومه انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني وقوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما قيل انه كان من الملائكة فلما خالف الامر مسخ وغير وطرد ولعن وقوله **ففسق عن امر ربه** اي خرج عن طاعة ربه **افتتخذونه** يعني يا بني آدم افتتخذون ابليس وذريته **وذريته اولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا** يعني اعدا روي مجالد عن الشعبي قال اني لقاعد يوما اذ اقبل جمال فقال لي اخبرني هل لابليس زوجة قلت ان ذلك العرس ما شهدته ثم ذكرت قول الله عز وجل افتتخذونه وذريته اولياء من دوني فعلمت انه لا يكون ذرية الا من زوجة فقلت نعم وقيل يتوالدون كما يتوالد بنو آدم وقيل انه يدخل ذنبه في دبره فيبيض فتنفلق البيضة عن جماعة من الشياطين قال مجاهد من ذرية ابليس لاقيس وولهان وهو صاحب الطهارة والصلاة والهفاف ومرة وبه يكنى وزلنبور وهو صاحب الاسواق يزين اللغو والحلف الكاذبة ومدح

السلع

السلع وثبر وهو صاحب المصائب يزين خمش الوجوه ولطم الخدود وشق الجيوب والاعور وهو صاحب الزنا ينفخ في احليل الرجل وعجز المراة ومطوس وهو صاحب الاخبار الكاذبة يلقيها في افواه الناس لا يجدون لها اصلا وداسم وهو الذي اذا دخل الرجل بيته ولم يسلم ولم يذكر الله بصره من المتاع ما لم يرفع او يحسن موضعه واذا اكل ولم يسم الله تعالى اكل معه قال الاعمش ربما دخلت البيت ولم اذكر اسم الله ولم اسلم فرايت مطهرة فقلت ارفعوا وخاصمتهم ثم اذكر فاقول داسم داسم روي ابي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان للوضوء شيطانا يقال له الولهان فاتقوا وسواس الماء اخرجه الترمذي م عن عثمان بن ابي العاص قال قلت يا رسول الله ان الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وبين قراءتي يلبسها علي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك شيطان يقال له خنزب فاذا احسسته فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثا قال ففعلت فاذهبه الله عني م عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فادناهم منه منزلة اعظمهم فتنة يجي احدهم فيقول فعلت كذا وكذا فيقول ما صنعت شيئا ثم يجي احدهم فيقول ما تركته حتى فرقت بينه وبين امراته قال فيدنيه منه ويقول نعم انت قال الاعمش اراه قال فيلتزمه وقوله بئس للظالمين بدلا يعني بئسما استبدلوا طاعة ابليس وذريته بعبادة ربهم وطاعته قوله تعالى **ما اشهدتهم** اي ما احضرتهم يعني ابليس وذريته وقيل الكفار وقيل الملائكة **خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم** والمعنى ما اشهدتهم خلقها فاستعين بهم على خلقها واشاورهم فيها **وما كنت متخذ المضلين** يعني الشياطين الذين يضلون الناس **عضدا** يعني انصارا واعوانا قوله عز وجل **ويوم يقول نادوا** يعني يقول الله يوم القيامة نادوا **شركائي** يعني الاصنام **الذين زعمتم** يعني انهم شركائي **فدعوهم** اي فاستغاثوا بهم **فلم يستجيبوا لهم** اي فلم يجيبوهم ولم ينصروهم **وجعلنا بينهم** يعني بين الاصنام وعابديها وقيل بين اهل الهدى واهل الضلالة **موبقا** قيل مهلكا وقال ابن عباس هو واد في النار وقيل هو نهر يسيل نارا على حافته حيات وعقارب مثل البغال الدهم وقيل كل حاجز بين شيئين فهو موبق واصله الهلاك **ورأى المجرمون** اي المشركون **النار فظنوا** اي ايقنوا **انهم مواقعوها** اي داخلوها وواقعون فيها **ولم يجدوا عنها مصرفا** اي معدلا لانها احاطت بهم من كل جانب وقيل لان الملائكة تسوقهم اليها قوله تعالى **ولقد صرفنا** اي بينا **في هذا القرآن للناس من كل مثل** اي ليتذكروا ويتعظوا **وكان الانسان اكثر شيء جدلا** اي خصومة في الباطل قال ابن عباس اراد النضر بن الحارث وجداله في القران وقيل اراد به ابي بن خلف وقيل اراد به الكفار وقيل اراد الاية على العموم وهو الاصح ق عن علي بن ابي طالب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم طرقه وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم

ليلا فقال الا تصليان فقلت يا رسول الله انفسنا بيد الله تعالى فاذا شاء ان يبعثنا
بعثنا فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قلت ذلك ولم يرجع الي شيئا
ثم سمعته وهو مولي يضرب فخذه وهو يقول وكان الانسان اكثر شيء جدلا قوله
عز وجل **وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى** يعني القران والاسلام
والبيان من الله تعالى وقيل انه رسول الله صلى الله عليه وسلم **ويستغفروا ربهم**
والمعنى انه لا مانع لهم من الايمان ولا من الاستغفار والتوبة والتخلية حاصلة
والاعذار زايلة فلم لم يقدموا على الايمان والاستغفار **الا ان تاتيهم سنة**
الاولين يعني سنتنا في اهلاك الاولين ان لم يومنوا وهو عذاب الاستيصال
او ياتيهم العذاب قبلا قال ابن عباس عيانا من المقابلة وقيل فجاءة قوله تعالى
وما نرسل المرسلين الا مبشرين اي بالثواب على الطاعة **ومنذرين** بالعقاب
ويجادل الذين كفروا بالباطل اي هو قولهم ابعث الله بشرا رسولا وقولهم
للرسل ما انتم الا بشر مثلنا وشبه ذلك **ليدحضوا به الحق** اي ليبطلوا
به الحق ويزيلوه **واتخذوا اياتي وما انذروا هزوا** فيه اضمار يعني اتخذوا
ما انذروا به وهو القران استهزاء قوله تعالى **ومن اظلم ممن ذكر** اي وعظ **بايات**
ربه فاعرض عنها اي تولى عنها وتركها ولم يومن بها **ونسي ما قدمت يداه**
اي ما عمل من المعاصي من قبل **انا جعلنا على قلوبهم اكنة** اي اغطية **ان يفقهوه**
يريد لئلا يفقهوه **وفي اذانهم وقرا** اي ثقلا وصمما **وان تدعهم الى الهدى** اي الدين
الحق **فلن يهتدوا اذا ابدا** وهذا في اقوام علم الله منهم انهم لا يومنون **وربك**
الغفور اي البليغ المغفرة **ذو الرحمة** اي الموصوف بالرحمة **لو يواخذهم**
اي يعاقب الكفار **بما كسبوا** من الذنوب **لعجل لهم العذاب** اي في الدنيا
بل لهم موعد يعني البعث والحساب **لن يجدوا من دونه موئلا** اي ملجأ
وتلك القرى يعني قرى قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وغيرهم
اهلكناهم لما ظلموا اي كفروا **وجعلنا لمهلكهم موعدا** اي اجلا لاهلاكهم
قوله تعالى **واذ قال موسى لفتاه** الايات اكثر العلماء على ان موسى المذكور في هذه
الاية هو موسى بن عمران من سبط لاوي بن يعقوب صاحب المعجزات الظاهرة
وصاحب التوراة وعن كعب الاحبار انه موسى بن ميشا من اولاد يوسف بن يعقوب
وكان قد تنبا قبل موسى بن عمران والقول الاول اصح بدليل ان الله تعالى لم يذكر
في كتابه العزيز الا واراد به صاحب التوراة فاطلاق هذا الاسم يوجب الانصراف
اليه ولو اراد شخصا اخر لوجب تعريفه بصفة توجب الامتياز بينهما وتزيل
الشبهة فلما لم يميزه بصفة علمنا انه موسى بن عمران صاحب التوراة واما
فتاه فالاصح انه يوشع بن نون بن افراثيم بن يوسف وهو صاحب موسى وولي
عهده بعد وفاته وقيل انه اخو يوشع وقيل فتاه يعني عبده بدليل قوله
صلى الله عليه وسلم لا يقل احدكم عبدي وامتي وليقل فتاي وفتاتي عن سعيد

ابن جبير

ابن جبير قال قلت لابن عباس ان نوفا البكالي يزعم ان موسى صاحب الخضر ليس هو موسى
بني اسرائيل فقال ابن عباس كذب عدو الله حدثنا ابي بن كعب انه سمع رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ان موسى قام خطيبا في بني اسرائيل فسئل اي الناس
اعلم فقال انا فعتب الله عليه اذ لم يرد العلم اليه فاوحى الله اليه ان لي عبدا بمجمع
البحرين هو اعلم منك قال موسى يا رب فكيف لي به فقال تاخذ معك حوتا فتجعله
في مكتل فحيث ما فقدت الحوت فهو ثم فاخذ حوتا فجعله في مكتل ثم انطلق وانطلق
معه فتاه يوشع بن نون حتى اذا اتيا الصخرة وضعا رؤوسهما فناما واضطرب الحوت
في المكتل فخرج منه فسقط في البحر فاتخذ سبيله في البحر سربا وامسك الله
عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ نسي صاحبه ان يخبره
بالحوت وانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى اذا كان من الغد قال موسى لفتاه اتنا
غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال ولم يجد موسى النصب حتى جاوز
المكان الذي امر الله به فقال له فتاه ارايت اذ اوينا الى الصخرة فاني نسيت
الحوت وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا قال
كان للحوت سربا ولموسى عجبا قال موسى ذلك ما كنا نبغ فارتدا على اثارهما
قصصا قال رجعا يقصان اثارهما حتى انتهيا الى الصخرة فاذا رجل مسجى ثوبا
فسلم عليه موسى فقال الخضر واني بارضك السلام فقال انا موسى بني اسرائيل
قال نعم اتيتك لتعلمني مما علمت رشدا قال انك لن تستطيع معي صبرا يا موسى
اني على علم من الله علمنيه ما تعلمه وانت على علم من علم الله علمكه الله لا اعلمه
فقال موسى ستجدني ان شاء الله صابرا ولا اعصي لك امرا قال له الخضر فان اتبعتني
فلا تسالني عن شيء حتى احدث لك منه ذكرا فانطلقا يمشيان على ساحل البحر
فمرت بهم سفينة فكلموهم ان يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نول فلما ركبا
السفينة لم يفجا الا والخضر قد قلع لوحا من الواح السفينة بالقدوم فقال له موسى
قوم حملونا بغير نول عمدت الى سفينتهم فخرقتها لتغرق اهلها لقد جئت شيئا
امرا قال الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا قال لا تواخذني بما نسيت
ولا ترهقني من امري عسرا قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت
الاولى من موسى نسيانا قال وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر
في البحر نقرة فقال له الخضر ما نقص علمي وعلمك من علم الله الا مثل ما نقص
هذا العصفور من هذا البحر ثم خرجا من السفينة فبينما هما يمشيان على الساحل
اذا ابصر الخضر غلاما يلعب مع الغلمان فاخذ براسه فاقتلعه بيده فقتله فقال
له موسى اقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا قال الم اقل لك انك
لن تستطيع معي صبرا قال وهذه اشد من الاولى قال ان سالتك عن شيء بعدها
فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية استطعما
فابوا ان يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض قال مائل فقال الخضر

بيده هكذا فاتاه فقال موسى قوم اتيناهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا لو شئت لاتخذت
عليه اجرا قال هذا فراق بيني وبينك سانبئك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله موسى لوددت انه صبر حتى يقص علينا من
من اخبارهما قال سعيد بن جبير فكان ابن عباس يقرا وكان امامهم ملك ياخذ كل سفينة صالحة
غصبا وكان يقرا واما الغلام فكان كافرا وكان ابواه مومنين وفي رواية عن ابي بن كعب
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قام موسى رسول الله فذكر الناس حتى اذا
فاضت العيون ورقت القلوب ثم ولى فادركه رجل فقال يا رسول الله هل في
الارض اعلم منك قال لا فعتب الله عليه اذ لم يرد العلم الى الله سبحانه وتعالى
قيل بلى قال اي رب واين هو قال بمجمع البحرين قال خذ حوتا ميتا حيث ينفخ
فيه الروح وفي رواية تزود حوتا مالحا فانه حيث تفقد الحوت زاد في رواية
وفي اصل الصخرة عين يقال لها الحياة لا يصيب من مائها شيء الا حيي فاصاب
الحوت من ماء تلك العين فتحرك وانسل من المكتل فدخل ورجعنا الى التفسير قوله
لا ابرح اي لا ازال اسير حتى ابلغ مجمع البحرين قيل اراد بحر فارس والروم
مما يلي المشرق وقيل طنجة وقيل افريقية او امضي حقبا يعني او اسير دهرا
طويلا والحقب ثمانون سنة فحملا خبزا وسمكة مالحة في المكتل وهو الزنبيل
الذي يسع خمسة عشر صاعا ومضيا حتى انتهيا الى الصخرة التي عند مجمع البحرين
وعند ماء عين تسمى الحياة ولا يصيب شيئا الا حيي فلما اصاب السمكة روح الماء
وبرده اضطربت في المكتل وعاشت ودخلت في البحر فلما بلغا يعني موسى
وفتاه مجمع بينهما اي بين البحرين نسيا اي تركا حوتهما وانما كان الحوت
مع يوشع بن نون وهو الذي نسيه وانما اضاف النسيان اليهما لانهما تزوداه
لسفرهما وقيل المراد من قوله نسيا حوتهما اي نسيا كيفية الاستدلال بهذه
الحالة المخصوصة على الوصول الى المطلوب فاتخذ اي الحوت سبيله في البحر
سربا اي مسلكا روي ابي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
انجاب الماء عن مسلك الحوت فصار كوة لم يلتئم فدخل موسى الكوة على اثر الحوت
فاذا هو بالخضر قال ابن عباس جعل الحوت لا يمس شيئا الا يبس حتى صار صخرة
وقد روينا انهما لما انتهيا الى الصخرة وضعا رؤسهما فناما واضطرب الحوت
فخرج فسقط في البحر فاتخذ سبيله في البحر سربا فامسك الله عن الحوت
جرية الماء فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ موسى نسي صاحبه ان يخبره فانطلقا
حتى اذا كانا من الغد وهو قوله تعالى فلما جاوزا يعني ذلك الموضع وهو
مجمع البحرين قال يعني موسى لفتاه اتنا غداءنا يعني طعامنا لقد لقينا
من سفرنا هذا نصبا اي تعبا وشدة وذلك انه القي على موسى الجوع بعد ما
جاوزا الصخرة ليتذكر الحوت ويرجع في طلبه قال يعني يوشع ارايت اذ اوينا
الى الصخرة وهي صخرة كانت بالموضع الموعود فاني نسيت الحوت اي تركته

وفقدته وذلك ان يوشع حين راى من الحوت ذلك قام ليدرك موسى ليخبره
فنسي ان يخبره فمكثا يومهما الى ان صليا الظهر من الغد ثم قال وما انسانيه
الا الشيطان ان اذكره اي وما انساني ان اذكر لك امر الحوت الا الشيطان
قيل المراد من النسيان شغل قلب الانسان بوساوس الشيطان التي هي من
فعله دون النسيان الذي هو ضد الذكر لان ذلك لا يصح الا من قبل الله عز وجل
واتخذ سبيله في البحر عجبا قيل هذا من قول يوشع بن نون يعني طفر الحوت الى
البحر فاتخذ فيه مسلكا وروي في الخبر كان للحوت سربا ولموسى وفتاه عجبا وقيل
اي شيء اعجب من حوت يوكل منه دهرا ثم صار حيا بعد ما اكل بعضه قوله عز وجل
قال يعني موسى ذلك ما كنا نبغ اي نطلب فارتدا على اثارهما قصصا
اي رجعا يقصان الذي جاءا منه ويتبعانه فوجدا عبدا من عبادنا قيل كان ملكا
من الملائكة والصحيح الذي ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء في التواريخ
انه الخضر واسمه بليا بن ملكان وكنيته ابو العباس قيل كان من بني اسرائيل وقيل
كان من ابناء الملوك الذين تزهدوا وتركوا الدنيا والخضر لقب له سمي بذلك
ح عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما سمي خضرا لانه جلس
في فروة بيضاء فاذا هي تهتز تحته خضرا الفروة قطعة نبات مجتمعة يابسة
وقيل سمي خضرا لانه كان اذا صلى اخضر ما حوله وروينا ان موسى راى الخضر
مسجى ثوبا فسلم عليه فقال الخضر واني بارضك السلام قال انا موسى اتيتك لتعلمني
مما علمت رشدا ومعنى مسجى ثوبا اي مغطى بثوب واني بارضك السلام معناه
من اين بارضك التي انت فيها الان السلام وروي انه لقيه على طنفسة خضراء على كبد البحر
فذلك قوله فوجدا عبدا من عبادنا اتيناه رحمة من عندنا اي نعمة وعلمناه من لدنا
علما اي علم الباطن الهاما ولم يكن الخضر نبيا عند اكثر اهل العلم فان قلت هذه الاية
تدل على ان الخضر كان اعلم من موسى وكان موسى يظهر التواضع له والتادب معه
قلت لا يخلو اما ان يكون الخضر من بني اسرائيل او من غيرهم فان كان من بني اسرائيل فهو
من امة موسى ولا يجوز ان يكون احد الامة افضل من نبيها او اعلى شانا منه وان كان
من غير بني اسرائيل فقد قال الله تعالى لبني اسرائيل واني فضلتكم على العالمين اي على عالمي
زمانكم قال له موسى هل اتبعك معناه حيث لا اصحبك على ان تعلمني
مما علمت رشدا اي صوابا وقيل علما ترشدني به وقال في بعض الاخبار قال الخضر
لموسى كفى بالتوراة علما وبني اسرائيل شغلا فقال له موسى ان الله امرني بهذا فحينئذ
قال الخضر لموسى انك لن تستطيع معي صبرا وانما قال ذلك لانه علم انه يرى
امورا منكرة ولا يجوز للانبياء الصبر مع المنكرات ثم بين عذره في ترك الصبر فقال
وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا اي علما قال موسى ستجدني ان شاء الله
صابرا انما استثنى لانه لم يثق من نفسه بالصبر ولا اعصي لك امرا اي لا
اخالفك فيما تامرني به قال فان اتبعتني اي فان صحبتني ولم يقل اتبعني ولكن جعل

لا الاختيار ابدا ثم شرط عليه شرطا فقال فلا تسألني عن شيء اي مما اعلمه مما تنكره
ولا تعترض عليه حتى احدث لك منه ذكرا معناه حتى ابتدي بذكره فابين لك شانه
قوله تعالى فانطلقا اي يمشيان على الساحل يطلبان سفينة يركبانها فوجدا
سفينة فركباها فقال اهل السفينة هؤلاء لصوص وامروهما بالخروج فقال صاحب
السفينة ما هم بلصوص ولكن اري وجوه الانبياء وروينا عن ابي بن كعب عن النبي صلى الله
عليه وسلم مرت بهم سفينة فكلموهم ان يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نول اي بغير
عوض ولا عطا فلما لججوا في البحر اخذ الخضر الفاس فخرق لوحا من الواح السفينة
فذلك قوله تعالى حتى اذا ركبا في السفينة خرقها قال يعني موسى له اخرقتها لتغرق
اهلها لقد جئت شيئا امرا اي اتيت شيئا عظيما منكرا روي ان الخضر لما خرق السفينة
لم يدخلها الماء وروي ان موسى لما راي ذلك اخذ ثوبه فحشي به الخرق قال العالم وهو
الخضر الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا قال يعني موسى لا تؤاخذني بما نسيت
قال ابن عباس لم ينس ولكنه من معاريض الكلام فكانه نسي شيئا اخر وقيل معناه بما
تركت من عهدك والنسيان الترك وقال ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم كانت
الاولى نسيانا والوسطى شرطا والثالثة عمدا ولا ترهقني اي لا تغشني من
امري عسرا والمعنى لا تعسر علي متابعتك ويسرها بالاغضاء وترك المناقشة
وقيل لا تكلفني مشقة ولا تضيق علي امري فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله
وفي القصة انهما خرجا من البحر يمشيان فمرا بغلمان يلعبون فاخذ الخضر غلاما
ظريفا وضيء الوجه كان وجهه يتوقد حسنا فاضجعه ثم ذبحه بالسكين
وروينا انه اخذ برأسه فاقتلعه بيده وروى عبد الرزاق هذا الخبر وفيه
واشار باصابعه الثلاثة الابهام والسبابة والوسطى وقلع راسه وروي
انه رضخ راسه بحجر وقيل ضرب راسه بالجدار فقتله قال ابن عباس كان غلاما
لم يبلغ الحنث ولم يكن نبي الله موسى يقول اقتلت نفسا زاكية الا وهو صبي
لم يبلغ الحنث وكان رجلا وقيل كان اسمه حيسور وقيل كان فتى يقطع الطريق
ويأخذ المتاع ويلجا الى ابويه وقيل كان غلاما يعمل بالفساد ويتاذى منه ابواه
ق عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الغلام الذي قتله
الخضر طبع كافرا ولو عاش لارهق ابويه طغيانا وكفرا لفظ مسلم قال يعني
موسى اقتلت نفسا زاكية اي لم تذنب قط وقرئ زكية وهي التي اذنبت ثم
تابت بغير نفس لم تقتل نفسا حتى يجب عليها القتل لقد جئت شيئا نكرا
اي منكرا عظيما وقيل النكر اعظم من الامر لانه حقيقة الهلاك وفي خرق السفينة
خوف الهلاك وقيل الامر اعظم لان فيه تغريق جمع كثير وقيل معناه لقد
جئت شيئا انكر من الاول لان ذاك كان خرقا يمكن تداركه بالسد وهذا لا
سبيل الى تداركه قال يعني الخضر الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا
قيل زاد في هذه قوله لك لانه نقض مرتين وقيل ان هذه اللفظة توكيد

للتوبيخ

للتوبيخ فعند هذا قال موسى ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني
وقيل ان يوشع كان يقول لعيسى يا نبي الله اذكر العهد الذي انت عليه
قال موسى ان سألتك عن شيء بعد هذه المرة فلا تصاحبني اي فارقني ولا
تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا قال ابن عباس اي قد اعذرت فيما بيني وبينك
وقيل معناه اتضح لك العذر في مفارقتي والمعنى انه مدحه بهذه الطريقة
من انه احتمله مرتين اولا وثانيا مع قرب المدة ق عن ابي بن كعب قال قال رسول الله
رحمة الله علينا وعلى موسى وكان اذا ذكر احدا من الانبياء بدا بنفسه لولا انه عجل
لرأى العجب ولكنه اخذته من صاحبه ذمامة فقال ان سألتك عن شيء بعدها فلا
تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا فلو صبر لرأى العجب قوله ذمامة هو بذال
معجمة اي حياء واشفاقا من الذم واللوم يقال ذممته ذمامة يعني لحقته ملامة
ويشهد له قول الخضر هذا فراق بيني وبينك قوله تعالى فانطلقا حتى اذا
اتيا اهل قرية قال ابن عباس يعني انطاكية وقيل ايلة وقيل ابعد الارض
من السماء وقيل هي بلدة بالاندلس استطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما قال
ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا اتيا اهل قرية لئاما فطافا في
المجالس فاستطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما وروي انهما طافا في القرية
فاستطعماهم فلم يطعموهما واستضافاهم فلم يضيفوهما وعن ابي هريرة قال
اطعمتهما امرأة من اهل بربر بعد ان طلبا من الرجال فلم يطعموهما فدعا لنسائهم
ولعن رجالهم وعن قتادة قال شر القرى التي لا تضيف الضيف فوجدا
فيها جدارا يريد ان ينقض اي يسقط وهذا من مجاز الكلام لان الجدار لا
ارادة له وانما معناه قرب ودنا من السقوط كما تقول داري منتظرة دار فلان
اذا كانت تقابلها فاستعير لها النظر كما استعير للجدار الارادة فاقامه
اي سواه وفي حديث ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم فقال الخضر بيده
فاقامه وقال ابن عباس هدمه وقعد يبنيه قال يعني موسى لو شئت لتخذت
عليه اجرا يعني على اصلاح الجدار جعلا والمعنى انك قد علمت انا جياع وان
اهل القرية لم يطعمونا فلو اخذت على عملك اجرا قال يعني الخضر هذا فراق
بيني وبينك يعني هذا وقت فراق بيني وبينك وقيل هذا الانكار على ترك
الاجر هو المفرق بيننا سانبئك بتاويل اي ساخبرك بتاويل ما لم
تستطع عليه صبرا وقيل ان موسى اخذ بثوب الخضر وقال اخبرني بمعنى
ما عملت قبل ان تفارقني فقال الخضر اما السفينة فكانت لمساكين
يعملون في البحر قيل كانت لعشرة اخوة خمسة زمنى وخمسة يعملون في البحر
يواجرون ويكتسبون وفيه دليل على ان المسكين وان كان يملك شيئا لا يزول
عنه اسم المسكنة اذا لم يقم ما يمكنه بكفايته وان حال الفقير في الضر والحاجة
اشد من حال المسكين لان الله تعالى سماهم مساكين مع انهم كانوا يملكون تلك

السفينة **فاردت ان اعيبها** اي اجعلها ذات عيب **وكان وراءهم ملك** اي امامهم
وقيل خلفهم وكان رجوعهم في طريقهم عليه والاول اصح **ياخذ كل سفينة غصبا**
اي كل سفينة صالحة فخرقتها وعيبتها حتى لا ياخذها الملك الغاصب وكان اسمه
الجلندي الازدي وكان كافرا وقيل كان اسمه هدد بن بدد وروي ان الخضر اعتذر
الى القوم وذكر لهم شان الملك الغاصب ولم يكونوا يعلمون خبره وقال اردت
اذا هي مرت به ان يدعها لعيبها فاذا جاوزوا اصلحوها وانتفعوا بها قوله عز
وجل **واما الغلام فكان ابواه مؤمنين فخشينا** اي خفنا والخشية خوف شابه
تعظيم واكثر ما يكون عن علم بما يخشى منه وقيل معناه فعلمنا **ان يرهقهما** اي
يغشيهما وقيل يكلفهما **طغيانا وكفرا** قيل معناه ان يحملهما حبه على ان
يتبعاه على دينه **فاردنا ان يبدلهما ربهما** الابدال رفع الشيء ووضع
الآخر مكانه **خيرا منه زكاة** اي صلاحا وتقوى وقيل هو في مقابلة قوله
اقتلت نفسا زاكية فقال الخضر اردنا ان يرزقهما الله خيرا منه زكاة
واقرب رحما اي ويكون البدل منه اقرب عطفا ورحمة بابويه بان يبرهما
ويشفق عليهما قيل ابدلهما جارية تزوجها نبي من الانبياء فولدت له نبيا فهدى الله
على يديه امة من الامم وقيل ولدت سبعين نبيا وقيل ابدلهما بغلام مسلم
وقيل ان الغلام الذي قتل فرح به ابواه حين ولد وحزنا عليه حين قتل
ولو بقي لكان فيه هلاكهما فليرض العبد بقضاء الله تعالى فان قضاء الله تعالى
للمؤمن فيما يكره خير له من قضائه فيما يحب قوله تعالى **واما الجدار فكان
لغلامين يتيمين في المدينة** قيل كان اسمهما اصرم وصريم **وكان
تحته كنز لهما** روى ابو الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان الكنز
ذهبا وفضة اخرجه الترمذي وقيل كان الكنز صحفا فيها علم وقال ابن عباس
كان لوحا من ذهب مكتوب فيه عجبا لمن يوقن بالموت كيف يفرح عجبا لمن يوقن
بالقدر كيف ينصب عجبا لمن يوقن بالرزق كيف يتعب عجبا لمن يوقن بالحساب
كيف يغفل عجبا لمن يوقن بزوال الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله
الا الله محمد رسول الله وفي الجانب الآخر مكتوب انا الله لا اله الا انا وحدي
لا شريك لي خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقته للخير واجريته على يديه والويل
لمن خلقته للشر واجريته على يديه وقيل الكنز اذا اطلق يراد به المال ومع
التقييد يراد به غيره يقال عنده كنز علم وكان هذا اللوح جامعا لهما
وكان ابوهما صالحا قيل كان اسمه كاشح وكان من الاتقياء قال ابن عباس حفظا
بصلاح ابيهما وقيل كان بينهما وبين الاب الصالح سبعة آباء قال محمد بن المنكدر
ان الله يحفظ بصلاح العبد ولده وولد ولده وعترته واهل دويرات حوله
فما يزالون في حفظ الله ما دام فيهم وقال سعيد بن المسيب اني اصلي فاذكر
ولدي فازيد في صلاتي **فاراد ربك ان يبلغا اشدهما** اي يعقلا ويدركا قوتهما

وهو البلوغ وهي ثمانية عشر سنة فان قلت كيف قال في الاولى فاردت وفي الثانية
فاردنا وفي الثالثة فاراد ربك وما وجه كل واحدة من هذه الالفاظ قلت انه لما ذكر العيب اضافه
الى نفسه على سبيل الادب مع الله تعالى فقال فاردت ان اعيبها ولما ذكر القتل
عبر عن نفسه بلفظ الجمع تنبيها على انه من العلماء العظماء في علم الباطن وعلوم الحكمة
وانه لم يقدم على مثل هذا القتل الا لحكمة عالية ولما ذكر رعاية مصالح مال اليتيم
لاجل صلاح ابيهما اضافه الى الله تعالى لان حفظ الابناء وصلاح احوالهم لرعاية
حق الآباء ليس ذلك الا الى الله تعالى فلاجل ذلك اضافه الى الله تعالى **ويستخرجا
كنزهما** يعني اذا بلغا وعقلا وقويا **رحمة من ربك** اي نعمة من ربك **وما فعلته
عن امري** اي باختياري ورايي بل فعلته بامر الله والهامه اياي لان تنقيص اموال
الناس واراقة دمائهم وتغيير احوالهم لا يكون ذلك الا بالنص وامر الله تعالى واستدل
بقوله وما فعلته عن امري ان الخضر كان نبيا لان هذا يدل على الوحي وذلك للانبياء
والصحيح انه ولي وليس بنبي والجواب عن قوله وما فعلته انه الهام من الله تعالى
له بذلك وهذه درجة الاولياء وقيل معناه انما فعلت هذه الافعال لغرض ان
تظهر رحمة الله لانها باسرها ترجع الى معنى واحد وهو تحمل الضرر الادنى لدفع الضرر
الاعلى **ذلك تاويل ما لم تسطع عليه صبرا** اي لم تطق ان تصبر عليه روي ان موسى
عليه السلام لما اراد ان يفارق الخضر قال له اوصني قال لا تطلب العلم لتحدث
به واطلبه لتعمل به واختلف العلماء في ان الخضر حي ام ميت فقيل انه حي وهو قول
الاكثرين من العلماء وهو متفق عليه عند مشايخ الصوفية واهل الصلاح والمعرفة
والحكايات في رؤيته والاجتماع به ووجوده في المواضع الشريفة ومواطن الخير اكثر
من ان تحصر قال الشيخ ابو عمرو بن الصلاح في فتاويه هو حي عند جماهير العلماء
والصالحين والعامة في ذلك هذا آخر كلامه وقيل ان الخضر والياس حيان يلتقيان
كل سنة في الموسم وكان السبب في حياة الخضر كما حكي انه شرب من ماء الحياة وذلك
ان ذا القرنين دخل الظلمة لطلب عين الحياة وكان الخضر على مقدمته فوقع الخضر
على العين فاغتسل وشرب منها وصلى وشكر الله واخطأ ذو القرنين الطريق فرجع
وذهب آخرون الى انه ميت لقوله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد وقال
النبي صلى الله عليه وسلم بعدما صلى العشاء ليلة ارايتكم هذه فان راس مائة سنة
لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الارض احد ولو كان الخضر حيا لكان لا يعيش بعد وقوله عز
وجل **ويسئلونك عن ذي القرنين** قيل اسمه مرزبان بن مرزبة اليوناني من
ولد يونان بن يافث بن نوح وقيل اسمه الاسكندر بن فيلفوس الرومي كذا صح وكان
من ولد عجوز ليس لها ولد غيره ونقل الامام فخر الدين الرازي في تفسيره عن ابي
الريحان البيروني المنجم في كتابه المسمى بالآثار الباقية عن القرون الخالية انه من
حمير واسمه ابو كرب بن سمي بن فريقس الحميري وهو الذي افتخر به احد شعراء حمير
حيث يقول • قد كان ذو القرنين عمرو مسلما • ملكا علا في الارض غير مفند •

بلغ المشارق والمغارب يلتقي ٭ اسباب ملك من كريم مرشد ٭
فرأى مآب الشمس عند غروبها ٭ في عين ذي خلب وثاط حرمد ٭

قوله فرأى مآب الشمس اي ذهاب الشمس وقوله في عين ذي خلب اي حماة والثاط الحماة ايضا والجمع ثاط والحرمد الطين الاسود وقيل سمي ذي القرنين لانه بلغ قرني الشمس مشرقها ومغربها وقيل لانه ملك فارس والروم وقيل لانه دخل النور والظلمة وقيل انه راى في المنام انه اخذ بقرني الشمس وقيل انه كان له ذوابتان حسنتان وقيل كان له قرنان تواريهما العمامة ويروى عن علي انه امر قومه بتقوى الله فضربوه على قرنه الايمن فمات فاحياه الله ثم بعثه فامرهم بتقوى الله فضربوه على قرنه الايسر فمات فاحياه الله واختلفوا في نبوته فقيل كان نبيا فقوله تعالى قلنا يا ذا القرنين وخطاب الله تعالى لا يكون الا مع الانبيا وقيل لم يكن نبيا قال ابو الطفيل سئل علي عن ذي القرنين اكان نبيا فقال لم يكن نبيا ولا ملكا ولكن عبدا احب الله فاحبه وناصح الله فناصحه وروي ان عمر سمع رجلا يقول لاخر يا ذا القرنين فقال تسميتم باسما الانبيا فلم ترضوا حتى تسموا باسما الملايكة والاصح الذي عليه الاكثرون انه كان ملكا صالحا عادلا وانه بلغ اقصى المغرب والمشرق والشمال وهذا منتهى القدر المعمور من الارض وذلك انه لما مات ابوه جمع ملك الروم بعد ان دان له طوايف ثم مضى الى ملوك المغرب وقهرهم وامعن حتى انتهى الى البحر الاخضر ثم رجع الى مصر وبنى الاسكندرية وسماها باسمه ثم دخل الشام وقصد بيت المقدس وقرب اليه القربان ثم انعطف الى ارمينية وباب الابواب ودانت له ملوك العراق والنبط والبربر واستولى على ممالك الفرس ثم مضى الى الهند والصين وغزا الامم البعيدة ثم رجع الى العراق ومرض بشهرزور ومات بها وحمل الى حيث هو مدفون وقيل ان عمره كان نيفا وثلاثين سنة ومثل هذا الملك البسيط الذي هو على خلاف العادات وجب ان يبقى ذكره مخلدا على وجه الارض فذلك قوله تعالى ويسئلونك عن ذي القرنين **قل سأتلوا عليكم منه ذكرا** اي خبرا تضمن حاله **انا مكنا له في الارض** اي وطأنا له والتمكين تمهيد الاسباب قال علي سخر له السحاب فحمل عليه وحد له في الاسباب وبسط له النور فكان الليل والنهار عليه سوا وسهل عليه السير في الارض وذلل له طريقها **واتيناه من كل شيء** يحتاج اليه الخلق وكل ما يستعين به الملوك على فتح المدن ومحاربة الاعدا **سببا** اي علما يتسبب به الى كل ما يريد ويسير به في اقطار الارض وقيل بلاغا الى حيث اراد وقيل قربنا له اقطار الارض **فاتبع سببا** اي سلك طريقا **حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة** اي حارة وقرئ حمأة اي ذات حماة وهي الطينة السودا وسال معاوية كعب كيف في التوراة تغرب الشمس واين تغرب قال نجد في التوراة انها تغرب في ما وطين وقيل يجوز ان يكون معنى في عين حمئة اي عندها عين حماة او في راي العين وذلك انه بلغ موضعا من المغرب لم يبق بعده شي من العمارات وجد الشمس كانها تغرب في وهدة مظلمة كما ان

راكب

راكب البحر يرى الشمس كانها تغيب في البحر **ووجد عندها قوما** اي عند العين امة قال ابن جريج مدينة لها اثنا عشر الف باب لولا اصوات اهلها سمع الناس وجبة الشمس حين تجب اي تغيب وتسمى بالسريانية جرجيسا يسكنها قوم من نسل ثمود الذين امنوا بصالح **قلنا يا ذا القرنين** يستدل بهذا من يزعم انه كان نبيا فان الله خاطبه ومن قال انه لم يكن نبيا قال المراد منه الالهام وقيل يحتمل ان يكون الخطاب على لسان غيره **اما ان تعذب** يعني تقتل ان لم يدخلوا في الاسلام **واما ان تتخذ فيهم حسنا** يعني تعفو وتصفح وقيل تاسرهم فتعلمهم الهدى خيره الله بين الامرين **قال اما من ظلم** اي كفر **فسوف نعذبه** اي نقتله **ثم يرد الى ربه** اي في الاخرة **فيعذبه عذابا نكرا** اي منكرا يعني بالنار لانها انكر من القتل **واما من امن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى** اي جزاء اعماله الصالحة **وسنقول له من امرنا يسرا** اي نلين له القول ونعامله باليسر من امرنا **ثم اتبع سببا** اي سلك طريقا ومنازل **حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا** قيل انهم كانوا في مكان ليس بينهم وبين الشمس ستر من جبل ولا شجر ولا يستقر عليهم بنا فاذا طلعت دخلوا في اسراب لهم تحت الارض فاذا زالت الشمس عنهم خرجوا الى معايشهم وحروثهم وقيل كانوا اذا طلعت الشمس نزلوا في الما فاذا ارتفعت عنهم خرجوا فرعوا كالبهايم وقيل هم قوم عراة يفترش احدهم احدى اذنيه ويلتحف بالاخرى وقيل هم قوم من نسل مؤمني قوم هود واسم مدينتهم جابلقا واسمها بالسريانية مرقيسا وهم مجاورون ياجوج وماجوج فقوله تعالى **كذلك** اي كما بلغ مغرب الشمس كذلك بلغ مطلعها وقيل معناه انه حكم في القوم الذين هم عند مطلعها كما حكم في القوم الذين عند مغربها وهو الاصح **وقد احطنا بما لديه خبرا** اي علما بما عنده ومن معه من الجند والعدة والات الحرب وقيل معناه ولقد علمنا حين ملكناه ما عنده من الصلاحية لذلك الملك والاستقلال بامره والقيام به فقوله عز وجل **ثم اتبع سببا حتى اذا بلغ بين السدين** هما جبلان في ناحية الشمال في منقطع ارض الترك حكي ان الواثق بعث بعض من يوثق به من اتباعه اليه ليعاينوه فخرجوا من باب الابواب حتى وصلوا اليه وشاهدوه فوصفوا انه بنا من لبن حديد مشدود بالنحاس المذاب وعليه باب مقفل **وجد من دونهما قوما** يعني امام السدين قيل هم الترك **لا يكادون يفقهون قولا** قال ابن عباس لا يفقهون كلام احد ولا يفهم الناس كلامهم **قالوا يا ذا القرنين** فان قلت كيف اثبت لهم القول وهم لا يفقهون قلت تكلم عنهم مترجم ممن هو مجاورهم ويفهم كلامهم وقيل معناه لا يكادون يفهمون الا بجهد ومشقة من اشارة ونحوها كما يفهم الاخرس **ان ياجوج وماجوج** اصلهما من اجيج النار وهو ضوءها ونورها شبهوا به لكثرتهم وشدتهم وهم اولاد يافث بن نوح والترك منهم قيل انطايفة

منهم خرجت تغيير وضرب ذو القرنين السد فبقوا خارجه فسموا الترك لذلك
لانهم تركوا خارجين قال اهل التواريخ اولاد نوح ثلاثة سام وحام ويافث
فسام ابو العرب والعجم والروم وحام ابو الحبشة والزنج والنوبة ويافث ابو
الترك والخزر والصقالبة ويأجوج ومأجوج قال ابن عباس هم عشرة اجزاء وولد
ادم كلهم جزء وروى حذيفة مرفوعا ان يأجوج امة ومأجوج امة وكل امة اربعة
الاف امة لا يموت الرجل منهم حتى ينظر الف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح وهم من
ولد ادم يسيرون الى خراب الدنيا قال هم ثلاثة اصناف صنف منهم امثال الارز
شجر بالشام طوله عشرون ومائة ذراع وهم لا يقوم لهم جبل ولا حديد وصنف
منهم يفترش احدهم اذنه ويلتحف بالاخرى لا يمرون بفيل ولا وحش ولا خنزير الا
اكلوه ومن مات منهم اكلوه مقدمتهم بالشام وساقتهم بخراسان يشربون انهار
المشرق وبحيرة طبرية وعن علي رضي الله عنه قال منهم من طوله شبر ومنهم من هو
مفرط في الطول وقال كعب هم نادرة في ولد ادم وذلك ان ادم احتلم ذات يوم وامتزجت
نطفته بالتراب فخلق الله من ذلك الماء يأجوج ومأجوج فهم متصلون بنا من
جهة الاب دون الام وذكر وهب بن منبه ان ذا القرنين كان رجلا من الروم
ابن عجوز فلما بلغ كان عبدا صالحا قال الله تعالى اني باعثك الى امم مختلفة السنتهم
منهم امتان بينهما طول الارض احدهما عند مغرب الشمس يقال لها ناسك والاخرى
عند مطلعها يقال لها منسك وامتان بينهما عرض الارض احدهما في القطر الايمن
يقال له هاويل والاخرى في قطر الارض الايسر يقال لها تاويل وامم في وسط الارض
منهم الجن والانس ويأجوج ومأجوج فقال ذو القرنين باي قوة اكابرهم وباي
جمع اكاثرهم وباي لسان اناطقهم قال الله تعالى اني سأطوقك وابسط لسانك واشد
عضدك فلا يهولنك شيء والبسك ثوب هيبة فلا يرد عليك شيء واسخر لك النور
والظلمة واجعلهما من جنودك فالنور يهديك من امامك والظلمة تحوطك من ورائك
فانطلق حتى اتى مغرب الشمس فوجد جمعا وعددا لا يحصيه الا الله فكاثرهم بالظلمة
حتى جمعهم في مكان واحد فدعاهم الى الله وعبادته فمنهم من امن به ومنهم من صد عنه
فعمد الى الذين تولوا عنه فادخل عليهم الظلمة فدخلت اجوافهم وبيوتهم فدخلوا في
دعوته فجند من اهل المغرب جندا عظيما وانطلق يقودهم والظلمة تسوقهم حتى
اتى هاويل ففعل فيهم كفعله في ناسك ثم مضى حتى اتى منسك ففعل فيهم كفعله
في الامتين وجند منهم جندا ثم اخذ ناحية اليسرى فاتى تاويل ففعل بهم كفعله فيما
قبلها ثم عمد الى الامم التي في وسط الارض فلما كان مما يلي منقطع الترك مما يلي
المشرق قالت له امة صالحة من الانس يا ذا القرنين ان بين هذين الجبلين خلقا
اشباه البهائم يفترسون الدواب والوحوش كالسباع ويأكلون الحيات والعقارب
وكل ذي روح خلق الله في الارض وليس يزداد خلق كزيادتهم فلا نشك انهم سيملكون
الارض ويظهرون عليها ويفسدون فيها فهل نجعل لك خرجا على ان تجعل بيننا وبينهم

سدا

سدا قال ما مكني فيه ربي خير قال اعدوا الي الصخور والحديد والنحاس حتى اعلم
علمهم فانطلق حتى توسط بلادهم فوجدهم على مقدار واحد يبلغ طول الواحد
منهم مثل نصف الرجل المربوع لهم مخاليب واضراس كالسباع ولهم هدب الشعر
يواري اجسادهم ويتقون به من الحر والبرد ولكل واحد منهم اذنان عظيمتان يفترش
احداهما ويلتحف بالاخرى يصيف في واحدة ويشتي في الاخرى يتسافدون
تسافد البهائم حيث التقوا فلما عاين ذو القرنين ذلك انصرف الى بين الصدفين
فقاس ما بينهما وحفر له اساسا حتى بلغ الماء فذلك قالوا يا ذا القرنين ان يأجوج
ومأجوج **مفسدون في الارض** قيل فسادهم انهم كانوا يخرجون ايام الربيع الى
ارضهم فلا يدعون فيها شيئا اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه وادخلوه ارضهم
فلقوا منهم اذى شديدا وقيل فسادهم انهم كانوا يأكلون الناس وقيل معناه
انهم سيفسدون عند خروجهم **فهل نجعل لك خرجا** اي جعلا من اموالنا
على ان تجعل بيننا وبينهم سدا اي حاجزا فلا يصلون الينا **قال** لهم ذو
القرنين **ما مكني فيه ربي خير** اي ما قواني به ربي خير من جعلكم **فاعينوني**
بقوة يعني لا اريد منكم المال بل اعينوني بايديكم وقوتكم **اجعل بينكم**
وبينهم ردما اي سدا قالوا وما تلك القوة قال فعلة وصناع يحسنون
البناء والالة قالوا فما تلك الالة قال **اتوني** اي اعطوني او قال جيئوني
زبر الحديد اي اعطوني زبر الحديد اي قطع الحديد فاتوه بها وبالحطب فجعل
الحطب على الحديد والحديد على الحطب **حتى اذا ساوى بين الصدفين** اي
بين طرفي الجبلين **قال انفخوا** يعني في النار **حتى اذا جعله نارا** اي صار نارا
قال اتوني افرغ عليه اي اصب عليه **قطرا** اي نحاسا مذابا فجعلت النار تأكل
الحطب وجعل النحاس يسيل مكانه حتى لزم الحديد قيل ان السد كالبرد
المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء وقيل ان عرضه خمسون ذراعا وارتفاعه
مائة ذراع وطوله فرسخ واعلم ان هذا السد معجزة عظيمة ظاهرة لان الزبرة
الكبيرة اذا نفخ عليها حتى صارت كالنار لم يقدر احد على القرب منها والنفخ عليها
لا يمكن الا بالقرب فكانه تعالى صرف تاثير تلك الحرارة العظيمة عن ابدان اولئك
النافخين حتى تمكنوا من العمل فيه **فما اسطاعوا ان يظهروه** اي يعلوا عليه لعلوه
وملاسته **وما استطاعوا له نقبا** اي من اسفله لشدته وصلابته **قال** يعني
ذو القرنين **هذا** اي السد **رحمة من ربي** اي نعمة من ربي **فاذا جاء وعد ربي**
قيل يعني يوم القيامة وقيل وقت خروجهم **جعله دكا** اي ارضا ملساء وقيل
مدكوكا مستويا مع الارض **وكان وعد ربي حقا** عن ابي هريرة رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج
مثل هذه وعقد بيده تسعين قوله عقد تسعين هذا من موضوعات الحساب
وهو ان تجعل راس اصبعك السبابة في وسط الابهام من باطنها تشبه الحلقة

لكن لا يتبين الا لخلل يسير وعنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في السد
يحفرونه كل يوم حتى اذا كادوا يخرقونه قال الذي عليهم ارجعوا فستخرقونه غدا قال فيعيده
الله كاشد ما كان حتى اذا بلغ مدتهم واراد الله ان يبعثهم على الناس قال الذي
عليهم ارجعوا فستخرقونه غدا ان شاء الله تعالى واستثنى قال فيرجعون فيجدونه
على هيئته حين تركوه فيخرقونه فيخرجون على الناس فيستقون المياه ويفر
منهم الناس وفي رواية فيتحصن الناس في حصونهم فيرمون بسهامهم الى السما فترجع
مخضبة بالدما فيقولون قهرنا من في الارض وعلونا من في السما فيزدادون
قسوة وعلوا فيبعث الله عليهم نغفا في رقابهم فيهلكون قال فوالذي نفسي
بيده ان دواب الارض لتسمن وتشكر من لحومهم شكرا اخرجه الترمذي قوله
قسوة وعلوا اي غلظة وفظاظة وتكبرا والنغف دود يكون في انوف الابل
والغنم وقوله وتشكر يقال شكرت الشاة تشكر شكرا اذا امتلا ضرعها لبنا
والمعنى انها تمتلئ اجسادها لحما وتسمن خ عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال ليحجن البيت وليعتمرن بعد خروج ياجوج وماجوج قوله عز
وجل **وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض** قيل هذا عند فتح السد يقول تركنا
ياجوج وماجوج يموج اي يدخل بعضهم في بعض كموج الما ويختلط بعضهم
ببعض لكثرتهم وقيل هذا عند قيام الساعة يدخل الخلق بعضهم في بعض
ويختلط انسيهم بجنيهم حيارى **ونفخ في الصور** فيه دليل على ان خروج ياجوج
وماجوج من علامات قرب الساعة **فجمعناهم جمعا** اي في صعيد واحد
وعرضنا اي ابرزنا **جهنم يومئذ للكافرين عرضا** اي شاهدوها عيانا **الذين
كانت اعينهم في غطاء** اي في غشاء وستر **عن ذكري** اي عن الايمان والقران
والهدى والبيان وقيل عن رؤية الدلائل وتبصرها **وكانوا لا يستطيعون
سمعا** اي سمع القران والايمان لغلبة الشقا عليهم وقيل معناه لا يستطيعون
ان يسمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم لشدة عداوتهم له **افحسب** اي افظن
الذين كفروا ان يتخذوا عبادي من دوني اولياء يعني اربابا يريد عيسى والملائكة
بل هم لهم اعداء ويتبرؤون منهم قال ابن عباس يعني الشياطين اطاعوهم من دون
الله والمعنى افظن الذين كفروا ان يتخذوا عبادي اولياء واني لا اغضب لنفسي فلا
اعاقبهم وقيل معناه فظنوا انهم ينفعهم ان يتخذوا من دوني اولياء **انا اعتدنا**
اي هيانا **جهنم للكافرين نزلا** اي منزلا قال ابن عباس هي مثواهم وقيل معناه لهم
عندنا كالمنزل للضيف قوله عز وجل **قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا** يعني
الذين اتعبوا انفسهم في عمل يرجون به فضلا ونوالا فنالوا هلاكا وبوارا قال
ابن عباس هم اليهود والنصارى وقيل هم الرهبان الذين حبسوا انفسهم في الصوامع
وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه هم اهل حروراء يعني الخوارج **الذين ضل سعيهم**
اي بطل عملهم واجتهادهم في الحياة الدنيا **وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا**

اي عملا

اي عملا لانه وصفهم فقال تعالى **اولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه**
يعني انهم جحدوا دلائل الله وقدرته وكفروا بالبعث والثواب والعقاب وذلك لانهم
كفروا بالنبي صلى الله عليه وسلم وبالقران فصاروا كافرين بهذه الاشيا **فحبطت
اعمالهم** اي بطلت **فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا** وقيل لا نقيم لهم ميزانا لان
الميزان انما يوضع لاهل الحسنات والسيئات من الموحدين ليتميز مقدار الطاعات
ومقدار السيئات قال ابو سعيد الخدري ياتي الناس باعمال يوم القيامة هي عنده
في العظم كجبال تهامة فاذا وزنوها لم تزن شيئا فذلك قوله تعالى فلا نقيم لهم
يوم القيامة وزنا وقيل معناه نزدريهم فليس لهم عندنا حظ ولا قدر
ولا وزن ق عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال انه
لياتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة فلا يزن عند الله جناح بعوضة وقال
اقرؤوا ان شئتم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا **ذلك** اشارة الى ما ذكره
من حبوط اعمالهم وخسة قدرهم ثم ابتدا فقال **جزاؤهم جهنم بما كفروا
واتخذوا آياتي ورسلي هزوا** يعني سخرية واستهزاء قوله تعالى **ان الذين
امنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا** عن ابي هريرة رضي الله
عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا سالتم الله فاسالوه الفردوس فانه
اوسط الجنة واعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر انهار الجنة قال
كعب ليس في الجنان جنة اعلى من جنة الفردوس فيها الامرون بالمعروف والناهون
عن المنكر وقال قتادة الفردوس ربوة الجنة وافضلها واوسطها وارفعها
وقيل الفردوس البستان الذي فيه الاعناب وقيل هي الجنة الملتفة بالاشجار
التي تنبت ضروبا من النبات وقيل الفردوس بالرومية وقيل بلسان الحبشة
منقول الى العربية نزلا اي منزلا ومهيا للنازل على معنى كانت لهم ثمار جنات الفردوس
ونعيمها نزلا وقيل في معنى كانت لهم اي في علم قبل ان يخلقوا **خالدين فيها لا
يبغون** اي لا يطلبون **عنها حولا** اي تحويلا الى غيرها قال ابن عباس لا
يريدون ان يتحولوا عنها كما ينتقل الرجل من دار اذا لم توافقه الى دار اخرى قوله
عز وجل **قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي** قالت اليهود يا محمد تزعم انا قد
اوتينا الحكمة وفي كتابك ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ثم تقول وما
اوتيتم من العلم الا قليلا فانزل الله تعالى هذه الاية وقيل لما نزلت وما اوتيتم
من العلم الا قليلا قالت اليهود اوتينا التوراة وفيها علم كل شيء فانزل الله
تعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو
جئنا بمثله مددا اي مدة وهو ما يستمده الكاتب فيكتب به واصله من الزيادة
قال مجاهد لو كان البحر مدادا للقلم والقلم يكتب قبل والخلائق يكتبون **لنفد
البحر** اي لنفد ماؤه **قبل ان تنفد كلمات ربي** اي علمه **ولو جئنا بمثله
مددا** والمعنى ولو كان الخلائق يكتبون والبحر يمدهم لفني ماء البحر ولم تفن كلمات

ولوجينا بمثل ما البحر في كثرته مددا وزيادة قوله عز وجل قل انما انا بشر مثلكم
قال ابن عباس علم الله رسوله صلى الله عليه وسلم التواضع لئلا يزهى على خلقه
فامره ان يقر فيقول انا ادمي مثلكم الا اني خصصت بالوحي واكرمني الله به وهو قوله
تعالى يوحى الي انما الهكم اله واحد لا شريك له في ملكه فمن كان يرجو لقاء ربه
اي يخاف المصير اليه وقيل يؤمل رؤية ربه فليعمل عملا صالحا اي من حصل له
رجاء لقاء الله والمصير اليه فليستعمل نفسه في الاعمال الصالحة ولا يشرك بعبادة ربه
احدا اي لا يرائي بعمله ولما كان العمل الصالح قد يراد به وجه الله وقد يراد به الرياء
والسمعة اعتبر فيه قيدان احدهما ان يراد به الله تعالى والثاني ان يكون مبرءا من جهات
الشرك جميعها ق عن جندب بن عبد الله البجلي قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من سمع
سمع الله به ومن يرائي يرائي الله به قوله من سمع سمع الله به اي من عمل عملا مرائيا
للناس يشتهره بذلك شهره الله يوم القيامة وقيل معنى سمع الله به اي اسمعه المكروه
م عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تبارك
وتعالى يقول انا اغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملا اشرك فيه غيري تركته
وشركه ولغير مسلم فانا منه بريء هو للذي عمله عن سعيد بن ابي فضالة قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا جمع الله الناس ليوم لا ريب فيه نادى
مناد من كان يشرك في عمله لله احدا فليطلب ثوابه منه فان الله اغنى الشركاء عن
الشرك اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال
اخوف الناس ما اخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الرياء
عن ابي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من حفظ عشر ايات من اول سورة
الكهف عصم من فتنة الدجال وفي رواية من اخرها والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة مريم عليها السلام

وهي مكية وهي ثمان وتسعون اية واثنان وثمانون وسبعمائة كلمة وثلاثة الاف
وسبعمائة حرف بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل كهيعص قال ابن عباس هو اسم من اسماء الله تعالى وقيل اسم
للقران وقيل للسورة وقيل هو قسم اقسم الله به وعن ابن عباس ايضا قال
الكاف من كريم وكبير والهاء من هادي والياء من رحيم والعين من عليم والصاد من
صادق وقيل معناه كاف لخلقه هاد لعباده يده فوق ايديهم عالم ببريته صادق
في وعده ذكر اي هذا الذي ذكرا الذي نتلو عليك رحمة ربك عبده زكريا برحمته
اذ نادى اي دعا ربه في المحراب نداء خفيا اي دعا سرا في قومه في جوف
الليل وقيل راعى سنة الله في اخفاء دعائه لان الجهر والاسرار عند الله سبحانه
وتعالى سيان لكن الاخفاء اولى لانه ابعد من الرياء وادخل في الاخلاص وقيل اخفاه
لئلا يلام في طلب الولد في زمن الشيخوخة وقيل خفت صوته لضعفه وهرمه

يدل عليه قوله تعالى قال رب اني وهن العظم مني اي ضعف من الكبر وقيل اشتكى
سقوط الاضراس واشتعل الراس اي ابيض الشعر شيبا اي شمطا ولم
اكن بدعائك رب شقيا اي عودتني الاجابة فيما مضى ولم تخيبني وقيل معناه
لما دعوتني الى الايمان امنت ولم اشق بترك الايمان واني خفت الموالي من ورائي
اي من بعد موتي والموالي هم بنو العم وقيل العصبة وقيل الكلالة وقيل جميع
الورثة وكانت امراتي عاقرا اي لا تلد فهب لي من لدنك وليا اي اعطني
من عندك وليا مرضيا يرثني ويرث من ال يعقوب اي وليا وارثا وقيل
يرث مالي ويرث من ال يعقوب النبوة والحبورة وقيل اراد ميراث النبوة
والعلم وقيل اراد الحبورة لان زكريا كان راس الاحبار والاولى ان يحمل على ميراث
المال لان الانبياء لم يورثوا المال انما ورثوا العلم ويبعد من زكريا وهو نبي من الانبياء
ان يشفق على ماله ان يرثه بنو عمه وانما خاف ان يضيع بنو عمه دين الله ويغيروا احكامه
وذلك لما انه شاهد من بني اسرائيل من تبديل الدين وقتل الانبياء فسال ربه ولدا
صالحا يامنه على امته ويرث نبوته وعلمه لئلا يضيع وهذا قول ابن عباس واجعله
رب رضيا اي برا تقيا مرضيا قوله عز وجل يا زكريا المعنى فاستجاب الله
دعاءه فقال يا زكريا انا نبشرك بغلام اي بولد اسمه يحيى لم نجعل له من
قبل سميا اي لم يسم احد قبله بيحيى وقيل معناه لم نجعل له شبيها ومثلا
وذلك لانه لم يعص الله ولم يهم بمعصية قط قال ابن عباس لم يلد العواقر مثله
ولدا وقيل لم يرد الله بذلك اجتماع الفضائل كلها ليحيى وانما المراد بعضها لان
الخليل والكليم كانا قبله وهما افضل منه قال رب انى يكون من اين يكون
لي غلام وكانت امراتي عاقرا اي وامراتي عاقر وقد بلغت من الكبر عتيا
اي يبسا يريد بذلك نحول الجسم ودقة العظم ونحول الجلد قال كذلك
قال ربك هو علي هين اي يسير وقد خلقتك من قبل اي من قبل يحيى
ولم تك شيئا قال رب اجعل لي اية اي دلالة على حمل امراتي قال ايتك اي علامتك
الا تكلم الناس ثلاث ليال سويا اي صحيحا سليما من غير ما باس ولا خرس
وقيل ثلاث ليال متتابعات والاول اصح قيل انه لم يقدر فيها ان يتكلم الناس
فاذا اراد ذكر الله انطلق لسانه قوله عز وجل فخرج على قومه من المحراب
اي من الموضع الذي كان يصلي فيه وكان الناس من وراء المحراب ينتظرونه حتى
يفتح لهم فيدخلون ويصلون اذ خرج عليهم زكريا متغيرا لونه فانكروه وقالوا له
ما لك فاوحى اليهم اي فاومى واشار اليهم وقيل كتب لهم في الارض ان سبحوا
اي صلوا الله بكرة وعشيا المعنى انه كان يخرج على قومه بكرة وعشيا فيامرهم
بالصلاة فلما كان حمل امراته منع من الكلام خرج اليهم فامرهم بالصلاة اشارة
قوله تعالى يا يحيى فيه اضمار معناه فقلنا له يا يحيى ووهبنا له يحيى وقلنا
خذ الكتاب اي خذ التوراة بقوة اي بجد واجتهاد واتيناه الحكم قال ابن

عباس يعني النبوة **صبيًا** وهو ابن ثلاث سنين وذلك ان الله تعالى احكم عقله واوحى
اليه فان قلت كيف يصح حصول العقل والفطنة والنبوة حال الصبا قلت
لان اصل النبوة مبني على خرق العادات اذا ثبت هذا فلا يمنع صيرورة الصبي نبيا
وقيل اراد الحكم فهم الكتاب فقرأ التوراة وهو صغير عن بعض السلف قال
من قرأ القرآن قبل ان يبلغ فهو اوتي الحكم صبيا **وحنانا من لدنا** اي رحمة
من عندنا قال الحطيئة يخاطب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه

تحنن علي هداك المليك ۞ فان لكل مقام مقالا

اي ترحم علي **وزكاة** قال ابن عباس يعني بالزكاة الطاعة والاخلاص وقيل هي
العمل الصالح ومعنى الاية وآتيناه رحمة من عندنا وتحننا على العباد ليدعوهم
الى طاعة ربهم وعملا صالحا في الاخلاص **وكان تقيا** اي مسلما خالصا مطيعا
وكان من تقواه انه لم يعمل خطيئة ولم يهم بها قط **وبرا بوالديه** اي بارا لطيفا بهما
محسنا اليهما لانه لا عبادة بعد تعظيم الله اعظم من بر الوالدين يدل عليه قوله
تعالى وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا الاية **ولم يكن
جبارا** الجبار المتكبر وقيل الذي يقتل ويضرب على الغضب وقيل الجبار الذي
لا يرى لاحد على نفسه حقا وهو من التعظيم بنفسه من يلزمه قضاء لاحد **عصيا**
قيل هو ابلغ من العاصي والمراد وصف يحيى بالتواضع ولين الجانب وهو من صفات
المؤمنين **وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا**
معناه واما له من الله يوم ولد من ان يناله الشيطان كما ينال سائر بني ادم
ويوم يموت امان له من عذاب القبر ويوم يبعث حيا اي من عذاب يوم القيامة
وقيل اوحش ما يكون الخلق في ثلاثة مواطن يوم ولد لانه يرى نفسه خارجا
مما كان فيه ويوم يموت لانه يرى قوما ما شاهدهم ويوم يبعث لانه يرى مشهدا
عظيما فاكرم الله يحيى في هذه المواطن كلها فخصه بالسلامة فيها فقوله عز وجل
واذكر في الكتاب اي في القرآن **مريم اذ انتبذت** اي تنحت واعتزلت **من اهلها**
اي من قومها **مكانا شرقيا** اي مكانا في الدار مما يلي المشرق وكان ذلك اليوم
شاتيا شديد البرد فجلست في مشرقة تفلي راسها وقيل ان مريم كانت قد طهرت
من الحيض فذهبت تغتسل وقيل ولهذا المعنى اتخذ النصارى المشرق قبلة
فاتخذت اي فضربت **من دونهم حجابا** قال ابن عباس سترا وقيل جلست وراء
جدار وقيل ان مريم كانت تكون في المسجد فاذا حاضت تحولت الى بيت خالتها
حتى اذا طهرت عادت الى المسجد فبينما هي تغتسل من الحيض تجردت اذ عرض لها
جبريل في صورة شاب امرد وضيء الوجه سوي الخلق فذلك قوله **فارسلنا اليها
روحنا** يعني جبريل **فتمثل لها بشرا سويا** اي سوي الخلق لم ينقص من الصورة
الادمية شيئا وانما مثل لها في صورة الانسان لتستأنس بكلامه ولا تنفر عنه
ولو بدا لها في صورة الملائكة لنفرت عنه ولم تقدر على استماع كلامه وقيل المراد

من الروح روح عيسى جاء في صورة بشر فحملت به والقول الاول اصح فلما رأت مريم
جبريل عليه السلام يقصد نحوها بادرته من بعيد **قالت اني اعوذ بالرحمن منك
ان كنت تقيا** اي مؤمنا مطيعا لله تعالى دل تعوذها من تلك الصورة الحسنة
على عفتها وورعها فان قلت انما يستعاذ من الفاجر فكيف قالت ان كنت تقيا
قلت هذا كقول القائل ان كنت مؤمنا فلا تظلمني اي ينبغي ان يكون ايمانك
مانعا لك من الظلم كذلك ها هنا معناه ينبغي ان يكون تقواك مانعا لك من الفجور
قال لها جبريل **انما انا رسول ربك ليهب** اسند الفعل اليه وان كانت الهبة
من الله تعالى لانه ارسل به **لك غلاما زكيا** قال ولدا صالحا طاهرا من الذنوب
قالت مريم **انى يكون** اي من اين يكون **لي ولد ولم يمسسني بشر**
اي ولم يقربني زوج **ولم اك بغيا** اي فاجرة تريد ان الولد انما يكون من
نكاح او سفاح ولم يكن ها هنا واحد منهما **قال** جبريل **كذلك قال ربك**
اي هكذا قال ربك **هو علي هين** اي خلق ولد بلا اب **ولنجعله اية
للناس** اي علامة لهم ودلالة على قدرتنا **ورحمة منا** اي ونعمة لمن تبعه
على دينه الى بعثة محمد صلى الله عليه وسلم **وكان امرا مقضيا** اي محكوما مفروغا
منه لا يغير ولا يبدل فقوله عز وجل **فحملته** قيل ان جبريل رفع درعها باصبعه
فنفخ في جيبه فحملت حين لبست الدرع وقيل مد جيب درعها باصبعه ثم نفخ
في الجيب وقيل نفخ في كمها وقيل في ذيلها وقيل في فيها وقيل نفخ من بعيد فوصل
النفخ اليها فحملت بعيسى عليه السلام في الحال **فانتبذت به** اي فلما حملت
تنحت بالحمل وانفردت **مكانا قصيا** اي بعيدا من اهلها قال ابن عباس اقصى الوادي
وهو واد بيت لحم فرارا من اهلها وقومها ان يعيروها بولادتها من غير زوج قال
ابن عباس كان الحمل والولادة في ساعة واحدة وقيل حملته في ساعة وصور في
ساعة ووضعته في ساعة حين زالت الشمس من يومه وقيل كانت مدة حملها
تسعة اشهر كحمل سائر الحوامل من النساء وقيل كانت مدة حملها ثمانية اشهر وذلك
اية اخرى له لانه لا يعيش من ولد لثمانية اشهر وولد عيسى لهذه المدة وعاش وقيل
ولد لستة اشهر وهي بنت عشر سنين وقيل ثلاث عشرة وقيل ست عشرة سنة
وكانت قد حاضت حيضتين قبل ان تحمل بعيسى وقال وهب ان مريم لما حملت
بعيسى كان معها ابن عم لها يقال له يوسف النجار وكانا منطلقين الى المسجد
الذي بمنه جبل صهيون وكان مريم ويوسف يخدمان ذلك المسجد ولا يعلم من
اهل زمانهما احد اشد عبادة واجتهادا منهما واول من عرف حمل مريم يوسف
فبقي متحيرا في امرها كلما اراد ان يتهمها ذكر عبادتها وصلاحها وانها لم تغب عنه
واذا اراد ان يبرئها راى الذي ظهر بها من الحمل فاول ما تكلم به ان قال انه وقع
في نفسي من امرك شيء وقد حرصت على كتمانه فغلبني ذلك فرأيت ان اتكلم به اشفي
صدري فقالت قل قولا جميلا قال اخبريني يا مريم هل ينبت زرع بغير بذر

وهل ينبت شجر من غير غيث وهل يكون ذلك من غير ذكر فقالت نعم ألم تعلم أن الله
أنبت الزرع يوم خلقه من غير بذر ألم تعلم أن الله أنبت الشجرة بالقدرة من
غير غيث أو تقول إن الله لا يقدر أن ينبت الشجرة حتى استعان بالماء ولولا ذلك
لم يقدر على إنباتها قال يوسف لا أقول هذا ولكن أقول إن الله يقدر على كل شيء يقول له كن
فيكون قالت له مريم ألم تعلم أن الله تعالى خلق آدم وامرأته من غير ذكر ولا أنثى
فعند ذلك زال ما في نفسه من التهمة وكان ينوب عنها في خدمة المسجد لاستيلاء
الضعف عليها بسبب الحمل فلما دنى ولادتها أوحى الله إليها أن اخرجي من أرض قومك
فذلك قوله تعالى فانتبذت به مكانا قصيا قوله عز وجل **فأجاءها المخاض** أي
ألجأها المخاض وجع الولادة **إلى جذع النخلة** وكانت نخلة يابسة في الصحراء في شدة
البرد ولم يكن لها سعف وقيل التجأت إليها لتستند إليها وتستمسك بها من شدة
الطلق ووجع الولادة **قالت يا ليتني مت قبل هذا** تمنت الموت استحياء من الناس
وخوف الفضيحة **وكنت نسيا منسيا** يعني شيئا حقيرا متروكا لم يذكر ولم يعرف
لحقارته جيفة ملقاة وقيل معناه أنها تمنت أنها لم تخلق **فناداها من تحتها**
قيل إن مريم كانت على أكمة وجبريل وراء الأكمة تحتها وقيل ناداها من سفح الجبل
وقيل هو عيسى وذلك أنه لما خرج من بطن أمه ناداها **أن لا تحزني قد جعل ربك
تحتك سريا** أي نهرا قال ابن عباس ضرب جبريل وقيل عيسى برجله في الأرض
فظهرت عين ماء عذبة وجرى وقيل كان هناك نهر يابس أجرى الله فيه الماء
وحييت النخلة اليابسة فأورقت وأثمرت وأرطبت وقيل معنى تحتك أي بأمرك
إن أمرتيه أن يجري جرى وإن أمرتيه بالإمساك أمسك وقيل معنى سريا أي عيسى
وكان عبدا سريا رفيعا **وهزي إليك** أي حركي **بجذع النخلة تساقط عليك
رطبا جنيا** قيل الجني الذي بلغ الغاية وجاء أوان اجتنائه قال الربيع بن
خثيم ما للنفساء عندي خير من الرطب ولا للمريض خير من العسل **فكلي واشربي**
أي يا مريم كلي من الرطب واشربي من النهر **وقري عينا** أي طيبي نفسا وقيل قري
عينك بولدك عيسى يقال أقر الله عينك أي صادف فؤادك ما يرضيك فتقر
عينك من النظر إلى غيره **فإما ترين من البشر أحدا** معناه يسألك عن ولدك
فقولي إني نذرت للرحمن صوما أي صمتا قيل كان في بني إسرائيل من أراد
أن يجتهد صام عن الكلام كما يصوم عن الطعام فلا يتكلم حتى يمسي وقيل إن الله
تعالى أمرها أن تقول هكذا إشارة وقيل أمرها أن تقول هذا القول نطقا ثم
تمسك عن الكلام وإنما منعت عن الكلام لأمرين أحدهما أن يكون عيسى عليه السلام
هو المتكلم عنها ليكون أقوى لحجتها في إزالة التهمة عنها وفيه دلالة على تفويض الكلام
إلى الأفضل أولى الثاني كراهة مجادلة السفهاء وفيه أن السكوت عن السفيه واجب
فلن أكلم اليوم إنسيا يقال إنها كانت تكلم الملائكة ولم تكلم الإنس
قوله تعالى **فأتت به قومها تحمله** قيل إنها لما ولدت عيسى حملته في الحال إلى

قومها وقيل إن يوسف النجار احتمل مريم وابنها عيسى إلى غار فمكثت به أربعين يوما
حتى طهرت من نفاسها ثم حملته إلى قومها فكلمها عيسى في الطريق فقال يا أماه أبشري
فإني عبد الله ومسيحه فلما دخلت إلى أهلها ومعها الصبي بكوا وحزنوا وكانوا أهل
بيت صالحين **قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا** أي عظيما منكرا وقيل معناه جئت
بأمر عجيب بديع **يا أخت هارون** أي يا شبيهة هارون قيل كان رجلا صالحا
في بني إسرائيل شبهت به في عفتها وصلاحها وليس المراد منه الأخوة في النسب
قيل إنه تبع جنازته يوم مات أربعون ألفا من بني إسرائيل كلهم يسمى هارون سوى سائر
الناس عن المغيرة بن شعبة قال لما قدمت نجران سألوني فقالوا إنكم تقرءون
يا أخت هارون وموسى قبل عيسى بكذا وكذا فلما قدمت على رسول الله صلى الله
عليه وسلم سألته عن ذلك فقال إنهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم
وقيل كان هارون أخا مريم لأبيها من أمثل رجل في بني إسرائيل وقيل إنما عنوا هارون
أخا موسى لأنها كانت من نسله كما يقال للتميمي يا أخا تميم وقيل كان هارون فاسقا
في بني إسرائيل أعظم الفسق فشبهوها به **ما كان أبوك** يعني عمران **امرأ سوء**
قال ابن عباس زانيا **وما كانت أمك بغيا** يعني حنة بغيا أي زانية فمن
أين لك هذا الولد **فأشارت إليه** أي أشارت مريم إلى عيسى أن كلمهم قال ابن
مسعود لما لم يكن لها حجة أشارت إليه ليكون كلامه حجة لها وقيل لما أشارت
إليه غضب القوم وقالوا مع ما فعلت تسخرين بنا **قالوا كيف نكلم من كان في
المهد صبيا** قيل أراد بالمهد الحجر وهو حجرها وقيل هو المهد بعينه وقيل معنى هو
قيل لما سمع عيسى كلامهم ترك الرضاع وأقبل عليهم وقيل لما أشارت إليه ترك
الرضاع واتكى على يساره وأقبل عليهم وجعل يشير بيمينه **وقال إني عبد الله**
قال وهب أتاها زكريا عند مناظرتها اليهود فقال لعيسى انطق بحجتك إن كنت
أمرت بها فقال عند ذلك عيسى وهو ابن أربعين يوما وقيل بل يوم ولد إني عبد الله
أقر على نفسه بالعبودية لله تعالى أول ما تكلم لئلا يتخذ إلها فإن قلت الذي
اشتدت إليه الحاجة في ذلك الوقت نفي التهمة عن أمه وإن عيسى لم ينص على ذلك
وإنما نص على إثبات عبودية نفسه لله تعالى قلت لأنه جعل إزالة التهمة
عن الله تعالى أولى من إزالة التهمة عن أمه فلهذا أول ما تكلم به إنما تكلم بالاعتراف
على نفسه بالعبودية لتحصل إزالة التهمة عن الأمر لأن الله تعالى لم يخص بهذه
الرتبة العظيمة من ولد في زنا والتكلم بإزالة التهمة عن أمه لا يفيد إزالة التهمة
عن الله تعالى وكان الاشتغال بذلك أولى **آتاني الكتاب وجعلني نبيا** أي
سيجعلني نبيا ويؤتيني الكتاب وهذا إخبار عما كتب في اللوح المحفوظ كما قيل
للنبي صلى الله عليه وسلم متى كنت نبيا قال كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد
وقال الأكثرون إنه أوتي الإنجيل وهو صغير وكان يعقل عقل الرجال الكمل وعن
الحسن أنه ألهم التوراة وهو في بطن أمه **وجعلني مباركا أينما كنت** أي

معناه انى نفاعا حيث ما توجهت وقيل معلما للخير داعوا الى الله بتوحيده وعبادته
وقيل مباركا على من تبعني **واوصاني بالصلاة والزكاة** اي امرني بهما وكلفني فعلهما
فان قلت كيف امر بالصلاة والزكاة في حال طفوليته وقد قال عليه الصلاة والسلام
رفع القلم عن ثلاث الصبي حتى يبلغ الحديث قلت ان قوله واوصاني بالصلاة
والزكاة لا يدل على انه تعالى اوصاه باداءهما في الحال بل المراد اوصاه باداءهما في
الوقت المعين لهما وهو البلوغ وقيل المراد ان الله تعالى صيره حين انفصل عن امه
بالغا عاقلا وهذا القول اظهر لقوله في سياق الاية **ما دمت حيا** فانه يفيد
ان هذا التكليف متوجها اليه في جميع زمان حياته حين كان في الارض وحين رفع
الى السما وحين ينزل الى الارض بعد رفعه **وبرا بوالدتي** اي وجعلني برا بوالدتي
ولم يجعلني جبارا شقيا اي عصيا لربه متكبرا على الخلق بل انا خاضع متواضع
وروى انه قال قلبي لين وانا صغير في نفسي قال بعض العلما لا تجد العاق الا
جبارا شقيا وتلى هذه الاية وقيل الشقي الذي يذنب ولا يتوب عن الشرك
والسلام علي يوم ولدت اي السلامة عند الولادة من طعن الشيطان
ويوم اموت اي عند الموت من الشرك **ويوم ابعث حيا** اي من اهوال
القيامة فلما كلمهم عيسى بذلك علموا براءة مريم ثم سكت عيسى بعد ولم يتكلم حتى
بلغ المدة التي يتكلم فيها الاطفال **ذلك عيسى** اي الذي قال اني عبد الله عيسى
ابن مريم قول الحق اي هذا الكلام هو القول الحق اضاف القول الى الحق وقيل
هو نعت لعيسى يعني ذلك عيسى بن مريم كلمة الله الحق والحق هو الله **الذي
فيه يمترون** اي يشكون ويختلفون فقايل يقول هو ابن الله وقايل يقول الله
وقايل يقول ثالث ثلاثة تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ثم نزه نفسه
عن اتخاذ الولد ونفاه عنه فقال تعالى **ما كان لله ان يتخذ من ولد** اي ما
كان من صفته اتخاذ الولد ولا ينبغي له ذلك تعالى **سبحانه اذا قضى امرا**
اي اذا اراد ان يحدث امرا اذا قضى امرا **فانما يقول له كن فيكون** اي لا يتعذر
عليه انفاذه على الوجه الذي اراده **وان الله ربي وربكم فاعبدوه** هذا
اخبار عن عيسى انه قال ذلك يعني ولان الله ربي وربكم لا رب للمخلوقات سواه
هذا صراط مستقيم اي هو الذي اخبرتكم به ان الله امرني به هو الصراط
المستقيم يودي الى الجنة **فاختلف الاحزاب من بينهم** يعني النصارى سموا
احزابا لانهم تحزبوا ثلاث فرق في امر عيسى النسطورية والملكانية واليعقوبية
فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم يعني يوم القيامة **اسمع بهم وابصر**
اي ما اسمعهم وابصرهم يوم القيامة حتى لا ينفعهم السمع والبصر اخبر انهم يسمعون
ويبصرون في الاخرة ما لم يسمعوا ويبصروا في الدنيا وقيل معناه التهديد
بما يسمعون ويبصرون مما يسوءهم ويصدع قلوبهم **يوم ياتوننا** اي يوم
القيامة **لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين** قيل اراد باليوم الدنيا يعني

انهم

انهم في خطا بين وقيل في الاخرة بغير قول الحق وقيل معناه لكن الظالمون في الاخرة
في ضلال عن طريق الجنة بخلاف المومنين قوله تعالى **وانذرهم يوم الحسرة**
يعني خوف يا محمد كفار مكة بيوم الحسرة سمي بذلك لان المسيء يتحسر هلا احسن
العمل والمحسن هلا ازداد من الاحسان يدل عليه ما روي ابو هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال ما من احد يموت الا ندم قالوا وما ندمه يا رسول الله قال
ان كان محسنا ندم ان لا يكون ازداد وان كان مسيئا ندم ان لا يكون نزع اخرجه الترمذي
قوله ان لا يكون نزع النزع عن الشي الكف عنه وقال اكثر المفسرين يعني يوم الحسرة
حين يذبح الموت ق عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوتى بالموت على هيئة كبش املح فينادي مناد يا اهل الجنة فيشرفون وينظرون
فيقول هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا الموت وكلهم قد راه ثم ينادي مناد
يا اهل النار فيشرفون وينظرون فيقول هل تعرفون هذا فيقولون نعم
فيقول هذا الموت وكلهم قد راه فيذبح بين الجنة والنار ثم يقول يا اهل الجنة
خلود بلا موت ويا اهل النار خلود بلا موت ثم قرا وانذرهم يوم الحسرة
اذ قضي الامر وهم في غفلة وهم لا يومنون واشار بيده الى الدنيا زاد
الترمذي فيه فلو ان احدا مات فرحا لمات اهل الجنة ولو ان احدا مات حزنا لمات
اهل النار قوله كهيئة كبش املح الاملح المختلط بالبياض والسواد قوله
فيشرفون يقال اشرف الى الشي اذا اتطلع ينظر اليه وما تشكو نفسه قوله
فيذبح بين الجنة والنار اعلم ان الموت عرض ليس بجسم في صورة كبش وغيره فعلى
هذا يتاول الحديث على ان الله تعالى يخلق هذا الجسم وهو حيوان فيذبح ويموت فلا
يبقى من حي له حياة ولا وجود وكذلك حال اهل الجنة والنار بعد الاستقرار فيهما
لا زوال لهما ولا انتقال ق عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
صار اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار
ثم يذبح ثم ينادي مناد يا اهل الجنة لا موت ويا اهل النار لا موت فيزداد اهل
الجنة فرحا الى فرحهم ويزداد اهل النار حزنا الى حزنهم عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل احد الجنة الا اري مقعده من النار لو اساء
ليزداد شكرا ولا يدخل النار احد الا اري مقعده من الجنة لو احسن ليكون
عليه حسرة اخرجه البخاري قوله تعالى **اذ قضي الامر** اي فرغ من الحساب
وادخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار وذبح الموت **وهم في غفلة** اي عما
يراد بهم في الاخرة **وهم لا يومنون** اي لا يصدقون **انا نحن نرث الارض
ومن عليها** اي نميت سكان الارض جميعا ويبقى الرب سبحانه وحده فيرثهم **والينا
يرجعون** فيجزيهم باعمالهم قوله عز وجل **واذكر في الكتاب ابراهيم انه
كان صديقا نبيا** اي كثير الصدق وهو مبالغة في كونه صديقا وقيل
الصديق الكثير التصديق قيل من صدق الله في وحدانيته وصدق انبياءه ورسله

وصدق بالبعث قبل الموت وقام بالاوامر فعمل بها فهو صديق فلما قرب رتبته الصديق
من رتبة النبي انتقل من ذكر كونه صديقا الى كونه نبيا والنبي العالي في المرتبة بارسال
الله اياه واي رتبة اعلى من رتبة من جعله الله واسطة بينه وبين عباده **اذ قال لابيه**
يعني آزر وهو يعبد الاصنام **يا ابت لم تعبد ما لا يسمع** يعني صوتا **ولا يبصر** شيئا
ولا يغني عنك اي يكفيك **شيئا** وصف الاصنام بثلاثة اشياء كل واحد منها قادح
في الالوهية وذلك ان العبادة هي غاية التعظيم فلا يستحقها الا من له غاية الانعام
وله اوصاف الكمال وهو الله تعالى فلا يستحق العبادة الا اياه **يا ابت اني قد جاءني
من العلم** بالله والمعرفة **ما لم ياتك فاتبعني** اي على ديني **اهدك** اي انجيك من ان تضل
صراطا سويا اي مستقيما **يا ابت لا تعبد الشيطان** اي لا تطعه فيما يزين لك
من الكفر والشرك **ان الشيطان كان** اي هو **للرحمن عصيا** اي عاصيا **يا ابت
اني اخاف** اي اعلم وقيل هو على ظاهره لانه غير عالم ان يؤمن فيكون من اهل الجنة او
يصر على الكفر فيكون من اهل النار فحمل الخوف على ظاهره اولى واعلم ان ابراهيم عليه السلام
رتب هذا الكلام في غاية الحسن مقرونا باللطف والرفق فان قوله في مقدمة كلامه
يا ابت دليل على شدة الحب والرغبة في صرفه عن العقاب وارشاده الى الصواب
لانه نبه اولا على ما يدل على المنع من عبادة الاصنام ثم امره باتباعه في الايمان ثم نبه
على ان طاعة الشيطان غير جائزة في العقول ثم ختم الكلام بالوعيد الزاجر على الاقدام
على ما لا ينبغي فقوله اني اخاف **ان يمسك** اي يصيبك **عذاب من الرحمن** اي ان اقمت
على الكفر **فتكون للشيطان وليا** اي قرينا في النار وقيل تاليا له في النار
وانما فعل ابراهيم عليه السلام هذا مع ابيه لامور احدها لشدة تعلق قلبه لصلاحه
ابيه واداء حق الابوة والرفق به وثانيها ان النبي الهادي الى الحق لا بد ان يكون رفيقا
لطيفا حتى يقبل منه كلامه وثالثها النصح لكل احد فالاب اولى **قال** يعني اباه
اراغب انت عن الهتي يا ابراهيم اي تاركها انت وتارك عبادتها **لئن لم تنته**
اي ترجع وتسكت عن سب الهتنا وشتمك اياها **لارجمنك** قال ابن عباس معناه
لاضربنك وقيل لاقتلنك بالحجارة وقيل لاشتمنك وقيل لابعدنك عني بالقول القبيح
واهجرني اي اجتنبني قال ابن عباس اعتزلني سالما لا يصيبك مني معرة **مليا**
اي دهرا طويلا **قال** يعني ابراهيم **سلام عليك** اي سلمت مني لا اصيبك بمكروه وذلك
انه لم يؤمر بقتاله على كفره وقيل سلام هجران ومفارقة وقيل هو سلام بر ولطف
وهو جواب الحليم للسفيه **ساستغفر لك ربي** قيل انه لما اعياه امره وعده
ان يراجع فيه فيسال له ان يرزقه التوحيد ويغفر له معناه سأسال الله لك توبة تنال
بها المغفرة **انه كان بي حفيا** اي برا لطيفا والمعنى انه يستجيب لي اذا دعوته لانه
عودني الاجابة لدعائي **واعتزلكم وما تدعون من دون الله** اي افارقكم
وافارق ما تعبدون من دون الله وذلك انه فارقهم وهاجر من كوثى الى الارض
المقدسة **وادعو ربي** اي اعبد ربي الذي خلقني وانعم علي **عسى الا اكون**

بدعا

بدعاء ربي شقيا اي ارجو ان لا اشقى بدعاء ربي وعبادته كما تشقون انتم بعبادة
الاصنام ففيه من التواضع له مع التعريض بشقاوتهم **فلما اعتزلهم وما يعبدون
من دون الله** اي ذهب مهاجرا **وهبنا له** اي بعد الهجرة **اسحاق ويعقوب**
آنسا وحشته من فراقهم باولاد كرام على الله **وكلا جعلنا نبيا** معناه انعمنا
عليهما بالنبوة **ووهبنا لهم من رحمتنا** اي فكما وهبنا لهم من النبوة وهبنا لهم
المال والولد وذلك انه بسط لهم في الدنيا من سعة الرزق وكثرة الاولاد **و
جعلنا لهم لسان صدق عليا** يعني ثناء حسنا رفيعا في اهل كل دين حتى ادعاهم
اهل الاديان كلهم فهم يتولونهم ويثنون عليهم قوله عز وجل **واذكر في الكتاب
موسى انه كان مخلصا** قرئ بكسر اللام اي اخلص العبادة والطاعة لله عز وجل
ولم يراء وقرئ بالفتح اي مختارا اختاره الله تعالى ثم استخلصه واصطفاه **وكان
رسولا نبيا** فهذان وصفان مختلفان فكل رسول نبي ولا عكس **وناديناه من
جانب الطور الايمن** اي من ناحية يمين موسى والطور جبل بين مصر ومدين
ويقال ان اسمه الزبير وذلك حين اقبل من مدين وراى النار فنودي يا موسى
اني انا الله رب العالمين **وقربناه** قال ابن عباس قربه فكلمه ومعنى التقريب
اسماعه كلامه وقيل رفعه على الحجب حتى سمع صريف الاقلام وقيل معناه رفع قدره
ومنزلته وشرفناه بالمناجاة وهو قوله **نجيا** اي مناجيا **ووهبنا له من
رحمتنا اخاه هارون نبيا** وذلك ان موسى دعا ربه فقال واجعل لي وزيرا من اهلي
هارون اخي فاجاب الله دعوته وارسل الى هارون ولذلك سماه هبة له وكان هارون
اكبر من موسى قوله تعالى **واذكر في الكتاب اسماعيل** هو اسماعيل بن ابراهيم
وهو جد النبي صلى الله عليه وسلم **انه كان صادق الوعد** قيل انه لم يعد شيئا الا وفى
به وقيل انه وعد رجلا ان يقيم مكانه حتى يرجع الرجل فقعد اسماعيل مكانه ثلاثة
ايام للميعاد حتى رجع الرجل وقيل انه وعد من نفسه الصبر على الذبح فوفى به فوصفه
الله تعالى بهذا الخلق الحسن الشريف سئل الشعبي عن الرجل يعد ميعادا الى اي وقت
ينتظر فقال ان وعده نهارا فكل النهار وان وعده ليلا فكل الليل وسئل بعضهم عن
مثل ذلك ان وعده في وقت صلاة ينتظره الى وقت صلاة اخرى **وكان رسولا**
الى جرهم وهم قبيلة من عرب اليمن نزلوا على هاجر ام اسماعيل بوادي مكة حين
خلفهم ابراهيم وهم جرهم بن يقطن وهم قحطان بن عامر بن شالخ وقحطان ابو قبائل
اليمن **نبيا** اي مخبرا عن الله عز وجل **وكان يامر اهله** اي قومه **بالصلاة
والزكاة** قال ابن عباس يريد التي افترضها الله عليهم وهي الحنيفية التي افترضت
علينا وقيل كان يبدا باهله في الامر بالصلاة والعبادة ليجعلهم قدوة لمن سواهم
وكان عند ربه مرضيا اي قائما بطاعته وقيل رضيه لنبوته ورسالته
وهذا نهاية في المدح لان المرضي عند الله هو الفائز في كل طاعته باعلى الدرجات
قوله عز وجل **واذكر في الكتاب ادريس** وهو جد ابي نوح واسمه اخنوخ سمي

ادريس لكثرة درسه الكتب وكان خياطا وهو اول من خط بالقلم واول من خاط الثياب
ولبس المخيط وكانوا من قبل يلبسون الجلود وهو اول من اتخذ السلاح وقاتل الكفار
وهو اول من نظر في علم الحساب **انه كان صديقا نبيا** وذلك ان الله تعالى شرفه
بالنبوة وانزل عليه ثلاثين صحيفة **ورفعناه مكانا عليا** قيل هي الرفعة
بعلو الرتبة في الدنيا وقيل انه رفع الى السما وهو الاصح يدل عليه ما روى انس بن مالك
عن مالك بن صعصعة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه راى ادريس في السما الرابعة
ليلة المعراج متفق عليه وكان سبب رفع ادريس الى السما الرابعة على ما قاله
كعب الاحبار وغيره انه سار ذات يوم في حاجة فاصابه وهج الشمس فقال يا رب
مشيت يوما فكيف بمن يحملها مسيرة خمسماية عام في يوم واحد اللهم خفف عنه
من ثقلها وحرها فلما اصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرها ما لا يعرف فقال
يا رب خلقتني لحمل الشمس فما الذي قضيت فيه قال ان عبدي ادريس سالني ان
اخفف عنك حملها وحرها فاجبته قال يا رب فاجمع بيني وبينه واجعل بيني وبينه
خلة فاذن له حتى اتى ادريس فكان ادريس يسأله فكان مما سأله ان قال اني اخبرت
انك اكرم الملايكة وامكنهم عند ملك الموت فاشفع لي اليه ليوخر اجلي لعلي ازداد
شكرا وعبادة فقال الملك لا يوخر الله نفسا اذا جا اجلها وانا مكلمه فرفعه الى
السما ووضعه عند مطلع الشمس ثم اتى ملك الموت فقال لي اليك حاجة صديق
لي من بني ادم تشفع بي اليك لتوخر اجله فقال ملك الموت ليس ذلك الي ولكن
ان احببت اعلمته اجله فيقدم لنفسه قال نعم فنظر في ديوانه فقال انك كلمتني
في انسان ما اراه يموت ابدا قال وكيف ذلك فقال لا اجده يموت الا عند مطلع
الشمس قال اني اتيتك وتركته هناك قال انطلق فلا اراك تجده الا وقد مات
فوالله ما بقي من اجل ادريس شي فرجع الملك فوجده ميتا قال وهب كان يرفع
لادريس كل يوم من العبادة مثل ما يرفع لجميع اهل الارض في زمانه فعجب منه
الملايكة واشتاق اليه ملك الموت فاستاذن ربه في زيارته فاذن له فاتاه
في صورة بني ادم وكان ادريس يصوم الدهر فلما كان وقت افطاره دعاه الى الطعام
فابى ان ياكل معه ففعل ذلك ثلاث ليال فانكره ادريس وقال له في الليلة الثالثة
اني اريد ان اعلم من انت قال انا ملك الموت استاذنت ربي ان اصحبك فقال لي
اليك حاجة قال وما هي قال تقبض روحي فاوحى الله اليه ان اقبض روحه فقبض
روحه وردها الله اليه في ساعة فقال له ملك الموت ما الفايدة في سوالك
قبض الروح قال لاذوق كرب الموت وغمته فاكون اشد استعدادا له ثم قال
له ادريس ان لي اليك حاجة قال وما هي قال ترفعني الى السما لانظر اليها والى الجنة
والنار فاذن الله له فرفعه فلما قرب من النار قال لي حاجة قال وما تريد قال
تسال مالكا ان يفتح ابوابها فاردها ففعل فقال ارني النار فارني الجنة
فذهب به الى الجنة فاستفتح ففتح ابوابها فادخله الجنة ثم قال له ملك الموت

اخرج

اخرج الى مقرك فتعلق بشجرة وقال لا اخرج منها فبعث الله ملكا حكما بينهما فقال
له الملك ما لك لا تخرج قال لان الله تعالى قال كل نفس ذايقة الموت وانا ذقته
وقال وان منكم الا واردها وقد وردتها وقال وما هم منها بمخرجين فلست اخرج
فاوحى الله الى ملك الموت باذني دخل الجنة وبامري لا يخرج فهو حي هناك فذلك
قوله تعالى ورفعناه مكانا عليا واختلفوا في انه حي في السما او ميت فقال قوم هو
ميت وقال قوم هو حي وقالوا اربعة من الانبيا الاحيا اثنان في الارض وهما
الخضر والياس واثنان في السما وهما عيسى وادريس قوله تعالى **اوليك الذين
انعم الله عليهم من النبيين** اوليك اشارة الى المذكورين في هذه السورة
انعم الله عليهم من النبوة وغيرها مما تقدم وصفه **من ذريه ادم** يعني ادريس
ونوحا **وممن حملنا مع نوح** اي من ذرية من حملنا مع نوح في السفينة يريد
ابراهيم لانه من ولد سام بن نوح **ومن ذريه ابرهيم** يعني اسماعيل واسحاق
ويعقوب **واسرايل** يعني ومن ذرية اسرايل وهو يعقوب وهم موسى وهارون
وزكريا ويحيى وعيسى فرتب الله تعالى احوال الانبيا الذين ذكرهم الله على هذا
الترتيب منبها بذلك على انهم كما شرفوا بالنبوة شرفوا بالنسب ثم قال تعالى
وممن هدينا واجتبينا اي هولا ممن ارشدنا واصطفينا وقيل ممن هدينا الى الاسلام
واجتبينا على الانام **اذا تتلى عليهم ايات الرحمن خروا سجدا** جمع ساجد
وبكيا جمع باك اخبر الله تعالى ان الانبيا عليهم السلام كانوا اذا سمعوا ايات الله
سجدوا وبكوا خضوعا وخشوعا وخوفا وحذرا والمراد من الايات ما خصهم الله
به من الكتب المنزلة عليهم وقيل المراد بالايات ذكر الجنة والنار والوعد والوعيد
ففيه استحباب البكا وخشوع القلب عند سماع القران **فصل**
وسجدة سورة مريم من عزايم سجود القران فيسن للقاري والمستمع ان يسجد
عند تلاوة القران عند هذه السجدة وقيل يستحب لمن قرا اية سجدة فسجد
ان يدعو بما يناسب تلك السجدة فاذا قرا سجدة سبحان قال اللهم اجعلني من
الباكين اليك والخاشعين لك وان قرا سجدة مريم قال اللهم اجعلني في عبادك
المنعم عليهم الساجدين لك الباكين عند تلاوة اياتك وان سجد سجدة الم السجدة
قال اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك واعوذ بك ان اكون من
المستكبرين عن امرك قوله تعالى **فخلف من بعدهم** اي من بعد النبيين
المذكورين **خلف** اي قوم سوء اراد بهم اليهود ومن تبعهم وقيل هم في
هذه الامة **اضاعوا الصلاة** اي تركوا الصلاة المفروضة وقيل اخروها عن
وقتها وهو ان لا يصلي الظهر حتى ياتي العصر حتى تغرب الشمس **واتبعوا الشهوات**
اي اثروا الشهوات شهوات انفسهم على طاعة الله وقيل اتبعوا المعاصي وشرب
الخمر وقيل هولاء قوم يظهرون في اخر الزمان ينزو بعضهم على بعض في الاسواق
والازقة **فسوف يلقون غيا** قال ابن عباس الغي واد في جهنم وان اودية

جهنم لتستغيث منه حره اعد للزاني المصر عليه والشارب الخمر المدمن عليه ولآكل
الربا الذي لا ينزع عنه ولاهل العقوق ولشاهد الزور وقيل هو واد في جهنم
ابعدها قعرا واشدها حرا فيه بير يسمى البهيم كلما خبت جهنم فتح الله تلك البير
فتستعر بها جهنم وقيل معنى غيا خسرانا وقيل هلاكا وعذابا وليس معنى يلقون
يرون فقط بل معناه الاجتماع والملابسة مع الروية الا من تاب وامن وعمل
صالحا يعني الا من تاب من التقصير في الصلاة والمعاصي وامن من الكفر وعمل صالحا
بطاعة الله تعالى فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيا اي لا ينقصون ثوابا
ثم وصف الجنة فقال تعالى جنات عدن اي بساتين اقامة وصفها بالدوام
بخلاف جنات الدنيا فانها لا تدوم التي وعد الرحمن عباده بالغيب اي انهم
يروها وهي غائبة عنهم وهم غائبون عنها انه كان وعده ماتيا اي اتيا وقيل معنى
وعده موعوده وهو الجنة ماتيا اي ياتيه اولياء الله واهل طاعته لا يسمعون
فيها لغوا اي باطلا وفحشا وفضولا من الكلام الا سلاما اي بل يسمعون
فيها سلاما والسلام اسم جامع للخير لانه يتضمن معنى السلامة وذلك ان اهل الجنة
لا يسمعون فيها ما يولمهم انما يسمعون تسليمهم وقيل هو تسليم بعضهم على بعض
وتسليم الملائكة عليهم وقيل هو تسليم الله عليهم ولهم رزقهم فيها بكرة
وعشيا قال اهل التفسير ليس في الجنة ليل ولا نهار حتى يعرف بها البكرة والعشي
بل هم في نور ابدا ولكن يوتون بارزاقهم على مقدار طرفي النهار كعادتهم في الدنيا
وقيل انهم يعرفون وقت النهار برفع الحجب ووقت الليل بارخاء الحجب وقيل المراد
منه رفاهية العيش وسعة الرزق من غير تضييق ولا تقتير وقيل كانت العرب
لا تعرف افضل من الرزق الذي يوتى به بالبكرة او العشي فوصف الله الجنة
بذلك تلك الجنة التي نورث من عبادنا اي نعطي وننزل وقيل يورث عباده
المومنين المساكن التي كانت لاهل النار لو امنوا من كان تقيا اي المتقين
من عباده قوله عز وجل وما نتنزل الا بامر ربك خ عن ابن عباس ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال يا جبريل ما يمنعك ان تزورنا اكثر مما تزورنا فنزلت
وما نتنزل الا بامر ربك له ما بين ايدينا وما خلفنا الاية قال فكان هذا
جواب لمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل احتبس جبريل عن النبي صلى الله عليه وسلم
حين سال عن امر الروح واصحاب الكهف وذو القرنين فقال اخبركم غدا
ولم يقل ان شا الله حتى شق على النبي صلى الله عليه وسلم ثم نزل بعد ايام فقال
له رسول الله صلى الله عليه وسلم ابطات علي حتى ساء ظني واشتقت اليك فقال
له جبريل اني كنت اشوق ولكني عبد مامور اذا بعثت نزلت واذا حبست احتبست
فانزل الله وما نتنزل الا بامر ربك وانزل والضحى والليل اذا سجى ما ودعك
ربك وما قلى وقوله له ما بين ايدينا وما خلفنا اي له علم ما بين ايدينا
وما خلفنا وقيل اكد ذلك بقوله له ما بين ايدينا وما خلفنا اي هو المدبر لنا

في كل الاوقات الماضي والمستقبل وقيل معناه له ما بين ايدينا من امر الاخرة والثواب
والعقاب وما خلفنا اي ما مضى من الدنيا وما بين ذلك اي من هذا الوقت الى قيام
الساعة وقيل ما بين ذلك هو ما بين النفختين وقيل هو مقدار اربعين سنة وقيل
ما بين ايدينا ما بقي من الدنيا وما خلفنا ما مضى منها وما بين ذلك مدة حياتنا
وما كان ربك نسيا اي ناسيا اي ما نسيك ربك وما تركك رب السموات
والارض وما بينهما اي من يكون كذلك لا يجوز عليه النسيان لانه لا بد ان
يدبر احوالها كلها وفيه دليل على ان فعل العبد خلق الله لانه حاصل بين السموات
والارض فكان لله عز وجل فاعبده واصطبر لعبادته اصبر على امره ونهيه
هل تعلم له سميا قال ابن عباس مثلا وقيل هل تعلم احدا تسمى الله غيره
قوله تعالى ويقول الانسان اي جنس الانسان والمراد به الكفار الذين
انكروا البعث وقيل هو ابي بن خلف الجمحي وكان منكرا للبعث ايذا ما مت
لسوف اخرج حيا قال له استهزاء وتكذيبا للبعث قال الله تعالى اولا يذكر
الانسان اي يتذكر ويتفكر يعني منكري البعث انا خلقناه من قبل ولم
يك شيا والمعنى اولا يتفكر هذا الجاحد في بدء خلقه فيستدل به
على الاعادة قال بعض العلما لو اجتمع كل الخلايق على ايراد حجة في البعث على هذا
الاختصار ما قدروا عليه اذ لا شك ان الاعادة ثانيا اهون من الايجاد اولا
ثم اقسم تعالى بنفسه فقال تعالى فوربك وفيه تشريف للنبي صلى الله عليه وسلم
لنحشرنهم اي لنجمعنهم في المعاد يعني المشركين المنكرين للبعث والشياطين
اي مع الشياطين وذلك انه يحشر كل كافر مع شيطانه في سلسلة ثم لنحضرنهم
حول جهنم جثيا قال ابن عباس جماعات وقيل جاثين على الركب لضيق
المكان وقيل ان البارك على ركبتيه صورته كصورة ذليل فان قلت هذا المعنى
حاصل للكل بدليل قوله وترى كل امة جاثية قلت وصفوا بالجثي على العادة
المعهودة في مواقف المقالات والمنافلات وذلك لما كان فيه من القلق لما
يدهمهم من شدة الامور التي لا يطيقون معها القيام على ارجلهم فيجثون على
ركبهم جثوا ثم لننزعن اي لنخرجن من كل شيعة اي من كل امة واهل من
الكفار ايهم اشد على الرحمن عتيا قال ابن عباس يعني جراة وقيل فجورا وتمردا
وقيل قايدهم ورايسهم في الشر والمعنى انه يقدم في دخول النار الاعتى فالاعتى
ممن هو اكبر جرما واشد كفرا وفي بعض الاخبار انهم يحضرون جميعا حول جهنم
مسلسلين مغلولين ثم يقدم الاكفر فالاكفر فمن كان اشدهم تمردا في كفره
خص بعذاب اشد واعظم لان عذاب الضال المضل وجب ان يكون فوق عذاب
المضل التابع لغيره في الضلال وفائدة هذا التمييز التخصيص بشدة العذاب
لا التخصيص باصل العذاب فلذلك قال في جميعهم ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى
بها صليا ولا يقال اولى الا مع اشتراك القوم في العذاب وقيل معنى الاية

انهم لحق بدخول النار فقوله تعالى وان منكم الا واردها يعني وما منكم الا واردها
وقيل القسم فيه مضمر اي والله ما منكم من احد الا واردها والورود هو موافاة المكان
واختلفوا في معنى الورود ههنا وفيما تنصرف اليه الكناية في قوله واردها فقال
ابن عباس والاكثرون معنى الورود هنا الدخول والكناية راجعة الى النار فيدخلها
البر والفاجر ثم ننجي الذين اتقوا منها ما يدل عليه ما روي ان نافع بن الازرق روى
عن ابن عباس في الورود فقال ابن عباس هو الدخول وقال نافع ليس الورود الدخول
فتلا ابن عباس انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون ادخلها
هؤلاء ام لا ثم قال يا نافع والله انا وانت سنردها وانا ارجو ان يخرجني الله وما
ارى ان يخرجك منها بتكذيبك فمن قال بدخول المؤمنين يقولون من غير خوف ولا ضرر
ولا عذاب البتة بل مع الغبطة والسرور لان الله تعالى اخبر عنهم انهم لا يحزنهم
الفزع الاكبر فان قلت كيف يدفع عن المؤمنين حر النار وعذابها قلت
يحتمل ان الله تعالى يخمد النار فيعبرها المؤمنون ويحتمل ان الله تعالى يجعل الاجزاء
الملاصقة لابدان الكفار من النار محرقة والاجزاء الملاصقة لابدان المؤمنين
تكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت في حق ابراهيم عليه السلام وكما ان الملائكة
الموكلين لا يجدون المها فان قلت اذا لم يكن على المؤمنين عذاب فما فائدة دخولهم
النار قلت فيه وجوه احدها ان ذلك مما يزيدهم سرورا اذا علموا الخلاص منه
وثانيها ان فيه مزيد غم على اهل النار حيث يرون المؤمنين يتخلصون منها وهم
باقون فيها وثالثها انهم اذا شاهدوا ذلك العذاب الذي على الكفار صار ذلك
سببا لمزيد التذاذهم بنعيم الجنة وقال قوم ليس المراد من الورود الدخول
وقالوا لا يدخل النار مؤمن ابدا لقوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك
عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها فعلى هذا يكون المراد من الورود الحضور والرؤية
لا الدخول كما قال تعالى ولما ورد ماء مدين اراد به الحضور وقال عكرمة الاية
في الكفار فانهم يدخلونها ولا يخرجون منها وروي عن ابن مسعود انه قال وان منكم
الا واردها يعني القيامة والكناية راجعة اليها والقول الاول اصح وعليه اهل السنة
فانهم جميعا يدخلون النار ثم يخرج الله منها اهل الايمان بدليل قوله تعالى ثم
ننجي الذين اتقوا اي الشرك وهم المؤمنون والنجاة انما تكون لمن دخلت فيه يدل
عليه ما روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموت لاحد من
المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار الا تحلة القسم اخرجاه في الصحيحين
اراد بالقسم قوله وان منكم الا واردها م عن ام مبشر الانصارية انها سمعت
النبي صلى الله عليه وسلم عند حفصة لا يدخل النار ان شاء الله من اصحاب الشجرة
احد من الذين بايعوا تحتها قالت بلى يا رسول الله فانتهرها فقالت حفصة
وان منكم الا واردها فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد قال الله تعالى ثم ننجي الذين
اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا وقال خالد بن معدان يقولون اهل الجنة الم يعدنا

ربنا

ربنا ان نرد النار فيقال بلى ولكنكم مررتم بها وهي خامدة وفي الحديث تقول النار
للمؤمن جز يا مؤمن فقد اطفأ نورك لهبي وروي عن مجاهد في قوله تعالى وان منكم
الا واردها قال من حم من المسلمين فقد وردها وفي الخبر الحمى كير من جهنم وهي حظ المؤمن
من النار عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الحمى من فيح جهنم فابردوها بالماء
قوله فيح جهنم اي وهجها وحرها وقوله تعالى كان على ربك حتما مقضيا اي
وكان ورود جهنم لازما قضاه الله عليكم واوجبه ثم ننجي الذين اتقوا اي
الشرك ونذر الظالمين فيها جثيا اي جميعا وقيل جاثين على الركب قالت
المعتزلة في الاية دليل على صحة مذهبهم في ان صاحب الكبيرة والفاسق يخلد
في النار بدليل ان الله تعالى بين ان الكل يردونها ثم بين صفة من ينجو منها وهم
المتقون والفاسق لا يكون متقيا فيبقى في النار ابدا واجيب عنه بان المتقي
هو الذي يتقي الشرك بقوله لا اله الا الله ويشهد لصحة ذلك ان من امن بالله
ورسوله صح ان يقال انه متق من الشرك ومن صدق عليه انه متق من الشرك صح انه متق
لان المتقي جزء من المتقي من الشرك ومن صدق عليه المركب صدق عليه المفرد فثبت
ان صاحب الكبيرة متق ومن صدق عليه ذلك وجب ان يخرج من النار لعموم قوله
تعالى ثم ننجي الذين اتقوا فصارت الاية التي توهموها دليلا لهم من اقوى الدلائل
على فساد قولهم وهذا من حيث البحث واما من حيث النص فقد وردت الاحاديث
تدل على اخراج الموحدين من النار خ عن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال يخرج من النار من قال لا اله الا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير ويخرج
من النار من قال لا اله الا الله وفي قلبه وزن برة من خير ويخرج من النار من قال
لا اله الا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير وفي رواية من ايمان ق عن ابي هريرة ان
الناس قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال هل تمارون في القمر
ليلة البدر ليس دونه سحاب قالوا لا يا رسول الله هل تمارون في الشمس ليس دونها
سحاب قالوا لا يا رسول الله قال فانكم ترونه كذلك يحشر الناس يوم القيامة
فيقول من كان يعبد شيئا فليتبع فمنهم من يتبع الشمس ومنهم من يتبع القمر ومنهم
من يتبع الطواغيت وتبقى هذه الامة فيها منافقوها فيقولون هذا مكاننا
حتى يأتينا ربنا فاذا جاء ربنا عرفناه فيأتيهم الله فيقول انا ربكم فيقولون انت
ربنا فيدعوهم ويضرب الصراط بين ظهراني جهنم فاكون اول من يجوز من الرسل
بامته ولا يتكلم يومئذ الا الرسل وكلام الرسل يومئذ اللهم سلم سلم وفي جهنم
كلاليب مثل شوك السعدان هل رأيتم شوك السعدان قالوا نعم قال فانها
مثل شوك السعدان غير انه لا يعلم قدر عظمها الا الله تخطف الناس باعمالهم
فمنهم من يوبق بعمله ومنهم من يخردل ثم ينجو حتى اذا اراد الله رحمة من اراد
من اهل النار امر الله الملائكة ان يخرجوا من كان يعبد الله فيخرجونهم ويعرفونهم
باثار السجود وحرم الله على النار ان تاكل اثر السجود فيخرجون من النار

وقد امتحشوا فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل ثم
يفرغ من القضاء بين العباد ويبقى رجل بين الجنة والنار وهو آخر اهل النار دخولا
الجنة مقبل بوجهه قبل النار فيقول يا رب اصرف وجهي عن النار قد قشبني
ريحها واحرقني ذكاؤها فيقول هل عسيت ان افعل ذلك بك ان تسأل غير ذلك
فيقول لا وعزتك فيعطي الله ما شاء من عهد وميثاق فيصرف الله وجهه عن النار
فاذا اقبل به على الجنة راى نكهتها او بهجتها سكت ما شاء الله ان يسكت ثم يقول
يا رب قدمني عند باب الجنة فيقول الله اليس قد اعطيت العهود والميثاق ان لا
تسأل غير الذي كنت سألت فيقول يا رب لا اكون اشقى خلقك فيقول فما عسيت
ان اعطيت ذلك ان لا تسأل غيره فيقول وعزتك لا اسأل غير ذلك فيعطي ربه
ما شاء من عهد وميثاق فيقدمه الى باب الجنة فاذا بلغ بابها راى زهرتها وما فيها
من النضرة والسرور فيسكت ما شاء الله ان يسكت فيقول يا رب ادخلني
الجنة فيقول الله تبارك وتعالى ويحك يا ابن آدم ما اغدرك اليس قد اعطيت
العهود والميثاق ان لا تسأل غير الذي اعطيت فيقول يا رب لا تجعلني اشقى خلقك
فيضحك الله عز وجل منه ثم ياذن له في دخول الجنة فيقول تمن فيتمنى حتى اذا
انقطع امنيته قال الله تمن من كذا وكذا اقبل يذكره ربه حتى اذا انتهت به الاماني
قال الله لك ذلك ومثله معه قال ابو سعيد الخدري لابي هريرة وعشرة امثاله
قال ابو هريرة لم احفظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا قوله لك ذلك ومثله
معه قال ابو سعيد سمعته يقول ذلك وعشرة امثاله وفي رواية للبخاري قال
فيأتيهم الله في غير الصورة التي يعرفونها فيقول انا ربكم فيقولون نعوذ بالله
منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فاذا اتى عرفناه فيأتيهم الله في الصورة التي
يعرفون فيقول انا ربكم فيقولون انت ربنا فيتبعونه قلت اما ما يتعلق بمعاني
الحديث والكلام على الرؤية فسيأتي في سورة نون والقيامة ونتكلم هنا
على شرح غريب الفاظه قوله مثل شوك السعدان هو نبت ذو شوك
مصنف وهو من اجود مراعي الابل وقوله فمنهم من يوبق بعمله يعني اوبقته الذنوب
اي اهلكته والمخردل المرمي المصروع وقيل هو المقطع والمعنى انه تقطعه كلاليب
الصراط حتى يقع في النار قوله وقد امتحشوا اي احترقوا وقيل هو ان تذهب النار
الجلد وتبدي العظم قوله كما تنبت الحبة في حميل السيل الحبة بكسر الحاء وهو
البزور وانها جميعا وحميل السيل هو الزبد وما يلقيه الماء على شاطئه قوله قشبني
ريحها اي اذاني والقشب السم وكأنه قال قد سمني ريحها قوله واحرقني ذكاؤها اي
اشتعالها ولهبها قوله راى زهرتها الزهرة الحسن والنضارة والبهجة **ق** عن ابن
مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعلم آخر اهل النار
خروجا منها وآخر اهل الجنة دخولا الجنة رجل يخرج من النار حبوا فيقول الله
اذهب فادخل الجنة فيأتيها فيخيل اليه انها ملأى فيرجع فيقول يا رب وجدتها

ملأى فيقول الله تعالى اذهب فادخل الجنة قال فيأتيها فيخيل اليه انها ملأى
فيقول يا رب وجدتها ملأى فيقول الله له اذهب فادخل الجنة فان لك مثل الدنيا
وعشرة امثالها او ان لك مثل عشرة امثال الدنيا فيقول اتسخر بي وانت الملك فلقد
رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه فكان يقال ذلك ادنى
اهل الجنة منزلة **قوله** حتى بدت نواجذه اي اضراسه وانيابه وقيل هي آخر
الاسنان عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعذب ناس من اهل
التوحيد في النار حتى يكونوا حمما ثم تدركهم الرحمة قال فيخرجون فيطرحون
على ابواب الجنة قال فيرش عليهم اهل الجنة الماء فينبتون كما ينبت الغثاء في حميل
السيل اخرجه الترمذي الحمم الفحم والغثاء كلما جاء به السيل فدلت الآية الاولى
على ان الكل دخلوا النار ودلت الآية الثانية والاحاديث ان الله تعالى يخرج
منها المتقين وجميع الموحدين ويترك فيها الظالمين وهم المشركون قوله عز وجل
واذا تتلى عليهم آياتنا بينات اي دلائل واضحات **قال الذين كفروا** يعني
النضر بن الحارث ومن دونه من كفار قريش **للذين آمنوا** يعني فقراء اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم وكانت فيهم قشافة وفي عيشهم خشونة وفي ثيابهم رثاثة
وكان المشركون يرجلون شعورهم ويدهنون رؤوسهم ويلبسون خير ثيابهم
اي الفريقين خير مقاما اي منزلا ومسكنا وهو موضع الاقامة **واحسن
نديا** اي مجلسا فاجابهم الله تعالى بقوله **وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم
احسن اثاثا** اي متاعا واموالا وقيل احسن ثيابا ولباسا **ورئيا** اي منظرا
من الرؤية **قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا** هذا امر بمعنى الخبر
معناه يدعه في طغيانه ويمهله في كفره **حتى اذا راوا ما يوعدون** اي الاسر
والقتل في الدنيا **اما العذاب واما الساعة** يعني القيامة فيدخلون النار
فسيعلمون اي عند ذلك **من هو شر مكانا** اي منزلا **واضعف
جندا** اي اقل ناصرا والمعنى فسيعلمون اهم خير وهم في النار ام المؤمنون
وهم في الجنة وهذا رد عليهم في قولهم اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا
قوله عز وجل **ويزيد الله الذين اهتدوا هدى** اي ايمانا ويقينا على انفسهم
والباقيات الصالحات اي الاذكار والاعمال الصالحة التي تبقى لصاحبها **خير
عند ربك ثوابا وخير مردا** اي عاقبة ومرجعا قوله تعالى **افرايت الذي
كفر بآياتنا** الآية **ق** عن خباب بن الارت قال كنت قينا في الجاهلية وكان لي
على العاص بن وائل السهمي دين فاتيته اتقاضاه وفي رواية فعملت للعاص بن وائل
سيفا فجئته اتقاضاه فقال لا اعطيك حتى تكفر بمحمد فقلت لا اكفر حتى يميتك
الله ثم تبعث قال واني لميت ثم مبعوث قلت بلى قال دعني حتى اموت وابعث
فاوتى مالا وولدا فاقضيك فنزلت افرايت الذي كفر بآياتنا **وقال لاوتين
مالا وولدا** الى قوله فردا القين الحداد ثم رد الله عليه بقوله **اطلع الغيب**

قال ابن عباس انظر في اللوح المحفوظ وقيل اعلم علم الغيب حتى يعلم اني في الجنة
ام لا **ام اتخذ عند الرحمن عهدا** يعني قال لا اله الا الله وقيل يعني
عملا صالحا قدمه وقيل عهدا اليه انه يدخله الجنة **كلا** رد عليه يعني لم يفعل
ذلك **سنكتب ما يقول** اي سنحفظ عليه ما يقول فنجازيه به في الاخرة وقيل
نامر الملائكة حتى يكتبوا ما يقول **ونمد له من العذاب مدا** اي نزيده عذابا
فوق العذاب وقيل نطيل مدة عذابه **ونرثه ما يقول** معناه اي ما عنده
من المال والولد باهلاكنا اياه وابطال ملكه وقيل نزيل عنه ما عنده من مال
وولد فلا يعود اليه رميلا من خلفه واذا سلب ذلك بقي فردا فذلك قوله **ويأتينا**
اي يوم القيامة **فردا** بلا مال ولا ولد فلا يصح ان يتعدد في الاخرة بما له
وولده قوله تعالى **واتخذوا من دون الله آلهة** يعني مشركي قريش اتخذوا
الاصنام آلهة يعبدونها **ليكونوا لهم عزا** اي منعة يعني يكونوا شفعاء
يمنعونهم من العذاب **كلا** اي ليس الامر كما زعموا **سيكفرون بعبادتهم**
يعني يجحد الاصنام والآلهة اي كانوا يعبدونها عبادة المشركين ويتبرون
منهم **ويكونون عليهم ضدا** اي اعوانا عليهم يكذبونهم ويلعنونهم وقيل
اعداء لهم وكانوا اولياءهم في الدنيا قوله عز وجل **الم تر انا ارسلنا الشياطين**
على الكافرين ارسلناهم عليهم **تؤزهم ازا** اي تزعجهم ازعاجا من الطاعة الى
المعصية والمعنى تحثهم وتحركهم على المعاصي تحريكا شديدا وفي الآية دليل على ان الله
تعالى مدبر لجميع الكائنات **فلا تعجل عليهم** اي لا تعجل بطلب عقوبتهم **انما نعد**
لهم عدا يعني الليالي والايام والشهور والاعوام وقيل الانفاس التي
يتنفسونها في الدنيا الى الاجل الذي اجل لهم لعذابهم قوله عز وجل **يوم نحشر**
المتقين الى الرحمن وفدا اي اذكر لهم يا محمد اليوم الذي يجتمع فيه من اتقى الله في الدنيا
بطاعته الى جنته جماعات قال ابن عباس ركبانا وقال ابو هريرة على الابل وقال
علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ما يحشرون والله على ارجلهم ولكن على نوق رحالها
من الذهب ونجائب سروجها من اليواقيت ان هموا بها سارت وان هموا بها طارت
ونسوق المجرمين اي الكافرين **الى جهنم وردا** اي مشاة عطاشا قد
تقطعت اعناقهم من العطش والورد جماعة يردون الماء ولا يرد احد الا بعد العطش
وقيل يساقون الى النار باهانة واستخفاف كانهم هم عطاش يساقون الى الماء
ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة
على ثلاث طرائق راغبين وراهبين واثنان على بعير وثلاثة على بعير واربعة على
بعير وعشرة على بعير وتحشر بقيتهم النار تقيل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث
باتوا وتصبح معهم حيث اصبحوا وتمسي معهم حيث امسوا قوله تقيل معهم حيث قالوا
من القيلولة وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة
ثلاثة اصناف صنفا مشاة وصنفا ركبانا وصنفا على وجوههم قيل يا رسول الله

كيف

كيف يمشون على وجوههم قال ان الذي امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم
على وجوههم كل حدب وشوك اخرجه الترمذي قوله تعالى **لا يملكون الشفاعة**
الا من اتخذ عند الرحمن عهدا يعني لا اله الا الله وقيل لا يشفع الشافعون
الا للمؤمنين وقيل لا يشفع الا من شهد ان لا اله الا الله اي لا يشفع الا المؤمن
وقالوا اتخذ الرحمن ولدا يعني اليهود والنصارى ومن زعم ان الملائكة بنات
الله من العرب **لقد جئتم شيئا ادا** قال ابن عباس منكرا وقيل معناه قد قلتم
قولا عظيما **تكاد السموات يتفطرن منه** من الانفطار وهي التشقق **وتنشق**
الارض اي تخسف **وتخر الجبال هدا** اي تسقط وتنطبق عليهم **ان دعوا**
اي من اجل ان جعلوا **للرحمن ولدا** فان قلت ما معنى انفطار السموات وانشقاق
الارض وخرور الجبال وما اين تؤثر هذه الكلمة في هذه الجمادات قلت فيه
وجهان احدهما ان الله تعالى يقول للشيء كن فيكون كدت افعل كذا بالسموات
والارض والجبال عند وجود هذه الكلمة غضبا مني على من تفوه بها لولا حلمي
واني لا اعجل بالعقوبة الثاني ان يكون استعظاما للكلمة وتهويلا من فظاعتها
وتصويرا لاثرها في الدين وهدمها لاركانه وقواعده قال ابن عباس فزعت
الملائكة والارض والجبال وجميع الخلائق الا الثقلين وكادت ان تزول وغضبت
الملائكة واستعرت جهنم حين قالوا لله ولدا ثم نزه الله نفسه عن اتخاذ الولد
ونفاه عنه فقال تعالى **وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا** اي ما يليق به
اتخاذ الولد ولا يوصف به لان الولد لا بد ان يكون شبيها للوالد ولا شبيه
لله تعالى ولان اتخاذ الولد انما يكون لاغراض لا تصح في الله تعالى من سروره
به واستعانته وذكر جميل بعده وكل ذلك لا يليق بالله تعالى **ان كل من في السموات**
والارض الا آتي الرحمن عبدا اي آتيه يوم القيامة عبدا ذليلا خاضعا والمعنى
ان الخلائق كلهم عبيده **لقد احصاهم وعدهم عدا** اي عد انفاسهم وايامهم وآثارهم
فلا يخفى عليه شيء من امورهم وكلهم تحت تدبيره وقهره وقدرته **وكلهم آتيه يوم**
القيامة فردا اي وحيدا ليس معه من احوال الدنيا شيء قوله عز وجل **ان الذين**
آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا اي محبة قيل يحبهم الله ويحببهم
الى عباده المؤمنين ق عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا احب
الله سبحانه وتعالى العبد نادى جبريل ان الله تعالى يحب فلانا فاحبه فيحبه
جبريل فينادي في اهل السماء ان الله يحب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء
ثم يوضع له القبول في الارض وفي رواية مسلم قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الله سبحانه وتعالى اذا احب عبدا دعا جبريل فقال اني احب فلانا
فاحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء ان الله يحب فلانا فاحبوه فيحبه اهل
السماء ثم يوضع له القبول في الارض واذا ابغض عبدا دعا جبريل فيقول اني
ابغض فلانا فابغضه فيبغضه جبريل ثم ينادي في اهل السماء ان الله

بعض فلانا فابغضوه ثم توضع له البغضاء في الارض قال هرم بن حيان ما اقبل
عبد بقلبه الى الله عز وجل الا اقبل الله بقلوب المومنين اليه حتى يرزقه مودتهم وقال
كعب مكتوب في التوراة لا محبة في الارض حتى يكون ابتداؤها من الله ينزلها على
اهل السما ثم على اهل الارض وتصديق ذلك في القران سيجعل لهم الرحمن ودا
قوله تعالى فانما يسرناه اي سهلناه بلسانك يا محمد لتبشر به المتقين يعني
المومنين وتنذر به اي بالقران قوما لدا اي شدادا في الخصومة وقيل صما عن
الحق وقيل الالد الظالم الذي لا يستقيم ولا يقبل الحق ويدعي الباطل وكم اهلكنا
قبلهم من قرن ختم الله هذه السورة بموعظة بليغة لانهم اذا علموا وايقنوا انه لا
بد من زوال الدنيا بالموت خافوا ذلك العاقبة في الاخرة فكانوا الى الحذر من
المعاصي اقرب ثم اكد ذلك فقال هل تحس منهم اي هل ترى وقيل هل تجد منهم اي
من القرون من احد او تسمع لهم ركزا اي صوتا خفيا قال الحسن بادوا جميعا
فلم يبق منهم عين ولا اثر والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة طه عليه السلام

وهي مكية وهي مائة واربع وقيل خمس وثلاثون اية والف وستمائة واحد واربعون
كلمة وخمسة الاف ومائتان واثنان واربعون حرفا عن ابن عباس ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال اعطيت السورة التي ذكرت فيها البقرة من الذكر الاول
واعطيت طه والطواسين من الواح موسى واعطيت فواتح القران وخواتيم
سورة البقرة من تحت العرش واعطيت المفصل نافلة النافلة الزيادة

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل طه هو قسم اقسم الله بطوله وهدايته وقيل هو اسم من اسما
الله فالطا افتتاح اسمه طاهر والها افتتاح اسمه هادي وقيل معناه يا رجل
والمراد به الانسان وهو النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك يا انسان وهو بالسريانية
وقيل بالقبطية فعلى هذا يكون قد وافقت لغة العرب هذه اللغات في هذه الكلمة
وقيل هو انسان بلغة عك قبيلة من قبائل العرب وقيل معناه طا الارض بقدميك
يريد به في التهجد وذلك لما نزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة
اجتهد في العبادة حتى كان يراوح بين قدميه في الصلاة لطول قيامه وكان يصلي
الليل كله فانزل الله هذه الاية وامره ان يخفف على نفسه فقال طه ما انزلنا عليك
القران لتشقى وقيل لما راى المشركون اجتهاده في العبادة قالوا ما انزل عليك
القران يا محمد الا لشقاوتك فنزلت ما انزلنا عليك القران لتشقى اي لتتعنى
وتتعب الا تذكرة لمن يخشى اي لكن انزلناه عظة لمن يخشى يا لتذكرة لانهم المنتفعون
بها تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى اي من الله الذي خلق الارض والسموات
العلية الرفيعة التي لا يقدر على خلقها في عظمها وعلوها غير الله تعالى الرحمن على

العرش

العرش استوى تقدم الكلام عليه في سورة الاعراف مستوفى له ما في السموات
وما في الارض وما بينهما اي الهوى وما تحت الثرى اي انه مالك لجميع ما في الاربعة
اقسام والثرى هو التراب الندي وقيل معناه ما وارى الثرى من شي وقال ابن
عباس الارضين على ظهر الثور وراسه وذنبه يلتقيان تحت العرش والبحر على
صخرة خضرا خضرة السما منها وهي الصخرة التي ذكر الله في قصة لقمان والصخرة
على قرن ثور والثور على الثرى ولا يعلم ما تحت الثرى الا الله تعالى وذلك الثور
فاتح فاه فاذا جعل الله البحار بحرا واحدا سالت في جوف ذلك الثور فاذا وقعت
في جوفه يبست قوله تعالى وان تجهر بالقول اي تعلن به فانه يعلم السر واخفى
قال ابن عباس السر ما تسر في نفسك واخفى من السر ما يلقيه الله في قلبك
من بعد ولا تعلم انك ستحدث به نفسك لانك لا تعلم ما تسر اليوم ولا تعلم ما
تسر غدا والله اعلم ما اسررت به اليوم وما تسر به غدا وعنه ان السر ما
اسر ابن ادم في نفسه واخفى ما خفي عليه مما هو فاعله قبل ان يعمله وقيل
السر ما اسر الرجل الى غيره واخفى من ذلك ما اسره في نفسه وقيل السر هو
العمل الذي يسره من الناس واخفى هو الوسوسة وقيل السر ان يعلم الله اسرار
العباد واخفى هو سره من عباده فلا يعلم احد سره وقيل مقصود الاية زجر المكلف
عن القبائح ظاهرة كانت او باطنة والترغيب في الطاعات ظاهرة كانت او
باطنة فعلى هذا الوجه ينبغي ان يحمل السر والاخفا على ما فيه ثواب وعقاب
فالسر هو الذي يسره المرء في نفسه من الامور التي عزم عليها والاخفى هو
الذي لم يبلغ حد العزيمة ثم وحد نفسه فقال تعالى الله لا اله الا هو له
الاسما الحسنى تانيث الاحسن والذي فضلت به اسماوه في الحسن ساير الاسما
دلالتها على معاني التقديس والتمجيد والتعظيم والربوبية والافعال التي
هي النهاية في الحسن قوله تعالى وهل اتاك حديث موسى اي قد اتاك لما تقدم
ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قفاه بقصة موسى عليه السلام ليتاسى به في تحمل
اعبا النبوة وتكاليف الرسالة والصبر على مقاسات الشدايد حتى ينال عند الله
الفوز والمقام المحمود اذ راى نارا وذلك ان موسى عليه السلام استاذن شعيبا
في الرجوع يريد ان يرجع من مدين الى مصر ليزور والدته واخاه فاذن له
فخرج باهله وماله وكانت ايام الشتا فاخذ على غير الطريق مخافة ملوك
الشام وامراته حامل في شهرها لا تدري ليلا تضع ام نهارا فسار في البرية
من طريق لا يعرفها فالجاه المسير الى جانب الطور الغربي الايمن وذلك في ليلة
مظلمة مثلجة شاتية شديدة البرد لما اراد الله من كرامته فاخذ امراته
الطلق فاخذ زنده فجعل يقدح فلا يوري فابصر نارا من بعيد عن يسار
الطور من جانب الطور فقال لاهله امكثوا اي اقيموا اني انست نارا اي ابصرت
نارا لعلي اتيكم منها بقبس اي شعلة من نار في طرف عود او اجد على النار هدى

اي احد عند النار من يدلني على الطريق **فلما اتاها** اي اتى النار راى شجرة خضرا
من اسفلها الى اعلاها اطافت لها نارا بيضا تتقد كاضوء ما يكون فلا ضوء النار
يغير خضرة فقيل كانت الشجرة سمرة خضرا وقيل كانت من العليق وقيل كانت شجرة
من العناب روي ذلك عن ابن عباس قال اهل التفسير لم يكن الذي راه موسى
نارا بل كان نورا ذكر بلفظ النار لان موسى عليه السلام حسبه نارا قال ابن عباس
هو من نور الرب سبحانه وتعالى وقيل هي النار بعينها وهي احدى حجب الله تعالى
يدل عليه ما روي عن ابي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم حجابه النار
لو كشفها لاحرقت سبحات ما انتهى اليه بصره من خلقه اخرجه مسلم قيل ان موسى
اخذ شيئا من الحشيش اليابس وقصد الشجرة فكان كلما دنا نات عنه واذا ناى
دنت منه فوقف متحيرا وسمع تسبيح الملائكة والقيت عليه السكينة **نودي يا
موسى اني انا ربك** قال وهب نودي من الشجرة فقيل يا موسى فاجاب سريعا وما
يدري من دعاه فقال اني اسمع صوتك ولا ادري مكانك فاين انت قال انا فوقك
ومعك وامامك وخلفك واقرب اليك منك فعلم ان ذلك لا ينبغي الا لله فايقن به
وقيل انه سمع بكل اجزائه حتى ان كل جارحة منه كانت اذنا وقوله **فاخلع نعليك**
كان السبب فيه ما روي عن ابن مسعود مرفوعا في قوله اخلع نعليك قال كانتا
من جلد حمار ميت وروي غير مدبوغ وانما تخلعهما صيانة للوادي المقدس وقيل
امره بخلعهما ليباشر بقدميه تراب الارض المقدسة فيناله بركتها لانها قدست
مرتين فخلعهما موسى فالقاهما من وراء الوادي **انك بالواد المقدس** اي المطهر
طوى اسم للوادي الذي حصل فيه وقيل طوى واد مستدير عميق مثل
الطوي في استدارته **وانا اخترتك** اي اصطفيتك برسالتي وبكلامي **فاستمع
لما يوحى** فيه نهاية الهيبة والجلال له كانه قال له لقد جاءك امر عظيم فتاهب
له **انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني** ولا تعبد غيري **واقم الصلاة
لذكري** اي لتذكرني فيها وقيل لذكري خاصة لا تشوبه بذكر غيري وقيل
لاخلاص ذكري وطلب وجهي ولا ترائي فيها ولا تقصد بها غرضا اخر وقيل معناه
اذا تركت صلاة ثم ذكرتها فاقمها **ق** عن انس قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من نسي صلاة فليصل اذا ذكرها لا كفارة لها الا ذلك وتلا قتادة
واقم الصلاة لذكري **ان الساعة اتية اكاد اخفيها** قال اكثر المفسرين
اكاد اخفيها من نفسي فكيف يعلمها مخلوق وكيف اظهرها لكم ذكر ذلك على عادة
العرب اذا بالغوا في كتمان الشيء تقول كتمت سرك في نفسي اي اخفيته وغاية
الاخفا والله تعالى لا يخفى عليه شيء والمعنى في اخفائها التهويل والتخويف لانهم
اذا لم يعلموا متى تكون الساعة كانوا على حذر منها كل وقت وكذلك المعنى في اخفا
وقت الموت على الانسان لانه اذا عرف وقت موته وانقضا اجله اشتغل
بالمعاصي الى ان يقرب من ذلك الوقت يتوب ويصلح العمل فيتخلص من عقاب

المعاصي

المعاصي بتعريف وقت الموت وانه اذا لم يعرف وقت موته لا يزال على قدم
الخوف والوجل فيترك المعاصي ويتوب منها في وقت مخافة معاجلة الاجل وقوله
لتجزى كل نفس بما تسعى اي بما تعمل من خير او شر **فلا يصدنك عنها** اي
فلا يصرفنك عن الايمان بالساعة ومجيئها **من لا يؤمن بها واتبع هواه**
اي مراده وخالف امر الله **فتردى** اي فتهلك قوله عز وجل **وما تلك
بيمينك يا موسى** سوال تقرير والحكمة فيه تنبيهه وتوقيفه على انها عصا
حتى اذا قلبها حية علم انها معجز عظيم **قال هي عصاي** قيل كان لها شعبتان
وفي اسفلها سنان ولها محجن واسمها نبعة **اتوكأ** اي اعتمد **عليها** اذا مشيت
واذا اعييت وعند الوثبة **واهش بها على غنمي** اي اضرب بها الشجرة
اليابسة ليسقط ورقها فترعاه الغنم **ولي فيها مارب اخرى** اي حاجات
ومنافع واراد بالمارب ما تستعمل فيه العصى في السفر فكان يحمل بها الزاد
ويشد بها الحبل ويستقي بها الماء من البير ويقتل بها الحيات ويحارب بها السباع
ويستظل بها اذا قعد وروي عن ابن عباس ان موسى كان يحمل عليها زاده وسقاه
فجعلت تماشيه وتحدثه وكان يضرب بها الارض فيخرج له ما ياكل يومه ويركزها
فيخرج الما فاذا رفعها ذهب الما وكان اذا اشتهى ثمرة ركزها فتغصن غصن
تلك الشجرة واورقت واثمرت واذا اراد الاستقاء من البير ادلاها فطالت
على طول البير وصارت شعبتاها كالدلو حتى يستقي وكانت تضي بالليل
كالسراج واذا ظهر له عدو كانت تحارب وتناضل عنه **قال** الله سبحانه وتعالى
القها يا موسى اي انبذها واطرحها قال وهب ظن موسى انه يقول ارفضها
فالقاها اي فطرحها على وجه الرفض ثم حانت منه نظرة **فاذا هي حية**
صفرا من اعظم ما يكون من الحيات **تسعى** اي تمشي بسرعة على بطنها وقال
في موضع اخر كانها جان وهي الحية الصغيرة الجسم الخفيفة وقال في موضع اخر
كانها ثعبان وهو اكبر ما يكون من الحيات ووجه الجمع ان الحية اسم جامع للكبير
والصغير والذكر والانثى فالجان عبارة عن ابتدا حالها فانها كانت حية على
قدر العصا ثم كانت تتورم وتنتفخ حتى صارت ثعبانا وهي عبارة عن انتها
حالها وقيل انها كانت في عظم الثعبان وسرعة الجان قال محمد بن اسحاق نظر
موسى فاذا العصى حية من اعظم ما يكون من الحيات وصارت شعبتاها شدقين
لها والمحجن عنقا وعرفا تهتز كالنيازك وعيناها تتقدان كالنار تمر بالصخرة
العظيمة مثل الخلفة من الابل فتلقمها وتقصف الشجرة العظيمة بانيابها ويسمع
لانيابها صريفا عظيما فلما عاين ذلك موسى ولى مدبرا وهرب ثم ذكر ربه فوقف
استحيا منه ثم نودي يا موسى اقبل وارجع حيث كنت فرجع وهو شديد الخوف
قال خذها اي بيمينك **ولا تخف** قيل كان خوفه لما عرف ما لقي ادم من
الحية وقيل لما قال له ربه لا تخف بلغ من طمانينة نفسه وذهاب الخوف

عنه ان ادخل يده في فمها واخذ بلحييها **سنعيدها سيرتها الاولى** اي الى هيئتها
فردها عصى كما كانت وقيل كان على موسى مدرعة صوف قد خاطها بعود فلما قال الله
له خذها لف طرف المدرعة على يده فامره الله تعالى ان يكشف يده فكشفها وذكر
بعضهم انه لما لف كم المدرعة على يده قال له ملك ارايت لو امر الله بما تحاذره اكانت
المدرعة تغني عنك شيئا قال لا ولكني ضعيف ومن ضعف خلقت فكشف عن يده
ثم وضعها في فم الحية فاذا هي عصا كما كانت ويده في شعبتها في الموضع الذي كان
يضعها اذا توكأ قال المفسرون اراد الله تعالى ان يري موسى ما اعطاه من الاية
التي لا يقدر عليها مخلوق ولئلا يفزع منها اذا القاها عند فرعون قوله تعالى
واضمم يدك الى جناحك اي الى ابطك وقيل تحت عضدك **تخرج بيضاء** اي
نيرة مشرقة **من غير سوء** اي من غير عيب والسوء ههنا بمعنى البرص قال ابن
عباس كان ليده نور ساطع يضيء بالليل والنهار كضوء الشمس والقمر **اية اخرى**
اي دلالة اخرى على صدقك سوى العصا **لنريك من اياتنا الكبرى** قال ابن عباس
كانت يد موسى اكبر اياته قوله عز وجل **اذهب الى فرعون انه طغى** اي جاوز الحد
في العصيان والتمرد وانما خص فرعون بالذكر مع ان موسى كان مبعوثا الى الكل
لانه ادعى الالهية وتكبر وكان متبوعا فكان ذكره الاولى وقال وهب قال الله تعالى
لموسى اسمع كلامي واحفظ وصيتي وانطلق برسالتي وانك بعيني وسمعي وان معك يدي
وبصري واني البستك جنة من سلطاني تستكمل بها القوة في امري بعثتك الى
خلق ضعيف من خلقي بطر نعمتي وامن مكري حتى جحد حقي وانكر ربوبيتي واني اقسم
بعزتي لولا الحجة التي وضعت بيني وبين خلقي لبطشت به بطشة جبار ولكن
هان علي وسقط من عيني فبلغه رسالتي وادعه الى عبادتي وحذره نقمتي وقل له
قولا لينا لا يغتر بلباس الدنيا فان ناصيته بيدي ولا يتنفس الا بعلمي قال
فسكت موسى فجاءه ملك فقال اجب ربك **قال** يعني موسى **رب اشرح لي
صدري** اي وسعه للحق قال ابن عباس يريد حتى لا اخاف غيرك وذلك ان
موسى كان يخاف فرعون خوفا شديدا لشدة شوكته وكثرة جنوده فكان
يضيق بما كلف من مقاومة فرعون وحده فسأل الله تعالى ان يوسع قلبه للحق
حتى يعلم ان احدا لا يقدر على نصرته الا باذن الله تعالى واذا علم ذلك لم يخف من
فرعون وشدة شوكته وكثرة جنوده **ويسر لي امري** اي سهل ما امرتني
به من تبليغ الرسالة الى فرعون **واحلل عقدة من لساني** وذلك ان موسى كان في
حجر فرعون ذات يوم في صغره فلطم فرعون لطمة واخذ بلحيته فقال فرعون
لامراته اسية ان هذا عدوي واراد ان يقتله فقالت اسية انه صبي لا يعقل
وقيل ان ام موسى لما فطمته ردته الى فرعون فنشأ في حجره وحجر امراته يربيانه
واتخذاه ولدا فبينما هو يلعب بين يدي فرعون وبيده قضيب اذ رفعه وضرب
به راس فرعون فغضب فرعون وتطير بضربته حتى هم بقتله فقالت اسية

ايها الملك انه صغير لا يعقل جربه ان شئت فجاءت بطشتين في احدهما جمر وفي الاخر جوهر
فوضعهما بين يدي موسى فاراد ان ياخذ الجوهر فاخذ جبريل بيد موسى فوضعها على الجمر
واخذ جمرة فوضعها على فيه فاحترق لسانه وصارت فيه عقدة **يفقهوا قولي**
اي احلل العقدة كي يفقهوا قولي **واجعل لي وزيرا من اهلي** اي معينا وظهيرا
والوزير من يوازرك ويحمل عنك بعض ثقل عملك ثم بين من هو فقال **هارون
اخي** وكان هارون اكبر من موسى وافصح لسانا واجمل واوسم وكان ابيض اللون
وكان موسى ادم اقنى جعدا **اشدد به ازري** اي قو به ظهري **واشركه في
امري** اي امر النبوة وتبليغ الرسالة **كي نسبحك كثيرا** اي نصلي لك كثيرا
ونذكرك كثيرا اي نحمدك ونثني عليك بما اوليتنا من جميع نعمك **انك كنت بنا
بصيرا** اي خبيرا عليما **قال** الله تعالى **قد اوتيت سؤلك يا موسى** اي اعطيت
جميع ما سألته **ولقد مننا عليك مرة اخرى** اي قبل هذه المرة ثم بين تلك المنة
بقوله **اذ اوحينا الى امك** وحي الهام **ما يوحى** اي ما يلهم ثم فسر ذلك الالهام
وعده نعمة عليه فقال **ان اقذفيه في التابوت** اي الهمناها ان اجعليه في التابوت
فاقذفيه في اليم يعني نهر النيل **فليلقه اليم بالساحل** يعني شاطئ البحر
ياخذه عدو لي وعدو له اي يعني فرعون فاتخذت تابوتا وجعلت فيه قطنا
ووضعت فيه موسى وقيرت رأسه وشقوقه ثم القته في النيل وكان يشرع
منه نهر كبير في دار فرعون فبينما فرعون جالس على البركة مع امراته اسية
اذ بتابوت يجيء به الماء فامر الغلمان والجواري باخراجه فاخرجوه وفتحوا رأسه
فاذا صبي من اصبح الناس وجها فلما رآه فرعون احبه بحيث لم يتمالك نفسه
وعقله فذلك قوله تعالى **والقيت عليك محبة مني** قال ابن عباس احبه وحببه
الى خلقه وقيل ما رآه احد الا احبه لملاحة كانت في عيني موسى **ولتصنع على
عيني** لتربى ويحسن اليك وانا مراعيك مراقبك كما يراعي الرجل الشيء بعينيه
اذا اعتنى به وتنظر اليه **اذ تمشي اختك** واسمها مريم متعرفة خبره **فتقول
هل ادلكم على من يكفله** اي على امرأة ترضعه وتضمه اليها وذلك انه كان لا
يقبل ثدي امرأة فلما قالت له اخته ذلك قالوا نعم فجاءت بالام فقبل ثديها
فذلك قوله **فرجعناك الى امك كي تقر عينها** اي بلقائك ورؤيتك **ولا
تحزن** اي وليذهب عنها الحزن **وقتلت نفسا** قال ابن عباس كان قتل
قبطيا كافرا وقيل كان عمره اثني عشر سنة **فنجيناك من الغم** اي من غم
القتل وكربه **وفتناك فتونا** قال ابن عباس اختبرناك اختبارا وقيل
ابتليناك ابتلاء قال ابن عباس الفتون وقوعه في محنة بعد محنة وخلصه الله
تعالى منها اولها ان امه حملته في السنة التي كان فرعون يذبح فيها الاطفال
ثم القاؤه في البحر في التابوت ثم منعه الرضاع الا من ثدي امه ثم اخذه بلحية
فرعون حين هم بقتله ثم تناول الجمرة بدل الجوهرة ثم قتل القبطي وخروجه الى

مدين خايفا فلبثت اي فمكثت سنين في اهل مدين بلدة شعيب على ثمانية مراحل
من مصر هربا اليها موسى قال وهب لبث موسى عند شعيب ثمان وعشرين سنة
عشر سنين منها يرعى الغنم مهر زوجته صفيرا ابنة شعيب وثمانية عشر اقام عنده
بعد ذلك حتى ولد له وخرج من مصر ابن اثني عشر سنة هاربا ثم جئت على قدر يا موسى
اي جئت على القدر الذي قدرت ان تجيء فيه قيل على راس اربعين سنة وهو القدر
الذي يوحى الى الانبيا فيه واصطنعتك لنفسي اي اخترتك واصطفيتك لوحيي ورسالتي
لتنصرف على ارادتي ومحبتي وذلك ان قيامه باداء الرسالة تصرف على ارادة الله
تعالى ومحبته وقيل معناه اخترتك لامري وجعلتك القايم بحجتي المخاطب بيني وبين
خلقي وكاني الذي اقمت عليهم الحجة وخاطبتهم اذهب انت واخوك باياتي اي بدلايلي
وقال ابن عباس يعني الايات التسع التي بعث بها موسى ولا تنيا اي لا تضعفا
وقيل لا تفترا ولا تقصرا في ذكري اي لا تقصرا في ذكري بالاحسان اليكما والانعام
عليكما ومن ذكر النعمة شكرها اذهبا الى فرعون انه طغى فقولا له قولا لينا
اي دارياه وارفقا به قال ابن عباس لا تعنفا في قولكما وقيل كنياه فقولا يا ابا
العباس وقيل يا ابا الوليد وقيل اراد بالقول اللين هل لك الى ان تزكى وقيل
امرهما باللطافة لما له من حق تربية موسى وقيل عداه على قبول الايمان شبابا
لا يهرم وملكا لا ينزع منه الا بالموت ويبقى عليه لذة المطعم والمشرب والمنكح الى حين
موته واذا مات دخل الجنة فلما اتاه موسى ووعده بذلك اعجبه وكان لا يقطع امرا
دون هامان وكان غايبا فلما قدم اخبره بالذي دعاه اليه موسى وقال اردت
ان اقبل منه فقال له هامان اري ذلك عقلا ورايا انت رب تريد ان تكون مربوبا
وانت تعبد تريد ان تعبد فغلبه على رايه وكان هارون بمصر فامر الله موسى ان
ياتي هارون واوحى الله الى هارون وهو بمصر ان يتلقا موسى فتلقاه الى مرحلة واخبره
بما اوحى الله اليه وقوله تعالى لعله يتذكر او يخشى اي يتعظ ويخاف فيسلم فان قلت
كيف قال لعله يتذكر وقد سبق في علمه انه لا يتذكر ولا يسلم قلت معناه اذهبا
على رجاء منكما وطمع وقضا الله ورا امركما وقيل هو الزام الحجة وقطع المعذرة كقوله
ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع
اياتك وقيل هو ينصرف الى غير فرعون مجازه لعله يتذكر متذكر او يخشى خاش
اذا راى بري والطافي على من خلقته وانعمت عليه ثم ادعى الربوبية وقيل لعل
من الله واجب ولقد تذكر فرعون وخشي حين لم تنفعه التذكري وذلك حين
الجمه الغرق وقرا رجل عند يحيى بن معاذ الرازي فقولا له قولا لينا الاية
فبكى يحيى وقال الهي هذا رفقك بمن يقول انا اله فكيف رفقك بمن يقول انت الاله
قالا يعني موسى وهارون ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا قال ابن عباس يعجل
علينا بالقتل والعقوبة او ان يطغى اي يجاوز الحد في الاساءة الينا قال الله تعالى
لا تخافا انني معكما اسمع وارى قال ابن عباس اسمع دعاكما فاجيبه وارى ما يراد بكما

فامنع

فامنع لست بغافل عنكما فلا تهتما فاتياه فقولا انا رسولا ربك اي ارسلنا اليك
ربك فارسل معنا بني اسرايل اي ارحل عنهم واطلقهم من اعمالك ولا تعذبهم اي لا تتعبهم
في العمل وكان فرعون يستعملهم في الاعمال الشاقة كالبنا وقطع الصخور مع قتل
الولدان وغيره لك قد جيناك باية من ربك قال فرعون وما هي فاخرج موسى
يده لها شعاع كشعاع الشمس وقيل معناه قد جيناك بالمعجزة وبرهان يدل
على صدقنا على ما ادعيناه من الرسالة والسلام على من اتبع الهدى ليس المراد
منه سلام التحية بل انما معناه سلم من العذاب من اسلم انا قد اوحي الينا ان العذاب
على من كذب وتولى اي انما يعذب الله من عذب بما جينا به واعرض عنه قال يعني فرعون
فمن ربكما يا موسى اي فمن الهكما الذي ارسلكما قال ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم
هدى اي كل شي يحتاجون اليه ويرتفقون به وقيل اعطى كل شيء صلاحه وهداه
وقيل اعطى كل شيء صورته فخلق اليد للبطش والرجل للمشي واللسان للنطق
والعين للنظر والاذن للسمع ثم هداه الى منافعه من المطعم والمشرب والمنكح وقيل
يعني جعل زوجة للرجل المراة وللبعير الناقة وللفرس الرمكة وهي الحجرة وللحمار
الاتان ثم هدى اي الهمه كيف ياتي الذكر الانثى قال يعني فرعون فما بال القرون
الاولى اي فما حال القرون الماضية والامم الخالية مثل قوم نوح وعاد وثمود
فانهم كانت تعبد الاوثان وتنكر البعث وانما قال فرعون ذلك لموسى حين خوفهم
مصارع الامم الخالية فحينيذ قال فرعون فما بال القرون الاولى قال يعني
موسى علمها عند ربي اي اعمالها محفوظة عند الله يجازي بها وقيل انما رد موسى علم
ذلك الى الله عز وجل لانه لم يعلم ذلك لان التوراة انما نزلت بعد هلاك فرعون
وقومه في كتاب يعني اللوح المحفوظ لا يضل ربي اي لا يخطي وقيل لا يغيب
عنه شي ولا ينسى اي فيتذكر وقيل لا ينسى ما كان من اعمالهم حتى يجازيهم بها الذي
جعل لكم الارض مهادا اي فراشا وقيل مهدها لكم وسلك لكم فيها سبلا اي ادخل
في الارض لاجلكم طرقا وسهلها لكم لتسلكوها وانزل من السماء ماء يعني المطر ثم الاخبار
عن موسى ثم قال الله تعالى فاخرجنا به اي بذلك الماء ازواجا اي اصنافا من نبات
شتى اي مختلفة الالوان والطعوم والمنافع فمنها ما للناس ومنها ما للدواب
كلوا وارعوا انعامكم اي اخرجنا اصناف النبات للانتفاع بالاكل والرعي ان في
ذلك اي الذي ذكرت لايات لاولي النهى اي لذوي العقول وقيل هم الذين ينتهون
عما حرم الله عليهم منها منها خلقناكم اي من الارض خلقنا ادم وقيل ان الملك
ينطلق فياخذ من التراب الذي يدفن فيه فيذره على النطفة فيخلق من التراب
ومن النطفة وفيها نعيدكم اي عند الموت والدفن ومنها نخرجكم تارة اخرى
اي يوم القيامة للبعث والحساب قوله عز وجل ولقد اريناه اي فرعون
اياتنا كلها يعني الايات التسع التي اعطاها الله موسى فكذب وابى
يعني فرعون وزعم انها سحر وابى ان يسلم قال يعني فرعون اجئتنا لتخرجنا من

ارضنا يعني مصر بسحرك يا موسى اي نريد ان تغلب على ديارنا فيكون لك الملك
وتخرجنا منها فلناتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا اي اضرب لنا اجلا
وميقاتا لا نخلفه اي لا نجاوزه نحن ولا انت مكانا سوى اي مكانا عدلا وقال
ابن عباس نصفا يستوي مسافة الفريقين اليه وقيل معناه سوى هذا المكان
قال يعني موسى موعدكم يوم الزينة قيل كان يوم عيد لهم يتزينون فيه ويجتمعون
كل سنة وقيل هو يوم النيروز وقال ابن عباس يوم عاشورا وان يحشر الناس ضحى
اي وقت الضحوة نهارا جهارا ليكون ابعد من الزينة فتولى فرعون فجمع يعني
فرعون كيده يعني مكره وحيله وسحره ثم اتى الميعاد قال لهم موسى
يعني للسحرة الذين جمعهم فرعون وكانوا اثنين وسبعين ساحرا مع كل ساحر
حبل وعصى وقيل كانوا اربعماية وقيل كانوا اثنى عشر الفا ويلكم لا تفتروا
على الله كذبا فيسحتكم بعذاب اي فيهلككم ويستاصلكم وقد خاب من افترى
اي خسر من ادعى مع الله الها اخر وقيل معناه خسر من كذب على الله قوله عز وجل
فتنازعوا امرهم بينهم اي تناظروا وتشاوروا يعني السحرة في امر موسى سرا
من فرعون فقالوا ان غلبنا موسى اتبعناه وقيل لما قال لهم موسى ويلكم لا
تفتروا على الله كذبا قال بعضهم لبعض ما هذا بقول ساحر واسروا النجوى
اي المناجاة قالوا اي بعضهم لبعض سرا ان هذين لساحران يعني موسى
وهارون يريدان ان يخرجاكم من ارضكم يعني مصر بسحرهما ويذهبا بطريقتكم
المثلى قال ابن عباس يعني بسراة قومهم واشرافهم وقيل يصرفان وجوه الناس
عنكم وقيل اراد اهل طريقتكم المثلى وهم بنوا اسرايل يعني يريدان يذهبا بهم
لانفسهم وقيل معناه ثم ائتوا المكان الموعود به وقد افلح اليوم من استعلى
اي فاز من غلب قالوا يعني السحرة يا موسى اما ان تلقي اي عصاك واما ان نكون
اول من القى اي عصاه قال يعني موسى بل القوا يعني انتم اولا فاذا حبالهم
فيه اضمار اي فالقوا فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى
قيل انهم لما القوا الحبال والعصي اخذوا اعين الناس فراى موسى كان الارض
امتلات حيات وكانت قد اخذت ميلا في ميل من كل جانب وراوها انها تسعى
فاوجس اي اضمر وقيل وجد في نفسه خيفة موسى قيل هو طبع البشرية
وذلك انه ظن انها تقصده وقيل انه خاف على القوم ان يلتبس عليهم الامر فيشكوا
في امره فلا يتبعونه قلنا لا تخف اي قال الله لموسى لا تخف انك انت
الاعلى اي الغالب عليهم ولك الغلبة والظفر والق ما في يمينك اي عصاك
والمعنى لا يخيفنك كثرة حبالهم وعصيهم فان في يمينك شيا اعظم منها كلها تلقف
اي تلتقم وتبتلع ما صنعوا انما صنعوا كيد ساحر اي حيلة ساحر ولا يفلح
الساحر حيث اتى اي من الارض وقال ابن عباس لا يسعد حيث كان فالقي
السحرة سجدا قالوا امنا برب هارون وموسى قال صاحب الكشاف سبحان الله

ما اعجب امرهم قد القوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود ثم القوا روسهم للشكر والسجود
فما اعظم الفرق بين الالقايين وقيل انهم لم يرفعوا روسهم حتى راوا الجنة والنار وقيل
لما سجدوا اراهم الله عز وجل في سجودهم منازلهم التي يصيرون اليها في الجنة
قال يعني فرعون امنتم له قبل ان اذن لكم انه لكبيركم اي لرئيسكم وعظيمكم يعني انه
اسحركم واعلمكم في صناعة السحر ومعلمكم الذي علمكم السحر فلاقطعن ايديكم
وارجلكم من خلاف اي اقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى ولاصلبنكم في
جذوع النخل اي على جذوع النخل ولتعلمن اينا اشد عذابا اي على ايمانكم
به انا او رب موسى على ترك الايمان به وابقى اي ادوم قالوا يعني السحرة
لن نؤثرك اي نختارك على ما جاءنا من البينات يعني الدلالات الواضحات
قيل هي اليد والعصى وقيل كان استدلالهم انهم قالوا لو كان هذا سحرا فاين حبالنا
وعصينا وقيل انهم لما سجدوا راوا الجنة والنار وراوا منازلهم في الجنة فعند
ذلك قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا قيل هو قسم وقيل
معناه لن نؤثرك على الله الذي فطرنا فاقض ما انت قاض اي فاصنع ما
انت صانع انما تقضي هذه الحياة الدنيا اي انما امرك وسلطانك في الدنيا
وسيزول عن قريب انا امنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما اكرهتنا عليه من السحر
فان قلت قالوا امنا وقد جاءوا مختارين غير مكرهين قلت كان فرعون اكرههم
في الابتداء على تعلم السحر لكيلا يذهب اصله وقيل كانت السحرة اثنين وسبعين
اثنان من القبط وسبعون من بني اسرايل وكان فرعون اكره الذين هم من بني اسرايل
على تعلم السحر وقيل قال السحرة لفرعون ارنا موسى اذا نام فاراهم موسى
نايما وعصاه تحرسه فقالوا لفرعون هذا ليس بساحر ان الساحر اذا نام بطل
سحره فابى عليهم واكرههم على ان يعملوا فذلك قولهم وما اكرهتنا عليه من السحر
والله خير وابقى اي خير منك ثوابا وابقى عقابا وقيل خير منك ان اطيع
وابقى عذابا ان اعصي وهذا جواب لقوله اينا اشد عذابا وابقى انه من يات ربه مجرما
قيل هذا ابتدا كلام من الله تعالى وقيل هو من تمام قول السحرة معناه من مات
على الشرك فان له جهنم لا يموت فيها فيستريح ولا يحيى حياة ينتفع بها ومن ياته
مومنا اي من مات على الايمان قد عمل الصالحات فاولئك لهم الدرجات العلى
اي الرفيعة العلية ثم فسر الدرجات بقوله جنات عدن تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى اي تطهر من الذنوب وقيل اعطى
زكاة نفسه وقال لا اله الا الله عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان اهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما ترون النجم الطالع
في افق السما وان ابا بكر وعمر منهم وانعما اخرجه الترمذي قوله وانعما يقال
احسن فلان الي وانعم اي افضل وزاد في الاحسان والمعنى انهما منهم وزاد
وتناهيا الى غايته قوله تعالى ولقد اوحينا الى موسى ان اسر بعبادي اي سر بهم

بلد من ارض مصر فاضرب لهم طريقا اي اجعل لهم طريقا في البحر بالضرب
بالعصى يبسا اي يابسا ليس فيه ماء ولا طين وذلك ان الله تعالى ايبس لهم
الطريق في البحر لا تخاف دركا ولا تخشى قيل معناه لا تخاف ان يدركك فرعون
من ورائك ولا تخشى ان يغرقك البحر امامك فاتبعهم اي فلحقهم فرعون
بجنوده فغشيهم اي اصابهم من اليم ما غشيهم وهو الغرق وقيل علاهم
وسترهم من اليم ما لم يعلم كنهه الا الله تعالى فغرق فرعون وجنوده ونجى موسى
وقومه واضل فرعون قومه وما هدى اي وما ارشدهم وهو تكذيب لفرعون في
قوله وما اهديكم الا سبيل الرشاد قوله عز وجل يا بني اسرائيل قد انجيناكم
من عدوكم ووعدناكم جانب الطور الايمن ونزلنا عليكم المن والسلوى ذكرهم الله
تعالى النعمة في نجاتهم وهلاك عدوهم وفيما واعد موسى من المناجاة بجانب الطور
وكتب التوراة في الالواح وانما قال ووعدناكم لانها اتصلت بهم حيث كانت
لنبيهم ورجعت منافعها اليهم وبها قوام دينهم وشريعتهم وفيما افاض عليهم
من سائر نعمه وارزاقه كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه قال ابن عباس
لا تظلموا وقيل لا تكفروا النعمة فتكونوا كافرين طاغين وقيل لا تنفقوا
بنعمتي على المعاصي وقيل لا تدخروا فيحل عليكم غضبي اي يجب عليكم غضبي
ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى اي هلك وسقط في النار واني لغفار لمن تاب
قال ابن عباس تاب عن الشرك وآمن اي وحد الله وصدقه وعمل صالحا اي ادى
الفرائض ثم اهتدى قال ابن عباس من علم ان ذلك توفيق من الله تعالى وقيل
لزم الاسلام حتى مات عليه وقيل علم ان لذلك ثوابا وقيل اقام على السنة قوله
تعالى وما اعجلك عن قومك يا موسى وذلك ان موسى اختار من قومه سبعين
رجلا حتى يذهبوا معه ليأخذوا التوراة فسار بهم ثم عجل موسى من بينهم شوقا
الى ربه وخلف السبعين وامرهم ان يتبعوه الى الجبل فقال الله له وما اعجلك
عن قومك يا موسى فاجاب ربه فقال هم اولاء على اثري اي هم بالقرب مني
يأتون على اثري من بعدي فان قلت لم يطابق السؤال الجواب فانه سأله عن
سبب العجلة فعدل عن الجواب فقال هم اولاء على اثري قلت كان هم موسى
بسط العذر وتمهيد العلة في نفس ما انكر عليه واعتل بانه لم يوجد منه الا
تقدم يسير ثم عقبه بجواب السؤال فقال وعجلت اليك رب لترضى اي
لتزداد رضى قال فانا قد فتنا قومك اي فانا ابتلينا الذين خلفتهم مع هارون
وكانوا ستمائة الف فافتتنوا بالعجل غير اثني عشر الفا من بعدك اي من بعد
انطلاقك الى الجبل واضلهم السامري اي دعاهم وصرفهم الى الضلالة وهو عبادة
العجل اضاف الضلال الى السامري لانهم ضلوا بسببه وقيل ان جميع المسببات
تضاف الى منشئها في الظاهر وان كان الموجد لها في الاصل هو الله تعالى فلذلك قوله
هاهنا قيل كان السامري من عظماء بني اسرائيل من قبيلة يقال لها السامرة وقيل كان

من القبط وكان جارا لموسى وآمن به وقيل كان علجا من علوج كرمان رفع الى مصر
وكان من قوم يعبدون البقر فرجع موسى الى قومه غضبان اسفا اي حزينا
جزعا قال يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا اي صدقا انه يعطيكم التوراة
افطال عليكم العهد اي مدة مفارقتي اياكم ام اردتم ان يحل عليكم غضب
من ربكم يعني اردتم ان تفعلوا فعلا يجب عليكم الغضب من ربكم فاخلفتم موعدي
يعني فاوعدوه من الاقامة على دينه الى ان يرجع قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا
اي ونحن نملك امرنا وقيل باختيارنا وذلك ان المرء اذا وقع في الفتنة لم يملك
نفسه ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم اي حملنا مع انفسنا ما كنا
قد استعرناه من قوم فرعون والاوزار الاثقال سميت اوزارا لكثرتها وثقلها
وقيل الاوزار الآثام اي حملنا آثاما وذلك ان بني اسرائيل استعاروا حليا
من القبط ولم يردوها وبقيت معهم الى حين خروجهم من مصر وقيل ان الله
تعالى لما اغرق فرعون نبذ البحر حليهم فاخذها بنو اسرائيل فكانت الغنيمة
ولم تكن الغنائم تحل لهم فقذفناها اي القيناها قيل ان السامري
قال لهم احفروا حفيرة والقوها فيها حتى يرجع موسى فيرى رأيه فيها وقيل
ان هارون امرهم بذلك ففعلوا فكذلك القى السامري اي ما كان معه من
الحلي فيها قال ابن عباس اوقد هارون نارا وقال اقذفوا ما معكم فيها وقيل ان هارون
مر على السامري وهو يصوغ العجل فقال له ما هذا فقال اصنع ما ينفع ولا يضر
فادع لي فقال هارون اللهم اعطه ما سألك على ما في نفسه فالقى السامري
ما كان معه من تربة حافر فرس جبريل في فم العجل وقال كن عجلا يخور فكان كذلك
بدعوة هارون فذلك قوله تعالى فاخرج لهم عجلا جسدا له خوار اختلفوا
هل كان الجسد حيا ام لا على قولين احدهما لا لانه لا يجوز اظهار خرق العادة
على يدي ضال بل ان السامري صوره صورة على شكل العجل وجعل فيه منافذ ومخارق
بحيث اذا دخلت فيها الرياح صوت كصوت العجل الثاني انه صار حيا وخار كما
يخور العجل فقالوا هذا الهكم واله موسى يعني قال ذلك السامري ومن تابعه ممن
افتتن به وقيل عكفوا عليه واحبوه حبا لم يحبوا شيئا قط مثله فنسي قيل هو اخبار عن قول
السامري ان موسى نسي الهه وتركه هاهنا وذهب يطلبه وقيل معناه ان موسى
انما طلب هذا ولكنه نسيه وخالفه في طريق آخر فاخطأ الطريق وضل وقيل
هو من كلام الله وكانه اخبر عن السامري انه نسي الاستدلال على حدوث الاجسام
وان الاله لا يحل في شيء ولا يحل فيه شيء ثم بين سبحانه وتعالى المعنى الذي يجب
الاستدلال به فقال افلا يرون انه لا يرجع اليهم قولا اي ان العجل لا يرد
لهم جوابا اذا دعوه ولا يكلمهم ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا هذا توبيخ لهم اذا
عبدوا من لا يملك ضرا من ترك عبادته ولا ينفع من عبده وكان العجل فتنة
من الله تعالى ابتلى به بني اسرائيل قوله عز وجل ولقد قال لهم هارون من قبل

اي من قبل رجوع موسى يا قوم انما فتنتم به اي ابتليتم بالعجل وان ربكم الرحمن
فاتبعوني اي على ديني في عبادة الله واطيعوا امري اي في ترك عبادة العجل
اعلم ان هارون عليه السلام سلك في هذا الوعظ احسن الوجوه لانه زجرهم
اولا عن الباطل بقوله انما فتنتم به ثم دعا الى معرفة الله بقوله وان ربكم الرحمن
ثم دعاهم الى معرفة النبوة بقوله فاتبعوني ثم دعاهم الى الشرايع بقوله واطيعوا
امري فهذا هو الترتيب الجيد لانه لا بد من اماطة الاذى عن الطريق وهو ازالة
الشبهات ثم معرفة الله فانها هي الاصل ثم النبوة ثم الشريعة وانما قال وان
ربكم الرحمن فخص هذا الموضع بهذا الاسم لانه ينبههم انهم متى تابوا قبل الله
توبتهم لانه هو الرحمن الرحيم فقابلوا هذا القول بالاصرار والجحود قالوا
لن نبرح اي لن نزال عليه اي على عبادة العجل عاكفين اي مقيمين حتى يرجع
الينا موسى كانهم قالوا لن نقبل حجتك ولن نقبل الا قول موسى فاعتزلهم
هارون في اثني عشر الفا الذين لم يعبدوا العجل فلما رجع موسى سمع الصياح
والجلبة وكانوا يرقصون حول العجل فقال للسبعين الذين معه هذا صوت
الفتنة فلما راى هارون اخذ شعر راسه بيمينه ولحيته بيساره وقال له
يا هارون ما منعك اذ رايتهم ضلوا اي اشركوا ان لا تتبعني اي تتبع امري ووصيتي
وهلا قاتلتهم وقد علمت اني لو كنت فيهم لقاتلتهم على كفرهم وقيل معناه ما
منعك من اللحوق بي واخباري بضلالتهم فتكون مفارقتك اياهم زجرا لهم عما
اتوه افعصيت امري اي خالفت امري قال يا ابن ام لا تاخذ بلحيتي ولا براسي
اي بشعر راسي وكان قد اخذ بذوابيه اني خشيت اي لو انكرت عليهم لصاروا
حزبين يقتتل بعضهم بعضا ان تقول اي فتقول فرقت بين بني اسرايل اي
خشيت ان فارقتهم واتبعتك يصيروا احزابا يتقاتلون فتقول فرقت بين بني
اسرايل ولم ترقب قولي اي ولم تحفظ وصيتي حين قلت لك اخلفني في قومي واصلح
وارفق بهم ثم اقبل موسى على السامري قال فما خطبك يا سامري اي ما امرك
وما شانك وما الذي حملك على ما صنعت قال يعني السامري بصرت بما لم
يبصروا به فقبضت قبضة من اثر الرسول اي من تراب حافر فرس جبريل فنبذتها
اي فقذفتها في فم العجل فخار فان قلت كيف عرف السامري جبريل وراه من
بين ساير الناس قلت ذكروا فيه وجهين احدهما ان امه ولدته في السنة التي
كان يقتل فيها البنون فوضعته في كهف حذرا عليه من القتل فبعث الله اليه
جبريل ليربيه لما قضى الله على يديه من الفتنة والوجه الثاني انه لما نزل جبريل الى
موسى ليذهب به الى الطور فراه السامري من بين ساير الناس فلما راه قال
ان لهذا شانا فقبض القبضة من اثر تربة موطيه فلما ساله موسى قال فقبضت
من اثر الرسول اليك يوم جاءك الميعاد وقيل راه يوم فلق البحر فاخذ القبضة
وجعلها في عمامته لما يريد الله تعالى ان يظهره من الفتنة على يديه وهو قوله

وكذلك

وكذلك سولت لي نفسي اي زينت لي نفسي وقيل هو من السؤال والمعنى انه لم يدعني
اليه احد فعلته غيري واتبعت فيه هواي قال فاذهب يعني قال موسى للسامري
اذهب فان لك في الحياة اي ما دمت حيا ان تقول لا مساس اي لا تخالط احدا
فعوقب في الدنيا بعقوبة لا شيء اوحش منها ولا اعظم وذلك ان موسى عليه
السلام امر بني اسرايل ان لا يخالطوه ولا يقربوه وحرم عليهم ملاقاته ومكالمته
ومبايعته ومواجهته وقال ابن عباس لا مساس لك ولولدك فسار السامري
يهيم في البرية مع الوحوش ولا السباع لا يمس احدا ولا يمسه احد وقيل كان
اذا مس احدا او مسه احد حما جميعا فتحاما الناس وتحاموه وكان يصيح لا مساس
حتى ان بقاياهم اليوم يقولون ذلك وان لك اي يا سامري موعدا اي لعذابك
في الاخرة لن تخلفه قري بكسر اللام ومعناه لن تغيب عنه ولا مذهب
لك عنه بل توافيه يوم القيامة وقري بالفتح اي ان تكذبه ولن يخلفك الله
بل يكافيك على فعلك وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا اي دمت عليه
تعبده ما تعبده لنحرقنه اي بالنار ثم لننسفنه اي لنذرينه في اليم
اي في البحر نسفا روي ان موسى اخذ العجل فذبحه فسال منه دم وحرقه
في النار ثم ذراه في البحر وقيل معناه لنحرقنه اي لنبردنه فعلى هذا التاويل
لم ينقلب لحما ودما فان ذلك لا يمكن ان يبرد بالمبرد ويمكن ان يقال صار لحما
ودما فذبح ثم برد عظامه بالمبرد حتى صار بحيث يمكن نسفها في
البحر فلما فرغ موسى من امر العجل وابطال ما ذهب اليه السامري رجع الى
بيان الدين الحق فقال مخاطبا لبني اسرايل انما الهكم الله اي المستحق
للعبادة والتعظيم الذي لا اله الا هو وسع كل شيء علما اي وسع علمه كل شيء
وقيل يعلم من يعبده قوله تعالى كذلك نقص عليك من انباء اي من اخبار ما
قد سبق يعني الامم الخالية وقيل ما سبق من الامور وقد اتيناك من لدنا
ذكرا وهو القران من اعرض عنه اي عن القران ولم يومن به ولم يعمل
بما فيه فانه يحمل يوم القيامة وزرا اي حملا ثقيلا من الاثم خالدين فيه
اي مقيمين في عذاب الوزر وساء لهم يوم القيامة حملا اي بيس ما حملوا على
انفسهم من الاثم يوم ينفخ في الصور قيل هو قرن ينفخ فيه يدعى به الناس
للحشر والمراد بهذه النفخة النفخة الثانية لانه اتبعه بقوله ونحشر
المجرمين يومئذ زرقا اي نحشر المشركين زرق العيون سود الوجوه وقيل
عميا وقيل عطاشا يتخافتون بينهم اي يتشاورون بينهم ويتكلمون خفية
ان لبثتم اي مكثتم في الدنيا الا عشرا اي عشر ليال وقيل في القبور
وقيل بين النفختين وهو مقدار اربعين سنة وذلك ان العذاب رفع عنهم بين
النفختين فاستقصروا مدة لبثهم لهول ما عاينوا وقال الله تعالى نحن اعلم
بما يقولون اي يتشاورونه بينهم اذ يقول امثلهم طريقة اي اوفاهم عقلا

واعد لهم قولا ان لبثتم الا يوما قصر ذلك في اعينهم في جنب ما استقبلهم من اهوال
يوم القيامة وقيل نسوا مقدار لبثهم لشدة ما دهمهم قوله عز وجل ويسئلونك
عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا قال ابن عباس سال رجل من ثقيف رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال كيف تكون الجبال يوم القيامة فانزل الله عز وجل
هذه الاية والنسف هو القلع اي يقلعها من اصولها ويجعلها هبا منثورا
فيذرها قاعا صفصفا اي يدع اماكن الجبال من الارض قاعا صفصفا
اي ارضا ملسا مستوية لا نبات فيها لا ترى فيها عوجا ولا امتا اي لا انخفاضا
ولا ارتفاعا اي لا ترى واديا ولا رابية يومئذ يتبعون الداعي اي
صوت الداعي الذي يدعوهم الى موقف القيامة وهو اسرافيل وذلك انه
يضع الصور على فيه ويقف على صخرة بيت المقدس ويقول ايتها العظام
البالية والجلود المتمزقة واللحوم المتفرقة هلموا الى عرض الرحمن لا عوج
له اي لا عوج لهم عن دعايه ولا يزيغون عنه يمينا ولا شمالا بل يتبعونه
سراعا وخشعت الاصوات للرحمن اي سكنت وذلت وخضعت والمراد
به اصحاب الاصوات من شدة الفزع فلا تسمع الا همسا وهو الصوت
الخفي قال ابن عباس هو تحريك الشفاه من غير نطق وقيل اراد بالهمس صوت
وطي الاقدام الى المحشر كصوت اخفاف الابل يومئذ لا تنفع الشفاعة
اي لا احد من الناس الا من اذن له الرحمن اي الا من اذن له ان يشفع
ورضي له قولا قال ابن عباس يعني قال لا اله الا الله وفيه دليل
على انه لا يشفع غير المومن وقيل درجة الشافع درجة عظيمة فهي لا
تحصل الا لمن اذن الله له فيها وكان عند الله مرضيا يعلم ما بين ايديهم وما
خلفهم قيل الكناية راجعة الى الذين يتبعون الداعي اي يعلم ما قدموا
من الاعمال وما خلفوا من الدنيا وقيل الضمير يرجع الى من اذن له الرحمن
وهو الشفاعة والمعنى لا تنفع الشفاعة الا لمن اذن له ان يشفع ثم قال يعلم
ما بين ايدي الشافعين وما خلفهم ولا يحيطون به علما قيل الكناية راجعة الى ما
اي هو يعلم ما بين ايديهم وهم لا يعلمون والمعنى ان العباد لا يحيطون بما بين
ايديهم وما خلفهم علما وقيل الكناية راجعة الى الله تعالى اي ولا يحيطون
بالله علما وعنت الوجوه اي ذلت وخضعت في ذلك اليوم ويصير الملك
والقهر لله تعالى دون غيره وذكر الوجوه واراد به المكلفين لان عنت من صفات
المكلفين لا من صفات الوجوه وانما خص الوجوه بالذكر لان الخضوع بها يتبين
وفيها يظهر وقوله للحي القيوم تقدم تفسيره وقد خاب من حمل ظلما
قال ابن عباس من اشرك بالله ومن يعمل من الصالحات وهو مومن فلا يخاف
ظلما ولا هضما قال ابن عباس معناه لا يخاف ان يزاد على سياته ولا
ينقص من حسناته وقيل لا يواخذ بذنب لم يعمله ولا يبطل عنه حسنة عملها

قوله

قوله عز وجل وكذلك انزلناه اي كما بينا في هذه السورة هذه الايات المتضمنة
للوعيد انزلنا القران كله كذلك وقوله قرانا عربيا اي بلسان العرب ليفهموه
ويقفوا على اعجازه وحسن نظمه وخروجه عن كلام البشر وصرفنا فيه من
الوعيد الذي كررنا وفصلنا القول فيه بذكر الوعيد ويدخل تحت الوعيد
بيان الفرايض والمحارم لان الوعيد فيما يتعلق فتكريره وتصريفه يقتضي بيان
الاحكام فلذلك قال تعالى لعلهم يتقون اي يجتنبون الشرك والمحارم
وترك الواجبات او يحدث لهم ذكرا اي انما انزلنا القران ليصيروا متقين
مجتنبين ما لا ينبغي ويحدث لهم ذكرا يرغبهم في فعل الطاعات وفعل ما ينبغي
وقيل معناه تحدث لهم القران عبرة وعظة فيعتبروا ويتعظوا بذكر عقاب
الله الامم السالفة قوله عز وجل فتعالى الله الملك الحق اي جل وعظم عن
الحاد الملحدين وعما يقوله المشركون والجاحدون وقيل فيه تنبيه على ما يلزم
خلقه من تعظيمه وتمجيده وقيل انما وصف نفسه بالملك الحق لان ملكه لا يزول
ولا يتغير وليس بمستفاد من قبل الغير ولا غيره اولى به منه ولا تعجل
بالقران ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل عليه جبريل بالقران يبادر
فيقرا معه قبل ان يفرغ جبريل مما يريده من التلاوة مخافة الانفلات والنسيان
فنهاه الله تعالى عن ذلك فقال ولا تعجل بالقران اي لا تعجل بقراءته من قبل
ان يقضى اليك وحيه اي من قبل ان يفرغ جبريل من الابلاغ وقيل معناه لا
تقرئه اصحابك ولا تمله عليهم حتى يتبين لك معناه وقل رب زدني علما فيه
التواضع لله والشكر له والمعنى زدني علما الى ما علمت فان لك في كل شيء علما
وحكمة وقيل ما امر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بطلب الزيادة في شيء الا في
العلم وقيل كان ابن مسعود اذا قرا هذه الاية قال اللهم زدني ايمانا ويقينا قوله
عز وجل ولقد عهدنا الى ادم اي امرناه واوحينا اليه ان لا ياكل من الشجرة من قبل
اي من قبل هولاء الذين نقضوا عهدي وتركوا الايمان وهم الذين ذكرهم الله
في قوله لعلهم يتقون فنسي اي فترك ما عهدنا اليه من الاحتراز عن اكل
الشجرة واكل منها وقيل اراد النسيان الذي هو ضد الذكر ولم نجد له عزما
اي صبرا عما نهي عنه وحفظا لما امر به وقيل معناه لم نجد له رايا معزوما
حيث اطاع عدوه ابليس الذي حسده وابى ان يسجد له وقيل معناه لم نجد له
عزما على المقام على المعصية فيكون الى المدح اقرب قوله عز وجل واذ قلنا
للملايكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس ابى ان يسجد فقلنا يا ادم ان هذا
اي ابليس عدو لك ولزوجك اي حوا وسبب العداوة ما راى من انعام الله
على ادم فحسده فصار عدوا له فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى اسند
الخروج اليه وان كان الله تعالى هو المخرج لما كان بوسوسته وفعل ادم ما يترتب
عليه الخروج مع ذلك ومعنى تشقى تتعب وتنصب ويكون عيشك من كد يمينك

وعرق جبينك ومن الحرث والزرع والحصد والطحن والخبز قيل اهبط الى آدم
ثور احمر فكان يحرث عليه ويمسح العرق عن جبينه وكان ذلك شقاوة فان قلت
لم اسند الشقا الى آدم دون حوى قلت فيه وجهان احدهما ان في ضمن شقا
الرجل شقا اهله كما ان في سعادته سعادتهم لانه القيم عليهم الثاني اريد بالشقا
التعب في طلب القوت وذلك على الرجل دون المراة لان الرجل هو الساعي عليها
ان لك ان لا تجوع فيها اي في الجنة **ولا تعرى وانك لا تظمأ** اي تعطش **فيها**
ولا تضحى اي لا تبرز للشمس فيوذيك حرها لانه ليس في الجنة شمس واهلها
في ظل ممدود والمعنى ان الشبع والري والكسوة والكن من الامور التي يدور
عليها كفاف الانسان فذكر الله حصول هذه الاشيا في الجنة وانه مكفي لا
يحتاج الى كفاية كاف ولا الى كسب كاسب كما يحتاج اليه اهل الدنيا **فوسوس اليه**
الشيطان اي انهى اليه الوسوسة واسرها اليه ثم بين تلك الوسوسة ما هي
قال يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد اي على الشجرة التي ان اكلت منها بقيت مخلدا
وملك لا يبلى اي لا يبيد ولا يفنى رغبة في دوام الراحة فكان الشي الذي رغب
الله فيه آدم رغبه ابليس فيه الا ان الله تعالى وقف ذلك على الاحتراس من تلك
الشجرة وابليس وقفه على الاقدام عليها وادم مع كمال علمه بان الله هو خالقه
وربه ومولاه وناصره وابليس هو عدوه اعرض عن قول الله تعالى ولم يرد المخالفة
ومن تامل هذا السر عرف انه لا دافع لقضا الله ولا مانع منه وقوله تعالى
فاكلا منها يعني اكل آدم وحوا من الشجرة **فبدت لهما سواتهما** اي عريا من
الثوب الذي كان عليهما حتى بدت فروجهما وظهرت عوراتهما **وطفقا يخصفان**
عليهما من ورق الجنة اي يلزقان ليسوا بهما من ورق التين **وعصى آدم**
ربه اي باكل الشجرة **فغوى** اي فعل ما لم يكن له فعله وقيل اخطا
طريق الحق وضل حيث طلب الخلد باكل ما نهي عنه فخاب ولم ينل مراده وصار
من العز الى الذل ومن الراحة الى التعب قال ابن قتيبة يجوز ان يقال عصى آدم
ولا يجوز ان يقال آدم عاص لانه لا يقال الا لمن اعتاد فعل المعصية كالرجل يخيط ثوبه
يقال هو خاط ثوبه ولا يقال هو خياط حتى يعاود ذلك مرارا ويعتاده **ق** عن
ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احتج آدم وموسى
فقال موسى يا آدم انت ابونا اخرجتنا من الجنة فقال له آدم انت يا موسى
اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة بيده اتلومني على امر قدره الله علي قبل
ان يخلقني باربعين سنة فحج آدم موسى وفي رواية لمسلم يا آدم ربكم وجدت الله
كتب التوراة قبل ان اخلق قال موسى باربعين عاما قال وهل وجدت فيها وعصى آدم
ربه فغوى قال له نعم قال اتلومني على ان عملت عملا كتبه الله علي ان اعمله قبل ان
يخلقني باربعين سنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فحج آدم موسى الكلام على
معنى الحديث وشرحه قوله احتج آدم وموسى المحاجة المجادلة والمخاصمة يقال حاججت

فلانا

فلانا فحججته اي جادلته فغلبته قال ابو سليمان الخطابي قد يحسب كثير من
الناس ان معنى القدر والقضا من الله تعالى على معنى الاجبار والقهر للعبد
على ما قضاه وقدره ويتوهم ان قوله فحج آدم موسى من هذا الوجه وليس كذلك
وانما معناه الاخبار عن تقدم علم الله بما يكون من افعال العباد واكسابهم وصدورها
عن تقدير منه وخلق لها خيرها وشرها والقدر اسم لما صدر مقدرا عن فعل
القادر والقضا في هذا معناه الخلق واذا كان الامر كذلك فقد بقي عليهم
من ورا علم الله فيهم افعالهم واكسابهم ومباشرتهم الامور وملابستهم اياها
عن قصد وتعمد وتقديم ارادة واختيار فالحجة انما تلزمهم بها والملامة تلحقهم
عليها وجماع القول في هذا انهما امران لا ينفك احدهما عن الاخر لان احدهما
بمنزلة الاساس والاخر بمنزلة البنا من رام الفصل بينهما فقد رام هدم
البنا ونقضه وانما موضع الحجة لادم على موسى ان الله تعالى كان قد علم من آدم
انه يتناول الشجرة فياكل منها فكيف يمكن ان يرد علم الله فيه وان يبطله
بعد ذلك وانما كان تناوله الشجرة سببا لنزوله الى الارض التي خلق لها
وانما ادلى آدم بالحجة على هذا المعنى ورفع لايمة موسى عن نفسه ولذلك قال
اتلومني على امر قد قدره علي قبل ان يخلقني **فصل** في بيان عصمة
الانبيا وما قيل في ذلك قال الامام فخر الدين الرازي اختلف الناس في عصمة
الانبيا وضبط القول فيه يرجع الى اقسام اربعة احدها ما يقع في باب الاعتقاد
وهي اعتقاد الكفر والضلال فان ذلك غير جائز عليهم الثاني وهو ما يتعلق
بالتبليغ فقد اجمعت الامة على كونهم معصومين عن الكذب والتحريف والا
لارتفع الوثوق بالادا واتفقوا على ان ذلك لا يجوز وقوعه منهم عمدا ولا سهوا
ومن الناس من جوز ذلك سهوا قالوا لان الاحتراز عنه ممكن الثالث انه لا
يتعلق بالفتيا فاجمعوا على انه لا يجوز خطاوهم فيه على سبيل العمد واجازه
بعضهم على سبيل السهو الرابع ما يقع في افعالهم فقد اختلفت الامة فيه على
خمسة اقوال احدها قول من جوز عليهم الكباير وجوز الصغاير على جهة العمد وهو
وهو قول اكثر المعتزلة الثالث لا يجوز ان ياتوا بصغيرة ولا كبيرة البتة بل على
جهة التاويل وهو قول الجبائي الرابع انه لا يقع منهم الذنب الا على جهة السهو
والخطا الخامس انه لا يقع منهم لا كبيرة ولا صغيرة لا على سبيل العمد ولا على سبيل
السهو ولا على سبيل التاويل وهو قول الشيعة واختلف الناس في وقت العصمة
على ثلاثة اقوال احدها قول من ذهب الى انهم معصومون من حين وقت الولادة
وهو قول الشيعة الثاني قول من ذهب الى ان عصمتهم من وقت بلوغهم وهو
اكثر المعتزلة الثالث قول من ذهب الى ان ذلك لا يجوز منهم بعد قول النبوة
وهو قول اكثر اصحابنا والى الهذيل وابي علي من المعتزلة قال الامام والمختار عندنا
انه لم يصدر عنهم ذنب لا صغيرة ولا كبيرة من حين جاءتهم النبوة ويدل عليه وجوه

احدها لو صدر الذنب منهم لكانوا اقل درجة من احد الامة وذلك غير جائز لان
درجة الانبيا في غاية الرفعة والشرف الثاني لو صدر منه وجب ان لا يكون مقبول
الشهادة فكان اقل حالا من عدول الامة وذلك غير جائز ايضا لان معنى النبوة
والرسالة انه يشهد على الله انه شرع هذا الحكم وايضا فانه يوم القيامة
شاهد على الكل الثالث لو صدر من النبي ذنب وجب الاقتدا به فيه وذلك محال
الرابع يعين بديهة العقل انه لا شي اقبح من رفع الله درجته وايتمنه على وحيه
وجعله خليفة على عباده وبلاده يسمع ربه يناديه لا تفعل كذا فيقدم عليه
ويفعله ترجيحا لغرضه واجتمعت الامة على ان الانبيا كانوا يامرون الناس
بطاعة الله فلو لم يطيعوه لدخلوا تحت قوله اتامرون الناس بالبر وتنسون
انفسكم وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون وقال وما اريد ان اخالفكم
الى ما انهاكم عنه الخامس قال الله تعالى انهم كانوا يسارعون في الخيرات ولفظ
للعموم فيتناول الكل ويدل على فعل ما ينبغي فعله وترك ما ينبغي تركه فثبت
ان الانبيا كانوا فاعلين لكل خير وتاركين لكل منهي وذلك ينافي صدور الذنب
عنهم السادس قال الله تعالى الله يصطفي من الملايكة رسلا ومن الناس
ان الله سميع بصير وقال الله تعالى ان الله اصطفى ادم ونوحا وال ابراهيم
وال عمران على العالمين وقال تعالى في حق موسى اني اصطفيتك على الناس
برسالاتي وبكلامي وقال تعالى واذكر عبادنا ابراهيم واسحاق ويعقوب
اولي الايدي والابصار انا اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وانهم عندنا لمن
المصطفين الاخيار وغير ذلك من الايات التي تدل على كونهم موصوفين بالاصطفا
والخيرة وذلك ينافي صدور الذنب عنهم وذكر غير ذلك من الوجوه قال واما
المخالف فقد تمسك بايات منها قصة ادم هذه والجواب عنها ان تقول
ان كلامهم انما يتم ان لو بينوا بالدلالات ان ذلك كان حال النبوة وذلك ممنوع
ولم لا يجوز ان يقال ان ادم حال ما صدر عنه هذه الاشيا ما كان نبيا وان
هذه الواقعة كانت قبل النبوة وان الله عز وجل قبل توبته وشرفه بالنبوة
والرسالة وقال القاضي عياض واما قصة ادم وقوله وعصى ادم ربه فغوى
اي جهل وقيل اخطا وقد اخبر الله عز وجل بعذره في قوله ولقد عهدنا الى ادم
من قبل فنسي ولم نجد له عزما اي نسي عداوة ابليس وما عهد الله اليه وقيل
لم يقصد المخالفة استحلالا لها ولكنه اغتر بحلف ابليس له اني لكما لمن الناصحين
وتوهم ان احدا لا يحلف بالله كاذبا وقيل نسي ولم ينو المخالفة فلذلك قال ولم
نجد له عزما اي قصدا للمخالفة وقيل بل اكل من الشجرة متاولا وهو لا يعلم
انها الشجرة التي نهي عنها لانه تاول نهي الله عن شجرة مخصوصة لا على الجنس ولهذا
قيل انما كانت التوبة من ترك التحفظ لا من المخالفة وقيل تاول ان الله تعالى
لم ينهه عنها نهي تحريم فان قلت اذا نفيت عنهم الذنوب والمعاصي فما معنى قوله

وعصى ادم

وعصى ادم ربه فغوى وما تقرر في القران والحديث من اعتراف الانبيا بذنوبهم
واستغفارهم واشفاقهم وبكايهم على ما سلف منهم وهل يتوب ويستغفر
من لا شي عليه قلت ان درجة الانبيا في الرفعة والعلو والمعرفة بالله وسنته
في عباده وقوة بطشه فلا علمهم على الخوف منه جل جلاله والاشفاق من المواخذة
بما لا يواخذ به غيرهم وانهم في تصرفهم بامور لم ينهوا عنها ولا امروا بها واتوها
على وجه التاويل او السهو وتزيد وامن امور الدنيا المباحة فاوخذوا عليها
وعوتبوا بسببها وحذروا من المواخذة بها فهم خايفون وجلون وهي ذنوب
بالاضافة الى علي منصبهم وبالنسبة الى كمال طاعتهم لا انها ذنوب كذنوب غيرهم
ومعاصيهم كان هذا ادنى افعالهم واسوا ما يجري من احوالهم كما قيل حسنات
الابرار سيات المقربين اي يرونها بالاضافة الى علي احوالهم كالسيات وسنذكر
كلا في موضع ما يليق به وما قيل فيه ان شا الله تعالى والله اعلم قوله عز وجل
ثم اجتباه ربه اي اختاره واصطفاه **فتاب عليه** اي عاد عليه بالعفو
والمغفرة **وهدى** اي هداه لرشده حتى رجع الى الندم والاستغفار **قال**
اهبطا منها جميعا قيل الخطاب لادم وذريته ولابليس ومعه ذريته فصح
قوله اهبطا لانهما لكل واحد من الجنسين على الكثرة وقيل الخطاب لادم
وحوا لانهما اصل البشر فجعلا كانهما البشر فخوطبا بلفظ الجمع **بعضكم لبعض**
عدو وقيل في تقوية هذا الظاهر حقه ان يكون ابليس والشياطين اعدا
الناس ويحتمل ان يكون بعض الفريقين لبعض عدو **فاما ياتينكم مني هدى**
اي كتاب ورسول **فمن اتبع هداي** اي الكتاب والرسول **فلا يضل**
ولا يشقى قال ابن عباس من قرا القران واتبع ما فيه هداه الله من
الضلالة ووقاه يوم القيامة سوء الحساب وذلك لان الله يقول فمن اتبع
هداي فلا يضل اي في الدنيا ولا يشقى اي في الاخرة **ومن اعرض عن ذكري**
يعني القران فلم يومن به ولم يتبعه **فان له معيشة ضنكا** روي عن ابن مسعود
وابي هريرة وابي سعيد الخدري انهم قالوا هو عذاب القبر قال ابو سعيد هو
يضغط في القبر حتى تختلف اضلاعه وفي بعض المسانيد مرفوعا يلتام
عليه القبر حتى تختلف اضلاعه فلا يزال يعذب حتى يبعث وقيل هو الزقوم
والضريع والغسلين في النار وقيل هو الحرام والكسب الخبيث وقال ابن عباس
الشقا وعنه قال كلما اعطي العبد قل او كثر فلم يتق فيه فلا خير فيه وهو
الضنك في المعيشة وان قوما اعرضوا عن الحق وكانوا اولي سعة من الدنيا
مكثرين وكانت معيشتهم ضنكا وذلك يرون ان الله تعالى ليس بمخلف لهم
فاشتدت عليهم معايشهم من سوء ظنهم بالله تعالى وقيل ليس يسلب القناعة
حتى لا يشبع **ونحشره يوم القيامة اعمى** قال ابن عباس اعمى البصر وقيل
اعمى عن الحجة **قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا** اي بصير العين او بصيرا

بالجنة قال كذلك اى كما اتتك اياتنا فنسيتها اي فتركتها واعرضت عنها
وكذلك اليوم تنسى اي تترك في النار وقيل نسوا من الخير والرحمة ولم
ينسوا من العذاب وكذلك نجزي من اسرف اي كما جزينا من اعرض عن القران
اي كذلك نجزي من اسرف اي اشرك ولم يومن بايات ربه ولعذاب الاخرة اشد
اي مما نعذبهم به في الدنيا والقبر وابقى اي وادوم قوله تعالى افلم يهد لهم
اي افلم يبين القران لكفار مكة كم اهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم
يعني في ديارهم ومنازلهم اذا سافروا وذلك ان قريشا كانوا يسافرون الى الشام
فيرون ديار المهلكين من اصحاب الحجر وهم ثمود وقريات قوم لوط ان في ذلك
لايات لاولي النهى اي لذوي العقول ولولا كلمة سبقت من ربك اي ولولا
حكم سبق بتاخير العذاب عنهم لكان لزاما واجل مسمى تقديره ولولا كلمة سبقت
من ربك واجل مسمى وهو القيامة لكان العذاب لازما لهم في الدنيا كما لزم القرون
الماضية الكافرة فاصبر على ما يقولون نسختها اية السيف وسبح
بحمد ربك اي فصل بامر ربك قبل طلوع الشمس يعني صلاة الفجر
وقبل غروبها اي صلاة العصر ومن اناء الليل اي ومن ساعاته فسبح
يعني فصل المغرب والعشاء قال ابن عباس يريد اول الليل واطراف النهار
يعني صلاة الظهر سمي وقت الظهر اطراف النهار لان وقته عند الزوال وهو
طرف النصف الاول انتهاء وطرف النصف الاخر ابتداء لعلك ترضى اي ترضى
ثوابه في المعاد وقيل معناه لعلك ترضى بالشفاعة وقرئ ترضى بضم التاء
يعطي ثوابه وقيل يرضاك ربك ق عن جرير بن عبد الله قال كنا عند رسول
صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر وقال انكم سترون ربكم عيانا
كما ترون هذا القمر لا تضامون في رويته فان استطعتم ان لا تغلبوا على صلاة
قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرا وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس
وقبل غروبها قوله لا تضامون بتخفيف الميم من الضيم الظلم والمعنى انكم ترونه
جميعا لا يظلم بعضكم بعضا في رويته وروي بتشديد الميم من الانضمام والازدحام
اي لا تزدحمون ولا ينضم بعضكم الى بعض في رويته والكاف في قوله كما ترون القمر
كاف التشبيه للروية لا للمرئي وهو فعل الرائي ومعناه ترون ربكم روية تنزاح
معها الشك كرويتكم هذا القمر ليلة البدر ولا ترتابون فيه ولا تشكون قوله
عز وجل ولا تمدن عينيك قال ابو رافع نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف
فبعثني الى يهودي فقال قل له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بعني كذا وكذا
من الدقيق او اسلفني الى هلال رجب فاتيته فقلت له كذا فقال والله لا
ابيعه ولا اسلفه الا برهن فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته
فقال والله لئن باعني او اسلفني لقضيته واني لامين في السماء امين في الارض
اذهب بدرعي الحديد اليه فنزلت هذه الاية ولا تمدن عينيك اي لا تنظر نظرا

يكاد

يكاد يرده استحسانا للمنظور اليه واعجابا له وتمنيا له الى ما متعنا به
اي اعطينا ازواجا اي اصنافا منهم زهرة الحياة الدنيا اي زينتها وبهجتها
لنفتنهم فيه اي لنجعل ذلك فتنة لهم بان ازيد لهم النعمة فيزيدوا كفرا
وطغيانا ورزق ربك اي في المعاد في الجنة خير وابقى اي ادوم قال
كعب لمن لم يتعز بعزاء الله تقطعت نفسه حسرات ومن لم يتبع بصره ما في ايدي
الناس يطل حزنه ومن ظن ان نعمة الله في مطعمه ومشربه وملبسه فقد قل علمه
وحضر عذابه قوله تعالى وامر اهلك اي قومك وقيل من كان على دينك بالصلاة
اي بالمحافظة عليها واصطبر عليها اي اصبر على الصلاة فانها تنهى عن الفحشاء
والمنكر وقيل اصبر عليها فعلا فان الوعظ بلسان الفعل ابلغ منه بلسان
القول لا نسألك رزقا اي لا نكلفك ان ترزق احدا من خلقنا ولا ان ترزق
نفسك بل نكلفك عملا نحن نرزقك اي بل نحن نرزقك ونرزق اياهم والعاقبة
للتقوى اي الخاتمة المحمودة لاهل التقوى قال ابن عباس الذين صدقوك واتبعوك
واتقوني وفي بعض المسانيد ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اصاب اهله ضر امرهم
بالصلاة وتلى هذه الاية قوله تعالى وقالوا يعني المشركين لولا ياتينا باية
من ربه اي بالاية المقترحة فانهم قد كان اتاهم بايات كثيرة اولم تاتهم بينة
ما في الصحف الاولى اي بيان ما فيها وهو القران لانه اقوى دلالة
واوضح اية وقيل معنى ما في الصحف التوراة والانجيل وغيرهما من اخبار الامم
انهم اقترحوا الايات فلما اتتهم لم يومنوا بها فجعلنا لهم العذاب والهلاك فما
يومنهم ان اتتهم الاية ان يكون حالهم كحال اولئك وقيل ما في الصحف الاولى هو
البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم وبنبوته وبعثته ولو انا اهلكناهم
بعذاب من قبله اي من قبل ارسال الرسل وانزال القران لقالوا ربنا
لولا ارسلت الينا رسولا اي لقالوا يوم القيامة لولا ارسلت الينا رسولا
يدعونا فنتبع اياتك من قبل ان نذل ونخزى اي بالعذاب والهوان
والافتضاح قل كل متربص اي منتظر دوائر الزمان وذلك ان المشركين
قالوا نتربص بمحمد حوادث الدهر فاذا مات تخلصنا قال الله تعالى فتربصوا
اي فانتظروا فستعلمون اي اذا جاء امر الله وقامت القيامة من اصحاب
الصراط السوي اي المستقيم ومن اهتدى اي من الضلالة نحن ام انتم والله
اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الانبياء عليهم الصلاة والسلام

وهي مكية وعدد اياتها مائة واثنا عشر اية والف ومائة وثمانية وستون كلمة
واربعة الاف وثمانمائة وتسعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله تعالى اقترب للناس حسابهم اي وقت محاسبة الله اياهم على اعمالهم
يوم القيامة نزلت في منكري البعث وانما ذكر الله هذا الاقتراب لما فيه من

المصلحة للمكلفين فيكونون اقرب الى التايب له والمراد بالناس المحاسبون وهم المكلفون دون غيرهم وقيل هم المشركون وهذا من باب اطلاق اسم الجنس على بعضه **وهم في غفلة معرضون** اي عن التاهب له وقيل معناه انهم غافلون عن حسابهم ساهون لا يتفكرون في عاقبتهم مع اقتضاء عقولهم انه لا بد من جزاء المحسن والمسيء ثم اذا انتبهوا عن سنة الغفلة بما يتلى عليهم من الايات والنذر اعرضوا عنه **ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث** اي ما يحدث الله من تنزيل شي من القران يذكرهم و يعظهم به وقيل معناه ان الله يحدث الامر بعد الامر فتنزل الاية بعد الاية والسورة بعد السورة في وقت الحاجة لبيان الاحكام وغيره من الامور والوقايع وقيل الذكر المحدث ما قال النبي صلى الله عليه وسلم وبينه من السنن والمواعظ سوى ما في القران واضاف اليه لان الله تعالى قال وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى **الا استمعوه وهم يلعبون** اي لا يعتبرون و لا يتعظون **لاهية قلوبهم** اي ساهية معرضة غافلة عن ذكر الله **واسروا النجوى الذين ظلموا** اي بالغوا في اخفا التناجي وهم الذين اشركوا ثم بين سرهم الذي تناجوا به فقال تعالى مخبرا عنهم **هل هذا الا بشر مثلكم** يعني انهم انكروا ارسال البشر وطلبوا ارسال الملايكة والاولى ارساله البشر الى البشر لان الانسان الى القبول من اشكاله اقرب **افتاتون السحر** اي تحضرون السحر وتقبلونه **وانتم تبصرون** اي تعلمون انه سحر **قل** لهم يا محمد **ربي يعلم القول في السماء والارض** اي لا يخفى عليه شي **وهو السميع العليم** قوله عز وجل **بل قالوا اضغاث احلام** يعني اباطيل واهاويل راها في النوم **بل افتراه** اي اختلقه **بل هو شاعر** وذلك ان المشركين اقتسموا القول في النبي صلى الله عليه وسلم وفيما يقوله فقال بعضهم اضغاث احلام وقال بعضهم بل هو فرية وقال بعضهم بل هو شاعر وما جاءكم شعر **فلياتنا** يعني النبي صلى الله عليه وسلم **باية** اي ان كان صادقا **كما ارسل الاولون** اي من الرسل بالايات قال الله تعالى مجيبا لهم **ما امنت قبلهم** اي مشركي مكة **من قرية** اي من اهل قرية اتتهم الايات **اهلكناها** اي بالتكذيب **افهم يومنون** اي ان جاءتهم اية والمعنى اولئك لم يومنوا بالايات لما جاءتهم افيومن هولاء قوله **وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم** هذا جواب لقولهم هل هذا الا بشر مثلكم والمعنى لم نرسل الملايكة الى الاولين انما ارسلنا رجالا نوحي اليهم مثلك **فاسالوا اهل الذكر** يعني اهل التوراة والانجيل يريد علماء اهل الكتاب فانهم لا ينكرون ان الرسل كانوا بشرا وان انكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم امر المشركين بمسئلة اهل الكتاب لان المشركين اقرب الى تصديقهم من تصديق من امن بالنبي صلى الله عليه وسلم وقيل اراد بالذكر القران اي فاسالوا المومنين العالمين من اهل القران **ان كنتم لا تعلمون** قوله عز وجل **وما جعلناهم** يعني الرسل **جسدا لا ياكلون الطعام** هذا رد لقولهم ما لهذا الرسول ياكل الطعام والمعنى لم نجعلهم ملايكة

بل جعلناهم

بل جعلناهم بشرا ياكلون الطعام **وما كانوا خالدين** اي في الدنيا بل يموتون كغيرهم **ثم صدقناهم الوعد** اي الذي وعدناهم باهلاك اعدايهم **فانجيناهم ومن نشاء** اي المومنين الذين صدقوهم **واهلكنا المسرفين** اي المشركين لان المشرك مسرف على نفسه قوله عز وجل **لقد انزلنا** اي يا معشر قريش **اليكم كتابا فيه ذكركم** اي شرفكم وفخركم وهو شرف لمن امن به وقيل معناه فيه حديثكم وفيه ما تحتاجون اليه من امر دينكم وقيل فيه تذكرة لكم لتحذروا فيكون الذكر بمعنى الوعد والوعيد **افلا تعقلون** فيه بعث على التدبر لان الحوق من لوازم العقل قوله تعالى **وكم قصمنا** اي اهلكنا **من قرية كانت ظالمة** اي كافرة والمراد اهل القرية **وانشانا بعدها** اي احدثنا بعد هلاك اهلها **قوما اخرين فلما احسوا باسنا** اي عذابنا بحاسة البصر **اذا هم منها يركضون** اي يسرعون هاربين من قريتهم لما راوا مقدمة العذاب **لا تركضوا** اي قيل لهم لا تهربوا **وارجعوا الى ما اترفتم فيه** اي نعمتم فيه من العيش **ومساكنكم لعلكم تسئلون** قال ابن عباس عن قتل نبيكم قيل نزلت هذه الاية في اهل حضور قرية باليمن وكان اهلها عرب فبعث الله اليهم نبيا يدعوهم الى الله فكذبوه وقتلوه فسلط الله عليهم بخت نصر فقتلهم وسباهم فلما استمر فيهم القتل هربوا فقالت الملايكة لهم استهزاء لا تركضوا اي لا تهربوا وارجعوا الى مساكنكم واموالكم لعلكم تسئلون شيا من دنياكم فتعطون من شيتم وتمنعون من شيتم فانكم اهل ثروة ونعمة فاتبعهم بخت نصر فاخذتهم السيوف ونادى مناد من جو السما يا ثارات الانبيا فلما راوا ذلك اقروا بالذنوب حين لم ينفعهم **قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين** اي لانفسنا حين كذبنا الرسل وذلك انهم اعترفوا بالذنب حين عاينوا العذاب وقالوا ذلك على سبيل الندامة ولم ينفعهم الندم **فما زالت تلك دعواهم** اي تلك الكلمة وهي قولهم يا ويلنا **حتى جعلناهم حصيدا** اي بالسيوف كما يحصد الزرع **خامدين** اي ميتين قوله عز وجل **وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين** معناه ما سوينا هذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع وما بينهما من العجايب للعب واللهو وانما سويناهما لفوايد منها التفكر في خلقهما وما فيهما من العجايب والمنافع التي لا تعد ولا تحصى **لو اردنا ان نتخذ لهوا** قال ابن عباس اللهو المراة وعنه انه الولد **لاتخذناه من لدنا** اي من عندنا من الحور العين لا من عندكم من اهل الارض وقيل معناه لو كان ذلك جايزا في وصفنا لم نتخذه بحيث يظهر لكم ولستر ذلك حتى لا تطلعوا عليه وذلك ان النصارى لما قالوا في المسيح وامه ما قالوا رد الله تعالى عليهم بقوله لاتخذناه من لدنا لانكم تعلمون ان ولد الرجل وزوجته يكونان عنده لا عند غيره **ان كنا فاعلين** اي ما كنا فاعلين وقيل ما كنا ممن يفعل ذلك لانه لا يليق بالربوبية **بل**

اى دع ذلك الذي قالوه فانه كذب وباطل **نقذف** اي نرمي ونسلط **بالحق**
اي بالايمان **على الباطل** اى على الكفر وقيل الحق قول الله انه لا ولد له والباطل
قولهم اتخذ الله ولدا **فيدمغه** اي فيهلكه **فاذا هو زاهق** اي ذاهب والمعنى
انا نبطل كذبهم لما نبين من الحق حتى يذهب ويضمحل ثم اوعدهم على كذبهم فقال
تعالى **ولكم الويل** يا معشر الكفار **مما تصفون** الله بما لا يليق به من
الصاحبة والولد **وله من في السموات والارض** اى عبيدا وملكا وهو خالقهم
والمنعم عليهم باصناف النعم **ومن عنده** يعنى الملائكة وانما خص الملائكة
وان كانوا داخلين في جملة من في السموات لكرامتهم ومزيد الاعتناء بهم **لا
يستكبرون عن عبادته** لا يانفون ولا يتعظمون عنها **ولا يستحسرون** اي
لا يعيون ولا يتعبون وقيل لا ينقطعون عن العبادة ثم وصفهم الله تعالى
بقوله **يسبحون الليل والنهار لا يفترون** اي لا يضعفون ولا يسامون وذلك
ان تسبيحهم متصل دائم لا يفتر في جميع اوقاتهم لا يتخلله فترة لفراغ او شغل
آخر قال كعب الاحبار التسبيح لهم كالنفس لبني آدم **ام اتخذوا آلهة من الارض**
يعني الاصنام من الحجارة والخشب وغيرهما من المعادن وهو من الارض **هم
ينشرون** اي يحيون الاموات اذ لا يستحق الالهية الا من يقدر على
الاحياء والايجاد من العدم والانعام بابلغ وجوه النعم وهو الله عز وجل
لو كان فيهما اي في السماء والارض **آلهة الا الله** اي غير الله **لفسدتا**
اي لخربتا وهلك من فيهما لوجود التمانع من الالهة لان كل امر صدر عن
الاثنين فاكثر لم يجر على النظام وقال الامام فخر الدين الرازي قال
المتكلمون القول بوجود الهين يفضي الى المحال فوجب ان يكون القول بوجود
الهين الى المحال لانا لو فرضنا وجود الهين فلا بد وان يكون كل واحد منهما قادرا
على كل المقدورات ولو كان كذلك لكان كل واحد منهما قادرا على تحريك زيد
وتسكينه ولو فرضنا ان احدهما اراد تحريكه واراد الاخر تسكينه فاما
ان يقع المرادان وهو محال لاستحالة الجمع بين الضدين او لا يقع واحد منهما وهو
محال لان المانع من وجود مراد كل واحد منهما مراد الاخر فلا يمتنع مراد هذا
الا عند وجود مراد ذلك وبالعكس فلو امتنعا معا او وجدا معا وذلك محال
او يقع مراد احدهما دون الثاني وذلك ايضا محال لوجهين احدهما انه لما كان كل
واحد منهما قادرا على ما لا نهاية له امتنع كون احدهما اقدر من الاخر بل لا بد
وان يستويا في القدرة واذا استويا في القدرة والا لزم ترجيح الممكن من غير
مرجح وثانيهما انه اذا وقع مراد احدهما دون الاخر فالذي وقع مراده يكون
قادرا والذي لم يقدر مراده يكون عاجزا والعجز نقص وهو على الله محال
ولو فرضنا الهين لكان كل واحد منهما قادرا على جميع المقدورات فيفضي الى وقوع
قادرين مستقلين من وجه واحد وهو محال لان اسناد الفعل الى الفاعل انما كان

لامكانه

لامكانه فاذا كان واحد منهما مستقلا بالايجاد بالفعل لكونه مع هذا واجب
الوقوع فيستحيل اسناده الى هذا لكنه حاصل منهما جميعا فيلزم استغناؤه
عنهما واحتياجه اليهما معا وذلك محال وهذه حجة تامة في مسئلة التوحيد
فنقول القول بوجود الهين يفضي الى امتناع وقوع المقدور لواحد منهما واذا
كان كذلك وجب ان لا يقع البتة وحينئذ يلزم وقوع الفساد قطعا او
نقول لو قدرنا الهين فاما ان يتفقا او يختلفا فان اتفقا على الشيء الواحد
فذلك الواحد مقدور لهما ومراد لهما فيلزم وقوعه بهما وهو محال او
اختلفا فاما ان يقع المرادان او لا يقع واحد منهما او يقع احدهما دون الثاني
والكل محال فثبت ان الفساد لازم على كل التقديرات فاعلم انك اذا وقفت
على حقيقة هذه الدلالة عرفت ان جميع ما في العالم العلوي والسفلي من
المحدثات والمخلوقات فهو دليل على وحدانية الله تعالى واما الدلائل
السمعية على الوحدانية فكثيرة في القرآن واعلم ان كل من طعن في الدلالة
التمانع فسر الآية بان المراد لو كان في السماء والارض آلهة تقول بالهيتها
عبدة الاصنام لزم فساد العالم لانها جمادات لا تقدر على تدبير العالم
فلزم افساد العالم قالوا وهذا اولى لانه تعالى حكى عنهم ام اتخذوا آلهة
من الارض هم ينشرون ثم ذكر الدلالة على فساد هذا فوجب ان يختص
الدليل به واما قوله **فسبحان الله رب العرش عما يصفون** ففيه تنزيه الله
سبحانه وتعالى عما يصفه به المشركون من الشرك والولد **لا يسأل عما
يفعل** اي لا يسأل الله عما يفعله وتقضيه في خلقه **وهم يسألون** اي
والناس يسألون عن اعمالهم والمعنى انه لا يسأل عما يحكم في عباده من اعزاز
واذلال وهدى واضلال واسعاد واشقاء لانه الرب المالك للاعناق والخلق
يسألون سؤال توبيخ يقال لهم يوم القيامة لم فعلتم كذا لانهم عبيد يجب
عليهم امتثال امر مولاهم والله تعالى ليس فوقه احد يقول له لشيء فعلت لم فعلته
قوله **ام اتخذوا من دونه آلهة** لما ابطل الله تعالى ان يكون آلهة سواه
بقوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا انكر عليهم اتخاذهم الالهة فقال
ام اتخذوا من دونه آلهة وهو استفهام انكار وتوبيخ **قل هاتوا برهانكم**
اي حجتكم على ذلك ثم قال تعالى مستأنفا **هذا** يعني القرآن **ذكر من معي**
اي فيه خبر من معي على ديني ومن يتبعني الى يوم القيامة بما لهم من الثواب
على الطاعة والعقاب على المعصية **وذكر** اي خبر **من قبلي** اي من الامم
السالفة وما فعل بهم في الدنيا وما يفعل بهم في الآخرة وقال ابن عباس
ذكر من معي القرآن وذكر من قبلي من التوراة والانجيل والمعنى راجعوا القرآن
والتوراة والانجيل وسائر الكتب هل تجدون فيها ان الله اتخذ ولدا او
كان معه آلهة **بل اكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون** قوله عز وجل **وما ارسلنا**

من قبلك من رسول الا يوحى اليه انه لا اله الا انا فاعبدون اي فوحدوني وقيل لما توجهت الحجة عليهم ذمهم جهلهم بمواضع الحق فقال بل اكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون اي عند التامل والتفكر وما يجب عليهم من الايمان بانه لا اله الا هو قوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا نزلت في خزاعة حيث قالوا الملايكة بنات الله سبحانه نزه نفسه عما قالوا بل عباد اي هم عباد يعني الملايكة مكرمون اي اكرمهم الله تعالى واصطفاهم لا يسبقونه اي لا يتقدمونه بالقول اي لا يتكلمون وهم بامره يعملون والمعنى انهم لا يخالفونه قولا ولا عملا يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم اي ما عملوا وما هم عاملون وقيل ما كان قبل خلقهم وما يكون بعد خلقهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى قال ابن عباس اي لمن قال لا اله الا الله وقيل الا لمن رضي الله تعالى عنه وهم من خشيته مشفقون اي خايفون وجلون لا يامنون مكره ومن يقل منهم اني اله من دونه قيل عني به ابليس حين دعى الى عبادة نفسه فان احدا من الملايكة لم يقل اني اله من دون الله فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين اي الواضعين الالهية والعبادة في غير موضعها قوله عز وجل اولم ير الذين كفروا اي الم يعلم الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا قال ابن عباس كانتا شيئا واحدا ملتزقين ففتقناهما اي ففصلنا بينهما بالهوى قال كعب خلق الله السموات والارض بعضها على بعض ثم خلق ريحا بوسطها ففتحها بها وقيل كانت السموات مرتتقة طبقة واحدة ففتقها فجعلها سبع سموات وكذلك الارض وقيل كانت السما رتقا لا تمطر والارض رتقا لا تنبت ففتق السما بالمطر والارض بالنبات وجعلنا من الما اي واحيينا من الما الذي ينزل من السما كل شيء من الحيوان ويدخل فيه النبات والشجر وذلك لانه سبب لحياة كل شيء وقال المفسرون معناه ان كل شيء حي فهو مخلوق من الما وقيل يعني النطفة فان قلت قد خلق الله بعض ما هو حي من غير الما كادم وعيسى والملايكة والجان قلت خرج هذا اللفظ مخرج الاقل والاكثر يعني ان اكثر ما على وجه الارض مخلوق من الما وبقاوه بالما افلا يومنون اي افلا يصدقون وجعلنا في الارض رواسي اي جبالا ثوابت ان تميد بهم اي لئلا تميد بكم قيل ان الارض بسطت على الما فكانت تتحرك كما تتحرك السفينة في الما فارساها الله واثبتها بالجبال وجعلنا فيها اي في الرواسي فجاجا اي طرقا ومسالك والفج الطريق الواسع بين الجبلين سبلا هو تفسير الفجاج لعلهم يهتدون الى مقاصدهم وجعلنا السما سقفا محفوظا اي من ان تسقط وتقع وقيل محفوظا من الشياطين بالشهب وهم يعني الكفار عن اياتها معرضون اي عما خلق الله فيها من الشمس والقمر والنجوم وكيفية حركاتها في افلاكها ومطالعها ومغاربها والترتيب العجيب الدال على الحكمة البالغة والقدرة

القاهرة لا يتفكرون ولا يعتبرون بها وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون اي يجرون ويسيرون بسرعة كالسابح في الما وانما قال يسبحون ولم يقل يسبح على ما يقال لما لا يعقل لانه ذكر عنها فعل العقلا وهو السباحة والجري والفلك مدار النجوم الذي يضمها وهو في كلام العرب كل شيء مستدير وجمعه افلاك وقيل الفلك طاحونة كهيئة فلكة المغزل ان الذي يجري فيه النجوم مستدير كاستدارة الرحى وقيل الفلك السما الذي فيه ذلك الكوكب فكل كوكب يجري في السما الذي قدر فيه وقيل الفلك استدارة السما وقيل الفلك موج مكفوف دون السما يجري فيه الشمس والقمر والنجوم وقال اصحاب الهيئة الافلاك اجرام صلبة لا ثقيلة ولا خفيفة غير قابلة للخرق والالتيام والنمو والذبول والحق انه لا سبيل الى معرفة صفة السموات الا بالاخبار الصادقة فسبحان الخالق المدبر لخلقه بالحكمة والقدرة الباهرة عن المنتهى قوله عز وجل وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد يعني الدوام والبقا في الدنيا افان مت فهم الخالدون نزلت هذه الاية حين قالوا نتربص بمحمد ريب المنون فيشمتون بموته فنفى الله الشماتة عنه بهذه والمعنى ان الله تعالى قضى ان لا يخلد في الدنيا بشرا لا انت ولا هم افان مت انت فيبقى هولاء وفي معناه قول القايل

فقل للشامتين بنا افيقوا ... سيلقى الشامتون كما لقينا

كل نفس ذايقة الموت هذا العموم مخصوص بقوله تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك فان الله تعالى حي لا يموت ولا يجوز عليه الموت والذوق هنا عبارة عن مقدمات الموت والالام العظيمة قبل حلوله ونبلوكم اي نختبركم بالشر والخير اي بالشر والرخا والصحة والسقم والغنى والفقر وقيل بما يحبون ويكرهون فتنة اي ابتلا لننظر كيف شكركم فيما تحبون وصبركم فيما تكرهون والينا ترجعون اي للحساب والجزا قوله عز وجل واذا راك الذين كفروا ان اي ما يتخذونك الا هزوا اي سخريا قيل نزلت في ابي جهل مر به النبي صلى الله عليه وسلم فضحك وقال هذا نبي من عبد مناف اهذا الذي يذكر الهتكم اي يقول بعضهم لبعض هذا الذي يعيب الهتكم والذكر يطلق على المدح والذم معا بالقرينة وهم بذكر الرحمن هم كافرون وذلك انهم كانوا يقولون لا نعرف الرحمن الا رحمن اليمامة وهو مسيلمة قوله تعالى خلق الانسان من عجل قيل معناه ان بنيته وخلقته من العجلة وعليها طبع وقيل لما دخل الروح في راس ادم وعينيه نظر الى ثمار الجنة فلما دخل في جوفه اشتهى الطعام فوثب قبل ان يبلغ الروح الى رجليه عجلا الى ثمار الجنة فوقع فقيل خلق الانسان من عجل واورث بنيه العجلة وقيل هنا خلق الانسان من تعجيل في خلق الله اياه لان خلقه كان بعد كل شيء في اخر

النهار يوم الجمعة فاسرع في خلقه قبل مغيب الشمس فلما احيي الروح راسه قال يا رب
استعجل بخلقي قبل غروب الشمس وقيل غروب وبعجل على غير قياس خلق بنيه
لانهم خلقوا من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة اطوارا اطوارا بعد طور وقيل معنى
خلق الانسان من عجل اي من طين قال الشاعر •

• والنبع في الصخرة الصماء منبته • والنخل ينبت بين الما والعجل •

اي بين الما والطين وقيل اراد بالانسان النوع الانساني يدل عليه قوله
ساوريكم اياتي فلا تستعجلون وذلك ان المشركين كانوا يستعجلون العذاب
وقيل نزلت في النضر بن الحارث ومعنى ساريكم اياتي اي مواعيدي فلا تطلبوا
العذاب قبل وقته واراهم يوم بدر وقيل كانوا يستعجلون القيامة ولذلك
قال تعالى ويقولون يعني المشركين متى هذا الوعد ان كنتم صادقين
وهذا هو الاستعجال المذموم المذكور على سبيل الاستهزا فبين تعالى انهم
يقولون ذلك لجهلهم وغفلته ثم بين ما لهولا المستهزئين فقال تعالى لو يعلم
الذين كفروا حين لا يكفون اي لا يدفعون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم
قيل السياط ولا هم ينصرون اي لا يمنعون من العذاب والمعنى لو علموا لما
اقاموا على كفرهم ولما استعجلوا بالعذاب ولا قالوا متى هذا الوعد ان كنتم
صادقين بل تاتيهم يعني الساعة بغتة اي فجاة فتبهتهم اي لا تخبرهم
فلا يستطيعون ردها اي صرفها ودفعها عنهم ولا هم ينظرون اي لا يمهلون للتوبة
والمعذرة ولقد استهزئ برسل من قبلك اي يا محمد كما استهزا بك قومك فحاق
اي نزل واحاط بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن اي عقوبة استهزايهم
وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم اي فكذلك تحقق بهولا وبال استهزائهم
قوله تعالى قل من يكلؤكم اي يحفظكم بالليل اي اذا نمتم والنهار اي اذا
انصرفتم في معايشكم من الرحمن قال ابن عباس معناه من يمنعكم من عذاب
الرحمن بل هم عن ذكر ربهم اي عن القران ومواعظه معرضون اي لا ياتون
في شي منها ام لهم الهة تمنعهم من دوننا معناه الهم الهة من دوننا تمنعهم
ثم وصف الهتهم بالضعف فقال لا يستطيعون نصر انفسهم اي لا يقدرون على
نصر انفسهم فكيف ينصرون من عبدهم ولا هم منا يصحبون قال ابن عباس
يمنعون وقيل يجارون وقيل ينصرون وقيل معناه لا يصحبون من الله بخير
بل متعنا هؤلاء يعني الكفار واباءهم اي في الدنيا بان انعمنا عليهم وامهلناهم
حتى طال عليهم العمر اي امتد بهم الزمان فاغتروا افلا يرون يعني
هولاء المشركين انا ناتي الارض ننقصها من اطرافها يعني ما ننقص من اطراف
المشركين ونزيد في اطراف المومنين يريد بذلك ظهور النبي صلى الله عليه وسلم
وفتحه ديار الشرك ارضا فارضا وقرية فقرية والمعنى افلا يرون هولاء المشركون
بانه المستعجلون بالعذاب انا قد رزقنا في اتيان الارض من جوانبها باخذنا الواحد

بعد الواحد وفتح البلاد والقرى من حول مكة وندخلها في ملك محمد صلى الله عليه وسلم
ونميت روسا المشركين المتنعمين بالدنيا اما كان لهم عبرة في ذلك فيومنوا بمحمد
صلى الله عليه وسلم ويعلموا انهم لا يقدرون على الامتناع منا واراد تنا فيهم ثم قال
افهم الغالبون استفهام بمعنى التقريع معناه بل نحن الغالبون وهم المغلوبون
قل يا محمد انما انذركم بالوحي اي اخوفكم بالقران ولا يسمع الصم الدعا اذا
ما ينذرون اي يخوفون ولين مستهم اي اصابتهم نفحة من عذاب ربك
قال ابن عباس طرف وقيل شي قليل ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين دعوا
على انفسهم بالويل بعد ما اقروا بالظلم والشرك قوله عز وجل ونضع الموازين
القسط اي ذوات العدل وصفها لذلك لان الميزان قد يكون مستقيما وقد
يكون بخلافه فبين ان تلك الموازين تجري على حد العدل ومعنى وصفها على الحضا
ليوم القيامة اي لاهل يوم القيامة قيل المراد بالميزان العدل والقسط
بينهم في الاعمال فمن احاطت حسناته بسيئاته فاز ونجا وبالعكس بالعكس والصحيح
الذي عليه ايمة السلف ان الله سبحانه وتعالى يضع الموازين الحقيقية ويزن بها
اعمال العباد وقال الحسن هو ميزان له كفتان ولسان واكثر الاقوال انه ميزان
واحد وانما جمع باعتبار تعدد الاعمال الموزونة فيه وروي ان داود عليه السلام
سال ربه عز وجل ان يريه الميزان فاراه كل كفة ما بين المشرق والمغرب فلما راه
غشي عليه ثم افاق فقال الهي من الذي يقدر ان يملا كفته حسنات فقال يا داود
اني اذا رضيت عن عبدي ملاتها بتمرة فعلى هذا في كيفية وزن الاعمال مع انها
اعراض طريقان احدهما ان توزن صحايف الاعمال فتوضع صحايف الحسنات
في كفة وصحايف السيات في كفة والثاني ان يجعل في كفة الحسنات جواهر
بيض مشرقة وفي كفة السيات جواهر سود مظلمة فان قلت كيف يصنع بقوله
ونضع الموازين القسط مع قوله فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا قلت
هذا في حق الكفار لانه ليس لهم اعمال توزن مع الكفر وقوله فلا تظلم نفس
شيئا اي لا تنقص مما لها وما عليها من خير وشر وان كان مثقال حبة
من خردل اتينا بها معناه انه لا ينقص من احسان محسن ولا يزاد في اساءة
مسي شي واراد بالحبة الجزء اليسير من الخردلة ومعنى اتينا اي احضرناها البخاري
بها عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله
سيخلص رجلا من امتي على روس الخلايق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعين
سجلا كل سجل مثل البصر ثم يقول له اتنكر من هذا شيا اظلمك كتبتي الحافظون
فيقول لا يا رب فيقول الك عذر فيقول لا يا رب فيقول الله تعالى ان لك
عندنا حسنة فانه لا ظلم عليك اليوم فيخرج له بطاقة فيها اشهد ان لا اله
الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله فيقول احضر وزنك فيقول يا رب
ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقال فانك لا تظلم فتوضع السجلات في كفة

والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله شيء
اخرجه الترمذي السجل الكتاب الكبير واصله من السجل لانه يجمع احكاما والبطاقة
ورقة صغيرة وهي ما يجعل في طي الثوب ويكتب فيها ثمنه والطيش الخفة قلت
في الحديث دليل على ان صحايف الاعمال توزن لا الاعمال تجسد جواهر فتوزن
والله اعلم قوله تعالى **وكفى بنا حاسبين** قال ابن عباس كفى بنا عالمين حافظين
لان من حسب شيئا فقد علمه وحفظه والغرض منه التحذير فان المحاسب
اذا كان في العلم بحيث لا يمكن ان يشتبه عليه شيء وفي القدرة بحيث لا يعجز
عن شيء فحقيق بالعاقل ان يكون باشد الخوف منه ويروى عن الشبلي انه روي في
المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال حاسبونا فدققوا ثم امنوا فاعتقوا هكذا
سيمة الملوك بالمماليك يرفقوا قوله عز وجل **ولقد اتينا موسى وهارون**
الفرقان يعني الكتاب المفرق بين الحق والباطل وهو التوراة وقيل الفرقان النصر
على الاعداء فعلى هذا يكون وضياء يعني التوراة ومن قال الفرقان هو التوراة
جعل الواو زايدة في وضياء والمعنى اتينا موسى التوراة ضياء **وذكرى للمتقين**
يعني يتذكرون بمواعظه ويعملون بما فيه **الذين يخشون ربهم بالغيب**
اي يخافونه ولم يروه وقيل يخافونه في الخلوات اذا غابوا عن اعين الناس **وهم**
من الساعة مشفقون اي خايفون **وهذا ذكر مبارك انزلناه** اي كما اتينا
موسى التوراة فكذلك انزلنا الفرقان ذكر مبارك اي هو ذكر لمن امن به مبارك
يتبرك به ويطلب منه الخير **افانتم** يا اهل مكة **له منكرون** اي جاحدون
قوله تعالى **ولقد اتينا ابراهيم رشده** اي صلاحه وهداه **من قبل** اي من قبل موسى
وهارون وقيل من قبل البلوغ وهو حين خرج من السرب وهو صغير **وكنا به عالمين**
اي انه من اهل الهداية والنبوة **اذ قال لابيه وقومه ما هذه التماثيل** يعني الصور
والاصنام **التي انتم لها عاكفون** اي مقيمون على عبادتها **قالوا وجدنا اباءنا**
لها عابدين اي فاقتدينا بهم **قال** يعني ابراهيم **لقد كنتم انتم واباؤكم**
في ضلال مبين اي في خطا بين بعبادتكم اياها **قالوا اجئتنا بالحق** اي
بالصدق **ام انت من اللاعبين** يعنون اجاد انت فيما تقول ام لاعب **قال**
بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن اي خلقهن **وانا على ذلكم من**
الشاهدين اي على انه الاله الذي يستحق العبادة وقيل على انه خالق
السموات والارض **وتالله لاكيدن اصنامكم** اي لامكرن بها **بعد ان**
تولوا مدبرين اي منطلقين الى عيدكم قيل انما قال ابراهيم هذا القول سرا
في نفسه ولم يسمع ذلك الا رجل واحد من قومه فافشاه عليه وهو القايل
انا سمعنا فتى يذكرهم وقيل كان لهم في كل سنة مجمع وعيد فكانوا اذا رجعوا من
عيدهم دخلوا على الاصنام فيسجدون لها ثم يرجعون الى منازلهم فلما كان ذلك
العيد قال ابراهيم لابيه لو خرجت معنا الى عيدنا اعجبك ديننا فخرج معهم

ابراهيم

ابراهيم فلما كان ببعض الطريق القى نفسه وقال اني سقيم اشتكي رجلي فتركوه
ومضوا فنادى في اخرهم وقد بقي ضعفاء الناس تالله لاكيدن اصنامكم فسمعوها
منه ثم رجع ابراهيم الى بيت الالهة وهن في بهو عظيم ومستقبل باب البهو صنم
عظيم الى جنبه صنم اصغر منه والاصنام بعضها الى جنب بعض كل صنم الذي يليه اصغر
منه كذلك الى باب البهو واذا هم قد جعلوا طعاما بين يدي الالهة وقالوا اذا رجعنا
وقد بركت الالهة عليه اكلنا منه فلما نظر ابراهيم اليهم والى ما بين ايديهم من الطعام
قال لهم على طريق الاستهزاء الا تاكلون فلما لم يجيبوه قال ما لكم لا تنطقون فراغ عليهم
ضربا باليمين وجعل يكسرهن بفاس في يده حتى اذا لم يبق الا الصنم الاعظم علق الفاس
في عنقه ثم خرج فذلك قوله **فجعلهم جذاذا** اي كسرا وقطعا **الا كبيرا لهم**
اي تركه ولم يكسره ووضع الفاس في عنقه وقيل ربطه على يده وكانت اثنين وسبعين
صنما بعضها من ذهب وبعضها من فضة وبعضها من حديد ومن نحاس ورصاص وحجر
وخشب وكان الصنم الكبير من الذهب مكلل بالجواهر في عينيه ياقوتتان تتقدان
وقوله **لعلهم اليه يرجعون** قيل معناه يرجعون الى ابراهيم والى دينه وما يدعوهم
اليه اذا علموا ضعف الالهة وعجزها وقيل معناه لعلهم يرجعون الى الصنم فيسالونه
ما لهؤلاء مكسرين وانت صحيح والفاس في عنقك فلما رجع القوم من عيدهم الى
بيت الهتهم راوا اصنامهم مكسرة **قالوا من فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين**
اي في تكسيرها والجراءة عليها **قالوا سمعنا فتى يذكرهم** اي يسبهم
ويعيبهم **يقال له ابراهيم** اي هو الذي نظن انه صنع هذا فبلغ ذلك نمرود الجبار
واشراف قومه **قالوا فاتوا به على اعين الناس** اي جيئوا به ظاهرا بمراى
من الناس قاله نمرود **لعلهم يشهدون** اي عليه بانه الذي فعل ذلك كرهوا
ان ياخذوه بغير بينة وقيل معناه لعلهم يحضرون عذابه وما يصنع به فلما اتوا
به **قالوا ءانت فعلت هذا بالهتنا يا ابراهيم قال** يعني ابراهيم **بل فعله**
كبيرهم هذا غضب اذ تعبدون معه هذه الصغار وهو اكبر منها فكسرهن واراد
ابراهيم بذلك اقامة الحجة عليهم فذلك قوله **فاسالوهم ان كانوا ينطقون** اي
حتى يخبروا من فعل ذلك بهم وقيل معناه ان قدروا على النطق قدروا على الفعل
فاراهم عجزهم عن النطق وفي ضمنه انا فعلت ذلك **ق** عن ابي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات ثنتين منهن في ذات الله
قوله اني سقيم اي ساسقم وقيل سقيم القلب بضلالتكم وقوله بل فعله كبيرهم
هذا فانه علق خبره بشرط نطقه كانه قال ان كان ينطق فهو فعل على طريق التبكيت
لقومه وقوله لسارة هذه اختي اي في الدين والايمان قال الله تعالى انما المؤمنون
اخوة فكل هذه الالفاظ صدق في نفسها ليس فيها كذب فان قلت قد سماها النبي
صلى الله عليه وسلم كذبات بقوله لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات وقال في حديث
الشفاعة ويذكر كذباته قلت معناه انه لم يتكلم بكلام صورته الكذب وان كان

حقا في الباطن لان هذه الكلمات ولما كان مفهومها ظاهرها خلاف باطنها اشفق
ابراهيم عليه السلام منها ان يواخذ بها قال البغوي وهذه التأويلات لنفي الكذب
عن ابراهيم والاولى هو الاول للحديث فيه ويجوز ان يكون الله اذن له في ذلك
لقصد الصلاح وتوبيخهم والاحتجاج عليهم كما اذن ليوسف حتى امر مناديه
فقال ايتها العير انكم لسارقون ولم يكونوا سرقوا قال الامام فخر الدين
الرازي وهذا القول مرغوب عنه والدليل القاطع انه جاز ان يكذب لمصلحة
ويأذن الله تعالى فيه فلنجوز هذا الاحتمال في كل ما اخبر الانبياء عنه وذلك
يبطل الوثوق بالشرائع وطرق التهمة الى كلها والحديث محمول على المعاريض
فان فيها مندوحة عن الكذب وقوله فرجعوا الى انفسهم اي تفكروا
بقلوبهم ورجعوا الى عقولهم فقالوا ما نراه الا كما قال انكم انتم الظالمون
يعني بعبادتكم من لا يتكلم وقيل معناه انتم الظالمون لهذا الرجل في سؤالكم
اياه وهذه الهتكم حاضرة فسألوها ثم نكسوا على رؤسهم قال اهل
التفسير اجرى الحق على السنتهم في القول الاول وهو اقرارهم على انفسهم
بالظلم ثم ادركتهم الشقاوة فرجعوا الى حالهم الاول وهو قوله ثم نكسوا
على رؤسهم اي ردوا على الكفر وقالوا لقد علمت ما هؤلاء ينطقون اي فكيف
نسألهم فلما اتجهت الحجة لابراهيم عليهم قال لهم افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا
اي ان عبدتموه ولا يضركم اي ان تركتم عبادته اف لكم اي تبا لكم ولما تعبدون
من دون الله والمعنى انه حقرهم وحقر معبودهم افلا تعقلون اي ليس لكم
عقل تعلمون به ان هذه الاصنام لا تستحق العبادة فلما لزمتهم الحجة وعجزوا
عن الجواب قالوا حرقوه وانصروا الهتكم يعني انكم لا تنصرونها الا بتحريق ابراهيم
لانه يعيبها ويطعن عليها ان كنتم فاعلين اي ناصرين الهتكم قال ابن عمر
الذي قال هذا رجل من الاكراد قيل اسمه هيزن فخسف الله به الارض فهو
يتجلجل فيها الى يوم القيامة وقيل قاله نمرود بن كنعان بن سنجاريب بن
نمرود بن كوش بن حام بن نوح ذكر القصة في ذلك فلما اجتمع نمرود وقومه
لاحراق ابراهيم حبسوه في بيت وبنوا بنيانا كالحظيرة بيناك لها كوثريا ثم
جمعوا له صلاب الحطب واصناف الخشب مدة شهر حتى كان الرجل يمرض فيقول
لئن عوفيت لاجمعن حطبا لابراهيم وكانت المرأة تنذر في بعض ما تطلب لئن
اصابته لتحطبن في نار ابراهيم وكانت المرأة تغزل وتشتري الحطب بغزلها احتسابا
في دينها وكان الرجل يوصي بشراء الحطب والقائه فيه فلما جمعوا ما ارادوا اشعلوا
في كل ناحية من الحطب نارا فاشتعلت النار واشتدت حتى ان الطير ليمر بها
فيحترق من شدة وهجها وحرها فاوقدوا عليها سبعة ايام فلما ارادوا ان يلقوا
ابراهيم لم يعلموا كيف يلقونه فقيل ان ابليس جاء فعلمهم عمل المنجنيق فعملوه
ثم عمدوا الى ابراهيم فقيدوه ورفعوه على رأس البنيان ووضعوه في المنجنيق

مقيدا

مقيدا مغلولا فصاحت السماء والارض ومن فيهما من الملائكة وجميع الخلق الا الثقلين
صيحة واحدة اي ربنا ابراهيم خليلك يلقى في النار وليس في ارضك احد يعبدك
غيره فائذن لنا في نصرته فقال الله عز وجل انه خليلي ليس لي خليل غيره وانا الهه ليس
له اله غيري فان استغاث باحد منكم او دعاه فلينصره فقد اذنت له في ذلك
وان لم يدع غيري فانا اعلم به وانا وليه فخلوا بيني وبينه فلما ارادوا القاءه
في النار اتاه خازن المياه فقال ان اردت اخمدت النار واتاه خازن الهواء وقال
ان شئت طيرت النار في الهواء فقال ابراهيم لا حاجة لي اليكم حسبي الله ونعم
الوكيل وروي عن ابي بن كعب ان ابراهيم قال حين اوثقوه ليلقوه في النار لا اله
الا انت سبحانك لك الحمد ولك الملك لا شريك لك ثم رموا به في المنجنيق الى النار
فاستقبله جبريل فقال يا ابراهيم الك حاجة قال اما اليك فلا قال جبريل
فسأل ربك فقال ابراهيم حسبي من سؤالي علمه بحالي خ عن ابن عباس في قوله
وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل قالها ابراهيم عليه السلام حين القي في النار
وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم قال
كعب جعل كل شيء يطفي عنه النار الا الوزغ فانه كان ينفخ في النار ق عن ام
شريك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر بقتل الاوزاغ زاد البخاري وقال
كان ينفخ على ابراهيم قلنا اي قال الله عز وجل يا نار كوني بردا وسلاما
على ابراهيم قال ابن عباس لو لم يقل وسلاما لمات ابراهيم من بردها وفي الاثار
انه لم يبق يومئذ نار في الارض الا طفئت فلم ينتفع ذلك اليوم بنار في العالم
ولو لم يقل على ابراهيم بقيت ذات برد ابدا وقيل اخذت الملائكة بضبعي ابراهيم
فاقعدوه على الارض فاذا عين ماء عذب وورد احمر ونرجس قال كعب ما احرقت
النار من ابراهيم الا وثاقه قالوا وكان ابراهيم في ذلك الموضع سبعة ايام
قال المنهال بن عمرو قال ابراهيم ما كنت اياما قط انعم مني من الايام التي كنت
في النار قيل وبعث الله تعالى ملك الظل في صورة ابراهيم فقعد الى جنب ابراهيم
يؤنسه قالوا وبعث الله عز وجل جبريل بقميص من حرير الجنة وطنفسة فالبسه
القميص واقعده على الطنفسة وقعد معه يحدثه وقال جبريل يا ابراهيم ان
ربك يقول اما علمت ان النار لا تضر احبابي ثم نظر نمرود واشرف على ابراهيم
من صرح له فرآه جالسا في روضة والملك قاعدا الى جنبه وما حوله نار تحرق
الحطب فناداه يا ابراهيم كبير الهك الذي بلغت قدرته ان حال بينك وبين النار
ما ارى يا ابراهيم هل تستطيع ان تخرج منها قال نعم قال هل تخشى ان قمت هل تضرك
قال لا قال فقم فاخرج منها فقام ابراهيم يمشي فيها حتى خرج منها فلما وصل اليه
قال له يا ابراهيم من الرجل الذي رأيته معك مثلك في صورتك قاعدا الى جنبك
قال ذلك ملك الظل ارسله الي ربي ليؤنسني فيها فقال نمرود يا ابراهيم اني مقرب
الى الهك قربانا لما رأيت من قدرته وعزته فيما صنع بك حين ابيت الا عبادته

ونوحيته اني ذابح له اربعة الاف بقرة فقال له ابراهيم اذا لا يقبل الله منك ما
كنت على دينك حتى تفارقه وترجع الى ديني فقال لا استطيع ترك ملكي ولكن
سوف اذبحها له فذبحها نمرود وكف عن ابراهيم عليه السلام ومنعه الله عز وجل منه
قوله عز وجل **واردوا به كيدا** اي ارادوا ان يكيدوه **فجعلناهم الاخسرين**
قيل معناه انهم خسروا السعي والنفقة ولم يحصل لهم مرادهم وقيل ان الله
تعالى ارسل على نمرود وقومه البعوض فاكلت لحومهم وشربت دماءهم ودخلت
في دماغه بعوضة فاهلكته قوله تعالى **ونجيناه ولوطا** يعني من نمرود
وقومه **الى الارض التي باركنا فيها للعالمين** يعني الى ارض الشام
بارك الله فيها بالخصب وكثرة الاشجار والثمار والانهار قال ابي بن كعب
بارك الله فيها وسماها مباركة لانه ما من ماء عذب الا وينبع اصله من تحت
الصخرة التي ببيت المقدس وقيل انا كثر الانبياء منها عن ابي قتادة ان عمر بن
الخطاب رضي الله عنه قال لكعب الاحبار الا تتحول الى المدينة ففيها
مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبره فقال كعب اني وجدت في كتاب الله
المنزل يا امير المومنين ان الشام كنز الله في ارضه وبها كنزه من عباده عن
عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ستكون هجرة بعد هجرة فخيار اهل الارض الزمهم مهاجر ابراهيم اخرجه ابو داود
اراد بالهجرة الثانية الهجرة الى الشام يرغب في المقام بها عن زيد بن ثابت
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى لاهل الشام فقلت وما ذاك
يا رسول الله قال لان الملائكة باسطة اجنحتها عليها اخرجه الترمذي عن
بهز بن حكيم عن ابيه عن جده قال قلت يا رسول الله اين تامرني قال ههنا
ونحى بيده نحو الشام اخرجه الترمذي قال محمد بن اسحاق استجاب لابراهيم
رجال من قومه حين راوا ما صنع الله به من جعل النار عليه بردا وسلاما
على خوف من نمرود وملائهم وامنت به سارة بنت هاران الاكبر عم ابراهيم
وتبعه لوط وكان ابن اخته وهو لوط بن هاران وهو اخو ابراهيم وكان لهما اخ
ثالث اسمه ناحور فهؤلاء ثلاثتهم اولاد تارح وهو آزر فخرج ابراهيم من كوثا من ارض
العراق مهاجرا الى ربه ومعه لوط وسارة فخرج يلتمس الفرار بدينه والامان
على عبادة ربه حتى نزل حران فمكث بها ما شاء الله ثم خرج مهاجرا حتى قدم
مصر ثم خرج ورجع الى الشام فنزل السبع من ارض فلسطين ونزل لوط
بالموتفكة وهي على مسيرة يوم وليلة من السبع فبعثه الله نبيا الى اهلها
وما قرب منها فذلك قوله تعالى ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها
للعالمين **ووهبنا له اسحاق ويعقوب نافلة** اي عطية من عطاء الله وقال
ابن عباس النافلة هو يعقوب لان الله تعالى اعطى ابراهيم اسحاق بدعائه
حيث قال رب هب لي من الصالحين وزاده يعقوب نافلة وهو ولد الولد **وكلا**

جعلنا

جعلنا صالحين يعني ابراهيم واسحاق ويعقوب **وجعلناهم ائمة** اي
يقتدى بهم في الخير **يهدون بامرنا** اي يدعون الناس الى ديننا بامرنا
واوحينا اليهم فعل الخيرات اي العمل بالشرائع **واقام الصلاة** يعني
المحافظة عليها **وايتاء الزكاة** فيه ان الصلاة افضل العبادات البدنية
وشرعت لذكر الله والزكاة افضل العبادات المالية ومجموعهما التعظيم
لامر الله والشفقة بخلق الله **وكانوا لنا عابدين** اي موحدين قوله عز
وجل **ولوطا اتيناه حكما** اي الفصل بين الخصوم بالحق وقيل اراد بالحكم النبوة
وعلما ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث يعني قرية سدوم واراد
اهلها واراد بالخبائث اتيانهم الذكور في ادبارهم وكانوا يتضارطون في
مجالسهم مع اشياء اخر كانوا يعملون من المنكرات **انهم كانوا قوم سوء فاسقين**
وادخلناه في رحمتنا قيل اراد بالرحمة النبوة وقيل انه الثواب **انه من
الصالحين** يعني الانبياء قوله تعالى **ونوحا اذ نادى من قبل** اي من قبل
ابراهيم ولوط **فاستجبنا له** اي اجبنا دعاءه **فنجيناه واهله من الكرب العظيم**
قال ابن عباس من الغرق وتكذيب قومه وقيل انه كان اطول الانبياء
عمرا واشدهم بلاء والكرب اشد الغم **ونصرناه** اي منعناه **من القوم
الذين كذبوا باياتنا** من ان يصلوا اليه بسوء وقيل من بمعنى على **انهم كانوا
قوم سوء فاغرقناهم اجمعين** قوله عز وجل **وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث**
قال ابن عباس واكثر المفسرين كان الحرث كرما قد تدلت عناقيده وقيل
كان زرعا وهو اشبه بالعرف **اذ نفشت فيه غنم القوم** اي رعته ليلا فافسدته
وكانت بلا راع **وكنا لحكمهم شاهدين** اي كان ذلك بعلمنا ومرأى لا يخفى علينا
علمه وفيه دليل لمن يقول بان اقل الجمع اثنان كقوله وكنا لحكمهم شاهدين
والمراد به داود وسليمان قال ابن عباس وغيره ان رجلين دخلا على داود
احدهما صاحب حرث والاخر صاحب غنم فقال صاحب الزرع ان غنم هذا دخلت
زرعي ليلا فوقعت فيه فافسدته فلم تبق منه شيئا فاعطاه رقاب الغنم
بالزرع فخرجا فمرا على سليمان فقال كيف قضى بينكما فاخبراه فقال سليمان
لو وليت امركما لقضيت بغير هذا وروي انه قال غير هذا ارفق بالفريقين فاخبر
بذلك داود فدعاه وقال كيف تقضي وروي انه قال له بحق النبوة والابوة الا
ما اخبرتني بالذي هو ارفق بالفريقين قال ادفع الغنم الى صاحب الزرع ينتفع
بدرها ونسلها وصوفها ومنافعها ويزرع صاحب الغنم لصاحب الحرث مثل
حرثه فاذا صار الحرث كهيئته يوم اكل دفع لصاحبه واخذ صاحب الغنم غنمه فقال
داود القضاء ما قضيت وحكم بذلك فقيل كان لسليمان يوم حكم بذلك من العمر
احد عشر سنة وحكم الاسلام في هذه المسألة ان ما افسدت الماشية المرسلة
من مال الغير بالنهار فلا ضمان على ربها وما افسدت بالليل ضمنه ربها لان في عرف

الناس ان اصحاب الزرع يحفظونه بالنهار والمواشي تسرح بالنهار وترد بالليل
الى المراح ويدل على هذه المسألة ما روى حرام بن سعد بن محيصة ان ناقة
للبراء بن عازب دخلت حائطا لرجل من الانصار فافسدت فيه فقضى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان على اهل الاموال حفظها بالنهار وعلى اهل المواشي حفظها
بالليل زاد في رواية ان على اهل الماشية ما اصابت ماشيتهم بالليل اخرجه
ابو داود مرسلا وذهب اصحاب الرأي الى ان المالك اذا لم يكن مع ماشيته فلا
ضمان عليه فيما اتلفت ليلا كان او نهارا قوله تعالى **ففهمناها سليمان**
اي علمناه او الهمناه حكم القضية **وكلا** يعني داود وسليمان **آتينا** داود
وسليمان اتيناه **حكما وعلما** اي بوجوه الاجتهاد وطرق الاحكام قال الحسن
لولا هذه الاية لرأيت الحكام قد هلكوا ولكن الله حمد هذا بصوابه واثنى
على هذا باجتهاده واختلف العلماء في ان حكم داود كان باجتهاد ام بنص وكذلك
حكم سليمان فقال بعضهم حكم بالاجتهاد قال يجوز الاجتهاد للانبياء ليدركوا
ثواب المجتهدين وان العلماء لهم الاجتهاد في الحوادث اذا لم يجدوا فيها نص كتاب
او سنة واذا اخطؤوا فلا اثم عليهم **ق** عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حكم الحاكم باجتهاد فاصاب فله اجران واذا حكم
فاجتهد فاخطأ فله اجر وقال قوم ان داود وسليمان حكما بالوحي فكان حكم
سليمان ناسخا لحكم داود ومن قال بهذا يقول لا يجوز الحكم بالاجتهاد وانهم مستغنون
عنه بالوحي والاصح من ذهب الى ان كل مجتهد مصيب بهذه الاية والحديث حيث
وعد الثواب للمجتهد على الخطأ وهو قول اصحاب الرأي وذهب جماعة الى انه
كل مجتهد مصيبا بل اذا اختلف اجتهاد المجتهدين في حادثة كان الحق مع
واحد لا بعينه ولو كان كل واحد مصيبا لم يكن للتقسيم معنى وقوله عليه
الصلاة والسلام اذا اجتهد فاخطأ فله اجر لم يرد به انه يؤجر على اجتهاده في
طلب الحق لان اجتهاده عبادة والاثم في الخطأ عنه موضوع اذا لم يأل جهده
ووجه الاجتهاد في هذا الحكم ان داود قدر الضرر في الحرث فكان مساويا لقيمة
الغنم وكان عنده ان الواجب في ذلك الضرر قيمة المثل فلا جرم سلم الغنم الى
المجني عليه واما سليمان فاجتهاده ادى الى انه يجب مقابلة الاصول بالاصول
والزوائد بالزوائد فاما مقابلة الاصول بالزوائد فغير جائز ولعل منافع الغنم في
تلك السنة كانت موازنة لمنافع الحرث فحكم به ومن احكام داود وسليمان
عليهما السلام ما روي عن ابي هريرة انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم قال كانت
امرأتان معهما ابناهما جاء الذئب فذهب بابن احداهما فقالت لصاحبتها انما
ذهب بابنك وقالت الاخرى انما ذهب بابنك فتحاكمتا الى داود فقضى به للكبرى
فخرجتا على سليمان بن داود فاخبرتاه فقال ائتوني بالسكين اشقه بينهما
فقالت الصغرى لا تفعل يرحمك الله هو ابنها فقضى به للصغرى اخرجاه في الصحيحين

قوله تعالى **وسخرنا مع داود الجبال يسبحن** اي يسبحن مع داود اذا سبح
قال ابن عباس كان يفهم تسبيح الحجر والشجر وقيل كانت الجبال تجاوبه بالتسبيح
وكذلك الطير وقيل معنى يسبحن يصلين معه اذا صلى وقيل كان داود اذا فتر يسمعه
الله تسبيح الجبال **والطير** لينشط في التسبيح ويشتاق اليه **وكنا فاعلين**
يعني ما ذكر من التفهيم وايتاء الحكم والتسبيح **وعلمناه صنعة لبوس لكم**
اي صنعة الدروع التي تلبس في الحرب قيل اول من صنع الدروع وسردها واتخذها
داود وكانت من قبل صفائح قالوا ان الله الان الحديد لداود فكان يعمل
منه بغير نار كانه طين والدرع يجمع بين الخفة والحصانة وهو قوله **لتحصنكم**
اي لتمنعكم **من بأسكم** اي حرب عدوكم وقيل من وقع السلاح فيكم وقيل ليحصنكم
الله **فهل انتم شاكرون** اي لتقولوا ذلك لداود واهل بيته قوله تعالى
ولسليمان الريح اي سخرنا لسليمان الريح وهو جسم متحرك لطيف يمتنع بلطفه
من القبض عليه يظهر للحس بحركته ويخفى على البصر بلطفه **عاصفة** اي شديدة
الهبوب فان قلت قد وصفها الله بالرخاء وهي الريح اللينة قلت كانت الريح
تحت امره ان اراد ان تشتد اشتدت وان اراد ان تلين لانت **تجري بامره
الى الارض التي باركنا فيها** يعني الشام وذلك لانها كانت تجري لسليمان واصحابه
حيث يشاء سليمان ثم يعود الى منزله بالشام **وكنا بكل شيء عالمين** اي بصحة
التدبير فيه وعلمنا ان ما يعطى سليمان من تسخير الريح وغيره يدعوه الى الخضوع
لربه قال وهب كان سليمان عليه السلام اذا خرج الى مجلسه عكفت عليه
الطير وقام له الانس والجن حتى يجلس على سريره وكان امرأ غزاء قل ما كان
يقعد عن الغزو ولا يسمع في ناحية من الارض بملك الا اتاه حتى يذله وكان
فيما يزعمون اذا اراد الغزو امر بعسكره فضرب له بخشب ثم نصب له على الخشب
ثم حمل عليه الناس والدواب وآلة الحرب فاذا حمل معه ما يريد امر العاصف
من الريح فدخلت تحت ذلك الخشب فاحتملته حتى اذا استقلت به امر الرخاء
فمر به شهرا في روحته وشهرا في غدوته الى حيث اراد وكان يمر بعسكره الريح
الرخاء وبالمزرعة فما يحركها ولا يثير ترابها ولا يؤذي طائرا قال وهب ذكر لي
ان منزلا بناحية دجلة مكتوب فيه كتبه بعض صحابة سليمان اما من الانس
او من الجن نحن نزلناه وما بنيناه ومبنيا وجدناه غدونا من اصطخر فقلناه
ونحن رائحون منه ان شاء الله فبائتون بالشام وقال مقاتل نسجت الشياطين
لسليمان بساطا فرسخا في فرسخ ذهبا في ابريسم وكان يوضع له منبر من الذهب
في وسط البساط يقعد عليه وحوله ثلاثة الاف كرسي من ذهب وفضة يقعد
الانبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس
الجن والشياطين وتظله الطير باجنحتها حتى لا يقع عليه شمس وترفع ريح الصبا
البساط مسيرة شهر من الصباح الى الرواح وقال الحسن لما شغلت نبي الله سليمان

حتى فاتته صلاة العصر غضب الله فعقر الخيل فابدل الله له مكانها خيرا منها
واسرع الريح تجري بامره كيف شا كان يغدو من ايليا فيقيل باصطخر ثم يروح
منها فيكون رواحها ببابل وروي ان سليمان سار من ارض العراق فقال لمدينة
بلخ متخللا بلاد الترك ثم جاوزهم الى ارض الصين يغدو واحد مسيرة شهر ويروح
على مثل ذلك ثم عطف يمينه على مطلع الشمس على ساحل البحر حتى اتى القندهار
وخرج منها الى مكران وكرمان ثم جاوزها حتى اتى ارض فارس فنزلها اياما وغدى
منها فقال بكسكر ثم راح الى الشام وكان مستقره بمدينة تدمر وكان امر
الشياطين قبل شخوصه الى العراق فبنوها له بالصفاح والعمد والرخام الاصفر
والابيض وفي ذلك يقول النابغة

الا يا سليمان اذ قال المليك له • قم في البرية فاحددها عن الفند
وخيّس الجن اني قد اذنت لهم • يبنون تدمر بالصفاح والعمد

قوله عز وجل **ومن الشياطين** اي وسخرنا من الشياطين **من يغوصون له**
اي يدخلون تحت الما فيخرجون له من قعر البحر الجواهر **ويعملون عملا دون
ذلك** اي دون الغوص وهو اختراع الصنائع العجيبة كما قال يعملون له ما يشا
من محاريب وتماثيل الاية ويتجاوزون في ذلك الى اعمال المدن والقصور ومن
الصناعات كاتخاذ النورة والقوارير والصابون وغير ذلك **وكنا لهم حافظين**
اي حتى لا يخرجوا عن امره وقيل حفظناهم من ان يفسدوا ما عملوا وذلك انهم كانوا
اذا عملوا عملا في النهار وفرغ قبل الليل فسدوه وخربوه قيل ان سليمان كان
اذا ابعث شيطانا مع انسان ليعمل له عملا قال له اذا فرغ من عمله قبل الليل
اشغله بعمل اخر لئلا يفسد ما عمل ويخربه قوله تعالى **وايوب اذ نادى ربه**
اي دعا ربه وسأله **ذكر** قصة ايوب عليه السلام قال وهب بن منبه كان ايوب
رجلا من الروم وهو ايوب بن اموص بن رازخ بن اموص بن رازخ بن روم بن عيص
ابن اسحاق بن ابراهيم وكانت امه من ولد لوط بن هاران وكان الله تعالى قد
اصطفاه ونباه وبسط له الدنيا وكانت البثنية من ارض البلقاء من اعمال حوران
من ارض الشام كلها سهلها وجبلها وكان له فيها من اصناف المال كله من الابل والبقر
والغنم والخيل والحمر ما لا يكون لرجل افضل منه في العدة والكثرة وكان له خمسمائة
عند لكل عبد امراة وولد ومال ويحمل الة كل فدان اتان لكل اتان من الولد اثنان
او ثلاثة او اربع او خمس وفوق ذلك وكان الله تعالى قد اعطاه اهلا وولدا من
رجال ونسا وكان برا تقيا رحيما بالمساكين وكان شاكرا لانعم الله مؤديا لحق
الله قد امتنع من عدو الله ابليس ان يصيب منه ما يصيب من اهل الغنا من
العزة والغفلة والتشاغل عن امر الله بما هو فيه من الدنيا وكان معه ثلاثة
نفر قد امنوا به وصدقوه رجل من اهل اليمن يقال له اليفن وقيل نفير ورجلان
من اهل بلده يقال لاحدهما بلدد والاخر مافر وكانوا كهولا وكان ابليس لا يحجب عن شي

من السموات

من السموات وكان يقف فيهن حيث ما اراد الله حتى رفع الله عيسى فحجب عن اربع
فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم احجب عن السموات كلها الا من استرق السمع وسمع
ابليس تجاوب الملائكة بالصلاة على ايوب وذلك حين ذكره الله واثنى عليه فادرك
ابليس الحسد والبغي فصعد سريعا حتى وقف من السما حيث كان يقف وقال الهي
نظرت في امر عبدك ايوب فوجدته عبدا انعمت عليه فشكرك وعافيته فحمدك
ولو ابتليته بنزع ما اعطيته لحال عما هو عليه من شكرك وعبادتك ولخرج من
طاعتك قال الله تعالى انطلق فقد سلطتك على ماله فانقض عدو الله ابليس
حتى وقع على الارض فجمع عفاريت الجن ومردة الشياطين وقال لهم عندكم من
القوة فقد سلطت على مال ايوب وهي المصيبة الفادحة والفتنة التي لا يصبر
عليها الرجال فقال عفريت من الشياطين اعطيت من القوة ما اذا شئت
تحولت اعصارا من النار فاحرق كل شي اتي عليه فقال ابليس له اذهب فات الابل
ورعاتها فاتى الابل حين وضعت روسها ورعت فلم يشعر الناس حتى ثار من تحت
الارض اعصار من نار فاحرق الابل ورعاتها حتى اتى على اخرها ثم جاء عدو الله
ابليس في صورة قيمه عليها على قعود الى ايوب فوجده قائما يصلي فقال يا ايوب
اقبلت نار حتى غشيت ابلك فاحرقتها ومن فيها غيري فقال ايوب الحمد لله هو
اعطانيها وهو اخذها وهي مال الله اعارنيها وهو اولى بها اذا شا تركها واذا شا
نزعها وقديما كنت وطنت نفسي ومالي على الفنا قال ابليس فان ربك ارسل
عليها نارا من السما فاحترقت فتركت الناس مبهوتين يتعجبون منها منهم من
يقول ما كان ايوب يعبد شيا وما كان الا في غرور ومنهم من يقول لو كان اله ايوب
يقدر على ان يصنع شيا لمنع وليه ومنهم من يقول بل هو الذي فعل ما فعل ليشمت
به عدوه ويفجع صديقه فقال ايوب الحمد لله حين اعطاني وحين نزع مني
عريانا خرجت من بطن امي وعريانا اعود الى التراب وعريانا احشر الى الله
عز وجل ليس ينبغي لك ان تفرح حين اعارك وتجزع حين قبض عاريته الله
اولى بك وبما اعطاك ولو علم الله فيك ايها العبد خيرا لنقل روحك مع تلك
الارواح وصرت شهيدا ولكنه علم منك شرا فاخرك فرجع ابليس الى اصحابه
خاسئا ذليلا فقال لهم ما عندكم من القوة فاني لم اكلم قلبه قال عفريت عندي
من القوة ما اذا شئت صحت صيحة لا يسمعه ذو روح الا خرجت روحه قال ابليس
فات الغنم ورعاتها فانطلق حتى توسطها ثم صاح صيحة فجثمت امواتا من عند اخرها
ومات رعاتها فجا ابليس متمثلا بقهرمان الرعاة الى ايوب فوجده يصلي فقال
له يا ايوب ماتت الغنم والرعاة مثل القول الاول فرد عليه ايوب مثل رده الاول
فرجع ابليس الى اصحابه فقال لهم ماذا عندكم من القوة فاني لم اكلم قلب ايوب فقال
عفريت عندي من القوة ما اذا شئت تحولت ريحا عاصفا تنسف كل شي تاتي
عليه قال فات الفدادين والحرث فانطلق يومهم وذلك حين يشرع الفدادون

في الحرث والزرع فلم يشعر واحتى هبت ريح عاصف فنسفت كل شيء من ذلك حتى كانه
لم يكن ثم جاءه ابليس متمثلا بقهرمان الحرث الى ايوب وهو قايم يصلي فقال له مثل قوله
الاول فرد عليه ايوب مثل رده الاول وجعل ابليس يصف ماله مالا مالا حتى مر على
اخره كلما انتهى الى هلاك مال من اموا له حمد الله واحسن الثنا عليه ورضي عنه بالقضا
ووطن نفسه بالصبر على البلا حتى لم يبق له مال فلما راى ابليس انه قد افنى ماله ولم
ينجح منه بشي صعد سريعا حتى وقف في الموقف الذي يقف فيه وقال الهي ان ايوب
يري انك ما متعته بولده فانت معطيه المال فهل انت مسلطي على ولده فانها المصيبة
التي لا يقوم لها قلوب الرجال قال الله عز وجل انطلق فقد سلطتك على ولده فانقض
عدو الله حتى اتى بني ايوب نبي الله وهم في قصرهم فلم يزل يزلزل بهم القصر حتى تداعى
من قواعده وجعل جدره يضرب بعضها بعضا يرميهم بالخشب والحجارة فلما مثل بهم
كل مثلة رفع القصر وقلبه وصاروا منكسين وانطلق الى ايوب متمثلا بالمعلم
الذي كان يعلمهم الحكمة وهو جريح مشدوخ الوجه يسيل دمه فاخبره وقال لو
رايت بنيك كيف عذبوا وقلبوا فكانوا منكسين على روسهم تسيل دماوهم وادمغتهم
ولو رايت كيف شقت بطونهم فتناثرت امعاوهم لتقطع قلبك عليهم فلم يزل يقول
هذا ونحوه حتى رق ايوب وبكى وقبض قبضة من التراب فوضعها على راسه وقال
يا ليت امي لم تلدني فاغتنم ابليس فصعد سريعا بالذي كان من جزع ايوب مسرورا
به ثم لم يلبث ايوب ان فا والصبر واستغفر فصعد قرناوه من الملايكة بتوبته
فسبقت توبته الى الله وهو اعلم فوقف ابليس خاسيا ذليلا وقال الهي انما هون
على ايوب المال والولد انه يري انك ما متعته بنفسه فانت تعيد له المال والولد
فهل انت مسلطي على جسده فقال الله انطلق فقد سلطتك على جسده ولكن ليس
لك سلطان على لسانه وقلبه سلطان وعقله وكان الله اعلم به ولم يسلطه عليه
الا رحمة ليعظم له الثواب ويجعله عبرة للصابرين وذكرى للعابدين في كل بلا
نزل بهم ليتاسوا به في الصبر ورجا الثواب فانقض عدو الله ابليس سريعا اليه فوجد
ايوب ساجدا فعجل قبل ان يرفع راسه فاتاه من قبل وجهه فنفخ في منخريه
نفخة اشتعل منها جسده فخرج من قرنه الى قدمه ثاليل مثل اليان الغنم ووقعت
فيه حكة فحك باظفاره حتى سقطت كلها ثم حكها بالمسوح الخشنة حتى قطعها
ثم حكها بالفخار والحجارة الخشنة فلم يزل يحك حتى قرح لحمه وتسلل فتقطع وتغير
وانتن واخرجه اهل القرية فجعلوه على كناسة لهم وجعلوا له عريشة ورفضه
خلق الله كلهم غير امراته وهي رحمة بنت افرايم بن يوسف بن يعقوب فكانت
تختلف اليه بما يصلحه وتلزمه فلما راى الثلاثة من اصحابه وهم اليفن وبلدد
وصافر ما ابتلاه الله به اتهموه ورفضوه من غير ان يتركوا دينه فلما طال به البلا
انطلقوا اليه ولاموه وبكتوه وقالوا له تب الى الله من الذنب الذي عوقبت به
قال وحضر معهم فتى حديث السن قد امن به وصدقه فقال لهم انكم تكلمتم ايها

الكهول وانتم احق بالكلام مني لاسنانكم ولكن تركتم من القول ما هو احسن من
الذي قلتم وقد كان لايوب عليكم من الحق والذمام افضل من الذي وصفتم فهل تدرون
ايها الكهول حق من انتقصتم وحرمة من انتهكتم ومن الرجل الذي عبتم واتهمتم
الم تعلموا ان ايوب نبي الله وصفوته وخيرته من اهل الارض يومكم هذا ثم لم تعلموا
ولم يطلعكم الله على انه سخط شيا من امره منذ اتاه الله ما اتاه الى يومكم هذا
ولا على انه نزع منه شيا من الكرامة التي اكرمه الله تعالى بها ولا ان ايوب قد قال
على الله غير الحق في طول ما صحبتموه الى يومكم هذا فان كان البلا هو الذي ازرى
به عندكم ووضعه في انفسكم فقد علمتم ان الله تعالى يبتلي المومنين والصديقين
والشهدا والصالحين وليس بلاوه لاوليايه دليلا على سخطه عليهم ولا لهوانه لهم
ولكنها كرامة وخيرة لهم ولو كان ايوب ليس من الله بهذه المنزلة الا انه اخ احببتموه
على وجه الصحبة لكان لا يجمل بالحليم ان يعذل اخاه عند البلا ولا يعيره بالمصيبة
ولا يعيبه بما لا يعلم وهو مكروب حزين ولكنه يرحمه ويبكي معه ويستغفر
له ويحزن لحزنه ويدله على مراشد امره وليس بحليم ولا رشيد من جهل هذا
فالله الله ايها الكهول وقد كان في عظمة الله وجلاله وذكر الموت ما يقطع
السنتكم ويكسر قلوبكم الم تعلموا ان لله عبادا اسكتتهم الخشية من غير عي
ولا بكم وانهم هم الفصحا البلغا النبلا الالبا العالمون بالله ولكنهم اذا ذكروا
عظمة الله انقطعت السنتهم واقشعرت جلودهم وانكسرت قلوبهم وطاشت
عقولهم اعظاما لله واجلالا فاذا استفاقوا من ذلك استبقوا الى الله بالاعمال
الزكية يعدوا انفسهم من الظالمين والخاطيين وانهم لهم الابرار البرا مع المقصرين
المفرطين ولهم لا كياس اقويا قال ايوب عليه السلام ان الله تعالى يزرع الحكمة
بالرحمة في قلب الصغير والكبير فاذا نبتت في القلب يظهرها الله على اللسان
وليست تكون الحكمة من قبل السن والشيب ولا طول التجربة فاذا جعل الله
العبد حكيما في الصبى لم يسقط منزلته عند الحكما وهم يرون من الله سبحانه وتعالى نور
الكرامة ثم اقبل ايوب على الثلاثة وقال اتيتموني غضابا رهبتم قبل ان تسترهبوا
وبكيتم قبل ان تضربوا كيف بي لو قلت تصدقوا عني باموالكم لعل الله ان يخلصني
او قربوا عني قربانا لعل الله ان يتقبله ويرضى عني وانكم قد اعجبتكم انفسكم وظننتم
انكم قد عوفيتم باحسانكم ولو نظرتم فيما بينكم وبين انفسكم ثم تصدقتم لوجدتم لكم عيوبا
قد سترها الله بالعافية التي البسكم وقد كنتم فيما خلا توقروني وانا مسموع
كلامي معروف حقي منتصف من خصمي فاصبحت اليوم وليس لي راي ولا كلام معكم
فانتم كنتم على اشد من مصيبتي ثم اعرض عنهم ايوب واقبل على ربه مستغيثا
به متضرعا اليه فقال يا رب لاي شي خلقتني ليتني اذ كرهتني لم تخلقني يا ليتني
عرفت الذنب الذي اذنبت والعمل الذي عملت فصرفت وجهك الكريم عني
لو كنت امتني فالحقتني بابائي فالموت كان اجمل بي الم اكن للغريب دارا وللمسكين

وللقيم للفيم وللمراة فيما الهى انا عبد لك ان احسنت فالمن لك وان اسات فبيدك
عقوبتي جعلتني للبلاء عرضا وللفتنة نصبا وقد وقع علي من البلاء ما لو سلطته
على جبل لضعف عن حمله فكيف يحمله ضعيفي فان قضاءك هو الذي اذلني وان سلطانك
هو الذي اسقمني واتحل جسمي ولو ان ربي نزع الهيبة التي في صدري واطلق لساني
حتى اتكلم بملا فمي فادلي بعذر واتكلم ببراتي واخاصم عن نفسي لرجوت ان تعافيني
عند ذلك مما بي ولكنه القاني وتعالى عني فهو يراني ولا اراه ويسمعني ولا اسمعه
فلما قال ذلك ايوب واصحابه عنده اظله غمام حتى ظن اصحابه انه عذاب ثم نودي
يا ايوب ان الله يقول ها انا قد دنوت منك ولم ازل منك قريبا فقم فادل بعذرك
وتكلم ببراتك وخاصم عن نفسك واشدد ازارك وقم مقام جبار ان استطعت
فانه لا ينبغي ان يخاصمني الا جبار مثلي لقد منتك نفسك يا ايوب امرا ما يبلغ بمثله
قوتك اين انت مني يوم خلقت الارض فوضعتها على اساسها هل كنت معي تمد اطرافها
هل علمت باي مقدار قدرتها ام على شي وضعت اكنافها ابطاعتك حمل الما الارض
ام بحكمتك كانت الارض للما غطا اين كنت مني يوم رفعت السما سقفا في الهوي حتى لا
تتعلق بسبب من فوقها ولا يقلها دعم من تحتها هل يبلغ من حكمتك ان تجري
نورها او تسير نجومها او يختلف بامرك ليلها ونهارها اين كنت مني يوم انبعث
الانهار وسخرت البحار اسلطانك حبس امواج البحار على حدودها او قدرتك
فتحت الارحام حين بلغت مدتها اين كنت مني يوم صببت الما على التراب ونصبت
شوامخ الجبال هل تدري على اي شي ارسيتها ام باي مثقال وزنتها ام هل لك
من ذراع يطيق حملها ام هل تدري من اين الما الذي انزلت من السما ام هل تدري
من اي شي انشات السحاب ام هل تدري اين خزانة الثلج ام اين جبال البرد ام
اين خزانة الليل بالنهار وخزانة النهار بالليل واين خزانة الريح وباي لغة تتكلم
الاشجار ومن جعل العقول في اجواف الرجال وشق الاسماع والابصار ومن ذلك
الملايكة لملكه وقهر الجبارين بجبروته وقسم الارزاق بحكمته في كلام كثير يدل
على اثار قدرته ذكرها لايوب فقال ايوب صغر شاني وكل لساني وعقلي ورايي
وضعفت قوتي عن هذا الامر الذي تعرض لي قد علمت ان كل الذي ذكرت بديع
وتدبير حكمتك واعظم من ذلك واعجب لو شيت حملت ولا يعجزك شي ولا يخفى
عليك خافية الهي وثقتني البلايا فتكلمت ولم املك فكان البلا هو الذي انطقني
ليت الارض انشقت لي فذهبت فيها ولم اتكلم بشي يسخطك ربي وليتني مت
بغمي في اشد بلاي قبل ذلك انما تكلمت حين تكلمت بعذري وسكت حين سكت لترحمني
كلمة زلت مني فلن اعود وقد وضعت يدي على فمي وعضضت على لساني والصقت
بالتراب خدي اعوذ بك اليوم منك واستجير بك من جهد البلا فاجرني واستغيث
بك من عقابك فاغثني واستعينك على امري فاعني واتوكل عليك فاكفني واعتصم
بك فاعصمني واستغفرك فاغفر لي فلن اعود لشي تكرهه مني فقال الله تعالى يا ايوب

نفذ فيك علمي وسبقت رحمتي غضبي فقد غفرت لك ورددت عليك اهلك ومالك
ومثلهم معهم لتكون لمن خلفك اية وتكون عبرة لاهل البلا وعزا للصابرين فاركض
برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فيه شفاؤك وقرب عن اصحابك قربانا واستغفر
لهم فانهم قد عصوني فيك وروي عن انس يرفعه ان ايوب لبث ببلايه ثماني
عشرة سنة وقال وهب ثلاث سنين لم يزد يوما وقال كعب سبع سنين وقال
الحسن مكث ايوب مطروحا على كناسة لبني اسرايل سبع سنين واشهر تختلف
فيه الدواب لا يقربه احد غير رحمة صبرت معه تصدق وتاتيه بطعام وتحمد
معه اذا حمد ايوب على ذلك لا يفتر من ذكر الله والصبر على بلايه فصرخ ابليس
صرخة جمع فيها جنوده من اقطار الارض فلما اجتمعوا اليه قالوا ما احزنك قال
اعياني هذا العبد الذي لم ادع له مالا ولا ولدا ولا عافية ولم يزد الا صبرا
ثم سلطت على جسده فتركته قرحة ملقاة على كناسة لا يقربه الا امراته
فاستغثت بكم لتعينوني عليه فقالوا له فاين مكرك الذي اهلكت به من مضى
لك قال بطل ذلك كله في ايوب فاشيروا علي قالوا من اين اتيت ادم حتى اخرجته
من الجنة قال من قبل امراته قالوا فشانك بايوب من قبل امراته فانه لا يستطيع
ان يعصيها وليس يقربه احد غيرها قال اصبتم فانطلق ابليس حتى اتى رحمة امراة
ايوب وهي تتصدق فتمثل لها في صورة رجل وقال لها اين بعلك يا امة الله قالت
هو ذاك يحك قروحه ويتردد الديدان في جسده فلما سمعها طمع ان تكون كلمة جزع
فوسوس عليها وذكرها ما كانت فيه من النعم والمال وذكرها جمال ايوب وشبابه
وما هو فيه من الضر وان ذلك لا ينقطع عنه ابدا وصرخت فعلمت ان قد جزعت
فاتاها بسخلة وقال ليذبح لي هذا ايوب ويبرا فجاءت تصرخ يا ايوب حتى متى
يعذبك ربك اين المال اين الولد اين الصديق اين لونك الحسن اين جسمك الحسن
اذبح هذه السخلة واسترح قال ايوب اتاك عدو الله فنفخ فيك ويلك ارايت
ما تبكين عليه من المال والولد والصحة من اعطانيه قالت الله قال فكم متعنا
به قالت ثمانين سنة قال فمذ كم ابتلانا قالت منذ سبع سنين واشهر قال ويلك
ما انصفت الا صبرت في البلا ثمانين سنة كما كنا في الرخا ثمانين سنة والله لين
شفاني الله لاجلدنك مائة جلدة امرتيني ان اذبح لغير الله طعامك وشرابك
الذي اتيتيني به علي حرام ان اذوق منه شيا مما تاتيني به بعد اذ قلت لي هذا
اعزبي عني فلا اراك فطردها فذهبت فلما نظر ايوب وليس عنده طعام ولا
شراب ولا صديق خر ساجدا لله وقال اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين
فقيل له ارفع راسك فقد استجيب لك اركض برجلك فركض برجله فنبعت عين
فاغتسل منها فلم يبق عليه من درنه ودايه شي ظاهر الا سقط وعاد شبابه
وجماله فنبعت عين اخرى فشرب منها فلم يبق في جوفه دا الا خرج فقام صحيحا
وكسي حلة قال فجعل يلتفت فلا يرى شيا مما كان عليه وما كان له من اهل ومال

الاوقد اضعفه الله حتى والله ذكر لنا ان الماء الذي اغتسل منه تطاير منه على
صدره جراد من ذهب فجعل يضمه بيده فاوحى الله اليه يا ايوب الم اغنك قال
بلى ولكنها بركة من بركتك فمن يشبع هاهنا قال فخرج حتى جلس على مكان مشرف
ثم ان امراته قالت ارايتك طردتني الى من اكله ادعه يموت جوعا ويضيع فتاكله
السباع لارجعن اليه فرجعت اليه فلا الكناسة رات ولا تلك الحالة التي كانت
تعرف واذا الامور قد تغيرت فجعلت تطوف حيث كانت الكناسة وتبكي وذلك
بعين ايوب عليه السلام وهابت صاحب الحلة ان تاتيه فتسال عن ايوب
فدعاها وقال ما تريدين يا امة الله فبكت وقالت اريد ذلك المبتلى الذي
كان منبوذا على الكناسة لا ادري اضاع ام ما فعل به فقال لها ايوب عليه السلام
ما كان منك فبكت وقالت بعلي فقال هل تعرفينه اذا رايتيه قالت وهل يخفى
على احد راه ثم جعلت تنظر اليه وهي تهابه ثم قالت اما انه اشبه خلق الله بك
اذ كان صحيحا قال فاني انا ايوب الذي امرتني ان اذبح لابليس واني اطعت الله
عز وجل وعصيت الشيطان ودعوت الله فرد علي ما ترين قال وهب
لبث ايوب في البلاء ثلاث سنين فلما غلب ايوب ابليس ولم يستطع منه شيئا
اعترض امراته في هيئة ليست كهيئة بني ادم في العظم والجسم والجمال على مركب
ليس من مراكب الناس له عظم وبها وكمال فقال لها انت صاحبة ايوب هذا الرجل
المبتلى قالت نعم قال هل تعرفيني قالت لا قال انا اله الارض وانا الذي
صنعت بصاحبك ما صنعت لانه عبد اله السماء وتركني فاغضبني ولو سجد لي
سجدة واحدة لرددت عليه وعليك كما كان لكما من مال وولد فانه عندي ثم
اراها اياه ببطن الوادي الذي لقيها فيه وفي بعض الكتب ان ابليس قال لها اسجدي
سجدة واحدة حتى ارد عليك المال والولد واعافي زوجك فرجعت الى ايوب فاخبرته
بما قال لها وما اراها قال لقد اتاك عدو الله ليفتنك عن دينك ثم اقسم
لئن عافاه الله ليضربنها مائة جلدة وقال عند ذلك مسني الضر من طمع ابليس
في سجود حرمتي له ودعائه اياها واياي الى الكفر ثم ان الله تعالى رحم رحمة
امراة ايوب بصبرها معه على البلاء وخفف عليها واراد ان يبر يمين ايوب
فامره ان ياخذ ضغثا يشتمل على مائة عود صغار فيضربها به ضربة واحدة
وقيل انما قال مسني الضر حين قصد الدود الى قلبه ولسانه فخشي ان يفتر
عن الذكر والفكر وقيل لم يدع الله بالكشف عنه حتى ظهرت له ثلاثة اشياء
احدها ما قيل في حقه لو كان لك عند الله منزلة ما اصابك هذا والثاني
ان امراته طلبت طعاما فلم تجد ما تطعمه فباعت ذوابتها فاتته بطعام
والثالث قول ابليس لها داويه على ان يقول انت شفيتني وقيل مسني الضر
اي من شماتة الاعداء حتى روى ان الله تعالى قال بعد ما عوفي ما كان اشد عليك في
بلائك قال شماتة الاعداء فان قلت كيف سماه الله صابرا وقد اظهر الشكوى

والجزع

والجزع بقوله مسني الضر وقوله مسني الشيطان بنصب وعذاب قلت ليس هذا
شكوى وانما هو دعاء بدليل قوله فاستجبنا له والشكوى انما تكون للخلق لا الى الخالق
بدليل قول يعقوب عليه السلام انما اشكو بثي وحزني الى الله وقال سفيان بن
عيينة من اظهر الشكوى الى الناس وهو راض بقضاء الله تعالى لا يكون ذلك جزعا
كما روي ان جبريل عليه السلام دخل على النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه فقال
كيف تجدك قال اجدني مغموما واجدني مكروبا وقال لعائشة حين قالت
وا راساه قال بل انا وا راساه وقوله تعالى فاستجبنا له اي اجبنا دعاءه
فكشفنا ما به من ضر وذلك انه قال له اركض برجلك فركض برجله
فنبعت عين ماء فامره ان يغتسل منها فغسل فذهب كل داء كان بظاهره ثم
مشى اربعين خطوة فامره ان يضرب برجله الارض مرة اخرى ففعل فنبع عين
ماء بارد فشرب منها فذهب كل داء كان بباطنه فصار كاصح ما كان
واتيناه اهله ومثلهم معهم قال ابن مسعود وابن عباس واكثر المفسرين
رد الله اليه اهله واولاده باعيانهم احياهم واعطاهم اليه ومثلهم معهم وهو
ظاهر القران وعن ابن عباس رواية اخرى ان الله رد الى المراة شبابها فولدت
له ستة وعشرين ذكرا وقيل كان له سبع بنين وسبع بنات وعن انس يرفعه
انه كان له اندران اندر للقمح واندر للشعير فبعث الله تعالى سحابتين فافرغت
احداهما على اندر القمح الذهب وافرغت الاخرى على اندر الشعير الورق
حتى فاضا وروي ان الله بعث اليه ملكا وقال ان ربك يقرئك السلام بصبرك
فاخرج الى اندرك فخرج اليه فارسل الله عليه جرادا من ذهب فطارت
واحدة فتبعها وردها الى اندره فقال له الملك اما يكفيك ما في اندرك فقال
هذه بركة من بركات ربي ولا اشبع من بركته خ عن ابي هريرة قال قال رسول
صلى الله عليه وسلم بينما ايوب يغتسل عريانا خر عليه جراد من ذهب فجعل
ايوب يحثي في ثوبه فناداه ربه يا ايوب الم اكن اغنيتك عما ترى قال بلى يا رب
ولكن لا غنى بي عن بركتك وقال فوزن الى ابنه ايوب مثل اهله الذين هلكوا قال
عكرمة قيل لايوب ان اهلك لك في الاخرة فان شئت عجلناهم لك في الدنيا وان شئت
كانوا لك في الاخرة واتيناك مثلهم في الدنيا فقال بل يكونوا لي في الاخرة واوتى
مثلهم في الدنيا فعلى هذا يكون معنى الاية واتيناه اهله في الاخرة ومثلهم معهم
في الدنيا والمراد بالاهل الاولاد رحمة من عندنا اي نعمة وذكرى
للعابدين اي عظة وعبرة لهم قوله عز وجل واسماعيل هو ابن ابراهيم
صلى الله عليه وسلم وادريس هو اخنوخ وذا الكفل كل من الصابرين
اي على ذكر الله لما ذكر الله ايوب وصبره على البلاء اتبعه بذكر هولاء الانبياء صلوات
الله عليهم اجمعين لانهم صبروا على المحن والشدائد والعبادة ايضا اما اسماعيل
صلى الله عليه وسلم صبر على الانقياد للذبح واما ادريس صلى الله عليه وسلم فقد

واما ذا الكفل فاختلف فيه فقيل كان نبيا من انبياء بني اسرائيل وكان زمان ملكا اوحى الله
اليه اني اريد قبض روحك فاعرض ملكك على بني اسرائيل فمن تكفل انه يصلي بالليل
ويصوم النهار ولا يفطر ويقضي بين الناس ولا يغضب فادفع ملكك اليه ففعل ذلك
فقام شاب فقال انا اتكفل لك بهذا فتكفل ووفى شكر الله ونبأه فسمي ذا الكفل
وقيل لما كبر اليسع قال اني استخلف رجلا على الناس ليعمل عليهم في حياتي انظر كيف
يعمل فجمع الناس وقال من يتقبل مني ثلاثا استخلفه يصوم النهار ويقوم الليل
ولا يغضب فقام رجل تزدريه العين فقال انا فرده ذلك اليوم وقال مثلها في
الآخر فسكت الناس وقام ذلك الرجل وقال انا فاستخلفه فاتاه ابليس في صورة
شيخ ضعيف حين اخذ مضجعه للقايلة وكان لا ينام من الليل والنهار الا تلك النومة
فدق الباب فقال من هذا قال شيخ كبير مظلوم فقام ففتح الباب فقال ان بيني
وبين قومي خصومة وانهم ظلموني وفعلوا وفعلوا فجعل يطول عليه حتى ذهبت
القايلة فقال اذا رحت فأتني حتى آخذ حقك فانطلق وراح وكان في مجلسه ينظر
هل يرى الشيخ فلم يره فقام يبتغيه فلم يجده فلما كان الغد جعل يقضي بين الناس
وينتظره فلم يره فلما رجع الى القايلة واخذ مضجعه فدق الباب فقال من هذا فقال
الشيخ المظلوم ففتح له وقال له الم اقل اذا قعدت فأتني قال انهم اخبث قوم اذا
عرفوا انك قاعد قالوا نحن نعطيك واذا قمت جحدوني قال فانطلق فاذا جلست
فأتني وفارقته القايلة فلما جلس جعل ينظر فلا يراه وشق عليه النعاس فلما كان اليوم
الثالث قال لبعض اهله لا تدع احدا يقرب هذا الباب حتى انام فانه قد شق علي
النعاس فلما كان تلك الساعة ثم جاء فلم يأذن له الرجل فلما اعياه فرأى كوة في
البيت فتسور منها فاذا هو في البيت فدق الباب من داخل فاستيقظ فقال يا
فلان الم آمرك قال اما من قبلي فلم تؤت فانظر من اين اتيت فقام الى الباب
فاذا هو مغلق كما اغلقه واذا الرجل معه في البيت فقال اتنام والخصوم ببابك
فنظر اليه فعرفه فقال اعدو الله قال نعم اعييتني وفعلت ما فعلت لاغضبك
فعصمك الله فسمي ذا الكفل لانه تكفل بامر فوفى به واختلف في نبوته فقيل كان
نبيا وهو الياس وقيل هو زكريا وقيل انه كان عبدا صالحا ولم يكن نبيا **وادخلناهم
في رحمتنا** يعني ما انعم به عليهم من النبوة وصيرهم اليه في الجنة من الثواب
انهم من الصالحين قوله عز وجل **وذا النون** اي واذكر صاحب الحوت
لابتلاعه اياه وهو يونس بن متى **اذ ذهب مغاضبا** قال ابن عباس في رواية
عنه كان يونس وقومه يسكنون فلسطين فغزاهم ملك فسبى منهم تسعة اسباط
ونصف وبقي منهم سبطان ونصف فاوحى الله الى شعيا النبي ان سر الى حزقيا الملك
وقل له حتى يوجه نبيا قويا فاني القي في قلوب اولئك حتى يرسلوا معه بني اسرائيل
فقال له الملك فمن ترى وكان في مملكته خمسة انبياء قال يونس انه قوي امين
فدعا الملك يونس عليه السلام وامره ان يخرج فقال يونس هل امرك الله باخراجي

قال لا قال فهل سماني لك قال لا قال فهنا غيري انبياء اقوياء فالحوا عليه فخرج
مغاضبا للنبي وللملك ولقومه واتى بحر الروم فركبه وقيل ذهب عن قومه مغاضبا
لربه اذ كشف الله عنهم العذاب بعدما اوعدهم وكره ان يكون بين اظهر قوم جربوا
عليه الخلف فيما وعدهم فاستحيا منهم ولم يعلم السبب الذي رفع العذاب عنهم
فكان غضبه انفة من ظهور خلف وعده وانه يسمى كذابا لا كراهية لحكم الله وفي
بعض الاخبار انه كان من عادة قومه ان يقتلوا من جربوا عليه الكذب فخشي
ان يقتلوه لما لم يأتهم العذاب للميعاد فغضب وقال ابن عباس اتى جبريل
يونس فقال انطلق الى اهل نينوى فانذرهم فقال التمس دابة فقال الامر
اعجل من ذلك فغضب وانطلق الى السفينة وقال وهب ان يونس كان عبدا
صالحا وكان في خلقه ضيق فلما حمل عليه اثقال النبوة تفسخ تحتها تفسخ
الربع تحت الحمل الثقيل فقذفها من يده وخرج هاربا منها فلذلك اخرجه
الله تعالى من اولي العزم فقال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فاصبر كما صبر اولو
العزم من الرسل وقال ولا تكن كصاحب الحوت وقوله **فظن ان لن نقدر عليه**
اي ان لن نقضي عليه العقوبة قاله ابن عباس في رواية عنه وقيل معناه وظن
ان لن نضيق عليه الحبس وقيل معناه او ظن انه يعجز ربه فلا يقدر عليه وقيل
لما انطلق يونس مغاضبا لربه واستزله الشيطان حتى ظن ان لن نقدر عليه وكان
له سلف وعبادة فابى الله ان يدعه للشيطان فقذفه في بطن الحوت فمكث
فيه اربعين ما بين يوم وليلة وقيل سبعة ايام وقيل ثلاثة وقيل ان الحوت ذهب
به حتى بلغ تخوم الارض السابعة فتاب الى ربه وراجع نفسه في بطن الحوت
فنادى في الظلمات اي ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت **ان لا اله
الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين** اي حيث عصيتك وما صنعت من شيء
فلم اعبد غيرك فاخرجه الله من بطن الحوت برحمته وروى ابو هريرة مرفوعا
قال اوحى الله تعالى الى الحوت ان خذه ولا تخدش له لحما ولا تكسر له عظما
فاخذه ثم هوى به الى مسكنه في البحر فلما انتهى به الى اسفل البحر سمع يونس
حسا فقال في نفسه ما هذا فاوحى الله اليه هذا تسبيح دواب البحر قال
فسبح هو في بطن الحوت فسمع الملائكة تسبيحه فقالوا يا ربنا نسمع صوتا
ضعيفا بارض غريبة وفي رواية صوتا معروفا من مكان مجهول قال ذلك عبدي
يونس عصاني فحبسته في بطن الحوت فقالوا العبد الصالح الذي كان يصعد
اليك منه في كل يوم وليلة عمل صالح قال نعم فشفعوا له عند ذلك فامر الحوت
فقذفه في الساحل فذلك قوله تعالى **فاستجبنا له ونجيناه من الغم** اي
من تلك الظلمات **وكذلك ننجي المؤمنين** اي من الكروب اذا دعونا واستغاثوا
بنا فان قلت قد تمسك بمواضع من هذه القصة من اجاز وقوع الذنب من الانبياء
منها قوله اذ ذهب مغاضبا ومنها وظن ان لن نقدر عليه ومنها قوله اني كنت من

الظالمين قلت اما الجواب الكلي فقد اختلف في هذه الواقعة هل كانت قبل الرسالة
ام لا فقال ابن عباس كانت رسالته بعد ان اخرجه الله من بطن الحوت بدليل قوله
تعالى في الصافات بعد ذكر خروجه وارسلناه الى مائة الف او يزيدون فثبت بهذا
ان هذه الواقعة كانت قبل النبوة وقد اجاز بعضهم عليهم الصغاير قبل النبوة ومنعها
بعد النبوة وهو الصحيح واما الجواب التفصيلي فقوله اذ ذهب مغاضبا فحمله انه
لقومه او للملك اولى بحال الانبيا عليهم السلام واما قوله فظن ان لن نقدر
عليه فقد معناه ان لن نضيق عليه وذلك ان يونس ظن انه مخير ان شاء اقام
وان شاء خرج وان الله تعالى لا يضيق عليه في اختياره وقيل هو من القدر لا من القدرة
واما قوله اني كنت من الظالمين فالظلم وضع الشي في غير موضعه وهذا اعتراض
عند بعضهم بذنبه اما ان يكون لخروجه عن قومه بغير اذنه او لضعفه عما حمله
او لدعايه بالعذاب على قومه وفي هذه الاشيا ترك الافضل مع القدرة على تحصيله
فكان ذلك ظلما وقيل كانت رسالته قبل هذه الواقعة بدليل قوله تعالى وان
يونس لمن المرسلين اذ ابق الى الفلك المشحون وعلى هذا يكون الجواب عن هذه الواقعة
ما تقدم من التفصيل والله اعلم قوله عز وجل **وزكريا اذ نادى ربه** اي دعى ربه
رب لا تذرني فردا اي وحيدا لا ولد لي يساعدني وارزقني وارثا **وانت
خير الوارثين** وهو ثنا على الله عز وجل بانه الباقي بعد فنا الخلق وانه الوارث
لهم وهذا على سبيل التمثيل والمجاز فهو كقوله وانت خير الرازقين **فاستجبنا له
ووهبنا له يحيى** اي ولدا **واصلحنا له زوجه** اي جعلناها ولودا
بعد ما كانت عقيما وقيل كانت سيئة الخلق فاصلحها الله له بان رزقها حسن الخلق
انهم كانوا يسارعون في الخيرات يعني الانبيا المذكورين في هذه السورة وقيل
زكريا واهل بيته والمسارعة في الخير من اكبر ما يمتدح به المرء لانه يدل على حرص
عظيم في طاعة الله عز وجل **ويدعوننا رغبا ورهبا** يعني انهم ضموا الى فعل
الطاعات امرين احدهما الفزع الى الله تعالى لمكان الرغبة في ثوابه والرهبة
من عقابه والثاني الخشوع وهو قوله تعالى **وكانوا لنا خاشعين** وهو الخوف اللازم
للقلب فيكون الخاشع هو الحذر الذي لا ينبسط في الامور خوفا من الوقوع
في الاثم قوله تعالى **والتي احصنت فرجها** يعني احصانا كليا من الحلال والحرام
جميعا كما قالت لم يمسسني بشر ولم اك بغيا وهي مريم بنت عمران **فنفخنا فيها
من روحنا** اي امرنا جبريل حتى نفخ في جيب درعها فخلقنا بذلك النفخ المسيح
في بطنها واضاف الروح اليه تشريفا لعيسى كبيت الله وناقة الله **وجعلناها
وابنها اية** اي دلالة **للعالمين** على كمال قدرتنا على خلق ولد من غير اب
فان قلت هما ايتان فكيف قال اية قلت معنى الكلام وجعلنا شانهما وامرهما
اية واحدة لان ولادتها اياه من غير اب اية قوله تعالى **ان هذه امتكم** اي ملتكم
ودينكم **امة واحدة** اي دينا واحدا وهو الاسلام فابطل ما سوى الاسلام

من الاديان

من الاديان والامة الجماعة التي هي على مقصد واحد وجعلت الشريعة امة واحدة
لاجتماع اهلها على مقصد واحد **وانا ربكم فاعبدون وتقطعوا امرهم بينهم**
اي لا دين سوى ديني ولا رب لكم غيري وتقطعوا امرهم بينهم اي اختلفوا في الدين
فصاروا فرقا واحزابا حتى لعن بعضهم بعضا وتبرا بعضهم من بعض **كل الينا راجعون**
فيجزيهم باعمالهم **فمن يعمل من الصالحات وهو مومن فلا كفران لسعيه**
اي لا يجحد ولا يبطل سعيه بل يشكر ويثاب عليه **وانا له كاتبون** اي لعمله
حافظون له وقيل الشكر من الله المجازاة ومعنى الكفران ترك المجازاة قوله
عز وجل **وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون** قال ابن عباس معناه
وحرام على اهل قرية اهلكناها ان يرجعوا بعد الهلاك وقيل معناه انه واجب
على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون الى الدنيا وقيل معناه وحرام على اهل قرية
حكمنا بهلاكهم ان تقبل اعمالهم لانهم لا يتوبون قوله عز وجل **حتى اذا فتحت
ياجوج وماجوج** يريد فتح السد وذلك ان الله تعالى يفتحه ابتداء عن ياجوج وماجوج
وهما قبيلتان يقال انهما تسعة اعشار بني ادم **وهم من كل حدب ينسلون**
اي يسرعون النزول من الاكام والقلاع وفي هذه الكناية وجهان احدهما ان
المراد بهم ياجوج وماجوج وهو الاصح بدليل ما روي عن النواس بن سمعان قال
ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى
ظنناه في طايفة النخل فلما رحنا اليه عرف ذلك فينا فقال ما شانكم قلنا يا
رسول الله ذكرت الدجال الغداة فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه في طايفة
النخل فقال غير الدجال اخوفني عليكم ان يخرج وانا فيكم فانا حجيجه دونكم
وان يخرج ولست فيكم فكل امرئ حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم انه شاب قطط
عينه طافية كاني اشبهه بعبد العزى بن قطن فمن ادركه منكم فليقرا عليه فواتح
سورة الكهف انه خارج خلة بين الشام والعراق فعاث يمينا وعاث شمالا يا عباد الله
اثبتوا قلنا يا رسول الله وما لبثه في الارض قال اربعون يوما يوم كسنة
ويوم كشهر ويوم كجمعة وساير ايامه كايامكم قلنا يا رسول الله فذلك اليوم
الذي كسنة اتكفينا فيه صلاة يوم قال لا اقدروا له قدره قلنا يا رسول الله
وما اسراعه في الارض قال كالغيث استدبرته الريح فياتي على القوم فيدعوهم
فيومنون به ويستجيبون له فيامر السما فتمطر والارض فتنبت فتروح
عليهم سارحتهم اطول ما كانت ذرى واسبغه ضروعا وامده خواصر ثم ياتي
على قوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بايديهم
شي من اموالهم ويمر بالخربة فيقول لها اخرجي كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب
النحل ثم يدعو رجلا ممتليا شبابا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية
الغرض ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه ويضحك فبينما هو كذلك اذ بعث الله
المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضا شرقي دمشق بين مهرودتين واضعا

كمنه على اجنحة ملكين اذا طاطا راسه قطر واذا رفعه تحدر منه جمان كاللولو فلا يحل
لكافر يجد ريح نفسه الا مات ونفسه ينتهي الى حيث ينتهي طرفه فيطلبه حتى
يدركه بباب لد فيقتله ثم ياتي عيسى عليه السلام قوم عصمهم الله منه فيمسح على
وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة فبينما هو كذلك اذا وحى الله الى عيسى بن مريم
اني قد اخرجت عبادا لي لا يدان لاحد ان يقاتلهم فحرز عبادي الى الطور ويبعث
الله ياجوج وماجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر اوايلهم على بحيرة طبرية فيشربون
ما فيها ويمر اخرهم فيقولون لقد كان بهذه مرة ماء ويحصر نبي الله عيسى واصحابه
حتى يكون راس الثور لاحدهم خيرا من ماية دينار لاحدكم اليوم فيرغب نبي الله واصحابه
فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة ثم يهبط
نبي الله عيسى واصحابه الى الارض فلا يجدون في الارض موضع شبر الا ملاه زهمهم
ونتنهم فيرغب نبي الله عيسى واصحابه الى الله فيرسل الله طيرا كاعناق البخت فتحملهم
فتطرحهم حيث ما شاء الله ثم يرسل الله مطرا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل
الارض حتى يتركها كالزلفة ثم يقال للارض انبتي ثمرتك وردي بركتك فيومئذ
تاكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها ويبارك في الرسل حتى ان اللقحة
من الابل لتكفي الفيام من الناس واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس واللقحة
من الغنم لتكفي الفخذ من الناس فبينما هم كذلك اذ بعث الله ريحا طيبة فتاخذهم
تحت اباطهم فيقبض الله روح كل مومن ومسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون
فيها كتهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة اخرجه مسلم **شرح غريب**
الفاظه قوله حتى ظنناه في طايفة النخل اي ناحية النخل والطايفة كالقطعة
من الشي قوله خفض فيه ورفع اي خفض صوته ورفعه من شدة ما تكلم به في
امره وقيل انه خفض من امره تهوينا له ورفع من شدة فتنته والتخويف من امره
قوله انه شاب قطط اي جعد الشعر قوله طافية اي خارجة عن حدها قوله انه
خارج خلة اي انه يخرج قصدا وطريقا بين جهتين والخلل الدخول في الشي قوله
فعاث اي فسد قوله فاقدروا له اي قدروا يوم من ايامكم المعهودة وصلواته
كل يوم بقدر ساعاته قوله فتروح عليهم سارحتهم اي مواشيهم قوله فيصبحوا
ممحلين اي مقحطين قد اجدبت ارضهم وغلت اسعارهم قوله كيعاسيب النحل
جمع يعسوب وهو فحل النحل وراسها قوله فيقطعه من بين رميته الغرض اي
قطعتين والغرض الهدف الذي يرمي بالنشاب قوله بين مهرودتين روي بالدال
المهملة وبالمعجمة اي شقتين وقيل حلتين وقيل المهرد الصبغ الاصفر بالورس
والزعفران قوله لا يدان لاحد بقتالهم اي لا قدرة ولا قوة لاحد بقتالهم
والنغف دود يكون في انوف الابل والغنم فرسى جمع فريس وهو القتيل زهمهم
اي ريحهم المنتنة قوله كالزلفة اي كالمراة وجمعها زلف ويروي بالقاف واراد
به استواها ونظافتها قوله تاكل العصابة اي الجماعة قيل يبلغون اربعين وقحف

الرمانة

الرمانة في الحديث قشرها والرسل بكسر الرا اللبن واللقحة الناقة ذات اللبن
والجماعة من الناس والفخذ دون القبيلة وقوله يتهارجون اي يختلطون والتهارج
الاختلاف واصله القتل الوجه الثاني في تفسير قوله تعالى وهم من كل حدب
ينسلون قيل جميع الخلايق يعني انهم يخرجون من قبورهم الى موقف الحساب (م)
عن حذيفة بن اسيد الغفاري قال اطلع النبي صلى الله عليه وسلم ونحن نتذاكر فقال
ما تذاكرون قالوا نذاكر الساعة قال انها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر ايات
فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم
وياجوج وماجوج وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف
بجزيرة العرب واخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم قوله عز وجل
واقترب الوعد الحق اي القيامة قال حذيفة لو ان رجلا افتنى فلوا بعد
خروج ياجوج وماجوج لم يركبه حتى تقوم الساعة العلو المهر **فاذا هي شاخصة**
ابصار الذين كفروا قيل معنى الاية ان القيامة اذا قامت شخصت ابصار الذين
كفروا من شدة الاهوال فلا تكاد تطرف من هول ذلك اليوم فيقولون **يا ويلنا**
قد كنا في غفلة من هذا يعني في الدنيا حيث كذبنا به وقلنا انه غير كاين **بل كنا**
ظالمين اي في وضعنا العبادة في غير موضعها قوله عز وجل **انكم** الخطاب
للمشركين **وما تعبدون من دون الله** يعني الاصنام **حصب جهنم**
اي حطب جهنم ووقودها يرمون بهم في النار كما يرمى بالحصبا واصل الحصب الرمي
انتم لها واردون اي فيها داخلون **لو كان هولا** يعني الاصنام **الهة** اي
على الحقيقة **ما وردوها** اي ما دخل الاصنام النار وعابدوها **وكل فيها**
خالدون يعني العابدين والمعبودين **لهم فيها زفير** يقال الزفير هو ان
يملا الرجل صدره غما ثم يتنفس وقيل شدة ما ينالهم من العذاب **وهم فيها لا**
يسمعون قال ابن مسعود في هذه الاية اذا بقي في النار من يخلد فيها جعلوا
في توابيت من نار ثم جعلت تلك التوابيت في توابيت اخرى عليها مسامير من نار
فلا يسمعون ولا يرى احد منهم ان في النار احدا يعذب غيره قوله عز وجل **ان الذين**
سبقت لهم منا الحسنى قال العلما ان هنا بمعنى الا الذين سبقت لهم منا
الحسنى يعني السعادة والعدة الجميلة في الجنة **اوليك عنها** اي عن النار
مبعدون قيل الاية عامة في كل من سبقت له من الله السعادة وقال
اكثر المفسرين عنى بذلك كل من عبد من دون الله وهو لله طايع ولعبادة من
يعبده كاره وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد وصناديد قريش
في الحطيم وحول الكعبة ثلث ماية وستون صنما فعرض له النضر بن الحارث
فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى افحمه ثم تلى عليه انكم وما تعبدون من
دون الله حصب جهنم الايات الثلاث ثم قام فاقبل عبد الله بن الزبعرى السهمي
فاخبره الوليد بن المغيرة بما قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابن الزبعرى

اما والله لو وجدته لخصمته فدعوا رسول الله فقال له ابن الزبعري انت تقول
انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم قال نعم قال اليست اليهود تعبد عزيرا
والنصارى تعبد المسيح وبنو مليح يعبدون الملائكة فقال النبي صلى الله عليه وسلم
بل هم يعبدون الشيطان فانزل الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى يعني
عزيرا والمسيح والملائكة اولئك عنها مبعدون وانزل في ابن الزبعري ما ضربوه
لك الا جدلا بل هم قوم خصمون وزعم جماعة ان المراد من الاية الاولى الاصنام
لان الله تعالى قال انكم وما تعبدون من دون الله ولو اراد به الملائكة والناس
لقال انكم ومن تعبدون لان من لمن يعقل وما لمن لا يعقل **لا يسمعون حسيسها**
يعني صوتها وحركة تلهبها اذا نزلوا منازلهم في الجنة **وهم فيما اشتهت انفسهم**
اي من النعيم والكرامة **خالدون** اي مقيمون قوله تعالى **لا يحزنهم الفزع**
الاكبر قال ابن عباس يعني النفخة الاخيرة وقيل هو حين يذبح الموت وينادي
يا اهل الجنة خلود بلا موت وقيل هو ان تطبق جهنم وذلك بعد ان يخرج الله
منها من يريد ان يخرجه **وتتلقاهم الملائكة** اي تستقبلهم الملائكة على ابواب
الجنة يهنونهم **هذا يومكم الذي كنتم توعدون** اي في الدنيا قوله عز وجل
يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب قال ابن عباس السجل الصحيفة والمعنى
كطي الصحيفة على مكتوبها والطي هو الدرج الذي هو ضد النشر وقيل السجل
اسم ملك يكتب اعمال العباد اذا رفعت اليه والمعنى نطوي السماء كما يطوي السجل
الطومار الذي يكتب فيه والتقدير لا يحزنهم الفزع الاكبر في ذلك اليوم **كما**
بدانا اول خلق نعيده اي كما بداناهم في بطون امهاتهم عراة غرلا كذلك نعيدهم
يوم القيامة **ق** عن ابن عباس قال قام فينا رسول الله بموعظة فقال ايها
الناس انكم محشورون الى الله حفاة عراة غرلا كما بدانا اول خلق نعيده **وعدا**
علينا انا كنا فاعلين قوله غرلا اي قلفا وقوله تعالى انا كنا فاعلين
يعني الاعادة والبعث بعد الموت قوله تعالى **ولقد كتبنا في الزبور من بعد**
الذكر قيل الزبور جميع الكتب المنزلة على الانبياء والذكر هو ام الكتاب الذي
عنده ومن ذلك الكتاب تنسخ الكتب ومعنى من بعد الذكر اي ما كتب في اللوح
المحفوظ وقال ابن عباس الزبور التوراة والذكر الكتب المنزلة من بعد التوراة
وقيل الزبور كتاب داود والذكر هو القران وبعد هنا بمعنى قبل **ان الارض**
يرثها عبادي الصالحون يعني ارض الجنة يرثها امة محمد صلى الله عليه وسلم
والمعنى ان الله تعالى كتب في اللوح المحفوظ وفي كتب الانبياء ان الارض يرثها
من كان صالحا من عباده عاملا بطاعته وقال ابن عباس اراد ان اراضي الكفار
يفتحها المسلمون وهذا حكم من الله تعالى باظهار الدين واعزاز المسلمين وقيل
اراد الارض المقدسة يرثها الصالحون بعد من كان فيها **ان في هذا** اي في القران
لبلاغا اي وصولا الى البغية يعني من اتبع القران وعمل بما فيه وصل الى ما يرجو

من الثواب وقيل البلاغ الكفاية لما فيه من الاخبار والوعد والوعيد والمواعظ
البالغة والقران زاد العباد الى الجنة وهو قوله تعالى **لقوم عابدين**
اي مومنين يعبدون الله وقيل هم امة محمد صلى الله عليه وسلم اهل الصلوات
الخمس وشهر رمضان والحج وقال ابن عباس عالمين وقيل هم العاملون قوله عز وجل
وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قيل كان الناس اهل كفر وجاهلية وضلالة
واهل الكتابين كانوا في حيرة من امر دينهم لطول مدتهم وانقطاع تواترهم ووقوع
الاختلاف في كتبهم فبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم حين لم يكن لطالب الحق سبيل
الى الفوز والثواب فدعاهم الى الحق وبين لهم سبيل الصواب وشرع لهم الاحكام
وبين لهم الحلال من الحرام قال الله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قيل
يعني المؤمنين خاصة فهو رحمة لهم وقال ابن عباس هو عام في حق من امن ومن لم
يومن فهو رحمة له في الدنيا بتاخير العذاب عنه ورفع المسخ والخسف والاستئصال
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انا رحمة مهداة **قل انما يوحى الي انما**
الهكم اله واحد فهل انتم مسلمون اي منقادون لما يوحى الي من اخلاص الالهية
والتوحيد لله والمراد بهذا الاستفهام الامر اي اسلموا **فان تولوا** اي اعرضوا
ولم يسلموا **فقل اذنتكم** اي اعلمتكم بالحرب وان لا صلح بيننا **على سواء**
اي انذارا بينا نستوي في علمه لا استبد انا به دونكم فتتاهبوا لما يراد بكم والمعنى
اذنتكم على وجه نستوي نحن وانتم في العلم به وقيل معناه لتستووا في الايمان
به واعلمتكم بما هو الواجب عليكم من التوحيد وغيره **وان ادري** اي وما اعلم
اقريب ام بعيد ما توعدون يعني يوم القيامة لا يعلمه الا الله **انه يعلم**
الجهر من القول ويعلم ما تكتمون اي لا يغيب عن علمه شيء منكم في
علانيتكم وسركم **وان ادري لعله فتنة لكم** اي لعل تاخير العذاب عنكم
اختبار لكم ليرى كيف صنيعكم وهو اعلم **ومتاع الى حين** اي تتمتعون الى
انقضاء اجالكم **قل رب احكم** اي افصل بيني وبين من كذبني **بالحق** اي بالعذاب
كانما استعجل العذاب لقومه فعذبوا يوم بدر وقيل معناه افصل بيني وبينهم
بما يظهر الحق للجميع وهو ان تنصرني عليهم والله يحكم بالحق طلب او لم يطلب
ومعنى الطلب ظهور الرغبة **وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون**
يعني من الشرك والكفر والاباطيل كانه سبحانه وتعالى قال قل داعيا ربا حكم
بالحق وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون والله اعلم

تفسير سورة الحج وهي مكية غير ست ايات

قوله عز وجل هذان خصمان الى قوله وهداه الى صراط الحميد وهي ثمان وسبعون
حرفا **بسم الله الرحمن الرحيم** قوله
عز وجل **يا ايها الناس اتقوا ربكم** اي احذروا عقابه واعملوا بطاعته **ان زلزلة**

الساعة شيء عظيم الزلزلة شدة الحركة على الحال الهائلة ووصفها بالعظم ولا
شيء أعظم مما عظمه الله قيل هي من أشراط الساعة قبل قيامها وقال ابن عباس زلزلة
الساعة قيامها فتكون معها **يوم ترونها** يعني الساعة وقيل الزلزلة **تذهل**
قال ابن عباس تشتغل وقيل تنسى **كل مرضعة** أي كل امرأة معها ولد ترضعه
عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها أي تسقط من هول ذلك اليوم كل حامل
قال الحسن تذهل المرضع عن ولدها بغير فطام وتضع الحامل ما في بطنها لغير
تمام فعلى هذا القول تكون الزلزلة في الدنيا لأن بعد البعث لا يكون حبل
ومن قال تكون الزلزلة في القيامة قال هذا على وجه تعظيم الأمر وتهويله
لا على الحقيقة كما تقول هذا أمر تشيب فيه الوليد يريد به شدته **وترى
الناس سكارى** أي على التشبيه **وما هم بسكارى** على التحقيق ولكن
ما رهقهم من خوف عذاب الله هو الذي أذهب عقولهم وأزال تمييزهم وقيل
سكارى من الخوف وما هم بسكارى من الشراب **ولكن عذاب الله شديد**
عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى
يوم القيامة يا آدم فيقول لبيك وسعديك زاد في رواية والخير في يديك
فينادي بصوت إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثا إلى النار قال يا رب
وما بعث النار قال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين فحينئذ تضع
الحوامل حملها ويشيب الوليد وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن
عذاب الله شديد فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم زاد في رواية
قالوا يا رسول الله أينا ذلك الرجل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعون ومنكم واحد ثم أنتم في الناس كالشعرة
في جنب الثور الأبيض أو كالشعرة البيضاء في جنب الثور الأسود وفي رواية
كالرقمة في ذراع الحمار وإني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة فكبرنا ثم قال
ثلث أهل الجنة فكبرنا ثم قال شطر أهل الجنة فكبرنا لفظ البخاري وفي
حديث عمران بن حصين وغيره أن هاتين الآيتين نزلتا في غزوة بني المصطلق
ليلا فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحثوا المطي حتى كانوا حول رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقرأ عليهم فلم ير أكثر باكيا من تلك الليلة فلما أصبحوا
لم يحطوا السروج عن الدواب ولم يضربوا الخيام ولم يطبخوا قدرا والناس
بين باك وجالس حزين متفكر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدرون
أي يوم ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال ذلك يوم يقول الله لآدم قم
فابعث من ذريتك بعث النار وذكر نحو حديث أبي سعيد وزاد فيه ثم قال
يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا بغير حساب فقال عمر سبعون ألفا
قال نعم ومع كل واحد سبعون ألفا قوله عز وجل **ومن الناس من يجادل
في الله بغير علم** نزلت في النضر بن الحارث كان كثير الجدال وكان يقول الملائكة

بنات الله

والقرآن أساطير الأولين وكان ينكر البعث وإحياء من صار ترابا **ويتبع** أي في
جداله في الله بغير علم **كل شيطان مريد** أي المتمرد المستمر في الشر وفيه وجهان
أحدهما أنهم شياطين وهم رؤساء الكفرة الذين يدعون من دونهم إلى الكفر والثاني
أنه إبليس وجنوده **كتب عليه** أي قضي على الشيطان **أنه من تولاه** أي اتبعه
فأنه يعني الشيطان **يضله** أي يضل من تولاه عن طريق الجنة **ويهديه إلى
عذاب السعير** وفي الآية زجر عن اتباعه والمعنى كتب عليه أنه من يضل
فإنه في ضلال ثم ألزم الحجة منكري البعث فقال **يا أيها الناس إن كنتم في ريب**
أي شك **من البعث** أي بعد الموت **فإنا خلقناكم من تراب** يعني أباكم آدم الذي
هو أصل النسل **ثم من نطفة** يعني ذريته من المني وأصلها الماء القليل **ثم
من علقة** أي من دم جامد غليظ وذلك أن النطفة تصير دما غليظا **ثم
من مضغة** وهي لحمة قليلة قدر ما يمضغ **مخلقة وغير مخلقة** قال ابن
عباس أي تامة الخلق وغير تامة الخلق وقيل مصورة وغير مصورة وهو السقط
وقيل المخلقة الولد الذي تأتي به المرأة لوقته وغير مخلقة السقط فكأنه سبحانه
وتعالى قسم المضغة قسمين أحدهما تام الصورة والحواس والتخطيط والقسم
الثاني هو الناقص عن هذه الأحوال كلها روي عن علقمة بن مسعود موقوفا
عليه قال إن النطفة إذا استقرت في الرحم أخذها الملك بكفه وقال أي رب
مخلقة أو غير مخلقة فإن قال غير مخلقة قذفها الرحم دما ولم تكن نسمة
وإن قال مخلقة قال الملك أي رب ذكر أم أنثى أشقي أم سعيد ما الأجل ما
العمل ما الرزق بأي أرض تموت قال اذهب إلى أم الكتاب فإنك تجد فيها
كل ذلك فيذهب فيجدها في أم الكتاب فينسخها فلا تزال معه حتى يأتي على آخر
صفته وأما الذي أخرجاه في الصحيحين عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو الصادق المصدوق أن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما
ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله ملكا يكتب
رزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد ثم ينفخ فيه الروح والذي لا إله غيره
إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق
عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار
حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة
فيدخلها قوله تعالى **لنبين لكم** أي كمال قدرتنا وحكمتنا في تصريف خلقكم
ولتستدلوا بقدرته في ابتداء الخلق على قدرته على الإعادة وقيل لنبين
لكم ما تأتون وما تذرون وما تحتاجون إليه في العبادة وقيل لنبين
لكم أن تغير المضغة إلى الخلقة هو اختيار الفاعل المختار فإن القادر
على هذه الأشياء كيف يكون عاجزا عن الإعادة **ونقر في الأرحام ما نشاء**
أي لا يسقطه ولا يمجه **إلى أجل مسمى** أي إلى وقت خروجها من الرحم تام الخلق

ثم نخرجكم اي وقت الولادة طفلا اي صغارا وانما وحد الطفل لان الغرض
الدلالة على الجنس ثم لتبلغوا اشدكم اي كمال القوة والعقل والتمييز
ومنكم من يتوفى اي قبل بلوغ الكبر ومنكم من يرد الى ارذل العمر
اي الهرم والخرف لكيلا يعلم من بعد علم شيئا اي يبلغ من السن ما يغير عقله
فلا يعقل شيئا فيصير كما كان في اول طفوليته ضعيف البنية سخيف العقل
قليل الفهم ثم ذكر دليلا اخر على البعث فقال تعالى وترى الارض هامدة
اي يابسة لا نبات فيها فاذا انزلنا عليها الما يعني المطر اهتزت اي
تحركت بالنبات وربت اي ارتفعت وذلك ان الارض ترتفع بالنبات
وانبتت هو مجاز لان الله تعالى هو المنبت واضيف الى الارض توسعا
من كل زوج بهيج اي من كل صنف حسن نضر والبهيج هو المبهج وهو
الشي المشرق الجميل ثم ان الله تعالى لما ذكر هذين الدليلين رتب عليهما
ما هو المطلوب فقال تعالى ذلك اي لتعلموا بان الله هو الحق وان
حدوث هذه الاشيا دالة على وجود الصانع وانه يحيي الموتى انه لم يستبعد
منه ايجاد هذه الاشيا فكيف يستبعد منه اعادة الاموات وانه على
كل شي قدير اي من كان كذلك قادر على جميع الممكنات وان الساعة
اتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور مما ذكر من الدلايل
ان الساعة اتية لا شك فيها وانها حق وان البعث بعد الموت حق قوله تعالى
ومن الناس من يجادل في الله بغير علم يعني النضر بن الحارث ولا هدى
اي ليس معه من الله بيان ولا ارشاد ولا كتاب منير اي ولا كتاب من الله
له نور ثاني عطفه اي لاوي جنبه وعنقه ومتجبرا متبخترا متكبرا معرضا
عما يدعى اليه من الحق تكبرا ليضل عن سبيل الله اي عن دين الحق له في
الدنيا خزي اي عذاب وهوان وهو انه قتل يوم بدر صبرا وعقبة بن ابي
معيط ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ذلك اي يقال له ذلك
بما قدمت يداك وان الله ليس بظلام للعبيد اي فيعذبهم بغير ذنب والله
على اي وجه اراد ان تصرف في عبده فحكمه عدل وهو غير ظالم قوله عز وجل
ومن الناس من يعبد الله على حرف الاية نزلت في قوم من الاعراب
كانوا يقدمون المدينة مهاجرين من باديتهم فكان احدهم اذا قدم المدينة
تصح بها جسمه ونتجت بها فرسه مهرا وولدت امراته غلاما وكثر ماله قال
هذا دين حسن وقد اصبت فيه خيرا واطمان له وان اصابه مرض وولدت
امراته جارية ولم تلد فرسه وقل ماله قال ما اصبت منذ دخلت في هذا
الدين الا شرا فينقلب عن دينه وذلك هو الفتنة فانزل الله تعالى ومن
الناس من يعبد الله على حرف اي شك واصله من حرف الشي وهو طرفه
الذي هو القايم عليه غير مستقر فقيل للشاك في الدين انه يعبد الله

على

على حرف لانه لم يدخل فيه على الثبات والتمكن وهذا مثل لكونهم على نفاق
واضطراب في دينهم لا على سكينة وطمانينة ولو عبدوا الله ما لشكر على السرا
والصبر على الضرا لم يكونوا على حرف وقيل هو المنافق يعبد الله بلسانه
دون قلبه فان اصابه خير اي صحة في جسمه وسعة في معيشته اطمان به
اي رضي به وسكن اليه وان اصابته فتنة اي بلاء في جسده وضيق في معيشته
انقلب على وجهه اي ارتد ورجع على قلبه الى الوجه الذي كان عليه من الكفر
خسر الدنيا والاخرة اي خسر في الدنيا العز والكرامة ولا يبقى دمه وماله
مصونا وقيل خسر في الدنيا ما كان يؤمل والاخرة بذهاب الدين والخلود
في النار ذلك هو الخسران المبين اي الظاهر يدعو من دون الله ما لا يضره
ان عصاه ولم يعبده وما لا ينفعه ان اطاعه وعبده ذلك هو الضلال
البعيد اي عن الحق والرشد يدعو لمن ضره اقرب من نفعه فان قلت
قد قال في الاية الاولى يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه وقال في
هذه الاية يدعو لمن ضره اقرب من نفعه وهذا ايضا فكيف الجمع بينهما قلت
اذا حصل المعنى ذهب هذا الوهم وذلك ان الله تعالى قال في الاية الاولى
ما لا يضره اي لا يضره ترك عبادته وقوله لمن ضره اي عبادته وقيل انها لا تضر
ولا تنفع بانفسها ولكن عبادتها سبب الضرر وذلك يكفي في اضافة الضرر
اليها وقيل ان الله سفه الكافر حيث عبد جمادا لا يضر ولا ينفع وهو يعتقد
بجهله وضلاله انه سينتفع به حين يستشفع به وقيل الاية في الرؤسا
وهم الذين كانوا يفزعون اليهم لانه يصح منهم ان يضروا وينفعوا وحجة هذا
القول ان الله تعالى بين في الاية الاولى ان الاوثان لا تضر ولا تنفع وهذه الاية
تقتضي كون المذكور فيها ضارا نافعا فلو كان المذكور في هذه الاوثان لزم التناقض
فثبت انهم الرؤسا بدليل قوله تعالى لبيس المولى ولبيس العشير اي الناصر
والصاحب المعاشر قوله عز وجل ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات
جنات تجري من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد اي باوليائه واهل طاعته من
الكرامة وباهل معصيته من الهوان قوله تعالى من كان يظن ان لن ينصره الله
يعني نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم في الدنيا باعلا كلمته واظهار دينه والاخرة
اي وفي الاخرة باعلا درجته والانتقام ممن كذبه فليمدد بسبب اي بحبل
الى السما سقف البيت على قول الاكثرين والمعنى ليشد حبلا في سقف
بيته فليختنق حتى ان يموت ثم ليقطع اي الحبل بعد الاختناق وقيل ليمد
الحبل حتى ينقطع فيموت مختنقا فلينظر هل يذهبن كيده اي صنيعه وحيلته
ما يغيظ اي فليختنق غيظا وليس هذا على سبيل الحتم لانه لا يمكنه القطع
والنظر بعد الاختناق ولكنه كما يقال للحاسد مت غيظا وقيل المراد بالسما
السما المعروفة والمعنى من كان يظن ان لن ينصر الله نبيه ويكيده في امره ليقطعه

عنه فليقطعه من اصله فان اصله في السما فيطلب سببا يصل به الى السما ثم ليقطع
عن النبي صلى الله عليه وسلم الوحي الذي ياتيه فلينظر هل يتهيا له الوصول الى السما
بحبله وهو يقدر على ذهاب غيظه بهذا الفعل فاذا كان ذلك ممتنعا كان غيظه
عديم الفايدة وفي الاية زجر للكفار عن الغيظ فيما لا فايدة فيه وروي ان الاية
نزلت في قوم من اسد وغطفان دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم الى الاسلام
وكان بينهم وبين اليهود حلف فقالوا لا يمكننا ان نسلم لانا نخاف ان لا ينصر محمد
ولا يظهر امره فينقطع الحلف بيننا وبين اليهود فلا يميرونا ولا يأوونا
وقيل النصر معناه الرزق ومعنى الاية من كان يظن ان لن يرزقه الله في الدنيا
والاخرة فليبلغ غاية الجزع وهو الاختناق فان ذلك لا يجعله مرزوقا كما
تقول العرب من ينصرني نصره الله اي من يعطني اعطاه الله **وكذلك انزلناه**
اي القران **ايات بينات وان الله يهدي من يريد ان الذين امنوا والذين
هادوا والصابين والنصارى والمجوس والذين اشركوا** يعني عبدة الاوثان
وقيل الاديان ستة واحد لله وهو الاسلام وخمسة للشيطان وهو ما عدا
الاسلام **ان الله يفصل بينهم** اي يحكم بينهم **يوم القيامة** وقيل يفصل
بينهم في الاحوال والاماكن جميعا فلا يجازيهم جزاء واحدا بغير تفاوت ولا
يجمعهم في موطن واحد **ان الله على كل شيء شهيد** انه عالم بما يستحقه كل
واحد منهم فلا يجري في ذلك الفصل ظلم ولا حيف وقد تقدم بسط الكلام
على معنى هذه الاية في تفسير سورة البقرة قوله عز وجل **الم تر** اي الم تعلم
وقيل الم تر بقلبك **ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض
والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب** قيل سجود هذه الاشيا
تحول ظلالها وقيل ما في السما نجم ولا شمس ولا قمر الا يقع ساجدا حين يغيب
ثم لا ينصرف حتى يؤذن له فياخذ ذات اليمين حتى يرجع الى مطلعه وقيل معنى
سجودها الطاعة فانه ما من جماد الا وهو مطيع لله تعالى خاشع ومسبح له كما
وصفهم بالخشية والتسبيح وهذا مذهب اهل السنة وهو ان هذه الاجسام
لما كانت قابلة لجميع الاعراض التي خلقها الله فيها من غير امتناع دونه فان قلت
هذا التاويل يبطله قوله **وكثير من الناس** فان السجود بالمعنى الذي ذكر
عام في الناس كلهم فاسناده الى كثير من الناس يكون تخصيصا من غير فايدة
قلت المعنى الذي ذكرته وان كان عاما في حق الكل الا ان بعضهم تمرد وتكبر
وترك السجود في الظاهر فهذا وان كان ساجدا بذاته لكنه متمرد بظاهره
واما المومن فانه ساجد بذاته وبظاهره ايضا فلاجل الفرق حصل التخصيص
بالذكر وقيل معنى الاية ولله يسجد من في السموات ومن في الارض ويسجد
له كثير من الناس فيكون السجود الاول بمعنى الانقياد والثاني بمعنى الطاعة
والعبادة فان قلت قوله من في السموات ومن في الارض لفظه عموم فيدخل

فيه الناس فلم قال وكثير من الناس قلت لو اقتصر على ما تقدم لاوهم ان كل الناس
فبين ان كثيرا من الناس يسجدون طوعا دون بعض وهم الذين قال فيهم **وكثير
حق عليه العذاب** وهم الكفار اي حق عليهم العذاب بكفرهم وتركهم السجود وهم
كفرهم وامتناعهم من السجود يسجد ظلالهم لله عز وجل **ومن يهن الله فما له
من مكرم** اي من يذله الله فلا يكرمه احد **ان الله يفعل ما يشا** اي يكرم
بالسعادة من يشا ويهين بالشقاوة من يشا وقيل هو الذي يصح الاكرام
والهوان يوم القيامة من الثواب والعقاب **فصل** هذه السجدة من عزايم
سجود القران فيسن للقاري والمستمع ان يسجد عند تلاوتها او سماع تلاوتها
قوله عز وجل اي جادلوا في امره ودينه واختلفوا في هذين الخصمين فروى عن
قيس بن عباد قال سمعت ابا ذر يقسم قسما ان هذه الاية هذان خصمان اختصموا
في ربهم نزلت في الذين برزوا يوم بدر حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث وعتبة
وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة اخرجاه في الصحيحين **خ** عن علي بن ابي طالب
قال انا اول من يجثو للخصومة بين يدي الرحمن يوم القيامة قال قيس بن عباد
فيهم نزلت هذان خصمان اختصموا في ربهم قال هم الذين بارزوا يوم بدر علي
وحمزة وعبيدة بن الحارث وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة وابن اخيه الوليد
ابن عتبة قال محمد بن اسحاق خرج يوم بدر عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وابن
اخيه الوليد بن عتبة ودعوا الى المبارزة فخرج اليهم فتية من الانصار عوف
ومعوذ ابنا الحارث وامهما عفرا وعبد الله بن رواحة فقالوا رهط من الانصار
فقالوا حين انتسبوا اكفا كرام ثم نادى مناديهم يا محمد اخرج الينا اكفانا من
قومنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قم يا عبيدة بن الحارث ويا حمزة بن
عبد المطلب ويا علي بن ابي طالب فلما دنوا منهم قالوا من انتم فذكروا انفسهم قالوا
نعم اكفا كرام فبارز عبيدة وكان اسن القوم عتبة وبارز حمزة شيبة وبارز
علي الوليد بن عتبة فاما حمزة فلم يمهل ان قتل شيبة وعلي الوليد واختلف
عبيدة وعتبة بينهما ضربتان كلاهما اثبت صاحبه فكر علي وحمزة باسيافهما على
عتبة فذففا عليه واحتملا عبيدة الى اصحابه وقد قطعت رجله ومخها يسيل فلما اتوا
به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الست شهيدا يا رسول الله قال بلى فقال
عبيدة لو كان ابو طالب حيا لعلم انا احق بما قال منه حيث يقول ونسلمه حتى
نصرع حوله ونذهل عن ابنائنا والحلائل وقال ابن عباس نزلت هذه الاية
في المسلمين واهل الكتاب قال اهل الكتاب نحن اولى بالله واقدم منكم كتابا
ونبينا قبل نبيكم وقال المسلمون نحن احق بالله امنا بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم
ونبيكم وبما انزل الله من كتاب وانتم تعرفون نبينا وكتابنا وكفرتم حسدا
فهذه خصومتهم في ربهم وقيل هم المؤمنون والكافرون من اي ملة كانوا فالمؤمنون
خصم والكفار خصم وقيل الخصمان الجنة والنار وعن ابي هريرة قال قال النبي

صلى الله عليه وسلم تحاجت الجنة والنار فقالت النار اوثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت
الجنة فما لي لا يدخلني الا ضعفاء المسلمين وسقطهم زاد في رواية وعرتهم فقال الله
تعالى للجنة انت رحمتي ارحم بك من اشاء من عبادي ولكل واحدة منكما ملؤها فاما النار
فلا تمتلي حتى يضع الله رجله فيقول قط قط فهنا لك تمتلي ويزوي بعضها الى بعض
ولا يظلم ربك من خلقه احدا واما الجنة فان الله تعالى ينشئ لها خلقا ولكن البخاري
اختصمت الجنة والنار وهذا القول ضعيف والاقوال الاولة اولى بان حمل الكلام
على ظاهره اولى وقوله هذان كالاشارة الى سبب تقدم ذكره وهو اصل الاديان
الستة وايضا فانه ذكر صنفين واهل معصيته وذكرهما الخصمين فقال تعالى
فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار قال سعيد بن جبير ثيابا من نحاس
مذاب وليس من الانية شيء اذا احمي اشد حرا منه وسمي باسم الثياب لانها تحيط بهم
كاحاطة الثياب وقد يلبس اهل مقطعات من نار **يصب من فوق رؤوسهم الحميم**
اي الماء الحار الذي انتهت حرارته **يصهر به** اي يذاب بالحميم الذي يصب من
فوق رؤوسهم فينفذ حتى يخلص فيسلت ما في جوفه حتى يمرق من قدميه وهو
الصهر ثم يعاد كما كان اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح **ولهم مقامع من
حديد** اي سياط من حديد وهي الجرز من الحديد وفي الخبر لو وقع مقمع من حديد
في الارض ثم اجتمع عليه الثقلان ما اقلوه من الارض **كلما ارادوا ان يخرجوا منها
من غم** اي كلما حاولوا الخروج من النار لما يلحقهم من الغم والكرب الذي يأخذ
بانفاسهم **اعيدوا فيها** اي ردوا اليها بالمقامع قيل ان جهنم لتجيش بهم فتلقيهم
الى اعلاها فيريدون الخروج منها فتضربهم الزبانية بمقامع الحديد فيهوون
سبعين خريفا **وذوقوا عذاب الحريق** اي تقول لهم الملائكة ذلك والحريق
بمعنى المحرق وهذا وصف حال احد الخصمين وهم الكفار وقال الله تعالى في وصف
الخصم الاخر وهم المؤمنون **ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات
جنات تجري من تحتها الانهار يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا
ولباسهم فيها حرير** وهو الابريسم الذي حرم لبسه على الرجال في الدنيا
عن معاوية هو جد بهز بن حكيم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة بحر الماء
وبحر العسل وبحر اللبن وبحر الخمر ثم تنشق الانهار بعد اخرجه الترمذي وقال
حسن صحيح **ق** عن ابي موسى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جنتان من فضة
انيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب انيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين ان ينظروا
الى ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن عن ابي سعيد قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان عليهم التيجان ادنى لؤلؤة منها لتضيء ما بين المشرق والمغرب
اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب **ق** عن انس قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الاخرة قوله تعالى **وهدوا**
من الهداية ارشدوا **الى الطيب من القول** قال ابن عباس هي شهادة ان لا اله

ما في بطونهم من الشحوم والاحشاء والجلود عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الحميم ليصب على رؤوسهم

الا الله وقيل هو لا اله الا الله والله اكبر والحمد لله وسبحان الله وقيل الى القرآن
وقيل هو قول اهل الجنة الحمد لله الذي صدقنا وعده **وهدوا الى صراط الحميد**
اي الى دين الله وهو الاسلام والحميد هو الله المحمود في افعاله قوله عز وجل
ان الذين كفروا اي بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم **ويصدون عن سبيل
الله** اي بالمنع من الهجرة والجهاد والاسلام **والمسجد الحرام** اي ويصدون
عن المسجد الحرام **الذي جعلناه للناس** اي قبلة لصلاتهم ومنسكا
ومتعبدا **سواء العاكف** اي المقيم **فيه** قال بعضهم ويدخل فيه الغريب
اذا جاور واقام به ولزم التعبد فيه **والبادي** اي الطاري المنتاب اليه
من غيره واختلفوا في معنى الاية فقيل سواء العاكف فيه والبادي في تعظيم
حرمته وقضاء النسك به واليه ذهب مجاهد والحسن وجماعة قالوا والمراد
منه نفس المسجد الحرام ومعنى التسوية هو التسوية في تعظيم الكعبة وفي
فضل الصلاة فيه والطواف به وعن جبير بن مطعم ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال يا بني عبد مناف لا تمنعوا احدا طاف بهذا البيت وصلى اية ساعة شاء
من ليل ونهار اخرجه الترمذي وابو داود والنسائي وقيل المراد منه جميع الحرم
ومعنى التسوية ان المقيم والبادي سواء في النزول به ليس احدهما احق بالمنزل
من الاخر غير انه لا يزعج احدا اذا كان قد سبق الى منزل وقول ابن عباس وسعيد
ابن جبير وقتادة وابن زيد قالوا هما سواء في البيوت والمنازل قال عبد الرحمن
ابن سابط كان الحجاج اذا قدموا مكة لم يكن احد من اهل مكة باحق بمنزله منهم
وكان عمر بن الخطاب ينهى الناس ان يغلقوا ابوابهم في الموسم فعلى هذا القول
لا يجوز بيع دور مكة واجارتها قالوا ان ارض مكة لا تملك لانها لو ملكت لم
يستو العاكف والبادي فلما استويا ثبت سبيله سبيل المساجد واليه
ذهب ابو حنيفة قالوا والمراد بالمسجد الحرام جميع الحرم وعلى القول الاول
الاقرب الى الصواب انه يجوز بيع دور مكة واجارتها وهو قول طاوس وعمرو
ابن دينار واليه ذهب الشافعي احتج الشافعي في ذلك بقوله تعالى الذين اخرجوا
من ديارهم بغير حق اضاف الديار الى مالكها وقال النبي صلى الله عليه وسلم
يوم فتح مكة من اغلق بابه فهو امن ومن دخل دار ابي سفيان فهو امن فنسب
الديار اليهم نسبة ملك واشترى عمر ابن الخطاب دار السجن باربعة الاف درهم
فدلت هذه النصوص على جواز بيعها وقوله عز وجل **ومن يرد فيه** اي في
المسجد الحرام **بالحاد بظلم** اي بميل الى الظلم فقيل الالحاد هو الشرك
وعبادة غير الله وقيل هو كل شيء منهي عنه من قول او فعل حتى شتم الخادم وقيل
هو دخول الحرم بغير احرام وارتكاب شيء من محظورات الحرم من قتل صيد
وقطع شجر وقال ابن عباس هو ان تقتل فيه من لا يقتلك وتظلم فيه من لا يظلمك
وقال مجاهد تضاعف السيئات بمكة كما تضاعف فيه الحسنات وقيل احتكار

الطعام بمكة بدليل ما روى يعلى بن امية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان احتكار الطعام بالحرم الحاد فيه اخرجه ابو داود وقال عبد الله بن مسعود في قوله ومن يرد فيه بالحاد بظلم **نذقه من عذاب اليم** قال لو ان رجلا هم بخطيئة لم تكتب عليه ما لم يعملها ولو ان رجلا هم بقتل رجل بمكة وهو بعدن ابين او ببلد اخر اذاقه الله من عذاب اليم قال السدي الا ان يتوب وروي عن عبد الله بن عمرو انه كان له فسطاطان احدهما في الحل والاخر في الحرم فاذا اراد ان يعاتب اهله عاتبهم في الحل فسئل عن ذلك فقال كنا نحدث ان من الالحاد فيه ان يقول الرجل لا والله وبلى والله قوله تعالى **واذ بوانا لابراهيم مكان البيت** قال ابن عباس جعلنا وقيل وطانا وقيل بينا وانما ذكر مكان البيت لان الكعبة رفعت الى السماء زمن الطوفان فلما امر الله تعالى ابراهيم عليه السلام ببناء البيت لم يدر اين يبني فبعث الله تعالى ريحا خجوجا فكنست له ما حول البيت عن الاساس وقيل بعث الله سحابة بقدر البيت فقامت بحيال البيت وفيها راس تتكلم يا ابراهيم ابن على قدري فبنى عليه **ان لا تشرك بي شيا** اي عهدنا الى ابراهيم وقلنا لا تشرك بي شيا **وطهر بيتي** اي من الشرك والاوثان والاقذار **للطائفين** اي الذين يطوفون بالبيت **والقائمين** اي المقيمين به **والركع السجود** اي المصلين قوله تعالى **واذن** اي اعلم وناد والاذان النداء للاعلام **في الناس** قال ابن عباس اراد بالناس اهل القبلة **بالحج** فقال ابراهيم عليه السلام وما يبلغ صوتي فقال الله عليك الاذان وعلي الابلاغ فقام ابراهيم على المقام حتى صار كاطول الجبال وادخل اصبعيه في اذنيه واقبل بوجهه يمينا وشمالا وشرقا وغربا وقال يا ايها الناس الا ان ربكم قد بنى بيتا وكتب عليكم الحج فاجيبوا ربكم فاجابه كل من يحج من اصلاب الرجال وارحام الامهات لبيك اللهم لبيك قال ابن عباس فاول من اجابه اهل اليمن فهم اكثر الناس حجا وروي ان ابراهيم صعد ابا قبيس ونادى وزعم الحسن ان المامور بالتاذين هو محمد صلى الله عليه وسلم امر ان يفعل ذلك في حجة الوداع **م** عن ابي هريرة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ايها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا **ياتوك رجالا** اي مشاة على ارجلهم جمع راجل **وعلى كل ضامر** اي ركبانا على الابل المهزولة من كثرة السير وبدا بذكر المشاة تشريفا **ياتين** اي جماعة الابل **من كل فج عميق** اي من كل طريق بعيد فمن اتى مكة حاجا فكانه قد اتى ابراهيم لانه مجيب نداءه قوله عز وجل **ليشهدوا منافع لهم** قيل العفو والمغفرة وقيل التجارة قال ابن عباس الاسواق وقيل ما يرضي الله من امور الدنيا والاخرة **ويذكروا اسم الله في ايام معلومات** يعني عشر ذي الحجة في قول اكثر المفسرين قيل لها معلومات للحرص عليها من اجل وقت الحج في اخرها وعن ابن عباس انها ايام عرفة والنحر وايام التشريق وقيل انها ايام النحر وثلاثة ايام بعده **على ما رزقهم من**

بهيمة

بهيمة الانعام يعني الهدايا والضحايا تكون من النعم وهي الابل والبقر والغنم وفيه دليل على ان الايام المعلومات يوم النحر وايام التشريق لان التسمية على بهيمة الانعام عند نحرها ونحر الهدايا يكون في هذه الايام **فكلوا منها** امر اباحة ليس بوجوب وذلك ان اهل الجاهلية كانوا لا ياكلون من لحوم هداياهم شيئا فامر الله تعالى بمخالفتهم اتفق العلماء على ان الهدي اذا كان تطوعا يجوز للمهدي ان ياكل منه وكذلك اضحية التطوع لما روي عن جابر بن عبد الله في قصة حجة الوداع قال وقدم علي ببدن من اليمن وساق رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة بدنة فنحر منها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا وستين بدنة ونحر علي ما غبر واشركه في بدنه ثم امر من كل بدنة ببضعة فجعلت في قدر وطبخت فاكلا من لحمها وشربا من مرقها اخرجه مسلم قوله ما غبر اي ما بقي قوله ببضعة اي بقطعة واختلف العلماء في الهدي الواجب بالشرع مثل دم التمتع والقران والدم الواجب بافساد الحج وفوته وجزاء الصيد هل يجوز للمهدي ان ياكل منه شيئا قال الشافعي لا ياكل منه شيئا وكذلك ما اوجبه على نفسه بالنذر وقال ابن عمر لا ياكل من جزاء الصيد والنذر وياكل مما سوى ذلك وبه قال احمد واسحاق وقال مالك ياكل من هدي التمتع ومن كل هدي وجب عليه الا من فدية الاذى وجزاء الصيد والمنذور وعند اصحاب الراي انه ياكل من دم التمتع والقران ولا ياكل من واجب سواهما وقوله تعالى **واطعموا البائس الفقير** يعني الزمن الذي لا شيء له قوله **ثم ليقضوا تفثهم** اي ليزيلوا ادرانهم واوساخهم والمراد منه الخروج عن الاحرام بالحلق وقص الشارب ونتف الابط وتقليم الاظفار والاستحداد ولبس الثياب والحاج اشعث اغبر اذا لم يزل منه الاوساخ وقال ابن عمر وابن عباس قضاء التفث مناسك الحج كلها **وليوفوا نذورهم** اراد نذر الحج والهدي وما ينذر الانسان من شيء يكون في الحج اي ليتموها بقضائها وقيل المراد منه الوفاء بما نذر وهو على ظاهره وقيل المراد به الخروج عما وجب عليه نذره او لم ينذره **وليطوفوا بالبيت العتيق** اراد به طواف الوجوب وهو طواف الافاضة ووقته يوم النحر بعد الرمي والحلق والطواف ثلاثة طواف القدوم وهو ان من قدم مكة يطوف بالبيت سبعا يرمل ثلاثا من الحجر الاسود الى ان ينتهي اليه ويمشي اربعا وهذا الطواف سنة لا شيء على من تركه **ق** عن عائشة ان اول شيء بدا به حين قدم النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا طاف الاول خب ثلاثا ومشى اربعا زاد في رواية ثم يصلي ركعتين يعني بعد الطواف بالبيت ثم يطوف بين الصفا والمروة ولفظ ابي داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا طاف في الحج او العمرة اول ما يقدم فانه يسعى ثلاثة اطواف ويمشي اربعا ثم يصلي سجدتين والطواف الثاني هو طواف الافاضة وذلك يوم النحر بعد الرمي والحلق **ق**

عن عائشة رضي الله عنها قالت حاضت صفية ليلة النفر فقالت ما اراني الا حابستكم
قال النبي صلى الله عليه وسلم عقرى حلقى اطافت يوم النحر قيل نعم قال فانفري قوله
عقرى حلقى معناه عقرها الله اي اصابها بالعقر وهو جرح في حلقها وقيل معناه
مشؤمة مؤذية ولم يرد بها الدعاء عليها وانما هو شيء تجري على السنة العرب
كقولهم لا ام لك وتربت يمينك وفيه دليل على ان من لم يطف يوم النحر طواف الافاضة
لا يجوز له ان ينفر والطواف الثالث طواف الوداع لا رخصة لمن اراد مفارقة
مكة الى مسافة القصر في ان يفارقها حتى تطوف سبعا فمن تركه فعليه دم
الا المراة الحائض فانه يجوز لها تركه للحديث المتقدم ولما روي عن ابن عباس
قال امر الناس ان يكون اخر عهدهم بالبيت الا انه رخص للمراة الحائض متفق
عليه والرمل سنة تختص بطواف القدوم ولا رمل في طواف الافاضة والوداع
وقوله بالبيت العتيق قال ابن عباس وغيره سمي عتيقا لان الله اعتقه من
ايدي الجبابرة ان يصلوا الى تخريبه فلم يظهر عليه جبار قط وقيل لانه اول بيت
وضع للناس وقيل لان الله اعتقه من الغرق فانه رفع ايام الطوفان وقيل لانه
لم يملك قوله عز وجل **ذلك** اي الامر ذلك يعني ما ذكر من اعمال الحج **ومن
يعظم حرمات الله** اي ما نهى الله عنه من معاصيه وتعظيمها ترك ملابستها
وقيل حرمات الله ما لا يحل انتهاكه وقيل الحرمة ما وجب القيام به وحرم
التفريط فيه وقيل الحرمات هنا هو مناسك الحج وتعظيمها اقامتها واتمامها وقيل
الحرمات هنا البيت الحرام والمسجد الحرام والشهر الحرام ومعنى التعظيم بانه
يجب القيام بمراعاتها وحفظ حرمتها **فهو خير له عند ربه** اي ثواب تعظيم
الحرمات خير له عند الله في الاخرة **واحلت لكم الانعام** اي ان تاكلوها
بعد الذبح وهي الابل والبقر والغنم **الا ما يتلى عليكم** اي تحريمه وهو
قوله في سورة المائدة حرمت عليكم الميتة والدم الاية **فاجتنبوا الرجس
من الاوثان** اي اتركوا عبادتها فانها سبب الرجس وهو العذاب وقيل سمي
الاوثان رجسا لان عبادتها اعظم التلوث بالنجاسات **واجتنبوا قول
الزور** اي الكذب والبهتان وقال ابن مسعود شهادة الزور وروي عن
ايمن بن خريم قال قام النبي صلى الله عليه وسلم خطيبا فقال ايها الناس عدلت
شهادة الزور اشراكا بالله ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم واجتنبوا
الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور اخرجه الترمذي وقال قد اختلفوا
في روايته ولا يعرف لايمن سماعا من النبي صلى الله عليه وسلم واخرجه ابو داود عن
خريم بن فاتك بنحوه وقيل هو قول المشركين في تلبيتهم لبيك لا شريك لك الا
شريك هو لك تملكه وما ملك قوله تعالى **حنفاء لله** اي مخلصين له **غير مشركين
به** فدل ذلك على ان المكلف ينوي بما ياتي به من العبادة الاخلاص لله بها لا
غيره وقيل كانوا في الشرك يحجون ويحرمون البنات والامهات والاخوات وكانوا

حنفاء

حنفاء فنزلت حنفاء لله غير مشركين به اي حجاجا لله مسلمين موحدين ومن اشرك
لا يكون حنيفا **ومن يشرك بالله فكانما خر** اي سقط **من السماء** الى الارض
فتخطفه الطير اي تستلبه وتذهب به **او تهوي به الريح** اي تميل وتذهب
به **في مكان سحيق** اي بعيد ومعنى الاية ان بعد من اشرك بالله من الحق والايمان
كبعد من سقط من السماء فذهبت به الطير او هوت به الريح فلا يصل اليه بحال
وقيل شبه المشرك بحال الهاوي من السماء لانه لا يملك لنفسه حيلة يعني يقع
حيث تسقطه الريح فهو هالك لا محالة اما باستلاب الطير لحمه او بسقوطه
في المكان السحيق وقيل من اشرك بالله فقد اهلك نفسه اهلاكا ليس وراءه
هلاك كان صورة حاله تصور حال من خر من السماء فاختطفته الطير فتفرق اجزاؤه
في حواصلها او عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المهالك البعيدة وقيل شبه
الايمان بالسماء في علوه والذي ترك الايمان بالساقط من السماء والاهواء التي
تتوزع افكاره بالطير المختطفة والشياطين الذي تطرحه في وادي الضلالة
بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة قوله عز وجل **ذلك**
يعني الذي ذكر من اجتناب الرجس وقول الزور **ومن يعظم شعائر الله فانها
من تقوى القلوب** وتعظيم شعائر الله من تقوى القلوب قال ابن عباس
من شعائر البدن والهدي واصلها من الاشعار وهو العلامة التي يعرف بها
انها هدي وتعظيمها استسمانها واستحسانها وقيل شعائر الله اعلام دينه
وتعظيمها من تقوى القلوب **لكم فيها** اي في البدن **منافع** قبل ان
تسميها الهدي وفي درها ونسلها وصوفها ووبرها وركوب ظهرها الى اجل مسمى
اي ان تسميها وتوجبها هديا فاذا فعل ذلك لم يكن له من منافعها وهو قول
مجاهد وقتادة والضحاك ورواية عن ابن عباس وقيل معناه لكم في الهدايا
منافع بعد ايجابها وتسميتها هديا بان تركبوها وتشربوا من البانها عند
الحاجة الى اجل مسمى يعني ان تنحروها وهو قول عطاء واختلف العلماء في ركوب
الهدي فقال مالك والشافعي واحمد واسحاق يجوز ركوبها والحمل عليها من
غير ضرر بها لما روي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى رجلا
يسوق بدنة فقال اركبها فقال يا رسول الله انها بدنة فقال اركبها ويلك
في الثانية او الثالثة اخرجاه في الصحيحين وكذلك يجوز له ان يشرب لبنها بعد
ما يفضل من ري ولدها وقال اصحاب الراي لا يركبها الا ان يضطر اليه وقيل
اراد بالشعائر المناسك او مشاهد مكة لكم فيها منافع اي بالتجارة والاسواق
الى اجل مسمى اي الى الخروج من مكة وقيل لكم فيها منافع اي بالاجر
والثواب في قضاء مناسككم الى انقضاء ايام الحج **ثم محلها الى البيت العتيق**
اي منحرها عند البيت العتيق ويريد جميع ارض الحرم روي عن جابر في حديث
حجة الوداع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نحرت ههنا ومنى كلها منحر

فالعزم ايوكا لكم ومن قال الشعاير المناسك قال معنى محلها اى محل الناس من احرامهم
الى البيت العتيق يطوفون به طواف الزيارة وقوله تعالى ولكل امة اى جماعة مومنة
سلفت قبلكم جعلنا منسكا قرئ بكسر السين اى مذبحا وهو موضع القربان ومنسكا
بفتح السين وهو اراقة الدم وذبح القرابين ليذكروا اسم الله على ما رزقهم
من بهيمة الانعام اى عند ذبحها ونحرها سماها بهيمة لانها لا تتكلم
وقيد بالانعام لان ما سواها لا يجوز ذبحه في القرابين وان جاز اكله قوله عز وجل
فالهكم اله واحد اى سموا على الذبح اسم الله وحده فان الهكم اله واحد فله اسلموا
اى اخلصوا وانقادوا واطيعوا وبشر المخبتين قال ابن عباس المتواضعين
وقيل المطمئنين الى الله وقيل الخاشعين الرقيقة قلوبهم وقيل هم الذين لا يظلمون
واذا ظلموا لا ينتصرون ثم وصفهم فقال تعالى الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم
اى خافت من عقاب الله فيظهر عليها الخشوع والتواضع لله تعالى والصابرين
على ما اصابهم من البلا والمرض والمصايب ونحو ذلك مما كان من الله تعالى ومما
كان من غير الله تعالى فله ان يصبر عليه وله ان ينتصر لنفسه والمقيمي الصلاة
اى في اوقاتها والمحافظة عليها ومما رزقناهم ينفقون اى يتصدقون قوله
تعالى والبدن جمع بدنة سميت بدنة لعظمها وضخامتها ويريد الابل الصحاح
والاجسام والبقر فلا تسمى الغنم بدنة لصغرها جعلناها لكم من شعاير الله
اى من اعلام دينه وقيل لانها تشعر وهي ان تطعن بحديدة في سنامها فيعلم
بذلك انها هدي لكم فيها خير اى نفع في الدنيا وثواب في العقبى فاذكروا اسم
الله عليها اى عند نحرها صواف اى قياما على ثلاث قوائم قد صفت
رجليها ويدها اليمنى والاخرى معقولة فينحرها كذلك خ عن زياد بن جبير قال
رايت ابن عمر اتى على رجل قد اناخ بدنة ينحرها قال ابعثها قياما مقيدة سنة
محمد صلى الله عليه وسلم فاذا وجبت جنوبها اى سقطت بعد النحر ووقع
جنبها على الارض فكلوا منها اى امر اباحة واطعموا القانع والمعتر قيل
القانع الجالس في بيته المتعفف يقنع بما يعطى ولا يسال والمعتر هو الذي
يسال عن ابن عباس القانع هو الذي لا يتعرض ولا يسال والمعتر هو الذي يريد
نفسه ويتعرض ولا يسال وقيل القانع هو المسكين والمعتر الذي ليس بمسكين
ولا يكون له ذبيحة يجي الى القوم فيتعرض لهم لاجل لحمهم كذلك اى مثل ما وصفنا
من نحرها قياما سخرناها لكم اى لتتمكنوا من نحرها قياما لعلكم
تشكرون اى من انعام الله عليكم لن ينال الله لحومها ولا دماؤها
وذلك ان الجاهلية كانوا اذا نحروا البدن لطخوا الكعبة بدمائها يزعمون ان
ذلك قربة الى الله تعالى فانزل الله لن ينال الله لحومها ولا دماؤها اى لن ترفع
الى الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم اى ولكن ترفع
اليه الاعمال الصالحة والاخلاص وما اريد به وجه الله كذلك سخرها لكم

يعني البدن

يعني البدن لتكبروا الله على ما هداكم وارشدكم لمعالم دينه ومناسك حجه وهو
ان يقولوا الله اكبر على ما هدانا والحمد لله على ما اولانا وبشر المحسنين
قال ابن عباس الموحدين قوله تعالى ان الله يدافع عن الذين امنوا اى يدفع
غايلة المشركين عن المومنين ويمنعهم منهم وينصرهم عليهم ان الله لا يحب كل
خوان كفور اى خوان في امانة الله كفور لنعمته قال ابن عباس خانوا الله ورسوله
وجعلوا معه شريكا وكفروا نعمه وقيل من تقرب الى الاصنام بذبيحة وسمى غير
الله عليها فهو خوان كفور وقوله عز وجل اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا
اى اذن الله عز وجل لهم بالجهاد ليقاتلوا المشركين قال المفسرون كان مشركوا
اهل مكة يوذون اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يزالوا يجيئون من
بين مضروب ومشجوج ويشكون ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول
لهم اصبروا فاني لم اومر بقتال حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله
هذه الاية وهي اول اية اذن الله فيها بالقتال وقيل نزلت هذه الاية في قوم
باعيانهم خرجوا مهاجرين من مكة الى المدينة فاعترضهم مشركوا مكة فاذن الله لهم
في قتال الكفار الذين يمنعونهم من الهجرة بانهم ظلموا اى بسبب ما ظلموا واعتدوا
عليهم بالايذا وان الله على نصرهم لقدير فيه وعد من الله بنصر المومنين ثم
وصفهم فقال تعالى الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا
الله يعني انهم اخرجوا بغير موجب سوى التوحيد الذي ينبغي ان يكون موجب
الاقرار والتعظيم والتمكين لا موجب الاخراج ولولا دفع الله الناس بعضهم
ببعض اى بالجهاد واقامة الحدود لهدمت صوامع اى معابد الرهبان
المتخذة في الصحرا وبيع وهي معابد النصارى في البلد وقيل الصوامع
للصابئين والبيع للنصارى وصلوات يعني كنايس اليهود يسمونها بالعبرانية
صلوثا ومساجد يعني مساجد المسلمين يذكر فيها اسم الله كثيرا
يعني في المساجد ومعنى الاية لولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدم في شريعة
كل نبي مكان صلواتهم لهدم في زمن موسى الكنايس وفي زمن عيسى البيع والصوامع
وفي زمن محمد صلى الله عليه وسلم المساجد ولينصرن الله من ينصره اى ينصر
دينه ونبيه ان الله لقوى اى على نصر من ينصر دينه عزيز اى لا يضام ولا
يمنع مما يريده قوله عز وجل الذين ان مكناهم في الارض اى نصرناهم على
عدوهم حتى تمكنوا في بلادهم اقاموا الصلاة واتوا الزكاة وامروا
بالمعروف ونهوا عن المنكر هذا وصف اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هم
جميع هذه الامة وقيل هم جميع المهاجرين وهو الاصح وهو قوله الذين ان مكناهم
صفة من تقدم ذكرهم وهو قوله الذين اخرجوا من ديارهم وهم المهاجرون
ولله عاقبة الامور اى اخر امور الخلق مصيرها الى الله وذلك انه يبطل بها
كل ملك سوى ملكه فيصير الامر اليه بلا منازع قوله تعالى وان يكذبوك

فيه تسلية وتعزية للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى إن يكذبوك قومك **كذبت قبلهم**
قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وقوم إبراهيم وأصحاب مدين
وكذب موسى فإن قلت لم قال وكذب موسى ولم يقل قوم موسى قلت فيه وجهان
أحدهما أن موسى لم يكذبه قومه وهم بنو إسرائيل وإنما كذبه غير قومه وهم القبط
الثاني كأنه قيل بعدما ذكر تكذيب كل قوم رسولهم قال وكذب موسى أيضا مع وضوح
آياته وعظم معجزاته فما ظنك بغيره **فأمليت للكافرين** أي أمهلتهم وأخرت
العقوبة عنهم **ثم أخذتهم** أي عاقبتهم **فكيف كان نكير** أي إنكاري عليهم ما
فعلوا من التكذيب بالعذاب والهلاك يخوف به من خالف رسول الله صلى الله عليه
وسلم وكذبه قوله عز وجل **فكأين من قرية أهلكتها** وقرئ أهلكناها على
التعظيم **وهي ظالمة** أي وأهلها ظالمون **فهي خاوية** أي ساقطة **على**
عروشها أي على سقوفها **وبئر معطلة** أي وكم من بئر معطلة أي متروكة
مخلاة عن أهلها **وقصر مشيد** أي رفيع طويل عال وقيل مجصص وقيل البئر
المعطلة والقصر المشيد باليمن فأما القصر فعلى قلة جبل والبئر في سفحه
ولكل واحد منهما قوم كانوا في نعمة فكفروا فأهلكهم الله وبقي البئر والقصر
خاليين وقيل إن هذه البئر كانت بحضرموت في بلدة يقال لها حاضوراء وذلك أن
أربعة آلاف نفر ممن آمن بصالح عليه السلام لما نجوا من العذاب أتوا إلى حضرموت
ومعهم صالح فلما حضروه مات صالح فسمي المكان حضرموت لذلك ولما مات صالح
بنوا حاضوراء وقعدوا على هذه البئر وأمروا عليهم رجلا منهم فأقاموا دهرا وتناسلوا
حتى كثروا وعبدوا الأصنام وكفروا فأرسل الله تعالى إليهم نبيا يقال له حنظلة
ابن صفوان وكان حمالا فيهم فقتلوه في السوق فأهلكهم الله وعطلت بئرهم وخرب
قصرهم قوله تعالى **أفلم يسيروا في الأرض** يعني كفار مكة فينظروا إلى مصارع
المكذبين من الأمم الخالية **فتكون لهم قلوب يعقلون بها** أي يعلمون بها **أو**
آذان يسمعون بها يعني ما ذكر لهم من أخبار القرون الماضية فيعتبرون
بها **فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور**
المعنى إن عمى القلب هو الضار في أمر الدين لا عمى البصر لأن البصر بلغة ومنفعة
وبصر القلوب هو البصر النافع **ويستعجلونك بالعذاب** نزلت في النضر
ابن الحارث **ولن يخلف الله وعده** أي أنه أنجز ذلك يوم بدر **وإن يوما عند**
ربك كألف سنة مما تعدون قال ابن عباس يعني يوما من الأيام الستة التي
خلق فيها السموات والأرض وقيل يوما من أيام الآخرة يدل عليه ما روي عن
أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبشروا يا معاشر
صعاليك المهاجرين أبشروا بالفوز التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل
أغنياء الناس بنصف يوم مقداره خمسمائة أخرجه أبو داود بزيادة فيه
وأخرج الترمذي نحوه ومعنى الآية أنهم يستعجلون بالعذاب وإن يوما من عذابهم

في الآخرة

في الآخرة كألف سنة وقيل إن يوما من أيام العذاب في الثقل والاستطالة كألف
سنة فكيف يستعجلونه وقيل معناه أن يوما عنده وألف سنة في الإمهال
سواء لأنه قادر متى شاء أخذهم لا يفوته شيء بالتأخير فيستوي في قدرته
وقوع ما يستعجلونه من العذاب وتأخره وهذا معنى قول ابن عباس **وكأين من قرية**
أمليت لها أي أمهلتها **وهي ظالمة** أي مع استمرارها على الظلم
ثم أخذتها أي أنزلت بهم العذاب **وإلي المصير** يعني مصيرهم في الآخرة
ففيه وعيد وتهديد قوله عز وجل **قل يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير**
مبين أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يديم لهم التخويف والإنذار
وأن يقول لهم إنما بعثت لكم منذرا **فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم**
مغفرة ورزق كريم لما أمر الله تعالى الرسول صلى الله عليه وسلم
بأن يقول إنما أنا نذير مبين أردفه بأن أمره بوعد من آمن ووعيد من عصى
فقال الذين آمنوا وعملوا الصالحات مغفرة أي ستر لصغائر ذنوبهم وقيل
للكبائر أيضا مع التوبة ورزق كريم لا ينقطع أبدا وقيل هو الجنة قوله تعالى
والذين سعوا في آياتنا أي عملوا في إبطال آياتنا **معاجزين** أي مثبطين
الناس عن الإيمان وقرئ معاجزين أي معاندين مشاقين وقيل معناه
ظانين ومقدرين أنهم يعجزوننا ويفوتوننا فلا نقدر عليهم بزعمهم إذ لا
بعث ولا نشور ولا جنة ولا نار **أولئك أصحاب الجحيم** قوله تعالى
وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته
قال ابن عباس وغيره من المفسرين لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم
تولي قومه وشق عليه ما رأى من مباعدتهم عما جاءهم به من الله تعالى تمنى في
نفسه أن يأتيه من الله ما يقارب بينه وبين قومه لحرصه على إيمانهم فكان
صلى الله عليه وسلم يوما في مجلس لقريش فأنزل الله عز وجل سورة النجم فقرأها
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة
الأخرى ألقى الشيطان على لسانه لما كان يحدث به نفسه ويتمناه تلك الغرانيق
العلى وإن شفاعتهن لترتجى فلما سمعت قريش ذلك فرحوا به ومضى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقرأ السورة كلها وسجد في آخرها وسجد المسلمون بسجوده
وسجد جميع من في المسجد من المشركين فلم يبق في المسجد مؤمن ولا كافر إلا سجد
غير الوليد بن المغيرة وأبو أحيحة سعيد بن العاص فإنهما أخذا حفنة من البطحاء
ورفعاها إلى جبهتهما وسجدا عليها لأنهما كانا شيخين كبيرين ولم يستطيعا
السجود وتفرقت قريش وقد سرهم ذكر ما سمعوا من ذكر آلهتهم ويقولون قد ذكر
محمد آلهتنا بأحسن الذكر وقالوا قد عرفنا أن الله يحيي ويميت ويرزق ولكن
آلهتنا هذه تشفع لنا عنده إن جعل لها محمد نصيبا فنحن معه فلما أمسى رسول الله
صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل فقال ماذا صنعت قد تلوت على الناس ما لم آتك به عن الله

تعالى لحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم حزنا شديدا او خاف من الله خوفا كبيرا
فانزل الله تعالى هذه الاية يعزيه بقول الله عز وجل وكان ربك رحيما وسمع بذلك
من كان بارض الحبشة من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وبلغهم سجود قريش وقيل قد
اسلمت قريش واهل مكة فرجع اكثرهم الى عشائرهم وقالوا هم احب الينا
حتى اذا دنوا من مكة بلغهم ان الذي كانوا تحدثوا به من اسلام اهل مكة كان باطلا
فلم يدخل احد منهم الا بجوار او مستخفيا فلما نزلت هذه الاية قالت قريش
ندم محمد على ما ذكر من منزلة الهتنا عند الله فغير ذلك وكان الحرفان اللذان
القى الشيطان على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وقعا في فم كل مشرك
فازدادوا شرا الى ما كانوا عليه وشدة على من اسلم قال الله تعالى وما ارسلنا
من قبلك من رسول ولا نبي الرسول هو الذي يأتيه جبريل بالوحي عيانا ولا
والنبي هو الذي تكون نبوته الهاما او مناما فكل رسول نبي وليس كل نبي
رسولا الا اذا تمنى اي احب شيئا واشتهاه وحدث به نفسه ما لم يؤمر به
القى الشيطان في امنيته اي في مراده وقال ابن عباس اذا حدث القى الشيطان
في حديثه ووجد اليه سبيلا والمعنى ما من نبي الا تمنى ان يؤمن قومه ولم يتمن
ذلك نبي الا القى الشيطان عليه ما يرضى قومه فينسخ الله ما يلقي الشيطان
وقال اكثر المفسرين معنى تمنى قرأ وتلا كتاب الله القى الشيطان في امنيته
اي في تلاوته وقال حسان في عثمان حين قتل

تمنى كتاب الله اول ليلة ● وآخرها لاقى حمام المقادر

فان قلت فقد قامت الدلائل على صدقه صلى الله عليه وسلم واجمعت الامة
فيما كان طريقه البلاغ انه معصوم فيه من الاخبار عن شيء منها بخلاف ما هو
به لا قصدا ولا عمدا ولا سهوا ولا غلطا قال الله تعالى وما ينطق عن الهوى
وقال تعالى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد فكيف
يجوز الغلط على النبي صلى الله عليه وسلم في التلاوة وهو معصوم منه قلت
ذكر العلماء على هذا الاشكال اجوبة احدها توهين اصل هذه القصة وذلك لم
يروها احد من اهل الصحة ولا اسندها احد بسند صحيح او سليم متصل فلما
رواها المفسرون والمؤرخون والمولعون بكل غريب الملفقون من الصحف كل صحيح
وسقيم والذي يدل على ضعف هذه القصة اضطراب رواتها وانقطاع سندها
واختلاف الفاظها فقائل يقول ان النبي صلى الله عليه وسلم كان في الصلاة وآخر
يقول قرأها وهو في نادي قومه وآخر يقول قرأها وقد اصابته سنة وآخر يقول
بل حدثت نفسه بها فجرى ذلك على لسانه وآخر يقول ان الشيطان قالها على لسان
النبي صلى الله عليه وسلم فان النبي صلى الله عليه وسلم لما عرضها على جبريل قال ما هكذا
اقرأتك الى غير ذلك من اختلاف الفاظها والذي جاء في الصحيح من حديث عبد الله
ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ والنجم فسجد فيها وسجد من كان معه غير

ان شيخا من قريش اخذ كفا من حصى او من تراب فرفعه الى جبهته قال عبد الله فلقد
رأيته بعد قتل كافرا اخرجه البخاري ومسلم وصح من حديث ابن عباس ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم سجد بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس رواه
البخاري فهذا الذي جاء في الصحيح لم يذكر فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر تلك
الالفاظ ولا قرأها والذي ذكره المفسرون عن ابن عباس في هذه القصة فقد رواه عنه
الكلبي وهو ضعيف جدا فهذا توهين هذه القصة الجواب الثاني هو من حيث المعنى
وهو ان الحجة قد قامت بالدليل الصحيح واجماع الامة على عصمة النبي صلى الله عليه وسلم
ونزاهته عن مثل هذه الرذيلة وهو تمنيه ان ينزل عليه مدح آلهة غير الله وان
يتسور عليه الشيطان ويشبه القرآن حتى يجعل فيه ما ليس منه حتى
ينبهه جبريل عن ذلك وهذا كله ممتنع في حقه صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل
ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين
الاية الجواب الثالث في تسليم وقوع هذه القصة وسبب سجود الكفار ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأ القرآن رتله ترتيلا ويفصل الاي تفصيلا
كما صح عنه في قراءته صلى الله عليه وسلم فيحتمل ان الشيطان ترصد تلك السكتات
فدس فيها ما اختلقه من تلك الكلمات حاكيا لصوت النبي صلى الله عليه وسلم فسمعه
من دنا منه من الكفار فظنوها من قول النبي صلى الله عليه وسلم فسجدوا معه لسجوده
والمسلمون فلم يقدح ذلك عندهم لتحققهم من حال النبي صلى الله عليه وسلم في ذم الاوثان
وعيبها وانهم كانوا يحفظون السورة كما انزلها الله عز وجل الجواب الرابع في تفسير
وقد تقدم ان التمني يكون بمعنى حديث النفس وبمعنى التلاوة فعلى الاول يكون
معنى قوله الا اذا تمنى اي خطر بباله وتمنى بقلبه بعض الامور ولا يبعد انه اذا قوي
التمني اشتغل الخاطر فحصل السهو في الافعال الظاهرة وعلى الثاني وهو تفسير
التمني بالتلاوة فيكون معنى قوله الا اذا تمنى اي تلى وهو ما يقع للنبي صلى الله
عليه وسلم من السهو في اسقاط اية او ايات او كلمة او نحو ذلك ولكنه لا يقر على هذا
السهو بل ينبه عليه ويذكر به للوقت والحين كما صح في الحديث لقد ذكرني كذا
كذا اية كنت انسيتها من سورة كذا وحاصل هذا ان الغرض من هذه الاية ان الانبيا
والرسل وان كان عصمهم الله عن الخطا في العلم فلم يعصمهم من جواز السهو عليهم
بل حالهم في جواز ذلك كحال ساير البشر والله سبحانه وتعالى اعلم قوله عز وجل
فينسخ الله ما يلقي الشيطان اي يبطله ويذهبه ثم يحكم الله اياته اي
يثبتها والله عليم حكيم قوله عز وجل ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة اي
محنة وبلية والله تعالى يمتحن عباده بما يشاء للذين في قلوبهم مرض اي
شك ونفاق والقاسية قلوبهم اي الجافية قلوبهم عن قبول الحق وهم
المشركون وان الظالمين لفي شقاق بعيد اي خلاف شديد قوله تعالى
وليعلم الذين اوتوا العلم اي التوحيد والقرآن والتصديق بنسخ الله

ما يشاء انه الحق من ربك اي الذي احكم الله من ايات القران هو الحق
من ربك فيؤمنوا به اي يعتقد وا انه من الله عز وجل فتخبت له قلوبهم
اي تسكن اليه وان الله لهادي الذين امنوا الى صراط مستقيم اي طريق قويم وهو
الاسلام قوله عز وجل ولا يزال الذين كفروا في مرية منه اي في شك من القران
وقيل من الدين الذي هو صراط مستقيم حتى تاتيهم الساعة بغتة اي
فجاة وقيل اراد بالساعة الموت او ياتيهم عذاب يوم عقيم اي عذاب
يوم لا ليلة له وهو يوم القيامة وقيل هو يوم بدر سمي عقيما لانه لم يكن في
ذلك اليوم للكفار خير كالريح العقيم لا تاتي بخير وقيل لانه لا مثل له لعظم امره
لقتال الملائكة فيه الملك يومئذ يعني يوم القيامة لله وحده من غير
منازع ولا مشارك يحكم يفصل بينهم ثم بين ذلك الحكم فقال تعالى فالذين
امنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا باياتنا
فاولئك لهم عذاب مهين قوله تعالى والذين هاجروا في سبيل الله اي فارقوا
اوطانهم وعشائرهم في طاعة الله وطلب رضاه ثم قتلوا او ماتوا ليرزقنهم
الله رزقا حسنا اي لا ينقطع ابدا وهو رزق الجنة لان فيها ما تشتهي الانفس
وتلذ الاعين وان الله لهو خير الرازقين فان قلت الرازق في الحقيقة
هو الله عز وجل لا رازق للخلق غيره فكيف قال وان الله لهو خير الرازقين
قلت قد يسمى غير الله رازقا على المجاز كقولهم رزق السلطان الجند اي اعطاهم
ارزاقهم وان الرازق في الحقيقة هو الله تعالى وقيل لان الله تعالى يعطي من
الرزق ما لا يقدر عليه غيره ليدخلنهم مدخلا يرضونه يعني الجنة يكرمون به
ولا ينالهم فيها مكروه وان الله لعليم بنياتهم حليم عليهم قوله عز وجل ذلك
اي الامر ذلك الذي قصصناه عليكم ومن عاقب بمثل ما عوقب به
اي جازى الظالم بمثل ظلمه وقيل يعني قاتل المشركين كما قاتلوه ثم بغي عليه
اي ظلم باخراجه من منزله يعني ما اتاه المشركون من البغي على المسلمين حتى
اخرجوهم الى مفارقة اوطانهم ثم نزلت في قوم من المشركين اتوا اقواما من
المسلمين لليلتين بقيتا من المحرم فكره المسلمون قتالهم وسالوهم ان يكفوا
عن القتال من اجل الشهر الحرام فابى المشركون وقاتلوهم فذلك بغيهم عليهم
وثبت المسلمون لهم فنصرهم الله عليهم فذلك قوله لينصرنه الله ان الله لعفو
عن مساوي المومنين غفور لذنوبهم قوله تعالى ذلك اي ذلك النصر
بان الله القادر على ما يشاء فمن قدرته انه يولج الليل في النهار ويولج
النهار في الليل في معنى هذا الايلاج قولان احدهما انه يجعل ظلمة الليل مكان ضياء
النهار وذلك بتغيبه الشمس ويجعل ضياء النهار مكان ظلمة الليل بطلوع الشمس
القول الثاني فهو ما يزيد من احدهما ينقص الاخر من الساعات وذلك لا يقدر
عليه الا الله تعالى وان الله سميع بصير ذلك بان الله هو الحق اي ذو الحق

في قوله

في قوله وفعله ودينه حق وعبادته حق وان ما يدعون يعني المشركين من دونه
هو الباطل يعني الاصنام التي ليس عندها ضر ولا نفع وان الله هو العلي
اي العالي على كل شيء الكبير اي العظيم في قدرته وسلطانه قوله عز وجل الم تر
ان الله انزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة اي بالنبات ان الله لطيف
اي باستخراج النبات من الارض رزقا للعباد والحيوان خبير
بما في قلوب العباد اذا تاخر المطر عنهم له ما في السموات وما في الارض اي عبيدا
وملكا وان الله لهو الغني الحميد يعني الغني عن عباده الحميد في افعاله
الم تر ان الله سخر لكم ما في الارض اي الدواب التي تركب في البر والفلك
اي وسخر السفن تجري في البحر بامره يعني سخر لها الماء والرياح ولولا
ذلك لما جرت ويمسك السماء ان تقع اي لكيلا تسقط على الارض الا باذنه
ان الله بالناس لرءوف رحيم اي انه انعم بهذه النعم الجامعة لمنافع الدين
والدنيا وقد بلغ الغاية في الانعام والاحسان فهو اذا رءوف رحيم بكم وهو
الذي احياكم اي انشاكم ولم تكونوا شيئا ثم يميتكم عند انقضاء اجالكم
ثم يحييكم اي يوم البعث للثواب والعقاب ان الانسان لكفور اي لجحود
لنعم الله عز وجل وقوله تعالى لكل امة جعلنا منسكا قال ابن عباس شريعة
هم ناسكوه اي عاملون بها وعنه انه قال عيدا وقيل موضع قربان يذبحون
فيه وقيل موضع عبادة فلا ينازعنك في الامر اي في امر الذبائح نزلت في
بديل بن ورقاء وبشر بن سفيان ويزيد بن خنيس قالوا لاصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم ما لكم تاكلون مما تقتلون بايديكم ولا تاكلون مما قتله
الله وقيل معناه لا تنازعهم انت وادع الى ربك اي الى الايمان به والى
دينه انك لعلى هدى مستقيم اي على دين واضح مستقيم وان جادلوك
اي خاصموك في امر الذبح وغيره فقل الله اعلم بما تعملون اي من التكذيب
الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون اي فتعلمون حينئذ
الحق من الباطل وقيل حكمه يوم القيامة بتردده بين جنة وثواب لمن قبلوا
وبين نار وعقاب لمن ردوا قوله عز وجل الم تعلم الخطاب للنبي صلى الله
عليه وسلم وتدخل فيه الامة ان الله يعلم ما في السماء والارض ان ذلك
في كتاب اي اللوح المحفوظ ان ذلك اي علمه بجميعه على الله يسير
وقيل ان كتبه للحوادث مع انها من الغيب على الله يسير ويعبدون من
دون الله ما لم ينزل به سلطانا اي من حجة ظاهرة من دليل سمعي وما
ليس لهم به علم اي انهم فعلوا ما فعلوه عن جهل لا عن علم ولا دليل عقلي
وما للظالمين اي المشركين من نصير اي مانع يمنعهم من العذاب واذا
تتلى عليهم اياتنا بينات يعني القران وصفه بذلك لان فيه بيان الاحكام
والفصل بين الحلال والحرام تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر اي الانكار

والكراهية تتبين في ذلك في وجوههم **يكادون يسطون** اي يقعون ويبسطون اليهم ايديهم بالسوء وقيل يبطشون **بالذين يتلون عليهم اياتنا** اي محمد واصحابه من شدة الغيظ **قل** لهم يا محمد **أفأنبئكم بشر من ذلكم** اي بشر لكم واكره اليكم من هذا القران الذي تسمعون **النار** اي هي النار **وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير** قوله تعالى **يا أيها الناس ضرب مثل** فان قلت الذي جاء به ليس بمثل فكيف سماه مثلا قلت لما كان المثل في الاكثر نكتة عجيبة غريبة جاز ان يسمى كل كلام كان كذلك مثلا وقال صاحب الكشاف قد سمينا الصفة والقصة الرائقة المتلقاة بالاستحسان والاستغراب مثلا تشبيها لها ببعض الامثال المسيرة لكونها عندهم مستحسنة مستغربة **فاستمعوا له** اي تدبروه حق تدبره فان الاستماع بلا تدبر وتعقل لا ينفع ومعنى الاية جعل شبيه وشبه في الاوثان اي جعل المشركون الاصنام شركائي يعبدونها ثم بين لها وصفها فقال تعالى **ان الذين تدعون من دون الله** يعني الاصنام **لن يخلقوا ذبابا** اي واحدا في صغره وضعفه وقلته لانها لا تقدر على ذلك **ولو اجتمعوا له** اي لخلقته والمعنى ان هذه الاصنام لو اجتمعت لم تقدر على خلق ذبابة على ضعفها وصغرها فكيف يليق بالعاقل جعلها معبودا قوله تعالى **وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه** قال ابن عباس كانوا يطلون الاصنام بالزعفران فاذا جف جاءت الذباب فاستلبت منه وقيل كانوا يضعون الطعام بين يدي الاصنام فيقع الذباب عليه وياكل **ضعف الطالب والمطلوب** قال ابن عباس الطالب الذباب يطلب ما يسلب من الطيب الذي على الصنم والمطلوب الذباب اي لو طلب الصنم ان يخلق الذباب لعجز عنه وقيل الطالب عابد الصنم والمطلوب هو الصنم **ما قدروا الله حق قدره** اي ما عظموا الله حق عظمته وما عرفوه حق معرفته ولا وصفوه حق صفته حيث اشركوا به ما لا يمتنع من الذباب ولا ينتصف منه **ان الله لقوي** لا يقهر **عزيز** لا يغلب قوله عز وجل **الله يصطفي من الملائكة** اي يختار من الملائكة **رسلا** جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وغيرهم **ومن الناس** اي ويختار الله من الناس رسلا مثل ابراهيم وموسى وعيسى ومحمد وغيرهم من الانبياء والرسل صلى الله عليهم اجمعين نزلت حين قال المشركون انزل عليه الذكر من بيننا فاخبر الله تعالى ان الاختيار اليه يختار من يشاء من عباده لرسالته **ان الله سميع** اي لاقوالهم **بصير** اي لافعالهم لا يخفى عليه خافية قوله تعالى **يعلم ما بين ايديهم** قال ابن عباس ما قدموا **وما خلفهم** اي ما خلفوا وقيل يعلم ما عملوا وما هم عاملون وقيل يعلم ما بين ايدي ملائكته ورسله قبل ان يخلقهم ويعلم ما هو كائن بعد فنائهم **والى الله ترجع الامور** قوله تعالى **يا أيها الذين امنوا اركعوا واسجدوا** اي صلوا لان الصلاة لا تكون الا بالركوع [illegible]

والسجود **واعبدوا ربكم** اي وحدوه وقيل اخلصوا له العبادة **وافعلوا الخير** قال ابن عباس صلة الارحام ومكارم الاخلاق وقيل فعل الخير ينقسم الى خدمة المعبود الذي هو عبارة عن التعظيم لامر الله تعالى والى الاحسان الذي هو عبارة عن الشفقة على خلق الله ويدخل فيه البر والمعروف والصدقة وحسن القول وغير ذلك من اعمال البر **لعلكم تفلحون** اي لكي تسعدوا وتفوزوا بالجنة

فصل في احكام سجود التلاوة ولم يختلف العلماء في السجدة الاولى من هذه السورة واختلفوا في السجدة الثانية فروي عن عمر وعلي وابن عمر وابن مسعود وابن عباس وابي الدرداء وابي موسى انهم قالوا في الحج سجدتان وبه قال ابن المبارك والشافعي واحمد واسحاق يدل عليه ما روي عن عقبة بن عامر قال قلت يا رسول الله أفي الحج سجدتان قال نعم ومن لم يسجدهما فلا يقرأهما اخرجه الترمذي وابو داود وعن ابن الخطاب انه قرأ سورة الحج فسجد فيها سجدتين قال ان هذه السورة فضلت بسجدتين اخرجه مالك في الموطا وذهب قوم الى ان في الحج سجدة واحدة وهي الاولى وليست هذه بسجدة وهو قول الحسن وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير وسفيان الثوري وابو حنيفة ومالك بدليل انه قرن السجود بالركوع فدل ذلك انها سجدة صلاة لا سجدة تلاوة واختلف العلماء في عدد سجود التلاوة فذهب الشافعي واحمد واكثر اهل العلم الى انها اربع عشرة سجدة لكن الشافعي قال في الحج سجدتان واسقط سجدة ص وبه قال احمد في احدى الروايتين عنه فعنده ان السجدات خمس عشرة سجدة وقال ابو حنيفة في الحج سجدة واثبت سجدة ص وذهب قوم الى ان المفصل ليس فيه سجود ويروى ذلك عن علي وابن عباس وابي بن كعب وبه قال مالك فعلى هذا يكون سجود القران احدى عشرة سجدة يدل عليه ما روي عن ابي الدرداء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في القران احدى عشر سجدة اخرجه ابو داود وقال اسناده واه ودليل من قال في القران خمسة عشر سجدة ما روي عن عمرو بن العاص قال اقرأني رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس عشرة سجدة في القران منها ثلاث في المفصل وفي سورة الحج سجدتان اخرجه ابو داود وصح من حديث ابي هريرة قال سجدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في اقرأ واذا السماء انشقت اخرجه مسلم وسجود التلاوة سنة للقارئ والمستمع وبه قال الشافعي وقال ابو حنيفة هو واجب قوله عز وجل **وجاهدوا في الله حق جهاده** اي جاهدوا في سبيل الله اعداء الله ومعنى حق جهاده هو استفراغ الطاقة فيه قال ابن عباس وعنه انه قال لا تخافوا في الله لومة لائم فهو حق الجهاد كما تجاهدون في الله ولا تخافون لومة لائم وقيل معناه اعملوا لله حق عمله واعبدوه حق عبادته وقيل نسخها قوله تعالى **فاتقوا الله ما استطعتم** وقال اكثر المفسرين حق الجهاد بنية صادقة خالصة ولتكون كلمة الله هي العليا بدليل قوله صلى الله عليه وسلم

من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله اخرجاه في الصحيحين من حديث
ابي موسي الاشعري وقيل مجاهدة النفس والهوي هو حق الجهاد وهو حق الجهاد
الاكبر وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما رجع من غزوة تبوك قال رجعنا من الجهاد
الاصغر الي الجهاد الاكبر ذكره البغوي بغير سند قيل اراد بالاصغر جهاد الكفار
وبالاكبر جهاد النفس **هو اجتباكم** اي اختاركم لدينه والاشتغال بخدمته وعبادته
وطاعته فاي رتبة اعلا من هذا واي سعادة فوق هذا قوله تعالى **وما جعل
عليكم في الدين من حرج** اي ضيق وشدة وهو ان المومن لا يبتلي بشي من
الذنوب الا جعل الله له منها مخرجا بعضها بالتوبة وبعضها برد المظالم والقصاص
وبعضها بانواع الكفارات من الامراض والمصايب وغير ذلك فليس في دين
الاسلام ما لا يجد العبد سبيلا الي الخلاص من الذنوب ومن العقاب لمن وفق
وقيل معناه رفع الضيق في اوقات فروضكم مثل هلال شهر رمضان والفطر
ووقت الحج اذا التبس عليكم وسع ذلك عليكم حتى تتيقنوا وقيل معناه الرخص
عند الضرورات كقصر الصلاة والقصر في السفر والتيمم عند عدم الما
واكل الميتة عند الضرورة والصلاة قاعدا والفطر مع العجز لعذر المرض
ونحو ذلك من الرخص التي رخص الله على عباده وقيل اعطي الله هذه الامة خصلتين
لم يعطهن احدا غيرهم جعلهم شهدا على الناس وما جعل عليهم في الدين من حرج
وقال ابن عباس الحرج ما كان على بني اسرايل من الاصار التي كانت عليهم وضعها
الله عن هذه الامة **ملة ابيكم ابراهيم** لانها داخلة في ملة محمد صلى الله
عليه وسلم فان قلت لم يكن ابا للامة كلها فكيف سماه ابا في قوله ملة ابيكم
ابراهيم قلت ان الخطاب للعرب وهو ابو العرب قاطبة وان كان الخطاب لكل
المسلمين فمعناه ان وجوب احترامه وحفظ حقه يجب كما يجب احترام الاب فهو كقوله
وازواجه امهاتهم وقد قال صلى الله عليه وسلم انما انا لكم كالوالد وفي قوله عز
وجل **هو سماكم المسلمين من قبل** قولان احدهما ان الكناية ترجع الي الله تعالى يعني
ان الله تعالى سماكم المسلمين في الكتب القديمة من قبل نزول القران القول
الثاني ان الكناية راجعة الي ابراهيم يعني ان ابراهيم سماكم المسلمين في ايامه
من قبل هذا الوقت وهو قوله ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة
مسلمة لك فاستجاب الله تعالى دعاءه فينا **وفي هذا** اي وفي القران سماكم
المسلمين **ليكون الرسول شهيدا عليكم** يعني يوم القيامة على الامم ان
ان قد بلغكم **وتكونوا شهداء على الناس** اي تشهدوا يوم القيامة على
الامم ان رسلهم قد بلغتهم **فاقيموا الصلاة واتوا الزكاة واعتصموا بالله**
اي ثقوا به وتوكلوا عليه وقيل تمسكوا بدين الله وقال ابن عباس سلوا ربكم
ان يعصمكم من كل ما يكره وقيل معناه ادعوا ربكم ان يثبتكم على دينه وقيل
الاعتصام هو التمسك بالكتاب والسنة **هو مولاكم** اي وليكم وناصركم

وحافظكم

وحافظكم **فنعم المولى ونعم النصير** اي الناصر لكم والله تعالى اعلم باسرار
كتابه

تم الجزء الثاني من كتاب التاويل باسرار التنزيل للعالم
العلامة العمدة الفهامة الخازن نفعنا الله
بعلومه في الدنيا والاخرة يتلوه
اول سورة المومنون
وبالله التوفيق
وصلى الله على
سيدنا محمد
وعلى اله
وصحبه
وسلم
امين
ا ا ا
ا